الجزء الثالث

من شرح المواهب

اللدنية للشيخ العلامة

سيدي محمد الزرقاني

المالكي اطال

الله بقاه امين

الملك لله دخل في حفظ عبده

الحاجي بشير آغاء دار السعادة

الشريفة لسنة ثمان وخمسين

ومائة والف

هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرة مولانا صاحب الخيرات الحسان

ساحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بانوار العنايه

مفتح مغالق المراصد بمفتاح الكفايه جامع محاسن العلم والعمل

حائز مجامع البر الاكمل الا وهو اغاء دار السعاده الحاج بشير

وفقه للخير المزيد والبر الكثير من هو على كل شئ قدير

حرره الفقير اليه سبحانه وتعالى

محمد امين المفتش باوقاف الحرمين المحترمين

عفي عنه

١٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

النوع الثاني في لباسه بالكسر ما يلبسه **صلى الله عليه وسلم وفراشه** اي بيانهما وصفتهما والفراش ما يفرش فهو بمعنى مفروش ككتاب بمعنى مكتوب **قال البخاري** اثنا كتاب اللباس من صحيحه **باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز** بالجيم من التجوز والبسط **من اللباس يعني يتوسع** تفسير ليتجوز **فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه** وللكشميهني يتحرى بحا مهملة بعدها را كذا في الفرع وقال في الفتح وتبعه العيني بالجيم والزاي اي المفتوحة المشددة بعدها الف قال العيني وما اظنه صحيحا الا بالحا والرا قاله المص **او** معنى يتجوز **لا يضيق بطلب النفيس الغالي** كذا في نسخ كالفتح باو اشارة الى تفسير يتجوز باحد امرين وفي بعض نسخ المص بالواو وعلى انه تفسير للتوسع بمجموعهما **بل يستعمل ما تيسر** بلا كلفة ولذا اورد البخاري في الباب حديث عمر في جلوس النبي صلى الله عليه وسلم في المشربة لما حلف لا يدخل على نسائه شهرا وفيه فدخلت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على حصير قد اثر في جنبه وتحت راسه مرفقة من ادم حشوها ليف واذا اهب معلقة وقرظ وحديث ام سلمة استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لا اله الا الله ماذا انزل الليلة من الفتنة ماذا انزل من الخزائن من يوقظ صواحبات الحجرات كم من كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة ففيه التحذير من لبس رقيق الثياب الواصفة للجسد وهو وجه ادخاله في هذه الترجمة وروى ابو نعيم وابن عدي عن عبادة بن الصامت صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شملة اراد ان يتوشح بها فضاقت فعقدها في عنقه هكذا واشار سفيان الى قفاه ليس له غيرها **وقال القاضي عياض** في الشفا **كان عليه الصلاة والسلام قد اقتصر منه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد** ماض معطوف على اقتصر **فيما سواه** اي ما سوى مقدار الضرورة وفي نسخة من الشفا وزهده مصدر مضاف للضمير مرفوع عطفا على ضرورته او مجرور عطفا على مجرور الى بدله اعاد الجار والنسخ الاولى اوضح **فكان يلبس ما وجده** حاضرا عنده لا يتكلف **فيلبس في غالب احواله الشملة** بفتح المعجمة وسكون الميم ما يشتمل به من الاكسية

النبي

التي يلتحف بها كما في الفتح وقيل يختص بما له هدب وقال ابن دريد كسا يوتزر به وهي البردة وتسمية العوام ما يلف على الراس شملة اصطلاح حادث **والكسا** ضرب من البرد **الخشن** بفتح فكسر ضد اللين والرقيق **والاردية** جمع ردا **والازر** جمع ازار وبلفظ الشفا بدل هذين والبرد الغليظ وهو بضم وله ثوب فيه خطوط ومطلق الثوب وليس هذا عجزا عن فاخر الملابس بل لعدم ميله لها كما افاده بقوله **ويقسم على من حضره** اي حضر عنده كما هو لفظ الشفا **اقبية** جمع قبا وهو المخيط من اللباس **الديباج** نوع معروف من الحرير **المخوصة** بضم الميم وفتح المعجمة وشد الواو وفتح الصاد مهملة تفسيرها المزينة **بالذهب** اي المنسوجة باعلام من ذهب كالخوص وقيل المكفوف او المطوق او المزرر بالذهب **ويرفع** اي يدخر **لمن لم يحضر** القسمة الى ان يحضر فيعطيه له اشارة لقصة مخرمة التي رواها البخاري وغيره عن مسور ابن مخرمة قال قال لي ابي بلغني انه صلى الله عليه وسلم جاته اقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه في منزله فقال ادعه لي فاعظمت ذلك فقال يا بني انه ليس بجبار فدعوته صلى الله عليه وسلم فخرج ومعه قبا من ديباج مزرر بالذهب فقال يا مخرمة خبات لك هذا وجعل صلى الله عليه وسلم يريه محاسنه ثم اعطاه له فنظر اليه فقال رضي مخرمة فاعطاه اياه وجزم الداودي ان قوله رضي مخرمة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ورجح الحافظ انه من كلام مخرمة **اذ المباهاة** تعليل لاقتصاره على ما تدعو ضرورته اليه اي لان اظهار التفخر **في الملابس** جمع ملبس بفتح الميم والبا وهو اللباس و بمعنى واصل المباهاة المفاخرة فنزل اظهارها والعجب بها **والتزين بها** اي اظهار الزينة في الملابس منزلة ذلك **ليست من خصال الشرف والجلالة** العظمة **وانما هي من سمات النسا** ومن في حكمهم كالاطفال والكثير من يتباهى بذلك بحدثة النعمة ومن لا قدر له **والمحمود** عند الله وعند الناس **نقاوة** بفتح النون وضمها اي نظافة **الثوب** اي كونه نقيا من الوسخ والنجاسة **والتوسط في جنسه** فلا يكون عليا جدا ولا خسيسا **وكونه لبس** بضم فسكون **مثله** اي مما تلبسه امثاله **غير مسقط لمروة جنسه** اي لا يعد مسقط المروة امثاله فينبغي ان يوافق امثاله في لباسهم ولا يخالفهم فيوقع الناس في الفتنة وبقية كلام عياض مما لا يودي الى الشهرة في الطرفين **انتهى** اي غاية التعظيم وغاية الخسة فيكون بين بين وخير الامور اوساطها قال النووي كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد والثياب الرذلة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وبهذا ورد الحديث **وقد روى ابو نعيم في الحلية** والطبراني في الكبير **عن ابن عمر** بن الخطاب **مرفوعا ان من كرامة المومن على الله** اي نفاسته وعزته اي من حسن حاله الذي يثيبه عليه ويصيره معتبرا عنده **نقا ثوبه** نظافته ونزاهته عن الادناس **ورضاه باليسير** من ملبس وماكل ومشرب او من الدنيا ودخل زاهد على ابي الحسن المروضي فوجده عريانا فقال نحن اذا غسلنا ثيابنا نكون كما قال القاضي ابو الطيب

قوم اذا غسلوا ثياب جمالهم * لبسوا البيوت وزرروا الابوابا

وله ايضا من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وسخة ثيابه فقال اما وجد وفي نسخة اما رأى هذا شيئا ينقي به ثيابه استفهام توبيخي عليه وسخ ثوبه وكونه خاطبه ليلا ينكسر خاطره واشار الى ان الحكم لا يختص به فقد كانت سيرته في ملبسه صلى الله عليه وسلم اتم اسم تفضيل وكذا وانفع للبدن واخفه عليه والمفضل عليه محذوف اي مما جرت العادة بلبسه فانه لم تكن عمامته بالكبيرة التي يؤذي حاملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات كصداع ومرض عين وزكام كما يشاهد من حال اصحابها ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية بكسر الواو وفتحها لغة حفظ الرأس من الحر والبرد بل كانت وسطا بين ذلك المذكور من الكبير والصغير قال الحافظ في فتاويه لا يحضرني في طول عمامة النبي صلى الله عليه وسلم قدر محدود وقد سئل عنه الحافظ عبد الغني فلم يذكر شيئا وقال السيوطي لم يثبت في مقدارها حديث وفي خبر ما يدل على انها عدة اذرع والظاهر انها كانت نحو العشرة او فوقها بيسير وقال السخاوي في فتاويه رأيت من نسب لعائشة ان عمامته في السفر بيضا وفي الحضر سودا وكل منهما سبعة اذرع وهذا شيء ما علمته وقال المكي لم يتحرر كما قال بعض الحفاظ في طولها وعرضها شيء وما للطبراني ان طولها سبعة اذرع ولغيره عن عائشة انه سبعة في عرض ذراع وانها كانت في السفر بيضا وفي الحضر سودا من صوف وان عذبتها في السفر من غيرها وفي الحضر منها لا اصل له وفي تصحيح المصابيح لابن الجزري تتبعت الكتب وتطلبت من السير والتواريخ لاقف على قدر عمامته صلى الله عليه وسلم فلم اقف على شيء من كلام النووي ذكر فيه انه كان له عمامة قصيرة ستة اذرع وعمامة طويلة اثنا عشر ذراعا وكان يدخلها اي بعضها تحت حنكه فانها اي الهيئة المذكورة او العمامة بهذه الهيئة وفي نسخة فانه اي هذا الفعل باعتبار اثره الذي يترتب منه وهو كون العمامة تحت الحنك تقي العنق الوصلة بين الرأس والجسد الحر والبرد تفي هذا الفعل نفع له حتى لا يكون عرباد وبتما وهو اثبت لها عند ركوب الخيل والابل والكر والفر وكذلك الاردية والازر اخف على البدن من غيرها كالجوخ والفراء والمضربات وقد اطنب ابن الحاج في المدخل في الاستدلال لاستحباب التحنيك ثم قال واذا كانت العمامة اي لبسها من باب المباح فلا بد فيها من فعل سنن بها من نتا ولها باليمين لانه صلى الله عليه وسلم كان يحب التيمن في شأنه كله والتسمية اذ هي ثوب والتسمية عند لبسه مستحبة والذكر الوارد ان كانت مما لبس جديدا روى ابو داود واحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه او قميصا او رداء ثم يقول اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسألك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له وروى احمد وابو يعلى عن علي سمعت رسول الله يقول اذا لبس ثوبا جديدا الحمد لله الذي رزقني من الرياش اي الجمال ما اتجمل به في الناس واواري به

عورتي

عورتي وللطبراني عن جابر كان صلى الله عليه وسلم اذا لبس ثوبا جديدا قال الحمد لله الذي وارى عورتي وجملني في عباده والمراد العورة اللغوية اي النقص كأنه قال رزقني ما ازيل به النقص عني واحصل به الكمال وامتثال السنة في صفة التعميم من فعل التحنيك والعذبة وتصغير العمامة يعني كونها سبعة اذرع ونحوها يخرجون منها التحنيك والعذبة فان زاد في العمامة قليلا لاجل حر او برد فيسامح فيه واما كثيرا الا لذلك فبدعة مكروهة مخالفة للسنة وسرف وتضييع للمال قاله ابن الحاج لكن قال ابن عبد السلام اذا كان ذلك شعارا للعلماء فيستحب ليعرفوا فيسألوا ويطاعوا وتبعه السبكي واستنبطه من قوله تعالى يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين ثم قال بعد ان ذكر قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك بان تتسرول قاعدا وتتعمم قائما انتهى كلام ابن الحاج وقضيته ان المصطفى كان يفعل ذلك وعهدته عليه وذكر البرهان الناجي بالنون ان التعمم قاعدا والتسرول قائما يورثان الفقر والنسيان ولم يكن صلى الله عليه وسلم يطول اكمامه ويوسعها بل كان كم قميصه صلى الله عليه وسلم الى الرسغ بزنة قفل بصاد وسين لغتان صحيحتان وبالصاد رواه الترمذي وابو داود وبالسين غيرهما وهو منتهى الكف عند المفصل لا يجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش ولا يقصر عن هذا فيبرز للحر والبرد فجعله الى الرسغ وسط وخير الامور اوساطها ولا يعارضه رواية اسفل من الرسغ لاحتمال تعدد القميص او المراد التقريب لا التحديد او الاختلاف بحسب احوال الكم فحال جدته وعقب غسله يكون اطول لعدم تثنيه وتجعده واذا بعد عن ذلك تثنى وقصر ولا يعارضه ايضا ما رواه الحاكم وصححه وابو الشيخ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس قميصا وكان فوق الكعبين وكان كمه الى الاصابع لان الرسغ مخصوص بقميص السفر اما في الحضر فكان يلبس قميصا من قطن فوق الكعبين وكمه مع الاصابع كما جمع بينهما بذلك بعضهم نقله السيوطي قال ولا يعارضه ما اخرجه سعيد بن منصور والبيهقي عن علي انه كان يلبس القميص ثم يمد الكم حتى اذا بلغ الاصابع قطع ما فضل ويقول لا افضل للكمين على الاصابع انتهى وقد روي عن اسماء بفتح الهمزة ممدودا ابنة يزيد ابن السكن الانصارية تكنى ام سلمة ويقال ام عامر صحابية لها احاديث روى لها الاربعة وهي بنت عمة معاذ وقتلت يوم اليرموك تسعة بعمود خبائها انه كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ رواه الترمذي في الشمائل مقيدا بالقميص ورواه في الجامع كانت كم يد رسول الله قال الزين العراقي فيحتمل حمله عليه ويحتمل العموم انتهى وقد قال الترمذي انه حسن غريب مع ان فيه شهر بن حوشب مختلف فيه ورواه ابو داود ايضا والبيهقي في الشعب وله شاهد عنده من حديث انس وابن عباس فاعتبرت رواية شهر ولذا حسنها الترمذي وكان ذيل قميصه وردائه الى انصاف الساقين كما رواه الترمذي عن سلمة كان عثمان يأتزر الى انصاف ساقيه وقال كانت ازرة صاحبي يعني النبي

صلي الله عليه وسلم والمراد بالجمع ما فوق الواحد بدليل اضافته الي المثني فقيل
وجمع انصاف اشارة الي التوسعة لم يتجاوز الكعبين فهو ذي الماشي ويجعله
في المقيد ولم يقصر عن عضلة ساقيه بعين مهملة وضاد معجمة قال في القاموس
محركة وتشفينه كل عصبة معها لحم غليظ فيتاذي بالحر والبرد اشار اليه ابن
القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد واخرج الترمذي والنسائي عن الاشعث
بشين معجمة ومثلثة بن سليم المحاربي الكوفي ثقة روي له الستة مات سنة خمس
وعشرين ومائة قال سمعت عمتي اسمها رهم بضم الراء وسكون الهاء بنت الاسود
ابن حنظلة لا تعرف من الثالثة روي لها النسائي والترمذي في الشمائل كما في التقريب
تحدث عن عمها عبيد بن خالد ويقال ابن خلف المحاربي ويقال عبيدة بفتح اوله ويقال
عبيدة بفتح العين وزيادة ها وذكره ابن عبد البر بضم اوله وبالها صحابي بعد في
الكوفيين له حديث في اسبال الازار والترمذي في الشمائل والنسائي ولم يسم في رواية
الترمذي ووقع في التجريد انه عم ابي الاشعث المحاربي ذكره الاصابة قال بعض
والاصح ما في نسخ من الشمائل عن عم ابيها اذ عمها ابن حنظلة لا ابن خالد ولذا قال
المص علي الشمائل وقع في تهذيب الكمال عن عم ابيه وحينئذ يرجع الضمير المجرور الي الاشعث
وعم عمة الشخص عم ابيه قال بينا انا امشي في المدينة اذا انسان خلفي اي في
اثناء اوقات مشيي وجود انسان فبينا ظرف لهذا الفعل المقدر واذا مفعولة بمعني الوقت
فلا يلزم تقديم معمول المضاف اليه علي المضاف واذا للمفاجاة وكثيرا ما تذكر في جواب بينا
خلافا لقول ابن الاثير الافصح في جواب بينا وبينما ان لا يكون فيه اذ واذا فانه يوزع يوجد
كثيرا في الاحاديث الصحيحة وتقديم المسند اليه للتخصيص او للتقوية يقول خبر انسان
المخصص بالوصف ارفع ازارك علي عادته في نصح اصحابه فعن النعمان بن بشير سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول انذرتكم النار حتي ان رجلا لو كان بالسوق لسمعه من
مقامي هذا حتي وقعت خميصة له كانت علي عاتقه رواه البخاري فانه اي الرفع انقي
بقوقية اي اقرب لسلوك التقوي لبعده عن الكبر والخيلاء او للتنزه عن القاذورات ويؤيده
رواية انقي بالنون من النقاء اي انظف فان جر الازار علي الارض ربما تعلق به نجاسة مثلا ولذا
فسره جمع وتوقف فيه بعضهم بانه لا يعرف له اصلا وانما هو اسناد مجازي لانه سبب
لكون فاعله انقي وابقي بموحدة اكثر تفاوتا واما وفيه ارشاد اللابس الي الرفق بما يلبسه
وحفظه وتعهده لان اهماله تضييع واسراف فاذا هو رسول الله صلي الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله انما هي اي الازار تونث وتذكر فلا حاجة الي انه انثه باعتبار
الخبر وهو بردة بضم فسكون كساء صغير مربع ويقال كساء اسود صغير واسقط من
الرواية لفظ ملحا قال المص بفتح الميم والمهملة بينهما لام ساكنة ممدودة وهي في الاصل
البياض يخالط سواد والمراد بردة سوداء فيها خطوط بيض تلبسها الاعراب وقيل ما فيه
بياض غالب والظاهر ان هذا جواب لقوله ابقي بموحدة اي انها بردة مبتذلة لا يبوبه
بها البراعي ما بقيتها اذ لبست من الثياب الفاخرة وقيل فهم من الامر برفعها انه امره
بتقصيرها فقال هي ملحا اي مليحة نفيسة لا تقطع ويمكن ان تتكلف ويجعل جوابا
لرواية انقي بالنون بانه فهم انه من النظافة من الدنس لا النجاسة فقال هذا ثوب

لا اعتبار له ولا يلبس في المحافل انما هي ثوب مهنة واما سطا بفتحه لانقي بفوقية
فلا يحتاج لا تكلفه فيه انتهي وقال غيره اراد ان مثل هذا لا خيلاء فيه اذ ليس من لباس الزينة
فاجابه بطلب الاقتداء به وان لم تكن خيلاء سدا للذريعة حيث قال اما لك في
اي في افعالي واقوالي اسوة بضم اوله افصح من كسره اقتداء واتباع كانه صلي الله عليه
وسلم علم انه لم يفهم مراده فغير الاسلوب فنظرت تاملته لبسته فاذا ازاره ينتهي
الي نصف ساقيه صلي الله عليه وسلم واخرج الطبراني من طريق عبد الله بن
محمد بن عقيل بن ابي طالب الهاشمي ابي محمد المدني صدوق في حديثه لين ويقال
تغير باخره وامه زينب بنت علي مات بعد الاربعين ومائة روي له ابو داود والترمذي
وابن ماجة عن ابن عمر قال راني النبي صلي الله عليه وسلم اسبلت ازاري بارخيته
فقال يا ابن عمر كل شيء لمس الارض من الثياب في النار عقابا للابسه وفي
البخاري في اللباس من حديث ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم ما
اسفل من الكعبين من الرجل من الازار ففي النار ما موصول ونقص صلته محذوف
وهو كان واسفل خبره فهو منصوب ويجوز الرفع اي ما هو اسفل افعل تفضيل ويحتمل انه
انه فعل ماض ويجوز ان ما نكرة موصوفة باسفل ذكره الحافظ وقال المص ما موصولة في
محل رفع مبتدا وفي النار الخبر واسفل خبر مبتدا محذوف وهو العائد علي الموصول اي ما
هو اسفل وحذف العائد لطول الصلة او المحذوف كان واسفل نصب خبرها ومن الاولي
لابتداء الغاية والثانية لبيان الجنس ثم في فرع اليونينية الاصل المعتمد من البخاري ففي
النار بزيادة الفاء وفي الهامش في بلا فاء مرقوما عليه علامة ابي ذر كذا ساقه المص متعقبا
قول الحافظ قوله في النار للنسائي من طريق اخر ففي النار بزيادة فاء وكانها دخلت لتضمين
ما معني الشرط اي ما دون الكعبين من قدم صاحب الازار المسبل فهو في النار
عقوبة له قال الخطابي يريد ان الموضع الذي يناله الازار من اسفل الكعبين
في النار فكني بالثوب عن بدن لابسه ومعناه ان الذي دون الكعبين
من القدم يعذب بالنار عقوبة له وحاصله انه من باب تسمية الشي
باسم ما جاوزه او حل فيه وتكون من في قوله من الكعبين بيانية زاد
الحافظ ويحتمل ان تكون سببية والمراد الشخص نفسه او المعني ما اسفل من الكعبين
من الذي سامت الازار في النار او التقدير لابس ما اسفل الخ او تقدير ان فعل ذلك محسوب
في افعال اهل النار وفيه تقديم وتاخير اي ما اسفل من الازار من الكعبين في النار وكل
هذا استبعاد ممن قاله لوقوع الازار حقيقة في النار واصله ما اخرجه عبد الرزاق عن
عبد العزيز ابن ابي رواد ان نافعا سئل عن ذلك فقال وما ذنب الثياب بل هو من القدم
لكن في حديث ابن عمر كل شي لمس الارض من الثياب في النار واخرج الطبراني بسند حسن
عن ابن مسعود انه راي اعرابيا يصلي قد اسبل فقال المسبل في الصلاة ليس من الله في حل
ولا حرام ومثل هذا لا يقال من قبل الراي فعلي هذا لا مانع من حمل الحديث علي ظاهره فيكون
من وادي انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او يكون من الوعيد لما وقعت به
المعصية اشارة الي ان الذي يتعاطي المعصية احق بذلك انتهي وللطبراني
من حديث عبد الله بن مغفل بمعجمة وفاء ثقيلة المزني صحابي بايع تحت الشجرة

وترك البصرة مات سنة سبع وخمسين وقيل بعد ذلك رفعه ازرة المومن اي الحالة
التي ترضى منه في الائتزار وتحسن شرعا انه يكون الازار الى انصاف ساقيه تحط
قال الطيبي وجمعها اشارة الى التوسعة في الامر ولبس عليه حرج فيما بينه وبين
الكعبين فيجوز ارخاوه لها وان كان الافضل لنصف الساق وما اسفل من ذلك
ففي النار فيه ما تقدم وقد ابعد المصنف النجعة بالعزو للطبراني فقد رواه النسايي من
حديث ابي هريرة وابي سعيد وابن عمر والضيا من حديث انس وابو داود وابن ماجة
والنسايي ايضا عن ابي سعيد قال صلى الله عليه وسلم ازرة المسلم الى نصف الساق ولا حرج
او ولا جناح فيما بينه وبين الكعبين وما كان اسفل الكعبين فهو في النار والازرة
بالكسر الحالة وهيئة الائتزار مثل الركبة والجلسة وهذا صوبه في ضبط الحديث
وان ضمها الاكثر واعلم طهر الله ثوبك وثوبك الحسي والمعنوي ونزه سرك وسرك
ان هذا الاطلاق محمول على ما ورد من قيل بكسر ففتح اي جهة الخيلا وفي نسخة
من قيد بالدال اي من التقييد بها فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق ونص الشافعي
على ان التحريم مخصوص بالخيلا فان لم يكن لها كره وقد اخرج اصحاب السنن ابو داود
والنسايي وابن ماجة ولما دخل فيهم الترمذي ولم يخرجه استثناه فقال الا الترمذي
ولا ينافيه قوله واستغربه اي قال انه غريب لانه لا يلزم منه ان يخرجه وزعم بعضهم
ان الا للعطف كما يقول الكوفيون وانه لما لم يخرجه من طريق عبد العزيز غير الاسلوب
ولست بواثق من ذا الكلام فان جمعا من الحفاظ كالسيوطي نسبوه للثلاثة ولم ينسبوه
للترمذي وابن ابي شيبة من طريق عبد العزيز بن ابي رواد بفتح الراء وتشديد
الواو صدوق عابد ربما وهم ورمي بالارجا مات سنة ٥٩ ومائة عن سالم ابن عبد
الله بن عمر احد الفقها اشبه ولد ابيه به عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الاسبال المذموم او الذي فيه الكلام بالجواز وعدمه كاين في هذه الثلاثة الازار
والقميص والعمامة من جر منها شيا خيلا بضم المعجمة وفتح التحتية ممدود
الحديث تتمته عندهم لم ينظر الله اليه يوم القيامة اي نظر رحمة ورضى اذ الرب
فبين في هذه الرواية ان الحكم ليس خاصا بالازار وان جا في اكثر طرق الاحاديث
بلفظ الازار قال الطبري محمد بن جرير انما ورد الخبر بلفظ الازار لان اكثر الناس
في عهده صلى الله عليه وسلم كانوا يلبسون الازر والاردية فلما لبس الناس
القميص وفي نسخة القمص وهي انسب بالجمع في قوله والدراريع جمع دراعة كان
حكمها حكم الازار في النهي قال ابن بطال تعقبا على ابن جرير هذا قياس صحيح
لو لم يات النص بالثوب فانه يشمل جميع ذلك فلا داعية للقياس مع وجود
النص وفي تصوير جر العمامة نظر اذ لا ينافي جرها على الارض كالثوب والازار
الا ان يكون المراد ما جرت به عادة العرب من ارخا العذبات لان جر كل شي بحسبه
فمهما زاد على العادة في ذلك كان من الاسبال وهل يدخل في الزجر عن
الثوب تطويل اكمام القميص ونحوه ام لا يدخل محل نظر لعدم النص عليه والذي
يظهر ان من اطالها حتى خرج عن العادة كما يفعله بعض الحجازيين هـ
وغيرهم كقلاحي مصر دخل في ذلك وقال الزين العراقي ما مس الارض منها لا شك

في

في تحريمه بل لو قيل بتحريم ما زاد على المعتاد لم يبعد قال ابن القيم واما هذه
الاكمام الواسعة الطوال بكسر الطا وخفة الواو التي هي كالاخراج وعمايم
كالابراج جمع برج ويجمع ايضا على بروج فلم يلبسها عليه الصلاة والسلام هو
ولا احد من اصحابه وهي مخالفة لسنته وفي جوازها نظر فانها من جنس
الخيلا وهي ممنوعة انتهى وقال صاحب المدخل ابن الحاج ولا يخفى على ذي بصيرة
ان كم بعض من ينسب الى العلم اليوم فيه اضاعة المال المنهي عنها لانه قد
يفصل من ذلك الكم ثوب لغيره انتهى وهو حسن لكن حدث للناس اصطلاح
بتطويلها وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به فيجوز لمن صار ذلك شعاره
بل قد يطالب به لان مخالفته تخل بمروة صاحبه ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلا فلا
شك في تحريمه ولو كان شعارا وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه بل هو
يجوز ما لم يصل الى جر الذيل الممنوع منه ونقل القاضي عن العلما كراهة ما زاد
على العادة للناس وعلى المعتاد في اللباس لمثل لابسه في الطول والسعة
فينبغي تجنبه ذلك وفي حديث ابي هريرة عند البخاري ومسلم بلا هاء في اللباس
مرفوعا بلفظ قال النبي صلى الله عليه وسلم او قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم قال
الحافظ الشك من ادم شيخ البخاري بينما بالميم رجل هو قارون كما جزم به الكلاباذي
في معاني الاخبار وكذا الجوهري في صحاحه وذكر السهيلي في مبهمات القران عن الطبري ان
الرجل المذكور اسمه الهيزن من اعراب فارس وفي تاريخ الطبري عن قتادة ذكر لنا انه يخسف
يتغارون كل يوم قامة وانه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة زاد مسلم كالبخاري
في ذكر بني اسرائيل ممن كان قبلكم يمشي في حلة هي ثوبان احدهما فوق الاخر وقيل ازار
ورد او هو الاشهر تعجبه نفسه هذا لفظ الحديث في شرحه الحافظ يقول القرطبي اعجاب
المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله فان احتقر غيره مع ذلك
فهو الكبر المذموم مرجل بكسر الجيم المشددة جمته بضم الجيم وشد الميم مجتمع الشعر اذا
تدلى من الراس الى المنكبين والى اكثر من ذلك واما الذي يتجاوز الاذنين فهو الوفرة وترجيل الشعر
تسريحه ودهنه اذ خسف الله به الارض ولفظ الجلالة ثابت له في البخاري فخسف مبني
للفاعل وان سقط في غالب نسخ المواهب فهو يتجلجل بجيمين مفتوحتين ولامين اولاهما
ساكنة اي يتحرك وقال ابن فارس الجلجلة ان يسوخ في الارض مع اضطراب شديد ويندفع من
شق الى شق فالمعنى ينزل في الارض مضطربا متدافعا الى يوم القيامة وفي رواية لمسلم
فهو يتجلجل في الارض حتى تقوم الساعة وما حكي انه في بعض الروايات يتخلخل بخائين
معجمتين قال الحافظ تصحيف وحكى عياض انه يتجلل بجيم ولام ثقيلة بمعنى
يتغطى اي تغطيه الارض ومقتضى الحديث ان الارض لا تاكل جسده فيلغز به فيقال
كافر لا يبلى جسده بعد الموت وعند الحارث بن ابي اسامة بسند ضعيف جدا عن ابن عباس
وابي هريرة مرفوعا من لبس ثوبا جديدا فاختال فيه خسف به من شفير جهنم فيتجلجل
فيها لان قارون لبس حلة فاختال فيها فخسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيامة وحاصل الاحاديث انه حكاية عن وقوعه في الامم السابقة وبه جزم النووي
ولابي يعلى عن العباس بينما انا مع رسول الله اذ اقبل رجل يتبختر بين ثوبين

الحديث وظاهره وقوعه في زمنه عليه الصلاة والسلام لكن سنده ضعيف جدا
فان ثبت حمل على التعدد او يجمع بان المراد من كان قبل المخاطبين بذلك كابي هريرة
انتهى ملخصا وفي الطبراني وابي داود من حديث ابي جري بجيم وراء مصغرا واسمه
جابر ابن سليم رفعه ان رجلا هو الهيزن او قارون ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر
فيها فنظر الله اليه نظر غضب فمقته فامر الارض فاخذته فصرح في هذه
الرواية بانه من الامم الماضية فيرد قول الكرماني يحتمل انه من هذه الامة وسيقع بعد
بل ابدا هذا الاحتمال في حديث البخاري عجيب فانه صرح في ذكر بني اسرائيل بقوله ممن كان
قبلكم وكذا رواه مسلم كما مر فكيف يتكلم الشخص على كتاب لا يحيط بما فيه وهذا الوعيد
المذكور يتناول الرجال والنساء على هذا الفعل المخصوص اذ النساء شقائق الرجال
وقد فهمت ذلك ام سلمة رضي الله عنها فاخرج النسائي والترمذي وصححه
من طريق ايوب السختياني عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر ابن الخطاب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلا فقالت ام سلمة فكيف
تصنع النسا بذيولهن فقال صلى الله عليه وسلم يرخين شبرا فيخص به
عموم الوعيد فقال اذا تنكشف بالرفع لانتفا شرط النصب وهو قصد الجزا بما بعد
اذا اقدامهن قال فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه اذ به يحصل امن انكشاف الاقدام
وحاصل ما ذكر في ذلك في الاحاديث ان للرجال حالين حال استحباب وهو
ان يقتصر بالازار وغيره على نصف الساق وحال جواز وهو الى الكعبين وكذلك
للنسا حالان حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جايز للرجال بقدر الشبر
وحال جواز بقدر ذراع وان الاسبال يكون في القميص والازار والعمامة وانه
لا يجوز اي يحرم اسباله ارخاوه تحت الكعبين ان كان للخيلا وان كان لغيرها فهو
مكروه للتنزيه قال النووي وظواهر الاحاديث في تقييدها بالخيلا يدل على
ان التحريم مخصوص بالخيلا لا مطلقا قال وهذا نص للشافعي على الفرق كما
ذكرنا انتهى وسبقه الى ذلك ابن عبد البر فقال مفهوم خيلا ان الجار لغيرها لا يلحقه الوعيد
الا ان جر القميص او غيره من الثياب مذموم على كل حال تنبيه قال العراقي الحافظ
زين الدين عبد الرحيم المشهور في شرح الترمذي الذراع الذي رخص فيه للنسا
هل ابتداوه من الحد الممنوع منه الرجال وهو ما اسفل من الكعبين او من
الحد المستحب للرجال وهو انصاف الساقين او حده من اول ما يمس الارض
الظاهر ان المراد الثالث بدليل حديث ام سلمة هند بنت ابي امية ام المومنين الذي
رواه ابو داود والنسائي واللفظ له وابن ماجة قالت سيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم كم تجر المراة من ذيلها قال شبرا قالت اذا ينكشف عنها قال
فذراع لا تزيد عليه فظاهره ان لها ان تجر على الارض منه ذراعا اذ الجر
السحب وانما يكون على الارض قال والظاهر ان المراد بالذراع ذراع اليد وهو
شبران لا ذراع البنيان لما في ابن ماجة عن ابن عمر قال رخص رسول الله
صلى الله عليه وسلم لامهات المومنين خصهن لان السوال عن ذلك جا منهن
والا فالحكم عام شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فدل على ان الذراع الماذون

فيه شبران لان الروايات يفسر بعضها بعضا وهو الذراع الذي يقاس به الحصر
اليوم انتهى كلام العراقي وانما جاز ذلك للنسا لاجل الستر لان المراة كلها عورة
الا ما استثني من وجهها وكفيها وقد كان له عليه الصلاة والسلام عمامة بكسر
العين كما في القاموس وغيره وحكي ضمها المغفر والبيضة وما يلف على الراس تسمى
السحاب وهبها لعلي كما قال ابن سيد الناس وعمايم اخر غيرها كما بينه الشامي
ويلبس تحتها القلانس اللاطية اللاصقة قال في المصباح لطي بالارض يلطا مهموز
مثل لصق وزنا ومعنى والقلانس جمع قلنسوة بفتح القاف واللام وسكون النون
وضم المهملة وفتح الواو وقد تبدل يا تحتانية فيقال قلنسية وقد تبدل الفا
وتفتح السين حين ابدالها الفا فيقال قلنساه وقد تحذف النون من هذه
بعدها انها ثوب غشا مبطن يستر به الراس ابيض او اسود او غيرهما من قماش
او جلد على ظاهره لكن قيده بالقماش قاله الفرا ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله
الاسدي مولاهم الكوفي نزيل بغداد النحوي المشهور صدوق في الحديث علق له البخاري
وكان ورعا متدينا مات بطريق مكة سنة سبع ومايتين وله سبع وستون قال في نزهة
الالباب لقبه الفرا لانه كان يفري الكلام فريا في شرح كتاب الفصيح لثعلب وقال ابن
هشام هي التي تقول لها العامة الشاشة وفي المحكم لابن سيده هي ملابس
جمع ملبس الروس معروفة وقال ابو هلال العسكري هي التي تغطى بها العمايم
وتستر من الشمس والمطر كانها عند راس البرنس انتهى قول ابن هشام وروى
الترمذي وبقية اصحاب السنن ومسلم كلهم عن جابر رضي الله عنه قال دخل النبي
صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سودا بغير احرام قال الحافظ
العراقي اختلفت الفاظ حديث جابر هذا في المكان والزمان الذي لبس فيه العمامة السودا
فالمشهور انه يوم الفتح وفي رواية البيهقي يوم ثنية الحنظل وذلك يوم الحديبية ويجاب
بان هذا ليس اضطرابا بل لبسها في الحديبية وفي الفتح معا اذ لا مانع من ذلك الا ان الاسناد
واحد انتهى وزعم بعضهم ان سوادها لم يكن اصليا بل لحكاية ما تحتها من المغفر وهو اسود
او كانت متسخة مثلوثة ويويده ما في بعض طرق الحديث الاتي خطب وعليه عصابة دسما
ورد بانه خلاف الظاهر بلا دليل ولا معنى يعضده بل هو مناقض لما ابدوه من حكمة لبسه السودا
في ذلك اليوم وفي رواية انس عند البخاري ومسلم وساير الستة كلهم من طريق مالك عن
الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام وفي رواية يوم الفتح وعلى
راسه المغفر وفي رواية عن مالك خارج الموطا مغفر من حديد وهو بكسر الميم وسكون
الغين المعجمة وفتح الفا زرد ينسج من زرد الدروع المتصل بها جمع درع وهو
ما يلبس من الحديد كالثوب على قدر الراس ويجعل عليه كما في المحكم ويجمع بينهما ان
العمامة السودا كانت فوق المغفر او تحته وقاية من صدي الحديد فاراد انس بذكر
المغفر كونه متاهبا للقتال واراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم هذا تمام
هذا الجمع في فتح مكة نقلا عن بعضهم ونحوه قول مغلطاي لا منافاة لان المغفر يكون تحت
العمامة فاعتبر بعض الرواة والاخر ما بطن وجمع بينهما القاضي عياض بان اول
دخوله كان على راسه المغفر ثم بعد ذلك كان على راسه العمامة بعد ازالة

المغفر يدل قوله في حديث عمرو بفتح العين بن حريث بضم المهملة ومثلثة
ابن عمرو بن عثمان ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي صحابي صغير
مات سنة خمس وثمانين عن ابيه كذا في النسخ وهو خطأ فان راوي ذا الحديث
انما هو عمرو كما في مسلم واصحاب السنن والترمذي في الشمايل ايضا عن جعفر بن عمرو
ابن حريث عن ابيه فاسقط الم جعفر بن عمرو واتي بلفظ عن ابيه فوهم واوهم
خطب الناس اي وعظهم وعليه عمامة سوداء زاد مسلم قد ارخي طرفها بين
كتفيه لان الخطبة انما كانت عند باب الكعبة بعد تمام فتح مكة قال الولي
ابن العراقي العلامة احمد ولي الدين بن عبد الرحيم الحافظ ابن الحافظ وهو
اولي واظهر في الجمع من الاولي لما يلزم علي الاول من كونه لبسهما معا في آن
واحد ولم تاتنا به رواية لكن تعقبه بعضهم بان الصواب الجمع الاول لرواية دخل مكة
وعليه عمامة سوداء فمفادها ان العمامة كانت علي راسه حين الدخول لان زمان الحال
يجب اتحاده مع زمن عامل ذي الحال كما اشار اليه ابن الطلاع ورد بان الصواب والوجه صحته
منظر الي اتساع زمان دخول مكة فلا يقدح فيه ما ذكر فالحكم عليه بانه خطا مجازفة وقد
تقدم نحو ذلك في غزوة فتح مكة وعن ابن عمر قال كان النبي صلي الله عليه
وسلم اذا اعتم اي لف العمامة علي راسه سدل عمامته اي ارخي طرفها وهل من الجانب
الايمن او الايسر قال الحافظ العراقي المشروع من الايسر ولم يعين الايمن الا في حديث ابي
امامة بسند ضعيف عند الطبراني في الكبير وهل المراد بالسدل سدل الطرف الاسفل حتي
يكون عذبة او الاعلي فيغرزها ويرسل فيها شيا خلفه يحتمل الامرين قال ولم ار التصريح
بكون المرخي من العمامة عذبة الا في حديث عبد الاعلي بن عدي عند ابي نعيم في معرفة الصحابة
انه صلي الله عليه وسلم دعي عليا يوم غدير خم فعممه وارخي عذبة العمامة من خلفه ثم
قال هكذا فاعتموا فان العمايم سيما الاسلام وهي حاجز بين المسلمين والمشركين والعذبة
الطرفة كعذبة السوط واللسان اي طرفيهما فالطرف الاعلي يسمي عذبة لغة وان خالف العرف
الان انتهي رواه الترمذي في الشمايل وفي الجامع ايضا وقال حسن غريب الا ان لفظه
فيهما كان اذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه قال نافع وكان ابن عمر يفعل ذلك قال عبيد الله
ورايت القاسم بن محمد وسالما يفعلان ذلك قال الحافظ واما مالك فقال انه لم ير احدا يفعله
الا عامر بن عبد الله بن الزبير لا محل لذكر هذا هنا فانه حديث اخر اخرجه مسلم وغيره عن
عمرو بن حريث فهو امر حري تقديم محله عقب قوله خطب الناس وعليه عمامة
سوداء فكانه يقول زاد الخ كما اشرت اليه ولمسلم ايضا عن عمرو بن حريث كاني انظر الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء قد ارخي طرفها بين كتفيه وروي ابو
محمد بن حيان بفتح المهملة والتحتية هو الحافظ الملقب بابي الشيخ قال في اتمام
الدراية من انواع الكني من يلقب بكنيته كابي الشيخ بن حيان اسمه عبد الله وكنيته
ابو محمد وابو الشيخ لقب له انتهي ومر بعض ترجمته في كتاب اخلاق النبي صلي الله
عليه وسلم من حديث ابن عمر جوابا لقول سايله ابي عبد السلام بن ابي حازم قال قلت
لابن عمر كيف كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعتم قال يدير كور العمامة
علي راسه بضم الكاف كما قاله الزمخشري والازهري وصاحب المغرب قال بعض وشدد

طابعة

طايفة فقالوا بالفتح لكن جزم الصحاح والقاموس والمختار بالفتح ويغرسها من
ورايه ويرخي لها ذوابة بذال معجمة مضمومة فواو والف فموحدة مهموز ضفيرة
الشعر المرسلة فان لويت فعقيصة ويطلق ايضا علي طرف العمامة وهو المراد هنا
قال الحافظ العراقي وهذا الحديث يقتضي ان الذي كان يرسله بين كتفيه من الطرف الاعلي
وروي مسلم من حديث عمرو بن حريث قال رايت النبي صلي الله عليه وسلم
علي المنبر في غير يوم الفتح اذ خطبة يومه كانت عند باب الكعبة ولم ينقل ان هناك
منبرا وعليه عمامة سوداء قد ارخي طرفها قال عياض بالافراد لا التثنية كما وقع
في بعض النسخ وقال القرطبي شارحا لهذه النسخة يعني بهما الاعلي والاسفل بين
كتفيه ورواه الاربعة اصحاب السنن بدون قوله قد ارخي الخ كما مر وعنده اي مسلم
ايضا عن جابر دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر قد ارخي طرفها بين
كتفيه وعنده ايضا دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر فيه ذوابة
فدل علي انه لم يكن يرخيها دايما بين كتفيه بل تارة وتارة جمعا بين مختلف
الاحاديث لكن قد يقال ان دخول مكة كان وعليه اهبة القتال والمغفر علي
راسه فلبس في كل موطن ما يناسبه فلا تعارض ايضا قاله ابن القيم وتعقبه الشامي
بانه لم يستحضر ان النسايي رواه وزاد قد ارخي طرف العذبة بين كتفيه وذكر صاحب القاموس
في شرح البخاري انه كان له صلي الله عليه وسلم عذبة طويلة نازلة بين كتفيه وانه ما فارق
العذبة قط وقال خالفوا اليهود ولا تصمموا فان تصميم العمايم من زي اهل الكتاب وانه
قال اعوذ بالله من عمامة صما قال الحافظ السيوطي في فتاويه لم ار قوله طويلة لكن يمكن اخذه
من احاديث ارخايها بين الكتفين وقوله وتارة علي كتفه لم اقف عليه من لبسه لكن من الباسه
واما حديث خالفوا اليهود الخ وحديث اعوذ بالله الخ فلا اصل لهما ثم مفاد الاحاديث ان العذبة
من السنة لان سنة ارسالها اذا اخذت من فعله فاولي سنة اصلها وكونها بين الكتفين لان
حديثه صحيح افضل منه علي الايمن لضعف حديثه قال السيوطي من علم ان العذبة سنة
وتركها استنكافا اثم وغير مستنكف فلا قال ابن القيم في الهدي النبوي وكان شيخ
الاسلام احمد ابو العباس بن تيمية الحافظ الشهير يذكر في سبب الذوابة شيا بديعا
وهو ان النبي صلي الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذي راه بالمدينة
لما حين راي رب العزة كما قال صلي الله عليه وسلم اتاني الليلة ربي تبارك وتعالي في احسن
صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلي قال ابن الاثير اي فيم يتقاول الملايكة المقربون
سوالا وجوابا فيما بينهم قال التوربشتي فشبه تقاولهم في الكفارات والدرجات وما يجري
بينهم من سوال وجواب بما يجري بين المتخاصمين انتهي اي واستعير له اسمه ثم اشتق منه
يختصم فهو استعارة تصريحية تبعية وقال البيضاوي هو اما عبارة عن تبادرهم الي
كتب تلك الاعمال والصعود بها الي السما واما عن تقاولهم في فضلها وشرفها وانافتها علي
غيرها واما عن اغتباطهم الناس بتلك الفضايل لاختصاصهم بها وتفضيلهم علي الملايكة
بسببها مع تفاوتهم في الشهوات وتماديهم في الجنايات قلت لا ادري فوضع يده
وفي رواية كفه بين كتفي حتي وجدت بردها بين ثديي فعلمت ما بين السما والارض وفي
فعلمت ما في السموات وما في الارض وفي اخري وتجلي لي علم كل شي فقال يا محمد هل تدري

فبم تختصم الملا الاعلى قلت نعم في الكفارات والدرجات فالكفارات المكث في المساجد
بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في المكاره قال صدقت
يا محمد ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه
وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان
تغفر لي وترحمني وتتوب علي واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون
والدرجات افشا السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وهو اي الحديث
بتمامه كما سقته في الترمذي من حديث ابن عباس ومعاذ وسئل الترمذي عنه
شيخه البخاري فقال صحيح قال ابن تيمية فمن تلك الغداة ارخى الذوابة بين
كتفيه قال ومثل هذا من العلم تنكره السنة الجهال وقلوبهم لانهم لا يفهمون
معناه قال ابن القيم ولم ار هذه الفايدة في شان الذوابة لغيره انتهى وعبارة
غير الهدي وذكر ابن تيمية انه صلى الله عليه وسلم لما راى ربه واضعا
يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة انتهى والعبارتان بمعنى لكن قال
العراقي بعد ان ذكره لم نجد لذلك اصلا انتهى وقال ولده الحافظ ولي الدين
ان ثبت ذلك فهو علة ولا يلزم منه تجسيم لان اليد والكف يتعالى فيهما ما قاله اهل الحق
فهم بين ماول وساكت عن التاويل مع نفي الظاهر وكيف ما كان فهو نعمة عظيمة ومنة
جسيمة حلت بين كتفيه فقابلها باكرام ذلك المحل التي حصلت فيه تلك النعمة انتهى قال المكي
على الشمايل هذا من ضلال ابن القيم وشيخه ابن تيمية اذ هو مبني على مذهبهما من اثبات
الجهة والجسمية قال المناوي اما كونهما من المبتدعة فمسلم واما كون هذا بخصوصه
بيناه على التجسيم فلا لانهما انما قالا الروية المذكورة منام كما في الحديث ونحن نومن بان له
يد لا كيد المخلوق فلا مانع من وضعها وضعا لا يشبه وضع المخلوق بل وضعا يليق
بجلاله وعجبه من الشيخ كيف حمله التحامل على انكار مثل هذا مع وجود خبر الترمذي انتهى
وقد سالت شيخنا ما وجه رد ابن حجر وجزمه بانه ضلال مع ان ما ذكره المناوي اوضح
والخوض في احاديث التشبيه كلها والمذهبان شهيران فاجابني بانه انما يحتاج للتاويل
من لا يقول بظاهره اما من يقول به ويعتقده فلا معنى لذكر شي من التاويل يجزم ابتدا بانه
من ضلاله انتهى فلله دره لكن نازع بعض اصحابنا الحنابلة في كون ابن تيمية وتلميذه
من المجسمة قايلا انه لم يقع في كلام غير هاذين واطلعني على خطوط علما كالحافظ ابن حجر
وجمع معاصرين له وقبله ناصة على انهما من اهل السنة وروى ابن ابي شيبة
وابو داود والطيالسي والبيهقي عن علي قال عممني النبي صلى الله عليه وسلم
بعمامة سدل طرفها على منكبي لم يبين اهو الايمن او الايسر وروى الطبراني
بسند ضعيف عن ابي امامة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يولي واليا حتى يعممه
ويرخي لها من جانبه الايمن نحو الاذن فقد يوخذ من عمومه ان المنكب هنا الايمن
لكن قال الحافظ العراقي واذا وقع ارخا العذبة من بين اليدين كما يفعله
الصوفية وبعض اهل العلم فهل المشروع فيه ارخاوها من الجانب
الايسر كما هو المعتاد او الايمن لشرفه قال ولم ار ما يدل على تعيين الايمن
الا في حديث ضعيف عند الطبراني وبتقدير ثبوته فلعله كان يرخيها من
الجانب

الجانب الايمن ثم يردها الى الجانب الايسر كما يفعله بعضهم الا انه صار
شعار الامامية فينبغي تجنبه لترك التشبه بهم انتهى وقال ان
الله امدني في يوم بدر وفي يوم حنين بملايكة معممين هذه العمة
بالكسر فاحب فعل ما امدني به مع من اوليه او اعممه وقال ان العمامة
حاجز اي مميز بين المسلمين لانهم لا يتعممون والمشركين لانهم لا عمايم
لهم قال الحافظ العلامة الفقيه عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن
الحسين ابن سعيد الازدي ابو محمد الاشبيلي بكسر اوله والموحدة وسكون
الشين المعجمة والتحتية قبل اللام نسبة الى اشبيلة من امهات بلاد الاندلس
كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله عارفا بالرجال صالحا خيرا زاهدا
ورعا ملازما للسنة منقللا من الدنيا مشاركا في الادب والشعر له تصانيف
كثيرة مات سنة احدى وثمانين وخمسماية وله احدى وسبعون سنة
وسنة العمايم بعد فعلها ان يرخي طرفها ويتحنك به فان كانت بغير
طرف ولا تحنيك فذلك يكره عند العلما اي يكون خلاف الاولى وليس المراد
انه يكره بنهي مخصوص كذا قال شيخنا واختلف في وجه الكراهة فقيل
لمخالفة السنة فيها وقيل لانها كذلك بلا عذبة ولا تحنيك كانت عمايم
الشياطين فكرهت للتشبه بهم وجاءت الاحاديث في ارسال طرفها على
انواع منها ما تقدم انه ارسل طرفها على منكب علي رضي الله عنه
فتحصل به سنة العذبة ومنها ان عبد الرحمن بن عوف قال عممني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدي ومن خلفي قال الحافظ
العراقي يحتمل ان المراد ارخى طرفها الواحد لابن عوف من خلفه وطرفها الاخر
من بين يديه ثم رده من خلفه فصار الطرف الواحد بعضه بين يديه وبعضه
من خلفه كما يفعله كثير وصار اليوم شعار الفقهاء الامامية فينبغي تجنبه لترك
التشبه بهم ويحتمل ان المراد بذلك على مرتين وانه عممه مرة فسدلها بين يديه
وعممه اخرى فسدلها من خلفه ذكره ابو داود اي رواه بسند ضعيف وفيه
راو لم يسم عن عبد الرحمن ودل بمجموع الاحاديث على حصول السنة لكل من فعله
مع علي ومع عبد الرحمن ومن فعله لنفسه بين كتفيه قيل وهو الافضل لانه الذي
فعله صلى الله عليه وسلم لنفسه كما تقدم وروى الخطابي وابن عساكر عن ابن
عباس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم معتما بعمامة سودا قد ارخى
طرفها بين كتفيه ومثله في مسلم من حديثي جابر وابن حريث لكن روى الطبراني
عن ثوبان كان صلى الله عليه وسلم اذا اعتم ارخى عمامته بين يديه ومن خلفه
وعن ابن عباس انه راى النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس
اي في مرضه الذي توفي فيه واوصاهم بالانصار ولم يصعد المنبر بعد ذلك
وعليه عمامة دسما بمهملتين والمد ضد النظيفة وقد يكون ذلك لونها في
الاصل ويويده انه في رواية اخرى عصابة سودا قاله الحافظ وكذا قال المصراتي
سودا وقال غيره اي ملطخة بعرقه بدسومة شعره لكونه كان يكثر دهنه

قال الحافظ العراقي هكذا في رواية الترمذي عمامة وفي رواية عصابة وهكذا
رواه البخاري اطول منه بلفظ صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وقد
عصب راسه بعصابة دسما فقال اما بعد فهذا الحي من الانصار الحديث
قال ولا مخالفة فالعصابة هي العمامة **رواه الترمذي** في جامعه وشمائله
مختصرا والبخاري مطولا والله اعلم **وفي حديث ركانة** بضم الراء وتخفيف الكاف
ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي صحابي من مسلمة الفتح
ثم نزل المدينة ومات في اول خلافة معاوية له حديث في سنن ابي داود والترمذي
هو **انه صلى الله عليه وسلم قال ان** الرواية بدون ان كما في الفتح والجامع
فقوله **فرق** بالرفع **ما بيننا وبين المشركين العمايم على القلانس** قال
الطيبي اي الفارق بيننا انا نعتم على القلانس وهم يكتفون بالعمايم وقال ابن
الجوزي ان المسلمين يلبسون القلنسوة وفوقها العمامة اما لبس القلنسوة
وحدها فزي المشركين قال والعمامة سنة المرسلين وقد صح حديث لا يلبس المحرم
القميص ولا العمامة فدل على انها عادة امر بتركها في الاحرام قال ابن تيمية وهذا
بين في ان مفارقة المسلم للمشرك في اللباس مطلوبة للشارع اذ الفرق بالاعتقاد
والعمل بلا عمامة حاصل فلولا انه مطلوب ايضا لم يكن فيه فايدة **رواه الترمذي**
ايضا وقال غريب وليس اسناده بالقايم ومن ثم قال السخاوي هو واه وعن ابي
المليح بن اسامة عن ابيه رفعه اعتموا تزدادوا حلما اخرجه الطبراني والترمذي
في العلل وضعفه عن البخاري وصححه الحاكم فلم يصب وله شاهد عند البزار عن ابن
عباس بسند ضعيف ايضا كما في الفتح **وعن ابي كبشة الانماري** بالفتح وسكون
النون بعدها ميم نسبة الى انمار بطن من العرب قال في الاصابة الانماري المذحجي
مختلف في اسمه فقال ابن حبان سعيد بن عمرو وقال غيره نزل الشام واسمه عمرو
ابن سعيد وقيل عمر بضم العين وقيل عامر وقيل سليم وجزم الترمذي وابو احمد الحاكم
بانه عمر بن سعيد له حديث وروى عن ابي بكر ايضا **قال كانت كمام** بكسر الكاف
وميمين بينهما الف **اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بطحا** بضم الموحدة
وسكون الطا وبالحا **رواه الترمذي ايضا وفي رواية اكمة** اصحاب النبي الخ وهما
جمع كثرة وقلة للكمة بضم الكاف وشد الميم **القلنسوة** بالجر بدل **يعني انها**
كانت منبطحة غير منتصبة وفي المصباح الكمة بالضم القلنسوة المدورة
لانها تغطي الراس ونحوه في القاموس **وعن عايشة ان رسول الله صلى الله**
عليه كانت له كمة بالضم **بطحا رواه الدمياطي** ففيه ان اصحابه اقتدوا به
في اتخاذها **وكان احب الثياب اليه** من جهة اللبس **صلى الله عليه وسلم**
القميص اي كان يميل الى لبسه اكثر من غيره لانه استر للبدن من الازار والردا
لاحتياجهما الى حل وعقد بخلاف الثوب ولخفة مونته وخفته على البدن ولابسه
اقل تكبرا من لابس غيره فهو احبها اليه لبسا والحبرة احبها اليه ردا فلا
يعارض حديث انس الاتي ان احب الثياب الى رسول الله يلبسه الحبرة او الثوب
احب المخيط والحبرة احب غيره **كما في الشمايل للترمذي** في جامعه ايضا وابي داود

في

في اللباس والنسائي في الزينة كلهم **من حديث ام سلمة قالت** بين به انه ساقه
بلفظه اولا دفعا لتوهم انه اتى بمعناه **كان احب الثياب اليه** من جهة اللبس
القميص روي بالنصب خبرا واسم كان احب كما هو المشهور وروي برفعه ونصب احب
على انه الخبر والاسم القميص ورجح بانه وصف فهو اولى بكونه حكما ولا يرد عليه
ان المبتدا والخبر اذا كانا معرفتين منع تقديم الخبر لان محله حيث لا ناسخ كما في قوله
فما زالت تلك دعواهم فما كان قولهم الا ان قالوا **وعن معوية بن قرة** بضم القاف
وفتح الرا الثقيلة ابي اياس المزني البصري ثقة ثبت عالم عابد من رجال الجميع
مات سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن ست وسبعين سنة **عن ابيه** قرة بن اياس
ابن هلال المزني صحابي نزل البصرة ومات سنة اربع وستين روى له الاربعة **قال**
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في اي مع **رهط** بسكون الها وقد
تفتح اسم جمع لا واحد له من لفظه وهم من ثلاثة الى عشرة او ما دون عشرة
ليس فيهم امراة او الى اربعين ولا ينافي ذلك رواية انهم اربع مائة لاحتمال تفرقهم
رهطا رهطا وقرة مع احدهم **من مزينة** مصغرا قبيلة واصله اسم امراة سميت
به القبيلة لانها جماعة تنسب الى اصل واحد فيسمون باسمه ذكرا كان او انثى **لنبايعه**
على الاسلام **وان قميصه لمطلق** اي محلول **الازرار** لا من دونه كما وهم كذا
قيل والذي قاله الشك من شيخ الترمذي وهو الحسين بن الحارث لا من معاوية
كما وهم **قال فزر قميصه مطلق** بدل وان قميصه لمطلق قال قرة **فادخلت يدي**
في جيب قميصه بفتح الجيم وسكون التحتية ومهملة يطلق على فتحة القميص ذي
المحيطة بالعنق وعلى ما يجعل في صدره ليجعل فيه الشي وبه فسره ابو عبيد واليه
اشار البخاري وقال ابن بطال كان جيب السلف عند الصدر قال الحافظ ومقتضى حديث
قرة هذا انه كان في صدره لقوله اولا انه راه مطلق اي غير مزرر انتهى فقول المص
على الشمايل المراد به هنا بالمعنى الاول خلافه لكنه المناسب لقوله **فمسست** بكسر السين
الاولى افصح من فتحها **الخاتم** اي خاتم النبوة بيدي بلا حايل والظاهر ان قرة كان يعلم
الخاتم وانما قصد التبرك او علم قدر حجمه وصفته فلذا اغتفر له صلى الله عليه وسلم
هذا الفعل المنافي لرعاية الادب لاسيما بحضرة الناس **رواه الترمذي** وصححه وابو
داود وابن ماجة وابن حبان وصححه ايضا **وعن انس قال كان قميص رسول**
الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الضمير لاحب الثياب وفي رواية يلبسها فالضمير
للثياب او التانيث باعتبار المضاف اليه وهو حال من قوله الثياب **الحبرة** خبر كان بحا
جزم به المص وروي برفعهما اسما لما قاله غيره وانما احبها للينها وحسن انسجام
نسجها واحكام صنعتها وموافقتها لجسده الشريف فانه على غاية من النعومة
واللين ونحو الخشن يوذيه او لانها خضرا وثياب اهل الجنة خضر ورد بان حديث
ابي جحيفة يدل على انها حمرا او لانها اشرف الثياب عندهم فاحبها اظهارا للنعمة
عليه ودفعا لتوهم قلوب الوافدين عليه الذين لم يتمكن الاسلام من قلوبهم فيكون
حبها لامر اخروي لا دنيوي والاشرف انما يذم اظهاره اذا كان لغرض دنيوي
كالفخر والعجب على اقرانه **رواه الترمذي** والبخاري ومسلم وابو داود

اليمانية **من البرود** القطن

فتصور الصم شديدا **والحبرة** بزنة عنبة ضرب من البرود اليمانية والتحبير التحسين والتزيين سميت حبرة لانها تحبر اي تحسن **وفيه جمرة** لونها اخضر لانها لباس اهل الجنة كذا قال وقال ابن بطال هي من برود اليمن تصنع من قطن وكانت اشرف الثياب عندهم ذكره القرطبي وقال الداودي في الفتح ومر الجمع بينه وبين حديث ام سلمة كان احب الثياب عندهم ذكره في الفتح اليه القميص بوجهين وجمع ايضا بان حبه للقميص يكون بعده نسايه والحبرة حين يكون بصحبه لان عادة العرب الاتزار والارتدا وبانه كان يتخذ القميص من الحبرة قاله الزين العراقي وان رجعنا الي الترجيح عند التعارض فحديث انس هذا اصح لاتفاق الشيخين عليه وحديث ام سلمة انما يعرف من ذلك الوجه فقط **وعن ابي رمثة** بكسر الرا وسكون الميم بعدها مثلثة البلوي ويقال التيمي وقيل هما اثنان قيل اسمه رفاعة بن يثربي ويقال عكسه ويقال عمارة بن يثربي ويقال حبان بن وهب وقيل جندب وقيل خشخاش صحابي قال ابن سعد مات بافريقية ذكره في التقريب **قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان** تثنية برد وهو ثوب مخطط **اخضران** اي ذو خطوط خضر كذا قاله بعضهم واعترض بانه خروج عن الظاهر بلا دليل ورد بان البرد لغة ثوب مخطط فحكم علم موصفه بالخضرة يدل علي انه مخطط بها ولو كان اخضر خالصا لم يكن بردا **رواه الترمذي وعن عطا بن ابي يعلي عن ابيه** كذا في نسخ وفي اخري عن عطا عن ابي يعلي عن ابيه وكلتاهما لا يصح فالحديث في ابي داود والترمذي والنسائي عن ابي يعلي عن يعلي لاذكر فيه اصلا وابن يعلي كما جزم به الولي العراقي في شرح ابي داود هو صفوان بن يعلي بن امية ثقة روي له الستة وابوه يعلي ابن امية التميمي الحنظلي وهو الذي يقال له يعلي ابن منية بضم الميم وسكون النون وهي امه ويقال ام ابيه صحابي شهد حنينا والطائف وتبوك وله احاديث **قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت مضطبعا ببرد اخضر** بان جعل وسطه تحت ابطه الايمن والطرفيه علي كتفه الايسر من جهة صدره وظهره سمي اضطباعا لابدا الضبعين وهما العضدان ويقال للابط ضبع للمجاورة وقيل الضبع وسط العضد وقيل ما بين الابط الي نصف العضد وقيل هو ما تحت الابط **رواه الترمذي** في الحج حدثنا محمود بن غيلان ثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن عبد الحميد ابن جبير ابن شيبة عن ابي يعلي عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطبعا وعليه برد وقال هذا حديث حسن صحيح وفي نسخة رواه ابو داود وهي صحيحة ايضا فقد رواه في الحج حدثنا محمد بن كثير انا سفيان عن ابن جريج عن ابن يعلي عن يعلي قال طاف النبي صلى الله عليه وسلم مضطبعا ببرد اخضر واخرجه النسائي عن محمد بن يحيي عن محمد بن يوسف وقبيصة كلاهما عن سفيان عن عبد الحميد عن ابن يعلي عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف مضطبعا قال قبيصة وعليه برد قال الولي العراقي فظهر بهذا انه اختلف فيه علي سفيان الثوري والظاهر ان رواية ادخال عبد الحميد ارجح لان معها زيادة علم فهي اولي بالتقديم وانضم الي ذلك كون ابن جريج مدلسا ولم يصرح بالسماع من صفوان

ابن امية فعنعنته غير مقبولة **وعن عروة بن المغيرة بن شعبة** الثقفي الكوفي ثقة روي له الستة **عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية** بتشديد اليا وتخفف قال الحافظ واكثر الروايات شامية ولا تناقض لان الشام كان يومئذ مساكن الروم وقال ابن الاثير وجا في بعض الطرق انها كانت من صوف وانما نسبها للروم او الشام لكونها من عمل اهله او مما يجلب منه **ضيقة الكمين** فتوضا فلم يستطع ان يخرج ذراعيه كما في الحديث **رواه الترمذي** بهذا اللفظ مختصرا والا فهو في الصحيحين وغيرهما مطولا **وعن ابي ذر قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب ابيض** وهو نايم ثم اتيته وقد استيقظ فقال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات علي ذلك الا دخل الجنة قلت وان زني وان سرق قال وان زني وان سرق قلت وان زني وان سرق فقال وان زني وان سرق علي رغم ابي ذر **رواه البخاري** هكذا في اللباس ومسلم في الايمان فاقتصر الصم منه علي حاجته **وعن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة** بزيادة لفظ ذات للتاكيد اي بكرة والعرب تستعمل ذات يوم وذات ليلة ويريدون حقيقة المضاف نفسه **وعليه مرط** بكسر فسكون ومهملة كسا **شعر** بالاضافة وفي رواية من شعر واستعمال المرط في الشعر مجاز ففي القاموس انه ما نسج من صوف او خز ونحوها غير الشعر **اسود** صفة مرط او شعر فعلي الاول قيد ضربه لان المرط اذا اطلق انما يكون اخضر وعلي الثاني فبيوته لان الشعر يكون اسود وغير اسود وزعم ان ظاهر قولها وعليه مرط انه جعله علي راسه مشتملا عليه لانه اتزر به رد بانه ليس فيه ما يفيد ذلك ويؤيده اطباقهم علي تفسير المرط بانه كسا من خز او صوف يوتزر به **رواه الترمذي** ومسلم ايضا **وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف** من مزيد تواضعه ولبسه من سنن الانبيا قال ابن مسعود كانت الانبيا يركبون ويلبسون الصوف ويحتلبون الشاة رواه الطيالسي وعنه صلى الله عليه وسلم قال كان علي موسى يوم كلم ربه كسا صوف وكمة صوف وجبة صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار رواه الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه علي شرط البخاري كلاهما عن حميد الاعرج عن عبد الله ابن الحارث عن ابن مسعود قال المنذري توهم الحاكم ان حميدا الاعرج هذا هو حميد ابن قيس المكي وانما هو حميد بن علي وقيل ابن عمار احد المتروكين والكمة بضم الكاف وشد الميم القلنسوة الصغيرة **وكان له كسا ملبد** اي مرقع او ما ثخن وسطه حتى صار يشبه اللبد كما ياتي قريبا في المص **ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد رواه الشيخان** ولم اره فيهما ولا في احدهما بهذا اللفظ في مظانه فليراجع **قاله قلت فتعلم من هذا** المنقول عن المصطفى في لباسه **وعن سيرة السلف** جمع سالف وهو المتقدم ويجمع ايضا علي سلاف ككفار وخدام ويجمع سلف علي اسلاف كسبب واسباب فقوله **الصالح** راعي فيه لفظ سلف ولو راعي معناه لقال الصالحين **بذاذة الهيئة** بموحدة ومعجمتين بينهما الف ثم تاء تانيثه اي سوءها **ورثاثة الملابس** اي عدم حسنها فهو بمعني البذاذة كما في القاموس

ثم بالشاذلي بالذال المهملة نسبة الى شاذلة بلدة بالمغرب من الحنو
صفة مغيرة يجملون هياتهم اي يحسنون صورهم واحوالهم الظاهرة وملابسهم
فيلبسون الثياب الفاخرة وطريقتهم الاقتدا بالسنة الشريفة والسلف
الصالح جملة حالية قلت اجابه العارف الرباني ابي العابد العارف بالله
تعالى سيدي علي بن العارف الكبير سيدي محمد الوفائي الحافظ الحاد الذهن
العديم النظير المالكي الشاذلي انسان عين الاوليا العلم الشهير اذاقنا الله
حلاوة مشربه اي ما كان عليه من المعالي والتجليات والمعارف مصدر
بمعنى الشرب نفسه كما في القاموس لكنه هنا من اطلاق المصدر بمعنى اسم
المفعول والمعنى رزقنا الله حالة نستلذ بما يجي عنه من العلوم والمعارف كلذة
شاربه الحلوة ومن خطه الكريم نقلته بما لفظه متعلق باجابه ذلك اي
تجميلهم الهيئة والملابس لانهم نظروا الى المعاني والحكم جمع حكمة وهي تحقيق
العلم واتقان العمل وفيها اقوال كثيرة فوجد السلف الصالح لما وجدوا
اهل الغفلة عن حقوق الله تعالى والشغل بحظوظ انفسهم بدنياهم
منهمكين مقبلين على الزينة الظاهرة مجادين في طلبها تفاخروا بدنياهم
واظهروا باداو اشعار بانهم من اهلها وجوابه لما خالفوهم اظهارا
لحقارة ما حقره الحق من الشهوات الفانية مما فيه حظ للنفس من مال ونسا
وغيرها وتنويها اظهارا ورفعة شان بالغني عما اطمان ركن اليه الغافلون
فكان اطمارهم جمع طمر بكسر فسكون ثيابهم الخلقة يوم عيد فقوله الحمد لله
الذي اغنانا منه اي الله من الشغل بما هو سبب للسعادة الابدية دون التفات
لما في ايدي الناس مما عظموه وقدموه على ما هو سبب لذلك عما افتقر احوجه
نفسه اليه من فاعل افتقر همه اهتمامه دنياه اي تحصيلها فالراغب فيها يجعلها
نصب عينه ويشتغل بما يحتاجه عن الطاعة فلما طال الامد الزمن وقست
القلوب لم تلن لذكر الله بنسيان ذلك المعنى واتخذ الغافلون رثاثة
الاطمار بذاذة الهيئة حيلة على جلب دنياهم انعكس الامر
اي ان رثاثة الهيئة كانت سببا للوصول الى الحق بالاعراض عن الدنيا فصارت سببا
للهلاك بالوقوع في المعاصي بالتحيل على اكل المال بالباطل فصارت مخالفة هولا
في ذلك لله هو قول السلف وطريقتهم كما تقدم قال سيدي علي وقد ارشد
الاستاذ ابو الحسن الشاذلي بذال معجمة ومهملة نسبة الى شاذلة قرية
بافريقية الشريف تقي الدين علي بن عبد الله بن عبد الجبار شيخ الطائفة من ذرية
محمد بن الحنفية قال ابن دقيق العيد ما رايت اعرف بالله من الشاذلي وقال
ابن عطا الله نشا بالمغرب الاقصى ومبدا ظهوره بشاذلة ولم يدخل في طريق
الله حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة ذو علوم جمة وحاز في الطريقة
بالعجيب العجاب وكان العز بن عبد السلام يحضر مجلسه مات في ذي القعدة سنة
ست وخمسين وستماية بصحرا عيذاب متوجها الى مكة ودفن هناك قدس
الله سره العزيز الى ذلك بقوله لبعض من انكر عليه جمال هيئته

من

من اصحاب الرثاثة متشبثا بانها سيرة السلف يا هذا هيئتي هذه
تقول الحمد لله الذي اغناني عن الناس والالتفات لما في ايديهم وهيئتك
هذه تقول اعطوني شيئا من دنياكم اصلح بها رثاثتي والقوم افعالهم
دائرة مع الحكمة الربانية مرادهم رضى ربهم اذ الحكم يدور مع العلة وجودا
وعدما انتهى ما قاله سيدي علي وفا رحمه الله تعالى وهو كلام نفيس
لا غرو في صدوره ممن جمع بين العلم والولاية وقد ورد في الحديث الصحيح
الذي اخرجه مسلم والترمذي عنه صلى الله عليه وسلم من حديث ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في
قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله
حسنا فقال ان الله جميل ذاتا وافعالا والعرب تصف الشي بفعل ما هو من
سببه قاله الزمخشري ولله تعالى الجمال المطلق ومن احق بالجمال ممن كل جمال
في الوجود من اثار صنعته فله جمال الذات المطلق وجمال الصفات ولولا حجابه
النور لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه من خلقه يحب الجمال اي
التجمل منكم في الهيئة او في قلة اظهار الحاجة لغيره وسر ذلك انه كامل في اسمائه
وصفاته ويحب ظهور اثارها في خلقه فانه من لوازم كماله وهو وتر يحب الوتر
جميل يحب الجمال عليم يحب العلما جواد يحب الجود قوي يحب القوي فالمومن القوي
احب اليه من الضعيف حيي يحب اهل الحيا والوفا شكور يحب الشاكرين صدوق
يحب الصادقين محسن يحب المحسنين الى غير ذلك وعبر بالجمال دون الحسن
لانه الحسن لان الحسن انما يوصف به المفرد نحو خاتم حسن فاذا اجتمع من ذلك
جمل وصف صاحبها بالجمال فالحسن متعلق بالمفردات والجمال بالمركبات ذكره السهيلي
وغيره وبقية الحديث عند مسلم والترمذي معا عقب قوله الجمال الكبر بطر الحق وغمط
الناس بفتح الغين المعجمة واسكان الميم وبالطا المهملة رواية مسلم ولفظ الترمذي
غمص بالصاد المهملة بدل الطا كما بينه عياض ومعناهما واحد اي احتقارهم
قال الحافظ واخرج الطبري من حديث علي ان الرجل يعجبه ان يكون شراك نعله
اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل في قوله تعالى تلك الدار الاخرة الاية وقد
جمع الطبري بينه وبين حديث ابن مسعود بان حديث علي محمول على من فعل
ذلك ليتعاظم على صاحبه لا من احب ذلك ابتهاجا بنعمة الله ثم الرجل المبهم
في حديث ابن مسعود هو سواد بن عمرو الانصاري اخرجه الطبري من طريقه
ووقع ذلك لجماعة غيره وللبيهقي من حديث ابي سعيد ان الله جميل يحب الجمال
ويحب ان يرى اثر نعمته على عبده ويبغض البوس والتباوس وفي الحديث
الاخر المروي عند ابن عدي عن ابن عمر رفعه ان الله جميل يحب الجمال سخي يحب
السخا نظيف يحب النظافة لان من تخلق بشي من صفاته ومعاني اسمائه
محبوب له مقرب عنده ونظافة الثوب والبدن مطلوبة عقلا وشرعا وعرفا
وتزيد في العين مهابة وفي القلب جلالة وفي السنن الثلاثة لابي داود
والترمذي والنسائي وصححه الحاكم وابن حبان عن ابي الاحوص بالحا والصاد

المهملتين عوف بن مالك **الجشمي** بضم الجيم وفتح المعجمة الكوفي مشهور بكنيته
ثقة من أوسط التابعين روى له مسلم والاربعة قتل في ولاية الحجاج على العراق
عن ابيه مالك بن فضلة بفتح النون وسكون المعجمة ويقال ابن عوف بن نضلة
صحابي قليل الحديث قال البغوي سكن الكوفة وروى حديثين **قال رآني النبي**
صلى الله عليه وسلم وعلي اطمار كاحمال جمع طمر بزنة حمل **وفي رواية** هذ
النسائي وعلي ثوب دون اي حقير بدل اطمار **فقال هل لك من مال**
فقلت نعم قال من اي المال اي من اي نوع من انواعه **قلت من كل ما اتى**
بالمد اعطى **الله من الابل قال فلتر نعمته وكرامته** اي اظهر اثرهما **عليك**
بحسن الملابس والهيئة **وفي رواية النسائي** وابي داود والترمذي ايضا والحاكم
كما في الجامع **قال** صلى الله عليه وسلم **اذا اتاك الله** بالمد **مالا** اي شيا له قيمة
يباع بها سمي مالا لانه يميل القلوب او لسرعة ميله اي زواله قاله سفيان الثوري
قال النووي وهذه مناسبة معنوية والا فليس مشتقا من ذلك فان عين المال واو
والامالة من الميل بالياء ومن شرط الاشتقاق الاتفاق في الحروف الاصلية **فلير** بالبنا
للمجهول اي فليرى الناس **اثر** بالتحريك **نعمة الله عليك** اي سمة افضاله فان
من شكر النعمة افشاها كما في خبر **وكرامته** قال البغوي هذا في تحسين ثيابه بالتنظيف
والتجديد عند الامكان من غير مبالغة في النعومة والترفه ومظاهرة الملبس على
الملبس على عادة العجم والمترفهين **وفي حديث جابر** بن عبد الله **انه** قال **رأى**
رسول الله صلى الله عليه وسلم **رجلا شعثا** اي لم يتعهد نفسه بما يصلحه **قد**
تفرق انتشر **شعره فقال ما كان** اي اما كان كما هو الرواية فلعل الهمزة سقطت
من قلم المص **يجد هذا** الرجل الشعث **ما يسكن** بضم اوله وشد الكاف **به راسه**
اي شعر راسه اي يضمه ويلينه من نحو زيت فعبر بالسكون عن ذلك والاستفهام
فيه وفيما بعده للتوبيخ والغرض منه والحث على النظافة والاحتراز عن الرثاثة
ورأى رجلا اخر كما هو الرواية **عليه ثياب وسخة فقال ما كان** اي اما كان كما
هو الرواية فلعل الهمزة سقطت من قلم المص **يجد هذا** الرجل الشعث **ما يسكن**
بضم اوله وشد الكاف **به راسه** اي شعر راسه اي يضمه ويلينه من نحو زيت فعبر
بالسكون عن ذلك والاستفهام فيه وفيما بعده للتوبيخ والغرض منه هو
التشنيع والحث على النظافة والاحتراز عن الرثاثة بسقوط همزة الاستفهام
سهوا او لا فهي ثابتة في الرواية ايضا **يجد هذا** الرجل الوسخ الثياب **ما يغسل**
به ثيابه من نحو غاسول او صابون كذا قاله بعض فيما بالقصر بمعنى شيا وضبطه بعضهم
ما بالمد منونا قايلا وفيه الامر بغسل الثوب اذا كثر وسخه ولو بالماء فقط اذ به يزال
الوسخ والنجاسة ان كانت فيه والاستفهام انكاري توبيخي اي كيف لا ينظف ويحسن
هيئته مع تيسر تحصيل الدهن والصابون وما يقوم مقامه مع انه عام الوجود
سهل التحصيل خفيف المونة والمنة قال الطيبي انكر عليه بذاذته لما يؤدي الى
ذلته واما خبر البذاذة من الايمان فاثبات للتواضع للمومن كما ورد المومن من
متواضع وليس بذليل وله العزة دون الكبر ومنه حديث ابي بكر انك لست ممن

بفعله

بفعله خيلا فيستحب التنظيف موكدا من الاوساخ الظاهرة على الثوب والبدن قال
الشافعي من نظف ثوبه قل همه **رواه احمد** وابو داود وصححه ابن حبان والحاكم
قايلا على شرطهما واقره الذهبي **وفي السنن** للترمذي وقال حسن وصححه الحاكم
من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص **مرفوعا ان الله يحب ان يرى اثر**
نعمته اي انعامه **على عبده** وله شاهد من حديث ابي سعيد عند ابي يعلى اي بان
يلبس ثيابا تليق بحاله من النفاسة والنظافة ليعرفه المحتاجون للطلب منه مع
مراعاة القصد وترك الاسراف جمعا بين الادلة قاله في الفتح **فهو سبحانه يحب**
ظهور اثر نعمته على عبده بمعنى يثيبه على ذلك **فانه من الجمال الذي**
يحبه وذلك من شكره على نعمه وهو اي الشكر **جمال باطن فيحب ان يرى**
على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها ولاجل
محبته تعالى للجمال انزل على عباده اي خلق لهم **لباسا يجمل به ظواهرهم**
وتقوى يجمل بواطنهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا اي
خلقناه لكم باسبابه من السماء كالمطر لانه به تتكون الاشياء التي منها يحصل اللباس
فصار كانه تعالى انزل اللباس اي انزلنا اسبابه فعبر بالسبب عن المسبب **يواري**
يستر **سوآتكم وريشا** وهو ما يتجمل به من الثياب لان الريش زينة للطاير كما انه
الوريش زينة للادميين ولذا قال الزجاج والوريش لباس الزينة استعير من ريش
الطير لانه لباسه وزينته ويحتمل انه عطف اي انزلنا لباسين لباسا موصوفا بالمواراة
ولباسا موصوفا بالزينة وهذا اختيار الزمخشري قال الطيبي انما عطف ريشا
على لباسا ليوذن بان الزينة ايضا غرض صحيح كقوله تعالى والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة وكما ان ستر العورة مامور به كذلك اخذ الزينة مامور
به قال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد **ولباس التقوى** العمل الصالح او السمت
الحسن بالنصب عطف على لباسا والرفع مبتدا خبره **ذلك خير** ذلك من ايات
الله اي دلايل قدرته لعلهم يذكرون فيؤمنون وفيه التفات عن الخطاب الى
الغيبة **وقال في اهل الجنة ولقاهم** اعطاهم **نضرة** حسنا واضاءة في
وجوههم **وسرورا وجزاهم بما صبروا** اي بصبرهم عن المعصية **جنة**
ادخلوها **وحريرا** البسوه **فجمل وجوههم بالنضرة** الحسن **وبواطنهم**
بالسرور الفرح **وابدانهم بالحرير فهو سبحانه كما يحب الجمال في الاقوال**
والافعال واللباس والهيئة يبغض بضم الياء وكسر الغين من ابغض على
اللغة الفصحى وضم الغين من بغض لغة ردية كما في القاموس ووقع لبعضهم
فيه وهم فاحذره نص التنبيه عليه **القبيح من الاقوال والافعال**
كالسب والضرب **والهيئة فيبغض القبيح واهله ويحب الجمال**
واهله ولكن ضل لم يهتد الى الصواب **في هذا الموضع فريقان**
الفريق الاول **فريق قالوا كل ما خلقه الله تعالى جميل** فهو يحبه بجماله
خلقه ويزعمون انه لو لم يحبه ما خلقه **ونحن نحب جميع ما خلقه فلا**
نبغض منه شيا قالوا ومن راى الكاينات منه سبحانه راها

كلها جميلة واحتجوا بقوله تعالى الذي احسن كل شيء خلقه بفتح اللام
فعلا ماضيا صفة وبسكونها بدل اشتمال اي لا حجة لهم فيها لان المراد احسنه
من حيث الايجاد فهولاء قد عدموا الغيرة لله من قلوبهم متعلق بعدموا
وعدموا البغض في الله لانهم يحبون ابليس والكفار ونحوهم مما الله يبغضهم
وانكار المنكر لحبهم له فلا ينكرونه والله تعالى يقول ولتكن منكم امة يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر واقامة الحدود فلزمهم تعطيل الشرع والفريق الثاني
قالوا قد ذم الله تعالى جمال الصورة وتمام القامة والخلقة اي سلامتها
من الافات فقال عن المنافقين واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لجمالها
وفي صحيح مسلم وسنن ابن ماجة من حديث ابي هريرة مرفوعا عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم لا يجازيكم على ظاهرها
وفي رواية لمسلم ايضا الى اجسادكم ولا الى صوركم ولا الى اموالكم الخالية عن الخيرات
اي لا يثيبكم عليها ولا يقربكم منه وانما ينظر الى قلوبكم التي هي محل التقوى واوعية
الجواهر وكنوز المعرفة واعمالكم فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ومعنى
النظر هنا الاختيار بالرحمة والعطف ومعنى نفيه نفي ذلك فعبر عن الكاين عند
النظر بالنظر مجازا قالوا وقد حرم علينا لباس الحرير ولباس الذهب
والفضة بل واستعمال انية الذهب والفضة في نحو اكل وشرب وذلك من
اعظم جمال الدنيا وقال تعالى ولا تمدن عينيك اي لا تنظر الى ما متعنا
به ازواجا اصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا زينتها وبهجتها باسكان
الهاء وفتحها يعقوب وهما لغتان لنفتنهم فيه بان يطغوا اذ بزيادة النعمة
يزداد الطغيان ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فجعل ذلك فتنة ونهى احب
خلقه اليه عن النظر له وفي الحديث الذي رواه احمد وابو داود وابن ماجة
والحاكم عن ابي امامة قال ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عنده
الدنيا فقال الا تسمعون الا تسمعون ثم قال البذاذة بفتح الموحدة وذالين معجمتين
اي رثاثة الهيئة وترك الترفه وادامة التزين والتنعم في البدن والملبس ايثارا للخمول
بين الناس من الايمان اي من اخلاق اهله ان قصد به تواضعا وزهدا وكف نفس
عن فخر وتكبر لا اظهار فقر وصيانة مال فتعرض للنعمة للكفران واعراض عن
شكر المنعم المنان وفهم هولا الفريق الحديث على الاطلاق فضلوا وقد ذم
الله المسرفين في غير ما اية والسرف كما يكون في الطعام والشراب
يكون في اللباس بقياس المساواة وفصل النزاع بيننا وبين هولاء
الفريقين ان يقال الجمال في الصورة بتحسينها بازالة الشعث واللباس
بكونه لبس جنس لابسه والهيبة ثلاثة انواع منه ما يحمد ومنه
ما يذم ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم فهو جائز فالمحمود منه ما كان
لله واعان على طاعة الله وتنفيذ اوامره والاستجابة اي الاجابة
له كما كان صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود لانها استعانة على تنفيذ

اوامر

اوامر الله لما جرت به عادة البشر من انقيادهم لصاحب الهيئة وقبول كلامه
وهو نظير لباس الة الحرب للقتال لاعلاء كلمة الله وتخويف اعدائه
ولباس الحرير في الحرب على قول من اجازه والخيلا التبختر فيه واظهار
العجب فان ذلك محمود اذ تضمن اعلاء كلمة الله الشهادة له بالوحدانية
ولنبيه بالرسالة ونصر دينه وغيظ عدوه والمذموم منه وهو النوع
الثاني ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلا وان يكون هو غاية
العبد واقصى مطلبه فان كثيرا من الناس ليس له همة في سوى
ذلك المذكور وبيست الهمة كما قال الشاعر هجوا

اني رايت من المكارم حسبكم … ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

واما ما لا يحمد ولا يذم وهو النوع الثالث فهو ما خلا عن هذين القصدين
وخرج عن هذين الوصفين فلا يحمد ولا يذم فهو جائز والمقصود من
هذا الحديث ان الله تعالى يحب من عبده ان يجمل لسانه بالصدق
بان لا يكذب به اي اثبته الايمان وقلبه بالاخلاص والمحبة والانابة الرجوع
وجوارحه بالطاعة فرضا ونفلا وبدنه باظهار نعمه عليه في لباسه
يلبس الوسط اللايق بمثله لا الفايق جدا ولا الدون وتطهيره له من الانجاس
والاحداث كما قال تعالى وثيابك فطهر وبازالة الشعور المكروهة كالعانة
والابط والختان للرجال والخفاض للنسا وتقليم الاظفار وغير ذلك مما وردت
به السنة الشريفة وعن جابر بن سمرة بن جنادة بضم الجيم بعدها نون وهو
السوائي بضم المهملة والمد صحابي بن صحابي نزل الكوفة ومات بها بعد سنة سبعين
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة اضحيان بكسر الهمزة وسكون
المعجمة وكسر المهملة اي مقمرة منيرة لا ظلمة فيها ولا غيم من اولها الى اخرها قال
الزمخشري وافعلان في كلامهم قليل جدا ونونه منونة صفة لليلة وان كانت الفه
ونونه زايدتين كما في النهاية والقياس اضحيانة وكانه لنا ويل الليلة بليل ومنع بعض
اضافته لانه صفة للقمر اي ليلة قمر ضاح وتعقب بانه لا يمنع من الاضافة لجواز
ان ليلة مضافة الى اضحيان بعد حذف موصوفه والاصل ليلة قمر اضحيان فحذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه فجعلت انظر اليه صلى الله عليه وسلم
مرة والى القمر اخرى لانظر ايهما احسن في عيني وعليه حلة حمرا ايان لما هو
اوجب التامل فيه لمزيد حسنه حينئذ فاذا هو احسن عندي من القمر قيد
بالعندية مخافة اعتنايه بهذه القصة لا لتخصيصه واخراج غيره فانه عند كل
احد واجده كذلك وفي رواية عند ابن الجوزي وغيره عن جابر في عيني بدل عندي
رواه الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام السمرقندي ابو
محمد الحافظ صاحب المسند ثقة متقن روى عنه مسلم وابو داود والترمذي
مات سنة خمس وخمسين ومائتين وله اربع وسبعون والترمذي كلاهما
من حديث ابن سمرة وزعم النسائي ان اسناده الى جابر خطا انما هو مسند
عن البرا ابن عازب فقط وتعقب بان الحديث صحيح عنه وعن البرا معا

كما قاله البخاري وقدم الم هذا الحديث في اول هذا المقصد قاصدا منه مزيد
جماله صلى الله عليه وسلم واعاده هنا لقوله وعليه حلة حمرا فلا تكرار وعن
عون بمهملة مفتوحة فواو ساكنة فنون بن ابي جحيفة السوائي الكوفي
روى عن ابيه وجماعة وعنه شعبة وسفيان وغيرهما ثقة روى له الستة
مات سنة ست عشرة ومائة عن ابيه ابي جحيفة وهب بن عبد الله
السوائي بضم المهملة والمد ويقال اسم ابيه وهب ايضا مشهور بكنيته
ويقال له وهب الخير صحابي معروف وصحب ومات سنة اربع وسبعين
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في بطحا مكة في حجة الوداع كما
صرح به عند البخاري وعليه حلة حمرا هذا هو المقصود من سوق
الحديث هنا كاني انظر الى بريق لمعان مصدر لا بمعنى البروق والا لقال
بريقي ساقيه وفيه جواز نظر ساقي الرجل وهو اجماع حيث لا فتنة قال
سفيان راوي هذا الحديث عن عون قيل هو الثوري وقيل ابن عيينة اراه
بالضم اظنه اي الثوب حبرة وفي نسخة اراها على الاصل اي اظنها مخططة
لا احمر قانيا قاله لان مذهبه حرمة الاحمر الخالص لكن لم يبد لذلك مستندا
يصلح للاستدلال به وتاويله فيه الصرف عن الظاهر والظن ليس بكاف فيه
وقول الشيخ وذلك لما ياتي انه لم يكن احمر خالصا بل فيه خطوط حمر فيه ان الاتي
انما هو كلام ابن القيم لا دليل وياتي انه غلط واما قوله عقب ذلك فلم يتامله
سفيان حق التامل لمهابة النبي صلى الله عليه وسلم فظنه احمر فاحدى
الكبر اذ يوهم ان سفيان صحابي مع انه تابع تابعي وعن البرا بن عازب
ابن الحرث بن عدي الانصاري الاوسي صحابي بن صحابي نزل الكوفة
وكان لدة ابن عمر واستصغر يوم بدر ومات سنة اثنين وسبعين قال
ما رايت احدا من الناس احسن في حلة حمرا قيد لبيان الواقع
لا للتقييد من رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو الاحسن كما
هو مفاد التفضيل عرفا وان صدق لغة بالمساواة لندرته بين شيئين
والغالب التفاضل فاذا نفي افضلية احدهما ثبتت افضلية الاخر بدلالة
العرف مجازا او استعمالا للاخص في الاعم رواهما اي حديثي ابي جحيفة
والبرا الترمذي في الجامع والشمايل وفي رواية البخاري ومسلم عن
البرا قال كان صلى الله عليه وسلم رجلا مربوعا ورايته في حلة حمرا لم
ار شيا اي احدا وعبر عنه بشيا منكرا مبالغة في التعميم والتاكيد فيشمل
غير البشر ايضا كالشمس والقمر قط بضم الطا مثقلة على اشهر اللغات
احسن منه والنفي بقط اشارة الى انه كذلك من المهد الى اللحد وفي
رواية لابي داود والترمذي ايضا كلاهما عن البرا قال ما رايت من
زايدة لتاكيد النفي والنص على استغراق جميع الافراد وبيانية اي احدا من
ذي صاحب لمة في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا مثله فهو احسن صورة قبل وسيرة اوهما واستبعد بقوله في بقية

الحديث

الحديث له شعر يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين لم يكن بالقصير ولا
بالطويل وقوله من ذي لمة بكسر اللام وشد الميم سميت بذلك
لانها المت بالمنكبين ولم تصل اليهما فاذا زادت بان وصلت المنكبين
فالجمة قال الحافظ الزين العراقي ورد في شعره صلى الله عليه وسلم ثلاثة
اوصاف جمة ووفرة ولمة فالوفرة ما بلغ شحمة الاذن واللمة ما نزل عن شحمة
الاذن والجمة ما نزل عن ذلك الى المنكبين هذا قول جمهور اهل اللغة وهو
الذي ذكره صاحب المحكم والنهاية والمشارق وغيرهم واختلف فيه كلام الجوهري
فذكره على الصواب في مادة لمم فقال واللمة بالكسر الشعر المتجاوز شحمة الاذن
فاذا بلغت المنكبين فهي جمة وخالف ذلك في مادة وفر فقال والوفرة الى شحمة
الاذن ثم الجمة ثم اللمة وهي التي المت بالمنكبين وما قاله في باب الميم هو الصواب
الموافق لقول غيره من اهل اللغة انتهى وفي رواية النسائي عن البرا
ما رايت رجلا احسن في حلة حمرا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتفقت الروايات عن البرا مع تعدد طرقها على وصف الحلة بانها
حمرا والمتبادر الحمرة الخالصة فدعوى عدمها بلا دليل غير مسموعة قال
في القاموس الحلة بالضم ازار ورداء مثلا برد او غيره والا بمعنى وجد
ثوبان على البدن كانا حلة على ما يفيده قوله والا يكون اي يوجد حلة الا
من ثوبين او ثوب له بطانة وفي المصباح الحلة لا تكون الا ثوبين من جنس
واحد والجمع حلل كغرفة وغرف وفي الفتح قال ابو عبيد الحلل برود اليمن والحلة
ازار ورداء ونقله ابن الاثير وزاد اذا كانا من جنس واحد وقال ابن سيده في المحكم
الحلة برد او غيره وحكى عياض ان اصل تسمية الثوبين حلة انهما يكونان
جديدين كما حل طيهما وقيل لا يكون الثوبان حلة حتى يلبس احدهما فوق الاخر
فاذا كان فوقه فقد حل عليه والاول اشهر انتهى وقال ابن القيم وغلط من
ظن انها كانت حمرا بحتا بفتح الموحدة وسكون المهملة وفوقية خالصة
لا يخالطها غيرها اي الحمرة وانما الحلة الحمرا اي المراد بها هنا بردان
يمانيان منسوجان وجملة بخطوط حمر مع الاسود حال من ضمير
منسوجان كساير البرود اليمانية وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار
ما فيها من الخطوط الحمر فغلبت على غيرها والا فالاحمر البحت الخالص
ينهى عنه اشد النهي فهو حرام ولكن يحتمل ان المبالغة في النهي لانه شعار
المتكبرين لا لحرمة ذاته وفي صحيح البخاري في حديث طويل عن البرا انه
صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر بمثلثة جمع ميثرة بكسر الميم
وسكون التحتية وفتح المثلثة ما جلل به الثياب وتطلق ايضا على الاوطية الحرير
كما في القاموس وغيره فيحتمل انها من حرير فنهى عنها لاجله ويحتمل [illegible] فلا
حجة فيه وفي صحيح مسلم عن ابن عمر قال راى النبي صلى الله عليه
وسلم علي ثوبين معصفرين مصبوغين بالعصفر فقال ان هذه من ثياب
الكفار اي مما يلبسه فلا تلبسها حذرا من التشبه بهم فيما هو مخصوص بهم

ومعلوم ان ذلك المعصفر انما يصبغ صباغا احمر فالنهي عن لبسه
نهي عن الاحمر فيفيد حرمته فالجواب انه انما نهي عنه لانه من لباس
الكفار وكانوا اكثر افخط النهي التشبه وقد ارتفع ذلك فصار داخلا في عموم
المباح قال ابن القيم وفي جواز لبس الاحمر من الثياب والجوخ وغيرهما
نظر واما كراهته فشديدة وكيف يظن به صلى الله عليه وسلم انه
لبس الاحمر القاني بالقاف والنون اي الخالص وهذه من الكلمات التي انما
تستعمل تابعة كاصفر فاقع وابيض لقق واسود حالك كلا لقد اعاذه الله
عنه وانما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمرا والله اعلم انتهى
كلام ابن القيم قال الشهاب المكي وما قاله هو الغلط لان حمل الحلة على ما ذكره لا يشهد
له لغة ولا شرع فان زعم انه عرف ذلك الزمن قلنا له اين دليلك على ذلك وليس النهي
عن المعصفر لمجرد الحمرة بل لما فيه من التشبه بالنسا فانه من زينتهن وجدهن
وليس في لبسه صلى الله عليه وسلم الاحمر القاني محذور لانه لبيان الجواز فهو
واجب عليه وان نهي عنه انتهى وقال النووي اختلف العلما في الثياب
المعصفرة وهي المصبوغة بعصفر فاباحها جميع العلما من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم وبه قال الامام الشافعي وابو حنيفة ومالك
لكنه قال غيرها افضل منها فهي خلاف الاولى وزعم بعضهم ان الرواية عن مالك
انما هي في المزعفر لا المعصفر فاشتنع على النووي خطا صراحا لان عنه روايتين
احداهما الاباحة المستوية الطرفين نقلها ابن العربي في كتابه الجامع فقال واما
الاحمر ومنه المعصفر والمزعفر فاجازه مالك والشافعي وابو حنيفة وكرهه
بعض العراقيين المزعفر للرجال انتهى والثانية الكراهة وهي المشهورة في
المذهب ففي المدونة كره مالك الثوب المعصفر المفدم للرجال في غير الاحرام
انتهى والمفدم بضم الميم وسكون الفاء وفتح الدال المهملة القوي الصبغ المشبع الذي
رد في العصفر مرة بعد اخرى قال في التوضيح واما المعصفر غير المفدم والمزعفر
فيجوز لبسهما في غير الاحرام نص عليه الاول في المدونة وعلى المزعفر في غيرها
قال مالك لا باس بالمزعفر لغير الاحرام وكنت البسه وفي رواية عنه انه اجاز
لباسها في البيوت وافنية الدور وكرهه في المحافل والاسواق وغيرها
كالمساجد وقال جماعة من العلما هو مكروه كراهة تنزيه ومنهم مالك
والشافعي في المعتمد في مذهبهما وحملوا النهي الوارد في الصحيح عن انس نهى
النبي صلى الله عليه وسلم ان يتزعفر الرجل على هذا المذكور من كراهة التنزيه
لانه ثبت انه عليه الصلاة والسلام لبس حلة حمرا فلبسه لبيان الجواز
لا ينافي نهيه وابن القيم هو الغالط كما مر وروى ابو الشيخ وابن سعد من طريق
علي بن زيد عن اسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن ابيه قال اشترى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حلة بسبع وعشرين ناقة فلبسها ولفظ ابن سعد
اوقية ورجاله ثقات لكن علي واسحاق فيهما كلام وفي الصحيحين من
حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صبغ بالصفرة اي الورس

كما في رواية ابي داود الاتية ولابن سعد عن بكر المزني كانت له ملحفة مورسة
فاذا دار على نسائه رشها بالماء وله عن قيس بن سعد اتانا صلى الله عليه وسلم
فوضعنا له غسلا فاغتسل ثم اتيناه بملحفة ورسية فاشتمل بها فكاني انظر
الى اثر الورس على عكنه بضم ففتح اي طيات بطنه وحمل بعضهم النهي على
المحرم بالحج او العمرة لان الصبغ بنحو الورس من الطيب وقد نهي المحرم عنه
وقد اتفق البيهقي لسبيله في كتاب معرفة السنن فقال نهى الشافعي
الرجل عن المزعفر نهي كراهة واباح له المعصفر قال الامام الشافعي
وانما رخصت في المعصفر لاني لم اجد احدا يحكي عنه صلى الله عليه وسلم
النهي عنه الا ما قال علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
نهاني ولا اقول نهاكم عن المعصفر اي فالنهي خاص به لمعنى اقتضاه في ذلك
وقت النهي قال البيهقي وقد جات احاديث تدل على ان النهي على العموم
الشامل للمعصفر ثم ذكر حديث مسلم السابق قريبا ان هذه من لباس
الكفار ومر الجواب عنه واحاديث غيرها ثم قال ولو بلغت هذه الاحاديث
الشافعي لقال بها ان شا الله تعالى لانسعه بخالفتها لكنه علق ذلك لاحتمال
انها بلغته وابد فيها قادحا ثم ذكر باسناده ما صح عن الشافعي انه قال
اذا صح الحديث بخلاف قولي فاعملوا بالحديث ودعوا قولي وفي رواية
مذهبي ومراده من سوقها ان يكون مذهب النهي عن المعصفر ايضا قال البيهقي
قال الشافعي وانهى الرجل الحلال بكل حال خاليا او مع الناس ان يتزعفر
ورخص للحلال لانه الذي يظن به لبس المزعفر ونحوه اما المحرم فلا يظن ذلك لانه طيب
قال وامره اذا تزعفر ان يغسله ولا ينافيه ان المصطفى كان يصبغ ثيابه بالزعفران
كما ياتي لانه لبيان الجواز كما مر ولانه لم يصبغ الثوب كله والنهي على كله قال البيهقي
فتبع الشافعي السنة في المزعفر فمتابعتها في المعصفر اولى به
لكثرة احاديثه الثابتة عند البيهقي على احاديث المزعفر انتهى كلامه ورايت
في فتاوى شيخنا العلامة قاسم احد ايمة الحنفية في زمانه وتحقيقها
كراهته للتحريم مع صحة الصلاة فيه واستدل له بما ذكرته من الاحاديث
التي فيها النهي عنه ابقا لها على ظاهرها وبما في حديث طاوس بن كيسان اليماني
عند الحاكم وقال على شرطهما عن ابن عمرو بن العاصي قال دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم وعلي ثوب معصفر وصبغه احمر كما مر فقال من اين لك
هذا قال صنعته لي اهلي حليلتي قال احرقه بكسر الهمزة وفتحها مقطوعة
قال القاموس حرقه بالنار واحرقه وحرقه بمعنى فاحترق والغرض منه الزجر فقط
لا الامر بحرقه حقيقة لانه اضاعة مال انتهى كلام قاسم وعن جابر بن عبد
الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس برده الاحمر
في العيد والجمعة ليبين حل لبس ذلك فيهما ففيه رد على محرم لبس الاحمر
القاني وزعم ان المراد بالاحمر هنا ما هو ذو خطوط تحكم بلا دليل كما مر فكان الشم
لم ير كلام المكي وقال على ذا الحديث لعله فعل ذلك في الجمعة في بعض الاحيان

لبيان الجواز فيهما وان لبس البياض فيها افضل لا واجب وعن يحيي بن عبد الله
ابن مالك قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يصبغ مثلث البا
ثيابه بالزعفران قميصه بالنصب بدل من ثيابه ورداه وعمامته رواها
الدمياطي وفي الاول تقصير فقد رواه البيهقي في السنن عن ابن محمد بلفظه
وهو ابي الثاني عند ابي داود بلفظ يصبغ بالورس بفتح الواو وسكون
الرا اخره سين مهملة نبت يصبغ به والزعفران ثيابه حتي عمامته
فصرح في الحديثين بان الصبغ للثياب ولذا رجح عياض في حديث ابن عمر انه راي
النبي صلي الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة يعني ثيابه وقيل شعره لما في السنن
ايضا كان يصفر بها لحيته واجيب باحتمال انه مما يتطيب به لا انه كان يصبغ
بها لحيته وكذا رواه من حديث زيد بن اسلم العدوي وام سلمة وابن عمر
ابن الخطاب لكن يعارضه ما في الصحيح انه صلي الله عليه وسلم نهي
عن التزعفر وهل النهي لرايحته او للونه تردد ولفظ الصحيح نهي ان يتزعفر
الرجل وما ساقه هنا لفظ النسايي وهو مطلق فيحمل علي المقيد بالرجل ومر قريبا
جوابه بان نهيه لا يخالف فعله لانه للكراهة والفعل لبيان الجواز واما حديث
عمران عند الطبراني اياكم والحمرة فانها احب الزينة الي الشيطان ففي اسناده ضعف
وحديث رافع بن خديج انه صلي الله عليه وسلم راي الحمرة قد ظهرت فكرهها
رواه احمد لا يدل علي التحريم لحمل الكراهة علي التنزيه والله اعلم بالحق واما صفة
ازاره صلي الله عليه وسلم فعن ابي بردة بضم الموحدة وراء ودال مهملة
الحارث او عامر بن ابي موسي الاشعري قاضي الكوفة وهو ثقة نبيل ومن ذريته ابو
الحسن الاشعري مات سنة اربع ومائة وقيل غير ذلك وقد جاوز الثمانين انه قال
اخرجت الينا عايشة كسا من صوف ملبدا كما ياتي وازارا غليظا صفة
ازارا فقالت قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم في هذين وكان
لبسهما تواضعا او اتفاقا لا عن قصد اذ كان يلبس ما وجد رواه البخاري في
فرض الخمس وفي اللباس ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجة في اللباس وفي رواية
عند مسلم موصولة والبخاري تعليقا عن ابي بردة قال اخرجت الينا عايشة ازارا
غليظا مما يصنع باليمن وكسا من هذه التي تدعونها بفتحتية وفوقية
وفي مسلم يسمونها الملبدة بضم الميم وفتح اللام والموحدة المشددة وفي رواية
للبخاري في الخمس اخرجت لنا عايشة كسا ملبدا قال ابن الاثير في النهاية
اي مرقعا بضم الميم وفتح الراء وشد القاف يقال لبدت القميص البده ولبدته
بالتخفيف ويقال للخرقة التي يرقع بها صدر القميص اللبدة
وقيل الملبد الذي ثخن غلظ وسطه وصفق بضم الفا صفاقة فهو
صفيق خلاف سخيف حتي صار يشبه اللبد بالكسر وزان حمل ما يتلبد من
شعر او صوف واللبدة اخص منه كما في المصباح وروي مسلم من حديث
عايشة قالت خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات غداة
اي ضحوة وذات مقحمة للتاكيد اي خرج في ساعة من ضحوة وعليه مرط

مرحل

مرحل من شعر اسود وقدم المص هذا الحديث ناسبا للترمذي الان في هذا
زيادة مرحل فلذا اعاده والمرط بكسر الميم واسكان الراء كسا من صوف
او خز يوتزر به والخز اسم دابة ثم اطلق علي الثوب المتخذ من وبرها كذا في
المصباح اي وبر تلك الدابة وصريح تفسير المص كالقاموس والمصباح ان استعماله
في الشعر مجاز اذ الصوف والخز خلاف الشعر والمرحل بتشديد الحا المهملة
المفتوحة المعظم هو الذي فيه صور الرحال جمع رحل قال في القاموس
في مادة رحل والمعظم يرد فيه تصاوير رحل بمهملة قال وتفسير الجوهري
اياه بازار خز فيه علم غير جيد انما ذلك تفسير المرجل بالجيم فالتبس
عليه وقال في مادة رجل يعني بالجيم ويرد مرجل كمعظم فيه صورة
الرجال بالجيم انتهي وقال النووي عقيل التميمي رواه الجمهور وضبطه المتقنون
من انفن بالحا المهملة اي عليه صور رحال الابل ولا يرد كيف لبس
ما فيه صورة وقد نهي عن التصوير لانه لا باس بهذه الصور وانما يحرم
تصوير الحيوان انتم الخلق وقال الخطابي المرحل بمهملة الذي فيه
خطوط والله اعلم بحقيقته وعن عروة بن الزبير احد الفقها فهو مرسل
ان طول ردا النبي صلي الله عليه وسلم اربعة اذرع وعرضه ذراعان
وشبر وياتي له عزوه لتخريج الدمياطي وقد رواه ابو الشيخ في الاخلاق النبوية
عن عروة بلفظ وعرضه ذراعان ونصف قال الحافظ العراقي وفيه ابن لهيعة وعن
عروة ايضا ان ثوب رسول الله صلي الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه
الي الوفد اتفاد مين عليه ردا اخضر في طول اربعة اذرع وعرضه ذراعان
وشبر وعن معن بن عيسي بن يحيي الاشجعي مولاهم المدني القزاز ثقة ثبت
قال ابو حاتم هو اثبت اصحاب مالك مات سنة ثمان وتسعين ومائة قال حدثنا محمد
ابن هلال المدني صدوق توفي سنة اثنتين وستين ومائة قال رايت علي هشام
ابن عبد الملك بن مروان الاموي احد ملوك بني امية برد النبي صلي الله عليه وسلم
من حبرة بزنة عنبة له حاشيتان وعن عمر بن الخطاب قال دخلت علي
رسول الله صلي الله عليه وسلم وعليه ازار يتقعقع اي يصوت عند رد
بعضه علي بعض لجدته وعن يزيد بتحتية فزاي ابن ابي حبيب الازدي مولاهم
المصري بالميم عالم تابعي ثقة فقيه وكان يرسل واسم ابيه سويد وكان يزيد حبشيا
من العلما الحكما مات سنة ثمان وعشرين ومائة انه صلي الله عليه وسلم كان
يرخي الازار اي ازاره من بين يديه ويرفعه من ورائه حال المشي لئلا يصيبه
قذر او شوك وهذا بيان لصفة ايتزاره وقد رواه ابن سعد عن يزيد بلفظه وعن
ابن عباس قال رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم ياتزر تحت سرته
وتبدو انتظهر سرته ورايت عمر بن الخطاب ياتزر فوق سرته رواها
كلها الدمياطي الحافظ ابو محمد عبد المومن بن خلف الشهير فصل
ترجم به لانه ليس من صفة الازار وعن اسما بنت ابي بكر الصديق مما رواه عنها
مولاها قال انها اخرجت الينا جبة طيالسة نوع من الثياب لها علم وفي لفظ

كسرواني بها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان وفي رواية وفروجها
مكفوفة بالديباج اي عمل على جيبها وكميها وفرجيها كفاف من حرير
وكفة كل شيء طرفه بالضم وحاشيته وهذه جبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانت عند عائشة فلما قبضت ماتت رضي الله عنها
قبضتها اي اخذت الجبة وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يلبسها فنحن نغسلها للمرضى وفي رواية للمريض منا اذا اشتكى
نستشفي بها نطلب به الشفا بها لما لطخها العرقة وملابستها البدنية
رواه مسلم وقوله جبة طيالسة باضافة جبة الى طيالس
لا بالتنوين وكسروانية بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والرا
مفتوحة نسبة الى كسرى ملك الفرس بكسر الكاف وفتحها تبعا
في كسروانية على اللغتين في المنسوب اليه ولبنة بكسر اللام واسكان
البا الموحدة رقعة اي قطعة حرير في جيب القميص ولو حد يدا ولبس
المراد انها جعلت فيه لاصلاح خلله وفيه من الفقه جواز لبس ما له
فرجان وانه لا كراهة فيه وان المراد بالنهي عن الحرير المتمحض
الخالص منه وانه ليس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف الخمر
الخمر والذهب فانه يحرم كل جزء منها على الرجال في الذهب قاله هو
النووي في شرح مسلم لطيفة قيل لما كان صلى الله عليه وسلم لا يبدو
يظهر منه الا طيب كان آية علامة ذلك في بدنه جسده الشريف
انه لا يتسخ له ثوب فما اتسخ له ثوب قط قيل ولم تقمل بفتح الميم
ثوبه قط اي لم يوجد فيه شيء من قمل وان كانت العادة للتكثير وقال ابو الربيع
سليمان بن سبع باسكان الموحدة وقد تضم في كتاب الشفا والسبتي بفتح
السين وسكون الموحدة ففوقية نسبة الى سبتة مدينة بالمغرب وجزم الرشاطي
بان سبتة بالفتح والذي ينسب اليها السبتي بالكسر قاله في التبصير فوائد عدة
الموارد واطيب الموالد لم يكن القمل يؤذيه لعدم وجوده في ثيابه تعظيما
وتكريما له صلى الله عليه وسلم على نحو على لاحب لا يهتدى لمناره ويرشد
الى هذا ان لفظ ابن سبع لم يكن فيه قمل لانه نور ولان اصله من العفونة ولا عفونة فيه
واكثره من العرق وعرقه طيب لكن يشكل عليه ما رواه احمد والترمذي في
الشمائل عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفلي ثوبه بفتح التحتية وسكون الفاء لام من فلي يفلي كرمى يرمي يفتشه
ويحلب شاته زاد في رواية ابي نعيم ويخدم نفسه وفي رواية لاحمد وابن حبان
يخيط ثوبه ويخصف نعله ولابن سعد يرقع ثوبه ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم
وفي رواية له يعمل عمل البيت واكثر ما يعمل الخياطة ومن لازم التفلي وجود
شيء يؤذيه في الجملة اما قملا او برغوثا او نحو ذلك فدعوى انه لم يكن القمل
يؤذيه مدفوعة ويمكن ان يجاب بان التفلي لاستقذار ما علق بثوبه
الشريف من غيره ولو لم يحصل منه اذى في حقه صلى الله عليه وسلم

وهذا فيه بحث لان اذى القمل هو غذاؤه من البدن على ما اجرى
الله العادة واذا امتنع الغذاء لا يعيش الحيوان عادة واجاب
شيخنا بانه لم يجعل التفلية لازالة القمل الحاصل من غيره بل لازالة القذر
الحاصل من غيره بل لازالة القذر الحاصل في ثوبه ولا يلزم ان يكون حيوانا
ويتقذر به فيجوز انه فلى ثوبه قبل مضي مدة لا يصير الحيوان فيها على عدم
التغذي ونقل الفخر الرازي انه الذباب لا يقع على ثيابه قط وانه
لا يمتص دمه البعوض وهذا ايضا من جملة اللطيفة وتعقبه ذلك هو
كله بعضهم بعدم ثبوته واما الطيلسان وهو بفتح الطاء واللام على
الاشهر الافصح بزنة فيعلان وحكى عياض والنووي والمجد كسر اللام وضمها
وفيه لغة طالسان بالالف حكاها ابن الاعرابي واحدة الطيالسة والهاء في
الجمع للعجمة اي انهم جمعوه على لغة العجم لانه فارسي معرب قال المجد
اصله تالسان ويجمع ايضا على طيالس بلا هاء كما قال البطليوسي قال ابن قرقول
شبه الاردية يوضع على الراس والكتفين والظهر وهو الساج ايضا بسين
مهملة فالف فجيم وجمعه سيجان وقال ابن خالويه في شرح الفصيح نو
يقال للطيلسان الاخضر الساج وقال هشام بن عمار هو الطيلسان
الاسود وسوى بينهما القاموس فقال الساج الطيلسان الاخضر او الاسود
وفي النهاية الساج الطيلسان المدور وفي المغرب للمطرزي هو من لباس العجم مدور
اسود وفي قولهم في الشتم يا ابن الطيلسان يعني انك اعجمي وفي المجمل لابن فارس
الطاق بمهملة فالف فقاف الطيلسان وفي القاموس الطاق ما عطف من
الابنية جمعه طاقات وطيقان وضرب من الثياب والطيلسان او الاخضر انتهى
فاخطا من قال صوابه اطلاق الطيلسان فقال ابن القيم لم ينقل عنه صلى الله
عليه وسلم انه لبسه ولا احد من اصحابه بل ثبت في صحيح مسلم من
حديث النواس بفتح النون والواو الثقيلة فالف فمهملة ابن سمعان بن خالد
الكلابي او الانصاري الصحابي المشهور سكن الشام له في مسلم والاربعة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه ذكر الدجال فقال يخرج ومعه سبعون الفا من
يهود اصبهان عليهم الطيالسة جمع طيلسان كما مر ورأى انس جماعة
عليهم الطيالسة بمسجد البصرة فقال ما اشبههم بيهود خيبر اخرجه
البخاري عن ابي عمران قال نظر انس الى الناس يوم الجمعة فرأى طيالسة فقال كانهم
الساعة يهود خيبر قال في الفتح وعند ابن خزيمة وابي نعيم ان انسا قال ما شبهت الناس
اليوم في المسجد وكثرة الطيالسة الا بيهود خيبر والذي يظهر ان يهود خيبر كانوا
يكثرون من لبس الطيالسة وكان غيرهم من الناس الذين شاهدهم انس لا يكثرون
منها فشبههم بيهود خيبر ولا يلزم منه كراهة لبس الطيالسة وقيل انكر الوانها
لانها كانت صفرا انتهى وتعقبه العيني فقال اذا لم يفهم منه الكراهة فما فائدة تشبيهه
اياهم باليهود في استعمال الطيالسة ومن قال من العلماء انه كره الوانها حتى يعتمد عليه
ومن قال ان يهود ذلك الزمان كانوا يستعملون الصفر من الطيالسة وكيف سلمنا ذلك

س

فلم يكن تشبيه انس لاجل اللون وقد روى الطبراني عن ام سلمة ربما صبغ
صلى الله عليه وسلم رداه وازاره بزعفران او ورس ثم يخرج انتهى وهذا على
عادته في التحامل على الحافظ فمطلق التشبيه لا يستلزم الكراهة للاحتمال
الذي استظهره انه تشبيه في مطلق المخالفة للناس واما انكاره القول الذي
حكاه بانه لا لونها فمن قصوره او مكابره فمن حفظ حجة واما حديث ام سلمة فهو
لبيان ان نهيه عن التزعفر للكراهة لا التحريم قال ابن القيم ومن ههنا
كرهه جماعة من السلف والخلف لما روى ابو داود والحاكم في المستدرك
باسناد فيه مقال لكن قال في الفتح سنده حسن عن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم اي تزيا في ظاهره بزيهم وفي تعرفه
بفعالهم وفي تخلقه بخلقهم وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض افعالهم
اي والتشبيه حق طابق فيه الباطن الظاهر فهو منهم وقيل معناه من تشبه
بالصالحين وهو من اتباعهم اكرم كما يكرمون ومن تشبه بالفساق يهان ويخذل
قال القرطبي لو خص اهل الفسق والمجون بلباس منع من لبسه لغيرهم فقد
يظن به من لا يعرفه انه منهم فيظن به ظن السوء فيأثم الظان والمظنون فيه
بسبب العون عليه وعلى التفسير الاول فالقصد منه الزجر والتنفير لا حقيقة
ذلك اذ التزيي بزي الكفار حرام لا ردة ان لم يذهب بنحو الزنار للكنيسة وفيه
الترمذي وضعفه عن بن شعيب عن ابيه عن جده رفعه ليس منا اي من
العاملين بهدينا والجارين على منهاج سنتنا من تشبه بغيرنا في نحو ملبس
وهيئة وماكل ومشرب وكلام وترهب وتبتل ونحو ذلك واما ما جاء في حديث
الهجرة في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم جاء اي متقنعا قال الحافظ
اي مطيلسا راسه وهو اصل في لبس الطيلسان بالهاجرة اي في الهاجرة
فانما فعله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة ليختفي بذلك للحاجة ولم
يكن عادته التقنع اي تغطية الراس واكثر الوجه بردا او غيره وقد ذكر انس فيما
رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي عن انس عنه صلى الله عليه وسلم انه كان
يكثر القناع اي استعماله اذ هو بكسر القاف اوسع من المقنعة والمراد تغطية الراس
واكثر الوجه بردا او غيره وهذا انما كان يفعله للحاجة من الحر ونحوه كالبرد
وفي هذا الحصر نظر فقد قيل سبب اكثاره انه قد علاه من الحيا من ربه ما لم يحصل لبشر
قبله ولا بعده وما ازداد علما بالله الا ازداد حيا منه فحيا كل عبد بقدر علمه بربه فالجاه ذلك
الى ستر منبع الحيا ومحله وهو العين والفم وهما من الراس والحيا من عمل الروح
وسلطانها في الراس ثم هو ينتشر في جميع البدن فاهل اليقين قد ابصروا وايقنوا بهم
ان الله يراهم فصارت جميع الامور لهم معاينة فهم يعبدون ربهم كانهم يرونه وكلما
شاهدوا عظمته ومنته زاد حياؤهم فاطرقوا رؤسهم اجلالا وقنعوها خجلا ومن زعم
ان المراد بالقناع خرقة تلقى على الراس لتقي العمامة من نحو دنس لم يحم حول الحامل
فيه في البحر وهو في غاية الظاهر قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي في شرح
تقريب الاسانيد التقنع معروف وهو تغطية الراس بطرف العمامة

او

او بردا او نحو ذلك انتهى وقال السيوطي هو التطيلس وقال ابن الحاج
في المدخل واما قناع الرجل اي تقنعه او استعماله فهو ان يغطي راسه
بردائه ويرد طرفه على احد كتفيه انتهى واحترز به عن قناع المراة
فانه خرقة لطيفة تجعلها على راسها واما قول ابن القيم انه عليه
الصلاة والسلام انما فعل ذلك للحاجة فيرد عليه حديث سهل بن
سعد انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر القناع رواه البيهقي في
الشعب والترمذي ولكن له شاهد فللبيهقي في الشعب ايضا وابن
سعد في طبقاته من حديث انس بلفظ يكثر التقنع ويكثر دهن راسه
ويسرح لحيته بالماء فهذا وما اشبهه يرد قول ابن القيم انه لم ينقل
عنه عليه الصلاة والسلام انه لبسه ومما يشابهه قول ابن مسعود
كان اذا نزل عليه الوحي اشتد ذلك عليه وعرفنا ذلك منه فتنحى خلفنا وجعل
يغطي راسه بثوبه فانا نا فاخبرنا انه قد انزل الله عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا
وقول ابن عباس خرج صلى الله عليه وسلم متقنعا بثوبه فقال يا ايها الناس ان
الناس يكثرون والانصار يقلون فمن ولي منكم امرا ينفع فيه احدا فليقبل من
محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم رواهما احمد وغيره وروى ابو عبيد في الغريب
انه صلى الله عليه وسلم مر على ابل سمان فتقنع بثوبه ثم قرا لا تمدن عينيك الاية
وفي طبقات ابن سعد مرسلا ذكر الطيلسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هذا ثوب لا يودى شكره وفيه احاديث كثيرة واما قوله ولا احد من الصحابة
فيرده ما اخرجه الحاكم في المستدرك بسند على شرط الشيخين عن
مرة بن كعب او كعب بن مرة كما هو الرواية وليس شكا بل ايما الى انه يقال له
الامران وكعب بن مرة قول الاكثر البهزي السلمي بضم السين المهملة سكن
البصرة ثم الاردن ومات سنة بضع وخمسين وحاصله انه صحابي واحد
اختلف في ان اسمه كعب واسم ابيه مرة او اسمه مرة وابوه كعب ويقال هما
اثنان احدهما الذي سكن البصرة وروى عنه اهلها والثاني سكن الشام
كما بينه في الاصابة بما يطول قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر فتنة فقربها اي اشار الى قرب وقوعها فمر رجل مقنع في ثوبه
وفي لفظ بردائه فقال هذا يومئذ اي يوم وقوع الفتنة على الهدى
فقمت فاذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه فهذا صحابي من اجلاء
الصحابة فقنع وراء المصطفى كذلك واقره وروى ابو يعلى وابن عساكر صعد
النبي صلى الله عليه وسلم المنبر واصحابه تحت المنبر وابو بكر مقنع في القوم
فهذا خير الصحابة تقنع بحضرة المصطفى واقره وروى ابن عساكر ان عمر
تقنع في خلافته يوم عيد واخرج بن سعيد بن منصور في سننه عن
ابي العلا قال رايت الحسن ابن علي يلبس الطيالسة بكسر اللام
واخرج ابن سعد ايضا عن عمارة بضم العين والتخفيف بن زاذان براي
وقال منقوطتين الصيدلاني البصري صدوق كثير الخطا قال رايت على الحسن

الحسن بن علي [illegible] سليمان بن المغيرة قال رايت [illegible]

طيلسانا اندقيا بفتح الهمزة واهمال الدال نسبة الى اندقه قرية بسمرقند
وقرية بمرو كما في القاموس وغيره فصو لا اربع من الصحابة تطيلسوا واما
التابعون فثبت عن طاووس ومحمد بن عبد العزيز والحسن البصري اخرجه
ابن سعد عنهم ومسروق وابراهيم النخعي وسعيد بن المسيب عند ابن ابي
شيبة ومحمد بن واسع عند ابن عساكر وميمون ابن مهران عند ابن احمد
في زوايد الزهد وروى البيهقي عن خالد بن خراش قال جئت مالك بن انس
فرايت عليه طيلسان فقلت يا ابا عبد الله هذا شي احدثته ام رايت الناس عليه
قال لا بل رايت الناس عليه والاثار عن السلف في ذلك كثيرة واما ما ذكر ابن القيم
من قصة اليهود الخارجين مع الدجال ويهود خيبر فقال الحافظ ابن
حجر انما يصلح الاستدلال به في الوقت الذي تكون الطيالسة من
شعارهم خاصة وقد ارتفع ذلك في هذه الازمنة فصار داخلا في
عموم المباح قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده وقد ذكره العز ابن
عبد السلام في امثلة البدعة المباحة فاصابه وكفى به حجة وقد يصير
من شعار قوم فيصير تركه من الاخلال بالمروة فينتقل من الاباحة الى الطلب
وقيل انما انكر انس الوان الطيالسة لانها كانت صفرا وقد صح النهي عن
الصفرة ولا ينافيه لبسه صلى الله عليه وسلم المورس لانه لبيان ان النهي للكراهة
فقط والله اعلم على ان الحافظ السيوطي قال في الاحاديث الحسان بعد كلام فتبين
من هذا ان كل من وقع في كلامه من العلما كراهة الطيلسان وكونه شعار اليهود انما اراد
المقور الذي على شكل الطرحة يرسل من ورا الظهر والجانبين من غير ادارة تحت
الحنك ويغطي الراس ولا القا طرفيه على الكتفين واما المربع الذي يدار من تحت
الحنك ويغطي الراس واكثر الوجه ويجعل طرفاه على الكتفين فلا خلاف انه سنة انتهى
ومن خطه نقلته واما الخاتم ففي الصحيحين في اللباس عن ابن عمر بن الخطاب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق بكسر الراء وفي رواية
من فضة وكان اتخاذه سنة سبع كما جزم به ابن سيد الناس وجزم غيره بانه في السادسة
وجمع الحافظ بانه كان في اواخر السادسة واوايل السابعة لانه انما اتخذه لما اراد المكاتبة
للملوك في مدة الهدنة مع قريش وكانت في ذي القعدة سنة ست ورجع الى المدينة
في الحجة ووجه رسله للملوك في المحرم فاتخذه قبل توجيه الرسل وكان صانع الخاتم
يعلى بن منية بضم الميم وسكون النون وفتح التحتية وهو اسم امه او اسم ابيه امية
روى الدارقطني وغيره عن يعلى بن منية قال انا صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم
خاتما لم يشركني فيه احد نقش فيه محمد رسول الله فكان في يده ثم في يد ابي بكر
الصديق ثم في يد عمر مدة خلافتهما ثم كان في يد عثمان ست سنين من خلافته حتى
وقع من عثمان كما في البخاري في بير اريس بهمزة مفتوحة فرا مكسورة فتحتية
ساكنة فسين مهملة حديقة بالقرب من مسجد قبا قال المص لا تصرف على الاصح وقال
الكرماني الاصح الصرف فامر عثمان بنزح البير فلم يوجد ومعنى كونه في يدهم انه
كانوا يلبسونه ففيه كما قال النووي التبرك باثار الصالحين ولبس ملابسهم ويعيده

روايته

رواية

رواية البخاري عن ابن عمر فلبس الخاتم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع منه
في بير اريس هو معنى في يد في تصرف فلا يلزم منه لبسه فانه كان عند معيقيب
جعله ابو بكر امينا عليه كما رواه ابو داود وغيره وجمع بانهم كانوا يلبسونه احيانا
للتبرك ومقره عند معيقيب في بير اريس قال الحافظ وهذا يدل على ان نسبة سقوطه
الى عثمان نسبة مجازية او بالعكس وان عثمان طلبه من معيقيب فختم به شيا واستمر
في يده وهو متفكر في شي يعبث به فسقط في البير او رده اليه فسقط منه والاول هو
الموافق لحديث انس وللنسائي عن ابن عمر وفي يد عثمان ست سنين فلما كثرت عليه الكتب
دفعه الى رجل من الانصار فكان يختم به فخرج الانصاري الى قليب لعثمان فسقط منه
فالتمس فلم يوجد انتهى فان كان المراد بالانصاري معيقيب فبالمعنى الاعم اذ هو مهاجري
والا خالف رواية مسلم وزاد في رواية ابي داود والنسائي فاتخذ عثمان خاتما ونقش فيه محمد
رسول الله فكان يختم به وله شاهد من مرسل علي بن الحسين عند ابن سعد في الطبقات
وفي الصحيح عن انس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في يده وفي يد ابي بكر بعده وفي
يد عمر بعد ابي بكر فلما كان عثمان جلس في بير اريس فاخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط
فاختلفنا ثلاثة ايام مع عثمان فنزح البير فلم نجده قال الحافظ وغيره كان ذلك في السنة
السابعة من خلافته ومن يومئذ انتقض امر عثمان وخرج عليه الخوارج وكان مبدا الفتنة
التي افضت الى قتله واتصلت الى اخر الزمان قال بعض العلما فكان في هذا الخاتم النبوي من
شي مما كان في خاتم سليمان لانه لما فقد خاتمه ذهب ملكه قال ابن بطال يوخذ منه ان قليل المال
يجب البحث في طلبه والاجتهاد في تفتيشه وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك لما ضاع عقد
عايشة وحبس الجيش على طلبه حتى وجد قال الحافظ وفيه نظر فاما عقد عايشة فقد
ظهر اثر ذلك بالفايدة العظيمة التي نشات عنه وهي رخصة التيمم فكيف يقاس عليه غيره
واما فعل عثمان فلا حجة فيه اصلا لان الظاهر انه انما بالغ في التفتيش عليه لكونه اثر
النبي صلى الله عليه وسلم قد لبسه واستعمله وختم به ومثل ذلك يساوي قدرا عظيما من المال
ولو كان خاتم غيره صلى الله عليه وسلم لاكتفي في طلبه بدون ذلك وبالضرورة يعلم ان المؤنة
الحاصلة في الايام الثلاثة تزيد على قيمة الخاتم لكن اقتضت صنعته عظم قدره فلا يقاس
عليه ما ضاع من المال اليسير انتهى والثاني واضح واما الاول فاقامة النبي صلى الله عليه
وسلم على الناس العقد لم تكن لترقب الثمرة ففيه الحجة قال ابن بطال وفيه ان من فعل
الصالحين العبث بخواتيمهم وما يكون بايديهم وليس ذلك بعايب لهم قال الحافظ وانما كان
كذلك لان ذلك من مثلهم انما ينشا عن فكر وفكرتهم انما هي في الخير قال الكرماني معنى يعبث
به يحركه او يخرجه من اصبعه ثم يدخله فيها وذلك صورة العبث وفيهما اي الصحيحين
ايضا عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه
فص حبشي اي حجر من الحبشة جزع او عقيق وكان يجعل فصه مما يلي كفه لانه
ابعد عن الزهو والاعجاب ليقتدى به لكن لم يامر به فجاز جعله في ظاهر الكف وقد عمل
السلف بالوجهين والكف مونثة سميت بذلك لانها تكف اي تدفع عن البدن وقد تسمح
المص في العزو للصحيحين فالذي في البخاري عن انس كان خاتمه من فضة فصه منه
وفي مسلم كان فصه حبشيا ويأتي للمص الافصاح بذلك واما ما كان يجعل فصه الخ

فاتفقا عليه من حديث ابن عمر في خاتم الذهب لا انس في الفضة واخرج احمد
والنسائي والترمذي وابو داود والبزار في مسنده عن بريدة ابن الحصيب
بمهملتين مصغر كبريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في يد رجل خاتما
من حديد فقال مالي اجد اي اشم منك بخارا او منك يعني عندك ريح الاصنام
كذا في النسخ وفيها سقط فالمروي عند الجماعة المذكورين انه راى رجلا وعليه خاتم
من اشبه فقال مالي اجد منك ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد
فقال مالي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه الحديث والشبه بفتح الهمزة والموحدة
ضرب من النحاس قال الخطابي انما قال ذلك لان الاصنام كانت تتخذ منه وقوله حلية
اهل النار اي زي الكفار فكرهه لذلك او لرايحته ثم قال له بعد ما جاء وعليه خاتم من
ذهب فقال مالي ارى عليك حلية اهل الجنة فطرحه وقال يا رسول الله من اي شي اتخذه
قال اتخذه من فضة وفي رواية من ورق ولا تزده على مثقال وفي رواية ولا تتمه
مثقالا بكسر فسكون درهم وثلاثة اسباع درهم قال ابن الاثير وهو في الاصل مقدار من
الوزن اي شي كان قل او كثر فمعنى مثقال ذرة وزنها وقد اختلف العلما في جواز لبسه
اي الخاتم في الجملة فاباحه كثير من اهل العلم من غير كراهة ولو مع قصد زينة
على ظاهره لان قصده لا يمنع اتباع السنة في اصل لبسه ومنهم من كرهه اذا قصد
به الزينة لانه قصد شي ومنهم من كرهه الا لذي سلطان سلطنة عظمى فما دونها
لحديث ابي داود والنسائي عن ابي ريحانة شمعون بفتح المعجمة وعين مهملة
ويقال معجمة ابن زيد الازدي حليف الانصار ويقال مولى النبي صلى الله عليه وسلم صحابي
شهد فتح دمشق وقدم مصر وسكن بيت المقدس ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى
عن لبس الخاتم الا لذي سلطان اي من له سلطنة على شي ما بحيث يحتاج الى الختم به
لا السلطان الاكبر خاصة ولا حجة فيه لانه ضعيف كما ياتي ولانه عليه الصلاة والسلام انما
اتخذه لحاجة ختم الكتب التي يبعثها الى الملوك كما في حديث انس في الصحيحين
انه صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم والنجاشي
ملك الحبشة فقيل له وعند ابن سعد فقالت قريش انهم لا يقبلون كتابا الا بخاتم عليه
صونا لاسرارهم ان تنتشر وصيانة للتدبير ان لا يتجرم فصاغ خاتما اي امر بصياغته اذ
الصايغ يعلى بن امية كما مر ونقش فيه محمد رسول الله ثلاثة اسطر كما ياتي وانما لبسه
ابو بكر لاجل ولايته الخلافة فانه كان يحتاج اليه لختم الاسئلة والاحكام والرسايل الى امر
الامصار وغير ذلك كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج اليه وكذلك عمر وعثمان
كانا يحتاجان اليه وحكى ابن عبد البر عن طايفة من العلما كراهة لبسه مطلقا
ولو لذي سلطان احتجاجا بحديث انس انه صلى الله عليه وسلم نبذه ولم يلبسه
وفي الشمايل للترمذي عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اتخذ اي اقتنى
خاتما من فضة فكان يختم به الكتب التي يرسلها للملوك ولا يلبسه ويأتي الجواب
عن هذا النص بانه لعله الذي كان من حديد ملوي عليه فضة واجيب ايضا بان المراد
بنفي اللبس على الدوام اي لا يلبسه دايما بل غبا فلا ينافي خبر كان يلبسه في يمينه ولا
خبر كان اذا دخل الخلا نزع خاتمه ونحو ذلك وبان له خاتمين للختم وهو الذي كان

لا يلبسه

لا يلبسه والثاني كان يلبسه او المراد لم يلبسه ولا حين اتخذه للختم ثم لبسه
اشارة الى انه اتخذه آلة تستعمل وبانه معناه لم يلبسه حين الختم كما يفعله الاعاجم
يختمون وهم لابسون للخاتم واستبعد وفي الصحيحين من حديث ابن شهاب
قال حدثني انس بن مالك انه راى في يده صلى الله عليه وسلم خاتما من
ورق اي فضة يوما واحدا وللنسائي عن ابن عمر اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم
خاتما من ذهب فلبسه ثلاثة ايام فان قلنا ان قوله من ورق سهو وصوابه من
ذهب فيجمع بان قول انس يوما واحدا ظرف لرواية انس لا لمدة اللبس وقول ابن عمر
ثلاثة ايام ظرف لمدة اللبس وان قلنا لا وهم فيها جمعنا بان مدة لبس خاتم الذهب
ثلاثة ايام ومدة خاتم الفضة يوم واحد كما قال انس ولا ينافيه رواية البخاري ايضا
سيل انس هل اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما قال اخر ليلة صلاة العشا الى ان قال
فكاني انظر الى وبيص خاتمه لحمله على انه راه في تلك الليلة كذلك واستمر في يده بقية
يومها ثم طرحه في اخر ذلك اليوم ذكره الحافظ ثم ان الناس اصطنعوا الخواتيم
من ورق ولبسوها فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه
حين راهم اتخذوا خواتيم للزينة او لكونهم شاركوه فطرح الناس خواتيمهم التي
نقشوها على نقشه وحينيذ عاد صلى الله عليه وسلم فلبسه حتى مات والصواب
القول الاول وهو الاباحة لذي سلطان وغيره فان لبس النبي صلى الله عليه وسلم
الخاتم انما كان في الاصل لاجل المصلحة لختم الكتب التي يرسلها الى الملوك
ثم استدام لبسه وذلك ظاهر في الجواز المطلق ولبسه اصحابه معه ولم يكونوا
اصحاب سلطنة ولم ينكره عليهم بل اقرهم عليه فدل ذلك على الاباحة المجردة
عن الحاجة للختم به واما حديث النهي عن الخاتم الا لذي سلطان فقال ابن
رجب الحافظ عبد الرحمن الشهير الحنبلي ذكر بعض اصحابنا ان احمد ضعفه
وهو من ايمة الحديث فلا حجة فيه وفي فتح الباري وقد سيل مالك عن حديث ابي ريحانة
فضعفه وقال سال صدقة بن يسار سعيد ابن المسيب فقال البس الخاتم واخبر الناس
اني قد افتيتك انتهى واما ما جاء في حديث الزهري عن انس المذكور عن الصحيحين
تقريبا انه صلى الله عليه وسلم لبسه يوما واحدا ثم القاه فقد اجيب عنه
ثلاثة اجوبة احدها انه وهم غلط من الزهري على جلالته واتقانه وسهو
جرى على لسانه لفظ الورق فصير به وانما الذي لبسه يوما واحدا ثم القاه
كان من ذهب كما ثبت ذلك من غير اي ازيد من طريق في حديث ابن عمر وانس
ايضا الذي رواه هو عنه وهذا الجواب نقله القاضي عياض عن جميع اهل الحديث
وتبعه النووي وقال الكرماني لا يجوز توهيم الراوي اذا امكن الجمع وليس في الحديث
ان الخاتم المطروح كان من ورق بل هو مطلق فيحمل على خاتم الذهب او على ما نقش
عليه نقش خاتمه اي الذي اتخذه ليختم به الى الملوك لئلا تفوت مصلحة نقش
اسمه بوقوع الاشتراك وحصول الخلل فيكون طرحه له غضبا ممن تشبه به في ذلك
النقش فطرح الناس خواتيمهم التي نقشوها على نقشه فعاد فلبسه حتى مات
انتهى والثاني محتمل واما الاول فبعيد جدا اذ قوله فطرح خاتمه بعد قوله من

ورق ظاهر في انه المراد لا الذهب على انه مسبوق بهذا قال الحافظ وحاصله انه
حمل الوصوف في قوله فطرح خاتمه وطرحوا خواتيمهم خاتم الذهب وان لم يجر
له ذكر قال عياض وهذا يسوغ لو جاءت الرواية مجملة ورواية ابن شهاب لا تحتمل
هذا التاويل واما النووي فارتضاه وقال هذا هو التاويل الصحيح وليس في الحديث
ما يمنعه الثاني ان الخاتم الذي رمى به عليه الصلاة والسلام لم يكن كله
فضة وانما كان حديدا عليه فضة ويدل على ذلك انه قد روى ابو داود
عن معيقيب بضم الميم وفتح العين المهملة ثم اسكان التحتية ثم قاف مكسورة
ثم مثناة تحت اخرى ساكنة ثم موحدة الصحابي ابن ابي فاطمة الدوسي حليف
بني عبد شمس من السابقين الاولين هاجر الهجرتين وشهد المشاهد وولي بيت
المال لابي بكر وعمر وتوفي في اخر خلافة عثمان وقيل في خلافة علي سنة اربعين وله
عقب وكان به جذام وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان
خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد ملوي عليه فضة واسناد
هذا الحديث جيد كما يأتي فلعل هذا هو الذي لبسه يوما واحدا ثم طرحه
واطلق عليه انه من ورق لكون بعضه منه فلا وهم ولعله هو الذي كان يختم به
ولا يلبسه واطلق عليه انه من ورق لكون بعضه منه ولا استبعاد باقتضائه تعدد
الخاتم واجيب بانه ضروري حتى لا تتخالف الروايات الثالث ان طرحه انما كان
لئلا يظن انه سنة مسنونة فانهم اتخذوا الخواتيم لما رأوه قد لبسه فبين
بطرحه انه ليس بمشروع اي واجب ولا سنة بل مباح ثم ان الخاتم من حيث
هو لا بالنظر لخصوص ما لبسه المصطفى يكون تارة من فضة وتارة من ذهب
وتارة من حديد وتارة من صفر بضم فسكون صنف من جيد النحاس ورصاص
ولم يفصح به فيما يأتي او نحوها كالمتخذ من ياقوت وتارة من عقيق فاما الذهب
اي حكمه من جواز وعدمه ففي الصحيحين من جملة حديث طويل عن البراء بن عازب
قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب اي عن لبسه
وانية الفضة ذكر هذا لا قصدا بل لاشتمال الحديث عليه وفيهما ايضا في كتاب اللباس
والنسائي في الزينة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى
الرجال نهي تحريم عن لبس خاتم الذهب وفيهما ايضا في اللباس عن ابن عمر
عبد الله انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب اي امر بصياغته
فصيغ له او وجده مصوغا فاتخذه ولبسه فجعله في يمينه وجعل فصه مما
يلي باطن كفه لانه ابعد من الزينة والاعجاب واصون للفص لكن لما لم يأمر بذلك
جاز جعله في ظاهر الكف وقد عمل السلف بالوجهين فاتخذ الناس خواتيم
الذهب اي صاغوها مثل خاتمه قال البراء فصعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم المنبر فالقاه فعل ذلك زيادة في اظهار تجنبه ونهى عن التختم بالذهب
ولم يقتصر على الالقاء لانه بمجرده لا يدل على الحرمة ولم ينقل نهيه عنه لئلا يتوهم
عود الضمير على خصوص الخاتم الذي القاه وهو اي التحريم المستفاد من
النهي مذهب الائمة الاربعة مالك والشافعي وابي حنيفة واحمد

ذكرهم

ذكرهم بعد قوله الاربعة تبركا واكثر العلماء رضي الله عنهم ورخصت
سحلت فيه طائفة من بين انواع ما يتخذ من ذهب منهم اسحق ابن
راهويه وقال مات خمسة من اصحابه عليه الصلاة والسلام خواتيمهم
من ذهب وفصلهم بقوله قال مصعب بن سعد ابن ابي وقاص الزهري
المدني ثقة من رجال الجميع مات سنة ثلاث ومائة رأيت على طلحة بن
عبيد الله وسعد بن ابي وقاص مالك الزهري وصهيب ابن سنان احد
السابقين خواتيم الذهب وعن حمزة بن ابي اسيد بضم الهمزة وفتح
السين المهملة الانصاري الساعدي المدني صدوق روى له البخاري وابو داود
وابن ماجة والزبير بن المنذر بن ابي اسيد وقد ينسب الى جده صدوق
روى له البخاري انهما نزعا من يد ابي اسيد مالك بن ربيعة شهد بدرا
وغيرها ومات سنة ثلاثين وقيل بعد ذلك حتى قال المدائني مات سنة ستين
قال وهو اخر من مات من البدريين خاتما من ذهب حين مات وكان
بدريا والظاهر انهم لم يبلغهم النهي او حملوه على التنزيه رواهما اي
قول مصعب وقول حمزة مع الزبير البخاري في تاريخه وروى النسائي
عن سعيد بن المسيب قال قال عثمان لصهيب ما لي ارى عليك
خاتم الذهب فقال فقد رآه من هو خير منك فلم يعبه قال من
هو استفهمه لاحتمال ان المراد العمرين او احدهما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والظاهر انه رآه قبل النهي ثم يحتمل انه بلغه او حمله على
التنزيه فهؤلاء اربعة ولم يذكر المص الخامس وذكره الحافظ فقال واغرب
ما ورد من ذلك ما جاء عن البراء الذي روى النهي فاخرج ابن ابي شيبة
بسند صحيح عن ابي السفر قال رأيت على البراء خاتما من ذهب وعن شعبة
عن ابي اسحاق نحوه اخرجه البغوي في الجعديات واخرج احمد من طريق
محمد بن مالك قال رأيت على البراء خاتما من ذهب فقال قسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم غنيمة فالبسنيه فقال البس ما كساك الله ورسوله
قال الحازمي اسناده ليس بذاك ولو صح فهو منسوخ قلت لو ثبت النسخ
عند البراء ما لبسه بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى حديث النهي
المتفق على صحته عنه فالجمع بين روايته وفعله اما بان يكون حمل
النهي على التنزيه او فهم الخصوصية له من قوله البس ما كساك الله
ورسوله وهذا اولى من قول الحازمي لعل البراء لم يبلغه النهي ويؤيد الاحتمال
الثاني انه في رواية احمد كان الناس يقولون للبراء لم تختم بالذهب وقد نهى
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذكر لهم هذا الحديث ثم يقول كيف
تأمروني ان اضع ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البس ما كساك
الله ورسوله انتهى واما خاتم الفضة فاباحه كثير من العلماء
اباحة مستوية الطرفين فلا ينافي حكاية غيره بالاجماع على الجواز لانه
يصدق بالكراهة التي قال بها بعضهم ولبسه النبي صلى الله عليه

وسلم وجماعة من اصحابه قال الرافعي يجوز للرجل التختم بالفضة
وكذا قال النووي في الروضة وغيرها بجوازه وكتب اصحابنا
طافحة مملوءة بجوازه من طفح الاناء اذا امتلا حتي فاض والمراد كثير القول في
كتبهم بالجواز المستوي وروي ابو داود وصححه ابن حبان من حديث
بريدة بضم الموحدة بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين واسكان
التحتية وموحدة قال الغساني وصحفه بعضهم فقال بفتح الخاء المعجمة وتقدم
ان النبي صلي الله عليه وسلم قال للابس خاتم الحديد مالي
اري عليك حلية اهل النار اي ما يتزين به اهلها فطرحه وقال
يا رسول الله من اي شي اتخذه قال اتخذه من ورق وفضة ولا تتمه
مثقالا بكسر فسكون درهم وثلاثة اسباع درهم واخرجه ايضا النسائي
والترمذي وقال غريب واخرجه احمد وابو يعلي في مسنديهما
والبزار في مسنده والضيا في الاحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين
وصرح ابن تيمية والزركشي وغيرهما بان تصحيح الضيا اعلا من تصحيح الحاكم
ورجاله رجال الصحيحين الا عبد الله بن مسلم السلمي المروزي قاضيها
المعروف بابي طيبة بفتح الطا المهملة فتحتية ساكنة فموحدة وهو محدث
مشهور قال في التقريب صدوق يهم من الثانية وتصحيح ابن حبان لحديثه
دال علي قبوله وكذا الضيا فاقل احواله انه يكون من درجة الحسن فتقوم
به الحجة والاصل في النهي كونه للتحريم ولان الاصل في استعمال الفضة
للرجال التحريم الا ما رخص فيه فاذا حد فيه حدا وجب الوقوف عنده
فيجب نقصه عن مثقال وان قل النقص ليخرج عن النهي وفي ما عداه علي
الاصل فلو نقص في ميزان وتم في اخر لم يجز علي هذا القول قاله شيخنا وقد
قال ابن الرفعة في باب ما يكره لبسه من كتابه الكفاية وينبغي ان
ينقص وزنه عن مثقال لان رسول الله صلي الله عليه وسلم راي
رجلا وساق الحديث المذكور وقوله ينبغي يصلح للوجوب وغيره
لاستعمالها في الامرين وحمله عليه اي الوجوب اولي لانه ساق الحديث
مساق اي سوق الاحتجاج لهذا الحكم فلا يصرف النهي عن حقيقته
الا بصارف وظاهر صنيع ابن الملقن في شرح منهاج النووي
يقتضيه فانه قال في زكاة النقد فرع في ابي داود وصحيح ابن حبان
من حديث بريدة انه عليه الصلاة والسلام قال لذلك الرجل وذكر
الحديث اي حديث بريدة فساقه سوق الفروع التي لا خلاف فيها
بين الاصحاب حيث لم يعزه لمعين وظاهر ذلك تحريم المثقال وفي
القوت للاذرعي بفتح الهمزة والراء وسكون الذال المعجمة نسبة الي اذرعات
بكسر الرا ناحية بالشام لم يتعرض اصحابنا الشافعية لمقدار الخاتم
ولعلهم اكتفوا بالعرف فما خرج عنه كان اسرافا كما قالوا في
الخلخال بفتح الخا للمراة ونحوه وهذا هو الذي اعتمده متاخرو الشافعية

ويليهم

ويليهم والهيثمي والصواب الضبط بما نص عليه في الحديث
الحديث وليس في كلامهم ما يخالفه هذا لفظه وهو يشير الي
هذا الحديث اي حديث بريدة اتخذه الخ وكذا مشي عليه ابن العماد في
التعقبات وعبارته واذا جاز لبس الخاتم فمشروطه ان لا يبلغ به
مثقالا للحديث انتهي وحاصل تطويله ان النهي للتحريم عند ابن الرفعة
والاذرعي وابن الملقن وابن العماد لكن قال الحافظ العراقي في شرح
الترمذي ان النهي في قوله ولا تتمه مثقالا محمول علي التنزيه
فيكره ان يبلغ به وزن مثقال والصارف له عن التحريم لم يذكره قال وفي
رواية صاحب المعالم هو الخطابي حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستي
الحافظ المشهور والمعالم شرحه لابي داود وسماه معالم السنن عنه اي عن ابي
داود لانه رواها عن ابي سعيد بن الاعرابي وابي بكر بن داسه عن ابي داود ولا
تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وليست هذه الزيادة في رواية ابي علي
محمد بن احمد اللؤلؤي لسنن ابي داود نسبة الي بيع اللؤلؤ ومعني هذه الزيادة
انه ربما وصل الخاتم بالنفاسة في صنعته الي ان يكون قيمته مثقال وان
لم يبلغ وزنه فهو داخل في النهي ايضا علي هذه الزيادة وقد افتي
السراج العبادي بانه يجوز ان يبلغ به مثقالا وان ما زاد عليه حرام
ففي فتواه حمل النهي علي التنزيه والمعتمد من مذهب مالك ندب الخاتم الفضة
ان قصد اتباع السنة في لبسه لا مباهاة او زينة وانه يجوز كونه درهمين لا ازيد
واما خاتم الحديد فاخرج ابو داود في سننه وفي نسخة في الخاتم من
سننه والبيهقي في شعب الايمان والادب وغيرهما من تصانيفه من
طريقه اي ابي داود والنسائي في كتاب الزينة من سننه وابن حبان في صحيحه
المسمي بالانواع والتقاسيم كلهم من حديث بريدة بن الحصيب ان رجلا اتي
النبي صلي الله عليه وسلم وعليه خاتم من شبه وهو بفتح المعجمة
والموحدة واسكانها وكسر المعجمة التي هي الشين قصد الفتان نوع من النحاس
كانت الاصنام تتخذ منه وسمي بذلك لشبهه بالذهب لونا فقال مالي
اجد اشم منك ريح الاصنام فضمن اجد معني اشم واطلق علي الاثر الذي
يدركه منه ريحا مجازا فطرحه وجا وعليه خاتم من حديد فقال
مالي اري عليك حلية اهل النار اي زي الكفار فطرحه وقال من اي شي
اتخذه قال اتخذه من ورق ولا تتمه مثقالا وهذا الحديث ذكره المص ثلاث مرات
لاختلاف غرضه منه وذكره مبدا بحث الخاتم مختصرا استدلالا علي كون الخاتم
من فضة وثانيا استدلالا علي كونه لا يزيد علي مثقال وثالثها هنا استدلالا
علي كراهة كونه من حديد او نحاس فهو حديث واحد والرجل الجائي واحد
بلا شك وتجويز انه غيره خطا وتصرف فيه المص بالاختصار والا فلا يصح
دعوي ان الراوي لم يذكر خاتم النحاس لعدم سماعه من المصطفي الا علي
عدم الوثوق علي الحديث واخرجه الترمذي لكنه قال من صفر

بضم الصاد المهملة واسكان النا والرابدل من شبه وهما بمعني
وهو نوع من جيد النحاس وروي عند ابن عدي عن ابن عباس اراد
صلي الله عليه وسلم ان يكتب الي الاعاجم يدعوهم الي الله فقال رجل انهم
لا يقراون كتابا الا مختوما فامر ان يعمل له خاتم من حديد فقال له جبريل
انبذه من اصبعك فنبذه وامر بخاتم من نحاس فقال له جبريل انبذه فنبذه
وامر بخاتم يصاغ له من ورق فجعله في اصبعه فاقره جبريل قال النووي
في شرح المهذب قال صاحب الابانة هو الفوراني يكره الخاتم من
حديد او شبه وتابعه صاحب البيان فقال يكره الخاتم من
حديد او رصاص او نحاس لحديث بريدة المذكور وقال صاحب
التتمة هو المتولي لا يكره الخاتم من حديد او رصاص لحديث الصحيحين
عن سهل بن سعد ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال للذي يخطبه
لهم بسيم الواهبة من نفسها للنبي صلي الله عليه وسلم وهي خولة بنت حكيم او
ام شريك او غيرهما علي ما تقدم في الزوجات حيث قالت جئتك لاهب لك نفسي
فنظر صلي الله عليه وسلم اليها وصوبه اي خفض راسه فلما طال مقامها قال
رجل زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة قال عندك شيء تصدقها فقال لا شيء قال انظر
شيئا فذهب ثم رجع فقال والله ان وجدت منه شيئا قال اطلب وفي رواية التمس خاتما
كان المطلوب او الملتمس خاتما من حديد فاصدقها اياه او فانه حسن او
جايز فحذف كان مع اسمها وجوابه لو قال ولو كان فيه كراهة لم ياذن فيه
فدل علي جواز التختم به بلا كراهة وتعقبه بانه لا يلزم منه جواز اللبس فيحتمل
انه اراد وجوده لتنتفع المراة بقيمته وفي سنن ابي داود باسناد جيد
اي مقبول عن معيقيب بضم الميم وعين وقاف بعد كل تحتية فموحدة ويقال
بحذف اليا الثانية تقدم قريبا وبعيدا في الكتاب الصحابي كان خاتمه عليه
الصلاة والسلام من حديد ملوي عليه فضة وفي كتاب الاحجار للتيفاشي
خاتم الفولاد مطردة للشياطين اذا لوي عليه فضة والمختار انه لا يكره
لهذين الحديثين وقال النووي في شرح مسلم في الكلام علي حديث
المراة الواهبة نفسها وفي هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم الحديد وفيه
خلاف للسلف بالجواز والكراهة حكاه القاضي عياض في شرح مسلم ولاصحابنا
الشافعية في كراهته وجهان اصحهما لا يكره لان الحديث في النهي
عنه ضعيف انتهي كلام النووي واعترض تضعيفه للحديث بتصحيح
ابن حبان والضيا وغيرهما له فاعتذر عنه المص بانه تضعيف نسبي لا
فقال ولعل تضعيف النووي للحديث انما هو بالنسبة الي مقاومة
حديث سهل بن سعد في الصحيحين وغيرهما في قصة الواهبة
نفسها لا مطلقا فمعني التضعيف نقدم خدشا عليه علي القاعدة
في تقديم مرويهما عند التعارض علي غيره وان كان صحيحا او حسنا كيف
يتوهم انه ضعفه مطلقا اي حقيقة وقوله في ذلك شواهد عدة انه لم

ترفعه

ترفعه الي درجة الصحة لم تدعه ينزل عن درجة الحسن قال بعض
فضلا الشافعية وهذا الاعتذار جري فيه علي عادة اهل القرن العاشر
من الانتصار لكلام النووي كيف ما كان والانصاف ان خبر النهي دليل صالح للكراهة
التنزيه وحديث الصحيحين بيان للجواز معها فلا معارضة ولذا رجح المالكية
كراهة الحديد ونحوه وانما يقدم خبر الشيخين عند تحقق المعارضة واما
خاتم العقيق كامير خرز احمر يكون باليمن وبسواحل بحر رومية جنس
كدر كما يجري من اللحم المملح وفيه خطوط بيض خفية من تختم به سكنت
روعته عند الخصام وانقطع عنه الدم من اي موضع وتحاكه جميع اصنافه
تذهب حفر الانسان ومحروقه يثبت متحركها الولحوق بها والجمع عقائق قاله
القاموس وعن انس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال تختموا
بالعقيق واليمين احق بالزينة وهذا رواه ابن عساكر وفي سنده مجهول
بل قال في اللسان فهو موضوع بلا ريب لكن لا ادري من وضعه وقال في الميزان
فيه حسين بن ابراهيم البابي راويه عن حميد عن انس وحسين لا يدري من هو
فلعله من وضعه وروي عند ابن عدي من طريق حسين المذكور عن حميد عن انس
بلفظ فانه ينفي الفقر قيل اراد به اتخاذ خاتم فضة من عقيق وقال ابن الاثير
يريد انه اذا ذهب ماله باع خاتمه فوجد به غني انتهي وورد بزيادة الديلمي عقبه
ينفي الفقر واليمين احق بالزينة وبحديث علي تختموا بالخواتيم العقيق فانه
لا يصيبه احدكم غم ما دام عليه رواه الديلمي وفيه داود بن سليمان كذبه ابن معين
فدل السياق علي ان المراد حقيقة التختم وهو جعله في الاصبع ولذا قال
بعضهم الاشبه انه صح الحديث ان يكون لخاصية فيه كما ان النار لا تؤثر فيه ولا تغيره
وان من تختم به امن الطاعون وتيسرت له امور المعاش ويقوي قلبه ويهابه
الناس ويسهل عليه قضا الحوائج قال السخاوي وكل هذا ممكن في العقيق لو
صح وقد قال ابن عدي راويه حديث باطل والحسين مجهول ومن ثم حكم ابن
الجوزي بوضعه واقره السيوطي في مختصره وروي يعقوب بن ابراهيم
ابن عبد الله الازدي نزيل بغداد له في الترمذي وابن ماجة يعني عن هشام
ابن عروة عن ابيه عن عايشة كما رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب من
طريقه قال السخاوي وتسمية ابيه ابراهيم تحريف علي بعض رواته وانما
هو الوليد كما اخرجه ابن عدي ايضا مرفوعا تختموا بالعقيق فانه
مبارك اي كثير الخير والضمير للتختم او نفس العقيق او المكان والاول هو
المتبادر لانه البركة تتبع الفعل اذ هو المحصل لها ويكفي في البركة نفي
الفقر اللازم معه نفي الهم اللازم معه الصحة ويعقوب متروك بل كذبه
احمد وابو حاتم وغيرهما قال الزركشي وروي تختموا بتحتية اي اسكنوا
العقيق واقيموا به وقال حمزة بن حسن الاصفهاني الرواة يروونه تختموا
وانما هو تخيموا وهو اسم واد بظاهر المدينة قال ابن الجوزي وهذا بعيد
وقابله احق ان ينسب اليه التصحيف لما ذكرنا من طرق الحديث انتهي لكن

قال الحافظ حمزة معذور فاذا افرمه طرق هذا الحديث كما يقتضيه كلام
ابن عدي رواية يعقوب المذكورة وهذا الوصف بعينه قد ثبت لوادي
العقيق في حديث عمر عند البخاري في الحج سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول بوادي العقيق اتاني الليلة آت من ربي فقال صل في هذا
الوادي المبارك انتهى وقال في زهر الفردوس يؤيده قول الاصبهاني ما
خرجه البخاري بلفظ اتاني جبريل صل في هذا الوادي المبارك يعني
العقيق وقال عمرة في حجة وفي الفتح روى احمد عن عائشة تختموا
بالعقيق فانه واد مبارك وهو يعني وتختنة امرا للتخيم اي النزول به
وروى ابو بكر بن شعيب عن مالك عن الزهري عن عمرو بن الشريد
عن فاطمة رضي الله تعالى عنها مرفوعا من تختم بالعقيق
لم يزل يرى خيرا اخرجه ابن حبان في الضعفا وقال ابن شعيب يروي
عن مالك ما ليس من حديثه لا يحل الاحتجاج به ولذا قال وهذا ايضا
لا يثبت قال السخاوي وهو عند الطبراني وابي نعيم وغيرهما من طرق سواه
ومع ذلك فهو باطل وكذا ورد فيه احاديث غير هذه كحديث عمر تختموا
بالعقيق فان جبريل اتاني به من الجنة وقال تختم به ومر امتك ان تتختم
به رواه الديلمي وهو موضوع وحديث علي من تختم بالعقيق ونقش فيه
وما توفيقي الا بالله وفقه الله لكل خير واحبه الملكان الموكلان به وهو
الذي قاله السخاوي وكلها كما قال الحافظ ابن رجب لا تثبت وان كثرت
طرقها وقال العقيلي لا يصح في التختم بالعقيق عن النبي صلى
الله عليه وسلم شي وما رواه المطرزي في اليواقيت ان ابراهيم الحربي سئل عنه
فقال انه صحيح وقال يروى ايضا بالتحتية اي اسكنوا العقيق واقيموا به فغير
معتمد بل المعتمد بطلانه كما قاله السخاوي قال السيوطي في مختصر الموضوعات
وامثل ما ورد في هذا الباب حديث البخاري في تاريخه من تختم بالعقيق لم
يقض له الا بالتي هي احسن انتهى فهذا اصل اصيل فيه وروى ابو عبد الله
الحسين بن محمد بن عبد الله بن فنجويه بفتح الفا وسكون النون وضم
الجيم وسكون الواو وفتح التحتية اخره فوقية روى السنن عن ابن
السني هكذا يقروه المحدثون كنظايره لانهم لا يحبون ويه واهل الادب
يفتحون الجيم والواو ويسكنون اليا في كتاب الخواتيم له باسناد ضعيف
عن علي مرفوعا من تختم بالياقوت الاصفر منع الطاعون
واسناده ضعيف تكرار بلا فايدة وحديث تختموا بالزبرجد فانه يسر
لا عسر فيه موضوع قاله الحافظ وحديث تختموا بالزمرد فانه ينفي الفقر
رواه الديلمي ولا يصح ويروى في الخاتم الذي فصه من ياقوت انه ينفي الفقر
ولا يصح ايضا قاله السخاوي واما فص بتثليث الفا ووهم الجوهري
في جعله الكسر لحنا كما في القاموس نعم قال ابن السكيت والفارابي انه
ردي خاتمه صلى الله عليه وسلم فاختلف هل كان منه ام من غيره واذا اردت

معرفة

معرفة ذلك فروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من
فضة زاد ابو داود كله فحديث معيقيب كان خاتمه من حديد ملويا عليه
فضة يحمل على التعدد جمعا بين الروايتين قاله المصنف تبعا للحافظ فصه
منه اخرجه البخاري وغيره كابي داود من رواية حميد عن انس قال
العراقي لم ينقل كيف كانت صفة الخاتم امربعا ام مثلثا ام مدورا الا ان التربيع
اقرب الى النقش فيه وحميد الراوي سيل عن ذلك فلم يدر كيف كان انتهى وقال
ابن بطال ليس كون نقش الخاتم ثلاثة اسطر او سطرين افضل من كونه
سطرا واحدا قال الحافظ قد يظهر اثر الخلاف في انه اذا كان سطرا واحدا
يكون الفص مستطيلا لضرورة كثرة الاحرف فاذا تعددت الاسطر امكن
كونه الاحرف فاذا انفردت الاسطر امكن كونه مربعا او مستديرا وكل منهما
اولى من المستطيل وفي صحيح مسلم والسنن من طريق ابن شهاب عن انس
ان خاتمه صلى الله عليه وسلم كان من ورق وكان فصه حبشيا
قال النووي قال العلما يعني حجرا حبشيا اي فصا من جزع بسكون
الزاي خرز يماني فيه بياض وسواد يشبه به الاعين او عقيق فان
معدنهما بالحبشة واليمن انتهى وهذا اقرب مما قيل ان معدنهما من
اليمن وهي من الحبشة او انه لونه حبشي اي احمر يميل الى السواد او صانعه حبشي
او مصنوعا كصنع الحبشة هذا عصارة ما في الزبر المتداولة والوجه الذي لا محيد
عنه ما قاله الجلال السيوطي وغيره اعتمادا على ما في مفردات ابن البيطار ان
الحبشي نوع من الزبرجد يكون ببلاد الحبش لونه يميل الى الخضرة من خواصه
انه يصفي ويجلو ظلمة البصر فان صح انهم كانوا يعنون بالحبشي العقيق
او نحوه من الحجارة فيكون له خاتمان احدهما فصه عقيق او نحوه
والاخر فصه فضة فلا تعارض بين روايتي مسلم والبخاري وبهذا جمع
البيهقي فقال في الشعب حديث كان فصه حبشيا فيه دلالة على انه كان
له خاتمان احدهما فصه حبشي والاخر فصه منه ان كان الزهري حفظ حديث
من ورق والاشبه بساير الروايات ان الذي كان فصه حبشي هو الذي اتخذه من
ذهب ثم طرحه والذي فصه منه هو الفضة وفي حديث معيقيب كان خاتمه
من حديد ملوي عليه فضة فربما كان في يده وليس في شي من الاحاديث انه ظاهر
بينهما انتهى اي لبسهما معا ووافقه على هذا الجمع ابن العربي والقرطبي والنووي
قال الحافظ وهو اظهر وفي شرح مسلم للنووي حكاية عن بعضهم فانه
قال قال ابن عبد البر رواية فصه منه اصح وقال غيره كلاهما صحيح وانه صلى
الله عليه وسلم كان له في وقت خاتم فصه منه قال وفي حديث اخر
فصه من عقيق انتهى كلام النووي وتعقبه ابن جماعة بانه يحتاج الى
اثبات ذلك اذ لم ينقل احد انه كان له خواتيم ولا انه اتخذ ولا لبس غير واحد وبان
العقيق يبعد ان ينقش عليه ورد نفيه بانه معارض بالكثيرة الظاهرة في
التعدد والانفراد صحت وبان الاستبعاد لا يمنع الوقوع لكن لم يرو عنه عليه

الصلاة والسلام انه لبس خاتما كله تاكيد لخاتما عقيقا نعته له وهو
استدراك لدفع توهم انه لما امر بالعقيق وان لم يثبت ان خاتمه كله عقيق
وان اقتصاره على الفص لانه في مقابلة رواية فصه منه ومعناه كما فيه
واما نقش خاتمه عليه الصلاة والسلام ففي صحيح مسلم والبخاري
كلاهما عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع خاتما
اي امر بصنعه يعلى بن منبه كما مر من رواية الدارقطني وغيره وما روي ان معاذا
بعث اليه بخاتم من ورق فصه حبشي كتب عليه محمد رسول الله لم يثبت ومع
ذلك هو اقرب للصواب مما روي انه قدم به على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
امن كل شي من معاذ حتى خاتمه وهو غلط لان معاذا لم يتقدم من اليمن الا بعد
وفاة المصطفى ومثله لا يعادل ما في الصحيحين فلا يقال انه معارض لرواية
ان معاذا بعث بها او قدم به عليه من ورق وفي رواية للبخاري اتخذ خاتما من
ورق ونقش فيه محمد رسول الله وقال للناس اني اتخذت خاتما من
فضة ولفظ البخاري من ورق ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش
بالجزم على النهي وفي رواية ينقشن بنون التوكيد الثقيلة احد على نقشه
حال من الفاعل لانه نكرة في سياق النفي او صفة مصدر محذوف اي نقشا كائنا على
نقشه ومر انه قاله الطيبي وقال الزين العراقي هل قصد به اسمه فقط فرسول الله
صفة لمحمد لا خبر له ويكون كما لو كتب محمد بن عبد الله كما نقش ابن عمر على خاتمه عبد
الله ابن عمر فيكون المبتدا محذوف اي مالكه او صاحبه محمد رسول الله وكانه رمز به
الى صاحبه كما رمز في كتب الحديث الى صاحب تلك الرواية بكتابة اسمه عليها واريد به
الاتيان باحدى كلمتي الشهادة على انه مبتدا وخبر وعليه فهل اريد بعض القران
فيكون فيه حجة على جواز ذلك ويدل على انه اريد احدى كلمتي الشهادة الحديث
الوارد في نقش كلمتي الشهادة على الخاتم قال الترمذي معنى قوله لا تنقشوا
عليه نهى ان ينقش احد على خاتمه محمد رسول الله لانه كان يختم به
للملوك فلو نقش غيره مثله لادى الى الالباس والفساد وما روي ان معاذا نقش
على خاتمه محمد رسول الله لم يثبت وعلى فرض الثبوت فهو قبل النهي او خصوصية
لمعاذ وفي رواية للنسائي عن انس اتخذ خاتما من ورق فصه حبشي
ونقش فيه محمد رسول الله وهذه الرواية صحيحة ترد رواية ان معاذا بعثه
من اليمن وفي رواية البخاري والترمذي كلاهما في اللباس عن انس ان
ابا بكر لما استخلف كتب له مقادير الزكاة وكان نقش الخاتم ثلاثة اسطر
محمد سطر ورسول بالتنوين وعدمه على الحكاية سطر والله برفعه وجره
حكاية سطر قال في فتح الباري ظاهره انه لم يكن فيه زيادة على
ذلك وروى ابن سعد هذا الحديث من مرسل ابن سيرين وقال فيه بسم الله محمد
رسول الله قال الحافظ ولم يتابع على هذه الزيادة قال واما ما اخرجه عبد الرزاق
عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل انه اخرج له خاتما وزعم انه صلى الله عليه
وسلم كان يلبسه فيه تمثال اسد قال معمر فغسله بعض اصحابنا فشربه ففيه

مع

مع ارساله ضعف لان ابن عقيل مختلف في الاحتجاج به اذا انفرد هو
وبفرض ثبوته لعله لبسه مرة قبل النهي واخرج ابو الشيخ في الاخلاق
النبوية من رواية عرعرة بن البرند بكسر الموحدة والراء بعدها نون بعد
عزرة بفتح المهملة وسكون الزاي بعدها راء ابن ثابت عن ثمامة عن انس
قال كان فص خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم حبشيا مكتوب عليه
لا اله الا الله محمد رسول الله وعرعرة ضعفه ابن المديني وزيادته هذه
شاذة انتهى وظاهره انه كان على هذا الترتيب لكن لم تكن كتابته
على الترتيب العادي فان ضرورة الاحتياج الى ان يختم به تقتضي
ان تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا قال بعضهم
قد يقال هذا تعويل على العادة واحواله صلى الله عليه وسلم خارجة عن طورها
بل في تاريخ ابن كثير عن بعضهم ان كتابته كانت مستقيمة وكانت تطبع كتابته
مستقيمة واما قول بعض الشيوخ يعني الاسنوي انه كتابته كانت من
اسفل الى فوق يعني الجلالة اعلا الاسطر الثلاثة ومحمد اسفلها و
وانه يقرا من اسفلها فلم ار التصريح بذلك في شي من الاحاديث بل رواية
الاسماعيلي يخالف ظاهرها ذلك فانه قال محمد سطر والسطر
الثاني رسول والسطر الثالث الله فلا يقبل دعوى الاسنوي خصوصا مع
قوله في حفظي فلم ينقله فضلا عن كونه رواية وان تبعه ابن رجب حيث قال ما لفظه
ورد ان اول الاسطر كان الله ثم الثاني رسول ثم الثالث محمد انتهى فعليه بيان قوله
ورد ونا قيد ابن جماعة لذلك بانه اليق بكمال ادبه رد بان الاليق اتباع التنزيل
وهو فيه محمد رسول الله والتقديم اللفظي اقوى من الخطي وعن ابن عمر
انه صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه في يمينه فلما قبض صار في
يد ابي بكر في يمينه فلما قبض صار في يد عمر في يمينه ثم صار في يد
عثمان في يمينه ثم ذهب يوم الدار اي يوم قتل عثمان في داره عليه لا اله
الا الله رواه بركة بن محمد الحلبي كما حكاه ابن رجب في كتابه الخواتيم
ثم قال وهي رواية ساقطة جدا فان بركة مذكور اي مرمي بالكذب في الحديث
وفي لفظه هنا ما يدل على بطلانه وهو قوله ذهب يوم الدار عليه
لا اله الا الله فانه انما سقط في بير اريس قبل الدار في عهد عثمان
بعده مرة واتخذ له خاتما عوضه وانما كان نقشه اي الخاتم الذي اتخذه
محمد رسول الله لا كلمة الاخلاص كما اخرجه ابو داود والنسائي في حديث
ابن عمر بلفظ فاتخذ عثمان خاتما ونقش فيه محمد رسول الله فكان يختم به وله
شاهد في طبقات ابن سعد من مرسل علي بن الحسين وكذا كان نقش الخاتم النبوي
كما في الصحيحين وغيرهما فلا عبرة بهذه الرواية كرواية انه كان فيه كلمتا الشهادة
معا ورواية ابن سعد عن ابي العالية ان نقشه صدق الله ثم الحق الخلفاء محمد رسول
الله وفي الاكليل للحاكم مرفوعا اتخذ ادم خاتما ونقش فيه لا اله الا الله محمد رسول
الله وفي نوادر الاصول ان نقش خاتم موسى لكل اجل كتاب وفي الطبراني مرفوعا

كان فص خاتم سليمان سماويا فالقي اليه فاخذه فوضعه في خاتمه وكان نقشه
انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي **تنبيه قال شيخ الاسلام**
قاضي القضاة بمصر **الشرف** اي شرف الدين يحيى بن محمد **المناوي** بضم الميم
ولد سنة ثمان وتسعين وسبعماية ولازم الولي العراقي وتخرج به في الفقه والاصول
وسمع الحديث عليه وعلى الشرف بن الكويك وتصدى للاقراء والافتاء وتخرج به الاعيان
وولي تدريس الشافعي وله تصانيف وتوفي ليلة الاثنين ثاني عشر جمادى الاخرة
سنة احدى وسبعين وثمان ماية ورثاه تلميذه الحافظ السيوطي بعد ما قال
انه اخر علماء الشافعية ومحققيهم بقوله **قلت** لما مات شيخ العصر حقا
باتفاق **حين** صار الامر ما بين جهول وفساق **ايها الدين** لك الويل الى يوم
التلاق **وتحصل السنة بلبس الخاتم مع الملك** وبينه بقوله **ولو مستعارا
او مستاجرا** اذ المدار على اللبس فلا فرق بين ملك الذات او المنفعة ويحتمل ان يعني
الاطلاق سواء كان في ملك اليمين او اليسرى وقواه شيخنا في التقرير بان التاسيس
خير من التاكيد **لكن الاوفق للسنة الملك والاستدامة على ذلك** لانه
ظاهر الاحاديث **ويجوز تعداد الخواتيم اتخاذا واما الاستعمال فمفهوم
كلام الرافعي عدم الجواز** لانه لم يات في رواية انه صلى الله عليه وسلم لبس خاتمين
معا كما مر عن البيهقي **وبه صرح المحب الطبري فقال في المتحة انه لا يجوز
للرجل ان يلبس خاتمين من فضة في يديه او في احدهما لان استعمال
الفضة حرام الا ما وردت به الرخصة ولم ترد الا في خاتم واحد لكن
ذكر الخوارزمي** بضم الخاء المعجمة وكسر الراء وسكون الزاي **في الكافي انه يجوز له
ان يلبس زوجا** اي خاتمين **في يد وفردا** اي واحدا **في الاخرى فان لبس في كل واحدة
زوجا فقال الصيدلاني في الفتاوي لا يجوز وقال الاذرعي في الاستذكار
يكره للرجل لبس فوق خاتمين فاقتصاره على الكراهة يدل على عدم
الحرمة فاذا تقرر ذلك فالمسيلة ذات خلاف والذي يظهر كلام المحب
الطبري** وهو مذهب مالك ولو كان وزن المتعدد درهمين **فان سامحنا اعتمدنا
على ما افتى به الصيدلاني** والمعتمد عند الشافعية جواز التعدد اتخاذا ولبسا
بشرط ان لا يعد سرفا **ويجوز التختم في اليمين واليسار** وتحصل السنة بكل منهما
**واختلف الناس في افضلها فقيل اليسار وهو نص الامام احمد في رواية
صالح قال التختم في اليسار احب الي وهو مذهب الامام مالك ويروى انه
كان يلبسه في يساره وكذلك الامام الشافعي في صحيح مسلم عن انس
كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه واشار الى الخنصر من يده
اليسرى** فهذه حجة الايمة الثلاثة ومن وافقهم لصحته قال النووي اجمعوا على ان
السنة للرجل جعله في خنصره وحكمته انه ابعد عن الامتهان فيما يتعاطى باليد
وانه لا يشغل اليد عما تتناوله بخلاف غير الخنصر انتهى **وفي سنن ابي داود عن
ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يساره** فهذا من ادلتهم ايضا
وروى اسماعيل بن مسلم عن السليطي بفتح السين المهملة وكسر اللام
وسكون

وسكون التحتية وطا نسبة الى جده الاعلى اذ هو محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن
ابراهيم ابن عبده بن قطن بن سليط التميمي السليطي النيسابوري كان شيخا
صالحا كذا في اللباب فتشرح به الشارح ما هنا ولا يصح اذ هذا الشيخ لم يرو عنه
اسماعيل بن مسلم ولا هو بصحابي فحمله عليه بنا بد قوله **قال انبت النبي صلى
الله عليه وسلم في ليلة قمرا** ذات قمر **وكاني انظر الى عكن** بضم ففتح جمع
عكنة طيات **بطنه** من السمن **وكانها القباطي** بضم القاف جمع قبطي بقبطية
بضمها ثوب من كتان رقيق يعمل بمصر نسبة الى القبط بالكسر على غير قياس
فرقا بين الثوب والانسان **والى وبيص** بفتح الواو وكسر الموحدة وسكون التحتية
ومهملة بريق ولمعان **خاتمه في يساره واسماعيل هذا قال البخاري تركه
ابن المبارك** عبد الله **وربما** قليلا **روى عنه** وضعفه منجبر بشواهده **وقد
ذكر بعض الحفاظ كما افاده الحافظ ابن رجب ان التختم في اليسار روي
عن عامة الصحابة والتابعين** فهو القوي وعورض هذا بقول الحافظ تبعا
لشيخه العراقي ورد تختمه في اليمين من رواية تسعة من الصحابة وفي اليسرى من
رواية ثلاثة ورد بان العراقي نفسه نقل التختم في اليسار عن الخلفا الاربعة وابن عمر
وعمر وابن حريث فهو لاستة على ان اصل المعارضة ساقط لان معنى كونه مرويا عن
عامتهم انهم قايلون بافضليته على اليمين لا انهم نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم
**ورجحت طايفة التختم في اليمين وهو قول ابن عباس وعبد الله بن
جعفر** رضي الله عنهم **وروى حماد بن سلمة** بن دينار البصري الثقة العابد روى
له مسلم والاربعة وما يقع في نسخ من زيادة ابي قبل سلمة خطا فليس لهم من يسمى بذلك
قال رايت ابن ابي رافع بالراء قال في التقريب عبد الرحمن بن ابي رافع شيخ لحماد بن سلمة
مقبول من الرابعة روى له الاربعة انتهى وقال البخاري في حديثه مناكير **يتختم في
يمينه فسالته عن ذلك فقال رايت عبد الله بن جعفر** بن ابي طالب
يتختم في يمينه زاد في رواية لابي الشيخ وقبض والخاتم في يمينه **وقال** عبد الله
ابن جعفر **كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه رواه احمد
والنسائي وابن ماجة والترمذي** كذا في نسخة صحيحة كالمروي عند
الجماعة المذكورين وما يقع في غالب النسخ من اسقاط قوله فسالته الى قوله
وقال كان سقط من الناسخ ويلزم منه ان الحديث مرسل اذ عبد الرحمن تابعي
صغير وهو خلاف الواقع فانه حدث به عن ابن جعفر موصولا كما رايت زاد
في رواية ويقول الزينة احق باليمين من الشمال **وقال الترمذي قال محمد يعني
البخاري هذا اصح شيء روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب**
اي باب تختمه باليمين ولا يلزم منه الصحة الحقيقية فلا ينافي قوله في ابن ابي رافع
له مناكير وفي الشمايل للترمذي حدثنا زياد بن يحيى عن عبد الله بن ميمون
عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في
يمينه وهذا فيه ضعف لحال عبد الله بن ميمون بن داود القداح المخزومي المكي
قال البخاري ذاهب الحديث وقال ابو حاتم متروك وقال ابو زرعة واه وابن

حبان لا يجوز الاحتجاج به ويروى من حديث عباد بفتح المهملة والموحدة
الثقيلة بن صهيب عن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن ابيه محمد
ابن علي بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال قبض ما نبي رسول
الله صلى الله عليه وسلم والخاتم في يمينه وعباد بن صهيب
متروك قاله البخاري وابو حاتم والنسائي وقال ابن المديني ذهب حديثه
وقال ابن حبان يروي المناكير عن المشاهير حتى يشهد المبتدي في الصناعة
انها موضوعة ورجع وقال الامام احمد ما كان بصاحب كذب وقال ابو داود
هو صدوق فيما قدريه وجمع الحافظ في اماليه بانه كان لا يتعمد الكذب
بل يقع ذلك في روايته من غلطه وغفلته ولذا تركوه وروى البزار في
مسنده من حديث عبيد بن القاسم الاسدي الكوفي يقال هو ابن
اخت سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وعبيد هذا
كذابه كذبه ابن معين واتهمه ابو داود بالوضع ثم يجيء من المص رحمه الله تعالى
في سوقه هذه الاحاديث الضعيفة جدا والتي لا تحتملوا احتجاجا للقول بان
التختم في اليمين افضل الموهم انه ليس في الصحيحين وقد روى البخاري والترمذي
عن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه ورواه مسلم والنسائي
عن انس فهذا هو الذي يقاوم حديث مسلم كان خاتمه في هذه واشار الى
الخنصر من يده اليسرى كما مر ولذا اختلف الائمة في ايهما افضل قال الحافظ
ابن رجب وقد جاء التصريح بان تختمه عليه الصلاة والسلام في
يساره كان اخر الامرين في حديث رواه سليمان بن محمد بن يحيى بن
عروة بن الزبير الاسدي او هو الانصاري الحارثي المدني وكلاهما مقبول من
طبقة واحدة عن عبد الله بن عطا الطايفي الكوفي صدوق يخطي ويدلس
عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه
ثم انه حوله الى يساره اخرجه ابن عدي وابو الشيخ واعتمد ذلك البغوي في
شرح السنة فجمع بها بين الاخبار ونقضه الطبري بان ظاهره النسخ وليس بمراد
وقال الحافظ لو صح هذا لكان قاطعا للنزاع لكن سنده ضعيف انتهى وله شاهد
عند ابن عساكر عن عايشة باسناد ضعيف ايضا وجمع البيهقي بين احاديث تختمه
في يمينه واحاديث تختمه في يساره بان الذي لبسه في يمينه خاتم الذهب ثم نبذه كما في
حديث ابن عمر والذي في يساره خاتم الفضة قال واما رواية الزهري عن انس ان الذي
في يمينه خاتم الفضة فكانها خطا فقد تقدم ان الزهري وهم في الخاتم الذي طرحه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه فضة وان الذي في روايات غيره انه ذهب
وعلى هذا فالذي كان لبسه في يمينه هو الذهب انتهى ملخصا وقال وكيع
التختم في اليمين ليس بسنة وانما فعله لبيان الجواز فلا يرد عليه الاحاديث
وقال ابن ابي حاتم سالت ابا زرعة عن اختلاف الاحاديث فقال لا يثبت هذا ولا
هذا لكن في يمينه اكثر قاله الحافظ ويظهر لي ان ذلك يختلف باختلاف القصد

فان قصد للتزين به فاليمين افضل وان كان للتختم فاليسار اولى لانه يكون
كالمودع فيها ويحصل تناوله منها باليمين وكذا وضعه فيها ويترجح اليمين
مطلقا بان اليسار الة الاستنجا فيصان الخاتم اذا كان في اليمين عن ان
تصيبه النجاسة ويترجح التختم في اليسار بالتناول وجنحت طايفة الى
استوا الامرين وجمعوا بذلك بين مختلف الاحاديث ونص الامام احمد
انه يكره التختم في السبابة والوسطى لمخالفة السنة وروى في الشعب عنها
شي لانها للتضييق وهذا صحيح رواه مسلم وابو داود والترمذي عن علي
قال نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتختم في هذه او هذه
واومى الى السبابة والوسطى وقال ابن جماعة في الصحيحين نصين
الخنصر بل في مسلم وابي داود النهي عن لبسه في السبابة والوسطى ولم
يثبت في الابهام والبنصر منها شي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن صحبه
فثبت ندبه في الخنصر فقط انتهى والله اعلم بالحق من ذلك وفي اللباب
وكان عليه الصلاة والسلام يتختم كما دلت عليها الاحاديث الكثيرة صريحة
وما في بعضها مما يدل على عدم لبسه فقال البيهقي انها مخالفة للاثبات
وللاحاديث الصحيحة وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يستذكر به
الشي كما رواه الدارقطني وضعفه عن رافع بن خديج رايت في يد النبي صلى الله عليه
وسلم خيطا فقلت ما هذا فقال استذكر به ورواه ابن عدي بسند ضعيف
من حديث واثلة مثله بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد حاجة
اوثق في خاتمه خيطا ليذكرها به وروى ابو يعلى وابن سعد وغيرهما
عن ابن عمر كان اذا اشفق من الحاجة ان ينساها ربط في اصبعه
خيطا ليذكرها وفي رواية ابن سعد ربط في خنصره او في حلقة خاتمه الخيط
والذكر والنسيان من الله لكن ربط الخيط سبب من الاسباب لانه نصب العين
فاذا راه ذكره ما نسي فهذا سبب موضوع دبره الله لعباده كسائر الاسباب
كجوز الاشيا بالابواب والاقفال ونحوها واهل اليقين وهم الانبيا لا تضرهم الاسباب
بل يتعين فعلها عليهم للتشريع والنسيان كما قال بعض العارفين من كمال العرفان
لان الله نزه نفسه عنه وجعله من حقيقة العبد وكذا هو في رابع الخلعيات
بكسر الخا وفتح اللام وهو عشرون جزا جمعها احمد بن الحسن الشيرازي وسماها
الخلعيات خرجها عن ابي الحسن علي بن الحسين الموصلي الخلعي نسبة الى بيع
الخلع لانه كان يبيعها لملوك مصر وبها ولد سنة خمس واربعماية وكان فقيها شافعيا
صالحا له كرامات وتصانيف وروايات متسعة وكان اعلى اهل مصر اسنادا وولي القضا
بها يوما واحدا ثم استعفى ولحق بالقرافة ومات بمصر سنة اثنين وتسعين واربعماية
لكن فيه سالم بن عبد الاعلى ابو الفيض رواية عن نافع عن ابن عمر رماه ابن
حبان بالوضع بل اتهمه ابو حاتم بهذا الحديث فقال ابنه سالت ابي عنه فقال
انه باطل وسالم ضعيف وهذا منه وقد قال الدارقطني انه تفرد به وروى ابن شاهين
في الناسخ له النهي عنه وكذا فعله ثم قال وجميع اسانيده يعني في الطرفين منكرة

ولا اعلم شيا منها صحيحا واما السراويل قال ابن سيده فارسي معرب يذكر
ويؤنث ولم يعرف ابو حاتم السجستاني التذكير والاشهر عدم صرفه قاله
الحافظ والتانيث اكثر وفي القاموس فارسية معربة وقد تذكر جمع سراويلات او جمع
سروال وسروالة او سرويل بكسرهن وليس في الكلام فعويل على غيرها والسراوين
بالنون لغة في السراويل والشروال بالشين لغة يعني المعجمة وفي المصباح الجمهور
سراويلات فاختلف هل لبسها النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فجزم
بعض العلما بانه عليه الصلاة والسلام لم يلبسه ويستانس له بما
تقدم به لنا فانا نظن انه كذلك بما جزم به النووي في ترجمة عثمان بن
عفان رضي الله عنه من كتابه تهذيب الاسما واللغات انه رضي
الله عنه لم يلبس السراويل في جاهلية ولا اسلام الا يوم قتله
مخافة ان تظهر عورته بعده لشفقته وقوعه باخباره صلى الله عليه وسلم وعلل
الاستيناس بقوله لكن قد ورد في حديث عند ابي يعلى الموصلي بسند
ضعيف جدا عن ابي هريرة قال دخلت السوق يوما مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجلس الى يعني عند البزاز بزاين او بغير منصبا في جلوه
البهم نسبة الى البز الثياب او متاع البيت من ثيابه ونحوها وبايعه البزاز قاله في
القاموس وقول المصباح لا يقال بزاز اي قياسا لانه اذا زيد على المنسوب اليه يا النسب
فقياسه بزي لا بزاز لكنه سماعي فاشترى سراويل باربعة دراهم وفي
الاحيا بثلاثة دراهم قال الحافظ ولي وكان لاهل السوق وزان يزن
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتزن وارجح اي زن الثمن
وارجحه يقال وزن المعطي واتزن الاخذ فقال الوزان ان هذه الكلمة ما
سمعتها من احد لما فيها من مساهلة المشتري وكيسه مع البايع على خلاف
عادة الناس لا من جهة الصنعة قال ابو هريرة فقلت له كفى بك من الوهن
الضعف والجفا بالمد ضد البر في دينك ان لا تعرف نبيك اذ لو عرفته ما
استغربت مساهلته اذ عادته الرفق والانصاف كيف وقد قال احب الله عبدا
سمحا اذا باع سمحا اذا اشترى فالمراد لومه بان عدم معرفته بنبيه دليل على
عدم اعتنايه بدينه وتساهله في امره حيث لم يحرص على سماع الاحكام والمواعظ
منه فطرح الميزان ووثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان
يقبلها فجذب يده رسول الله وقال يا هذا انما تفعل هذه الاعاجم
بملوكها جمع اعجم لحرصهم على الكبر والعظمة فالمراد نفس العجم وان كان لغة
من لا يفصح ولا يبين كلامه وان عربيا ففيه مجاز لان اللكنة لما غلبت في
العجم دون العرب اطلق ذلك هنا ولست بملك انما انا رجل منكم فزن
وارجح المناسب لغة اتزن لانه اخذ للثمن فلعله عبر بوزن لانه وزنه لبيعه
للبايع واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل قال ابو
هريرة فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشي احق بشيه اصله
بالهمزة قلبت يا وادغمت فيها اليا ان يحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه

فبعينه

فبعينه اخوه المسلم قال ابو هريرة قلت يا رسول الله فانك لتلبس
قال اجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فاني امرت بالستر فلم
احد شيا استر منه وكذا اخرجه ابن حبان في الضعفا عن ابي يعلى
ورواه الطبراني في الاوسط والدارقطني في الافراد بفتح الهمزة
والعقيلي في الضعفا ومداره مرجعه وان تعددت طرقه على يوسف
ابن زياد الواسطي اي انه تفرد به وهو واه لا يحتمل تفرده بل بالغ ابن الجوزي
فذكر الحديث هذا في الموضوعات وتعقبه السيوطي واقتصر الحافظ وغيره على
انه ضعيف فقط لكن قد صح شرا النبي صلى الله عليه وسلم له للسراويل
من غير هذا الطريق فقد روى احمد واصحاب السنن الاربعة وصححه ابن حبان
عن سويد بن قيس قال جلبت انا ومخرفة العبدي بزا من هجر فاتينا مكة فجانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى فساومنا سراويل فبعناه منه فوزن
ثمنه وقال للوزان زن وارجح وروى النسائي واحمد عن ابي صفوان مالك بن عميرة
الاسدي انه باع من النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر رجل سراويل فلما
وزن له ارجح له وهذه القصة غير التي ساقها المص لانها بعد الهجرة اذ ابو
هريرة انما جا في خيبر قال في الاصابة مالك بن عميرة بفتح العين وقيل عمير مصغر
لا ها حديثه يشبه حديث سويد بن قيس فقيل انهما واحد اختلف في اسمه وفي
الهدي والظاهر انه صلى الله عليه وسلم انما اشتراه ليلبسه قال الحافظ
وما كان ليشتريه عبثا وان كان غالب لبسه الازار ويحتمل انه اشتراه لغيره وفيه بعد
وقد روي انه لبس السراويل في الحديث الضعيف السابق للمص غريبا ولزام منه
وكانوا يلبسونه في زمانه وباذنه اي بهذا تايد الاستظهار وقال ابو عبد الله
الحجازي احمد بن محمد بن علي بن حسن بن ابراهيم الانصاري الخزرجي الفاضل
الاديب الشاعر البارع الم اجاز له العراقي والحسيني ومات سنة خمس وسبعين
وثمانمائة في حاشيته على الشفا وما قاله في الهدي من انه صلى الله
عليه وسلم لبس السراويل قالوا سبق قلم تبرا منه لانه لم يجزم بذلك وانما
قال الظاهر من شرايه ذلك وهذا صحيح قاله المكي بل قال الشامي يريد ابن القيم
ان البيهقي في الشعب وابن الجوزي في الوفا وغيرهما من العلما اوردا الحديث في باب
ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه وقد اورد ابو سعيد النيسابوري
بفتح النون نسبة الى نيسابور اشهر مدن خراسان ذكر الحديث في تجارته صلى الله
عليه وسلم من كتابه شرف المصطفى ولا دلالة فيه على لبسه وقد ترجم البخاري
في كتاب اللباس من صحيحه باب السراويل واورد فيه حديث المحرم
وهو قال رجل يا رسول الله ما تامرنا ان نلبس اذا احرمنا قال لا تلبسوا القميص
والسراويل والعمايم والبرانس والخفاف الا ان يكون رجل ليس له نعلان فليلبس
الخفين اسفل من الكعبين لكونه لم يرد فيه شي على شرطه واكتفى بما دل عليه
الحديث ان الحلال يجوز له لبس السراويل وروى ابو نعيم عن ابي هريرة مرفوعا اول
من لبس السراويل ابراهيم الخليل قيل ولذا كان اول من يكسى يوم القيامة كما في الصحيحين

وروى الترمذي وقال غريب عن ابن مسعود رفعه كان على موسى يوم كلمه ربه
كساء صوف وكمة صوف وجبة صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار
ميت والكمة بالضم القلنسوة الصغيرة صححه الحاكم ورده المنذري **واما**
الخف فروى الترمذي عن بريدة بن الحصيب **ان النجاشي** بفتح النون
على المشهور وحكى الاصابة **اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم خفين**
اسودين ساذجين بفتح الذال المعجمة وكسرها اي غير منقوشين او لا شعر
عليهما او على لون واحد لم يخالط سوادهما لون اخر قال الولي العراقي وهذه
اللفظة تستعمل في العرف كذلك ولم اجدها في كتب اللغة بهذا المعنى ولا رايت
المصنفين في غريب الحديث ذكروها وقال العصام الساذج معرب ساده **فلبسهما**
بفا التفريع او التعقيب ففيه ان المهدى اليه ينبغي له التصرف في الهدية عقب وصولها
بما اهديت لاجله اظهارا لقبولها ووقوعها الموقع ووصولها وقت الحاجة اليها
واشارة الى تواصل المحبة بينه وبين المهدي حتى ان هديته لها مزية على ما عنده
وان اعلاه وعلا ولا ينحصر ذلك في التالف ونحوه بل مثله من يعتقد صلاحه او علمه
او يقصد جبر خاطره او دفع شره او نفوذ شفاعته عنده في مهمات الناس واشباه
ذلك **ثم توضأ ومسح عليهما** ففيه جواز المسح على الخفين وهو اجماع من يعتد به
وقد روى المسح ثمانون صحابيا وهو متواتر وقبول الهدية حتى من اهل الكتاب فانه
اهدى له قبل اسلامه كما قاله ابن العربي واقره الزين العراقي **وعن المغيرة ابن**
شعبة قال اهدى دحية الصحابي **للنبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما**
وهذا الحديث رواه الترمذي عن شيخه قتيبة عن يحيى بن زكريا عن الحسن ابن
عياش عن ابي اسحاق الشيباني عن الشعبي عن المغيرة وعقبه بقوله **وقال اسرائيل**
فيحتمل التعليق والوصل بان يكون من مروي قتيبة عن يحيى عن الحسن عن اسرائيل
وهو ابن يونس بن ابي اسحق السبيعي الهمداني ابو يوسف الكوفي ثقة تكلم فيه بلا حجة
روى له الستة مات سنة ستين ومائة وقيل بعدها **عن جابر** بن يزيد الجعفي شيعي
تركه الحفاظ ووثقه شعبة فشذ **عن عامر** الشعبي التابعي المشهور الثقة قال
الحافظ العراقي ولم يبين الترمذي هل هذه الزيادة من رواية عامر عن المغيرة كالرواية
الاولى او من رواية الشعبي مرسلة او من رواية الشعبي عن دحية قال ولا اراها الا
من رواية الشعبي عن دحية من غير طريق اسرائيل **وجبة** بضم الجيم عطف على
خفين اي اهدى له خفين وجبة **فلبسهما** اي الخفين كما يشعر به اذكيان
ويصح عوده للخفين والجبة وزعم ان الحرف انما يقال للخفين لا الجبة يحجب
حتى تخرقا لا يدري النبي صلى الله عليه وسلم اذكيان بفتح الهمزة
والذال المعجمة وكسر الكاف وشد التحتية والف ونون خبر قوله **هما** وفي نسخة
اذكيا هما بذال معجمة من الذكا بمعنى الذبح اي اهما مما ذكي ذكاة شرعية **ام لا** نظير
انائم الزيدان ومعنى الثلاثة واحد اذ المراد لا يدري هل الخفان من حيوان
مذكى ام غير مذكى ونفي الصحابة دراية المصطفى لذكره ذلك له او لما فهم من قرينة
كونه لم يسال عنهما ففيه طهارة مجهول الاصل ولو نحو شعر هل ذبح اصله ام لا

وفيه

وفيه استعمال الثياب الخلقة وهي العتيقة جدا وانه من التواضع وانه
صلى الله عليه وسلم لم يزل يلبس الخفين حتى تخرقا وقد روى الترمذي
عن عائشة مرفوعا لا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه **رواه الطبراني** والترمذي
ايضا في شمايله وجامعه **واما نعله صلى الله عليه وسلم والنعل**
قال صاحب المحكم ما وقيت به والنعل مؤنثة ذكرها باعتبار الملبوس
لان تانيثها غير حقيقي فيجوز الوجهان **القدم** عن الارض فلا يشمل الخف
عرفا ومن ثم افرده كالترجمة بترجمة كغيره **ففي البخاري** وابي داود والترمذي
وابن ماجة في اللباس والنسائي في الزينة **عن قتادة** بن دعامة **عن انس**
ان نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالان بكسر القاف وموحدة
ولام وللمستملي والحموي ان نعلي النبي صلى الله عليه وسلم كان لهما بالتثنية فيهما
والقبالان تثنية قبال وهو زمام النعل وهو السير الذي يعقد
فيه الشسع الذي **يكون بين الاصبعين** الوسطى والتي تليها والمراد ان لكل
فردة قبالين ويؤيد رواية التثنية في البخاري وقال الكرماني ان لكل واحد من
نعل كل رجل قبال واحد ورده الحافظ بما للطبراني والبزار برجال ثقات والترمذي
في الشمايل عن ابي هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان ولنعل
ابي بكر قبالان ولنعل عمر قبالان واول من عقد عقدا واحدا عثمان انتهى اي اتخذ
قبالا واحدا اوجه بانه اراد ان يبين ان اتخاذ القبالين ليس لكراهة قبال واحد
ولا لمخالفة الاولى بل لكونه عادة **عن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله**
صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى بضم الميم وفتح المثلثة او فتح الميم واسكان
المثلثة وتنوين اخره مع تشديده رواية والاخر المشدد وهو النون على الرواية
الاولى والياء على الثانية من التثنية وهو جعل الشيء اثنين ولا يليق جعله من الثني
وهو رد شيء الى شيء **شراكهما** تثنية شراك بالكسر وخفة الراء وكاف وهو احد سيور
النعل يكون على وجهها وقيل هو السير الرقيق الذي يكون في النعل على ظهر
القدم **رواه الترمذي في الشمايل** قال العراقي باسناد صحيح وابن ماجة بسند قوي
وفيها اي الشمايل **ايضا** باسناد صحيح **عن ابي هريرة قال كان لنعل رسول الله**
صلى الله عليه وسلم قبالان فوافق ابو هريرة انسا على ذلك قيل وكانت نعله صفرا
ولابي الشيخ عن ابي ذر انها كانت من جلود البقر **وروى** البخاري والترمذي **عن**
عيسى بن طهمان بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء البصري نزيل الكوفة صدوق
افرط فيه ابن حبان والذنب فيما استنكره من حديثه لغيره **قال اخرج الينا انس**
نعلين جردا وين بالجيم لا شعر عليهما استعير من ارض لا نبات فيها وفي رواية
جرداوين بالتانيث **لهما قبالان** قال الحافظ العراقي هكذا رواه البخاري والترمذي
بالاثبات ولابي الشيخ من هذا الوجه ليس لهما قبالان على النفي فلعله تصحيف من
الناسخ او من بعض الرواة وانما هو لسن بضم اللام وسكون السين ونون اخره
جمع السن وهو النعل الطويل وهذا هو الظاهر فلا ينافي رواية البخاري والترمذي
قال ابن طهمان **فحدثني ثابت** البناني بضم الموحدة **بعد** اي بعد هذا المجلس

سعد بالضم مقطوع عن الاضافة ومن قال بعد اخراج انس النعلين اليا
فغير سديد لصدقه بما اذا كان التحديث بعد الاخراج وهما بالمجلس وذلك نعم
لا يناسب قوله عن انس اذ لو كان بالمجلس لكان المتبادر ان انسا هو الذي يحدث
بلا واسطة فدل على اختلاف المجلس انهما كانتا نعلي رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الحافظ فرواية عيسى عن انس اخراجه النعلين فقط واضافتهما
الى النبي صلى الله عليه وسلم رواية عيسى عن ثابت عن انس انتهى واخرج
البخاري ومسلم وغيرهما في حديث طويل والترمذي في الشمايل مختصرا واللفظ
له كلهم من طريق الامام مالك عن سعيد المقبري عن عبيد بضم العين بن جريج
بضم الجيم التيمي مولاهم المدني ثقة انه قال لابن عمر رايتك تلبس النعال
السبتية بكسر المهملة وسكون الموحدة وكسر الفوقية وشد التحتية المدبوغة
بالقرظ او التي سبت عنها الشعر اي حلق وقطع قاله الكرماني والمم والثاني
ظاهر جوابه ابن عمر وفي الفتح منسوبة الى السبت قال ابو عبيد هي المدبوغة
بالقرظ قال وزعم بعض الناس انها التي حلق عنها الشعر يشير الى مالك فقد له
عنه ابن وهب ووافقه وكانه ماخوذ من لفظ السبت لان معناه القطع فالحق
بمعناه وايد ذلك جوابه ابن عمر المذكور في التنصير السبتية بالكسر نعال نعل سبتي
وهو الذي يكون من طاق واحدة قال اني رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضا فيها فانا احب
ان البسها اقتدا به قال ابن الاثير وغيره وجه السوال كونها نعال اهل النعمة
والسعة ولم يفعلها الصحابة ففي صدر الحديث عند الشيخين عن عبيد انه
قال لابن عمر رايتك تصنع اربعا لم ار احدا من اصحابك يصنعها وعد منها
هذه فاجابه بانه لبسها اقتدا بالمصطفى ولعل ترك الصحابة للبسها ان فرض هو
صحة الاستغراق وان ما نفاه عنهم السايل هو الواقع اذ يحتمل ان نفيه باعتبار
علمه انهم لم يبلغهم فيه شي وامتياز ابن عمر عنهم بحفظ ذلك عن المصطفى
فالحجة فيما رواه وفعله لا فيما تركه وفي الشمايل ايضا عن عمرو بفتح العين ابن
حريث بضم الحا ومثلثة القرشي المخزومي صحابي صغير روى له الجماعة قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفتين
اي مخروزتين من الخصف وهو ضم شي الى شي والمراد ان نعله وضع فيه
طاق على طاق ففيه رد زعم انها كانت من طاق واحدة وان العرب كانت تتمدح
به وتجعله من لباس الملوك لكن جمع بانه كانت له نعل من طاق ونعل من اكثر كما
دل عليه عدة اخبار وهو حسن ثم هذا الحديث وان كان فيه راو مبهم لان الترمذي
رواه من طريق السدي قال حدثني من سمع عمرو بن حريث فذكره لكن صح من
غير ما طريق انه كان يخصف نعله قال المص ولم ار التصريح باسم من حدثه
عنه في رواية واظنه عطا ابن السايب فانه اختلط اخراج السدي سمع منه بعد
الاختلاط فابهمه قال الحافظ العراقي روى ابو الشيخ بسنده عن يزيد بن ابي
زياد قال رايت نعله صلى الله عليه وسلم مخصرة ملسنة ليس لها عقب خارج

وروى

وروى ابن سعد عن هشام بن عروة رايت نعل النبي صلى الله عليه وسلم
مخصرة معقبة ملسنة لها قبالان والمخصرة التي لها خصر رقيق او التي
قطع خصراها حتى صارا مستدقين والنعل الملسن ما فيه طول ولطافة
على هيئة اللسان وقيل التي جعل لها لسان ولسانها الهيئة الناتئة في
مقدمها كما في النهاية قال العراقي والجمع بين قول يزيد ليس لها عقب وقول
هشام معقبة ممكن بان يزيد لم يطلق العقب وانما قال ليس لها عقب خارج
وهشام اثبت كونها معقبة اي لها عقب من سيور تضم به الرجل كما يفعل في كثير
من النعال او يكون لها عقب غير خارج انتهى وعن عايشة رضي الله
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن اي الاخذ
باليمين فيما هو من باب التكريم قيل لانه كان يحب الفال الحسن واصحاب اليمين
هم اهل الجنة ما استطاع مدة استطاعته له بخلاف ما لو عجز عنه فيتعين
غيره فنبه على ان المحافظة على التيمن ما لم يمنع مانع لا بد منه قال الحافظ
ويحتمل انه احتراز عما لا يستطاع فيه التيمن شرعا كفعل الاشيا المستقذرة
باليمين كالاستنجا والتمخط في ترجله بجيم تسريح شعره وتنعله لبس النعل
وطهوره بضم الطا اي تطهره وفي رواية بفتحها وهو ما يتطهر به كالماء
رواه الترمذي بهذا اللفظ في الشمايل وفي قصر العز وتقصير شديد فقد
رواه الشيخان والاربعة والامام احمد عن عايشة كان يحب التيمن ما استطاع
في طهوره وتنعله وترجله وشانه كله وتقديم بعض الالفاظ على بعض لا اثر
له لانه من تصرف الرواة قال ابن دقيق العيد هذا عام مخصوص لان دخول الخلا
والخروج من المسجد ونحوهما يبدا فيه باليسار وتاكيد شانه بكله يدل على التعميم
لان التاكيد يرفع المجاز وقد يقال حقيقة الشان ما كان فعلا مقصودا وما يندب
فيه التياسر ليس من الافعال المقصودة بل هي اما تروك او غير مقصودة هذا
كله على رواية اثبات الواو واما على حذفها فقوله في شانه متعلق بيحب
لا بالتيمن اي يحب في شانه كله التيمن في طهوره الخ اي لا يترك ذلك حضرا
ولا سفرا ولا حالة فراغه ولا شغله انتهى وعن ابي هريرة قال قال صلى
الله عليه وسلم اذا انتعل احدكم اي لبس نعله فليبدا باليمين اي بالجانب
اليمين وفي لفظ البخاري بالرجل اليمين وللحموي والمستملي باليمنى اي بالنعل اليمنى
واذا نزع وفي رواية انتزع فليبدا بالشمال لتكن الرجل اليمنى لفظ البخاري
ولفظ الترمذي فلتكن اليمنى اولهما تنعل واخرهما تنزع بمثناة كتنعل للمفعول
واولهما واخرهما بنصب خبر يكن او على الحال والخبر تنعل وتنزع بفوقيتين وتحتانيتين
مذكرين باعتبار النعل والخلع وزعم ابن وضاح ان قوله لتكن الخ مدرج قاله
الحافظ اي والاصل الرفع وليس هذا تاكيدا للاستغنا عنه بالاول كما زعم بل له
فايدة هي ان الامر يتعين بالتقديم اولا ولا يقتضي تاخر نزعها لاحتمال نزعهما
معا ثم هذا الحديث رواه البخاري وابو داود والترمذي في اللباس وفي الشمايل
قال ابن عبد البر من بدا في الانتعال باليسرى اسا بمخالفة السنة ولكن لا يحرم

عليه لبس نعله وقال غيره ينبغي ان ينزع النعل من اليسرى ثم يبدا باليمنى
قال الحافظ ويمكن ان مراد ابن عبد البر ما اذا لبسهما معا فيبدا باليسرى فلا
يشرع له نزعهما ثم لبسهما على الترتيب المشروع لفوات محله قال المص
وفيه تامل لان من فعل ذلك فعليه نزعهما معا ويبتدئ لبسهما على ما امر به
فكانه الغى ما وقع منه اولا وقد نقل عياض وغيره الاجماع على ان الامر فيه
للاستحباب **وكان عليه الصلاة والسلام ينهى ان ينتعل الرجل** يلبس
نعله **قائما** وفي رواية وهو قائم لان لبسها قاعدا اسهل وامكن فهو نهي تنزيه
وارشاد ولذا اخذ منه الطيبي وغيره تخصيص النهي بما في لبسه قائما تعب
كالتاسومة والخف لافتقاره او سر موجة **رواه ابو داود والترمذي** عن
جابر برجال ثقات قاله الحافظ العراقي وقال النووي اسناده حسن **والترمذي**
عن جابر وقال غريب ثم رواه عن انس وقال كلا الحديثين لا يصح عند اهل الحديث
انتهى ونفيه الصحة لا ينافي انه حسن كما علم **وقد ذكر ابو اليمن** بضم الياء واسكان
الميم **ابن عساكر تمثاله** اي صفة تمثال **نعله الكريم عليه افضل الصلاة
والتسليم** اي ما يوخذ منه صفة تصويره والافهو لم يذكر تمثاله **في جزء مفرد**
نحو ثمان ورقات في مصنف **رويته قراءة وسماعا وكذا افرده بالتاليف ابو
اسحاق ابراهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج من اهل
المرية** كغبية موضع بالاندلس كذا في القاموس وفي التبصير المرية بابن تثقيلتين
مع فتح اوله وكسر الراء نسبة الى المرية مدينة بالاندلس **وكذا غيرهما ولم اثبتها
هنا لاني لا علي شهدتها وصورته ضبط تسطيرها الاعلى حاذق**
وقد ذكر في الفية السيرة صفتها نظما في ابيات **ومن بعض ما ذكر ابو اليمن** في جزئه
المذكور **من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره ابو جعفر احمد بن
عبد المجيد وكان شيخا صالحا ورعا قال حذوت هذا المثال لبعض
الطلبة فجاءني يوما فقال رايت البارحة من بركة هذا النعل عجبا اصاب
زوجتي** امراتي بلاها على اللغة الفصحى **وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل
على موضع الوجع وقلت اللهم اشف ببركة هذا النعل** زوجتي وفي نسخة
وهي ما في جزء ابي اليمن اللهم ارني بركة صاحب هذا النعل **فشفاها الله
للحين** اي سريعا **وقال ابو اسحق ابراهيم** بن محمد السابق قريبا في مولفه
قال ابو القاسم بن محمد **ومما جرب من بركته ان من امسكه عنده متبركا به
كان امانا له من بغي البغاة وغلبة العداة** بضم العين فقط لثبوت الهافهو
كقضاة قاله ابن القاصح وغيره **وحرزا من كل شيطان مارد** عات خارج عن
الطاعة **وعين كل حاسد وان امسكته الحامل بيمينها وقد اشتد عليها
الطلق تيسر امرها بحول الله تعالى وقوته ولله در ابي اليمن بن عساكر
حيث قال يا منشد** الشعر والمفعول محذوف **في رسم** اثر **ربع** منزل **خال** من
اهله اسم فاعل **ومناشدا** مخاطبا **الدوارس الاطلال** اي الاطلال الدارسة جمع
طلل وهو الشاخص من الاثار ودروسها ذهاب اثارها وتلك الاطلال منزلة

العقلا الناطقين وانت لهم الناشدة تخييلا مخصوصا استعارة بالكناية او
المناشدة بلسان الحال فلا تجوز ولا تشبيه **دع ندب** اثرك ذكر محاسن
آثار يقال ندبت المراة الميت اقبلت على تعداد محاسنه كانه يسمعها
فهو كالدعاء **و**اثرك **ذكر ماثر** جمع ماثرة بفتح الثاء وضمها المكرمة كما في
المختار وفي المصباح هي كالاثرة بالضم المكرمة المتوارثة **لاحبة بانوا**
انفصلوا اي ذهبوا وانقضوا **وعصر** دهر **خال** ماض **والثم** بكسر المثلثة
من باب ضرب فقبل **ثرى** ترابه نديا **الاثر الكريم** اي الثم التراب الذي حصل له
النداوة من اثر النعل الكريمة ان امكن ذلك والافقبل مثالها **فقد الثم ان
قدرت** ظفرت **منه بلثم ذا التمثال** سعدت باعظم المطالب فجوابه ان محذوف
كما يعلم من جوابه **اثر** خبر محذوف اي وهذا التمثال اثر من اثار المصطفى **له بقلوبنا
اثر** تاثير بمعنى صورة منتقشة فيها **لها** اي لاجل الصورة فلذا انث الضمير
العائد على الاثر **شغل** بالبنا للمجهول **الخلي** نايب الفاعل **بحب ذات الخال**
صاحبة الشامة في الخد يخالف لونه فتزيد حسنا والمعنى انه يتذكر بحسن صور
ما انتقش في قلبه من ذكر الاثر حسن الشامة بخد محبوبته ويحتمل ان قوله
لها متعلق بمحذوف وشغل مصدر اي من انتقش في قلبه تلك الصورة وتعلق
بها شغلا كشغل الفارغ بصاحبة الشامة **فبل له الاقبال** جملة دعائية او
خبرية معترضة بين الفعل ومفعوله وهو **نعلي اخمص** بزنة احمد قدم مرتفع
عن الارض **خل الهلال** اسم له ثلاث ليال وبعدها قمر **بها محل اقبال** اي قبل
النعلين اللتين شرفتا بملاصقة قدم طهر فيه محل قبال لها صورة الهلال
بنانير القنا لين اثرا شبه الهلال نورا وبها **الصب** بفتح الهمزة وكسر الصاد
الرق **بها قلبا يقلبه الهوى** بالقصر الحب والتعلق ثم اطلق على ميل النفس
وانحرافها نحو الشي حال كونه **وجلا** بكسر الجيم خائفا **على الاوصاب** جمع
وصب **الاوجاع والاوجال** جمع وجل كسبب واسباب الخوف اي اجعل قلبك
مشغولا بتلك النعل حالة كونه خائفا لما اصابه من الاوجاع وانواع الخوف
لتقصيره في محبتها واثارها **صافح بها** الصب باثر نعله **خدا** اي جنسه
فيشمل الخدين فاستعمل المصافحة في الالصاق مجازا اذ حقيقتها وضع يده في يد
غيره **وعفر وجنة** مثلث الواو والفتح اشهر **في تربها** بضم فسكون لغة
في ترابه **وجدا** حزنا **وفرط** بسكون الراء **انتقال** بفتح الفوقية والمهملة اي زيادة
تعلق في محبتها وهذا ظاهر وهو الذي رايته بجزء ابن عساكر وفي نسخة فقال
بقاف بدل الفوقية من اضافة الصفة للموصوف اي فعال مفرطة وعطفه على
وجدا عطف سبب على مسبب اي الصق وعفر في ترابه مسحا لما اصابك من
حزن لافعالك المذمومة لعلك تنالك بركة صاحبها فيكفر عنك اثامك وتقصيرك
في الطاعة **سبيل** ما ذكر من المصافحة والتعفير **حرجوي** حرقة وشدة وجد
ثوي اقام **بجوانح** ضلوع ما يلي الصدر **في الحب** اي لاجله ففي للتعليل
ما جنحته ما انت **الى الابلال** بكسر الهمزة وسكون الموحدة الاذهابه

يا شبه نعل المصطفى روحي الفدا ناداها بذلك تنزيلا لها منزلة العقلاء
لشرفها لمحلك اي الذي مسه الاسمى المرتفع الشريف البالغ في العلو
العالي على غيره من الموجودات وفي نسخة الاسم الشريف اي المرتفع على
غيره من الاسما همت جرت لمراك اي المحل المرئي منه قال القاموس وهو
مني بمرأى ومسمع اي بحيث اراه واسمعه والاقرب انه مصدر ميمي اي لرويتك
العيون وقد نأى بعد موقي العيون بميم وراء بعدها قاف كما في نسخ وهو
الذي في جزء ابن عساكر مصدر ميمي اي بعد انقطاع دمع العيون السايل والفه
منقلبة عن همزة تسهيلا لالتقا الساكنين وفي نسخة مرمى بميم بدل القاف
العيان اي المكان الذي تصل اليه رؤيا العين بغير ما زايدة اهمال لنطلبه رؤياك
وتذكرت عهد مشيه صلى الله عليه وسلم بوادي العقيق موضع قرب المدينة
فتناثرت نثرت شوقا مبل نفس عقيق المدمع الدمع المشبه للعقيق في الحمرة
الهطال كثير السيلان وصبت مالت فواصلت الحنين الشوق وشدة البكا والطرب
الى الذي ما زال بالي قلبي منه في بلبال بفتح الموحدة هم ووسوسة صدر
اذكرتني ابتها الصورة المشبهة نعل المصطفى قدما بفتحتين لها قدم بكسر
ففتح العلا الشرف من اضافة الصفة للموصوف اي العلا القديم لاصالته فيه
وفي ابايه وشرف القدم لشرف صاحبها افضل العالمين صلى الله عليه وسلم والجود
والمعروف والافضال بجر الثلاثة على العلا اذكرتني اي زدتني ذكرا فالايعاض
قوله من لم يزل ذكري له يعتاد يصير لي عادة وهي تكرر الشي على نهج واحد
في الابكار جمع بكرة ما بين الصبح وطلوع الشمس والاصال العشي وهو ما بعد
العصر الى الغروب والمراد اذكرتني ابتها الصورة محبوبا لم يزل ذكري له متكررا
على ممر الاوقات فان المراد بالابكار ما قابل الاصال وذلك شامل لجميع اجزا الليل
والنهار وله المفاخر جمع مفخرة المنقبة من حسب ونسب وغيرهما اما
فيه او في ابايه والماثر الاثار الحميدة التي يتفاخر بها ويتباهى في الدنا جمع
دنيا بالف نقيض الاخرة وكانه جعل كل جزء من اجزا الزمان دنيا فجمعها وان ماثره
لا تختص بنوع دون غيره بل هي عامة في جميع المزايا وفي الاقوال والافعال
لو ان خدي يحتذي يقطع نعلا لها لبلغت من نيل المنى امالي كل ما
املته من عز وشرف او ان اجفاني لوطي نعالها ارض تمشي عليها سمت
ارتفعت عزا بذا بسببه هذا الاذلال الصوري وهو في نفس الامر غاية
العز والشرف وما احسن قول ابي الحكم ابن المرحل بالفتح مالك بن
المرحل واسم ابيه عبد الرحمن بن علي احد فضلا المغاربة له نظم حسن
قاله الحافظ في تبصيره في قصيدة ذكرها ابو اسحاق ابن الحاج في تاليفه
المذكور ولا بوصف حبيبي متعلق بقوله طرز الشعر حسنه ناظمه شبه
ذكره وصفه في شعره جعل الطراز الذهب او غيره في الثوب ففيه استعارة
مكنية وتخييلية شبه الشعر بثوب مطرز واثبت له التطريز تخييلا او هو
مجاز مرسل اطلق الملزوم واراد لازمه ونمنم بنونين وميمين زخرف

ونقش

ونقش خد الطرس بالكسر الصحيفة او التي محيت ثم كتبت كما في القاموس
واقتصر المصباح على الثاني والمراد هنا الورق الابيض بالنقش راقمه
كاتبه وفيه استعارة بالكناية وتخييلية شبه الورق البياض بعد كتبه
حسنا زينت بنقش وغيره فذكر التشبيه استعارة بالكناية واثبات الخد له
تخييل والنمنمة ترشيح لانها معنى النقش يناسب المشبه به والرقم تحرير او
فسر بالكتابة وهو يطلق عليها وعلى الوشي هو رؤف فهو خبر محذوف
وبالخفض بدل من حبيبي لا صفة له اذ رؤف من اسمايه والعلم ينعت
ولا ينعت به عطف هذا وسع اكثر الناس رحمة شبه الرحمة التي هي رقة
القلب بالمكان الواسع ثم وصفها بانها اوسع الرحمات ففيه مجاز من اطلاق
اللازم وارادة الملزوم وجادت عليهم بالنوال بالفتح العطا غمايمه
جمع غمامة وهي السحابة شبه يديه بالغمام في كثرة الخير الواصل للناس منها
فكانه قال هو اكثر الناس رحمة ولذا افاض عليهم من عطاياه الحسية والمعنوية
ما عمهم حتى انه لكثرة نعمه عليهم عم بذلك كل جزء منهم له الحسن والاحسان
في كل مذهب طريق حسي ومعنوي فاثاره محبوبة ومعالمه جمع معلم
مظنة الشي وما يستدل به عليه يعني ان افعاله واقواله كلها رحمة للعالمين و
واثاره الحميدة مستمرة على ممر الايام والدهور محبوبة للعامة والخاصة لعظم
ما يحصل لهم من التاسي بها والاقتدا ودفع المضار عنهم ومعجزاته الدالة
على نبوته وتقدمه على غيره لا تنكر به ختم الله النبيين كلهم كما قال
وخاتم النبيين وكل فعال بفتح الفا الوصف الحسن والقبيح وبكسرها جمع
فعل والاظهر فتحها لوصفه بالمفرد في صالح دون صالحة ولكن يوجه وصف
المكسورة بصالح بانها باعتبار لفظ كل او نعت سببي اي صالح كل فعل منها او
يوول باسم مفرد كشي الصادق بافراد الكثيرة فهو خاتمه اي انه طبع على كل
وصف حسن على فتح الفا وعلى كسرها فالمعنى انه طبع على الافعال الحميدة
فكانما جمعت فيه وختم عليها بحيث لا تتعداه الى غيره احبب رسول الله حبا
لو انه يدرج الوصفة تقاسمه قومي عشيرتي او جميع المسلمين جعلهم
قومه لمشاركتهم له في الاسلام كقسمة قسايمه جمع قسيمة وهي النصيب
كان فوادي كلما مر ذكره من الورق بضم فسكون جمع ورقا الحمام حال من
خفاف شديد الخفقان وهو الاضطراب خبر كان اصيبت قوادمه
اربع او عشر ريشات في مقدم جناحه جمع قادمه اهيم اخرج
فلا ادري اين اتوجه واسلك طريقا لا ادري اي مكان استقر فيه اذا هبت
نواسم رياح ارضه ومن يضمن لفوادي ان تهب نواسمه جمع ناسمة
فالتجي اليه في تحصيله فانتشق بالرفع عطفا على اهيم مسكا طيبه معروف
ووصفه بقوله طيبا اشارة الى شدة رايحته وحسنه وكانما نوافجه بالجيم
جمع نافجة وعا المسك جانبه ولواطمه جمع لطيمة وعا المسك او سرته
او عير تحمله وهو المناسب هنا اذ المعنى اذا هبت نواسم ارض الحبيب

شم منها رائحة كالمسك الجيد اذ اخذ منه وسبحان نوافجه عند هبوب
الرياح جات مشتملة على المسك محمولة على عبير وكثرة الرائحة ورونقها نشأ
من كثرة ما حضر من نوافج المسك المشتمل عليه ومما دعاني ناداني وضميره
لما والدعاوي بفتح الواو وكسرها كثيرة جملة معترضة الى الشوق متعلق
بدعاني وهو ميل النفس الى الشي ورغبتها فيه مع ان الشوق مما كانه
آلمه ولا ظهره ومما دعا نحو خبر مبتداه مثال لنعلي من احب حديثه
بما ليها وفي نسخة حوينه بالحا وكلاهما حسن مناسب لقوله فها انا في يومي
وليلي الاثمه مقبله وفيه التضمين وهو افتقار البيت الى ما بعده اجر
اسحبه على راسي ووجهي اديمه جلده والمراد الرقعة المصور فيها
جلدا او ورقا او غيرهما والثمه اقبله طورا تارة وضميره للمثال او الاديم
المشتمل عليه وطورا الازمه بضمها الى صدري مثلا وادبم ذلك بحيث لا افارقه
امثله اصوره وافرضه نحو اشاهده في رجل اكرم من مشي عليه الصلاة والسلام
فتبصره عيني اي لشدة استحضاري له في ذهني كان عيني تبصره وما انا
حالمه بلام قبل الميم كالتاكيد لقوله فتبصره وفي نسخة حاكمه بالكاف اي لا اتمكن
من حقيقته وانما احكم بمثاله فقط وفي اخرى خاملة بالميم قبل اللام اي لست
بحامل له كما هو معلوم احرك خدي عند مرور المثال عليه لاني اريد لحظ شي
منه ثم احسبه اظن وقعه على وجنتي ما ارتفع من لحم خدي خطوا بفتح
فسكون اي مشيا منه صلى الله عليه وسلم هناك على وجهه لشدة تعلقي به
وانه يداوه اي ذلك المشي اي يبالغ فيه او يطلبه دوامه ومن يتكفل لي بوقع
النعل النبوية في حر وجبيني حال كونه لماش عليه فوق النجوم براجمه بفتح
الموحدة روس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض الشخص كفه نشزت وارتفعت
والجملة في محل جر نعت لماش ساجعله فوق الترائب عظام الصدر او ما وجه
الترقوتين منه او ما بين الثديين عوذة رقية لقلبي متعلق بها لعل الغليه
يبرد حاجمه بحا مهملة والف فجيم حرارته الشديدة واربطه بضم الباء وكسرها
فوق الشوون موصل قبائل الراس وهي القطع المشعوب بعضها الى بعض كما في
القاموس تميمة حرز الجفني لعل الجفن يرقا بالهمز ساجمه دمعه السائل
الا اداة استفتاح افدي بابي تمثال نعل محمد لطالما اللام في جواب قسم
مقدر اي والله لقد طاب ذلك التمثال لحاذيه صانعه وقدس طهر خادمه
من الادناس المعنوية ببركة خدمته لذلك التمثال يود بفتح الواو يحب هلال
الافق بسكون الفاء الناحية من السما لو انه هوي سقط الينا يبرز الحما بدا ضنا
في لثمه وتزاحمه لاجل لثمه ففي بمعنى اللام وما ذاك الود المفهوم من يود
الا ان حب نبينا بقوم باجسام الخليقة لازمه حرارة الحب وتزايده
اي ان سبب محبة الهلال النزول ان حب المصطفى مقوم بالاجساد فيثير
حرارة تحركه الى التبرك باثاره صلى الله عليه وسلم فاذا وجد من قامت
به المثال لم يمكنه التخلف عنه سلام عليه لا ينقطع بل يتكرر كلما هبت

الصبا

الصبا بالقصر ريح وغنت صوتت باغصان شجر الاراك حمائمه الغنية
به ولابي بكر احمد بن الامام ابي محمد عبد الله بن الحسين الانصاري المدعو
بحميد القرطبي شهرة وهو ما اتى رحمه الله تعالى كان مقريا مجودا فقيها
محدثا ضابطا نحويا ماهرا اديبا كاتبا بارعا متين الدين صادق الورع
سريع العبرة كثير البكا معرضا عن الدنيا لا يضحك / لا تبسما دايم ينقطه
بالبكا والاستغفار مقتصدا في مطعمه وملبسه معانا على ذلك موبدا
من الله حتى بلغ من الورع رتبة لم يزاحم عليها اقرا ببلده القراءات القران
ودرس الفقه واسمع الحديث وادب بالعربية ثم رحل قاصدا الحج فلما وصل
مصر عظم صيته بها فمرض وتعذر عليه الحج فطلب السلطان زيارته فابى
فالح عليه حتى اذن له فعرض عليه جائزة سنية فلم يقبلها وتوفي بمحضر
جنازته السلطان ومن لا يحصى سنة ثنتين وخمسين وستمائة ومولده سنة
سبع وستمائة رحمه الله تعالى ونعل بالرفع والجر على ما قبله ان كان قبله
شي او خبر مبتدا محذوف اي وهذه نعل خضعنا ذللنا هيبة اجلالا
لهيابها حسنها حين ابصرناها وانا متى نخضع لها ابدا في كل زمان
نعلو نرتفع فصنعها اي النعل ايها الطائف بها على اعلا المفارق
الراس انها حقيقتها اي نهايتها تاج تزين الراس كالتاج وهو
الاكليل وصورتها نعل اي كصورته باخمص خير الخلق حازت صممت
مزية فضيلة على التاج الذي تتزين به الملوك حتى باهت الفرق بزينة
مسجد حيث يفرق الشعر الرجل طريق الهدى الموصلة له عنها استنارت
اي نارت لمبصر والسين للتاكيد وان بحار الجود من فيضها حلوا بضم
الحا واللام صارت شديدة الحلاوة بما فاض عليها من بركة النعل من حلا الشي
يحلو اذا صيره حلوا واصله حلووا حذفت اليا لثقلها وضمت اللام لمناسبة
الواو ولم يقل حليت تنزيلا للبحار منزلة العقلا فاتى بالواو سلونا عما شئتم
قلنا به علم واحاطة ولكن عن سواها غيرها فلا تسالونا عنها فانا لا يمكننا
معرفة حقيقتها لما كسبته من المهابة ولذلك انا نهيم بمغناها بفتح
معجمة محلها الذي اقامت به الغريب البعيد في الصفة عن الاماكن المعروفة
للناس لانها اذا حلت محلا استنار واشرق وما نسلوا نصبر عنها بل تزيد
شوقنا وتحيرنا فما شاقنا حرك نفوسنا الى ما نهواه مذ رايتنا اصابنا رسم
اثر عزها حمائم قريب مشفق ولا مال كريم نفيس ولا نسل اولاد شفا
لذي سقم بضم فسكون مرض رجا بالمد اي مرجوه لبائس من اصابه الضرة
اسم فاعل من بيس اموال لذي خوف كرب بحسب بعد الغني من تعم لهم حسبت
المال بفتح السين احصيته عددا وامانه اسمه نذر او صفة قال الصحاح بالكسر
فعال بمعنى مفعول ويطلق عليه فرش تسمية بالمصدر فقد كان صلى الله عليه
وسلم اخذ من ذلك بما تدعو ضرورته اليه فكان يقتصر منه قدر او صفة
على قدر الحاجة وترك ما سوى ذلك فلم يتخذه وفي صحيح مسلم في اللباس

وسنن ابي داود والنسائي وابن ماجة ومسند احمد عن جابر **قوله صلى الله**
عليه وسلم فراش واحد كاين **لامراته** اي جنسها فتشمل ما لو تعددت او
كانت سرية قال ويدل على المحذوف قوله **والثالث للضيف** اي جنسه وجنس
الفراش فينصرف بتعدده عند الاحتياج اليه لكثرة ضيفانه عادة والمراد من
يبيت عنده فلا يختص بقادم من سفر ولا غيره **والرابع للشيطان** فلا ينبغي
اتخاذه قال القرطبي بين به غاية ما يجوز للانسان ان يتوسع فيه ويترفه
به من الفرش لان الافضل ان يكون له فراش يختص به ولامراته فراش فقد
كان صلى الله عليه وسلم ليس له الا فراش واحد واما فراش الضيف فيتعين للمضيف
اعداده لانه من اكرامه والقيام بحقه ولانه لا يتاتى له شرعا الاضطجاع ولا النوم
معه واهله على فراش واحد والرابع لا يحتاجه فهو سرف ونسبته للشيطان
ذم له لكنه لا يدل على تحريم اتخاذه وانما هو من قبيل خبر ان الشيطان ليستحل
الطعام الذي لا يذكر اسم الله عليه ولا يدل ذلك على التحريم انتهى **قال العلما**
كما نقله النووي في شرح مسلم **معناه ما زاد على الحاجة** يعلم منه ان ما احتيج
له ولو كثر يتبع اتخاذه لا خصوص الرابع **فاتخاذه انما هو للمباهاة والاختيال**
التكبر والالتها بزينة الدنيا ولا يرد ان هذا يقتضي تحريمه لمنع ذلك بان
مجرد اتخاذ الثياب الفاخرة والفرش النفيسة لمساواته لغيره من اهل الدنيا
او الزيادة عليهم فيما يقتنونه ليس حراما ما لم يقارنه قصد تحقير غيره مثلا **وما**
كان بهذه الصفة فهو مذموم وكل مذموم يضاف ينسب **للشيطان**
ابليس او غيره **لانه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه** فاضافته اليه مجاز
بهذا الاعتبار **وقيل انه على ظاهره وانه اذا كان لغير حاجة كان**
للشيطان عليه مبيت ومقيل فكانه اتخذ له وقد امرنا بما يدفعه عن امتعتنا
والمراد انه يستعمله اي وقت اراد وخصهما لانهما وقت الراحة **واما تعداد الفراش**
للزوج والزوجة فلا باس به اي يجوز **لانه يحتاج كل واحد منهما الى فراش**
عند المرض ونحوه فلا يرد ان السنة بيات الرجل مع زوجته بفراش واحد فالاليق
عدم اتخاذه لعدم الحاجة له وبقية كلام النووي واستدل بعضهم بهذا على انه
لا يلزمه النوم مع امراته وله الانفراد عنها بفراش وهو استدلال ضعيف لان
المراد بهذا وقت الحاجة بالمرض وغيره كما ذكرنا وان كان النوم مع الزوجة ليس واجبا
لكنه بدليل اخر والصواب انه اذا لم يكن لواحد منهما عذر في الانفراد فاجتماعهما في
فراش واحد افضل وهو ظاهر فعله صلى الله عليه وسلم الذي واظب عليه مع
مواظبته على قيام الليل فاذا اراد القيام لوظيفته قام وتركها فيجمع بين وظيفته
وقضا حقها المندوب وعشرتها بالمعروف لا سيما ان عرف من حالها حرصها
على هذا ثم لا يلزم من النوم معها الجماع انتهى **وعن عايشة رضي الله**
تعالى عنها انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام
عليه قيدت به لان الفراش قد يكون للمجالس والمراد عندها في غالب احواله فلا
يرد انه نام عندها على قطيفة كما في الحديث التالي ولا ما رواه الترمذي عن حفصة

كان فراشه مسحا بكسر فسكون فراش خشن من صوف او شعر ولابي الشيخ
عنها كان فراشه قطيفة **ادما** بفتحتين جمع ادمة او اديم جلد امدبوغا و
احمر او مطلق الجلد **حشوه** بالفتح اي الادم باعتبار لفظه وان كان معناه جمعا
فالجملة صفة لادم او حالية من فراش **ليف** بالكسر للنخل واحده ليفة القطعة منه
ليفة كما في الصحاح فما كان من غيره لا يسمى ليفا فتقليل كونه من النخل بانه الكثير
بل المعروف عندهم يفهم اطلاقه على غيره وهو خلاف مقتضى الجوهري قال بعض
المحققين الظاهر ان قولها انما الخ قصر تعيين لما كان ينام عليه والظاهر وقوعه
جواب سايل او قايل **رواه الشيخان** وغيرهما كالترمذي وفيه ان النوم على الفراش
المحشو واتخاذه لا ينافي الزهد ههنا من ادم او غيره حشوه ليف او غيره لان عين
الادم والليف ليست شرطا بل لانها المالوفة عندهم فيلحق بها كل مالوف مباح نعم
الاولى لمن غلب عليه الكسل وميل نفسه الى الراحة والترفه ان لا يبالغ في حشو الفراش
لانه سبب ظاهر في كثرة النوم والغفلة والبطء عن الخيرات والمهمات بدليل حديث
حفصة عند الترمذي كان فراشه مسحا نثنيه ثنتين فينام عليه فلما كان ذات ليلة
قلت لو ثنيته اربع ثنيات لكان اوطا فثنيناه باربع ثنيات فلما اصبح قال ما فرشتموه
قلنا هو فراشك الا انا ثنيناه باربع قلنا هو اوطا لك قال ردوه لحالته الاولى فانه
منعتني وطاته صلاتي الليلة **وروى البيهقي** وابو الشيخ في كتابه الاخلاق
النبوية وابن سعد **من حديثها** اي عايشة **قالت دخلت على امراة من**
الانصار فرات فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة وفي
رواية عباة **مثنية فبعثت الي بفراش حشوه الصوف فدخل علي رسول**
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا عايشة قلت يا رسول الله **فلانة**
الانصارية مفاده انها سمتها له فنسي الراوي اسمها او ابهمها لغرض فعبر
عنها بفلانة **دخلت فرات فراشك فبعثت الي بهذا فقال رديه يا عايشة**
فوالله لو شيت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة فاتخاذه لهذا النوا ش
ليس عجزا عن غيره بل اختيار العدم الترفه المشعر بالمباهاة وحظ النفس واتباعا
لقوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وفي رواية ابن سعد
وابي الشيخ والحسن بن عرفة فلم ارده واعجبني ان يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث
مرات فقال رديه يا عايشة فوالله الخ قالت فرددته وفيه انه لم ترده بمجرد امره لانها
لم تفهم تحتمه بل فهمت انه اراد ان شيت ولذا لما صرح بتحتمه رددته **وعن عبد**
الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير قال ابن بطال
هو ما صنع من سعف النخل وشبهه قدر طول الرجل فاكثر قاله في الفتح ولعل
المراد بها الحقيقة الاتية في حديث عمر **فقام وقد اثر في جنبه** لانه لم يكن عليه
غير ازاره **الحديث** تتمته فبكيته فقال ما يبكيك قلت كسرى وقيصر على الخز
والديباج وانت نايم على هذا الحصير يا رسول الله بابي وامي لو كنت اذنت لنا
ففرشنا لك شيا يقيك منه فقال ما لي وللدنيا ما انا في الدنيا الا كراكب استظل
تحت شجرة ثم راح وتركها **رواه** بتمامه احمد **وابن ماجة والترمذي وقال**

حسن صحيح وكذا صححه الحاكم والضياء ورواه الطبراني ولفظه اي لفظ
الطبراني عن ابن مسعود دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
في غرفة كانها بيت حمام لشدة حرها وهو نائم على حصير قد اثر بجنبه
فبكيت شفقة عليه فقال ما يبكيك يا عبد الله قلت يا رسول الله
كسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم يطؤون يمشون على الخز بخاء
وزاي معجمتين والديباج واراد بالجمع ما فوق الواحد او اراد ونحوهما وانت
نائم على هذا الحصير قد اثر بجنبك وانت رسول الله وافضل خلقه وهما
كافران فقال فلا تبك يا عبد الله فان لهم الدنيا وهي فانية كانها لم تكن
ولنا الاخرة وهي باقية وهي الحيوان ولنا في الجنة ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله كانها بيت حمام بتشديد الميم اي
ان فيها مثل الحر والكرب بفتح فسكون الحزن ياخذ بالنفس عطف مسبب
على سببه كما في بيت الحمام من ذلك وعن ابن عباس قال حدثني عمر ابن
الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير
قال فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد اثر في
جنبه واذا انا بقبضة من شعير بفتح الشين وتكسر نحو الصاع واذا
اهاب جلد لم يدبغ او مطلقا دبغ او لم يدبغ والمراد جنس اهاب خلافا في رواية
الصحيحين اهب معلق فابتدرت عيناي بادرتا بارسال الدمع مسرعة فقال
ما يبكيك يا ابن الخطاب فقلت يا نبي الله ومالي لا ابكي وهذا الحصير قد
اثر في جنبك وهذه خزائنك اي الاماكن المعدة للادخار لا ارى فيها الا
ما ارى من شعير نحو صاع وذاك كسرى وقيصر في الثمار والانهار
وانت نبي الله وصفوته مختاره وهذه خزائنك لا ارى فيها الا ما ارى
كرره مبالغة في اظهار التاسف قال يا ابن الخطاب وفي رواية البخاري ومسلم
فوالله ما رايت في بيته شيا يرد البصر غير اهبة ثلاثة فقلت ادع الله فليوسع
على امتك فان فارسا والروم قد وسع عليهم واعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله
فجلس صلى الله عليه وسلم وكان متكيا فقال اوفي هذا انت يا ابن الخطاب بهمزة
استفهام وواو عطف على مقدر بعدها قال الكرماني اي انت في مقام استعظام
التجملات الدنياوية واستعجالها وفي رواية للشيخين ايضا اوفي شك انت
يا ابن الخطاب اي انت في شك ان التوسع في الدنيا مرغوب عنه فقلت يا رسول
الله استغفر لي اي من اعتقادي ان تجمل الدنيا مرغوب فيه قال اما ترضى
ان تكون لنا الاخرة الباقية ولهم الدنيا الفانية وجمع ضمير لهم على ارادتهما
ومن تبعهما او كان علمه مثل حالهما بدليل رواية الشيخين رواه ابن ماجة
باسناد صحيح بهذا اللفظ ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم
ولا معنى لاستدراكه فانه بعض حديث المشربة الذي اخرجه الشيخان غايته ان
فيه بعض المغايرة في الالفاظ والمعنى واحد ولفظه اي الحاكم قال عمر رضي
الله عنه استاذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لغلام

له

له اسود اي رباح براء مفتوحة وموحدة خفيفة النوبي استاذن لعمر فاذن
لي بعد ثلاث فدخلت عليه في مشربة بفتح الميم وسكون المعجمة وضم
الراء وفتحها غرفة يرقى عليها بعجلة كما في الصحاح بفتح المهملة والجيم
اي درجة جلس فيها صلى الله عليه وسلم لما حلف لا يدخل على نسائه
شهرا وانه لمضطجع على خصفة بفتحات وعاء من خوص للتمر وفي رواية
الشيخين وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وفي اخرى لهما فاذا هو مضطجع
على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد اثر بجنبه الرمال وان بعضه
لعلى التراب وتحت راسه وسادة بكسر الواو مخدة زاد في الصحيح من
ادم محشوة ليفا وان فوق راسه لاهاب عطين بالنصب اسم ان وكتب
بحذف الالف على لغة ربيعة وجرى عليها كثير من المحدثين يكتبون المنصوب
بصورة المرفوع اكتفا بالنطق به منصوبا او عطين اي متغير منتنا قال القاموس
عطن الجلد كفرح وانعطن وضع في الدباغ وترك فافسد وانتن او نضح عليه الما
وفي رواية الصحيحين وعند راسه اهب معلقة بفتح الهمزة والهاء وضمهما
جمع اهاب وفي رواية لهما غير اهبة ثلاثة بفتحتين جمع وفي ناحية المشربة
قرظ بفتح القاف والراء والظاء المعجمة ورق السلم الذي يدبغ به وفي رواية الشيخين
وان عند رجليه قرظا مصبوبا فسلمت عليه وجلست فقلت انت نبي الله
وصفوته وكسرى وقيصر على سرر بضمتين جمع سرير الذهب وفرش
الديباج والحرير فقال اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الدنيا وهي
وشيكة بمعجمة وكاف قريبة الانقطاع اي الزوال وفي نسخة وشيلة بمهملة
ولام اي طريق الانقطاع عن الاخرة وانا قوم اخرت لنا طيباتنا في اخرتنا
اضافة الاخرة لهم لانهم المنتفعون بها حتى كانها منسوبة لهم لا لغيرهم وفي
رواية للشيخين اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي
يا رسول الله قال النووي في شرح مسلم وهذا يحتج به من يفضل الفقير على الغني
لما في مفهومه ان بمقدار ما يتعجله من طيبات الدنيا يفوته من ادخار الاجر له في
الاخرة وقد يتاوله الاخرون بان المراد ان حظ هولاء من النعيم ما تعجلوه في الدنيا
ولا حظ لهم في الاخرى لكفرهم وعن عائشة رضي الله عنها كان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم سرير مرمل بضم الميم وفتح الراء وشد الميم بالبردي
بفتح فسكون نبات يعمل منه الحصر على لفظ المنسوب الى البرد كما في المصباح
فالمعنى ان قوايم السرير موصولة مغطاة بما نسج من ذلك النبات وفي حديث عمر
في الصحيح فاذا هو مضطجع على رمال حصير قال العلم بكسر الراء وتضم اي سرير
مرمول بما يرمل به الحصير اي ينسج ورمال الحصير ضلوعه المتداخلة فيه
كالخيوط في الثوب وعليه اي السرير كساء اسود قد حشوناه بالبردي
فدخل ابو بكر وعمر عليه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم نائم عليه
فلما راهما استوى جالسا الرمال فنظرا فاذا اثر السرير في جنبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ما يوذيك

بكف فهمزة الاستفهام تخفيفا اي اما يوذيك خشونة ما نري من فراشك
وسريرك وهذا كسري وقيصر اتي بالاشارة لتحقق كونهما علي فرش
الديباج والحرير حتي كانهما مشاهدان يشار اليهما فقال عليه الصلاة
والسلام لا تقولا هذا فان فراش كسري وقيصر في النار كناية عن عذابهما
وحقارتهما بجعل النار ظرفا لفراشهما محيطة به وان فراشي وسريري هذا
عاقبته الي الجنة لم يقل في الجنة علي نمط ما قبله اشارة الي تصرفه فيها
كيف شا وذلك ابلغ في تعظيمه من مجرد كون فراشه وسريره بها رواه
ابن حبان في صحيحه التسمية بالانواع والتقاسيم ويروي انه عليه
الصلاة والسلام ما عاب مضجعا قط اي مكانا يضطجع فيه ان فرش
له اضطجع عليه ما فرش له والا يفرش له شي اضطجع علي الارض وتغطي
صلي الله عليه وسلم باللحاف بزنة كتاب كل ثوب يتغطي به والجمع لحف ككتب
في المصباح قال عليه الصلاة والسلام كما رواه البخاري عن عائشة اجتمع صواحبي
الي ام سلمة فقلن والله ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وانا نريد الخير كما
تريد عائشة فمري رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يامر الناس ان يهدوا اليه حيث
ما كان او حيث ما دار فذكرت ذلك ام سلمة له قالت فاعرض عني فلما عاد الي ذكرت
له ذلك فاعرض عني فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال يا ام سلمة لا توذيني في عائشة
فوالله ما اتاني جبريل وفي رواية ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غير
عائشة لما لعلها في تنظيف ثيابها او المكان والدها وانه لم يفارق النبي صلي الله
عليه وسلم في اغلب احواله فسري سره الي ابنته مع مزيد حب المصطفي لها وفيه
فضلها علي جميع نسايه ويحتمل ان المراد غير خديجة لانها ماتت قبل ذلك فلم تدخل
في الخطاب بقوله منكن قاله الحافظ وجزم السيوطي بما ابداه احتمالا اثم المصر ذكر
هذا الحديث دليلا لقوله تغطي باللحاف لان الاستثنا من النفي اثبات فكانه قيل اتاني
وانا متغط بلحاف عائشة والمتبادر انها معه فيه النوع الثالث في بيان
معرفة طريقته التي كان يفعلها صلي الله عليه وسلم في نكاحه حال
من سيرة او صفة لها فلا يرد منع تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعني
لعامل واحد ثم المراد الوطي وانما اطلق عليه العقد ايضا لقوله فقد كان صلي الله
عليه وسلم ياخذ من الجماع بالاكمل من بيانية للاكمل كانه قال ياخذ بالاكمل
من النكاح وهو ما اي قدر تحفظ به الصحة وتتم به اللذة الحاصلة
بالجماع عادة فلا يقال اللذة ليست محصورة في شي بحيث لا يمكن زيادة عليه
ويحصل بها سرور النفس فهو عطف مسبب علي سبب ويحصل به
مقاصده جمع مقصد وهو ما يراد من الشي ومطلبه التي وضع لاجلها
اي وضعه الشارع حيث اباحه وهذا عطف علي تحفظ اعم مما قبله اذ
لم يذكر فيه دوام نوع الانسان فان الجماع في الاصل وضع لثلاثة
اشيا هي مقاصده الاصلية احدها حفظ النفس بمنع الافات
عنها التي قد تفضي الي الهلاك ودوام النوع الانساني الي ان تتكامل

العدة

العدة التي قدر الله تعالي بروزها فيه الي هذا العالم بتكونه ووجوده
بعد ان لم يكن فتشمل السقط ومن مات ببطن امه الثاني قضا الوطر وصوابه
كما في زاد المعاد الثاني اخراج الما الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن
الثالث قضا الوطر اي الحاجة اي فعل المطلوب ونيل اللذة والتمتع بالنعمة
وهذه هي الفايدة التي في الجنة اذ لا تناسل هناك ولا احتقان
اجتماع مني في الصلب يستفرغه الانزال المضر بقاوه بجملة البدن
وفضلا الاطبا يرون ان الجماع من احد اسباب الصحة كذا في النسخ
كزاد المعاد ممن زايدة في الاثبات علي قول الاخفش اذ الجماع نفسه احد
اسباب الصحة لا بعض سبب منها اللهم الا ان يقال اسباب الصحة كثيرة
واحدها يحصل به اخراج الفضلات المضرة بالبدن والجماع بعض ذلك السبب
لكن لا ينبغي لا يندب ندبا موكدا اخراج المني الا في امرين طلب النسل
لتكثير الامة المحمدية وفي اخراج ما احتقن منه لانه من التداوي وقد
امر به لا لمجرد قضا الشهوة واللذة وقول المصباح معني ينبغي كذا يندب ندبا
موكدا لا يحسن تركه اي يذم تاركه والا فالمطلوب من حيث هو لا يحسن تركه
اذ لو حسن لطلب الترك كالفعل فانه اذا دام احتقانه احدث امراضا
ردية منها الوسواس والصرع والجنون وغير ذلك هذا كله علة لطلب
اخراج المحتقن من المني وقد يبري استفراغه من هذه الامراض كثيرا
اي يمنع من وقوعها بدليل التعليل بقوله فانه اذا طال احتباسه فسد
واستحال الي كيفية سمية توجب امراضا ردية بهمزة وتقلب يا
اذ هو بعد استحالته الي السمية لا يخرج بصفة كونه منيا هكذا قرره شيخنا
وهو وجيه وقال في الشرح يعني ان الجماع كما يحفظ الصحة قد يزيل الامراض
الناشية من احتقان المني ويحسن ان يكون قوله اذا طال الخ علة لقوله او
اخراج المحتقن فالاولي تقديمه عليه لقوله وقد يبري وقد زاد ابن القيم بعد
قوله ردية ولذلك تدفعه الطبيعة اذا كثر عندها من غير جماع وقال بعض
السلف ينبغي للرجل ان يتعاهد من نفسه ثلاثا ان لا يدع المشي فاذا احتاج
اليه يوما قدر عليه وان لا يدع الاكل فان امعاه تضيق وان لا يدع الجماع فان
البير اذا لم تنزح ذهب ماوها قال محمد بن زكريا احد علما الطب من ترك
الجماع مدة طويلة ضعفت قوي اعصابه واستدت مجاريها
وتقلص ذكره انضم وانزوي كما في القاموس قال ورايت جماعة تركوه
لنوع من التقشف فبردت بضم الرا وفتحها ابدانهم اي سكنت حرارتها
وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كابة غم وسو حال بفتح الكاف
واسكان الهمزة بزنة تمرة كما في المصباح وزاد القاموس كابة بالمد بلا
سبب وقلت شهواتهم وهضمهم للطعام اشار اليه يعني ذكره العلامة
ابن القيم في زاد المعاد في هديه خير العباد قايلا فيه ايضا ومن منافعه
وان لم يكن من مقاصده الاصلية غض البصر عن الحرام وكف الانفس

عن الزنا ومقدماته والقدرة على العفة عن الحرام هذا كالتفسير لما
قبله ومن منافعه تحصيل ذلك المذكور للمراة فهو ينفع نفسه في
دنياه بنيل اللذة ودفع الامراض واخرته بعدم استحقاق العقاب ان لم
يعف عن الحرام وبنيل الثواب بقصده الحسن وينفع المراة الى هنا تم كلام
الهديمي فكان الاولى تاخير قوله اشار اليه في زاد المعاد الى هنا ولم يزل
التفاخر بكثرته عادة معروفة بين الناس لا تنكر والتمادح به سيرة
طريقة ماضية قديمة اونافذة مقررة من مضى الامرا اذا اقتضى وتقرر
ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده اى يتردد اليه ويكرره
ويقول كما في حديث انس عند الطبراني في الاوسط والنسائي في
سننه والحاكم في مستدركه وقال على شرط مسلم والبيهقي في السنن
قال الحافظ واسناده حسن والامام احمد في كتاب الزهد ووهم من عزاه
لمسنده كلهم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حبب بالبنا
للمفعول الي من دنياكم النسا لتقل ما بطن من الشريعة مما يستحيي من
ذكره بين الرجال والطيب لانه حظ الملايكة ولا غرض لهم في شيء من الدنيا
سواه فكانه يقول حبي لهاتين انما هو لاجل غيري قال الطيبي جي بالفعل
مجهولا دلالة على ان ذلك لم يكن من جبلته وطبعه وانه مجبور على هذا
الحب رحمة للعباد ورفقا بهم بخلاف الصلاة فمحبوبة له بذاتها فلذا قال
وجعلت قرة عيني في الصلاة ذات الركوع والسجود لانها محل المناجاة
ومعدن المصافاة وقيل المراد صلاة الله وملايكته عليه ومنع بان السياق يابام
وقدم النسا للاهتمام بنشر الاحكام وتكثير سواد الاسلام واردف بالطيب
لانه من اعظم الدواعي لجماعهن مع حسنه بالذات وكونه كالقوت للملايكة
وافرد الصلاة عنهما لانها غيرهما بحسب المعنى اذ ليس فيها تقاضي شهوة
نفسانية كما فيهما وقرة عينه اى لمناجاته فيها ربه تعالى ولذا خصه
دون بقية اركان الدين زاد الامام احمد في الزهد بعد قوله والطيب واصبر
عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن كذا نسب ابن القيم والزركشي
هذه الزيادة لكتاب الزهد وتعقبه السيوطي بانه مر على الزهد مرارا فلم يجدها
فيه لكن في زوايده لابنه عبد الله بن احمد عن انس مرفوعا قرة عيني في الصلوة
وحبي الى النسا والطيب الجايع يشبع والظمان يروى وانا لا اشبع من النسا فلعله
اراد هذه الطريقة قال عن بعضهم في معنى هذا الحديث قولان احدهما انه زيادة
في الابتلا والتكليف حتى لا يلهو بما حبب اليه من النسا عما كلف به من ادا الرسالة
فيكون ذلك اعظم لاجره واكثر لمشاقه والثاني لتكون خلواته مع من يشاهدها
من نسايه فيزول عنه ما يرميه به المشركون من انه ساحر شاعر فيكون تحبيبهن
اليه لطفا به وعلى القولين فهو له فضيلة وقال بعضهم من يعني في لان هذه من
الدين لا من الدنيا وان كانت فيها محبة النسا والنكاح من كمال الانسان
لدلالته على قوة الجسم واعتداله وهو من اخلاق الانبيا وهذا خليل الله

ابراهيم امام الحنفا افضل الخلق بعد المصطفى على الراجح كانت عنده
سارة بالتشديد والتخفيف من النسوة المختلف في نبوتهن اجمل نسا العالمين
واحب هاجر بالها والالف والجيم ويقال اجر وتسريها فولدت له
اسماعيل وروى سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري ولي
قضا المدينة وكان ثقة فاضلا عابدا مات سنة خمس وعشرين ومائة وقيل
بعدها وهو ابن اثنتين وسبعين سنة روى له الجميع عن عامر بن سعد
ابن ابي وقاص الزهري المدني ثقة مات سنة اربع ومائة عن ابيه سعد بن
ابي وقاص مالك احد العشرة قال كان الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلا
م يزور هاجر في كل يوم من الشام على البراق بضم الموحدة شغفا بها
زيادة حب وقلة صبر عنها وهذا موقوف صحابي وهذا داود عليه الصلاة
والسلام جعله ومن قبله وبعده لشهرتهم وشهرة اتصافهم بما ذكر بمنزلة
المحسوس المشاهد فاشار اليهم كان عنده تسعة وتسعون امراة على زهده
واكله من عمل يده مع ما اوتي من الملك فاحب تلك المراة التي كانت زوج رجل
من بني اسرايل لانه راها فاعجبته فساله تطليقها فطلقها بطيب خاطره وتزوج
بها فكمل المائة بها فولدت له سليمان وهذا سليمان ابنه يطوف في الليلة على
تسعين امراة كما في رواية وفي اخرى سبعين واخرى ستين واخرى مائة ومائة
بسطة قريبا تنبيه علم مما تقدم اجمالا انه لم يرو لفظ ثلاث ووقع في
الاحيا للغزالي في موضعين وتفسير ال عمران من الكشاف عند قوله تعالى
فيه ايات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وتبعه البيضاوي وكثير من
كتب الفقها والراغب وابن عربي في النصوص حبب الي من دنياكم ثلاث
وقالوا انه عليه الصلاة والسلام قال ثلاث ولم يذكر الا اثنتين الطيب
والنسا لتذهب النفس كل مذهب ممكن في تعيين ما يصلح جعله مثالا للمتروك
وفي حديث ما يفيد انه الطعام روى احمد عن عايشة كان يعجب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشيا النسا والطيب والطعام فاصاب ثنتين ولم يصب
واحدة اصاب النسا والطيب ولم يصب الطعام واسناده صحيح لكن فيه رجل لم يسم
ومنه قول الشاعر ان الاحامرة بالحا المهملة جمع احمر لا بمعجمة لانه ليس جمعا
لخمار الثلاثة اهلكنه مالي وكنت بهن قدما بكسر فسكون مولعا بضم فسكون
ففتح الخمر وهو احمر والما القراح سماه احمر مجازا اذ لا لون له واطلي
بالزعفران والطلا ليس من الثلاثة فهو مثل الاية والحديث ولم يفهم من قال
لا شاهد فيه لانه على منهجه اذ المراد التنظير على الطي وانه مستعمل في القران
وشعر العرب فلا ازال مولعا بفتح الواو واللام الثقيلة وفي صحاح الجوهري
واهلك الرجال الاحمران اللحم والخمر فاذا قلت الاحامرة دخل فيه الخلوق
وانشد الاصمعي

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت ٭ مالي وكنت بهن قدما مولعا
الراح واللحم السمين والطلا ٭ بالزعفران فلن ازال مولعا

انتهى فلم يذكر الماء وذكرها اي لفظة ثلاث الامام ابو بكر محمد بن الحسن
ابن فورك بضم الفاء واسكان الواو الاصبهاني الاصولي النحوي المتكلم الواعظ
صاحب التصانيف الغريبة من مائة مائة متوفى ماسنة ست واربع مائة
ودفن بنيسابور وقبره بظاهرها يستشفى به ويجاب الدعاء عنده في
جزء مفرد ووجهها واطنب في ذلك فقال الصلاة طاعة المطيع في
الدنيا لربه تعالى فهي منها وقتا ومحلا لا حكما واسما والطيب والنساء
الدنيا وقتا وحكما ومحلا ووصفا ولذا افرد الصلاة ليدل على انها مخصوصة بانها
في الدنيا وهي وصلة الى الاخرة وبها تقر عينه وعين من يفعل مثله على التحقيق
لانها اتصال بالله ومناجاة له ووقوف بين يديه وخشوع له وتقرب اليه فهو
ولهذا يرجو العبد التقريب والتقديم والنجاة والايناس والرحمة والمنزلة
وانما ذكر العبادة وهو من يريد المعبود كما يقال الحجر من البيت لانه متصل به
والداخل فيه كالداخل في البيت ولان العبادة تذكره بالمعبود وتقرب اليه والشيء
يضاف الى الشيء اذا كان له به تعلق وسبب كحديث سبقت رحمتي غضبي قالوا معناه
سبق المرحوم المغضوب عليه لان السبق في الرحمة والغضب لا يصح لانهما صفتان
راجعتان الى الارادة من صفات الذات وكل ما وقع في التوسط مما يراد به الاخرة
فليس من الدنيا وما كان منها مما يراد به الدنيا فهو من الدنيا ولذا قال صلى الله
عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما اريد به وجه الله نقله عنه السخاوي
وهذا يسمى عندهم طيا وهو ان يذكر جمع ثم يؤتى ببعضه ويسكت
عن ذكر باقيه لغرض للمتكلم كطيه ما علم السامع لعدم ارادة المتكلم وقوف
السامع عليه لنكتة فانه الطعام هنا كما عند احمد كما مر فطواه لخسته
الزمخشري مستشهدا عليه قول جرير
كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم ، من العبيد وثلث من مواليها فصرح
بقسمين وطوى ذكر الثالث كانه قيل والثالث من الاحياء الذين ليسوا موالي
ولا عبيدا ويحكى ان بعض بني حنيفة سئل من اي الاثلاث هو من بيت جرير
فقال من الثالث الملغي ذكره الدماميني وزعم بعض انه لا شاهد في البيت لانه
ذكرها وجعلها اثلاثا عبيد وموالي حلفا فمعنى نفس القبيلة وضمها وهي مذكورة
اولا وفائدة الطي عندهم تكثير ذلك الشيء لتذهب النفس كل مذهب ممكن قال
بعض بقي ان في لفظة ثلاث تغليب المؤنث على المذكر عكس القاعدة لنكتة وغير
الاسلوب الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما قبله وفيه عطف الفعل على
الاسم الجامد والمعروف عطفه على المشتق كما قال ابن مالك
واعطف على اسم شبه فعل فعلا ، وعكسا استعمل تجده سهلا
لكن هذا التكليف انما يجي لورود لفظ ثلاث ولم يرد فقد قال ابن القيم
وغيره من رواه حبب الي من دنياكم ثلاث فقد وهم ولم يقل صلى الله
عليه وسلم ثلاث كما تقضي به سير كتب الحديث المشهورة والصلاة ليست
من امور الدنيا حتى يضاف اليها انتهى نعم تضاف اليها لكونها

فيهم

ظرفا

ظرفا لوقوعها فقط فهي عبادة محضة فلو ثبتت صحة اضافتها لذلك
وقال شيخ الاسلام الحافظ بن حجر في تخاريج احاديث الكشاف ان
لفظ ثلاث لم يقع في شيء من طرقه وزيادته تفسد المعنى لان الصلاة
ليست من امور الدنيا وكذا قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي الحافظ
ابن الحافظ في اماليه وعبارته ليست هذه اللفظة وهي ثلاث في شيء
من كتب الحديث فليست مدرجة ايضا كما زعمه من لا المام له بالفن فالمدرج
الملحق بحديث من قول راو بلا ظهور فصل وهي مفسدة للمعنى فان الصلاة
ليست من امور الدنيا وكذا صرح به الزركشي في الاحاديث المشتهرة له فقال
لم يرد فيه لفظ ثلاث وزيادته محيلة للمعنى فان الصلاة ليست من الدنيا وغيره
وكانهم لم يعتبروا توجيه ابن فورك ومن وافقه بانها منها وقتا ومحلا ولا توجيه
الزمخشري وغيره بانه من الطي لانه انما يصار اليه لو وجدت احاديث لم توجد
فلا داعية للتوجيه بل ذكره والاعتناء به يوهم قاصر الباع في الحديث ورودها كما
حكاه اي جميع ما نقله عن الحافظ والولي والزركشي شيخنا السخاوي في
المقاصد الحسنة واقره قال لا مار ايت في شيء من طرق الحديث بعد مزيد التفتيش
زيادة في جزء الغد في هذا الحديث يمكن ان تكون الصلاة من امور الدنيا بالنظر الى
اللذة التي حاصلة لمديمها كما قال في الاحيا جعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا لان كل
ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ
بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذا اضافها اليها انتهى
وقال ابن الحاج في المدخل انظر نظر تامل وتدبر الى حكمة قوله عليه
الصلاة والسلام حبب ولم يقل احببت وقال من دنياكم فاضافها اليهم
دونه عليه الصلاة والسلام فلم يقل من دنياي ولا من الدنيا فدل على ان
حبه كان خاصا بمولاه تبارك وتعالى وغاير فقال وجعلت قرة عيني
فرحها وسرورها في الصلاة فكان عليه السلام بشريه الظاهر ملكي
الباطن وكان عليه الصلاة والسلام لا يأتي الى شيء من الاحوال البشرية
الا تأنيسا لامته وتشريعا لها ليقتدى به لانه يحتاج الى شيء من
ذلك بحيث لو تركه لاضر به ولذا كان يواصل الصوم ويقول اني اطعم واسقى
الا ترى الى قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله التي يرزق منها
ولا اني اعلم الغيب ما غاب عني ولم يوح الي ولا اقول لكم اني ملك من
الملائكة فقال لكم ولم يقل اني ملك فلم ينف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم
اعني بكونه ملكا في معانيه عليه الصلاة والسلام لا في ذاته الكريمة اذ انه
عليه الصلاة والسلام ملحق بشريته بما يلحق البشر وهذا قال سيدي
الشيخ ابو الحسن علي الشاذلي بمعجمة ومهملة هو بشر ليس كالابشار
جمع بشر قال المصباح يطلق على الانسان واحده وجمعه لكن العرب ثنوه ولم
يجمعوه انتهى لكن في القاموس قد يثنى ويجمع ابشارا كما ان الياقوتة من الجواهر
معرب واجوده الاحمر الرماني نافع للوسواس والخفقان وضعف شربا وجمود

الدم تعليقا قاله القاموس حجر ليس كالاحجار وهذا منه اي الشاذلي
رحمه الله على سبيل التقريب للفهوم جمع فهم كفلس وفلوس فدل
على انه صلى الله عليه وسلم كان ملكي الباطن ومن كان ملكي الباطن
ملك نفسه ولا تغلب عليه محبة شي من الدنيا انتهى كلام المدخل وهنا لطيفة
روي مما لا يصح انه عليه الصلاة والسلام لما قال حبب الي من دنياكم
ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال ابو بكر
الصديق وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا لم يقل من دنياكم تادبا
ولانها تصح اضافتها اليهم لانهم ليسوا امثاله في انه ملكي الباطن النظر اليه
وجهك او بروحي القعود بين يديك وجمع المال للانفاق عليك حقيقة
او حكما كصرف على نحو جيش فانه انفاق عليه حكما والتوسل بقرابتك
اليك مصدر مضاف لمفعوله اي بقرابتي اليك الموجود بن كعلي والعباس وفاطمة
وجزم شيخنا بالاول مع انه قال في تقريره الثاني اظهر ويذكر انه قال بدل هذا
والصلاة عليك وقال عمر الفاروق وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بامر الله وبروحي واقامة حدود
الله وقال عثمان وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث اشباع
الجائع وارواء الظمآن وكسوة العاري وبروحي اطعام الطعام وافشا السلام
والصلاة بالليل والناس نيام وقال علي بن ابي طالب وانا يا رسول الله
حبب الي من الدنيا ثلاث الصوم في الصيف واقرا الضيف لم يذكر
القاموس ولا الصحاح اقرا المزيد لطعام الضيف بل قرا او ان ثبت فهو لغة
لكن نقله ابو محمد النيسابوري بلفظ قرا بالكسر والقصر والضرب بين
يديك بالسيف قال الطبري محب الدين المكي رواه الجندي بفتحتين
كذا قال والعهدة عليه وزاد بعضهم فيه فنزل جبريل فقال وانا احب الي
من الدنيا ثلاث النزول على النبيين وتبليغ الرسالة للمرسلين والحمد لله رب
العالمين اي الثنا على الله ثم عرج ثم رجع فقال يقول الله وهو حبيبه اليه
من عباده ثلاث لسان ذاكر وجسم على بلائه صابر وقلب لحظ وادا القداص
قلب شاكر
قبل الله ان الله يحب من دنياكم ثلاثا فتدبرها ويحتمل ان الخطاب للخلفا الاربعة
او لجميع الناس او الامة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فضلت على الناس باربع خصها باعتبار ما فيها من النهاية التي
لا ينتهي اليها احد غيره لا باعتبار مجرد الوصف بالسماحة وفي رواية بالسخا
اي الجود لانه كان اجود من الريح المرسلة والشجاعة خلق غضبي بين افراط
يسمى تهورا وتفريط يسمى جبنا وكثرة الجماع لكمال قوته وصحة ذكورته
وشدة البطش فبدا بسخي على ما ينبغي وقدم السخا لعموم منافعه وثنى
بالشجاعة لانه نبي الجهاد يا ايها النبي جاهد الكفار فكلفه وهو فرد جهاد
الكل ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وثلث بالجماع لان قوته معجزة في حقه
وربع بشدة البطش لانه من لوازم القوة وساغ له مدح نفسه لانه مامون

الخطا

الخطا ولذا جاز له الحكم لنفسه رواه الطبراني في الاوسط برجال ثقات قاله
الحافظان العراقي والهيثمي وتعقبا بان ابن الجوزي والذهبي والحافظ
ضعفوه لان فيه سعيد بن بشير زاويه عن قتادة عن انس وسعيد
ضعيف وقال انس كان صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في
الساعة الواحدة اي في قدر من الزمان لا ما اصطلح عليه الفلكيون من
الليل والنهار الواو بمعنى او وجزم به الكرماني ويحتمل انها على بابها
بان يكون تلك الساعة جزا من اخر احدهما وجزا من اول الاخر قاله الحافظ
قال بعضهم نعم يحتمل ذلك لكنه تكلف بعيد جدا وهن احدى عشرة
تسع زوجات وجارية وريحانة قال قتادة قلت لانس مستفهما او بفتح
الواو وكان يطيقه اي مباشرة المذكورات في الساعة الواحدة قال كنا معشر
الصحابة نتحدث انه اعطي بضم الهمزة وكسر الطا وفتح اليا قوة ثلاثين
رجلا رواه البخاري من طريق هشام عن قتادة بن دعامة قال ابن
خزيمة محمد بن اسحاق ابن خزيمة بن المغيرة بن صالح السلمي النيسابوري
الحافظ الكبير المعروف عند المحدثين بامام الايمة قال ابن حبان ما رايت من
يحسن صناعة السنن ويحفظ الفاظها الصحاح وزيادتها حتى كان السنن
كلها نصب عينيه الا ابن خزيمة وقال الدارقطني كان اماما ثبتا معدوم
النظير ومصنفاته تزيد على مائة واربعين سوى المسائل والرسائل من مائة جزء
مات في ذي القعدة سنة احدى عشرة وثلثمائة عن نحو تسعين سنة تفرد بذلك
معاذ بن هشام الدستوائي بفتح الدال وسكون السين المهملتين وفتح الفوقانية
كما في الكواكب والتقريب وفي اللب بضمها ثم مد نسبة الى دستوا بلد بالاهواز
البصري وقد سكن اليمن صدوق ربما وهم مات سنة مائتين عن ابيه هشام
ابن ابي عبد الله سنبر بمهملة ثم نون ثم موحدة وزن جعفر ابي بكر البصري ثبت
رمي بالقدر مات سنة اربع وخمسين ومائة وله ثمان وسبعون سنة روى له
الجميع ورواه سعيد بن ابي عروبة مهران اليشكري البصري ثقة حافظ له
تصانيف كثير التدليس واختلط وكان من اثبت الناس في قتادة مات سنة ست
وقيل سبع وخمسين ومائة روى له الستة وغيره كشعبة عند احمد عن قتادة
فقالوا تسع نسوة انتهى وكذا رواه البخاري من طريق سعيد بن ابي
عروبة ايضا بلفظ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع
نسوة كل واحدة منهن تسع مرات في طلق كذا ذكره البقاعي في تفسيره وجمع
بينهما ابن حبان في صحيحه بان حمل ذلك على حالتين لكنه وهم في
قوله ان الحالة الاولى كانت في اول قدومه المدينة حيث كان تحته تسع
نسوة ويجعل الاولى صفة للحالة سقط قول شيخنا لعل ابن حبان قدم رواية
التسع على رواية احدى عشرة والا فالموافق ان يقول بدل الاولى الثانية
لانه نشا من فهم ان الاولى صفة للرواية وانما هو صفة للحالة بدليل التصريح
بقوله والحالة الثانية في اخر الامر حيث اجتمع عنده احدى عشرة

امراة وموضع الوهم منه انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
لم يكن تحته سوى سودة بنت زمعة ثم دخل على عائشة بالمدينة
قال العلامة حسين الكفوي في شرح البخاري ويمكن توجيه كلام ابن حبان
بان تحمل الاولى في قوله قدومه عبارة عن الزمان الممتد الى اخر امره عليه
الصلاة والسلام لانه اجتمع عنده تسع نسوة حين قدم المدينة هذا غاية
ما يمكن اصلاح كلامه انتهى ثم تزوج ام سلمة وحفصة وزينب بنت
خزيمة المعروفة بام المساكين لحبها لهم وفي السنة الرابعة ومكثت بنت
خزيمة عنده شهرين او ثلاثة وماتت قاله ابن عبد البر وغيره فلم تجتمع مع
بقية التسع فالمراد من ذكرها مجرد الرد على ابن حبان بتعداد من دخل بهن
فلا ينافي موتها قبل تمام التسع ثم زينب بنت جحش في الخامسة ثم
جويرية في السادسة ثم صفية وام حبيبة وميمونة في السابعة
هؤلاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة وخديجة ماتت
قبلها ولم يجمع معها غيرها على المشهور زاد الحافظ واختلف في ريحانة وكانت
من سبي بني قريظة فجزم ابن اسحاق بانه عرض عليها ان يتزوجها ويضرب عليها
الحجاب فاختارت البقاء في ملكه والاكثر على انها ماتت قبله في سنة عشر وكذا ماتت
زينب بنت خزيمة بعد دخولها عليه بشهرين او ثلاثة قاله ابن عبد البر فعلى هذا
لم يجتمع عنده من الزوجات اكثر من تسع مع ان سودة كانت وهبت يومها لعائشة
فرجحت رواية سعيد لكن تحمل رواية هشام التي تفرد بها ابنه معاذ عنه
على انه ضم مارية وريحانة اليهن واطلق عليهن لفظ نسائه تغليبا
لكثرة النساء وانا ضعف استدلال ابن التين لقول مالك بلزوم الظهار من الاماء
باطلاقه على الجميع لفظ نسائه بانه للتغليب فلا حجة فيه وعن طاوس ومجاهد
مرسلا اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابن سعد
ولا ينافيه رواية الصحيح السابقة قوة ثلاثين لجواز انهم تحدثوا بذلك قبل بلوغهم
الزيادة ووقع عند الاسماعيلي من رواية ابي موسى عن معاذ بن هشام اربعين بدل
ثلاثين قال الحافظ وهي شاذة من هذا الوجه وعند احمد والنسائي وصححه الحاكم
من حديث زيد بن ارقم رفعه اي قال قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل
الجنة ليعطى قوة مائة في رواية الطبراني مائة رجل في الاكل والشرب والجماع
والشهوة عطف سبب على مسببه لان الجماع يتسبب عن الشهوة وخصها لان
ما عداها راجع اليها اذ الملبس والمسكن من الشهوة ولا يرد ان كثرة الاكل والشرب
في الدنيا مجمع على ذمه لانه انما نشا عنه من فتور وتوان وتشاغل عن العبادة
ومن امراض كتخمة وقولنج واهل الجنة مامونون من ذلك كله اذ كل ما فيها لا يشبه
شيئا مما في الدنيا الا في مجرد الاسم الا ترى الى انه زاد في رواية الطبراني في الكبير برجال
ثقات حاجة احدهم عرق يفيض من جلده فاذا بطنه قد ضمر فان قلت وطء
المراة في يوم الاخرى ممنوع حرام والقسم وان لم يكن واجبا عليه على القول
المرجوح عند الشافعية وكثيرين وهو الراجح عند المالكية وطائفة لكنه عليه

الصلاة والسلام التزمه تطييبا لنفوسهن باحتمال اذن صاحبة
اليوم اي النوبة كما في الفتح فعزوه للمص لانه مطلق على مطلق الزمن كيوم
حنين له كما استاذنهن ان يمرض في بيت عائشة او باحتمال انه في يوم
لم يثبت فيه قسم بعد كيوم قدومه من سفر لانه كان اذا سافر اقرع
بينهن فسافر بمن يخرج سهمها فاذا انصرف استانف او باحتمال ان
دورانه في اليوم الذي بعد كمال الدورة لانه يستانف القسم فيما بعد
قال الحافظ وهذا الاحتمال كالاول اليق بحديث عائشة والاحتمال الثاني اخص
من الثالث ويحتمل ان ذلك كان يقع قبل وجوب القسمة ثم ترك بعدها
اي الدوران في ساعة او انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم مع وجوب
القسم عليه كلها تكلفات ظاهرة والحديث حجة للقائلين بان من خصائصه
عدم وجوب القسم واليه اشار البخاري في كتاب النكاح وقد اختص في بابه
النساء باشياء كما سياتي ان شاء الله تعالى في المقصد الرابع فلا مانع ان تلك
الساعة من جملة ما اختص به في بابهن مع وجوب القسم عليه وقد علمت
ان الخصائص لا تثبت بالاحتمال قال الحافظ ابن العراقي بل بدليل صحيح وقد قال
في فتح الباري واغرب ابن العربي فقال خص الله نبيه بساعة في كل يوم لا يكون
لازواجه فيها حق يدخل فيها على جميعهن فيفعل ما يريد ثم يستقر عند
من لها النوبة وتلك الساعة بعد العصر فان اشتغل عنها كانت بعد المغرب
ويحتاج الى ثبوت ما ذكر مفصلا انتهى وعن صفوان بن سليم بضم السين المدني
ابي عبد الله الزهري مولاهم تابعي صغير ثقة مفتي عابد قيل لم يضع جنبه للارض
اربعين سنة حتى بقيت جبهته من السجود رمي بالقدر روى له الستة مات
سنة اثنين وثلاثين ومائة مرفوعا مرسلا اتاني جبريل بقدر بكسر فسكون
اناء يطبخ فيه مؤنثة فاكلت منها باذنه اذ وضع الطعام اذن فظاهره انه من الجنة
ولا مانع ان طعامها يخرج الى الدنيا لكنه يسلب الخصوصية في حق غير نبينا
فاعطيت قوة اي قدرة اربعين رجلا من رجال اهل الجنة في الجماع قيد به ليدل
على ان القوة في غيره اولى اذ هو محل العجز غالبا لا سيما عند الكبر رواه ابن سعد
برجال الصحيح فقال حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسامة بن زيد عن صفوان ابن
سليم فذكره وهذا مرسل وقد وصله ابو نعيم والديلمي عن صفوان عن عطاء بن
يسار عن ابي هريرة رفعه لكن فيه سفيان بن وكيع ضعيف جدا فلذا اقتصر المص
على رواية ارساله لصحة سندها وقول الشارح قوله وعن صفوان الخ تقدم ان هذا
موضوع غلط وسهو فاحش فالمتقدم قريبا في الفصل الثالث من هذا المقصد انه
موضوع انما هو حديث اطعمني جبريل الهريسة اشد بها ظهري واتقوى بها على
الصلاة فيه محمد بن الحجاج اللخمي هو الذي وضع هذا الحديث فاما حديث ابن سعد
فذكره المص في الفصل الاول من هذا المقصد باسناده الذي ذكرته ليبين انه صحيح
فالحاصل ان حديث القدر صحيح مرسلا ووصله ضعيف ولم يعلم ما في القدر وزعم
انه هريسة لا يصح لان احاديث الهريسة كلها واهية بل قال ابن ناصر انها موضوعة

وقال غيره ضعيفة جدا الذهبي واهية ولما كان عليه الصلاة والسلام ممن
اقدر على القوة في الجماع واعطي الكثير منه ابيح له من عدد الحرائر
ما لم يبح لغيره وهو الزيادة على اربع قال ابن عباس تزوجوا فان
افضل هذه الامة اكثرها نسا رواه البخاري عن سعيد بن جبير قال
قال لي ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال فتزوج فان خير هذه الامة اكثرها
نسا يشير افضل او خير الية صلى الله عليه وسلم وقيد بهذه الامة ليخرج
مثل سليمان عليه الصلاة والسلام اي مثله ممن اكثر من النسا كابيه داود
فانه كان اكثر نسا من المصطفى ووقع عند الطبراني عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس تزوجوا فان خيرنا اكثرنا نسا ولاجل هذه الرواية قيل
المعنى في الرواية التي قبلها خير امة محمد صلى الله عليه وسلم من كان اكثر
نسا من غيره ممن تساوى معه فيما عدا ذلك من الفضايل لا الاشارة الى
المصطفى قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني والذي يظهر خلاف هذا القيل
وان مراد ابن عباس بالخير النبي صلى الله عليه وسلم وبالامة اخصا
اصحابه وكانه اشار الى ان ترك التزويج مرجوح اذ لو كان راجحا ما اثر
النبي صلى الله عليه وسلم غيره وكان مع كونه اخشى الناس لله تعالى
واعلمهم به كما صح في الحديث يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الاحكام التي
لا يطلع عليها الرجال وقد جا عن عايشة من ذلك الكثير الطيب ولاظهار
المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يتمتع به من القوت
غالبا وان وجد فكان يوثر باكثره ويصوم كثيرا ويواصل والصوم يضعف
النكاح بل هو له وجا ومع ذلك فكان يدور على نسايه في الليلة اي الساعة
الواحدة ولم يرد خصوص الليلة لما تقدم في حديث البخاري من الليل والنهار
ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال
المقويات من ماكول ومشروب وهي عنده عليه الصلاة والسلام نادرة قليلة
جدا او معدومة اصلا وقال بعض العلما في حكمة زيادته على اربع لما كان الحر
لفضله على العبد يستبيح من النسا اكثر مما يستبيحه العبد وجب ان يكون
النبي صلى الله عليه وسلم لفضله على جميع الامة يستبيح من النسا
اكثر مما تستبيحه الامة والمزاد بفضله على جميع الخلق لم يتقيد ما ابيح له
بعدد ولم يقتصر ما يباح له في ضعف ما يباح للحر فقط وانه قصر ما يباح للحر على
ضعف ما يباح للعبد عند جمع والا فمذهب مالك يجوز للعبد الاربع قال الواحدي من
فوايد ذلك زيادة التكليف في القيام بهن مع تحمل اعبا بالفتح اثقال الرسالة
فيكون ذلك اعظم لمشاقه واكثر لاجره لان حب النسا يقتضي عادة الاشتغال
بهن بحيث تمنع من القيام بالاعبا فكونه يقوم بها على ابلغ وجه واتمه غاية
المشقة فلذا اكثر اجره لانه على قدر المشقة ومنها ان النكاح في حقه
عبادة مطلقا كما قاله السبكي وهو في حق غيره ليس عبادة عندنا بل مباح
من المباحات والعبادة عارضة له قاله المصنف في الخصايص فشغله عن غيره يجب

ومنها

ومنها نقل محاسنه الباطنة فقد تزوج عليه الصلاة والسلام ام حبيبة
بنت ابي سفيان صخر بن حرب وكان ابوها في ذلك الوقت عدوه
ويحاربه وصفية بنت حيي وقد قتل اباها وعمها وزوجها في غزاة
خيبر فلو لم يطلعن من بواطن احواله على انه اكمل خلق الله لكانت
الطباع البشرية تقتضي نفرتهن منه وميلهن الى ابايهن وقرابتهن
فكان في كثرة النسا عنده بيان لمعجزاته اي لمعرفتهن فيخبرن بها فلا
يفوت شي منها على الناس ظاهره وباطنه ولمعرفة كماله باطنا كما عرف
منه الرجال كماله ظاهرا وهذه حكم وبركات لانتراحم بل كل من ظهر له شي
منها ابداه وقد رغب بالتفعيل عليه الصلاة والسلام في النكاح فروى
ابو داود والنسايي كلاهما في النكاح من حديث معقل بفتح الميم وسكون
العين المهملة وكسر القاف ولام ابن يسار المزني ممن بايع تحت الشجرة
وكنيته ابو علي على المشهور وهو الذي ينسب اليه نهر معقل بالبصرة مات
بعد الستين مرفوعا قال معقل جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اصبت
امراة ذات حسب ومنصب ومال الا انها لا تلد افاتزوجها فنهاه فقال تزوجوا
الودود المتحببة الى زوجها بنحو تلطف في الخطاب وبشاشة وادب وكثرة
خدمة الولود كثيرة الولادة ويعرف في البكر باقاربها وفي الثيب بزوجها
الاول فلا تعارض بينه وبين ندب نكاح البكر لاحاديث قال الولي العراقي والحق
انه ليس المراد بالولود كثيرة الاولاد بل من هي في مظنة الولادة وهي الشابة دون
العجوز الذي انقطع نسلها فالصفتان من واد واحد فاني مكاثر مغالب بكم
الامم السابقة في الكثرة وتعليل للامر بتزوج جامعة الصفتين لان الولود
اذا لم تكن ودودا لا يرغب الرجل فيها والودود غير الولود لا تحصل المقصود وفيه
استحباب النكاح وفضل كثرة الاولاد اذ بها يحصل ما قصده من المكاثرة وفي
ابن ماجة عن ابي هريرة رفعه انكحوا فاني مكاثر بكم الامم السالفة وهو
معنى ما اشتهر على الالسنة تناكحوا تناسلوا فاني مباه مغالب بكم
الامم ولم اقف عليه بهذا اللفظ نحوه لشيخه في المقاصد فانه ترجم بما اشتهر
على الالسنة وقال جا معناه عن جماعة من الصحابة وذكر حديثي معقل وابي
هريرة وحديث انس كان صلى الله عليه وسلم يامر بالباه وينهى عن التبتل
ويقول تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة صححه الحاكم
وابن حبان انتهى وذا عجيب فقد اورده عياض بلفظ تناكحوا تناسلوا اباهي
بكم الامم يوم القيامة وقال مخرجه اخرجه ابن مردويه في تفسيره عن ابن عمر
مرفوعا بسند ضعيف انتهى ولكن له شواهد كما رايت وارشد عليه الصلاة
والسلام من لم يستطع الباه بالموحدة والهمزة المفتوحة وتا التانيث ممدودا
وقد لا يهمز ولا يمد وقد يهمز ويمد من غيرها قاله المص وفي التوشيح بالهمز
والمد وقد يترك ان وقيل الاول مؤن النكاح والثاني الوطي وفي المراد هنا القولان
اصحهما الثاني والذي يظهر ترجيح الاول وسياق الحديث يدل عليه ولقوله

في الحديث يدل عليه بحقو الاخصين كان ذا طول اخرجه الطبراني انتهى الي
الصوم قايلا فانه له وجا بكسر الواو وجيم ممدود وقيل بفتح الواو ومقصور
واستبعد اي قاطع لشهوته واصله رض الانثيين فالحاقه على الصوم
من مجاز المشابهة لان الوجا قطع وقطع الشهوة اعدام له ايضا ثم انه مع
استشكل بان الصوم يزيد الحرارة واجاب العلما بانه يثيرها في ابتدايه ثم اذا دام
سكنت واليه اشار بقوله لان كثرته تقلل مادة النكاح وتضعف ما يجده
المرء من الحرارة القوية التي تبعثه على النكاح وذلك مشاهد في اخر
رمضان غالبا وخص الشباب في قوله صلى الله عليه وسلم كما رواه احمد
والشيخان والاربعة من حديث ابن مسعود يا معشر الشباب من استطاع
منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فانه له وجا لان للشباب من شهوة النكاح ما ليس لغيرهم
كالشيوخ وان كان المعنى معتبرا اذا وجد السبب في الكهول والشيوخ ايضا وقد
ظهر لك ان النكاح اعظم في الاجر والثواب من الصيام فانه صلى الله
عليه وسلم لم يامر اولا بالصيام انما امر به عند عدم الطول الي النكاح
والامر للاباحة وان كان ظاهره الوجوب لوروده في الكتاب والسنة كثيرا للاباحة
اذا حللتم فاصطادوا فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فان طبن لكم عن شي منه
نفسا فكلوه وقوله صلى الله عليه وسلم سافروا تصحوا وانما لم يحمل في النكاح
الوجوب وما في الاحكام لعارض كما بين في الفروع وغيرها واذا كان النكاح
يقوم به التناسل لتكثير هذه الامة المحمدية فهو بلا شك افضل لسعيه
فيما احبه المصطفى قال عمر بن الخطاب اني لاطا النسا وما بي الشهوة
حاجة رجا ان يخرج الله من ظهري من يكاثر به محمد صلى الله عليه
وسلم الامم يوم القيامة ذكره ابن ابي جمرة بجيم وراء فانظر كون نبينا
صلى الله عليه وسلم بالاجماع اعبد الناس مع ما طبعت عليه بشريته
من حب الجماع تجده غاية في المعجزة كيف ولم يخل بعبادته شيئا لانه
عليه الصلاة والسلام لم يكن يا يتها الاعلى مستورة وعينها فرضا وكمالا
وهذا هو غاية الكمال في البشرية لانه يرجع ما طبع عليه تابعا لما
امر به كما قالت عايشة وينام ثلثه ثم يضطجع فان كانت له حاجة الم باهله
فجعل الجماع تابعا للقيام وقدمه عليه وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام
انه قال لا رهبانية في الاسلام كما تفعل النصارى وهي ترك النسا والانفراد
في الديور ونحوها ولو كان الترهب افضل لشرع ذلك في ديننا اذ هو
خير الاديان نصا واجماعا وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام لاطوفن
الليلة على مائة امراة والجوهري والمستملي لاطيفن من طاف بالشي واطاف
به لغتان اي دار حوله وهو هنا كناية عن الجماع ففيه استعمال الكناية
في لفظ يقبح ذكره واللام جواب قسم محذوف اي والله لاطوفن ويؤيده
قوله في اخره لم يحنث لانه لا يكون الا عن قسم والقسم لا بد له من مقسم

فان

فان قال بذلك احد فالحديث حجة له على ان شرع من قبلنا شرع لنا اذا ورد
تقريره على لسان الشارع وان اتفق على عدم الجواز او كان يقال لعل التلفظ
باسم الله وقع في الاصل وان لم يقع في الحكاية وذلك ليس بممتنع فان من قال
والله لاطوفن يصدق انه قال لاطوفن لان اللافظ بالمركب لافظ بالمفرد كذا
في فتح الباري الحديث رواه البخاري في مواضع عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة بمائة امراة تلد كل
امراة غلاما يقاتل في سبيل الله فقال له الملك قل ان شا الله فلم يقل ونسي فطاف
بهن ولم تلد منهن الا امراة نصف انسان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو قال
ان شا الله لم يحنث وكان ارجى لحاجته هكذا رواه البخاري في كتاب النكاح وله
في الجهاد على مائة امراة او تسعة وتسعين بالشك وله في الايمان والنذور
على تسعين امراة بفوقية قبل السين وله في احاديث الانبيا على سبعين امراة
بسين بعدها موحدة وقال ان رواية تسعين اصح اي بفوقية قبل السين وله
في التوحيد على ستين امراة وجمع الحافظ بان الستين كن حراير وما زاد عليها
كن سراري او بالعكس والسبعون للمبالغة واما التسعون والمائة فكن دون
المائة وفوق التسعين فمن قال تسعون الغى الكسر ومن قال مائة جبره ولذا
وقع التردد في رواية الجهاد وقول بعض الشراح ليس في ذكر القليل نفي
للكثير وهو من مفهوم العدد وليس بحجة عند الجمهور فليس بكاف في هذا
المقام وذلك ان مفهوم العدد معتبر عند كثيرين وفي رواية للبخاري فقال
صلى الله عليه وسلم لو قال لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون ثم المراد
انه نسي ان يقولها بلسانه والا فلم يغفل عن التفويض الي الله بقلبه كما يقتضيه
كمال النبوة وروى ابن عساكر بسند ضعيف ان سليمان كان له اربع مائة امراة
وستمائة سرية فقال يوما لاطوفن الليلة على الف فتحمل كل واحدة منهن بفارس
يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فلم تحمل واحدة منهن الا امراة واحدة جات
بشق انسان فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو استثنى فقال
ان شا الله لولد له ما قال فرسان ولجاهدوا في سبيل الله ولا يلزم من اخباره
صلى الله عليه وسلم بذلك في حق سليمان في هذه القصة ان يقع ذلك لكل من
استثنى بل هو رجوي الوقوع وتركه يخشى عدم الوقوع وبهذا يجاب عن قول
موسى ستجدني ان شا الله صابرا مع قول الخضر له اخر ذلك تاويل ما لم تستطع
عليه صبرا وحكى النقاش ان الشق المذكور هو الجسد الذي القي على كرسيه
والمعتمد انه شيطان كما قاله غير واحد من المفسرين والنقاش صاحب مناكير
انتهى وهذا فيه معجزة لسليمان عليه الصلاة والسلام اذ البشر عاجز
عن الطواف على مائة امراة في ليلة واحدة فاظهر الله تعالى قدرته
اي قوة سليمان وفي نسخة قدرته اي قدرة الله بان اعطى سليمان القوة
على ذلك فكان عنها معجزة واظهار قدرة لله تعالى واتي بحكمة ردا
على من ربط الاشيا بالعوايد فيقول لا يكون كذا الا من كذا ولا يتولد

كذا الامر كذا فالقي الله تعالى في صلب سليمان ماء مائة رجل واورد ابن
الجوزي من ابن لسليمان ان يخلق من مائة هذا العدد في ليلة لا جائز انه يوحيه
لانه ما وقع ولا جائز انه يكون الامر في ذلك اليه لان الارادة لله والجواب بانه
من جنس التمني على الله والسوال له ان يفعل والقسم عليه كقول انس بن النضر
والله لا يكسر ثنيتها ويحتمل ان يكون لما اجاب الله دعوته ان يهب له ملكا لا
ينبغي لاحد من بعده كان هذا عنده من جملة ذلك فجزم به قال الحافظ والاقرب
الاول ويحتمل انه اوحي اليه بذلك مقيدا بشرط الاستثنا فنسي فلم ينفع لفقد
الشرط ومن ثم ساغ له الحلف اولا وقال القرطبي لا يظن بسليمان انه قطع بذلك
على ربه الا من جهل حال الانبيا وادابهم مع الله وفي الفتح ايضا قيل هذا قوله
تلد كل امراة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله هذا قاله على سبيل التمني للخير وانما
جزم به لانه غلب الرجا لكونه قصد به الخير وامر الاخرة لا لغرض الدنيا قال بعض
السلف نبه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على افة التمني والاعراض عن
التفويض قال ولذلك نسي الاستثنا ليمضي فيه القدر **وكان له ثلثمائة زوجة
والف سرية** الله اعلم بصحة هذا فغاية ما روي الف اخرجه الحاكم في المستدرك
من طريق ابي معشر عن محمد بن كعب قال بلغنا انه كان لسليمان الف بيت من
قوارير على الخشب فيها ثلاث مائة حرة وسبعمائة سرية وكذا حكاه وهب في
المبتدا كما في الفتح فان ورد ما ذكره المص امكن ان الروايات في عدد من اراد الطواف
عليه ولا ينافي ان تحته هذا العدد لكنه لم يرد الطواف الا على بعضه **وهذا
لا يعطي تفضيل سليمان على نبينا صلى الله عليه وسلم اذ سيدنا محمد
لم يعط الا اربعين رجلا ولم يكن له غير عشر نسوة لان مرتبة نبينا
عليه الصلاة والسلام في الافضلية لا يساويه فيها احد** بالنص والاجماع
وسليمان عليه السلام تمنى ان يكون ملكا بقوله وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي **فاعطي ذلك واعطي هذه القوة في الجماع لكي يتم له الملك
على خرق العادة من كل الجهات ليمتاز بذلك فكانت قوته من جنس
ملكه الذي لا ينبغي** لا يكون **لاحد من بعده كما طلبه ونبينا محمد صلى الله
عليه وسلم لما خير بين ان يكون نبيا** عبدا او نبيا **ملكا اي ذلك** اي الملك
**واختار ان يكون نبيا عبدا فاعطي من الخصوصية ذلك القدر لكونه
اختار الفقر والعبودية فاعطي الزائد وانخرقت** له **العادة فيه
النوع الذي اختاره وهو الفقر والعبودية وكان عليه الصلاة
والسلام يربط على بطنه الاحجار من شدة الجوع والمجاهدة وهو
على حاله في الجماع لم ينقصه شيء والناس ابدا اذا اخذهم الجوع
والمجاهدة لا يستطيعون ذلك فهو ابلغ في المعجزة قاله** ابن ابي جمرة
في بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وعليها وهو اسم شرحه على
الاحاديث التي انتخبها من البخاري وهو تكلف لا حاجة اليه لان نبينا
اعطي قوة اربعين رجلا من اهل الجنة كما سبق في حديث طاوس ومر في

حديث

حديث زيد بن ارقم ان الرجل من اهل الجنة ليعطي قوة مائة على ان هذا النفس
في مقام المنع لانه صرح انه لم يعط الا قوة اربعين من اهل الدنيا والحديث
مصرح بخلافه وقد قال المص في الفصل الاول من المقصد والسيوطي بعدما ذكر
اثر مجاهد اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا كل رجل من اهل الجنة
وحديث يعطى الرجل قوة مائة في الجنة فاذا فيكون اعطي قوة اربعة الاف وبهذا
يندفع ما استشكله بعضهم فقال كيف يوتى قوة اربعين رجلا فقط وقد اعطي
سليمان قوة مائة او الف على ما ورد واحتاج الى تكلف الجواب انتهى فان منشا
الاشكال حملها على رجال الدنيا وليس كذلك بل ما ورد في سليمان محمول على
رجال الدنيا وفي نبينا على رجال الجنة كما ورد وذلك اربعة الاف فقد زاد على
سليمان بكثير والله اعلم

النوع الرابع

في شان او تعلق **نومه عليه الصلاة والسلام** فيشمل قدره ووقته وصفته
من كونه على اليمين او غيره وما يرقد عليه وما كان يفعله قبل النوم وبعده
وغير ذلك **كان صلى الله عليه وسلم ينام اول الليل** بعد صلاة العشا وما
يتصل بها فالاولية نسبية وفي الصحيح عن ابي برزة كان صلى الله عليه وسلم
يكره النوم قبل العشا والحديث بعدها وروى الشيخان وابن ماجة عن عائشة
كان ينام اول الليل ويحيي اخره وروى احمد والترمذي وصححه الحاكم عنها
كان لا ينام حتى يقرا بني اسرايل والزمر وعن جابر كان لا ينام حتى يقرا الم تنزيل
السجدة وتبارك الذي بيده الملك اخرجه احمد والترمذي والنسائي والحاكم وعن
العرباض بن سارية كان صلى الله عليه وسلم يقرا المسبحات قبل ان يرقد وقال
ان فيهن اية افضل من الف اية رواه احمد وابو داود والترمذي وحسنه والنسائي
ورواه ابن الضريس عن يحيى بن ابي كثير مرسلا وزاد قال يحيى فنراها الاية
التي في اخر الحشر وقال ابن كثير الاية هي قوله تعالى هو الاول والاخر والظاهر
والباطن وهو بكل شيء عليم والمسبحات سبح الحديد والحشر والصف والجمعة
والتغابن وسبح اسم ربك الاعلى **ويستيقظ في اول النصف الثاني** غالبا
وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة كان يقوم اذا سمع الصارخ قال الحافظ
اي الديك ووقع في مسند الطيالسي في هذا الحديث والصارخ الديك والصرخة
الصيحة الشديدة وجرت العادة ان الديك يصيح عند نصف الليل غالبا قاله
محمد بن نصر قال ابن التين هو موافق لقول ابن عباس نصف الليل او قبله بقليل
او بعده وقال ابن بطال الصارخ يصرخ عند ثلث الليل فكان يتحرى الوقت
الذي ينادي فيه هل من سائل كذا قال والمراد بالدوام قيامه كل ليلة في ذلك
الوقت لا الدوام المطلق وفي البخاري عن انس كان لا تشا ان تراه من الليل
مصليا الا رايته ولا نايما الا رايته قال الحافظ اي ان صلاته ونومه كان
يختلف بالليل ولا يرتب وقتا معينا بل بحسب ما تيسر له القيام ولا

مطلب النوع الرابع في نومه عليه الصلاة والسلام

ولا يعارضه حديث عائشة لانها اخبرت بما اطلعت عليه فان صلاة
الليل كانت تقع منه غالبا في البيت وخبر انس محمول على ما ورد اذكر
انتهى وحاصله ان كلا من عائشة وانس اخبر بما اطلع عليه
فينوم قليلا كما روى احمد عن ابن عمر كان لا ينام الا والسواك عند
راسه فاذا استيقظ بدا بالسواك ولابن عساكر عن ابي هريرة كان لا ينام
حتى يستن ومتوضئا كما صح في حديث ابن عباس وغيره ولم يكن
ياخذ من النوم فوق القدر المحتاج اليه منه ولا يمنع من القدر
المحتاج اليه منه فيما زعم فيه الامران وكان ينام على جنبه وفي
نسخة جانبه وهما بمعنى على مفاد قول المجد الجنب والجانب والجنبة
محركة شق الانسان وغيره او الجانب بمعنى الجنب مجازا على مقتضى قول
المصباح الجانب الناحية ويكون بمعنى الجنب ايضا لانه ناحية من الشخص
ذاكرا الله تعالى حتى تغلبه عيناه بان ياخذه النوم غير ممتلئ البطن
من الطعام والشراب لضرره بالبدن وتثقيله النوم وعلل نومه على
الايمن بقوله لانه عليه الصلاة والسلام كان يحب التيامن في شانه كله
ومن جملته النوم ولنرشد امته فتعليل ثان ارشادي لتنفع البدن لا لانه
عبادة لان في الاضطجاع على الشق الايمن سرا وهو ان القلب معلق
في الجانب الايسر فاذا نام الرجل الانسان رجلا او امراة على الجانب الايسر
استثقل نوما اي حال نومه لعدم مشقة تقتضي استيقاظه فالسين للتاكيد
لا الطلب ونوما تمييز لانه يكون في دعة اي راحة والعطف في واستراحة
تفسيري والسين للتاكيد فيثقل نومه واذا نام على الشق الايمن فانه
يقلق بفتح اللام يضطرب ولا يستغرق في النوم عطف مسبب على سبب
لقلق القلب اضطرابه وطلبه مستقره وميله اليه قالوا وكثرة النوم
على الجانب الايسر وان كان اهنا مضر بالقلب بسبب ميل الاعضا اليه
فتنصب المواد فيه او اليه وهو اولى ليصدق بانصبابها بمجاوره فتوذيه
قال الولي العراقي اعتدت النوم على الايمن فصرت اذا فعلت ذلك كنت في دعة
وراحة واستغراق واذا نمت على الايسر حصل عندي قلق لذلك وعدم استغراق
في النوم فالاولى فتعليل الاضطجاع على الايمن بتشريفه وتكريمه وامثاله على
الايسر انتهى وكونه اولى في التعليل لا يمنع الاول فان هذا انا دري سببه اعتياده
واما قول القاضي عياض في الشفا وكان نومه صلى الله عليه وسلم على
جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الايسر اهنا لهدو القلب
وما يتعلق به من الاعضا الباطنة الى اخره ففيه شي لانه عليه الصلاة
والسلام لا ينام قلبه فسوا اينما التفريع كان نومه على الجانب الايمن او
الايسر فهذا الحكم ثابت له وما علله به انما يستقيم في حق من ينام
بقلبه هذا مبني على ان معنى قوله استظهارا استنادا لا على قلة النوم بكونه
على الايمن فيوهم كثرته لو نام على الايسر فينافي ان قلبه لا ينام والجواب
ان

ان معنى استظهارا طلبا لقلة النوم بسبب كونه على الايمن فعلى بمعنى اللام
فلا يرد عليه تعليل المص لان غايته لو نام على اليسار علم تغليبه طول زمن النوم
لكن لا يسهل الانتباه عليه لاسترخا اعضائه بسبب النوم على اليسار المقتضي
لراحة القلب وقد قال شارح الشفا استظهارا اي استعانة استفعال من
الظهر بمعنى التقوية والاستقامة لان قوة البدن واستمساكه بظهره وكانت
عادته النوم على الايمن وزعم انه حالة امتحان لانكبابه على الجانب الذي ينام
عليه لا وجه له فالنوم راحة معين على العبادة كالاتكا على اعضا السجود
فالاحسن تعليله بحب التيامن او بقصد التعليم كما مر اذ هو لا يحتاج
للاستظهار لقوة روحه ويقظة قلبه فيغلب ذلك نومه ورد بان القوي
اذا تقوى كان اشد قوة والنوم طبيعي في الخلق وارد في النوم على
الظهر ولا يضر الاستلقا عليه على الظهر للراحة من غير نوم
وقد فعله النبي صلى الله عليه وسلم روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله
ابن زيد المازني انه ابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا في المسجد
واضعا احدى رجليه على الاخرى ولا يعارضه ما في مسلم عن جابر نهى صلى
الله عليه وسلم ان يضع الرجل احدى رجليه على الاخرى وهو مستلق على
ظهره لان محله اذا ظهرت عورته بذلك بضيق ازار ونحوه فان امن ذلك
جاز فلا حاجة لدعوى نسخ النهي بفعله وزعم انه مخصوص به رد بان
عمر وعثمان كانا يستلقيان رواه البخاري والحميدي والاسماعيلي وزاد
ابا بكر الصديق رضي الله عنهم وارد في منه ان ينام منبطحا على وجهه
فيكره للرجل والمراة كالاستلقا للمراة وفي سنن بن ماجة والبخاري في
الادب المفرد عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم مر برجل في المسجد
منبطحا حال سوغ مجيئه من النكرة وصفها بقوله في المسجد وفي نسخة
منبطح بالجر صفة لرجل على وجهه وفي الادب لوجهه فضربه برجله
هذا هو الثابت في ابن ماجة والبخاري في الادب فما في نسخ على وجهه برجل
برجله لا عبرة بها لضعف وفي الحديث اجتنبوا الوجوه لا تضربوها وقال قم
او اقعد تخيير لا شك فانها نومة جهنمية اي تشبه حال اهل جهنم
كما قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم فكره ذلك لما فيه من التشبه
بهم كخاتم الحديد وكان عليه الصلاة والسلام كما علم من مجموع الاحاديث
ينام على الفراش تارة وعلى النطع تارة بفتح النون وكسرها مع فتح
الطا وسكونها ما اتخذ من جلد والجمع انطاع ونطوع وعلى الحصير
تارة كما في حديث عمر وعلى الارض تارة اخرى وكان فراشه كما في
الصحيحين الترمذي عن عائشة قالت انما كان فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي ينام عليه ادما بفتحتين جلدا مدبوغا او احمر او مطلق الجلد
جمع اديم وصف به المفرد لانه اجزا من الجلد مجتمعة فهو نظير قوله تعالى من
نطفة امشاج فوصف المفرد بالجمع اذ امشاج اخلاط جمع مشيج حشوه

ليف من النخل **وكان** كما رواه الترمذي عن حفصة **له مسح** بكسر فسكون
فراش غليظ **ينام عليه** من شعر او صوف وتقدم هذا في فراشه **وكان** كما رواه
احمد والترمذي عن البراء واللفظ له واحمد وابو داود عن حفصة واحمد وابن
ماجة عن ابن مسعود كان **صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه** بفتح
الميم والجيم وحكي كسرها اي استقر فيه لينام ولفظ ابن مسعود وحفصة
اذا اوى الى فراشه **وضع كفه** اليمنى كما في حديث البراء وابن مسعود فسقط
من قلم المص **تحت خده الايمن** اي وضع راحته تحت شق وجهه الايمن قال
قال الازهري الكف الراحة مع الاصابع سميت بها لكفها الاذى من البدن وهو
وقال رب اي مالكي قني عذابك يوم تبعث اي تحيي عبادك يوم القيامة
فلا تبعثني كربي المنظر عليه وجهه غبرة ترهقها قترة او ترسل من بعث بمعنى
ارسل اي لا ترسلني مع من ترسلهم الى النار زاد في رواية حفصة ثلاث مرات وذكر
هذا مع عصمته تواضعا لله واجلالا له وتعليما لامته ان يقولوا ذلك عند النوم هو
لاحتمال انه اخر العمر فيكون خاتمة عملهم ذكر الله مع الاعتراف بالتقصير الموجب
للفوز والرضى **وفي رواية** للترمذي من طريق اخرى عن البراء مثله وقال **يوم**
تجمع بدل تبعث **عبادك** وفي رواية ابن مسعود يوم تبعث او قال تجمع بالشك
وقال ابو قتادة الحارث او النعمان الخزرجي فارس المصطفى **كان عليه الصلاة**
والسلام اذا عرس بشد الراء وعين وسين مهملات اي نزل وهو مسافر للاستراحة
بليل اي في زمن ممتد منه لقوله بعد قبيل الصبح قال ابو زيد عرس تعريسا
نزل اي وقت كان من ليل او نهار فقوله بليل ليس تقييدا بما علم ضمنا من عرس
الا على قول الاكثر التعريس نزول المسافر بالليل للنوم والاستراحة **اضطجع**
على شقه بالكسر جانبه **الايمن** لاعتماده على الانتباه وعدم فوات الصبح
لبعده **واذا عرس قبيل الصبح** اي قبل دخول وقته **نصب ذراعه** اليمنى
ووضع راسه على كفه وفي رواية احمد وغيره وضع راسه على كفه اليمنى
واقام ساعده وذلك لانه اعون على الانتباه لئلا ينام طويلا فيفوته الصبح
فهو تشريع وتعليم لامته لئلا يثقل نومهم فيفوتهم اول الوقت وفيه انه من قارب
وقت الصلاة ينبغي ان يتجنب الاستغراق في النوم فينام على صفة تقتضي سرعة
يقظته محافظة على الصلاة لاول وقتها **وقال ابن عباس كان عليه الصلاة**
والسلام اذا نام نفخ من النفخ وهو ارسال الهوا من الفم بقوة والمراد هنا
ما يخرج من النائم حين استغراقه في نومه ويبين به ان النفخ يعتري بعض
النائمين دون بعض وانه ليس بمذموم ولا مستهجن ولفظ الترمذي عن ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم نام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فاتاه بلال فاذنه
بالصلاة فقام وصلى ولم يتوضا اي لان نومه لا ينقض وضوءه مطلقا ليقظة
قلبه فلو خرج منه حدث لاحس به واما رواية انه توضا فاما للتجديد
او وجود ناقض وفي البخاري عن ابن عباس نام صلى الله عليه وسلم حتى
نفخ وكنا نعرفه اذا نام بنفخه وعن عائشة نام صلى الله عليه وسلم حتى

استثقل

استثقل ورايته ينفخ ولاحمد عنها ما نام قبل العشاء ولا سمر بعدها **وعن حذيفة**
ابن اليمان فيما رواه احمد والبخاري والترمذي وابو داود **كان عليه الصلاة**
والسلام اذا اوى بهمزة وواو مفتوحتين مقصور على الاصح **الى فراشه**
اي دخل فيه **قال** بعد وضع يده اليمنى تحت خده الايمن **باسمك اللهم**
اي على ذكري لاسمك مع اعتقادي لعظمة مدلوله وتفرده بالملك والالوهية
اموت واحيى اي تميتني وتحييني والاسم بمعنى المسمى وهو ذاته تعالى
فالمعنى اموت واحيى متبركا باسمك ومتمسكا به او باسمك المميت والمحيي
او اراد بالموت النوم تشبيها بجامع زوال العقل والحركة وبالحياة اليقظة
وبقية حديث حذيفة هذا عند الجماعة واذا استيقظ قال الحمد لله بعد
ما اماتنا واليه النشور **وقالت عائشة** فيما رواه مالك واحمد والشيخان
وابو داود والترمذي كان صلى الله عليه وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة
جمع لفظها جمع بالماضي **كفيه** اي ضم احداهما للاخرى **فنفث** الرواية
في الترمذي فنفث ماضيا ولغيره ثم نفث فيهما اي نفخ نفخا لطيفا بلا ريق
على ما يلوح من ظواهر الاحاديث وان اختلف اهل اللغة في ان النفث بريقه
او بدونه وذلك مخالفة لليهود لانهم يقرؤون ولا ينفثون **وقرا قل هو**
الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس اي السور الثلاث
بكمالها والرواية وقرا بالماضي وفي رواية فقرا بالفا بمعنى الواو لا للترتيب
فتقديم النفث على القراءة وعكسه سيان حيث كانا بعد جمع الكفين وزعم
بعض ان الاولى تقديم القراءة على النفث وان معنى رواية الفا اراد النفث
فيهما فقرا فنفث خلاف ظاهر الحديث بل تقديم النفث على القراءة مخالفة للسحرة
لانهم ينفثون بعد القراءة كما جزم به بعضهم **ثم مسح** الرواية مسح **بهما ما استطاع**
مسحه فالعائد محذوف **من جسده** اي ما تصل اليه يده من بدنه وظاهره ان
المسح فوق الثوب **يبدا بهما على راسه** فصله لانه بيان لجملة المسح او بدل
منه او استيناف **ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك** الجمع والنفث
والقراءة **ثلاث مرات** لانه اكمل وان حصل اصل السنة بمرة واحدة كما تفيده
رواية اخرى وعبرت بتصنع دون يفعل او يعمل ونحوهما لبيان ان فعله
ذلك في غاية الجودة لكثرة قوانين اذ الصنع اجادة الفعل على ان في رواية يفعل
وقال انس عند مسلم وابي داود والترمذي والنسائي **كان عليه الصلاة**
والسلام اذا اوى الى فراشه اي دخل فيه قال البيضاوي اوى جاء لازما
ومتعديا والاكثر في المتعدي المد **قال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا** قدم
ذكرهما لان الحياة لا تتم بدونهما كالنوم فالثلاثة من واد واحد فذكره يستدعي
ذكرهما ولان النوم فرع الشبع والري وفراغ الخاطر من المهمات **وكفانا** دفع
عنا شر خلقه **واوانا** في كن نسكن فيه يقينا الحر والبرد ونحرس فيه
متاعنا ونحجب فيه عيالنا وهو بالمد لقوله مووية ويجوز القصر وعلل
الحمد هنا بسببه الحامل عليه اذ لا يعرف قدر النعمة الا بضدها لقوله

فكم ممن لا كافي له ولا موويه اسم فاعل من اوى بالمد وفي نسخة ولا ماوي اي
وليس له مكان ياوي اليه من اوى بالقصر لكن الرواية بالاول اي كثير
لا راحم له ولا عاطف عليه او لا يعرف كافيه ولا موويه او لا كافي ولا موويعطي
الوجه الاكمل فلا ينافي انه تعالى كاف لجميع خلقه وموو لهم على نحو ان الكافي وي
لا موي لهم روى ذلك المذكور من الاحاديث النبي اولها وكان فراشه كله م
الترمذي ورواها غيره ايضا وبعضها في الصحيح كما رايت وروى البخاري
وغيره عن حذيفة ومسلم عن البراء ان صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ قال
الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور وابو داود عن عايشة كان
اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك
لذنبي واسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب
لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب وروى احمد وابن ماجة عن ربيعة بن كعب
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يصلي يقول الحمد لله
رب العالمين الهوي ثم يقول سبحان الله وبحمده الهوي واما ما كان يقوله اذا
اصبح واذا امسى فكثير الف فيه تاليف كثيرة ساق منه الشامي جملة صالحة
وقد كان عليه الصلاة والسلام تنام عيناه بالتثنية وفي نسخة بالافراد
على انه مفرد مضاف فيعم وبهما وابيان في البخاري ولا ينام قلبه ليعي الوحي
الذي ياتيه بل هو دايم اليقظة لا يعتريه غفلة ولا يتطرق اليه شايبة نوم لمنعه
من اشراق الانوار الالهية الموجبة لفيض المطالب السنية ولذا كانت روياه وحيا
ولا تنتقض طهارته بالنوم وكذلك الانبيا لقوله صلى الله عليه وسلم انا معشر
الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا رواه ابن سعد عن عطا مرسلا رواه البخاري
بمعناه من حديث عايشة قاله لها عليه الصلاة والسلام لما قالت له
اتنام قبل ان توتر بهمزة الاستفهام الاستخباري لتسال عن حكمه لامره
ابا هريرة بالوتر قبل النوم فكانها قالت ما سبب نومك قبله وقد امرت به
قبل النوم فاجابها بما حاصله انه انما ذلك لمن يخاف فواته بالنوم وانا امن ذلك
ولفظ عايشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره
على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي
اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عايشة فقلت يا رسول
الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي رواه الشيخان
وابو داود والترمذي والنسايي واخرجه الحاكم عن انس قال كانت تنام عيناه
ولا ينام قلبه ولما كان عليه الصلاة والسلام لا ينام قلبه لان القلب
اذا قويت فيه الحياة لا ينام لا يحصل له الغشية التي تغطيه عن المعرفة
اذا نام البدن اذ النوم غشية ثقيلة تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة
بالاشيا ولذا قيل هو افة لان النوم اخو الموت وقيل النوم مزيل القوة والعقل كما في
المصباح فنوم البدن والعين مجاز لانه انما يرد على القلب الضعيف لا القوي
شبه ما يحصل للعين والبدن مما يمنعهما من الاحساس بالغشية المانعة

للقلب

للقلب عن المعرفة واطلق عليه اسمه واشتق منه الفعل
وهي تغطيه وعدم قيام الغشية به وكمال هذه الحالة
كان لنبينا صلى الله عليه وسلم ولباقي الانبيا عليهم الصلاة والسلام فهو من خصايصه على الامم لا الانبيا
بنص حديثه والفرق بيننا وبينهم ان النوم يتضمن امرين راحة البدن
وهو الذي شاركونا فيه والثاني غفلة القلب وقلوبهم مستيقظة اذا
ناموا سليمة من اضغاث الاحلام مشتغلة في تلقي الوحي والتفكر في
المصالح على مثل حال غيرهم اذا كانوا ايقاظا ولذا كانت رؤياهم وحيا ولا ينتقض
النوم وضوءهم ولمن الواو للاستيناف فهو من عطف الجمل واللام متعلقة
بمحذوف اي يحصل لمن احيى الله قلبه بمحبته واتباع رسوله من
ذلك الحال الذي كماله للمصطفى جزء يكتسب نصيبه منها اي يكتسب
عليه الصلاة والسلام فمستيقظ القلب بان لم تقم به تلك الحالة التي تمنع
من الادراك وغافله بان غاب عنه ولم يتذكره كمستيقظ البدن عابد
لمستيقظ القلب ونايمه لغافله لكن ولو شاركوا الانبيا في جزء ما من ذلك
ليسوا مثلهم لا تنتقض وضوءهم ورؤياهم ليست وحيا باجماع والى هذا الذي
ذكرته اشار صاحب المعارف العلية والحقايق السنية الشريفة سيدي
علي بن سيدي محمد وفا بقوله عيني تنام لكن قلبي والله ما نام وكيف
ينام استفهام انكاري منتقد بان شخصا انكر عليه عاشق محب مفرط
في الحب مسبي ماخوذ عن نفسه مستولى عليه محبوبه حتى كانه معه لا ادراك
له ولا شعور فهو كالاسير مع اسره في الحب بضم الحا المحبة وكسرها المحبوب
مستهام هايم اي متحير بسبب الحب كالهايم الذي لا يدري اين يتوجه ناظر
الى وجه الحب وفي نسخة المحبوب شاخص على الدوام اي فاتح عينيه
ينظر الى وجه حبيبه لا يفتر عن ذلك اصلا اتاه في المعنى مرسوم مكتوب
من محبوبه ان يفني يمحي الرسوم الاثار المتعلقة بالغير اشارة الى مقام
الجمع عندهم وهو ان لا ينظر الى غير الله في امورها والمراد اتاه الهام وتوفيق
الهي منه تعالى بان يقطع التعلق بالخلق ويقبل على الله سرا وعلانية فقام
بالحي القيوم القايم بتدبير الخلق وحفظه باسعد من يقوم باوامره وقد
جمع العلما بين هذا الحديث وبين حديث نومه صلى الله عليه وسلم
في الوادي حيث كانوا قافلين من سفر اختلف في تعيينه ففي مسلم عن ابن مسعود
اقبل صلى الله عليه وسلم من الحديبية ليلا فنزل فقال من يكلونا فقال بلال
انا الحديث وفي الموطا عن زيد بن اسلم مرسلا عرس صلى الله عليه وسلم ليلة
بطريق مكة ووكل بلالا ولعبد الرزاق عن عطا ابن يسار ان ذلك كان بطريق
تبوك وللبيهقي نحوه عن عقبة بن عامر ولابي داود كان ذلك في غزوة
جيش الامرا وتعقبه ابن عبد البر بانها موتة ولم يشهدها النبي صلى الله
عليه وسلم وهو كما قال لكن يحتمل ان المراد بها غيرها ذكره الحافظ عن صلاة
الصبح وسبب الجمع اشكال احد الحديثين بالاخر اذ مقتضى عدم نوم القلب

ادراكه كل ما يحتاج اليه فلا يغيب عن علمه وقت الصبح فكيف نام حتى طلعت
الشمس وحميت حتى ايقظه عمر رضي الله عنه بالتكبير كما اخرجه
البخاري ومسلم عن عمران بن حصين قال كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه
وسلم وانا اسرينا حتى اذا كنا في اخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة عند المسافر
احلى منها فما ايقظنا الا حر الشمس وكان اول من استيقظ فلان يعني ابا بكر
كما عند البخاري في علامات النبوة ثم فلان ثم فلان ثم عمر ابن الخطاب الرابع
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ لانا
لا ندري ما يحدث له في نومه فلما استيقظ عمر وراى ما اصاب الناس وكان
رجلا جليدا فكبر ورفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي صلى الله
عليه وسلم فشكوا اليه الذي اصابهم فقال لا ضير او لا يضير ارتحلوا فارتحل
فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضا ونودي بالصلاة فصلى بالناس
الحديث وزاد الطبراني فقلنا يا رسول الله انعيدها من الغد لوقتها قال نهانا
الله عن الربا ويقبله منا وفي رواية ابن عبد البر لا ينهاكم الله عن الربا ويقبله
منكم قال الحافظ اختلف هل كان نومهم عن صلاة الصبح مرة او اكثر فجزم
الاصيلي ان القصة واحدة وتعقبه عياض بان قصة ابي قتادة مغايرة
لقصة عمران وهو كما قال ففي قصة ابي قتادة ان ابا بكر وعمر لم يكونا مع النبي
صلى الله عليه وسلم وفي قصة عمران انهما كانا معه واول من استيقظ ابو بكر ولم
يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم حتى ايقظه عمر بالتكبير وفي القصتين
غير ذلك من وجوه المغايرات ومع ذلك فالجمع ممكن ولاسيما مع ما في مسلم
وغيره ان عبد الله بن رباح راوي الحديث عن ابي قتادة ذكر ان عمران سمعه
وهو يحدث فقال انظر كيف تحدث فاني كنت شاهد القصة فما انكر
عليه شيئا لكن لمدعي التعدد ان يقول يحتمل ان عمران حضر القصتين
فحدث باحداهما وصدق عبد الله بن رباح لما حدث عن ابي قتادة بالاخرى
ويدل على التعدد اختلاف المواطن كما قدمنا وحاول ابن عبد البر بان زمان
رجوعهم من خيبر قريب من زمان رجوعهم من الحديبية واسم طريق مكة
يصدق عليهما ولا يخفى تكلفه ورواية عبد الرزاق بتعيين غزوة تبوك
ترد عليه ولابي داود والطبراني من حديث عمرو بن امية شبيها بقصة
عمران وفيه ان الذي كلا لهم الفجر ذو مخبر بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة
وفتح الموحدة وفي مسلم عن ابي هريرة ان بلالا كلا لهم الفجر وان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اولهم استيقاظا كما في قصة ابي قتادة ولابن حبان عن ابن
مسعود انه كلا لهم الفجر وهذا ايضا يدل على تعدد القصة انتهى وقال النووي
اختلف هل كان النوم مرة او مرتين ورجحه القاضي عياض انتهى وقد قدمت
هذا في خيبر مع زوائد نفيسة فقال النووي له جوابان احدهما ان
القلب انما يدرك الحسيات اراد بها ما يشمل القوى الباطنة المتعلقة به
كالحدث والالم ونحوهما ولا يدرك ما يتعلق بالعين لانها نائمة

والقلب

والقلب يقظان بسكون القاف الثاني انه كان له حالان حال كان
قلبه لا ينام وهو الاغلب وحال ينام فيه قلبه وهو نادر فصادفه
هو اي النادر هذا مفعول اي قصة النوم عن الصلاة قال النووي
والصحيح المعتمد هو الاول والثاني ضعيف بل شاذ لمخالفته
لصريح ولا ينام قلبي الشامل لسائر الاحوال اذ الفعل المنفي يفيد العموم
قاله المكي قال في فتح الباري وهو كما قال ولا يقال القلب وان كان
لا يدرك ما يتعلق بالعين من رؤية الفجر مثلا لكنه يدرك اذا كان
يقظانا مرور الوقت الطويل فان من ابتدا طلوع الفجر الى ان حميت
الشمس مدة طويلة لا تخفى على من لم يكن مستغرقا لانا نقول يحتمل
ان يقال كان قلبه صلى الله عليه وسلم اذ ذاك مستغرقا بالوحي
ولا يلزم من ذلك وصفه بالنوم كما كان يستغرق صلى الله عليه
وسلم حالة القاء اي تبليغ الوحي يعني الوحي اليه فكان يستغرق بحيث
يؤخذ عن الناس اذا انزل عليه في اليقظة وتكون الحكمة في ذلك الاستغراق
بيان التشريع بالفعل لانه اوقع كما في قصة سهوه في الصلاة
حين سلم من ركعتين وغير ذلك وقريب من هذا جواب ابن المنير ان القلب
قد يحصل له السهو في اليقظة لمصلحة التشريع ففي النوم بطريق
الاولى او على السواء حيث فرضنا ان نومه ويقظته سيان وقال ابن العربي
في القبس على موطا مالك بن انس النبي صلى الله عليه وسلم كيف ما
اختلف حاله من نوم او يقظة في حق اي اشتغال بمعرفته وتحقيق اي
اثباته بادلته ومع الملائكة في كل طريق ان نسي فبالذكر من المنسي قد
اشتغل وان نام فبقلبه ونفسه على الله اقبل ولهذا قالت الصحابة
كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا نوقظه حتى يستيقظ لانا لا ندري
ما هو فيه من لفظ الصحيحين ما يحدث له قال الحافظ بضم الدال بعدها
مثلثة اي من الوحي كانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحي فلا يوقظونه لاحتمال
ذلك قال ابن بطال يؤخذ منه التمسك بالامر الاعم احتياطا ولذا استعمل عمر
التكبير سلوكا لطريق الادب والجمع بين المصلحتين وخص التكبير لانه اصل
الدعا الى الصلاة فنومه عن الصلاة او نسيانه شيئا منها لم يكن عن افة
وانما كان بالتصرف من حالة الى حالة مثلها ليكون لنا سنة انتهى كما قال
صلى الله عليه وسلم لو ان الله اراد ان لا تناموا عنها لم تناموا ولكن اراد ان تكون
لمن بعدكم فهكذا لمن نام او نسي رواه احمد وقد اجيب عن اصل الاشكال
باجوبة اخرى ضعيفة منها ان معنى قوله لا ينام قلبه اي لا يخفى عليه
حالة انتقاض وضوئه ومنها ان معناه لا يستغرقه النوم حتى
يوجد منه الحدث وهذا قريب من الذي قبله او هو عينه قال ابن دقيق
العيد كان قائل هذا اراد تخصيص يقظة القلب بادراك حالة الانتقاض
فلا يرد قصة النوم وذلك بعيد لان قوله صلى الله عليه وسلم ان عيني

تناما ان ولا ينام قلبي خرج جوابا عن قول عايشة انتام قبل ان
توتر وهذا الكلام لا تعلق له بانتقاض الطهارة التي تكلموا فيه اي
هولا المجيبون وانما هو جواب يتعلق بامر الوتر فتحمل يقظته على
تعلق القلب به وبين من شرع فيه متعلقا باليقظة قال ابن دقيق
العيد وعلى هذا الفرق فلا تعارض ولا اشكال في حديث النوم حتى
طلعت الشمس لانه يحتمل انه اطمان في نومه لما اوجبه تعب
السير معتمدا على من وكله بشد الكاف اعتمد عليه بكلاة الفجر
بكسر الكاف والمد وتخفف حفظه انتهى كلام ابن دقيق العيد ومحصله
اي جوابه الذي نفى به التعارض تخصيص اليقظة المفهومة من
قوله ولا ينام قلبي بادراكه وقت الوتر ادراكا معنويا لتعلقه به وان
نومه في حديث الباب كان نوما مستغرقا لتعب السير واعتماده على
من وكله بالفجر ويويده قول بلال حين قال له صلى الله عليه وسلم ماذا
صنعت بنا يا بلال فقال اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك اي غلبني النوم
كما غلبك او استولى الله بقدرته كما استولى عليك مع منزلتك كما في حديث
ابي هريرة عند مسلم ولم ينكر عليه بل قال صدقت كما في رواية ابن اسحق
ومعلوم ان نوم بلال كان مستغرقا وقد اعترض عليه بان ما قاله
يقتضي اعتبار خصوص السبب مع انه لا عبرة به بل بعموم اللفظ
واجاب هو عنه بانه يغتفر اذا قامت عليه قرينة وارشد اليها
السياق وهو هنا كذلك ومن الاجوبة الضعيفة ايضا قول من قال
كان قلبه يقظانا بسكون القاف وعلم خروج الوقت لكن ترك اعلامهم
لمصلحة التشريع وجه ضعفه انه صلى الله عليه وسلم لا يقر عمدا على محرم
بحيث يترك الاعلام به للتشريع فانه ممكن بالقول والله تعالى اعلم انتهى
كلام فتح الباري منها اول قوله جمع العلما الى هنا الا ما نقله عن القبس فليس فيه
وزاد ومن الاجوبة الضعيفة ايضا قول من قال المراد بنفي النوم عن قلبه انه
لا يطرا عليه اضغاث احلام كما لا يطرا على غيره بل كل ما يراه في نومه حق ووحي
فهذه عدة اجوبة اقربها للصواب الاول على الوجه الذي قررناه فايدة
قال القرطبي اخذ بهذا بعض العلما فقال من انتبه من نوم عن صلاة فاتته في
حضر فليتحول عن موضعه وان كان واديا فليخرج عنه وقيل انما يلزم في ذلك
الوادي بعينه وقيل هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يعلم من حال ذلك
الوادي ولا غيره ذلك الا هو وقال غيره يوخذ منه ان من حصلت له غفلة في مكان
عن عبادة استحب له التحول منه ومنه امر الناعس في سماع الخطبة يوم
الجمعة بالتحول من مكان الى مكان اخر وقد بين مسلم في حديث ابي هريرة
سبب الارتحال من ذلك الموضع بقوله فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان انتهى
ولله الحمد كثيرا مباركا فيه ۰ بسم الله الرحمن الرحيم كتاب في المعجزات والخصايص

۰ المقصد الرابع ۰

في معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على ثبوت نبوته
لا مخصصة اذ كلها دال على ذلك وصدق رسالته صفة لازمة
لدلالة معجزاته على تحقق رسالته تحققا لا مرية فيه وذلك مستلزم
لشدتها وقوتها وفي القاموس الصدق بالكسر الشدة والرسالة بالكسر والفتح اسم
مصدر من ارسل رسولا بعثه برسالة يوديها فيجوز حملها على ما بعث به
من الاحكام ليوديها وعلى بعثته بما جاء من الوحي لكن وصفها بالصدق على
هذين مجازي بنا على ما شاع من استعمال الصدق في الاقوال خاصة فالاول
اولى وما خص به اي ثبت له من الامور الفاضلة دون غيره اما من الانبيا او
الامم وهو عطف على معجزاته عام على خاص او من عطف ما بينه وبين المعطوف
عموم وخصوص وجهي من خصايص اياته من اضافة الصفة للموصوف اي
اياته الخاصة اي الفاضلة في الشرف على غيرها وبهذا لا يرد انه عين قوله وما
خص به وشرط المبين بالكسر زيادته على المبين بالفتح وبدايع كراماته جمع
كرامة امر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها تظهر
على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح
الاعتقاد والعمل الصالح علم بها او لم يعلم فدخل في امر خارق جنس الخوارق وخرج
بغير مقرون بدعوى النبوة المعجزة وبنفي مقدمتها الارهاص وبظهور الصلاح
ما يسمى معونة مما يظهر على يد بعض العوام وبالتزام متابعة نبي ما يسمى اهانة
كالخوارق الموكدة لكذب الكذابين كبصق مسيلمة في البير وبالمصحوب بصحيح
الاعتقاد الاستدراج كما خرج السحر من جهات عدة كما قال السبكي قال ابن ابي
شريف والذي يستخلص من كلام من تكلم في الخوارق انها ستة انواع ارهاص وهو
ما اكرم به النبي قبل النبوة ومعجزة وهو ما ظهر بعد النبوة وكرامة للولي ومعونة
واستدراج واهانة وفيه فصلان الاول في معجزاته اي بعضها اذ هو لم
يستوفها اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم والرسول العظيم سلك ذهب
الله بي وبك قال في المختار المسلك بالفتح مصدر سلك الشي في الشي فانسلك
اي ادخله فيه فدخل وبابه نصر قال تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين و
اسلكه فيه لغة ولم يذكر في الاصل يعني الجوهري سلك الطريق اذا ذهب وبابه
دخل واظنه سهى عن ذكره لانه مما لا يترك قصدا مناهج سننه اي الطرق
الموصلة الى سيرته الحميدة جمع منهج كمذهب وتجمع ايضا على مناهج واماتنا
على محبته المراد سوال الاخلاص في حبه ودوام ذلك للموت ولا يزول عنه ما دام
حيا لا سوال الموت ولانه مع المحبة وان سبقه اتفاقها بمنه انعامه لا تعداد
النعم بقرينة ان المطلوب اصل النعم ورحمته انعامه وارادته فعطفها على منه
مرادف على الاول ومن عطف السبب على المسبب على الثاني اي ارادة الرحمة
اذ الارادة سبب للمن ان المعجزة هي الامر الخارق للعادة كنبع الما
من الاصابع او كنجاة ابرهيم من النار المقرون بالتحدي الدال على
صدق الانبيا صفة لازمة اذ كل خارق مقرون بدعوى الرسالة دال على

صدقهم عليهم الصلاة والسلام وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان
بمثلها اذ لا ينسب شي منها للكسب لخرقها للعادة فعلم من هذا التعريف
ان لها شروطا واركانا اربعة لابد منها لان ما كان خارج الماهية اذ الخارق
للعادة المقرون بالتحدي مفهوم المعجزة لا خارج عنها وما كان كذلك ركن
لا شرط احدها ان تكون خارقة للعادة بان ينقطع اثر على سبب جرت العادة
الالهية بترتبه عليه كانقطاع الاحراق عن نار نمرود في حق ابراهيم وبان
يترتب اثر على سبب لم تجر العادة الالهية بترتبه عليه كانشقاق القمر
للمصطفى وانفجار الما من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وقلب العصى
حية لموسى عليه الصلاة والسلام روي عن ابن عباس والسدي انه لما القى
عصاه صارت حية عظيمة صفرا شعرا فاغرة فاها بين لحييها
ثمانون ذراعا وارتفع عن الارض بقدر ميل وقام على ذنبها ووضعت لحيها
الاسفل على الارض والاخر على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون وروي انها
اخذت قبته بين نابيها فهرب واحدث قيل اخذه البطن في ذلك اليوم اربعماية
مرة وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم
بعضا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذها وانا اومن بك وارسل
معك بني اسرايل فاخذها فعادت عصى ذكره البغوي وفي التنزيل فاذا هي ثعبان
مبين وفيه فاذا هي حية تسعى قال البغوي الثعبان الذكر العظيم من الحيات
ولا ينافيه قوله كانها جان والجان الحية الصغيرة لانها كانت كالجان في الخفة
والحركة وهي في جثتها حية عظيمة واخراج ناقة من صخرة لصالح عليه
السلام ذكر ابن اسحق وغيره ان عادا لما هلكت عمرت ثمود بعدها وكثروا
وعمروا اعمارا طوالا حتى جعل احدهم يبني المسكن من المدر فينهدم والرجل
حي فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة فعتوا وافسدوا وعبدوا
الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا وموضعا
وهو شاب فدعاهم الى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه الا القليل مستضعفون فالح
عليهم بالدعا واكثر لهم التخويف فسالوه اية تصدقه فقال اي اية تريدون قالوا
تخرج معنا غدا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه باصنامهم في يوم معلوم
من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب
لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم وخرجوا باوثانهم الى عيدهم فسالوها
ان لا يستجاب لصالح في شي مما دعا به فلم تجبهم فقال سيدهم جندع بن عمرو
يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة منفردة في ناحية من الحجر يقال لها الكاثبة
ناقة مخترجة جوفا وبرا عشرا والمخترجة ما شاكل البخت من الابل فان فعلت
صدقناك وامنا بك فاخذ صالح مواثيقهم بذلك فقالوا نعم فصلى ركعتين ودعا
ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت
عن ناقة كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت
سقبا بمهملة مفتوحة وقاف ساكنة وموحدة اي ولدا وهم ينظرون مثلها

في

في العظم فامن به جندع ورهط من قومه واراد اشرافهم الايمان فنهاهم
ذواب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فقال
صالح هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها
ترعى الشجر وتشرب الما غبا فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما في البير فلا
تدع قطرة ثم ترفع راسها فتتفحج فيحلبون ما شاوا فيشربون ويدخرون
حتى يملاوا اوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر ان
تصدر من حيث ترد يضيق عنها حتى اذا كان الغد يومهم فيشربون ما شاوا
من الما ويدخرون ليوم الناقة فهم من ذلك في سعة ودعة وكانت تصيف
بظهر الوادي فتهرب منها اغنامهم وبقرهم وابلهم الى بطنه في حره و
جدبه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فاضر ذلك مواشيهم
للبلا والاختبار وكبر ذلك عليهم فاجمعوا على عقرها وكانت عنيزة ام غنم لها
بنات حسان وابل وبقر وغنم وصدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية وكانتا
من اشد الناس عداوة لصالح ويحبان عقرها لما اضرت بمواشيهما فدعت صدوف
ابن عمها مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على عقر الناقة فاجابها
ودعت عنيزة قدار بن سالف رجلا احمر ازرق قصيرا عزيزا منيعا في قومه
فقالت اعطيك اي بناتي شئت على ان تعقر الناقة فانطلق هو ومصدع و
استغووا غواة ثمود فاتبعهم سبعة فانطلقوا فرصدوها حين صدرت عن الما
وكمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن مصدع في اخرى فمرت عليه فرمى
بسهم فانتظم به عضلة ساقها فشد قدار عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت
ورغت ثم نحرها في لبتها فخرج اهل البلد فاقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها
حتى اتى جبلا منيعا يقال له صنو وقيل قاره واتى صالح فقيل له عقرت الناقة
فاقبل وخرجوا يعتذرون انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح ادركوا الفصيل
فعسى ان يرفع عنكم العذاب فلما راوه على الجبل ذهبوا لياخذوه فاوحى الله الى
الجبل فتطاول حتى ما تناله الطير وجا صالح فلما راه الفصيل بكى حتى سالت
دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة اجل يوم
تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقيل اتبع السقب اربعة من
التسعة الذين عقروا الناقة منهم مصدع فرماه بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله
فانزله فالقوا لحمه مع لحم امه فقال صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذابه
ونقمته تصبحون غدا وكان يوم الخميس وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة
ووجوهكم محمرة ثم تصبحون ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا
العلامات طلبوا قتله فانجاه الله فلما كان ليلة الاحد خرج هو ومن اسلم معه
الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما كانت ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا
والقوا انفسهم الى الارض يقلبون ابصارهم اليها مرة والى السما مرة فلما اشتد
الضحى اتتهم صيحة من السما فقطعت قلوبهم فهلكوا كبيرهم وصغيرهم وقدار
بضم القاف وفتح الدال المهملة المخففة فالف فرا واعدام جبل

مخرجي غير الخارق للعادة كطلوع الشمس كل يوم والقمر كل ليلة الثاني
ان تكون مقرونة بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة قال
الجوهري يقال تحديت فلانا اذا باريته اي عارضته في فعل
ونازعته عطف تفسير للغلبة اي لاجل ان يغلبه وفي القاموس
نحوه وفي الاساس للزمخشري حدا يحدو فهو حاد وهو
حادي الابل واحتدى حدا بضم المهملة والمد اذا غنى للابل يحثها
على السير ومن المجاز تحدى اقرانه اذا باراهم ونازعهم تفسيري
للغلبة فقول الجوهري يقال اي مجازا واصله الحدا الغنا يتبارى فيه الحاديان
ويتعارضان فيتحدى كل واحد منهما صاحبه اي يطلب حداه كما
يقال توفاه بمعنى استوفاه وفي بعض الحواشي الموثوق بها كانوا
عند الحدو بفتح فسكون وبضمتين وشد الواو وفي المختار حدى الابل من باب
عدا وحدا ايضا بالضم والمد انتهى قاله صعد وان يقوم حاد عن يمين
القطار بالكسر عدد من الابل نسق واحد وحاد عن يساره يتحدى كل
واحد منهما صاحبه بمعنى يستحديه اي يطلب منه حداه ثم اتسع
فيه حتى استعمل في كل مباراة مغالبة انتهى من حاشية العلامة شرف
الدين الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي بكسر الطا وسكون اليا نسبة الى
الطيب بلد بين واسط وكور الاهواز على الكشاف تفسير الزمخشري في نحو
السيوطي وهو اجل حواشيه في ست مجلدات ضخمة قال وله المام بالحديث لكنه
لم يبلغ فيه درجة الحفاظ ومنتهى نظره الكتب الستة ومسند احمد ومسند
الدارمي لا يخرج من غيرها وكثيرا ما يورد صاحب الكشاف الحديث المعروف
فلا يحسن الطيبي تخريجه ويعدل الى ذكر ما هو في معناه مما في هذه الكتب
وهو قصور في التخريج انتهى وقال المحققون التحدي الدعوى للرسالة
فما جا به بعدها من الخوارق فهو معجزة وان لم يطلب الاتيان بالمثل الذي هو
المعنى الحقيقي للتحدي والشرط الثالث من شروط المعجزة ان لا ياتي
احد بمثلها اي بمثل ما اتى به المتحدي الطالب للمعارضة وهو مدعي الرسالة على وجه
المعارضة له وعبر عنه بعضهم بقوله دعوى الرسالة مع امن المعارضة
وهو احسن من التعبير بعدم المعارضة لانه لا يلزم من عدم المعارضة
امتناعها والشرط انما هو عدم امكانها لا عدمها وقد خرج بقيد
التحدي بقيد التحدي الخارق من غير تحد وهو الكرامة للولي وهي
وان لم تكن معجزة له لكنها كرامة لنبيه كذا قيل ونظر فيه ابن ابي شريف بان
المعروف ان المعجزة هي الخارق الذي يظهر على يد مدعي النبوة بعد

اي التحدي

دعواها

دعواها ومن عد الارهاصات والكرامات معجزات فسبيله التغليب
والتشبيه وليست معجزات حقيقة قال التفتازاني والولي هو العارف
بالله وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المتجنب عن المعاصي
المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات قال شارح الهمزية وينجمان هذا
ضابط الولي الكامل وان اصل الولاية يحصل لمن وجدت فيه العدالة الباطنة
بالشروط المذكورة عند الفقها وبالمقارنة الخارق المتقدم على التحدي
كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل
دعوى الرسالة فانها ليست معجزات انما هي كرامات ظهورها على
الاوليا جائز والانبيا قبل نبوتهم لا ينقصون درجة الاوليا فيجوز
ظهورها تاسيسا لنبوتهم التي ستحصل وكلام عيسى في المهد وما شابه
ذلك مما وقع من الخوارق قبل دعوى الرسالة عليهم ايضا وحينئذ
تسمى ارهاصا اي تاسيسا للنبوة كما صرح به العلامة السيد الشريف
علي الجرجاني في شرح المواقف وصرح به غيره وهو مذهب جمهور
ايمة الاصول وغيرهم خلافا للرازي في تسميتها معجزة وخرج ايضا
بقيد المقارنة الامر المتاخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية
نحو ما روي بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من نطق بعض الموتى
بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الاخبار المفيدة للعلم وخرج
ايضا من المعارضة السحر المقرون بالتحدي فانه يمكن معارضته
بالاتيان بمثله من المرسل اليهم بنا على دخول السحر في الخارق للعادة
وهو ممنوع قال السنوسي ومن المعتاد السحر ونحوه وان كان شبه العادي
نادرا خلافا لمن جعل السحر خارقا وقال ابن ابي شريف الحق ان السحر ليس من
الخوارق وان اطبق القوم على عده منها لانه يترتب على اسباب يعلمها باشرها
احد خلقها الله تعالى عقب ذلك فهو ترتيب مسبب على سبب خرقت العادة
الالهية بترتبه عليه كترتب الاسهال على شرب السقمونيا وشفا المريض
على تناول الادوية الطبية فان كلا منها غير خارق واختلف هل السحر
قلب الاعيان واحالة الطبايع بجعل الطبيعة السوداوية صفراوية
ام لا فقال بالاول قايلون حتى جوزوا للساحر ان يقلب الانسان
حمارا او حجرا وذهب اخرون الى ان احدا لا يقدر على قلب عين ولا
احالة تغيير طبيعة الا الله صفة لاحد اي غير الله تعالى لانبيائه
وان الساحر والصالح لا يقلبان عينا قالوا ولو جوزنا للساحر ما جاز
للنبي فاي فرق عندكم بينهما فان قلتم اعتصمتم اي تمسكتم وذهبتم
الى ما ذكره القاضي العلامة ابو بكر الباقلاني من الفرق بين النبي وبين
الساحر بالتحدي فقط قلنا لكم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط
التحدي قول لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة ولا من قول صاحب
للنبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماع وما تعرى اي خلا من البرهان

الدليل فهو باطل فيبطل ما بني عليه الثاني ان اكثر اياته صلى الله عليه
وسلم واعمها وابلغها كانت بلا تحد كنطق الحصى ونبع الماء ونطق
الجذع واطعامه المئين من صاع وتفله في العين وتكليم الذراع
المسمومة له اذ اخبرته بذلك وشكوى البعير له ان صاحبه يجيعه ويأتي
تفاصيل هذا كله وكذا سائر باقي معجزاته العظام وقعت بلا تحد ويأتيه
الجواب قريبا ومرت الاشارة اليه ولعله صلى الله عليه وسلم لم يتحد
بغير القران من نحو فاتوا بسورة من مثله وتمني الموت تحديه به
اليهود بقوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلم يفعلوا كما قال تعالى ولن
يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم وفي البيضاوي
من موجبات النار كالكفر بمحمد والقران وتحريف التوراة اخرج البخاري
والترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت
لشرق احدهم بريقه ولابن جرير من وجه اخر عن ابن عباس موقوفا لو
تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على وجه الارض يهودي الا مات وللبيهقي عنه
رفعه لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه واورده البيضاوي مرفوعا بلفظ لو
تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض
واشار محشيه الى انه لم يرد بهذا اللفظ قالوا قاف بفتح القاف وكسرها منونا
وغير منون بمعنى تبا وقبحا لقول لا يبقى من الايات ما يسمى معجزة الا
هذين الشيئين ويلغي بالقاف يطرح معجزات كالبحر المتقاذف بالامواج
ومن قال ان هذه ليست معجزات ولا ايات فهو الى الكفر اقرب منه الى
البدعة لكن لم يقل بذلك احد وانما سرى له ذلك من حمل التحدي على المعنى
الحقيقي له قالوا وقد كان عليه الصلاة والسلام يقول عند رؤية من
هذه الايات اشهد اني رسول الله كما في البخاري عن سلمة حين خفت ازواد
القوم فذكر الحديث في دعائه صلى الله عليه وسلم ثم قال اشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله وله شاهد في مسلم عن ابي هريرة وللبيهقي لما قدم وفد ثقيف قالوا
يا مرنا ان نشهد انه رسول الله ولا يشهد به في خطبته فلما بلغه قولهم قال فاني
اول من شهد باني رسول الله وفي البخاري في قصة جذاذ نخل جابر واستيفاء
غرمائه بل وفضل له تمر فقال صلى الله عليه وسلم لما بشره جابر بذلك اشهد اني
رسول الله كما قال ذلك عند تحققهم مصداق اي صدق قوله في الاخبار
عن الذي ابلا انكا في المشركين قتلا في المعركة يوم خيبر كما في البخاري ويوم احد
كما لابي يعلى باسناد فيه مقال وهو قزمان بضم القاف وسكون الزاي كما قال جماعة
وتوقف فيه الحافظ بان الواقدي ذكر انه قتل باحد فقال لكن الواقدي لا يحتج به
اذا انفرد فكيف اذا خالف انه من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل
اشد القتال حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب رواه البخاري عن
ابي هريرة وفي حديثه عن سهل فقالوا اينا من اهل الجنة ان كان هذا من اهل
النار وللطبراني عن اكثم قلنا يا رسول الله اذا كان فلان في عبادته واجتهاده

ولين

ولين جانبه في النار فاين نحن قال ذاك اخبات النفاق فكنا نتحفظ
عليه في القتال وفي البخاري عن سهل فقال رجل من القوم انا صاحبه
فخرج معه كلما وقف وقف معه فقتل نفسه بحضرة ذلك الرجل
الذي اتبعه من المسلمين قال الحافظ هو اكثم الخزاعي كما في الطبراني
فقول الشارح اي الجمع الذي اتبعه من المسلمين خلافه ومرت القصة
في غزاة خيبر قالوا والوجه الثالث وهو الدامغ بميم ومعجمة المبطل
لهذا القول بحيث لا يبقى للمتمسك به شبهة قال تعالى بل نقذف بالحق
على الباطل فيدمغه قال البيضاوي اي فيمحقه وانما استعار لذلك القذف
وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ
بحيث تشق غشاه الذي يؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله ومبالغة
فيه قوله تعالى واقسموا اي كفار مكة بالله جهد ايمانهم اي غاية
اجتهادهم فيها لئن جاءتهم اية مما اقترحوا ليؤمنن بها قل انما الايات
عند الله ينزلها كما يشاء وما يشعركم يدريكم بايمانهم اي انتم لا تدرون
انها اذا جاءت لا يؤمنون لما سبق في علمي وفي قراءة بالتا خطابا للكفار وفي
اخرى بفتح ان بمعنى لعل او معمولة لما قبلها وقال تعالى وما منعنا ان
نرسل بالايات التي اقترحها اهل مكة الا ان كذب بها الاولون لما ارسلناها
فاهلكناهم ولو ارسلناها الى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الاهلاك وقد حكمنا
بامهالهم لاتمام امر محمد صلى الله عليه وسلم والمنع هنا مجاز عن الترك اي
وما سبب ترك الارسال الا التكذيب الاولين والا فالله تعالى لا يمنعه عن مراده
مانع فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الانبياء ايات ولم
يشترط تحديا من غير فصح ان اشتراط التحدي باطل محض خالص
انتهى ملخصا من تفسير الشيخ ابي امامة بن النقاش واجيب
بان تلبيس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان بالمثل
الذي هو المعنى الحقيقي اللغوي للتحدي حتى يرد عليه ما ذكروه بل
يكفي للتحدي دعوى الرسالة وكل ما وقع بعدها من الخوارق ايات سوا
كانت بطلب المثل ام لا فلا يرد على هذا الشرط شيء مما ذكروه والله اعلم
بانه شرط في نفس الامر لا الرابع من شروط المعجزة اي الوصف
الخارق المسمى معجزة ان تقع على وفق دعوى المتحدي بها فليس فيه
سلب شيء عن نفسه اذ تقدير كلامه لو لم تقع المعجزة على وفق دعواه لم تكن
معجزة فيلزم سلب الاعجاز عنها بعد ثبوته لها وهو باطل وبعبارة
لا يخفى ان وقوعها على وفق دعوى المتحدي يفيد مفهومه لو لم تقع على
وفقه لم تكن معجزة وهذا تناقض بحسب الظاهر والجواب انه فيه تجريدا
كانه قيل من شرط المعجزة بمعنى مطلق الخارق لا ما يسمى معجزة بخصوصه
فلو قال مدعي الرسالة اية نبوتي ان تنطق يدي او هذه الدابة
بما يوافق دعواي بدليل ان مقسم الشرط لذلك فلا ينافي قوله فنطقت يده

او الدابة بكذبه فمقالته كذب وليس هو نبي بيان لكذبه فان الكلام
الذي خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدعي لان ما فعله الله
تعالى من خلق نطقها بتكذيبه لم يقع على وفق دعواه بل وقع مخالف
لها فلو نطقت بما لا تكذيب فيه له كان يقول الله واحد ومعجزة على بما يفهمه
قوله بكذبه مع انها لم تنطق بموافقة دعواه الا ان يراد بالموافق ما لا ينافي قصدها
ومفاد قوله او الدابة انه لا يعتبر في المكذب كونه ممن يعتبر تكذيبه ووقع لبعض
من حشى العقايد انه لا بد من كونه ممن يعتبر كما يروى ان مسيلمة بكسر
اللام واخطا من فتحها الكذاب لعنه الله تعالى تفل في بير ليكثر ماوها
فغارت وذهب ما فيها من الماء فمتى اختل شرط من هذه الحالة التي اريد
تسميتها معجزة لم تكن معجزة بل تارة كرامة وتارة اهانة وغير ذلك ولا ينافي
قضية ما قلتم ان ما توفرت فيه الشروط الاربعة من المعجزات لا تظهر
الا على ايدي الصادقين وهم النبيون وليس كذلك لان المسيح بفتح
الميم وكسر المهملة الخفيفة اخره حا مهملة يطلق على الدجال وعلى عيسى
عليه السلام لكن اذا اريد الدجال قيد كما قال الدجال وقيل هو بالتخفيف عيسى
وبالتشديد الدجال وقيل هو بالتشديد لهما وعلى الاول سمي به الدجال لمسحه
الارض ولانه ممسوح العين او لان احد شقي وجهه خلق ممسوحا لا عين فيه
ولا حاجب وسمي به عيسى لمسحه الارض بالسياحة او لان رجله كانت لا اخمص
لها او لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن او لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا
بري او هو بالعبرانية الصديق اقوال مبسوطة في شروح البخاري وغيره
يظهر على يديه من الايات العظام ما هو مشهور كما وردت به الاخبار
الصحاح كما قال صلى الله عليه وسلم ان من فتنته ان معه جنة ونارا
فناره جنة وجنته نار فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرا فواتح الكهف
فتكون بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وان من فتنته ان يقول للاعرابي ارايت
ان بعثت لك ابوك وامك فتشهد اني ربك فيقول نعم فيتمثل له شيطان في
صورة ابيه وامه فيقولان يا بني اتبعه فانه ربك وان من فتنته ان يسلط على
نفس واحدة فيقتلها ينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين ثم يقول انظروا الى
عبدي هذا فاني ابعثه ثم يزعم ان له ربا غيري فيبعثه الله ويقول له الخبيث من
ربك فيقول ربي الله وانت عدو الله انت الدجال والله ما كنت قط اشد بصيرة
بك مني اليوم وان من فتنته ان يامر السما فتمطر ويامر الارض ان تنبت فتنبت
وان من فتنته ان يمر بالحي فيكذبونه فلا يبقى لهم سايمة الا هلكت وان من
فتنته ان يمر بالحي فيصدقونه فيامر السما ان تمطر ويامر الارض ان تنبت
فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك اسمن ما كانت واعظمه وامده
خواصر وادره ضروعا رواه ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم في حديث طويل
لان ما ذكره في من يدعي الرسالة وهذا الدجال يدعي الربوبية وقد
قام الدليل العقلي على ان بعثة بعض الخلق غير مستحيلة كما قام على

استحالة اله غير الله فلم يبعد ان يقيم الله الادلة على صدق مخلوق
اخبر عنه بالشرع والملة ودلت القواطع على كذب المسيح الدجال
فيما يدعيه للتغير من حال الى حال وغير ذلك من الاوصاف التي
تليق بالمحدثات ويتعالى عنه رب البرية وقد قال صلى الله عليه
وسلم اني ساصفه لكم صفة لم يصفها اياه نبي قبلي انه يبدا فيقول انا نبي
ولا نبي بعدي ثم يثني فيقول انا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وانه اعور
وان ربكم ليس باعور وانه مكتوب بين عينيه كافر يقراه كل مومن كاتب
او غير كاتب ليس كمثله شي الكاف زايدة لانه تعالى لا مثل له وهو
السميع لما يقال البصير بما يفعل فان قلت اي الاسمين احق واولى
عطف علة على معلول اي احق لاولويته او تقسيمه كما اتت به الانبيا
عليهم الصلاة والسلام هل لفظ المعجزة او لفظ الاية او الدليل
بدل مفصل من مجمل فالسوال عن امرين فقط معجزة ومقابلها من الاية
او الدليل بدليل ذكره لفظ مرة ثانية فقط فالثاني احد امرين اثنين وبدليل
وبدليل ان الجواب باختيار الشق الثاني بفرديه فلا يرد عليه ان تعبيره بالاسمين
لا يصح لان المذكور ثلاثة فالجواب ان كبار الايمة يسمون معجزات الانبيا
دلايل النبوة وايات النبوة ولم يرد ايضا في القران لفظ المعجزة بل
ولا في السنة ايضا وانما فيهما لفظ الاية والبينة والبرهان فالتعبير ده
بمعجزة خلاف الاولى لعدم وروده والاولى الاية او الدليل ونحوها لموافقة الوارد
في الشرع ولفظ المعجزة وضعه المتكلمون على ما اشتمل على الشروط الاربعة
السابقة من ايات الانبيا ولا ضير في ذلك خلافا لمن زعمه والتعبير بالاية
والبرهان والبينة لا ينافي ذلك وكل معجزة اية وبرهان وبينة ولا عكس كما
يظهر بتامل حد المعجزة والظاهر ان الاية والدليل مترادفان وبان انتهى
وفيه ان مدعي الاولوية لم يمنع اطلاق المعجزة بل ذكر اولوية الاية والدليل
عليها ولم يدع ضيرا ولا منافاة كما ترى كما في قصة موسى عليه السلام
فذانك بالتشديد والتخفيف برهانان مرسلان من ربك الى فرعون وملايه
اي العصى واليد وهما موثثان ذكر المشار به اليهما المبتدا لتذكير خبره
برهانان وفي حق نبينا عليه الصلاة والسلام قد جاكم برهان من
ربكم كما فسره به سفيان بن عيينة عند ابن ابي حاتم وجزم ابن عطية ده
والنسفي ولم يحكيا غيره وهو لغة الحجة او البينة الواضحة يعطي البعيد
التام وهو صلى الله عليه وسلم برهان بالمعنيين لانه حجة الله على خلقه وحجة
نيرة واضحة لما معه من الايات الدالة على صدقه وهذا مما سماه الله به من
اسمايه تعالى فانه منها كما في ابن ماجة واما لفظ الايات فكثير بل هو
اكثر من ان تسرده لو سردناه من الكتاب والسنة كقوله تعالى واذا
جاتهم اية وان في ذلك لايات واما لفظ المعجزة اذا اطلق فانه
لا يدل على كون ذلك اية الا اذا فسر المراد به وذكرت شرايطه الاربعة

المتقدمة وهذا ايضا بعيد او لونية عنوها عليها كقوله وقد كان كثيرا من
اهل الكلام لا يسمي الخارق معجزا الا ما كان للانبيا عليهم السلام ومن
اثبت للاوليا خوارق عادات وهم الجمهور سماها كرامات والسلف
كانوا يسمون هذا ما وقع للانبيا وهذا كما وقع للاوليا معجزا كالامام
احمد وغيره بخلاف ما كان اية وبرهانا علي نبوة النبي فان هذا يجب
اختصاصه به فيه اذ الكلام في الخارق الواقع لولي هل يسمي معجزة كما يسمي
كرامة ام لا وكذا ما وقع لنبي هل يسمي كرامة كما تسمي معجزة ام لا لا في ثبوت
الصفة نفسها فلو قال بخلاف الاية والدليل فانهما مختصان بما ثبت للانبيا
لاستقام ويدل له قوله وقد يسمون الكرامات ايات لكونها تدل علي نبوة
من اتبعه ذلك الولي فان الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون
ثبوت المدلول فكذلك ما كان اية وبرهانا انتهي واذا علمت هذا
فاعلم ان دلايل جمع دلالة قياسا ودليل علي غير قياس والمراد الثاني اذ الاول
صفة الدليل ويصح ارادة الاول ايضا لان وصف الدلالة بالوضوح يستلزم وضوح
الدليل او اطلق الدلالة واراد الدليل مجازا من باب تسمية الموصوف باسم صفته ثم
جمعت قياسا لان الجمع يتعلق باللفظ سوا استعملت الكلمة في حقيقتها او مجازها
نبوة نبينا صلي الله عليه وسلم كثيرة عبر بنبوة دون رسالة لانهم كانوا ينكرون
نبوته من اصلها لا رسالته فقط ولان الدلايل اذا كانت للنبوة فللرسالة اولي لانه من
اثبات الشي بدليله اي اثبات الرسالة باثبات النبوة لان النبي لا يكذب والاخبار
بظهور معجزاته شهيرة لكنها كما قال في الشفا ثلاثة اقسام الاول ما علم
قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف في مجي النبي صلي الله عليه وسلم
به وظهوره من قبله واستدلاله به علي ثبوت نبوته وكونه رسولا الي الناس كافة
ونحو ذلك وان انكر مجيئه به وظهوره من قبله احد فهو معاند جاحد وانكاره
كانكار وجود محمد صلي الله عليه وسلم في الدنيا الثاني ما اشتهر وانتشر ورواه
العدد الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع
الما من بين اصابعه وتكثير الطعام الثالث ما لم يشتهر ولا انتشر واختص به
الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع
الي مثله اتفقا في المعني المقصود به الاعجاز واتفقا علي الاتيان بالمعجز كما قدمنا
انه لا مرية في جريان معانيها علي يديه واذا انضم بعضها الي بعض افادت
القطع انتهي ملخصا فمن ذلك ما وجد في التوراة والانجيل وساير
باقي كتب الله تعالي المنزلة من ذكره ونعته ووصفه بالصفات المميزة
له حتي كانهم شاهدوه وانه الذي ذكر اسمه وخروجه بارض العرب وما
خرج بين يديه ايام مولده اي امامه بقربه ومبعثه من الامور الغريبة
العجيبة الفادحة في سلطان الكفر حججه وبرهانه اي الشبه الباطلة
التي يقيمها اهله علي صحته زاعمين حقيقتها عبر عنها بالحجج نظرا
لزعمهم الموهنة لكلمتهم اي كلمة اهل الكفر اي اقاويلهم الباطلة التي هو

رفضوها

رفضوها عبر عنها بكلمة لانهم لما اتفقوا كانت كانها كلمة واحدة الموبرة
لشان العرب المنوهة بذكرهم كقصة الفيل وما احل الله باصحابه من
العقوبة والنكال كما مر بسطه وخمود نار فارس التي كانوا يعبدونها
وكان لها الف عام لم تخمد وسقوط اربع عشرة شرفة من شرافات
بضم الشين واسكان الراء وفتحها وضمها جمع شرفة تكسير لها او لان جمع
القلة قد يقع موضع جمع الكثرة ايوان كديوان ويقال فيه اوان بوزن
كتاب بناء ازج غير مسدود الوجه كسرية بكسر الكاف وفتحها ملك الفرس
وكانت شرفات ايوانه اثنين وعشرين وغيض ماء بحيرة تصغير بحرة
لا بحر لان تصغيره بحير ساوة بمهملة فالف فواو مفتوحة فها ساكنة
مدينة بين الري وهمذان وبحيرتها متسعة جدا كانت اكثر من ستة فراسخ
يركب فيها السفن ويسافر فيها الي ما حولها من البلاد والمدن فاصبحت
ليلة المولد ناشفة كان لم يكن بها شي من الما ورويا الموبذان بضم الميم وسكون
الواو وفتح الموحدة كما قاله ابن الاثير وغيره وحكي ابن ناصر كسرها ايضا
وبذال معجمة اسم لحاكم المجوس كقاضي القضاة للمسلمين رايه ليلة مولده صلي
الله عليه وسلم ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها
فقال له كسري اي شي يكون هذا يا موبذان قال حدث يكون من ناحية العرب
وما سمع من الهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالي مطلقا
ثم خص بصوت يسمع ممن لا يري شخصه ولذا خص عند العرب بالجن
الصارخة بنعوته واوصافه عطف تفسيري وكثر ذلك عند مبعثه صلي
الله عليه وسلم وللخرايطي كتاب الهواتف جمع فيه ذلك وانتكاس الاصنام
المعبودة وخرورها سقوطها لوجوهها من غير دافع لها من امكنتها
الي ساير باقي ما رويه ونقل في الاخبار المشهورة من ظهور العجايب في
ولادته وايام حضانته مما تقدم بعضه وبعدها الي ان بعثه الله نبيا
وبسط ذلك يطول والحال انه لم يكن له صلي الله عليه وسلم ما يستميل به
القلوب من مال بيان لما فيطمع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا اعوان
علي الراي الذميم اظهره والدين القويم دعا اليه بل كان عاصما وحده الي ذلك
وكانوا يجتمعون علي عبادة الاصنام وتعظيم الازلام الاقداح التي كانوا
يعملون بما يخرجه متبعين علي عادة الجاهلية في العصبية والحمية
والتعادي والتباغي وسفك الدما وشن الغارات اي تفريقها والمراد
الخيل المغيرة لا تجمعهم الفة بضم اوله الالتيام واجتماع دين بحيث لا يقع
بينهم اختلاف ولا حروب ولا يمنعهم من سوء افعالهم نظر في عاقبة ولا
خوف عقوبة ولا لايمة بالمد والهمز ملامة اي حالة يلامون بها فالف صلي
الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتي اتفقت الاراء وتناصرت
القلوب عاون بعضها بعضا وقواه والمراد اصحابها ونسبه اليها لانه
سبب لمعاونة صاحبه وترادفت الايدي تتابعت في التعاون والتنا

على اظهار الحق فصاروا البا بكسر الهمزة وفتحها لغة وموحدة جمعا واحدا
في نصرته وعنقا بضمة وبضمتين جمعا واحدا فهو كالرديف لما قبله والمعنى
انهم صاروا ناظرين متلفتين اليه طلعته ليذبوا عنه ما يكره ويعاونوه على
ما يريد وهجروا بلادهم واوطانهم وجفوا قومهم وعشايرهم في
محبته وبذلوا مهجهم جمع مهجة الدم او دم القلب والروح كما في القاموس
فقوله وارواحهم تفسيري على الثالث في نصرته ونصبوا وجوههم
جعلوها كالهدف الذي ينصب لوقع السيوف والسهام والرماح حيث نصحوا
في محاربة اعدايه ووطنوا انفسهم على اصابة ذلك لوجوههم وصدورهم في
لاجل اعزاز كلمته اعلا دينه واظهاره بلا دنيا بسطها لهم ولا اموال افاضها
عليهم ولا غرض في العاجل اي امد في الزمن الحاضر اطمعهم في نيله
يجوزونه فيرغبون بسببه او ملك او شرف في الدنيا يحوزونه بل ليس ثم
ما يحملهم على الجهاد معه وانما محض غرضهم اظهار الحق واخماد الباطل و
وخص العاجل لانه ادعى للرغبة في معالجة النفس لحصوله بل كان من شانه
صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغني فقيرا يحمله على صرف امواله في الجهاد
ونحوه من انواع القرب كابي بكر او بان يصيره كالفقراء في تهذيب النفس وعدم
الفخر والاعراض عن الاسباب المشعرة بنحو الكبر والشريف اسوة الوضيع
فهل يلتئم مثل هذه الامور او يتفق بمجموعها لاحد هذا سبيله من
قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكري لا والذي بعثه بالحق جواب الاستفهام
ويسخر له هذه الامور ما يرتاب يشك عاقل في شيء من ذلك وانما هو امر
الهي وشيء غالب سماوي ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر
ولا يقدر عليه الا من له الخلق جميعا والامر كله تبارك تعاظم الله رب مالك
العالمين وبهذه الاية استدل سفيان بن عيينة على ان القران غير مخلوق اخرجه
ابن ابي حاتم لان الامر هو الكلام وقد عطفه على الخلق فاقتضى ان يكون غيره
لان العطف يقتضي المغايرة وسبقه الى هذا الاستنباط محمد بن كعب القرظي ذكره
في الاكليل وقال في فتح الباري قوله تعالى الا له الخلق والامر يختص به قوله تعالى
خالق كل شيء ولذا عقبه البخاري بقوله قال ابن عيينة بين الله الخلق من الامر
بقوله الا له الخلق والامر وهذا الاثر وصله ابن ابي حاتم في كتاب الرد على الجهمية
فقال الخلق هو المخلوق والامر هو الكلام وسيل مرة عن القران اهو مخلوق فقرا
الاية وقال الاثرمي كيف فرق بين الخلق والامر فالامر كلامه فلو كان مخلوقا لم يفرق
وسبق ابن عيينة الى ذلك محمد بن كعب القرظي واحمد بن حنبل وعبد السلام ابن
عاصم وطايفة اخرجه ابن ابي حاتم انتهى ومن دلايل نبوته المستلزمة لرسالته
لاستحالة الكذب على النبي وقد قال يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
عليه الصلاة والسلام انه كان اميا لا يخط كتابا بيده صفة لازمة فالامي
من لا يكتب نسبة الى الام لبقايه على الحالة التي ولد عليها اذ الكتابة مكتسبة
او الى امة العرب لان اكثرهم اميون وقد قال صلى الله عليه وسلم انا امة امية

لا نكتب ولا نحسب رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر لا يقراه لان عادة
من لا يحسن الكتابة لا يحسن القراءة ولد في قوم اميين ونشا بين اظهرهم
اي بينهم واظهر زايد في بلد ليس بها عالم يعرف اخبار الماضين
ولم يخرج في سفر ضاربا موحدة قاصدا الى عالم فيعكف بكسر الكاف
وضمها عليه ليتعلم منه فجاءهم باخبار التوراة والانجيل والامم
الماضية اي ذكر لهم ذلك وعبر عنه بجا اي اتى كانه لانه هو الذي جاءهم
الى منازلهم حرصا على تبليغ الرسالة ما امكنه وقد كان ذهبت معالم
اي اثار تلك الكتب التي تخبر بما ذكر عليه واستعمال معالم جمع معلم وهو
الاثر يستدل به على الطريق في اثار الكتب مجاز ودرست وحرفت اي بدلت
عن مواضعها التي وضعها الله عليها ولم يبق من المستمسكين بها
واهل المعرفة بصحيحها الا القليل ولقلتهم لم يجتمع صلى الله عليه
وسلم باحد منهم حتى يظن انه اخذ عنهم ثم حاج جادل كل فريق من
اهل الملل المخالفة له بما اي بشيء اي ببراهين لو احتشد بهمزة وصل
وسكون المهملة وفوقية ومعجمة مفتوحتين فمهملة اجتمع له اي لرده
حذاق المتكلمين جمع حاذق وهو العارف بغوامض صناعته ودقايقها
وجهابذة النقاد اي خبراوهم جمع جهبذ بالكسر النقاد الخبير كما في القاموس
فجرده المص عن بعض معناه لاضافته الى النقاد اذ لا يضاف اسم لما به اتحد
معنى المتفننين المتنوعين في المعارف يقال رجل متفنن اي ذو فنون اي
انواع لم يتهيا يتيسر له نقض ابطال ذلك ولم يقل لهم مطابقة للجمع نظرا
الى تنزيلهم منزلة الشخص الواحد فافرد فان قيل ما السر في نسبة المحاجة
الى النبي صلى الله عليه وسلم ونسبة الله تعالى المحاجة لقوم ابراهيم في
قوله وحاجه قومه فالجواب ان ابراهيم لما كسر اصنامهم نصبوا انفسهم
لمحاجته والمصطفى اتاهم بالحجج فهو المحاجج لهم وكل منهما حاجج المخالفين له
وهذا ادل شيء على انه جا من عند الله تعالى لا صنع لاحد فيه ومن ذلك
اي دلايل نبوته القران العظيم او ومن ذلك الذي حاجهم به وعجزوا عنه
وهو اظهر لقوله فقد تحداهم بحذف المفعول اي تحداهم به والباء في بما
فيه من الاعجاز سببية لا صلة تحدى لانه ما تحداهم بالاعجاز بل ما طلب
منهم المعارضة فقط بدليل تفسيره التحدي بقوله ودعاهم الى معارضته
اي طلبها منهم والاتيان بسورة وجعل الفاصلة يوهم انه قال ايتوا
بالاعجاز الذي فيه مع انه لم يقله انما قال فاتوا بسورة من مثله من البيان
اي في مثله في البلاغة وحسن النظم والاخبار عن الغيب والسورة
قطعة لها اول واخر اقلها ثلاث ايات فنكلوا عنه اي امتنعوا عنه
الاتيان بمثله بمعنى لم يجاوا ولو ان ياتوا بشيء يماثله لعلمهم انهم لا يقدرون
وعجزوا عن الاتيان بشيء منه عطف علة على معلول قال بعض
العلما ان الذي اورده عليه الصلاة والسلام على العرب من الكلام

الذي اعجزهم عن الاتيان بمثله اعجب في الاية العلامة واوضح
في الدلالة علي ما ادعاه من الرسالة من احياء الموتي لعيسي وابرا
الاكمه الذي ولد ممسوح العين والابرص من به بياض مثال الاعبد وخصا
لانهما دا اعيا وكان بعث عيسي في زمن الطب فابراهما بيوم خمسين
الفا بالدعا بشرط الايمان روي ابن عساكر عن وهب كان دعا عيسي الذي
يدعو به للمرضي والزمني والعميان والمجانين وغيرهم اللهم انت اله من في
السما واله من في الارض لا اله فيهما غيرك وانت جبار من في السما وجبار
من في الارض لا جبار فيهما غيرك وانت ملك من في السما وملك من في
الارض لا ملك فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السما وسلطانك
في الارض كسلطانك في السما اسئلك باسمك الكريم ووجهك المنير وملكك
القديم انك علي كل شي قدير قال وهب هذا للفزع والجنون يكتب ويسقي
ماء بير ان شا الله لانه ابي اهل البلاغة وهي ملكة يبلغ بها المتكلم في
تادية المعاني حدا يوخذ بفوقية خاصة كل تركيب حقها وبقية علوم العرب
العرب الشعر وهو كلام موزون مقفي مراد به الوزن والخبر وهو معرفة
الاسماء والانساب والايام اذ كانوا يمكان من ذلك والكهانة وهي معاناة الجن
وادعا معرفة الاسرار فانزل الله القران الخارق لهذه الاربعة فصولا من
اجل الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نوعه وارباب الفصاحة
ورؤسا جمع رييس كشريف وشرفا وزنا ومعني البيان الافصاح مع ذكا
والمتقدمين في اللسن بفتح اللام والمهملة ونونه الفصاحة بكلام يتعلق
بقولكم اتي مفخم المعني عندهم وكان عجزهم عنه اعجب من عجز من
شاهد المسيح عند احيا الموتي لانهم لم يكونوا يطمعون فيه هذا
واضح واما قوله ولا في ابرا الاكمه والابرص ولا يتعاطون علمه ففيه
نظر فقد ذكر اهل التفسير ان عيسي بعث في زمن الطب ومن جملته تعاطي علم
ابرا الاكمه والابرص وقريش كانت تتعاطي الكلام الفصيح والبلاغة
والخطابة بفتح الخا المعجمة انشا الكلام في المحافل جعل الله لهم ذلك طبعا
وخلقة فياتون منه علي البديهة بالعجب ويدلون به الي كل سبب فيخطبون
ندبا في المقامات الي اخر ما طول به في الشفا في صفة بلاغتهم وفصاحتهم
فدل علي ان العجز عنه انما كان ليصير علما علي رسالته وصحة نبوته
وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح وهو باق دون غيره من المعجزات
ومنه تستنبط الاحكام الشرعية والعلوم العقلية ولم يستنبط من معجزة
سواه ولذا قيل معجزات الانبيا انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها
الا من حضرها ومعجزة القران باقية الي يوم القيمة وقال ابو سليمان
الخطابي نسبة الي جده اذ هو حمد بفتح المهملة واسكان الميم ومهملة
ابن محمد بن ابراهيم بن الخطاب الحافظ الفقيه المشهور وقد كان صلي
الله عليه وسلم من عقلا الرجال عند اهل زمانه بل هو اعقل خلق

الله

الله علي الاطلاق تقليلا مقدم لقوله وقد قطع القول اي انه لكمال عقله
لم يرتب فيما اخبر به عن ربه تعالي بانهم لا ياتون بمثل ما تحداهم
به فقال فان لم تفعلوا ماذكر لعجزكم ولن تفعلوا ذلك ابدا لظهور اعجازه
ولم يقل ولن تاتوا بسورة من مثله لما فيه من الكناية والايجاز فلولا علمه
بان ذلك من عند الله علام الغيوب وانه لا يقع فيما اخبر عنه خلف والا
صوابه اسقاطه اذ جوابه لولا قوله لم ياذن له عقله ان يقطع القول في
شي بانه لا يكون وهو يكون يوجد ولا يصح ان جوابه لولا محذوف اي لم يقطع
القول لانه ينافي ما بعده والا انتقض وهذا احسن ما يكون في هذا المقام
بالجيم وابدعه واكمله واسنيه فانه نادي عليهم بالعجز قبل المعارضة
حيث قال ولن تفعلوا فنفي قدرتهم في المستقبل فلو قدروا لحبسهم فعلوه
وبالتقصير منهم عن بلوغ الغرض لهم في المناقضة هي لغة التكلم
بما يتناقض معناه والمعني انه اخبر بعجزهم قبل ظهور المناقضة منهم في
اقوالهم الدالة علي ذلك ثم صار خاطبهم مناديا عليهم بعجزهم عن ذلك علي
روس الاشهاد فلم يستطع احد منهم الالمام به اي القرب منه نو
مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد وهم في كل هذا ناكصون عن
معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب
والافترا يقولون ان هذا الا سحر يوثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير
الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر اي صمم ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعا مع العجز لو نشا لقلنا مثل هذا وهذه
وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة فلو استطاعوه ما منعهم ان يشاوا وقد بعثهم
بالعجز بضعا وعشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم
ان يغلبوا خصوصا في الفصاحة فقال الي ايضا اذ ما قبله فاتوا بسورة من
مثله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا وكان بما اتي عليهم خبيرا قل لين
اجتمعت الانس والجن علي ان ياتوا بمثل هذا القران في الفصاحة
والبلاغة لا ياتون بمثله جواب لمقدر ولذا لم يجزم ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا معينا نزل ردا لقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا قال بعضهم التحدي انما وقع
للانس دون الجن لانهم ليسوا من اهل اللسان العربي الذي جا القران علي اساليبه
وانما ذكروا في هذه الاية تعظيما لاعجازه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس
للافراد واذا فرض اجتماع الثقلين فيه وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن
المعارضة كان الفريق الواحد اعجز وقال غيره بل وقع للجن ايضا والملايكة
منويون في الاية لانهم لا يقدرون ايضا علي الاتيان بمثله وقال الكرماني في غرايب
التفسير انما اقتصر علي الانس والجن لانه صلي الله عليه وسلم مبعوث الي
الثقلين دون الملايكة ذكره في الاتقان فرضيت هممهم السريفه
الشريفة وانفسهم الشريفة الابية الممتنعة بسفك الدما وهتك

بمجزاً عن الاتيان بمثله وعناداً بعدم الايمان وقد ورد من الاخبار
في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل على المشركين
الذين كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم بالجر عطف على قوله
الاخبار باعجازه جمل كثيرة فاعل ورد فمن ذلك ما ورد عن محمد بن
كعب بن سليم بن اسد القرظي المدني ثقة عالم روى له الستة قال الحافظ
ولد سنة اربعين على الصحيح ووهم من قال ولد في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقد قال البخاري ان اباه كان ممن لم ينبت من سبي قريظة مات محمد
سنة عشرين ومائة وقيل قبلها قال حدثنا بالبناء للمجهول قال في النور لا اعرف
من حدثه ان عتبة ابن ربيعة الكافر المقتول ببدر قال ذات يوم وهو
جالس في نادي مجلس قريش الذين يجلسون فيه يتحدثون ورسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر قريش الا
اقوم اليه هذا وفي رواية الى محمد فاعرض عليه امورا لعله ان يقبل
منا بعضها فنعطيه ايها شاء ويكف عنا قالوا بلى يا ابا الوليد فقام
عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك ولفظه فقال اي عتبة
يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب
وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم
وعبت به الهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني اعرض
عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال صلى الله عليه وسلم
قل يا ابا الوليد اسمع قال يا ابن اخي ان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك
من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك
علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان
هذا الامر الذي ياتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلب الطب حتى
نبريك او نعذر فلما فرغ من كلامه هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افرغت يا ابا الوليد قال نعم فاسمع مني قال فافعل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم مبتدا خبره كتاب فصلت اياته بينت بالاحكام والقصص والمواعظ
والامثال واساليب البلاغة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها
عليه اي يقرا بقية السورة فلما سمعها عتبة انصت لها والقى بيديه خلف
ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا ابا الوليد قال
سمعت قال فانت وذاك مرفوع وجوبا عند الجمهور بنحو قولهم انت ورايك
والنصب على انه مفعول معه او على ان ما قبل الواو جملة حذف ثانيها خبرها
فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم
ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به لكثرة تغيره مما سمع فلما جلس
قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني والله قد سمعت قولا ما سمعت

بمثله

تحمه بوزنكي التابع من الجن

بمثله قط والله ما هو بالشعر وكان بعضهم قال هو شعر لحسن نظمه
وفصاحته ولا بالسحر وكان قال بعضهم قال هو سحر للطافته ولا
الكهانة وكان بعضهم قال ذلك غيبة لتخبرهم فيه كل ذكر من التخبير والانقطاع
يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها في خلوا بين هذا الرجل وبين
ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبا فان تصبه
العرب فقد كفيتموه وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم
اسعد الناس به قالوا سحرك يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رايي فيه فاصنعوا
ما بدا لكم هذا بقية حديث محمد بن كعب عند ابن اسحاق وزاد في رواية غيره
قال عتبة معللا لقوله ليكونن لقوله نبا فلجاءني بشيء والله ما هو
بسحر ولا شعر ولا كهانة كما تزعمون قرا بسم الله الرحمن الرحيم
لا دلالة فيه على انها من السورة للاجماع على ندب استفتاح القراءة في غير
الصلاة بالبسملة حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل انذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي خوفتكم عذابا يهلككم مثل الذي
اهلكهم فامسكت فمه وناشدته الرحم ان يكف عني وقد علمتم ان محمدا
اذا قال شيئا لم يكذب فكيف يكذب على الله فخفت ان ينزل بكم العذاب
رواه البيهقي وغيره كابن اسحق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب
القرظي فذكره وفي رواية ان عتبة لم يرجع اليهم وقطع اسلامه فذهبوا
له فغضب وحلف لا يكلم محمدا ابدا وقال قد علمتم انه لا يكذب الخ فان صحا امكن
الجمع بينهما وفي حديث اسلام ابي ذر الغفاري وهو وصف اخاه انيسا
بالتصغير ابن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار الغفاري اسن
من ابي ذر واسلم على يده هو وهاجرا معا فقال والله ما سمعت باشعر من
اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم اي عارضهم
في قصائدهم فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته
عليه قال الجوهري المناقضة في الشعر ما ينقض به وقال المجد ان يقول شاعر
شعرا فينقض عليه شاعر حتى يجيء بغير ما قال وانه انطلق الى مكة
لحاجة له وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رايت رجلا
بمكة يزعم ان الله ارسله قلت فما يقول الناس فيه قال انيس يقولون شاعر
كاهن ساحر اي بعضهم يقول هذا وبعض هذا وابطله فقال لقد سمعت
قول الكهنة فما هو اي النبي او كلامه ملتبس بقولهم ولقد وضعته اي قوله
كما هو لفظه نحو مسلم على اقراء بفتح الهمزة والمد الشعر اي انواعه وطرائقه
مقاصده كما في القاموس فهو جمع قرء بالضم وقيل جمع قرا بالفتح اي طرقه
وانواعه وقال الزمخشري اقراؤه قوافيه التي يختم بها كاقراء الطهر الذي
ينقطع الدم عندها واحدها قرء مثلث القاف فلم يلتئم بالهمز من الملايمة اي
لم اره مناسبا ولا موافقا لها لفظا ولا معنى ابن الاثير باض الشعر ولا يلتئم
لا ينفق على لسان احد بعدي انه بفتح الهمزة شعر اذ ليس احد اعلم به ولا

اقدر عليه حتى فلو امكن فعلته فحيث لم يتفق اي لا يتفق لغيره والمراد
ابطال كونه شعرا بعد ما ابطل كونه سحرا او كهانة ولذا عقبه بقوله
وانه اي النبي صلى الله عليه وسلم لصادق في قوله انه من عند الله
وانهم اي الكفار لكاذبون في جميع ما قالوه رواه مسلم في الفضايل
مطولا جدا والبيهقي في الدلايل كذلك وعن عكرمة مولى ابن عباس فيما
رواه البيهقي مرسلا في قصة الوليد بن المغيرة بضم الميم وكسر
المعجمة بن عبد الله المخزومي مات كافرا وكان زعيم سيد قريش
في الفصاحة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علي
شيا من القران لينظر فيه فقرأ عليه ان الله يامر بالعدل التوحيد
او الانصاف والاحسان اداء الفرايض او ان تعبد الله كانك تراه كما في
الحديث وايتاء ذي القربى القرابة خصه بالذكر اهتماما به الى اخر
الاية وخص هذه الاية لمناسبتها للطالب لانه من اقاربه وفيها عظة له
وتنبيه وهو من روسا عقلائهم فرحا صلى الله عليه وسلم بذلك لكمال
رافته ورحمته ان يهديه للاسلام قال الوليد اعد قراءتك فاعاد صلى
الله عليه وسلم الاية فقال والله ان له لحلاوة اي عذوبة وفصاحة
استعارة لما يستلذه السمع وان عليه لطلاوة مثلث الطاء حسن وبهجة
وقبول واكدهما بالقسم وان والجملة الاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة الى
انه لا يشبه غيره من الكلام وان اعلاه لمثمر اي له ثمر طيب كثير استعارة
تمثيلية والمراد ان اصله قوي ليس من جنس كلام البشر ومعانيه مفيدة
مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وان اسفله لمغدق بلام
التوكيد وضم الميم وسكون المعجمة وكسر المهملة من الغدق وهو كثرة الماء
واراد باسفله ما تضمنه من المعاني فهو تمثيلية ايضا شبهه لفصاحته
وبلاغته بشجرة شربت عروقها ماء غزيرا فاهتزت وربت وانبعث
ثمرتها وكثرت ويجوز كونها مكنية وتخييلية وفي رواية ابن اسحق وان
اصله لغدق وان فرعه لجناه بفتح المهملة وسكون المعجمة النخلة التي
اصلها ثابت ورواه ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة قال في
الروض رواية ابن اسحاق افصح لانها استعارة تامة اخر الكلام فيها يشبه
اوله وجناه بفتح الجيم والنون الثمرة وما يقول هذا بشر لانه لا يشبه
كلامهم بوجه من الوجوه لحلاوة نظمه وبدايع اسلوبه وبلاغة معانيه
وجزالة مبانيه يعني انه ليس مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون
بالبلاغة والا فهو معجز للجن ايضا على انه صرح بذلك في قوله ثم قال لقومه
والله ما فيكم رجل اعلم بالاشعار مني ولا اعلم برجزه نوع من الشعر
معروف فهو خاص على عام ففيه حجة لقول الجمهور الرجز شعر ولا
باشعار الجن مني والله ما يشبه الذي يقول شيا من هذا المذكور
والله ان لقوله الذي يقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر
اعلاه

اعلاه مغدق اسفله واعاد ذلك للتاكيد ولشدة اللذة الحاصلة له
بسماعه وانه ليعلو يرتفع على ما سواه ولا يعلى عليه وبقية هذا
عند البيهقي وانه ليحطم ما تحته وفي خبره اي الوليد الاخرجين
جمع قريشا يعني اشرافهم ورؤساهم عند حضور الموسم للحج
وقال ان وفود العرب ترد اي تقدم عليكم وقد سمعوا بامر صاحبكم
فاجمعوا بقطع الهمزة واسكان الجيم وكسر الميم فيه رايا اي اعزموا
وصمموا عليه من اجمع المختص بالمعاني دون الاعيان لا من جمع لانه
مشترك بينهما قال تعالى فجمع كيده ثم اتى الذي جمع مالا وعدده واما قوله
تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم فوقع الفعل على وشركاءكم بطريق العطف ويغتفر
في التابع ما لا يغتفر في المتبوع او تقديره كما قيل وليحضروا شركاءكم لا يكذب
بضم اليا وسكون الكاف وخفة الدال او بفتح الكاف وشدة الذال المكسورة من
الكذب وكذبه بعضكم بعضا اذا اختلفتم قالوا فانت اقم لنا رايا نقول فيه فقال
بل انتم فقالوا اسمع فقالوا نقول كاهن يخبر عن المغيبات ويدعي معرفة
الاسرار وكانوا في العرب كثيرا كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع فمنهم من
له جني يخبره بالاخبار ومنهم من يدعي معرفة ذلك باسباب وامور له
ياخذها من كلام سايله وفعله وحاله ويقال له عراف قال والله ما هو
بكاهن لقد راينا الكهان ما هو بزمزمته اي صوته الذي لا يفهم كصوت
الرعد وذلك اصوات الكهنة ولا سجعه الذي يسجعه وقت كهانته قالوا
مجنون اختل عقله فاختل كلامه وفعله قال والله ما هو بمجنون لقد
راينا المجنون وعرفناه ولا هو بخنقه بفتح النون وكسرها واسكانها ثلاث
لغات ذكره الم ولا بوسوسة بفتح الواو مصدر شي يلقى في القلب وفي
السمت بصوت خفي يحدث به المرء نفسه ولذا سمي حديث النفس اي لا يشبه
حاله قالوا فنقول شاعر قال وما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله
رجزه وهزجه بفتح الها والزاي والجيم احد بحور الشعر لكن المنقول ان
اسماءها منقولات للخليل بن احمد فهي منقولة من الهزج نوع مضطرب من
الاغاني ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تتغنى به كان اقرب
وانسب بقوله وقريضه لانه ليس اسم من بحور العروض وهو لغة الشعر
مطلقا من قرض بمعنى قطع اي مقطوعه فعيل بمعنى مفعول لان الشاعر
يقتطع نوعا من الكلام تقرض له ومبسوطه اي مطولاته قصايده المقابلة
لما قبله فيتناول الطويل والبسيط وغيرهما ومقبوضه مختصره او زنه
المسمى في العروض بالمنهوك والمجزو ومن تكلف من فسر مبسوطه ببحر
البسيط وان زيادة الميم لمشاكلة مقبوضه ما هو بشاعر اعاده تاكيدا
قالوا فنقول ساحر قال وما هو بساحر لقد راينا السحار وسحرهم
فما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده بفتح فسكون او بضم ففتح جمع عقدة
التي يعقدها في الخيط الذي ينفخ فيها بشي يقوله بلا ريق او معه قالوا

فما تقول مالنوه بحن او الصوفية اي قال والله ان لقوله لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اصله لغدق وان فرعه لجناه فما انتم قايلون من هذه
الاشيا الا وانا اعرف انه باطل ليس بمقبول عندي ولا عند احد من العقلا
الذي بعد قوله وقدم الضمير لتقوية الحكم لانه بتقدم الذكر او للحصر في نفسه
ما دعا ان غيره يحصل ذلك وفيه بعد وبقية خبره وان اقرب القول فيه انه
تقولوا ساحر جا بقول هو سحر يفرق بين المرء وابيه وبين المرء واخيه وبين
المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون لسبل
الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم احد الا حذروه اياه وذكروا لهم امره فصدرت
العرب من ذلك الموسم بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في
بلاد العرب كلها رواه بتمامه هذا ابن اسحق والبيهقي باسناد جيد عن
ابن عباس واخرج ابو نعيم من طريق محمد بن اسحاق بن يسار امام المغازي
صدوق مدلس قال حدثني ابي اسحق بن يسار المدني ثقة من التابعين
عن رجل من بني سلمة بكسر اللام بطن من الانصار قال لما اسلم فتيان بني
سلمة قال عمرو بفتح العين بن الجموح بفتح الجيم وخفة الميم بن زيد بن كعب
الانصاري السلمي من سادات الانصار استشهد باحد لابنه معاذ شهد
العقبة وبدرا وشارك في قتل ابي جهل اخبرني ما سمعت من كلام هذا
الرجل وكان اسلم قبل ابيه فقرا عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط
المستقيم فقال عمرو لابنه وما احسن هذا واجمله او كل كلامه مثل هذا
قال يا ابت واحسن من هذا قال ابن اسحاق كان عمرو بن الجموح سيدا من
سادات بني سلمة وشريفا من اشرافهم وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب
يعظمه فلما اسلم فتيان بني سلمة منهم ابنه معاذ ومعاذ بن جبل كانوا يدخلون
على صنمه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة فيفقده عمرو فيجده منكبا
لوجهه في العذرة فياخذه ويغسله ويطيبه ويقول لو اعلم من صنع بك هذا
لاضربنه ففعلوا ذلك مرارا ثم جا بسيفه فعلقه عليه وقال ان كان فيك خير
فامتنع فلما امسى اخذوا كلبا ميتا فربطوه في عنقه واخذوا السيف فاصبح
فوجده كذلك فابصر رشده واسلم وقال ابن الكلبي كان اخر الانصار اسلاما
وقال بعضهم وفي نسخة بعض العلما ان هذا القران لو وجد مكتوبا في
مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت
العقول السليمة انه من عند الله وان البشر والجن لا قدرة لهم
على تاليف ذلك فكيف اذا جاء على يد اصدق الخلق وابرهم واتقاهم
وقد قال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان ياتوا بسورة من مثله
فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك انتهى كلام البعض واعلم ان وجوه اي
انواع اعجاز القران التي يعلم بها اعجازه وانه لا يقدر عليه بشر لا تنحصر
بعدد وان افردها خلائق بالتصنيف وقد قال في الشفا بعد ما قال وان تحصيلها
من جهة ضبط انواعها اربعة وبسطها ثم زاد عليها جملة قال واذا عرفت

ما ذكر

ما ذكر من وجوه اعجاز القران عرفت انه لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا
الفين ولا اكثر لانه صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجزوا عنها
قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها
منه معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سبق لكن قال بعضهم انه قد
اختلف العلما في وجه اعجازه على ستة اوجه اي انها جملة الوجوه
التي حصل بها الاعجاز وليس المراد ان من قال بواحد نفى غيره احدها ان
وجه اعجازه اي جعل غيره عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله هو
الايجاز قلة اللفظ وكثرة المعاني والبلاغة الخارقة عادة العرب بان يكون
في الحد الاعلى او ما يقرب منه اختلف هل فيه الحد الاسفل قال الخطابي ذهب
الاكثرون من علما النظر الى ان وجه الاعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب
عليهم تفصيلها فصغوا فيه الى حكم الذوق قال والتحقيق ان اجناس الكلام
مختلفة ومراتبها في درجات البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل
ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجايز الطلق الرسل وهي اقسام الكلام
الفاضل فالاول اعلاها والثاني اوسطها والثالث ادناها واقربها فحازت بلاغة
القران من كل قسم من هذه الثلاثة فانتظم لها بذلك نمط يجمع صفة الفخامة
والعذوبة واطال في بيان ذلك نقله في الاتقان ثم قال اختلف في تفاوت القران
في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على انه في اعلا مراتب البلاغة بحيث لا يوجد
في التراكيب ما هو اشد تناسبا ولا اعتدالا في افادة المعنى عنه فاختار القاضي
المنع وان كل كلمة فيه موصوفة بالذروة العليا وان كان بعض الناس احسن
احساسا له من بعض واختار ابو نصر القشيري وغيره التفاوت وان فيه
الافصح والفصيح واليه نحى العز ابن عبد السلام واورد لهم لم يات القران
جميعه بالافصح واجاب غيره بانه لو جاء على ذلك لكان على غير النمط
المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الافصح والفصيح ولا تتم الحجة في الاعجاز
فجاء على نمطهم المعتاد ليتم ظهور العجز عن معارضته ولا يقولوا مثلا اتيت
بما لا قدرة لنا على جنسه كما لا يصح للبصير ان يقول للاعمى غلبتك بنظري لانه
يقول له انما تتم لك الغلبة لو كنت قادرا على النظر وكان نظرك اقوى من نظري
فاما اذا فقد اصل النظر فكيف يصح معنى المعارضة والرصف بفتح الراء وكسر
المهملة وبالفا الشديد المضموم والجزل بفتح الجيم وسكون الزاي فالكلام القوي
الشديد الرونق مثل قوله ولكم في القصاص حياة اي بقا عظيم فجمع في
كلمتين هما المبتدا والخبر لانهم لا يعتبرون جزء الكلمة واما قوله ولكم فخبر اخر
لحياة او احدهما خبر والاخر صلة له عدد حروفها عشرة احرف بحذف
ال والياء التي في قوله في لانهم انما يعدون ما ينطقون به لا ما يكتب والعرب لم
تكن تعرف الكتابة معاني كلام كثير

بياض في اصله

وحكي ابو عبيد القاسم بن سلام البغدادي احد الاعلام مر بعض ترجمته
ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر اجهر به من
صدع بالحجة اذا تكلم جهارا او افرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز
وما مصدرية او موصولة والعايد محذوف اي بما تؤمر به من الشرايع كما في
البيضاوي **فسجد** الاعرابي لما ادهشه من بلاغته **وقال سجدت لفصاحة**
هذا الكلام اذ ليست اية سجدة وانما هذه العجيب لفصاحته حتي ذل ومرغ
وجهه في التراب وكان هذا معروفا في مثله حتي قال بعضهم للشعرا سجدات
وليس المعني سجدت لله لاجل فصاحته كما وهم **وسمع اعرابي اخر رجلا**
يقرا فلما استياسوا منه يئسوا من يوسف وزيدت السين والتا للمبالغة
في الياس **خلصوا** اعتزلوا **نجيا** مصدر يصلح للواحد وغيره اي يناجي
بعضهم بعضا **فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر علي مثل هذا الكلام**
لاعجاز بلاغته وخروجها عن طرق البشر فانك لو وزنت فوتك لما لم يطمعهم
يوسف ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيما بينهم فيما يقولون بعد هذا او كيف
يرجعون لابيهم عرفت بالذوق ان لا مناسبة بينهما **وحكي الاصمعي** بفتح
الهمزة والميم بينهما مهملة ساكنة ثم مهملة نسبة الي جده فانه عبد الملك
ابن قريب بالتصغير بن عبد الملك بن علي بن اصمع ابو سعيد الباهلي البصري
صدوق سني روي له ابو داود والترمذي مات سنة ست عشرة وقيل سنة
عشر ومايتين وقد قارب تسعين **انه راي جارية** اي صغيرة السن
خماسية او سداسية بلغت خمسا او ستا **وهي تقول استغفر الله من**
ذنوبي كلها قال الاصمعي **فقلت لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم**
اذ لم تبلغي الحلم **فقالت استغفر الله لذنبي كله قتلت انسانا بغير حله**
بالكسر اي بلا سبب يبيح قتله **مثل غزال** صفة انسانا **ناعم في دله** اي تدلله
وتكسره في مشيته **انتصف الليل ولم اصله** اخبار عن ذنب اخر اي لم اتهجد
فيه ثم يحتمل ان المراد بانسانا نفسها اي قتلت نفسي بعدم فعل الطاعات
لانتصاف الليل وما صليت ويحتمل غيرها والقتل له حقيقي او مجازي عن
هجرها له ونحوه اي كدرته اقتله وهذا اظهر اذ قتلها الحقيقي او بالعشق
بعيد لصغرها جدا **فقلت لها قاتلك الله ما افصحك** تعجب من
فصاحتها مبالغا في تعجبه فانها تقال لمن اتي بامر بديع غريب وليس المراد
حقيقة الدعا بل شدة الاستحسان كانه ممن يستحق ان يحسد ويدعي عليه
فقالت او تعد بالفوقية للمعلوم والتحتية للمجهول وفتح همزة الاستفهام
والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تاخير او داخلة علي مقدر معطوف عليه
علي الخلاف الشهير اي اتعجب وتعد **هذا** الكلام **فصاحة** اي فصيحا **بعد**
قوله تعالي اي مع فصاحة القران لا يعد غيره فصيحا السامعه فانه ازري
بكل فصاحة فصيرها كالعدم **واوحينا** وحي الهام او منام **الي ام موسي**
ولم تشعر بولادته غير اخته **ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم**

البحر اي النيل ولا تخافي غرقه ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين فارضعته ثلاثة اشهر لا يبكي وخافت عليه
فوضعته في تابوت مطلي بالقار من داخل ممهد له واغلقته والقته في
بحر النيل ليلا فجمع في اية واحدة بين امرين ارضعيه والقيه ونهيين
لا تخافي ولا تحزني وخبرين اخا رادوه اليك واوحينا الي ام موسي ان ارضعيه
انا رادوه اليك وبشارتين انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وهذا
اوجه من جعل الخبرين اوحينا وخفت لان اوحينا وخفت ليس هو المقصود
بالاخبارية وخفت وان كان خبرا في الاصل لكنه باقترانه باداة الشرط
خرج عن كونه خبرا والمختار كون انا رادوه اليك خبرا وبشارة لاختلاف
الجهة فيهما ثم المراد بالفصاحة هنا البلاغة لانها تطلق عليها كما قال
عبد القاهر قال في الشفا فهذا اي الجمع بين ما ذكر في اية واحدة نوع من
اعجازه منفرد بذاته غير مضاف لغيره علي التحقيق والصحيح وحكي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد النبوي فاذا
هو بقائم بوجل ببا الملابسة علي راسه اي منتصب القامة بجانبه او عمر
وهو حقيقة عرفية في مثله يتشهد شهادة الحق اي ينطق بالشهادتين
فاستخبره فاعله كما في الشفا فسقط من الناسخ لفظ فاستخبره وفي نسخة
فاخبره انه من بطارقة الروم جمع بطريق ككبريت القايد من قواد الروم
تحت يده عشرة الاف رجل كما في القاموس وقال الجوهري لما سمعته العرب ان
البطارقة اهل رياسة وصفوا الرئيس به يريدون المدح قال ابو ذويب

هم رجعوا بالعرج والقوم شهد ... هوازن تحدوها حماة بطارق

ممن يحسن كلام العرب وغيرها من عبرانية وسريانية ورومية وهذا
توطية لانه يفهم القران والانجيل ويقدر علي النظر في معانيهما ثم قال
وانه سمع رجلا من اسري المسلمين يقرا اية من كتابكم ايها المسلمون
يعني القران فتاملتها نظرت بفكري في معناها فاذا هي قد جمع فيها
ما انزل الله علي عيسي بن مريم من احوال الدنيا والاخرة بيان لما اي
من الاحوال التي تلزم العبد في الدنيا التي هي سبب النجاة والفوز في الاخرة
وهي قوله تعالي ومن يطع الله ورسوله فيما يامرانه او في الفرض والسنن
ويخش الله يخافه فيما صدر عنه من الذنوب ويتقه يجتنب ما يوجب
عقوبته فيما بقي من عمره الاية اي فاولئك هم الفايزون بالنعيم المقيم
او بسعادة الدارين وذلك لانها امرة بجميع الطاعات وباجتناب جميع المعاصي
والمبادرة الي التوبة والفوز بالمطلوب وقد رام قوم من اهل الزيغ الميل عن
الحق الي الباطل والالحاد الطعن في الدين ممن اوتوا طرفا من البلاغة
وحظا نصيبا من البيان ان يصنعوا اشيا يلبسون بفتح اوله وسكون
اللام وفتح البا وكسرها وبضم اوله وفتح اللام وشد البا مكسورة من التلبيس
شدد مبالغة يخلطون به فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناول

اي

اي بعيد لا يتخيل الوصول اليه كما لا يتخيل احد ان يتناول نجما بيده من محله
مالوا الي السور القصار كسورة الكوثر والنصر واشباههما
لوقوع اي دخول الشبهة علي الجهال القاصرة عقولهم عن تمييز
الحسن من القبيح ولو قال لايقاع كان اولي لان الغرض منه فعله
ومزوجه ما ينقول فيما قل عدد حروفه لان العجز انما يقع في
التاليف والاتصال وممن رام ذلك من العرب بالتشبث التعلق
بالسور القصار مسيلمة بضم الميم وكسر اللام تصغير مسلمة بفتح
لامه خطا من بني حنيفة الكذاب فقال يا ضفدع نقي كم تنقين اي
تصوتين اعلاك في الما واسفلك في الطين لا الما تكدرين ولا الشراب
تمنعين فلما سمع ابو بكر الصديق رضي الله عنه هذا الكلام قال
انه لكلام لم يخرج من ال بكسر الهمزة وتشديد اللام قال ابن الاثير
في النهاية اي من ربوبية وال بالكسر هو الله تعالي وقيل الال هو
الاصل الجيد اي لم يجي من الاصل الذي جا منه القران ولما سمع مسيلمة
الكذاب لعنه الله والنازعات غرقا قال والزارعات وفي نسخة والمبذرات
لكن انما يقال بذر ولا ابذر زرعا والحاصدات حصدا والذاريات بذال
معجمة من ذروت الشي طيرته واذهبته قمحا والطاحنات طحنا والخابزات
خبزا والثاردات ثردا بمثلثة واللاقمات لقما لقد فضلتم علي اهل
الوبر بفتحتين صوف الابل والارانب ونحوها جمعه اوبار وما سبقكم اهل
المدر بفتحتين قطع الطين اليابس او العلك الذي لا رمل فيه والمدن
والحضر كما في القاموس الي غير ذلك من الهذيان التكلم بغير معقول مما
ذكرت في الوفود من القصد الثاني بعضه والله اعلم وقال اخزاه الله
كيف فعل ربك بالحبلي اخرج من بطنها نسمة تسعي من بين شراسيف
بشين معجمة وراء وسين مهملة جمع شرسوف كعصفور غضروف معلق
بكل ضلع او مقط الضلع وهو الطرف المشرف علي البطن واحشي جمع
حشا وقال الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وثيل
بمثلثة طويل يشبه الحبل في امتداده ومشفر بكسر الميم وسكون المعجمة
وفتح الفا طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل ففي هذا الكلام مع قلة
وفي نسخة غلقه بالفا حروفه من السخافة قلة العقل ما لا يخفا فيه
علي من لا يعلم فضلا عن من يعلم اذ كل من سمعه مجه ويعلم ضرورة
هجنته وركته والوجه الثاني ان اعجازه هو الوصف بالغرض الغلبة حتي
جعلها محمولة علي المبتدا كزيد عدل فلا يرد ان الوصف علة للاعجاز الذي
هو تصيير الغير عاجزا لا اجل الوصف الذي صار به خارجا عن كلام
العرب من حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه من
قصر وحذف جزء كلمة جملة مضاف او موصوف او صفة في نحو واسال
القرية اي اهلها ومنا دون ذلك اي رجال وياخذ كل سفينة غصبا اي

سفينة صالحة وغير ذلك مما استدل عليه من وجوه الاعجاز وبلاغته
الخارقة عادة العرب في عجايب تراكيبهم وغرايب اساليبهم وبدايع
انشايهم وروايع اشعارهم الذين هم فرسان الكلام ومن هو وصف نظمه
العجيب واسلوبه الغريب المخالف لاساليب العرب ومناهج نظمها
ونثرها الذي جا به القران ووقفت عليه تقاطع اياته اواخرها وقوفها
كالتام والكافي وانتهت اليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير
له انتهى ملخصا من الشفا **من النظم** بيان لكلام العرب **والنثر** بمعنى
المنظوم والمنثور **والخطب والشعر والرجز** عطف اخص على اعم اذ
الراجح انه شعر **والسجع** بمهملة كلام له فواصل بمعنى المسجوع قال المجد
السجع الكلام المقفى او موالاة الكلام على روي جمعه اسجاع ومسجوع
وسجع كمنع نطق بكلام له فواصل وسجعت الحمامة رددت صوتها وفي المصباح
ان تسمية مثل هذا سجعا التشبيه بسجع الحمامة والفرق بينه وبين
الشعر ان يعتبر فيه الوزن قصدا بخلاف السجع فلا يعتبر فيه الوزن وهذا
ومغايرة الثاني للاول من حيث انه لوحظ فيه جانب المعنى ككون المعنى
مطابقا لمقتضى الحال من التاكيد وغيره والثاني لوحظ فيه جانب اللفظ
المتعلق بكيفية التاليف من الحذف لبعض الاجزا وغيره بدليل قوله من
النظم المحررة بصورة كلام القاضي المتقدم **فلا يدخل في شي منها** حيث
تتصف بشي من الاوصاف التي بني عليها كلام العرب بل هو اعلا منها واعلا وان
شاركها في انه مولف من كلماتهم وجار على اساليب كلامهم فنظرا للاصل اشتماله
على تراكيب من نوع تراكيبهم لكن تراكيب القران في اعلا طبقات الفصاحة
فلم يعد شي منه داخلا في جنس كلامهم **ولا يختلط** اي يشتبه بها بحيث
لو جمع شي منه مع كلامهم تميز لا يخفى على احد ومثل ذلك لا يكون من الخلط
في شي **مع كون الفاظه وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة** بالنصب
عطفا على محل ما قبله لانه خبر كون **في نثرهم ونظمهم ولذلك تحيرت**
عقولهم ووقعت في الحيرة فالعناد يمنعهم من الاعتراف انه من عند الله
وظهور اعجازه يلزمهم في قولهم مفترى سحر ونحو ذلك **وتدلهت** بفتح
اوله والمهملة واللام الثقيلة دهشت وتحيرت في شانه **احلامهم** عقولهم
فهو قريب مما قبله وفي نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة
ايضا قال بعض والاحسن تفسير التدله بذهاب العقل من الهوى فيكون
فرقا من حيرته الى ذهابه **ولم يهتدوا الى مثله** اي لم يقدروا على الاتيان
بما يماثله او يقرب منه ولا سمعوا من فصحايهم **في حسن كلامهم** الذي
يقدرون عليه ونفى بمقواهم البشرية من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر
فلا ريب لا شك **في انه في فصاحته قد قرع القلوب** اثر فيها اذ ورد
عليها اثر كتاثير من قرع الباب **ببديع نظمه** اي بسبب غاية البديع
فهو من اضافة الصفة للموصوف **ولا ريب انه في بلاغته قد اصاب**

المعاني

المعاني ادركها بحيث اخذ منها اوفرها واعذبها **بصايب سهمه** من
اضافة الصفة للموصوف ايضا فان قيل الباء سببية او الية وذلك يقتضي
مغايرة السبب والالة للمسبب وللمعمول له الالة والقران واحد فالجواب
انه يجعل حتايب السهم وصفا زايدا عليه بلاغته ولفظه **فانه حجة الله**
برهانه **الواضحة ومحجته** بفتح الميم طريقه **اللايحة** الظاهرة **ودليله**
القاهر الغالب فان الدليل اذا قوي وظهر قهر الخصم وقطعه **وبرهانه**
الباهر الغالب الظاهر **ما رام** قصد **معارضته شقي الاشقيا انفت**
نفسا قط وذل وانخفض عن نوع العقلا حتى كانه رمى نفسه في المهالك كما
افاده بقوله **تهافت الفراش** بالفتح جمع فراشة طاير معروف يتساقط
في الشهاب ككتاب شعلة من نار ساطعة **وذل ذل النقد** بفتح النون
والقاف والدال المهملة نوع من الغنم قبيح الشكل **حول الليوث** جمع
ليث الاسود **الغضاب** جمع غضبان كعطاش وعطشان **وقد حكي عن**
غير واحد ممن عارضه اي قصد معارضته بكلام يماثله **انه اعترته**
حدثت له واصابته **روعة** بفتح الراء وسكون الواو فزعة **وهيبة** اي
مخافة **كفته** منعته **عن ذلك** الذي اراده من المعارضة **كما حكي عن**
يحيى بن حكيم بزنة طبيب قال في التبصير شاعر اندلسي بديع القول مات
سنة خمس وخمسين ومايتين في عشر المائة انتهى وسمي والده في الشفا
الحكم بفتحتين **الغزال بتخفيف الزاي** كما جزم به الذهبي في المشتبه
والحافظ في تبصيره علم منقول من اسم الحيوان لقب به هشام بن الحكم
الجبائي في صغره لحسنه **وقد تشدد** فهو وصف منسوب لصفة الغزال
وكان بليغ الاندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام فقط **في**
زمانه اي معروف بالبلاغة وفصاحة النظم والنثر في عصره وهو
بكري قرطبي الدار وله شعر في غاية الحسن وارتحل الى مصر ثم عاد للاندلس
ويقال انه بلغ من العمر ماية وثلاثين سنة وارسل رسولا لبلاد الفرنج
فاعجب ملكها ونادمه وسالته زوجته عن سنه فقال عشرين فقالت فما
هذا الشيب فقال اما رايت مهرا ولد اشهب فضحكت **انه قد رام** قصد **شيا**
من هذا اي معارضة القران **فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على**
مثالها من حذونه بمهملة ومعجمة اذا قفيت بحذايه اي مقابله والمعنى
ليقول مثلها بزعمه **وينسج** بكسر السين **على منوالها** بكسر الميم خشبة
ينسج عليها الثياب وهو بمعنى ما قبله **فاعترته** اي عرض له في حال
النظر **خشية** خوف وتعظيم **ورقة** في قلبه خشوع او ضعف ولين **حملته**
على التوبة عما كان رامه والندم عليه **والانابة** الرجوع عنه لعلمه انه
امر لا يقدر عليه البشر **وحكي ان ابن المقفع** بضم الميم وفتح القاف
والفا المشددة قبل العين المهملة كما ضبطه في المغني وفي القاموس
رجل مقفع اليدين متشنجهما ومروان بن المقفع تابعي وابو محمد

عبدالله بن المقفع فصيح بليغ كان اسمه روزبة او دادبه بن داود قبل
إسلامه وكنيته ابو عمرو ولقب ابوه بالمقفع لان الحجاج ضربه فقفعت يداه
وتقفع تقبض انتهى وقال ابن مكي في تثقيف اللسان الصواب فيه
المقفع بكسر الفا لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهي شي يشبه الزنبيل
بلا عروة من خوص ويقال انه كاتب المنصور فقتله سفيان المهلبي لما ولي
البصرة وحضره اهلها وفيهم ابن المقفع فذكر عنده الوطيس فلم يعرفه
وسال الحاضرين عنه فضحك ابن المقفع فلما انصرفوا امر ابن المقفع
بالجلوس حتى خلا المجلس فامر بتنور عظيم فاسجر وامر بطرحه فيه
فاحترق وكان من جملة قوم زنادقة يجتمعون على الطعن في القرآن
وصياغة هذيان يعارضونه بها **وكان افصح اهل وقته** زمانه
وعصره الموجود فيه **طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله
مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرأ في مكتب قوله
تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك** الذي نبع منك فشربته دون ما نزل
من السما فصار انهارا وبحارا **ويا سما اقلعي** امسكي عن المطر فامسكت
وغيض نقص **الماء وقضي الامر** تم هلاك قوم نوح الاية واستوت
على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين الجودي جبل بالجزيرة بقرب
الموصل **فرجع ومحى جميع ما عمله** اي غسله وابطل ما في صحيفته
لما راها لا مناسبة بينها وبين شي من الكتاب العزيز **وقال اشهد
انه هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر** لظهور اعجازه
اذ في هذه الاية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه نادى كما ينادي العقلا
وامرهما بما به يومرون تمثيلا لباهر قدرته سطوة امره والبلع استعارة
للجفاف والاقلاع للامساك وفيها لطايف اخر مبينة في علوم البلاغة
ولله در العارف سيدي محمد وفا حيث قال يعني بريليه بما قاله **النبي
صلى الله عليه وسلم والقران العظيم له اية القران** باضافة
البيان اي اية هي القران وفي نسخة الفرقان **في عين جمعه** يطلق الجمع
عندهم على معان منها الاشتغال بشهود الله عما سواه بحيث يجتمع
الهم ويتفرغ الخاطر الى حضرة قدسه تعالى وعلى شهود ماسوى الله قايما
بالله وعلى غير ذلك مما هو معلوم لاهله **جوامع اياته** خبر محذوف من
اضافة الصفة للموصوف اي هو ايات جوامع **بها اتضح الرشد** هو
حديث اي محدث الالفاظ كقوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث
قديم منزه عن حدوث اذ المعاني القايمة بالذات قديمة واشار الى ان
القران يطلق بالاشتراك على المعنيين **منزه** عن كل ما لا كمال فيه يعني
النقص **قديم** خبر ثان للمبتدا القديم وصفه بالقدم لانه كلامه تعالى
النفسي القايم بذاته تعالى **صفات** اي وهو من صفات **الذات ليس**

له

له ضد امر وجودي يضاده لان بين الضدين تناسبا ما وصفاته
تعالى منزهة عن التدليس لما في الوجود ما يناسبها حتى يحكم بالتضاد
بينهما **ملاغ** كسحاب اي فيه الكفاية عن جميع الكتب السابقة لجمعه
معانيها وزيادة او هو اسم من الابلاغ اي الايصال اي انه واصل
لنا بالتواتر قال الجوهري الابلاغ الايصال وكذلك التبليغ والاسم منه البلاغ
والبلاغ ايضا الكفاية ومنه قول الراجز تزجى من دنياك بالبلاغ
بليغ في اعلا الطبقات **للبلاغة** قال الجوهري البلاغة الفصاحة
معجز اصحاب البلاغة **له معجزات لا يعد لها عد** لعدم امكان
عدها اذ لا تحصر **تحلت** بحا مهملة **بروح الوحي حلة نسجه**
فاعل تحلت ومفعوله **عقود اعتقاد لا يحل لها عقد** لعدم
امكانه اذ هو تنزيل من حكيم حميد **وغاية ارباب البلاغة عجزهم
لديه** عنده **وان كانوا هم الالسن اللد** القوية البالغة في الفصاحة
جمع الد من لد من باب تعب اشتد خصومته **فالهم كذا بهم يا لافك**
اسو الكذب **اعياه غيه** ضلاله حيث **تصدى** تعرض لمعارضته
قال في القاموس والتصدي التعرض وتبدل الدال يا فيقال التصدي
والتصدية **وللاسماع عن غيه صد** اعراض لفرط نفارها منه **قلى**
ابغض **الله افعال الاماجد وبعد هجرها** بالضم لخشنها وقبحها
المشتملة عليه **هو انا منها الورها** الجفا **والبهم** بفتحتين جمع بهمة
اولاد الضان والبقر والمعز **والبلد** جمع بليد **بلاها القبل** بفوقية التي
الفحشا المشتملة عليه تلك الهذيانات **في القبائح** متعلق بقوله **وجوههم**
ما ظهر منها مفعول الفحش **وعن ريبها** لكنها اذ هو احد معانيه في القاموس
الالباب العقول **منزهها الزهد** عدم الرغبة فيها عند سماعها
واحتقارها لخروجها عن باب الفصاحة مطلقا فضلا عن فصاحة القران
لقد فرق الفرقان القران لفرقه بين الحق والباطل **شمل فريقه** اي جمع
هاتيك الاقوال الموصوفة بما ذكر ويحتمل انه فرق بمعنى ميز وضمير فريقه
للقران اي ميز شمل فريقه القايمين به عن غيرهم **بجمع رسول الله
واستعلن الرشد** اتضح وضوحا لا يخفى على احد وفيه تلميح بمعالم الجمع
والفرق عندهم **اتى بالهدى** البين فلا يضرنا انتحال المبطلين **صلى
عليه الله ولم يلعبا لاهوا ذخاه الجد** بالكسر ضد الهزل
كما قال انه لقول فصل وما هو بالهزل ويطلق الجد ايضا على الاجتهاد
ويصح ارادته هنا **والثالث وجه اعجازه** فيما قاله جماعة كما في
الشفا **هو انه تواريه لا يمله** لا يضجر ولا يسام منه ولو اعاده مرارا
مع ان الطباع جبلت على معاداة المعادلة **وسامعه لا يمجه** يصم
السمع لا يعرض عنه ولا يكره تكراره على سمعه فحقيقة المج طرح المايع
من الفم فان كان غير مايع قيل لفظ وعبر في الاول بالملل تشبيها للقاري

بنفاطي الصناعة والغالب حصول الملل وفي الثاني بالمج تشبيها للسامع
بواضع المابع في فمه وتشبيه المسموعات بالمذوقات استعارة لطيفة
اذ اقام الاذن مقام الفم واللفظ مقام المابع لرقته كما قيل

وتغيير المعتاد يحسن بعضه ... للورد خد بالانوف يقبل

فاستغبر لتركه فكانه كالنفس لا يمل منه مع تكرره لانه مادة الحياة كما قيل

وريحه حد بنك ما املكت مستها ... ومن يمل من الانفاس تردادا

بل الاكباب الملازمة **على تلاوته يزيد حلاوة** ترقي من عدم الملل
الى زيادة الحلاوة واصابه المجز لان ما يمج مرا او مالحا يكره طبعا والحلاوة في
المذوقات وهي احسام وحلاوة الكلام مجاز ومعناه ميل القلوب اليه وتقبله
فيصير بذلك كالحلو المستلذ من المذوقات **وترديده** اعادته وتكريره مرة بعد
اخرى **يوجب له محبة** لزيادة حلاوته وحسنه **وطلاوة** حسن وبهجة
وقبول مثلث الطا كما مر قريبا **ولا يزال كلما كرر غضا** بمعجمتين اي جديدا
مجاز من غض الصوت والطري **طريا** اي رطبا ناعما فلا تتغير بهجته ونضارته
فكانه في كل مرة قريب العهد بالنزول وقال التلمساني هما بمعنى ولا يبعد ان هو
معنى غضا وطريا ناعما فكانه قال لا يزال طريا ناعما غير يابس وذلك كناية عن
حلاوة ما يجده الانسان من النشاط عند تلاوته فاشبه البيت الذي تميل النفس
اليه وتلتذ به **وغيره من الكلام ولو** فرض انه بلغ **في الحسن والبلاغة
مبلغه** اي غايته في حسنه **يمل** بالبنا للمجهول اي يمله مقاربه وسامعه **مع
الترديد** اي التكرير مرارا **ويعادي اذا اعيد** اي يكره ويثقل وتنفر منه
النفس كنفرتها ممن يعاديها وهذا على فرض المحال لما مر انه لا يوجد مثله
ولا ما يقرب منه كذا قال شارح بنا على عود ضمير مبلغه للقران فلو اعيد للكلام
لم يحتج لذلك **وكتابنا** معاشر الامة المحمدية النازل الينا بواسطة نبينا
صلى الله عليه وسلم **يستلذ به في الخلوات** اي يجد قاريه لذة اذا اختلى
بقراته وخص الخلوة لانها محل اجتماع الحواس واطمينان القلوب بذكر
الله فهو فيها اعظم لذة وان كان لذة ايضا بقراته بين الناس **ويونس**
بضم اليا واسكان الهمزة وفتح النون مبني للمجهول اي يوجد **بتلاوته** انس
يدفع الوحشة **في الازمات** بفتح الهمزة وسكون الزاي جمع ازمة وهي
الشدة وقياس ما كان من الصفات على فعلة بفتح فسكون ان يجمع على
فعلات بسكون العين نحو ضخمات وبفتحها في الاسم كسجدات وركعات هذا ان
كانت سالمة فان اعتلت عينها بالواو او اليا فالسكون على الاشهر كما في الصحاح
لغيره فما تقلب على من فال تسكن في الاسما وتحرك في الصفات **وسواه** بضم
السين وكسرها مقصور على الروايتين اي غيره ونفس مجبرا ولا يغيره وهنا
بسوكبه بمعناها **من الكتب** المنزلة قبله كذا استظهر بعض **لا يوجد فيها
ذلك** المذكور من اللذة والانس **حتى احدث** اخترع والف **اصحابها** من
يقروها **لها** للكتب **لحونا** جمع لحن واحد الحان الاغاني والنغمات التي تزين بها

الاصوات

الاصوات وتوزن يصنعونه الموسيقي والمراد هنا جميع الاصوات
المطربة تحسينا للقراءة والشعر **وطرقا** جمع طريق وهي ما يجري
على قانون الموسيقي وضروبها الموزونة كذا في النسيم وقال شيخنا
وطرقا عطف تفسير والمراد ان غير القران يخترعون له اسبابا تحمل
الناس على الرغبة فيه والاقبال عليه فالمصنفون للكتب يذكرون
فيها اصطلاحات واشيا تميزها عن غيرها مما هو مولف في فنها ليحملوا
الناس على قراتها **يستجلبون** اي يطلبون وجودها او يجلبون لهم ولمن
يسمعهم **بتلك اللحون** والنغمات **تنشيطهم** اي وجود نشاطهم وطربهم
على قراءتها اي على تطويل قراتها وزيادتها او على ان يقراها غيرهم
لقد انتهم ان اريد باللحون تغني القاري نفسه ويحتمل ان يريد بها احداثهم
ما يكون مع القاري من الالات المطربة كالمزامير كذا قال شارح **ولهذا** اي
ما اختص به القران من عدم ملل قاريه وما بعده **وصف صلى الله عليه
وسلم القران** في حديث رواه الترمذي عن علي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انها ستكون فتنة قيل فما المخرج قال كتاب الله فيه
نبا من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من
تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله
وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي
لا تزيغ به الاهوا ولا تشبع منه العلما ولا تلتبس به الالسن ولا يخلق عن
الرد ولا تنقضي عجايبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا
قرانا عجبا يهدي الى الرشد من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل
به اجر ومن دعي اليه هدي الى صراط مستقيم هذا لفظه في الترمذي
فاقتصر المص على حاجته منه وقدم فيه واخر فقال **بانه لا يخلق** بفتح
اليا وضم اللام وتفتح اي لا يبلى ويتغير حاله وبضم اوله وكسر اللام من اخلق
بمعنى خلق لانه جا متعديا ولازما فلامه مثلثة بمعنى واحد **على** بمعنى مع
كثرة الرد بمعنى الترديد اي كثرة تكرار قراته والعادة انها توثر وتغني
ما كرر كالثوب اذا كثر لبسه ففيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه بثوب
رقيق يلبس ليتجمل به فالمراد اما الملل منه فهو دليل ما قدمه ان قاريه
لا يمله واما التصرف فيه بنحو تحريف **ولا تنقضي عبره** بكسر المهملة
وفتح الموحدة جمع عبرة بسكونها اي مواعظه التي تعتبر بها الكاملة
على كمال الايمان الصارفة عن العصيان عبارة عن كثرتها وتتابعها **ولا
تفنى عجايبه** اي لكثرتها لا تنفد وتنتهي جمع عجيبة وهي كل ما يتعجب
منه فكلما اعيد النظر فيها ظهر ما هو اغرب واعجب من الاول **هو
الفصل** اي الجد الفاصل بين الحق والباطل او المفصول المتميز عن غيره
فعل بمعنى فاعل او مفعول **ليس بالهزل** اللعب اي لا لعب فيه ولا
كلام سخيف وهو في الاصل من الهزال ضد السمن فهو كله سمين لا غث

فيه لما فيه من الاوامر والنواهي التي يخاطبها سامعها **لا تشبع منه العلما**
اي لا تستغني عنه ولا تزال تستنبط منه معاني وفوايد في كل حين وفي
الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا فشبهه بما كول به
قوام الحياة لان كل ماكول يشبع اكله اذا امتلا جوفه منه وهذا بخلاف
ذلك فوايده ممدودة والوان لذايذه غير مقطوعة ولا ممنوعة **ولا تزيغ**
بفتح الفوقية وكسر الزاي وتحتية ومعجمة **به الاهوا** بالمد جمع هوي وهو
ما تهواه وتشتهيه الانفس من الضلال اي لا يضل من اتبعه ويميل الي
هوي نفسه الامارة **ولا تلتبس به الالسنة** جمع لسان وهو الجارحة
شاع في اللغات فالمعني لا يشتبه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه به وادخاله
فيه لان اسلوبه ونظمه لا يشبه غيره فالمراد انه لا يمكن ان يدس فيه دسيسة
هو الذي لم تنته لم تنكف وتترك **الجن حين سمعته ان قالوا** بفتح
الهمزة ومحله نصب او جر بتقدير عن **انا سمعنا قرانا عجبا** في بلاغته
وعلو رتبته وبركته وعزته **يهدي الي الرشد** يدل علي الصواب من الايمان
والتوحيد وهو تبكيت لقريش اذ مكثوا سنين مع فصاحتهم لم يهتدوا والجن
بمجرد سماعه امنوا بلا توقف وتقدمت قصتهم في المقصد الاول **اشار اليه**
بمعني ذكره بلفظه **القاضي عياض** في الشفا من اول قوله هو ان قاربه اليه
هنا **والرابع ان وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار بما كان** وجد
كاخبار القرون الماضية والامم الهالكة والشرايع الداثرة **ما علموه** وفي الشفا
مما كان لا يعلم القصة الواحدة منه الا الفذ من الاحبار الذي قطع عمره في تعلم
ذلك فيورده النبي صلي الله عليه وسلم علي وجهه فيعترف العالم بذلك بصدقه
وان مثله لم ينله بتعليم **وما لم يعلموه فاذا سالوا** بالبنا للفاعل **عنه** عما
لم يعلموه **فيبينه لهم عرفوا صحته** لموافقته لما بلغهم اجمالا **وتحققوا**
صدقه وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه صلي الله عليه وسلم عن هذا
فينزل عليه ما يتلو عليهم منه ذكرا **كالذي حكاه من قصة اهل الكهف**
الغار الواسع في الجبل واختلف في انه بقرب سوس في بلاد الروم كما تظافرت به
الاخبار او بقرب ايلة او طرسوس او غرناطة او قرب زبرا او بين ايلة وفلسطين
سالته اليهود عنها لما قدم المدينة كما في الصحيح عن ابن مسعود وفي الترمذي
وغيره عن ابن عباس قالت قريش لليهود اعطونا شيا نسال عنه هذا الرجل
وملخصها انهم كانوا في مملكة جبار يعبد الاوثان فجمعهم الله علي غير ميعاد
فاخذ بعضهم علي بعض العهود ففقدهم اهلهم فاخبروا الملك فامر بكتابة
اسمايهم في لوح رصاص وجعله في خزانته ودخل الفتية الكهف فضرب الله علي
اذانهم فناموا فارسل الله من يقلبهم ويحول الشمس عنهم فلو طلعت عليهم
لاحرقتهم ولولا انهم يقلبون لاكلتهم الارض ثم ذهب ذلك الملك وجا اخر
يكسر الاوثان وعبد الله وعدل فبعث الله اصحاب الكهف فبعثوا احدهم
ياتيهم بما ياكلون فدخل المدينة مستخفيا فدفع درهما للخباز فاستنكر ضربه

وهم

وهم برفعه للملك فقال اتخوفني بالملك وابي دهقانه قال من ابوك
قال فلان فلم يعرفه فرفعوه الي الملك فساله فقال علي باللوح وكان قد
سمع به فسمي اصحابه فعرفهم من اللوح فكبر الناس وانطلقوا الي
الكهف وسبق الفتي لئلا يخافوا من الجيش فلما دخل عليهم عمي الله
علي الملك ومن معه المكان فلم يدر اين ذهب الفتي فاتفقوا علي ان
يبنوا عليهم مسجدا فجعلوا يستغفرون لهم ويدعون **وشان موسي**
ابن عمران كليم الله لا موسي غيره كما زعم اهل الكتاب وبعض من تلقي
عنهم وفي البخاري عن ابن عباس تكذيب قايل ذلك **والخضر عليهما**
السلام بفتح الخا وكسر الضاد المعجمتين وبسكون ثانيه مع فتح اوله
وكسره لقب واسمه بليا بن ملكان علي اصح الاقوال وهو بفتح الموحدة
وسكون اللام وتحتية فالف وابوه بفتح الميم وسكون اللام وفي الصحيح مرفوعا
انما سمي الخضر لانه جلس علي فروة بيضا فاذا هي تهتز من تحته خضرا
والفروة الارض اليابسة وقال الخطابي الفروة وجه الارض انبتت واخضرت
بعد ان كانت جردا وهو نبي عند الجمهور قال القرطبي والاية تشهد بذلك
لان النبي لا يتعلم ممن هو دونه ولان الحكم بالباطن انما يطلع عليه الانبيا
اختلفوا هل هو رسول ام لا وقيل انه ولي قال الثعلبي وهو معمر علي جميع
الاقوال محجوب عن الابصار وقيل لا يموت الا في اخر الزمان حين يرفع القران
وقال ابن الصلاح هو حي عند جمهور العلما والعامة معهم وشذ بانكاره
بعض المحدثين قال النووي وذلك متفق عليه بين الصوفية واهل الصلاح
وحكاياتهم في رويته والاجتماع به اكثر من ان تحصر وجزم البخاري وابراهيم
الحربي وابن العربي وطايفة بموته وانه غير موجود الان للحديث المشهور انه
صلي الله عليه وسلم قال في اخر حياته لا يبقي علي الارض بعد ماية سنة ممن
هو عليها اليوم احد قال ابن عمر اراد بذلك انخرام قرنه واجابه من اثبت حياته
بانه كان حينيذ علي وجه البحر او هو مخصوص من الحديث كما خص منه ابليس
باتفاق وجا في اجتماعه بالنبي صلي الله عليه وسلم حديث ضعيف رواه ابن
عدي وبسط الكلام عليه في الاصابة والفتح وغيرهما **وحال ذي القرنين**
الاكبر الحميري المختلف في نبوته والاكثر صحح انه كان من الملوك الصالحين
وذكر الازرقي وغيره انه حج وطاف مع ابراهيم وامن به واتبعه وكان الخضر
وزيره وعن علي لا نبيا كان ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا وحكي الثعلبي انه
كان من الملايكة وقيل امه من بنات ادم وابوه من الملايكة لقب بذي القرنين
واسمه الصعب علي الراجح كما في الفتح او المنذر او هرمس او هرديس او
عبد الله وفي اسم ابيه ايضا خلف لطوافه قرني الدنيا شرقها وغربها او
لانقراض قرنين من الناس في ايامه او لانه كان له ضفيرتان من شعر
والعرب تسمي الخصلة من الشعر قرنا او لانه لتاجه قرنين او علي
راسه ما يشبه القرنين او لكرم طرفيه اما وابا او لغير ذلك اقوال

وفي مراة الزمان ان ذا القرنين مات ببابل وجعل في تابوت وطلي بالصبر
والكافور وحمل الى الاسكندرية فخرجت امه في نساء الاسكندرية حتى
وقفت على تابوته وامرت به فدفن قيل عاش الف سنة وقيل الفا وستمائة
وقيل ثلاثة الاف سنة انتهى واما ذو القرنين الاصغر فهو الاسكندر
اليوناني قتل دارا وسلبه ملكه وتزوج بنته واجتمع له الروم وفارس
فلقب بذي القرنين قال السهيلي ويحتمل انه لقب به تشبيها بالاول لملكه
ما بين المشرق والمغرب فيما قيل ايضا واستظهره الحافظ وضعف قول
من زعم ان الثاني هو المذكور في القران كما اشار اليه البخاري بذكره قبل
ابراهيم لان الاسكندر كان قريبا من زمن عيسى وبينه وبين ابراهيم
اكثر من الفي سنة والحق ان الذي في القران هو المتقدم لانه امن بابراهيم
وصافحه وسلم عليه وساله ان يدعو اليه وتحاكم اليه ابراهيم في بئر فحكم له
واستفهمه عن بنا الكعبة حين كان يبنيها هو واسمعيل فقال الاخر
عندنا ماموران فقال من يشهد لكما فشهد له خمسة اكبش فقال
صدقتما كما ورد في اثار يشهد بعضها بعضا ولان الرازي جزم ان ذا القرنين
والاسكندر كافر ولانه من اليونان وذو القرنين من العرب وقد قدمت ذلك
بابسط من هذا في المقصد الاول **وقصص** بالفتح مصدر وبالكسر جمع قصة
اي سير **الانبيا وامها** مفصلا بابلغ عبارة والطف اشارة **والقرون**
الماضية في دهرها وشبه ذلك من بدء الخلق وما في التوراة والانجيل
والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا على
تكذيبه بل اذعنوا له فمن وفق امن ومن شقي معاند حاسد ومع هذا
فلم يقدر احد من النصارى واليهود مع شدة عداوتهم للنبي صلى الله
عليه وسلم على تكذيبه في شيء مما في كتبهم كما بسطه في الشفا **والرابع من**
الاوجه اعجازه هو ما فيه من علم الغيب وهو شامل لما سبق مما لم
يدركه هو ولا اهل عصره وما يقع بعد ذلك مما لا يعلمه الا الله كما قال **والاخبار**
بما يكون فيوجد اي يقع بعد ذلك الاخبار **صدقه** لمطابقته لما اخبر به
وصحته كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين ليظهره على الدين
كله وعد الله الذين امنوا منكم الاية اذا جا نصر الله الى اخرها فوجد جميع هذا
كما قال في ايات كثيرة بينها عياض مثل قوله **تعالى لليهود** لما ادعوا
دعاوي باطلة كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فكذبهم
والزمهم الحجة فقال مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم **قل لهم ان كانت**
لكم الدار الاخرة الجنة **خالصة** خاصة **من دون الناس** كما زعمتم
اي من باقيهم من المومنين غيرهم **فتمنوا الموت ان كنتم صادقين** في
زعمكم ان الجنة مخصوصة بكم لان من تيقن دخولها اشتاق لها واحب
التخلص من الدنيا واكدارها ولم يعلق بتمني الموت الشرطان على ان الاول
قيد في الثاني اي ان صدقتم في زعمكم انها لكم ومن كان كذلك يوثرها والموصل

اليها

اليها الموت فتمنوه **ثم قال** تلو الاية والاولى اسقاطه **ولن يتمنوه ابدا بما قدمت**
ايديهم من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم وتحريفهم التوراة فنفى عنهم
التمني في جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وابدا **فما تمناه احد منهم** فهو
اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة وقد قال صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم
الله عن تمنيه ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه ذكره عياض وفي
الكشاف فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد
فمن اين علم انهم لن يتمنوه قلت ليس التمني من اعمال القلوب وانما هو
قول الانسان بلسانه ليت لي كذا وليت كلمة تمن ويحال ان يقع التحدي بما في
الضماير والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم
قالوه قال القطب في حواشيه استدل على ان التمني ليس من افعال القلوب
لان التحدي انما يكون بامر ظاهر وفيه ان التحدي انما يكون باظهار المعجز
لالزام من لم يقبل الدعوى والتمني ليس بمعجز فهو كقول الخصم احلف لي ان
كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدي هنا الطلب دفع المعجزة فان اخباره بانهم
لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع انما يكون بامر ظاهر **ومثل**
قوله لقريش وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
ان كنتم صادقين **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا** فاتقوا النار **فقطع بانهم لا يفعلون**
باثبات النون على الصواب لان المراد الاخبار لا النهي وفي نسخة بحذفها على
الحكاية **فلم يفعلوا** وهذه الاية ابلغ في الاعجاز من التي قبلها لانه امر معجز في
نفسه في ساير الازمنة وان كان الخطاب لقريش بخلاف التي قبلها فاعجازه انما
هو بمجرد الاخبار عن عدم وقوعه منهم وان كان قول الانسان ليتني اموت
ونحوه ممكنا لهم ولغيرهم ولذا فرق بينهما عياض وان ساوى بينهما الم
تبعا للكشاف **ونصه** عد الخامس من وجوه الاعجاز **بان الغيوب التي اشتمل**
عليها القران بعضها وقع في زمنه صلى الله عليه وسلم كقوله انا
فتحنا لك فتحا مبينا هو فتح مكة ونزلت مرجعه من الحديبية عدة له
بفتحها واتى به ماضيا لتحقق وقوعه من الفخامة والدلالة على علو شان
المخبر به ما لا يخفى وقال جماعة المراد فتح الحديبية ووقوع الصلح فالفتح
لغة فتح المغلق والصلح كان مغلقا حتى فتحه الله وعلى هذا القول ليست
الاية من الاخبار بالغيب المستقبل **وبعضها بعده كقوله الم غلبت**
الروم على قراة غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم اي ان الروم غلبت على الشام
وسيغلبهم المسلمون عليها وينتزعونها منهم فكان ذلك بعده صلى الله
عليه وسلم واما على القراة المشهورة بضم الغين وسيغلبون بفتحها فوقع
ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم كما هو مبين في التفاسير والاخبار بما في
جليه طول **فلو كانت كما قالوا** اي الذين عدوا وجه اعجازه الاخبار بما يكون
لنازعوا اي الكفار اي خاصموه او طلبوا **رفع المتوقع** اي حصول الامور

المتاخر حصولها عن زمن المصطفي مع انهم لم يطلبوا ذلك ومنها ان الاخبار عن الغيب جا في بعض سور القران لا في كلها فلو كان معجزا لطلب منهم ان ياتوا بما يشتمل علي الاخبار بالغيب ليصلح معارضته والحال انه لم يطلب ذلك بل التحدي منهم بمعارضة سورة غير معينة بل اي سورة فلو كان كذلك لعارضوه بقدر اقصر سورة لا غيب فيها ولم يقع ذلك فلا يصلح جعل اخباره بالغيوب وجه اعجازه و السادس ان وجه اعجازه هو كونه جامعا لعلوم كثيرة كبيان علوم الشرايع والتنبيه علي الحجج العقليات والرد علي الفرق الضالة ببراهين قوية بينة سهلة الالفاظ موجزة كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض الاية قل يحييها الذي انشاها اول مرة لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الي ما حواه من علوم السير والحكم واخبار الاخرة ومحاسن الاداب قال تعالي ما فرطنا في الكتاب من شي ومنها علم النجوم لقوله تعالي لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر والطب وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والمعارف الجزئية كقصة يوسف اذ لا يعرفها الا من شاهدها وغير ذلك لم تتعاطي العرب الكلام فيها عامة زاد العاصي ولا محمد صلي الله عليه وسلم قبل نبوته ولا يحيط بها من علما الامم السالفة كالحكما والاخبار واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم اي لم يدون قبله حتي يقال اخذ علمه منها بين الله فيه اي القران خبر الاولين والاخرين وحكم المتخلفين عن امره ونهيه او الذين تخلفوا عن الجهاد مع نبيه او عن الايمان وتعللوا بعلل باطلة فبين لهم بطلان عللهم وفضحهم باظهاره وثواب المطيعين وعقاب العاصين فهذه ستة اوجه يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا لان الاعجاز انما حصل بجملتها بل كل واحد حصل به اعجازهم عن معارضته فاذا تحقق جمعها القران فليس اختصاص احدها بان يكون معجزا باولي من غيره فيكون الاعجاز بجميعها وان كان بعضها اقوي من غيره في الاعجاز وقد قال تعالي دليل سمعي علي عجزهم عن معارضته قل لئن اجتمعت الانس والجن علي ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلم يقدر احد ان ياتي بمثل القران في زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا بعده الي يومنا هذا بل الي يوم الدين مع انه لا يكاد يعد من سعي في تغييره من الملحدة والمعطلة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم فما قدروا علي اطفا شي من نوره ولا تغيير كلمة منه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه ولله الحمد علي نظمه اي ذو نظامه البديع المعجز وتاليفه كما يولف البنا شيا بعد شي حتي يتم ويكمل في غاية الاحكام وعذوبة منطقه وصحة معانيه وما فيه من الامثال الكثيرة المفيدة لما مثل له لتنزيل المعقول منزلة المحسوس قال البيضاوي ولامر ما اكثر الله تعالي والانبيا والحكما في كلامهم من الامثال

ولكثرة

وبكثرة اشتماله علي الامثال اجمله صلي الله عليه وسلم بعين المثل مبالغة فقال ان الله انزل القران امرا وزجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نباوكم وخبر ما كان قبلكم ونبا ما بعدكم الحديث رواه الترمذي والاشيا التي دلت علي البعث واياته والانبا والاخبار بما كان ويكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدما وما فيه من وصلة الارحام الي غير ذلك فليس يقدر علي ذلك احد وقد عجزت عنه العرب الفصحا فعجز غيرهم اولي اذ عجز امرا الكلام مع توفر الاسباب فيهم يفيد ان من انتفت عنه تلك الاسباب اولي به والخطبا والبلغا هو اعم مما قبله اذ قد يكون بليغا عارفا بمواقع الكلام لكنه ليس متصفا بتاليف الخطب والمراسلات ونحوهما والشعرا والفهما هو قريب مما قبله في قريش وغيرها من المتصفين بذلك وهو صلي الله عليه وسلم في مدة ما عرفوه قبل نبوته وارساله اربعين سنة لا يحسن نظم كتاب اي تاليفه متناسب الكلم لفظا ولا معني ولا عقد حساب اي ولا اصلا مما تستعمله الناس في معرفة الامور التي يدبرونها في انفسهم ويعرفون بها اصول ما يرد عليهم من الوقايع كذا قال شيخنا ولا يتعلم سحرا ولا ينشد شعرا بقيد الغير فضلا عن انشايه ولا يحفظ خبرا ولا يروي اثرا حتي اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل المبين ما فيه من الفوايد الجليلة وهي كالعقايد الحقة والاحكام الشرعية والمواعظ والامثال والاخبار الصادقة او المجعول سورا والمنزل نجما نجما او المفرق بين الحق والباطل فدعاهم اليه وحاجهم به قال الله تعالي قل لو شا الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اعلمكم به ولا نافية عطف علي ما قبله وفي قراءة بلام جواب لو اي لاعلمكم به علي لسان غيري فقد لبثت مكثت فيكم عمرا سنينا اربعين من قبله لا احدثكم بشي افلا تعقلون انه ليس من قبلي وشهد له في كتابه بذلك فقال تعالي وما كنت تتلو من قبله اي القران من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن اي لو كنت قاريا كاتبا لارتاب المبطلون اي اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة انه امي لا يقرا ولا يكتب ثم ذكر تقسيم ما مر ان القران معجز بلا شك فقال واما ما عدا القران بالنصب لانه تقدمه ما من معجزاته عليه السلام بيان لما كنبع الما من بين اصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد وباقيه وتفصيلها فيه تفصيل فمنه ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالا علي صدقه من غير سبق تحدي بنا علي ان المراد بالتحدي طلب المعارضة اما ان اريد مجرد الاقتران بدعوي النبوة فكلها مسبوقة بالتحدي واما ما قبل البعثة فهو ارهاص لا معجزة علي المعتمد كما مر ومجموع اي جملة ذلك المذكور مما وقع التحدي به وما لم يقع يفيد القطع

الجزم اي العلم الضروري بانه ظهر على يديه صلى الله عليه
وسلم من خوارق العادات شي كثير ويسمى ذلك التواتر المعنوي
كما يقطع بوجود جود حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي المشهور اخباره
في الجود اسلم ابنه عدي سنة تسع وقيل سنة عشر وكان جوادا كابيه
وسال النبي صلى الله عليه وسلم عن امور تتعلق بالصيد كما في الصحيحين
واخرج احمد عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله ان ابي كان يصل الرحم
ويفعل كذا وكذا فقال ان اباك اراد امرا فادركه يعني الذكر وروي وكيع في الغرر
عن محرز مولى ابي هريرة قال مر نفر بقبر حاتم فركض بعضهم قبره برجله
اقرنا وحينهم الليل فناموا فقام صاحب القول فزعا فقال ان حاتما اتاني
وانشدني شعرا حفظته يقول فيه

اتيت بصحبك تبغي القرى ، لدى حفرة لحيه هامها
تبغي لي الذم عند المبيت ، وحولك طي وانعامها
فانا سنشبع اضيافنا ، وناتي المطي فتنغنا مها

فقاموا فاذا ناقة صاحب القول عقيرا فنحروها وباتوا ياكلونه وقالوا قرانا
حاتم حيا وميتا واردف واصاحبهم فلما شع النهار اذا رجل راكب بعيرا يقود
اخر فقال انا عدي بن حاتم ان حاتما اتاني في النوم فزعم انه قرا كم ناقة احدكم
وامرني ان احمله فشانك البعير فدفعه اليهم وانصرف وشجاعة علي
امير المومنين وزهد الحسن البصري وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عنهم
على كرم هذا وشجاعة هذا وزهد هذا وحلم هذا وان كان افراد ذلك ظنية
اي كل واحد منها ظني لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته لكونها وردت موارد
الاحاد لكنها تفيد التواتر المعنوي الحاصل من مجموعها كالكرم والشجاعة
لاتفاقها على معنى واحد مع كثرتها وان كل واحد يصف جزئية مع ان كثيرا
من المعجزات النبوية قد اشتهر بحيث صار يفيد القطع بانفراده ويسميه
المحدثون مشهورا ومستفيضا ورواه العدد الكثير والجم الغفير
وافاد الكثير منه القطع عند اهل العلم بالاثار الاحاديث والعناية
الاهتمام بالسير جمع سيرة وهي اخبار المغازي والاخبار كنبع الما من
بين الاصابع وتكثير الطعام وان لم يحصل عند غيرهم الى هذه المرتبة
لعدم عنايتهم اهتمامهم بذلك فبالنسبة لهم لا يفيد القطع بخلاف
اوليك قال عياض ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند
غيره فان اكثر الناس يعلمون بالخبر وجود بغداد وانها مدينة عظيمة دار
الامامة والخلافة واحاد لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم
الفقها من اصحاب مالك بالضرورة ان مذهبه ايجاب القران في الصلاة للمنفرد
والامام واجزا النية اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى
تجديدها كل ليلة والاقتصار على مسح بعض الراس وان مذهبهما القصاص
في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح

وان

وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسايل وغيرهم ممن لا يشتغل بهذا هم
لا يعرف هذا فضلا عما سواه فلو ادعى مدع انه غالب هذه الوقايع
مفيد للقطع النظري المحصل للعلم الضروري فلو ادعى مدع ان
غالب هذه الوقايع مفيد للقطع لما كان مستبعدا تفريع على قوله
وافاد الكثير منه الخ وذلك اي وجه عدم الاستبعاد لانه بالفتح اي لانه
لا مرية ان رواة الاخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الاخبار في
الجملة ولا يحفظ عن احد من اصحابه مخالفة الراوي فيما حكاه
من ذلك من الايات ولا الانكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت
منهم كالناطق لان السكوت في محله اقرار لان مجموعهم محفوظ عن
الاغضا بغين وضاد معجمتين التغافل عن وفي نسخة على بمعنى عن اي
انما تعدى بعن الباطل سمعوه ولم ينكروه اذ ليس هناك رغبة ولا رهبة
تمنعهم من الانكار وعلى تقدير ان يوجد من بعضهم انكار او طعن
على بعض من روى شيا من ذلك فانما هو من جهة توقف في
صدق الراوي لا في المروي نفسه او تهمته بكذب او توقف في
ضبطه او نسبته الى سوء الحفظ او جواز الغلط عليه لعدم اتقانه
ولا يلزم من ضعف السند ضعف المتن ولذا قال ولا يوجد احد منهم طعن في المروي
نفسه كما وجد منهم في غير هذا الفن من الاحكام كما وقع بين عمر وابن عباس
في انكاره عليه نكاح المتعة وحروف القران اي قراته المتعددة اذ كل وجه
من القراة يطلق عليه حرف كما صح ان عمر انكر على هشام بن حكيم قراة
قراها في سورة الفرقان لم يسمعها في به اليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
سمعته يقرا بغير ما اقرأتنيه فقال اقرا يا هشام فقرا فقال هكذا انزلت ثم
قال اقرا يا عمر فقرا فقال هكذا انزلت ان هذا القران انزل على سبعة احرف
فاقروا ما تيسر منه وامثال هذا كثير ونحو ذلك مما يتوقف على النقل ولا يقال
بالراي والله اعلم وانت اذا تاملت معجزاته وباهر عجايبه اياته من
اضافة الصفة للموصوف وكراماته عليه السلام وجدتها شاملة
للعلوي والسافل والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمايع
والجامد والسابق على وجوده اكراما له ويسمى ارهاصا واللاحق
والغايب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والاجل الى غير ذلك
مما لو اعيد كذا في النسخ والاولى مما لو عد لطال اذ الاعادة ذكر الشي
مرة بعد اخرى وليس ذلك المراد هنا بل المراد لو شرع في عدها لعجز عن
استيعاب افرادها وضبطها كالرمي بالشهب جمع شهاب كالكواكب المضيئة
النيرات التي تتعقب مسترق السمع او تحرقه او تخبله ومنع الشياطين من
استراق السمع في الغياهب جمع غيهب وهو الظلمة وتسليم الحجر والشجر
وشهادتها له بالرسالة بين يديه ومخاطبتها له بالسيادة وحنين
الجذع لفراقه ونبع الما من كفه في الميضاة بكسر الميم والقصر وقد

تمد المطهرة وزنها مفعلة ومفعال وهيم حازايدة ليس منها والقور
بغوقية محرم بالعطف اناء معروف والمزادة بفتح الميم شطر الرواية والعباس
كسرها لانها آلة يستقي بها الماء وجمعها مزايد وربما قيل مزاد بغير هاء
كما في المصباح وانشقاق القمر ورد العين من الفقد بل وبعد
السقوط ونطق البعير والذيب والجمل وياتي بيان ذلك كله والنور
المتوارث من ادم الي جبهة ابيه عبد الله في الازل وما سوي
ذلك من المعجزات التي تداولتها الحملة للاخبار ونقلتها عن
السنة الاول اي المتقدمين النقلة المتاخرون في تصانيفهم مما لو
اعملنا انفسنا في حصرها لفني المدا اي الغاية في ذكرها اي لانتهي
العمر وفرغ في عدها ولم نحط بها ولو بالغ الاولون والاخرون
في احصا اي عد مناقبه لعجزوا عن استقصا ماحباه بموحدة اعطاه
بلا عوض الكريم سبحانه به من مواهبه ولكان الملم النازل بساحل
بحرها مقصرا اي عاجزا عن حصر بعض قطرها اما هانها ولقد صح
لعجزهم امكنهم ان يقولوا قولا يقبل منهم ولا يكذبون كان ينشد واقبه قول
ابن الفارض وعلي تفنن تنوع واصفيه اي اتيانهم بانواع كثيرة لتعمه
يعني ينقضي الزمان وفيه مالم يوصف اوصاف كثيرة ماغير واعلي شي
منها اختي يذكروه وانه لخليق جدير وحقيق بمن يتشرف فيه قول الخنسا
التي شهد لها النابغة الذبياني بانها اشعر الناس وقد اسلمت وصحبت فما
بلغت كف امرئ متناولا المجد الا والذي نال اطول اجل واعظم ولا بلغ
المهدون في القول مدحة ولو حذقوا بفتح الذال وكسرها من بابي ضرب
وتعب مهروا وعلموا غوامض المدح ودقايقه الا الوصف الذي هو فيه
افضل اتم واكمل من اوصافهم التي ذكروها ذكر عبد العظيم ابن ابي الاصبع في كتابه
الاشعار الرايقة ان الاخطل وفد علي معاوية يمتدحه فقال له انكنت تشبهني
بالحية والاسد والصقر فلا حاجة لي به وان قلت كما قالت الخنسا فهات فقال
وما قالته فانشده هذين البيتين فقال الاخطل والله لقد احسنت ولقد قلت
فيك بيتين ماهما بدون ما سمعت وانشد

اذا مت مات الجود وانقطع الغنا ∗ فلم يبق الا من قليل مصرد
وردت اكف الراغبين وامسكوا ∗ عن الدين والدنيا بخلق مجرد

فقال الحاكم الله مازدت علي ان نعيت الي نفسي ولم يعلق للمراة بغبار ولله
در امام العارفين سيدي محمد وفا فلقد كني وشفي بقوله ماشيت من
الصفات المتناهية في الكمال قل ها فيه صفة بها ولا يخش من ذكرها
فانت مصدق فمهما تقول له فيه فالحب الذي اودعه الله في قلوب
العارفين بقضي بحكم بذلك والمحاسن الظاهرة التي لا تخفي علي احد
تشهد بحقيقة ما وصفته به ولقد ابدع اتي بامر بديع لم يسبق اليه
الامام الاديب شرف الدين الابوصيري صوابه البوصيري

لانه

لانه منسوب الي بوصير كما مر كثيرا حيث قال دع اترك ما ادعته النصارا
جمع لنصران كسكاري جمع سكران او نسبة الي قرية تسمي ناصرة وقيل
انها قرية المسيح او الياالي نصراني للمبالغة سموا نصاري لنصرهم عيسي
في نبيهم كقولهم ابن الله وثالث ثلاثة لنهي نبينا صلي الله عليه وسلم عن
مثل ذلك بقوله لا تطروني كما اطرت النصاري عيسي انما انا عبد فقولوا عبد
الله ورسوله وبعد ذلك احكم اقصد بما شيت مدحا تراه حسنا فيه واحتكم
احتكم اي خاصم في اثبات فضايله من شيت من الخصما وانسب اعز اي اذا كنت
حقيقة ما شيت من شرف عز وانسب الي قدره مبلغه ما شيت من
عظم تعظيم ورفعة فقد وجدت للقول سعة فان فضل رسول الله ليس
له حد غاية توقف عندها فيعرب يبين منصوب بان مضمرة وجوبا بعد
فا السببية في جواب النهي عنه متعلق بيعرب ناطق فاعل بفم متعلق
بناطق علي تقدير مضاف اي بلسان فم اذا وصافه لا تحصي وفضايله لا تستقصي
يعني انه المدح وان انتهوا الي اقصي الغايات والنهايات لا يصلون
الي شاوه بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وبالواو والها غايته وامده اذ لا حد
له حتي يصلوا اليه وحكي انه راي الشيخ شرف الدين ابو القاسم عمر
ابن علي ابن الفارض كان يكتب فروض النسا ابن مرشد السعدي نسبة الي
بني سعد قبيلة حليمة الحموي الاصل المصري ولد بالقاهرة في ذي القعدة سنة
ست وسبعين وخمسمائة وترجمه الرشيد العطار في معجمه فقال الشيخ
الفاضل الاديب حسن النظم متوقد الخاطر كان يسلك طريق التصوف
وينتحل مذهب الشافعي واقام بمكة مدة وصحب جماعة من المشايخ وترجمه
ايضا المنذري وغيره مات في ثالث جمادي الاولي سنة اثنين وثلاثين وستمائة
في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي صلي الله عليه وسلم علي سبيل الصراحة
والافصاح كلامه مدح له كذا قال بعض وقال اخر يعتقد بعض العوام ان باطن
كلامه مدح للنبي صلي الله عليه وسلم وغالب كلامه لا يصح ان يراد به ذلك فقال
اري كل مدح اي مادح في النبي او هو باق علي مصدريته ويجوز في باسناد
مقصرا اليه وان بالغ المثني عليه واكثرا بالالف الاطلاق في المبالغة
في الثنا عليه اذ الله اثني بالذي هو اهله عليه بنحو قوله وانك لعلي
خلق عظيم فما مقدار ما يمدح الوري الخلق قال الشيخ بدر الدين
الزركشي ولهذا لم يتهيا لفحول الشعرا المتقدمين نعت للشعرا
كابي تمام حبيب بن اوس الطائي المشهور صاحب الحماسة قال ابن خلكان وصله
من قرية جاسم قرب طبرية وكان بجامع دمشق يسقي الماء ثم جالس الادباء
واخذ عنهم حتي قال الشعر واجاد وشاع ذكره وسار وبلغ المعتصم خبره
فحمله اليه فقدم بغداد فجالس الادبا وعاشر العلما وتقدم علي شعرا وقته
مات بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين وقيل بعد ذلك والبحتري
بضم الموحدة وسكون الحا المهملة وضم الفوقية ابو عبادة الوليد بن عبيد

الشاعر المشهور ونسبة الى بحتر بن عتود الطائي كما في التبصير وابو
العباس علي بن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه
عندهم من اصعب ما يحاول لو تقصى المعاني التي يتصور ويتها ما دحه
له دون مرتبته اي حقيقة صفاته الحميدة فانه وصفوه بها قصروا واقرب جهة
والاوصاف دون وصفه وكان غلوا اي كل وصف تجاوز قايله فيه الحد
المتعارف بين الناس او مكملة اي ارتفاع في الوصف زايد على العادة في حقه
تقصيرا قليلا بالنسبة لمقامه فيضيق على البالغ مجال النظم بميم وجيم اي
العمل الذي يجول فيه فكره ليأخذ المعاني التي يستحسنها ويليق عنده
التحقق اذا اعتبرت جميع الامداح التي فيها غلو بمعجمة ومهملة
بالنسبة الى من عرضته لم تجد فيها صادقة في حق النبي صلى الله عليه
وسلم حتى كان الشعرا اذلها ولو اثنا على احد باكمل الصفات وصفوه
ببعض اوصاف صفات المصطفى لم يمكن ثبوتها للممدوح وكانهم على صفاته
يعتمدون لانه غاية طاقتهم والى مدحه كانوا يخصصون وقد اشار
الابوصيري بقوله دع ما ادعته النصارى في نبيهم ومنه اخذ الحلي قوله
في بديعيته ۞ دع ما تقول النصارى في نبيهم ۞ من التغالي وقل ما شئت واحتكم
الى ما اطرت النصارى به عيسى بن مريم من اتخاذه الها كما قال
تعالى االنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك قال
النيسابوري انهم صحفوا في الانجيل عيسى نبيي بنونين بتقديم الموحدة
وانا ولدته بالتثقيل خلقت ولادته من مريم بلا اب فحرفوا الاول بتقديم
البا على النون وخففوا اللام في الثاني فلعنة الله على الكافرين المحرفين
للكلم عن مواضعه فان قلت هل ادعى احد في نبينا عليه السلام
ما ادعى في عيسى اجيب بانهم قد كادوا وقاربوا ان يفعلوا واخذ ذلك
وما فعلوا حين قالوا له عليه السلام في قصة سجود الاشجار له والجمال والغنم
افلا الهمزة داخلة على محذوف اي نترك تعظيمك فلا نسجد لك لم نفضلك
فنسجد فنحن احق بالسجود من الغنم وغيرها فقال لو كنت امرا احدا ان
يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها لما له عليها من الحق ده.
فتحا هم عما اي امر عساه يبلغ بهم من العبادة التي يتجاوز بها
الحد حتى يصير والكفرة او فسقة معتقدين انه حق وهو باطل على نحو قوله الذين
ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا نعم روى ابن ماجه
وابن حبان عن ابن ابي اوفى قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي صلى
الله عليه وسلم فقال ما هذا قال يا رسول الله قدمت الشام فرايتهم يسجدون
لبطارقتهم واساقفتهم فاردت ان افعل ذلك بك قال لا تفعل فاني لو امرت شيا
ان يسجد لشي لامرت المراة ان تسجد لزوجها والذي نفسي بيده لا تودي المراة
حق ربها حتى تودي حق زوجها ولو سالها نفسها وهي على قتب لم تمنعه
وحاز في صفته صلى الله عليه وسلم في حديث هند بن ابي هالة وصافه

ولا

ولا يقبل الثنا الا من مكافي بالهمز اي من مقاربه في مدحه غير مفرط
فيه وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري معناه الا ان يكون ثمة
له عليه الصلاة والسلام منة سبقت له فيكافيه الاخر فيقبله لو
لسبق منته عليه وغلطه ابن الانباري بالفتح نسبة الى الانبار بالعراق
بانه لا ينفك احد من انعام رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
الله بعثه رحمة للعالمين فما من احد الا وله عليه منة فالثنا عليه
فرض عليهم لا يتم الاسلام الا به لوجوب شكر المنعم قال وانما المعنى
لا يقبل الثنا الا من رجل يصف طرديه والمراد حقيقة انسان عرف حقيقة
اسلامه واجيب عن هذا التغليط بان القرينة قايمة على ان المراد نعمة خاصة
خاصة وقد صرح في بعض الروايات بقوله الا عن يد ثم للترتيب في الذكر
او للتراخي حاصل معجزاته وحاصل باهر غالب اياته من اضافة الصفة
للموصوف وحاصل كراماته فيهما بالجر عطف على معجزاته كما نبه عليه القطب
قطب الدين ابو بكر محمد بن احمد بن علي القسطلاني المصري المولود بها سنة اربع
عشرة وستماية وجمع بين العلم والعمل والف في الحديث والتصوف فهو تاريخ مصر
ومات في محرم سنة ست وثمانين وستماية نسبة الى قسطيلية من اقليم
افريقية كما قاله هو رحمه الله في تاريخ مصر ولم يضبطه وقال القطب الحلبي
كانه منسوب الى قسطلينة بضم القاف من اعمال افريقية بالمغرب وقال غيره
بفتح القاف وشد اللام يرجع الى ثلاثة اقسام ماض وجد قبل كونه
اي وجوده فقضى بمجده حكم بشرفه وسيادته وعزه بمعنى ان انهم
اعتقد واذلك حتى سمى جماعة ابناهم محمدا رجا ان يكون هو والله اعلم
حيث يجعل رسالاته ومستقبل وقع بعد مواراته في لحده اي بعد موته
وكاين معه من حين حمله ووضعه الى ان تطهله الله الى محل نقله
وموطن جمعه المكان الذي يجمع فيه الخلائق لكن عد ما تقدم وجوده من
المعجزات وكذا ما قارن حمله الى نبوته مبني على ان المعجزة لا يشترط اقتران اشتماله
بالتحدي والراجح كما مر ياتي خلافه الا ان ذلك لا يرد عليه لانه جعل مجموع
الايات المعجزات والكرامات منقسما الى ثلاثة اقسام ولا يلزم من انقسام
المجموع وجود كل فرد منه في الاقسام الثلاثة فاما القسم الماضي وهو
ما كان قبل ظهوره الى هذا الوجود فقد ذكرت منه جملة في المقصد
الاول كقصة الفيل وغيرها مما هو تاسيس اي اتخاذ اصل
لنبوته يدل عليها اذا ادعاها وارهاص لرسالته من ارهص الحايط
جعل لها اصلا فهما مترادفان والمراد الخوارق التي ظهرت قبل وجوده او بعده
قبل بعثته مقدمات لتصديقه في دعوى النبوة لانها حققت عنده شرفه
واصالته قال الامام فخر الدين الرازي ومن هاهنا معاشر اهل السنة
انه يجوز تقديم المعجزة تاسيسا وارهاصا قال ولذلك قالوا
اي رووا انه كانت الغمامة السحابة تظله يعني في سفره قبل النبوة

كما ورد في اخبار صحاح وزعم انها لم تصح عند المحدثين باطل كما قاله الزركشي
خلافا للمعتزلة القايلين بانه لايجوز ان تكون المعجزة قبل الارسال
انتهى وقد تقدم اول هذا المقصد وقبله في المقصد الاول ان الذي
عليه جمهور ايمة الاصول وغيرهم ان هذا ونحوه مما هو
متقدم على الدعوى للنبوة لايسمى معجزة لفقد شرط التحدي الذي
هو دعوى الرسالة بل تاسيسا للرسالة وكرامة للرسول عليه
السلام والانبيا قبل النبوة لاينقصون عن درجة الولاية واما القسم
الثاني وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا
اذ في كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات بسببه مما
يدل على تعظيم قدرة الكريم ما لا يحصى كالاستغاثة به في حوادث
الملمات ونحو ذلك كالتوسل به في نيل المرامات والاقسام به على رب البريات
مما ياتي في المقصد الاخير في اثنا الكلام على زيارة قبره المنير فكرامات
الاوليا كما نقل اليافعي من تتمة معجزة النبي صلى الله عليه وسلم لانها تشهد للولي
بالصدق المستلزم لكمال دينه المستلزم لحقيته المستلزم لصدق نبيه فيما
اخبر به من الرسالة فكانت الكرامة من جملة المعجزة بهذا الاعتبار واما القسم
الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى وفاته فكالنور اي مثل
النور وقولهم مثل كذا كناية عن كذا ومثله فكانه قال فهو النور وما اشبهه من
الخوارق الذي خرج معه حين استهل اي اضا له قصور الشام واسواقها
من اضا[illegible] ذلك النور وانتشاره حتى رايت له اعناق الابل ببصرى بضم
الموحدة وسكون المهملة وراء فالف مقصور ملدية بين المدينة ودمشق وهي حوران
وروى ابن سعد مرفوعا رايت امي حين وضعتني سطع منها نور اضا
له قصور بصرى وحكمته الاشارة الى ما يجي به من النور الذي اهتدى به الخلق
وتخصيص الشام اشارة الى ما خصه من نوره لانه اسري به اليها وحصونه ببصرى
لانها اول ما دخله ذلك النور المحمدي اذ كانت اول ما فتح من الشام او اشارة الى انه
ينور البصاير ويحيي القلوب الميتة على ان ابن سعد قد روى عن ابن عباس
وغيره ان امنة قالت لما فصل مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه
نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ومسح الطاير على فواده حتى
لم يجد الما وجعا لولادته وعده في هذا القسم مع انه قبل الولادة لانه اراد
بحينها اعم منها نفسها وما قاربها فدخل ما وجد زمن الحمل به والطواف
به في الافاق مشارق الارض ومغاربها وبحارها العمر فوها باسمه ونعته
وصورته في جميع الارض كما في حديث رواه الخطيب الى غير ذلك مما مر
بعضه في المقصد الاول ومنه انشقاق القمر عند اقتراحها اي طلبهم منه
تعنتا عليه وتحكما واختبارا وانضمام الشجرتين لما دعاهما اليه
ليستتر بهما حين قضى حاجته وكاطعام الجيش الكثير من التمر
بنون وزايه اليسير حقيقة كاشفة اذ النزر القليل في عدة من المواضع

يأتي بيان بعضها وفي اوقات استيلاغلبة وتتابع الفجايع اي الشدايد
جمع فجيعة حتى كانها احاطت بجميع اجساد الصحابة رضي الله عنهم
وغير ذلك مما امده الله به من المعجزات واكرمه به من خوارق
العادات تاييدا تقوية لاقامة حجته وتمهيدا لهداية محجته طريقه
الواضحة وتانيبا بموحدة لسيادته في كل امة جماعة من الناس سموا
كانت من اتباعه ام لا لان غير اتباعه وان انكر رسالته فانكاره عنادا واستكبارا
لان براهين رسالته قطعية لاتلتبس فهم وان انكروها بالسنتهم فقلوبهم
تعترف لها قهرا عليهم كما قال تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون وتشديدا بسين مهملة تقوية وتنبيها لمن ادكر
بعد امة جماعة من الزمان اي مدة طويلة اي لمن تذكر بعد غفلته عن
اتباع الحق مدة طويلة لاستغراقه في شهوات نفسه عن مقصود
الاختصار اذ هو باب فسيح واسع المجال بجيم منيع ممتنع النال
بالنون اي ما يراد حصوله منه على الوجه التام ممنوع لا يمكن الوصول
اليه لكني انبه من ذلك على نبذة بضم النون يسيرة وانوه اعظم في
اثنايها بجملة خطيرة بمعجمة ثم مهملة مرتفعة القدر والمنزلة فاقول وما
توفيقي قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات الا بالله عليه توكلت واليه
انيب ارجع اقتباس لطيف اما معجزة انشقاق القمر اي اما الدليل على
ثبوت المعجزة التي هي انشقاق القمر فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز
اقتربت الساعة قربت ودنت القيامة وانشق القمر بالفعل اية
للمصطفى وقدم اقتراب الساعة عليها تخويفا لمنكري ذلك واثباتا له
وتقريرا في نفوس المومنين لها اذ تنشق السموات فالقادر على ذلك الفعال
لما يريد كيف لا يقدر على شق القمر وقد روى ابن مردوية عن ابن مسعود
قال ان الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر يقول كما شققت القمر كذلك اقيم
الساعة وقيل اقتربت اخص من قرب فيدل على المبالغة في القرب لان افتعل
يدل على اعتمال ومشقة في تحصيل الفعل فهو اخصهما يدل على القرب بلا قيد
والمعنى صارت قريبة من بعثته صلى الله عليه وسلم كما في حديث بعثت انا
والساعة كهاتين واشار باصبعيه الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما
مقدار سبع وبعثته صلى الله عليه وسلم في الالف السابعة على المشهور عند
المحدثين وغيرهم وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا سبعة الاف سنة
وكسور على المشهور وقيل اكثر من ذلك وروى البيهقي في شعبه والديلمي عن ابن
عباس رفعه قال اقتربت تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها
يوم تسود الوجوه والمراد وقوع انشقاقه بالفعل عند الجمهور فلقد
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما ياتي في الاحاديث لا الوعد به يوم القيمة
كما قال بعض اهل العلم من القدما وانه من التعبير بالماضي عن المستقبل كما
قال تعالى اتى امر الله اي سياتي ونكتة ذلك ارادة المبالغة في تحقق وقوع

ذلك فنزل منزلة الواقع وما ذهب اليه الجمهور اصح كما قال الحافظ
وغيره ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك يتلوه وان يروا اي كفار
قريش آية اي معجزة له صلى الله عليه وسلم يعرضوا ويقولوا هذا
سحر مستمر قوي من المرة وهي القوة او دائم مطرد فيدل على انهم
راوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او هو
مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى فان ذلك
ظاهر في ان المراد بقوله انشق وقوع انشقاقه لان الكفار لا يقولون
ذلك اي سحر مستمر فيما ظهر على النبي من الآيات يوم القيامة لظهور
الامور وانتضاحه فاذا تبين انه قولهم ذلك انما هو في الدنيا تبين
وقوع الانشقاق بالفعل فاذا تبين انه قولهم وانه المراد بالآية
التي زعموا انها سحر وسيأتي ذلك مصرحا في حديث ابن مسعود
وغيره كحذيفة وجبير بن مطعم وابن عباس وفي الدلائل لابي نعيم عن ابن عباس
انشق القمر ليلة اربعة عشر نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين
العصر الى الليل ويؤيده ايضا ما في البيضاوي انه قرئ وقد انشق القمر اي وقد
حصل من آيات اقترابها الساعة انشقاق وقال الحليمي من الناس من يقول
المراد سينشق فان كان كذلك فقد وقع في عصرنا فشاهدت الهلال ببخارى
في الليلة الثانية منشقا نصفين عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة اربع
او خمس ثم اتصلا فصار في شكل اترجة الى ان غاب واخبرني من اثق به انه
شاهد ذلك ليلة اخرى نقله البيهقي قال الحافظ ولقد عجبت من البيهقي
كيف اقر هذا مع ايراده حديث ابن مسعود المصرح بان المراد بقوله تعالى
وانشق القمر ان ذلك وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانه ساق هكذا
عن ابن مسعود في هذه الآية قال انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ساق حديث ابن مسعود لقد مضت آية الدخان والروم والبطشة وانشقاق
القمر انتهى واعلم ان القمر لم ينشق لغير نبينا صلى الله عليه وسلم
لما طلب الكفار آية واخرج عبد بن حميد وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي
في الدلائل عن ابن مسعود قال رايت القمر منشقا بشقتين مرتين بمكة قبل
مخرج النبي صلى الله عليه وسلم شقة على ابي قبيس وشقة على السويداء والمراد
بمخرجه هجرته الى المدينة كما في رواية عبد الرزاق لا بعثته وهو من امهات
معجزاته عليه السلام اي معجزاته التي كالامهات لغيرها مما دونها وقد
اجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه لاجله صلى الله عليه
وسلم حكاه القاضي عياض مؤيدا له بان الله اخبر بوقوعه بلفظ الماضي واعراض
الكفرة عن آياته واعترض بان الحسن البصري قال المراد سينشق نقله
عنه النسفي وابو الليث ولعله لم يصح عنه او شذ به عن السلف فلا يعتد به
في خرق اجماعهم فان كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه اي
استمروا على تكذيبه فلم يرجعوا عما هم فيه من الغي والضلال بل زاد واطغيانا

طلبوا

طلبوا منه آية هي انشقاق القمر كما يأتي ان الوليد ومن معه قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر والاحاديث تفسير
بعضها وخير ما فسرته بالوارد فليس المراد مطلق آية نزل على صدقه
في دعواه جواب لما فاعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التي
لا قدرة للبشر على ايجادها دلالة على صدقه عليه السلام
في دعواه الوحدانية لله تعالى وانه منفرد بالربوبية وان
هذه الآلهة بزعمهم التي يعبدونها باطلة لا تنفع ولا تضر نفسها
فضلا عن غيرها وان العبادة انما تكون لله وحده لا شريك له قال
الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات
الانبياء ولذا اختص بها سيدهم وذلك انه ظهر في ملكوت السموات
خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس
مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان الدليل
الواضح به اظهر من غيره انتهى وقال ابن عبد البر ابو عمر الذي ساد
اهل الزمان في الحفظ والاتقان قد روى هذا الحديث يعني حديث انشقاق
القمر جماعة كثيرة من الصحابة وروى عنهم امثالهم من التابعين
ثم نقله عنهم الجم الغفير المفيد للعلم الى ان انتهى وصل الينا وتأيد
بالآية الكريمة فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر انتهى ما اراده من
كلام ابن عبد البر وقال العلامة قاضي القضاة ابو نصر عبد الوهاب ابن الامام
علي بن عبد الكافي بن تمام الانصاري السبكي ولد بمصر سنة تسع وعشرين
وسبعماية ولازم الاشتغال بالفنون على ابيه وغيره حتى مهر وهو شاب وصنف
كتبا نفيسة اشتهرت في حياته والف وهو في حدود العشرين ومات سابع
الحجة سنة احدى وسبعين وسبعماية في شرحه لمختصر ابن الحاجب
في الاصول والصحيح عندي ان انشقاق القمر متواتر منصوص
عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق من حديث
شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم الواسطي ثم البصري ثقة حافظ متقن
كان الثوري يقول هو امير المؤمنين في الحديث وكان عابدا مات سنة ستين وماية
عن سليمان بن مهران الاسدي الكاهلي الكوفي الاعمش ثقة حافظ ورع
مات سنة سبع او ثمان واربعين ومائة ومولده سنة احدى وستين هكذا في نسخ
وهي صحيحة وفي بعضها عن شعبة بن سليمان وهي تصحيف فليس في رجال
الكتب الستة شعبة بن سليمان فصحف النساخ عن بابن والحديث في الصحيحين
عن شعبة وسفيان اي ابن عيينة عن الاعمش وهو سليمان بن مهران
بكسر الميم عن ابراهيم بن سويد النخعي ثقة عن ابي معمر بفتح الميم
وسكون العين عبد الله بن سخبرة بفتح المهملة وسكون المعجمة وفتح الموحدة
الازدي الكوفي ثقة من كبار التابعين مات في امارة عبيد الله ابن زياد قال
الحافظ هذا هو المحفوظ ووقع عند ابن مردويه وابي نعيم عن ابراهيم

عن علقمة والمحفوظ المشهور عن ابي معمر عن ابن مسعود واخرجه مسلم
من طريق اخرى عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن ابي معمر عن ابن مسعود
والله اعلم هل عند مجاهد فيه اسنادان او قول من قال ابن عمر وهم من ابي معمر
عن ابن مسعود والله اعلم ثم قال وله طرق اخرى شتى من حيث لا يمتنع
فيه تواتره انتهى وقد جاءت احاديث الانشقاق في روايات صحيحة
عن جماعة من الصحابة منهم انس بن مالك وابن مسعود عبد
الله وعلي بن ابي طالب وحذيفة ابن اليمان وجبير بن مطعم النوفلي
وابن عمر بن الخطاب وغيرهم فاما انس وابن عباس فلم يحضرا
ذلك لانه اي الانشقاق كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين
وكان ابن عباس اذذاك لم يولد اذ ولادته قبلها بثلاث سنين بالشعب
على الصحيح المحفوظ واما انس فكان ابن اربع او خمس سنين بالمدينة
فحديثهما مرسل صحابي واما غيرهما فيمكن ان يكون شاهد ذلك فحدث
عما شاهد ويمكن ان يكون حمله عن غيره والاظهر الاول ففي الصحيحين
من حديث انس رضي الله عنه ان اهل مكة اي كفار قريش وفي رواية
تسميتهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية معجزة
تشهد لما ادعاه من نبوته فاراهم انشقاق القمر حتى راوا حرا بكسر
المهملة وراء خفيفة مذكر مصروف على الصحيح وحكي فتح حائه والقصر وتانيثه
على ارادة البقعة فيمنع صرفه جبل بينه وبين مكة ثلاثة اميال على يسار الذاهب
الى منى بينهما اي بين الشقتين وقوله شقتين بكسر الشين المعجمة اي
نصفين كما ضبطه في الفتح والمصابيح واليونينية والناصرية وضبطه في الفرع
بفتح الشين مصححا عليه ذكره المص وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود
قال انشق القمر على عهد رسول الله اي في زمنه وايامه فرقتين بكسر
الفا وسكون الرا بمعنى قطعتين والمراد نصفين وانتصابه على المصدرية من
معنى انشق كقعد جلوسا او بتقدير وافترق فرقتين فرقة بالنصب فوق
الجبل وفرقة دونه اي في مقابلته منفصلا عنه لا تحته كما قيل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا قال الحافظ اي اضبطوا هذا القدر
بالمشاهدة والجبل حرا كما في الحديث قبله لكن روى عبد الرزاق والبيهقي من
طريقه عن ابن مسعود رايت القمر منشقا شقتين شقة على ابي قبيس وشقة
على السويدا والسويدا بالمد والتصغير ناحية خارج مكة عندها جبل وقوله
على ابي قبيس يحتمل انه راه كذلك وهو بمنى كان يكون على مكان مرتفع بحيث
راى طرف جبل ابي قبيس ويحتمل ان القمر استمر منشقا حتى رجع ابن مسعود
من منى الى مكة فراه كذلك وفيه بعد والذي يقتضيه غالب الروايات ان
الانشقاق كان قرب غروبه ويؤيده اسنادهم الروية الى جهة الجبل ويحتمل
ان الانشقاق وقع اول طلوعه فان في بعض الروايات ان ذلك كان ليلة البدر
والتعبير بابي قبيس من تغيير بعض الرواة لان الغرض ثبوت رؤيته منشقا

احدى

احدى الشقتين على جبل والاخرى على جبل اخر ولا يغاير ذلك قول
الراوي الاخر رايت الجبل بينهما اي بين الفرقتين لانه اذا ذهبت
فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره مثلا صدق انه بينهما واي
جبل اخر كان من جهة يمينه او يساره صدق انها عليه ايضا انتهى
وفي الترمذي من حديث ابن عمر بن الخطاب في قوله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي في زمنه ذكره ردا على من يقول سيكون يوم القيامة انشق
فلقتين باللام فلقة دون الجبل اي في مقابلته وفلقة خلف الجبل اي
فوقه كما في الحديث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
على نبوتي ومعجزتي وقوع ما طلبوه لانهم اهل بهتان وجحد هذا ظاهر
السياق ويحتمل اشهدوا على ذلك لتخبروا به لانها اية ليلية اتت وقت
غفلة وعند الامام احمد من حديث جبير بضم الجيم مصغر ابن مطعم
قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار
فرقتين بالراي نصفين وصرح في هذه بناصب فرقتين فرقة على هذا
الجبل وفرقة على هذا الجبل فيه ما سبق قريبا عن الحافظ فقالوا اي
الكفار سحرنا محمد فقالوا وفي بعض طرق حديث ابن مسعود فقال رجل
منهم ويقال انه ابو جهل فلموا افتتنهم له غير جبير فقالوا ان كان سحرنا
محمد فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم وفي رواية مسروق عن ابن
مسعود فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان
سحر القمر فانه لا يبلغ سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من ياتيكم من بلد
اخر هل راوه فاتوا فسالوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك رواه البيهقي في
الدلائل وعن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن ابي كبشة
بفتح الكاف واسكان الموحدة ومعجمة مفتوحة قيل احد اجداده لامه قالوه
عداوة وتحقيرا بنسبته الى غير نسبه المشهور لان عادة العرب اذا
انتقصت نسبته الى جد غامض وقيل هو ابوه من الرضاعة وقيل غير ذلك
كما مر في حبرانه قال ابن مسعود فقالوا كفار قريش انظروا ما ياتيكم به
السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال فجا السفار
فاخبروهم بذلك اي رؤية القمر منشقا رواه ابو داود سليمان بن داود
ابن الجارود الطيالسي البصري الثقة الحافظ مات سنة اربع ومائتين
ورواه البيهقي عن ابن مسعود بلفظ انشق القمر بمكة فقالوا سحركم
ابن ابي كبشة فسلوا السفار فان كانوا راوا ما رايتم فقد صدق فانه
لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم وان لم يكونوا راوا ما رايتم فهو سحر
فسالوا السفار وقدموا من كل وجه فقالوا رايناه زاد في رواية فقال
الكفار هذا سحر مستمر وعند ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني

الحافظ في الدلايل للنبوة من وجه اسناده ضعيف عن ابن عباس قال
اجتمع المشركون الي رسول الله صلي الله عليه وسلم منهم الوليد
ابن المغيرة المخزومي الكافر الميت علي كفره الذي انزل الله في ذمه ولا تطع
كل حلاف مهين الايات وذرني ومن خلقت وحيدا الايات وابو جهل فرعون
هذه الامة المقتول ببدر والعاصي بن وايل السهمي احد المستهزيين ه
والاسود ابن المطلب احدهم والنضر بن الحارث المقتول عقب بدر
ونظراوهم اشباههم في التغول في الكفر والعناد فقالوا للنبي صلي الله
عليه وسلم ان كنت صادقا في انك رسول الله فشق لنا القمر فرقتين
نصفين فسال ربه فانشق وفي رواية ابن الجوزي في الوفا فقال لهم
ان فعلت تومنوا قالوا نعم فسال ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين
ورسول الله صلي الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وعند
البخاري مختصرا من حديث ابن عباس بلفظ ان القمر انشق علي
عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ورواه عنه ابو نعيم وزاد فلقتين
قال ابن مسعود لقد رايت جبل حرا من بين فلقتي القمر وهذا يوافق الرواية
الاولي في ذكر حرا وابن عباس وان لم يشاهد القصة كما قدمته لانها كانت
قبل ولادته ففي بعض طرقه انه حمل الحديث عن ابن مسعود اي ما يشعر
بذلك كما عبر به الحافظ وهي رواية ابي نعيم المذكورة وعند مسلم من حديث
سعيد بفتح المهملة وكسر العين فيا فدال مهملة اخره ابن ابي عروبة مهران
اليشكري مولاهم احد الاعلام وما يوجد في غالب نسخ المص شعبة مخالف للواقع
فرواية شعبه بلفظ فرقتين لم يختلف عليه رواية فيها ولما في مسلم فالذي فيه
عن سعيد عن قتادة بن دعامة عن انس بلفظ ان اهل مكة سالوا رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين بدل قوله في الرواية
الاولي شقين وكذا في مصنف عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن انس ه
بلفظ مرتين ايضا وكذا اخرجه الامامان احمد واسحق عن عبد الرزاق وكذا ما
ورد من حديث شيبان عن قتادة اشار له مسلم في الصحيح واتفق الشيخان
البخاري ومسلم عليه من رواية شعبة عن قتادة عن انس بلفظ فرقتين
قال البيهقي قد حفظ ثلاثة من اصحاب قتادة عنه مرتين يعني سعيدا
وشيبان ومعمرا قال الحافظ لكن اختلف عن كل منهم في هذه اللفظة ولم
يختلف علي شعبة وهو احفظهم ولم يقع في شي من طرق حديث ابن مسعود
بلفظ مرتين انما فيه فرقتين او فلقتين بالراء واللام كما في حديث جبير
ابن مطعم فرقتين بالراء عند احمد وفي حديث ابن عمر فلقتين باللام
كما قدمته من رواية الترمذي وفي لفظ حديث جبير بن مطعم فانشق
باثنتين اي بصيرورته ثنتين من الشق او البا زايدة وفي رواية عن
ابن عباس عند ابي نعيم في الدلايل فصار قمرين وفي لفظ شقتين
وعند الطبري من حديثه حتي راوا شقيه ووقع في نظم السيرة للحافظ

ابي

ابي الفضل العراقي وانشق مرتين بالاجماع فظاهره تعلق بالاجماع
بقوله مرتين علي ظاهر رواية مسلم وغيره لكن قال الحافظ ابن حجر
في الفتح ما ملخصه واظن قوله بالاجماع يتعلق بانشق لا بمرتين
فاني لا اعلم من جزم من علما الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلي
الله عليه وسلم وعبارة الحافظ في الفتح ووقع في نظم السيرة لشيخنا ه
الحافظ ابي الفضل وانشق مرتين بالاجماع ولا اعرف من جزم من علماء
الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلي الله عليه وسلم ولم يتعرض لذلك
احد من شراح الصحيحين وتكلم ابن القيم علي هذه الرواية فقال المرات
يراد بها الافعال تارة ويراد بها الاعيان اخري والاول اكثر ومن الثاني
انشق القمر مرتين وقد خفي هذا علي بعض الناس فادعي ان انشقاق
القمر وقع مرتين وهذا مما يعلم اهل الحديث والسير انه غلط فانه لم يقع
الا مرة واحدة وقد وقع للعماد بن كثير في الرواية التي فيها مرتين نظر
ولعل قايلها اراد فرقتين قلت وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين ه
الروايات ثم راجعت نظم شيخنا فوجدته يحتمل التاويل المذكور ولفظه

فصار فرقتين فرقة علت ۞ وفرقة للطود منه نزلت
وذاك مرتين بالاجماع ۞ والنص والتواتر السماعي

فجمع بين فرقتين ومرتين فيمكن ان يتعلق قوله بالاجماع باصل الانشقاق
لا بالتعدد مع ان في نقل الاجماع في نفس الانشقاق نظرا ياتي بيانه انتهي
فحصل النظر جوابان اولهما تاويل مرتين بفرقتين ولا ينافيه الجمع بينهما
لانه اشارة للروايتين اي ان رواية مرتين محمولة علي رواية فرقتين كما ه
اشار اليه ابن كثير ومراده بما ياتي ما حله المص بقوله وقد انكر الخ والجواب
انه اراد اجماع من يعتد به اما هو فلا عبرة بخلافهم وذكر الحافظ برهان الدين
الحلبي في النور انه كاتب شيخه العراقي بكلام ابن القيم فلم يرد له جوابا بالكلية
ولعل قايل مرتين اراد به فرقتين كما قال ابن كثير وهذا كما قال الحافظ
الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات فانها اذا كثرت ودلت علي شي وخالفها
رواية اخري ترد اليها اذا امكن دفعا للتعارض علي القاعدة وقد وقع في
رواية البخاري من حديث ابن مسعود انشق القمر ونحن مع النبي صلي
الله عليه وسلم بمني وفي رواية مسلم بينما نحن مع النبي صلي الله عليه وسلم
بمني اذ انفلق القمر وهذا لا يعارض قول انس ان ذلك كان بمكة لانه
اي انسا لم يصرح بانه عليه السلام كان ليلتيذ بمكة فالمراد ان الانشقاق
كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الي المدينة والله اعلم زاد الحافظ وعلي
تقدير تصريحه فمني من جملة مكة فلا تعارض وقد وقع عند ابن مردويه
بيان المراد فاخرج من وجه اخر عن ابن مسعود قال انشق القمر علي
عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن بمكة قبل ان نصير الي المدينة
فوضح ان مراده بذكر مكة الاشارة الي ان ذلك وقع قبل الهجرة ويجوز ان يقع

وهم ليلتئذ بمني ثم قال والجمع بين قول ابن مسعود تارة بمني وتارة بمكة اما
باعتبار التعدد ان ثبت واما بالحمل علي انه كان بمني ومن بها لا ينافي انه بمكة
لان من كان بمني كان بمكة من غير عكس ويؤيده ان الرواية التي فيها بمني قال
فيها ونحن بمني والتي فيها بمكة لم يقل فيها ونحن انما قال انشق بمكة اي يريد
انه كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الي المدينة وقال بعضهم التي تحرر في الجمع
بين روايات مني ومكة وان حرا كان بين الفلقتين وان احداهما كانت فوق الجبل
والاخري دونه ان يقال انه تباعد ما بين الفلقتين جدا لتكونه اظهر في دفع
الانكار فانه لو تقاربت لقالوا انه من غلط الحس فلما اشهدهم صلي الله عليه وسلم
علي ذلك اشار مرة الي فلقة منه وقال اشهد يا فلان ويا فلان ثم اراهم مرة
اخري فلقة اخري وقال اشهدوا وكل هذا كان ليلا بمكة والقمر في وسط السما
بحذا حرا وبحذا غيره من الجبال والاماكن البعيدة فلا تعدد في الشق ولا
تدافع بين الروايات ولا يطعن في شي منها وهذا ان شا الله مما لا ينبغي العدول
عنه فان القول بان المهلة في الاعيان لا صحة لها لغة ولا استعمالا افلو قطع انسان
بطيخة قطعتين دفعة واحدة وقال قطعتها مرتين كذبه من سمعه واستهزي
به فعليك بالنظر الحديد وان تطرح من جبار فكره علي التقليد **وقد انكر هذه
المعجزة جماعة من المبتدعة كجمهور الفلاسفة متمسكين بان الاجرام العلوية
لا يتهيا** لا يمكن **فيها الانخراق والالتيام وكذا قالوه في فتح ابواب السما
ليلة الاسرا** اي **مع غير ذلك** من انكارهم ما يكونه يوم القيامة من تكوير
الشمس وغير ذلك **فاذا** تمت المناظرة وثبت عندهم دين الاسلام **اشتركوا مع
غيرهم ممن انكر ذلك من المسلمين** فيناظروا ثانيا لاقامة الحجة علي اثبات الانشقاق
كما حكي ان ابا بكر بن الطيب لما ارسله صاحب الدولة لملك الروم بقسطنطونيه
وانه اجل علما الاسلام احضر بعض بطارقته فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم
فهل للقمر قرابة منكم حتي ترونه دون غيركم فقال وهل بينكم وبين المايدة اخوة
ونسب اذ رايتموها ولم يرها اليهود ويونان والمجوس الذين انكروها وهم في
جواركم فافحم ولم يحر جوابا والقصة طويلة في الشرح **ومتي سلم المسلم بعض
ذلك دون بعض لزم التناقض ولا سبيل له الي انكار ما ثبت في القران
من الانخراق والالتيام في يوم القيامة** لانه كفر **واذا ثبت هذا استلزم
ايضا وقوع ذلك معجزة لنبي الله صلي الله عليه وسلم** يرد عليه ان مجرد
ثبوت ذلك في القيامة انما يستلزم جوازه وقوعه والجواز لا يستلزم الوقوع فالمناسب
ان يقول استلزم جواز وقوع ذلك معجزة كما عبر به الحافظ في الفتح وفي نسخة استلزم
الجواز ووقوع ذلك معجزة فيمكن ان يجاب عليه بثبوت الواو بان وقوع بالرفع مبتدا
خبره محذوف اي ووقوعه معجزة ثبتت بالقران فيجب قبوله **وقد اجاب
عن ذلك القدما من العلما فقال الزجاج** بفتح الزاي والجيم والتشديد نسبة الي
خرط الزجاج ابو اسحاق ابراهيم بن السري الامام العلامة المتوفي سنة احدي
عشرة وثلثماية وهو شيخ الزجاجي صاحب الجمل **في معاني القران انكر**

مطلب في كلام ابي بكر الطيب ...

بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة الكفار **انشقاق القمر** لا استحالة
بزعمهم الكاذب **ولا انكار للعقل فيه لان القمر مخلوق لله ان يفعل
فيه ما يشا كما يكون** بلفه ويذهب نوره **يوم القيامة ويفنيه** انتهي
**واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض
كلهم في معرفته ولم يختص به اهل مكة لانه امر صدر عن حس** امر
محسوس بحاسة البصر **ومشاهدة** بشبه عطف التفسير **والناس فيه
شركا والدواعي متوفرة علي رواية** نقل **كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو
كان لذلك اصل لخلد في كتب التسيير** بفوقية فسين مهملة فتحتيتين
فرا اي الهيئة **والتنجيم اذ لا يجوز** عقلا وعادة **اطباقهم علي تركه واغفاله**
**مع جلالة شانه ووضوح امره فاجاب عنه الخطابي وغيره بان
هذه القصة خرجت عن** بقية **الامور التي ذكروها لانه شي طلبه خاص
من الناس فوقع ليلا لان القمر لا سلطان له بالنهار ومن شان الليل
ان يكون الناس فيه نياما ومستكنين في الابنية** لا يرون القمر بل ولا
السما **والبارز منهم بالصحرا اذا كان يقظانا يحتمل ان يتفق انه كان
مشغولا في ذلك الوقت بما يلهيه من سمر** حديث الليل **وغيره ومن هو
المستبعد** عقلا وعادة **ان يقصدوا الي مراكز القمر ناظرين اليه لا يغفلون
عنه فقد يجوز ان يقع ولم يشعر اكثر الناس وانما تصديه من اقترح
وقوعه** وقد يقع بالمشاهدة في العادة ان ينكسف القمر وتبدو الكواكب العظام
وغير ذلك في الليل ولا يشاهدها الا الاحاد وكذلك الانشقاق اية وقعت في الليل
لقوم سالوا واقترحوا فلم يتاهب لها غيرهم كما في الفتح تبعا لما بسطه في الشفا
ولعل ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر ويرد علي برحه
قول ابن عباس قدر ما بين العصر الي الليل كما مر الا ان يحمل علي ان الانشقاق
الواقع في الابتدا كان بقدر ادراك البصر ثم اخذ في الالتيام فلم يتم وبقي خلا بين
الفلقتين ودام قدر ما بين العصر الي الليل **وقد يكون القمر حينئذ في بعض
المنازل التي تظهر لبعض الافاق** النواحي **دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم
غايبا عن قوم** فقد يكون ليلة انشقاقه طالعا بمكة دون غيرها فلو تخبرهم
لم ير انشقاقه تلك الليلة لم يكذبوا **وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد اخري**
وفي بعضها كلية وفي بعضها جزئية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون
علمها ذلك تقدير العزيز العليم **وقد ابدي الخطابي حكمة بالغة في كون
المعجزات المحمدية لم يبلغ منها شي مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه** كالعلم
اي كتنوع القران ولفظ الفتح الا القران وكل صحيح **بما حاصله ان معجزة كل
نبي كانت اذا وقعت عامة اعقبت هلاك من كذب به من قومه والنبي
صلي الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين** ولو كفارا **فكانت معجزته التي
تحدي بها عقلية فاختص بها القوم الذي بعث فيهم لما اوتوه من
فضل العقول وزيادة الافهام ولو كان ادراكها عاما العوجل من كذب به**

به كما عوجل من قبلهم انتهى زاد الحافظ وذكر ابو نعيم في الدلايل بنحو ما ذكره
الخطابي وزاد ولاسيما اذا وقعت الاية في كل بلدة كان عامة اهلها يومئذ الكفار
الذين يعتقدون انها سحر ويجتهدون في اطفا نور الله قلت وهو جيد
بالنسبة الى من سال عن الحكمة في قلة من نقل ذلك من الصحابة واما من سال
عن السبب في كون اهل التنجيم لم يذكروه فجوابه انه لم ينقل عن احد منهم انه
نفاه وهذا كاف فان الحجة في من اثبت لا في من لم يوجد عنه صريح النفي حتى
ان كل من وجد منه صريح النفي فقدم عليه من وجد منه صريح الاثبات انتهى
وكذا اجابه ابن عبد البر بنحوه اي بنحو جواب الخطابي وقال قد يطلع على قوم
قبل طلوعه على اخرين وان زمن الانشقاق لم يطل ولم تتوفر الدواعي على الاعتنا
بالنظر اليه ومع ذلك فقد بعث اهل مكة الى افاق مكة يسالون عن ذلك فجاءت
السفار واخبروا بانهم عاينوا ذلك وذلك لان المسافرين في الليل غالبا يكونون
في ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك وقال القرطبي الموانع من مشاهدة ذلك اذا لم
يحصل القصد اليه غير منحصرة ويحتمل ان الله صرف جميع اهل الارض غير اهل
مكة وما حولها عن الالتفات الى القمر في تلك الساعة ليختص بمشاهدته اهل
مكة كما اختصوا بمشاهدة اكثر الايات ونقلوها الى غيرهم قال الحافظ وفيه نظر
لان احدا لم ينقل ان احدا من اهل الافاق غير اهل مكة ذكروا انهم رصدوا القمر تلك
الليلة المعينة فلم يشاهدوا انشقاقه فلو نقل ذلك لكان الجواب الذي ابداه القرطبي
جيدا ولكن لم ينقل عن احد من اهل الارض شي من ذلك فالاقتصار حينئذ على
جواب الخطابي ومن وافقه اوضح **تنبيه ما يذكره بعض القصاص
ان القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه
فليس له اصل كما حكاه بدر الدين الزركشي عن شيخه العماد بن
كثير** وسبقهما لذلك النووي في الفتاوي فانه سيل عن رجلين تنازعا في انشقاق
القمر على عهده صلى الله عليه وسلم فقال احدهما انشق فرقتين ودخلت
احداهما في كمه وخرجت من الكم الاخر وقال الاخر بل نزل الى بين يديه فرقتان
ولم يدخل في كمه فاجاب الاثنان مخطيان بل الصواب انه انشق وهو في
موضعه من السما وظهرت منه احدى الشقتين فوق الجبل والاخرى دونه
هكذا ثبت في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله عنه انتهى **واما رد
الشمس له صلى الله عليه وسلم** قسيم قوله اما معجزة الخ تفصيلا لقوله
اولا وجدتها شاملة للعلوي ومن جملته القمر والشمس **فروي عن
اسما بنت عميس** بمهملتين مصغر الخثعمية تزوجها جعفر بن ابي طالب
ثم ابو بكر ثم علي وولدت لهم وماتت بعد علي وهي اخت ميمونة بنت الحارث ام
المومنين لامها ووزن اسما افعلا عند سيبويه واصله وسما من الوسامة
ابي الحسن فابدلت الواو همزة وقيل افعال جمع اسم قال التلمساني والاول
اولى اي لان المسموع منع الصرف وان جعله كذلك يفيد ان سبب الاخذ
حسنها واعل ابن تيمية حديث اسما هذا بانها كانت مع زوجها بالحبشة

قال الشامي وهو وهم بلا شك اذ لا خلاف ان جعفرا قدم من الحبشة
هو وامراته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعد
فتحها وقسم لهما ولاصحاب سفينتهما **ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يوحى اليه** مرة بالصهبا **وراسه في حجر علي رضي الله عنه**
جملة حالية وحجر مثلث الحا بمعنى الحضن والاظهر ان الراس كان
على ركبته وهو نايم فاستعمل في المفيدة للظرفية وجعل الحضن محلا
للراس تجوز من اطلاق اسم الشي وهو الحضن على ما يقرب منه وهو الفخذ
والمبالغ في تمكن راسه من فخذه فشبه ذلك التمكن بالظرفية واستعمل
فيه ما يستعمل فيها استعارة تبعية **فلم يصل علي العصر حتى
غربت الشمس** واما المصطفى فكان قد صلاها كما ياتي في الرواية الاخرى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي استفهام تقرير
ليرتب عليه الدعا له واظهار المعجزة او حقيقي ولا يشكل بان قلبه لا ينام
لاشتغال قلبه حينئذ بالوحي فاستغرق فيه **قال لا** لانهم كانوا لا يوقظونه
كما في الصحيح وقد وضع راسه في حجره فهو عذر في اخراج الصلاة عن
وقتها ولم يصلها بنحو الايما لجواز انه لم يكن شرع حينئذ **فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك**
لانه لم يزعجه من منامه وانتظر يقظته وذلك تعظيم لله برعاية نبيه ولرسوله
بترك ما يوذيه **فاردد** بفكه الادغام على احدى اللغتين الفصيحتين وبابه هو
في رواية الطبراني فرد بالادغام وقد قري من يرتد بالادغام والفك **عليه الشمس**
ايما اعادها لمكانها الذي غربت منه ليصلي العصر في وقتها **قالت اسما بنت
عميس فرايتها غربت ثم رايتها طلعت** بدعا المجتبى **بعد ما غربت
ووقفت** اي نزلت **على الجبال والارض** بعد مفارقتها لهما فوقفت بعين
مهملة وقول الدلجي بالفا من الوقوف اي لم تسر وتبين رجوعها ان ثبتت رواية
الافا لعين اوفق بقولها بعد ما غربت **وذلك بالصهبا** بالفتح والمد موضع
على مرحلة من خيبر او على بريدين فقولها **في خيبر** فيه مضاف اي في قرب
رواه العلامة الامام الحافظ احمد بن محمد ابن سالم بن سلمة الازدي ابو جعفر
الطحاوي بفتح المهملتين نسبة لطحا قرية بصعيد مصر على ما قاله ابن
الاثير ورده السيوطي بانه ليس منها بل من طحطوط بقربها فكره ان يقال
الطحطوطي المصري ابن اخت المزني سمع يونس بن عبد الاعلى وهرون بن
سعيد ومنه الطبراني وغيره وكان ثقة ثبتا فقيها حنفيا لا شافعيا كما زعم
بعض انتهت اليه رياسة اصحاب ابي حنيفة وله مولفات ولد سنة تسع
وثلاثين ومايتين ومات سنة احدى وعشرين وثلثماية **في مشكل الحديث**
كتاب جليل اشتهر بالاثار من طريقين عن اسما **كما حكاه القاضي عياض
في الشفا وقال قال الطحاوي ان احمد بن صالح المصري** ابو جعفر
ابن الطبري ثقة حافظ روى عنه البخاري وابو داود وتكلم فيه النساي

بسبب اوهام له قليلة ونقل عن ابن معين تكذيبه وجزم ابن حبان بانه
انما كذبه احمد بن صالح الشمومي فظن النسائي انه عني ابن الطبري مات سنة
ثمان واربعين ومائتين وله ثمان وسبعون سنة كانه يقول لا ينبغي لمن يسلك
طريقه السالك فيه العلم اي طلبه والاشتغال به ومعرفة الحديث فجعل
نفس العلم طريقا لانه يصل به صاحبه الي سعادة الدارين التخلف عن
حفظ حديث اسما بنت عميس هذا الذي رونه في رد الشمس لانه من علامات
النبوة اياتها الدالة عليها اذ هو معجزة عظيمة وهذا مويد لصحته فان احمد
هذا من كبار ايمة الحديث الثقات وحسبه ان البخاري روي عنه في صحيحه فلا
يلتفت الي من ضعفه وفي الالفيه

وربما كان بغير قادح ... كالنسائي في احمد بن صالح

انتهي كلام عياض قال بعضهم تعقبا عليه هذا الحديث ليس بصحيح
وان اوهم تخريج اي نقل القاضي عياض له في الشفا عن الطحاوي من
طريقين صحته فالمفعول محذوف اي بقوله قال وهذان الحديثان ثابتان رواتهما
ثقات فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع بلا شك
وفي سنده احمد بن داود وهو متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني
وقال ابن حبان كان يضع الحديث قال ابن الجوزي وقد روي هذا الحديث
ابن شاهين فذكره ثم قال ابن الجوزي وهذا حديث باطل وليس فاعل قال
ابن شاهين لان اسناده حسن ولذا قال السيوطي تبعا للحافظ اخطا ابن الجوزي
وقد نص ابن الصلاح وساير من تبعه علي تساهل ابن الجوزي في كتابه الموضوعات
بحيث خرج عن موضوعه لمطلق الضعف عني ابا الفرج حتي انه ادرج
فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة قال السيوطي

ومن غريب ما تراه فاعلم ... فيه حديث من صحيح مسلم

فهذه غفلة شديدة منه يحكم بوضع حديث في احد الصحيحين قال ابن الجوزي
ومن تغفل واضعه انه نظر الي صورة فضيلة هي رد الشمس حتي صلي
علي العصر ولم يلمح عدم الفايدة فيه وان صلاة العصر بغيبوبة
الشمس يصير قضا ورجوع الشمس لا يعيدها ادا انتهي وتعقبه
بانه لا وجه له لانها فاتته بعذر مانع من الادا وهو عدم تشويشه علي النبي
وهذه فضيلة ودل ثبوت الحديث علي ان الصلاة وقعت ادا وبذلك صرح القرطبي
في التذكرة قال فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه يتجدد الوقت لما ردها عليه
ووجهه ان الشمس لما عادت كانها لم تغب وفي الاسعاد لو غربت الشمس ثم
عادت عاد الوقت ايضا لهذا الحديث وتجويز حمل الغروب في كلام اسما علي
الشروع فيه او مقاربته فيكون عودها قبل غروب الشمس فيحصل به بقا الوقت
فمعني عادت عاد ظهورها كاملة فالوقت باق حقيقة فيه انه لا قرينة هنا علي
هذا الاحتمال الصارف للفظ عن المتبادر منه الذي حمله عليه الحفاظ المثبتون
للحديث والذين زعموا وضعه او ضعفه ولا دلالة في حديث جابر الاتي امر الشمس

فتاخرت

فتاخرت ساعة من نهار علي انه قبل الغروب بل الظاهر انه بعد الغروب
بدليل قوله بعده فزيد له في النهار ساعة علي ان حديث جابر فيه قصة
اخري غير هذه كما نبينه وقد افرد ابن تيمية الحافظ ابو العباس
احمد الشهير تصنيفا مفردا في الرد علي الروافض ذكر فيه هذا
الحديث بطرقه ورجاله وانه موضوع والعجب من القاضي عياض
مع جلالة قدره عظمته وعلو خطره بفتح الخا والطا علو قدره
ومنزلته علي ما في المصباح ففيه تجريد باستعمال الخطر في مجرد القدر
او انه قصد المبالغة وان المعني علو علو قدره علي ان في القاموس الخطر
قدر الرجل في علوم الحديث اذ هو من الحفاظ النقاد كيف سكت عنه
موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهي ولا عجب اصلا
لان اسناد حديث اسما حسن وكذا اسناد حديث ابي هريرة الاتي كما صرح
به السيوطي قايلا ومن ثم صححه الطحاوي والقاضي عياض وذكره ابن الجوزي
في الموضوعات كما بينته في مختصر الموضوعات وفي النكت البديعات انتهي
يعني لما تقرر في علوم الحديث ان الحسن اذا اجتمع مع حسن اخر او تعددت
طرقه ارتقي للصحة فالعجب العجاب انما هو من كلام ابن تيمية هذا لا من عياض
لانه الجاري علي القواعد المعلومة في الالفية وغيرها لصغار الطلبة ولذا
قال الحافظ في فتح الباري اخطا ابن الجوزي بذكره في الموضوعات وكذا ابن تيمية
في كتابه الرد علي الروافض في زعم وضعه انتهي وقال شيخنا السخاوي
في المقاصد قال الامام احمد لا اصل له وتبعه ابن الجوزي فاورده
في الموضوعات وكذا نقل ابن كثير عن احمد وجماعة من الحفاظ انهم صرحوا
بوضعه قال الشامي والظاهر انه وقع لهم من طريق بعض الكذابين ولم
يقع لهم من الطرق السابقة والا فهي يتعذر معها الحكم عليه بالضعف
فضلا عن الوضع ولو عرضت عليهم اسانيدها لاعترفوا بان للحديث اصلا
وليس بموضوع قال وما مهدوه من القواعد وذكر جماعة من الحفاظ
له في كتبهم المعتمدة وتقويته من قواه يرد علي من حكم عليه بالوضع انتهي
وكذا استدرك السخاوي علي زعم وضعه فقال لكن قد صححه الطحاوي
والقاضي عياض وناهيك بهما واخرجه ابن منده وابن شاهين من
حديث اسما بنت عميس باسناد حسن وابن مردويه من حديث ابي
هريرة باسناد حسن ايضا انتهي ورواه الطبراني في معجمه الكبير
باسناد حسن كما حكاه شيخ الاسلام قاضي القضاة ابن العراقي الحافظ
ولي الدين في شرح التقريب عن اسما بنت عميس ولفظها ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم صلي الظهر بالصهبا ثم ارسل عليا في حاجة
هي قسم غنايم خيبر كما في رواية للطبراني ايضا فرجع وقد صلي النبي صلي الله
عليه وسلم العصر فوضع صلي الله عليه وسلم راسه في حجر علي
فنام فلم يحركه حتي غابت الشمس فاستيقظ فساله اصليت قال لا فقال

عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه امتنع من الحركة فاصرا نفسه على حفظ نبيه وخدمته فرد عليه الشمس كي يصلي العصر اداء قالت اسما فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضا وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهبا وعند الطبراني ايضا عن اسما قالت اشتغل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنايم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا علي اصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضا صلى الله عليه وسلم وجلس في المجلس فتكلم بكلمتين او ثلاثة كانها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيبتها في العصر فقام علي فتوضا وصلى العصر ثم تكلم صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب وبهذا الحديث ايضا بان أن الصلاة ليست قضاء بل تعين الاداء والا لم يكن للدعا فايدة وفيه لفظ اخر عند الطبراني ايضا في الكبير كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه ويعرف ذلك حاضروه فانزل عليه يوما وهو في حجر علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما سري عنه صليت العصر قال لا ايهم اصله يا رسول الله فدعى الله بكلمتين او ثلاثة فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت اسما فرايت الشمس طلعت بعد ما غربت حين ردت حتى صلى العصر علي ومن القواعد ان تعدد الطرق يفيد ان للحديث اصلا ومن لطايف الاتفاقات الحسنة ان ابا المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضايل علي ورد الشمس له والسما مغيمة غيما مطبقا فظنوا انها غربت وهموا بالانصراف فاصحت السما ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وقال ارتجالا

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي	مدحي لال المصطفى ولنجله
واثني عنانك ان اردت ثناهم	انسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن	هذا الوقوف لخيله ولرجله

قال ابن العراقي وروى الطبراني ايضا في معجمه الاوسط باسناد حسن عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الشمس ان لا تغرب حتى تقدم عير قريش التي راها ليلة الاسرا واخبرهم بانها تقدم يوم كذا وقد ولى النهار ولم تجي فتاخرت ساعة من نهار الى انه قدمت فهذه قصة اخرى كانت وهو بمكة قبل الهجرة كما حمله الحافظ ابن حجر مرادا به الحديث المنقطع المذكور بقوله وروى يونس ابن بكير بن واصل الشيباني ابو بكر الكوفي صدوق يخطي روى له مسلم وابو داود والترمذي وابن ماجة والبخاري تعليقا مات سنة تسع وتسعين ومائة في زيادات المغازي عن شيخه محمد بن اسحاق بن يسار امام المغازي مما ذكره القاضي عياض في الشفا لما اسري بالنبي صلى الله

عليه

عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة بضم الراء الجماعة المترافقين في السفر ولا يذهب اسم الرفيق الا بالتفرق والعلامة التي في العير هي ان يتقدمها جمل اورق قالوا متى تجي قال يوم الاربعا بتثليث البا والكسر اولى كما في المحكم وغيره ممدود الهمزة مفتوحة على الثلاث وحكى ابن هشام فتح الهمزة وكسر البا وكسرهما وكسر الهمزة وفتح البا وقال هذه افصح اللغات فلما كان ذلك اليوم بالرفع والنصب والاولى اولى لانه نعت فاعل كان التامة بمعنى وجد اشرفت بمعجمة ورا مهملة وفا قريش اي قامت على شرف وهو المكان المرتفع لتنظر العير قادمة ام لا ينتظرون حال او مستانف اي يترقبون قدوم عيرهم في اليوم الموعود وقد ولى النهار قارب ذلك اليوم ان يتم ويدخل الليل بغروب الشمس ولم تجي العير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ربه ان يمد له ذلك اليوم حتى تجي العير قبل انقضايه فزيد له في النهار ساعة وذلك انه حبست عليه الشمس امسكها الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد حتى قدمت العير قبل غروبها وعورض هذا بما ورد واقتصر عليه البيضاوي والزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخططتان ده يطلع عليكم عند طلوع الشمس فخرجوا ينتظرون طلوعها فقال قايل منهم هذه الشمس قد طلعت فقال اخر وهذه الابل قد طلعت يقدمها المخ فقالوا ان هذا الا سحر مبين انتهى وهذا يعارضه قوله في الحديث الصحيح الذي اخرجه احمد برجال الصحيح لم تحبس الشمس على احد لفظ احمد عن ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس لا تحبس لبشر الا ليوشع بالشين معجمة ومهملة بن نون مجرور بالاضافة منصرف على الافصح وان كان اعجميا لسكون وسطه كنوح ولوط ونون بن افرايم بن يوسف كان يوشع يخدم موسى ويتبعه ولذا سماه الله فتاه وبقية رواية احمد ليالي سار الى بيت المقدس واخرجه الخطيب في تاريخه من حديث ابي هريرة بلفظ ما حبست الشمس على بشر قط الا على يوشع ليالي سار الى بيت المقدس يعني حين قاتل الجبارين يوم الجمعة بعد موت موسى وهرون في التيه وكان رحمة لهما وعذابا لاولئك وسال موسى ربه ان يدنيه من الارض المقدسة رمية حجر فادناه كما في الحديث وتنبى يوشع عند الاربعين وامر بقتال الجبارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس قاربت الغروب خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعى الله فرد عليه الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم فيه فدعى الله خر ويقال كان علم النجم صحيحا قبل فلما وقفت ليوشع بطل اكثره ولما ردت لعلي بطل جميعه قال الحافظ ابن كثير فيه انه هذا كان من خصايص يوشع وبه اشتهر حتى قال ابو تمام في قصيدة

فوالله ما ادري احلام نايم	المت بنا ام كان في الركب يوشع

فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه ان الشمس رجعت حتى صلى

علي بن ابي طالب العصر وقد صححه احمد بن صالح المصري وغيره لكنه
منكر اي ضعيف اذ المنكر من اقسامه ليس في شي من الصحاح والحسا
ن ممنوع لوروده من طرق ثلاثة حسان كما مر وتقرر انه يرتقي بذلك للصحة
وهو مما تتوفر الدواعي علي نقله لغرابته وتفردت بنقله امراة
من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها فيه نظر ايضا فقد رواه جماعة
وتعددت طرقه كما بينه في النكت وملخص الموضوع وسبل الهدي وغيرهم
انتهي كلام ابن كثير ولم يثبت في كل النسخ بل بعضها ويحمل الجمع بان المعني
لم تحبس علي احد من الانبيا غيري الا يوشع بن نون بخوه قول الحافظ
الحصر محمول علي الماضي للانبيا قبل نبينا وليس فيه انها لا تحبس بعد
الماضي انتهي وهو متعين لدفع التعارض بين الحديثين ومثله كثير في الاحاديث
كقوله لم يتكلم في المهد الا ثلاثة فالحصر اضافي وجمع ايضا بان خبر يوشع في رده
حبسها قبل الغروب وخبر علي في ردها بعده وبانه قاله قبل قصة خيبر وكذا
روي حبس الشمس لنبينا محمد صلي الله عليه وسلم ايضا يوم الخندق
حين شغل عن صلاة العصر فيكون علي هذا حبس الشمس مخصوصا
بنبينا وبيوشع بنا علي انها لم تحبس لغيرهما لصحة خبريهما دون غيرهما مما
ياتي كما ذكره اي حبسها يوم الخندق القاضي عياض في الاكمال شرح مسلم
له وعزاه لمشكل الاثار للطحاوي ونقله النووي في شرح مسلم في باب حل
الغنائم عن عياض واقره وكذا نقله الحافظ ابن حجر في باب الاذان من
كتابه تخريج احاديث الرافعي ومغلطاي في الزهر الباسم في سيرة
المصطفي ابي القاسم واقروه لكنه في فتح الباري قال لم اقف عليه في مشكل
الاثار انما فيه حديث اسما المار فان ثبت ـــ فهي قصة اخري ثالثة هـ
وتعقبه بان الثابت في الصحيح وغيره انه صلي الله عليه وسلم صلي
العصر في وقعة الخندق بعد ما غربت الشمس كما سبق في غزوتها
واجيب بانه كان في يوم اخر اذ وقعة الخندق كانت اياما وذكر البغوي في تفسيره
بلفظ حكي عن علي ان معني ردوها علي بقول سليمان يا مر الله الملايكة الموكلين
بالشمس بردها فردوها حتي صلي العصر وقتها وذلك انه كان يعرض عليه
الخيل الجياد غدوة حتي توارت بالحجاب فاختصره المص فقال انها حبست
لسليمان عليه السلام ايضا لقوله ردوها علي ونوزع فيه بعدم ذكر
الشمس في الاية فالمراد الصافنات الخيل الجياد واجيب بانه لو ثبت
عاد الضمير للشمس لعلمها وان لم يجر لها ذكر كقوله حتي توارت قال الحافظ لكنه
غير ثابت وجا ايضا انها حبست عن الطلوع لموسي ففي المبتدا لابن اسحاق عن
عروة انه تعالي امر موسي ان يحمل تابوت يوسف فلم يدل عليه حتي كاد الفجر يطلع
وكان وعدهم بالسير عند طلوع الفجر فدعي ربه ان يوخر الفجر حتي يفرغ ففعل
قال الحافظ وتاخير طلوع الفجر يستلزم تاخير طلوع الشمس لانه ناشي عنها فلا
يقال الحصر انما وقع في يوشع بطلوع الشمس فلا يمنع حبس الفجر لغيره قال

واخرج الخطيب في كتاب ذم النجوم عن علي قال سال قوم يوشع ان يطلعهم
علي بدء الخلق واجالهم فاراهم ذلك في ما من غمامة امطرها الله عليهم
فكان احدهم يعلم متي يموت فبقوا علي ذلك الي ان قاتلهم داود علي الكفر فاخرجوا
الي داود من لم يحضر اجله وكان يقتل من اصحاب داود ولا يقتل منهم فشكي
الي الله ودعاه فحبست عليه الشمس فزيد في النهار فاختلطت الزيادة بالليل
والنهار فاختلط عليهم حسابهم واسناده ضعيف جدا انتهي والله اعلم بصحة
ذلك كله في نفس الامر وضعفه قال القاضي عياض واختلف في الشمس
المذكور هنا فقيل ردت علي ادراجها اي احوالها التي كانت تسير عليها
نهارا وقيل وقفت ولم ترد قال البرهان وهو ظاهر قوله فحبست وقيل بطؤ
حركتها قال ابن بطال وهو اولي الاقوال قال عياض وكل ذلك من معجزات النبوة
انتهي قال بعض شراح مسلم والشمس احد الكواكب السيارة وحركتها مترتبة
علي حركة الفلك بها فحبسها علي التفاسير المذكورة انما هو بحبس الفلك لا حبسها
في نفسها انتهي واما ما روي من طاعات اي انقياد الجمادات جمع جماد وهو
لا روح فيه كالحجر والشجر والمراد جنسها لا جميعها وتكليمه لخطابه له
بالتسبيح والسلام ونحو ذلك كالسجود له مما وردت به الاخبار
فمنها اي مما روي من الطاعات تسبيح الطعام والحصي لف ونشر غير
مرتب وهو اولي وفي نسخة تقديم الحصي علي الطعام في كفه الشريفة
صلي الله عليه وسلم اي قول سبحان الله فخرج محمد بن يحيي بن
عبد الله الذهلي بضم الذال المعجمة واسكان الهاء وباللام النيسابوري الحافظ
روي عن احمد واسحاق وابن المديني وخلق وعنه البخاري والاربعة قال ابو بكر
ابن ابي داود كان امير المومنين في الحديث وقال الخطيب كان احد الايمة العارفين
والحفاظ المتقنين والثقات المامونين مات سنة ثمان وخمسين ومايتين في
الزهريات بزاي وراء كتابه قال الخطيب جمع فيه حديث الزهري وجوده وكان ابن
حنبل يثني عليه ويشكر فضله قال اخبرنا ابو اليمان الحكم بفتحتين ابن نافع
البهراني بفتح الموحدة الحمصي مشهور بكنيته ثقة ثبت من رجال الجميع
يقال ان اكثر حديثه عن شعيب مناولة مات سنة اثنين وعشرين ومايتين
قال انبانا شعيب بن ابي حمزة دينار الاموي مولاهم الحمصي ثقة عابد روي
له الجماعة قال ابن معين من اثبت في الزهري مات سنة اثنين وستين ومائة
او بعدها عن الزهري محمد بن شهاب العلم المشهور قال ذكر الوليد ابن سويد
ان رجلا من بني سليم بضم السين كبير السن كان ممن ادرك ابا ذر
بالربذة بفتح الراء والموحدة والذال المعجمة قرية قرب المدينة كانت عامرة اول
الاسلام ذكر له عن ابي ذر الغفاري قال هجرت بفتح الها وشد الجيم سرت
وقت الهاجرة وهي اشتداد الحر نصف النهار يوما من الايام فاذا النبي
صلي الله عليه وسلم قد خرج من بيته الذي كنت اعهد جلوسه
فيه فلا بنا في قوله فسالت عنه الخادم فاخبرني انه ببيت عايشة

اذ بيتها بينه وهو لم يعين بيته الاول الذي خرج منه وفي رواية البيهقي
وابن عساكر عن ابي ذر كنت اتتبع خلواته صلى الله عليه وسلم فرايته
يوما خاليا فاغتنمت خلوته فاتيته وهو جالس ليس عنده احد
من الناس وكانه حينئذ اريه بالضم اظن انه في وحي اي استماعه
وفي نسخة انه وحي ومعناها واري انه ما هو مشغول به وحي فسلمت
عليه فرد علي السلام ثم قال ما جاء بك قال قلت جاء بي الله ورسوله
فاشار بيده ان اجلس بفتح الهمزة وكسر النون ووصل همزة اجلس
وهي ان المفسرة لانها سبقت بجملة فيها معنى القول دون حروفه وبعدها
جملة فجلست الى ربوة بتثليث الراء ما ارتفع من الارض كما في القاموس وغيره
مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس الى جنب ابي
بكر وفي رواية البيهقي وابن عساكر وجلس عن يمين ابي بكر ثم جاء عثمان
كذلك وجلس الى جنب عمر اي عن يمينه كما في رواية ثم قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حصيات جمع حصاة سبع او تسع
او ما قرب من ذلك بالشك من الراوي وبالجزم بسبع في رواية البزار
ومن معه فالشك ممن دون ابي ذر فسبحن في يده بان قلن سبحان
الله حتى سمع لهن حنين تصويت كحنين تصويت النحل بالمهملة وهو
تشبيه في علو الصوت فقط فلا يرد ان دوي النحل ليس بالفاظ مفهومة
وتسبيح الحصى بالفاظ علم الحاضرون انها تسبيح وبان كل منها متكلم
باعتبار خلق الكلام فيها حقيقة خرقا للعادة في كف رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم وضعهن بالارض فخرسن ثم اخذهن وناولهن
ابا بكر كما في رواية البيهقي وغيره والمخرج متحد ففيه هنا اختصار
وجاوزني فسبحن في كف ابي بكر حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل
كما عند البيهقي وغيره ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن
وصرن حصى لا تسبيح فيه ثم تناولهن اي من الارض وناولهن
عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف ابي بكر وللطبراني والبيهقي
حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم اخذهن منه فوضعهن في
الارض فخرسن وصرن حصى ثم تناولهن اي من الارض وناولهن
عثمان فسبحن في كفه نحو ما سبحن في كف ابي بكر وعمر وللطبراني
والبيهقي حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم اخذهن فوضعهن
في الارض فخرسن فقال صلى الله عليه وسلم هذه خلافة النبوة كما في رواية
البيهقي والطبراني وغيرهما وبه يعلم وجه مجاوزته صلى الله عليه وسلم
لابي ذر مع انه كان اقرب اليه منهم في المجلس لانه ليس من الخلفا وقال
الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح حديث كنا نسمع تسبيح الطعام
قد اشتهر على الالسنة تسبيح الحصى ففي حديث ابي ذر تناول

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات بسين قبل الموحدة فسبحن
في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن في يد ابي بكر بعد
وضعهن في الارض فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم
وضعهن في يد عثمان فسبحن اخرجه البزار والطبراني في الاوسط
والبيهقي في الدلايل وابن عساكر في التاريخ وعندهم انه سمع لهن حنينا
كحنين النحل وفي كونهم مع الخلفا الثلاثة كالنبي صلى الله عليه وسلم
فالحافظ اختصره وفي رواية الطبراني فسمع تسبيحهن من في
الحلقة بسكون اللام وفتحها لغة ثم دفعهن الينا فلم تسبحن مع
احد منا ولم يذكر عليا فان كان تسبيحها مع غيره صلى الله عليه وسلم
مخصوصا بالخلفا فهو خليفة كابنه الحسن ايضا فيحتمل انه لم يكن
حاضرا ولانه خلافته ادركته الفتنة على ان مثله لا يثبت مقامه مع ماله
من المناقب كما قاله بعض شراح الشفا واستظهر بعضهم تعدد الواقعة
لان الرواية الاولى تقتضي انه لم يكن ثمة غير ابي ذر والثانية تقتضي انه
حضرها جماعة من الصحابة لقوله في رواية ابن عساكر من حديث انس بعد
عثمان ثم وضعهن في ايدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وعلى
كليهما لم يحضر علي معهم ففيه اشارة الى عدم امتداد خلافته استقلالا رضي
الله عنه وفيه ان الاصل عدم التعدد لاسيما مع اتحاد المخرج الذي هو ابو
ذر وورود عن انس لا يقتضي تعدد القصة اذ هي قصة واحدة رواها اثنان
وكون مقتضى حديث ابي ذر انه لم يكن غيره ثمة ومقتضى حديث انس انه
حضرها جمع لا يقتضي التعدد ايضا لانه من اختلاف الرواة بالزيادة والنقص
وقد صرح الحافظ وغيره بان تسبيح الحصى انما له هذه الطريق الواحدة مع
ضعفها قال البيهقي في الدلايل النبوية كذا رواه صالح بن ابي الاخضر
اليمامي مولى هشام بن عبد الملك نزيل البصرة ضعيف يعتبر به مات بعد
الاربعين ومائة روى له الاربعة كما في التقريب وسقط في نسخ المصنف لفظ ابي
قبل الاخضر مع انه في الفتح عن البيهقي بلفظ اداة الكنية وهو الصواب
ولم يكن بالحافظ واذ روى عن الزهري ونافع وروى عنه ابن مهدي
ومسلم وكان يخدم الزهري فقد لينه البخاري وضعفه النسائي عن سويد
ابن يزيد السلمي عن ابي ذر والمحفوظ ما رواه شعيب بن ابي حمزة
بمهملة وزاي واسمه دينار عن الزهري قال ذكر الوليد بن سليم ان رجلا
من بني سليم كان كبير السن ممن ادرك ابا ذر بالربذة ذكر له عن ابي ذر
انتهى وذكر ابن الحاجب عن بعض الشيعة ان انشقاق القمر وتسبيح الحصى
وحنين الجذع وتسليم الغزالة مما نقل احادا مع توفر الدواعي على نقله ومع
ذلك لم يكذب رواتها واجاب بانه استغنى عن نقلها تواترا بالقران
واجاب غيره بمنع نقلها احادا وعلى تسليمه فمجموعها يفيد القطع والذي
اقول انها كلها مشتهرة عند الناس واما من حيث الرواية فليست على حد

سوا فحنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع
عند من يطلع على طرق ذلك من ايمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة
له في ذلك واما تسبيح الحصى فليس له الا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها
واما تسليم الغزالة فلم اجد له اسناد الا من وجه قوي ولا من وجه ضعيف
ذكره الحافظ عقب كلام البيهقي بلفظ فايدة فاقتصر منه المص على قوله وليس
لحديث تسبيح الحصى الا هذه الطريق الواحدة وكانه لم يعتبر طريق
صالح وطريق شعيب وان اتحد المخرج لكن يرد عليه ان ابن عساكر اخرجه عن
انس فهي طريق ثالث لاختلاف المخرج وان اتحدت القصة مع ضعفها لكنه
مشهور عند الناس وذلك يجبر ضعف الطريق وما احسن قول سيدي
محمد وفا السبحه بضم السين بها ونور ذاك الوجه النبوي قد سبح
الحصى دلالة على صدقه ومن سح بفتح السين وشد الحا المهملتين صب
وسيلان سحيه جمع سحابه الكف اي ومن اجل عطاياه المشبهة للما الكثير
الذي يصبه السحابه قد سبح الرعد دلالة على كماله صلى الله عليه وسلم
وقول الاخر يا حبذا الوثن كفا قد سبحت وسطه بالسكون الحصا
بالمد للضرورة على احد القولين في جواز مد المقصور وفي نسخة الحصاه اي جنسها
وفي نسخة الحصبا بزيادة با وهي تحريف ينزحف به البيت وقد اخرج البخاري
في علامات النبوة والترمذي في المناقب من حديث ابن مسعود قال كنا نعد
الايات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
فقل الما فقال اطلبوا فضلة من ما فجا وابانا فيه ما قليل فادخل يده في الاناء
ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رايت الما ينبع من بين اصابعه
صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل هذا لفظ البخاري
واما قوله كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيح الطعام فهو لفظ الترمذي فتسامح المولف بعزوه للبخاري مع اتيانه
بلفظ الترمذي فلو عزاه لهما لسهل ذلك وقد قال الحافظ وتبعه المص قوله كنا
نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل اي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
غالبا ووقع ذلك عند الاسماعيلي صريحا من الوجه الذي اخرجه البخاري
بلفظ كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام
زاد الحافظ وله شاهد عند البيهقي كان ابو الدردا وسلمان اذا كتب احدهما
الى الاخر قال له باية الصحفة وذلك انهما بينا هما ياكلان في صحفة اذ سبحت
وما فيها انتهى ولابي الشيخ عن انس اتي صلى الله عليه وسلم بطعام ثريد فقال
ان هذا الطعام يسبح قالوا وتفقه تسبيحه قال نعم ثم قال لرجل ادن هذه القصعة
من هذا الرجل فادناها فقال نعم يا رسول الله هذا الطعام يسبح ثم قال ردها
فردها وظاهر هذين الحديثين انه كان يسبح بصوت سمعه في الفم ولا مانع منها
ثم هذا كله مما يستانس به لان معنى قوله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده تسبيح
حقيقي بلسان المقال لا بلسان الحال ويشهد له قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم

اذ

اذ لو كان بلسان الحال لفهمناه وفي قوله كنا دليل على تكرره وانه وقع
مرارا عديدة واية للنبي صلى الله عليه وسلم اعظم من تسبيح الجبال مع داود
وفهم منطق الطير لسليمان وعن جعفر الصادق بن محمد عن ابيه محمد
الباقر بن علي بن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن ابي طالب قال مرض
النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق اي وعا مجازا وان كان الطبق
لغة الغطا لانه على هيئته فيه رمان وعنب من الجنة على الظاهر وزعم
انهما من الدنيا اذ لو كان من الجنة لم يفن لقوله اكلها دايم لا يسمع لان ذاك في
يوم القيامة فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح اي فاراد الاكل
منه اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا كذا البعض
رواه اي ذكره القاضي عياض في الشفا بلا اسناد تعليقا قال السيوطي ولم
اجده في كتب الحديث يعني المشهورة فلا ينافي اطلاع عياض عليه ومن ثم نقله
عنه الحافظ ابو الفضل في فتح الباري في شرح حديث ابن مسعود ثم اعلم
ان التسبيح من قبيل الالفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد
حقيقة ممن قام به اللفظ وهو الحيوان الناطق فيكون في غير من قام به
مجازا علاقته المشابهة في النطق فالطعام والحصاة والشجر ونحو ذلك كل
متكلم باعتبار خلق الكلام اي التلفظ مع حياة حلته او بدونها يحتمل الامرين
اذ لا تلازم بين الحياة والنطق فيها حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة
اذ خلق الله فيها النطق بما تنزهه به لانه عبارة عن احد كان يسبح حين
احضر الطعام والحصيات ونحوها لانه خروج عن الظاهر بلا دليل وخوارق
العادات لا انقياس بالمعهودات وفي قوله ونحن نسمع تسبيحه تصريح
بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه مع انه ليس بمعهود وذلك
ببركته صلى الله عليه وسلم حيث سرى سره اليهم وهي اعظم من معجزة
داود عليه السلام في تسبيح الجبال معه لانها لم تسبح بيده بخلاف نبينا فسبحت
بيده وبيد من اراده من امته وتسبيح الطعام اعظم منها اذ لم يعهد مثله
والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع ومن فهم سليمان منطق الطير لانه
ناطق في الجملة بخلاف الطعام والله اعلم ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى
الله عليه وسلم قال ابن سيد الناس يحتمل ان يكون هذا التسليم حقيقة ويكون
الله انطقه بذلك كما خلق الحنين في الجذع ويحتمل انه يكون مضافا الى ملايكة
يسكنون هناك من باب واسال القرية فيكون من مجاز الحذف وهو علم ظاهر من
اعلام نبوته على كلا التقديرين انتهى وبالاول جزم النووي فقال في شرح مسلم
سلامه حقيقة وقيل في قوله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده انه حقيقة تمييز
يخلقه الله تعالى ونقله الابي واقره خرج مسلم من حديث جابر بن سمرة
صحابي بن صحابي نزل الكوفة ومات بها بعد ستة تسعين قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي اي يقول السلام
عليك يا رسول الله ونحوه قبل ان ابعث اني لاعرفه الان وتكبيره وتاكيده

بان استحضار المشاهدة حتى كانه يسمع سلامه الان قاله عياض اشارة
الى ان له شانا خاصا به وانه حجر ليس كسائر الحجارة ولذا روي انه الحجر الاسود
فلا يقال لا فائدة في ذكر حجر واحد مع انه كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه
وقد اختلف في هذا الحجر فقيل هو الحجر الاسود كما روي في بعض
المسندات قاله في الروض والعيون وقال في الاكمال وفي غير مسلم كانوا يرونه
الحجر الاسود انتهى فصرحوا بانه رواية ولا ينافيه قوله اني لاعرفه الان
اذ الحجر الاسود يشاركه في معرفته الناس لان المراد اني لاستحضر ذلك
ولم انسه حتى كاني اسمع سلامه الان كما ذكره عياض وقيل هو حجر غيره
بزقاق يعرف به اي بزقاق الحجر بمكة وزقاق المرفق والناس يتبركون
بلمسه ويقولون انه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
متى اجتاز به ولكن الاول اصح لانه رواية وقد ذكر الامام ابو عبد الله محمد
رشيد بضم الرا مصغر رشد نسبة لجده الاعلى اذ هو محمد بن عمر بن محمد بن
عمر بن محمد بن ادريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رشيد
الفهري السبتي ولد بها سنة سبع وخمسين وستماية وكان اماما حافظا
متضلعا من العلوم على الاسناد صحيح النقل اخذ عن خلق بالمغرب والشام
والحجاز ضمنهم رحلته وعاد الى غرناطة فنشر بها العلم ومات بفاس سنة احدى
وثلاثين وسبعماية في رحلته التي سماها ملا العيبة وهي ست مجلدات مما ذكره
في شفا الغرام في تاريخ البلد الحرام للحافظ تقي الدين محمد بن احمد الشريف الفاسي
عن علم الدين احمد بن ابي بكر بن خليل العسقلاني قال اخبرني عمي سليمان
قال اخبرني محمد بن اسماعيل بن عبد الله ابن ابي الصيف بصاد مهملة
اليمني سمع بمكة ابا نصر عبد الرحمن اليوسفي والمبارك بن الطباخ وطبقتهما قال
الذهبي كان عارفا بالمذهب وحصل كثيرا من الكتب وله نكت على التنبيه مشتملة
على فوائد وجمع اربعين حديثا عن اربعين شيخا من اربعين مدينة سمع الكل
بمكة وكان على طريقة حسنة وسيرة جميلة وخير مات بمكة في ذي الحجة سنة
سبع وقيل ست وستماية قال اخبرني ابو حفص الميانشي نسبة الى ميانش
قال في المراصد بالفتح وتشديد الثاني اي التحتانية فالف فنون مكسورة وشين
معجمة قرية من قرى المهدية فيها ما عزبه اذ قصر الما بالمهدية استخلي منها
قال اخبرني كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر يعني المذكور في كلام ابن رشيد
من انه الحجر المبني في الجدار المقابل لدار ابي بكر المشهورة بسوق الليل هو الذي
كلم النبي صلى الله عليه وسلم لكنه وان اشتهر لا يعادل الاول لانه رواية
وروى الترمذي وقال حسن غريب والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن ابي
طالب قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في
بعض نواحيها وفي الشفا عن علي فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا حجر الا قال له كل منهما السلام عليك يا رسول الله بان خلق الله
فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه لا تلازم بينهما كما سبق لكن قال بعض الظاهر

انه كان فيه حياة ايضا وهذا كما قاله ابن اسحق كان في بدء النبوة
تطمينا لقلبه وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعد ذلك واجابتهم
لدعوته وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل اي نزل علي واتاني
بالرسالة جعلت اي صرت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله وامر بعديه الحجر كيف تنكره البشر رواه البزار
وابو نعيم وثبت حديث عايشة هنا في نسخ وسقط في اخرى وياتي للعلم
قريبا اعادته مع حديث علي قبله في قوله ومن ذلك كلام الشجر والانكار
لانه ساقها هنا استدلالا على تسليم الحجر وثمة على كلام الشجر وعن
جابر بن عبد الله في ابتدا بعثته رضي الله عنهما قال لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم في ابتدا بعثته يمر بحجر ولا شجر الا سجد
له اي انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود تواضعا له وتعظيما
وتكريما كما سجدت الملايكة لادم والسجود لغير الله انما يمتنع من البشر
رواه بعض بعده وقد رواه البيهقي في الدلايل عن جابر بلفظه ومثله لا يقال
رايا فيحتمل انه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم كحديث عايشة قبله ويحتمل
من غيره ممن شاهد ذلك لا انه من باب الكشف كما زعم بعض اذ لا دخل له
في الاحاديث ولا انه شاهد ذلك لانه في ابتدا بعثته ولم يكن جابر حينئذ معه
ومن ذلك تامين اسكفة بضم الهمزة والكاف بينهما مهملة ساكنة ثم فاء
ثقيلة مفتوحة فها عتبة الباب العليا وقد تستعمل في السفلى والجمع اسكفات
وحوايط البيت جمع حايط اي جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه على
دعايه عليه الصلاة والسلام عن ابي اسيد بضم الهمزة وفتح المهملة
مالك بن ربيعة الساعدي مشهور بكنيته شهد بدرا وغيرها ومات سنة
ثلاثين وقيل بعد ذلك حتى قال المدايني مات سنة ستين قال وهو اخر من
مات من البدريين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس
ابن عبد المطلب يا ابا الفضل كنيته باسم اكبر اولاده لا ترم بفتح الفوقية
وكسر الرا قال ابن الاثير اي لا تبرح يقال رام يريم اذا برح اي زال من مكانه
واكثر ما يستعمل في النفي منزلك واورده في النهاية لا ترم من منزلك بزيادة
من انت وبنوك غدا وهم عبيد الله وعبد الله والفضل وقثم كذا اقتصر
بعضهم ولعله بيان للحاضرين اذ ثبت بذلك رواية والا فقد تقدم في
الاعمام ان له ذكورا عشرة وثلاث اناث فالثلاثة المذكورين او لاسماع ونعيم
ومعبد وعبد الرحمن وشقيقتهم ام حبيب وكثير وتمام لام ولد والحارث
وامه من هذيل وعون وامنة وصفية لكلهم روية حتى اتيكم فان لي
فيكم حاجة منفعة اوصلها لكم وجعلها له لشدة رافته بهم او اوحي اليه
بذلك فهي له فانتظروه حتى جا بعد ما اضحى فدخل عليهم فقال
السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف

اصبحتم قالوا اصبحنا بخير نحمد الله تعالى فقال لهم تقاربوا فتقاربوا
يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا امكنوه من انفسهم حتى اتصلوا به
اشتمل استولى عليهم واحاط به وضمهم بملاءته بضم الميم ولام وهمزة والمد
وهي الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار له شقتان فان كان له شقة واحدة
فريطة براء وطاء مهملتين فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي بكسر المهملة
اي قرينه ومثله في الشفقة عليه وهؤلاء اهل بيتي اي منهم فاسترهم
من النار امنعهم من دخولها وارتكاب ما يوجب عذابها فهو مجاز عن
ذلك اذ الستر ملزم للمنع المستور وحجبه وشبه بعد التجوز فقوله كستري
اياهم بملاءتي هذه قال فامنت بفتح الهمزة والميم الشديدة اسكفة
الباب وحوائط البيت فقالت امين امين امين ثلاثا في نسخ ومثله
في ابن كثير والشامي وفي نسخ مرتين ومثله في الشفا وهو اما على التوزيع
اي قالت الاسكفة امين والحوائط امين واما ان كل واحد منهما كرر امين تاكيدا
وتحقيقا للمقال اذ قد يغفل عن مثله رواه البيهقي في الدلائل النبوية
مطولا وابن ماجة مختصرا ومن ذلك كلام الجبل بقوله اثبت او
اسكن اثبت ونحوهما وكلام الجبل بقوله اهبط الخ له صلى الله عليه
وسلم وعد هذا من طاعة الجماد انه له من حيث انه صلى الله عليه وسلم
لما خاطبه انقاد له حتى علم ما قال واستقر بامره وبهذا يطابق الترجمة
عن انس بن مالك قال صعد بكسر العين علا النبي صلى الله عليه وسلم
احدا بضمتين وقد يسكن ثانيه وقيل انه صخرة جبل بالمدينة مر الكلام عليه
في الخارجي هكذا احد يعدى بنفسه في رواية البخاري في مناقب ابي بكر
وعثمان وله في فضل عمر صعد النبي الى احد فعداه بالى وكلاهما جائز ويعدى
ايضا بفي كما في اللغة وابو بكر وفي مناقب عثمان وعمر ومعه ابو بكر وعمر
وعثمان هكذا الرواية في البخاري في المواضع الثلاثة وفي غيره ايضا بتقديم
احد على قوله وابو بكر كما في كثير من نسخ المص مع تاخير قوله احد عن عثمان
خلاف الرواية فرجف بفتح الراء والجيم تحرك واضطرب بهم احد فضربه
النبي صلى الله عليه وسلم برجله تسميته ضربا حقيقة اذ الضرب امساس
جسم جسما بعنف وبعضهم قيد الممسوس بكونه حيوانيا فيكون مجازا بتنزيل
الجبل منزلة الحيوان لكونه صار يحس ويفهم ما يقوله المصطفى له وقال
اثبت امر من الثبات لفظ البخاري في مناقب الشيخين ولفظه في مناقب عثمان
اسكن احد منادى حذفت اداته اي يا احد ونداؤه وخطابه يحتمل المجاز
والحقيقة لكن الظاهر الحقيقة فحمله عليها اولى كقوله احد جبل يحبنا
ونحبه ويؤيده ضربه برجله قاله الحافظ والمص فانما عليك نبي وصديق
ابو بكر وشهيد عمر وعثمان وللبخاري في مناقب عمر فما عليك الا نبي او
صديق او شهيد واو للتنويع وشهيد للجنس ووقع في رواية البخاري وهو
ابو ذر بلفظ نبي او صديق او شهيد فقيل بمعنى الواو وقيل تغييرا لاسلوب

للاشعار

للاشعار بمغايرة الحال لان صفة النبوة والصديقية كانتا حاصلتين بخلاف
صفة الشهادة فانها لم تكن وقعت حينئذ قاله الحافظ رواه احمد في المسند
والبخاري والترمذي كلاهما في المناقب وكذا النسائي وابو حاتم وابو داود
في السنة قال ابن المنير قيل الحكمة في قوله صلى الله عليه وسلم ذلك القول
انه لما رجف بابه قيل اراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه
الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما امره الله ان ياتيه
بسبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم
رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع
وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخله موسى بهم وخروا
سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها
اي ماتوا
لما حرفوا الكلم وان تلك
الواقعة لقوم موسى رجفة الغضب عليهم وهذه هزة بكسر الها وشد
الزاي نشاط وارتياح الطرب الفرح والخفة اللاحقة من السرور ولهذا نص
على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت
به لا رجفانه بمقتضى اضطرابا لشديد لما قرا اي اثبت النبي صلى الله عليه
وسلم الجبل بذلك القول فاستقر ثبت انتهى كلام ابن المنير ويرد عليه ان كونه
اراد بيان ذلك لا يظهر مع قوله فانما عليك لانه يحثه عن تلك الحالة فلو كانت
فرحا لاقره وما نهاه بل قد يقتضي ذلك زيادة فرحه فتزداد هزته والجواب
انه اراد تسكينه خشية الضرر لاصحابه باستمرار تحركه وقد تتساقط احجاره
فينهدم بهم فكانه قال كف عن هذا الفرح الزائد اي اظهاره لئلا يتولد منه ضرر
والذي يظهر لي انه اراد لومه على فعله لانه وان كان فرحا لكن فيه ترك الادب
مع من عليه ويدل لذلك التعليل بقوله فانما عليك الخ وقد قيل سبب تحركه مهابته
صلى الله عليه وسلم او خوف الجبل من الله او انه لزلزلة اتفقت عند صعودهم عليه
واحد جبل بالمدينة على اقل من فرسخ منها لان بين اوله وبين بابها المعروف
بباب البقيع ميلان واربعة اسباع ميل تزيد قليلا كما حرره السمهودي وهو
الذي قال فيه احد جبل خبر موطئ لقوله يحبنا ونحبه حقيقة لان جزاء
من يحب ان يحب وزاد في رواية احمد وهو من جبال الجنة رواه البخاري
ومسلم عن انس والبخاري ايضا عن سهل وفي رواية لهما ايضا ان احدا
واختلف في المراد بذلك فقيل اراد به اهل المدينة الانصار لانهم جيرانه
احد فهو من مجاز الحذف كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها قاله
الخطابي قال الشاعر

وما حب الديار شغفن قلبي ۞ ولكن حب من سكن الديارا

وقال البغوي فيما حكاه الحافظ المنذري الاولى اجراؤه على ظاهره
من انه حب حقيقي من الجبل ورجحه النووي وغيره ولا ينكر وصف الجمادات

التي هي سبب دعوى المجاز لعدم عقلها تحب الانبيا والاوليا واهل
الطاعة عطف عام على خاص كما حنت الاسطوانة بضم الهمزة والطا
والنون اصلية عند الخليل فوزنها افعوالة وزايدة عند بعضهم والواو اصل
فوزنها افعلانة والمراد بها الجذع الذي حن له كما ياتي على مفارقته صلى
الله عليه وسلم لما تركها وخطب على المنبر فخار كخوار الثور حتى صاح
الناس حنينها الى ان سكنها كما ياتي تفصيله وكما اخبر ان حجرا
كان يسلم عليه بمكة قبل الوحي كما مر قريبا فلا ينكر ان يكون جبل احد
وجميع اجزا المدينة تحبه حقيقة وتحن اليه حالة مفارقته اياها
انتهى وقال الحافظ المنذري هذا الذي قاله البغوي جيد لان فيه
ابقا اللفظ على حقيقته الذي هو الاصل ودفع توهم بغايه على حقيقته
وقد صحح النووي وغيره فوضع الله الحب في الجبل حقيقة كما وضع التسبيح في
الجبال مع داود والخشية في الحجارة التي قال وان منها لما يهبط من خشية الله
وقدمت مزيدا في غزوة احد وعن ثمامة بمثلثة مضمومة وميمين خفيفتين
ابن شراحيل اليماني مقبول من اواسط التابعين روى له ابو داود والترمذي
والنسائي وروايته له في الكبرى كما في التقريب وغيره ووهم من زعم انه ثمامة
ابن اثال الصحابي لانه لا حديث له في الكتب الستة عن عثمان بن عفان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمثلثة مفتوحة وموحدة
مكسورة وتحتية ساكنة وراء مهملة جبل بالمزدلفة على يسار الذاهب الى منى مكة
احترز عن غيره فان ثبيرا متعدد ومعه ابو بكر وعمر وانا اي عثمان الراوي
فتحرك الجبل تحركا قويا حتى تساقطت حجارته بالحضيض بمهملة
وضادين معجمتين بينهما تحتية ساكنة فركضه ضربه صلى الله عليه وسلم
برجله وقال اسكن ثبير منادى بحذف الاداة فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان خرجه النسائي والترمذي والدارقطني الحضيض القرار
من الارض عند منقطع الجبل كما قيد به الصحاح ومختاره واسقط القاموس
عند منقطع الجبل وهو بفتح الناحية ينتهي اليه طرفه اسم معنى اي مصدر
ميمي اما بكسر الطا فالشي نفسه اسم عين وركضه برجله اي ضربه بها
يقال ركض البعير اذا ضربه برجله واصل الركض تحريك الرجل ومنه اركض برجلك
كما في الصحاح وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على
حرا منادى بحذف الاداة جبل على ثلاثة اميال من مكة هو وابو بكر وعمر
وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة التي هي موضع وقوفهم وسمي
الجبل باسم صخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حرا منادى بحذف
الاداة فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وهم من بعد الصديق لانه كلا
قتل شهيدا كما مر مفصلا في الكتاب وغيرنا وتقدير فما كل احد ممن عليك والاحد
الداير لا يخرج عن الثلاثة ولا يقتضي وصف كل واحد بالثلاثة اذ وصف النبوة
قاصر على المصطفى ولعل حكمة او وهنا الاشارة الى ان الامر بالسكون يكفي به

كل واحد بانفراد لشرف كل وجمع فيما مر بالواو لبيان الواقع وفي رواية و سعد
ابن ابي وقاص مالك الزهري وسعد لم يستشهد بل مات بقصره بالعقيق
فلا يبعد انه استشهد بسبب غير القتل ولم يذكر عليا معهم في هذه
الرواية وان كان شهيدا فالمتحصل من الروايتين ذكر سعد وعلي معا معا و
جمعهما اي الروايتين عن ابي هريرة مسلم وانفرد بذلك المذكور منهما
عن البخاري وخرجه الترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا بل عليا
فرجحت رواية مسلم الاولى على الثانية وقال اهدا احرا بالهمز والجزم بلا ثم
مكان اسكن هو بمعناه قال الجوهري هدا سكن وقال حديث صحيح وخرجه
الترمذي ايضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان عليه العشرة فعد نفسه
فيهم ولم يقتل فيحمل على انه استشهد بغير القتل الا ابا عبيدة بن الجراح
وقال اثبت حرا مكان او اهدا وكذا رواه الخلعي بكسر ففتح نسبة الى بيع
الخلع لانه كان يبيعها للملوك بمصر ابو الحسن علي بن الحسين الموصلي
الاصل المصري المولود بها في محرم سنة خمس واربعماية الفقيه الصالح
له كرامات وتصانيف اعلا اهل مصر اسنادا جمع له احمد بن الحسن
الشيرازي عشرين جزا خرجها عنه وسماها الخلعيات ومات على
سنة اثنين وتسعين واربعماية وتقدم ذلك ايضا بحثه عن سعيد بن
زيد بنحوه بنحو رواية الترمذي ولم يذكر ابا عبيدة بن الجراح ايضا
كما لم يذكره الترمذي ورواه ايضا اسحاق بن ابراهيم بن يونس المنجنيقي
ابو يعقوب الوراق البغدادي نزيل مصر ثقة حافظ مات سنة اربع وثلثماية
وعنه النسائي في كتابه ما رواه الكبار عن الصغار والاصل فيه
رواية النبي صلى الله عليه وسلم عن تميم خبر الجساسة والاباء عن الابنا
وهو نوع منهم من فرايده امن انقلاب السند ولله در القايل وقال حرا
بخفه بالمد وفي نسخة ومال حرا من بخفه مجرا بالقصر وبالصرف عليها
وتقدم ان لغاته جمعت في بيت

حرا وقبا ذكر وانثهما معا ومد او قصر واصرفن وامنع الصرفا

فرحا به فلو لا مقال اي قول النبي صلى الله عليه وسلم له اسكن فتضعضع
انهدم حتى الارض وانقضى ذهبت اثاره فلم يبق منه شي وحرا وثبير
جبلان متقابلان اي احدهما مقابل الاخر في الجملة لا يفيد التحاذي وهو
الاستوا في المقابلة فلا ينافي ان حرا اقرب الى مكة من ثبير معروفان بمكة
واختلاف الروايات تحمل على انها قضايا وقايع تكررت قاله الطبري
فيكون وقف على كل واحد حرا وثبير وتحرك كلا وخاطبهم بذلك جمعا
بين الروايات لصحة جميعها لكن صحح الحافظ ابن حجر في اول كلامه
ثم رجع عنه في اخره انه احد حيث قال في قوله صعد احدا ولمسلم وابي
يعلى من وجه اخر حرا والاول اصح ولولا اتحاد المخرج
لجوزت تعدد القصة ثم ظهر لي ان الاختلاف فيه من سعيد بن ابي

عروبة راوي الحديث عن قتادة عن انس فاني وجدته في مسند الحارث
ابن ابي اسامة عن روح ابن عبادة بن العلا بن حسان البصري ثقة
من رجالهم عن سعيد بن ابي عروبة فقال فيه احد وحرا بالشك وقد
اخرجه من حديث بريدة بن الحصيب الصحابي بلفظ حرا واسناده
صحيح واخرجه ابو يعلي من حديث سهل بن سعد بلفظ احد
واسناده صحيح فقوي احتمال تعدد القصة اذ لا وجه لاهمال بعض
الروايات وطرح بعضها مع صحة جميعها واخرج مسلم من حديث
ابي هريرة ما يويد تعداد القصة فذكر انه كان علي حرا ومعه
الجماعة المذكورون هنا في حديث انس وهم العمران وعثمان وزاد له
معهم غيرهم وهم علي وطلحة والزبير وقد سبق لفظه قريبا ولما ذكر الحادث
تكليم المصطفي للجبل ذكر حديث تكليم الجبل له فقال ولما طلبته عليه الصلاة
والسلام قريش حين خرج مهاجرا وارسلوا خلفه من يطلبه وقد صعد ثبيرا
قال له ثبير اهبط يا رسول الله انزل من فوقي واذهب الي مكان اخر تختفي
به عنهم اني اخاف ان يقتلوك علي ظهري فيعذبني الله بالسبب
عطفا علي يقتلوك فانما خاف العذاب بسبب قتله لانه لم يذكر له ذلك مع
علمه بانه لا مكان فيه يستره كانه غشا منه يستحق به العذاب او لانه لو قتل علي
ظهره غضب الله علي المكان الذي يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب علي ارض
ثمود فلا يرد كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر اخري ويوجه بان خوفه
بمعني حزنه وتاسفه عليه ونحو ذلك مما لا وجه له فقال له حرا الي
بتشديد اليا المفتوحة اي اتت او هو اسم فعل بمعني اقبل يا رسول الله
الهمه الله تعالي ان يقدره علي انه ينشق ويستتر في جوفه ونحو ذلك مما تقع به
سلامته فلم يذهب اليه لسبق تعبيره بما يخاف ان يطلبوه فيه رواه اي ذكره
في الشفا بلا اسناد بلفظه وقد روي انه حين طلبته قريش فذكره وهو حديث
مروي في الهجرة من السير بلا اسناد ولم يخرجه في مناهل الصفا وحرا
مقابل مواجه لثبير والوادي بينهما وهما علي يسار السالك الي
منى وحرا قبل ثبير مما يلي شمال الشمس وهذه الواقعة غير واقعة
ثور في خبر الهجرة فكانها كانت قبل توجهه الي غار ثور الذي اختفي فيه
هذا هو الظاهر والله اعلم لكن مقتضي قوله في حديث الصحيح انا النبي صلي
الله عليه وسلم والصديق وعد الدليل بغار ثور انهما لم يخرجا من مكة قاصدين سواه
قال السهيلي في حديث الهجرة واحسبه اظن في الحديث ان ثورا ناداه
ايضا الي يا رسول الله لما قال له ثبير اهبط عني فيكون ناداه كل من
ثور وحرا والله اعلم بصحته ومن ذلك كلام الشجر وهو ما قام علي ساق
وما عداه نبات وقد يطلق علي بعضه شجر كاليقطين والحنطة وسلامها
عليه اي الشجر وهو اسم جنس يذكر ضميره ويونث عطف خاص علي عام
وطواعيتها انقيادها له بغير الكلام لان مجيئها شقها للارض ليس

من الكلام فهو مباين وان حمل علي الطواعية بالكلام وغيره كان عطف عام
فالاول اولي وشهادتها له بالرسالة خاص علي عام صلي الله عليه
وسلم وهذا التسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من خصايصه علي الانبيا
والمرسلين كما في الانموذج اخرج البزار وابو نعيم من حديث عايشة
قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لما اوحي الي وفي رواية لما
استقبلني جبريل بالرسالة جعلت بفتح الجيم مبني للفاعل اي صرت ويحتمل
ضمها مبني للمفعول اي جعلني الله لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله ففيه كلامها له وشهادتها له بالرسالة وروي ابو نعيم في
الدلايل عن برة قالت لما اراد الله كرامة نبيه كان يمضي الي الشعاب وبطون الاودية
فلا يمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وكان يرد عليهم
وعليكم السلام قال الذهبي لعله رد عليهما السلام مكافاة لا وجوبا اذ ليست
مكلفة انتهي والتوقف فيه باحتياجه لنقل قصور فقد علم من روايته وروده
بان السلام شرع تحية موجبة للرد في حق البشر لانه امان ولست منا هكذا
ساقط فالمكافاة لغير الاهل وخرج الامام احمد عن ابي سفين طلحة
ابن نافع الواسطي ابو سفيان الاسكاف نزل مكة صدوق من صغار التابعين
عن جابر بن عبد الله قال جا جبريل الي رسول الله صلي الله عليه
وسلم ذات يوم اي في ساعة من يوم وهو جالس حزين مهموم علي ترقبه
ان يحل بهم العذاب اذ كذبوه لا لحظ نفسه لانه كان لا يغضب لها بل اذا انتهكت
حرمات الله والي هذا اشار القاضي عياض بقوله في الشفا وحزنه لتكذيبه
قومه وطلبه الاية لهم لا له اي لانه علي يقين من امره عالم بقدر ربه ثم هذا
لفظ جابر عند احمد وفي حديث انس عند الدارمي وغيره ان جبريل قال للنبي
وراه حزينا وهو ما اورده في الشفا وهو جملة حالية اي وقد راه محزونا لعدم
اطاعة قومه له في اول البعثة اذ عرض نفسه علي القبايل فخضب بالدما لانه
ضربه بعض اهل مكة لما صدع بامر الله فاجتمعوا عليه واخذوه وقالوا انت
جعلت الالهة الها واحدا فما دنا منهم الا ابو بكر فدفعهم عنه وهو يقول
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله كما مر في القصة الاولي فقال ما لك
اي شي عرض لك حتي جلست حزينا فقال رسول الله صلي الله عليه
وسلم فعل بي هولاء الكفار وفعلوا بتكرير الفعل اشارة الي تكرار اذاهم
وكثرة انواعه من غير حصر لا انه مرتين فقط فهو علي حد كرتين ورب ارجعوا
ولا يقال حذف المفعول يوذن بالعموم لانا نقول العموم ولو في نوع فقط
بخلاف تكرار الفعل وفي حديث علي عند البزار اخذته قريش فهذا يجاه وهذا
يتلتله وفي حديث عمرو بن العاص ما رايت قريشا ارادوا قتل النبي صلي الله
عليه وسلم الا يوما اغروا به وهم في ظل الكعبة وهو يصلي عند المقام فقال
له جبريل اتحب ان اريك اية معجزة تزيل حزنك لان الجهاد اذا طاع دعوته
دل ذلك علي ان الناس تطيعه بعد ذلك لكن تاخير ذلك لحكم حقية اوانه

تدل من نظر اليها او علمها علي صدقك ويزول بها حزنك فقال نعم احب
ذلك ليزول حزني واعلم ان الله سينصرني ويلين قلوبهم قومي لاجابة دعوتي
فنظر الي شجرة من وراء الوادي الذي كان فيها مع جبريل فقال جبريل ادع
تلك الشجرة اي مرها ان تاتي اليك ولم يامرها هو اشارة الي ان المعجزة له لا لجبريل
فدعاها فجاءت تمشي حتي قامت بين يديه اي بمكان قريب منه صلي الله
عليه وسلم فقال جبريل مرها فلترجع الي مكانها الذي كانت فيه فامرها
فرجعت الي مكانها الذي كانت فقال صلي الله عليه وسلم حسبي حسبي
ذلك دليلا علي تصديقهم لي وان انكروا عنادا فلا احزن وفي حديث عمر عند
البيهقي فقال لا ابالي من كذبني بعد هذا من قومي ولعله ظهر ذلك لقوة تجيبه
راوه فلا عذر لهم في عدم تصديقه لانه بعد روية الايات البينات عناد محض
ورواه الدارمي من حديث انس بنحوه واخرجه البيهقي من حديث عمر بنحوه
ايضا وهي قصة واحدة اختلفت الطرق فيها بنقص التغيير والزيادة هذا هو
الاصل وتجويز التعدد بعيد وعن علي قال كنت امشي مع النبي صلي الله
عليه وسلم بمكة في ابتدا النبوة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله اي لم
يقع في مقابلته جبل ولا شجر فنسب الاستقبال لهما اشارة الي ادراكهما حتي
كانهما توجها لمقابلته والا فكان الظاهر فما استقبل جبلا ولا شجرا الا وهو
يقول السلام عليك يا رسول الله لما في الصحاح كل شي جعلته تلقا وجهك
فقد استقبلته واستقبلت الشي ولجهته فهو مستقبل بالفتح اسم مفعول
رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب من جهة تفرد راويه فلا
ينافي قوله حسن ورواه ايضا الدارمي والحاكم وصححه كما قدمه المص في ترجمة
تسليم الحجر واعاده هنا في ترجمة تسليم الشجر فلا تكرار لاختلاف المراد من
سوقه وكذا ذكر حديث عايشة المذكور اول هذه الترجمة في المحلين لذلك فلا تكرار
وخرج الحاكم في مستدركه علي الصحيحين باسناد جيد اي مقبول عن
ابن عمر بن الخطاب قال كنا مع النبي صلي الله عليه وسلم في سفر فاقبل
اعرابي فلما دني قرب منه قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم اين
تريد اي تقصد بسيرك اي مكان قال الي اهلي اي الي المكان الذي فيه اهلي
ليطابق الجواب السوال وحذف مكان للعلم به اذ لابد لاهله من مكان او لعدم
تعلق غرضه بخصوص المكان اذ مراده الذهاب الي اهله في اي مكان كانوا
او لانهم كانوا انزاله رحاله لا مكان لهم وعداه بالي والارادة متعدية بنفسها
لتضمنه معني التوجه وقدم سواله تانيسا له وازالة لما في نفسه من مهابته
لانه كان مهيبا لمن راه وتوطية لقوله قال هل لك غرض في الوصول الي خير
مما انت فيه اذ لك عليه ولك خبر مبتدا محذوف قال وما هو الخير الذي
تدعوني له قال تشهد ان لا اله الا الله وحده حال لازمة اي متوحدا منزها
عن شريك في ذاته وصفاته وفي كونه معبودا بحق لا شريك له تاكيد
لوحدانيته بعد تاكيد وان محمدا عبده ورسوله قدم العبودية تنزيها لنفسه
عن

عن الاطرافي مدحه ولم يقل واني عبده ورسوله لاحتمال ان الاعرابي كان
يعرف شهرته ولا يعرف عينه قال هل لك من شاهد اية ومعجزة لا احد
الشهود علي ما تقول من الرسالة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
هذه الشجرة شاهدي وفي رواية قال هذه السمرة بفتح المهملة وضم
الميم وراء مفتوحة شجرة عظيمة ذات شوك من الطلح واشار اليها لقربها
منه وجمعها سمر بفتح السين وضم الميم وسكونها كما في اللغة لا بفتح
السين كما وقع لبعض فدعاها رسول الله صلي الله عليه وسلم وهي
علي شاطي بمعجمة والف ومهملة وهمزة جانب الوادي الارض المتسعة
المستوية من ودي بمعني سال لما فيها من المياه السايلة فاقبلت تخد الارض ها
جملة حالية او مستانفة خدا فقامت بين يديه محاذية له قريبا منه فاستشهد
ثلاثا اي قال لها ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد له بانه رسول الله والتثليث
للتاكيد لتقويه ذلك في قلب الاعرابي فشهدت له بانه رسول الله ثلاثا وتركه
لعلمه من السياق ثم رجعت الي منبتها بفتح الموحدة قياسا وكسرها سماعا
قال المجد المنبت كمجلس موضع النبات شاذ والقياس كمقعد لان قياس اسم
المكان من يفعل ان يكون علي مفعل بالفتح كمدخل ومخرج ومقعد الحديث
بقيته ورجع الاعرابي الي قومه وقال يا رسول الله ان يتبعوني اتيتك بهم
والا رجعت اليك وكنت معك ورواه الدارمي والبزار والبيهقي وابو القاسم
البغوي المتقدم ومن طريقه اخرجه في الشفا ايضا بنحوه وفيه معجزات
خلق الله في الجماد ادراكا ونطقا وحركة ارادية تجي بها وتذهب وقد
وقعت علي سبيل التحدي فحد المعجزة منطبق علي كل واحدة منها وقوله
تخد الارض بضم الخا المعجمة وتشديد الدال المهملة اي تشق
الارض لتسقي بعروقها التي في جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك وعن بريدة
علم منقول من تصغير بردة قال ابو علي الطوسي اسمه عامر وبريدة لقبه ابن
الحصيب بمهملتين مصغر وصحف من قاله بخا معجمة الاسلمي قال ابن السكن
اسلم حين مر به صلي الله عليه وسلم مهاجرا بالغميم واقام بموضعه حتي
مضت بدر واحد وقيل اسلم بعد بدر وسكن البصرة لما فتحت وفي الصحيح
عنه انه غزا مع النبي صلي الله عليه وسلم ست عشرة غزوة ومناقبه
مشهورة واخباره كثيرة وكان غزا خراسان زمن عثمان ثم تحول الي مرو
فسكنها الي ان مات سنة ثلاث وستين كما في الاصابة وتقدم بعض ترجمته
في الهجرة وغيرها سال اعرابي بعد ان اسلم كما في نفس رواية البزار وابي
نعيم النبي صلي الله عليه وسلم اية علامة ومعجزة تقويه اسلامه
فقال له قل لتلك الشجرة مشيرا السمرة كانت ثمة يحتمل انها المذكورة في
في الحديث قبله وانها غيرها رسول الله صلي الله عليه وسلم يدعوك
بكسر الكاف يطلب منك التجي اليه والحركة نحوه قال بريدة فدعاها قالته
فالفا فصيحة ويحتمل انها بمجرد سماعها قول المصطفي جانت للتحصيل

قصده بدون دعا الاعرابي لها وهذا ابلغ في المعجزة لكن المتبادر الاول
الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها اي مالت ميلا
شديدا وتحركت في جهاتها الاربع لتتخلص عروقها من الارض وتتمكن
من الحركة نحو المصطفى ولعل حكمة ذلك اظهار انه خلق فيها قوة
وادراك لفعل ذلك وان امكن وصولها اليه بتعلق الارادة بذلك بلا سبب
يحال عليه **فتقطعت عروقها** على ظاهره او معناه تخلصت وتعلقت
وهذا هو الظاهر لقوله **ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها** وقوله قدلت
عروقها اذ لو تقطعت حقيقة فسدت ولم تبق ثابتة بحالها وقيل هي
معجزة اخرى مخالفة للعادة ببقائها بعد تقطع عروقها التي هي سبب
حياتها والجملتان حالان مترادفتان او متداخلتان والثانية مؤكدة للاولى
ولذا لم يعطف عليه **مغيرة** بضم الميم وكسر المعجمة وسكون التحتية اي مسرعة
في مشيها قال تعالى فالمغيرات صبحا فهو اسم فاعل من اغار وروي بباء
موحدة مشددة مكسورة وراء خفيفة اسم فاعل بالتشديد يقال غبر اثار الغبار
وروي مغبرة بضم فسكون ففتح الموحدة الخفيفة والراء الثقيلة اسم فاعل ايضا
لانه لازم اي اشتد غبارها او علاها الغبار وهو حال اما من ضمير تجر اي تجر
العروق في حال غبرة او من العروق اي في حال كون العروق مغبرة **حتى
وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم** قريبة منه مواجهة له
فقالت السلام عليك يا رسول الله فجمعت الطاعة والشهادة بالرسالة
والتوقير **قال الاعرابي مرها** بضم الميم مخفف اؤمرها **فلترجع الى
منبتها** بكسر الموحدة وفتحها كما مر فامرها **فرجعت** لمحلها **فدلت عروقها**
ادخلتها في ذلك الموضع الذي هو اصلها **فاستقرت** فيه وفي الشفا
فاستوت اي انتصبت قائمة من غير ميل **فقال الاعرابي ائذن** بكسر
الهمزة وسكون التحتية واصله اأذن بهمزتين الاولى وصل والثانية فاء
الكلمة فلما اجتمع همزتان ثانيهما ساكنة وجب ابدالها يا على القاعدة في ذلك
كما في الالفية وغيرها خلاف قول بعض بكسر الهمزة الاولى وسكون الثانية وتجوز
ابدالها يا **لي ان اسجد لك** قال صلى الله عليه وسلم **وقال لو امرت احدا ان
يسجد لاحد** اي لو جاز امر مخلوق بالسجود لمثله **لامرت المراة ان تسجد
لزوجها** لوجوب طاعته عليها وحقوقه الموجبة للتعظيم والخضوع وفي
شرعنا يمتنع السجود والركوع لغير الله قيل وكان جائزا في الشرائع السابقة
بقصد التعظيم لا العبادة كما قال تعالى وخروا له سجدا اذ كان الضمير ليوسف
وسجدت الملائكة لادم وكان ذلك تحية ملوكهم ولذا طلبه الاعرابي فنهاه
وعوضنا عن تلك التحية بالسلام والمصافحة **رواه البزار** في مسنده وابو
نعيم في الدلائل ونقله **في الشفا** بلا عزو بزيادة وقال ائذن لي اقبل يديك
ورجليك فاذن **وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جا اعرابي**

من بني عامر كما في رواية البيهقي **الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بم
اعرف انك رسول الله** كانه لما علم بدعايه الناس للتصديق برسالته
ولاحت عليه علامات السعادة قصد استكشاف امره بعلامة يستدل بها
لتيقن صدقه صلى الله عليه وسلم وتكون تلك العلامة حجة له على غيره
ولعلها تكون سببا لهداية غيره بها **قال ان دعوت** امرت وفي رواية ارايته
ان دعوت **هذا العذق** بمهملة مكسورة فمعجمة ساكنة فقاف العرجون
جامع الشماريخ **من هذه النخلة** لنخلة كانت عنده واما العذق بفتح
العين فالنخلة نفسها وقيل تطلق بكسرها على النخلة ايضا لكنه ليس لا يشير
به هنا لقوله من هذه وفي الكلام حذف فاجابني **اتشهد اني رسول الله**
اي اتؤمن بي وبما ارسلت به وتقر بذلك قال نعم كما في الرواية فسقط من
قلم المص او نساخه **فجعل** اي شرع وصار العذق **ينزل من النخلة** شيئا فشيئا
حتى سقط على الارض بقعر النخلة فاقبل وهو يسجد ويرفع حتى انتهى **الى النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال له ارجع فعاد** الى مكانه الذي كان فيه **فاسلم
الاعرابي** زاد في رواية وقال والله لا اكذبك بشي تقوله بعدها ابدا اشهد انك رسول
الله وامن **رواه الترمذي وصححه** فقال هذا حديث صحيح وكذا رواه البخاري
في التاريخ وابو يعلى وابن حبان والبيهقي **وفي حديث يعلى** بزنة يرضى علم
منقول من المضارع **بن مرة** بن وهب بن جابر **الثقفي** وامه سيابة بكسر المهملة
كما في التقريب وقال التلمساني بفتحها وتخفيف التحتانية ثم موحدة واليها ينسب
ايضا شهد الحديبية وما بعدها قال ابو عمر كان من افاضل الصحابة روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم احاديث وعن علي وعنه ابناه عبد الله وعثمان وآخرون
قال ابن سعد امره النبي صلى الله عليه وسلم ان يقطع اعناب ثقيف فقطعها
وهو غير يعلى العامري وقبلهما ولذا اختلف في نسبه فقيل الثقفي وقيل العامري
قال يعلى كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير فذكر الحديث الى ان قال **ثم سرنا
حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة** في رواية
طلحة او سمرة بالشك من الراوي في الشجرة وهما نوعان من شجر البرية ذات
شوك تسمى العضاه **تشق الارض حتى غشيته** وفي رواية طافت به اي
دارت حوله **ثم رجعت الى مكانها** موضعها التي هي ثابتة فيه **فلما استيقظ**
انتبه **رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له** ذلك **فقال هي شجرة
استاذنت ربها في ان تسلم علي فاذن لها** فيه اشعار بعلمه بمجيئها
قبل اخبار يعلى له به ولعله علم ذلك في نومه لانه كان يوحى اليه فيه فتكون
الشجرة حين زارته سلمت عليه وعلم بها فحصلت مقصودها **الحديث رواه
البغوي** الامام الفقيه الحافظ ابو محمد الحسين ابن مسعود بن محمد صاحب
المصنفات المبارك له فيها لقصده الصالح فانه كان من العلماء الربانيين ذا
تعبد ونسك وقناعة باليسير مات بمرو سنة ست عشرة وخمسمائة عن
ثمانين سنة **في شرح السنة** احد تصانيفه وهو حديث طويل رواه

الانصاري

الامام احمد والطبراني والبيهقي وفي حديث جابر بن عبد الله الانصاري
سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة حتى نزلنا
واديا افيح بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح التحتية وبالحاء المهملة اي واسعا
فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى حاجته كناية عن
التغوط اي لاجل ذلك فاتبعته باداوة بالكسر مطهرة جمعها اداوى بفتح
الواو من ما فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] يستتر
به من الناس فاذا شجرتان فجاتاه بلا ترغيب وفي رواية بشجرتين بزيادة البا
في شاطئ الوادي بالهمز جانبه فانطلق توجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى احداهما حتى قرب منها فاخذ بغصن من اغصانها اي امسكه
بيده فقال انقادي طاوعيني او ميلي علي لتكوني ساترة لي باذن الله تعالى
بتيسيره وتسهيله لا بقوة جذبي فانقادت معه طاوعته ومالت حتى سترته
كما اراد وانما امسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما في الاحاديث قبله لان
ذلك كان لاظهار معجزة حتى يسلم الاعرابي وهنا لم يقصد ذلك كالبعير المخشوش
بمعجمات اسم مفعول اي الذي وضع في انفه خشاش بالكسر اي عود من خشب
ليقاد بسهولة فان كان مفتولا من وبر ونحوه فخزام او من نحاس فبرة قاله
الخطابي وبه علم موقع المخشوش دون المخزوم لان الغصن من جنس العود وهو
تشبيه في السرعة والسهولة الذي يصانع بلا من قائده بسهولة الانقياد
له مستعار من المصانعة وهي المداراة والاعطا والتقبيل للرشوة مصانعة قاله
الراغب ثم فعل بالاخرى كذلك بان امسك غصنا منها الخ حتى اذا كان
بالمنصف بينهما اي الشجرتين قال التئما بفتح الفوقية وكسر الهمزة انضما
واجتمعا علي باذن الله بتيسيره وارادته لا بفعل فالتأمتا اجتمعتا
الحديث رواه مسلم في الصحيح والمنصف بفتح الميم واسكان النون وفتح
الصاد المهملة الخفيفة وبالفا الموضع الوسط بين الموضعين والتلاوم
بالهمز والالتئام الاجتماع ومنه التئام الجرح وفي اخرى عند مسلم فقال صلى
الله عليه وسلم يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك حتى
اجلس خلفكما ففعلت فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر
وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والشجرتان
قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف صلى الله عليه وسلم
وقفة فقال براسه هكذا يمينا وشمالا وهو حديث واحد طوله بعض الرواة
وبعضهم اختصره فكانه لما اخذ بغصن احداهما قال لجابر قل لهذه الشجرة
الخ فلما جاءت فعل بها مثل ما فعل بالاخرى وبقي احاديث اخر في طاعة
الاشجار وانقيادها اورد منها في الشفا جملة ثم قال فهذا ابن عمر وبريدة
وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة وانس وعلي وابن عباس
وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من
التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وقال

الابوصيري

الابوصيري صوابه البوصيري كما تقدم كثيرا حيث قال جادت لدعوته
ندابه الاشجار ساجدة خاضعة تمشي اليه على ساق بلا قدم
بعينها على المشي قال تعالى والنجم والشجر يسجدان والنجم ما لا ساق له والشجر ما له ساق
ولا قدم متعلق بتمشي او صفة لساق [illegible] كانما
[illegible] حال من فاعل تمشي وما كافة سطرت خطت الاشجار سطرا لما
للذي كتبت فروعها اي عروقها مجازا من اطلاق اسم احد الضدين
على الاخر لمناسبة قوله في الحديث الما فتقطعت عروقها وان كان الفرع
لغة من كل شيء اعلاه من بديع الخط بيان لما والاضافة بيانية وهي من اضافة
الصفة للموصوف اي الخط المبتدع لانه لم يعهد مثله للاشجار في اللقم
بفتح اللام والقاف وبضم اللام وفتح القاف الطريق او وسطه كما في القاموس
فشبه اثار مشي الشجرة لمجاتها اليه صلى الله عليه وسلم المفيدة للخبر
بكتابة كاتب اوقعها على نسبة معلومة في اسطر منظومة منتسقة
ووجه التشبيه ان الخط دال على اللفظ المفيد للمعاني ومشي اثار فروع الشجرة
في الارض مفيد للخبرات فالتشبيه من حيث الفائدة واذا كانت الاشجار تبادر
لامتثال امره صلى الله عليه وسلم حتى تخر ساجدة بين يديه فنحن
اولى احق بالمبادرة لامتثال ما دعى اليه لاننا عقلاء مكلفون وهي جماد
غير مكلف زاده الله شرفا وكرما لديه عنده وتامل قول الاعرابي
ايذن لي ان اسجد لك لما بكسر اللام وخفة الميم اي للامر العظيم الذي
رائي من سجود الشجرة بيان لما فراى انه احرى اولى بذلك منها حتى
اعلمه عليه الصلاة والسلام ان ذلك اي السجود لا يكون الا لله فحق على
كل مومن ان يلازم السجود للرب المعبود ويقوم على ساق العبودية
وان لم يكن له قدم يقوم عليه بان كانت كسبيا او قدم معنوي كما قامت
الشجرة على ساقها طاعة للمصطفى وهي عبودية لله تعالى ومن ذلك
حنين الجذع المعهود الذي كان يخطب عليه شوقا اليه صلى الله عليه وسلم
لما فارقه وخطب على المنبر اعلم ان الحنين بفتح المهملة ونونين بينهما تحتية
ساكنة صوت كالانين يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه ويوصف به الابل كثيرا
مصدر مضاف الى الفاعل اي الجذع حن والمراد بحنينه شوقه وانعطافه
الى النبي صلى الله عليه وسلم لان الحنين اشتياق المراة الى ولدها فشبه شوق
الجذع بالمراة عليه ما نصه من قصر الصباح الحنين على ذلك والحنان على غيرها
لكن قال الجوهري الحنين الشوق وتوقان النفس تقول حن اليه يحن حنينا وفي
القاموس الحنين الشوق وشدة البكا والطرب او هو صوت الطرب عن حزن او
فرح وعليه فهو بيان للمعنى المقصود بالحنين هنا من جملة المعاني المذكورة
والذي في الاحاديث المسوقة هنا انه صوت فتفسيره بالشوق لا يعرف
له في الاحاديث ولكن لعل المراد منه اي الصوت الدلالة على الشوق
للمصطفى اي الصوت الدال على شوقه الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم المتبادر انه بالخفض تفسير للشوق فيصير المعني ولعل المراد من الصوت
الدلالة علي الصوت لانه جعل تفسيرا للشوق وهذا لا معني له الا ان
يقرا الصوت بالرفع خبر مبتدا محذوف اي فالمراد من الحنين الصوت الدال
علي شوقه ويكون بيانا لحاصل المعني والجذع بكسر الجيم واحد جذوع
النخل وهو ساق النخلة كما في القاموس وغيره وهو بالذال المعجمة و
ظاهره كان اخضر او يابسا وقيل يختص باليابس ولا دلالة في وهزي اليك
بجذع النخلة علي الاطلاق لان كونه يابسا يدل للتقييد علي انه لا دلالة فيه
لواحد من القولين لان الواقع انه كان يابسا قال البيضاوي الجذع ما بين
العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وقد روي
حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة
تفيد القطع بوقوع ذلك فهو متواتر فلا يليق تفسيره بروي ممرضا لانه
انما يستعمل فيما يشك فيه لا في الصحيح فضلا عن المتواتر ولو اسقط عن وجعل
جماعة فاعل روي ببنائه للفاعل لم يرد عليه هذا قال العلامة التاج
ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب في الاصول والصحيح
عندي ان حنين الجذع متواتر وسبقه الي ذلك عياض وغيره كما ياتي
رواه البخاري في علامات النبوة والترمذي في الصلاة عن نافع عن
ابن عمر كان النبي صلي الله عليه وسلم يخطب الي جذع فلما اتخذ المنبر تحول
اليه فحن الجذع فاتاه فمسح يده عليه زاد الاسماعيلي فسكن وقال صلي الله
عليه وسلم لو لم افعل لما سكن ورواه احمد من رواية ابي جناب بجيم ونون
خفيفة فالف فموحدة الكلبي مشهور بكنيته واسمه يحيي بن ابي حية الكلبي
ضعفوه لكثرة تدليسه مات سنة خمسين ومائة او قبلها روي له ابو داود
والترمذي وابن ماجة عن ابيه ابي حية بفتح الحا المهملة والتحتية الثقيلة
واسمه حي بفتح الحا وشد التحتية الكلبي الكوفي روي عن سعد وابن عمر
وعنه ابنه قال ابو زرعة محله الصدق وفي التقريب مقبول من الثالثة
روي له ابن ماجة فقط والمراد من سوقه ان ابا حية تابع نافعا في روايته
عن ابن عمر فيغتفر ضعف ابي جناب لان القصد المتابعة لا الاحتجاج
ورواه ابن ماجة وابو يعلي الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن
سلمة بن دينار البصري ثقة عابد اثبت الناس في ثابت روي له مسلم والاربعة
عن ثابت بن اسلم البناني عابد ثقة روي له الستة عن انس واسناده علي
شرط مسلم فهو من الطبقة السادسة من مراتب الصحيح ورواه ابن
وصححه ابو يعلي وابن خزيمة والطبراني والحاكم وصححه وقال
علي شرط مسلم يلزمه اخراجه من رواية اسحاق بن عبد الله بن
ابي طلحة الانصاري المدني ثقة حجة من رجال الجميع مات سنة اثنين وثلاثين
ومائة وقيل سنة اربع وثلاثين وكان مالك لا يقدم عليه احدا في الحديث فيما
قال الواقدي عن انس بن مالك ورواه الطبراني من رواية الحسن البصري

فهولا

فهولا ثلاثة رووه عن انس ورواه احمد بن منيع بفتح الميم وكسر
النون بن عبد الرحمن ابو جعفر البغوي نزيل بغداد ثقة حافظ مات سنة
اربع واربعين ومائتين وله اربع وثمانون والطبراني وغيرهما من رواية
حماد بن سلمة عن عمار بن ابي عمار مولي بني هاشم ابو عمر ويقال ابو
عبد الله صدوق روي له مسلم والاربعة مات بعد العشرين ومائة عن
ابن عباس عبد الله ورواه احمد والدارمي وابو يعلي وابن ماجة
وغيرهم من رواية الطفيل بن ابي بن كعب الانصاري الخزرجي ثقة من
كبار التابعين يقال ولد في عهد النبي صلي الله عليه وسلم وكان يقال له ابو بطن
لعظم بطنه روي له البخاري في الادب المفرد عن ابيه ابي بن كعب بن قيس
ابن عبيد بن زيد بن معوية بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري سيد القراء من
فضلاء الصحابة يكني ابا المنذر ويكني ابا الطفيل ايضا ورواه الدارمي من رواية
ابي حازم بمهملة وزاي سلمة بن دينار المدني عابد ثقة من رجال الجميع عن
سهل بن سعد الساعدي ورواه ابو محمد الجوهري من رواية عبد العزيز
ابن ابي رواد بفتح الراء وشد الواو صدوق عابد ربما وهم ورمي بالارجاء
روي له الاربعة وعلق له البخاري مات سنة تسع وخمسين ومائة عن
نافع عن تميم بن اوس بن خارجة الداري الصحابي المشهور مات سنة
اربعين فعد ستة من الصحابة الذين رووه ثم قال ابن السبكي ولست
ادعي ان التواتر حاصل بما عددته من الطرق بل من طرق اخري
كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والاجزاء وغيرها كالمشيخات
والمعاجم اي غير القسمين وفي نسخة وغيرها بالتانيث نظرا للمعني اي وغير
الافراد المذكورة وانما ذكرت بالبنا للفاعل مسند الي ضمير المتكلم وحذف المفعول
اي ما وجدته في المشاهد منها او في بعضها ورب متواتر عند قوم
لكثرة اطلاعهم غير متواتر عند اخرين لقلته انتهي كلام ابن السبكي
وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في حديث تسبيح الطعام حنين
الجذع وانشقاق القمر نقل كل منها نقلا مستفيضا يفيد القطع
عند من يطلع علي طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك
والله اعلم انتهي وقال هنا قال البيهقي قصة حنين الجذع من
الامور الظاهرة التي حملها الخلف ورووها عن السلف رواية بالاخبار
الخاصة كالتكليف هذا بقية كلام البيهقي وهذه الاية من اكبر الايات والمعجزات
الدالة علي نبوة نبينا صلي الله عليه وسلم قال الشافعي فيما نقله ابن
ابي حاتم عن ابيه عن عمرو بن سواد عنه اي الشافعي في كتاب مناقبه التي
الفها ابن ابي حاتم ما اعطي الله نبيا مثل ما اعطي نبينا محمدا فقيل
له القايل عمرو بن سواد بلفظ قلت اعطي عيسي احيا الموتي قال اعطي
محمدا حنين الجذع حتي سمع صوته فهو اكبر من ذلك وقال القاضي
عياض في الشفا حديث حنين الجذع مشهور منتشر اي شايع بين

الخالق **والخبر به متواتر** لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له
عن جماعة يستحيل تواطوهم على الكذب **اخرجه اهل الصحيح**
اي الذين التزموا اخراج الاحاديث الصحيحة في كتبهم كالبخاري ومسلم
وابن خزيمة وابن حبان **ورواه من الصحابة بضعة عشر**
بكسر البا وفتحها من ثلاثة الى تسعة **منهم ابي بن كعب وجابر**
ابن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر ابن الخطاب
وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد سعد بن مالك
الخدري بالدال المهملة **وبريدة وام سلمة** ام المومنين هند بنت
ابي امية **والمطلب بن ابي وداعة** بفتح الواو وخفة الدال الحارث
ابن صبيرة بمهملة ثم موحدة ابن سعيد بالتصغير السهمي ابو عبد
الله صحابي اسلم يوم الفتح وامه اروى بنت الحارث بن عبد المطلب
بنت عم النبي صلى الله عليه وسلم نزل المدينة ومات بها وله احاديث
في مسلم والسنن **انتهى** ما نقله من كلام عياض ومنه كلهم يحدث بمعنى
الحديث اي فرواياتهم متفقة بحسب المعنى وكانه يشير الى انه تواتره
معنوي لا اصطلاحي كقول ابن الصلاح ان التواتر لا يكاد يوجد لكن هو
نعقب بانه حقيقي لاجماع من بعدهم على صحتها ثم نسب المص ما ذكره عياض
من احاديث هولاء الى مخرجيها الا الخبيرها وهو المطلب وقد اخرجه احمد
والزبير بن بكار فقال **فاما حديث ابي بن كعب فرواه الشافعي** في مسنده
وابن ماجة والدارمي واحمد وابو يعلى كما سبق قريبا والبيهقي كلهم **من**
حديث الطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم يصلي مستندا **الى جذع اذ كان المسجد عريشا** اي
مسقفا بالجريد وكانت الجذوع له كالاعمدة **وكان يخطب الى ذلك**
الجذع فقال رجل من اصحابه هو تميم الداري ففي ابي داود وغيره
باسناد جيد ان تميما قال له صلى الله عليه وسلم لما كثر لحمه الا نتخذ لك
منبرا يحمل عظامك قال بلى فاتخذ له منبرا الحديث ولا نص بحيث فيه بانه
صانع المنبر تميم بل روى ابن سعد ان تميما لم يعمله واشبه الاقوال
بالصواب ان صانعه ميمون لكونه من رواية سهل بن سعد اخرجه قاسم
ابن اصبغ وابو سعد في الشرف وهو مولى امراة من الانصار كما في الصحيح وقيل
مولى سعد بن عبادة فكانه في الاصل مولى امراته من الانصار كما في امراته
ونسب اليه مجازا واسمها فكيهة بنت عم عبيد بن دليم اسلمت وبايعت
واما الاقوال الاخر ان صانعه تميم او باقول بالام اخره والميم الرومي او صباح
بضم المهملة وخفة الموحدة او قبيصة او مينا بكسر الميم او صالح مولى
العباس او ابرهيم او كلاب مولى العباس فلا اعتداد بها لوهائها ويبعد جدا
الجمع بينها بان النجار كانت له اسما متعددة واحتمال كون الجميع اشتركوا
في عمله فيمنع منه قوله في كثير من الروايات لم يكن بالمدينة الا نجار واحد

يقال له ميمون الا ان يحمل على ان المراد واحد في صناعته والبقية اعوانه
فيمكن كما بسطه في فتح الباري وقدمته في المقصد الاول مبسوطا **هل لك ان**
نجعل منبرا تقوم عليه يوم الجمعة فتستريح من القيام على الجذع **و**
تسمع الناس خطبتك اي تبلغ من سماعهم وانته على الارض **قال نعم**
فصنع له ثلاث درجات هي التي على المنبر اي فوقه لانه كان هو
ثلاث درجات الى ان زاده مروان بن الحكم في خلافة معاوية ست درجات و
سببه ذلك ان معوية كتب اليه ان يحمل المنبر اليه من المدينة الى الشام فامر به
فقلع فاظلمت المدينة وانكسفت الشمس حتى راو النجوم فخرج مروان فخطب
فقال انما امير المومنين امرني ان ارفعه فدعا نجارا فزاد فيه ست درجات وقال انما
زدت فيه حين كثر الناس اخرجه الزبير بن بكار في اخبار المدينة من طريق
قال ابن النجار واستمر على ذلك الى ان احترق مسجد المدينة سنة اربع وخمسين
وستمائة فاحترق قال السيوطي وكان ذلك اشارة الى زوال دولة البيت النبوي
بني العباس فانها انقرضت عقب ذلك بقليل في فتنة التتار قال ابن النجار
ثم جدد المظفر صاحب اليمن سنة ست وخمسين وستمائة منبرا ثم ارسل الظاهر
بيبرس بعد عشر سنين منبرا فازيل منبر المظفر فلم يزل منبر بيبرس الى سنة
عشرين وثمانمائة فارسل المويد شيخ منبرا فلم يزل الى سنة سبع وستين وثمان
مائة فارسل الظاهر خشقدم منبرا انتهى **فلما صنع** من اثل الغابة كما في
الصحيح **وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو**
فيه فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطب تجاوز
الجذع الذي كان يخطب عليه خار بخا معجمة صوت وهو في الاصل يختص
بصياح البقر ثم توسعوا فيه في اصوات جميع البهايم قاله الراغب فاطلاقه على
صوت الجذع مجاز **حتى تصدع وانشق** عطف تفسير او حقيقة الصدع
شق الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ثم استعير منه صدع الامر بينه كاصدع
بما تومر وهو مبالغة في شدة صياحه كما يقال صاح حتى انفلق ويجوز بقاوه
على ظاهره لكن يويد الاول قوله **فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم**
لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده فسكنت كما في رواية لزوال المه بقربه
منه ومشيه له **ثم رجع الى المنبر الحديث واما حديث جابر فرواه**
البخاري من طرق في مواضع **وفي لفظ له** في علامات النبوة وغيرها عن
شيخه ابي نعيم عن عبد الواحد ابن ايمن عن ابيه عن جابر **ان رسول الله**
صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة يخطب الى شجرة او قال الى
نخلة بالشك من الراوي وقد اخرجه الاسماعيلي من طريق وكيع عن عبد الواحد
فقال الى نخلة ولم يشك قال الحافظ اي فالشك من شيخ البخاري ابي نعيم الفضل
ابن دكين وقوله الى نخلة اي الى جذع نخلة **فقالت امراة من الانصار**
لم تسم او هي فكيهة بنت عبيد بن دليم زوجة سعد بن عبادة وقول المستغفري
اسمها علاثة تصحيف وللطبراني اسمها عايشة واسناده ضعيف **او رجل**

شك من الراوي والمعتمد الاول وقد تقدم بيانه في الجمعة والخلاف في
اسمها قاله في الفتح وقال في مقدمته في رواية البيهقي انه تميم الداري
وقدمنا الخلاف في اسم صانع المنبر ورجحنا ان تميما هو المشير به وان
صانعه الذي قطعه من طرفا الغابة هو المختلف في اسمه انتهى وتقع
في نسخ المص او رجل من الانصار وليس في البخاري من الانصار ولا
يصح لرواية البيهقي فقال تميم وليس من الانصار الا بالتخفيف
الا نجعل لك منبرا قال ان شئتم فجعلوا فجعلوا له منبرا فلما كان
يوم الجمعة برفع يوم اسم كان ونصبه على الظرفية رفع بالراء وفي
رواية بالدال بدل الراء وكسر الفا اي النبي صلى الله عليه وسلم الى المنبر ليخطب
عليه فصاحت النخلة التي يخطب عندها اسقط من لفظ البخاري في
العلامات صياح الصبي وزاد في البيع حتى كادت ان تنشق فنزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فضمها اي النخلة وفي رواية فضمه اي الجذع
اليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكن بضم التحتية اخره نون
مبني للمفعول من التسكين قاله المص قال عليه الصلاة والسلام كانت تبكي
على ما كانت تسمع عندها اي ذكر الله او المواعظ او القران او نفس
المصطفى لانه اطلق عليه الذكر ايضا لكنه يبعده يسمع وهو جوابه سوال
نشا من الكلام السابق تقديره لم كانت تبكي وفي لفظ للبخاري ايضا في العلامات
والجمعة قال جابر بن عبد الله كان المسجد النبوي مسقوفا على
جذوع نخل اي كانت له كالاعمدة فكان بالفا وفي رواية بالواو النبي
صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم مستندا الى جذع منها حين
يخطب صرح به في رواية الاسماعيلي فلما صنع بالبنا للمفعول له المنبر
وخطب عليه مفارقا للجذع سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار
وبقية هذا الحديث في البخاري حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها
فسكنت قال المص بالنون وهو بكسر العين المهملة بعدها معجمة خفيفة
النوق الحوامل التي انتهت في حملها الى عشرة اشهر جمع عشرا بضم
ففتح وقال الخطابي هي التي قاربت الولادة وفي القاموس العشرا من النوق
التي مضى لحملها عشرة اشهر او ثمانية او هي كالنفسا وتقدم في الطريق
الاخرى فصاحت صياح الصبي حتى كادت ان تنشق وفي حديث ابي الزبير
محمد بن مسلم المكي صدوق روى له الجميع مات سنة ست وعشرين
ومائة عن جابر عند النسائي في السنن الكبرى احد تصانيفه
والصغرى هي احدى الكتب الستة اضطربت تلك السارية بحركتها
وصوتت تصويتا كحنين الناقة الخلوج انتهى والخلوج بفتح
الخا المعجمة وضم اللام الخفيفة واخره جيم الناقة التي انتزع
منها ولدها زاد الفتح وفي حديث انس عند ابن خزيمة فحنت الخشبة
حنين الواله وفي روايته الاخرى عند الدارمي خار ذلك الجذع كخوار

الثور

الثور وفي حديث ابي بن كعب عند احمد والدارمي وابن ماجة فلما
جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق فاخذ ابي ذلك الجذع لما هدم
المسجد فلم يزل عنده حتى بلي وصار رفاتا وهذا لا ينافي انه دفن لاحتمال
انه ظهر بعد الهدم عند التنظيف فاخذه ابي بن كعب انتهى والحنين
هو صوت المتالم المشتاق عند الفراق لمن يهواه وانما اشتاق الى
بركة رسول الله ويأسف على مفارقته اعقل العقلا والعقل والحنين
بهذا الاعتبار يستدعي الحيوة وهذا يدل على ان الله عز وجل خلق
فيه اي الجذع الحياة والعقل والشوق ولهذا حن وانّ والانين
صوت المريض وهما متقاربان وقيل في الانين زيادة امتداد الصوت فعبر به
ايما الى انه لحقه الم كالمريض وهو عطف خاص على عام لان الحنين في الابل
اذا فارقت اولادها ثم شاع في مطلق الشوق ولو بالكلام واما الانين فيما لا
يفهم كالتاوه ففيه اشارة الى انه كان بصوت يفهم منه الحزن بدلالة
طبيعية كانين المريض فان قلت مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري
من ذرية ابي موسى الاشعري الصحابي ان الاصوات لا يستلزم خلقها
في المحل خلق الحياة ولا العقل اذ الاصوات اصطكاك الجواهر بعضها
ببعض وذلك لا يستلزم الحياة ولا الارادة اجيب بانه كذلك ونحن لم
نجعل الحياة لازمة للصوت حتى يلزمنا مخالفة الاشعري الا ان الشوق
الى الحق انما يكون شوقا مسنونا فهو خبر محذوف او الى من تخرجه على نصب
ان الجذبين عقلي لا طبيعي بخصيصا ومذهب الشيخ ابي الحسن
الاشعري ان الذكر المعنوي والكلام النفسي يستلزمان الحياة استلزام
العلم لها وقد بينا ان هذه المعاني وجدت في الجذع واطلق الحاضرون
على صوته انه حنين وفهموا انه شوق الى الذكر والى مقام الحبيب عنده
وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به وقد عامله النبي صلى الله عليه
وسلم هذه المعاملة معاملة الحي العاقل فالتزمه اعتنقه وضمه كما يلتزم
الغايب اهله واعزته ببرد غليل حرارة شوقهم اليه واسفهم حزنهم
عليه ففيه دلالة على ان الجمادات قد يخلق الله لها ادراكا كالحيوان بل كاشرف
الحيوان وفيه تاييد لمن حمل قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده على ظاهره
كما في الفتح ولله در القايل وهو صالح بن الحسين الشاعر في قصيدة طويلة
وحن صوت اليه الجذع شوقا اي لاجل شوقه او هو مفعول مطلق اي
اشتاق اليه شوقا عظيما فالتنوين للتعظيم ورقه ورجع صوتا كالعشار
بكسر العين وخفة الشين مرددا بفتح الدال صفة صوتا وكسرها حال من
فاعل رجع اي ورجع الجذع حال كونه مرددا الترجيع صوتا كصوت
العشار فبادره ضما اعتناقا فقر سكن لوقته لكل امري من دهره
ما تعودا يعني انه امر مطرد في كل من اعتاد امرا وانقطع عنه فانه
يتالم لذلك ويحزنه فاذا رجع اليه فرح واطمان وهذا الجذع لما الف مقامه

صلى الله عليه وسلم عنده اعتاد ذلك فصار يتألم الفراقة تألم من فارقه
احبته فلما ضمه سكن وفرح كمقيم ورد عليه احبته المسافرون سفرا
طويلا لاسيما اذا ظن المقيم ان لا يرجع المسافر اليه **واما حديث انس**
فرواه ابو يعلى الموصلي الحافظ الثقة احمد بن علي بن المثنى التميمي
المتوفى سنة سبع وثلثماية وقد زاد عليه ماية وعمر وتفرد ورحل الناس
اليه **بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الجمعة**
يسند ظهره الى جذع منصوب في المسجد النبوي كالعمود **يخطب**
الناس فجاءه رومي باقوم بموحدة فالف فقاف مضمومة اخره ميم او لام
او بينا او غيرهما والاصح الاشهر انه بموحدة كما مر عن الحافظ ووقع للمص
انا الاشهر باقوم وفيه نظر **فقال الا اصنع لك شيئا تقعد عليه كانك**
قائم فصنع منبرا بكسر الميم من نبره رفعه ورقاه لان القايم عليه يرتفع
عن غيره **له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد رسول الله صلى**
الله عليه وسلم على المنبر جار بجيم فهمزة مفتوحة والجوار معروف ولذا
قال **كجوار الثور** وهو مثل الخوار بالخا يقال خار الثور يخار اي صاح وقرا
بعضهم عجلا جسدا له جوار بالجيم حكاه الاخفش كذا في نور النبراس وقال
التلمساني بضم الخا المعجمة يهمز ويسهل وهو اولى وبالجيم وهو رفع صوته
مع تضرع واستغاثة فصدر بالخا وذكر الحجازي على الشفا ان الرواية بالجيم
وانه لم يرو بالخا فيما علم **وارتج** بهمزة وصل فرا ساكنة ففوقية مفتوحة وجيم
ثقيلة تحرك واضطرب اضطرابا شديدا **المسجد** اي اهله **لجواره** لعظيم
هذه الاية وكثر فيه الكلام او هو على ظاهره بان تحركت حيطانه وجدرانه
لشدة صوته اما حقيقة او لظن ذلك ممن هو فيه **حزنا** وفي رواية تحزنا
اي اظهار حزن وهو خلاف السرور **على رسول الله صلى الله عليه وسلم**
فنزل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه
وهو يخور يصوت **فلما التزمه سكت** عند ذلك **ثم قال رسول الله صلى الله**
عليه وسلم والذي نفس روح **محمد بيده** قدرته وتصرفه حياته ومماته
متى اراد **لو لم التزمه** اعتنقه واضمه افتعال من اللزوم وهو عدم الفراق
ثم استعير للعناق كما في الاساس **لما زال هكذا** اي له صياح وجوار **حتى تقوم**
الساعة وفي رواية الى يوم القيامة **حزنا على رسول الله صلى الله عليه**
وسلم قيل وهذا على طريق المبالغة كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وان لم
يقع فلا يشكل بقوله تعالى كل شي هالك كل من عليها فان ولا حاجة اليه فلا
مانع من بقايه على ظاهره لانه علق بقاه على عدم التزامه فاذا التزمه
تغير وفني وقد علم الله ذلك **فامر به صلى الله عليه وسلم** بعض صحبه
باخذه ودفنه **فدفن** تحت المنبر كما في روايته وفي بعض الروايات فدفنت
تحت منبره او جعلت في السقف كذا في بعض نسخ الشفا فيحتمل انه
دفن تحت المنبر اولا ثم رفع في السقف ليلا يداس بالارجل تكريما لاثره

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى انه بلي
وصار رفاتا قال البرقي وانما دفنه وهو جماد لانه صار حكمه حكم المومن
لحبه وحنينه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره ليلا يشتغل به
الناس وربما افتتن به بعد العصر الاول وفيه اشارة الى انه سينبت في
الجنة كما ياتي **ورواه** اي حديث انس المذكور **الترمذي وقال صحيح**
غريب لتفرد راويه فجامع الصحة فلا تنافي ونص على صحته لسانه حاله
لا تنفي صحة غيره **وكذا رواه ابن ماجه والامام احمد من طريق الحسن**
البصري **عن انس ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم**
اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الى خشبة هي جذع نخلة وفيه
تكرر ذلك منه لان خبر كان مضارع ا يفيد ذلك استعمالا كقولهم كان حاتم
يقري الضيف وفي التنزيل وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة **فلما كثر**
الناس قال ابنوا لي منبرا اراد ان يسمعهم فارسل لامراة من الانصار
ان مري غلامك النجار كما في حديث سهل ولا ينافي ذلك اذ المشير به تميم
وان الرومي قال الا اصنع لك شيئا كما في الرواية قبله عن انس لانه لما شق عليه
القيام على الجذع واراد اسماع الناس اشار تميم بذلك وقال له الرومي ما قال
فقال ابنوا لي منبرا ثم ارسل الى المراة **فبنوا له عتبتين** اي درجتين
والثالثة هي التي يجلس عليها كما في الرواية قبله ولا يفهم من قوله ابنوا
وقوله فبنوا انه من طين لانه لم يثبت كما قدمه المص في المقصد الاول والذي
في الصحيحين انه من اثل الغابة وهو بمثلثة شجر كالطرفا والغابة بمعجمة
موضع بالمدينة **فتحول من الخشبة** اي الجذع الى المنبر **قال الحسن**
فاخبرني انس بن مالك انه سمع الخشبة تحن حنين الواله قال
فما زالت تحن حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر
فمشى اليها فاحتضنها فسكنت تركت صياحها لزوال غمها وحزنها
بمشيه لها وضمها **ورواه ابو القاسم** الحافظ الكبير مسند العالم عبد
الله ابن محمد بن عبد العزيز **البغوي** الاصل البغدادي الامام الجليل
المص العارف طال عمره وتفرد في الدنيا ومات سنة سبع عشرة وثلثماية
عن ماية وثلاث سنين وهو متقدم على محيي السنة البغوي **وزاد فيه**
فكان الحسن البصري **اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال يا عباد**
الله الخشبة اي الجذع **تحن الى رسول الله صلى الله عليه**
وسلم شوقا اليه مفعول مطلق لتحن كجلست قعودا او مفعول له
والاول اولى لقوله **لمكانه من الله** بلام التعليل اذ لم يكن بدلا من قوله
اليه او علة متداخلة فشوقا علة لتحن ولمكانه علة لشوقا اي ان الخشبة
اشتاقت لعلو مقامه وجلالة قدره وهي جماد **فانتم احق** من الجماد
ان تشتاقوا الى لقائه وذكر ابن عطية عن ابيه سمعت ابا الفضل الجوهري
في جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين واربعماية من

احبه اهل الخير نال بركتهم كلب احبه اهل الكهف فصحبهم فذكره الله
في محكم تنزيله فالخشبة تحن والكلب يحب فهذه غيرة لاولي الالباب
ولله در القايل والتي حنت في الجذع دانه حبه عليه السلام فكانت تحن لا
لاهداء السلام له نخدا اي تنذر لذلك بان يخلق الله فيها هداية للسلام
عليه وخار فجذعا كان يخطب عنده فان انين الام اذ تخدا
بالف الاطلاق وهو اشباع حركة الروي فيتولد منها حرف مجانس لها تخد الى
الجذع يا قوم هكذا اي الحنين الزايد المشبه بحنين الام اما نحن اولى
ان نحن اليه وهذا اذا كان جذع لم يطق بعد بضم فسكونه ه
ساعة فليس وفا منا خبر ليس تقدم على اسمها وهو ان نطيق له بعدا
وهو معرفة بل من اعرف المعارف لانه المصدر المنسبك من ان والفعل مضاف
الضمير كما في المغني واما حديث سهل بن سعد ففي الصحيحين
في الصلاة وغيرها من طرق عن سهل قال بعث صلى الله عليه وسلم الى
امراة ان مري غلامك النجار يعمل لي اعوادا اجلس عليهن

واما حديث ابن عباس فعند الامام احمد باسناد على شرط
مسلم ولا يلزم انه كصحة ما رواه نفس مسلم كما نبه عليه ابن الصلاح وغيره
ولذا كان من الرتبة السادسة من مراتب الصحيح ورواه ابن ماجة وابن
منيع والطبراني كما مر واما حديث ابن عمر ففي البخاري مختصرا
وقد صنت لفظه واما حديث ابي سعيد الخدري فعند عبد بلا ه

اضافة

امنافة بن حميد بن نصر الكسي بمهملة ابي محمد قيل اسمه عبد الحميد
وبذلك جزم ابن حبان وغير واحد ثقة حافظ روى عنه مسلم والترمذي
مات سنة تسع واربعين ومائتين وكذا رواه عنه الدارمي واما حديث
عائشة فعند البيهقي في الدلايل ولم يذكرها الاولى من اجمله منا الصحابة
اخره انه صلى الله عليه وسلم خير الجذع بين الدنيا والاخرة
فاختار الاخرة وفيه نوع اجمال بينه قوله واما حديث بريدة فعند
الدارمي وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للجذع ان
شيت بتا الخطاب لان الله خلق فيه ادراكا اردك الى الحايط اي البستان
الذي كنت فيه تنبت لك عروقك بدل من اردك او مستانف لبيان علة
الرد الى مكانه الذي نبت فيه ويكمل خلقك ويجدد لك خوص بضم
الخا ورق النخل وثمره اي يعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها وان
شيت غرسك فالمفعول مقدر اغرسك في الجنة بالجزم جواب الشرط
فياكل اولياء الله من ثمرك عطف على الجواب تخييره بين الحياة الدنيوية
والاخروية ثم اصغى بمهملة فمعجمة امال راسه وقربه له النبي صلى الله
عليه وسلم ليستمع ما يقول اي ليستمع قوله وجوابه فقال الجذع
بل تغرسني في الجنة اي تصيرني من غراسها فياكل مني اي من ثمري
اولياء الله المومنون واكون في مكان لا ابلى بفتح الهمزة اي لا يفنى موضعها
خطا فيه وهو الجنة كسابر انهارها واشجارها فسمعه اي كلام الجذع من يليه
اي الجذع او النبي اي يقرب منه فسماعه لم يختص به النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت بضم التا للمتكلم اي جعلتك
من غراس الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء الجنة
على دار الفنا الدنيا بفتح الفا والمد الذهاب والزوال واما حديث
ام سلمة فعند ابي نعيم في الدلايل النبوية والقصة واحدة وما في
الفاظها مما ظاهره التغاير الذي قد ياخذ منه من لا يعلم تعدد القصة
هو من الرواة وعند التحقيق بالجمع بين المتغاير يرجع الى معنى
واحد فلا نطيل بذكره لان غرضنا الاختصار والله اعلم وقد قال
بعض علما الحديث من جعل كل رواية غايرت الاخرى مرة على حدة فقد ابعد
واغرب وهرب الى غير مهرب واما كلام الحيوانات اي جنسها الاعجمي
اذا لم يرد كلام جميعها له وانقادت له وفرق بين الكلام اللفظي والانقياد بمعنى
علم حاله وفي حديث ما بين السما والارض شي الا يعلم اني رسول الله الا عاصي
الجن والانس رواه البيهقي وغيره وطاعتها له صلى الله عليه وسلم
عطفها على الكلام اشارة الى ان الانقياد يكون بلفظ وبدونه وجعل الم
المقصد هنا نفس الكلام والانقياد والاحاديث دالة على ذلك وفيما
سبق من قولها اما روي من طاعات الجمادات وتكليمها له غنية عن هذا ه
الاحاديث المروية في ذلك ولعل نكتته زيادة على التفنن اشارة الى ان ه

القصيد واحد يحصل بكل من العبارتين فمنها اي هذه المعجزة المعبر
عنها بمجموع الكلام والطاعة والافالظاهر منهما بالتثنية لان كل واحد
معجز بانفراده ولعل وجه العدول للافراد النظر للمعني وهو ان كل واحد
من الجزئيات مقصود بالاخبار به وانه معجز سجود الجمل وشكواه اليه
صلي الله عليه وسلم كثرة العمل وقلة العلف عن انس بن مالك رضي
الله عنه قال كان اهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون يسقون
عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره اي الانتفاع به كني
عن ذلك بالظهر لان الانتفاع بالابل والجمل علي ظهورها غالبا وان الانصار
اصحاب هذا الجمل جاوا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا انه
كان لنا جمل يحتمل ان كان للدوام وانها للانقطاع باعتبار استصعابه وقت
الشكية منه فكان السقاية منه انقطعت نسني عليه ظاهر هذا انه يائي
وفي الصحاح وغيره سنت الناقة تسنوا اذا سقت الارض والقوم يسنون هو
لانفسهم اذا استقوا وهذا ظاهر في انه واوي وهو صريح قوله قبل يسنون
عليه وهو محذوف الواو واصله يسنوون بواوين حذفت اولاهما لثقل
الضمة عليها فالتقي فحذفت لام الكلمة ويحتمل ان نسني واوي واصله نسنو
قلبت الواو يا ثم حذفت لالتقا الساكنين وانه استصعب علينا ومنعنا
ظهره عطف علة علي معلول وقد عطش النخل والزرع فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لاصحابه قوموا معي تانسا به
وضبطا لما يفعله في سيره فيقوي يقينهم بمشاهدة المعجزات ويخبرون
من وراهم بها فقاموا فدخل الحايط البستان والجمل في ناحية جانب
منه فمشي رسول الله صلي الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار
يا رسول الله انه قد صار مثل الكلب بفتح فسكون الحيوان المعروف الكلب
بفتح فكسر اي العقور الذي اصابه دا كالجنون من اكل لحم الانسان ونحوه
وانا نخاف عليك صولته سطوته ووثوبه فقال صلي الله عليه وسلم
ليس علي منه باس شدة وضرر لمنع الله له ذلك فلما نظر الجمل الي
رسول الله صلي الله عليه وسلم اقبل نحوه حتي خر ساجدا اي
واضعا مشفره بالارض باركا بين يديه كما في رواية وهي مبينة لسجوده اذ
السجود الحقيقي لا يتاتي من الجمل فاخذ رسول الله صلي الله عليه
وسلم بناصيته اذل حال من الضمير المضاف لناصيته ماخوذ من الذل
بالكسر الانقياد لا بضمها الذي هو ضد العز ما كانت قط اي حالة كونه
منقادا انقيادا لم يسبق له مثله في زمن من الازمنة الماضية واستعمال قط
غير مسبوقة بنفي اثبتها ابن مالك في الشواهد قال وهي مما خفي علي كثير
من النحاة لمجيئها بعد المثبت في مواضع من البخاري منها في الكسوف اطول
صلاة صليتها قط وفي ابي داود توضا ثلاثا قط وفي حديث حارثة بن وهب
صلي بنا النبي صلي الله عليه وسلم ونحن اكثر ما كنا قط وفي حديث جابر ما من

صاحب

صاحب ابل لا يفعل فيها حقها الا جاءت يوم القيامة اكثر ما كانت قط وفي
حديث سمرة في صلاة الكسوف فقام بنا كاطول ما قام بنا في صلاة ثم ركع
كاطول ما ركع بنا في صلاة قط ثم سجد بنا كاطول ما سجد بنا في صلاة قط
ففي هذه الاحاديث استعمال قط غير مسبوقة بنفي حتي ادخله في العمل
فقال له اصحابه يا رسول الله هذه انث والجمل مذكر مراعاة للخبر وهو
بهيمة لا يعقل صفة كاشفة ففي القاموس البهيمة كل ذات اربع قوايم
ولو في الما او كل حي لا يميز والمراد الثاني نسجد لك ونحن نعقل فنحن
احق بالسجود لك منها فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يصلح
لبشر ان يسجد لبشر انما يسجد لله لو صلح لبشر ان يسجد لبشر
لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها قال ابن العربي
فيه تعليق الشرط بالمحال لان السجود قسمان سجود عبادة وليس الا لله
وحده ولا يجوز لغيره ابدا وسجود تعظيم وهو جايز فقد سجد الملايكة لادم
واخبر المصطفي انه لا يكون ولو كان لجعل للمراة في اداء حق الزوج وقال
غيره فيه ان السجود لمخلوق لا يجوز وسجود الملايكة خضوع وتواضع له
من اجل علم الاسما الذي علمها الله له وانباهم بها فسجودهم انما هو ايتمام
به لانه خليفة الله لا سجود عبادة ان الله لا يامر بالفحشا رواه احمد
والنسايي باسناد جيد رواته ثقات مشهورون كما قاله المنذري وبقيته
عندهما والذي نفسي بيده لو كان من قدمه الي مفرق راسه ينبجس بالقيح
والصديد ثم استقبلته تلحسه ما ادت حقه وينبجس بفتح التحتية
والفوقية والموحدة والجيم الثقيلة فسين مهملة ينفجر وفيه تاكيد حق
الزوج وحث علي ما يجب من بره ووفا عهده والقيام بحقه ولهن علي
الازواج ما للرجال عليهن قاله بعض والحايط هو البستان اي المراد
به ذلك تجوزا واصله اسم فاعل من حاطه اذا احاط به ودار عليه ثم نقل للبستان
نفسه الذي فيه الشجر والنخل وقوله نسني بالنون والسين المهملة
اي نسقي عليه بيان للمراد من هذه الصيغة وقضيته ان الفه منقلبة عن
يا ومقتضي الصحاح والنهاية والقاموس انه واوي كما مر فقياسه نسنو وهما
لغتان حكاهما ابن مالك وفي حديث يعلي بن مرة الثقفي تقدم التعريف
به قريبا بينما نحن نسير مع النبي صلي الله عليه وسلم في سفر اذ
مررنا ببعير يسني بضم اوله مبني للمجهول يستقي عليه فلما راه البعير
جرجر بجيمين وراين بلا نقط اي صوت تصويتا بشدة وردد ذلك لكن بالصوت
المعتاد للابل علي المتبادر ويكون وجه المعجزة قوله فوضع جرانه بالكسر
مقدم عنقه كما ياتي عند رويته صلي الله عليه وسلم فهذا من طاعة الحيوان
مع غصه عليه السلام من جرجرته شكواه فوقف عليه النبي صلي الله عليه
وسلم من مزيد لطفه وشفقته علي خلق الله فقال اين صاحب البعير
فجاه فقال بعنيه فقال نهبه لك يا رسول الله بلا عوض وانه لاهل

بيت مالهم معيشة غيره فقال اما اذ ذكرت هذا من امره فلا
اقبله هبة ولا هبة فحذف جواب اما وقوله فانه لبيس جواب لعدم
ترتبه عليه فهو علة لمقدر اي وطلبت شراه فانه شكي بحرجرته فهم
ذلك منها امر خارق اظهره الله له تعظيما واجلالا قال شيخنا وقال
غيره الظاهر ان شكايته بنطق فهي معجزة كثرة العمل وقلة العلف
بفتحتين بمعني المعلوف من قوت الدواب من حبوب وغيرها فاحسنوا
اليه بقلة العمل وكثرة العلف رواه البغوي المتاخر في شرح
السنة وتقدم بعض ترجمته وقد روي حديث يعلي احمد والحاكم والبيهقي
بسند صحيح والجران بكسر الجيم بعدها را فالف فنون قال ابن فارس
مقدم عنق البعير من مذبحه اي لو ذبح وهو ما تحت الحنك من
الحلق الي منحره اي لبته فهي اصل العنق وروي الامام احمد قصة
اخري نحو ما تقدم عن يعلي من حديث جابر ضعيفة السند
ولكن رواها البيهقي في الدلايل باسناد جيد لان رجاله ثقات وكذا
رواها الدارمي والبزار واللفظ للبيهقي عن جابر ان جملا جا الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم فلما كان قريبا منه خر الجمل ساجدا فقال صلي الله عليه
وسلم يا ايها الناس من صاحب هذا الجمل فقال فتية من الانصار هو لنا
قال فما شانه قالوا اسنونا عليه عشرين سنة فلما كبرت سنه اردنا نحره
فقال صلي الله عليه وسلم تبيعونه قالوا هو لك يا رسول الله فقال احسنوا
اليه حتي ياتي اجله فقالوا يا رسول الله نحن احق ان نسجد لك من البهايم
فقال لا ينبغي لبشر ان يسجد لبشر ولو كان النسا لازواجهن وقد روي ذلك
ايضا احمد في حديث طويل عن يعلي بن مرة قال فيه وكنت معه يعني النبي صلي
الله عليه وسلم جالسا ذات يوم اذ جا جمل حتي ضرب بجرانه بين يديه ثم
ذرفت عيناه فقال ويحك انظر لمن هذا الجمل ان له لشانا فخرجت التمس
صاحبه فوجدته لرجل من الانصار فدعوته اليه فقال ما شان جملك هذا فقال
لا ادري والله ما شانه عملنا عليه ونضحنا عليه حتي عجز عن السقاية
فايتمرنا البارحة ان ننحره ونقسم لحمه قال لا تفعل هبه لي او بعنيه قال
بل هو لك يا رسول الله فوسمه بميسم الصدقة ثم بعث به قال المنذري واسناده
جيد قال وفي رواية لاحمد ايضا نحوه لكنه قال فيه انه قال لصاحب البعير
ما لبعيرك يشكوك زعم انك سنانه حتي كبر تريد ان تنحره قال صدقت والذي
بعثك بالحق لا افعل وكذا روي الطبراني قصة اخري عن عكرمة
عن ابن عباس لكن باسناد ضعيف ان رجلا من الانصار كان له فحلان
فاغتلما فادخلهما حايطا فسد عليهما الباب ثم جا رسول الله صلي الله عليه وسلم
فاراد ان يدعو له والنبي صلي الله عليه وسلم قاعد معه نفر من الانصار
فقال يا رسول الله اني جيت في حاجة وانه كان لي فحلان اغتلما واني
ادخلتهما حايطا وسددت عليهما الباب فاحب ان تدعو لي ان يسخرهما الله

عز وجل فقال صلي الله عليه وسلم لاصحابه قوموا معنا فذهب حتي اتي
الباب فقال افتح فشفق الرجل علي رسول الله فقال افتح ففتح فاذا احد
الفحلين قريبا من الباب فلما راي رسول الله صلي الله عليه وسلم سجد له
فقال صلي الله عليه وسلم ايتني بشي اشد به راسه وامكنك منه فجا بخطام
فشد راسه وامكنه منه ثم مشي الي اقصي الحايط الي الفحل الاخر فلما راه
وقع له ساجدا فقال للرجل ايتني بشي اشد به راسه فشد راسه وامكنه
منه وقال اذهب فانهما لا يعصيانك ورواها الامام احمد ايضا من
حديث يعلي بن مرة الثقفي واخرج ابن شاهين في الدلايل ومن
قبله الامام احمد عن عبد الله بن جعفر الصحابي بن الصحابي رضي الله
عنهما قال اردفني رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم خلفه
فاسر الي حديثا لا احدث به احدا من الناس لكونه اسره الي فحفظه
نحيه عن افشايه قال وكان احب ما استتر به النبي صلي الله عليه وسلم
لحاجته عند قضايها هدف بفتحتين كل شي عظيم مرتفع علي الارض من
بنا ونحوه او حايش نخل بمهملة وشين معجمة فدخل حايطا لرجل من
الانصار لحاجته ولا يرد كيف فعل ذلك بغير اذنه وهو ايضا قد نهي عن البول
تحت الشجرة التي من شانها ان تثمر لانه علم من الرجل السرور بذلك فضلا
عن الرضي ومحل النهي ما لم يغلب علي الظن حصول ما يزيل اثر الحاجة علي ان
فضلاته طاهرة وكانت الارض تبتلع ما يخرج منه كما مر فاذا جمل فلما
راي الجمل النبي صلي الله عليه وسلم حن فذرفت بفتحات من باب ضرب
عيناه اي سال دمعهما فاتاه النبي صلي الله عليه وسلم فمسح ذفراه
بالالف مقصور وفي رواية فسكن ما به ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا
الجمل اعاده بمعناه للتاكيد فجا فتي من الانصار فقال هو لي يا رسول
الله فقال الا بالفتح والتخفيف تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك
الله اياها فانه شكي الي بالنطق او تفهيمه من فعله المذكور وكل معجزة انك
تجيعه وتدئبه بضم التا وسكون الدال وكسر الهمزة وموحدة تتعبه بكثرة
العمل قال البغوي في المصابيح وهو حديث صحيح قال ورواه ابو داود عن
شيخه موسي بن اسماعيل المنقري بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف
التبوذكي بفتح الفوقية وضم الموحدة وسكون الواو وفتح المعجمة ثقة ثبت
مات سنة ثلاث وعشرين ومايتين عن مهدي ابن ميمون الازدي البصري
ثقة روي له الجميع مات سنة اثنين وسبعين ومائة والحايش بالحا المهملة
والشين المعجمة ممدودا هو جماعة النخل اي النخل المجتمع لا واحد
له من لفظه وقوله ذفراه تانيث ذفر بكسر الذال المعجمة مقصورة
هكذا في نسخ وهي ظاهرة وفي النهاية الذفري مونثة والفها للتانيث او
للالحاق وفي نسخة تثنية ذفري وفيه ان ذفري لا يصح جعلها مفردا ولا
مثني لاتحاد صورة المثني والمفرد فاما تثنيته ذفريان بالالف رفعا

وذفريين ماليا انصبا وجرا والحديث بلفظ ذفراه بالالف الاعلي لغة من يلزم المثني الالف في احواله وفي نسخة تثنية ذفر بلا الف ولا يصح مع قوله مقصور وان رجع لقوله ذفريه اشكل بجعل مفرده مذكرا وبما في القاموس والنهاية انه مونث وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند اذنه وفي القاموس الذفري بالكسر من جميع الحيوانات من لدن المقدم الي نصف القذال او العظم الشاخص خلف الاذن جمعه ذفريات وذفاري ومنها سجود الغنم له صلي الله عليه وسلم عن انس بن مالك قال دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم حايطا بستانا للانصار اي لبني تميم ومعه ابو بكر وعمر ورجل من الانصار لم نسمه ويحتمل انه انس ابهم نفسه لغرض صحيح وفي الحايط غنم فسجدت له تعظيما لما شاهدته من نور نبوته والهمها الله معرفته فقال ابو بكر يا رسول الله نحن احق بالسجود لك من الغنم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا ينبغي لا يجوز لاحد ان يسجد لاحد عبر به المخصوص بالنفي ليشمل الواحد وغيره ويختص بالعقلا ففيه اشارة الي ان الغنم ونحوها لا يمتنع سجودها تعظيما رواه ابو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتابه دلايل النبوة له باسناد ضعيف وابعد لم النجعة فقد رواه احمد والبزار وذكره القاضي في الشفا بدون عزو بل قال وعن انس فذكره وذكر بالبنا للفاعل اي عياض ايضا بلا اسناد وقد رواه البيهقي عن جابر ابن عبد الله عن قصة رجل وليس المراد انه بروي عنه وهو اسلم الحبشي كذا سماه ابن عبد البر واعترضه ابن الاثير بانه ليس في شي من السياقات ان اسمه اسلم قال في الاصابة وهو اعتراض متجه وقد سماه ابو نعيم يسارا بتحتية وسين مهملة الحبشي وقال الرشاطي في الانساب اسلم الحبشي اسلم يوم خيبر وقاتل وقتل وما صلي لله صلاة فقال صلي الله عليه وسلم ان معه الان زوجة من الحور العين انتهي اتي النبي صلي الله عليه وسلم وامن به وهو اي النبي لا الرجل كما زعم علي بعض حصون خيبر جمع حصن القلعة التي يتحصن بها لا القصر كما زعم وكان الرجل في غنم يرعاها لهم اي لاهل خيبر والظرفية بمعني المعية او مجازية نحو واذ كنت فيهم فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم اي ما افعل بها اذا اسلمت وهي في ملك غيري وانا اجير فان رددتها خشيته علي نفسي لاسلامي وان تركتها معك ضاعت فارشده الي ما يدفع خوفه اذ قال احصب وجوهها بمهملتين ارمها بالحصي وهي صغار الحصي بالصاد مكسورة من باب ضرب وضمها من باب قتل فان الله سيودي عنك امانتك يوصلها ويردها الي اهلها اصحابها المالكين لها فتخرج انت من عهدة ضمانها ففعل ما امره به فسارت كل شاة حتي دخلت الي اهلها معجزة له صلي الله عليه وسلم فهذه من طاعة الحيوانات له وانما فعل هذا لانه كان مستامنا بيده امانة لاهل خيبر فلذا ردها صلي الله عليه وسلم لاصحابه مع ما فيه من تظمين قلبه بخروجه من عهدتها ولذا لم يجعلها فيئا مع علمه

انما

انها تكون كذلك بعد الفتح وبقية هذا الحديث عند البيهقي انه شهد القتال فقتل اصابه حجر او سهم ولم يصل صلاة قط فاخبر صلي الله عليه وسلم انه رأي عنده حوريتين ومنها قصة كلام الذيب و اضافة بيانية اذ المراد معجزة الكلام لا القصة وعبر بقصة دون سابقه نظرا لقولهم قصة الجمل مثلا وال في الذيب جنسية لتعدد القصة بدليل روايتي ابي هريرة وكلامه وان كان لغيره لكن اقراره به معجزة وشهادته بالجر عطف علي كلام له صلي الله عليه وسلم بالرسالة اعلم انه قد جا بحديث قصة كلام الذيب في عدة طرق من حديث ابي هريرة وانس وابن عمر بن الخطاب وابي سعيد الخدري المتبادر تعدد الطرق عن كل واحد من الاربعة وليس بمراد فاما حديث ابي سعيد فرواه الامام احمد باسناد جيد اي مقبول وكذا رواه الترمذي والحاكم وصححاه ولفظه قال ابو سعيد لما ثبت ذلك عنده وتحققه وان لم يحضره فكانه كان مشاهد له عدا هجم الذيب علي شاة فاخذها بغير اختيار صاحبها فشابه الظالم المتجاوز الحد فعبر بعدا وفي لفظ عرض الذيب لشاة فطلبه الراعي سعي خلفه حتي ادركه وفي القاموس طلبه طلبا محركة حاول وجوده واخذه فكانه استعمل الطلب في محاولة الوجود ومع ذلك فيه حذف والتقدير حال وجوده حتي ادركه فانتزعها منه فاقعي الذيب الصق اليتيه بالارض ونصب ساقيه وتساند الي ظهره كما في الصحاح وغيره علي ذنبه ليس صلة اقعي لانه ليس من مسماه فهو متعلق بمقدر اي واعتمد علي ذنبه اي جعله بين رجليه كما يفعل الكلب ويفيد هذا ما ياتي في تفسير الاستثفار وقال للراعي الا حرف استفتاح تتقي الله تخافه وتحذره تنزع مني رزقا وفي رواية حلت بيني وبين رزق فقال الراعي يا عجبا ذيب مقع علي ذنبه يكلمني بكلام الانس وفي رواية البشر وهما بمعني تعجب منه اذ ليس شانه فقال الذيب مجيبا له زاد في رواية اتعجب مني قال كيف لا اعجب من ذيب مستثفر ذنبه يتكلم فقال الذيب والله انك لتترك اعجب هذا الا اخبرك باعجب من ذلك وفي رواية انا اخبرك باعجب من كلامي قال وما ذا اعجب قال محمد بيثرب اسم المدينة المنورة قديما وصح النهي عن تسميتها به يخبر الناس بانبا ما قد سبق من الامم السابقة واحوالهم وعبر عن الامم بما يشمل ما وقع لغير العقلا كانفلاق البحر وناقة صالح وانما كان اعجب لان الاخبار معجز فهو اعجب من نطق حيوان انطقه من انطق كل شي لكن ليس العجب واقعا علي مجرد اخباره بذلك بل علي جحدهم وتكذيبهم له مع ظهور الايات البينات علي يديه كما جاء في بعض طرق الحديث مما ساقه في الشفا وغيره فقال الا اخبرك باعجب من كلامي رسول الله في النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبا ما سبق وما يكون بعد ذلك وفي لفظ يدعو الناس الي الهدي والي الحق وهم يكذبونه قال ابو سعيد فاقبل الراعي يسوق غنمه المملوكة ففي رواية كان يرعي غنما له حتي

دخل المدينة فزواها بزاي منقوطة الى زاوية من زواياها اي
المدينة ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره وقد اختلف في
اسم مكلم الذيب المذكور فقيل اهبان بن اوس وقيل سلمة بن الاكوع وانه صاحب
هذه القصة وكانت سبب اسلامه وقيل اهبان بن الاكوع عم سلمة الاسلمي
وقيل اهبان بن الاكوع بن عباد الخزاعي وقيل رافع بن ربيعة وقيل اهبان بن
صيفي وقيل رافع بن عميرة الطائي فان كانت القصة تعددت فلا خلف قال ابن
عبد البر وغيره تكلم الذيب ثلاثة من الصحابة رافع بن عميرة وسلمة بن الاكوع
واهبان بن اوس وروى البخاري في تاريخه وابو نعيم في الدلايل عن اهبان
ابن اوس قال كنت في غنم لي فشد الذيب على شاة منها فصحت عليه فاقعى
الذيب على ذنبه يخاطبني وقال من لها يوم تشتغل عنها تمنعني رزقا رزقنيه
الله تعالى فصفقت بيدي وقلت والله ما رايت شيا اعجب من هذا فقال
اعجب من هذا رسول الله بين هذه النخلات يدعو الى الله فاتيته اليه واخبرته
واسلمت قال البخاري اسناده ليس بالقوي قال الحافظ لان فيه عبد الله بن
عامر الاسلمي وهو ضعيف فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنودي بالصلاة جامعة بنصبهما على الحكاية والاول اغراء والثاني
حال ويجوز رفعهما على الابتدا والخبر ونصب الاول ورفع الثاني وعكسه
قاله السيوطي وغيره في قول البخاري باب النداء بالصلاة جامعة ثم خرج
من المحل الذي كان فيه حين اخبره الراعي فقال للاعرابي اخبرهم
بما شاهدته ليسروا ويزدادوا ايمانهم فاخبرهم وقضية سياقه ان ذلك
الامر بذلك كان عقب اخباره وليس بمراد اذ الفا للتعقيب مع التراخي كتزوج
فولد له وفي حديث ابي هريرة عند احمد فقال له صلى الله عليه وسلم اذا صليت
الصبح معنا غدا فاخبر الناس بما رايت فلما اصبح الرجل صلى الصبح امر صلى
الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم
فقال صلى الله عليه وسلم صدق والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج
احد الرجل من اهله فيخبره نعله او سوطه او عصاه بما احدث اهله بعده
واما حديث ابن عمر فاخرجه ابو سعد بفتح فسكون الحافظ العالم
الزاهد احمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن حفص الانصاري الهروي الماليني
بفتح الميم وكسر اللام وسكون التحتية ونون نسبة الى مالين من اعمال هراه
سمع ابن عدي والاسماعيلي وابن نجيد وابا الشيخ وغيرهم وعنه الخطيب
والبيهقي وخلق وكان ثقة متقنا من كبار الصوفية مات بمصر يوم الثلاثا
سابع عشر شوال سنة اثنتي عشرة واربعمائة والبيهقي في الدلايل بنحوه
واما حديث انس فاخرجه ابو نعيم في الدلايل النبوية بنحوه واما حديث
ابي هريرة وهو مروي على وجهين احدهما موافق لحديث ابي سعيد وهو
ما ذكره المص بعد بقوله وروى البغوي الخ والثاني قصة اخرى وقعت للذيب
مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما ذكره بقوله فرواه سعيد بن منصور

ابن

ابن شعبة ابو عثمان الخراساني نزيل مكة ثقة مصنف حافظ مات
سنة سبع وعشرين ومائتين وقيل بعدها في سننه قال ابو هريرة
جا الذيب فاقعى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وجعل
يبصبص بذنبه اي يحركه يقال بصبص الكلب بذنبه اذا حركه كما في
القاموس فقال صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذياب جا يسا لكم
ان تجعلوا له من اموالكم شيا لعله خاطبه بذلك او اوحي اليه بالمعنى
الذي جا له الذيب او اعلمه الله بانه يريد بتحريك ذنبه ذلك قالوا والله
لا نفعل واخذ رجل من القوم حجرا ورماه به خشية الحاجة
فيضجر المصطفى فبادر الى صرفه عنه او خشي ان يامرهم بشي للذهاب
فلا يستطيعون فادبر الذيب وله عوا بالضم والمد اي صياح فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذيب خبر مبتدا محذوف اي هذا
الذيب قد رايتموه وما الذيب استفهام تفخيم لامره واصله وما حاله
فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اقوى في التفخيم على نحو الحاقة ما الحاقة
وروى البغوي في شرح السنة واحمد والبزار والبيهقي وابو نعيم
بسند صحيح عن ابي هريرة ايضا قال جا ذيب الى راعي غنم
فاخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه قال فصعد
الذيب على تل بفوقية ولام ثقيلة معروف يجمع على تلال مثل سهم وسهام
واستثفر باسكان المهملة والمثلثة بينهما فوقية مفتوحة ثم فا وقال عمدت
قصدت وزنا ومعنى الى رزق رزقنيه الله مكنني منه اخذته انا انتزعته
انت مني فقال الرجل تالله قسم ان نافية اي ما رايت كاليوم الكاف
بمعنى مثل اي ما رايت مثل ما رايت هذا اليوم ذيب بالرفع جواب سوال مقدر كانه
قيل له وما رايت فقال الذي رايت ذيب وفي نسخ بالنصب اي فقال رايت ذيبا
يتكلم بكلام الانس فقال الذيب اعجب من هذا اي كلامي رجل في النخلات
بين الحرتين بفتح المهملة وشد الرا وتا تانيث تثنية حرة وهي ثنية مرتفعة
ذات حجارة سود كانها احرقت بالنار يخبركم بما مضى من اخبار الامم وما هو
كاين بعدكم قال وكان الرجل يهوديا فجا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره واسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه
وسلم مشيرا الى ترك استغرابه مثل ذلك انها امارات بين يدي الساعة
قد اوشك الرجل ان يخرج من اهله فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه
بما احدث اهله بعده بالضم اي بعد خروجه قال القاضي عياض في الشفا
وفي بعض الطرق بضمتين جمع طريق مجاز عن الروايات عن ابي هريرة
قال الذيب للراعي انت اي حالك اعجب مني من حالي في حال كونك واقفا
على غنمك اي راعيا وحافظا لها وقد تركت نبيا فالجملة حالية بتقدير
قد لم يبعث الله نبيا قط من انبيايه السابقة اعظم اجل منه عنده
قدرا منزلة تمييز نسبة وقد فتحت بالتخفيف والتشديد له ابواب

الجنة جملة حالية ايضا **واشرف اهلها علي اصحابه ينظرون**
قتالهم وهم واقفون عنه صفوف كصفوف الملائكة وفيه ان الفتح حقيقي و
لا مجاز عن التهيئة والاعداد كما زعم **وما بينك وبينه الا هذا**
الشعب بكسر المعجمة وسكون المهملة وموحدة وهو ما انفرج بين جبليه
يعني انه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه فيجب عليك الذهاب اليه
فتصير معدودا **في جنود الله** حزبه الغالبين فتتخلف مع هذا العجيبة
من نطق الذيب تعجبت منه **قال الراعي من يتكفل لي بغنمي** بحفظها و
من يرعاها الي فمن استغفرها مدية حتي اذهب اليه واجي **قال الذيب انا**
ارعاها حتي ترجع من عنده **فاسلم الرجل الراعي اليه** الي الذيب
غنمه ومضي اليه صلي الله عليه وسلم **فذكر له قصته** مع الذيب
وما كلمه به **واسلامه الغنم له ووجوده النبي صلي الله عليه وسلم**
يقاتل كما قاله الذيب **فقال له النبي صلي الله عليه وسلم** بعد ما قص
عليه واسلم **عد الي غنمك تجدها بوفرها** بفتح الواو وسكون الفاء
بتمامها وكمالها لم ينقص منها شي من قولهم ارض وافرة لم يرع
نباتها كذا فسروه وكانه مراد والا فالوفر الاتمام لا التمام والذي بمعناه
الوفور كما في المصباح وغيره فعاد اليها **فوجدها كذلك** تامة لم
ينقص منها شي **وذبح للذيب شاة منها** جزاء له علي صنيعه وارشاده
للهدي **واستثفر** بالسين المهملة والمثناة الفوقية **ثم المثلثة**
تليها **واخره** كاستفعل اي بذنبه **اي جعل ذنبه بين رجليه**
كما يفعل الكلب بيان للمراد باستثفار الذيب وان اطلق الاستثفار علي معاني
اخر في اللغة ثم قال عياض **وقد روي ابن وهب مثل هذا** المذكور من كلام
الذيب **انه جري لابي سفيان بن حرب** بدل من مثل هذا **وصفوان بن**
امية قبل اسلامهما **مع ذيب وجداه اخذ ظبيا** اي اراد اخذه فجري
خلفه في الحل لياخذه بغريزته **فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب عنه**
لانه في الحرم المحرم صيده او انه انفلت منه بعد اخذه **فعجبا من ذلك**
اي من كون الذيب عرف حرمة الحرم وكف عن صيد امكنه وليس من
العقلا **فقال الذيب** لما سمع تعجبهما وعلمه من حالهما **اعجب من ذلك**
الفعل الواقع مني **محمد بن عبد الله** كائن **بالمدينة يدعوكم الي الجنة**
بدعايه الي الاسلام المقتضي لدخولها **وتدعونه الي النار** بقولكم ثم لاه
نوافقنا وتعبد الهتنا مما هو سبب للخلود فيها وكان هذا اعجب لمخالفته
لما يقتضيه العقل ونطق حيوان اعجم بقدرة الله واقداره ليس بعجيب في
النظر السديد والعقل السليم وليس باعجب من عبادة الحجارة **فقال ابو**
سفيان واللات والعزي لئن ذكرت بضم التاء ايضا وبفتحها اي انت
يا صفوان **هذا** الذي قاله الذيب في شان محمد **بمكة لاهلها لتتركنها**
خلوفا بضم الخاء المعجمة واللام واسكان الواو وفا اي **فاسدة متغيرة**

يعني **يقع الفساد والتغير في اهلها** باسلامهم فيفسد دينهم الذي
يزعمون انه حق وهو ضلال باطل من خلف بمعني تغير كقوله صلي الله عليه وسلم
لخلوف فم الصايم اي تغير ريحه وقيل معناه خالية من اهلها بان يسلموا ويهاجروا
اذ من سمع ذلك لا يتردد في صحة رسالته وسعادة متبعه من قولهم اتيت الحي
فوجدته خلوفا اي ليس فيه احد من الرجال بل النساء ويقال لهن الخوالف كما في
التنزيل لانهن يخلفن الرجال وما اقتصر عليه المص اظهر لان الفساد الذي
زعموه لا يختص بالرجال بل عندهم كل من اسلم فسد دينه رجلا كان او امراة **ومن**
ذلك اي كلام الحيوانات وطاعتها **حديث الحمار** اضافه لادني ملابسة اي الخبر
المتعلق بشانه **اخرج ابن عساكر عن ابي منظور** بفتح الميم وسكون النون
وضم الظا المعجمة قال في الاصابة في الكني غير منسوب جا ذكره في خبر واهي **قال**
لما فتح رسول الله صلي الله عليه وسلم خيبر اصاب حمارا اسود
فكلم رسول الله صلي الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار لعله علم
بحاله فابتداه بالكلام ليظهر ما اخبره به او اوحي اليه بتكليمه لظهور هذه
المعجزة **فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم ما اسمك** من عطف
المفصل علي المجمل بيان لما كلمه به علي نحو توضا فغسل وجهه **قال يزيد بن**
شهاب اسم ابيه دنية علي الظاهر ويحتمل انه جده الذي قال فيه **اخرج**
الله من نسل جدي ستين حمارا ويحتمل انه اقتصر علي الستين لوصفهم
بقوله **كلهم لا يركبه الا نبي** فلا ينافي ان فيهم اناثا لم يركبها نبي ويويده
انه في لفظ كان في اباي ستون وكانه الهم ذلك فنطق به علي حد واوحي ربك الي
النحل وقد زاد في الجواب علي المسوول التذاذا بخطاب الرسول نظير قوله هي
عصاي الاية فانه يطال الكلام مع الاحبة تلذذا او ليرغب فيه خوفا ان يدفعه
لغيره ففيه حضه علي اخذه واختصاصه به ولا يجعله غنيمة او في الغنيمة
وتعبيره بكلهم بميم الجمع الموضوعة للعقلا تشبيها لاصوله بالعقلا لشرفهم
بركوب الانبيا لهم **وقد كنت اتوقعك ان تركبني** بدل اشتمال من الكاف في اتوقعك
لانه **لم يبق من نسل جدي غيري** قد يشعر بانه من جملة الستين **ولا من**
الانبيا غيرك فلذا كنت اتوقع ركوبك وظاهره وصريح قوله لا يركبه الا نبي
الحصر فينافي قوله **وقد كنت قبلك** اي قبل وجودك بخيبر او قبل اختصاصي
بك رجا منه ان لا ياخذه الا هو فلا يرد انه لم يذكر له انه اختص به حتي يقول قبلك
لرجل يهودي يركبني بنا علي انه من الستين الا ان يكون الحصر بنا علي الغالب
او المعني لا يعده لركوبه ويقتصر عليه الا نبي دون غيره او انه سلب الحكم عن
الجملة فهو من سلب العموم لا عموم السلب **وكنت اتعثر به عمدا** اي اتكلف
العثار كراهة لركوبه علي **وكان يجيع بطني ويضرب ظهري** كناية عن
اذاه اعم من كونه يضربه ظهرا او بالنخس او بغيرهما **فقال له النبي صلي الله**
عليه وسلم فانت اسمك يعفور مفرع علي عثاره لانه يثير الغبار ولانه
اسود فشبهه بالتراب فسماه يعفورا كذا تكلف وقد قدمته في دوابه عليه

الصلاة والسلام قول الحافظ وغيره يعفور بالصرف اسم ولد الظبي وولد
البقرة الوحشية انثي وفي التلمساني منون مصروف وروي بمنع الصرف
للعلمية ووزن الفعل كيعقوب وتعقب بان زيادة الواو اخرجته عن شبه
الفعل فالظاهر صرفه ويعقوب انما منع للعلمية والعجمة لا لوزن الفعل الا
ترى ان يعفر بضم اليا يصرف لانه قد زال عنه شبه الفعل كما في الصحاح
وليس في اوزان الفعل يفعول فكان صلي الله عليه وسلم يبعثه الي
باب الرجل من اصحابه فياتي الباب فيقرعه يضربه براسه فاذا
خرج اليه صاحب الدار اوما اليه براسه ان اجب رسول الله
وفهم مراد المصطفي بالهام من الله فهو معجزة اذ سخره له وفهم مراده فلما
قبض رسول الله صلي الله عليه جا الي بير كانت لابي الهيثم
ابن التيهان بفتح الفوقية وكسر التحتية المشددة وهاالف فنون الصحابي
الجليل المشهور فتردي الغي نفسه وطرحها فيها جزعا علي رسول
الله صلي الله عليه وسلم فمات وكانت قبره كما عند ابن حبان في الضعفا
وقال الواقدي مات يعفور منصرف النبي صلي الله عليه وسلم من حجة الوداع
وبه جزم النووي عن ابن الصلاح ورواه ابو نعيم من حديث معاذ
ابن جبل لكن الحديث مطعون فيه اخرجه ابن حبان في الضعفا وقال
لا اصل له وليس سنده بشي وابو موسي المديني في الصحابة وقال هذا حديث
منكر جدا اسنادا ومتنا لا احل لاحد ان يرويه عني الا مع كلامي عليه وهو في كتاب
بركة النبي صلي الله عليه وسلم تخريج ابي طاهر المخلص وذكره ابن
الجوزي في الموضوعات وتعقب بانه شديد الضعف فقط كما قال في
الاصابة اسناده واهي لا موضوع وفي معجزاته عليه السلام ما هو
اعظم من كلام الحمار وغيره ولا يستغربه ما ينكر شرعا فلا بدع في وقوعه
له فغايته الضعف لا الوضع علي قياس قول المصنف بعد في الضب وقال
شيخنا اي فيتقوي بكلام الحمار لا اصل له لا ينقص ذلك من مقامه شيا لكثرة
معجزاته وعظمتها وفيه ان مسلما لا يتوهم نقصا حتي ينص علي نفيه ومن
ذلك حديث الضب بفتح المعجمة وموحدة ثقيلة حيوان بري يشبه
الورل قال ابن خالويه لا يشرب الما ويعيش سبعماية سنة فصاعدا ويقال
انه يبول في كل اربعين يوما قطرة ولا يسقط له سن ويقال ان اسنانه قطعة
واحدة ليست مفرقة ويرجع في قيئه كالكلب وياكل رجيعه وهو طويل الدم
بعد الذبح وهشم الراس يمكث ليلة ويلقي في النار فيتحرك كما في حياة الحيوان
وهو مشهور علي الالسنة ورواه البيهقي في احاديث كثيرة
لكنه حديث غريب ضعيف قال الحافظ ابو الحجاج جمال الدين
يوسف بن الزكي عبد الرحمن الحلبي الاصل الدمشقي الدار والمنشا المزي
بكسر الميم وتشديد الزاي المكسورة نسبة الي المزة قرية بدمشق ولد بحلب
سنة اربع وخمسين وستماية ونشا بالمزة وتفقه قليلا ثم اقبل علي الحديث

ورحل

ورحل وسمع الكثير ونظر اللغة ومهر فيها وفي التصريف وفن العربية
واما معرفة الرجال فهو حامل لوايها والقايم باعبايها لم تر العيون
مثله صنف تهذيب الكمال والاطراف واملي مجالس واوضح مشكلات ومعضلات
ما سبق اليها من علم الحديث ورجاله وولي مشيخة دار الحديث الاشرفية
مات يوم السبت ثاني عشر صفر سنة اثنين واربعين وسبعماية لا يصح
اسناده لضعف رواته ولا متنا وهو لفظ الحديث وذكره القاضي عياض
في الشفا فقال وقد روي عند الدارقطني والبيهقي وشيخه الحاكم وشيخه
ابن عدي كلهم من حديث ابن عمر ان صلي الله عليه وسلم كان في
محفل بفتح الميم وسكون المهملة وكسر الفا جمع كثير من اصحابه
اذ جاءه اعرابي اي دخل عليهم تعنته رجل من البادية لا يعرفه من بني سليم بضم
ففتح قد صاد ضبا جملة حالية جعله في كمه ليذهب به الي رحله
فيشويه وياكله علي عادة الاعراب فلما راي الجماعة الصحابة قال
لهم من هذا لانه ينكره او لم يعرفه قالوا نبي الله في لفظ الدارقطني من
بعده فقال علي من هولا الجماعة فقالوا عليه هذا الذي يزعم انه نبي فلقاه فقال
يا محمد ما اشتملت النسا علي ذي لهجة اكذب منك فلولا ان تسميني العرب عجولا
لقتلتك ولسررت الناس بقتلك اجمعين فقال عمر يا رسول الله دعني اقتله
فقال صلي الله عليه وسلم اما علمت ان الحليم كاد ان يكون نبيا ثم اقبل الاعرابي
علي رسول الله فاخرج الضب من كمه وقال واللات والعزي هو
صنمان عبدا في الجاهلية لا امنت بك اي بانك رسول الله او يومن بالنصب
اي الي او الا وفي رواية حتي يومن هذا الضب فاومن انا بك ايضا لمشاهدة هذه
المعجزة وطرحه بين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم اي في مقابلته
فتربلصه فقال النبي صلي الله عليه وسلم يا ضب بالضم منادي مفرد
فاجابه بلسان مبين كلاما او بكلام ظاهر مفهوم وفي رواية الدارقطني و
ومن معه فكلمه الضب بلسان طلق فصيح عربي مبين يسمعه وفي رواية
يفهمه القوم الذين عنده جميعا لبيك مثني منصوب علي المصدرية اي
اجابة لك بعد اجابة وسعديك اي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة يا زين اي
من يزين ويحسن كل من وافي حضر القيامة جعله مزينا لاهلها ومن بها
لانه سيدهم وقايدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة شايعة في لسان عامة
العرب يقولون يا زين القوم لاشرفهم واحسنهم قال صلي الله عليه وسلم
من تعبد سواله ليقر بمعبود بالله فوصفه بما يعرفه كل احد اذ قال اعبد
الذي في السما عرشه المراد بالسما ما قابل الارض او جهة العلو فلا ينافي
ان العرش فوق السماوات كما قال وسع كرسيه السموات والارض وفي
الارض سلطانه اي بسط عدله وحكمه وقهره لمن فيها من الثقلين و
وسلطانه وان كان علي كل موجود لكن ظهوره فيما قد يخالف ظاهره فيها وفي
البحر سبيله طريقه التي جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه

مما لا يقدر عليه غيره كما قال تعالى وهو الذي يسيركم في البر والبحر ولذا
كان الكفار لا يدعون فيه سواه كما قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين وقال التلمساني معناه واضح قدرته اي ما يدل على كمال قدرته
وباهر اياته او معناه سبيل عباده الذين يستدلون بصنعه عليه سبحانه
وفي الجنة رحمته المختصة العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا والاخرة
ومن النار عقابه وفي رواية عذابه فلا يمانه بالله وصفه بما هو مختص به
دال على عظمته **قال** ليكمل ايمانه **فمن انا قال رسول رب العالمين** اشارة
الى عموم رسالته لكل موجود حتى الحيوان والجماد **وخاتم النبيين** فلا نبي
بعدك **وقد افلح** فاز بسعادة الدارين **من صدقك** امن برسالتك **وخاب**
لم ينجح ولم يظفر بالمامول **من كذبك** بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك
فاسلم الاعرابي لما راى المعجزة البينة وعلم علما ضروريا بتوحيد الله
وانه رسوله **الحديث بطوله** تتمته عند الدارقطني وابن عدي ومن بينهما
فقال الاعرابي اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد اتيتك وما على
وجه الارض احد هو ابغض الي منك ووالله لانت الساعة احب الي من نفسي
وولدي وشعري فقد امن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري
وعلانيتي فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي
يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله الا بصلاة ولا تقبل الصلاة الا بقران قال فعلمني
فعلمه صلى الله عليه وسلم الفاتحة والاخلاص فقال يا رسول الله ما سمعت ولا
في البسيط ولا في الوجيز احسن من هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا كلام رب
العالمين وليس بشعر اذا قرات قل هو الله احد مرة فكانما قرات ثلث القران وان
قراتها مرتين فكانما قرات ثلثي القران وان قراتها ثلاثا فكانما قرات القران
كله فقال الاعرابي نعم الاله الهنا يقبل اليسير ويعطي الكثير ثم قال صلى الله عليه
وسلم الك مال قال ما في سليم قاطبة افقر مني فقال لاصحابه اعطوه فاعطوه
حتى ابسروه فقال عبد الرحمن بن عوف اني اعطيه يا رسول الله ناقة عشراء اهديت
الي يوم تبوك تلحق ولا تلحق انقرب بها الى الله دون البختي وفوق العرابي
فقال صلى الله عليه وسلم قد وصفت ما تعطي واصف لك ما يعطيك الله قال
نعم قال لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زمرد اخضر وعنقها من
زبرجد اصفر عليها هودج وعلى الهودج السندس الاخضر والاستبرق
تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف فخرج الاعرابي من عند رسول الله
فتلقاه الف اعرابي على الف دابة بالف رمح والف سيف فقال لهم ابن تريدون
فقالوا نريد هذا الذي يكذب ويزعم انه نبي فقال الاعرابي اني اشهد ان لا
اله وان محمدا رسول الله فقالوا اصبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم لا اله
الا الله محمد رسول الله ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاهم بلا رداء
فنزلوا عن ركائبهم يقبلون ما ولوا منه وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول
الله وقالوا يا رسول الله مرنا بامرك قال كونوا تحت راية خالد بن الوليد

قال ابن عمر فلم يومن في ايامه صلى الله عليه وسلم من العرب ولا
من غيرهم الف غيرهم **وهو مطعون فيه** بالضعف **وقيل**
انه موضوع زعم ذلك ابن دحية وليس كما زعم قال القطب الخيضري
رجال اسانيده وطرقه ليس فيهم من يتهم بالوضع واما الضعف ففيهم
ومثل ذلك لا يتجاسر على دعوى الوضع **لكن معجزاته عليه السلام**
فيها ما هو ابلغ من هذا فلا بدع في كون هذا منها **وليس فيه ما**
ينكر شرعا خصوصا وقد رواه الايمة الحفاظ الكبار كابن عدي وتلميذ
الحاكم وتلميذه البيهقي وهو لا يروي موضوعا والدارقطني وناهيك
به **فنهايته الضعف لا الوضع** كما زعم كيف ولحديث ابن عمر طريق
اخر ليس فيه السلمي رواه ابو نعيم وورد مثله من حديث علي عند ابن
عساكر وابن عباس رواه ابن الجوزي ومن حديث عايشة وابي هريرة
عند غيرهما **والله اعلم** بما في نفس الامر **ومن ذلك حديث الغزالة**
اي كلامها له واما تسليمها المشهور على الالسنة وفي المدايح فقال السخاوي
ليس له كما قال ابن كثير اصل ومن نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد
كذبه ولكن ورد الكلام في الجملة وفي فتح الباري واما تسليم الغزالة فلم اجد له اسنادا
لا من وجه قوي ولا من وجه ضعيف **روي حديثها البيهقي من طرق**
من حديث ابي سعيد **وضعفه جماعة من الايمة** حفاظ الحديث ونقاده
لكن له طرق يقوي بعضها بعضا لان الطرق اذا تعددت وتباينت
مخارجها دل ذلك على ان للحديث اصلا فيكون حسنا لغيره لا لذاته **وذكره**
القاضي في الشفا بلا سند عن ام سلمة بدون تمريض فيدل على قوته
ورواه ابو نعيم في الدلايل النبوية **باسناد فيه مجاهيل عن حبيب**
ابن محصن عن ام سلمة هند بنت ابي امية ام المومنين **رضي الله عنها**
قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحرا من الارض وفي
حديث انس عند ابي نعيم كنا مع رسول الله في بعض سكك المدينة فمررنا بخباء
واذا بظبية مشدودة الى الخبا وكان السكة التي مر بها كانت واسعة فسماها
صحرا مجازا ومرورهم بالخبا بعد سماع الهاتف فلا يخالف قوله **اذا بهاتف**
يهتف صايح يصيح بالنطق **يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا**
ظبية مشدودة في وثاق واعرابي منجدل مطروح على الجدالة الارض
في شملة نايم في الشمس **فقال ما حاجتك** حتى نادتني **قالت**
صادني هذا الاعرابي وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي مر صلى الله
عليه وسلم على قوم قد صادوا ظبية وشدوها الى عامود فسطاط
فقالت يا رسول الله اني وضعت ولي خشفان فاستاذن لي ان ارضعهما ثم
اعود اليهم فقال خلوا عنها حتى تاتي خشفيها فترضعهما وتاتي اليكم
قالوا ومن لنا بذلك يا رسول الله قال انا فاطلقوها فذهبت فارضعتهما
ثم عادت اليهم فاوثقوها فان كانت القصة تعددت والا فيمكن ان صايدها

واحد من القوم له ولهم فنسبه اليهم في رواية ابي سعيد لذلك واخبرته
نفس الظبية بخصوص من صادها ولا تنافي بين قوله فاطلقوها
وبين كون المصطفى هو الذي اطلقها في حديث ام سلمة لجواز ان نسبته
اليهم مجازية لكونه عن اذنهم وكانه لما استاذنهم وضمن لهم عودها
طلبوا منه ان يطلقها بنفسه لتطمين قلوبهم وكذا قوله فاوثقوها الاتي في
حديث ام سلمة فاوثقها النبي لجواز انه امرهم بايثاقها فنسب اليه وفي
خشفان بكسر الخاء وسكون الشين المعجمة ظبيان صغيران فترضع ولدي لهما
في ذلك الجبل تشير لجبل بتلك الصحراء فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما وارجع بنصب الافعال الثلاثة قال وتفعلين بتقدير
الهمزة اي او تفعلين اي ترجعين ان اطلقتك قالت عذبني الله
عذاب العشار المكاس ان لم اعد وفي حديث انس عند ابي نعيم فقالت
يا رسول الله اخذت ولي خشفان في البرية وقد انعقد اللبن في اخلافي فلا
هو يذبحني فاستريح ولا يدعني فارجع الى خشفي في البرية فقال لها ان تركتك
ترجعين قالت نعم والا عذبني الله عذابا اليما فاطلقها فذهبت فارضعتهما
ورجعت عن قريب فاوثقها النبي صلى الله عليه وسلم كما كانت
فانتبه الاعرابي من نومه وقال يا رسول الله الك حاجة قال
تطلق هذه الظبية فاطلقها من وثاقها وفي حديث ابي سعيد عند
البيهقي في السنن بعد قوله فاوثقوها فمر بهم رسول الله فقال اين اصحاب
هذه قالوا نحن يا رسول الله فقال اتبيعونيها قالوا هي لك قال حلوا عنها فاطلقوها
فخرجت تعدو في الصحراء تخرج حجرا بشديدا فرحا وهي تضرب
برجليها الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله وقال زيد بن ارقم فانا والله رايتها تسبح في البرية وهي تقول
لا اله الا الله محمد رسول الله وكذا رواه الطبراني بنحوه من حديث ام
سلمة وساق الحافظ المنذري حديثيه اي لفظ الطبراني في الترغيب
والترهيب من باب الزكاة ولا يخفاك ما في حديثها وحديث ابي سعيد من
التخالف العديد المقتضي لانهما قصتان وقد بينا لك بعضها مع تعسف
الجمع وروى البيهقي في الدلايل مر النبي صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة
الى خباء فقالت يا رسول الله حلني حتى اذهب الى خشفي ثم ارجع فتربطني
فقال صلى الله عليه وسلم صيد قوم وربيطة قوم فاخذ عليها فحلفت له
فحلها فما مكثت الا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها فربطها صلى
الله عليه وسلم ثم اتى خباء اصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها
ثم قال لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا ابدا ونقل
شيخنا الحافظ ابو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتابه المقاصد
الحسنة عن ابن كثير انه لا اصل له وان من نسبه الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقد كذب ولفظ السخاوي حديث تسليم الغزالة اشتهر

على

على الالسنة وفي المدائح النبوية وليس له كما قال ابن كثير اصل ومن نسبه
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ثم قال شيخنا فلو هذا لكنه اي
الكلام في الجملة وارد في عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض اورد
شيخنا شيخ الاسلام ابن حجر الحافظ في المجلس الحادي والستين
من تخريج احاديث المختصر الكبير في الاصول لابن الحاجب والله اعلم
انتهى فصار امران كلام امثاله وهذا مفرداته ضعيفة فيجبر بعضها بعضا
وتسليمها عليه اي قولها السلام عليك يا رسول الله مثلا وهذا الزبير كما قال
ابن كثير خلاف ما يعطيه تصرف المص انه قال في الكلام وفي شرح مختصر ابن
الحاجب للعلامة ابن السبكي وتسبيح الحصى رواه الطبراني وابن
ابي عاصم من حديث ابي ذر الغفاري وقد تقدم وتسليم الغزالة
مجاز عن الكلام اذ هو الذي رواه الحافظ ابو نعيم الاصبهاني وكذا
الطبراني عن ام سلمة والبيهقي عن ابي سعيد الخدري في دلائل النبوة
لهما وكذا رواه البيهقي في السنن عن ابي سعيد ونحن نقول فيهما انهما وان
لم يكونا اليوم متواترين فلعلهما استغني بنقل غيرهما عنهما
وهو القران متواترا كما قاله ابن الحاجب جوابا لقول الشيعة كيف ينقل احادا
مع توافر الدواعي على نقله ومع ذلك لم يكذب رواته او لعلهما تواترا اذ
ذاك ثم انقطع التواتر بعد انتهى قال الحافظ والذي يقوله انها كلها مشتهرة
عند الناس واما من حيث الرواية فليست على حد سواء وقد مرت عبارته
بتمامها في تسبيح الحصى ومن ذلك اي طاعة الحيوانات داجن بدال
مهملة وجيم البيوت من دجن اذا اقام بموضع نزل عنه ليسمن ويقال
دجن بالراء بدل الدال اذا نام وهو ما الفها من الحيوان كالطير والشاة
وغيرهما كالناقة روى قاسم بن ثابت السرقسطي الاندلسي الفقيه المالكي
المحدث المشارك لابيه الحافظ ثابت بن حزم في رحلته وشيوخه الورع الناسك
مجاب الدعوة مات سنة ثنتين وثلثمائة عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان عندنا بمنزلنا الذي نسكنه داجن فاذا كان عندنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قر بالقاف المفتوحة والراء الثقيلة اي سكن
وثبت مكانه اي وقف او ربض فيه لا يتحرك او باء معه فلم يجئ ولم يذهب
واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب اي
مشى في البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل معناه ثم
يقر لعدم رويته صلى الله عليه وسلم شوقا اليه وظاهرها انه لالف الحيوان
الذي لا يعقل له ومهابته عنده وذكره القاضي بسنده من طريق
قاسم واخرجه احمد والبزار وغيرهما واما نبع الماء فقسيم قوله اما معجزة
انشقاق القمر بيانا لتفصيل القسم الثالث وهو ما كان معه حين
ولادته الى وفاته الطهور صفة لازمة وقال شيخنا مخصصة من بين
اصابعه اي اصابع يديه صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر الروايات

الاثنة واقتصر علي بين الاصابع بالنسبة لاغلب الوقايع او يجوز بالبينية
مما يشمل روس الاصابع وهو اشرف المياه علي الاطلاق كما قاله
البلقيني وغيره قال السيوطي

وافضل المياه ما قد نبع ۞ من بين اصابع النبي المتبع
يليه ماء زمزم فالكوثر ۞ فنيل مصر ثم باقي الانهر

فقال القرطبي صاحب المفهم فيه فقصة نبع الما اضافة بيانية اي
القصة التي هي نبع الما من بين اصابعه قد تكررت منه صلي الله
عليه وسلم في عدة مواطن جمع موطن المشهد من مشاهد الحرب
ومكان الانسان في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد
مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي وقال عياض
هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير والجم الغفير عن الكافة متصلة
بالصحابة وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجامع العساكر
ولم يرد عن احد منهم انكار علي راوي ذلك فهذا النوع ملحق بالقطع من
معجزاته قال في فتح الباري فاخذ القرطبي كلام عياض وتصرف فيه وحديث
نبع الما جا من رواية انس عند الشيخين واحمد وغيرهم من خمسة طرق وعن
جابر عندهم من اربعة طرق وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي وعن
ابن عباس عند احمد والطبراني من طريقين وعن ابي ليلي والد عبد الرحمن
عند الطبراني فعدة هولا الصحابة ليس كما يفهم من اطلاقهما واما تكثير
الما بان لمسه بيده او تفل فيه او امر بوضع شي فيه كسهم من كنانته فجا من
حديث عمران بن حصين في الصحيحين وعن البرا بن عازب عند البخاري
واحمد من طريقين وعن ابي قتادة عند مسلم وعن انس عند البيهقي في الدلايل
وعن زياد بن الحارث الصدايي عنده وعن حبان بضم الموحدة وتشديد المهملة
الصدايي ايضا فاذا اضم هذا الي هذا بلغ الكثرة المذكورة او قاربها واما من رواها
من اهل القرن الثاني فهم اكثر عددا وان كان شطر طرقه افرادا وفي الجملة يستفاد
منها الرد علي ابن بطال حيث قال هذا الحديث شهده جماعة من الصحابة
الا انه لم يرو الا من طريق انس وذلك لطول عمره وتطلب الناس العلو في
السند انتهي وهذا ينادي عليه بقلة الاطلاع والاستحضار لاحاديث الكتاب
الذي شرحه انتهي ولم يسمع بهذه المعجزة عن غير نبينا صلي الله عليه
وسلم حيث نبع الما من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه وقد نقل ابن
عبد البر عن المزني اسماعيل بن يحيي بن اسماعيل بن عمرو بن اسحق الامام
الجليل صاحب التصانيف الزاهد المتقلل من الدنيا مجاب الدعوة قال الشافعي
لو ناظره الشيطان لغلبه مات لست بقين من رمضان سنة اربع وستين
ومايتين ودفن قريبا من الشافعي وولد سنة خمس وسبعين ومائة انه
قال نبع الما من بين اصابعه صلي الله عليه وسلم ابلغ في المعجزة من
نبع الما من الحجر حيث ضربه موسي بالعصي فتفجرت حيث سالت

منه المياه لان خروج الما من الحجارة معهود كما قال تعالي وان
من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الما
بخلاف خروج الما من بين اللحم والدم ليس بمعهود كما قال الشاعر

ان كان موسي سقي الاسباط من حجر ۞ فان في الكف معني ليس في الحجر

ولله در البوصيري حيث قال في اللامية

ومنبع الماء عذبا من اصابعه ۞ ودي ايادي علينا قد جري النيل

انتهي كلام القرطبي قال الحافظ ظاهر كلامه ان الما نبع من بين اللحم
الكاين في الاصابع ويويده قوله في حديث ابن عباس عند الطبراني فجاوا
بشي فوضع صلي الله عليه وسلم يده فيه ثم فرق اصابعه فنبع الما من
اصابع رسول الله صلي الله عليه وسلم مثل عصي موسي فان الما تفجر من
نفس العصي فتمسكه به يقتضي ان الما تفجر من بين اصابعه ويحتمل
ان المراد ان الما نبع من بين اصابعه بالنسبة الي روية الرايي وهو في نفس
الامر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه صلي الله عليه وسلم في الما فرا
الرايي نابعا منه والاول ابلغ في المعجزة وليس في الاخبار ما يرده انتهي
وما في نحوه في المتن وقد روي حديث نبع الما جماعة من الصحابة
خمسة كما علمت منهم انس وجابر وابن مسعود وابن عباس وابو
ليلي فاما حديث انس ففي الصحيحين البخاري في الوضوء وعلامات
النبوة ومسلم في الفضايل ورواه الترمذي في المناقب والنسايي في الطهارة
كلهم من طريق مالك الامام عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس
انه قال رايت اي ابصرت رسول الله وفي رواية النبي صلي الله عليه
وسلم والحال انه قد حانت بالمهملة اي قربت صلاة العصر زاد في
رواية للشيخين من حديث سعيد عن قتادة عن انس وهو بالزورا بفتح الزاي
وسكون الواو بعدها را موضع بسوق المدينة وتفسير حانت بقربت هو ما صدر
به الكرماني واقتصر عليه المص والحافظ انسب بقوله صلاة العصر وان كان
يطلق لغة ايضا علي دخول الوقت قال الحافظ وزعم الداودي ان الزورا مكان
مرتفع كالمنارة ولانه اخذه من امر عثمان بالتاذين علي الزورا وليس بلازم بل
الواقع ان المكان الذي امر بالتاذين فيه كان بالزورا لا انه الزورا نفسها وفي
رواية همام عن قتادة عن انس شهدت النبي صلي الله عليه وسلم مع
اصحابه عند الزورا او عند بيوت المدينة اخرجه ابو نعيم فالتمس اي طلب
الناس الوضوء بفتح الواو الما الذي يتوضا به فالتمس الوضوء بالبنا
للمفعول فلم يجدوه وفي رواية بحذف الضمير المنصوب اي فلم يصيبوا الما
فاتي بضم الهمزة مبني للمفعول رسول الله صلي الله عليه وسلم بالرفع
نايب الفاعل بوضوء بفتح الواو اي باناء فيه ما يتوضا به وفي رواية فجاء
رجل بقدح فيه ما يسير وروي المهلب انه كان مقدار وضوء رجل واحد
وعند ابي نعيم والحارث ابن ابي اسامة من رواية شريك بن ابي نمر عن

انس انه هو الذي احضر الما ولفظه قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم
انطلق الي بيت ام سلمة فاتيته بقدح ما اما ثلثه واما نصفه الحديث وفيه
انه رده بعد فراغهم اليها وفيه قدر ما كانوا فيه اولا فوضع يده في ذلك
الانا قال شيخ الاسلام الظاهر انها اليد اليمني فامر الناس ان
يتوضوا منه اي بالتوضي من ذلك الانا قال انس فرايت الما ينبع
بفتح الموحدة يخرج من بين اصابعه فتوضا الناس حتي
توضوا من عند اخرهم وفي لفظ للبخاري من رواية حميد عن
انس كانوا ثمانين رجلا وفي لفظ للبخاري ايضا من رواية الحسن عن
انس كانوا سبعين او نحوه وفي مسلم سبعين او ثمانين وفي لفظ له اي البخاري
في العلامات وكذا مسلم في الفضايل من طريق سعيد عن قتادة عن انس اتي النبي
صلي الله عليه وسلم بانا وهو بالزورا فوضع يده في الانا فجعل الما ينبع من
بين اصابعه فتوضا القوم قال قتادة فقلنا لانس كم كنتم قال
كنا ثلاث مائة وفي لفظه او زهاء ثلاث مائة بالشك قال الحافظ بضم الزاي والمد
اي قدر ثلاث مائة من زهوت الشي اذا حضرته وللاسماعيلي من طريق خالد
ابن الحارث عن سعيد ثلاث مائة بالجزم دون قوله او زهاء انتهي وبه تعلم ما في
المولف من المواخذة بالجزم بثلاث مائة مع العزو للبخاري وقد ظهر من السياق
تعدد القصة اذ كانوا مرة ثمانين او سبعين ومرة ثلاث مائة او ما قاربها فيها
كما قال النووي قضيتان جرتا في وقتين حضرهما جميعا انس قوله حتي
توضوا من عند اخرهم قال الكرماني حتي للتدريج ومن للبيان
اي توضا الناس حتي توضا الذي هو عند اخرهم وهو كناية
عن جميعهم وعند بمعني في لان عند وان كانت للظرفية الخاصة
لكن المبالغة تقتضي ان تكون لمطلق الظرفية لان السياق يقتضي العموم
والمبالغة فكانه قال الذين هم في اخرهم وقال التيمي احمد بن محمد
ابن محمد شارح البخاري شرحا واسعا جليلا المعني توضا القوم حتي وصلت
النوبة الي الاخر وقال النووي من هنا بمعني الي وهي لغة والكوفيون
يجوزون مطلقا وضع حروف الجر بعضها مقام بعض ونقضه الكرماني
بانها شاذة فلا يخرج عليها الفصيح مع امكان غيره قال ثم ان الي لا يجوز
ان تدخل علي عند فهو اعتراض ثان علي النووي ويلزم عليه اي حمل
النووي من بمعني الي وعلي ما قاله التيمي من قولهم الي اخرهم فاشار ايضا
الي انها بمعني الي ان لا يدخل الاخير منه القوم لان الغيا لا يدخل علي
المشهور والا فيدخل علي قول لكن ما قاله الكرماني من ان الي لا يدخل
علي عند لا يلزم مثله في من اذا وقعت بمعني الي لانه يكون كل كلمة
بمعني اخري لا يلزم ان يكون مثلها استعمالا فلا مانع من دخول من التي
بمعني الي علي عند وامتناع دخول الي عليها وعلي توجيه النووي
يمكن ان يقال عند زايدة قاله في فتح الباري في كتاب الطهارة
وقال

وقال المصري توضا الناس ابتدا من اولهم حتي انتهوا الي اخرهم ولم يبق
منهم احد والشخص الذي هو اخرهم داخل في هذا الحكم لان السياق يقتضي
العموم والمبالغة لان عند هنا تجعل لمطلق الظرفية حتي تكون بمعني في
كانه قال حتي توضا الذين هم اخرهم وانس داخل فيهم اذ قلنا يدخل المخاطب
بكسر الطا في عموم خطابه امرا او نهيا او خبرا وهو مذهب الجمهور وقال
بعضهم حتي حرف ابتدا مستانف جملة اسمية وفعلية فعلها ماض نحو
حتي عفوا وحتي توضوا ومضارع نحو حتي يقول الرسول في قراة نافع ومن
للغاية لا للبيان خلافا للكرماني لانها لا تكون للبيان الا اذا كان فيما قبلها
ايهام ولا ابهام هنا وروي هذا الحديث ايضا اي حديث نبع الما لا بقيد
المتقدم عن الصحيحين لانه في سوق المدينة وهذا في تبوك عن انس بن
شاهين فاعل روي ولفظه قال انس كنت مع النبي صلي الله عليه
وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت
دوابنا وابلنا عطف خاص علي عام فقال هل من فضلة ما انما
طلبها لئلا يظن انه صلي الله عليه وسلم موجد للما والايجاد انما هو لله
لا لغيره فجا رجل في شن بفتح المعجمة وطون ثقيلة قربة بالية بشي من
ما فقال هاتوا صحفة انا كالقصعة وقال الزمخشري قصعة مستطيلة
فصب الما في الصحفة من الشن ثم وضع راحته كفه مع اصابعه
في الما قال انس فرايتها اي الصحفة تخلل بفتح التا مضارع بحذف
احدي التاين اي تتفجر عيونا تمييز محول عن الفاعل والاصل تتخلل
عيونها بين اصابعه قال انس فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا
حملنا الما معنا فقال صلي الله عليه وسلم اكتفيتم قلنا نعم يا رسول الله
فرفع يده من الصحفة فارتفع الما برفع يده واخرج البيهقي عن
انس ايضا قال خرج النبي صلي الله عليه وسلم الي قبا موضع
معروف بالمدينة كان صلي الله عليه وسلم ياتيه كل سبت راكبا او ماشيا فاتي
بالبنا للمفعول من بعض بيوتهم اي بيوت اهل قبا بقدح صغير فادخل
يده فلم يسعه اي ادخال يده والا فالظاهر لم تسعها اي اليد القدح
لصغره فادخل اصابعه الاربعة ولم يستطع ان يدخل ابهامه
ثم قال للقوم هلموا الي الشراب قال انس بصر بضم الصاد وكسرها
قال المجد ككرم وفرح اي نظر عيني ينبع الما اي منبعه من بين اصابعه
وعدي بصر بنفسه لغة والافصح تعديته بالبا نحو بصرت بما لم يبصروا
فلم يزل القوم يردون القدح حتي رووا بفتح الرا وضم الواو منه
جميعا اي زال ظماهم واصله رويوا حذفت اليا لثقل الضمة عليها وضمت
الواو الاولي لمناسبة الثانية واما حديث جابر ففي الصحيحين
في المغازي والبخاري ايضا في علامات النبوة واخرجه النسايي في الطهارة
والتفسير كلهم من رواية سالم بن ابي الجعد عن جابر قال عطش

بكسر الطا **الناس يوم الحديبية** بالتخفيف والتشديد **وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم بين يديه ركوة** مثلثة الرا انا صغير من
جلد يشرب فيه **يتوضا** لفظ البخاري في الوضعين فتوضا **منها** قال الحافظ كذا وقع في هذه الرواية ووقع في الاشربة من طريق الاعمش عن سالم
ان ذلك لما حضرت صلاة العصر **جهش** بفتح الجيم والها بعدها معجمة
الناس اي اسرعوا لاخذ الما وللكشميهني فجهش بزيادة فا في اوله **نحوه** عليه السلام وقال الهم بفتح الجيم والها والشين المعجمة اي اسرعوا الي الما
متهيين لاخذه ولابي ذر بكسر الها وللحموي والمستملي جهش باسقاط
الفا وفتح الها انتهي فما يوجد في كثير من نسخ المتن وجهش بواو وقبل
الجيم مخالف للروايتين **فقال** وفي رواية فقال بلا فا **ما لكم** اي اي شي عرض
لكم حتي جهشتم اليه **قالوا يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضا به ولا ما نشربه** وما بالهمز في اليونينية وفي بعض نسخ لم يضبطها
الا ما بين يديك ومعلوم انه لا يكفي وجعلوا ما بين يديه عندهم لعلمهم
انه لا يمنعهم منه فالاستثنا متصل **فوضع** صلي الله عليه وسلم **يده في الركوة فجعل الما يثور** بالمثلثة للاكثر وللكشميهني بالفا وهما بمعني
اي ينبع ويرتفع لزيادته **من بين اصابعه كامثال العيون** اي ما يها
الذي يخرج منها والغرض وصف الما الخارج من اصابعه بالكثرة وقال
بعض اي كان بين كل اصبعين من اصابعه عين ماء نابعة **فشربنا وتوضانا قلت** هو مقول سالم بن ابي الجعد راويه عن جابر اي فقلت له **كم كنتم قال لو كنا ماية الف لكفانا** ذلك الما لما شاهد من ثوارنه الدال علي عدم
انقطاعه **كنا خمس عشرة** ماية يعني الفا وخمسماية قال الطيبي عدل
عن الظاهر لاحتمال التجوز في الكثرة والقلة وهذا يدل علي انه اجتهد
فيه وغلب علي ظنه هذا المقدار لكن يخالفه قول البرا عند البخاري كنا
يوم الحديبية اربع عشرة ماية ورجح البيهقي هذه الرواية علي الاول بل
قيل انه وهم وجمع بانهم كانوا اكثر من الف واربعماية فمن قال وخمسماية جبر
الكسر ومن قال واربعماية الغاه ويويده رواية البخاري من وجه اخر عن البرا
كنا الفا واربعماية او اكثر فاو بمعني بل بعيد ذلك واعتمد النووي هذا الجمع لصحة
الروايات كلها كما تقدم بسط ذلك في الحديبية **وقوله يثور** بالمثلثة او الفاء
لانهما بمعني كما قال الحافظ **اي يعلو ويظهر متدفقا** عطف تفسير
يقال للشي اذا زاد وارتفع قد علا كما في الصباح وبه يعلم انه لا يشترط في ذو
الغليان حصوله بحرارة النار **وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت** الانصاري المدني ابي عبادة ثقة من كبار التابعين ولد في عهد النبي صلي
الله عليه وسلم ومات بعد السبعين روي له الشيخان والترمذي والنسائي
عنه اي عن جابر **في حديث مسلم الطويل** صفة لحديث في اواخر
صحيحه بنحو ورقتين في باب سيرة النبي صلي الله عليه وسلم **فيه ذكر غزوة**

بواط

نا

بواط بضم البا وفتحها وخفة الواو مفتوحة والف ومهملة جبال لـ
جهينة علي ابراد من المدينة بقرب ينبع ثاني غزواته صلي الله عليه
وسلم قال **قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم ناد** امر من النداء
محذوف الاخر المعتل اي ناد الناس فقل لهم اعطوا او ناولوا **الوضوء**
بفتح الواو الما الذي يتوضا به فنصب بمقدر **وذكر الحديث بطوله**
وهو فقلت الا وضوء الا وضوء الا وضوء قال قلت يا رسول الله ما وجدت
في الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله صلي الله عليه
وسلم واصحابه له ما في اشجاب علي حمارة من جريد قال فقال لي انطلق الي
فلان الانصاري فانظر هل في اشجابه من شي فانطلقت اليه فنظرت
فيها فلم اجد الا قطرة في عزلا شجب منها لو اني افرغه لشربه يابسه لانا
قال اذهب فاتني به فاتيته به فاخذه بيده فجعل يتكلم بشي لا ادري ما هو
ويغمز بيده ثم اعطانيه فقال يا جابر ناد بجفنة فقلت يا جفنة الركب فاتيت
بها تحمل فوضعتها بين يديه فقال صلي الله عليه وسلم بيده هكذا فبسطها
وفرق بين اصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر فصب علي
وقل بسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فرايت الما يفور من بين اصابعه
صلي الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتي امتلات فقال يا جابر
ناد من كانت له حاجة بما قال فاتي الناس فاستقوا حتي رووا وبقي فقلت
هل بقي احد له حاجة فرفع صلي الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملاي
الحديث قال الحافظ وهذه القصة ابلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها علي
قلة الما وعلي كثرة من استقي منه فذكر المص معناه تبعا للشفا بقوله
وانه اي جابرا **لم يجد** عند الانصاري **الا قطرة** اي ما قليلا جدا **في عزلا** بفتح المهملة وسكون الزاي ولام بعدها مدة وهمزة فم القربة الاسفل
او مصب الما من الراوية مضاف الي **شجب** بفتح المعجمة وحكي كسرها ولا
يصح وسكون الجيم وموحدة اي فم قربة معلقة بعود او بالية فالشجب
عود يعلق عليه القرب والثياب والاواني بالما علي الصحيح وقيل ما قدم
من القرب **فاتي** بالبنا للمفعول والفاعل **به النبي صلي الله عليه وسلم فغمزه** بفتح المعجمة والميم والزاي عصره وحركه او وضع يده عليه وكبسه
بها **وتكلم بشي لا ادري ما هو** كانه سر من اسرار الله تكلم به بالسريانية
ونحوها ليخفي علي غيره كذا قال بعض او بالعربية واسره فلم يدره جابر
وقال ناد بجفنة كقصعة لفظا ومعني انا يشبع عشرة قاله الترودي بها
الصحفة تشبع خمسة ثم الماكلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة
مصغر تشبع الواحد وقيل الجفنة كالصحفة وقيل اعظم منها **الركب** بزيادة
البا او بتضمين ناد معني صح او ايته بدليل قوله **فاتيت بها فوضعتها بين يديه** وقيل مفعول ناد محذوف اي ناد القوم يا تو بجفنة او
نزلها منزلة العاقل لان الله خلق فيها ادراكا حتي تنادي هي ثم

ظاهره ان الركب كان لهم جفنة معينة يستعملونها في حوايجهم او يضعون
فيها الطعام ويجتمعون عليها عند الاكل مثلا هذا مقتضي الاضافة
وقد علمت ان لفظ مسلم نادي بجفنة فقلت يا جفنة الركب ولا منافاة لجواز
ان المراد بها الجفنة المخصوصة فالتنوين عوض عن المضاف اليه او
علي حقيقته لانه يجوز ان يكون معهم غيرها فاراد اي جفنة كانت وذكر
جابر ان النبي صلي الله عليه وسلم بسط بالسين والصاد وبهما
قري اي وضع يده في الجفنة مبسوطة ليكون ابرك وفرق اصابعه
وصبه عليه جابر وقال جابر بسم الله كما امره بها وزعم ان فاعل
قال النبي صلي الله عليه وسلم بعيد بل يخالفه لفظ مسلم المار قال جابر
فرايت الما يفور يرتفع ويزيد حتي يندفق من بين اصابعه عليه
السلام ثم فارت الجفنة اي ارتفع ماوها فالمضاف مقدر او اسناد مجازي
للمبالغة في فورانه واستدارت اي دارت كما هو لفظ مسلم اي دار الما فيها
من تسمية الحال باسم المحل لان الما اذا زاد بسرعة برجي كانه يدور وقيل الجفنة
نفسها دارت لعظم الامر وشرف الموضع فاهتزت واضطربت وتتابعت
حركاتها حتي امتلات قال بعض ولا محصل لهذا القيل وفيه نظر وامر
الناس بالاستقا فاستقوا حتي رووا اي اخذ كل منهم ما يكفيه ويكفي
دوابه وشربوا حتي ذهب عطشهم فقلت مقول جابر هل نافيه اي ما
بقي من زايده احد له حاجة كقوله هل ينظرون الا تاويله وهل ترك لنا عقيل
من رباع بدليل زيادة من وقوله فرفع صلي الله عليه وسلم يده من
الجفنة ويجوز انها استفهامية ومن زايدة والنافي غير فصيحة اي فقالوا
لا فرفع فالاول اولي لان الاصل عدم التقدير وهي ملاي اي مملوة بالما لم
تنقص شيا مما اخذوه وروي حديث جابر ايضا الامام احمد في
مسنده بلفظ اشتكي اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
العطش فدعا بعس بضم العين وشد السين المهملتين قدح كبير
فصب فيه شيا من الما قليلا ووضع رسول الله صلي الله عليه
وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقي الناس فكنت اري العيون
اي عيون الما تنبع تخرج من بين اصابعه صلي الله عليه وسلم
وفي لفظ من حديثه اي جابر له اي لاحمد ايضا قال فوضع
رسول الله صلي الله عليه وسلم كفه في الانا ثم قال بسم الله
اتبرك واطلب نبع الما ويحتمل القسم لصحة نيته بذلك واقتصر عليه لانه
الماثور في ساير الافعال لا لبيان جوازه بدون الرحمن الرحيم كما زعم ثم
قال اسبغوا الوضو قال جابر فو الذي ابتلاني ببصري اي بفقده
او ذهابه لانه عمي في اخر عمره لقد رايت العيون عيون الما يومئذ
تخرج من بين اصابعه صلي الله عليه وسلم فما رفعها اي يده حتي
توضوا اجمعين ورواه ايضا عنه البيهقي في الدلايل النبوية قال

كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في سفر هو الحديبية
فاصابنا عطش فجهشنا بفتح الجيم والهاء وبكسرها اسرعنا الي
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال جابر فوضع يده في تور
بفتح الفوقية شبه الطست وقيل هو الطست ووقع في حديث شريك
عن انس في المعراج اتي بطست من ذهب فيه تور وظاهره المغايرة
بينهما ويحتمل الترادف فكان الطست اكبر من التور قاله الحافظ وقوله
فكان لا يلايم لاحتمال الترادف الا ان يكون مراده الترادف اللغوي وقال الم
التور انا من صفر او حجارة وفي القاموس انا يشرب فيه مذكر من ما بين يديه
قال فجعل الما ينبع من بين اصابعه كانه العيون لكثرة نبعه قال
خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا عمنا وكفانا حتي روينا ولا يلزم
من الوسع الكفاية في الري فلذا جمع بينهما ولو كنا ماية الف لكفانا لانه
مدد غير منقطع قال سالم ابن ابي الجعد قلت لجابر كم كنتم قال كنا الفا
وخمسماية واخرجه ابن شاهين الحافظ ابو حفص عمر بن احمد
البغدادي تقدمت ترجمته وان له المنتهي في التصنيف له ثلثماية وثلا
ثين مصنفا منها المسند الف وستماية مجلد والتفسير الف مجلد ضخم
وحاسب الحبار علي ثمانية عشر قنطارا من الحبر استخرجها منه
وجمع برايه اقلامه واوصي ان يسخن له بها غسله فكفت تسخينه
قال ابن ماكولا وغيره ثقة مامون صنف ما لم يصنفه احد الا انه لحانا ولا
يعرف الفقه مات سنة خمس وثمانين وثلاث ماية من حديث جابر
ايضا وقال في سياقه اصابنا عطش بالحديبية فجهشنا الي
رسول الله صلي الله عليه الحديث واخرجه ايضا عن جابر احمد
الامام في المسند من طريق نبيح بضم النون ومهملة مصغر ابن عبد الله
العنزي بفتح المهملة والنون ثم زاي ابي عمر الكوفي مقبول عنه اي
جابر قال سافرنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فحضرت الصلاة
فقال صلي الله عليه وسلم اما في القوم طهور وفيه تلو هذا فجا رجل
باداوة فيها شي قليل من الما ليس في القوم ما غيره فصبه
رسول الله صلي الله عليه وسلم في قدح ثم توضا فاحسن الوضو
ثم فرايضه ونوافله ثم انصرف وترك القدح قال جابر فتزاحم الناس
علي القدح اسقط من هذه الرواية فقالوا تمسحوا تمسحوا فسمع صلي
الله عليه وسلم فقال علي رسلكم بكسر الرا هينتكم فوضع كفه في
القدح وفي رواية فضرب بيده في القدح في جوف الما ثم قال اسبغوا
الوضو اتموه بغرضه ونفله ولا تمسحوا قال جابر فلقد رايت العيون
عيون الما تخرج من بين اصابعه صلي الله عليه وسلم حتي
توضوا اجمعون قال حسبته قال كنا ماتين وزيادة هذا تقوية رواية
نبيح كما في الفتح واما حديث بن مسعود ففي الصحيح اي الحديث

الصحيح او صحيح البخاري من رواية علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي
الكوفي التابعي الكبير ثقة ثبت فقيه عابد مات بعد الستين وقيل بعد
السبعين عن عبد الله يعني ابن مسعود قال كنا بينما بالميم وفي رواية
بينا بلا ميم نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في سفر كما في
البخاري وجزم البيهقي في الدلايل بانه الحديبية لكن لم يخرج ما يصرح به
وقد روى ابو نعيم في الدلايل انه ذلك في غزوة خيبر فهذا اولى كما في الفتح وليس
معنا ما جملة حالية فقال لنا اطلبوا من معه فضل ما اي بقية ما
كان او زيادة منه على حاجته فاتي بما بالبنا للمفعول والفا فصيحة اي
فطلبوا الما فوجدوه بعضهم فاتي به وفي البخاري فجاوا باناء فيه ما قليل ولابي
نعيم عن ابن عباس دعا صلى الله عليه وسلم بلالا بما فطلبه فلم يجده فصبه
في اناء اخر مكشوف ليدخل يده فيه ثم وضع كفه فيه اي الاناء الثاني والعطف
بثم لما بينهما من تراخ قليل فجعل اي صار الما ينبع من بين اصابع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ابن عباس فبسط كفه فيه فنبعت
تحت يده عين فجعل ابن مسعود يشرب ويكثر وفي رواية عن ابن مسعود فجعلته
ابادرهم الى الما ادخله في جوفي لقوله البركة من الله ثم ما ذكره المص من لفظ
الحديث وعزاه للصحيح مثله في الشفا ولفظ البخاري في علامات النبوة من
رواية علقمة عن عبد الله قال كنا نعد الايات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الما فقال اطلبوا فضلة من ما
فجاوا باناء فيه ما قليل فادخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة
من الله فلقد رايت الما ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد
كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وظاهر هذا ان الما كان ينبع من بين
اصابعه لا حقيقة بل بالنسبة الى روية الرائي وهو في نفس الامر
للبركة الحاصلة فيه متعلق بقوله يفور ويكثر في نفسه من غير خروجه
من اصابعه الشريفة وكفه صلى الله عليه وسلم في الانا فيراه الرائي
نابعا من بين اصابعه وليس بنابع حقيقة وظاهر كلام القرطبي المتقدم
اول هذا المبحث انه ينبع من نفس اللحم الكاين في الاصابع لقوله ينبع
الما من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه وقد مر ان الحافظ ابدا فيه احتمال
كونه بالنسبة للروية وان ظاهره ابلغ وليس في الاخبار ما يرده وبه صرح
النووي في شرح مسلم فقال وفي كيفية هذا النبع قولان حكاهما عياض
وغيره احدهما وهو قول اكثر العلما والمزني ان الما كان يخرج من ذات اصابعه
والثاني ان الما كثر في ذاته فصار يفور من بين اصابعه انتهى وادعى المص
ان حديث ابن مسعود ظاهر في الثاني فيها نظر اذ هو محتمل بل الظاهر منه
الاول كبقية الاحاديث ويويده قول جابر فرايت الما يخرج من بين
اصابعه وفي رواية فرايت الما ينبع من بين اصابعه فقوله يخرج
وينبع ظاهر في انه من ذاتها وهذا هو الصحيح وكلاهما اي الامرين

كثرته في نفسه ببركته وخروجه من ذات اصابعه معجزة له صلى الله
عليه وسلم وقول الاكثر ابلغ في المعجزة وافرد معجزة نظرا للفظ كلا فيجوز
مراعاة لفظها ومعناها واجتمعا في قوله

كلاهما حين جد الجري بينهما ۰ قد اقلعا وكلا انفيهما رابي

وانما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة ما ولا وضع انا تادبا
مع الله تعالى اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وايجادها على غير
مثال سابق وايجادها من غير اصل تتولد منه وفي فتح الباري الحكمة في
طلبه صلى الله عليه وسلم في هذه المواطن فضلة الما لئلا يظن انه الموجد للما
ويحتمل انه اشارة الى ان الله اجرى العادة في الدنيا غالبا بالتوالد وان بعض
الاشيا يقع بينها بالتوالد وبعضها لا يقع ومن جملة ذلك ما يشاهد من فوران
بعض المايعات اذا خمرت وتركت زمانا ولم تجر العادة في الما الصرف بذلك
فكانت المعجزة بذلك ظاهرة جدا انتهى وروى ابن عباس قال دعا
نادى النبي صلى الله عليه وسلم بلالا كما في الرواية فطلب بلال الما فقال
لا والله ما وجدت الما قال فهل من شن بفتح المعجمة وبالنون اداوة
يابسة فاتي بشن فبسط كفه اليمنى على الظاهر فيه فانبعثت انفجرت
تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب ويكثر كما في الرواية وكان
غيره يتوضا رواه الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن وابو نعيم في الدلايل
قال الحافظ وهذا يشعر بان ابن عباس حمل الحديث عن ابن مسعود وان القصة
واحدة ويحتمل انه يكون كل من بلال وابن مسعود احضر الاداوة فان الشن الاداوة
اليابسة انتهى وكذا رواه الطبراني وابو نعيم من حديث ابي ليلى
الانصاري والد عبد الرحمن قيل اسمه بلال وقيل بليل بالتصغير وقيل داود بن
بلال وقيل اوس وقيل يسار وقيل اليسر وقيل اسمه كنيته وقال ابن الكلبي
ابو ليلى بن بلال بن بليل ابن احيحة وتمم نسبه الى مالك بن الاوس وقال
غيره شهد احدا وما بعدها ثم سكن الكوفة وكان مع علي في حروبه وقيل
انه قتل بصفين روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه ولده عبد الرحمن
وحده وقال الدولابي روى عنه ايضا عامر بن كريز قاضي دمشق وليس
كما قال فشيخ عامر هو ابو ليلى الاشعري كما في الاصابة وله احاديث في السنن
وابو نعيم منه طريق القاسم ابن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن
جده ابي رافع واسمه اسلم على اشهر اقوال عشرة تقدمت غير مرة مولى
النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكر المص ستة صحابة رووا حديث نبع الما
فزاد ابا رافع على الحافظ ومن ذلك تفجر وفي نسخة تفجير قال طلق
المصدر واراد اثره وهو التفجر مجازا اذ التفجير من فعل الله لا من الما
فالمراد منه التفجر او المراد بتفجيره شق محله الذي يخرج منه او المصدر
مضاف لمفعوله بعد حذف الفاعل اي تفجير الله الما بمعنى اخراجه
ببركته اي يمنه ووجوده في مكان اخرج منه الما وانبعاثه انفعال

من البعث وهو الاثارة والاخراج للما حتي يجري وفي نسخة انبعاثه ه
بالنون انفعال وهما بمعني واحد يقال بعثه فانبعث وانبعث بمسه لمحله
ودعوته دعا به لله تعالي واخر هذا عن نبعه من اصابعه لقوة ذاك في المعجزة
علي هذا الاحتمال لكونه اتفاقيا روي مسلم في صحيحه في فضايل النبي
من طريق مالك عن ابي الزبير عن عامر بن واثلة عن معاذ ابن جبل
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال انكم ستاتون غدا ان شا الله
عين تبوك التي بها لا تنصرف علي المشهور للوزن الفعل كتقول وقد
تصرف علي ارادة الموضع مكان بين المدينة والشام وانكم لن تاتوها
حتي يضحي النهار فمن جاها اي قبلي بدليل قوله فلا يمس من مايها
شيا حتي اتي بالمداجي قال معاذ فجيناها وقد سبق اليها رجلان
والعين مثل الشراك بكسر المعجمة وفتح الرا والف وكاف سير النعل الذي
الذي علي وجهه شبهه به لضعفه وقلة جريه وليس بمعني اخدود في
الارض كما توهم تبض بفتح التا وكسر الموحدة وتشديد الضاد المعجمة اي
تقطر وتسيل كما رواه ابن مسلمة وابن القاسم في الموطا ورواه يحيي وطايفة
بصاد مهملة اي تبرق قاله الباجي وبهما روي ايضا في مسلم بشي من ماء
يشير الي تقليله فسالهما رسول الله صلي الله عليه وسلم هل مسستما
بكسر السين الاولي علي الافصح وتفتح من مايها شيا قالا نعم فسبهما
لانهما لم يعلما نهيه او حملاه علي الكراهة او نسياه ان كانا مومنين وقد روي ابوا
بشر الدولابي انهما كانا من المنافقين لمخالفتهما امره ونفاقهما او حملهما النهي
علي الكراهة ان كانا مومنين فان كانا لم يعلما او نسيا فسبهما لكونهما تسببا
في فوات ما اراده من اظهار المعجزة كما بسبب الساهي والناسي وبلا مان
اذا كانا سببا في فوات محروص عليه قاله الباجي في شرح الموطا وقال لهما
ما شا الله ان يقول ثم غرفوا من العين بايديهم قليلا قليلا بالتكرار
حتي اجتمع الما الذي غرفوه في شي من الاواني التي كانت معهم ولا قلب فيه
وان اصله غرفوا في شي حتي اجتمع ما المي كما توهم ثم غسل عليه السلام به اي
الما والذي في مسلم وفي الموطا فيه بدل وضميره قبل عايد به علي الشي اي الانا
وجهه ويديه للبركة والظاهر انه للما ايضا وعبر يفي لمشاكلة قوله
ثم اعاده فيها فجرت العين بما كثير بالمعني ولفظ مسلم فجرت العين
بما منهمر او قال غزير شك ابو علي اي رواية عن مالك فاستقي الناس
شربوا وسقوا دوابهم ثم قال عليه الصلاة والسلام يا معاذ يوشك
يقرب ويسرع من غير بطو ان طالت بك حياة اي ان اطال الله عمرك
ورايت هذا المكان ان ترى بعينيك فاعل يوشك وان بالفتح مصدرية
ما موصول اي الذي ههنا وهو اشارة المكان قد ملي بالبنا للمفعول
جنانا نصب علي التمييز بكسر الجيم جمع جنة بفتحها اي بساتين وعمرانا
اي يكثر ماوه ويخصب ارضه فيكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة وهذا

ايضا

ايضا من معجزاته عليه السلام لانه اخبار بغيب وقع
ذكره القاضي عياض في الشفا بنحوه من طريق مالك ورواه يعني
بلفظ روي مالك في الموطا عن معاذ وزاد بعده اي ناسبا له
في حديث ابن اسحق في السيرة فقال عياض قال معاذ
فانخرق انفجر انفجارا بشدة من الما
ماله حس صوت كحس الصواعق جمع صاعقة الصيحة فهو تشبيه
محسوس بمحسوس قال التلمساني وهي والصعقة النار تسقط من السما
الي الارض في رعد شديد وصيحة العذاب وقطعة من النار تسقط الي
الارض انتهي وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث المسور
بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الواو وبالرا ابن مخرمة بفتح الميم
وسكون المعجمة بن نوفل بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي له ولابيه
صحبة مات سنة اربع وستين ومروان بن الحكم بن ابي العاصي ابن امية
ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي لم تثبت له صحبة قال الحافظ
وهذا الحديث مرسل فمروان لا صحبة له والمسور لم يحضر القصة وقد رواها
البخاري في اول كتاب الشروط عن المسور ومروان اخبرا عن اصحاب رسول
الله صلي الله عليه وسلم وقد سمعا جميعا صحابة شهدوا هذه القصة كعمر وعثمان
وعلي والمغيرة وام سلمة وسهل بن حنيف انهم اي النبي صلي الله عليه وسلم
واصحابه نزلوا باقصي الحديبية علي ثمد بفتحتين قليل الما يتبرضه
بتحتية ففوقية فموحدة ثقيلة فضاد معجمة باخره الناس تبرضا
نصب علي انه مفعول مطلق من بابه التفعل للتكليف فلم يلبثه الناس
قال الحافظ بضم اوله وسكون اللام من الالباث وقال ابن التين بفتح اوله
وكسر الموحدة المثقلة اي لم يتركوه يلبث اي يقيم انتهي وقال المصنف بضم اوله
وفتح اللام وشد الموحدة وسكون المثلثة في الفرع واصله مصححا عليه حتي
نزحوه بنون فزاي فحا مهملة اي لم يبقوا منه شيا قال الحافظ ووقع
في شرح ابن التين فقابدل الحا ومعناهما واحد وهو اخذ الما شيا بعد
شي حتي لا يبقي منه شي وشكي بالبنا للمفعول الي رسول الله صلي الله
عليه وسلم العطش بالرفع نايب الفاعل فانتزع سهما من كنانته
بكسر الكاف جعبته التي فيها النبل ثم امرهم ان يجعلوه فيه اي الثمد روي
ابن سعد من طريق ابي مروان قال حدثني اربعة عشر رجلا من الصحابة
ان الذي نزل البير ناجية بن الاعجم وقيل هو ناجية بن جندب وقيل البرا بن
عازب وقيل عباد بن خالد حكاه الواقدي ووقع في الاستيعاب خالد بن
عبادة قال في الفتح ويمكن الجمع بانهم تعاونوا علي ذلك بالحفر وغيره
فوالله ما زال يجيش بفتح اوله وكسر الجيم وسكون التحتية ومعجمة لهم
بالري بكسر الراء يجوز فتحها حتي صدروا عنه اي رجعوا بعد ورودهم
زاد ابن سعد حتي اغترفوا بانيتهم جلوسا علي شفير البير وعند ابن اسحاق
فجاش بالروا حتي ضرب الناس عنه بعطن والثمد بالمثلثة المفتوحة

والتخريك اي فتح الميم الما القليل وقال في الفتح اي حفرة فيها ماء
قليل يقال ما مثمود اي قليل فقوله قليل الما تاكيد لدفع توهم ان يراد لغة
من يقول الثمد الما الكثير وقيل الثمد ما يظهر من الما في الشتا ويذهب
في الصيف انتهي وهذا اولي من تفسير المص بالما القليل لانه يصير في قوله
قليل الما حزازة لرجوع معناه الي انهم نزلوا علي ما قليل اي قليل الماء
لكن تعقب بعض كلام الحافظ بانه انما يتم ان ثبت لغة ان الثمد الما الكثير
واعترض الدماميني قوله تاكيد بانه لو اقتصر علي قليل امكن اما مع اضافته
الي الما فيشكل كقولنا هذا ما قليل الما نعم قال الراوي عبد الثمد العين وقال غيره
حفرة فيها ما فان صح فلا اشكال وقوله يتبرضه الناس تبرضا
بالضاد المعجمة اي ياخذونه قليلا قليلا والبرض الشي القليل
قال الحافظ البرض بالفتح والسكون اليسير من العطا وقال صاحب العين
هو جمع الما بالكفين وقوله فما زال اي استمر يجيش بفتح المثناة
التحتية وبالجيم اخره شين معجمة اي يفور ماوه ويرتفع
وفي رواية للبخاري عن البرا انه صلي الله عليه وسلم توضا
فتمضمض ودعا ومج في بير الحديبية فجاشت بالما كذلك
ولم يذكر القا السهم وفي مغازي ابي الاسود محمد بن عبد الرحمن
الاسدي المدني يتيم عروة من الثقات عن عروة بن الزبير احد
الفقها مرسلا انه صلي الله عليه وسلم توضا في الدلو ومضمض
فاه ثم مج فيه في الدلو وامر ان يصب في البير ونزع سهما من
كنانته جعبته والقاه في البير اي امرهم بالقايه لرواية البخاري
قبل ودعا الله تعالي ففارت بالما من الفوران ارتفعت حتي
جعلوا يغترفون بايديهم منها وهم جلوس علي شفيرها
بالمعجمة والفا حافتها فجمع في هذه الرواية بين الامرين التوضي
والمج منه والقا السهم من كنانته ففي رواية البخاري اختصار وفيه
معجزات ظاهرة وبركة سلاحه وما ينسب اليه صلي الله عليه وسلم
وكذا رواه الواقدي محمد بن عمر بن واقد الاسلمي الحافظ المتروك مع
سعة علمه من طريق اوس بن خولي بفتح الخا المعجمة وفتح الواو
وضبطه العسكري في كتاب التصحيف كما في التبصير الانصاري
الخزرجي صحابي شهير قال ابن سعد مات قبل حصر عثمان وهذه
القصة غير القصة السابقة قريبا في ذكر نبع الما من بين
اصابعه صلي الله عليه وسلم مما رواه البخاري ومسلم كلاهما
في المغازي من حديث جابر قال عطش الناس بالحديبية
وبين يديه رسول الله صلي الله عليه وسلم ركوة فذكر الحديث
وفيه فجعل الما يفور من بين اصابعه الحديث المتقدم قريبا و
فبين القصتين مغايرة ظاهرة لانه قال في حديث جابر فجعل

الما

الما يفور من بين اصابعه وفي حديث البرا انه صب ماء وضوئه في البير
وجمع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع في وقتين انتهي فالقصة
متعددة فحديث جابر في نبع الما كان حين حضرت صلاة العصر
عند ارادة الوضوء له وحديث البرا كان لارادة ما هو اعم
من ذلك كشربه وسقي دوابه ويحتمل ان يكون الما لما انفجر من اصابعه
ويده في الركوة وتوضوا كلهم وشربوا امر حينئذ بصب الما
الذي بقي في الركوة في البير ظرف لصب فتكاثر الما فيها فتكون
قصة واحدة انتهي من فتح الباري وزاد في حديث زيد بن خالد انهم اصابهم
مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله اعلم
وفي حديث البرا ابن عازب وسلمة بن الاكوع مما رواه البخاري
لو زاد ومسلم لاستقام علي التوزيع فالبخاري روي حديث البرا ومسلم
حديث سلمة في قصة الحديبية وهم اربع عشرة ماية وبئرها
لا تروي بضم الفوقية خمسين شاة الشاة المعروفة وروي اشاة بكسر
الهمزة الاولي وفتح الاخيرة وهي النخلة الصغيرة فنزحناها اخرجنا
جميع ما بها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلي الله عليه
وسلم علي جبالها قال البرا واتي بالبنا للمفعول بدلو منها اي بماء
دلو مما نزحوه فبصق بالصاد وفي رواية بالسين وهما لغتان اي القي ريقه
فدعا الله سرا بعد بصاقه فجمع بينهما علي رواية البرا وليس هنا
اداة شك فلا يصح احتمال انه شك من الراوي هل بصق او دعا لقوله
وقال سلمة فاما دعا واما بصق بكسر الهمزة تبين بيان للشك في
رواية سلمة منه او ممن بعده ووقوعه في رواية البرا كما هو ظاهر فيها
اي البير لا الدلو كذا قيل فجاشت البير اي فارما وها وارتفع لفيها
فاروا انفسهم بشربهم وركابهم ابلهم بسقيهم منها وقال في
رواية البرا ثم مضمض ودعا الله سرا ثم صبه الما الذي توضا وتمضمض
به فيها اي البير ثم قال دعوها ساعة مقدارا من الزمان وفي رواية
للبرا فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ولفظ البخاري من طريق اسرايل
عن ابي اسحاق عن البرا قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة
فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلي الله
عليه وسلم اربع عشرة ماية والحديبية بير فنزحناها فلم نترك فيها قطرة
فبلغ ذلك النبي صلي الله عليه وسلم فاتاها فجلس علي شفيرها ثم دعا
باناء من ما فتوضا وتمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد
ثم انها اصدرتنا ما شينا نحن وركابنا ولفظه من طريق زهير حدثنا ابو
اسحاق انبانا البرا انهم كانوا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الحديبية
الفا واربعماية او اكثر فنزلوا علي بير فنزحوها فاتوا النبي صلي الله عليه وسلم
فاتي البير وقعد علي شفيرها ثم قال ايتوني بدلو من مايها فاتي به فبصق

ثم قال دعوها ساعة فاروو انفسهم وركابهم حين ارتحلوا ولفظ مسلم
عن سلمة قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن اربع
عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها فقعد صلى الله عليه وسلم
على جبا الركية فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فسقينا واستقينا

بياض باصله

قوله على جباها بفتح الجيم والموحدة والقصر ما حول البير
وبالكسر ما جمعت فيه عبارة غيره ما جمع فيها من الما وروى
شفاها بمعجمة وهما بمعنى وقوله وركابهم اى الابل التى يسار عليها
وفى الصحيحين البخارى فى التيمم وعلامات النبوة ومسلم فى الصلاة
من حديث عوف حدثنا ابو رجا عن عمران بن حصين بن عبيد بن خلف
الخزاعى اسلم عام خيبر وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم يقول اهل
البصرة عنه كان يرى الحفظة وتكلمه حتى اكتوى روى له مائة وثمانون
حديثا فى البخارى اثنا عشر مات بالبصرة سنة اثنين وخمسين قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر اختلف فى انه فى
الحديبية ففى مسلم عن ابن مسعود اقبل صلى الله عليه وسلم من الحديبية
ليلا فنزل فقال من يكلؤنا فقال بلال انا الحديث او بطريق مكة كما فى الموطا
عن زيد بن اسلم مرسلا او بطريق تبوك كما رواه عبد الرزاق عن عطا بن
يسار مرسلا والبيهقى عن عقبة بن عامر او فى جيش الامرا كما فى ابى داود
وتعقبه ابو عمر بانها مؤتة ولم يشهدها النبى صلى الله عليه وسلم وهو
كما قال لكن يحتمل ان المراد بها غيرها ذكره الحافظ وقول المص او عند رجوعهم
من خيبر كما فى مسلم لا وجه له اذ فى قصة عمران قال اول من استيقظ
ابو بكر ورواية مسلم اول من استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فلا يصح
تفسير السفر المبهم هنا بما فى مسلم ولذا لم يذكره الحافظ هنا وانما
ذكره استدلالا على تعدد الواقعة اى نومهم عن صلاة الصبح كما مر
بيانه فى اخر المقصد الثالث فاشتكى حذف من الحديث ما لم يتعلق
به غرضه هنا وهو وانا اسرينا حتى كنا فى اخر الليل وقعنا
وقعة ولا وقعة عند المسافر احلى منها فما ايقظنا الا حر الشمس فكان
اول من استيقظ فلان وفى علامات النبوة فكان اول من استيقظ من منامه ابو بكر
ثم فلان ثم فلان يسميهم ابو رجا فنسى عوف ثم عمر بن الخطاب الرابع
وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ

لانا

لانا لا ندرى ما يحدث له فى نومه فلما استيقظ عمر ورأى ما اصاب
الناس وكان رجلا جليدا فكبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع
بصوته النبى صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذى
اصابهم فقال لا ضير او لا يضير ارتحلوا فارتحل فسار غير بعيد ثم
نزل فدعا بالوضوء فتوضا ونودى بالصلاة فصلى بالناس فلما انفتل
من صلاته اذا هو برجل لم يصل فقال ما منعك ان تصلى قال اصابتنى
جنابة ولا ما قال عليك بالصعيد فانه يكفيك ثم سار فاشتكى اليه الناس
من العطش اى ما اصابهم من الشدة الحاصلة بسببه فنزل عليه
السلام فدعا فلانا كان يسميه ابو رجا بفتح الرا وخفة الجيم والمد
عمران بن ملحان بكسر الميم وسكون اللام وبالحا المهملة العطاردى
ويقال اسم ابيه تيم وقيل غير ذلك فى اسم ابيه مخضرم ادرك النبى
صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم بعد الفتح وهو ثقة معمر مات سنة
خمس ومائة وله مائة وعشرون سنة روى له الستة ونسيه عوف
بالفا الاعرابى العبدى البصرى ثقة رمى بالقدر وبالتشيع مات سنة
ست او سبع واربعين ومائة وله ست وثمانون قال الحافظ وفلان الذى
نسيه هو عمران بن حصين بدليل قوله عند مسلم ثم عجلنى النبى صلى الله
عليه وسلم فى ركب بين يديه فطلب الما ودلت هذه الرواية على انه كان
هو وعلى فقط لانهما خوطبا بلفظ التثنية ويحتمل انه كان معهما غيرهما
على سبيل التبعية لهما فيتجه اطلاق لفظ ركب وخصا بالخطاب لانهما
المقصودان بالارسال ودعا عليا هو ابن ابى طالب وقال اذهبا
فابتغيا بموحدة ففوقية من الابتغا وللاصيلى فابغيا من الثلاثى
وهمزته للوصل ولاحمد فابغيانا الما والمراد الطلب يقال ابتغى الشى
تطلبه وابغ الشى اى اطلبه لى وفيه الجرى على العادة فى طلب الما وغيره
وان التسبب فى ذلك لا يقدح فى التوكل فانطلقا فتلقيا امراة وفى علامات
النبوة من رواية سلم بفتح فسكون عن ابى رجا عن عمران فبينما نحن
نسير اذا نحن بامراة سادلة رجليها بين مزادتين بفتح الميم والزاى
قربة كبيرة فيها جلد من غيرها ويسمى ايضا السطيحة او سطيحتين
بفتح السين وكسر الطا المهملتين تثنية سطيحة بمعنى المزادة او وعا
من جلد بين سطح احدهما على الاخر قال الحافظ او هنا شك من عوف لخلو
رواية سلم عن ابى رجا عنها اى حيث جزم بقوله بين مزادتين قال والمراد
بها الراوية زاد المص او القربة الكبيرة سميت بذلك لانه يزاد فيها جلد اخر
من غيرها انتهى وظاهر حديث الصحيحين هذا انهما وجدا المراة اتفاقا
ووقع فى الشفا بلا عزو لمخرج عن عمران فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما
انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها
واتيا بها قال شارحه ولم يسم احد هذه المراة الا انها اسلمت ولا المكان

من ما على بعير لها فقالا لها أين الماء فقالت عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلوف فقالا لها انطلقي إذن قالت إلى أين قالا إلى رسول الله قالت الذي يقال له الصابي قالا هو الذي تعنين فانطلقي هكذا في الصحيح قبل قوله فجاءا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحدثاه الحديث كما في الرواية أي الذي كان بينهما وبينها فاستنزلوها عن بعيرها أي طلبوا منها النزول عنه وجمع باعتبار من تبع عليا وعمران ممن يعينهما قال بعض الشراح المتقدمين إنما أخذوها واستجازوا أخذ مائها لأنها كانت حربية وعلى فرض أنه يكون لها عهد فضرورة العطش تبيح للمسلم الماء المملوك لغيره على عوض وإلا فنفس الشارع تفدى بكل شيء نقله الحافظ ودعا النبي صلى الله عليه وسلم بإناء ففرغ من التفريغ وفي رواية فأفرغ من الإفراغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين أي أفرغ الماء من أفواههما وجمع موضع التثنية على حد فقد صغت قلوبكما إذ ليس لكل مزادة سوى فم واحد زاد الطبراني فمضمض في الماء وأعاده في أفواه المزادتين قال الحافظ وبهذه الزيادة تتضح الحكمة في ربط الأفواه بعد فتحها وأن البركة إنما حصلت بمشاركة ريقه الطاهر المبارك للماء وفي الشفا فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول وأوكأ أي ربط أفواههما وأطلق العزالي أي فتح العزالي بفتح المهملة والزاي وكسر اللام ويجوز فتحها جمع عزلاء بإسكان الزاي قال الخليل هي مصب الماء من الراوية ولكل مزادة عزلاوان من أسفلها قاله الحافظ فالجمع في العزالي على بابه لأنهما مزادتان فلهما أربع عزالي وقال بعض جمع وليس للقربة إلا فم واحد وقيل إنها كانت تتعدد في قرب بعضها عزلاوان من أسفل وعزلاوان من فوق وما كان من أسفل يختص باسم العزلاء والأحسن أن الجمع قد يطلق على ما فوق الواحد وليس على حد فقد صغت قلوبكما لاختصاصه بما إذا كان المضاف شيء أنثيه ونودي في الناس اسقوا بهمزة قطع مفتوحة من أسقى أو بهمزة وصل مكسورة من سقى كما في الفتح وغيره أي اسقوا غيركم كالدواب واستقوا أنتم فسقى من سقى ولابن عساكر فسقى من شاء واستقى من شاء فرق بينه وبين سقى أنه لنفسه وسقى لغيره من ماشية ودواب واستقى قيل بمعنى سقى وقيل إنما يقال سقيته لنفسه وأسقيته لماشيته ذكره المص وكان آخر ذلك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء قال اذهب فأفرغه عليك هكذا في الصحيح قبل قوله وهي أي والحال أن المرأة قائمة تنظر إلى ما يفعل بالبناء للمجهول بمائها وايم الله قال الحافظ بفتح الهمزة وكسرها والميم مضمومة أصله أيمن الله وهو اسم وضع للقسم هكذا ثم حذفت منه النون تخفيفا وألفه ألف وصل مفتوحة ولم يجئ كذلك غيرها وهو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف والتقدير أيم الله قسمي وفيه لغات جمع منها النووي في تهذيبه سبع عشرة وبلغ بها غيره عشرين وسيكون لنا عودة لبيانها في كتاب الأيمان

ويستفاد

ويستفاد منه جواز التوكيد باليمين وإن لم يتعين لقد أقلع بضم الهمزة أي كف عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملئة بكسر الميم وسكون اللام بعدها همزة مفتوحة وسكون اللام بعدها همزة مفتوحة ثم تاء تأنيث أي امتلاء وفي رواية البيهقي أنها أملأ منها حين ابتدأ فيها والمراد أنهم يظنون أن الباقي فيها من الماء أكثر مما كان أولا وهذا من عظيم آياته وباهر دلائل نبوته حيث توضؤوا وشربوا وسقوا واغتسل الجنب بل في علامات النبوة منه من طريق مسلم بفتح المهملة أوله تليها لام ساكنة ثم ميم ابن زرير بفتح الزاي المنقوطة أوله وراءين بلا نقط بينهما تحتية ساكنة كما ضبطه النووي والحافظ والمص وغيرهم أنهم ملؤوا كل قربة وإداوة كانت معهم بما سقط من العزالي وبقيت المزادتان مملوءتان بل ظن الصحابة أنه كان أكثر مما كان أولا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه اجمعوا لها تطييبا لخاطرها في مقابلة حبسها في ذلك الوقت عن المسير إلى قومها وما نالها من خوف أخذ مائها إلا أنه عوض عما أخذ من الماء قاله المص وقال الحافظ وفيه جواز أخذ المحتاج برضى المطلوب منه أو بغير رضاه إن تعين وفيه جواز المعاطاة في مثل هذا من الهبات والإباحات من المعطي فجمعوا لها من بين عجوة تمر أجود تمر المدينة وفي رواية ما بين كما في المصنف واقتصر الحافظ على من بين فلا معنى لترجي زيادة بين من المص بعد ثبوتها رواية ودقيقة وسويقة بفتح أولهما وفي رواية كريمة بضمهما مصغرا مثقلا كما قال الحافظ وغيره وعطف سويقة عليه دقيقة خاص على عام حتى جمعوا لها طعاما كثيرا كما عند أحمد وفيه إطلاق لفظ الطعام على غير الحنطة والذرة خلافا لمن أبى ذلك ويحتمل أن يكون المعنى طعاما غير العجوة وما بعدها قاله الحافظ أي ما يعد طعاما عرفا بحيث ينتفع به ويبعد خلوه من كل حب أو نحوه متفرقة وهو كناية عن كثرة ما جمعوه لها بدليل زيادة أحمد كثيرا فجعلوه أي ما جمعوه ولأبي ذر فجعلوها أي الأنواع المجموعة في ثوب من عندهم على ظاهره لكن في الشفا ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها فظاهره أن المراد في ثوبها وحملوها على بعيرها التي كانت راكبة عليه ووضعوا الثوب بما فيه بين يديها أي قدامها على البعير قال لها صلى الله عليه وسلم كما في رواية الإسماعيلي وللأصيلي قالوا لها أي الصحابة بأمره صلى الله عليه وسلم تعلمين قال الحافظ بفتح أوله وثانيه وتشديد اللام أي اعلمي وقال المص بفتح التاء وسكون العين وتخفيف اللام أي اعلمي ما رزئنا بفتح الراء وكسر الزاي ويجوز فتحها وبعدها همزة ساكنة أي نقصنا من مائك شيئا قال الحافظ ظاهره أن جميع ما أخذوه مما زاده الله وأوجده وأنه لم يختلط فيه شيء من مائها في الحقيقة وإن كان في الظاهر مختلطا وهذا أبدع وأغرب في المعجزة وهو ظاهر قوله ولكن الله هو الذي أسقانا بالهمز ولابن عساكر سقانا ويحتمل أن المعنى ما نقصنا من مقدار مائك شيئا وفيه إشارة إلى أن الذي أعطاناه ليس على سبيل

العوض عن ما بها بل على سبيل التكرم والتفضل وجواز استعمال اوانى المشركين ما لم تتيقن فيها النجاسة **فاتينا اهلها** وقد احتبست عنهم فقالوا ما حبسك يا فلانة هذا اسقطه من الحديث قبل قوله **فقالت** حبسني العجب **لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل الذي يقال له الصابي ففعل كذا وكذا** حكت لهم ما فعل **فوالله انه لاسحر الناس كلهم** ولفظ رواية البخاري انه لاسحر الناس من بين هذه وهذه وقالت باصبعها الوسطى والسبابة فرفعتهما الى السما يعني السما والارض **او انه لرسول الله حقا** هذا منها ليس بايمان الشك لكنها اخذت في النظر فاعقبها الحق فامنت بعد ذلك واسقط من الحديث فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبوا الصرم الذي هي منه **فقالت** المراة يوما **لقومها ما** موصول **اري** بفتح الهمزة بمعنى اعلم اي الذي اعتقد **ان** بالفتح مثقلا **هولا يدعونكم** من الاغارة **عمدا** لا جهلا ولا نسيانا ولا خوفا منكم بل مراعاة لما سبق بيني وبينهم وهذه الغاية في مراعاة الصحبة القليلة فكان هذا القول سبب رغبتهم في الاسلام كذا رواه ابوذر بلفظ ان الثقيلة ورواه الاكثرون ما ارى هولا القوم يدعونكم عمدا بفتح همزة اري واسقاط ان ووجهها بما ذكر ابن مالك ولابن عساكر ما اري بضم الهمزة اي اظن ان بكسر الهمزة وللاصيلي وابن عساكر ما ادري بدال بعد الالف ان بالفتح والتشديد في موضع المفعول والمعنى ما ادري ترككم هولا اياكم عمدا لماذا هو **فهل لكم رغبة في الاسلام الحديث** بقيته في الصحيحين فاطاعوها فدخلوا في الاسلام وما لا يزيد الكتاب بهذه البقية وللناس فيما يعشقون والله اعلم **وعن ابي قتادة** الحارث او عمرو او النعمان بن ربعي بكسر الراء وسكون الموحدة الانصاري السلمي بفتحتين المدني شهد احدا وما بعدها ولم يصح شهوده بدرا ومات سنة اربع وخمسين على الاصح الاشهر **قال خطبنا** وعظنا **رسول الله صلى الله عليه وسلم** في سفر كما دل عليه السياق وفي حديث ابي هريرة عند مسلم ان ذلك كان حين قفل من غزوة خيبر **فقال** في خطبته **انكم تسيرون عشيتكم** اي بقية يومكم فالعشية كالعشي لاخر النهار كما في القاموس وفي المصباح ما بين الزوال الى الغروب **وليلتكم** التي تليه **وتاتون الما غدا ان شا الله تعالى** تبركا وامتثالا للاية **فانطلق الناس لا يلوي** لا يعطف **احد على احد** لاشتغال كل منهم بنفسه **فبينما** بالميم **رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار** بالموحدة وتشديد الرا **الليل** اي ابيض كذا فسره المص والذي للسيوطي اي انتصف وفي مقدمة الفتح قيل انتصف او ذهب معظمه اذ بهرة كل شي اكثره وفي القاموس ابهار الليل انتصف او تراكمت ظلمته او ذهبت عامته او بقي نحو ثلثيه فلم يذكروا تفسيره بالبياض كما فعل المص بل في الصحاح والقاموس انما ذكروا البياض صفة للقمر لا الليل ولفظ القاموس بهر القمر كمنع غلب ضوءه ضوء الكواكب ولفظ مسلم فبينما رسول الله يسير حتى ابهار الليل وانا الى جنبه فنعس فمال على

راحلته فانتبه فدعمته من غير ان اوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من اخر السحر مال ميلة هي اشد من الميلتين الاوليين حتى كاد ينجفل فانتبه فدعمته فرفع راسه فقال من هذا قلت ابو قتادة قال متى كان هذا مسيرك مني قلت ما زال هذا مسيري منذ الليلة قال حفظك الله بما حفظت به نبيه ثم قال هل ترانا نخفى على الناس ثم قال هل ترى من احد قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب اخر حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب قال **فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم** اي عدل **عن الطريق** فحذف المص هذا من الحديث لعدم غرضه فيه اذ غرضه منه انما هو تكثير المالكن صار سياقه يقتضي ان عدوله ونومه كان عند انتصاف الليل مع انه انما كان عند السحر **فوضع راسه** اي نام **ثم قال احفظوا علينا صلاتنا** بان تنبهونا قبل خروج وقتها وفي البخاري عن ابي قتادة ذكر سبب نزوله سوال بعض القوم ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال انا اوقظكم وفي حديث ابي هريرة عند مسلم وقال لبلال اكلا لنا الليل فصلى بلال ما قدر له ونام صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فلما قارب الفجر استند بلال الى راحلته فولجه الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس **فكان اول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم** مثله عن ابي هريرة عند مسلم ايضا وفي حديث عمران اول من استيقظ ابو بكر ولم يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم حتى ايقظه عمر بالتكبير ولذا رجح القاضي عياض ان نومهم عن صلاة الصبح وقع مرتين لما في الحديثين من المغايرات التي يتعسر معها الجمع خلافا للاصيلي في انها القصة واحدة وايضا في حديث ابي قتادة ان العمرين لم يكونا مع المصطفى وفي حديث عمران انهما معه وايضا فالذي كلا الفجر في قصة ابي قتادة بلال واما في قصة عمران فروى الطبراني شبيها بقصته وفيه ان الذي كلا لهم الفجر ذو مخمر بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الموحدة وفي ابن حبان عن ابن مسعود انه كلا لهم الفجر وايضا مما يدل على التعدد اختلاف مواطنها كما قدمنا **والشمس في ظهره** كناية عن كمال ظهورها واسقط من الحديث عند مسلم قال فقمنا فزعين قال ابو عمر يحتمل ان يكون تاسفا على ما فاتهم من وقت الصلاة ففيه ان ذلك لم يكن من عادته منذ بعث قال ولا معنى لقول الاصيلي فزعين خوفا ان يكون اتبعهم عدو فيجدهم بتلك الحال لحسن النوم لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبعه عدو في انصرافه من خيبر بل انصرف ظافرا غانما **ثم قال اركبوا** زاد في رواية ابي هريرة فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان قال عياض وهذا اظهر الاقوال في تعليله او لاشتغالهم باحوال الصلاة او تحرزا من العدو او ليستيقظ النائم وينشط الكسلان قال ابن ابي رشيق وقد علله صلى الله عليه وسلم بهذا ولا نعلمه لا هو اي فهو خاص به سواء كان في تلك

الوادي او في غيره فركبنا فسرنا غير بعيد حتى اذا ارتفعت الشمس
نزل اي علت في الارتفاع وزاد ارتفاعها الا فقوله والشمس في ظهره
دليل ارتفاعها اذ لا تكون كذلك حتى ترتفع وفي حديث ابي هريرة حتى ضربتهم
الشمس وذلك لا يكون الا بعد ان يذهب وقت الكراهة ففيه رد على من زعم
ان علة تاخيره كونه ذلك كان وقت كراهة كما في الفتح ثم دعا بميضاة بكسر
الميم وهمزة بعد الضاد اناء يتوضا به كالركوة كذا في الديباج وقال غيره بكسر الميم
والقصر وياؤها منقلبة عن واو لانها آلة الوضوء ووزنها مفعلة وقد تمد ع
فوزنها مفعالة كانت معي فيها شيء من ما قال فتوضا منها وضوءا
دون وضوء كما هو لفظ الحديث ومعناه وضوءا كامل الفرض دون وضوء تام النوافل
والسنن لاقتصاره على الوضوء مرة ونحو ذلك قال وبقي شيء من ما وظاهره
انه لم يتوضا منها احد غيره وفي رواية عن انس كان صلى الله عليه وسلم
في سفر فقال لابي قتادة امعكم ماء قلت نعم في ميضاة فيها شيء من ماء قال
ايت بها فاتيته بها فقال لاصحابه تعالوا لمسوا منها فتوضؤ وجعل يصب
عليهم وبقيت جرعة ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي قتادة احفظ
علينا ميضاتك فسيكون لها نبا خبر عظيم في امرها وكفايتها القوم
وما ظهر بها من المعجزة العظيمة ثم اذن بلال بالصلوة ولاحمد من حديث
ذي مخبر فامر بلالا فاذن واستدل به على مشروعية الاذان للفوائت فصلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين هما ركعتا الفجر ثم صلى
الغداة الصبح ولاحمد فصلى الركعتين قبل الصبح وهو غير عجل ثم امره فاقام
الصلاة فصلى الصبح زاد الطبراني من حديث عمران فقلنا يا رسول الله انعيدها
من الغد لوقتها قال نهانا الله عن الربا ويقبله منا وفي رواية ابن عبد البر
لا ينهاكم عن الربا ويقبله منكم واختصر المص سياق ابي قتادة ولفظه في مسلم
ثم صلى الغداة فصنع كما كان يصنع كل يوم قال وركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وركبنا معه فجعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا
في صلاتنا ثم قال ما لكم في اسوة ثم قال انه ليس في النوم تفريط انما التفريط
على من لم يصل الصلاة حتى يجي وقت الصلاة الاخرى فمن فعل ذلك فليصلها
حين ينتبه لها فاذا كان الغد فليصلها عند وقتها ثم قال ما ترون الناس صنعوا
قال ثم اصبح الناس فقدوا نبيهم فقال ابو بكر وعمر رسول الله بعدكم لم يكن
ليخلفكم وقال الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ايديكم فان تطيعوا
ابا بكر وعمر ترشدوا قال فانتهينا الى الناس لانه صلى الله عليه وسلم
لما عدل عن الطريق مع طائفة نام وسار بقية الجيش ولم يعلموا بنومه
وفيهم الشيخان كما رايت حين اشتد بمعجمة قبل الفوقية النهار وحمي
كل شيء وهم يقولون يا رسول الله هلكنا عطشنا هكذا في مسلم
بلا واو وبيان لهلاكهم ووقع في نسخ المص وعطشنا بالواو فان ثبتت رواية
فهي عطف علة على معلول فقال لا هلك عليكم بضم الها وسكون اللام

اسم

اسم من هلك وحذف من الحديث ثم قال اطلقوا لي غمري وهو بضم المعجمة
وفتح الميم وبالراء اي قدحي فحللته فاتيته به قال ودعا بالميضاة
فجعل صلى الله عليه وسلم يصب في قدحه وابو قتادة يسقيهم
فلم يعد بفتح اليا واسكان العين ان راى الناس اي لم يتاخروا زمنا
عن رؤيتهم ماء بالتنوين في الميضاة فتكابوا اي ازدحموا وفي رواية
احمد فازدحم الناس عليها بمجرد رؤيتها لما لشدة عطشهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم احسنوا الملا بفتح الميم وكسرها وسكون
اللام والهمز اي لا وانيكم فلا تزدحموا على الاخذ كلكم سيروي ولاحمد كلكم
سيصدر عن ري قال ففعلوا اي تركوا الازدحام فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصب في قدحه واسقيهم ولاحمد فشرب القوم
وسقوا دوابهم وركابهم وملاوا ما كان معهم من اداوة وقربة ومزادة حتى
ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب فقال
لي اشرب فقلت لا اشرب حتى تشرب يا رسول الله قال ان ساقي
القوم اخرهم قال فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث بقيته واتى الناس الما جامين رواء فقال عبد الله بن رباح اني
لاحدث هذا الحديث في مسجد الجامع اذ قال عمران انظر ايها الفتى كيف تحدث
فاني احد الركب تلك الليلة قال قلت فانت اعلم بالحديث قال ممن انت قلت من
الانصار قال حدث فانت اعلم بحديثكم قال فحدثت القوم فقال عمران لقد شهدت
تلك الليلة وما شعرت ان احدا حفظه كما حفظته رواه مسلم في الصلاة من
حديث ثابت عن عبد الله ابن رباح عن ابي قتادة بالاخير قال في الشفا وذكر
الطبري ويحيى ابن جرير حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي
صلى الله عليه وسلم خرج ممدا لاهل مونة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا
طويلا فيه معجزاته واياته وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء غدا وذكر حديث الميضاة
قال والقوم زهاء ثلاث مائة انتهى وعن انس قال اصابت الناس سنة
بفتح السين المهملة اي شدة وجهد من الجدب على عهد اي زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب
في يوم الجمعة خطبة الجمعة على المنبر قام اعرابي من سكان البادية
لا يعرف اسمه قاله المص وقال الحافظ لم اقف على تسميته في حديث انس وروي
احمد عن كعب بن مرة ما يمكن ان يفسر المبهم بانه كعب وروى البيهقي ما يمكن
ان يفسر بانه خارجة بن حصن الفزاري لكن رواه ابن ماجة من طريق شرحبيل
ابن السمط انه قال لكعب بن مرة يا كعب حدثنا عن رسول الله قال جاء رجل
فقال يا رسول الله استسق فرفع يديه ففي هذا انه غير كعب فقال يا رسول الله
فيه انه كان مسلما فانتفى زعم انه ابو سفيان بن حرب لانه حين سواله لذلك
لم يكن اسلم فهي واقعة اخرى كما في الفتح هلك المال الحيوانات لفقد ما ترعا
فليس المراد الصامت وفي رواية هلكت المواشي واخرجه الكراع بضم الكاف

بجيم وميم كيه بنا طا منتشرهين

يطلق على الخيل وغيرها وجاع العيال لعدم وجود ما يعيشون به من
الاقوات المفقودة بحبس المطر فادع الله لنا ان يغيثنا فرفع يديه
زاد في رواية حذاء وجهه ولابن خزيمة عن انس حتى رايت بياض ابطيه
وزاد النسائي ورفع الناس ايديهم مع رسول الله يدعون وما نرى في
السما قزعة بقاف وزاي وعين مهملة مفتوحات قطعة من سحاب متفرق
او رقيقة الذي اذا مر تحت السحب الكثيرة كان كانه ظل قال ابن سيدة القزع
قطع من السحاب رقاق زاد ابو عبيد واكثر ما يجي في الخريف قال انس فو الذي
نفسي بيده ما وضعها اي يده وللكشميهني ما وضعهما اي يديه حتى
ثار بمثلثة اي هاج وانتشر السحاب امثال الجبال لكثرته ثم لم ينزل
عن منبره حتى رايت المطر يتحادر يتحدر اي ينزل ويقطر على لحيته
الشريفة فمطرنا بضم الميم وكسر الطا اي حصل لنا المطر يومنا نصب
على الظرفية اي في يومنا ذلك ومن الغد من للتبعيض او بمعنى في ومن
بعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الاخرى بالجر في الفرع واصله
على ان حتى جارة ويجوز النصب عطفا على سابقه المنصوب والرفع على ان
مدخولها مبتدا خبره محذوف قاله المص وفي رواية فمطرنا من جمعة الى جمعة
وفي اخرى فدامت جمعة وفي اخرى فخرجنا نخوض الما حتى اتينا منازلنا
وفي اخرى فما كدنا ان نصل الى منازلنا اي من كثرة المطر وفي اخرى حتى سالت مثاعب
المدينة واخره بمثلثة موحدة جمع مثعب مسيل الما وفي مسلم فامطرنا حتى
رايت الرجل تهمه نفسه ان ياتي اهله ولابن خزيمة حتى اهم الشاب القريب
الدار الرجوع الى اهله وقام ذلك او ولابي ذر والاصيلي وابن عساكر فقام بالفا
ذلك الاعرابي الذي طلب الدعا او غيره وفي رواية ثم دخل رجل في الجمعة
المقبلة فظاهره انه غير الاول لان النكرة اذا تكررت على التعدد وقد قال شريك
سالت انسا اهو الرجل الاول قال لا ادري وهذا يقتضي انه لم يجزم بالتغاير فالظاهرة
اغلبية لان انسا من اهل اللسان وقد تعدد ومقتضى رواية او غيره انه كان يشك
فيه وفي رواية للبخاري فاتى الرجل فقال وفي ابي عوانة فما زلنا نمطر حتى جاء
ذلك الاعرابي في الجمعة الاخرى وهذا يقتضي الجزم بكونه واحدا قاله الحافظ
فقال يا رسول الله تهدم البنا وفي رواية البيوت وغرق المال وفي
رواية هلكت الاموال وانقطعت السبل واحتبس الركبان فادع الله لنا
وفي رواية فادع الله يمسكها اي الامطار او السحابة او السما والعرب تطلق على المطر
سماء وفي رواية ان يمسك الما عنا ولاحمد ان يرفعها عنا وفي رواية للبخاري فادع
ربك ان يحبسها عنا فضحك وفي رواية فتبسم لسرعة ملال ابن ادم فرفع
يديه بالتثنية وفي رواية يده على ارادة الجنس فقال اللهم حوالينا بفتح
اللام اي انزله او امطر حوالينا والمراد اصرف المطر عن الابنية والدور ولا تنزله
علينا قال الحافظ فيه بيان للمراد بقوله حوالينا لانها تشمل الطرق التي حولهم
فاخرجها بقوله ولا علينا قال الطيبي في ادخال الواو هنا معنى لطيف وذلك

انه

انه لو اسقطها لكان مستسقيا للاكام وما معها فقط ودخول الواو يقتضي
ان طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكونه وقاية من
اذى المطر فليست الواو مخلصة للعطف ولكنها للتعليل وهو كقولهم تجوع
الحرة ولا تاكل بثدييها فان الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن لكونه
مانعا من الرضاع باجرة اذ كانوا يكرهون ذلك انفا انتهى فما يشير
بيده الى ناحية من السحاب الا انفرجت انكشفت او تدورت كما
يدور جيب القميص وهذا لفظ البخاري في الجمعة وشرحه المص بما ذكرته
ورواه في الاستسقا بلفظ الا انفرجت قال المص بفتح الفوقية والفا وتشديد
الرا والجيم اي تقطع السحاب وزال عنها امتثالا لامره وصارت
المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة بقاف مفتوحة فنون و
الف فنا تانيث مرفوع على البدل من الوادي غير منصرف للتانيث والعلمية
اذ هو اسم لواد معين من اودية المدينة بناحية احد به مزارع ولعله من
تسمية الشي باسم ما جاوره وقرانه بخط الرضي الشاطبي الفقها يقراونه
بالنصب والتنوين يتوهمونه قناة من القنوات وليس كذلك انتهى وهذا
ذكره بعض الشراح وقال هو على التشبيه اي سال مثل القناة قاله الحافظ
اي جرى فيه المطر شهرا ولم يجي احد من ناحية الا حدث بالجود
وفي رواية للشيخين من وجه اخر عن انس قال صلى الله عليه وسلم
اللهم حوالينا ولا علينا وفي بعض الروايات حولينا بلا الف وهما بمعنى وهو
في موضع نصب على الظرف او مفعول به والمراد بحوالي المدينة مواضع النبات
والزرع لا نفس المدينة وبيوتها ولا ما حواليها من الطرق والا لم يزل شكواهم
بذلك ولم يطلب رفع المطر من اصله بل سال رفع ضرره وكشفه عن البيوت
والمرافق والطرق بحيث لا يتضرر به ساكن ولا ابن سبيل بل سال ابقاه في
موضع الحاجة لان الجبال والصحاري ما دام المطر فيها كثرت فايدتها في
المستقبل من كثرة المرعى والمياه وغير ذلك من المصالح وفيه قوة ادراكه
صلى الله عليه وسلم للخير على سرعة البديهة ولذا بين المراد بحواليناه
بقوله اللهم على الاكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع اكمة بفتحاته
قال ابن البرقي هو التراب المجتمع وقال الداودي هو اكبر من الكدية وقال
القزاز هي التي من حجر واحد وهو قول الخليل وقال الخطابي هي الهضبة
الضخمة وقيل الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من الارض وقال الثعالبي الاكمة
اعلى من الرابية والظراب بكسر المعجمة واخره موحدة جمع ظرب بكسر الرا
وقد تسكن قال القزاز الجبل المنبسط ليس بالعالي وقال الجوهري
الرابية الصغيرة وبطون الاودية والمراد بها ما يتحصل فيه الما لينتفع
به قالوا ولم يسمع افعلة جمع فاعل الا اودية جمع وادي وفيه نظر وزاد
مالك في روايته ورؤس الجبال ذكره الحافظ ومنابت الشجر فاقلعت
بفتح الهمزة من الاقلاع اي كفت وامسكت السحابة الماطرة عن المدينة

وفي رواية فما هو الا ان تكلم صلى الله عليه وسلم بذلك ثم زف السحاب
حتى ما نرى منه شيا اي في المدينة وخرجنا نمشي في الشمس رواه
اي المذكور من الروايتين البخاري ومسلم في مواضع من كتابه الصلاة
وغيرها والجوبة بفتح الجيم والموحدة بينهما واو ساكنة الحفرة
المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بنا جوبة اي صار الغيم والسحاب
محيطا باآفاق المدينة قال الحافظ والمراد به هنا الفرجة في السحاب وقال
الخطابي المراد بالجوبة هنا الترس وضبطها الزين بن المنير تبعا لغيره بنون
بدل الموحدة ثم فسره بالشمس اذا ظهرت في خلل السحاب لكن جزم عياض
بان من قاله بالنون فقد صحف والجود بفتح الجيم واسكان الواو المطر
الواسع الغزير زاد الحافظ وهذا يدل على ان المطر استمر فيما سوى المدينة
فيشكل بانه يستلزم ان قول السايل هلكت الاموال وانقطعت السبل لم يرتفع
الاهلاك ولا القطع وهو خلاف مطلوبه ويمكن الجواب بان المراد ان المطر
استمر حول المدينة من الاكام والظراب وبطون الاودية لا في الطريق المسلوكة
ووقوع المطر في بقعة دون بقعة كثير ولو كانت تجاورها واذا جاز ذلك جاز
ان يوجد للماشية اماكن تكنها وترعى فيها بحيث لا يضرها ذلك المطر فيزول
الاشكال انتهى وعن عبد الله بن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب رضي
الله عنه حدثنا عن ساعة العسرة غزوة تبوك سميت بذلك لوقوعها
مع عسر شديد كما افاده عمر فقال عمر خرجنا الى تبوك في قيظ حر
شديد فنزلنا منزلا لما ارتحل من الحجر كما رواه ابن ابي حاتم ولا ينافيه قول
ابن اسحاق بعد ذكر نزوله بالحجر فلما اصبح الناس شكوا اليه صلى الله عليه
وسلم فقد الما فدعا فارسل الله سحابة حتى ارتووا وحملوا حاجتهم لحمل قوله
فلما اصبح اي بعد ان سار منزلا بعد الحجر كما جمعت بينهما في الغزوة بذلك
اصابنا عطش لفقد الما حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع من العطش
حتى ان مخففة من الثقيلة اي انه كان الرجل ليذهب فيلتمس الرجل
فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع من شدة العطش حتى ان
كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه ما في كرشه فيشربه اي ما نزل
منه مع تغيره وقلته وكانوا يفعلون ذلك في ضرورتهم ويجعل ما بقي مما
عصره على كبده ليخف عنه بعض الحرارة ببرودة ما يمس كبده من الما فقال
ابو بكر الصديق يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعا خيرا بالاجابة
الشريفة فادع الله لنا ان يسقينا قال اتحبون ذلك قال نعم فرفع
يديه نحو السما كما في الرواية فلم يرجعهما بفتح اليا من رجع المتعدي نحو
فلا ترجعوهن الى الكفار لا من رجع اللازم اي فلم يرد يديه بعد رفعهما في
دعايه من الرفع المذكور حتى قالت السما اي غيمت وظهر فيها سحابه
من قولهم قال كذا اذا تهيا له واستعد كما في القاموس اي اظلت سحابا او هو
رعدت فسمع دوي رعدها ورنة سحابها وحن رعدها ورويت قامت بالميم

اي اعتدلت واستوت بالسحاب او توجهت بالخير وانتصب سحابها وارتفع
او حان وقت مطرها وحضر فانسكبت اي انسكب ماوها فالاسناد مجازي
وتفسير بعض قالت بالام بالما مطرت لا يناسب ما بعده وكون السما بمعنى
المطر بعيد هنا وكذا كونه استعد اما فملوا اما معهم من انية جمع
انا كاوان وظنه مفردا وهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر
وهذه معجزة اخرى قال الحافظ المنذري اخرجه البيهقي في الدلايل
النبوية وكذا الامام احمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبزار وشيخه اي
البيهقي فيه ابن بشران الحافظ ابو حفص عمر بن بشران بن محمد بن بشران
السكري ثقة قال الخطيب حدثنا عنه البرقاني فقال كان ثقة حافظا
عارفا كثير الحديث بقي الى سنة سبع وستين وثلاث مائة ودعلج بن جعفر
ابن احمد بن دعلج الامام الحافظ الفقيه محدث بغداد ابو محمد السجزي
ثقة سمع البغوي وغيره وعنه الدارقطني والحاكم وكان من اوعية العلم
وبحور الرواية صنف المسند الكبير ومات سنة احدى وخمسين وثلاث مائة
وخلف ثلاثمائة الف دينار وابن خزيمة محمد بن اسحاق بن خزيمة بن
المغيرة النيسابوري احد الايمة المعروف عند اهل الحديث بامام الايمة
حدث عنه الشيخان خارج صحيحيهما ويونس بن يزيد الايلي احتج
به مسلم في صحيحه وابن وهب عبد الله المصري الفقيه الحافظ الثقة
العابد المتوفى سنة سبع وتسعين ومائة وعمرو بن الحارث بن يعقوب
الانصاري مولاهم المصري ثقة فقيه حافظ مات قبل الخمسين ومائة ونافع
ابن جبير ابن مطعم القرشي النوفلي التابعي ثقة فاضل مات سنة تسع وتسعين
احتج بهم اي بكل واحد من الثلاثة البخاري ومسلم وباقي الايمة الستة
وعتبة بن حميد الضبي ابو معاذ او ابو معاوية البصري فيه مقال
فقال احمد ضعيف ليس بالقوي وقال ابو حاتم صالح الحديث ووثقه ابن
حبان وغيره وفي التقريب صدوق له اوهام انتهى وقد رواه اي
ذكره بلا اسناد القاضي عياض في الشفا مختصرا ورواه ابن
اسحاق في مغازيه نحوه ورويه صاحب كتاب مصباح الظلام
في المستغيثين بخير الانام عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله
ابن عمرو بن العاص صدوق مات سنة ثماني عشرة ومائة روى
له اصحاب السنن ان ابا طالب قال كنت مع ابن اخي يعني النبي
صلى الله عليه وسلم بذي المجاز بفتح الميم والجيم والف وزاي
معجمة اسم سوق كان بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية
فادركني العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخي عطشت وما
قلت له ذلك وانا ارى عنده شيا الا الجزع بكسر الجيم وقال ابو
عبيدة اللاتي فتحها منعطف الوادي ووسطه او منقطعه او منحناه
او لا يسمى جزعا حتى يكون له سعة تنبت الشجر او هو مكان بالوادي

لاشجر فيه وربما كان رملا قاله في القاموس فالمعنى هنا لا اري هنا الا
الوادي او منقطعه دون ما فيه ويصح تفسيره بباقي المعاني المذكورة وابعد
من قال الا الجذع تاسفا على حال الناس فثنى وركه ثم نزل عن الدابة التي
كان راكبين عليها فان في نفس الحديث وهو رديف اي النبي صلى الله عليه وسلم
ورديف ابي طالب اي راكب خلفه وقال يا عم اعطشت كانه سال بعد
شكواه اليه العطش لينبهه على رؤية الاية فقلت نعم فاهوى بعقبه
الى الارض وضرب الارض بقدمه فاذا بالما فقال اشرب يا عم فشربت
وكذا رواه ابن سعد وابن عساكر من رواية اسحق بن الازرق عن عبد
الله بن عون عن عمرو بن شعيب وهذا احد ثلاثة احاديث رواها ابو طالب
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي قال سمعت ابا طالب يقول حدثني
محمد ابن اخي وكان والله صدوقا قال قلت له بما بعثت قال بصلة الارحام
واقام الصلاة وايتا الزكاة وعن ابي رافع سمعت ابا طالب يقول حدثني محمد ان
الله امره بصلة الارحام وان يعبد الله وحده لا يعبد معه احدا ومحمد عندي
الصدوق الامين رواها الخطيب وضعفها كما في الاصابة وعبر السيوطي بان ابا طالب
روى عن المصطفى حديثين وهو دافد اذ الثاني والثالث واحد رواه عنه علي
وابو رافع والخطيب سهل ومن ذلك تكثير الطعام ما قابل الما لتقدمه
القليل ببركته ودعائه والطعام لغة ما يطعم وهو المراد هنا بسائر انواعه
عن جابر بن عبد الله في غزوة الخندق وهي الاحزاب قال لما حفر الخندق
رايت النبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فانكفيت قال الحافظ بفا مفتوحة
بعدها تحتية ساكنة اي انقلبت واصله انكفات بهمزة وكانه سهلها وقال المجد
بالهمز وقد تبدل يا لكن قال الحافظ ابو ذر صوابه فانكفات بالهمز وقال في التنقيح اصله
الهمزة من كفات الانا وتسهل قال في المصابيح لكن ليس القياس في تسهيل مثله
ابدال الهمزة يا اي انقلبت الى امراتي سهيلة فقلت لها هل عندك شي
فاني رايت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا بمعجمة وميم مفتوحتين
وصاد مهملة وقد تسكن الميم ضمور بطن من الجوع شديدا فاخرجت جرابا
بكسر الجيم فيه صاع من شعير ولنا بهيمة بضم الموحدة وفتح الها مصغر بهمة
وهي الصغيرة من اولاد الغنم وفي رواية عناق وهي الانثى من المعز داجن بكسر
الجيم التي تترك في البيت ولا تخرج الى المرعى ومن شانها ان تسمن وقد زاد في
رواية احمد سمينة فذبحتها بسكون الحا وضم التا فاذا بح جابر وطحنته
بفتح المهملة والنون امراتي الشعير وفي رواية احمد فامرت امراتي فطحنت
لنا الشعير وصنعت لنا منه خبزا وفي رواية في الصحيح من طريق اخر عنه
جابر انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاوا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال انا نازل ثم قام وبطنه معصوب
بحجر ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقا فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم
المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل او اهيم فقلت يا رسول الله ائذن لي الى البيت

فقلت

فقلت لامراتي رايت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان في ذلك صبر
فعندك شي قالت عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير
حتى جعلنا اي وشرعنا في تهيئته حتى جعلنا ولابن شميهني جعلت اي
المراة اللحم في البرمة بضم المهملة وسكون الرا القدر مطلقا من حجارة
وفي رواية ففرغت الى فراغي اي معه وقطعتها في برمتها ثم جئت النبي
صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في الصحيح والعجين قد انكسر اي اختمر
والبرمة بين الاثافي قد كادت ان تنضج فقالت لا تفضحني برسول الله وبمن
معه فجئته فساررته فقلت له سرا يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا
وطحنت المراة وفي رواية ابي ذر وابن عساكر لغيرهما وطحنا وعليه الاولى هو
من باب الاضمار اي ارجاع الضمير لما علم من السياق وهو انه لما اسند الفعل اليه
مونث علم صلى الله عليه وسلم انها الطاحنة اذ ليس عنده غيرها ولعله نسب
الذبح اليها لمعاونتها له فيه والطحن لها لاشتغاله به دونه صاعا من
شعير كان عندنا فتعال انت ونفر معك دون العشرة من الرجال وفي رواية
فقلت طعيم لي صنعته فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان ولاحمد وكنت
اريد ان ينصرف صلى الله عليه وسلم وحده قال كم هو فذكرت له قال كثير طيب
قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى اتي فصاح النبي صلى الله عليه
وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا بحا مهملة وشد التحتية
هلا بكم بفتح الها واللام المنونة مخففة اي هلموا مسرعين وفي رواية في الصحيح
فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على امراته قال ويحك جاء
النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم قالت هل سالك قلت
نعم وفي سياقه اختصار وبيانه في رواية يونس بن بكير في زيادات المغازي قال
فلقيت من الحيا ما لا يعلمه الا الله وقلت جا الخلق على صاع من شعير وعناق
فدخلت على امراتي اقول افتضحت جاك رسول الله بالجند اجمعين فقالت هل
كان سالك كم طعامك فقلت نعم فقالت الله ورسوله اعلم نحن اخبرناه بما عندنا
فكشفت عني غما شديدا وفي رواية الصحيح فجئت امراتي فقالت بك وبك فقلت قد
فعلت الذي قلت ويجمع بينهما بانها اولا امرته ان يعلمه بالصورة فلما قال لها
انه جا بالجميع ظنت انه لم يعلمه فخاصمته فلما اعلمها انه اعلمه سكن ما عندها
لعلمها بامكان خرق العادة ودل ذلك على وفور عقلها وكمال فضلها وقد وقع
لها في قصة التمر ان جابرا اوصاها لما زارهم النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تكلمه
فلما اراد صلى الله عليه وسلم الانصراف نادته يا رسول الله صل علي وعلى زوجي
فقال صلى الله عليه وسلم عليك وعلى زوجك فعاتبها جابر فقالت له اكنت
تظن ان الله يورد رسوله بيتي ثم يخرج ولا اساله الدعا اخرجه احمد باسناد
حسن ذكره الحافظ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر لا تنزلن
بضم الفوقية وكسر الزاي وضم اللام برمتكم نصب على المفعولية ولابي ذر لا تنزلن
بفتح الزاي واللام مبني للمفعول برمتكم بالرفع نائب الفاعل ولا تخبزن

بفتح الفوقية وكسر الموحدة وضم الزاي وشد النون عجينكم بالنصب ولابي
ذر بضم التحتية وفتح الموحدة والزاي ورفع عجينكم حتى اجي الى منزلكم ثم جا
لفظ البخاري فجيت وجا صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جيت الى امراتي ه
فقالت بك وبك فقلت فعلت الذي قلت فاخرجت المراة له عجينا فبصق
فيه بالصاد ولابي ذر والوقت وابن عساكر فبسق بالسين ويقال بالزاي ايضا
لكن قال النووي بالصاد في اكثر الاصول وفي بعضها بالسين وهي لغة قليلة
وبارك في العجين اي دعا فيه بالبركة ثم عمد بفتح الميم فقصد الى برمتنا
فبصق زاد الكشميهني فيها اي البرمة وبارك في الطعام ثم قال صلى الله عليه
وسلم لجابر ادع خابزة فلتخبز بسكون اللام معك بكسر الكاف خطابا للزوجة
جابر فخصه بالامر بالدعا لانه صاحب المنزل المشار اليه باذنه لمن شاه في دخول
منزله وخاطب زوجته بانه اذا احضرها يامرها بالخبز معها اي مساعدة لها ه
فيه ثم تباشر هي غرف الطعام ولا ينافيه ان لفظ البخاري فلتخبز معي ه
لان المراد وقوله لها لتخبز معي اي تعاونني فيه كذا املاه شيخنا قايلا
ويدل عليه قوله واقدحي بسكون القاف وفتح الدال وكسر الحا المهملتين اي
اغرفي من برمتكم والمغرفة تسمى المقدحة وقدحه من المرق غرفه منه
ولا تنزلوها بضم الفوقية وكسر الزاي اي البرمة من فوق الاثافي بفتح الهمزة
والمثلثة فالف ففا مكسورة فتحتية مشددة حجارة ثلاثة يوضع عليها القدر
وهم اي القوم الذين اكلوا الف وفي مستخرج ابي نعيم وهم سبعماية او ثمان ماية
وللاسماعيلي على ثمان ماية او ثلاث ماية وفي مسلم ثلاثماية قال الحافظ
والحكم للزايد لمزيد علمه ولان القصة متحدة وفي رواية ابي الزبير عن جابر
واقعدهم عشرة عشرة ياكلوا فاقسم بالله لقد اكلوا حتى تركوه وانحرفوا
اي اما لوا الحن الطعام وان برمتنا لتغط بكسر الغين المعجمة وشد الطاء
المهملة اي تغلي وتفور بحيث يسمع لها غطيط كما هي وان عجيننا ليخبز
كما هو لم ينقص من ذلك شي وما في كما كافة وهي مصححة لدخول الكاف على
الجملة وهي مبتدأ والخبر محذوف اي كما هي قبل ذلك رواه البخاري ومسلم
في المغازي من حديث سعيد بن ميناء عن جابر واخرجه البخاري وحده من رواية
ايمن عن جابر بنحوه وفي اخره فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوا ولا تضاغطوا
فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا اخذ منه ويقرب الى
اصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية فقال كلي
هذا واهدي فان الناس اصابتهم مجاعة وفي رواية يونس بن بكير فما زال يقرب
الى الناس حتى شبعوا اجمعين ويعود التنور والقدر املا ما كانا فقال كلي
واهدي فلم نزل ناكل ونهدي يومنا اجمع وفي رواية ابي الزبير عن جابر فاكلنا
نحن واهدينا لجيراننا فلما خرج صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك انتهى
وصريح هذا ان الذي باشر الغرف النبي صلى الله عليه وسلم فيخالف ظاهر قوله
واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها اي اغرفي منه ان مباشرة المراة ويمكن الجمع

بينهما

بينهما بانها كانت تساعده في الغرف ولم يتعرض الحافظ ولا المص لهذا
وقوله فانكفات اي انقلبت بالهمز وتركه وهو الرواية على ظاهر كلام
الحافظ ابن حجر بل وظاهر تصويبه الحافظ ابي ذر له بالهمز كما مر وقوله
داجن يعني سمينة كما ورد مصرحا في رواية احمد قال الحافظ الداجن
التي تترك في البيت ولا تفلت للمرعى ومن شانها ان تسمن وفي رواية احمد
سمينة وقوله فذبحتها بسكون الحا وضم التا وطحنت بسكون التا
الفوقية قبلها نون فحافظا مفتوحات يعني ان الذي ذبح هو جابر
والتي طحنت هي امراته سهيلة بلفظ التصغير بنت معوذ صوابه
كما في الفتح وغيره بنت مسعود بن اوس بن مالك بن سواد الانصارية
الظفرية زوجة جابر وام ولده عبد الله ذكرها ابن حبيب في المبايعات
كما في الاصابة وقوله سورا بضم المهملة وسكون الواو بغير همز قال
الحافظ هو هنا الصنيع بالحبشة وقيل العرس بالفارسية ويطلق ايضا على
البنا الذي يحيط بالمدينة واما الذي بالهمز فهو البقية قال ابن الاثير اي طعاما
يدعو الناس اليه زاد المص او الطعام مطلقا قال واللفظة فارسية قال
الطيبي تظاهرت احاديث صحيحة انه صلى الله عليه وسلم تكلم بالالفاظ
الفارسية اي كقوله للحسن كخ ولعبد الرحمن مهيم اي ما هذا ولام خالد سنا
سنا يعني حسنة وهو يدل على جوازه ذكره المص ولعله صلى الله عليه وسلم
عبر بها دون طعاما لعمومه في كل ماكول بخلاف الطعام فيختص بالحنطة
عند اهل مكة فقد يخفى ببعض السامعين غير المراد او لبيان الجواز وقوله
فحي بالفتح مثقلا هلا بفتح الها واللام مخففا بكم وفي رواية اهلا بكم بزيادة
الف والصواب حذفها قاله الحافظ كلمة استدعا فيه اي الاستدعا ولفظ
الحافظ فيهما اي الكلمة والامر سهل حث على سرعة الاجابة اي هلموا مسرعين
وقوله واقدحي اي اغرفي والمقدحة المغرفة وقوله وان برمتنا لتغط
بالغين المعجمة المكسورة والطا المهملة المشددة اي تغلي ويسمع غطيطها
صوتها بالغليان كغطيط النايم وعن انس بن مالك قال قال ابو طلحة زيد
ابن سهل الانصاري زوج ام سليم والدة انس لام سليم قال الحافظ اتفقت الطرق
على ان الحديث المذكور من مسند انس وقد وافقه على ذلك اخوه لامه عبد الله بن
ابي طلحة فرواه مطولا عن ابيه قال دخلت المسجد فعرفت في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الجوع الحديث اخرجه ابو يعلى باسناد حسن لقد سمعت
صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع
فيه العمل بالقراين وكانه لم يسمع من صوته حين تكلم الفخامة المالوفة منه
فحمله على الجوع ولاحمد عن انس ان ابا طلحة راه طاويا وفي مسلم جيت وقد
عصب بطنه بعصابة فسالت فقالوا من الجوع فاخبرت ابا طلحة فدخل على
ام سليم قال فهل عندك من شي ياكله النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
نعم فاخرجت اقراصا جمع قرص بالضم قطعة عجين مقطوع منه

ما

من شعير ولاحمد عمدت ام سليم الى نصف مد من شعير فطحنته وللبخاري
عمدت الى مد من شعير جشته ثم عملت عصيدة وفي لفظ خطيفة وهي
العصيدة وزنا ومعنى وفي مسلم ولاحمد اتى ابو طلحة بمدين من شعير فامر
فصنع طعاما قال الحافظ ولا منافاة لاحتمال تعدد القصة او ان بعض
الرواة حفظ ما لم يحفظ الاخر ويمكن الجمع بان يكون الشعير في الاصل كان صاعا
فافردت بعضه لعيالهم وبعضه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدل على التعدد
ما بين العصيدة والخبز المفتوت الملتوت بالسمن من المغايرة ثم اخرجت
خمارا بكسر الخاء المعجمة اي نصيفا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته اي
اخفته تحت يدي بكسر الدال اي ابطي ولاثتني بمثلثة ففوقية ساكنة
فنون مكسورة لفتني ببعضه ببعض الخمار اي ادارت بعض الخمار على
راسي مرتين كالعمامة وفي الفتح اي لفتني به يقال لاث العمامة على راسه
اي عصبها والمراد انها لفت بعضه على بعض راسه وبعضه على ابطه
وللبخاري في الاطعمة فلفت الخبز ببعضه ودست الخبز تحت ثوبي وردتني
ببعضه يقال دس الشيء يدسه دسا اذا ادخله في الشيء بقهر وقوة ثم ارسلتني
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فسلمت عليه لفظ
البخاري فقمت عليهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم آرسلك
بهمزة ممدودة للاستفهام كذا في الفتح ابو طلحة قلت نعم قال لطعام اي
لاجله قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه من صحبه
قوموا باثر الجوامع عما فيه من شبه التنافي فانطلق واصحابه ولابي نعيم فقال
للقوم انطلقوا فانطلقوا وهم ثمانون رجلا وانطلقت بين ايديهم ولابي نعيم
اخذ صلى الله عليه وسلم بيدي فشدها ثم اقبل باصحابه حتى اذا دنوا ارسل يدي
فدخلت وانا حزين لكثرة من جاء معه حتى جئت ابا طلحة فاخبرته
وفي رواية قال يا انس فضحتنا وللطبراني فجعل يرميني بالحجارة فقال ابو
طلحة يا ام سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس
عندنا ما نطعمهم اي قدر ما يكفيهم فقالت الله ورسوله اعلم كانها عرفت
انه فعل ذلك عمدا ليظهر الكرامة في تكثير الطعام ودل ذلك على فضل ام سليم
سليم ورجحان عقلها فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من
اري انما هو قرص فقال ان الله سيبارك فيه كما في رواية تاتي فاقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو طلحة معه حتى دخل على ام سليم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي كذا لابي ذر عن الكشميهني بالتحتية
وهي لغة تميم وللاكثر هلم بفتح الميم مشددة مع خطابه المؤنثة وهي لغة
حجازية لا تؤنث ولا تثنى ولا تجمع ومنه والقائلين لاخوانهم هلم الينا والمراد
الطلب اي هات يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز الذي كانت

ارسلته

١١٦

ارسلته مع انس ويحتمل انه لما اخبرها لحزنه منه وانه كان يا قبا معه
وخاطبها لانها هي المتصرفة فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففت بضم الفاء وشد الفوقية اي كسر وعصرت ام سليم عكة بضم المهملة
وشد الكاف انا من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبا والعسل وفي رواية
فقال هل من سمن فقال ابو طلحة قد كان في العكة شيء فجعلا يعصرانها حتى
خرج ثم مسح صلى الله عليه وسلم به سبابته ثم مسح القرص فانتفخ وقال
بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رايت القرص في الجفنة
يتسع فادمته اي صيرت ما خرج من العكة اداما له ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقول في رواية احمد فقال بسم الله
وفي مسلم فمسحها ودعا فيها بالبركة ولاحمد فجئت بها ففتح رباطها ثم قال
بسم الله اللهم اعظم فيها البركة ثم قال ايذن لعشرة بالدخول لانه ارفق
ثم لعشرة ثانية فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا والقوم سبعون او
ثمانون رجلا بالشك من الراوي وعند احمد ومسلم وغيرهما حتى فعل ذلك
بثمانين رجلا بالجزم ولاحمد ايضا كانوا نيفا وثمانين ولا منافاة لانه الغى
الكسر وفي مسلم وفضلت فضلة فاهدينا لجيراننا ولابي نعيم حتى اهدت
ام سليم لجيرانها رواه البخاري ومسلم كلاهما في الاطعمة من رواية اسحاق
ابن عبد الله بن ابي طلحة عن انس والبخاري ايضا في علامات النبوة وروى
بعضه في الصلاة واخرجه الترمذي في المناقب والنسائي في الوليمة والمراد
بالمسجد هنا الموضع الذي اعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة
فيه حين حاصره الاحزاب بالمدينة في غزوة الخندق لا المسجد النبوي
وفي رواية لمسلم انه قال ايذن لعشرة بالدخول فاذن لهم فدخلوا فقال
كلوا وسموا الله فاكلوا وفي رواية احمد فوضع يده وسط القرص وقال كلوا
بسم الله فاكلوا من حوالي القصعة حتى شبعوا ثم قال لهم قوموا وليدخل
عشرة مكانكم حتى فعل ذلك بثمانين رجلا بجزم بثمانين ثم اكل النبي
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك واهل البيت وتركوا سورا اي بقية
وهو بالهمزة الفضلة والبقية وفي رواية للبخاري في الاطعمة
عن انس ان امه عمدت الى مد شعير جشته وجعلت منه خطيفة وعصرت
عكة عندها ثم بعثتني الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته وهو في
اصحابه فدعوته قال ومن معي فجئت فقلت انه يقول ومن معي فخرج
اليه ابو طلحة فقال يا رسول الله انما هو شيء صنعته ام سليم فدخل وجيء
به وقال ادخل بفتح الهمزة وكسر الخاء علي عشرة من الذين حضروا
معه فدخلوا فاكلوا حتى شبعوا ثم قال ادخل علي عشرة فدخلوا فاكلوا
حتى شبعوا ثم قال ادخل علي عشرة حتى عد اربعين رجلا ثم اكل
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام قال انس فجعلت انظر الى هو
القصعة هل نقص منها شيء من الطعام اشارة الى انه لم ينقص شيء

منها وفي رواية احمد حتى اكل منها اربعون رجلا وبقيت كما هي قال الحافظ
وهذا يدل على تعدد القصة وفي رواية يعقوب ابن عبد الله بن ابي
طلحة عن انس عند مسلم ادخل علي ثمانية ثمانية بالتكرير اي ثمانية
بعد ثمانية فما زال حتى دخل عليه ثمانون ثم دعاني ودعا امي
ام سليم وابا طلحة زوجها فاكلنا حتى شبعنا انتهى وهذا يدل
على تعدد القصة فان اكثر الروايات فيها انه ادخلهم عشرة
عشرة سوى هذه يقال ادخلهم ثمانية ثمانية قاله الحافظ ابن حجر
في الفتح قال فيه ايضا وظاهره اي قوله ايذن لعشرة فاذن لهم انه عليه
السلام دخل لمنزل ابي طلحة وحده وصرح بذلك في رواية عبد
الرحمن بن ابي ليلى عن انس عند احمد ومسلم ولفظه فلما انتهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الباب قال لهم اقعدوا
ودخل وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن ابي طلحة ثقة من صغار
التابعين عن انس عند مسلم فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت
انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل
فان الله سيبارك فيما عندك وفي رواية عمرو بفتح العين بن عبد الله
ابن ابي طلحة الانصاري التابعي الصغير ثقة عابد عن انس عند مسلم
فقال ابو طلحة انما هو قرص بعدم التعبير باقراص فنزلها لقلتها
منزلة القرص الواحد فقال ان الله سيبارك فيه قال العلما وانما
ادخلهم عشرة عشرة والله اعلم بالحكمة في ذلك لانها كانت قصعة
واحدة لا يمكن الجماعة الكثيرة ان يقدروا على التناول منها مع
قلة الطعام فجعلوا عشرة عشرة ليتمكنوا من الاكل ولا يزدحموا
فهو ارفق بهم او لضيق البيت كما قال السيوطي او لهما معا واما قوله عليه
السلام ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال الطعام قلت نعم فقال لمن
معه قوموا فظاهره ان النبي صلى الله عليه وسلم فهم ان ابا طلحة
استدعاه طلب حضوره الى منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا واول الكلام
يقتضي اقتصاص بها ان ام سليم وابا طلحة ارسلا الخبز مع انس وقوله
فيجمع بانهما ارادا ارسال الخبز مع انس سقطت هذه الجملة من غالب
نسخ المتن سهوا منه او من نساخه وهي ثابتة في الفتح الذي هو ناقل
عنه وبها يستقيم الكلام لان ياخذه النبي صلى الله عليه وسلم فياكله
فلما وصل انس ورأى كثرة الناس حول النبي صلى الله عليه وسلم
استحيى وظهر له ان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم
معه وحده الى المنزل فيحصل مقصودهم من اطعامه وذلك من
مزيد فطنته على صغر سنه ويحتمل ان يكون ذلك عن راي من هو
ارسله عهد اليه اي وصاه اذا رأى كثرة الناس ان يستدعي النبي
صلى الله عليه وسلم وحده خشية ان لا يكفي ذلك النبي صلى الله

عليه هو ومن معه وقد عرفوا ايثاره عليه السلام
وانه لا ياكل وحده زاد الحافظ عقب هذا وقد وجدت اكثر الروايات تقتضي
ان ابا طلحة استدعى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة ففي
رواية سعيد بن ابي سعيد عن انس بعثني ابو طلحة الى النبي صلى الله
عليه وسلم ادعوه وقد جعل طعاما وفي رواية عبد الرحمن بن ابي ليلى
عن انس ابو طلحة ام سليم ان تصنع للنبي صلى الله عليه وسلم لنفسه
خاصة ثم ارسلني اليه وفي رواية يعقوب فدخل ابو طلحة على امي فقال
هل من شيء فقالت نعم عندي كسر من خبز فان جانا صلى الله عليه وسلم
وحده اشبعناه وان جا احد معه قل عنهم وجميع ذلك عند مسلم وفي
رواية احمد ان ابا طلحة قال اعجنيه واصلحيه عسى ان ندعو رسول
الله وقد وقع في رواية يعقوب بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس
عند ابي نعيم واصله عند مسلم فقال لي ابو طلحة يا انس اذهب
فقم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قام فدعه
حتى يتفرق عنه اصحابه ثم اتبعه حتى اذا قام على عتبة
بابه الذي يا وي اليه فقل له ان ابي فيه تجوز لانه ربيبه يدعوك
وفي رواية يعقوب هذه ذكرها الحافظ استدلالا على ان ابا طلحة استدعاه
مسقط لفظ وقع بل عقب ما ذكرته عنه وفي رواية يعقوب فذكرها وفيه
فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك وهذا
صريح ايضا في انه استدعاه لمنزله ولم يكن عندنا ما يشبع ما ارى
معك فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندك وبقية الروايات التي
استدل بها الحافظ هي وفي رواية عمرو بن عبد الله بن ابي طلحة عند ابي يعلى
عن انس قال لي ابو طلحة اذهب فادع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند
البخاري من رواية ابن سيرين في الاطعمة عن انس ثم بعثني الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاتيته وهو في اصحابه فدعوته وعند احمد من رواية النضر
ابن انس قالت لي ام سليم اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له ان
رأيت ان تغدى عندنا فافعل وفي رواية عمرو بن يحيى المازني عن ابيه عن
انس عند البغوي فقال ابو طلحة اذهب يا بني الى النبي صلى الله عليه وسلم
فادعه فجئته فقلت ان ابي يدعوك وفي رواية محمد بن كعب عند ابي نعيم
فقال يا بني اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فادعه ولا تدع معه
غيره ولا تفضحني انتهى ولم يتنزل الحافظ للجمع بين هذه الروايات و
مقتضى اول رواية الصحيحين لسهولته وهو انه ارسله يدعوه وحده
وارسل معه الخبز سرا واما اختلاف الروايات في انه اقراص او كسر من
خبز فكانت اقراصا مكسورة وقوله اعجنيه واصلحيه يحمل على تليينه بنحو
ما او سمن ليسهل تناوله كانه كان يابسا كما هو شان الكسر غالبا هذا ما ظهر
لي والله اعلم النظر وفي رواية مبارك بن فضالة بفتح الفا وتخفيف المعجمة

البصري صدوق يدلس ويسوي مات سنة ست وستين ومائة على
الصحيح روى له ابو داود والترمذي وابن ماجة اي وروايته عن بكر بن
عبد الله وثابت عن انس عند الامام احمد فقال صلى الله عليه وسلم
لما دخل واتته ام سليم بذلك الخبز هل من سمن نادم به الخبز فقال
ابو طلحة قد كان في العكة شي قليل من السمن فجاء بها فجعلاه
يعصرانها حتى خرج لا ينافيه رواية الصحيحين السابقة بلفظ وعصرت
ام سليم عكة فادمته لاحتمال انها حين اتت بها عصرتها ثم اخذاها منها
وعصراها انهما استفرغا ما بقي فيها او انها ابتدا عصرها ثم حاولت بعد عصرها
اخراج شي منها ثم بعد فراغ العصر ووصول السمن الى الخبز مسح رسول
الله صلى الله عليه وسلم القرص لا ينافيه ان الخبز فت وجعل عليه
السمن كما مر لان السمن لما وضع على الفت اجتمع فصار كالقرص الواحد
فلذا عبر به وتقدم ان ابا طلحة عبر عنها بقرص قبل فتها لقلتها وهذا غير
ذاك فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع ذلك المسح والتسمية والقرص
ينتفخ حتى رايت القرص في الجفنة يتسع وفي رواية النضر بن
انس بن مالك الانصاري البصري التابعي الوسط ثقة روى له الجماعة
سنة بضع ومائة عن ابيه انس في مسند احمد فجيئت بها اي العكة ففتح
صلى الله عليه وسلم رباطها بيده الميمونة ثم قال بسم الله اللهم اعظم
فيها البركة وعرف بهذا المراد بقوله في رواية الصحيحين المتقدمة
ثم قال ما شاء الله ان يقول فالروايات تفسر بعضها وفي رواية بكر وثابت
عن انس عند احمد ان ابا طلحة راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
طاويا فلذا قال اعرف فيه الجوع وعند ابي يعلى من طريق محمد بن سيرين
عن انس ان ابا طلحة بلغه انه ليس عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم طعام فاجر نفسه في عمل بصاع من شعير فعمل بقية يومه
ذلك ثم جاء به الحديث وهو مخالف للروايات السابقة واللاحقة انه سال
ام سليم اعندها شي فاخبرته بالخبز وانه فته وجعل عليه سمن والجمع بينهما
انه تعدد مرتين مرة سالها فوجد الخبز ففعل ما ذكر وبعثه مع انس قبل
ذلك لاحتمال ان لا يجي فتعطيه له فجاء ومعه ثمانون او زيد وادخلهم
عشرة عشرة ومرة لم يسالها بل اجر نفسه بالصاع واتى به اليها وقال
اعجنيه واصلحيه فجعلته عصيدة ودعاه فجاء ومعه اربعون وادخلهم
ثمانية ثمانية وبهذا تتضح الروايات واليه اومى الحافظ وان لم يفصح به
فقال في رواية ابن سيرين عن انس عند احمد حتى اكل منها اربعون وهذا
يويد التعدد الذي اشرت اليه وان القصة التي رواها ابن سيرين غير القصة
التي رواها غيره وقال قبل ذلك كما قدمته عنه يدل على التعدد ما بين العصيدة
والخبز المفتوت الملتوت بالسمن من المغايرة انتهى والله اعلم وفي رواية
عمرو بن عبد الله بن ابي طلحة وهو اخو اسحاق راوي حديث الباب

عند

عند مسلم وابي يعلى عن انس قال راى ابو طلحة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينقلب ظهر البطن من الجوع وفي رواية يعقوب
ابن عبد الله بن ابي طلحة عند مسلم ايضا عن انس قال جيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا فوجدته جالسا مع
اصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فسالت بعض اصحابه
لم عصب بطنه فقال من الجوع فذهبت الى ابي طلحة فاخبرته فدخل
على ام سليم فقال هل من شي الحديث وفي رواية محمد بن كعب بن
مالك الانصاري بالفتح السلمي المدني التابعي الوسط ثقة روى له مسلم وابن
ماجة عن انس عند ابي نعيم قال جا ابو طلحة الى ام سليم بنت ملحان
الانصارية اسمها سهلة او رميلة او رميثا ومليكة او انيفة اشتهرت
بكنيتها وكانت من الصحابيات الفاضلات ماتت في خلافة عثمان فقال
اعندك شي فاني مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقري اصحاب
الصفة سورة النسا وقد ربط على بطنه حجرا من الجوع وفيه رد على
دعوى ابن حبان انه لم يكن يجوع لحديث ابيت يطعمني ربي ويسقيني واجيب
بحمله على تعدد الحال فكان احيانا يجوع اذا لم يواصل ليتاسى به اصحابه ولا
سيما من لا يجد مددا فيصبر على الجوع فيتضاعف اجره كما مر مفصلا وعن
ابي هريرة قال لما كان ثامنة اي وجد غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة
وفي رواية مخمصة فاستاذن الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نحر
بعض ظهورهم وقالوا يبلغنا الله عز وجل فاذن فعلم عمر فجا يا نبي الله
ماذا صنعت امرت الناس ان ينحروا الظهر فعلى ماذا يركبون قال فما
ترى يا ابن الخطاب فقال عمر يا رسول الله ادعهم الزمهم وفي لفظ
ارى ان تامرهم ان ياتوا بفضل ازوادهم اي بقيتها او ما فضل من
ازوادهم التي لا تكفيهم في الاكلة الثانية والاكل بيتا ذنوه في نحر الظهر
ثم ادع الله لهم عليها بالبركة النمو والزيادة فيها فان الله عودك في
الدعا خيرا فقال نعم فدعا بنطع بكسر النون وفتح الطا على افصح لغاته
وفي النون والطا وفتح النون واسكان الطا وكسر النون واسكان الطا
ما يتخذ من الادم وتقدم مرارا فبسط ثم دعا بفضل ازوادهم فجعل
الرجل يجي بكف ذرة ويجي الاخر بكسرة وفي رواية فجعل الناس ياتون
بالحثية من الطعام وفوق ذلك فكان اعلاهم من جا بالصاع من التمر
فجعلها صلى الله عليه وسلم في ثوبه اي فوق النطع حتى اجتمع على
النطع شي يسير قال سلمة بن الاكوع فحزرته كربضة العنز براء وموحدة
ومعجمة اي مقدار جثة عنز باركة على الارض او هو تقدير لموضع من
النطع بموضع ربوضها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة
ثم قال خذوا في اوعيتكم فاخذوا في اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر
وعا الا ملوه مما اجتمع عنده وفي رواية لمسلم حتى ملوا ازودتهم

قال في الاكمال كذا الرواية عن جميع شيوخنا فالازودة بمعني الاوعية كما
سميت الاسقية روايا قال فاكلوا حتي شبعوا وفضلت فضلة منه
وفي رواية فما بقي انسان وعاء ولم يبق في الجيش وعاء الا ملوه حتي ان
الرجل ليعقد قميصه فياخذ فيه وبقي منه فضحك صلي الله عليه وسلم
حتي بدت نواجذه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اشهد
ان لا اله الا الله واني رسول الله مناسبتها لما قبلها من اظهار المعجزة
اعلامهم ان القصد منهم النبوة عليها من غير شك كما افاد بقوله لا
يلقي الله بها عبد غير شاك فيحجب بالنصب اي يمنع عن الجنة
حجبا تابيدا ولذا رواية الا حجبت عنه النار اي حجبه تابيدا فلا ينافي دخولها
لبعض لتطهيره ويحتمل ان عدم شكه قبل لقا الله ملاحظا التوبة الي الله
والتمحيص من الذنوب فلا يحجب عن الجنة ابتدا بل يكون مع السابقين وتحجب
عنه النار من اول الامر رواه مسلم واحمد واخرجه البخاري عن سلمة
ابن الاكوع بنحوه وعن انس قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم
عروسا بزينب بنت جحش الاسدية فقالت لي ام سليم لو اهدينا الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم هدية فقلت لها افعلي فعمدت بفتح الميم اي ام
سليم الي تمر وسمن واقط فصنعت حيسا بفتح الحا المهملة واسكان
اليا وبالسين المهملة وهو خلط المذكور قال

التمر والسمن جميعا والاقط ۞ الحيس الا انه لم يختلط

اي لم يختلط فيما حضر الشاعر فيما عناه فهو حيس بالقوة لا بالفعل
وقيل الحيس تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق قال ابن قرقول والاول اعرف
فجعلته في تور بفتح الفوقية واسكان الواو انا من صفر او حجارة وفي
رواية البخاري في برمة اي قدر او من حجر فقالت يا انس اذهب بهذا
الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك امي وهي
تقريك السلام وفي رواية البخاري فارسلت بها معي اليه فانطلقت بها
اليه فقال صلي الله عليه وسلم ضعه اي التور وفي رواية البخاري ضعها
اي البرمة ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم اي
عينهم باسمائهم وادع من لقيت بتا الخطاب تعميم بعد تخصيص فدعوت
من سمي ومن لقيت وفي رواية البخاري ففعلت الذي امرني فرجعت
فاذا البيت غاص بغين معجمة وصاد مهملة مشددة بينهما الف اي ممتلي
باهله قيل لانس عددكم معمول مقدم لقوله كانوا اي عددا اي قدر كانوا
قال زها ثلاث مائة اي مقدارها فرايت النبي صلي الله عليه وسلم
وضع يده كذا بالافراد وفي البخاري يديه قال الم بالتثنية علي تلك
الحيسة التي ارسلتها ام سليم لتحصل وتكلم بما شا الله ان يتكلم
وفي رواية فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه ولا منافاة فانه وضع
يديه جميعا عليها حين الدعا قبل الاكل ثم لما اطعم القوم اكل معهم باصابعه

الثلاث علي سنته فلا ترد الرواية التي في المعجم الاخر وفيقال اي بعض
بره كما توهم ثم جعل يدعو عشرة عشرة من القوم الذين اجتمعوا ياكلون
منه اي الطعام المسمي حيسة او الضمير للتور ويقول لهم اذكروا اسم الله
بان تقولوا بسم الله قبل الاكل وليأكل كل رجل مما يليه قال انس فاكلوا
حتي شبعوا فخرجت طايفة حتي اكلوا كلهم قال لي يا انس ارفع
الانا وفي رواية لترفع بلام الامر والخطاب والرواية الاولي افصح فرفعت
فما ادري حين وضعت بضم التا للمتكلم اي حين وضعته او بتا التانيث و
ساكنة كان الطعام او التور وفي رواية كانت بالتانيث اي الانية اكثر ام
حين رفعت بضم التا واسكانها رواه البخاري ومسلم واللفظ له كلاهما
في النكاح وبقيته عندهما فخرج من خرج وبقي نفر يتحدثون وجعلت
اغتم ثم خرج النبي صلي الله عليه وسلم نحو الحجرات وخرجت في اثره فقلت
انهم قد ذهبوا فرجع فدخل البيت وارخي الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الي قوله والله لا يستحيي من الحق قال في
الفتح استشكل عياض ما وقع هنا ان الوليمة بزينب كانت من الحيس الذي
اهدته ام سليم فالمشهور في الروايات اولم عليها بالخبز واللحم ولم يقع في
القصة تكثير ذلك الطعام وانما فيها انه اشبع المسلمين خبزا ولحما فهذا
وهم من راويه وتركيب قصة علي اخري واجابه بان حضور الحيسة صادف حضور
الخبز واللحم فاكلوا كلهم من ذلك وقال القرطبي لعل الذين دعوا الي الخبز واللحم
اكلوا حتي شبعوا وذهبوا ولم يرجعوا وبقي النفر الذين كانوا يتحدثون عنده
حتي شبعوا جا انس بالحيسة فامره ان يدعو ناسا اخرين ومن لقي فدخلوا
فاكلوا ايضا حتي شبعوا واستمر اولئك النفر يتحدثون انتهي ولعل جوابه
عياض اقرب وعن جابر قال ان ام مالك الانصارية اوردها في الاصابة
في الكني ولم يسمها بل ذكر هذا الحديث كانت تهدي الي النبي صلي الله
عليه وسلم في عكة لها سمنا فياتيها بنوها فيسالون الادم
اي ما يتادمون به وفي رواية فيسالون السمن وليس عندهم شي فتعمد
بكسر الميم تقصد الي الذي كانت تهدي فيه ذكره باعتبار الوعا للنبي
صلي الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال استمر السمن الذي تجده
تقيم لها ادم بيتها واحد البيوت وفي نسخة بنيها جمع ابن والاولي ابلغ
في المعجزة حتي عصرته اي الظرف او الانا المعبر عنه بعكة او الضمير
للسمن باعتبار محله لكن في مسلم حتي عصرتها بالتانيث فاتت النبي
صلي الله عليه وسلم فذكرت ذلك له كما في مسلم فقال اعصرتها استفهام
انكاري ولا يخفي ان التا فاعل واليا للاشباع لا لغة قال شيخنا في التقرير
وفي ظني ان في الرضي ما يفيد جواز دخولها علي ضمير الغيبة المونث او المذكر
كاخذتيه قالت نعم فقال لو تركتيها ما زال السمن قايما رواه مسلم
من طريق ابي الزبير عن جابر وروي ابن ابي عاصم وابن ابي خيثمة عن

ام مالك الانصارية انها جات بعكة سمن الي النبي صلي الله عليه وسلم فامر بلالا بعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوة فجاءت فقالت انزل فيّ شي قال وما ذاك قالت رددت عليّ هديتي فدعا بلالا فساله فقال والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتي استحييت فقال هنيا لك هذه بركة يا ام مالك هذه بركة يجعل الله لك ثوابها ثم علمها ان تقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله اكبر عشرا وترجم في الاصابة ام مالك وساق حديث مسلم ثم ترجم ثانيا وذكر الحديث ثم قال وكلام ابن مندة ظاهر في انهما واحدة ووقع لام سليم قصة شبيهة بهذه اخرج الطبراني عن انس عن امه كانت لي شاة فجعلت من سمنها في عكة فبعثت بها مع زينب الي النبي صلي الله عليه وسلم فقال افرغوا لها عكتها ففرغت وجات بها فجاءت ام سليم فرات العكة ممتلية تقطر سمنا فقالت يا زينب الست امرتك ان تبلغي هذه العكة لرسول الله يا تدم بها قالت قد فعلت وان لم تصدقيني فتعالي معي فذهبت معها الي النبي صلي الله عليه وسلم فاخبرته فقال قد جاءت بها فقلت والذي بعثك بالهدي ودين الحق انها ممتلية سمنا تقطر فقال اتعجبين يا ام سليم ان الله اطعمك
وعنه اي جابر **ان رجلا** من اهل البادية لم يسم **اتي النبي صلي الله عليه يستطعمه** يطلب منه طعاما له ولاهله لشدة حاجته **فاطعمه** اي اعطاه لان الاطعام يكون بمعني الاعطا كثيرا حتي انه لكثرته يستعمل فيما لا يوكل كاطعمه السلطان بلدة وهو مجاز مرسل او استعارة **شطر** بفتح اوله ولا يصح الكسر اي نصف **وسق** بفتح الواو وكسرها **من شعير** وقال النووي الشطر هنا معناه شي كذا فسره الترمذي **فما زال ياكل منه وامراته** بالرفع عطف علي الضمير المستتر في ياكل بلا فصل بموكد بل بقوله منه وهو فصيح والافصح الفصل كقوله اسكن انت وزوجك وقد يعطف بلا فاصل وهو قليل كقول علي كنت وابو بكر وعمر **وضيفه** اي من ينزل عليه يطلق علي الواحد وغيره **حتي كاله** غاية اي استمر اكلهم منه بلا نقص شي منه الي ان كاله فظهر نقصه بعد الكيل بما ياخذه منه قال بعض وهذا الرجل جد سعيد بن الحارث استعان بالنبي صلي الله عليه وسلم في انكاحه فانكحه امراة فالتمس صلي الله عليه وسلم ما ساله فلم يجد فبعث ابا رافع وابا ايوب بدرعه فرهناها عند يهودي في شطر وسق من شعير فدفعه صلي الله عليه وسلم اليه قال فاطعمنا منه واكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما ادخلناه **فاتي النبي صلي الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه** دايما ما يكفيكم **ولقام بكم** مدة حياتكم من غير نقص **رواه مسلم ايضا** من طريق ابي الزبير عن جابر **والحكمة في ذهاب بركة السمن حين عصرته** ام مالك **العكة والطعام الشعير حين كاله** الرجل **ان عصرها وكيله مضاد** كل منهما **للتسليم والتوكل علي رزق الله تعالي ويتضمنه التدبير والاخذ بالحول**

والقوة

والقوة وتكلف الاحاطة باسرار حكم الله وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووي علي مسلم وقيل انما كان كذلك لان عشا به سرا من اسرار الله ينبغي كتمه وتقدم ان هذا ونحوه لا يعارض قوله صلي الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه لانه فيمن يخشي الخيانة او كيلوا ما تخرجوه للنفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل بشرط بقا الباقي مجهولا او كيلوه عند الشراء او دخاله المنزل **وعن ابي العلا سمرة ابن جندب** بضم الدال وفتحها ابن هلال الفزاري حليف الانصار الصحابي المشهور مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين وقيل سنة تسع وقيل سنة ستين قال في الاصابة يكني ابا سليمان **قال كنا مع النبي صلي الله عليه وسلم نتداول من قصعة** بفتح القاف فيها لحم **من غدوة حتي الليل** بالجر ويجوز رفعه ونصبه **تقوم عشرة وتقعد عشرة** تفسير للتداول وقيل المعروف من حديث سمرة من غدوة الي الظهر تقوم قوم وتقعد اخرون **قلنا فما كانت** اي اي شي كانت **تمد** اي تزاد به **قال من اي شي تعجب ما كانت تمد الا من ههنا واشار بيده الي السماء** والمراد من احسان الله معجزة له صلي الله عليه وسلم كما يدل عليه السياق لان الزيادة تنزل من السما حقيقة كنزول مايدة بني اسرايل بدعا عيسي **رواه الترمذي** وشيخه **الدارمي** عبد الله بن عبد الرحمن **وعنه** اي سمرة من وجه اخر والحديث واحد **اتي** بالبنا للمفعول اذ لا يتعلق غرض ببيان الاتي **النبي صلي الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم** مطبوخ **فتعاقبوها** اي قعد عليها عشرة بعد عشرة كما في الرواية قبل لان كلا منهم اتي عقب سابقه بلا فاصل **من غدوة حتي الليل** بالاوجه الثلاث **يقوم قوم ويقعد اخرون** تفسير للتعاقب وبين عدة القوم في الرواية قبله **فقال رجل لسمرة هل كانت تمد** حتي كفت تلك المدة الطويلة **فقالت ما كانت تمد الا من ههنا واشار بيده الي السما رواه الدارمي** ايضا **وابن ابي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه وابو نعيم** في الدلايل وفي فتح الباري روي احمد والترمذي والنسايي عن سمرة قال اتي النبي صلي الله عليه وسلم بقصعة تغدوها ثريد فاكلوا اكل القوم فلم يزل الوابته اولوبها الي قريب الظهر ياكل قوم ثم يقومون ويجي قوم فيتعاقبونه فقال رجل هل كانت تمد بطعام قال اما من الارض فلا الا ان تكون كانت تمد من السما قال بعض شيوخنا يحتمل ان تكون هذه القصعة هي التي وقع فيها ما وقع في بيت ابي بكر انتهي **وفي حديث عبد الرحمن ابن ابي بكر** الصديق شقيق عايشة تاخر سلامه الي قبيل الفتح وشهد اليمامة والفتوح ومات سنة ثلاث وخمسين في طريق مكة فجاة وقيل بعد ذلك **قال كنا مع النبي صلي الله عليه وسلم** حال من اسم كان والخبر **ثلاثين ومائة** او هما خبران اي خبر بعد خبر **وذكر الحديث** وهو فقال النبي صلي الله

عليه وسلم هل مع احد منكم طعام فاذا مع رجل صاع من طعام او نحوه
فعجن ثم جا رجل مشرك مشعان طويل جدا بغنم يسوقها فقال النبي صلي
الله عليه وسلم بيعا ام عطية او قال ام هبة قال لا بل بيع فاشترى منه شاة
فصنعت وامر النبي صلي الله عليه وسلم بسواد البطن ان يشوى وايم الله
ما في الثلاثين ومائة الا وقد حز النبي صلي الله عليه وسلم له حزة من سواد
بطنها ان كان شاهدا اعطاها اياه وان كان غائبا خبا له فجعل منها قصعتين
فاكلوا اجمعون وشبعنا ففضلت القصعتان فحملنا علي بعير او كما قال هذا
لفظ البخاري في الهبة ومشعان بضم الميم وسكون الشين المعجمة فعين مهملة
فالف فنون مشددة وقوله طويل جدا اي فوق الطوال ويحتمل انه تفسير
للمشعان وقال القزاز المشعان الحافي الثائر الراس وقال غيره طويل شعر
الراس جدا البعيد العهد بالدهن اشعث وقال عياض ثائر الراس متفرقه
قال الحافظ ولم اقف علي اسمه ولا علي اسم صاحب الصاع فقوله انه اي وفيه
انه عجن صاع وصنعت اي ذبحت شاة فشوي سواد بطنها اي كبدها
خاصة او وحشوها والاول اظهر وخص لانه اهل الحياة قال عبد الرحمن
وايم الله بوصل الهمزة قسم ما من الثلاثين ومائة الذين كانوا معه
عليه الصلاة والسلام الا وقد حز بفتح الحا المهملة له حزة بفتح الحاء
المهملة قطعة كما ضبطه المص في الهبة قال وفي الاطعمة بضم الحا قطعة
من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا لفظ البخاري في
الاطعمة ولفظه في الهبة فاكلوا اجمعون تاكيد للضمير الذي في اكلوا قال
الحافظ يحتمل انهم اجتمعوا علي القصعتين فيكون فيه معجزة اخرى لكونهما
وسعتا ايدي القوم ويحتمل انهم اكلوا كلهم في الجملة اعم من الاجتماع والافتراق
وفضل في القصعتين فحملته اي ما فضل لفظ الاطعمة وفي الهبة فحملناه
بضمير ودونه علي بعير او كما قال اما لشك من الراوي كما وقع من المحملين
رواه البخاري في الهبة والاطعمة تاما وفي البيوع مختصرا وكذا رواه مسلم
في الاطعمة تاما قال الحافظ وفيه معجزة ظاهرة واية باهرة من تكثير القدر
اليسير من الصاع ومن اللحم حتى وسع الجمع المذكور وفضل منه فاني وكم از
هذه القصعة الا من حديث عبد الرحمن وقد ورد تكثير الطعام في الجملة من
احاديث جماعة من الصحابة وعن ابي هريرة قال امرني رسول الله صلي
عليه وسلم ان ادعوا اهل الصفة لطعام ياكلونه عنده فتتبعتهم
حتى جمعتهم لانهم كان منهم من يذهب لنحو الاحتطاب فوضعت
بين ايدينا صحفة فيها طعام فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها
حين وضعت لم تنقص شيا الا ان فيها اثر الاصابع رواه ابن ابي
شيبة والطبراني وابو نعيم الاصبهاني وعن علي بن ابي طالب
قال جمع رسول الله صلي الله عليه وسلم بني عبد المطلب بمكة
في ابتدا البعثة وكانوا اربعين رجلا منهم قوم اسم جمع للرجال خاصة

لقيامهم بالامور ياكلون الجذعة بفتح الجيم والمهملة من الابل كما ورد
في احاديث وهي ما دخل في الخامسة وقيل الرابعة ومن المعز ما تم له سنة
ومن الضان ما اتى عليه ثمانية اشهر او تسعة والمراد اقل ما يكفيهم الجذعة
كما يقال لمن دونهم اكله راس ويشربون الفرق بفتح الفا واسكان الرا
وبفتحهما اناء يسع اثني عشر صاعا بصاعه صلي الله عليه وسلم وهو
ستة عشر رطلا وهو معروف بصنع لهم مدا من طعام اي طبخه وسواه
حتى شبعوا وبقي كما هو قبل الاكل اي لم ينقص كانه لم يوكل منه شي
ثم دعا بعس بضم المهملة الاولى قدح من خشب يروي الثلاثة والاربعة
اي من لبن طلبه من اهله لهم فشربوا منه حتى رووا وبقي كانه لم
لم يشرب منه شي رواه اي ذكره بلا اسناد في الشفا وقد اخرجه احمد
والبيهقي بسند جيد مطولا عن علي ومن ذلك ابراء ذوي العاهات
اي الافات جمع عاهة وهي في تقدير فعله بفتح العين واحيا الموتى
مصدر مضاف لمفعوله والفاعل الله او النبي صلي الله عليه وسلم لانه سببه
وان كان الفاعل الحقيقي هو الله وهو من اعظم معجزاته صلي الله عليه وسلم
ولذا قال في البردة

لو ناسبت قدره اياته عظما ٭ احيى اسمه حين يدعى دارس الامم

ومعناه انه لا يعد شي من معجزاته عظيما بالنسبة اليه الا ان يكون كل احد
لو دعا باسمه وتوسل في احيا الموتى وقع له ذلك واستشكل بان منها القران
وفي حديث اية من كتاب الله خير من محمد واله فكيف لا يكون فيها ما يناسب
قدره شرفا واجيب بان المراد ما احدثه الله علي يديه والقران صفة
قديمة لله لكن الحديث المذكور قال الحافظ وغيره لم اقف عليه وكلامهم له
بدون احيا فالعطف مغاير لا خاص علي عام كما توهم وكلام الصبيان الذين
لم يصلوا السن التكلم ولذا عطف علي كلام الموتى لانه ليس في شانهم الكلام واخر
لانهم احيا شانهم الكلام في الجملة فهو دونه مرتبة وشهادتهم له بالنبوة
اي قول من في المهد انك نبي الله ورسوله وعطفه علي ما قبله خاص علي
عام وخصهم بالذكر لان نطقهم نفسه معجزة وايمان الموتى به بعد احيايهم
ليس مقصودا لكونه معجزة بل المقصود من حيث كونه معجزة نفس الاحياء
وازالة المرض عن ذوي العاهات روى البيهقي في الدلايل النبوية عن

بياض باصله

انه صلي الله عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا او من بك حتى
تحيي لي ابنتي فقال النبي صلي الله عليه وسلم ارني قبرها فاراه
اياه فقال صلي الله عليه وسلم يا فلانة اي ناداها باسمها الخاص كما في
رواية فنسي الراوي اسمها فكنى بفلانة فقالت وقد خرجت من قبرها
لبيك اجابة لك بعد اجابة وسعديك اسعادا لك بعد اسعاد ومعناه

سرعة الاجابة والانقياد فقال صلى الله عليه وسلم انخبين ان
ان ترجعي كذا في نسخ وهي ظاهرة وفي بعضها ان ترجعين بالنون وهي لغة
كقوله ٥ ان تقرآن على اسما ويحكما ٥ مني السلام وان لا تشعرا احدا ٥
فقالت لا والله يا رسول الله لا احب ذلك اني وجدت الله حين
انتقلت الى دار كرامته خيرا لي من ابوي وما عندهما ووجدت
الاخرة خيرا لي من الدنيا لما فيها من التعب وفيه ان صح ان اطفال الكفار
غير معذبين وهو الاصح وهذه القصة اوردها في الشفا بلفظ وعن الحسن اي
البصري اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له في وادي
كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة احيي باذن الله تعالى فخرجت
وهي تقول لبيك وسعديك فقال ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك
عليهما فقالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما ولم يذكر مخرجه السيوطي
من رواه وروى الطبري الحافظ محب الدين احمد بن عبد الله ابن محمد المكي
فقيه الحرم ومحدثه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل
الحجون في حجة الوداع كئيبا حزينا صفة لازمة لكئيبا فاقام به
ما شاء الله اي يقوم ثم رجع مسرورا فقال يخاطب عائشة نزلت من
عندي وانت باكية حزينة مغتم فبكيت لبكائك ثم انك عدت الي وانت فرح متبسم
فمم ذاك يا رسول الله قال سألت ربي عز وجل فاحيا لي امي فآمنت
بي ثم ردها الى الموت وكذا روي من حديث عائشة ايضا احيا
ابويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به جميعا واورده السهيلي
في الروض وكذا الخطيب في كتابه السابق واللاحق اي المتقدم
والمتاخر اي المنسوخ والناسخ قال السهيلي ان في اسناده مجاهيل
ومع ذلك قد قواه بقوله بعد والله قادر على كل شي وليس تعجز رحمته وقدرته
عن شي ونبيه اهل ان يختصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته
وقال ابن كثير انه منكر اي ضعيف جدا لا موضوع لا المنكر من اقسام
الضعيف وتقدم البحث في ذلك في اوائل المقصد الاول وقد مر ثم في
فوائد ان الصواب ان الحديث ضعيف فقط يجوز روايته في الفضائل والمناقب
كما عليه الخطيب وابن عساكر وابن شاهين والسهيلي والمحب الطبري وابن
المنير وابن سيد الناس وغيرهم لا موضوع كما زعم جماعة من الحفاظ ولا
صحيح كما جازف بعض وعن انس ان شابا من الانصار لم يسم
توفي وله ام عجوز عمياء اشارة الى شدة حزنها لكبرها وعجزها المحوج
لولدها فسجيناه بمهملة وجيم غطيناه او كفناه وعزيناها اي صبرناها
وسكناها بذكر ما لها عند الله من الاجر ونحوه ولعل وجه المبادرة بتعزيتها وخشية الموت
انهم راوا عندها جزعا قويا فقالت مات اي امات ابني بحذف همزة الاستفهام
مقدرة وقالت لانها لم تعلم ولذا عرفها بالمصيبة او لذكر ما يبصره قلنا نعم
فقالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك لا لبنائي انه انصاري لانه

لامانع

لا مانع ان امه مهاجرة او الهجرة الانتقال من بلد الى اخر وقد تكون
سكنت في مكان بعيد فهاجرت منه وافقه كانت انصارية نسبا والى نبيك
الهجرة الى الله بالهجرة الى نبيه والا فالله معها اينما كانت رجاء بالنصب
مفعول له ان تعينني بالفوقية خطاب لله لانه هو المعين فيه على كل
شدة صعوبة اي على كل امر شاق وعلقته بان الشدة بعدم الجزم لاعتبار
ان خلوصها في هجرتها مما يخفى على غيرها ومن شانه ان يشك فيه لانه لا يعلم
ذلك او باعتبار القبول او نجاح رجاء الاجابة فلا تحملن بمهملة وشد الميم ونون
التوكيد بمعنى لا تكلفني لان التكليف كالحمل الثقيل فاستعير له كقوله ولا تحملنا ما
لا طاقة لنا به او المعنى لا تنزل على هذه المصيبة بدوام موت ولدها
فاسالك رفعها عني باحيائه فما برحنا بكسر الراء اي ما ذهبنا من مكاننا الذي
كنا فيه ان كشف ولدها الثوب عن وجهه بعد ما غطي به فطعم
اكل وطعمنا اكلنا معه من طعام قدم لنا وعاش الى وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم وروي انه بقي بعده وهلكت امه في حياته وروي ذكره في المعجزات
انه احيي بالدعا باسمه صلى الله عليه وسلم وحضوره فلا يقال هذه كرامة
لام الشاب رواه ابن عدي وابن ابي الدنيا والبيهقي وابو نعيم بنحو
اللفظ ورووا ايضا عن انس بلفظ كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتته عجوز عمياء مهاجرة معها ابن لها قد بلغ فلم يلبث ان اصابه وباء
المدينة فمرض اياما ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وسلم وامر اي انسا
بجهازه فلما اردنا ان نغسله قال يا انس ائت امه فاعلمها فاعلمتها فجاءت حتى
جلست عند قدميه فاخذت بهما ثم قالت اني اسلمت اليك طوعا وخلعت
الاوثان زهدا وهاجرت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ولا تحملني
في هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه
والقى الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه وعاش حتى قبض النبي صلى الله عليه
وسلم وهلكت امه وعن النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الانصاري
الخزرجي له ولابيه صحبة سكن الشام ثم ولي امرة الكوفة ثم قتل بحمص سنة
خمس وستين وله اربع وستون سنة قال كان زيد بن خارجة بالخاء
المعجمة والجيم ابن زيد الانصاري الخزرجي شهد ابوه احدا وقتل بها هو
وابنه سعيد بن خارجة وشهد زيد بدرا ومات في خلافة عثمان ذكر
البخاري وغيره انه الذي تكلم بعد الموت وقتل ابوه وهو وهم لانه قتل باحد
من سراة بفتح السين وفي نسخة سرواتهم وكلاهما صحيح قال المجد السراة
اسم جمع جمعه سروات اي اشراف الانصار زاد ابن منده في روايته وخيارهم
فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة وفي رواية في بعض ازقة
المدينة فالمراد الطرق التي يسلك منها في المدينة بين الظهر والعصر
اذ خر سقط من قيام فتوفي مات فاعلمت به الانصار فاتوه
فاحتملوه من المكان الذي سقط فيه وذهبوا به الى بيته وسجوه

كساوبردين وفي البيت نسا من نسا الانصار يبكين عليه
ورجال من رجالهم فمكث على حاله مسجي كانهم شكوا في موته لكونه
فجاة فلم يخروا بتجهيزه ودفنه حتى اذا كان بين المغرب والعشا
اذ سمعوا صوت قايل يقول انصتوا انصتوا بالتكرير للتاكيد اي
استمعوا فنظروا وتاملوا فاذا الصوت من تحت الثياب المسجي بها
فحسروا اكشفوا عن وجهه الغطا وصدره فاذا القايل يقول
على لسانه مقتضى هذا انه لم يتكلم بل ملك مثلا وليس بمراد اذ الكلام في
كلام الموتى وكانه نسبه لقايل وان كان هو المتكلم لموته ولذا تصرف فيه في
الشفا فاتى بمعناه المراد فقال فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشاين والنسا
يصرخن يقول انصتوا انصتوا فقال محمد رسول الله النبي الامي
خاتم النبيين اي اخرهم بعثا لجامعهم لانبي بعده كان ذلك المذكور
في الكتاب الاول اي جنسه من الكتب المتقدمة كالتوراة او اللوح المحفوظ
المثبتونه فيه كل ما قدره ثم قال زيد مخاطبا من عنده او من يصح توجه
الخطاب اليه او مجردا من نفسه مخاطبا ماموران كان قوله صدق صدق
امرا كما قاله بعض شراح الشفا فان كان ماضيا كما اعتمده اخر فهو ظاهر
اي صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما بلغ عن الله والتكرير للتاكيد ثم
قال هذا رسول الله فيه انه حضر عنده وشاهده فاشار اليه
السلام عليك يا رسول الله خص وصف الرسالة بالذكر لانتفاع الامة
بها الذي هو من جملتهم ورحمته انعامه واحسانه او ارادتهما وبركاته
جمع بركة وهو الخير الالهي وفي الشفا وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم عاد ميتا
اي ذكرهم بالثنا عليهم بما فعلوه في خلافتهم ولذا لم يذكر عليا لانه لم يدرك
خلافته اذ موته في زمن عثمان رواه ابو بكر عبد الله بن ابي الدنيا
القرشي في كتابه من عاش بعد الموت وكذا رواه ابن منده وغيره
واورد ان الترجمة في معجزته باحيا الموتى وكلامهم له عليه السلام بعد الموت
وهذا الحديث ليس من ذلك اذ هو بعد وفاة المصطفى بدهر واجيب بانه
من صحبه وكرامات الامة فضلا عن الصحبة من جملة كراماته وعن سعيد
ابن المسيب ان رجلا من الانصار توفي فلما كفن اتاه القوم
يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله يحتمل انه زيد المذكور وانه تكلم
مرتين فبذلك قبل التكفين وبلفظ محمد رسول الله بعده ويحتمل انه
غيره لكن الاصل عدم التعدد اخرجه ابو بكر بن الضحاك واخرج
ابو نعيم ان جابرا هو ابن عبد الله ذبح شاة وطبخها وثرد فيه
الخبز في جفنة ووضع عليه الشاة واتى به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاكل القوم الذين عنده معه وكان صلى الله عليه وسلم
يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه عليه الصلاة والسلام جمع
العظام في وسط الجفنة ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام قال جابر

لم اسمعه فاذا الشاة قد قامت تنفض اذنيها فقال خذ
شاتك يا جابر بارك الله لك فاخذتها ومضيت وانها لتنازعني اذنها
حتى اتيت بها المنزل فقالت المراة ما هذا يا جابر فقلت والله هذه شاتنا
التي ذبحناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله فاحياها فقالت
اشهد انه رسول الله كذا رواه ابو نعيم فالله اعلم بصحته وكذا رواه
الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشكر في كتابه العجايب والغرايب وروي عن
معرض بضم الميم وفتح المهملة وكسر الرا الثقيلة ثم ضاد معجمة كما في
الاصابة وفي التلمساني وغيره اسم فاعل من اعرض وروي بكسر اوله كانه
اله بن معيقيب بما اخره وقبل اللام اليماني صحابي جاء عنه هذا الحديث
تفرد به عنه ولده عبد الله قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا
بمكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه مثل
دارة البدر كما في رواية الخطيب وفي رواية ابن قانع كان وجهه القمر ورايت
منه عجبا امرا عجيبا وقع عنده جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام
يوم ولد وقد لفه في خرقة كما في الرواية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا غلام من انا قال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك
اليمامة لقول المصطفى بارك الله فيك رواه البيهقي من حديث معرض
بالضاد المعجمة وابن قانع والخطيب من طريق محمد بن يونس الكديمي قال
حدثنا شاصونة بن عبيد قال اخبرنا معرض بن عبد الله ابن معرض بن معيقيب
قال حججت فذكره قال الدارقطني الكديمي متهم بوضع الحديث ومما تكلم به فيه
حديث شاصونة فقيل انه حدث عن من لم يخلق ولذا قال ابن دحية وغيره
انه موضوع لكنه ورد من غير طريق الكديمي قال في الاصابة معرض وشيخه
مجهولان وكذلك شاصونة واستنكروه على الكديمي لكن ذكر ابو الحسن
العتقي في فوايده قال سمعت ابا عبد الله البجلي مستملي ابن شاهين يقول
سمعت بعض شيوخنا يقول لما املى الكديمي هذا الحديث استعظمه الناس
وقالوا هذا كذب من هو شاصونة فلما كان بعد مدة جا قوم من الرحالة ممن جاء
من عدن فقالوا دخلنا قرية يقال لها الحردة فلقينا بها شيخا فسالناه هل
عندك شي من الحديث قال نعم فقلنا ما اسمك قال محمد بن شاصونة واملا علينا
هذا الحديث فيما املا عن ابيه واخرجه ابو الحسن بن جميع في معجمه عن العبا
ابن محمد بن شاصونة بن عبيد عن معرض بن عبد الله بن معرض عن ابيه عن
جده واخرجه الخطيب عن الصوري عن ابن جميع وكذا اخرجه البيهقي من
طريقه واخرجه الحاكم في الاكليل من وجه اخر عن العباس بن محمد بن شاصونة
انتهى وذكر نحوه السيوطي في خصايصه الكبرى وقال فقد وقعت رواية من
طرق فهو حديث حسن قال وسبب انكاره انه من الامور الخارقة للعادة
وقد وقع في حجة الوداع مع كثرة الناس فكان حقه ان يشتهر انتهى لكن

س

تحسينه لا يظهر اذ مداره علي شاصونة وهو مجهول كشيخه وشيخ شيخه
كما في الاصابة فغاية ما يفيده تفرد طرقه عن شاصونة انه ضعيف لزوال
ما كان يخشى انه من وضع الكديمي اما الحسن فمن ابن ومداره علي مجاهيل
ثلاثة وقد قال في الشفا يعرف ذلك بحديث شاصونة اسم راويه وهو بشين معجمة
والف وصاد مهملة وواو ساكنة ونون وها **وعن فهد بن عطية** بفاء و
مفتوحة وها ساكنة ودال مهملة وفي نسخة وراء مهملة قال في المقتفي ولا اعرفه
بدال ولا براء والذي في البيهقي انه عن شمر بن عطية عن بعض اشياخه فيحتمل
انه تحرف عليه الناسخ انتهى وهو كما قال فليس في الصحابة بذلك بدال ولا براء
اذ لم يذكر ذلك في الاصابة مع استيعابه ولا في القسم الرابع فانما هو عن شمر بكسر
الشين المعجمة وسكون الميم وراء لا نقط ابن عطية الاسدي الكاهلي الكوفي
صدوق من اتباع التابعين عن بعض اشياخه فهو مرسل **ان النبي صلى**
الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب كبر وصار شابا وهو لم يتكلم قط من و
طفوليته لشبابه لانه خلق اخرس **فقال له من انا قال** انت **رسول الله**
فانطقه الله معجزة بعد ما كان ابكم فهو بمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة عليه و
النطق **رواه البيهقي** مرسلا كما علم فتعجب للمص بعزوه له وبتبع عياضا في و
قوله فهد او فهد مع انه لم يعزه لاحد **وعن ابن عباس** مما رواه احمد وابن ابي
شيبة والبيهقي **قال ان امراة جاءت بابن لها الي رسول الله صلى الله عليه**
وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا
بدال مهملة **وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره**
بيده الميمونة **فثع ثعة** بفتح المثلثة وروي بفوقية بدلها وشد العين المهملة
وخرج من جوفه بطنه **مثل الجرو** بجيم مثلثة الصغير من اولاد الكلاب
والسباع **الاسود** ويطلق الجرو ايضا علي صغار الحنظل والقثا وهو محتمل
هنا كما قال بعض **يسعى** اي يمشي والذي في الشفا فشفي بالبنا للمفعول اي
شفاه الله **رواه الدارمي** كذا في بعض النسخ **وقوله ثع يعني قاء مرة**
واحدة كما قاله جمهور اهل اللغة وقال بعضهم يعني سعل وفي القاموس في و
المثلثة ثع يثع قاء وفيه في الفوقية التع والتعة التقيؤ وروى ابن ابي شيبة
عن ام جندب انه صلى الله عليه وسلم اتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم
فاتي بما فمضمض فاه وغسل يديه واعطاها اياه وامرها بسقيه ومسحه به
فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس والمتبادر ان هذه قصة اخرى
غير التي ذكرها المص لما بينهما من الخلاف فلا وجه لجعلهما واحدة **واصيبت**
بالتانيث بسهم ويقال برمح وفي نسخ اصيب بالتذكير للتأويل بالعضو
او للفصل بينهما كقوله **يوم احد** وهو مسوغ كقوله لا يقبل منها شفاعة
في قراءة التحتية **عين قتادة بن النعمان** بن زيد الاوسي المدني اخي ابي
سعيد لامه شهد بدرا وغيرها وغيرها ومات سنة ثلاث وعشرين علي
الصحيح وصلى عليه عمر ونزل في قبره وما رواه ابو يعلى ان ابا ذر اصيبت

عينه يوم احد فاعله ابن عبد البر بان فيه عبد العزيز بن عمران متروك
وبان ابا ذر لم يحضر بدرا ولا احدا ولا الخندق **حتى وقعت علي وجنته**
اعلى خده وما يلي العين من الوجه ويطلق علي الوجه كله وفي رواية فسالت
حدقته علي وجنته واخرى صارت في يده **فاتي به الي رسول الله صلى**
الله عليه وسلم فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها
ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئا فقال **يا رسول الله** ان الجنة لجزاء
جميل وعطا جليل ولكني رجل مبتلي بحب النسا **وان لي امراة احبها**
واخشى ان رأتني تقذرني اي تكرهني ولكن تردها وتسال الله لي
الجنة قال افعل يا قتادة **فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم**
بيده وردها الي موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت احسن
عينيه اجملهما واقواهما احسنا اي احسن عينيه قبل ما اصيب وردت فلا
يرد ان الشي لا يكون احسن من نفسه **واحدها** اقواهما **نظرا وكانت لا ترمد**
اذا رمدت الاخرى وفي رواية وكان لا يدري اي عينيه اصيبت **وقد وفد**
علي عمر بن عبد العزيز الامام العادل في خلافته **رجل من ذريته**
هو حفيده عاصم بن عمر بن قتادة **فساله عمر من انت فقال** علي البديهة
ابونا رواية الاصمعي وغيره انا ابن **الذي سالت علي الخد عينه فردت**
بكف المصطفى ايما رد الذي رواه الاصمعي وغيره احسن الرد **فعادت**
كما كانت لاول امرها فيا حسن ما عين بزيادة ما **ويا حسن ما خد**
هكذا رواه الاصمعي وبه تعقب البرهان انشاده اليعمري ويا حسن ما ورد
وعلي تقدير صحته فلا ابطالا لان الاول معروف والثاني منكر **فوصله عمر**
واحسن جائزته وانشد

تلك المكارم لا قعبان من لبن ۰ شيبا بما فعادا بعد ابوالا

وقال بمثل هذا فليتوسل المتوسلون **قال السهيلي ورواه محمد بن ابي**
عثمان بن محمد الاموي ابو مروان العثماني المدني نزيل مكة صدوق و
روى له النسائي وابن ماجة مات سنة احدى واربعين ومائتين عن عمار بن
نصر السعدي المروزي نزيل بغداد صدوق مات سنة تسع وعشرين ومائتين
عن مالك ابن انس عن محمد بن عبد الله بن ابي صعصعة المدني
ثقة روى له البخاري والنسائي وابن ماجة مات سنة تسع وثلاثين ومائة
عن ابيه عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي صعصعة الانصاري المدني الثقة
التابعي الوسط **عن ابي سعيد** الخدري سعد بن مالك له ولابيه صحبة و
واستصغر يوم احد وشهد ما بعدها وروى الكثير **عن اخيه لامه قتادة**
ابن النعمان قال اصيبت عيناي يوم احد ويروى يوم بدر ويروى
الخندق والصحيح الاول قاله ابو عمر **فسقطتا علي وجنتي** بالتثنية
فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق
فيهما فعادتا تبرقان تلمعان **قال الدارقطني هذا حديث عن مالك**

تفرد به عمار بن نصر اي لم يروه غيره عن مالك وهو ثقة فتقبل
زيادته لكن قال النووي قال ابو نعيم سالت عيناه وغلطوه انتهي وقد جمع
بان رواية الافراد من التعبير عن العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما
باحدهما وهو فصيح مشهور كما يقال نظر بعينه ومشي بقدمه وبان احداهما
سقطت حدقتها وخرجت عن محلها بالكلية والاخري خرج بعضها
ولم ينفصل فصدق انه كلا منهما اصيبت وخرقت حدقتها ويرده قوله هو
فسقطتا علي وجنتيه ورواه الدارقطني عن ابراهيم الحربي الحافظ
المشهور فحصل لمحمد بن عثمان متابع في روايته عن عمار بن نصر لكن
لم يحصل متابع لعمار في روايته عن مالك واخرج الطبراني وابو نعيم
عن قتادة قال كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه
رسول الله صلي الله عليه وسلم فكان اخرها سهما ندرت بالنون
سقطت منه حدقتي بالافراد فاخذتها بيدي وسعيت الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم فلما راها في كفي دمعت بفتح الميم عيناه فقال
اللهم قِ اي احفظ قتادة كما وقي وجه نبيك بوجهه
فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا فكانت كذلك واخرج البغوي
وابو يعلي من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن جده انه اصيبت عينه يوم
بدر فسالت حدقته علي وجنته فارادوا ان يقطعوها فقالوا لا حتي نستامر
رسول الله فاستامروه فقال لا ثم دعاه فوضع راحته علي حدقته ثم غمزها
فكان لا يدري اي عينيه اصيب كذا في الرواية يوم بدر وقد علمت ان الصحيح
يوم احد وفي البخاري في غزوة خيبر وفي غيرها من صحيحه عن سهل
ابن سعد انه صلي الله عليه وسلم قال لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله
علي يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما اصبح الناس غدوا علي
رسول الله صلي الله عليه وسلم كلهم يرجون ان يعطاها فقال اين علي بن ابي
طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكي عينيه وفي حديث سلمة عند البخاري
وكان رمدا وللطبراني رمد شديد الرمد ولابي نعيم ارمد لا يبصر قال
فارسلوا اليه قال المص بكسر السين امر من الارسال وبفتحها اي قال سهل
فارسلوا اي الصحابة الي علي وهو بخيبر لم يقدر علي مباشرة القتال لرمده
فاتي به الاتي به سلمة بن الاكوع فبصق رسول الله صلي الله عليه وسلم
في عينيه فيه تجوز سنه رواية علي عند الحاكم الاتية ودعا له فقال اللهم
اذهب عنه الحر والقر كما ياتي فبرا بفتح الراء والهمزة بوزن ضربه ويجوز
كسر الراء بوزن علم كما في الفتح حتي كانه لم يكن به وجع وتتمة ذا الحديث
مر في خيبر وعند الطبراني من حديث علي قال فما رمدت ولا صدعت
منذ دفع الي رسول الله صلي الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وفي
رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة بن الاكوع التابعي الثقة مات سنة
تسع عشرة ومائة وهو ابن سبع وسبعين سنة عن ابيه قال فارسلني
النبي

النبي صلي الله عليه وسلم الي علي فجيت به اقوده ارمد فبصق
في عينيه فبرا قال الحافظ فظهر من هذا انه الذي احضره ولعل عليا
حضر اليهم ولم يقدر علي مباشرة القتال لرمده فارسل اليه النبي صلي الله
عليه وسلم فحضر من المكان الذي نزل به او بعث اليه الي المدينة فصادف
حضوره فلا ينافي رواية البخاري عن سلمة كان علي تخلف عن النبي وكان
رمدا فقال انا اتخلف عن النبي صلي الله عليه وسلم فلحق به وعند الحاكم
من حديث علي قال فوضع صلي الله عليه وسلم راسي في حجره
ثم بصق في راحته لفظه في البته راحته والالية اللحمة التي تحت الابهام
او باطن الكف فدلك بها عيني بالتثنية وعند الطبراني عن علي فما
اشتكيتهما حتي الساعة قال ودعا صلي الله عليه وسلم فقال
اللهم اذهب عنه الحر والقر بضم القاف البرد وحكي ابن قتيبة
تثليثه وانما دعا له بذلك مع ان تالمه كان من الرمد لانه علم ان رمده من زيادة
الدم الحاصل من الحر فدعا له باذهابه عنه وزاد عليه البرد لانه ضده فربما
اداه لقوته بعدم ضده قال فما اشتكيتها حتي يومي هذا وفي رواية
وكان علي يلبس القبا المحشو الثخين في شدة الحر فلا يبالي البرد فسيل
فاجابه ان ذلك بدعائه صلي الله عليه وسلم يوم خيبر واصيب سلمة
ابن الاكوع يوم خيبر ايضا بضربة في ساقه فنفث فيها لفظ
الحديث فيه قال الحافظ وغيره اي موضع الضربة ثلاث نفثات بمثلثة
بعد الفا المفتوحة فيها جمع نفثة وهي فوق النفخ ودون التفل وقد
يكون بلا ريق بخلاف التفل وقد يكون بريق خفيف بخلاف النفخ انتهي فما
اشتكاها رواه بمعناه البخاري ثلاثيا فقال حدثنا المكي بن ابراهيم
قال حدثنا يزيد بن ابي عبيد قال رايت اثر ضربة بساق سلمة فقلت يا ابا
مسلم ما هذه الضربة قال هذه ضربة اصابتها يوم خيبر فقال الناس اصيب
سلمة فاتيت النبي صلي الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما
اشتكيتها حتي الساعة ونفث في عيني فديك بن عمرو السلاماني وقيل
فريك بالراء بدل الدال قاله الطبراني وقيل فويك بالواو قاله البغوي والازدي
وابن شاهين والمستغفري وابن عبد البر وغيرهم وقال ابن فتحون رايته في كتب
ابن ابي حاتم وابن السكن بالواو كما في الاصابة وكانتا مبيضتين لغشاوة
غطتهما او هو عبارة عن العما لا يبصر بهما شيا وكان سبب ذلك انه
وقع علي بيض حية فكان يدخل الخيط في الابرة لقوة بصره وصحته
وانه لابن ثمانين سنة وهو سن يضعف فيه البصر وان لم يعرض له عارض
وان عينيه لمبيضتان وفيه ان البياض لم يزل بهما مع شدة نظرهما وهذا
اعظم في المعجزة ولا ينافيه قوله في الحديث فابصر رواه ابن ابي شيبة
والبغوي الكبير في معجم الصحابة والبيهقي والطبراني وابو نعيم
كلهم من طريق عبد العزيز بن عمران عن رجل من بني سلامان عن امه

ان خالها حبيب من فديك حدثها ان اباه خرج به الي رسول الله صلي
الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيا فساله فقال كنت
اروم جملا لي فوقعت رجلي علي بيض حية فاصيب بصري فنفث في
عينيه فابصر فقال فرايته يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين وان
عينيه لمبيضتان

الفصل الثاني فيما خصه الله تعالي به من المعجزات وشرفه

علي سايرما في الانبيا من الكرامات اي الامور الخارقة للعادة
والايات البينات والاول في معجزاته كما قدم اي التي وقع نظير بعضها لغيره
في الجملة واما هذا الثاني فالقصد به ما زاد به علي غيره اعلم نور الله
قلبي وقلبك جملة دعايية صدر بها تنبيها علي شرف ما هو شارع فيه
وقدس طهر سري وسرك اي طهرهما عما ينقصهما وهو عطف
مباين ان الله قد خص نبينا صلي الله عليه وسلم باشيا لم يعطها
لنبي قبله اي ولا رسول ولا ملك وما خص نبي بشي اي ما اعطي نبي
شيا لم يعطه احد من امته او من الانبيا السابقين عليه الا وقد كان لنبينا
محمد صلي الله عليه وسلم مثله فلا يقال متي اعطي مثله لا يكون خصوصية
له يجمع له كلما اوتيه الانبيا من معجزات وفضايل ولم يجمع ذلك لغيره بل هو
لختص كل نوع فانه اوتي جوامع الكلم كما قال واتي معناه وكان نبيا
وادم بين الروح والجسد كما مر مشروحا اوايل الكتاب وغيره من
الانبيا لم يكن نبيا اي موصوفا بالنبوة الا في حال نبوته اي بعد بعثته
وزمان رسالته بخلاف نبينا فقد افرغت عليه النبوة قبل خلق ادم
ولما اعطي هذه المنزلة التي لم ينلها غيره علمنا انه الممد اسم فاعل
من امد بمعني فاعل زاد لكل انسان كامل مبعوث يعني انه صلي الله عليه
وسلم افاض علي جميع من تقدمه من الانبيا والرسل اموا لا كثيرة زيادة
علي ما عندهم من الفضايل ويرحم الله الاديب شرف الدين الابوصيري
فلقد احسن حيث قال في الميمية المشهورة وكل اي جمع اية اتي الرسل
الكرام بها دالة علي نبوتهم فانما اتصلت من نوره الكاين قبل ظهوره
الي الوجود الخارجي بهم فانه شمس فضل هم كواكبها يظهرن انوارها
للناس في الظلم قال العلامة محمد بن محمد بن مرزوق في شرحها
يعني ان كل معجزة اتي بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل
واحد منهم من نور محمد صلي الله عليه وسلم الذي اوجده الله قبل
وجوده في هذا العالم وما احسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم
فانه يعطي ان نوره صلي الله عليه وسلم قايم به ولم ينقص منه
شي ولو قال فانما هو من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقي له
منه شي فانما كانت ايات كل واحد من نوره لانه شمس فضل هم

كواكب تلك الشمس يظهرن اي تلك الكواكب انوار تلك الشمس
للناس في الظلم فالكواكب ليست مضية بالذات وانما هي
مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور
الشمس ومستند هذا الحديثين والنصين كما هو معلوم في محله فكذلك
الانبيا قبل وجوده عليه السلام كانوا يظهرون فضله بالصفات
التي اشتملوا عليها واوصلوها الي اممهم فانها وصلت اليهم من نوره ومن
ذلك اخبارهم بما اشتملت عليه كتبهم من كمالاته وفضايله فجميع ما
ظهر علي يد الرسل عليهم السلام سواه من الانوار فانما هو
من نوره الفايض الكثير الذي عم المشارق والمغارب ومدده الواسع
من غير ان ينقص منه شي فيكون ذلك كنور السراج اذا وقد من نحو
شمعة فنورها لم ينقص منه شي ونور السراج نشا عن نورها مع بقاء
نورها بمحله لكن قد يشكل بما قدمه اول الكتاب ان نوره صلي الله عليه
وسلم قسم لاجزا وانه قسم الجزء الرابع الي كذا وكذا الا ان يكون المراد بقوله قسم
زاد فيه لا انه قسم نفس النور الذي هو محمد صلي الله عليه وسلم لان الظاهر
انه حيث صور نوره بصورة روحانية مماثلة لصورته التي يصير عليها بعد
لا ينقسم اليه والي غيره واول ما ظهر ذلك في ادم عليه السلام حيث
جعله الله تعالي خليفة عنه في تنفيذ اوامره ونواهيه في الارض
لا لحاجة به تعالي الي من ينوب بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه
وتلقي امره بلا واسطة وامده بالاسما اي اسما المسميات كلها حتي
القصعة والمغرفة بان القي عليه في قلبه من مقام جوامع الكلم التي
لمحمد صلي الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسما كلها علي الملايكة
القايلين اتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي ويسفك الدما يريقها
بالقتل كما فعل بنو الجان وكانوا فيها فلما افسدوا ارسل الله اليهم الملايكة فطردوهم
الي الجزاير والجبال ثم توالت الخلايف في الارض اي تتابعت الرسل بعد
ادم وجعل الكل خلايف لانه استخلفهم كلهم في عمارة الارض والمشهور انه
خليفة الله انما يطلق علي ادم وداود لنص القران اني جاعل في الارض خليفة
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاما غيرهما فلا فقد قال رجل لابي
بكر الصديق يا خليفة الله فقال انا خليفة محمد صلي الله عليه وسلم وانا
راض بذلك وقال رجل لعمر يا خليفة الله فقال ويلك وزجره وقيل يجوز
اطلاق ذلك علي غيرهما ايضا لقيامه بحقوقه في خلقه ولقوله تعالي هو
الذي جعلكم خلايف الارض ولان الله جعل كلا خليفة كما جعله سلطانا
فقد سمع سلطان الله وجنود الله وحزب الله لكن قال الماوردي امتنع
جمهور العلما من ذلك ونسبوا قايله الي الفجور وفي الصحاح والخليفة
بمعني السلطان الاعظم يجوز ان يكون فاعلا لانه خلف من قبله اي جا
بعده ويجوز ان يكون مفعولا لان الله جعله خليفة او لانه جا بعد غيره

الي ان وصل حال الخلايق وهو ما جاوا به من الاحكام والشرايع الي زمان
وجود صورة جسم نبينا صلي الله عليه وسلم الشريف لجسم
او نبينا لاظهار حكم منزلته اي مقدارها وشرفها عند الله فلما برز
ظهر اندرج في نوره كل نور لغلبته عليه وانطوي تحته منشور
اياته كل اية لغيره من الانبيا ودخلت الرسالات كلها في صلب
نبوته والنبوات كلها تحت لوا علم رسالته فلم يعط احد منهم
كرامة او فضيلة الا وقد اعطي صلي الله عليه وسلم مثلها فجمع
فيه ما فرق فيهم وهذه خصوصية مع زيادته عليهم لما ذكر ان الله جمع له عليه
السلام خصايص الانبيا وزاده عليهم فصل ببعض ذلك وهو في غالبه تابع لابن
المنير في معراجه فقال فادم عليه السلام اعطي ان الله خلقه بيده
من اديم الارض اي وجهها بانه قبض منها قبضة من جميع الوانها وعجنت
بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيوانا حساسا بعد ان كان جمادا
فاعطي سيدنا محمدا صلي الله عليه وسلم شرح صدره فولي الله
شرح صدره بنفسه اي ذاته في اطلاق النفس علي الله خلاف والاصح
الجواز وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوي فتولي من
ادم الخلق الوجودي ومن سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم الخلق
النبوي زاد ابن المنير وهو بالحقيقة متولي كل خلق لكن المراد تخصيص التشريف
وهو اعلا مع ان المقصود كما مر من قوله تعالي لادم لولاه ما خلقتك من
خلق ادم خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد المقصود وادم الوسيلة
والمقصود سابق علي الوسيله فلا شك في انه اجل واما سجود الملايكة
لادم فقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ان الملايكة امروا
بالسجود لادم لاجل ان نور نبينا محمد صلي الله عليه وسلم كان
في جبهته ظاهرا وبه در القايل تجليت جل الله جملة معترضة
في وجه ادم فصلي سجد له الاملاك حين توسل وقال ابن المنير
نظيره اتخاذ الملايكة للمصطفي فانه انزلهم جندا واعوانا تحت لوايه وانصارا في
طاعته والاسجاد والاتخاد متقاربان وورد انه صلي الله عليه وسلم صلي بالملايكة
بل ورد ان الملايكة تصلي بصلاة احاد امته ايتماما بهم وسجود اخلفهم وهذا غاية
الكرامة في هذا المعني وعن ابي عثمان الواعظ فيما حكاه الفاكهاني
قال ابو عثمان سمعت الامام سهل بن محمد يقول هذا التشريف
الذي شرف الله محمدا صلي الله عليه وسلم بقوله ان الله وملايكته
يصلون علي النبي الاية اتم واجمع من تشريف ادم عليه السلام بامر
الملايكة له بالسجود لانه لا يجوز ان يكون الله مع الملايكة في ذلك
التشريف لا اسنده الله في حقه سبحانه اذ السجود صفات الاجسام فتشريف
يصدر عنه تعالي وعن الملايكة وعن المومنين ابلغ من تشريف تختص
به الملايكة وهو السجود انتهي قال بعضهم وهو الاستاذ ابو اسحاق

الاسفرايني واما تعليم ادم اسما كل شي فروي الديلمي في مسند
الفردوس من حديث ابي رافع والحاكم والديلمي ايضا من حديث ام
حبيبة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم مثلت لي امتي
وفي رواية الدنيا بدل امتي في الما والطين وعلمت الاسما كلها كما
علم ادم الاسما كلها وروي الطبراني والضيا المقدسي عن حذيفة ابن
اسيد بن خالد الغفاري قال قال صلي الله عليه وسلم عرضت علي امتي البارحة
لدي هذه الحجرة بالضم اي عندها اولها واخرها فقيل يا رسول الله عرض
عليك من خلق فكيف من لم يخلق فقال صوروا لي في الطين حتي اني لاعرف
بالانسان منهم من احدكم بصاحبه فكما ان ادم عليه السلام علم اسماء
العلوم كلها كذلك نبينا صلي الله عليه وسلم وزاد عليه واصل
الله صلاته وسلامه عليه بعلم ذواتها فعطف يزاد ولله در الابوا
صيري حيث قال في الهمزية لك لا لغيرك ذات نفس وحقيقة العلوم
جمع علم وهو هنا صفة يتجلي بها المذكور لمن قامت به انجلاتاما والادراك الجازم
الذي لا يحتمل النقيض من فيض عالم الغيب الغايب وهو ما لم يشاهد
بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالي فالكل من عالم الشهادة ومنها اي العلوم
بمعني المعلومات لادم اي البشر الاسما مبتدا موخر خبره منها جمع اسم
وهو هنا ما دل علي معني فيشمل الفعل والحرف ايضا ولا ريب ان المسميات
اعلا رتبة من الاسما لان الاسما يوتي بها لتبيين المسميات فهي
المقصودة بالذات واليه الايما بقوله ذات العلوم والاسما مقصودة
لغيرها وهي المسميات فهي دونها فقضل العالم بحسب فضل
معلومه فهو افضل من ادم واما ادريس عليه السلام قيل سرياني
وقيل عربي مشتق لكثرة درسه الصحف واسمه خنوخ بخا بن معجمتين بينهما
نون فواو ويقال اخنوخ بالف اوله بن بارد بن مهلاييل بن قينان ابن انوش
ابن شيث بن ادم وهو ابو جد نوح كذا ذكر المورخون قال المازري فان قام دليل
علي انه ارسل لم يصح قولهم لحديث الصحيحين ايتوا نوحا فانه اول رسول
بعثه الله الي اهل الارض وانه لم يقم حيازمانا قالوا وحمل علي انه كان نبيا ولم يرسل
واجيب بان حديث ابي ذر عند ابن حبان يدل علي ان ادم وادريس رسولان
فالمراد اوله رسول بعثه الله بالاهلاك وانذار قومه فاما رسالة ادم وشيث
وادريس فانما هي رسالة بتبليغ الايمان وطاعة الله لانهم لم يكونوا كفارا هم
فرفعه الله مكانا عليا قيل هو الجنة وقيل السما الرابعة كما ورد في حديث
المعراج وقيل السادسة واختلف في انه في السما ميت او حي وقيل المراد شرف
النبوة والزلفي عند الله واعطي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم المعراج
ورفع الي مكان لم يرفع اليه غيره لا رسول ولا ملك واما نوح عليه
السلام ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم وكاف ابن متوشلخ بفتح الميم
وضم الفوقية الثقيلة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة واسكان اللام واخره

خا معجمة فنجاه الله تعالى ومن امن معه وما امن معه الا قليل
قيل كانوا ستة رجال ونساهم وقيل كانوا ثمانين نصفهم رجال ونصفهم
نساوهم اصحاب السفينة من الغرق ونجاه من الخسف واعطي
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم تهلك امته بعذاب
من السما لانه رحمة قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم لان العذاب اذا نزل عم ولم تعذب امة الا بعد خروج نبيها والمومنين منها
هكذا في التفسير ولا يلايمه سياق الم واما قول الفخر الرازي اكرم
الله تعالى نوحا بان امسك سفينته على الما وفعل محمد صلى
الله عليه وسلم اعظم منه روي انه صلى الله عليه وسلم كان على
ما وقعد عكرمة بن ابي جهل السلم في فتح مكة فقال ان كنت صادقا
فادع ذلك الحجر الذي في الجانب الاخر فليسبح بعوم على الماء
ولا يغرق فاشار اليه عليه السلام فانقلع الحجر من مكانه وسبح
حتى صار بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وشهد له
بالرسالة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعكرمة يكفيك هذا
قال حتى يرجع مكانه فلم اره لغيره والله اعلم بحاله اي الحديث
هل هو وارد ام لا واما ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فكانت
عليه نار نمرود بالدال مهملة ومعجمة وهو اصح لموافقته للقاعدة المنظومة
في نحو قوله ان قلته الدال الصحيح ساكنا اهملها الفرس والا اعجموا
بردا وسلاما اي ذات برد وسلام فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
اي ابردي بردا غير ضار ولو لم يقل وسلاما لمات من بردها فذهبت حرارتها
وبقيت اضاءتها ولم يحترق غير وثاقه والقصة طويلة في التفاسير والتواريخ
فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظير ذلك اطفا نار
الحرب عنه عليه السلام اي ابطال مكايدهم التي كانوا يدبرونها لحربه
بان يوقع بينهم منازعة يكفون بها عنه شرهم وناهيك انهاك بنار
حطبها اي المستعان به فيها بحيث يوثر هلاك الاعدا هو السيوف فهي
مستعملة في حقيقتها والحطب مجاز عن الاسباب الموثرة فيها ووقدها تخمين
حرها الحتوف جمع حتف وهو الهلاك والمعنى ان الاسباب الموثرة هي السيوف
والاثار المترتبة عليها الشبيهة بحرارة النار في التاثير هي الهلاك وموقدها
اي السبب في وجودها الحسد ومحالبها مصدر ميمي بمعنى اسم المفعول اي
الامر الذي اريد بتلك الحروب واثارها هو الروح والجسد والمعنى انهاك بنار
موصوفة بما ذكر عن تطلبه معجزة تقاوم نار الخليل غير هذه اي انها غاية تنهاك
عن تطلب غيرها قال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
قال البيضاوي كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع
بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما
خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم

فطرس

فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم
المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا انتهى وكم للتكثير اي وكثيرا
ارادوا ان يطفيوا النور وهو حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن
الولد او القران او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالنار اي بمحاربتهم
ومعاداتهم له صلى الله عليه وسلم وابى الجبار الا ان يتم نوره بظهور شرعه
وبراهينه باظهار نبيه واعلاء دينه وان يخمد بضم اليا من اخمد اي يسكن
شرورهم ويبطلها شبه ابطال شرورهم باطفا النار واستعار له الاخماد ثم
اشتق منه الفعل وهو يخمد فهو استعارة تبعية او شبه الشرور بعد ابطالها
بنار طفي لهبها ثم اثبت لها الاخماد فهو استعارة بالكناية وتخييلية وتم
لمحمد صلى الله عليه وسلم سروره وظهوره بالثنا عليه ما جا به
وعلى ما حصل له من النصر على اعدايه قال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون الى غير ذلك من الايات
الدالة على حقية ما جا به وهذا النظم والسجع بعيد جلبه الم من معراج
ابن المنير كغالب هذا المبحث ويذكر انه عليه السلام ليلة المعراج
مر على بحر النار بان صار مستعليا عليه حتى جاوزه الذي دون سما الدنيا
مع سلامته منه كما روي كما رايته في بعض الكتب والله اعلم بصحته
وروى النسائي ان محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب الجمحي الكوفي
صحابي صغير ولد بالسفينة قبل ان يصلوا الى الحبشة وهو اول من سمي محمدا في
الاسلام واختلف في ان كنيته ابو القاسم او ابو ابراهيم وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم وعن علي وعن امه ام جميل القرشية العامرية من السابقات المهاجرات
الى المدينة مع اهل السفينة كما في الاصابة وغيرها ما الذي في الروايات انه اتي
به وعنه اولاده ابراهيم وعمر والحارث وغيرهم ومات سنة اربع وسبعين وقيل
سنة ست وثمانين قال كنت طفلا فانصبت القدر الذي كانت امه تطبخ
فيها علي اي على ذراعي واحترق جلدي كله فحملني ابي غيبه ان اباه
مات بارض الحبشة وقدمت به امه الى المدينة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم امه فان كان لفظ ابي محفوظا فلعله اراد به اباه من الرضاعة جعفر
ابن ابي طالب فقد ذكر ابن ابي خيثمة كما في الاصابة ان اسما بنت عميس ارضعت محمد
ابن حاطب مع ابنها عبد الله بن جعفر وارضعت ام محمد عبد الله بن جعفر
فكانا يتواصلان على ذلك حتى ماتا انتهى فكان امه قدمت به على النبي صلى
الله عليه وسلم صحبة جعفر فنسب القدوم اليه تارة والى امه اخرى فتفل
عليه السلام في جلدي ومسح بيده على المحترق اي المواضع التي
مستها النار فاثرت فيها ولا ينافيه قوله قبل احترق جلدي كله لجواز ان
ما جاوز ما مسته النار من جلده صار اليه الم بمماسته النار فسماه
محروقا كله لوصول الالم اليه وقال اذهب الباس بالموحدة اي الشدة
اي ما اصاب جلده من اثر النار عن هذا يا رب الناس والجملة دعائية

فصرت صحيحا لا باس بي واخرج الامام احمد والبخاري في التاريخ والنسائي
وغيرهم عن محمد بن حاطب عن امه ام جميل قالت اقبلت بك من ارض الحبشة
حتي اذا كنت من المدينة علي ليلة او ليلتين طبخت لك طبيخا ففني الحطب
فخرجت اطلب الحطب فتناولت القدر فانكفات علي ذراعك فاتيت بك رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا ابن اخيك وقد اصابه هذا
الحرق من النار فادع له وفي رواية فقلت هذا محمد ابن حاطب وهو اول من
سمي بك قالت فمسح علي راسك ودعا لك بالبركة وجعل يتفل علي يدك وهو
يقول اذهب الباس رب الناس اشف انت الشافي لا شفا الا شفاوك شفاء
لا يغادر سقما قالت فما قمت بك من عنده حتي برات يدك وقد خمدت نار فارس
لنبينا وكان لها الف عام لم تخمد وروي ابن سعد عن عمرو ابن ميمون قال
احرق المشركون عمار بن ياسر بالنار فكان صلي الله عليه وسلم يمر به ويمر يده
علي راسه فيقول يا نار كوني بردا وسلاما علي عمار كما كنت علي ابراهيم تقتلك
الفية الباغية وروي ابو نعيم عن عباد بن عبد الصمد اتينا انس بن مالك فقال
يا جارية هلمي المايدة نتغدي فاتت بها ثم قال هلمي المنديل فاتت بمنديل وسخ
فقال اسجري التنور فاوقدته فامر بالمنديل فطرح فيه فخرج ابيض كانه
اللبن فقلنا ما هذا قال هذا منديل كان صلي الله عليه وسلم يمسح به وجهه
فاذا اتسخ صنعنا به هكذا لان النار لا تاكل شيا مر علي وجوه الانبيا وقد القي
غير واحد من امته في النار فلم توثر فيه روي ابن وهب عن ابن لهيعة ان
الاسود العنسي لما ادعي النبوة وغلب علي صنعا اخذ ذويب بن كليب بتصغيرهما
فالقاه في النار لتصديقه بالنبي صلي الله عليه وسلم فلم تضره النار فذكر ذلك للنبي
صلي الله عليه وسلم لاصحابه فقال عمر الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم
الخليل وسماه ابن الكلبي ذويب بن وهب وقال في سياقه طرحه في النار فوجد
حيا ولم يذكره النبي صلي الله عليه وسلم وهو مخضرم اسلم في العهد النبوي
قال عبدان انه اول من اسلم من اهل اليمن ولا اعلم له صحبة وروي ابن عساكر
ان الاسود بن قيس بعث الي ابي مسلم الخولاني فاتاه فقال اتشهد اني رسول الله
قال ما اسمع قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فامر بنار عظيمة فالقاه فيها
فلم تضره فقيل للاسود ان لم تنف هذا عنك افسد عليك من اتبعك فامره
بالرحيل فقدم المدينة وقد قبض النبي صلي الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر
فقال ابو بكر الحمد لله الذي لم يمتني حتي اراني في امة محمد من صنع به كما صنع
بابراهيم **واما ما اعطيه ابراهيم من مقام الخلة** بفتح الخا وضمها وهو
الصداقة **فقد اعطيه نبينا صلي الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة**
فجمع له بينهما روي ابو يعلي في حديث المعراج فقال له ربه اتخذتك خليلا
وحبيبا وفي التوراة محمد حبيب الله وروي ابن ماجة وابو نعيم مرفوعا
ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فمنزلي ومنزل ابراهيم في الجنة
تجاهين والعباس بيننا مومن بين خليلين وروي ابو نعيم عن كعب بن

مالك

مالك سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بخمس ان
الله اتخذ صاحبكم خليلا **وقد روي في حديث الشفاعة ان**
ابراهيم عليه السلام اذا قيل له اتخذك الله خليلا اي اصطفاك
وخصك بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله **فاشفع لنا** في فصل
القضا **قال انما كنت خليلا من ورا ورا** ضبط بفتح الهمزة وضمها بلا تنوين
فيهما قال النووي الفتح اشهر ومعناه لم اكن في التقرب والادلال
بمنزلة الحبيب وقال صاحب التحرير هذه كلمة تقال علي وجه التواضع
قاله في البدور وقيل مراده ان الفضل الذي اعطيه كان بسفارة جبريل
ولكن ايتوا موسي الذي كلمه الله بلا واسطة وكرر ورا اشارة الي نبينا صلي
الله عليه وسلم لانه حصلت له الروية والسماع بلا واسطة فكانه قال
انا من ورا موسي الذي هو من ورا محمد حكاه المص فيما ياتي قابلا ورا بفتح
الهمزة بلا تنوين ويجوز البنا علي الضم للقطع من الاضافة نحو من قبل
ومن بعد واختاره ابو البقا قال الاخفش يقال لقيته من ورا بالضم قال
قال ويجوز فيها النصب والتنوين جوازا جيدا قاله ابو عبد الله الابي
اذهبوا الي غيري فيذهبون الي موسي وعيسي **الي ان تنتهي الشفاعة**
الي النبي صلي الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها بالتكرير
وصرفوا عن الاتيان له ابتدا مع انه صاحبها اذاعة لفضله علي روس
الخلايق **وهذا يدل علي ان نبينا عليه السلام كان خليلا مع رفع**
الحجاب عنه **وكشف الغطا** له **ولو كان خليلا من ورا ورا لاعتذر**
كما اعتذر ابراهيم عليه السلام وفيه تنقيه ظاهر علي انه عليه
السلام فاز بروية الحق سبحانه وتعالي وكشف له الغطا ليلة
الاسرا **حتي راي الحق** روية بصرية **بعيني راسه** علي المذهب المشهور
وقال به ابن عباس نفيا لمن قال بعيني قلبه واذا جوزه العقل وشهد به النقل
لم يبق للاستبعاد موقع ولا للانكار موضع **كما ساتي البحث في ذلك ان**
شا الله تعالي في المقصد الخامس والملخص من هذا ان النبي صلي
الله عليه وسلم نال درجة الخلة التي اشتهرت لابراهيم عليه السلام
بقوله تعالي واتخذ الله ابراهيم خليلا **علي وجه تنطق ابراهيم بان**
تصيب سيدنا محمد عليه السلام منه الاعلي بمفهوم قوله عن
نفسه انما كنت خليلا من ورا ورا فلم يشفع ففيه دليل علي انه
انما يشفع من كان خليلا لا من ورا ورا بل مع الكشف والعيان
وقرب المكانة من حظيرة القدس لا المكان لاستحالته عليه تعالي
وذلك مقام محمد صلي الله عليه وسلم بالدليل والبرهان
وهذا ساقه كله ابن المنير في المعراج والله المستعان **ومما اعطيه**
ابراهيم عليه السلام انفراده في الارض بعبادة الله وتوحيده
والانتصاف للاصنام بالكسر والقسم بفتح القاف وسكونه

السيف وبالرا القهر والغلبة اعطي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم
كسرها بمحضر من اولي نصرها وهم اذلا لا يستطيعون نصرها
بقضيب ليس مما يكسر الا بمعنى لك بقوة ربانية ومادة هو
الالهية اجتزا اي اكتفا فيها بالانفاس من الناس وما عول
علي المعول كما فعل ابراهيم حيث علقه في عنق كبيرهم الذي تركه لعلهم
اليه يرجعون ولا عرض في القول كتعريض ابراهيم بقوله بل فعله كبيرهم
هذا ولا تمرض من الصول اي لم يظهر مرضا لاجل الصول عليها تلك
الاصنام كما فعل ابراهيم حيث قال اني سقيم اعتذارا عن عدم خروجه معهم
الي عيدهم وجعل ذلك وسيلة الي كسر الاصنام في غيبتهم بل قال جهرا
غير سر زيادة اطنابه وقل عند دخول مكة جا الحق الاسلام وزهق
الباطل بطل الكفر ان الباطل كان زهوقا مضمحلا زايلا وقد دخلها صلي
الله عليه وسلم وحول البيت ثلثماية وستون صنما فجعل يطعنها بعود في
يده ويقول ذلك حتي سقطت رواه الشيخان وتقدم بسطه في فتح مكة وبما
اعطيه الخليل عليه الصلاة والسلام بنا البيت الحرام الذي بواه الله له
ولا خفا ان البيت جسد تشبيه بليغ وروحه الحجر الاسود بل هو
سويدا القلب بل جا انه يمين الله الرب كما روى الديلمي عن انس مرفوعا
الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله كناية عن استلامه كما تستلم
الايمان بالفتح جمع يمين العضو المخصوص عند عقد العهود والايمان
بالفتح ايضا بمعنى القسم والمعنى انه يستلم باليد كما يستلم من اراد عهدا او يمينا
يمين صاحبه عند معاهدة غيره والحلف كما كان عادتهم وقد اعطي سيدنا
محمد صلي الله عليه وسلم ان قريشا لما بنت البيت بعد تهدمه
بسيل او غيره ولم يبق الا وضع الحجر في محله تنافسوا علي الفخر الفخم
العظيم القدر والمجد العز الشرف الضخم العظيم فالفخم والضخم مختلفان
مفهوما متحدان ما صدقا ثم اتفقوا علي ان يحكموا اول داخل من باب
بني شيبة فاتفق دخول سيدنا محمد عليه السلام فقالوا هذا الامين
رضينا بحكمه فحكموه في ذلك فامر ببسط ثوب ووضع النبي صلي الله عليه
وسلم الحجر فيه اي الثوب بيده الكريمة فعند ابن اسحاق فقالوا هذا الامين
رضينا واخبروه الخبر فقال هلم الي ثوبا فاتي به فاخذ الركن فوضعه فيه
بيده ثم قال ليرفع وفي نسخة ليرفع اي لياخذ كل بطن من بطون قريش
بطرف وفي رواية لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب فرفعوه جميعا ثم
لما بلغوا به موضعه اخذه سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم فوضعه
في موضعه فادخر الله تعالي له ذلك المقام ليكون منقبة له علي
مر الايام وكان سنه خمسا وثلاثين سنة علي الاشهر وهذا الذي ذكره المص
ايضا لفظ ابن المنير واما ما اعطيه موسي عليه السلام من قلب
العصي حية وتقدم ذكر ذلك قريبا اول المعجزات واعاده الشارح نقله

هنا

هنا غير ناطقة لعدم ذكره مع انه لازم للحية لبيان التفاضل بين المعجزتين
وهو ان العصي لم تنطق لموسي بخلاف الجذع فنطق للمصطفي بكلام حتي
سمعه من يليه زيادة علي الحنين كما مر فاعطي سيدنا محمد صلي الله
عليه وسلم حنين الجذع وقد مرت قصته قريبا وحكي الامام
الرازي في تفسيره وغيره انه لما اراد ابو جهل ان يرميه عليه
السلام بالحجر راي علي كتفيه بالتثنية اي النبي عليه السلام وفي
نسخة كتفه بالافراد علي ارادة الجنس ثعبانين فانصرف مرعوبا
كما انصرف فرعون مرعوبا من العصي ولما كان اشد الفراعنة راي ثعبانين
واما ما اعطيه موسي عليه السلام ايضا من اليد البيضا اليمني بمعني
الكف كما قال تعالي واضمم يدك الي جناحك تخرج بيضا من غير سوء
فادخلها تحت جناحه اي جنبه الايسر تحت الابط او في جيبه ثم نزعها
فاذا هي بيضا نورانية من غير سوء اي برص وكان بياضها يغشي
البصر وغلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسي ادم شديد الادمة
اي السمرة فاعطي سيدنا صلي الله عليه وسلم انه لم يزل نوره ينتقل
في اصلاب الابا وبطون الامهات من لدن ادم الي ان انتقل الي عبد
الله ابيه ثم منه الي امنة امه وكان بينا ظاهرا في جباههم واعطي
صلي الله عليه وسلم قتادة ابن النعمان الاوسي البدري والحال انه
قد صلي العشا معه في ليلة مظلمة مطيرة فعيلة بمعني فاعلة واسناد
المطر اليها مجاز ولا يقال انها بمعني مفعوله اي ممطور فيها لوجود السما
اذ لا يقال ممطورة فيها قاله الكرماني عرجونا اصل العذق الذي يعوج
ويقطع منه الشماريخ فيبقي علي النخل يابسا سمي بذلك لانعراجه وانعطافه
ونونه زايدة وقال انطلق به فانه سيضي لك عشرا من الاذرع ومن
خلفك عشرا من الاذرع هذا هو المتبادر ومثله لا ينظر فيه وذلك اعظم
من اليد فان خلق الضو في العرجون علي هذا الوجه اعظم من البياض الذي
في اليد فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتي يخرج فانه
الشيطان علي غير صورته الاصلية ولا ينافي قوله تعالي من حيث لا ترونهم
قال البيضاوي ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم
وتمثلهم لنا فانطلق فاضاله العرجون حتي دخل بيته ووجد السواد
وضربه حتي خرج رواه ابو نعيم واخرج احمد عن ابي سعيد قال هاجت
السما فخرج النبي صلي الله عليه وسلم لصلاة العشا فبرقت برقة فراي
قتادة بن النعمان فقال ما السري يا قتادة قال يا رسول الله ان شاهده
العشا قليل فاحببت ان اشهدها قال فاذا صليت فاثبت فلما انصرف اعطاه
عرجونا فقال خذ هذا فسيضي لك فاذا دخلت البيت ورايت سوادا
في زاوية البيت فاضربه قبل ان تتكلم فانه شيطان واخرج هذه القصة
الطبراني وقال انه كان في صورة قنفذ واخرج البيهقي وصححه

الحاكم عن انس قال كان عباد بفتح العين وشد الموحدة ابن بشر
بكسر الموحدة وسكون المعجمة ووقع للقابسي بشير بفتح اوله وكسر ثانيه
وزيادة تحتية وهو غلط نبه عليه في الفتح ابن وقش بفتح الواو والقاف
ومعجمة الانصاري من قدما الصحابة اسلم قبل الهجرة وشهد بدرا وابلا يوم
اليمامة بلا حسنا فاستشهد بها واسيد بضم الهمزة وفتح ابن حضير
بضم المهملة وفتح الضاد المعجمة ابن سماك الانصاري الاشهلي صحابي جليل
مات سنة عشرين او احدى وعشرين روى البخاري في تاريخه وابو يعلي
وصححه الحاكم عن عايشة قالت ثلاثة من الانصار لم يكن احد يعتد عليهم
فضلا كلهم من بني عبد الاشهل سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد
ابن بشر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ولعبد الرزاق
تحدثا عنده حتى ذهب من الليل ساعة وهي ليلة شديدة الظلمة
ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصي فاضات لهما عصي احدهما
فمشيا في ضوئها اكراما لهما ببركة نبيهما اية له صلى الله عليه وسلم اذ
خص بعض اتباعه بهذه الكرامة عند الاحتياج الى النور واظهار السر قوله
صلى الله عليه وسلم بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة
رواه ابو داود وغيره وادخر لهما يوم القيامة ما هو اعظم واتم من ذلك حتى
اذا افترقت بهما الطريق اضاءت للاخر عصاه فمشى كل واحد منهما في
ضوء عصاه حتى بلغ هديه اي مقصده الذي لا يحتاج بعد الوصول الى
ما ينيره لكن الذي في فتح الباري والمص وغيرهما اهله بدل هديه ورواه
البخاري بنحوه في الصحيح من رواية قتادة عن انس ان رجلين خرجا
من عند النبي صلى الله عليه وسلم فاذا نور بين ايديهما يضي حتى تفرقا فتفرق
النور معهما لفظ المناقب ولفظه في الصلاة وعلامات النبوة ومعهما مثل
المصباحين يضيان بين ايديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد
حتى اتى اهله قال البخاري في المناقب وقال معمر عن ثابت عن انس ان اسيد بن
حضير ورجلا من الانصار وقال حماد اخبرنا ثابت عن انس قال كان اسيد بن
حضير وعباد بن بشر عند النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ رواية معمر
وصلها عبد الرزاق عنه ومن طريقه الاسماعيلي بلفظ فذكره اعني الحافظ
مثل سياق المص قال ورواية حماد وصلها احمد والحاكم بلفظ ان اسيد بن حضير
وعبادا كانا عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة ظلماء حندس فلما خرجا
اضاءت عصي احدهما فمشيا في ضوئها فلما افترقت بهم الطرق اضاءت عصي الاخر
واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة بحا مهملة
ابن عمرو بن عويمر بن الحارث بن سعد الاسلمي المدني كنيته ابو صالح وقيل
ابو محمد صحابي جليل سال النبي صلى الله عليه وسلم عن الصوم في السفر
وكان يسرد الصوم روى عنه ابو مراوح مات سنة احدى وستين وله احدى
وسبعون وقيل ثمانون له في مسلم والترمذي والشامي وعلق له البخاري قال

كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة ظلما
فاضات اصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم اي ركابهم وما هلك اي
اشرف على الهلاك منهم بسبب تفرقهم لما اصابهم من شدة الظلمة وقد
ساقه الشامي بلفظ وما سقط من متاعهم وعزاه لمن عزاه له المص ثم
فلعلهما روايتان وان اصابعي لتنير بضم التاء من انار اي تضي ومما
اعطيه موسى عليه السلام ايضا من انفلاق البحر اعطي نبينا
صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر كما مر فهو نظيره بل اعظم
فموسى تصرف في عالم الارض بضربه البحر بالعصى كما امره الله فانفلق
وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف في عالم السما لما سال الله
انشقاق القمر حين طلبوه منه تعنتا والفرق بينهما واضح قال ابن
المنير فاذا عرضت الايتين على العقول حق العرض سمت اية السما على اية
الارض وقال ابن المنير في معراجه وذكر ابن حبيب محمد الاخباري ان بين
السما والارض بحرا يسمى المكفوف تكون بحار الارض بالنسبة اليه
كالقطرة من البحر المحيط بالدنيا وهو الملح قال ابن المنير فعلى هذا
الذي ذكره ابن حبيب انه صح يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله
عليه وسلم حتى جاوزه اي قطعه وفارقه يعني ليلة الاسرا ومقتضى
انفلق اي صار فرقتين كما افترق لموسى فرقا بينهما مسالك قال وهو
اعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام لانه بحار الارض قد يقع فيها
زوال الما في مواضع منها بحيث يصير قدرا يمشي في الارض التي بينها والبحر
الذي بين السما والارض لا مقوله من الارض حتى يستقر فيه بل هو على صفة الله
اعلم بها ومما اعطيه موسى عليه السلام اجابة دعايه في نحو قوله رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا
من اهلي الاية قال الله تعالى قد اوتيت سولك يا موسى ربنا اطمس على اموالهم
الايتين اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك اجابة دعايه ما لا يحصى
ومما اعطيه موسى عليه السلام تفجير الما له من الحجارة كما قال تعالى واذ
استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا
اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الما تفجر من بين اصابعه وهذا
ابلغ في المعجزة لان الحجر من جنس الارض التي ينبع الما منها بل قال تعالى
وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الما ولم تجر
العادة بنبع الما من اللحم بل لم يقع لغير المصطفى كما مر ورحم الله القايل
وكل معجزة للرسل قد سلفت وافى باعجب منها عند اظهار الله
تعالى له وتاييده بالمعجزات فما العصى حية حال موطيه تسعى صفتها باعجب
خبر ما من شكوى البعير ولا من مشي اشجار بل هما اعجب ولا انفجار
معين الما من حجر من اضافة الصفة للموصوف اشد اقوى في المعجزة
من سلسل من كفه متعلق بقوله جار بل هو اشد ومما اعطيه موسى

عليه السلام الكلام اعطي سيدنا صلي الله عليه وسلم مثله ليلة الاسرا
وزيادة الدنو مجاز عن القرب المعنوي لاظهار منزلته عند ربه والتدلي
طلبه زيادة القرب كما قال بعضهم فليس عطف تفسير والمقصود كما في البيضاوي
تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس وايضا
كان مقام المناجاة في حق نبينا صلي الله عليه وسلم فوق العرش
العلي وفوق سدرة المنتهي والمستوي الذي سمع فيه صريف الاقلام
وحجب النور بالنسبة للمخلوق والرفرف ومقام المناجاة لموسي عليه
السلام طور سينا جبل موسي بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ولا يخلو من ان
يكون الطور اسم للجبل وسينا اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ
القيس كما في البيضاوي واما ... فصاحة هرون عليه السلام من
فصاحة ... حدره عليه النطق بلا ركة ولا تلعثم ومن بلاغة الالفاظ
التي يودي بها لا انها التي تحسن المقابلة بينها وبين فصاحة المصطفي فالمراد
باللسان الجارحة واللغة معا لا الجارحة فقط بدليل قوله الاتي فصاحة هرون
ثابتة في العبرانية اذ العبرانية لغة لا آلة فقد كان نبينا صلي الله
عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع
الذي لا يجهل بل يعلمه كل احد لما فيه من البلاغة الشاهدة لكل من سمعه
وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الي شاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند
ولقد قال له بعض الصحابة ما رأينا الذي هو افصح منك اي ما رأينا
احدا هو افصح منك بل انت افصح من رأيناه عليه مفاد النفي عرفا وان صدق
لغة بالتساوي واما اشعاره بان ثم افصح منه لكنهم لم يروه فليس بمراد اذ
ياباه سيما في مقام المدح فقال وما يمنعني اي شي يمنعني من بلوغ الغاية
القصوي في الفصاحة والتميز فيها عن سائر الخلق بحيث لا يسا وي بل
ولا يقاربني فيها احد وانما انزل القران بلساني اي لغتي جملة حالية
قصد بها تحقيق ما انتهي اليه من الفصاحة لسان بدل مما قبله عربي
مبين نعت له وذكر لسان نظرا لكون اللغة لفظا وقد كانت فصاحة غاية
في لغته العبرانية بكسر العين والعربية افصح منها ومن غيرها
وهل كانت فصاحة هرون معجزة ام لا قال ابن المنير في المعراج
الظاهر انها لم تكن معجزة ولكن فضيلة لان حكم الفصاحة مطلقا
الظفر واقامة الحجة وكبت الخصوم وافحامهم وارغامهم واظهار تناقض
المبتدعين عند الابتداع ودرء الشبهة ودفع الشكوك كما بسطه ابن المنير
قائلا ولم يتحد نبي من الانبيا بالفصاحة الا نبينا صلي الله عليه
وسلم لان هذه الخصوصية لا تكون لغير كتابه العزيز لان غيره
لا يقاربه في الفصاحة لم يقصد به الاعجاز وهذا مستانف لبيان الواقع ويحتمل
انه عطف علة علي معلول يعني ان فصاحته ليست معجزة لانها لم يتحد
بها ولم يثبت ان غير نبينا تحدي بذلك لكن انما يتم هذا لو كان التحدي شرطا

مع

مع انه ليس بشرط بل يكفي وقوعها بعد دعوي النبوة سواء طلبه المعارضة
به ام لا والا لزم ان اكثر الخوارق ليست معجزة اذ لم يتحد بغير القران كما مر
وهل فصاحته اي نبينا عليه السلام ولفظ ابن المنير واختلف الناس
في فصاحته بجوامع الكلم التي ليست من التلاوة اي القران ولكنها
معدودة من السنة هل تحدي بها ام لا كذا في النسخ الصحيحة هل
بلا واو بدل مفصل من مجمل قوله ام لا هل فصاحته فهو مساو لنقل ابن المنير
فقوله هل بيان لقوله اختلف فما يوجد في بعض نسخ المتن وهل تحدي بزيادة واو
فيه شي ويحتاج الي تقدير خبر لقوله اولا هل اي معجزة ام لا ... فقوله
عليه السلام اوتيت جوامع الكلم ... من النجوم ... بنعمة الله
تعالي عليه وعزاه عنده ... دليل القول بانه لم يتحد بها
ولا خلاف انها باعتبار ما اشتملت ... من الاخبار بالمغيبات
ونحوها معجزة كالقران ولا يضر اشتماله علي بلاغة مرتب عليها لان الكلام ان
بلغ اعلا طبقات البلاغة او قاربه يتفاوت مراتبه واما ما اعطيه يوسف
من شطر الحسن اي نصفه فاعطي نبينا صلي الله عليه وسلم
الحسن كله لكن مهابته منعت رويته علي وجهه ولذا قال القرطبي لم يظهر
لنا تمام حسنه لانه لو ظهر ما اطاقت الاعين رويته صلي الله عليه وسلم وسياتي
الاشارة الي ذلك ان شا الله تعالي في مقصد الاسراء ومن تامل ما
نقلته في صفته عليه الصلاة والسلام فيما مر اول المقصد الثالث تبين
له من ذلك التفضيل بصاد مهملة التبيين التفضيل بمعجمة فاعل تبين
لنبينا علي كل مشهور بالحسن في كل جيل بالجيم واما ما اعطيه
يوسف ايضا من تعبير الرويا فالذي نقل عنه من ذلك في القران ثلاث
منامات احدها حين راي احد عشر كوكبا وهي الحريان والطارق
والذيال وذو الكتفان وقابس ووثاب وعمودان والفيلق والمصبح والضروح
وذو الفرع اخرجه الحاكم في مستدركه مرفوعا كما في المبهمات والشمس والقمر
فعبرهم بابويه واخوته والثاني منام صاحبي السجن وهما غلامان
للملك احدهما ساقيه والاخر صاحب طعامه راياه بعبير الرويا فقالا لا نعتبره
فقال الساقي اني اراني اعصر خمرا وقال صاحب الطعام اني اراني احمل فوق راسي
خبزا تاكل الطير منه فاوله بان الساق يخرج بعد ثلاث فيسقي سيده خمرا
علي عادته واما الاخر فيخرج بعد ثلاث فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا
ما راينا شيا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان والثالث منام الملك
ملك مصر الريان بن الوليد اني اري سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات واخر اي سبع سنبلات يابسات قال تزرعون سبع سنين
دابا اي متتابعة وهذا تاويل السبع السمان والسنبلات الخضر ثم ياتي
من بعد ذلك سبع شداد اي مجدبات وهي تاويل السبع العجاف واليابسات
وقد اعطي نبينا محمد صلي الله عليه وسلم من ذلك ما لا

يدخله الجسد اي يضبطه هذا هو المراد لا الدخول الذي هو الظرف
ومن تصفح الاخبار وتتبع الاثار وجد من ذلك العجب العجاب
وانما لم يوصف بعلم التعبير لاشتغاله بما هو اهم منه من بيان الشرع
والجهاد وغير ذلك ويوسف عليه السلام عبر للملك وقت الحاجة ولصاحبي
السجن فوصف به وستاتي نبذة بضم النون من ذلك ان شا الله
تعالى في الفصل الثاني من المقصد الثامن واما ما اعطيه داود عليه
السلام من تليين الحديد لان الله جعله في يده كالعجين والشمع
يصرفه كيف شا من غير احما ولا طرق بالة او بقوة فاعطي نبينا صلي
الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر في يده واورق ومسح
صلي الله عليه وسلم شاة ام معبد الجربا صفة شا فدرت وقصتها
في الهجرة مرت واما ما اعطيه سليمان عليه السلام من كلام الطير
اي نطقه مصدر مضاف لفاعله اي ان سليمان علم منطق الطير المعتاد
لا ان الطير نفسه خرج عن عادته فنطقه بالعربية كما وقع لنبينا في الظبية
والذيب بل وفي الجماد وغيره فانه لم يرد نطقه الطير لسليمان وانما فهم
سليمان من تصويته معني كما اشار اليه البيضاوي في قوله تعالى وعلمناه
منطق الطير اذ قال ولعل سليمان منها سمع صوته بقوته القدسية التخيل
الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل
يصوت ويرقص فقال تقول اذا اكلت نصف تمرة فعلي الدنيا العفا وصاحت
فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعل صوت البلبل كان عن شبع
وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتالم قلب وتسخير
الشياطين كما قال ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون
ذلك وكنا لهم حافظين اي من ان يفسدوا ما عملوا لانهم اذا فرغوا من العمل قبل
الليل افسدوه ان لم يشتغلوا بغيره وكما قال والشياطين كل بنا وغواص واخرين
مقرنين في الاصفاد اي يبني الابنية العجيبة وغواص في البحر يستخرج اللولو
ومقرنين مشدودين في الاصفاد القيود بجمع ايديهم الي اعناقهم ليكفوا
عن الشر والريح كما قال فسخرنا له الريح تجري بامره رخا اي لينة حيث
اصاب اي اراد ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر والملك
الذي لم يعطه احد من بعده فقد اعطي سيدنا صلي الله عليه وسلم
مثل ذلك وزيادة ويبينه بقوله اما كلام الطير والوحش فتسبيح
صلي الله عليه وسلم كلمه الحجر بكلام فهمه المصطفي وغيره وتسبيح
في كفه الحصي حتي سمعه الحاضرون وهو جماد فهو ابلغ اعجازا
وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم في غزاة خيبر وهو
قوي في الاعجاز ابلغ من احيا الانسان الميت لانه جزء حيوان دون بقيته
فهو معجزة لو كان متصلا بالبدن فكيف وقد احياه وحده منفصلا عن
بقيته مع موت البقية وايضا فقد اعاد عليه الحياة مع الادراك والعقل

ولم

ولم يكن يعقل في حياته فصار جزوه حيا عاقلا واقدره الله علي
النطق والكلام ولم يكن حيوانه يتكلم وهذا ابلغ من احيا الموتي لعيسي
واحيا الطيور لابراهيم وكذا تكليم الظبي والضب وسمعه حاضروه
وشكي اليه البعير كما مر قريبا وروي انه طيرا فجع
بولده فجعل يرفرف بسط جناحيه يريد ان يقع علي راسه صلي الله
عليه وسلم بدليل قوله ويكلمه فيقول ايكم فجع هذا بولده فقال
رجل انا فقال اردد ولده ذكره الرازي الامام فخر الدين ورواه
ابو داود والحاكم وصححه عن ابن مسعود بلفظ كنا مع النبي صلي الله
عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فراينا حمرة بضم الحا المهملة
وشد الميم المفتوحة وقد تخفف وبالرا ضرب من الطير كالعصفور معها
فرخان فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش بضم الرا
وكسرها اي تدنو من الارض فجا النبي صلي الله عليه وسلم وفي
رواية الطيالسي والحاكم فجاءت الحمرة ترفرف علي رسول الله واصحابه فقال
من فجع هذه بولدها ردوا ولدها اليها الحديث تتمته وراي
قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه قلنا نحن قال انه لا ينبغي ان
يعذب بالنار الا رب النار وقرية النمل موضعه وروي الطيالسي والحاكم عن
ابن مسعود كنا عند النبي صلي الله عليه وسلم فدخل رجل غيضة فاخرج
منها بيض حمرة فجاءت الحمرة ترف علي رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه
فقال صلي الله عليه وسلم ايكم فجع هذه فقال رجل انا يا رسول الله اخذت بيضها
وفي رواية الحاكم اخذت فرخيها فقال رده رحمة لها وروي الترمذي وابن
ماجة عن عامر الرام ان جماعة من الصحابة دخلوا غيضة فاخذوا فرخ
طاير فجا الطير الي رسول الله صلي الله عليه وسلم يرف فقال ايكم اخذ فرخ
هذا فامره ان يرده فرده وحكمة الامر بالرد انها لما استجارت به لجارها فوجب
ردها واحتمال كونهم محرمين بعيد مع قوله رحمة الله وقصة كلام الذيب
بكلام الانس العربي مشهورة وتقدمت قريبا واما الريح التي كانت
غدوها سيرها من الغدوة بمعني الصباح الي الزوال شهر اي مسيرته
ورواحها اي سيرها من الزوال الي الغروب شهر تحمله اين اراد
من اقطار الارض قال الحسن كان يغدو من دمشق ويقيل باصطخر
وبينهما شهر للراكب المسرع ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما
مسيرة شهر فقد اعطي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم البراق
بضم الموحدة الذي هو اسرع من الريح بل اسرع من البرق
الخاطف فحمله من الفرش الي العرش عرش الرحمن في ساعة
زمانية واقل مسافة في ذلك سبعة الاف سنة وتلك مسافة
السموات لان بين كل سما وسما خمس ماية عام وسمك كل سما خمس ماية
فهي سبعة الاف واما المستوي والي الرفرف فما لا يعلمه الا الله

وفي الشامية اعطي البراق سارية مسيرة خمسين الف سنة في اقل من ثلث
ليلة انتهي وهذا كله علي احد القولين ان العروج الي السموات كان علي البراق
والصحيح الذي تقرر من الاحاديث الصحيحة كما قال السيوطي وغيره انه
كان علي المعراج الذي تعرج عليه ارواح بني ادم ولذا قال ابن كثير لما فرغ
من امر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه الي السما ولم
يكن الصعود علي البراق كما قد يتوهم بعض الناس بل كان البراق مربوطا
علي باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه الي مكة وايضا فالريح سخرت
لسليمان لتحمله الي نواحي الارض ونبينا صلي الله عليه وسلم
لا يحتاج الي ذلك لانه زويت له الارض بالزاي المنقوطة اي جمعت حتي
راي مشارقها ومغاربها وما يبلغه ملك امته منها وفرق بين من
يسعي الي الارض وبين من تسعي له الارض وهو المصطفي واما
ما اعطيه من تسخير الشياطين في الاعمال الشاقة كالبنا والغوص
يعملون له ما يشا من محاريب وهي ابنية مرتفعة يصعد اليها بدرج
وتماثيل جمع تمثال وهو كل شي مثلته بشي اي صورا من نحاس وزجاج
ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراما في شريعته وجفان جمع جفنة
كالجوابي جمع جابية وهي حوض كبير تجتمع علي الجفنة الف رجل يا كلون
منها وقدور راسيات ثابتات لها قوايم لا تتحرك عن اماكنها تتخذ من الجبال
باليمن يصعد اليها بسلالم فقد روي ان امام الشياطين ابليس
اعترض نبينا صلي الله عليه وسلم وهو في الصلاة فامكنه الله
منه وربطه بسارية من سواري المسجد النبوي لكن الذي رواه البخاري
عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الشيطان عرض لي فشد
علي ليقطع الصلاة علي فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الي
سارية حتي تصبحوا فتنظروا اليه فذكرت قول سليمان رب هب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسيا واخرجه مسلم والبخاري ايضا
بلفظ ان عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي الصلاة فذكره وهذا
ظاهر في ان المراد غير ابليس كما قال الحافظ وهو نص في انه تمكن منه لكن
لم يربطه مراعاة لسليمان وذعته بذال معجمة وعين مهملة خفيفة وفوقية
ثقيلة خنقته خنقا شديدا وخير مما اوتيه سليمان من ذلك التسخير
ايمان الجن بمحمد صلي الله عليه وسلم فسليمان استخدمهم ولم
يومنوا به والنبي صلي الله عليه وسلم استتبعهم ولا شي اعلا من
الاسلام واما عد الجن من جنود سليمان في قوله تعالي وحشر
جمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير في مسير له فهم
له يوزعون اي يجمعون ثم يساقون فنحو منه عد الملايكة جبريل
ومن معه في جملة اجناده عليه السلام باعتبار الجهاد في بدر
العظمي وباعتبار تكثير السواد في غيرها لارهاب العدو وعلي طريقة

الاجناد كما وقع في احد والخندق وحنين كما مر بيانه في محاله واما عد
الطير من جملة اجناده في الاية الكريمة فاعجب منه حمامة الغار
اي جنسها فلا ينافي كونها حمامتين كما مر في الهجرة ونحو كبرها اي اتخاذ
الوكر في الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه والغرض من
استكثار الجند انما هو الحماية من الاعدا وقد حصلت من اعظم شي وهم
كفار قريش الذين خرجوا في طلبه وجعلوا ماية ناقة لمن رده او قتله
بايسر شي وهو تعشيش الحمامة واما ما اعطيه من الملك بطلبه
فنبينا صلي الله عليه وسلم خير بلا طلب بين ان يكون نبيا ملكا
او نبيا عبدا او بمعني الواو كقوله

قوم اذا سمعوا الصريخ رايتهم ، ما بين ملجم مهره او سافع

لان بين ظرف مبهم لا يبين معناه الا باضافته الي اثنين فصاعدا او ما
يقوم مقام ذلك كقوله عوان بين ذلك كما بين في موضعه فاختار صلي
الله عليه وسلم ان يكون نبيا عبدا ولله در القايل يا خير عبد
علي كل الملوك ولي اي جعلت له الولاية عليهم وكفي بذلك شرفا واما
ما اعطيه عيسي من ابرا الاكمه الذي ولد اعمي والابرص وخصا
لانهما مرضا اعيا وكانت بعثته في زمن الطب فابرا في يوم خمسين الفا لكن
بشرط الايمان وقد صنعا كان يداويه واحيا الموتي باذن الله كعازر
صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم وسام بن نوح ومات
في الحال وكان المص اقتصر علي هذه الثلاثة لاشتهارها دون بقية
معجزاته الاقصد الاية اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه
فيكون طيرا باذن الله واخرجها لنحو الاشارة اليه ومن معجزاته المايدة وغير
ذلك فاعطي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم انه رد العين لقتادة
الي مكانها بعد ما سقطت علي وجنته فكانت احسن ما كانت
فهذا ابلغ من ابرا الاكمه لان عينيه في مكانها ورد ان امراة معاذ
ابن عفرا وكانت برصا فشكت الغاز ابرة في خبر انه عند من يحيزه
ذلك الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فمسح عليها بعصي ولم
يمسها بيده لانها اجنبية ولم يمس اجنبية ابدا واشار لغيره وان كان هو
سيد اهل اليقين الي انه لا ينبغي مس محل البرص ونحوه مخافة ان يصاب
به الماس فيتوهم انه اعداه فاذهب الله البرص منها ذكره الرازي
وايضا فقد سمع الحصي في كفه يسبح وسلم عليه الحجر وحن لفراقه الجذع
وذلك ابلغ من تكليم الموتي لان هذا من جنس ما لا يتكلم لم يقل من
جنس ما لم تحله الحياة للخلاف في ان نطق الجماد هل هو بعد تصييره
حيا او مع بقايه علي كونه جمادا او احيا الجماد ابلغ من احيا الموتي
وقال ابن كثير حلول الحياة والادراك والعقل في الحجر الذي كان يخاطبه
صلي الله عليه وسلم ابلغ من حياة الحيوان في الجملة لانه كان محلا

للحياة في وقت بخلاف هذا الإحياء بالكلية قبل ذلك وكذلك تسليم الأحجار
والمدر والشجر وحنين الجذع وجعل أبو نعيم نظير خلق الطين طيرا أو
جعل العسيب سيفا كما تقدم **وفي دلائل النبوة للبيهقي قصة
الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا أومن بك حتى تحيي
لي ابنتي وفيه أنه** صلى الله عليه وسلم قال أرني قبرها **فأراه قبرها
فقال يا فلانة** باسمها الخاص فكنى عنه الراوي بفلانة لنحو نسيان **فلا
فقالت لبيك وسعديك الحديث وقد مر** جميع ذلك الذي من جملته
بقية الحديث قريبا وحاصلها ذكره أن المصطفى شارك عيسى في إبراء الأكمه والأبرص
وإحياء الموتى وزاد بتكليم الجماد له وإحياء الجزء من الجذع بعد انفصاله كرد العين
والذراع المسمومة ولم يجئ مثله من تركها لهم من آيات عيسى عليه الصلاة والسلام
المائدة لقول ابن المنير لا يلزمنا إثبات نظيرها لنبينا لأنها كانت محنة لبني
إسرائيل لا نعمة لأنهم لعنوا بسببها كما جاء في تفسير قوله تعالى لعن الذين كفروا
من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم أنهم أصحاب المائدة كفروا وأبعدها
فلعنوا ولم تقبل منهم توبة أبدا قال وعلى تقدير شائبة الكرامة في إجابة دعوة
عيسى فنظير ذلك لنبينا إجابته حين حفنة أزواد القوم فجمعها وكانت كربضة
العنز لا حجما أنه طعام أقل من عشرة فدعا بالبركة فملأ الناس وهم زهاء ألف وبضع
أوعيتهم والطعام بحاله فهذه مائدة تركت من السماء وطعام مبارك قال الله له
كن فكان بدون تهديد ولا وعيد ولا تشديد لا عقبة ولا محنة ولا سد باب
التوبة بتقدير كفران النعمة بل كانت نعمة محضة انتهى وفي الشامية تقدم
نظير ذلك لنبينا إنه أتي بطعام من السماء في عدة أحاديث تقدمت وروى البيهقي
عن أبي هريرة قال أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة فخرج إلى البرية
فقالت امرأته اللهم ارزقنا ما نعجن ونخبز فإذا الجفنة ملأى خميرا
والرحى تطحن والتنور ملأى جنوب شواء فجاء زوجها وسمع الرحى
فقامت إليه لتفتح له الباب فقال ماذا كنت تطحنين فأخبرته وأدركاها
لتدور وتصب دقيقا فلم يبق في البيت وعاء إلا ملئ فرفع الرحى وكنس
ما حولها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعلت بالرحى
قال رفعتها ونفضتها فقال صلى الله عليه وسلم لو تركتموها ما زالت كما
هي لكم حياتكم وفي رواية لو تركتموها لدارت إلى يوم القيامة **وأما
ما أعطيه عيسى أيضا من أنه كان يعرف ما تخفيه الناس
في بيوتهم** كما قال تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أي
بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها فكان يخبر الشخص بما أكل
وبما يأكل بعد **أعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى
ويأتي إن شاء الله تعالى ما يكفي ويشفي** في المقصد الثامن **وأما
ما أعطيه عيسى أيضا من رفعه إلى السما** حيا وبعد أن مات قولان
أصحهما الأول وعليه فقال بعضهم صار كالملائكة في زوال الشهوة ونقل

البغوي وغيره عن قتادة أن عيسى قال لأصحابه أيكم يقذف عليه
شبهي فإنه مقتول فقال رجل أنا فقتل ومنع الله عيسى ورفعه إليه
وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار مع
الملائكة فهو معهم حول العرش فكان إنسيا ملكيا سماويا أرضيا
ولذا قلت في جواب سؤال

وقد صار عيسى بعد رفع إلى السما ، كالأملاك لا يشرب ولا هو يأكل
كما قاله الحبر الإمام قتادة ، فنظير بعض فيه تقصير يحمل

**فقد أعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد
في** الأولى حذف فيها الظهور أن المراد أنه شارك عيسى في العروج وزاد عليه
الترقي لمزيد الدرجات التي ما وصل إليها نبي ولا ملك ولفظة في تقتضي
مشاركته في الترقي **وسماع المناجاة** كلام الله تعالى **والحظوة** بضم الحاء
وكسرها المحبة ورفعة المنزلة **في الحضرة المقدسة بالمشاهدات**
وهذا تفصيل بعض ما أوتيه في نظير ما أوتيه الأنبياء الذين ذكرهم
**وبالجملة فقد خص الله تعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
من خصائص التكريم بما لم يعطه أحدا من الأنبياء عليهم الصلاة
والتسليم** وتفصيل ذلك متعسر أو متعذر **وقد روى جابر بن عبد
الله عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال** في غزوة تبوك كما في حديث عمرو
ابن شعيب عن أبيه عن جده عند الإمام أحمد **أعطيت** بضم الهمزة **خمسا**
أي خمس خصال **لم يعطهن أحد** من الأنبياء **قبلي** قال الحافظ ظاهر الحديث
أن كل واحدة من الخمس المذكورة لم تكن لأحد قبله وهو كذلك ولا يعترض بأن نوحا
كان مبعوثا إلى أهل الأرض بعد الطوفان لأنه لم يبق إلا من آمن معه وقد كان
مرسلا إليهم لأن هذا العموم لم يكن في أصل بعثته وإنما اتفق بالحادثة وهو انحصار
الخلق الموجودين بعد هلاك سائر الناس وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم
رسالته من أصل بعثته فثبت اختصاصه بذلك وفيه أجوبة أخرى تأتي قريبا
كان كل نبي يبعث إلى قومه المبعوث إليهم **خاصة وبعثت إلى كل
أحمر وأسود** قال الحافظ قيل المراد بالأحمر العجم وبالأسود العرب وقيل
الأحمر الإنس والأسود الجن وعلى الأول التنصيص على الإنس من باب التنبيه
بالأدنى على الأعلى لأنه مرسل إلى الجميع انتهى أي بالأقرب وهم الإنس عجما
وعربا على الأبعد وهم الجن وهذا لفظ مسلم ولفظ البخاري في التيمم وكان
النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وكذا لفظه في الصلاة
لكنه قال كافة بدل عامة ولمسلم من حديث أبي هريرة وأرسلت إلى الخلق
كافة وهي أصرح الروايات وأشملها فهي حجة لمن ذهب إلى إرساله إلى
الملائكة كظاهر قوله ليكون للعالمين نذيرا ويأتي بسطه **وأحلت لي
الغنائم** وللكشميهني المغانم بميم قبل الغين وهي رواية مسلم **ولم
تحل لأحد قبلي** قال الخطابي كان من تقدم على ضربين منهم من لم يؤذن

له في الجهاد فلم يكن لهم مغانم ومنهم من اذن لهم فيه لكن كانوا اذا غنموا
شيا لم يحل لهم ان ياكلوه وجاءت نار فاحرقته وقيل المراد انه خاص بالتصرف
في الغنيمة يصرفها حيث شاء والاول اصوب وهو ان من مضى لم تحل
لهم الغنايم اصلا ذكره الحافظ **وجعلت لي الارض مسجدا** اي موضع
سجود لا تختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن ان يكون مجازا
عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة
في جميعها كانت كالمسجد في ذلك وفي رواية احمد عن عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده وكان من قبلي انما يصلون في كنايسهم وللبزار من حديث ابن
عباس ولم يكن من الانبيا احد يصلي حتى يبلغ محرابه **وطهورا** بفتح الطا
على المشهور واحتج به ابو حنيفة ومالك على جواز التيمم بجميع اجزا الارض
وخصه الشافعي واحمد بالتراب لما في مسلم من حديث حذيفة وجعلت لنا
الارض لنا مسجدا وجعلت تربتها طهورا وتعقب بان تربة كل مكان ما فيه من
تراب او غيره واما رواية ابن خزيمة وغيره الحديث بلفظ وجعل ترابها وقوله
في حديث علي وجعل التراب لي طهورا رواه احمد والبيهقي باسناد حسن
فالنص على التراب في هاتين الروايتين لبيان افضليته لا لانه لا يجزي غيره
وليس مخصصا العموم قوله وطهورا لان شرطه ان يكون منافيا لذا قال القرطبي
هو من باب النص على بعض اشخاص العموم كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل
ورمان انتهى واستدل به على ان الطهور هو المطهر لغيره اذ لو كان المراد الطاهر
لم تثبت الخصوصية والحديث انما سيق لاثباتها وقد روى ابن المنذر وابن
الجارود باسناد صحيح عن انس مرفوعا جعلت لي كل ارض طيبة مسجدا وطهورا
ومعنى طيبة طاهرة فلو كان معنى طهورا طاهرا للزم تحصيل الحاصل **فايما
رجل** كاين **من امتي ادركته الصلاة** جملة في موضع جر صفة لرجل واي
مبتدا فيه معنى الشرط وما زايدة للتعميم ورجل مضاف اليه وفي رواية ابي
امامة عند البيهقي فايما رجل من امتي اتى الصلاة فلم يجد ماء وجد من
الارض طهورا ومسجدا وعند احمد فعنده طهوره ومسجده **فليصل حيث
كان** خبر المبتدا اي بعد ان يتيمم او حيث ادركته الصلاة ولاحمد عن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده فايما ادركتني الصلاة تمسحت وصليت قال ابن
التين قيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا
لا طهورا لان عيسى كان يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلاة كذا
قال وسبقه الى ذلك الداودي والاظهر قول الخطابي ان من قبله انما ابيحت
لهم الصلاة في اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع ويؤيده رواية عمرو بن شعيب
بلفظ وكان من قبلي انما يصلون في كنايسهم وهذا نص في موضع النزاع فثبتت
الخصوصية وللبزار ولم يكن من الانبيا احد يصلي حتى يبلغ محرابه
قاله الحافظ وثم عنايه هنا تبعا للشيخ مع ان الم ذكره قريبا بعد ذلك
وعلى ظاهر ما رجحه يسقط عنهم وجوب الادا ويقضون اذا رجعوا وبه

جزم

جزم بعض شراح الرسالة القيروانية ويؤيده ظاهر قوله حتى يبلغ
محرابه ثم قيل هل تسقط عنهم مطلقا او محل الحصر في الكنايس ونحوها
في الحضر لا في السفر ويكون محل خصوصيتنا الصلاة باي محل ولو بجوار
المسجد مع سهولة الصلاة فيه انظره فيه قصور ويمنع الثاني ان القيد
لا بد له من دليل مع ان ظاهر قوله حتى يبلغ محرابه خلافه **ونصرت بالرعب**
بضم الرا الخوف زاد احمد عن ابي امامة يقذف في قلوب اعدايي **مسيرة
شهر** عني به لانه لم يكن بينه وبين اعدايه اكثر منه في ذلك الوقت وهذه
الخصوصية حاصلة له مطلقا حتى لو كان وحده بلا عسكر وفي حصولها
لامته بعده احتمال اصله خبر احمد الرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وعن
ابن عباس مسيرة شهرين وعن السايب بن يزيد ونصرت بالرعب شهرا
امامي وشهرا خلفي رواها الطبراني ورواية السايب مبينة لمعنى رواية ابن
عباس **واعطيت الشفاعة** العظمى في اراحة الناس من هول الموقف كما جزم
به النووي وغيره فال للعهد كما قال ابن دقيق العيد انه الاقرب ويأتي بسطه
رواه البخاري ومسلم واللفظ له فلو عزاه لهما لاستقام ولفظ البخاري
في التيمم عن شيخه سعيد بن النضر انا هشيم انا سيار ثنا يزيد انا جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت
بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي
ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت
الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ومعلوم
ان ال في النبي للاستغراق فيهما وفي رواية مسلم كل نبي لكن قد رايته ما فيه
من التقديم والتاخير فما الحامل على العزو للبخاري والاتيان بلفظ مسلم وان
اتحد المعنى **وفي رواية** هي رواية البخاري في الصلاة **وبعثت الى الناس كافة**
بدل عامة وهما بمعنى **وزاد البخاري في روايته** هذا الحديث **في** باب قول النبي
صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا من كتاب **الصلاة عن**
شيخه **محمد بن سنان** بكسر المهملة وخفة النون الباهلي البصري العوقي
بفتح المهملة والواو وبعدها قاف ثقة ثبت مات سنة ثلاث وعشرين ومايتين
اي عن هشيم بهذا الاسناد بعد قوله لم يعطهن احد **من الانبيا** قبلي وساقه
بلفظ التيمم لكنه عبر بكافة بدل عامة وجعل واعطيت الشفاعة ختام الحديث
قال الحافظ رحمه الله مدار حديث جابر هذا على هشيم بهذا الاسناد وله شاهد
من حديث ابن عباس وابي موسى وابي ذر ومن رواية عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده رواها كلها احمد باسانيد حسان انتهى **وعند الامام احمد اعطيت
خمسا لم يعطهن نبي قبلي** اي ممن اتصف بالنبوة فتدخل في ذلك الرسل اذ لا يوجد
رسول الا وهو نبي ويدل على المراد قوله واحلت لي الغنايم اذ الانبيا لم يكن
لهم غنايم **ولا اقوله فخرا** بل تحدثا بالنعمة لقوله واما بنعمة ربك فحدث
وفيه واعطيت الشفاعة فاخرتها لامتي فهي لمن لا يشرك بالله شيا

وان فعل المعاصي وفي رواية عمرو بن شعيب فهي لكم ولمن يشهد ان لا اله الا
الا الله قال الحافظ فالظاهر ان المراد بالشفاعة المختصة به في هذا الحديث
اخراج من ليس له عمل الا التوحيد وهو مختص بالشفاعة الاولى اي في
فصل القضا لكن جا التنويه بذكر هذه لانها غاية المطلوب عن تلك
لاقتضائها الراحة المستمرة وقد ثبتت هذه في رواية البخاري في التوحيد
ثم ارجع الى ربي في الرابعة فاقول يا رب ايذن لي في من قال لا اله الا الله ولا
نعكر عليه رواية مسلم فيقول وعزتي ليس ذلك لك وعزتي الخ لان المراد انه
لا يباشر الاخراج كما في المرات الماضية بل كانت شفاعته سببا في ذلك في
الجملة واسناده كما قال ابن كثير جيد اي مقبول وليس المراد حصر
خصايصه عليه السلام في هذه الخمس المذكورة كما يعطيه المفهوم
فقد روى مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا اي انه قال عن النبي
صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع
الكلم اي جمع المعاني الكثيرة في الفاظ يسيرة وقيل ايجاز الكلام في اتساع من
المعنى فالكلمة القليلة الحروف تتضمن كثيرا من المعاني وانواعا من الكلام
ونصرت بالرعب يقذف في قلوب اعدائي مسيرة شهر وللطبراني عن
السايب بن يزيد ونصرت بالرعب شهرا امامي وشهرا خلفي وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا بفتح الطا وفيه ان الاصل في الارض الطهارة
وان صحة الصلاة لا تختص بالمسجد المبني لذلك واما حديث لا صلاة لجار المسجد
الا في المسجد فضعيف اخرجه الدارقطني من حديث جابر واستدل به صاحب
المبسوط من الحنفية على اظهار كرامة الادمي قال لان الادمي خلق من ماء
وتراب وقد ثبت ان كلا منهما طهور ففي ذلك بيان كرامته قاله في الفتح وارسلت
الى الخلق كافة ارسال عامة محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان
يخرج منها احدهم وهذه اصرح الروايات في شمولها فهي مؤكدة لمن ذهب
الى ارساله الى الملايكة كقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وياتي بسطه في كلام
الناظم وختم بي النبيون اي اغلق باب الوحي والرسالة وسد لكمال الدين
وتصحيح الحجة فلا نبي بعده وعيسى انما ينزل بتقدير شرعه قال الحافظ
العراقي وكذا الخضر والياس بنا على نبوة الخضر وبقايهما الى الان فكل تابع
لاحكام هذه الملة فذكر ابو هريرة في حديثه الخمسة المذكورة في حديث
جابر الا الشفاعة وزاد خصلتين وهما واعطيت الاولى حذف الواو
لانها الست في الحديث جوامع الكلم وختم بي النبيون فتحصل منه
ومن حديث جابر سبع خصال ولمسلم من حديث حذيفة ابن اليمان
مرفوعا فضلنا على الناس بثلاث من الخصال جعلت صفوفنا
كصفوف الملايكة قال الزين العراقي المراد به التراص واتمام الصفوف الاول
فالاول في الصلاة فهو من خصايص هذه الامة وكانت الامم السابقة يصلون
منفردين وكل واحد على حدة قال وذكر خصلة الارض كما تقدم

وجعلت

وجعلت لنا الارض مسجدا وتربتها طهورا قال وذكر خصلة اخرى
ابهمها نسيانا او نحوه وهذه الخصلة المبهمة بينها ابن خزيمة
والنسائي والامام احمد وهي واعطيت هذه الايات من اخر
سورة البقرة من امن الرسول من كنز تحت العرش قال العراقي
معناه انها ادخرت له وكنزت فلم يوتها احد قبله وكثير من اي القران منزل
في الكتب السابقة باللفظ او المعنى وهذه لم يوتها احد وان كان فيه ايضا
ما لم يوت غيره لكن في هذه خصوصية لهذه الامة وهي وضع الاصر الذي على
من قبل ولذا قال في بقية الرواية لم يعطها نبي قبلي انتهى واليه يومي قوله
يشير الى ما حطه الله تعالى عن امته من الاصر الامر الذي يثقل
حمله كقتل النفس في التوبة واخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع
النجاسة وتحميل ما لا طاقة قوة لهم به من التكاليف والبلا ورفع
الخطا ترك الصواب لا عن عمد والنسيان فصارت الخصال تسعة
ولاحمد من حديث علي مرفوعا اعطيت اربعا لم يعطهن احد من
انبيا الله تعالى قبلي اعطيت مفاتيح جمع مفتاح بالكسر اسم للالة
التي يفتح بها وهو في الاصل كل ما يتوصل به الى استخراج المتعلقات التي يتعذر
الوصول اليها قاله ابن الاثير الارض وفي رواية خزاين الارض استعارة لوعد
الله تعالى بفتح البلاد جمع خزانة ما يخزن فيه الاموال وهي مخزونة عند اهل
البلاد قبل فتحها او المراد خزاين العلم باسره ليخرج لهم بقدر ما يستحقونه
وكلما ظهر في العالم فانما يعطيه الذي بيده المفتاح باذن الفتاح كذا اوله
بعضهم واجراوه على ظاهره اولى ففي حديث جابر عند احمد برجال الصحيح
وصححه ابن حبان وغيره مرفوعا اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق جاني
به جبريل عليه قطيفة من سندس وسميت احمد فلم يسم به احد قبله
حماية من الله لئلا يدخل لبس على ضعيف اليقين او شك في انه هو المنعوت
باحمد في الكتب السالفة وجعلت امتي خير الامم بنص كنتم خير امة
اخرجت للناس وشرفها من شرفه وذكر خصلة التراب كما قال وجعل
لي التراب طهورا فصارت الخصال اثني عشرة خصلة وعند
البزار من وجه اخر عن ابي هريرة رفعه فضلت على الانبيا
بست وبين ما فضل به بقوله غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر
اي حيل بيني وبين الذنوب فعصمت عنها فلم اتها على اوجه كماله وياتي
بسطه وجعلت امتي خير الامم واعطيت الكوثر نهر في الجنة
كما صح في مسلم وان صاحبكم لصاحب لوا الحمد يوم القيامة تحته
ادم فمن دونه وفي انه حقيقي وعند الله علم حقيقته او تصوير لعظمته
وانفراده بالمقام الذي يحمده الخلايق فيه فوالانه وياتي وذكر ثنتين مما تقدم
من الخصال تمام الست وله اي البزار من حديث ابن عباس رفعه
فضلت على الانبيا بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه

بفتح الميم اي امن بي قطعا اذ هنا اللفظ لا يحتمل غير هذا فاما الذي حكي
فيه النووي وغيره روايتين الفتح والضم فانما هو حديث مسلم عن ابن
مسعود مرفوعا ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا
واياك قال واياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير روي هذا
بفتح الميم وضمها وصحح الخطابي الرفع ورجح القاضي عياض والنووي
بالفتح وهو المختار قال الراوي ابن عباس او من دونه ونسيت الاخرى
وهي مبينة في رواية البيهقي في الدلايل عن ابن عمر مرفوعا فضلت على
ادم بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه حتى اسلم وكن ازواجي
عونا لي وكان شيطان ادم كافرا وكانت زوجته عونا عليه فينتظم بها تجتمع
بهذه الاحاديث سبع عشرة خصلة ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن
امعن التتبع للاحاديث وقد ذكر ابو سعد النيسابوري في كتاب
شرف المصطفى ان عدد الذي خص به صلى الله عليه وسلم على
الانبيا ستون خصلة وطريق الجمع بين مختلف هذه الاحاديث
من ستة وخمس وثلاث واربع وثنتين انه يقال لعله عليه السلام اطلع
اولا على بعض ما اختص به فاخبر به ثم اطلع على الباقي فحدث به
اذ لا ينطق عن الهوى وهذا عند من يجيب بمفهوم العدد ومن لا يرى هذا
مفهوم العدد حجة وان كان تصافح مدلوله يدفع هذا الاشكال من
اصله اذ الاخبار بعدد لا ينفي غيره وهذا الذي ساقه المص بعد حديث جابر
الى هنا من فتح الباري وقد ذكر بعض العلما انه صلى الله عليه وسلم
اوتي ثلاثة الاف معجزة وخصيصة وذكر النووي في مقدمة شرح
مسلم ان معجزاته تزيد على الف وماتين وقال البيهقي في المدخل بلغت الفا وقال
الزاهدي من الحنفية ظهر على يديه وقيل ثلاثة الاف هذا لفظ الفتح وفي
الانموذج وخص بانه اكثر الانبيا معجزات فقد قيل انها تبلغ الفا وقيل ثلاثة الاف
سوى القران فان فيه ستين الف معجزة تقريبا قال الحليمي وفيها مع كثرتها
معنى اخر وهو انه ليس في شي من معجزات غيره ما ينحو نحو اختراع الاجسام
وانما ذلك في معجزات نبينا خاصة انتهى اي كتكثير الطعام واللحم والتمر والما
ونحو ذلك وقد اختلف في العلم بخصايصه عليه السلام فقال ابو
الصيمري بفتح الصاد المهملة وسكون التحتية وفتح الميم والنسبة الى
صيمر نهر بالبصرة عليه عدة قرى وبلد بخورستان كما في اللب من الشافعية
منع ابو علي بن خيران الكلام فيها لانه امر انقضى فلا معنى
للكلام فيه لضياع الزمن بلا فايدة وقال امام الحرمين قال المحققون
ذكر الاختلاف في مسايل الخصايص خبط مسير على غير هدى
غير مفيد بل قد يودي الى ضرر شديد فانه لا يتعلق به حكم ناجز
تمس اليه الحاجة وانما يجري الخلاف فيما لا يوجد بد من اثبات
حكم فيه فان الاقيسة لا مجال لها والاحكام الخاصة تتبع فيها

النصوص

النصوص وما لا نص فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من
غير فايدة ثم قال النووي في الروضة والتهذيب للاسما واللغات
بعد نقله هذين الكلامين وقال سايرا اي باقي الاصحاب اي هم
المقلدين لمذهب الشافعي لا خصوص من صحبه لا باس به اي يجوز الكلام
في الخصايص والبحث عنها وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم وبيان
شرف المصطفى ورفيع منزلته عند ربه هذا كلام الاصحاب والعلما
الجزم بجواز ذلك كما قالوا بل باستحبابه لما فيه من بيان شرفه صلى الله
عليه وسلم وكرامته على ربه حيث ابيح له ما حرم على غيره كالزيادة على
اربع وحرم عليه ما ابيح لغيره كخاينة الاعين زيادة في اجره واوجب
عليه ما لم يوجبه على غيره كالامر بالمعروف بلا شرط وجعل له كرامات
وفضايل لم يوتها غيره ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا لانه ربما راى
جاهل بعض الخصايص ثابتا في الحديث الصحيح فعمل به
اخذا باصل التاسي لانا مامورون باتباعه فوجب بيانها لتعرف فلا
يعمل بها فاي فايدة اهم من هذه الفايدة وهي معرفة الخصايص
ولذا قال الشمس الحطاب المالكي ذكرها اما مستحب او واجب وهو الظاهر
واما ما يقع في ضمن الخصايص مما لا فايدة فيه اليوم كتكليم
الجماد وسعي الشجر مما وجد لاظهار عظمته واثبات نبوته في زمنه وقد
ثبت ذلك في الامة وتحقق فلا فايدة يترتب عليها من اجتنابه محرم ونحوه
فقليل لا تخلو ابواب الفقه عن مثله حيث يذكر فيها الادلة لهم
وليتفقهوا في الجواب عن ادلة المخالفين للتدريب ومعرفة الادلة
وتحقيق الشي على ما هو عليه والا فلا فايدة فيها اذ لا يبطل المذاهب
المقررة انتهى كلام النووي وهو وجيه وقد تتبعت طلبت شيا بعد شي
بلا عجلة يقال تتبع فلان احوال فلان اي تطلبها شيا بعد شي في مهلة
ما شرف الله به نبينا اي اعطاه شرفا وتمييزا من الخصايص على
الانبيا كانشقاق القمر او على الامم وان شاركه الانبيا والايات عطف مرادف
او اعم بان يراد بها العلامات الدالة على نبوته وان شاركه فيها غيره في الجملة
لما مر انه لم يعط نبي معجزة الا واعطي نبينا ما يوازيها او يزيد عليها واكرمه
به من الفضايل جمع فضيلة وهي والفضل الخير وهو خلاف النقص
والنقيصة كما في المصباح وهذا شامل للمزايا القاصرة والمتعدية فقول
بعض الفضايل المزايا القاصرة كقيام الليل والفواضل جمع فاضلة وهي
المزايا المتعدية كالكرم مجرد اصطلاح والا فاللغة تشمل الامرين والكرامات
التي اكرم بها خارقة للعادة بخلاف الفضايل فلا يلحظ فيها كونها خوارق
عادات من كتب العلما متفرقة كالخصايص لابن سبع باسكان
البا وقد تقدم وخصايص الروضة للنووي ومختصرها للحجازي
وشرح الحاوي لابن الملقن العلامة سراج الدين عمر ابي حفص

وشرح البهجة لابن الوردي لشيخ الاسلام زكريا بن احمد
الانصاري واللفظ المكرم في خصايص النبي صلى الله عليه
وسلم للشيخ قطب الدين الخيضري ر استفدت منه كثيرا من
الخصايص في فصل المعجزات اضافة بيانية او من اضافة الصفة للموصوف
وحمله على مغايرة المضاف للمضاف بعيد كذا قرر شيخنا على قراءة
فصل بضاد معجمة مع انه بمهملة لان الخيضري عقد فصلا للمعجزات
غير الخصايص مع ما رايته الهمز المجرور بالحرف وهو كتب العلما اي
مصحوبا بما رايته اثنا مطالعتي لفتح الباري وشرح مسلم للنووي
وشرح تقريب الاسانيد للنووي للعراقي الشيخ ولي الدين وغير
ذلك عطف على فتح الباري مما يطول ذكره فيحصل لي من ذلك
جملة ذكرتها كلها لكن في ضمن تقسيم غير واحد لاربعة اقسام اذ كل
كتابة من كتبهم وان ذكر الاربعة لكنه لم يستوعبها كما استوعبتها بما
تحصل وقد قسمتها اي الخصايص غير واحد من الايمة اربعة اقسام
الاول ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الواجبات الثاني ما اختص
به من المحرمات الثالث المباحات الرابع الفضايل والكرامات كما ياتي له
وختمها بخصايص امته وقد زاد عليه غيره في كل قسم كثيرا وفوق
كل ذي علم عليم والحكمة في ذلك الاختصاص بالوجوب زيادة الزلفى
القرب المعنوي والدرجات العلى اي الثمرات المترتبة كالوسيلة ثمرة
لا ينافي ترتب ذلك على الواجبات انه افترع عليه جميع الكمال لانه من الازل لانه
لا يخالف توقفه على فعل واجب علم الله انه سيفعله فانه لن يتقرب
المتقربون الى الله تعالى بمثل اداء اي فعل ما افترض ايجابا وجب الله
عليهم لعدم وجود مثل الفرض لا مع وجوده كما يفهمه الكلام بحسب الظاهر
لكنه من اثبات الشي بدليله على نحو مثلك لا يبخل وليس كمثله شي وحاصل
المعنى ان اعظم شي يتقرب به فعل الفرض ثم المراد بالاداء اللغوي وهو فعل الشي
مطلقا فيشمل الواجب الذي لا وقت له محدود لا الاصطلاحي وهو فعل العبادة
قبل خروج وقتها وهو الزمن المعين لها شرعا ثم هذا تلميح بخبر البخاري عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب
وما تقرب الي عبدي بشي احب مما افترضته عليه الحديث قال امام الحرمين
في النهاية قال بعض علماينا الفريضة يزيد ثوابها على ثواب النفل اي المماثل
لها بسبعين ضعفا لحديث سلمان مرفوعا في شهر رمضان من تقرب
فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن ادى فريضة فيما سواه ومن ادى
فريضة فيه كان كمن ادى سبعين فريضة في غيره فقابل النفل منه
بالفرض في غيره وقابل الفرض فيه بسبعين فرضا في غيره ثم استشهد
بان الفرض يزيد على النفل بسبعين درجة من طريق المعنوي انتهى وتعقبه
بان الحديث ضعيف اخرجه ابن خزيمة وعلق القول به على صحته

والظاهر

والظاهر ان ذلك من خصايص رمضان ولذا قال النووي استانسوا
له بحديث في شهر رمضان قال بعضهم خص الله تعالى نبيه
بواجبات عليه لعلمه بانه اقوم بها منهم اي اقدر على القيام بها
من جميع الامة قال ابن الجوزي لما كانت الحمامة تزق فرخها لم تحمل غيره
بيضتين لانها لا تقوى على اكثر منهما ولما كانت الدجاجة لا تزق فرخها
كانت تحضن عشرين فاكثر ولما كان صلى الله عليه وسلم اقوى الحاملين
خص بواجبات لم تجب على غيره انتهى وقيل ليجعل اجره بها
بفعلها اعظم ثوابا من ثوابه فعل نفسه لو كانت مندوبة له فالفضل عليه اي
فعله لا بصفة الوجوب كما جزم به في الشرح وفي الشامية وقيل ليجعل اجره
بها اعظم من اجرهم وقربه منها ازيد من قربهم انتهى ثم هذا علم من قوله لن
يتقرب الخ فاختص صلى الله عليه وسلم بوجوب الضحى على المذهب
اي الراجح عند الشافعية وجزم به صاحب المختصر من المالكية لكنه شاذ كما
قال ابن شاس في الجواهر لكن قول عايشة في الصحيح ما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى اي يصلي صلاته سميت
الصلاة تسبيحا لاشتمالها عليه من تسمية الكل باسم البعض يدل على ضعف
انها كانت واجبة عليه ومن ثم قال في الجواهر انما قال بوجوبها بعض من شذ
قال الحافظ ابن حجر لم يثبت ذلك اي وجوبها عليه في خبر صحيح
قال وخبر احمد امرت بصلاة الضحى ولم تومروا بها فضعيف وصححه الحاكم
فذهل انتهى كلام الحافظ بما زدته وسياتي مزيد لذلك ان شا الله
تعالى في ذكر صلاة الضحى من مقصد عباداته عليه السلام وهو
التاسع وهل كان الواجب عليه اقل الضحى وهو ركعتان او اكثرها
وهو ثمان او ادنى الكمال وهو اربعة قال الحجازي لا نقل فيه اي لم ينصوا
له كما في الخادم لكن في مسند احمد عن ابن عباس مرفوعا امرت بركعتي الضحى
امر ايجاب بدليل قوله ولم تومروا بهما ففيه ان الواجب عليه اقل الضحى لكنه
حديث ضعيف وقد عارضه ما اخرجه احمد ايضا من حديث ابن عباس امرت
بالوتر وركعتي الضحى ولم يكتب وقد جمع العلما بين نفي عايشة روية يصليها
واثبات غيرها صلاتها بانه كان لا يداوم عليها مخافة ان تفرض على امته فيعجزوا
عنها فلو كانت واجبة لداوم عليها ومنها الوتر وركعتا الفجر كما رواه
الحاكم في المستدرك ورواه غيره من حديث ابن عباس ولفظ احمد والطبراني
عن ابن عباس رفعه ثلاث هن علي فريضة لازمة ولفظ الحاكم فرايض
وهي لكم تطوع الوتر وركعتا الفجر وركعتا الضحى قال الحافظ
يلزم من قال به وجوب ركعتي الفجر عليه ولم يقولوا به وان وقع في كلام بعض
السلف والامدي وابن الحاجب فقد ورد ما يعارضه وهذا الحديث ضعيف من
جميع طرقه وان استدركه الحاكم وقد اطلق الايمة عليه الضعف كاحمد
والبيهقي وابن الصلاح وابن الجوزي والنووي وغيرهم انتهى ولذا قال

بعضهم معارضاله وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام صلي الوتر
علي الراحلة قال ولو كان واجبا لما جاز فعله علي الراحلة
ونوقض بان فعله علي الراحلة من الخصايص ايضا كما سياتي
فيما اختص به عليه السلام من المباحات ان شا الله تعالي
واجيب بانه اي حمل فعله علي الراحلة من الخصايص وان جزم به النووي
علي مسلم يحتاج الي دليل ولم يوجد فهو في حقه سنة ولذا ادعي البلقيني
انه لم يكن واجبا عليه خلافا لما صححوه ولا دليل لمن قال واجبا عليه في الحضر
دون السفر كذا قال وهل كان الواجب عليه اقل الوتر ركعة ام اكثره ام
ادني الكمال وهو ثلاثة قال الحجازي لم ار فيه نقلا وقال الزركشي الظاهر
ان مرادهم الجنس وقياسا علي الضحي ونازعه شيخنا بالفرق بينهما لان الاقتصار
علي ركعة في الوتر خلاف الاولي او مكروه ولا كذلك الضحي فيكون الواجب عليه في
الوتر ادني الكمال ومنها صلاة الليل اي التهجد وعطفها علي الوتر للاشارة
الي مغايرتها له وهو ما رجحه الرافعي والنووي هنا ورجحا في صلاة التطوع
اتحادها ونقله في المجموع عن الام والمختصر ورجح هنا بما ذكره الرافعي
هناك من اعتبار وقوع التهجد بعد النوم بخلاف الوتر ومنع الغمولي هذا الاعتبار
رده الزركشي بمنع كون المصلي قبل نومه متهجدا قال تعالي ومن الليل
فتهجد به نافلة لك اي فريضة زايدة لك علي الصلوات المفروضة
فالمراد بالنافلة المعني اللغوي فلا ينافي الوجوب لا مقابله او فضيلة لك اما لك
لاختصاص وجوبه بك وهذا اي وجوب التهجد ما صححه الرافعي
ونقله النووي عن الجمهور ثم قال وحكي الشيخ ابو حامد ان الشافعي
نص علي انه نسخ وجوبه في حقه كما نسخ في حق غيره قال في شرح
البهجة وهو الاصح او الاصح وفي مسلم عن عايشة ما يدل عليه ومنها السواك
واستدلوا له اي لوجوبه بما رواه ابو داود من حديث عبد الله بن ابي
صوابه اسقاطه فهو ابن حنظلة ابن ابي عامر الراهب الانصاري له رؤية
وابوه غسيل الملايكة قتل يوم احد وام عبد الله جميلة بنت عبد الله بن ابي هو
استشهد عبد الله يوم الحرة في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وكان امير
الانصار بها ان رسول الله صلي الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل
صلاة طاهرا اي متوضيا او غير طاهر وظاهره ولو نفلا ورجحه الشيخ ولي
الدين لكن قال الحافظ سياق الحديث يخصصه بالمفروضة وكذا قاله الزركشي
ولا يحتاج فلما شق ذلك امر بالسواك لكل صلاة فرضا او نفلا حضرا
او سفرا وهذا الحديث صححه ابن خزيمة ولكن في اسناده محمد بن اسحق
ابن يسار وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس وان كان صدوقا وعنعنة
المدلس ليست مقبولة ما لم يصرح بالسماع ونحوه كما في الالفية وغيرها فقول
الشامي اسناده جيد وفيه اختلاف لا يضر فيه نظر لانه وان لم يضر الاختلاف
فيه علي بعض رواته فقد ضر تدليس ابن اسحق فلا يكون اسناده جيدا

وجهة

وجهة من لم يجعله واجبا عليه ما رواه ابن ماجة في سننه من
حديث ابي امامة الباهلي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
ما جاءني جبريل الا اوصاني بالسواك وصية استحباب وترغيب فيه
حتي خشيت ان يفرض علي وعلي امتي وهذا لو صح كان ظاهرا في
عدم الوجوب ولكن اسناده ضعيف وقد رواه احمد والطبراني باسناد
صحيح عن ابي امامة بلفظ الا امرني بالسواك حتي لقد خشيت ان احفي مقدم
فمي وروي احمد في مسنده من حديث واثلة بمثلثة ابن الاسقع
بالقاف قال رسول الله صلي الله عليه وسلم امرت علي لسان جبريل او بالالهام او
بالرؤيا بالسواك امر ندب حتي خشيت ان يكتب علي اي يفرض واسناده
حسن وقال المنذري وغيره فيه ليث بن ابي سليم وهو ثقة مدلس وقد
عنعنه والخصايص لا تثبت الا بدليل صحيح قاله في شرح تقريب
الاسانيد للحافظ ولي الدين العراقي لكن المعتمد عند المالكية والشافعية وجوبه
ومنها الاضحية بضم الهمزة وكسرها وشد اليا وخفتها اي التضحية قال
الله فصل لربك وانحر اضحيتك والامر للوجوب ولخبر الطبراني بسند صحيح
عن ابن عباس رفعه الاضحي علي فريضة وعليكم سنة اي التضحية علي واجبة
سميت باسم الوقت الذي تشرع ذكاتها فيه وهو ارتفاع النهار وروي الدارقطني
والحاكم عن ابن عباس انه صلي الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي
فرايض وفي رواية فريضة وهن لكم تطوع النحر والوتر وركعتا الفجر
مر هذا الحديث قريبا وانه ضعيف من جميع طرقه خلافا لاستدراك الحاكم
ومنها المشاورة لذوي الاحلام في غير الشرايع والاحكام قال الله تعالي له
وشاورهم في الامر فظاهره الايجاب وهو المعتمد عند الشافعية والمالكية
وقيل انه استحباب وكان وجه صرف الامر اليه عناه عنها انما هي لتطييب
لقلوبهم ونحو ذلك استمالة للقلوب راجع للقولين ومعناه استخراج
ارايهم ونقل البيهقي في كتاب معرفة السنن والاثار عن النص
اي نص الشافعي ان المشورة غير واجبة عليه فقال وصرف الشافعي الامر
الي الندب فقال هو كقوله البكر تستامر فانه تطييب لخاطرها لا واجب فالمشاورة
لاستمالة قلوبهم واستخراج ارايهم واستنباطا فهم انتهي كما نبه عليه
الحجازي وغيره ولكن المعتمد الوجوب وهو ما صححه الرافعي والنووي
واختلف في المعني الذي امر الله نبيه عليه السلام بالمشاورة مع كمال
عقله اذ لم يخلق اعقل منه ولا مثله كما مر وجزالة بفتح الجيم والزاي رايه
وتتابع الوحي عليه ووجوب طاعته علي امته فقال بعضهم هو
خاص في المعني وان كان عاما في اللفظ اي شاورهم فيما ليس عندك
من الله فيه عهد يدل عليه قراة ابن عباس وشاورهم في بعض الامر
وهذا وان عزاه لبعضهم لا يخالف فيه احد اذ ما فيه عهد من الله لا يشاور
فيه وقال الكلبي يعني ناظرهم في لقا العدو ومكايد الحرب عند

العدو بان يذكر لهم ما يتعلق به فان ذكروا خلافه كالخروج له او عدمه وكان الصواب خلافه بينه لهم وارشدهم اليه فان عارضوه بين ابهم اظهر لهم ما يترتب عليه حتى تستقر نفوسهم على حسن ما يختاره **وقال قتادة ومقاتل كانت سادات العرب** رؤساؤهم **اذا لم تشاور في الامر شق عليهم فامر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يشاورهم فانه ذلك اعطف لهم** اي اشد عطفا اي امالة لقلوبهم اليه رايه صلى الله عليه وسلم **واذهب لاضغانهم** اي حقدهم اي ما يقوم في نفوس القاصرين من عدم الميل اليه ما يشير عليهم به من امر الحرب ونحوه **واطيب لنفوسهم وقال الحسن** البصري **قد علم الله ان ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن** اي يقتدي به **من بعده وحكى القاضي ابو يعلى في الذي امر بالمشاورة فيه قولين احدهما في امر الدنيا خاصة والثاني في امر الدين والدنيا وهو الاصح** وقد كان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة **قال العاقولي** ابن زكريا بن يحيى بن حميد الحافظ العلامة المفسر الثقة النهرواني كان على مذهب ابن جرير ولذا يقال له الجريري **في تفسيره والعلة في المشاورة في الدين التنبيه لهم على علل الاحكام وطريق الاجتهاد** فلا يرد انه لا معنى للقول الاصح لانه لا يرجع اليه مشورتهم لو اشاروا بخلافه **واخرج ابن عدي والبيهقي عن ابن عباس قال لما نزلت وشاورهم في الامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما** بتخفيف الميم **ان الله ورسوله لغنيان عنها** قال ابن مالك في شرح الكافية يجوز كسر ان بعد اما مقصودا بها معنى الا الاستفتاحية فان قصد بها معنى حقا فتحت **ولكن الله جعلها رحمة لامتي** تطييبا لنفوسهم وتسهيلا لاعتيادهم ذلك واتباعه **وعند الترمذي الحكيم** محمد بن علي وكذا عند الديلمي بسند ضعيف **من حديث عايشة رفعته ان الله امرني بمداراة الناس** اي بملاطفتهم وملاينتهم ومن ذلك المشاورة والامر للوجوب **كما امرني باقامة الفرايض** وفي رواية بدله الفران اي امرني بملاطفتهم قولا وفعلا والرفق بهم وتالفهم ليدخل من يدخل في الدين ويكفي المسلمين شر من قدر عليه الشقا واذا قال الحكيم هذا امر لا يصلحه الا لين من غير ضعف وشدة بلا عنف وهذه هي المداراة اما المداهنة وهي بذل الدين لصلاح الدنيا فمحرمة وامره بالمداراة لا يعارض امره بالاغلاظ على الكفار وبعثه بالسيف لان المداراة تكون اولا فان لم تفد فالاغلاظ فان لم يفد فالسيف **ومنها مصابرة العدو** اي قتال الكفار **وان كثر عددهم** حتى قال بعض اصحابنا ولو اهل الارض لان الله وعده بالعصمة من الناس ولانه كما قال الرازي عنده العلم باعلام الله بكيفية الرسل فيعلم انه لا يتعجل شي عن وقته ولا يتاخر شي عن وقته بخلاف غيرهم من المكلفين فليس لهم مثل هذا الايمان ولا مثل هذا اليقين قال الجلال البلقيني وهو حسن افتنا عي زايد الانموذج واذا بارز رجلا في الحرب لم يول عنه قبل قتله **ومنها تغيير المنكر** وهو ما قبحه

الشرع

الشرع قولا او فعلا ولو صغيرة **اذا راه** مطلقا ووجه الخصوصية انه فرض عين عليه بخلاف غيره فكفاية كما ذكره الجرجاني وغيره ففي قوله **لكن قد يقال كل مكلف تمكن من تغييره يلزمه تغييره** شي لانه كفايي **فيقال** في دفع هذا الاستدراك **المراد انه لا يسقط عنه صلى الله عليه وسلم بالخوف** على نفسه او عضوه او ماله فان الله وعده بالعصمة اي بحفظ روحه فلا يرد نحو شج راسه على انه قبل نزول الاية فالعصمة محققة له ان الله لا يخلف الميعاد **بخلاف غيره** من الامة فيسقط عنه اظهار الانكار للخوف على ما ذكر زاد في الانموذج ولا يسقط اذا كان المرتكب يزيده الانكار اغراء لئلا يتوهم اباحته بخلاف ساير الامم ذكره السمعاني في القواطع انتهى وهذا هو المعتمد خلافا للغزالي فالحاصل انه واجب عليه عينا بلا شرط **ومنها قضاء دين من مات مسلما معسرا** لم يترك ما يوفي منه دينه **وروى مسلم** لا وجه لتخصيصه بل روى البخاري واحمد والنسائي وابن ماجة **حديث** ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوتى بالرجل المتوفي عليه دين فيسال هل ترك لدينه قضا فان حدث انه ترك قضا صلى عليه والا قال صلوا على صاحبكم فلما فتح الله عليه الفتوح قال **انا اولى بالمومنين من انفسهم** في كل شي من امور الدارين لانه الخليفة الاكبر الممد لكل موجود فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وان حكمه انفذ عليهم من حكمها قال بعض الصوفية وانما كان كذلك لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم الى النجاة فيجب عليهم ايثار طاعته على شهوات نفوسهم وان شق عليهم وان يحبوه باكثر من محبتهم لانفسهم ومن محاسن اخلاقه الحسنية انه لم يذكر ما له في ذلك من الحقوق بل اقتصر على ما هو عليه فقال **فمن توفي** بالبنا للمجهول اي توفاه الله اي مات من المومنين **وعليه دين** بفتح الدال وفي رواية فترك دينا **فعلي قضاوه** قال ابن بطال هذا ناسخ لتركه الصلاة على من مات وعليه دين **ومن ترك مالا** اي حقا فالمال اغلبي اذ الحق يورث كالمال **فلورثته** وفي رواية البخاري فلترثه عصبته من كانوا وهذا تفريع على الاولوية العامة له وعليه لا تخصيص لها كما فهمه القرطبي فاعترض التعميم بانه صلى الله عليه وسلم قد تولى تفسيرها ولا عطر بعد عروس بل افاد فايدة حسنة وهو ان مقتضى الاولوية مرعي في جانبه ايضا لكنه ترك ذكره ذلك تكرما قال الداودي المراد بالعصبة هنا الورثة لا من يرث بالتعصيب وقيل المراد قرابة الرجل وهم من يلتقي مع الميت في اب ولو علا وقال الكرماني المراد بالعصبة بعد اصحاب الفروض ويوخذ حكمهم من ذكر العصبة بطريق الاولى ويشير الى ذلك قوله من كانوا فانه يتناول انواع المنتسبين اليه بالنفس او بالغير قال ويحتمل ان يكون من شرطية **قال النووي كان هذا القضا واجبا عليه صلى الله عليه وسلم** قال ابن بطال اي مما يفيء الله عليهم من الغنائم والصدقات قال وهكذا يلزم

المتولي لامر المسلمين أن يفعله بمن مات وعليه دين انتهى وهذا هو الراجح
عند الشافعية فان لم يفعل فالاثم عليه ان كان حق الميت في بيت المال يفي
بقدر ما عليه من الدين والا فبقسطه والراجح عند المالكية انه من ماله الخاص
به عليه السلام اذ حمله علي مال المصالح لا يحصل به خصوصية قال ابن بطال
فان لم يعط الامام عنه من بيت المال لم يحبس عن دخول الجنة لانه يستحق
القدر الذي عليه في بيت المال مثلا قال الحافظ والذي يظهر ان ذلك يدخل في المقا
وهو كمن له حق وعليه حق وذلك انهم اذا خلصوا من الصراط حبسوا عند
قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون المظالم حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول
الجنة فيحمل قوله لا يحبس اي معذبا مثلا انتهى وقيل لم يكن واجبا بل هو متبرع
منه والخلاف المذكور وجهان لاصحابنا وغيرهم والارجح الوجوب قال
أي النووي ومعنى الحديث انه عليه السلام قال انا قايم بمصالحكم في
حياة احدكم او موته انا وليه في الحالين فان كان عليه دين قضيته
من عندي ما لي الخاص بي او مال المصالح القولان ان لم يخلف وفا وان كان
له مال فلورثته لا اخذ منه شيا وان خلف عيالا محتاجين ضايعين
فليأتوا الي فعلي نفقتهم ومؤنتهم هذا زايد عن معنى الحديث اتي به من
الحديث الاخر انتهى كلام النووي قال الحافظ قال العلما كان الذي فعله صلى
الله عليه وسلم من ترك الصلاة علي من عليه دين ليحرض الناس علي قضا
الديون في حياتهم والتوصل الي البراة منها لئلا تفوتهم صلاته عليهم وهل صلاته
علي المدين محرمة عليه او جايزة وجهان قال النووي الصواب الجزم بالجواز
مع وجود الضامن كما في حديث مسلم وحكى القرطبي انه ربما كان يمتنع من
الصلاة علي من اذان دينا غير جايز واما من استدان لامر جايز فلا يمتنع وفيه
نظر لان الحديث دال علي التعميم حيث قال من توفي وعليه دين ولو كان الحال
مختلفا لبينه ثم جا عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم لما امتنع من
الصلاة علي من عليه دين جاء جبريل فقال انما الظالم في الديون التي حملت في
البغي والاسراف فاما المتعفف ذو العيال فانا ضامن له اودي عنه فصلى
عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعد ذلك من ترك ضياعا الحديث وهو
ضعيف وليس فيه ان التفصيل المذكور كان مستمرا وانما فيه انه طرا بعد ذلك
وانه السبب في قوله من ترك دينا فعلي وفي وجوب قضايه علي الامام
من مال المصالح اي مال بيت المال وجهان المعتمد عدم الوجوب مطلقا
عندهم والراجح عند المالكية وجوبه من بيت المال علي الايمة اذا عجز عن
الوفا قبل الموت وتداينه في غير معصية او فيها وتاب منها قال الشهاب
القرافي واحاديث الحبس عن الجنة منسوخة بما جعله الله علي الايمة
من وجوب وفا دين المسلم الميت بالقدين من بيت المال قال وانما كان ذلك قبل
الفتوحات لكن قال الامام من استدان وهو معسر الي ان مات
لم يقض دينه من بيت المال فانه كان ظلم بالمطل ففيه احتمال والاولى

صح

لا يقضي

لا يقضي والله اعلم بالحكم ومنها تخيير نسايه مصدر مضاف لمفعوله
اي المصطفى تخيير نساه في فراقه وفي بقايهن معه ومنها امساكهن
فرفع عطفا علي تخيير لا بالجر لفساده اذ يصير المعنى يجب عليه التخيير
في الفراق وفي الامساك بعد ان اخترنه مكافاة لهن وهذا في احد الوجهين
والثاني لم يحرم عليه الطلاق اصلا بل له الفراق بعد اختيارهن البقا وهو
الاصح كما قاله شيخ الاسلام وغيره ووجوب ترك التزوج عليهن
بعد ان اخترنه وترك التبدل فهو بالخفض عطف علي التزوج بهن
مكافاة لهن قال تعالى لا تحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من
ازواج ولو اعجبك حسنهن ثم نسخ ذلك بقوله يا ايها النبي انا احللنا
لك الاية لتكون المنة له عليه السلام عليهن بامساكهن وترك التزوج
عليهن قال الله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحياة الدنيا اي ان كانت اعظم همتكن واقصى طلبكن الدنيا اي التمتع
بها والنيل من نعيمها وزينتها المال والبنين الاية اي جنسها ليشملها
والتي بعدها اذ كلاهما مراد ولما نزلت بدا بعايشة وقال اني ذاكر لك امرا فلا
تبادريني بالجواب حتى تستامري ابويك فاختارته وقالت يا رسول الله
لا تقل اني اخترتك فقال ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا وانما بعثني معلما
ميسرا رواه الشيخان عن عايشة ومعنتا بكسر النون اي مشقا علي عباده
ومتعنتا اي طالبا للعنت وهو العسر والمشقة واختلف في صفة تخييره
لهن علي قولين احدهما انه خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن
وبين اختيارهن الاخرة فيمسكهن ولم يخيرهن في الطلاق وهذا
قول الحسن البصري وقتادة بن دعامة واكثر اهل العلم كما قال البغوي
وهو ظاهر القران قال غيره وهو الصحيح لقوله تعالى فتعالين امتعكن
واسرحكن فلو اخترن الدنيا لم يقع عليه طلاق حتى يوقعه هو والثاني انه
خيرهن بين الطلاق بان فوضه اليهن فلو اوقعنه لوقع وبين المقام
معه فلا يقع عليه وهذا قول عايشة ومجاهد والشعبي عامر بن
شراحيل ومقاتل بن
واختلفوا في السبب الذي لاجله خير صلى الله عليه وسلم نساه
علي اقوال احدها ان الله تعالى خيره بين ملك الدنيا ونعيم
الاخرة فيقدمه علي نعيم الدنيا فاختار الاخرة وقال فيما رواه ابن
ماجة وغيره اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني
في زمرة بضم الزاي جماعة المساكين اي اجعلني منهم قال اليافعي وناهيك
بهذا شرفا ولو قال واحشر المساكين في زمرتي لكفاهم شرفا قال البيهقي
لم يسال مسكنة ترجع الي القلة بل الي الاخبات والتواضع ولذا قال شيخ
الاسلام زكريا معناه طلب التواضع والخضوع وان لا يكون من الجبابرة
المتكبرين والاغنيا المسرفين وتقدم مزيد لهذا في الفصل الثالث من المقصد

بياض

الثالث فلما اختار ذلك امره الله تعالى بتخيير نسايه ليكن عليه
مثل اختياره فليس امره بذلك لمعنى قام بهن من طلب شي ونحوه
بل ليلا يكون مكرها لهن على ما اختاره لنفسه حكاه ابو القاسم
النميري بضم النون وفتح الميم وسكون التحتية والنسبة الى نمير بن عامر
ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن كما في اللباب الثاني لانهن تغايرن
عليه قال قتادة سببه الاية غيرة غايرتها عايشة وقال ابن زيد وقع بين ازواجه
تغاير ونحوه مما يتغير به مزاجه فنزلت حكاها ابن عطية والثالث لان
ازواجه الاولى حذف اللام فيه وفيما قبله طالبنه بالنفقة وشططن عليه
في تكليفه منها فوق سعته وكان غير مستطيع فكان اولهن ام سلمة
سالته سترا معلما بضم الميم وسكون المهملة وفتح اللام اسم مفعول من
اعلمت الثوب اي جعلت له علما من طراز ونحوه وسالته ميمونة بنت الحارث
الهلالية حلة يمانية وسالته زينب ابنة جحش الاسدية لما تقدم في
الزوجات ان اية التخيير انما نزلت وفي عصمته التسع التي توفي عنهن فليس
المراد زينب ابنة خزيمة لموتها عنده صلى الله عليه وسلم قبل نزول الاية
ثوبا مخططا وهو البرد اليماني وسالته ام حبيبة بنت ابي سفيان
الاموية ثوبا سحوليا بشين وحا مهملتين قال المصباح مثل رسول بلدة
باليمن يجلب منها الثياب وينسب اليها على لفظها فيقال اثواب سحولية
وبعضهم يقول سحولية بالضم نسبة الى الجمع اي وهو سحل بضمتين اذا لم يكن
علما وكان له واحد من لفظه ترد الى الواحد بالاتفاق وسالته كل واحدة
من باقي التسع شيا الا عايشة حكاه النقاش في تفسيره والرابع ان
ازواجه عليه السلام اجتمعن يوما فقلن نريد ما تريد النسا من
الحلي فانزل الله اية التخيير حكاه النقاش ايضا وذلك انه لما نصر
الله تعالى رسوله وفتح عليه قريظة بالظا المشالة والنضير ظن
ازواجه انه اختص بنفايس اليهود وذخايرهم بذال وخا
معجمتين اموالهم المعدة لوقت الحاجة جمع ذخيرة فقعدن حوله وقلن
يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل ونحن
على ما تراه من الفاقة اي الحاجة والضيق والمن قلبه لطالبتهن
له بتوسعة الحال مع استخلاف مراده وان يعاملن بما تعامل به
الملوك والاكابر ازواجهم من الحلي والحلل وتوسيع العيش فامره الله
تعالى ان يتلو عليهن ما نزل في امرهن ليلا يكون لاحد منهن
عليه منة في الصبر على ما اختاره من خشونة العيش واخرج
مسلم واحمد والنسائي عن جابر اقبل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يوذن له ثم اقبل عمر فاستاذن فلم يوذن له ثم اذن لهما
فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساوه وهو ساكت فقال عمر
لاكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك فقال عمر يا رسول الله لو رايت

ابنة

ابنة زيد امراة عمر سالتني النفقة انفا فوجات عنقها فضحك النبي صلى
الله عليه وسلم حتى بدا ناجذه وقال هن حولي يسالنني النفقة فقام ابو
بكر الى عايشة يضربها وقام عمر الى حفصة كلاهما يقول تسالان النبي صلى
الله عليه وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله فقال نساوه والله
لا نساله بعد هذا المجلس ما ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا ثم نزلت عليه
هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك الى عظيما فبدا بعايشة فقال اني ذاكر لك
امرا ما احب ان تعجلي فيه حتى تستامري ابويك قالت ما هو فتلا عليها
يا ايها النبي قل لازواجك الاية قالت افيك استامر ابوي بل اختار الله ورسوله
وفي البخاري وغيره عن عمر في قصة المراتين اللتين تظاهرتا فذكر الحديث
بطوله وفيه فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم من اجل ذلك الحديث حين
افشته حفصة الى عايشة وكان قد قال ما انا بداخل عليهن شهرا من
شدة موجدته حين عاتبه الله فلما مضت تسع وعشرون دخل على عايشة
قالت فانزلت اية التخيير فبدا بي اول امراة قال في فتح الباري فيتفق الحديثان
على ان اية التخيير نزلت عقب فراغ الشهر الذي اعتزلهن فيه لكن اختلفا
في سبب الاعتزال ويمكن الجمع بان يكونا جميعا سبب الاعتزال فان قصة
المتظاهرتين خاصة بهما وقصة سوال النفقة عامة في جميع النسوة ومناسبة
اية التخيير لقصة سوال النفقة اليق منها بقصة المتظاهرتين انتهى
فلما اخترنه كلهن على الصحيح الثابت في البخاري ومسلم وغيرهما وما
يروى عند ابن اسحاق ان فاطمة بنت الضحاك الكلابية اختارت الدنيا فكانت
تلقط البعر وتقول هي الشقية وعند ابن سعد ان العامرية اختارت قومها
فكانت تقول هي الشقية فضعفه ابن عبد البر وتبعوه بان الاية انما نزلت
وهي في عصمته التسع اللاتي توفي عنهن وقد صرحت عايشة في الصحيحين
بانهن كلهن اخترن الله ورسوله والدار الاخرة وقد تقدم بسط ذلك في
الزوجات وصبرن معه عوضهن اي قابلهن الله على صبرهن
بامرين البا للمقابلة وهي الداخلة على الاعواض اثمانا او غيرها اثمان نحو
اشتريته بالف وكافات احسانه بضعف فالمعنى جعل لهن عوضا عن
صبرهن امرين احدهما ان جعلهن امهات المومنين في الاحترام
والتعظيم لا في الخلوة بهن ومنع نكاح بناتهن واخواتهن كما افاده قوله
تعظيما لحقهن وتاكيدا لحرمتهن وتفضيلا لهن على ساير النسا
وهذا يصلح جعله امرا مستقلا وان ادرجه المص فيما قبله بقوله يا نسا
النبي لستن كاحد من النسا قال السبكي ظاهر الاية ان ازواجه صلى
الله عليه وسلم افضل النسا مطلقا حتى مريم وظاهرها ايضا تفضيلهن
على بناته الا ان يقال بدخولهن في اللفظ لانهن من نسا النبي نقله عنه
السيوطي في الاكليل واقره والثاني ان حرم عليه طلاقهن والاستبدال
بهن فقال لا تحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج الاية

نظر ان تحريم طلاقهن مستدام في احد الوجهين والاخر ان له الفراق
بعد اختيارهن البقا معه وهو الاصح كما مر واما قوله تعالى من بعد ففيه
خلاف نقل انها خطرت عليه النسا الا التسع اللواتي كن عنده قال ابن
عطية وكان الاية ليست متصلة بما قبلها وقال ابي بن كعب وعكرمة اي من
بعد الاصناف التي سميت ومن قال الاباحة كانت مطلقة قال هنا معناه لا تحل
لك اليهوديات ولا النصرانيات وهذا تاويل فيه بعد وان روي عن مجاهد انتهى
واما تحريم التزوج عليهن فنسخ قالت عائشة ما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا يعني اللاتي حرمن عليه
ولذا تزوج كما مر تفصيله في الزوجات وقيل الناسخ لتحريمهن عليه قوله
تعالى انا احللنا لك ازواجك الاية وان تقدم عليه في التلاوة وفي ابن عطية
ذهب هبة الله الى ان قوله تعالى ترجي من تشا الاية ناسخ لقوله لا تحل لك
النسا من بعد الاية وقال ليس في كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخ الا هذا قال
وكلامه مضعف من جهات انتهى قال النووي في الروضة لما خيرهن
فاخترنه كافاهن الله عز وجل على حسن صنيعهن بالجنة فقال
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد يسير وضياء للمحسنات
المطيعات منكن اجرا عظيما اي الجنة كما قال انتهى وانما اختص صلى
الله عليه وسلم بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح والامساك لان
الجمع بين عدد منهن يوغر بضم التحتية وكسر المعجمة وبالرا اي يهيج صدورهن
بالغيظ والضغن والعداوة اي بسببها بالغيرة التي هي اعظم الالام
وهو اي الالم ايذا يكاد ينفر القلب ويوهن الاعتقاد وكذا الزامهن
على الصبر والفقر يؤذيهن ومهما القي زمام الامر اليهن بالتخيير
خرج عن ان يكون ما هن عليه ضررا فلا يرد الا علي انه يكون ضارا لهن و
فنزه عن ذلك منصبه العالي على كل منصب وقيل له يا ايها النبي قل
لازواجك الايتين ومنها اتمام كل تطوع شرع فيه حكاه في الروضة
واصلها قال النووي وهو ضعيف بخبر مسلم انه قال لعايشة ذات يوم
هل عندكم شي قالت اهدي لنا حيس قال هاتيه فاكله ثم قال لقد كنت اصبحت
صايما فلو وجب عليه لم يفطر بعد الشروع في الصوم وفرعه بعض الاصحاب
على انه كان يحرم عليه اذا لبس لامته اي درعه تجمع على لام مثل تمرة
وتمر وعلى لوم كنغر على غير قياس كانه جمع لومة قاله الجوهري ان ينزعها
حتى يلقى العدو ويقاتل ذكره في تهذيب الاسماء واللغات الواقعين في
الشرح الكبير للرافعي على وجيز الغزالي ومنها انه كان يلزمه اذا فرض
الصلاة بلا خلل يفسد كمالها قاله الماوردي وايضاحه ما قال العراقي
ابو اسحاق ابراهيم بن منصور المصري ولد بمصر سنة عشر وخمسماية وقيل
له العراقي لانه سافر الى بغداد واقام بها مدة يشتغل ثم عاد الى مصر وتولى
خطابة الجامع العتيق مات سنة ستة وتسعين في شرح المهذب وهو
شرح

شرح حسن قاله السيوطي انه كان معصوما عن نقص الفرض
انتهى والمراد خلل لا يبطل الصلاة كترك خشوع فاما المبطل فلا
يتوهم وقوعه منه والحق بالصلاة غيرها من عباداته كالصوم وقال
بعضهم من خصايصه انه كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم اذا
راى ما يعجبه ان يقول لبيك ان العيش عيش الاخرة المعتبر الدايم
لا عيش الدنيا لكدره وكونه مع المنغصات الكثيرة ثم هو فان وان طال
قل متاع الدنيا قليل ثم قال هذا البعض هذه الكلمة صدرت منه
صلى الله عليه وسلم في انعم حالة يسر بها ويحتمل انها ضمير عايد له
عليه السلام وهذا انسب بقوله وهو يوم حجه بعرفة وفي اشد حاله
وهو يوم الخندق انتهى ما قاله بعضهم وهو وجه حكاه في الروضة
واصلها كما في الانموذج قال شارحه والثاني لا يجب وهو الاصح لانه راى
ما يعجبه يوم وقعة بدر التي اعز الله فيها الاسلام واهله والفتح الاعظم
الذي هو فتح مكة ولم ينقل انه قاله مع توفر الدواعي على نقله فلو وقع
لنقل انتهى ومنها انه كان يوخذ عن الدنيا حالة الوحي اي عند تلقيه
ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وساير الاحكام التي كلف بها بل هو
مخاطب بها في تلك الحالة وهو اية كمال عقله فيها وان اخذه انما هو بحسب
الظاهر لا الحقيقة كما ذكره النووي في زوايد الروضة عن ابن القاص
والقفال وكذا ذكره ابن سبع والبيهقي وغيرهم وحديث شان الوحي في
الصحيحين صريح في انه صلى الله عليه وسلم كان ينتقل من حالته المعروفة
الى حالة تستلزم الاستغراق والغيبة عن الحالة الدنيوية حتى ينتهي الوحي
ويفارقه الملك قال السراج البلقيني وهي حالة يوخذ فيها عن حال الدنيا
من غير موته فهو مقام برزخي يحصل له عند تلقي الوحي ولما كان البرزخ
العام ينكشف فيه للميت كثير من الاحوال خص الله نبيه ببرزخ في الحياة
يلقي الله فيه وهو مشتمل على كثير من الاسرار وقد وقع لكثير من الصلحا عند
الغيبة بالنوم او غيره اطلاع على كثير من الاسرار وذلك مستمد من المقام
النبوي ويشهد لذلك حديث رويا المومن جز من ستة واربعين جزا من
النبوة انتهى وتوقف شيخنا في عد هذا خصوصية حيث كان عقله في تلك
الحالة حاضرا لانه لو حصل مثله لاحاد البشر خرقا للعادة فاستغرق في
مشاهدة الله مع حضور قلبه ومعرفة ما يرد عليه من نفع او ضر لكان مكلفا
اللهم الا ان يقال عند خصوصية لكمال استغراقه حتى انه ما يدركه في الحالة
كادراكه في حال نومه للمعاني والاحكام لانه لا ينام قلبه وذلك بحسب ظاهر
الحال يقتضي عدم التكليف انتهى فليتامل ومنها انه كان يغان بغين
معجمة من الغين وهو الغطا قال النووي والميم بمعنى والمراد هنا ما يغشى
على قلبه فيستغفر الله سبعين مرة رواه الترمذي عن ابي هريرة
رفعه اني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة ورواه النسايي وابن حبان

من حديث انس بلفظ اني لاتوب الى الله في اليوم سبعين مرة وروى البخاري
عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله
واتوب اليه اكثر من سبعين مرة قال السيوطي رحمه الله المختار ان هذا من
المتشابه الذي لا يخاض في معناه وقد سئل عنه الاصمعي فقال لو كان قلب غير
النبي صلى الله عليه وسلم لتكلمت عليه ولكن العرب تزعم ان الغين الغيم الرقيق
انتهى ذكره ابن القاص وتعقبه عنه ابن الملقن في كتاب الخصائص
واقره ولا يخفى ان ضمير منها لما وجب عليه لكن في الجزم بعزوه لابن القاص
والملقن نظر لعدم تصريحهما بالوجوب انما قالا وكان يغان على قلبه فيستغفر الله
سبعين مرة ولذا اشار السيوطي الى التوقف في مراد ابن القاص وتابعه فقال
بعد نقله وعبارة ابي سعد في شرف المصطفى ويستغفر الله في كل يوم سبعين
مرة ولا ادري وعبارة رزين ومما وجب عليه ان يستغفر الله في كل يوم سبعين
مرة ورواه مسلم في الدعوات وابو داود في الصلاة من حديث الاغر
بفتح الهمزة والغين المعجمة وبالراء ابن عبد الله ويقال ابن يسار المزني ويقال
الجهني من المهاجرين ومال ابن الاثير الى التفرقة بين المزني والجهني وليس
بشيء لان مخرج الحديث واحد وقد اوضح البخاري العلة فيه وان مسعرا انفرد
بقوله الجهني فازال الاشكال قال ابن السكن حدثنا محمد بن الحسن عن
البخاري قال كان مسعر يقول في روايته عن الاغر الجهني والمزني اصح وجزم
ابو نعيم وابن عبد البر بان المزني والجهني واحد وكذا بينه في الاصابة فقوله في
التقريب ومنهم من فرق بينهما هو بقاف اوله وقاف اخره اي جعلهما اثنين
اشارة لابن الاثير وتصحفت في عبارة بفاء اوله وبنون اخره من النساخ
فاحوجت الشارح الى قوله ولعل وجه من قرن بينهما انه كان من احد القبيلين
نسبا وحليفا للاخرى او نحوه كذا بلفظ انه اي الشان ليغان على قلبي
نايب فاعل يغان اي ليغشى قلبي وقال الطيبي اسم ان ضمير الشان والجملة
بعده خبر له ومفسرة والفعل مسند الى الظرف ومحله رفع بالفاعلية اي المجازية
وهي النيابة واني لاستغفر الله اي اطلب منه الغفر اي الستر هذا ظاهره
قال الحافظ ويحتمل ان المراد هذا اللفظ بعينه ويرجحه ما اخرجه النسائي
بسند جيد عن مجاهد عن ابن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه في المجلس قبل ان يقوم
مائة مرة وله عن نافع عن ابن عمر ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في
رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور مائة مرة في اليوم الواحد من
الايام ولم يرد يوما معينا مائة مرة لا يعارض رواية سبعين لان المراد الكثرة
لا التحديد ولا الغاية فالمراد استغفره دائما ابدا وخص المائة لكمالها في العدد
المركب من الاحاد والعشرات حتى انما زاد عليها كالتكرير لذلك كما اشار اليه
الحراني لكن قال في الفتح والمطالع كل ما في الحديث من التعبير بالسبعين قيل هو
على ظاهره وحصر عدده وقيل المراد التكثير والعرب تضع السبع والسبعين

والسبعماية

والسبعماية موضع الكثرة قال في الفتح وقوله في رواية البخاري اكثر من
سبعين يحتمل ان يفسر بالرواية مائة ووقع عند النسائي من رواية معمر عن
الزهري بلفظ اني لاستغفر الله في اليوم خمسماية مرة لكن خالف معمرا اصحاب
الزهري في ذلك هذا لفظ مسلم وقال ابو داود في كل يوم بدل قوله
في اليوم ولا منافاة بينهما لان المراد باليوم ما صدقه وهو يتحقق مع
ذلك كما يتحقق في بعض الايام قال الشيخ ولي الدين العراقي والظاهر
ان الجملة الثانية اي قوله واني لاستغفر الله الخ مرتبة على الاولى
التي هي انه ليغان على قلبي وان سبب الاستغفار الغين ويدل
لذلك قوله في رواية النسائي في عمل اليوم والليلة انه ليغان على
قلبي اي يدوم اثر ذلك حتى استغفر الله كل يوم مائة مرة فيزول
وفي رواية له ايضا فاستغفر الله فصرح بفاء السببية والفاظ الحديث
المختلفة يبين بعضها بعضا فتحمل الجملة الثانية على انها مسببة
عن الاولى فتتوافق الروايتين ويحتمل من حيث اللفظ بقطع النظر عن
الروايتين ان تكون الجملة الثانية كلاما براسه غير متعلقة بما
قبله فيكون عليه السلام اخبر بانه يغان على قلبه واخبر بانه
يستغفر الله في اليوم مائة مرة وليس الاستغفار مسببا عن الغين
ثم اخبر بحصول الغين مع كثرة الاستغفار فالظن بمن ليس كذلك والجملة
حال مقدرة انتهى لكن الوجه الاول لقاعدة المحدثين ان خير ما فسرته
بالوارد وقال ابو عبيد القاسم بن سلام بالتشديد البغدادي الامام المشهور
المصنف الثقة الفاضل المتوفى سنة اربع وعشرين ومائتين في غريب الحديث
اصل الغين اي ما وضع له اولا في هذا ما يغشى بفتح اليا والشين المخففة
او بضمها وكسر الشين مشددة والاول اظهر القلب اي يعرض له او يحزنه
ويغطيه عطف تفسير وهو استعارة لما يشغله واصله اي ما وضع له
اولا ماخوذ من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها فاطلق على
ما يغشى القلب لاشتراكهما في مجرد التغطية وقال غيره الغين شيء
يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية اي لا يغطيه كله كالغيم الرقيق
الذي يعرض في الهوا اي في الجو فلا يمنع ضوء الشمس لرقته
قال القاضي عياض في الشفا بعد حكايته لذلك المذكور عن ابي عبيد
وغيره فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات
نفسه اي فتورها وسهوها اي زوال صورتها عن الفكر وبين ما عقل
عنه من فتور وسهو فقال عن مداومة الذكر اي ذكره لله بلسانه وقلبه
ومشاهدة الحق ان اريد به الله تعالى فالمراد مشاهدته في مزاياه
مصنوعاته حتى كانه يراه عيانا وان اريد الحق الثابت المتيقن من العلوم
الحقة والامور اليقينية الدينية فهو واضح ولما كان هذا الالتباس مقامه
صلى الله عليه وسلم اشار الى دفعه بما لم يتنبه له المعترض بالتعقب

الانبيا فقال بما اي بسبب ما كان صلي الله عليه وسلم دفع اليه بالبنا
للمجهول اي فوض اليه واعطيه من مقاساة البشر اي مكايدتهم وتحمل
مشاقهم وسياسة الامة تدبيرهم وامرهم بما يصلح شانهم من ساسه يسوسه
اذا قام عليه لاصلاح اموره وهو لفظ عربي لا معرب كما توهم وهي حكم مخصوص
بما يكون بطريق القهر والضبط ومعاناة الاهل اي تحمل المشاق من
جهتهم اي الاعتنا بامورهم والتقيد بما فيه معاشهم ومقاومة الولي
من يواليه ويتبعه اي القيام معه بالمناصرة والحفظ والعدو بدفع شره
وحمله علي الاسلام والتمسك بالحق ومصلحة النفس اي نفسه في امور
معاشه وكلفه بالبنا للمفعول معطوف علي دفع اليه من اعبا بفتح واسكان
اخره جمع عبي بالكسر وبفتح اي اثقال حاصلة بمعنى اداء الرسالة وهو
ما يكونه له في تبليغها ودعوة الخلق وحمل بفتح اوله الامانة اي ما استودعه
الله تعالي من اسراره واعطا كل ذي حق حقه وليس المراد بها ما عنا الله التي
اوجبها عليه كما قيل كذا في النسيم وحمله شيخنا علي ما نفاه فقال اي ما كلفه
من الاحكام الشرعية سميت امانة لوجوب ادايها كما يجب ادا الوديعة مثلا لمالكها
انتهي والمثبت اوجه وهو صلي الله عليه وسلم في كل هذا المذكور في طاعة
ربه وعبادة خالقه عطف خاص علي اعم وهذا دفع لتوهم انه كان اللايق
ان لا يشغله شي عن ذكر ربه ومشاهدته بانه لم يشغله به لحظوظ نفسانية
ولا لامور رياسية وانما الله شغله بذلك فما حصل ذلك الا لخدمته التي امره الله
بها ولما ورد عليه اذا كان هذا طاعة وعبادة فلم استغفر منه وجهه علي
طريق الاستدراك بقوله ولكن لما كان صلي الله عليه وسلم ارفع اعلا الخلق
عند الله مكانة اي رتبة ومنزلة واعلاهم درجة تمييز واتمهم اكملهم
به اي الله معرفة فهو اعرف بالله ممن سواه واخر هذا لانه مرتب علي ما
قبله في المعقول والمحسوس وكانت حالته امره وشانه عند خلوص قلبه
لله بحيث لا يمر به سواه وخلو همه وتفرده بربه اي جعل امره منفردا
بالتوجه لجانبه الاعلي فيكون قلبه معه وحده في خلوته فانه ذاكر الله جليس
الرحمن كما ورد عنه صلي الله عليه وسلم واقباله بكليته اي ذاته كلها
قلبا وقالبا عليه ومقامه هنالك اي اقامته مع الله وحده في حظيرة
قدس قربه واشار بالبعد لعلو مقامه ثمت ارفع اي اعلا حاليه اي من
اشتغاله بالظاهر وحالة كونه مع الله وكل منهما رفيعة لكن هذه ارفع
راي عليه السلام شاهد او علم حال فترته عنها وشغله بسواها
اي اشتغاله بغيرها غضا بمعجمتين اي نقصا كناية عن التنزل من علي
حاله اي حاله العلي وخفضا اي حطا وتنزلا من رفيع مقامه بالنسبة
للحالة الاخري وان لم يكن كذلك في نفسه لانه في عبادة فاستغفر الله من
ذلك لعده بالنسبة لمقامه الاخر كالذنب قال عياض وهذا التفسير اولي
وجوه الحديث التي ذكرت في توجيهه واشهرها والي معني ما اشرنا

اليه

اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد اي لم يصل اليه
استعارة من ورود الما اذا اتاه ليستقي منه وفيه اشارة الي انه فيه شفاء
العليل وثلج الصدور وان للنفس ظما اليه وفيه بلاغة ظاهرة وقد
قربنا غامض اي ادنينا لمن قاربه خفي معناه الذي لم يتضح وكشفنا
للمستفيد طالب الفايدة العلمية من تجارته الرابحة محياه بضم الميم وفتح
الحاء وشد اليا وجهه الحسن شبهه بحسان تخدره وهو اي هذا
التفسير مبني اي متفرع علي جواز الفترات والغفلات والسهو
علي جميع الانبيا عليهم السلام في غير طريق البلاغ فلا يجوز ذلك فيه لمنافاته
له وقد انتقد عليه بناوه علي هذا بانه جعل اولا الثلاثة عبارة عن اشتغاله
بامور امته واهله ولا غفلة ولا فترة ولا سهو حقيقة فكيف بناه علي غير اساسه
فهو كالغفلة عما قاله انتهي كلام عياض ونعقب بانه لا ترضي نسبته صلي
الله عليه وسلم الي ذلك حتي قيل لا ينبغي ذكره لما يلزم عليه من تفضيل
الملايكة عليه بعدم الفترة عن التسبيح والمشاهدة وهو خلاف
الاجماع من تفضيله عليهم وقدمنا الجواب عنه بان هذا غفلة من المنعقب
لانه اشار الي دفع هذا الاعتراض بقوله بما كان دفع اليه الخ فلم يشتغل عن
ذلك الا لامر الله له بهذا لما ترتب عليه من حكم واحكام شرعية ولقوله عليه
السلام لست انسي تعليل ثان لكونه لا يرضي نسبته الي ذلك لانه نفي عنه
النسيان هذا ظاهره لكن يرد عليه قوله ولكن انسي بالتشديد مبنيا للمجهول
لاسن فانه ظاهر في ان ذلك لم ينشا عن غفلة فالاولي جعله جوابا عن التعقب
وكانه قال ورد لقوله عليه السلام بدليل قوله فهذه ليست فترة وانما هي
لحكمة مقصودة ينتج منها حكم شرعي كما اشار اليه عياض فالاولي ان
يحمل الحديث علي ما جعله عياض علة فيه وهو ما دفع اي اوصل وفوض
اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل وحمل كل
بفتح الكاف وشد اللام اعبا النبوة وحمل اثقالها عطف تفسير انتهي
وحاصله ان ترك التسبيح ونحوه انما هو لحكم وترتيب احكام شرعية عليها
وقد صرح في الشفا بعد هذا المبحث بكثير لما ذكر سهوه في الصلاة بقوله والسهو
هنا في حقه سبب افاده علم وتقرير شرع كما قال اني لا انسي او انسي لاسن
بل قد روي لست انسي ولكن انسي لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام
النعمة عليه بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن انتهي وقيل الغين
شي يعتري القلب الصافي مما يقع من حديث النفس لا بالمعني الاول
فهو من جملة الاجوبة وقال شيخنا ليس مقابلا للخلاف السابق في معناه
بل هو سبب لما يحصل للقلب مما يغشاه وفيه ان المتبادر خلافه وقد جعله
النووي من جملة الاجوبة ويدل علي ذلك ما قال الحافظ شيخ الاسلام ابن
حجر في فتح الباري في كتاب الدعوات وهذا اشار اليه الرافعي في اماليه
وقال ان والده كان يقرره جوابا عن الحديث وقيل كانت الهيئة التي

نفتري القلب حالة لا يطلع فيها على احوال امته فيستغفر الله
لهم اي يدعو بالمغفرة لما صدر منهم او سيصدر فالغين خواطره فيما يتعلق
بهم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم واستغفاره انما هو لهم فلا اشكال
اصلا وقيل هو اي الغين السكينة الوقار والتاني والطمانينة في الامور
التي تغشي قلبه اي تعرض له والاستغفار عندها لاظهار العبودية
لله تعالى والافتقار اليه والشكر لما اولاه فالغين ليس نقصا بل صفة كمال
اذ هو خضوع وخشوع والاستغفار عنده شكر لتلك النعمة وقال شيخ
الاسلام الحافظ ولي الدين احمد بن الحافظ عبد الرحيم العراقي ايضا هذه
الجملة حالية اخبر عليه السلام انه يغان على قلبه مع ان حالة الاستغفار
في اليوم مائة مرة وهي حال مقدرة لان الغين ليس موجودا في حال
الاستغفار بل اذا جا الاستغفار اذهب ذلك الغين فليست الجملة
الثانية مسببة عن الاولى قال ابن العراقي وعلى تقدير تعلق احدى
الجملتين بالاخرى والثانية مسببة عن الاولى كما هو الظاهر
المؤيد برواية النساي فاستغفر واحيانا استغفر كما مر فيحتمل ان يكون
هذا الغين تغطية للقلب عن امور الدنيا وحجابا بينه وبينها فيجتمع
القلب حينئذ اي حين يحصل له ذلك على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار
شكرا وملازمة للعبودية وهذا قريب او مساو للسكينة التي حكاها اولا
بقوله وقيل هو السكينة الخ كذا قيل وفيه نظر لان السكينة مفسرة بالوقار والتاني
في الامور وهذا حجب بينه وبين الامور فهو غيره قطعا وقد ذكر الامرين في الشفاء
كما قال وهذا معنى ما قاله القاضي عياض انتهى كلام الولي ومراده قوله في
الشفا وقد يحتمل الحديث ان يكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام
لله ومنه تغشي قلبه اي تعرض له من تصور ذلك فيستغفر حينئذ اي
حين غشيته هذه الحالة شكرا لله تعالى على نعمة جليلة ان عرفه عظمته
وخشيته وهو اعظم المعلومات وملازمة مداومة لعبوديته اذ مقتضاها
عدم نفسه مقصرا لا يفي بواجب خدمته فلذلك يستغفره وبقية قول الشفا
كما قال صلى الله عليه وسلم في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا قال
الشيخ ابن العراقي وهو عندي كلام حسن جدا بالغ في الحسن ويكون
الجملة الثانية مسببة عن الاولى لا بمعنى انه يسعى بالاستغفار في
ازالة الغين لانه كمال بل بمعنى ان الغين اصل محمود اي امر يحمد عليه
وهو الذي تسبب عنه الاستغفار ومرتب عليه وهذا اثره الاقوال
ابعدها عن الاعتراض والتكلفات واحسنها لان الغين حينئذ وصف
محمود وهو الذي نشا عنه الاستغفار فنشا محمود عن محمود وعلى
الاول الذي هو الغفلات والفترات بالمعنى المتقدم يكون الغين مما يسعى
في ازالته بالاستغفار وما ترتب الاشكال وجا السوال الا على
تفسير الغين بذلك اي الغفلة والسهو بالمعنى المار واهل اللغة انما

فسروا

فسروا الغين بالغشا او هو في كل بما يناسبه فيحمله على غشا يليق
بحاله صلى الله عليه وسلم وهو الغشا الذي يصد القلب ويحجبه
عن امور الدنيا لا سيما وقد رتب على امر الغشا اضافة بيانية امرا
محمودا وهو الاستغفار فما نشا هذا الامر الحسن الا عن امر
حسن انتهى كلام العراقي وذكر الشيخ تاج الدين بن عطا الله ما
يقوي هذا في كتابه لطايف المنن في مناقب الشيخ ابي العباس والشيخ
ابي الحسن ان الشيخ ابا الحسن علي بن عبد الله المغربي الشاذلي الشريف
الهاشمي من ذرية محمد بن الحنفية من بعض تراجمه شيخ الشاذلية قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسالته عن هذا الحديث
انه ليغان على قلبي فقال لي يا مبارك ذلك غين الانوار الواردة عليه
لا غين الاغيار اذ لا يعتريه ولذا قال المحاسبي خوف المقربين من الانبيا
والملايكة خوف اجلال واعظام وان كانوا امنين عذاب الله وقال السهروردي
لا تعتقد ان الغين حالة نقص بل هو كمال او تتمة كمال ثم مثل ذلك بجفن العين
حين يسبل ليدفع القذى عن العين مثلا فانه يمنعها من الروية فهو
صورة نقص من هذه الحيثية وفي الحقيقة هو كمال هذا محصل كلامه
بعبارة طويلة قال فهكذا بصيرة النبي صلى الله عليه وسلم متعرضة للاغبرة
الثايرة من انفاس الاغيار فدعت الحاجة الى الستر على حدقة بصيرته
صيانة لها ووقاية عن ذلك انتهى وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبي صلى
الله عليه وسلم وهو معصوم والاستغفار يستدعي وقوع معصية واجيب
باجوبة منها ما تقدم في تفسير الغين ومنها قول ابن الجوزي لهفوات الطباع
البشرية لا يسلم منها احد والانبيا وان عصموا من الكباير لم يعصموا من الصغاير
كذا قال وهو مفرع على خلاف المختار والراجح من عصمتهم من الصغاير ايضا
ومنها قول ابن بطال الانبيا اشد الناس اجتهادا في العبادة لما اعطاهم الله
من المعرفة فهم دايبون في شكره معترفون له بالتقصير انتهى ومحصل
جوابه ان الاستغفار من التقصير في ادا الحق الواجب له تعالى ويحتمل انه
يكون لاشتغاله بالامور المباحة من اكل او شرب او جماع او نوم او راحة او
مخالطة الناس والنظر في مصالحهم ومحاربة عدوهم تارة ومداراته اخرى
وتاليف المولفة وغير ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكر الله والتضرع اليه
ومشاهدته ومراقبته فيرى ذلك ذنبا بالنسبة الى المقام العلي وهو الحضور
في حظيرة القدس ومنها ان استغفاره تشريع لامته او من ذنوبهم فهو
كالشفاعة لهم وقال الغزالي كان صلى الله عليه وسلم دايم الترقي فاذا ارتقى
الى حال راى ما قبلها ذنبا فاستغفر من الحال السابق وهذا مفرع على ان
العدد المذكور في استغفاره كان مفرقا بحسب تعدد الاحوال وظاهر
الفاظ الحديث يخالف ذلك اذ ليس فيها ما يدل على افتراق واجتماع انتهى
وقد اقتصر المص في هذا القسم على ما ذكره وزاد عليه غيره فيه اكثر مما ذكر

القسم الثاني في ما اختص به صلى الله عليه وسلم

القسم الثاني

ما اي شيئا اختص به صلى الله عليه وسلم على الامة فلا انبيا في مشاركة الانبياء له في بعضها ما حرم عليه دون امته ليكثر ثوابه في اجتنابه وخص بها تكرمة له لان اجر ترك المحرم اكثر من اجر ترك المكروه وفعل المندوب فمنها اي المحرمات عليه وعلى اله لاجله تحريم الزكاة عليه اي اخذها وعدم سقوطها عن مالكها لو وقع وكذا الصدقة والكفارة والنذور على الصحيح المشهور المنصوص قال عليه الصلاة والسلام انا لا ناكل الصدقة وهي تشمل الفرض والنفل رواه مسلم قال البلقيني وخرج على ذلك انه يحرم ان يوقف عليه معينا لان الوقف صدقة تطوع قال وفي الجواهر ما يؤيده لانه قال صدقة التطوع كانت حراما عليه وعن ابي هريرة ان صدقات الاعيان كانت حراما عليه دون العامة كالمساجد ومياه الابار قاله في الانموذج ومن قال باباحتها له يقول لا يلزم من امتناعه من اكلها تحريمها فلعله ترك ذلك تنزيها مع اباحتها له وهذا خلاف ظاهر الحديث بل يرده قوله صلى الله عليه وسلم انا ال محمد لا تحل لنا الصدقة رواه احمد باسناد قوي كما في الفتح وجزم الحسن البصري بان الانبياء مثله لانها اوساخ وقال ابن عيينة تحل لهم بدليل فتصدق علينا قال شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب وعلى كل حال فعبيه ان من خصايصه عليه الصلاة والسلام الامتناع من اكل الصدقة اما وجوبا واما تنزيها انتهى لان القايل بالتنزيه لم ينقل اكلها والحكمة في ذلك صيانة منصبه الشريف عن اوساخ اموال الناس لان الصدقة تطهير المال واجبة كالزكاة او مندوبة كالتطوع ولانها تنبي عن ذل الاخذ وعز الماخوذ منه وابدل بها الفيء الماخوذ بالقهر والغلبة لانبايه بعز الاخذ دون الماخوذ منه ومنها تحريم الزكاة على اله وهم مومنو بني هاشم وبني المطلب عند الشافعية وبعض المالكية والمشهور عندهم بنو هاشم فقط لقوله صلى الله عليه وسلم ان هذه الصدقات انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لال محمد رواه مسلم ولقوله ان الله حرم علي الصدقة وعلى اهل بيتي رواه ابن سعد وغيره قال الطيبي وقد اجتمع في الحديث مبالغات شتى حتى جعل المشبه به اوساخ الناس للتهجين والتقبيح تنفيرا واستقذارا واجل حضرة الرسالة ومنبع الطهارة ان ينسب الى ذلك فجرد عن نفسه الطاهرة من يسمى محمدا كانه غيره وهو هو فان الطيبات للطيبين لا يقال كيف اباحها لبعض امته ومن كمال ايمان المرء ان يحب لاخيه ما يحبه لنفسه لانا نقول ما اباحها لهم عزيمة بل اضطرارا وكم من حديث يراه ناهيا عن السؤال فعلى الحاكم ان يراها كالميتة فمن اضطر غير باغ

ولا

ولا عاد فلا اثم عليه انتهى وتحريم كون اله عمالا ولو من بعضهم لبعض على الزكاة في الاصح لخبر الحاكم عن علي قلت للعباس سل رسول الله ان يستعملك على الصدقة فساله فقال ما كنت لاستعملك على غسالة الايدي وكذا يحرم صرف النذر والكفارة اليهم ولكون تحريم ذلك على اله بسبب انتسابهم اليه عد ذلك من خصايصه واما صدقة التطوع فتحل لهم في الاصح عند الشافعية والحنابلة واكثر الحنفية وهو الصحيح المشهور عند المالكية ونص عليه مالك وابن القاسم واما قوله خلافا للمالكية فضعيف غره فيه كالسيوطي اقتصار العلامة خليل عليه وما علما انه منعه وهو وجه عندنا واستدل للحل بما رواه الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن ابيه انه كان يشرب من سقايات بين مكة والمدينة فقيل له انشرب من الصدقات فقال انما حرم علينا الصدقة المفروضة واخرجه البيهقي من طريق الشافعي فثبت ذلك في حق القرابة وقيس بها مواليها زاد في الانموذج وعلى موالي اله اي خص بتحريم الزكاة عليهم في الاصح لقوله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تحل لنا وان مولى القوم من انفسهم ومنها انه يحرم عليه صلى الله عليه وسلم اكل ما له رائحة كريهة كثوم بضم المثلثة وبصل وكراث اذا كان ذلك نيا لتوقع مجيء الملايكة والوحي له كل ساعة فيما دون غيره لا مطبوخا فكانه ياكله كما رواه ابو داود والترمذي لانتفا العلة وروى ابو داود والترمذي عن عايشة اخر طعام اكله في بيتي فيه بصل زاد البيهقي كان مشويا في قدر والاكل متكيا اي مايلا على احد شقيه او معتمدا على وطا تحته او على يده اليسرى اقوال رجح بعضهم اوسطها وبعضهم اولها وهذا في احد وجهين فيهما وهو مذهب مالك والاصح في الروضة كراهتها لما في مسلم ان ابا ايوب صنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فيه بصل وفي رواية ارسل اليه بطعام فيه بصل او كراث فرده فقال احرام هو فقال لا ولكني اكرهه ونقضه السهيلي لانكار اي القول بتخصيصه فقال قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعظمين وقد تقدم مزيد لذلك في الاطعمة ومنها تحريم الكتابة والشعر بجميع انواعه ومنه الرجز عند الجمهور خلافا للاخفش وانما يتجه كما قال الرافعي القول بتحريمها عليه ممن يقول انه صلى الله عليه وسلم كان يحسنها ولكن لا يكتب ولا يقول الشعر والاصح انه كان لا يحسنها لان الله قال تعالى وما كنت تتلو من قبله اي القران من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون اي اليهود وقالوا الذي في التوراة انه امي وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له اي ما هو في طبعه ولا يحسنه ولا تقتضيه جبلته سجيته وطبيعته ولا يصلح له فتيسر لما يبتغي واجيب عن عدهما من الخصايص كما اجاب به النووي في الروضة فقال بانه لا يمتنع تحريمها وان كان لا يحسنها فان المراد تحريم التوصل اليها

بان يريد تعلم ذلك قال شيخنا ولعل القايل بعدم حرمته يرى ان هذا لما لم
يكن في طبيعته كان كالمحال عليه ولا يخطر في نفسه حتى يمنع من التعلم له
وهل منع الشعر خاص به عليه السلام لما رواه الطبراني عن علي
لما قتل ابن ادم اخاه بكى ادم وقال

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون ... وغيب ذلك الوجه المليح

او خاص بنوع الانبيا لما رواه الثعلبي عن ابن عباس قال ان محمدا
والانبيا كلهم في النهي عن الشعر سوا قال بعضهم هو عام لقوله تعالى
وما علمناه الشعر وما ينبغي له لانه لا يظهر فيه للخصوص نكتة
لان الشعر مبني على تخيلات مرغبة ومنفرة ونحوهما مما لا يليق بمقامه صلى
الله عليه وسلم فصرفت طبيعته عن ذلك لعده نقصا بالنسبة له وهذا المعنى
موجود في حق جميع الانبيا لان الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما وتقدم
في قصة الحديبية البحث في كونه عليه السلام كان يحسن الكتابة
ام لا والصحيح لا ومنها تحريم نزع لامته وهي الدرع والسلاح بهمزة
ساكنة بعد اللام وقد تخفف اذا لبسها حتى يقاتل ان احتيج له فلو هرب عدوه
او حصل بينهم صلح او نحو ذلك جاز نزعها وقد يشعر به قوله او يحكم الله بينه
وبين عدوه لما رواه احمد وحسنه البيهقي وعلقه البخاري عن جابر انه
صلى الله عليه وسلم قال ليس لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل ولاحمد
ايضا والطبراني والبيهقي عن ابن عباس مرفوعا ما ينبغي لنبي ان يضع
اداته بعد ان لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه فذكر في كل حديث غاية
فجمع المص بينهما زاد في الانموذج وكذلك الانبيا قال ابو سعيد وابن سراقة
وكان لا يرجع اذا خرج الى الحرب ولا ينهزم اذا لقي العدو ومنها المن
ليستكثر ذكره الرافعي وغيره قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط
شيا قليلا لتطلب اكثر منه لانه طمع لا يليق به بل اعط لربك واقصد به
وجهه فادبه باشرف الاداب واجل الاخلاق فان من اعطى ليثاب اكثر لم
يكن له اجر لقصده الاستكثار قاله اكثر المفسرين ومنهم ابن عباس قال
ابن عطية وكانه من قولهم من اذا اعطى وقال الضحاك ومجاهد هذا كان
للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لما ثبت عندهما بذلك والا فالاية بمجردها
لا تفيد الخصوصية وليس يحرم على احد من امته ذلك بل هو مباح لهم
لكن لا اجر لهم فيه قال مكي وهذا معنى قوله تعالى وما اتيتم من ربا ليربو في
اموال الناس فلا يربو عند الله وقال قتادة لا تعط شيا لمجازاة الدنيا اي
اعط لربك هو مثل قول الاكثر والذي في ابن عطية عن قتادة ان المعنى لا تدل
بعملك ففي هذا التاويل تحريض على الجد وتخويف وعن الحسن البصري هو
لا تمنن على الله بعملك فتستكثره وتعجب به وقيل اي قال ابن زيد لا تمنن
على الناس بالنبوة فتاخذ عليها اجرا وعوضا من الدنيا وحكى النقاش

عن

عن ابن عباس انه قال لا تمنن تستكثر دعوت فلم اجب قال ابن عطية وهذه
الاقوال كلها من المن الذي هو تعديد اليد وذكرها وقال مجاهد معناه
لا تضعف فتستكثر ما حملناك من اعبا الرسالة فهذا من قولهم حبل متين
اي ضعيف انتهى ومنها مد الاعين الى ما متع بضم الميم وكسر الفوقية
مشددة به الناس من زهرة الحياة الدنيا قال الله تعالى ولا تمدن عينيك
لا تنظر بهما الى ما متعنا به اي استحسانا له وتمنيا ان يكون لك
مثله ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا زينتها وبهجتها لنفتنهم فيه
اشكالا او اشباها من الكفار وهي المزاوجة بين الاشيا وهي المشاكلة
وعن ابن عباس في تفسير ازواجا قال اصنافا منهم فانه مستحقر
بالاضافة الى ما اوتيه فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات
كما قال ورزق ربك خير وابقى اخرج ابن ابي شيبة وابن مردويه والبزار وابو
يعلى عن ابي رافع قال اضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا فارسلني الى
رجل من اليهود ان اسلفني دقيقا الى هلال رجب فقال لا الا برهن فاتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال اما والله اني لامين في السما امين
في الارض فلم اخرج من عنده حتى نزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك الى ما
متعنا به ازواجا منهم ومنها خاينة الاعين وهي الايما الاشارة بالعين
او الحاجب او غيرهما خفية الى مباح من قتل او ضرب او حبس على خلاف
ما يشعر به الحال اي ما يظهره الموكى سمي خاينة لشبهه بالخيانة من
حيث خفايه كما قيل له عليه الصلوة والسلام في قصة رجل هو عبد الله
ابن سعد بن ابي سرح اراد قتله لانه كان يكتب له بمكة فازله الشيطان فكفر فاهدر
دمه فيمن اهدر يوم فتح مكة فاختبا عند عثمان فلما دعى النبي صلى الله عليه
وسلم الناس الى البيعة جا به عثمان فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع راسه
فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على اصحابه فقال اما كان
فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت يدي عن مبايعته فيقتله فقال رجل
هلا اومات الينا بقتله فقال ما كان ينبغي لنبي ان تكون له خاينة الاعين
رواه ابو داود والنسايي وصححه الحاكم وافاد سبط ابن الجوزي ان الرجل عباد بن
بشر الانصاري وقيل عمر بن الخطاب فاسلم عبد الله وحسن اسلامه وعرف فضله
وجهاده وكانت له المواقف المحمودة في الفتوح وولاه عمر صعيد مصر ثم ضم
اليه عثمان مصر كلها وكان محمودا في ولايته واعتزل الفتنة حتى مات سنة
سبع او تسع وخمسين قال اللهم اجعل اخر عملي الصبح فتوضا وصلى فسلم عن
يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبضت روحه رضي الله عنه كما تقدم مبسوطا
في الفتح ولا يحرم ذلك على غيره الا في محظور اي ممنوع قاله الرافعي فيما
نقله الحجازي في مختصر الروضة قال بعضهم بل اذا كان الايما في محظور
فليس من خاينة الاعين في شي ومنها نكاح من لم يهاجر الى المدينة
في احد الوجهين قال الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك

اللاتي آتيت أجورهن أي مهورهن سمي المهر أجراً لأن المهر
أجر على البضع بضم فسكون أي الفرج وتقييد الإحلال بإعطائها
معجلة لا يتوقف الحل عليه بل لإيثار الأفضل مثله في البيضاوي ولا
يتعين الحمل عليه إذ يمكن أن معنى آتيت أجورهن التزمته في ذمتك ثم أديته
بعد كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية في قوله وما ملكت
يمينك مما أفاء الله عليك من الغنائم فإن مثله الشراء والهبة والهدية
ونحو ذلك قال ابن عطية يريد وعلى أمتك لأنه فيء عليه وملك اليمين أصله
الفيء من المغنم أو ممن تناسل ممن سبي والشراء من الحربيين كالسبي وصاح
النساء هو من الحربيين ولا يجوز سبي منه له عهد ولا تملكه ويسمى سبي الخبثة
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك يعني من
نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك إلى المدينة لأنها حقيقة
الهجرة الشرعية قالوا والمراد هاجرن كما هاجرت وإن لم تكن هجرتها
في حال هجرته إذ لم يهاجر معه أحد وظاهره يدل على أن الهجرة شرط
في التحليل وأن من لم تهاجر من النساء لم يحل له نكاحها لأنه قيد حل
المذكورات بالهجرة ويؤيد هذا ما رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن
عباس قال قالت أم هانئ خطبني النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
إليه بعذر فقلت ما لي عنك رغبة يا رسول الله ولكن لا أحب أن أتزوج وبنيّ
صغار فقال صلى الله عليه وسلم خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على
طفل في صغره وأرعاه على بعل في ذات يده رواه الطبراني عنها برجال ثقات
وروى ابن سعد بسند صحيح عن الشعبي فقالت يا رسول الله لأنت أحب
إلي من سمعي وبصري وحق الزوج عظيم فأخشى أن أضيع حق الزوج
فعذرني أي قبل عذري فأنزل الله تعالى يا أيها النبي إنا أحللنا لك
أزواجك إلى قوله اللاتي بالتاء في قراءة الجمهور وقراءة الأعمش بالياء هاجرن
معك فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وعند
بعض المفسرين أن شرط الهجرة في التحليل منسوخ وبه جزم البغوي
ولم يذكر ناسخه على أنه لا حاجة لدعوى النسخ فقد ذهب الضحاك وابن
زيد إلى أن معنى الآية أن الله أباح له كل امرأة يؤتيها مهرها وملك اليمين
وأباح له قرائبه وخصصهن بالذكر ووصفهن بالهجرة تشريفاً لهن وأباح له
الواهبات خاصة فهي إباحة مطلقة في جميع النساء حاشا المحارم لا سيما على
ما ذكره الضحاك أن في مصحف ابن مسعود واللاتي هاجرن بالواو ثم قال ترجي من
تشاء الخ أي من هذه الأصناف كلها فجرى الضمير بعد ذلك على العموم إلى قوله ولا
أن تبدل بهن من أزواج فيعود على النسخ فقط على الخلاف في ذلك ذكره ابن
عطية وعن الماوردي قولان ذكرهما في معنى الآية أحدهما أن الهجرة
شرط في إحلال كل النساء له عليه السلام من غريبة وقريبة
من جهة أبيه أو أمه والثاني أنها شرط في إحلال بنات عمه وعماته

المذكورات

المذكورات في الآية وليس شرطاً في الأجنبيات ويؤيده حديث أم
هانئ وعنه أيضاً حكاية قول ثالث أن المراد بالمهاجرات المسلمات
فيحل له جميع النساء مهاجرات أم لا من أقاربه أو غيرهن وهذا هو الأصح
في الحكم دون التحريم ولكن أدق من كون المراد المسلمات ما نقله ابن عطية
كما رأيته ومنها تحريم إمساك من كرهته قاله الحجازي وغيره كما هو قضية
تخيير نسائه ولما رواه البخاري عن عائشة أن ابنة الجون لما أدخلت عليه
صلى الله عليه وسلم ودنى منها قالت أعوذ بالله منك فقال لها لقد عذت
بعظيم الحقي بأهلك وفي رواية له عذت بمعاذ بفتح الميم أي بالذي يستعاذ به
وهو الله قال ابن الملقن يفهم منه أنه يحرم عليه نكاح كل امرأة كرهته صحبته
وبحث فيه شيخنا بجواز أنه لما فهم كراهتها له لم يرد إبقاءها وإيجاز فيه
نظر وقد زاد في الأنموذج وتحرم عليه مؤبداً في أحد الوجهين ومنها نكاح
الكتابية ولو ذمية لأن أزواجه أمهات المؤمنين ولا يجوز أن تكون
أمهاتهم كافرة ولزوجاته له في الآخرة لحديث زوجاتي في الدنيا زوجاتي في
الجنة وهن معه في درجته في الجنة لقوله سألت ربي أن لا أتزوج إلا من
كان معي في الجنة فأعطاني رواه الحاكم وصححه والجنة حرام على الكافرين
ولأنه أشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة قالوا ولو نكح كتابية لهديت
إلى الإسلام كرامة له أي لو فرض ذلك وإلا فلم يتفق له صلى الله عليه وسلم
نكاح كتابية ومنها نكاح الأمة المسلمة لأنه مقيد بخوف العنت وهو
معصوم وبفقد مهر الحرة ونكاحه غني عن المهر ابتداء وانتهاء وفيه رق
الولد ومنصبه منزه عنه وقال البلقيني لا يتصور في حقه قط اضطرار إلى
نكاحها بل لو أعجبته أمة وجب على مالكها بذلها إليه هبة تقرباً على العام
ولو قدر نكاحه أمة كان الولد منها حراً على الصحيح وإن قلنا بالمشهور
من جريان الرق على العرب ولا تلزمه قيمته لتعذر قاله القاضي حسين
بخلاف ولد المغرور بحرية أمة لفوات الرق بظنه وهنا يتعذر الرق كما قاله القاضي
حسين وقال أبو عاصم تلزمه قيمته للحجازي وأيد الرافعي الأول بقول إمام
الحرمين لو قدرنا نكاح غرور في حقه لم تلزمه قيمة الولد لأنه مع العلم بالحال
لا ينعقد رقيقاً فمع الجهل به أولى قال ابن الرفعة وفي تصوير ذلك في حقه
نظر ولا يشترط في حقه حينئذ أي حين قدرنا نكاحه أمة خوف العنت
إذ لا يتصور فيه لعصمته ولا فقد الطول زاد الأنموذج وله الزيادة على واحدة
أي بخلاف الأمة فلا يزيدون على أمة واحدة إذا خيف العنت وفقد الطول وأما
التسري بالأمة الكتابية فالأصح الحل لأنه صلى الله عليه وسلم
استمتع بأمته ريحانة القرظية على الأكثر وقيل النضرية قبل أن تسلم
لا يرد أنه أشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة لأنه جزء علة الحكم فينبغي و
ما تقابله بخلاف المعلل بعلتين فيبقى ما بقيت إحداهما والسرية ليست أم
المؤمنين وقال بعض لأن القصد بالنكاح أصالة التوالد فاحتيط له وبأنه

يلزم فيه ان تكون الزوجة ام المؤمنين بخلاف الملك فيها وعليه هذا
وهل يجب عليه تخييرها بين ان تسلم فيمسكها او تقيم على
دينها فيفارقها فيه وجهان احدهما نعم لتكون من زوجاته
في الاخرة والثاني لا لانه لما عرض على ريحانة الاسلام فابت
الا اليهودية لم يزلها عن ملكه واقام على الاستمتاع بها ولعله
علم بانها ستسلم بعد او ان تمتعه بها تكون سببا لاسلامها فيسهل ذلك له
وقد اسلمت بعد وكان يطوها بالملك جزم به ابن اسحق وقيل اعتقها و
وتزوجها ورجحه الواقدي وماتت سنة عشر مرجعه من حجة الوداع ودفنت
بالبقيع هذا وما جزم به من استمتاعه بها قبل ان تسلم مخالف لقول ابن
اسحاق فسباها صلى الله عليه وسلم فابت الا اليهودية فعزلها ووجد في
نفسه فبينما هو مع اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن
سعية يبشرني باسلام ريحانة فبشره فسره ذلك وعرض عليها ان يعتقها
ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك
فهو احق علي وعليك فتركها واصطفاها لنفسه وكذا ذكر الواقدي
وابن سعد انه صلى الله عليه وسلم عزلها ثم ارسلها الى بيت ام المنذر بنت
قيس فدخل عليها قالت فاختبات منه حياء فدعاني فاجلسني بين يديه
وخيرني فاخترت الله ورسوله قال في الانموذج وكان اذا خطب امراة فردته لم
يعد كما في حديث مرسل فيحتمل التحريم والكراهة قياسا على امساك كارهته
ولم ار من تعرض له وشنع عليه شارحه فقال هذا لا دلالة فيه على الخصوصية
بوجه واثباتها من قبيل الرجم بالغيب وهذا على عادته في تحامله عليه اذ لم
يثبت له خصوصية وانما ابدى احتمالا في المروي مع القياس كما ترى فاذا
لم يقم على احد الاحتمالين كيف يكون معناه ومنها تحريم الاغارة على قوم
يريد غزوهم اذا سمع التكبير اي الاذان لخبر الصحيحين عن انس كان صلى
الله عليه وسلم اذا غزا قوما لم يغز حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم
وان لم يسمع اذانا اغار عليهم كما ذكره ابن سبع في الخصائص وتعقب
بانه ليس في الحديث ما يصرح بل ولا ما يلوح بانه من خصائصه وزاد في الانموذج
وان يخدع في الحرب فيما ذكر ابن القاص وخالفه فيه الجمهور وعد القضاعي
وغيره انه لا يقبل هدية مشرك ولا يستعين به ولا يشهد على جور وحرم
عليه الخمر من اول بعثته قبل ان تحرم على الناس بنحو عشرين سنة فلم يبح له
قط وفي الحديث اول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الاوثان شرب الخمر وملاحاة
الرجال ونهي عن التعري وكشف العورة من قبل ان يبعث بخمس سنين وقالت
عائشة ما رايت منه ولا راى مني وصلى علينا عن اثر الحمرا على الخليل شهد احاجا
عن هذه زينب وكان لا يصلي على من غل ولا على من قتل نفسه وفي المستدرك
عن ابي قتادة كان صلى الله عليه وسلم اذا دعي الى جنازة سال عنها فان
اثني عليها خيرا صلى عليها وان اثني عليها غير ذلك قال لاهلها شانكم

بها

بها ولم يصل عليها وفي سنن ابي داود حديث ما ابالي ما اتيت اذا انا
شربت ترياقا او تعلقت تميمة او قلت شعرا من قبل نفسي قال ابو داود
هذا كان له خاصة وقد رخص في الترياق لغيره انتهى وقد رخص ايضا
في تعليق التمايم لغيره اذا كان بعد نزول البلا انتهى وقوله ان انا شربت
شرط حذف جوابه لدلالة الحال عليه اي ان فعلت هذا لا ابالي كل شي اتيت
به لكني ابالي من اتيان بعض الاشيا وادخال الشر هنا بعض ما حرم على
غيره له ترفع الصوت عليه لا ينبغي لان القسم فيما حرم عليه هو صلى
الله عليه وسلم مع ان غالبه ما ذكره اذ محله النص في القسم الرابع

القسم الثالث ما اختص به صلى الله عليه وسلم من المباحات
والتخفيفات له دون غيره توسعة عليه وتنبيها على ان ما خص به
منها لا يلهيه عن طاعته وان الهى غيره وليس المراد بالمباح هنا ما استوى
طرفاه بل ما لا حرج في فعله ولا في تركه قال في المطلب المباح في عرف الفقها
ما استوى طرفاه وقد يطلق على ما لا اثم فيه وهو المراد فيما نحن فيه
لان الطرفين لم يستويا في كل الصور فانه يثاب على الوصال وصفي المغنم
فقد يكون الراجح فعله ايضا لانه يصرفه في اهم المهمات وقد يكون الراجح
تركه وكذا دخول مكة بلا احرام فانه في حال يكون راجحا كما وجد وفي حال
يكون الفعل ارجح لفقد ما لاجله يرجح الترك وكذا اباحة النصف في جميع
ما يخلفه والزيادة على اربع لا تساوي فيه فان افعاله واقواله كلها راجحة
فيثاب عليها انتهى اختص عليه السلام باباحة المكث في المسجد
جنبا قاله صاحب التلخيص هو ابن القاص ومنعه القفال وهو
المعتمد قال النووي وما قاله في التلخيص قد يحتج له بقوله عليه
الصلاة والسلام في حديث ابي سعيد الخدري يا علي لا يحل لاحد ان
يجنب في هذا المسجد اي يمكث فيه جنبا غيري وغيرك قال الترمذي
حسن غريب وقد يعترض على هذا الحديث اي الاحتجاج به بان راويه
عن ابي سعيد عطية بن سعد العوفي الكوفي المتوفى سنة احدى عشرة
ومائة ضعيف عند الجمهور وفي التقريب صدوق يخطي كثيرا وكان
شيعيا مدلسا روى له ابو داود والنسائي والترمذي ويجاب بان
الترمذي حكم بانه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه
فان له شواهد كحديث ام سلمة رفعته الا ان مسجدي حرام على كل
حائض من النسا وكل جنب من الرجال الا محمد واهل بيته علي وفاطمة
والحسن والحسين رواه البيهقي وحديث عائشة مرفوعا لا احل
المسجد لحائض ولا جنب الا لمحمد وال محمد رواه البخاري في تاريخه
والبيهقي وروى ابن عساكر عن جابر نحوه لكن اذا شاركه علي عليه
السلام في ذلك لم يكن من الخصائص ويجاب بان لعان نحو
من شاكله يأتي فتخصيص علي ببعض خصائصه لا يمنع كونه منها

ما اختص به صلى الله عليه وسلم من المباحات

وقد غلط امام الحرمين وغيره صاحب التلخيص في الاباحة
لكن لا ينهض التغليط مع وجود حديث حكم مثل الترمذي بحسنه
واختلف المجد ثم نفي تضعيف راويه عطية وتوثيقه ووجود شواهد
له كثيرة زاد في الانموذج وبالعبور فيه عند المالكية اي لا الشافعية
لانهم جوزوا عبور الجنب في المسجد **واعلم ان معظم الاباحات لم**
يفعلها صلى الله عليه وسلم وان جازت له ولعل غرضه من هذا دفع
ما قد يقال لو كان مباحا له لنقل ولم ينقل **ومما اختص به ايضا الا ينتقض**
وضوءه بالنوم مضطجعا لما في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم
اضطجع ونام حتى نفخ ثم قام فصلى ولم يتوضأ اي لانه لا ينام قلبه
والانبيا مثله في ذلك لان قلوبهم لا تنام فهو خصوصية له على الامم لا الانبيا
ومر الجواب عن توهمه في الوادي في اخر المقصد الثالث في نفس المتن باجوبة
عديدة فعجيب تسويد الكاغض هنا فذكر بعضه من كلام غير المصنف انوهم
انه ليس فيه مع انه ما بالعهد من قدم ولكن افة العلم النسيان **وفي اللمس**
وجهان احدهما لا ينتقض قال السيوطي وهو الاصح والثاني النقض
وهو المعتمد عند الشافعية كما **قال النووي المذهب الجزم بانتقاضه**
به واستدل القايلون بالاول بنحو حديث عايشة عند ابي داود في
الطهارة واحمد **ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض ازواجه**
وفي رواية بعض نسايه **ثم يصلي ولا يتوضا ورواه النسايي ايضا** في
الطهارة وقال ابو داود هو مرسل ابراهيم التيمي لم يسمع من عايشة
لكن قال الحافظ روي عنها من عشرة اوجه فهذا يجبر ارساله ولذا قال
في تخريج الرافعي اسناده جيد قوي وقال عبد الحق لا اعلم له علة توجب
تركه وقال النسايي ليس في هذا الباب حديث احسن من هذا الحديث وان كان
مرسلا بنا على ان المرسل ما سقط منه راو واما على المشهور انه ما رفعه
التابعي فيقال في هذا منقطع وبه اخذ ابو حنيفة فقال لا وضوء من المس ولا من
المباشرة الا ان فحشت بان يوجد متعانقين متماسي الفرج وذهب الشافعي
الى النقض مطلقا واجاب بعض اتباعه بانه خصوصية او منسوخ
لانه قبل نزول قوله او لامستم ولابي حنيفة ان يقول الاصل عدم الخصوصية
وعدم النسخ حتى يثبت والحديث صالح للحجة وقد روى النسايي ايضا
باسناد صحيح عن القاسم عن عايشة قالت ان كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليصلي واني لمعترضة بين يديه اعتراض الجنازة حتى اذا اراد ان
يوتر مشني برجله وفصل مالك بين الالتذاذ وقصده فينتقض وبين
انتفايهما فلا نقض الا القبلة بفم مطلقا **واختص ايضا باباحة**
الصلوة اي جنسها **بعد العصر** اي الركعتين بعد الظهر خاصة على
ما قال **فقد فاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر**
كما في الصحيحين عن ام سلمة انه صلى الله عليه وسلم نهى عنهما ثم رايته

يصليهما

يصليهما فسألته فقال اتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين
اللتين بعد الظهر فهما هاتان **ثم واظب عليهما** ولم يتركهما حتى لقي الله
رواه البخاري عن عايشة **ذكره الحجازي** فجعلها خصوصية واحدة
والسيوطي جعلها خصوصيتين فقال وباباحة الصلاة بعد العصر وبقضاء
الراتبة بعد العصر عند قوم قال شارحه عقبة الاولى لخبر ابي داود كان
يصلي بعد العصر وينهى عنها ويواصل وينهى عنه ثم شرح الثانية بخبر
مسلم **وبجواز صلاة الوتر على الراحلة** اي البعير **مع وجوبه عليه كما**
ذكره النووي **في شرح المهذب** وهو ضعيف كما مر **وعبارته لان من خصايصه**
صلى الله عليه وسلم جواز فعل هذا الواجب الخاص به اي الوتر **على**
الراحلة لما في الصحيحين عن جابر كان يصلي في السفر على راحلته حيثما
توجهت به فاذا اراد ان يصلي المكتوبة نزل فاستقبل القبلة **وبالصلاة**
على الميت الغايب عند ابي حنيفة ومالك وحملا صلاته على النجاشي
على ذلك وخالف الشافعي واحمد فاجازاها لغيره زاد السيوطي وعلى القبر
عند المالكية **وبالقبلة** بالضم **في الصوم مع قوة الشهوة** بخلاف غيره
فيحرم ان خاف الانزال والا كره **وروى البخاري** ومسلم واصحاب السنن
من حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبل
بعض ازواجه هي عايشة كما في مسلم او ام سلمة كما في البخاري لكن الظاهر
ان كلا منهما اخبرت عن فعله معها ويدل على ذلك رواية البخاري ايضا
عن عايشة انه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبل بعض ازواجه
وهو صايم ثم ضحكت زاد ابن ابي شيبة عن عروة فظننا انها هي وانما
ضحكت تنبيها على انها صاحبة القصة لتكون ابلغ في الثقة بها وتعجبا
من نفسها اذ حدثت بمثل هذا مما يستحي النسا من ذكره للرجال لكن ضرورة
تبليغ العلم الجاتها لذلك وروى البيهقي عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم
كان يقبلها وهو صايم ويمص لسانها **وكان املككم لاربه** بكسر الهمزة
واسكان الرا في الفرع وغيره اي عضوه وبفتح الهمزة والرا وقدمه في
فتح الباري وقال انه اشهر والى ترجيحه اشار البخاري اي اغلبكم لهواه
وحاجته وقال التوربشتي حمل الارب ساكنة الرا على العضو في هذا
الحديث غير سديد لا يغتر به الا جاهل بوجوه حسن الخطاب مايل عن
سنن الادب ونهج الصواب واجاب الطيبي بانها ذكرت انواع الشهوة
مرتقية من الادنى الى الاعلى فبدات بمقدمتها التي هي القبلة ثم ثنت
بالمباشرة بنحو الملاعبة والمعانقة وارادت ان تعبر عن المجامعة فكنت
عنها بالارب واي عبارة احسن من هذا انتهى وفي الموطا ايكم املك
لنفسه وبذلك فسره الترمذي فقال ومعنى لاربه لنفسه قال الحافظ
العراقي وهو اولى بالصواب لانه اولى ما فسر به الغريب ما ورد في بعض
طرق الحديث **قال الحافظ ابن حجر فاشارت بذلك** اي قولها وكان

املككم لاربه الى ان الاباحة لمن يكون مالكا لنفسه دون من
لا يا من الوقوع فيما يحرم من الانزال او الجماع وفي رواية حماد
عند النسائي قال الاسود بن يزيد النخعي وقلت لعايشة
ايباشر الصايم حليلته بما دون الجماع قالت لا قلت اليس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صايم قالت
انه كان املككم لاربه قال الحافظ وظاهر هذا ايضا انها اعتقدت
خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لانه لا يخاف مما يخاف غيره
قاله القرطبي قال وهو اي اعتقادها الخصوصية اجتهاد منها
لا انها رفعته ولكن يدل على انها لا ترى بتحريمها ولا بكونها
من الخصايص ما رواه مالك في الموطا ان عايشة بنت طلحة
ابن عبيد الله القرشية التيمية ام عمران كانت فايقة الجمال وهي ثقة
روى لها الستة كانت عند عايشة ام المومنين فدخل عليها زوجها
وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق التيمي التابعي
روى له الشيخان وغيرهما فقالت له عايشة ما يمنعك ان تدنو من
اهلك زوجتك فتلاعبها وتقبلها قال اقبلها وانا صايم قالت
نعم فدل ذلك على ان قولها للاسود لا محمول على من تحرك شهوته كما اشعر به
جوابها بانه كان املككم وقد حكى الاجماع على ان من كره القبلة لم يكرهها
لنفسه وانما كرهها خشية ما يوول اليه من الانزال ومن بديع ذلك قول
عمر بن الخطاب هششت فقبلت وانا صايم فقلت يا رسول الله صنعت
اليوم امرا عظيما قبلت وانا صايم قال ارايت لو مضمضت من الما وانت صايم
قلت لا باس به قال فمه رواه ابو داود والنسايي وقال منكر وصححه ابن
خزيمة وابن حبان والحاكم قال المازري فاشار الى فقه بديع وذلك ان
المضمضة لا تنقض الصوم وهي اول الشرب ومفتاحه كما ان القبلة من
دواعي الجماع ومفتاحه والشرب يفسد الصوم كما يفسده الجماع فكما ثبت
ان اوايل الشرب لا يفسد الصيام فكذلك اوايل الجماع واخذ الظاهرية بظاهر
الحديث فجعلوا القبلة للصايم سنة وقربة من القرب اقتدا بفعله صلى الله
عليه وسلم ورد بانه يملك اربه فليس كغيره وكيف ما كان لا يبطل الا بانزال
فلو امذى فلا شي عليه عند الشافعي وابي حنيفة وعليه القضا عند مالك
واختص ايضا باباحة الوصال كما قال الشافعي والجمهور وفي الصوم
كما سياتي في المقصد التاسع مع بسط الخلاف في معنى يطعمني ربي ويسقين
ومن حكم الوصال لنا بما يغني عن جلب بعض كلام غيره هنا وقال امام
الحرمين هو قربة في حقه عليه السلام اي مستحب لا مباح كما قال
الجمهور واختص باباحة ان ياخذ الطعام والشراب والثياب من
مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج بلا ثمن بخلاف غيره فلا يجوز له الا
ان يضطر فيجب على مالكه غير المضطر بذله بالثمن ان وجد على

ما بسط

ما بسط في الفروع ويجب على صاحبهما البذل ولو هلك جوعا
وعطشا وعريا ويفدي بمهجته مهجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم
وقال صلى الله عليه وسلم انا اولى بكل مومن من نفسه لكن لم ينقل انه
فعل هذا المباح بل كان يوثر على نفسه قال الشيخان بل ولا معظم المباحات
ولو قصده ظالم وجب على كل من حضره ان يبذل بضم الذال
نفسه يجود بها ويعطيها دونه صلى الله عليه وسلم وان خشي
الدافع على نفسه بخلاف غيره فلا يجب الدفع مع الخوف قال الرافعي
والنووي لان من قصد غير النبي مسلما لا يكفر وقاصده عليه السلام
يكفر بذلك قاله الخيضري كما وقاه طلحة ابن عبيد الله احد العشرة
بنفسه يوم احد وكان ابو طلحة الانصاري يتقي بترسه دونه ونحو
ذلك من الاحاديث كما قاله الحافظ بعد قوله ولم ار وقوع ذلك في شي
من الاحاديث صريحا ويمكن ان يستانس له بان طلحة الخ وباباحة النظر
الى الاجنبيات لعصمته وسياتي ان شا الله تعالى في القسم
الرابع التالي لهذا حكم غيره عليه السلام من اختلاف العلما في جواز
النظر الى الوجه والكفين ومنعه وبجواز الخلوة بهن لعصمته قال
في فتح الباري الذي وضح لنا بالادلة القوية ان من خصايصه
صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها
لمكان عصمته وان نازع في ذلك القاضي عياض بان الخصايص لا تثبت
بالاحتمال قال وثبوت العصمة مسلم لكن الاصل عدم الخصوصية ويدل
له قصة حرام بنت ملحان بكسر الميم وسكون اللام ومهملة ونون
واسمه مالك بن خالد بن زيد بن حرام بمهملتين الانصارية خالة انس
قال ابو عمر لم اقف لها على اسم صحيح قال في الاصابة ويقال انها الرميصا
بالرا ولا يصح بل الصحيح ان ذلك وصف لام سليم ثبت ذلك في حديثين لانس
وجابر عند النسايي روى عن ام حرام زوجها عبادة بن الصامت وابن
اختها انس وعمير بن الاسود وعطا بن يسار ويعلى بن شداد بن
اوس في دخوله عليها بيتها ونومه عندها فيه وتفليتها
راسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية وزعم انها كانت محرمة
من الرضاع بان ارضعته هي او اختها ام سليم لم يثبت كما قاله الدمياطي
وغيره انتهى روى البخاري وغيره من طريق الموطا لمالك عن
اسحاق بن عبد الله ابن ابي طلحة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا ذهب الى قبا يدخل على ام حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت تحت
عبادة بن الصامت فدخل عليها فاطعمته وجعلت تفلي راسه فنام
ثم استيقظ وهو يضحك فقلت وما يضحكك يا رسول الله قال ناس
من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا

صلى الله عليه وسلم

على الاسرة او مثل الملوك على الاسرة قالت فقلت يا رسول الله ادع الله
ان يجعلني منهم فدعا لها ثم وضع راسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك
فقلت وما يضحكك يا رسول الله قال ناس من امتي عرضوا علي غزاة في
سبيل الله كما قال في الاول فقلت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت
من الاولين قال فركبت ام حرام البحر في زمن معوية فصرعت عن دابتها حين
خرجت من البحر فماتت وفي بعض طرقه عند البخاري عن انس عن ام حرام
بنت ملحان وكانت خالته انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في بيتها
فاستيقظ وهو يضحك وقال عرض علي اناس من امتي يركبون ظهر البحر
الاخضر كالملوك على الاسرة قالت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال
انك منهم ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقلت يا رسول الله ما يضحكك قال
عرض علي ناس من امتي يركبون ظهر البحر الاخضر كالملوك على الاسرة
قلت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت من الاولين قال
فتزوجها عبادة بن الصامت فاخرجها معه فلما جاز البحر ركبت دابة
فصرعتها فقتلتها قال ابن الاثير وكانت تلك الغزوة غزوة قبرص
فدفنت فيها وكان امير ذلك الجيش معوية في خلافة عثمان ومعه ابو
الدردا وغيرهما من الصحابة وذلك في سنة سبع وعشرين وقيل ثمان
وعشرين وقيل ثمان وعشرين فقوله في الحديث في زمن معوية اي زمان
غزوه في البحر لا زمان خلافته وهذا قول اكثر اهل السير قال البخاري
ومسلم في زمن معوية نفسه ثم لا تخالف بين قوله في الرواية وكانت زوج عبادة
الظاهر في انها كانت زوجة في الزمن النبوي وبين قوله في الرواية الثانية
فتزوجها عبادة الظاهر في انه تزوجها بعد لانها كانت اذ ذاك زوجته
ثم طلقها ثم راجعها بعد ذلك قاله ابن التين وقيل انما تزوجها بعد قال الحافظ
وهو اولى لاتفاق عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري ومحمد بن يحيى بن حبان عن
انس كلاهما عند البخاري ان عبادة تزوجها بعد ويحمل قوله في رواية اسحاق وكانت
تحت عبادة بن الصامت على انها جملة معترضة اراد الراوي وصفها به غير
مقيد بحال من الاحوال وظهر من رواية غيره انه انما تزوجها بعد ومنها
نكاح اكثر من اربع نسوة الى تسع اتفاقا وقد مات عنهن وكذلك الانبيا
لهم الزيادة فهو خصوصية له على امته وفي جواز الزيادة لنبينا صلى
الله عليه وسلم على التسع خلاف اصحه الجواز لانه مامون الجور ولان غرضه
نشر باطن الشريعة وظاهرها وكان اشد حياء فابيح له تكثير النسا بلا حصر
عدد لتنقل ما يرينه من افعاله ويسمعنه من اقواله التي قد يستحي من الافصاح
بها ويجوز له النكاح بلفظ الهبة من جهة المراة قال الله تعالى واحللنا
لك امراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي واما من جهته عليه السلام
فلا بد من لفظ النكاح او التزويج بان يقول نكحتها او تزوجتك على الاصح
في اصل الروضة وحكاه الرافعي عن ترجيح الشيخ ابي حامد لظاهر

قوله

قوله ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك لكن المعتمد جوازه له
بلفظ الهبة ايجابا وقبولا اذا اراده قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى
وامراة مؤمنة الاية ما نصه نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف ما سبق
ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل
اي اعلمناك حل امراة مؤمنة وهذا ماخوذ من كلام ابي البقا قال لو
ناصب وامراة احللنا في اول الاية وقد رد هذا قوم وقالوا احللنا ماض وان
وهبت وهو صفة المراة مستقبل واحللنا في موضع جوابه وجواب الشرط
لا يكون ماضيا في المعنى وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال هنا الاعلام
بالحل اذا وقع الفعل على ذلك كما تقول ابحت لك ان تكلم فلانا اذا سلم عليك
مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق وقوع ذلك لك ه
ولذلك نكرها قال ابن عطية فهو يقتضي الاستيناف اي ان وقع فهو حلال
له وقد اختلف في ذلك فروي عن ابن عباس لم يكن عند النبي صلى الله عليه
وسلم امراة الا بعقد نكاح او ملك يمين اما الهبة فلم يكن عنده منهن احد
وقيل وقع ذلك وكان عنده منهن والقايله ذكرانها لفظ البيضاوي اربعا
ميمونة بنت الحارث الهلالية ام المؤمنين قال ابن اسحاق يقال انها وهبت
نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان خطبته انتهت اليها وهي على بعير
فقالت البعير وما عليه لله ورسوله واخرجه ابن ابي خيثمة عن الزهري
وقتادة وابن سعد عن عكرمة وقالوا فيها نزلت الاية وزينب بنت خزيمة
الانصارية كذا وقع في البيضاوي والذي في ابن عطية وقال الشعبي وعروة
هي زينب ابنة خزيمة ام المساكين انتهى ومثله في فتح الباري وهذه هلالية
قريبة ميمونة تزوجها فمكثت قليلا وماتت عنده فلعله سماها انصارية
بالمعنى الاعم ويدل له ان البغوي قال الانصارية ام المساكين والاغلب يذكر في الاصابة
من تسمى زينب بنت خزيمة الانصارية وعجبت من السيوطي وشيخ الاسلام
حيث لم ينبها على ذلك هذا في حواشيهما على البيضاوي وكانه لظهوره وام
شريك اسمها غزية بضم المعجمة وفتح الزاي وشد التحتية وقيل بفتح اولها
وقيل اسمها غزيلة بلام بعد اليا بنت جابر بن عوف القرشية العامرية وقيل
الازدية الدوسية وقيل الانصارية النجارية قال في الاصابة والذي يظهر في الجمع
انها واحدة اختلف في نسبها قرشية عامرية او انصارية او ازدية من دوس
واجتماع الثلاثة ممكن بان تكون قرشية تزوجت في دوس فنسبت اليهم
ثم تزوجت في الانصار فنسبت اليهم او لم تتزوج بل نسبت انصارية بالمعنى
الاعم انتهى وطلقها النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في دخوله بها قال له
الم في الزوجات ففي رواية ابن عباس دخل بها وفي رواية غيره لم يدخل
ويحتمل الجمع بان المنفي الجماع والمثبت مجرد الدخول ان صحا وخولة بنت
جابر كذا في بعض النسخ ولم يذكرها البيضاوي الذي هو ناقل عنه ولا ذكر
لها في الاصابة فالصواب حذفها كما في النسخ الصحيحة وخولة ويقال خويلة

بالتصغير **بنت حكيم** بن امية السلمي بضم السين الى جده سليم صحابية
فاضلة لها احاديث يقال كنيتها ام شريك قاله ابو عمر وهي زوجة عثمان
ابن مظعون واختلف في ان هبتها لنفسها قبل ان يتزوجها عثمان او بعد
موته عنها فارجاها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتزوجها **قال** البيضاوي
وقرئ بشاذا **ان بالفتح** وهي قراءة ابي بن كعب والحسن البصري والشعبي
وغيرهم اشارة الى ما وقع من الواهبات قبل نزول الاية وفي مصحف ابن
مسعود مومنة وهبت بدون ان قاله ابن عطية **اي لاجل ان وهبت**
اومرة ان وهبت كقولك اجلس مادام زيد جالسا فان على هذا
مصدرية وليست اللام مقدرة معها **قال وقوله ان اراد النبي ان يستنكحها**
شرط للشرط الاول علي قراة الجمهور **في استحلاله الحل فان هبتها**
نفسها منه لاتوجب له الا بارادته نكاحها بان ياتي بلفظ يدل علي
القبول كما اشعر به يستنكحها فلابد من لفظ الانكاح او التزويج او يكفي لفظ
الهبة في القبول ايضا خلاف كما مر **فانها** اي ارادتها **جارية مجرى القبول**
ولا يجب عليه قبولها بل توكل الامر الى ارادته **قال والعدول عن الخطاب الى**
الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون
المومنين ايذان بانه اي انعقاد النكاح بلفظ الهبة **مما خص به لشرف**
نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله انتهى كلام البيضاوي رحمه الله
وقال المعافا ابن زكريا بن يحيى بن حميد الحافظ المفسر الثقة الجريري
كان مقلدا لابن جرير مات سنة تسع وثلاثمائة **وفي معنى خالصة**
ثلاثة اقوال احدها ان المراة اذا وهبت نفسها له لم يلزمه
صداقها دون غيره من المومنين فيلزمه الصداق وليس المعنى
انها تحل له بلفظ الهبة **قاله انس بن مالك وابن المسيب** قال البغوي
فالخصوصية له في ترك الصداق لا في جوازه بلفظ الهبة **والثاني** ان له ان
ينكحها بلا ولي ولا شهود دون غيره فانما تحل له بها قاله قتادة فالخصوصية
له في تركها لا في جوازه بلفظ الهبة والثالث خالصة لك ان تملك عقد
نكاحها بلفظ الهبة دون المومنين قال وهذا قول الشافعي واحمد ومالك والاكثر
وعن ابي حنيفة ينعقد النكاح بلفظ الهبة لغيره صلى الله عليه وسلم ايضا
وفي تفسير ابن عطية اجمع الناس على ان ذلك لا يجوز لغيره الا ما روي عن
ابي حنيفة ومحمد بن الحسن وابي يوسف اذا وهبت فاشهد علي نفسه
بمهر جاز فليس في قولهم الا تجويز العبارة بلفظ الهبة والا فالافعال
التي اشترطوها هي افعال النكاح بعينه انتهى كلامه على موافقة و
مذهب مالك انه يجوز مع الصداق العقد بلفظ الهبة وكذا يجوز له عليه
السلام النكاح بلا مهر ابتداء وانتهاء اي قبل الدخول وبعده كما تقدم
ان المراة اذا وهبت نفسها له عليه السلام لا يلزمه صداقها قال النووي
اذا وهبت امراة نفسها له عليه السلام فتزوجها بلا مهر حل له ذلك ولا

يجب

يجب عليه مهرها بالدخول ولا بغيره ذلك بخلاف غيره من فرض وموت
فانه لا يخلو نكاحه من وجوب مهر اما مسمى واما مهر المثل
بالوطي في التفويض والله اعلم وكذا له النكاح بصداق مجهول كما فيه هو
الانموذج وكذا يجوز له النكاح في حال الاحرام منه او من المراة او منهما
قال النووي في شرح مسلم قال جماعة من اصحابنا الشافعية وغيرهم
انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يتزوج في حال الاحرام وهو
مما خص به دون الامة فضيلة مشاركة الانبياء له في هذه الخصوصية
قال ابو حامد وانما منع غيره من ذلك لان فيه دواعي الجماع فربما يفضي
اليه فيفسد حجه به وهذا مامون من جهته عن الخلل بالاحرام او
المراة لعصمته وقدرته علي الامتناع منه **قال وهذا اصح الوجهين**
عند اصحابنا انتهى واحتجوا له بما رواه مالك والايمة الستة عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم زاد في رواية
للبخاري في عمرة القضا مع قوله لا ينكح المحرم ولا ينكح فدل علي ان فعله
خصوصية له جمعا بين الخبرين لكن قال سعيد بن المسيب وهل ابن عباس
وان كانت خالته ما تزوجها صلى الله عليه وسلم الا بعدما حل رواه البخاري
ووهل بكسر الهاء اي غلط لمخالفته لما صح عنها نفسها قالت تزوجني رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف رواه مسلم من رواية يزيد بن
الاصم عنها قال وكانت خالتي وخالة ابن عباس واخرج الترمذي وحسنه
وصححه ابن خزيمة وابن حبان عن ابي رافع انه صلى الله عليه وسلم تزوج
ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وكنت انا السفير بينهما وكذا رواه
مالك عن سليمان بن يسار قال البيهقي في المعرفة وبهذا رد الشافعي رواية
ابن عباس التي احتج بها الحنفية واهل العراق علي جواز نكاح المحرم
وانكاحه وخالفهم الجمهور واهل الحجاز محتجين بحديث مسلم عن عثمان
رفعه المحرم لا ينكح ولا ينكح واما خبر ابن عباس وان صح اسناده اليه فوهم
كما قال سعيد قال الشافعي لان ابن اختها يزيد يقول نكحها حلالا ومعه
سليمان بن يسار عتيقها او ابن عتيقها وخبر اثنين اكثر من خبر واحد
مع رواية عثمان التي هي اثبت من هذا كله انتهى ولذا قال الزركشي في جعل
ذلك من الخصايص نظر اذ لم يثبته الشافعي ووقوع العقد حال احرامه هو
والتجويز يحتاج الى دليل وقال السهيلي تاول بعض شيوخنا قول ابن عباس
وهو محرم يعني في الشهر الحرام والبلد الحرام لانه عربي فصيح يتكلم بكلام العرب
ولم يرد الاحرام بالحج ولا العمرة والله اعلم اراد ذلك ابن عباس ام لا قال ومن
الغريب ما رواه الدارقطني عن ابي الاسود ومطر الوراق عن عكرمة عن ابن
عباس انه تزوجها وهو حلال انتهى فان ثبت ذلك عنه فكانه رجع والا
فالمعروف عنه وهو محرم وان كان وهما وهو لا يتقدم مزيد لهذا في الزوجات
وقبله في عمرة القضية **وكذا يجوز له النكاح بغير رضى المراة** لانه اولى

بالمؤمنين من انفسهم بحامد **فلو رغب في نكاح امراة خلية** عن زوج
او عدة **لزمها الاجابة** اليه على الصحيح ويجبر عليه **وحرم على غيره
خطبتها** بكسر الخاء بمجرد الرغبة **او متزوجة وجب على زوجها
طلاقها** لينتزوجها وقياسه لو رغب في نكاح سرية وجب على سيدها
اعتاقها وتركها لينتزوج بها كذا قال شيخنا **قال الغزالي ولعل السر**
النكتة والحكمة **فيه** اي وجوب التطليق على الزوج **من جانب الزوج
امتحان ايمانه بتكليف النزول عن اهله فانه صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم** ايمانا كاملا ونفي اسم الشي بمعني الكمال عنه
مستفيض في كلامهم وخصوا بالخطاب لانهم الموجودون حينيذ والحكم عام
وفي رواية ابن ماجة احد **حتى اكون احب اليه من نفسه واهله وولده
والناس اجمعين** عطف عام على خاص وهو كثير والحديث في الصحيحين
عن انس بلفظ لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس
اجمعين وفي صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل من والده وولده وكذا في مسلم
من وجه اخر وفي رواية للبخاري لن يؤمن احدكم حتى اكون اليه احب من نفسه
وياتي ان شا الله تعالى الكلام عليه في مقصد المحبة وبقية كلام الغزالي ومن
جانب النبي صلى الله عليه وسلم ابتلاؤه ببلية البشرية ومنعه من خاينة الاعين
ولذا قال تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان
تخشاه ولا شي ادعى الى حفظ البصر من هذا التكليف قال وهذه يوردها الفقها
في نوع التخفيفات وعندي انه في حقه في غاية التشديد اذ لو كلف به احاد
الناس لما فتحوا اعينهم في الشوارع والطرقات خوفا من ذلك ولذا قالت عايشة
لو كان يخفي اية لاخفى هذه كذا قال وتعقب بان الاحاد غير معصومين فيثقل
عليهم ذلك بخلافه **ويدل لهذه الخصوصية قصة زينب بنت جحش
الاسدية بنت عمته صلى الله عليه وسلم اميمة** بالتصغير **بنت عبد
المطلب** مختلف في اسلامها واثبته ابن سعد وفي هذا الدليل نظر
لابتنايه على انه صلى الله عليه وسلم رغب في نكاحها لما راها وقال سبحان
الله مقلب القلوب فسمعت ذلك زينب منه واخبرته زيدا ففارقها وهذا
منكر وعلى تقدير تسليمه لا يدل على الوجوب اذ قوله فلما قضى زيد صورة
واقعة حال والصواب ان طلاق زيد لها لتعظيمها عليه ولذا قال ابن الرفعة
قصة زيد لا تدل على ذلك بل تدل على عكسه وبسط القول فيه بما يطول ذكره
وكذا فعل ابن الصلاح في كلامه على بسيط الغزالي **المنصوص عليها
بقوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه** اي **بنعمة الاسلام وهي
اجل النعم** زاد ابن عطية وبغير ذلك **وانعمت عليه** اي **بالاعتاق
بنو فيق الله لك وهو زيد بن حارثة الكلبي وكان من سبي
الجاهلية** وذلك ان امه سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طي خرجت
به لتزيره اهلها فاصابته خيل بني القين لما اغارت على بني معن فاتوا به

سوق عكاظ فعرضوه للبيع وهو غلام ابن ثمانية اعوام فاشتراه حكيم بن
حزام باربعماية درهم لعمته خديجة بنت خويلد فاستوهبه النبي صلى الله
عليه وسلم فوهبته له **فملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
قبل البعثة واعتقه وتبناه** لما قدم حارثة واخوه كعب مكة فقالا يا ابن
عبد المطلب يا ابن سيد قومه انتم اهل حرم الله تفكون العاني وتطعمون
الاسير جينا في ولدنا عبدك فامنن علينا واحسن في فدايه فقال او غير ذلك
ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم بغير فدا وان اختارني فوالله ما انا
بالذي اختار على من اختارني فقالوا زدتنا على النصف فدعاه فخيره
فقال ما انا بالذي اختار عليك احدا انت مني بمكان الاب والعم فقالا ويحك
يا زيد اتختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك واهل بيتك قال
نعم اني قد رايت من هذا الرجل شيا ما انا بالذي اختار عليه احدا فلما راى
صلى الله عليه وسلم ذلك قام الى الحجر فقال اشهدوا ان زيدا ابني ارثه
ويرثني فطابت نفس ابيه وعمه وانصرفا فدعي زيد بن محمد حتى جا الاسلام
فاسلم بحيث قيل انه اول من اسلم مطلقا ومر هذا مبسوطا في الموالي وروى
ابن الكلبي عن ابن عباس لما تبنى صلى الله عليه وسلم زيدا زوجه ام
ايمن ثم زوجه زينب فلما طلقها زوجه ام كلثوم بنت عقبة وولدت
بركة اسامة له بمكة بعد البعثة بثلاث او خمس **وخطب له زينب** بعد
البعثة **فابت هي واخوها عبد الله** المستشهد باحد **ثم رضيا لما
نزل قوله تعالى وما كان** ما صح **لمومن ولا مومنة الاية** قال ابن عطية عبر
بلفظ النفي ومعناه المنع من فعل هذا ويجي ما كان وما ينبغي ونحوهما للحظر
الشرعي والحكم بانه لا يكون وربما كان امتناع ذلك الشي عقلا كقوله ما كان لكم
ان تنبتوا شجرها وربما كان للعلم بامتناعه شرعا كقوله وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا وربما كان حظره بحكم شرعي كهذه الاية وربما كان في المندوبات
كما تقول ما كان لك ان تترك النوافل ونحوها واخرج الطبراني بسند صحيح عن
قتادة وابن جرير عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب
وهو يريدها لزيد فظنت انه يريدها لنفسه فلما علمت انه يريدها لزيد
ابت واستنكفت وقالت انا خير منه حسبا فانزل الله وما كان لمومن الاية كلها
فرضيت وسلمت وما ذكر من ان النسخة لما نزل لصواب واضح وما في نسخ ثم
رضيا فنزل وهم توهم ان رضاها قبل نزول الاية وليس كذلك **وكان الرجل
في الجاهلية وصدر الاسلام اذا تبنى ولد غيره يدعوه الناس به
ويرث منه** اي انهما يرث كل منهما الاخر **وتحرم عليه زوجته فنسخ الله
التبني بقوله ادعوهم لابايهم** قال ابن عمر ما كنا ندعو زيد بن حارثة
الا زيد بن محمد حتى نزل القران ادعوهم لابايهم هو اقسط عند الله رواه
البخاري **وبهذه القصة يثبت الحكم بالقول** من الله تعالى **وبالفعل**
من النبي صلى الله عليه وسلم وهو تزوجه زوجة من تبناه **فاوحى الله**

تعالى اليه بعد رضاها وتزوجها بزيد انه زيدا سيطلقها وانه
صلى الله عليه وسلم يتزوجها والقى في قلب زيد كراهتها اي ه
كراهة بقائها في نكاحه ولا يلزم منه كراهة ذاتها فاراد فراقها بعد
مكثها عنده مدة فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد
ان افارق صاحبتي اي زوجتي قال ما لك اي شيء حصل لك منها اخشية
اردت فراقها ارابك منها شيء اي هل استنقصت منها شيئا يوجب لك انك
في امرها فالهمزة للاستفهام ويحتمل انها جزء الكلمة اي احصل شيء بسببه طلبك
بها فهمزة الاستفهام مقدرة لانه مستبدل مما تضمن معنى الاستفهام و
ذكر همزته في البدل قال لا والله يا رسول الله ما رابني منها الا خير ولكنها
تتعظم علي بشرفها علي لانها عربية وانا مولى وتؤذيني بلسانها فقال
له صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا
تطلقها ضرارا مفعول له ولا تعللا وعبر البيضاوي باو بدل الواو فلما
قضى زيد منها وطرا ولم يبق له فيها حاجة تفسير لوطر وطلقها
وانقضت عدتها زوجها الله تعالى لسنة سنة خمس او ثلاث او اربع
من الهجرة وبالثانية صدر في الاصابة وبالثالثة في العيون وبالاول الملم كما
قال تعالى زوجناكها والمعنى انه امره بتزويجها منه اي بان يتخذها
زوجة والاوضح بتزوجها لانه من النفس والتزويج يكون من الغير ولعله عبر
به اشارة الى انه امر بجعلها زوجة له اعم من كون ذلك بطلبه من الولي او بتزوجها
له من نفسه بان يتولى الطرفين او جعلها زوجته بلا واسطة عقد وهذا
هو الصواب الذي لا يصح غيره كما قال بعض الحفاظ لانه الثابت في مسلم وغيره
كما ياتي ويؤيده انها كانت تقول لسائر اي باقي نساء رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن
اخرجه الترمذي وصححه عن انس قال كانت زينب تفخر على ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم تقول زوجكن اباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وليس هذا
من الفخر المنهي عنه بل من التحدث بالنعمة وقد سمعها النبي صلى الله عليه
وسلم واقرها وروى ابن سعد قالت زينب يا رسول الله اني والله ما انا كاحد
من نسائك الا زوجها ابوها او اخوها او اهلها غيري زوجنيك الله من السما
ويؤيده ايضا ما رواه ابن سعد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث
عند عائشة اذا اخذته غشية فسري عنه وهو يتبسم ويقول من يذهب الى
زينب فيبشرها وتلا واذ تقول للذي انعم الله عليه الاية قالت عائشة ه
فاخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها واخرى هي اعظم واشرف ه
ما صنع لها زوجها الله من السماء وعن الشعبي كانت زينب تقول لرسول الله
اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدي وجدك واحد وان الله
انكحنيك اياي من السما وان السفير في ذلك جبريل وهي اولى من رواية من روى
وان السفير بيني وبينك جبريل لما لا يخفى وقيل ان زيدا كان السفير

للتزويج

للتزويج بينهما كما اخرجه احمد ومسلم والنسائي عن انس قال لما انقضت
عدة زينب قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذكرني لها قال
فذهبت اليها فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله يذكرك
فقالت ما كنت لاحدث شيئا حتى اوامر ربي عز وجل فقامت الى مسجدها فانزل
الله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليها بغير اذن وفي ذلك ابتلاء عظيم لزيد وشاهد بين على
قوة ايمانه حيث اطاعت نفسه الى خطبة من فارقها الى سيده وسيد غيره مع
شان النفوس النفض من ان تتزوج مطلقها اعلا منها او مساو لها فضلا عن
توليها الخطبة ويروى انه قال له ما احد في نفسي اوثق منك فاخطب زينب
علي وقد علل الله تعالى تزويجه اياها بقوله لكيلا يكون على المؤمنين
حرج اثم في ازواج ادعيائهم جمع دعي وهو المتبنى اي في ان يتزوجوا
زوجات من كانوا يتبنونه اذا فارقوهن وان هؤلاء الزوجات
عطف على ان يتزوجوا ليست داخلات فيما حرم في قوله وحلائل ابنائكم
اذ المراد الصلبية واما قوله وتخفي في نفسك قال الزمخشري الواو للحال
قال ابو حيان لا يكون حالا الا على اضمار مبتدا اي وانت تخفي لانه مضارع مثبت
فلا تدخل عليه الواو الا على ذلك الاضمار وهو مع ذلك قليل نادر لا تنبني على مثله
القواعد وقال الطيبي الجمل الثلاث الواو فيها للحال على سبيل التداخل فقوله وتخفي
حال من المستتر في تقول وتخشى الناس حال من فاعل تخفي والله احق حال
من فاعل تخشى ما تخفي عليك فنصب بمقدر ومعناه انه سيطلقها وتتزوجها
فما تبدى ان الله على هذا القدر من شيء اباحه له بان قال امسك مع علمه
انه سيطلق وليس كبيرا عتبه وهذا مروي عن علي زين العابدين
ابن الحسين بن علي بن ابي طالب الهاشمي ثقة ثبت من رجال الجميع عابد
فقيه فاضل مشهور قال الزهري ما رأيت قرشيا افضل منه وعليه اهل التحقيق
من المفسرين كالزهري محمد بن شهاب التابعي الشهير وبكر بن العلاء
ابن زياد القشيري البصري ثم المصري وبها مات سنة اربع واربعين وثلاثمائة
وكان احد كبار الفقهاء المالكية وعلماء الحديث والقاضي ابي بكر محمد بن العربي
الحافظ الفقيه المشهور وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس انما هو
في ارجاف المنافقين في تزويج نساء الابناء اي في اكثارهم من الاخبار
السيئة واختلاق الاقوال الكاذبة حتى يضطرب الناس منها كما في المصباح والنبي
صلى الله عليه وسلم معصوم في الحركات والسكنات وفي البيضاوي
وتخشى الناس تعييرهم اياك والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى ولبعض
المفسرين هنا كلام لا يليق بمنصب النبوة وهو انه عليه السلام طلب
زيدا في داره فراى حاسرة فاعجبته فقال سبحان الله مقلب القلوب قاله
السبكي وهو منكر من القول ولم يكن صلى الله عليه وسلم تعجبه امراة ه
احد من الناس وقصة زينب انما جعلها الله تعالى كما في سورة الاحزاب

قطعا لقول الناس ان زيدا ابن محمد وابطالا للتبني قال وبالجملة فهذا
الموضع من مشكلات كلامهم في الخصايص وقد بالغوا في هذا الباب في مواضع
واقتحموا فيها عظايم لقد كانوا في غنية عنها انتهى وفيه البحث في توجيه
القول المنصور فيما نبه الله وقال له قلت امسك عليك زوجك وقد
اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبيا
وهو مطابق للتلاوة لان الله اعلمه انه يبديه ويظهره ما اخفاه ولم يظهر
غير تزويجها منه فقال فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فلو كان الذي اضمره محبتها
وارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه
فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما اعلمه انها تكون زوجا
له وانما اخفاه استحيا ان يقول لزيد ان امراتك ستكون امراتي وهذا
قول حسن مرضي وان كان القول الاخر وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو
طلقها لا يقدح في حال الانبيا لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل
هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لانه الود وميل النفس من طبع البشر انتهى وقيل
قوله اتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه مظهره خطابه
من الله تعالى او من الرسول عليه السلام لزيد فهو على هذا عطف على
امسك من جملة مقوله لزيد فانه اخفى الميل اليها واظهر الرغبة
عنها لما حين توهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان تكون
من نسائه وكانه قيل ويقول لزيد تخفي يا زيد في نفسك ما الله مبديه ويقول
له تخشى الناس الخ وهذا خلاف الظاهر المتبادر روايتي بتمه ابداه عن زيد فهذا
من غرايب التفسير قال جار الله العلامة محمود الزمخشري وصف
بذلك لسكناه مكة وكم من شيء مباح يتحفظ الانسان منه ويستحيي
من اطلاع الناس عليه فطرح اي استشراف قلب الانسان الى
بعض مشتهياته وبين ذلك بقوله من امراة وغيرها غير موصوف
بالقبح في العقل ولا في الشرع وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس
بقبيح ايضا عقلا وشرعا وهي خطبة زينب وفي نسخة وهو والتانيث
اولى لان الضمير اذا وقع بين مذكر ومونث فالاولى مراعاة الخبر لانه عين المبتدا
ومبين لحاله فهو المقصود ونكاحها من غير استنزال زيد عنها
ولا طلب اليه ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل منهم عن
امراته لصديقه بل كانوا يعدونه كرما ولا مستهجنا اذا نزل
عنها ان ينكحها اخوه فان المهاجرين حين دخلوا المدينة واخى
النبي صلى الله عليه وسلم بينهم وبين الانصار واسهم الانصار بكل
شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما
وانكحها المهاجر فيه اي لتسبب في تزويجها له بطريقه الشرعي بعد
خروجها من العدة بسوال وليها في ذلك فاذا كان الامر مباحا من
جميع جهاته لم يكن فيه وجه من وجوه القبح انتهى كلام

جار الله

جار الله في كشافه وكذا يجوز له عليه السلام النكاح بلا ولي
مع شهود وبلا شهود مع ولي وشهود معا قال النووي وهو
المشهور الصحيح عند اصحابنا وعند غيرهم صحة نكاحه
عليه السلام بلا ولي وبلا شهود لعدم الحاجة الى ذلك في
حقه عليه السلام وهذا الخلاف في غير زينب اما زينب
فمنصوص عليها فلا يأتي فيها خلاف للنص والله اعلم قال
العلما وانما اعتبر الولي في حق غير المصطفى للمحافظة على
الكفاءة وهو صلى الله عليه وسلم فوق الاكفا وانما اعتبر
الشهود لامن الجحود وهو عليه السلام لا يجحد ولو جحد لا يجوز
عليه ذلك ولو جحدت هي اي المراة لم يرجع الى قولها بل قال
العراقي في شرح المهذب تكون كافرة بتكذيبه اي مرتدة
بل قال المالكية تقتل ولو عادت الى الاسلام وكان له صلى الله عليه وسلم
تزويج المراة ولو صغيرة وبكرا ممن شا من غيره ومن نفسه بغير
اذنها واذن وليها وبغير اذن الزوج ايضا فيتولى الطرفين لانه اولى
بالمومنين من انفسهم وله اجبار الصغيرة من غير بناته فقد يحل
الخصوصية وزوج ابنة حمزة ابن عبد المطلب امامة او عمارة او فاطمة
او سلمى او عايشة او يعلى او امة الله اقوال سبعة في اسمها اشهرها الاول
كما في الفتح لربيبه سلمة ابن ام سلمة مع وجود عمها العباس كما
رواه البيهقي فقدم على الاقرب بخلاف غيره فيقدم الاقرب فالاقرب على
ما بين في الفروع فيقدم على الاب تفريع على قوله وله اجبار الصغيرة
وزوجه الله تعالى بزينب ابنة جحش فدخل عليها بتزويج الله
بغير عقد اي بغير تلفظ بعقد من نفسه وهذا وان علم من قوله سابقا
والمعنى انه امره الخ لكنه ثمة حكاه عن غيره على وجه الترديد وههنا
جزم باحد القولين اختيارا له وعبر في الروضة عن هذا بقوله وكانت
المراة تحل له بتحليل الله تعالى بغير عقد اشارة الى ان ذلك ليس خاصا
بزينب لكنه لم يقع الا فيها واعتق امته صفية بنت حيي سيدة قريظة
والنضير من ذرية هارون اخي موسى رضي الله عنها وجعل عتقها
صداقها كما اخرجه البخاري عن انس في الصلاة والمغازي والنكاح
مطولا ومختصرا وظاهره تمسك احمد والحسن وطايفة لقولهم بجواز
ذلك لغيره حتى لو طلقها قبل الدخول وجب له عليها نصف قيمتها وقد
اختلف في معناه فقيل انه اعتقها بشرط ان يتزوجها فوجب
ثبت له عليها قيمتها لانه لم يعتقها مجانا بل بعوض لكنه لا يلزمه
الوفا به في حق غيره وانما تعتق ان قبلت فورا كان طلبته ابتداء لذلك
فاجابها فيشترط الفور ايضا كما في البهجة وكانت معلومة فتزوجها
بها فان جهلت لهما او لاحدهما صح النكاح ولزم مهر المثل للجهل بالعوض

كما هو مقدر عند الشافعية ومذهب مالك منع ذلك ابتداء فان وقع
مضى العتق وفسد النكاح فيفسخ قبل الدخول ويثبت بعده بصداق
المثل فوجه الخصوصية عدم لزوم المهر له صلى الله عليه وسلم لا حالا
ولا مآلا وصحة نكاحه اتفاقا ويؤيده قوله في رواية عبد العزيز
ابن صهيب بضم المهملة البصري ثقة من رجال الجميع مات سنة ثلاثين
ومائة سمعنا انسا قال سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفية فاعتقها وتزوجها فقال ثابت بن اسلم البناني بضم الموحدة
ونونين ابو محمد البصري العابد الثقة روى له الجميع مات سنة بضع
وعشرين ومائة وله ست وثمانون سنة لانس ما اصدقها قال
اصدقها نفسها هكذا اخرجه البخاري في المغازي في غزوة
خيبر وقد يمنع دعوى التأييد به لجواز انه اعتقها بلا شرط بل هو ظاهر
في تأييد القول الثاني وفي رواية البخاري في الصلاة والمغازي عن
حماد بن زيد بن درهم الازدي البصري ثقة ثبت فقيه روى له الستة
عن ثابت وعبد العزيز بن صهيب كلاهما عن انس في حديث لفظه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الصبح بغلس ثم ركب فقال الله اكبر
خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فخرجوا
يسعون في السكك ويقولون محمد والخميس فظهر عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقتل المقاتلة وسبى الذراري قال فصارت صفية
لدحية الكلبي وصارت صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كذا وقع في الصلاة بالواو فظاهره انها صارت لهما وليس كذلك لانها صارت
لدحية اولا ثم صارت للمصطفى لما قيل له اعطيت دحية صفية سيدة قريظة
والنضير لا تصلح الا لك فقال عليه السلام لدحية خذ جارية غيرها فردها
فاصطفاها لنفسه كما رواه البخاري ايضا وغيره فالواو هنا بمعنى ثم
لان البخاري رواه في المغازي بلفظ ثم صارت لرسول الله ثم تزوجها
وجعل عتقها صداقها فقال عبد العزيز لثابت يا ابا محمد
آنت سألته بحذف همزة الاستفهام في الفرع واصله وفي بعض
الاصول اانت باثباتها انسا ما امهرها اي ما اصدقها ولابي ذر
والوقت والاصيلي ما مهرها بحذف الالف وصوبه القطب الحلبي وهما
لغتان قال انس امهرها نفسها الى هنا كله مقول عبد العزيز
لثابت وجوابه قوله فتبسم ثابت وفي رواية المغازي فحرك ثابت راسه
تصديقا له ولا منافاة فجمع بينهما وبهذا تعلم انه ليس فيه حذف تقديره
قال نعم سألته لانه يضيع قوله فتبسم وقوله فحرك الخ فهو ظاهر جدا
في ان المجعول هو نفس العتق لا شيء منه والتأويل الاول انه
اعتقها بشرط ان يتزوجها لا بأس به فانه لا منافاة بينه وبين
القواعد حتى لو كانت القيمة مجهولة فان في صحة العقد

بالشرط

بالشرط المذكور وجها عند الشافعية وهو المعتمد وان اشعر
سياقه بضعفه ويجب مع ذلك مهر المثل لفساد المسمى ووجه الخصوصية
على هذا التأويل عدم لزوم المهر له كما مر وقال آخرون بل جعل نفس
العتق المهر بان اعتقها ثم قال جعلت عتقك صداقك ولكنه من
خصائصه وممن جزم بذلك الماوردي بخلاف غيره فيجب مهر
المثل لفساد الصداق وقال آخرون قوله اعتقها وتزوجها
معناه ثم تزوجها فالواو بمعنى ثم فلما لم يعلم انس انه ساق
لها صداقا ام لا قال اصدقها نفسها اي لم يصدقها شيئا فيما
يعلم فانما نفى علمه ولم ينف اصل الصداق وهذا من بعيد التأويل
الذي لم يقم عليه دليل ومن ثم اي هنا اي من اجل ذلك التأويل المذكور
قال ابو الطيب الطبري من الشافعية وابن المرابط محمد بن خلف
الافريقي المالكية ومن تبعهم انه قول انس قاله ظنا من قبل
نفسه ولم يرفعه وهذا لا يليق اذ هو سوء ظن بالصحابي ويعارضه
ما اخرجه الطبراني وابو الشيخ من حديث صفية نفسها
قالت اعتقني النبي صلى الله عليه وسلم وجعل عتقي صداقي وهذا
موافق لحديث انس والمتبادر منها انه لا شيء غيره وفيه رد على من
قال ان انسا قال ذلك بناء على ظنه لان صفية ادرى بما وقع لها ولذا قال
الحافظ الهيثمي ما روي عن رزينة انه امهرها رزينة مخالف لما في الصحيح
انتهى وهي بفتح الراء وكسر الزاي وقيل بالتصغير وروى ابو يعلى انه صلى
الله عليه وسلم لما تزوج صفية امر بشرا خادما لها وهي رزينة فيحتمل انه
لما اخذ منها اياها ظننت انه جعلها مهرها والا فالمروي عن صفية وانس انه
جعل عتقها صداقها بل وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تقولون في
هذه الجارية قالوا انك اولى الناس بها واحقهم قال فاني اعتقتها واستنكحتها
وجعلت عتقها مهرها رواه الطبراني بسند جيد ويحتمل انه يكون هو
اعتقها بشرط ان ينكحها من غير مهر فلزمها الوفاء بذلك وهذا
خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره فلا يلزمها الوفاء ونفذ العتق
ويحتمل انه اعتقها بغير عوض وتزوجها بغير مهر في الحال ولا
في المآل خصوصية له ايضا قال ابن الصلاح معناه ان العتق حل محل
الصداق وان لم يكن صداقا في نفس الامر قال وهذا كقولهم الجوع زاد
من لا زاد له فجعل عدم الزاد زادا لتعذره عليه وليس بزاد وهذا اصح الاوجه
واقربها الى لفظ الحديث وتبعه اي ابن الصلاح في ترجيح هذا الوجه
النووي في الروضة وممن جزم انه ذلك من الخصائص يحيى ابن
اكثم بالمثلثة كما ضبطه النووي وغيره ابن محمد بن قطن التميمي المروزي
ابو محمد القاضي المشهور فقيه صدوق روى عنه الترمذي الا انه رمي
بسرقة الحديث قال الحافظ ولم يقع ذلك له وانما كان يرى الرواية بالاجازة

حسنة

والوجادة مات في اخر سنة اثنتين واربعين ومائتين وله ثلاث وثمانون
فيما اخرجه البيهقي عنه وكذا نقله المزني اسماعيل الامام المشهور
عن شيخه الشافعي الامام قال وهو من الخصوصية انه اعتقها
مطلقا عن قيد اشتراط التزويج وتزوجها بغير مهر ولا شهود
وهذا بخلاف غيره فانما يجوز له ذلك في عتيقته بمهر وشهود
انتهى وقال النووي في شرح مسلم الصحيح الذي اختاره
المحققون انه اعتقها تبرعا بلا عوض ولا شرط انه ينكحها ثم تزوجها
برضاها بيان للواقع من غير صداق لا لان رضاها شرط لانه
جائز له بدون رضى المراة كما مر والله اعلم بما وقع قاله شيخ الحافظ
ابن حجر في الفتح في النكاح واختلف في انحصار طلاقه صلى الله
عليه وسلم في الثلاث وهو الصحيح وعدم انحصاره كما لا ينحصر عدد
زوجاته وعلى الحصر فلا تحل له بالعقد عليها فيباح الوطي لا بدونه
لحصول البينونة الكبرى من غير محلل قال السيوطي على الاصح وقيل لا تحل
له ابدا لعدم امكان التحليل لان من خصائصه حرمة من دخل بها على غيره
لقوله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وازواجه امهاتكم وكان له نكاح
المعتدة في احد الوجهين قال ابن الصلاح وهو منكر بل غلط قال النووي
الصواب القطع الجزم بامتناع نكاح المعتدة من غيره اذ لا دليل
على الخصوصية والله اعلم وفي وجوب نفقة زوجاته عليه
وجهان قال النووي الصحيح الوجوب انتهى لقوله صلى الله عليه
وسلم لا تقتسم ورثتي دينارا ما تركت بعد نفقة نسائه ومونة عاملي فهو
صدقة رواه البخاري ومسلم وابو داود عن ابي هريرة فاذا كان يجب ان
ينفق من ماله على زوجاته بعد وفاته فكيف لا تجب النفقة لهن حال حياته
قال الجلال البلقيني فهذا الخلاف باطل ووقع الحديث مصحفا في عبارة
بحذف بعد فاحوج من لم يقف على غيرها الى تعسف تصحيحها بقوله اي
هو نفقة نسائه لكن يضيع قوله فهو صدقة وبعد ذلك ليس رواية ولا
يجب عليه القسم فيما قاله طوائف من اهل العلم كمالك وبه جزم
الاصطخري من الشافعية وصححه الغزالي في الخلاصة واقتصر عليه
في الوجيز قال البلقيني والسيوطي وهو المختار للادلة الصريحة الصحيحة
كحديث الشيخين كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار
وهن تسع نسوة ولقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتووي اليك من
تشاء اي تبعد من تشاء فلا تقسم لها وتقرب من تشاء فتقسم لها على احد
التفاسير ولان في وجوبه عليه شغلا عن لوازم الرسالة والمشهور
عندهم وعند الاكثرين الوجوب وتعسفوا الجواب عن هذا الحديث
باحتمال انه لبينة بعد من واحتجوا للوجوب بقوله اللهم هذا قسمي فيما
املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك رواه ابن حبان وغيره وقال

الحاكم

الحاكم صحيح على شرط مسلم وقال الترمذي روي مرسلا وهو اصح
انتهى ولا دلالة فيه على الوجوب كما هو ظاهر انما هو احتمال ومحل
الجمع له بين المراة وعمتها وخالتها وجهان مبنيان على ان
المتكلم يدخل في الخطاب ومقتضى البنا ترجيح المنع وهو الاصح لا اختها
وبنتها فلا يحل له الجمع اتفاقا وما حكاه الرافعي وتبعه في الروضة
من جوازه له جزموا بانه غلط فاحش لا تحل حكايته الا لبيان فساده
لانه صرح بتحريمها عليه روى الشيخان ان ام حبيبة قالت قلت يا رسول
الله انكح اختي فقال او تحبين ذلك فقلت نعم لست لك بمخلية واحب من
شاركني في خير اختي فقال صلى الله عليه وسلم ان ذلك لا يحل لي قلت فانا
نحدث انك تريد ان تنكح بنت ابي سلمة فقال لو لم تكن ربيبتي في حجري
ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني واباسلمة ثويبة فلا
تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن وامها مستدرك اذ هو قوله وبنتها
قال والواو مرجع هذه الخصائص الى ان النكاح في حقه كالتسري
في حقنا فان قلنا بحرمة التسري باختين بينهما محرمية حرم عليه صلى
الله عليه وسلم جمع امراتين بينهما ذلك وان قلنا باباحة التسري لنا
كما يقوله بعض الحنفية جاز له ذلك وكان له عليه السلام ان يصطفي
ما شاء من المغنم قبل القسمة من جارية كما اصطفى ريحانة من سبي
بني قريظة وصفية من خيبر قيل ولذا سميت صفية لانها من الصفي وكان
اسمها زينب وغيرها كما اصطفى سيفه ذو الفقار ولا يختص الاصطفا
بالمغنم كما اقتضاه كلام جمع بل يكون من الفي ايضا كما ذكره الزركشي وغيره
تبعا لابن حج وابيح له القتال بمكة ساعة من نهار كما في الصحيح وهي
من طلوع الشمس الى العصر كما في مسند احمد والقتل بها انظر ما المراد
به فان لغيره صلى الله عليه وسلم قتل من يستحق القتل بها قاله شيخنا
وجواز دخول مكة من غير احرام مطلقا دخل لحاجة ام لا والمراد
احل له دخولها بلا خلاف على اي صفة كان الدخول بخلاف غيره ففيه خلف
بينه بعد ذكره ابن القاص واستدلوا له بحديث انس عند الايمة
الستة كلهم من طريق مالك عن الزهري عن انس قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وعلى راسه المغفر بكسر الميم
وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع المنصل بها
يجعل على الراس او رفرف البيضة او ما غطى الراس من السلاح كالبيضة
وفي رواية عن مالك خارج الموطا مغفر من حديد رواه الدارقطني وذلك
اي وجه الاستدلال من كونه عليه السلام كان مستور الراس
بالمغفر والمحرم يجب عليه كشف راسه ومن تصريح جابر عند
مسلم ومالك عند البخاري وغيره والزهري عند
بانه لم يكن محرما وكذا صرح به طاووس عند ابن ابي شيبة

بياض

باسناد صحيح وابدى ابن دقيق العيد لستر الراس احتمالا لامتثال
يحتمل ان يكون لعذر فلا ينافي انه محرم انتهى ونقضه الشيخ
ولي الدين العراقي فقال هذا يرده تصريح جابر بقوله دخل
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه عمامة سودا بغير احرام اخرجه
مسلم واحمد واصحاب السنن وغيره كالزهري ومالك بقوله ولم يكن
صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله اعلم يومئذ محرما ما اخرجه البخاري
ورواه الدارقطني جزما عنه فاسقط فيما نرى والله اعلم قال ابن العراقي
وهذا الاستدلال منهم على الخصوصية من غير الموضع المشهور
لانه عليه السلام كان خائفا من القتال متاهبا له ومن كان
كذلك فله الدخول عندنا بلا احرام بلا خلاف عندنا ولا
عند احد نعلمه فلا يصلح الاستدلال بذلك وقد استشكل النووي
في شرح المهذب ذلك اي دخوله خائفا من القتال متاهبا له لان
مذهب الشافعي ان مكة فتحت صلحا خلافا لابي حنيفة
ومالك والاكثرين في قولهم انها فتحت عنوة وحينئذ فلا خوف
واجاب عنه بانه عليه السلام صالح اباسفيان وكان لا يامن غدر
اهل مكة فدخلها صلحا وهو متاهب للقتال ان غدروا اي
اهل مكة بالبنا للفاعل انتهى وعلى قول الاكثرين لا يتوجه هذا السوال
اصلا وقد ذكرت ما في فتح مكة من المباحث في قصة فتحها من
المقصد الاول ومنه ترجيح فتحها عنوة من حيث الادلة ثم ان غيره
صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن خائفا فقال اصحابنا ان لم يكن
ممن يتكرر دخوله ففي وجوب الاحرام عليه قولان اصحهما
عند اكثرهم انه لا يجب ان لم يرد نسكا بل يستحب وقطع به بعضهم
فان تكرر دخوله كالحطابين ونحوهم ففيه خلاف مرتب مفرع
على الخلاف المذكور فان قلنا لا يجب على من لم يتكرر فلنا بعدمه على من تكرر
قطعا وان قلنا يجب على من لم يتكرر ففي وجوبه على من تكرر خلاف اصحه
لا يجب كما قال وهو اولى بعدم الوجوب وهو المذهب اي المعتمد
من التعبير بالكل عن الجزء لانه الاهم عند الفقيه المقلد وقال بعض الحنابلة
بوجوب الاحرام الا على الخائف واصحاب الحاجات المتكررة
واوجبه المالكية في المشهور عندهم على غير ذوي الحاجات
واوجبه الحنفية مطلقا الا من كان داخل الميقات وقد تحرر
من هذا ان المشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب
مطلقا ومن مذاهب الايمة الثلاثة الوجوب الا فيما استثني
وفي رواية عن كل منهم لا يجب وتقدم هذا في فتح مكة بنحوه والله اعلم و
خصايصه صلى الله عليه وسلم انه كان يقضي بعلمه لنفسه
ولغيره زاد الانموذج ولو في الحدود من غير خلاف وفي غيره خلاف اصحه

عند

عند الشافعية ان القاضي المجتهد له الحكم بعلمه الا في الحدود بخلاف
غير المجتهد فلا يقضي بعلمه للريبة والراجح عند المالكية منعه في الحدود
وغيرها الا في التعديل والتجريح وان يقضي لنفسه ولولده اي و
فروعه لان المنع في حق غيره للريبة وهي منتفية عنه قطعا وان
يشهد لنفسه ولولده لانتفا الريبة زاد الانموذج وان يقبل شهادة
من شهد له ولولده ولا يكره له الفتوى ولا القضاء حال الغضب
لانه لا يخاف عليه من الغضب ما يخاف على غيره اذ غضبه لله لا لحظ
نفسه كما ذكره النووي في شرح مسلم عند حديث اللقطة
فانه صلى الله عليه وسلم افتى فيه وقد غضب حتى احمرت وجنتاه كما
في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم ساله رجل عن اللقطة فقال
اعرف وكاها وعفاصها ثم عرفها سنة ثم استمتع بها فان جاء ربها فادها
اليه قال فضالة الابل فغضب حتى احمرت وجنتاه فقال ما لك ولها معها
سقاوها وحذاوها ترد الما وترعى الشجر فذرها حتى يلقاها ربها قال
فضالة الغنم قال لك او لاخيك او للذيب وقضى للزبير بن العوام احد
العشرة بشراج بكسر الشين المعجمة اخره جيم جمع شرج بفتح فسكون
بزنة بحر وبحار ويجمع على شروج واضيف الى الحرة بفتح الحا والرا المشددة
المهملتين موضع معروف بالمدينة لكونه فيه والمراد مجاري الما الذي
يسيل منها بعد ان اغضبه خصم الزبير هو حميد رواه ابو موسى
المديني في الذيل بسند جيد قال الحافظ ولم ار تسميته الا في هذا الطريق
وهو مردود بما في بعض طرق الحديث اي عند البخاري في الصلح انه شهد
بدرا وليس في البدريين احد اسمه حميد وقيل هو ثابت ابن قيس ابن
شماس حكاه ابن بشكوال واستبعد وقيل حاطب بن ابي بلتعة حكاه
ابن باطيش ولا يصح لان حاطبا ليس انصاريا واجيب بحمله على المعنى
اللغوي اي من كان ينصر النبي صلى الله عليه وسلم لا انه من الانصار المشهورين
ورد بانه في رواية الطبراني انه من بني امية بن زيد وهم بطن من الاوس
ودفع باحتمال ان مسكنه كان في بني امية لا انه منهم وقد روى ابن ابي حاتم
عن سعيد بن المسيب في قوله فلا وربك الاية قال انزلت في الزبير بن العوام
وحاطب بن ابي بلتعة اختصما في ما فقضى النبي صلى الله عليه وسلم ان
يسقي الاعلى ثم الاسفل وهذا مرسل ولكن فيه فايدة تسمية الانصاري
لعصمته صلى الله عليه وسلم فلا يقول في الغضب الا كما يقول
في الرضى اذ كل من غضبه ورضاه لله اخرج الايمة الستة عن عبد الله
ابن الزبير قال خاصم الزبير رجلا من الانصار في شراج الحرة التي يسقون
بها النخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الما الى
جارك فقال الانصاري يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول
الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الما حتى ترجع الى الجدر ثم ارسل الما الى

خذ ارك واستوعى للزبير حقه وكان اشار عليهما بامر لهما فيه سعة قال
الزبير فما احسب هذه الآية الا نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم وان بفتح الهمزة للتعليل مقدرة باللام اي حكمت له بالتقديم
لاجل انه ابن عمتك وادعى الكرماني ان في بعضها انه بكسر الهمزة قال
الحافظ على انها شرطية والجواب محذوف ولا اعرف هذه الرواية وحكى
القرطبي فتح الهمزة والمد على انه استفهام انكاري ولم يقع لنا في الرواية
قال لم تكن رايته في الاصل المقروء على الميدومي وغيره وفي الفرع
مصحح عليه بالمد والجدر بفتح الجيم وسكون المهملة ما وضع بين شربات
النخل كالجدار او الحواجز التي تحبس الما وقال القرطبي هو ان يصل الما الى
اصول النخل قال ويروى بكسر الجيم وهو الجدار والمراد جدران الشربات
وهي الحفر التي تحفر في اصول النخل انتهى وكان له ان يدعو لمن شاء
بلفظ الصلاة استقلالا بلا كراهة لحديث الصحيحين وغيرهما عن عبد الله
ابن ابي اوفى علقمة رضي الله عنهما قال كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال
اللهم صل على آل فلان وليس لنا ذلك بل يكره تنزيها على الاصح ولنا ان نصلي على
نبي او ملك استقلالا لانه صار شعارا لهم اذا ذكروا فلا يقال لغيرهم وان كان
معناه صحيحا الا تبعا فيجوز وكان له ان يقتل بعد الامان جم كذا نقله امام الحرمين
والرافعي وغيرهما عن ابن القاص وخطاوه فيه وتعقبهم ابن الرفعة بان
لفظه في تلخيصه لا يعطي ذلك فانه قال يجوز له القتل في الحرم بعد اعطاء
الامان وهذا معناه اذا قال من دخل الحرم فهو امن فدخله شخص وثم
سبب يقتضي قتله ابيح له قتله فهو اشارة لقصة عبد الله بن خطل
في الصحيحين عن انس انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى
راسه المغفر فلما نزعه جا رجل فقال ابن خطل متعلق باستار الكعبة
فقال اقتلوه وابن القاص معذور لانه راى حديث الامان في دخول المسجد
وراى في هذا الامر بقتله فاستنبط هذه الخصوصية وهذا نهاية امر الفقيه
جمعا بين الاحاديث لكن النبي صلى الله عليه وسلم لما امن الناس استثنى
ابن خطل وغيره كما سبق في الفتح وان يلعن ما شا بغير سبب يقتضيه
واستبعد ذلك اي وقوعه منه وجعل شتمه به ولعنه قربة للمشتوم
والملعون تقربه الى الله يوم القيامة لدعائه عليه السلام بذلك جم بقوله اللهم
اني اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه انما انا بشر فايما مؤمن اذيته او شتمته
او جلدته او لعنته فاجعلها صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم
القيامة رواه الشيخان من حديث ابي هريرة واللفظ لمسلم وفي لفظ له اللهم
اني بشر ارضى كما يرضى البشر واغضب كما يغضب البشر فايما احد دعوت
عليه من امتي بدعوة ليس لها باهل ان تجعلها له طهورا وزكاة وقربة
تقربه بها اليك يوم القيامة وفيه روايات اخر متقاربة وفي مسلم ايضا
عن عايشة دخل على النبي صلى الله عليه وسلم رجلان فكلماه بشي

لا ادري ما هو فاغضباه فسبهما ولعنهما فلما خرجا قلت له فقال او
ما علمت ما شارطت عليه ربي قلت اللهم انما انا بشر فايما الحديث
قال في الفتح قال المازري ان قيل كيف يدعو بدعوة على من ليس لها باهل
قيل المراد ليس باهل لذلك عند الله في باطن الامر لا على ما يظهر مما يقتضيه
حاله وجنايته حين دعي عليه فكانه يقول من كان في باطن امره عندك ممن
ترضى عنه فاجعل دعوتي عليه التي اقتضاها ما ظهر لي من مقتضى حاله
حينئذ طهورا وزكاة قال وهذا معنى صحيح لا استحالة فيه لانه صلى الله
عليه وسلم متعبد بالظواهر وحساب الناس في البواطن على الله انتهى لكنه
مبني على انه كان يجتهد في الاحكام ويحكم بما ادى اليه اجتهاده اما على انه
لا يحكم الا بالوحي فلا يتاتى فيه هذا واجاب المازري ايضا بان ما وقع من
سبه ودعايه ونحوه ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب في كلامها
بلا نية كقوله لغير واحد تربت يمينك وعقرى حلقى وفي مثل لا كبرت سنك
ولا اشبع الله بطنه ونحو ذلك مما لا يقصد منه حقيقة الدعا فخاف صلى الله
عليه وسلم ان يصادف شيا من ذلك فسال الله ورغب اليه ان يجعل ذلك
رحمة وكفارة وقربة وطهورا واجرا وهذا انما كان يقع منه في النادر الشاذ
من الزمان ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا
ولا منتقما لنفسه وقيل له ادع على دوس فقال اللهم اهد دوسا وقال
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون واشار عياض الى ترجيح هذا الجواب
قال الحافظ هو حسن الا انه يرد عليه قوله في احدى الروايات او
جلدته اذ لا يقع الجلد بلا قصد وقد ساق الجميع مساقا واحدا الا ان يحمل
على الجلدة الواحدة فيتجه قاله ابن القاص وردوه عليه حكاه
الحجازي في مختصر الروضة عن الرافعي ولعل وجه رده شموله
كلامه لمن دعي عليه بسبب يقتضي الدعا والا فالحديث كما قال وانه مصرح
بما قاله وفي الشامية وبان له نقصه ممن شا الى باللعن وغيره بغير سبب
يقتضيه ويكون له رحمة ذكره ابن القاص وتبعه الامام والبيهقي ولا يلتفت
لقول من انكره وكان يقطع الاراضي قبل فتحها بخلاف غيره من الائمة
فانما يقطع بعد فتحها لان الله ملكه الارض كلها ولا ينقض شي مما
اقطعه بعده بحال ولذا افتى الغزالي بكفر من عارض اولاد تميم
الداري فيما اقطعهم النبي صلى الله عليه وسلم من الارض بالشام
وقال انه صلى الله عليه وسلم كان يقطع ارض ما شا منها لمن
شا فارض الدنيا اولى ونقله عن الغزالي ابن العربي في القانون واقره
واختى به السبكي ايضا وروى الشافعي والبيهقي عن طاوس مرسلا عن
النبي صلى الله عليه وسلم عادي الارض لله ولرسوله ثم لكم من بعد قال
الرافعي يقال للشي القديم عادي نسبة الى عاد الاولى والمراد هنا الارض
غير المملوكة الا انه وان تقدم ملكها ومضت عليه الازمان فلا يختص ذلك

يقوم عادة النسبة اليهم للتمثيل لما لم يعلم مالكه وقوله لله ولرسوله اي مختص بهما فهو فيء يتصرف فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم انتهي

وبعض النسخ القسم الرابع

الفصل الرابع

فيما اي شيء اختص به علي الامة وان شاركه الانبيا في بعضها صلي الله عليه وسلم وتفسير ما بشيء لا يقتضي حصرا ولا استيفا بل ولا يفسر بالذي لانه يصير معرفة فيقتضي الحصر والواقع انه لم يستوعب جميع ما اختص به من الفضايل جمع فضيلة وهي والفضل الخير وهو خلاف النقيصة والنقص كما في الصحاح وقضيته ان ما لا نقص فيه ولا كمال يسمي فضيلة وفضلا لانه خلاف النقص والظاهر كما قال شيخنا انه غير مراد وان الفضيلة ما فيه مزية لصاحبها علي غيره فما لا كمال فيه ولا نقص واسطة بين الفضيلة والنقيصة انتهي وقد قال القرطبي في المفهم الفضايل جمع فضيلة وهي الخصال الجميلة التي يحصل لصاحبها بسببها شرف وعلو منزلة اما عند الحق واما عند الخلق والثاني لا عبرة به الا ان وصل الي الاول انتهي والكرامات عطف خاص علي عام جمع كرامة امر خارق للعادة غير مقرونة بالتحدي فيظهر علي يد اوليا الله ودرجة الانبيا قبل النبوة لا تقصر عن الولاية فيجوز ظهورها علي يدهم منها انه اول النبيين خلقا واخرهم بعثا رواه ابن ابي حاتم وغيره عن ابي هريرة مرفوعا بلفظ كنت اول الخ ورواه هو والديلمي وابو نعيم وغيرهم عن ابي هريرة مرفوعا بلفظ كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث كما تقدم في اول هذا الكتاب بادلته وتفسير معناه وانه كان نبيا وادم بين الروح والجسد ظرف زمان بمعني انه محكوم بحاظاهره بين خلق روح ادم وجسده بحيث نباه في عالم الارواح وامرها بمعرفة نبوته والاقرار بها رواه الترمذي وقال حديث حسن من حديث ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله متي وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد ومنها انه اول من اخذ عليه الميثاق يوم الست بربكم كما مر اول الكتاب ومنها انه اول من قال بلي انتهي بيوم الست بربكم رواه ابو سهل القطان

بياض

في جزء من اماليه عن علي باسناد ضعيف ومنها ان ادم وجميع المخلوقات خلقوا لاجله رواه البيهقي وغيره كشيخه الحاكم وصححه عن ابن عباس اوحي الله الي عيسي ان امن بمحمد وامر امتك ان يومنوا به فلولا محمد ما خلقت ادم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار الحديث وهو لا يقال راياً فحكمه الرفع وروي ابن عساكر لقد خلقت الدنيا واهلها ه

اعرفهم

اعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا ومنها ان الله كتب اسمه الشريف علي العرش لفظ الرواية عن كعب علي ساق العرش كما مر في الاسما اي قوايمه وروي ابن عدي لما عرج بي رايت مكتوبا علي ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وعلي كل سما من السموات السبع وعلي الجنان وما فيها من قصور وغرف وعلي نحور الحور العين وورق شجرة طوبي وسدرة المنتهي واطراف الحجب وبين اعين الملايكة رواه ابن عساكر عن كعب الاحبار قال انزل الله علي ادم عصيا بعدد الانبيا والمرسلين ثم اقبل علي ابنه شيث فقال اي بني انت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوي والعروة الوثقي فكلما ذكرت الله فاذكر اسم محمد فاني رايت اسمه مكتوبا علي ساق العرش الحديث بطوله قدمه المص في الاسما وهو من الاسرايليات وحكم بعض الحفاظ بوضعه واجاب شيخنا بان الحكم بوضع جملة الفاظه لا يستلزم عدم ثبوت معانيها اذ يجوز ثبوت معاني بعضها في احاديث فتنظر واليها من حيث وجودها في غير حديث كعب كذا قال وهو تجويز عقلي لا يلتفت اليه المحدث اذ كلامهم انما هو في الاسناد الذي هو المرقاة وثبوت معني الموضوع ولو في القران فضلا عن تجويز ثبوته باحاديث لا تويد الموضوع فينفي عنه الوضع كما هو مقرر عند ادني من له المام بالفن ومنها ان الله تعالي اخذ الميثاق علي النبيين ادم فمن بعده حتي عيسي ان قلنا بالمشهور انه ليس بينه وبين المصطفي نبي او من بعده ايضا كخالد بن سنان ان يومنوا به وينصروه قال الله تعالي واذكر اذ حين اخذ الله ميثاق النبيين عهدهم لما بفتح اللام للابتدا وتوكيد معني القسم الذي في اخذ الميثاق وكسرها متعلق باخذ وما موصولة علي الوجهين اي للذي اتيتكم اياه وفي قراءة اتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم من الكتاب والحكمة وهو محمد صلي الله عليه وسلم لتومنن به ولتنصرنه جواب القسم وامهم تبع لهم في ذلك قال علي بن ابي طالب في تفسير هذه الاية فيما رواه ابن جرير لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلي الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليومنن به ولينصرنه وياخذ العهد بذلك علي قومه الرواية بنصب ياخذ كما افاده عياض بالعطف علي يومنن بتقدير نون التوكيد الخفيفة كذا وجهها الشمني والمص ورد بانه حينيذ يكون من جزا الشرط فيلزم ان الاخذ من الامة بعد بعث المصطفي وليس المقصود فالعطف علي جملة لين بعث الخ علي انها في موضع مفرد والوجه ان التقدير وامران ياخذ علي حد وزججن الحواجب والعيونا وفي البغوي اختلف في معني الاية فقيل اخذ ميثاق النبيين ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد علي كل نبي ان يومن بمن ياتي بعده وينصره ان ادركه والا يامر قومه بنصره ان ادركه كما اخذ الميثاق من موسي ان يومن بعيسي ومن عيسي ان يومن بمحمد

وقيل انما اخذ عليهم الميثاق في محمد صلى الله عليه وسلم واختلف على هذا
فقيل الاخذ على النبيين واممهم واكتفى بذكر الانبيا لان العهد على المتبوع
عهد على التابع وقيل المراد ان الله اخذ عهد النبيين ان ياخذوا الميثاق
على اممهم بذلك انتهى ملخ وقد مر بسط ذلك في اول هذا الكتاب **ومنها**
انه وقع التبشير به في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل ونعته
فيها ونعت اصحابه وخلفايه **كما سياتي ان شا الله تعالى** في النوع
الرابع من المقصد السادس **ومنها انه لم يقع في نسبه من لدن**
ادم اي في زمنه لان لدن وان كان الاصل انها ظرف مكان بمعنى عند لكنها
قد تستعمل للزمان كما هنا **سفاح** اي زنا بكسر السين المهملة من سفح الما
او الدم او الدمع اذا انصبه لان الزاني يصب المني في غير حقه لعدم ثبوت النسب
والتوارث فيه ولكونه من الخلطات الخمس التي لم تبح في ملة من الملل قال
بعض المحققين والمراد بالسفاح ما لم يوافق شريعة **رواه البيهقي عن**
والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الدلايل باسناد حسن عن علي
مرفوعا خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم الى ان ولدني
ابي وامي لم يصبني من سفاح الجاهلية شي **ومنها انه تنكست الاصنام**
لمولده رواه الخرايطي في الهواتف وغيره كابن عساكر عن عروة ان نفرا
من قريش منهم ورقة بن نوفل كانوا في صنم لهم يجتمعون اليه فدخلوا عليه ليلة
فراوه مكبوبا على وجهه فاخذوه وردوه الى حاله فلم يلبث حتى انقلب انقلابا
عنيفا فردوه الى حاله فانقلب الثالثة فقالوا ان هذا لامر حدث فكان ذلك
ليلة ولد صلى الله عليه وسلم وشاركه في هذه الخصوصية عيسى روى عبد
الرزاق عن وهب لما ولد عيسى اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام
منكوسة فقال هذا حادث حدث فطاف خافقي الارض فلم ير شيا ثم البحار
فلم يقف على شي ثم طاف ايضا فوجد عيسى قد ولد والملايكة قد حفت حوله
فرجع اليهم فقال ان نبيا ولد البارحة **ومنها انه ولد مختونا** اي على صورة
المختون اذ الختن القطع ولا قطع هنا **مقطوع السرة** الاولى حذف التا لان
السر بالضم ما تقطعه القابلة من سرة الصبي كما في النهاية وغيرها الا ان يكون
سمى السر سرة مجازا لعلاقة المجاورة او فيه حذف اي مقطوع منه ما يتصل
بالسرة **رواه الطبراني وغيره** وفي عده من الخصايص نظر اذ ولد سبعة
عشر نبيا مختونين كما مر نظما وجماعة من هذه الامة ولدوا مختونين ولذا
قال ابن القيم ليس هذا من خصايصه فان كثيرا من الناس ولد مختونا قال
الشامي حتى في عصرنا اخبر بعضهم انه ولد مختونا انتهى ويمكن ان الخصوصية
مجموع الختن وقطع السرة وقيل ختنه جده يوم سابعه وصنع له مادبة
وقيل ختنه جبريل عند حليمة والارجح الاول فقد قال الحاكم به تواترت الاخبار
وابن الجوزي لا شك انه ولد مختونا قال الخيضري وادلته مع ضعفها امثل من
ادلة غيره انتهى بل له طريق جيدة صححها الضيا المقدسي وحسنها مغلطاي

وهي ما رواه الطبراني وابو نعيم وابن عساكر عن انس رفعه من كرامتي
على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوءتي **وتقدم ما فيه من البحث**
اول الكتاب مع فوايد جليلة **ومنها انه خرج نظيفا ما به قذر**
مما جرت العادة به في المولود عقب ولادته وهي صفة موضحة للمبالغة في
نظافته اذ القذر ضد النظافة **رواه ابن سعد** من طريق همام بن يحيى عن
اسحق بن عبد الله عن امنة **ومنها انه وقع** خرج من بطن امه **ساجدا**
حقيقة **رافعا اصبعيه** اي سبابتيه الى السما قابضا بقية اصابعه كالمتضرع
المتذلل المبتهل **رواه ابو نعيم** في خبر طويل من حديث ابن عباس عن امنة
بلفظ فوضعت محمدا فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السما
كالمتضرع المبتهل وللطبراني لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يده
مشيرا بالسبابة كالمسبح بها **ورات امه** رؤية عين بصرية لا منامية
كما زعم **عند ولادته نورا خرج منها اضاءت له قصور الشام** اي
اضاء النور وانتشر حتى رات قصور الشام واضاءت تلك القصور من ذلك النور
وكذلك ترى امهات الانبيا نورا يخرج منهن عند الولادة وان لم يكن
كالذي راته امه من كل وجه بحيث ان كل واحدة تضيء منها قصور الشام
هكذا ترجاه شيخنا **رواه احمد** والبزار والطبراني وصححه ابن حبان والحاكم
من حديث العرباض مرفوعا ولاحمد ايضا من حديث ابي امامة وابن اسحق
عن خالد بن معدان عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
فيه اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام **وكان مهده** اي ما هيي له لينام
فيه **يتحرك بتحريك الملايكة** له قال بعض ولم ينقل مثله لاحد من الانبيا
كما ذكره ابن سبع باسكان الموحدة وقد تضم كما في التبصير **في الخصايص** وله
وكان القمر يحدثه وهو في مهده ويميل اليه حيث اي في اي وقت
اشار اليه باصبعه فحيث هنا للزمان **رواه ابن طغربك** بضم الطا المهملة
واسكان الغين المعجمة وضم الرا وفتح الموحدة **في كتاب النطق المفهوم**
وغيره كالبيهقي والصابوني والخطيب وابن عساكر عن العباس بن عبد
المطلب **قلت** يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك امارة لنبوتك رايتك
تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال اني كنت احدثه
ويحدثني ويلهيني عن البكا واسمع وجبته حين يسجد تحت العرش
وتكلم في المهد رواه الواقدي ان اول ما تكلم به لما ولد جلال ربي الرفيع
وروى انه لما وقع على الارض رفع راسه وقال بلسان فصيح لا اله الا الله وا
اني رسول الله وعند ابن عايذ اول ما تكلم به حين خرج من بطن امه الله
اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وطريق الجمع انه قال ذلك
كله **وابن سبع** لكن عده من الخصايص فيه نظر اذ ليس من خصايصه
ولا من خصايص الانبيا فقد تكلم فيه ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج رواه احمد والحاكم مرفوعا وابن المراة من اصحاب

الاخدود رواه مسلم ومبارك اليمامة رواه البيهقي وكذا الطفل التي مرت
عليه امة تنسب الى الزنا فقالت امه اللهم لا تجعلني مثلها فقال اللهم اجعلني
مثلها فهو لا ستة تكلموا في المهد وليسوا بانبياء وللسيوطي نظم شهير في
جملة من تكلم وظللته الغمامة السحابة في الحر رواه ابو نعيم
والبيهقي عن ابن عباس كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت
عنه فخرج مع اخته في الظهيرة فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع اخته
فقالت في هذا الحر فقالت ما وجد اخي حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت
واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع الحديث وهذا كان قبل النبوة فهو من
الكرامات وفي الصحيح فاذا انا بسحابة قد اظلتني ولذا قال ابن جماعة من زعم
ان حديث اظلال الغمام لم يصح فهو باطل نعم قال السخاوي وغيره لم يكن
دايما ففي حديث الهجرة ان الشمس اصابته وظلله ابو بكر بردايه وثبت انه
كان بالجعرانة ومعه ثوب قد اظل عليه وانهم كانوا اذا اتوا على شجرة ظليلة
تركوها له عليه السلام وغير ذلك ومال اليه فيء ظل الشجرة اذا
سبق اليه اثراً ما له رواه البيهقي والترمذي وحسنه والحاكم وصححه
وغيرهم عن ابي موسى الاشعري قال خرج ابو طالب الى الشام ومعه النبي صلى
الله عليه وسلم في اشياخ من قريش الحديث وفيه ان بحيرا الراهب صنع لهم
طعاما واتاهم به وكان صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فقال بحيرا ارسلوا
اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنى من القوم وجدهم قد سبقوه
الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة
مال عليه ومنها شق صدره الشريف اربع مرات ولم تثبت الخامسة
رواه مسلم وغيره وتقدم بسطه لجميع ما ذكره المص من اول هذا الفصل
الى هنا في المقصد الاول الا كتابة اسمه على العرش وغيره ففي المقصد الثاني
وغطه بغين معجمة فطا مهملة مشددة ضمه وعصره جبريل عند
ابتدا الوحي ثلاث غطات ليشغله عن الالتفات لشيء اخر ولاظهار
الشدة والجد في الامور ان ياخذ الكتاب بقوة وقيل غير ذلك كما مر عد هذه
بعضهم من خصايصه كما نقله الحافظ ابن حجر قال ولم ينقل
عن احد من الانبيا انه جرى له عند ابتدا الوحي لا مرة ولا
اكثر ومنها ان الله ذكره في القران اي ذكر اعضاه التي اريد الاخبار
عنها بصفة تعلقت بها فيها ثنا عليه مبينه عضوا عضوا وهو
بهذا المعنى لا يستلزم الجميع فلا يرد انه بقي من اعضايه الفخذين والرجلين
وغيرها فقلبه اي فذكر قلبه بقوله ما كذب الفواد ما راى اي ما
راه بقلبه اي ما انكر قلبه ما راه ببصره من صورة جبريل او الله تعالى
فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال
فواده لما راه لم اعرفك لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره والمعنى انه ليس
تخيلا ويدل له انه صلى الله عليه وسلم سيل هل رايت ربك فقال رايته

بفوادي رواه ابن جرير عن ابن عباس وقوله نزل به الروح الامين
جبريل على قلبك وفي قراة بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله
وذكر لسانه بقوله وما ينطق بما ياتيكم به عن الهوى هوى نفسه
وبقوله فانما يسرناه سهلنا القران بلسانك لغتك وبصره
بقوله ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال بصره صلى الله عليه وسلم
عن مرتبة المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة ووجهه بقوله قد
للتحقيق نرى تقلب تصرف وجهك في جهة السما متطلعا
الى الوحي ومتشوقا الى الامر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لانها
قبلة ابراهيم ولانه ادعى لاسلام العرب ويده وعنقه بقوله ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي لا تمسكها عن الانفاق كل المسك
وظهره وصدره بقوله الم نشرح لك صدرك بالنبوة وغيرها
ووضعنا حططنا عنك وزرك الذي انقض اثقل ظهرك وهذا
كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وياتي بيانه ان شا الله تعالى
واشتق اسمه من اسم الله المحمود بالجر بدل والنصب بتقدير اعني
والرفع بتقدير هو وقيل من اسمه الحميد ولكن المحمود اتم في الاشتقاق
لان فيه ميمين كمحمد بخلاف الحميد ويشهد له ما اخرجه البخاري
في تاريخه من طريق علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله
ابن جدعان القرشي التيمي البصري ضعيف من صغار التابعين قال
كان ابو طالب يقول وشق بالبنا للفاعل من شق الشيء جعله قطعتين
اي اشتق الله تعالى له من اسمه بقطع الهمزة للضرورة اسما ليجله
ليعظمه فذو العرش محمود وهذا محمد وقدم المص هذا الحديث بلفظه
في اسمايه عليه السلام وهو مشهور لحسان بن ثابت الانصاري
المويد بروح القدس فتوارد حسان مع ابي طالب او ضمنه شعره وبه جزم
بعض وسمي احمد اي احمد الحامدين لربه فالانبيا حامدون وهو احمدهم
اي اكثرهم حمدا ولم يسم به احد قبله منذ خلقت الدنيا حماية من الله
لئلا يدخل لبس على ضعف القلب او شك في انه المنعوت باحمد في الكتب
السابقة هكذا قاله الاكثرون وبه جزم عياض وغيره وهو الصواب والقول
بان الخضر اسمه احمد مردود واه وكذا لم يتسم به احد في حياته واول من
سمي به بعده والد الخليل بن احمد على المشهور كما مر مفصلا رواه مسلم
عن علي مرفوعا اعطيت ما لم يعط احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب واعطيت
مفاتيح خزاين الارض وسميت احمد وجعل لي التراب طهورا وجعلت
امتي خير الامم ولاحمد من حديث علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد
قبلي وذكر منها وسميت احمد وقدم لفظه اوايل الخصايص و
انه صلى الله عليه وسلم كان يبيت جايعا ويصبح طاعما يطعمه
ربه ويسقيه من الجنة فكان يواصل كما سياتي البحث فيه في صيامه

صلى الله عليه وسلم من مقصد عبادته التاسع وكان يرى من
خلفه كما يرى امامه رواه مسلم عن انس وفيه ايها الناس اني امامكم
فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فاني اراكم من امامي ومن خلفي ويرى
في الليل في الظلمة بضم فسكون وبضمتين ذهاب النور واحترز به عما اذا
كان قمر كما يرى بالنهار في الضوء رواه البيهقي في الدلايل عن ابن عباس
وعنده ايضا عن عايشة نحوه وقدم المص بسط هذين في بصره من المقصد
الثالث وكان ريقه يعذب الما المالح رواه ابو نعيم وغيره عن انس انه
بزق في بير في دار انس فلم يكن في المدينة بير اعذب منها ويجزي يكفي
الرضيع عن اللبن رواه البيهقي في الدلايل بلفظ انه كان يدعو يوم
عاشورا برضعايه ورضعا ابنته فاطمة فيتفل في افواههم ويقول للامهات
لا ترضعنهم الى الليل فكان ريقه يجزيهم وقدم هذين في ريقه من المقصد
الثالث ويقع في بعض النسخ هنا زيادة وهي ومنها انه صلى الله عليه
وسلم كان اذا مشى في الصخر غاصت قدماه فيه واثرت فيه
كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به
الشعرا في منظومهم والبلغا في منثورهم وانكره الحافظ السيوطي
وقال لم اقف له على اصل ولا اسند ولا رايت من خرجه في شي من كتب الحديث
وكذا انكره غيره وحاول المص خلافه فقال مع اعتقاده تقويته بوجود
اثر قدمي الخليل ابراهيم عليه افضل الصلاة والسلام في حجر
المقام المذكور في التنزيل في قوله تعالى فيه ايات بينات منها
مقام ابراهيم اي الحجر الذي قام عليه عند بنا البيت فاثر قدماه
وهو البالغ تعيينه وانه اثره اي ابراهيم مبلغ التواتر القايل
فيه ابو طالب في قصيدته اللامية وموطي بالجر عطفا على المجرور قبله
من قوله اعوذ برب الناس اي محل وطي ابراهيم في الصخر الحجر رطبه
حتى اثر فيه على قدميه حافيا غير ناعل صفة كاشفة وفيما
في البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا من معجزة
تاثير ضرب موسى في الحجر الذي كان يحمله معه في الاسفار فيتفجر
منه الما ستا من الاثار او سبعا بالشك من الراوي ولعله اوحى اليه
ان يضربه اذ فر بثوبه لما اغتسل عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كانت بنو اسرايل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى بعض
وكان يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه ادر
فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فخرج موسى
في اثره يقول ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو اسرايل موسى فقالوا والله ما بموسى
من باس واخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله انه لندب بالحجر
ستة او سبعة رواه الشيخان قال الحافظ فيه معجزة ظاهرة لموسى وان
الادمي يغلب عليه طباع البشر لان موسى مع علمه ان الحجر ما سار بثوبه

باحجر

الامام

الا بامر الله عاملة معاملة من يعقل حتى ضربه ويحتمل انه اراد بيان
معجزة اخرى لقومه بتاثير الضرب بالعصى في الحجر انتهى وذكر وجه استشهاده
بقوله اذ ما خص نبي بشي من المعجزات والكرامات الا ولنبينا
صلى الله عليه وسلم مثله كما نصوا عليه لكن المثلية التي للمصطفى
اما من جنسها او بغيرها اعلا او مساو كما نصوا عليه فمثل هذا لا يدفع
انكار وروده مع ما يويد ذلك وهو وجود اثر نعلته الشريفة على
ما قيل في مسجد بطيبة حتى عرف المسجد بها في المسجد البغلة
وهذا لو ثبت لا ينتج الدعوى اذ لا يلزم من تاثير حافر بغلته وان كان اكراما
له ومعجزة ان نفس قدميه يوثر الذي هو المطلوب وما ذاك الا من
سره الساري فيها ليكون ذلك اقوى في الاية واوضح في الدلالة
على ايتا به عليه السلام هذه الاية التي اوتيها الخليل في حجر
المقام على وجه اعلى منه وهذا تصريح منه بانه لم يوت مثله بخصوصه
فلم يثبت المطلوب بل قال الزين بن يكار فيما نقله عنه الشيرازي
صاحب القاموس في كتابه المغانم المطابة في فضايل طابة بعد ذكره
لاثر حافر البغلة ومسجدها وفي غربي هذا المسجد اثر كانه اثر
مرفق يذكر انه عليه الصلاة والسلام اتكى عليه ووضع مرفقه
الشريف عليه وعلى حجر اخر اثر الاصابع والناس يتبركون
بهما اي اثر المرفق واثر الاصابع وقال السيد الشريف نور الدين علي
السمهودي

بياض

في كتابه وفا الوفا تاريخ المدينة بعد ايراد ذلك ولم اقف في ذلك
على اصل الا ان ابن النجار الحافظ الشهير قال في تاريخ المدينة
في المساجد التي ادركنا خرابا بالمدينة مسجدان قرب
البقيع احدهما يعرف بمسجد الاجابة كانه لاجابة الدعا فيه والثاني
يعرف بمسجد البغلة فيه اسطوان بعمود واحد وهو خراب وحوله
تشنو بالزاي مرتفع من الحجارة فيه اثر يقولون انه حافر بغلة
النبي صلى الله عليه وسلم انتهى كلام السمهودي وهذا اخر ما في بعض
النسخ واكثرها سقوطه ولعله اولى وكان ابطه عليه الصلاة والسلام
لا شعر عليه قاله القرطبي وكان ابيض غير متغير اللون قيد به
دفعا لتوهم ان خلوه من الشعر لمرض منع ظهوره كما ذكره الطبري
الحافظ محب الدين المكي وعده في الخصايص وذكره بعض الشافعية
كالاسنوي لحديث انس المتفق عليه اي الذي رواه الشيخان انه صلى
الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الاستسقا حتى يرى بياض
ابطيه لفظ الحديث عندهما كان لا يرفع يديه في شي من دعايه الا في الاستسقا
فانه كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فاقتصر المص على حاجته

في

منه وقال الشيخ جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الاسنوي
شيخ الشافعية وصاحب التصانيف السايرة امام زمانه البارع توفي سنة
سبع وسبعين وسبعماية وله اربع وسبعون سنة في كتابه المهمات ان
بياض الابط كان من خواصه صلي الله عليه وسلم انتهي قال في
شرح تقريب الاسانيد الولي العراقي وما ادعاه من كون هذا من
الخصايص فيه نظر اذ لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه بل لم يرد
ذلك في شي من الكتب المعتمدة والخصايص لا تثبت بالاحتمال
الناشي من ذكر انس وغيره بياض ابطيه وانما يثبت بالنص الصريح ولا يلزم
من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر لاحتمال انه كان
يديم تعاهده فان الشعر اذا نتف بقي المكان ابيض وان بقي فيه اثار
الشعر ولذا ورد في حديث عبد الله بن اقرم بفتح الهمزة والراء
بينهما قاف ساكنة ثم ميم ابن زيد الخزاعي ابي معبد المدني صحابي مقل له
حديثان انه صلي مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال كنت انظر
الي عفرة ابطيه اذا سجد خرجه الترمذي بضم المهملة وسكون الفا
وحسنه والنسايي وابن ماجة وذكر الهروي بفتح الهاء والراء احمد بن
محمد ابو عبيد المشهور في الغريبين للقران والحديث نسبة الي هراة مدينة
بخراسان وليس هو علي ابو الحسن بن ادريس كما توهم وابن الاثير في
النهاية ان العفرة بياض ليس بالناصع اي الخالص ولكن هو
كلون عفرة الارض وهو وجهها وهذا يدل علي ان اثار الشعر
هو الذي جعل المكان اعفر والا فلو كان خاليا من نبات الشعر جملة
لم يكن اعفر وقد يمنع دلالته علي ذلك بقول الحافظ ان شان المغابن ان يكون
لونها في البياض دون لون بقية الجسد نعم الذي يعتقد فيه صلي
الله عليه وسلم وجوبا انه لم يكن لابطه رايحة كريهة بل كان نظيفا
طيب الرايحة كما ثبت في الصحيح عن انس وغيره وقد روي البزار عن
رجل قال ضمني رسول الله صلي الله عليه وسلم فسال علي من عرق ابطيه مثل
رايحة المسك وكان عليه السلام يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت
غيره ولا سمعه من الاصوات والاسماع الهنادين فقد كان يخطب فتسمعه
العواتق في البيوت ويسمع اطيط السما كما مر بسط ذلك في شمايله وكان تنام
عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبيا فهو خصوصية له علي الامم كما مر مبسوطا
رواه البخاري ومسلم وغيرهما بلفظ يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي واخرجه بلفظ المصنف الحاكم من حديث انس كانت تنام الخ وتقدم ايضا وما
تثاءب بالهمز تثاوبا وزان تثاقل تثاقلا قيل هي فترة تعتري الشخص فيفتح
عندها فمه وتثاوب بالواو عامي كما في المصباح وقال غيره هو التنفس الذي
ينفتح منه الفم لدفع البخارات المتخنق فيه عضلات الفك قط وكذلك
الانبيا لان سببه ناشي عن ابليس لانه يدعو الي الشهوات التي منها الامتلا

من

من الطعام الذي ينشا عنه التثاوب غالبا وهم معصومون من ذلك كما
رواه ابن ابي شيبة والبخاري في تاريخه موصولا عن يزيد بياء
قبل الزاي الاصم ضد السامع ونسخة الاعصم بزيادة عين تصحيف من
من الجهال واسم الاصم عمرو وقيل يزيد بن عمرو بن عبيد العامري البكاي
بفتح الموحدة والكاف الثقيلة ابن اخت ميمونة ام المومنين من الثقات
مات سنة ثلاث ومايه قال ما تثاوب النبي صلي الله عليه وسلم قط
وظاهر هذا اختصاصه لكن في رواية عن يزيد المذكور عند ابن ابي شيبة ايضا
بلفظ ما تثاوب نبي قط كما قدمه المولف في الروضة الشريفة وهذا يعم جميع
الانبيا ونحوه قوله هنا واخرج الخطابي من طريق مسلمة بن عبد الملك
ابن مروان الاموي الامير مقبول له ترجمة لابي داود ولم يلق احدا من الصحابة
مات سنة خمس وعشرين ومايه او بعدها قال ما تثاوب نبي قط وهذا يعم
الجميع فهو من خصايصهم علي الامم ويويد ذلك ان التثاوب من الشيطان
لانه الحامل عليه بسببه بتزيين الشهوات رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة
مرفوعا التثاوب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليرده ما استطاع وما احتلم
قط اي ما راي في منامه ما يقتضي خروج المني لانه من الشيطان ولا سبيل له
عليه وكذلك الانبيا هذا هو المراد وان اطلق الاحتلام لغة علي الرويا المنامية
لا بهذا القيد رواه الطبراني عن ابن عباس قال ما احتلم نبي قط وانما الاحتلام
من الشيطان كما قدمه في جماعه صلي الله عليه وسلم وكان عرقه اطيب
من المسك رواه ابو نعيم وغيره بلفظ كان عرقه في وجهه مثل
اللولو اي في البياض والصفا واطيب من المسك الاذفر بالمعجمة اي الطيب الريح
ومر بسط هذا في الشمايل واذا مشي مع الطويل طاله اي زاد عليه في الطول
مع انه ربعة اكراما من الله حتي لا يزيد عليه احد صورة كما لا يزيد معني
فمثل ارتفاعه في عين الناظر فتراه رفعة حسية وهذا من المعجزات رواه
البيهقي وغيره عن عايشة قالت لم يكن بالطويل البابن ولا بالقصير
المتردد وكان ينسب الي الربعة اذا مشي وحده ولم يكن علي حال يماشيه احد
من الناس ينسب الي الطول الا طاله ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه ينسب الي الربعة وروي عبد الله ابن احمد عن علي كان النبي
صلي الله عليه وسلم ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة اذا جامع القوم غمرهم
بفتح المعجمة والميم اي زاد عليهم في الطول من غمر الما اذا علا ولذا زاد رزين
وابن سبع انه كان اذا جلس يكون كتفه اعلا من الجالسين جميع وتوقف
بعض فيه بانه لم يره الا في كلام رزين وكلام الناقلين عنه تقصير فان
الجامعة شاملة للجلوس والمشي ولم يقع له ظل علي الارض
ولا رُوي له ظل في شمس ولا قمر رواه الحكيم الترمذي مرسلا
قال ابن سبع لانه كان نورا كله وقال رزين لغلبة انواره وقيل
وحكمته صيانته عن ان يطاه كافر بظله واطلاق الظل علي القمر مجاز

لانه انما يقال ظلمة القمر ونوره وروى ابن المبارك وابن الجوزي عن ابن
عباس لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع الشمس قط الا غلب
ضوؤه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوؤه ضوء السراج وتقدم
هذا كله في حقه صلى الله عليه وسلم ويشهد له انه صلى الله عليه
وسلم لما سأل الله تعالى ان يجعل في جميع اعضائه وجهاته
نورا ختم بقوله واجعلني نورا اي والنور لا ظل له وبه يتم الاستشهاد
وكان صلى الله عليه وسلم لا يقع على ثيابه ذباب قط نقله
الفخر الرازي عن بعضهم ولا يمتص دمه البعوض ذكره
الحجازي وغيره ونوزع بعدم ثبوته وما اذاه القمل لعدم وجوده
فيه قاله ابو الربيع سليمان ابن سبع باسكان الموحدة وقد تضم السبتي
في كتابه الشفا اي شفا الصدور في اعلام نبوة الرسول وخصائصه لفظه
لم يكن فيه قمل لانه نور ولان اصله من العفونة ولا عفونة فيه واكثره من
العرق وعرقه طيب والسبتي بفتح فسكون نسبة الى سبتة بالمغرب وجزم
الرشاطي بان سبتة بالفتح والذي ينتسب اليها السبتي بالكسر في كتابه اعظم
الموارد واطيب الموالد وغيره المصر في اللباس انه يشكل عليه حديث
عائشة كان يفلي ثوبه ومن لازمه وجود شيء يؤذيه قمل او برغوث او نحو
ذلك ويجاب بان التفلي لاستقذار ما علق بثوبه من غيره وان لم
يؤذه وفيه ان اذاه غذاؤه من البدن واذا امتنع لم يعش الحيوان غالبا
انتهى ملخصا وحاول شيخنا دفع بحثه بان التفلية لازالة القذر
الحاصل من غيره لا القمل ونحوه ولا يلزم انه حيوان وبتقديره حيوانا يجوز
انه فلاه قبل مضي مدة لا يصبر فيها على عدم الغذا ومنها انقطاع
الكهانة بمعنى الكهانة بتجوز العلاقة المتعلقة بينهما فاطلق اسم المتعلق
فهو مجاز لغوي او هو من مجاز النقص اي اخبار الكهنة او نفس الكهنة
لم ينقطعوا جمع كاهن وهو المخبر ببعض المغيبات كذبا او غيره
عند مبعثه اي عقبه وحراسة السما من استراق السمع اي استراق
الشياطين لاستماع ما تقوله الملايكة فيخبرون به غيرهم والرمي بيانا مقدرة
اي وحراسة السما بالرمي بالشهب اي رمي الملايكة الشياطين عند
استراق السمع قال تعالى فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا قيل الاولى
تاخير عند مبعثه عن هذا ليتعلق بالثلاثة وجوابه انها عطف علة
على معلول والعلة تقارن معلولها في الزمان فيفيد ان الثلاثة عند مبعثه
فلا فرق بين تقديمها وتاخيرها ثم المتبادر من المص انه لم يتخلل زمن
بين المبعث والرمي بالشهب وذكر ابن الجوزي ان قريشا وبنو لهب بكسر
اللام رأت الرمي بالنجوم بعد المبعث بعشرين يوما فاجتمعوا الى كاهن
اسمه خطر اتت عليه مايتان وثمانون سنة فذكروا الخبر مطولا احد او
وفي اخره انه من اجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والقران

من

من يخلها ثم الاكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم هذا هو البيان اخبرني
به رئيس الجان ثم اغمي عليه فما افاق الا بعد ثالثة فقال لا اله الا الله
فقال صلى الله عليه وسلم لقد نطق عن مثل نبوة وانه يبعث يوم القيامة
امة وحده وفي سيرة ابن اسحاق لما تقارب امره صلى الله عليه وسلم
وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد
التي كانت تسترق فيها فرموا بالنجوم فعرف الجن انه امر حدث
فاول من فزع من ذلك ثقيف فاتوا عمرو بن امية بن علاج وكان ادهى
العرب وانكرها رايا فقال انه كانت هي النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر
ويعرف بها الانوا فهو طي الدنيا وهلاك الخلق وان كانت غيرها وهي
ثابتة على حالها فهو لامر اراد الله به هذا الخلق قال ابن عباس كانت
الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون
باخبارها فيلقون على الكهنة وفي تفسير ابن عطية ورد في
الرمي بالشهب احاديث صحاح مضمونها ان الشياطين كانت تصعد الى
السما فتقعد للسمع واحدا فوق واحد فيتقدم الاجسر نحو السما ثم الذي يليه
ثم الذي يليه فيقضي الله بامر من امر الارض فيتحدث به اهل السما فيسمعه
منها الشيطان الادنى فيلقيه الى الذي تحته فربما احرقه شهاب وقد القى
الكلام وربما لم يحرقه جملة فتنزل تلك الكلمة الى الكهان فيكذبون معها
مائة كذبة فتصدق تلك الكلمة فيصدق الجاهلون الجميع فلما ولد
عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث كان تحلية تخصصه دون باقي
الانبيا على ظاهره تعظيم المصطفى لقرب زمنه كما قال انا اولى الناس
بعيسى ليس بيني وبينه نبي فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا
من السموات كلها وما وقع عند الزبير بن بكار ان ابليس كان يخترق
السموات ويصل الى اربع فلما ولد المصطفى حجب من السبع محمول على ما بعد
ولادة عيسى بدليل تفصيل ابن عباس المذكور فما منهم من احد يريد
استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار التي
تشبه النجم المنقض وبهذا جزم البيضاوي ويأتي انهم كانوا يرمون بنفس
النجوم فلا يخطي ابدا من حيث الاصابة وان كان قد يتخلف الاحراق كما
بينه بقوله فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه
ولا يموت ومنهم من يخبله بضم التحتية وفتح الخا المعجمة وشد البا ابلغ
من فتح اليا وسكون الخا وكسر البا اي يفسد عقله او عضوه فيصير غولا
اي شيطانا يضل الناس في البوادي وفي الحديث اذا تغولت لكم الغيلان
فنادوا بالاذان وفي البغوي فاتبعه شهاب ثاقب كوكب مضي لا يخطيه
فيقتله او يحرقه او يخبله وانما يعودون الى استراق السمع مع علمهم
انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب البحر قال عطا
سمي النجم الذي يرمى به ثاقبا لانه يثقبهم وفي البيضاوي والشهاب

ما يرمي به كانه كوكب انقض وما قيل انه بخار يصعد الي الجو فيشتعل
فتحسين ان صح لم ينافي ذلك اذ ليس فيه ما يدل علي انه ينقض من الفلك
ولا ينافي قوله انا زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسما من
حيث انه يري كانه علي سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث بما ذكر في بعض
الاوقات رجما للشيطان يصعد الي قرب الفلك للسمع وما روي انه ذلك حدث
بميلاد النبي صلي الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره
دحورا واختلف في ان الرجوم يتاذي به فيرجع او يحرق به لكن قد يصيب الصاعد
مرة وقد لا يصيبه كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا
يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان
ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت علي الضعيفة استهلكتها
انتهي ولعل قوله قد يصيبه وقد لا معناه قد يحترق وقد لا فلا تخالف وهذا
اي الرمي بالشهب لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي صلي الله عليه وسلم
ولم يذكره احد قبل زمانه وانما ظهر في بدء امره وكان ذلك
اساسا لنبوته وفيه افاده انه كان موجودا لكنه قليل بالنسبة لزمنه
فلا يخالف قوله وقال معمر بن راشد قلت للزهري محمد بن مسلم ابن
شهاب اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية اي ما قبل البعثة قال نعم قلت
افرايت قوله تعالي انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية فان ظاهرها
انه لم يكن يرمى بها في الجاهلية قال غلظت وشدد امرها حين بعث
محمد صلي الله عليه وسلم وقد روى ابن اسحاق عن ابن عباس عن نفر
من الانصار ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لهم ما كنتم تقولون في هذا الذي
يرمى به قالوا يا نبي الله كنا نقول مات ملك ملك ولد مولود مات فقال
صلي الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله تبارك وتعالي كان اذا اقضي
في خلقه امرا سمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحته ذلك ولا يزال
التسبيح يهبط حتي ينتهي الي السما الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض
مم سبحتم فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم فيقولون الا تسالون
من فوقكم مم سبحوا فيقولون مثل ذلك حتي ينتهوا الي حملة العرش فيقال
لهم مم سبحتم فيقولون قضي الله في خلقه كذا وكذا للامر الذي كان فيهبط الخبر
من سما الي سما حتي ينتهي الي السما الدنيا فيتحدثوا به فيسترقه الشياطين
بالسمع علي توهم واختلاف ثم ياتوا به الكهان من اهل الارض فيحدثونهم
فيخطئون ويصيبون فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضا ويخطئون
بعضا ثم ان الله حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت
الكهانة اليوم فلا كهانة وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه
ولكن لم يكن في شدة الحراسة كالشدة الكاينة بعد مبعثه وقيل ان
النجم كان ينقض ويرمي الشياطين ثم يعود الي مكانه منه

السما ذكره البغوي في تفسيره وهذا كله منعهم من الاستراق راسا
لكن قال السهيلي انه بقي من استراق السمع بقايا يسيرة بدليل وجودهم
علي الندور في بعض الازمنة وبعض البلاد انتهي ومنها انه اتي
بالبراق بضم الموحدة وخفة الرا دابة فوق الحمار ودون البغل من البرق
لسرعة سيره لانه يضع حافره عند منتهي طرفه او لشدة صفايه لانه ابيض
او لانه ذو لونين بياض وسواد ليلة الاسرا مسرجا ملجما قيل وكانت
الانبيا انما تركبه عريانا فيه تجوز لانه انما يقال في الادمي وفي غيره
عري بضم فسكون ومنها انه اسري به صلي الله عليه وسلم
من المسجد الحرام راكبا علي البراق وحوله جبريل وغيره الي المسجد الاقصي
فربط البراق بالحلقة التي يربط بها الانبيا ثم دخل المسجد وصلي فيه ركعتين
وعرج به من المحل الاعلي الاقرب علوا من الارض الي السما واراه من
اياته الكبري وحفظه في المعراج حتي ما زاغ مال البصر وما
طغي ما تجاوز الي رؤية ما لم يرد منه بل جمع همته في توجهه الي الحق بكليته
فما التفت الي ما سواه واحضر الانبيا له وصلي بهم وبالملايكة في
بيت المقدس وفي السموات اماما ليعلم انه امام الكل في الدنيا والاخري
واطلعه علي الجنة والنار يقظة ليلة الاسرا ليحصل له الانس باهوال
القيامة وليتفرغ فيه للشفاعة ويقول انا لها انا لها وامتي امتي حيث يقول
غيره نفسي نفسي وعزيت هذه اي اطلاعه عليهما للبيهقي ولفظ
الانموذج عد هذه للبيهقي اي من خصايصه ومنها انه راي الله
تعالي بعينيه يقظة علي الراجح كما ياتي في مقصد الاسرا ان شا الله
تعالي وجمع له بين الكلام والرؤية وكلمه الله تعالي في الرفيع
الاعلي بالغاية المكان العلي علي ساير الامكنة تشريفا له لا لانه تعالي في مكان
يوصف بقرب او بعد وكلم موسي بالجبل وذاك اشرف منه للفرق بين من
رفعه الملك الي محل شريف ليخاطبه فيه وبين من خاطبه في محل يساويه فيه
غيره وقد روي ابن عساكر في حديث المعراج مرفوعا هبط جبريل فقال ربك
يقول لقد وطيت في السما موطيا لم يطاه احد قبلك ولا يطاه احد بعدك وعنه
ايضا عن انس مرفوعا لما اسري بي قربني ربي حتي كان بيني وبينه قاب قوسين
او ادني وما اجمع قول الانموذج وبالاسرا وما تضمنه من اختراق السموات
السبع والعلو الي قاب قوسين ووطيه مكانا ما وطيه نبي مرسل ولا ملك مقرب
واحيا الانبيا له وصلاته اماما بهم وبالملايكة واطلاعه علي الجنة والنار عد
هذه البيهقي ورؤيته ايات ربه الكبري وحفظه حتي ما زاغ البصر وما
طغي ورؤيته للباري تعالي مرتين وركوبه البراق في احد القولين انتهي
ومنها ان الملايكة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره
قاله ابو نعيم ليكونوا حرسا له من اعدايه ولا ينافيه والله يعصمك من
الناس لان هذا ان كان قبل نزول الاية فظاهر والا فمن عصمة الله له ان

يوكل به جنده من الملا الاعلى تشريفا له وقد روى ابن سعد عن جابر
خرج صلى الله عليه وسلم وقال لاصحابه امشوا امامي وخلوا ظهري للملايكة
اي فرغوه لهم ليمشوا خلفي وهذا كالتعليل للامر بالمشي امامه وروى
الحاكم عن جابر مرفوعا كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى مشى اصحابه
امامه وتركوا ظهره للملايكة وقيل انما كان يمشي خلف اصحابه ليختبر حالهم
وينظر اليهم حال تصرفهم في معاشهم ويربي من يحتاج التربية وهذا شان
الراعي مع الرعية قال النووي واما تقدمهم في قصة جابر لانه دعاهم
اليه فجاوا اتبعا لصاحب الطعام اذا دعى طايفة يمشي امامهم وقد صنف
هذا في مشيه **وقاتلت الملايكة معه** ولم يكونوا مع غيره الا مددا **الجماهر**
في غزوة بدر وقتالهم عن جميع الجيش **وحنين** على ما جزم به ابن القيم
نقله عنه المص في غزوتها عملا بظواهر احاديث مرت والجمهور على انها
لم تقاتل يوم حنين كما قدمه المص في بدر لان الله قال وانزل جنودا لم تروها
ولا دلالة فيه على قتال نعم في الصحيحين ان ملكين قاتلا عن النبي صلى الله عليه
وسلم يوم احد كاشد القتال والمعروف من قتال الملايكة كما قال ابن كثير انما
هو يوم بدر وكانوا فيما عداها عددا ومددا ولا يرد هذا الحديث لانه عن المصطفى
خاصة لا عن عموم الجيش كبدر **ومنها انه يجب علينا ان نصلي ونسلم**
عليه في الجملة اتفاقا ومرة في العمر عند المالكية وفي التشهد الاخير عند الشافعية
وكلما ذكر عند جمع من المذاهب الاربعة **لاية ان الله وملايكته يصلون على**
النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولم ينقل ان الامم المتقدمة
كان يجب عليهم ان يصلوا على انبيايهم قال في الانموذج ومن خواصه انه
ليس في القران ولا غيره صلاة من الله على غيره فهي خصيصة اختصه الله
بها دون ساير الانبيا **ومنها انه اوتي الكتاب العزيز** الغالب على كل كتاب
بمعانيه واعجازه ونسخه احكامها او الذي لا نظير له او الممتنع مضاهاته لاعجازه
او التغيير والتحريف لحفظ الله له **وهو امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل**
بمدارسة من يقرا ويكتب ليكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وهذا اعلى
درجات الفضل له حيث كان كذلك واتى بالعلوم الجمة والحكم المتوافرة و
واخبار القرون الماضية بلا تعلم خط ولا استفادة من كتاب بخلاف غيره
كما قدم المص بسط ذلك وروى ابن ابي حاتم عن عبادة رفعه ان جبريل
اتاني فقال اخرج فحدث بنعمة الله التي انعم الله عليك الحديث وفيه ولقنني
كلامه وانا امي وفي رواية واتاني كتابه وانا امي **ومنها حفظ كتابه**
هذا من التبديل والتحريف على ممر الدهور بخلاف غيره من الكتب فان
بعضها بدل وحرف وللبيهقي عن الحسن في تفسير قوله تعالى وقرانا
فرقناه لتقراه على الناس على مكث قال فرقه الله فلا يزيد احد
فيه باطلا ولا ينقص منه حقا وكانه اخذ هذا التفسير من لازم الاية
وللبيهقي ايضا عن يحيى بن اكثم دخل يهودي على المامون فاحسن

الكلام

الكلام فدعاه الى الاسلام فابى ثم بعد سنة جا مسلما فتكلم على الفقه
فاحسن الكلام فساله المامون ما سبب اسلامه قال انصرفت من عندك
فامتحنت هذه الاديان فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها
ونقصت وادخلتها البيعة فاشتريت مني وعمدت الى الانجيل فكتبت
ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها البيعة فاشتريت مني وعمدت
الى القران فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها الوراقين
فتصفحوها فوجدوا فيها الزيادة والنقصان فرموا بها فلم يشتروها
فعلمت ان هذا الكتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامي قال يحيى فحججت
تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له هذا فقال مصداقه في الكتاب
قلت في اي موضع قال في قوله في التوراة والانجيل بما استحفظوا من كتاب الله
فجعل حفظه اليهم وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فحفظه الله تعالى
علينا فلم يضع **حتى سعى كثير من الملحدة** من الالحاد وهو الميل سموا
بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة وتاويلها بامور سخيفة ويسمون باطنية
وهم الاسماعيلية المنسوبون الى امامهم اسماعيل بن جعفر الصادق وغرضهم
ابطال الشرع لانهم في الاصل يهود او مجوس **والمعطلة** الذين نفوا الصانع
وتستروا بزي الاسلام خوفا من القتل وسعوا في نقض الدين وتصويب ما
يروج على بعض العقول القاصرة **سيما القرامطة** طايفة من الملحدين
قال السمعاني في الانساب القرمطي بكسر القاف وسكون الرا وكسر الميم والمهملة
نسبة الى طايفة خبيثة من اهل هجر ولحسا واصلهم رجل من سواد الكوفة
يقال له قرمط وقيل حمدان بن قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من اولاد بهرام
جور ذكروا اباهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بالاسلام
فاتفقوا على رفعه وقالوا نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا اربعة
اقسام لكل ربعها فذهب واحد الى الكوفة فاول من اجابه حمدان قرمط فاعانه
على الدعوة وقيل سموا قرامطة لان النبي صلى الله عليه وسلم راى عامرا يمشي
وهو من اهل المدينة فقال انه ليقرمط في مشيه انتهى اي يقارب خطاه
ومنه الخط المقرمط وعلى هذا فهو عربي وقيل معرب وان جدهم كان يسمى
كرمد بالكاف العجمية ومعناه بالفارسية السفلة فغيروه وعربوه قرمط
وكان احمر البشرة والعينين وكان ظهوره سنة ثمان وسبعين ومايتين
فاظهر زهدا وصلاحا حتى اجتمع عليه خلق كثير فزعم ان النبي صلى الله
عليه وسلم بشر به وانه الامام المنتظر وابتدع مقامات في كتاب وقال
انه الكلمة والمهدي وزعم انه انتقلت اليه كلمة المسيح وجعل الصلاة ركعتين
بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز والمهرجان
فكانت لهم وقايع وحروب ودعاة وخلفا مذكورة في التواريخ حتى
ظهر منهم سليمان بن الحسن الجبايي فعاث في البلاد وافسد وقصد
مكة فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاث ماية في خلافة

المقتدر فقتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع باب الكعبة واخذ كسوتها واخذ
الحجر الاسود فبقي عندهم اثنين وعشرين سنة فبذل لهم خمسون الف
دينار ليردوه فابوا ثم ردوه مكسورا فوضع في مكانه وتغلبوا على مصر
والشام حتى قاتلهم جوهر القايد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت
مدة خروجهم سنا وثمانين سنة حتى اهلكهم الله وابادهم وكانوا يحرقون
القران ويتاولونه بتاويلات فاسدة لا تقبلها العقول في تغييره **وتبديل**
محكمه فما قدروا في هذه المدة الطويلة **على اطفاء شيء من نوره** تمثيل
لحالهم في سعيهم في تحريف القران بمن اراد اطفاء نور عظيم منتشر في
الافاق **ولا تغيير كلمة من كلمه** تفسير لما قبله بجعل كلام الله نورا **ولا**
تشكيك المسلمين في حرف من حروفه فضلا عن كلمة من كلمه فهو ترق
قال تعالى لا ياتيه الباطل لا يتطرق اليه **من بين يديه ولا من خلفه**
اي من جهة من الجهات الاية **وكتابه يشتمل على ما اشتملت عليه**
جميع الكتب الالهية وزيادة روى البيهقي عن الحسن انزل الله مائة
كتاب واربعة كتب اودع علومها اربعة كتب التوراة والانجيل والزبور والفرقان
واودع علوم التوراة والانجيل والزبور في الفرقان **جامعا** لكل شيء قال تعالى
وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وروى ابن جرير وغيره عن ابن مسعود
من اراد العلم فعليه بالقران فان فيه خبر الاولين والاخرين وانزل فيه كل علم وبين
لنا فيه كل شيء لكن علمنا يقصر عما بين فيه **لجمعه لاخبار القرون السالفة**
اي الماضية **والامم البايدة** الذاهبة المنقطعة كما في القاموس فهو مساو لما
قبله وما بعده او الهالكة على ما في المصباح فهو مباين لما قبله مفهوما وان
اتحد ماصدقا **والشرايع الداثرة** بمهملة ومثلثة من دثر اذا ذهب ولم يبق
له اثر وفي تغييره نوع من البلاغة تسمى التفنن لان الثلاثة متغايرة اللفظ
متقاربة المعاني وهذا لفظ الشفا في الوجه الرابع من اعجاز القران ثم المراد
التي دثرت وذهبت اهاليها اذ الاحكام باقية لم تدثر فهو مجاز والنية يشير
قوله **مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ** الفرد الواحد **من**
احبار علما **اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك** فيورده
النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه وياتي به على نصه فيعترف العالم
بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم قاله عياض وذلك لكثرة
كتبهم وعدم تقييد الاخبار بها لنا حتى قيل التوراة سبعون سفرا متفرقة
بين احبارهم بيد كل واحد سفر فاذا وقعت حادثة وسئلوا عنها قال الواحد
هذه في سفر فلان وقال بعضهم القران جامع لنبا الاولين والاخرين
فعلم الامم الماضية علم خاص وعلم هذه الامة علم عام وعلم اهل الكتاب
قليل كما او تيتم من العلم الا قليلا وقرا ابن عباس وما اوتوا وعلم هذه
الامة كثير ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا انزل اليك الكتاب والحكمة
الكتاب القران والحكمة فهمه **وتيسير** سهل **حفظه لمتعلميه** عن

ظهر قلب **وقربه** سهل فهمه **على متحفظيه** اي الذين احتفوا به اي سروا
بحفظه وفي نسخة على متحفظيه اي قرب تحصيله على المتحفظ اي المتمسك
به الخايف ذهابه منه اذ نسيانه كبيرة ولا يرد انه مرفوع عن الامة لان
الذنب في التفريط في محفوظه بتعاهده ودرسه قال القرطبي من حفظ القران
او بعضه فقد علت رتبته فاذا اخل بهاتيك الرتبة حتى تزحزح عنها ناسب
ان يعاقب فان ترك تعاهده يفضي الى الجهل والرجوع الى الجهل بعد العلم
شديد **كما قال تعالى ولقد يسرنا** سهلنا او هيانا **القران للذكر**
للاذكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر وللحفظ بالاختصار
وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ **وسواير** اي باقي **الامم** غير هذه
الامة **لا يحفظ كتبها الواحد منهم** واذا كان الامر كذلك **فكيف** يتوهم **بالجم**
الغفير حفظه **على مرور السنين الكثيرة عليهم** وطول اعمارهم فهو استفهام
فيه تعجيب ممن يتوهم ان غير هذه الامة شاركها في حفظ كتبهم **والقران ميسر**
حفظه للغلمان في اقرب مدة فغالبهم يحفظه قبل البلوغ او كثير منهم
وهو من اعظم النعم روى البخاري في تاريخه والبيهقي مرفوعا مرسلا من
اعطاه الله تعالى حفظ كتابه فظن ان احدا اعطي افضل مما اعطي فقد غلط
وفي رواية صغر اعظم النعم لانه قدر وفي النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت
فهي بالنسبة اليها حقيرة فاذا راى ان غيره ممن لم يعط ذلك اوتي افضل مما
اوتي فقد صغر عظيما ومن خواصه انه نزل منجما وانه مستغن عن غيره وانه
نزل من سبعة ابواب **ومنها انه انزل على سبعة احرف** كما في الصحيحين
وغيرهما واختلف في معناه على نحو اربعين قولا بسطها في الاتقان اشار المص
الى قول منها فقال وانما نزل كذلك **تسهيلا علينا وتيسيرا وشرفا**
ورحمة وخصوصية لفضلنا فليس المراد حقيقة العدد بل المراد ذكر
لان لفظ سبعة يطلق على ارادة الكثرة في الاحاد كما يطلق السبعون في
العشرات والسبعماية في المئين ولا يراد العدد المعين والى هذا جنح عياض
ومن تبعه ويرده حديث ابن عباس في الصحيحين مرفوعا اقراني جبريل
على حرف فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف
وفي حديث ابي عند مسلم ان ربي ارسل الي ان اقرا القران على حرف فرددت
عليه ان هون على امتي فارسل الي ان اقراه على سبعة احرف وفي لفظ عند
النسائي ان جبريل وميكائيل اتياني فقعد جبريل على يميني وميكائيل على
يساري فقال جبريل اقرا القران على حرف فقال ميكائيل استزده حتى بلغ
سبعة احرف وفي حديث ابي بكرة عند احمد فنظرت الى ميكائيل فسكت
فعلمت انه قد انتهت العدة فهذا يدل على ارادة حقيقة العدد وانحصاره
واقرب الاقوال قولان احدهما ان المراد سبع لغات وعليه ابو عبيدة وثعلب
والزهري واخرون وصححه ابن عطية والبيهقي وتعقب بان لغات العرب
اكثر من سبعة واجيب بان المراد افصحها والثاني ان المراد سبعة

اوجه من المعاني المتفقة بالفاظ مختلفة نحو اقبل وتعال وهلم وعجل واسرع
وعليه سفين بن عيينة وابن وهب وخلايق ونسبه ابن عبد البر لاكثر
العلما قال السيوطي والمختار ان هذا من المتشابه الذي لا يدري معناه كمتشابه
القران والحديث وعليه ابن سعدان النحوي لان الحرف يصدق لغة على حرف
الهجا وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة وفي فتح الباري قال ابو شامة
ظن قوم ان القراات السبع الموجودة الان هي التي اريدت في الحديث وهو
خلاف اجماع اهل العلم قاطبة وانما يظن ذلك بعض اهل الجهل وقال مكي
ابن ابي طالب من ظن ان قراة هولا القرا كعاصم ونافع هي الاحرف التي في
الحديث فقد غلط غلطا عظيما ويلزم من هذا ان ما خرج عن قراة هولاء
السبعة مما ثبت عن الايمة وغيرهم ووافق خط المصحف ان لا يكون قرانا
وهذا غلط عظيم انتهى ومنها كونه اية باقية لا تعدم بفتح فسكون اي
لا تزول ما بقيت الدنيا مدة بقايها الى قرب قيام الساعة فيرفع كما في
الاحاديث ومنها انه تعالى انا نحن نزلنا الذكر القران وانا له لحافظون
اي من التحريف والزيادة والنقصان فلم يقع فيه شي منها ونظيره قوله
تعالى في صفة القران وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه اي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده وقوله افلا يتدبرون القران
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا تناقضا في
معانيه وتباينا في نظمه فان قلت هذه الاية تنفي الاختلاف فيه
وحديث انزل القران على سبعة احرف المروي في البخاري وغيره
كمسلم واحمد عن عمر وهو متواتر رواه احد وعشرون صحابيا ونص على
تواتره ابو عبيد واخرج ابو يعلى ان عثمان قال على المنبر اذكر الله رجلا
سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القران انزل على سبعة احرف كلها
شاف كاف فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك فقال وانا اشهد معهم
يثبته اي الاختلاف فهذا تناقض قلت اجاب الجعبري نسبة الى
جعبر بموحدة بوزن جعفر قلعة على الفرات في اول شرحه للشاطبية
بان المثبت اختلاف تغاير والمنفي اختلاف تناقض بان يكون مفهوم
احد المحلين ايجابا والاخر سلبا لذلك الايجاب وهذا لا يقع منه شي في القران
فموردهما مختلف انتهى ولا يرد عليه ان الذين تدعون من دون الله
عباد امثالكم قرى برفع عباد ونصبه فبينهما تناف اذ في الرفع اثبات
انهم مملوكون مسخرون مقهورون والنصب نفي كونهم عبيدا لان المراد النفي
بقيد الصفة اي ليسوا مماثلين لكم في العقل والادراك بل هي اجسام متحركونها
بايديكم فان قلت فلم اشتغلت الصحابة بجمع القران في المصحف
وكان ابتدا ذلك على يد ابي بكر بمشورة عمر فتصدى لذلك زيد بن ثابت كما
رواه البخاري مطولا وروى ابن ابي داود باسناد حسن عن علي اعظم
الناس في المصاحف اجرا ابو بكر هو اول من جمع كتاب الله لكن عنده ايضا

عن

عن علي لما مات صلى الله عليه وسلم اليت لا اخذ ردائي الا لصلاة جمعة حتى
اجمع القران فجمعه قال الحافظ وهذا الاثر ضعيف لانقطاعه وبتقدير صحته
فمراده بجمعه حفظه في صدره ونازعه السيوطي بان له طريقا اخر عند ابن
الضريس وثالثا عند ابن اشتة وفيه ان عليا كتب في مصحفه الناسخ
والمنسوخ وان ابن سيرين قال فطلبته وكتبت فيه الى المدينة فلم اقدر عليه
فكان ما جمع في عهد ابي بكر عنده مدة حياته ثم عند عمر ثم حفصة بنته
حتى قدم حذيفة على عثمان فقال ادرك الامة قبل ان يختلفوا اختلاف اليهود
والنصارى فارسل الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها ثم نردها
اليك فارسلتها فامر جماعة من الصحابة فنسخوها في المصاحف ثم ردها
الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سواه في كل صحيفة
او مصحف ان يحرق كما في البخاري وقد وعد الله تعالى بحفظه وما
حفظه الله تعالى فلا خوف عليه وكيف قال حذيفة ما ذكر ووافقه
عثمان فالجواب كما قال الرازي الامام فخر الدين ان جمعهم للقران
كان من اسباب حفظ الله تعالى اياه فانه تعالى لما اراد حفظه
قيضهم لذلك وسببه لهم قال وقال اصحابنا الشافعية وفي
هذه الاية دلالة قوية على ان البسملة اية من كل سورة لان الله
قد وعد بحفظ القران ولن يخلف الله وعده والحفظ لا معنى له
الا ان يبقى مصونا عن التغيير بالزيادة والنقص والا تقل انها اية من
كل سورة لما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز ان يظن بالصحابة
انهم زادوا البسملة اول كل سورة لوجب ايضا ان يظن بهم النقصان
اذ لا فرق بينهما عقلا وذلك يوجب الخروج عن كونه حجة ولا قايل
بذلك فثبت انها اية من كل سورة ولا دلالة فيه فضلا عن كونها قوية لان
الذين لم يقولوا بذلك منهم من قال كالحنفية انها قران بمنزلة سورة قصيرة
للفصل بين السور ومنهم من قال ليست اية من الفاتحة ولا من كل سورة الا
في النمل فقط لكن يستحب افتتاحه بها في غير الصلوة كما يستحب ابتداوه
بالاستعاذة اجماعا ونصا فاذا قرات فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم والاجما
على ان الاستعاذة ليست منه فليس في كتب البسملة ما يدل على الدعوى بل ولا على
انها اية مستقلة واختلف فيه كيف يحفظ القران اي في صفة حفظه له
فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا مباينا لكلام البشر فعجز
الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو زادوا فيه او نقصوا
منه لتغير نظم القران فيظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القران
وهذا حفظ عظيم وقال اخرون اعجز الخلق عن ابطاله وافساده
بان قيض الباسبة اي تقييض وفي نسخة بل قيض بل الاتقالية
جماعة يحفظونه ويدرسونه فيما بين الخلق الى اخر بقا التكليف
ولا تنافي فيما هذين القولين فلا مانع من كونهما معا بيانا لصفة الحفظ

كالثالث وهو **وقال الخروف المراد بحفظه هو ان احد الوحاول ان يغيره بحرف** اي بابدال حرف منه بحرف اخر **او نقطة** بانه يزيدها
او ينقصها او يسقطها **لقال اهل الدنيا انه كذب حتى ان الشيخ المهيب** بو نمبيع **لو اتفق له تغير في حرف الصبيان لهم**
فضلا عن الرجال **اخطات وصوابه كذا ولم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الكتاب فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف والتغيير والتحريف وقد صان الله تعالى هذا الكتاب العزيز عن جميع التحريف** وحكمة ذلك مع ان الكتب السماوية كلها كلام الله تعالى انها ان غيرته جاء
نبي بعده يبين ما غير او بدل بخلاف القران نزل على خاتم النبيين فلا نبي بعده
يبين التغيير لو وقع فيه **مع ان دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة** حريصة ومجتمعة **على ابطاله** اصلا **و تقضى الان ثمانية وتسعون سنة وثمان مائة وهو بحمد الله في زيادة من الحفظ**
وكذا تقضى سنة بعد مائة والف وهو كذلك ولا يزال حتى يرفع **ومنها انه عليه السلام خص باية الكرسي** يعني انها لم تنزل على غيره روى الديلمي
مسلسلا عن ابي امامة سمعت عليا يقول ما ارى رجلا ادرك عقله في الاسلام
يبيت حتى يقرا هذه الاية الله لا اله الا هو الحي القيوم الى وهو العلي العظيم
فلو يعلمون ما هي او ما فيها لما تركتموها على حال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اعطيت اية الكرسي من تحت العرش ولم يوتها نبي قبلي قال
علي فما بت ليلة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اقراها
قال ابو امامة وما تركتها منذ سمعتها من علي عن رسول الله على سلسلة الياقوتة
واخرج ابو عبيد وابن الضريس عن علي اية الكرسي اعطيها نبيكم من كنز تحت
العرش ولم يعطها نبي قبل نبيكم وسميت بذلك لذكر الكرسي فيها والاية العلامة
واية القران علامة على تمام الكلام او لانها جماعة من كلمات القران والاية
تقال للجماعة قال بعضهم والكرسي فيه صور الاشيا كلها فما في الارض صورة
الاولها في الكرسي مثل فما في العرش انما منه ففي الكرسي امثلته وما في السموا
انما منه ففي الارض صورته فجمعت هذه الاية تفصيل المعضلات وقال ابن عربي
قد ثبت في القران تفاضل سورة واية بعضها على بعض في حق القاري
بالنسبة لما لنا فيه من الاجر وقد وردت اية الكرسي سيدة اي القران لانه
ليس فيه اية ذكر الله ما بين مضمر وظاهر ستة عشر موضعا الا اية
الكرسي قال شيخنا ليس المراد ان الجلالة واقعة بين المضمر والظاهر ولان
المضمر واقع بين شيئين احدهما لفظ الجلالة والاخر اسم ظاهر بل المراد
ان الله ذكر في ستة عشر موضعا وتلك المواضع منقسمة الى كون بعضها
مضمرا وبعضها ظاهرا فالظاهر في خمسة وهي الله والحي القيوم العلي العظيم
والمضمر احد عشر اولها هو من لا اله الا هو والضمير البارز في لا تاخذه ثانيها
له رابعها وخامسها عنده الا باذنه سادسها المستتر في يعلم سابعها البارز في

علمه

علمه ثامنها المستتر في يشا تاسعها البارز في كرسيه عاشرها البارز في ولا
يوده حادي عشرها المنفصل في قوله وهو ولانه لم يعتبر الضماير المستترة
في الحي القيوم العلي العظيم لان المستتر فيه هو الاسم الظاهر الدال على ذاته
تعالى وكانه هو والضمير عبارة عن معنى واحد وقال الغزالي اذا تاملت جملة
معاني اسما الله الحسنى من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العلى
وجدتها مجموعة في اية الكرسي فلذا وردانها سيدة اي القران فان شهد
الله ليس فيها الا التوحيد وقيل هو الله احد ليس فيها الا التوحيد والتقديس
وقل اللهم مالك الملك ليس فيها الا الافعال وكمال القدرة والفاتحة فيها
رمز الى هذه الصفات بلا شرح وهي مشروحة في اية الكرسي ويقرب منها
في هذه المعاني اخر الحشر واول الحديد اذ تشتمل على اسما وصفات كثيرة
لكنها ايات لا اية واحدة وهذه اذا قابلتها باحاد تلك الايات وجدتها اجمع
للمقاصد فلذا استحقت السيادة على الاي انتهى وفي الحديث من قراءة اية
الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت رواه النسائي وابن
حبان وروي ان من ادمن قراتها عقب كل صلاة فانه لا يتولى قبض روحه
الا الله **و خص بالمفصل** ويسمى المحكم لان سوره قصار كل سورة كفصل من
الكلام واخره اتفاقا وهل اوله الحجرات او الجاثية او القتال او ق او الصافات
او الصف اقوال ارجحها اولها **وبالمثاني وبالسبع الطوال** بكسر الطاء
جمع طويلة واما بضمها فمفرد كرجل طوال **كما في حديث ابن عباس** بلفظ
واعطيت خواتيم سورة البقرة منامن الرسول وقيل من لله الى اخرها
ويدل له ما روى ابو عبيد عن كعب قال ان محمدا اعطى اربع ايات لم يعطها موسى
لله ما في السموات وما في الارض حتى ختم البقرة فتلك ثلاث واية الكرسي **من
كنوز العرش** قال الحافظ العراقي معناه انها ادخرت وكنزت له فلم يوتها
احد قبله وكثير من القران منزل في الكتب السابقة باللفظ والمعنى وان كان
فيه ايضا ما لم يوت غيره لكن في هذه خصوصية لامته وهي وضع الاصر
الذي على من قبل ولذا قال **وخصصت به دون الانبيا** اي باعطا
ما ذكر من الخواتيم وقال غيره الله اعلم ما هذا الكنز ويجوز كونه كنز اليقين فهو
كنز مخبو تحت العرش اخرج منه تعالى ثمانية مثاقيل من نور اليقين فاعطى
منها رسول الله اربعة وزيد وغيره خصوصية للرسالة فلذا وزن ايمانه
بايمان الخلق فرجح انتهى وهو غريب وقد صبر على الاول الطيبي فقال الكنز
النفايس المدفونة المدخرة فهو اشارة الى انها ادخرت له فلم تنزل على من
قبله وهو من ادخال الشي في جنس وجعله احد انواعه على التغليب فالكنز
نوعان متعارف وهو المال الكثير يجعل بعضه فوق بعض ويحفظ وغير متعارف
وهو هذه الايات الجامعة المكتنزة بالمعاني الالهية وروى الطبراني وابو
الشيخ والضيا في المختارة عن ابي امامة رفعه اربع انزلت من كنز تحت
العرش لم ينزل منه شي غيرهن ام الكتاب واية الكرسي وخواتيم سورة

البقرة والكوثر **واعطيت المثاني مكان التوراة** اي بدلا منها فيها **والمثين** بفتح الميم عند بعض وكسرها عند اخرين وهو المناسب للمفرد وكسر الهمزة ومثناة تحتية ساكنة اي السور التي تلي السبع الطوال او التي اولها ما يلي الكهف لزيادة كل منها علي مائة اية او تقاربها او التي فيها القصص وقيل غير ذلك **مكان الانجيل والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل** اي صيرت افضل اي ازيد من غيري بما انزل علي منه **رواه ابو نعيم في الدلايل** ويعارضه ما روي احمد والبيهقي والطبراني عن واثلة مرفوعا اعطيت مكان التوراة السبع الطوال واعطيت مكان الزبور المبين واعطيت مكان الانجيل المثاني وفضلت بالمفصل وروي محمد بن نصر عن انس مرفوعا ان الله اعطاني السبع مكان التوراة واعطاني الرات مكان الانجيل واعطاني ما بين الطواسين الي الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قراهن نبي قبلي وهذا مخالف لحديثي ابن عباس وواثلة معا من وجهين احدهما في المعطي مكان تلك الكتب والثاني صريحه ان الحواميم والمفصل مما اعطي لا في مقابلة شي وصريح حديث ابن عباس انه الحواميم مكان الزبور فليطلب الجمع او الترجيح وروي الحاكم عن معقل بن يسار مرفوعا اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين والحواميم من الواح موسي واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش والمفصل نافلة والطول في حديث واثلة بضم الطا وفتح الواو كما ضبطه السيوطي بالقلم في النهاية الطول بالضم وفي القاموس السبع الطوال كصرد والذكر الاول الصحف العشرة والكتب الثلاثة قاله الكلاباذي **وقال تعالي ولقد اتيناك سبعا من المثاني** بيان لسبعا من التثنية او الثنا فانه مثني يكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او مثني عليه بالبلاغة والاعجام ومثن علي الله بما هو اهله من صفاته العظمي واسمائه الحسني **والقران العظيم** عطف كل علي بعض او عام علي خاص وفي المثاني تفاسير ذكر بعضها مقدما ارجحها فقال **وفي البخاري** في تفسير سورة الحجر **من حديث ابي هريرة عنه صلي الله عليه وسلم قال ام القران هي السبع المثاني والقران العظيم** وفي رواية الترمذي الحمد لله ام القران وام الكتاب والسبع قال الخطابي وفي الحديث رد علي ابن سيرين حيث قال لا يقال للفاتحة ام القران وانما يقال لها فاتحة الكتاب ويقول ام الكتاب هو في اللوح المحفوظ قال وام الشي اصله وسميت ام القران لانها اصل القران وقيل لانها متقدمة لانها تؤمه **سابره** كذا وقع في النسخ وليست في البخاري ولا غيره فسقط من الحم لفظ اي التفسيرية اشارة الي انه محذوف الخبر كما قال الحافظ والقران العظيم عطف علي ام القران مبتدا خبره محذوف او خبر مبتدا محذوف اي والقران العظيم ما عداها وليس عطفا علي السبع المثاني لان الفاتحة ليست هي القران العظيم وان جاز اطلاقه عليها لانها منه لكن ليست كله ثم وجدت الحديث في تفسير ابن ابي حاتم عن

ابي

ابي هريرة بلفظ والقران العظيم الذي اعطيتموه اي هو الذي اعطيتموه فيكون هذا هو الخبر وقد روي الطبري باسنادين جيدين عن عمر ثم عن علي السبع المثاني فاتحة الكتاب زاد عن عمر تثني في كل ركعة وباسناد حسن عن ابن عباس ولقد اتيناك سبعا من المثاني هي فاتحة الكتاب انتهي وقال التوربشتي ان قيل كيف صح عطف القران علي السبع المثاني وعطف الشي علي نفسه لا يجوز قلنا ليس كذلك وانما هو من باب ذكر الشي بوصفين احدهما معطوف علي الاخر والتقدير اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين وقال الطيبي عطف القران علي السبع المثاني المراد منه الفاتحة من باب عطف العام علي الخاص تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات واليه اومي صلي الله عليه وسلم بقوله لابي سعيد بن المعلا الا اعلمك اعظم سورة في القران حيث ذكر سورة وافردها ليدل علي انك اذا تقصيت سورة سورة وجدتها اعظم منها ونظيره في النسق ولكن من عطف الخاص علي العام من كان عدوا لله وملايكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال انتهي وهو معني كلام الخطابي قال الحافظ وفيه بحث لاحتمال ان قوله والقران العظيم محذوف الخبر والتقدير ما بعد الفاتحة مثلا فيكون وصف الفاتحة انتهي بقوله المثاني ثم عطف والقران العظيم اي ما زاد علي الفاتحة وذكر ذلك رعاية لنظم الاية فيكون التقدير والقران العظيم هو الذي اوتيته زيادة علي الفاتحة قال وعلي هذا فالمراد بالسبع الاي لان الفاتحة سبع ايات بالاجماع لكن جا عن حسين بن علي الجعفي انها ست ايات لانه لم يعد البسملة وعن عمرو بن عبيد انها ثمان ايات لانه عدها وعد انعمت عليهم وقيل ما بعدها وعد اياك نعبد وهذا اغرب الاقوال انتهي **واختلفوا لم سميت الفاتحة المثاني فعن الحسن** البصري **وابن عباس** عبد الله **وقتادة** ابن دعامة **لانها تثني** اي تكرر **في الصلاة فتقرا في كل صلاة** من تثنية الشي بالتثقيل جعلته اثنين لكن ليس المراد خصوص الاثنين بل مطلق التكرير يعني ان المراد قراءتها في جميع الصلوات حتي الركعة كالكوثر ويؤيد له قول عمر عند ابن جرير لانها تثني في كل ركعة اي تقرا **وقيل لانها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين** باعتبار المعني لا اللفظ لان نصف الدعا من قوله واياك نستعين يزيد علي نصف الثنا والمراد قسمين والنصف قد يراد به احد قسمي الشي وان كان بينهما تفاوت **نصفها ثنا** علي الله وعبادة له **ونصفها دعا** طلب منه تعالي لشي العبد علي ربه ثم يدعوه ليجيب دعاه **كما في حديث ابي هريرة** عند مالك ومسلم واحمد وابي يعلي **عنه صلي الله عليه وسلم يقول قسمت الصلاة** اي قراءتها بدليل تفسيره بها قاله المندري او يعني الفاتحة سميت صلاة لانها لا تصح الا بها كقوله الحج عرفة وقيل من اسما الفاتحة الصلاة فهي المعنية في الصلاة **بيني وبين عبدي نصفين** ولعبدي ما سال فاذا قال الحمد لله

رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال هذا بقية الحديث عندهم قال الحافظ لم يخرجه البخاري لانه ليس على شرطه ولكن اشار اليه **وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة** حكاه قوم لانه قد يتكرر النزول للتذكر او موعظة او تعظيم شانه لكن في فتح الباري يستنبط من تفسير السبع المثاني بالفاتحة انها مكية وهو قول الجمهور خلافا لمجاهد ووجه الدلالة انه سبحانه امتن على رسوله بها وسورة الحجر مكية اتفاقا فيدل على تقدم نزول الفاتحة عليها قال الحسين بن الفضل هذه هفوة من مجاهد لان العلماء على خلاف قوله واغرب بعض المتاخرين فنسب القول بذلك لابي هريرة والزهري وعطاء بن يسار وحكى القرطبي ان بعضهم زعم انها نزلت مرتين انتهى **وعن مجاهد لان الله استثناها وادخرها** بدال مهملة وقد تعجم اعدها **لهذه الامة** عطف تفسير **فما اعطاها غيرهم** روى البيهقي وغيره عن انس رفعه ان الله اعطاني فيما من علي ان قال اني اعطيتك فاتحة الكتاب وهي من كنوز عرشي ثم قسمتها بيني وبينك نصفين **وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس** فيما رواه النسائي والطبري والحاكم باسناد صحيح **انه السبع المثاني هي السبع الطوال اولها سورة البقرة واخرها سورة الانفال مع التوبة** لانهما في حكم سورة واحدة ولذا لم يفصل بينهما بالبسملة وفي لفظ للطبري البقرة وال عمران والنسا والمايدة والانعام والاعراف قال الراوي وذكر السابعة فنسيتها **وقال بعضهم سورة يونس بدل الانفال** مع التوبة قال الحافظ رواه ابن ابي حاتم صحيحا عن مجاهد وسعيد بن جبير وعند الحاكم انها الكهف وزاد قيل له ما المثاني قال تثنى فيهن القصص **قال ابن عباس وانما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرايض والحدود والامثال والعبر تثنيت** تعددت وتكررت **فيها** وهذا قول مشهور ايضا في تفسير المثاني وان رجح الاول وقد اخرج الطبري من طريق ابي جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية السبع المثاني فاتحة الكتاب قلت للربيع انهم يقولون انها السبع الطوال قال لقد انزلت هذه الاية وما نزل من الطول شيء وروى الطبري ايضا عن زياد بن ابي مريم قال في لقد اتيناك سبعا من المثاني قال مر وانه وبشر وانذر واضرب الامثال واعدد النعم والانبا وحكى في الشفا انها السبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاء والتعظيم والسكينة ورجح ابن جرير الاول اي الفاتحة لصحة الخبر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال طاوس القران كله مثاني قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا** بدل من

احسن اي قرانا **متشابها** اي يشبه بعضه بعضا في النظم وغيره **مثاني وسمي القران مثاني لان القصص تثنت فيه** ولانه ثني فيه الوعد والوعيد وغيرهما وفي البيضاوي وقيل سبع صحايف وهي الاسباع ويجوز ان يراد بالمثاني القران او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع ايات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الاخر **والله اعلم** بما اراده **ومنها انه اعطي مفاتيح الخزاين** اي خزاين الارض كما رواه البخاري وغيره واخرج احمد وابن حبان برجال الصحيح عن جابر مرفوعا اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق جاءني به جبريل عليه قطيفة من سندس وفي رواية اسرافيل ولا تنافي لانه ان تعدد المجيء والا فالاتي جبريل وصحبته اسرافيل وركوبه الفرس اشارة الى انه اوتي العز والى اعزاز دينه ولم يكن لونا واحدا اشارة الى استيلاء امته على خزاين جميع الملوك من احمر وابيض واسود على اختلاف الوانها واشكالها اذ الابلق ما خالط لونه بياضا وسوادا ثم يحتمل انها حيزوم فرس جبريل الذي ما خالط موطئ حافره مواتا الا صار حيوانا ويحتمل غيرها والخزاين جمع خزانة ما يخزن فيه والمال مخزون عند اهل البلاد قبل فتحها فهو استعارة تصريحية بفتح البلاد **قال بعضهم هي خزاين اجناس** جمع جنس **العالم** منون عوالم فاللام عوض عن المضاف اليه اي خزاين العالم السفلي باسره **ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم** سوا تعلق بنفس الذوات او بمتعلقاتها كالمواشي والزراعات وهذا وجه في تقرير الاستعارة في اعطا مفاتيح الخزاين **فكل ما ظهر من رزق العالم فان الاسم الالهي لا يعطيه الا عن محمد صلى الله عليه وسلم** اي فكان من يوصله الى العالم كالوكيل في اعطايه لهم نيابة عنه لانه حقه **الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو اعطى هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص باعطايه مفاتيح الخزاين** فلا يخرج منها شي الا على يده قال الزمخشري المراد بالخزاين المعادن او البلاد التي فيها ذلك او البلاد التي فتحته لامته بعده التي منها خزاين كسرى وقيصر اذ الغالب على نقود خزاين كسرى الدنانير وعلى نقود ممالك قيصر الدراهم واشار في الكشاف الى انه هذا وما اشبهه من قبيل التمثيل والاستعارة قال في قوله وان من شي الا عندنا خزاينه ذكر الخزاين تمثيل والمعنى وما من شي ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به فضرب الخزاين مثلا لاقتداره على كل مقدور **ومنها انه اوتي جوامع الكلم** اي الكلم الجوامع لمعان كثيرة بالفاظ قليلة قال صلى الله عليه وسلم اعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا رواه البيهقي وابو يعلى والدارقطني يعني اعطيت البلاغة والفصاحة والتوصل الى غوامض المعاني وبدايع الحكم ومحاسن العبارات بلفظ موجز لطيف وقيل المراد بها القران سمي به لايجازه واحتوا اللفظ القليل على المعنى الكثير واشتماله على ما في الكتب السماوية وجمعه

مافيها من العلوم وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه
رواه الطبراني وغيره فالكلم جمع كلمة في احد الاقوال وقيل اسم جمع افرادي يطلق
على القليل والكثير لكن خصه الاستعمال بالثلاثة فما فوق والمختار انه اسم جنس
جمعي يجوز في ضميره التذكير على الاصل وهو الاكثر نحو اليه يصعد الكلم الطيب
والتانيث ملاحظة للجمعية وكلمات الله لا تنفد بفتح التا والفا كما في التنزيل
لا تفنى ولا تنقطع وكانه جعل هذا جواب سوال هو هل تنحصر جوامع كلمه فاجاب
لا تنحصر بل متى ارادها قدر عليها لانها من كلمات الله ولا تنفد فالكلمة منه
بكلمات ومما علم جوامع الكلم اعطى الاعجاز بالقران الذي هو كلام الله
تعالى وهو اي القران المترجم المبين الكاشف عن الصفة القديمة القايمة
بذات الله حيث دل عليه فتسميته مترجما مجاز علاقته المشابهة فالترجمة تفسير
كلام الغير بلسان اخر ويحتمل ان ضمير هو للنبي صلى الله عليه وسلم والظاهر الاول
لقوله فوقع الاعجاز اذ هو انما وقع في القران في الترجمة التي هي له اي في
الكلمات التي وقع التعبير بها عن المعاني القايمة بذاته حيث وقعت على اسلوب
يعجز البشر عن الاتيان بمثله فان المعاني المجردة عن المواد جمع مادة اي
الالفاظ التي يودى بها المعاني اذ مادتها الالفاظ لانها قوالب المعاني كانها صبت
فيها كالقالب لا يتصور الاعجاز بها وانما الاعجاز ربط هذه المعاني بصور
الكلم القايم من نظم الحروف وهذا تعليل لكون الاعجاز بالكلمات المعبر بها عن
المعاني بالمعاني انفسها فهو اي القران لسان الحق لانه المبين للمعاني القايمة
به المعبر عنها بالكلمات وسمعه وبصره لانه المبين للمسموعات والمبصرات
ومنها انه بعث الى الناس كافة اي كلهم ولا تقل الكافة لانها لا تدخلها ال
ووهم الجوهري فادخل ال كما في القاموس قال بعضهم وهو ماخوذ من الكفت
وهو الضم للمناسبة بينهما والكفت يتعدى بنفسه وبالى قال المجد كفته يكفته
صرفه عن وجهه فانكفت والشي اليه ضمه وقبضه ككفته قال الله تعالى
الم نجعل الارض كفاتا اي تضم الاحيا على ظهرها والاموات في بطنها
فكفاتا بمعنى كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كما في البيضا ويقال او مصدر
نعت به او جمع كافت كصايم وصيام او كفتة وهو الوعا اجرى على الارض
اي اطلق عليها باعتبار اقطارها تنبيها فعلى الاخيرين اطلق كفاتا على الارض
من حيث جعل كل جزء منها كافتا اي جامعا لما يحتوي عليه كذلك ضمنت شريعته
صلى الله عليه وسلم جميع الناس فلا يسمع به احد عاقل الا لزمه
الايمان به لظهور المعجزات القطعية على يده الدالة على حقيته ملجا به
وشمل احد الانس والجن ولذا رتب عليه قوله ومن ثم لما سمع الجن القران
يتلى قالوا يا قومنا اجيبوا داعي الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الايمان
وامنوا به فعمت شريعته الانس والجن اجماعا كما ياتي قريبا بادلته
وعمت رحمته التي ارسل بها العالم ودليله انه قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم
ومعادهم

ومعادهم ورحم الله به الخلق مومنهم وكافرهم بالامن من الخسف والمسخ
وعذاب الاستيصال ومنافقهم بالامن من القتل او تاخير العذاب قاله ابن عطية
ويحتمل ان معناه انه هو رحمة وهدى بين اخذ به من اخذ واعرض عنه من
اعرض انتهى واليه اشار بقوله فمن لم تنله رحمته من الكفار فلم يومن به
فما ذاك من جهته صلى الله عليه وسلم وانما ذاك من جهة القابل
حيث طبع على قلوبهم واستحبوا الكفر على الايمان وانهماكا في التقليد واعراضا
عن النظر الصحيح فلا ينفذ في قلوبهم الحق واسماعهم تنفر منه ولا يتجلى
لابصارهم الايات المنصوبة في الافاق فهو كالنور الشمسي فاض
شعاعه على الارض فما استتر عنه في كن وظل جدار فهو الذي
لم يقبل انتشار النور عليه وعدل عنه فلم يرجع الى الشمس من
ذلك منع عن فيض شعاعها انتهى كلام بعضهم فان قلت يرد على انه بعثه
الى كافة الناس من خصايصه ان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض بعد
الطوفان فانه لم يبق الا من كان مومنا معه وقد كان مرسلا اليه
وقد جاء في حديث جابر في الصحيحين وغيره النص على الخصوصية في
قوله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا قبلي الحديث
وفيه وكان النبي يبعث الى قومه المبعوث اليهم خاصة وبعثت الى كل
احمر وهم العجم او الانس واسود العرب او الجن وهذه رواية مسلم وفي
رواية للبخاري وبعثت الى الناس كافة وفي رواية ايضا عامة وهما بمعنى
فظاهر الحديث ان كل واحدة من الخمس لم تكن لاحد قبله اجاب الحافظ ابن
حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري في التيمم بان هذا العموم الذي حصل
لنوح عليه السلام لم يكن في اصل بعثته وانما هو اتفاقي اتفق بالحادث
الذي وقع وبينه فقال وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد
هلاك ساير الناس بالغرق كما في القران والقصة مبسوطة في التفاسير
وغيرها واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل
البعثة فثبت اختصاصه بذلك قال في الفتح وغفل الداودي الشارح
غفلة عظيمة فقال ~~في الفتح وغفل الداودي~~ قوله لم يعطهن احد قبلي يعني لم
تجتمع لاحد قبله لان نوحا بعث الى الناس كافة واما الاربع فلم يعط احد
واحدة منهن وكانه نظر في اول الحديث وغفل عن اخره لانه صلى الله عليه
وسلم نص على خصوصيته بهذه ايضا بقوله وكان النبي يبعث الى قومه
خاصة وفي رواية مسلم وكان كل نبي يبعث الى قومه خاصة واما قول اهل
الموقف لنوح كما صح في حديث الشفاعة عند الشيخين انت اول
رسول الى اهل الارض فليس المراد به عموم بعثته بل اثبات
اولية ارساله الى من انحصر فيهم الوجود بعد الطوفان فالاولية منصبة
على الارسال فلا يلزم منه العموم واورد على هذا ادم وادريس على انه
كان قبل نوح فان حديث ابن حبان دل على انهما رسولان واجيب بانه

المراد اول رسول بعث الي الارض بالاهلاك وانذار قومه لان رسالة ادم
كانت بمنزلة التربية والارشاد للاولاد لانهم لم يكونوا وكذا رسالة ادريس
وعلي تقدير ان يكون مراداً فهو مخصوص بتخصيصه سبحانه
وتعالي اي ذكره في عدة ايات علي ان ارسال نوح كان الي قومه
كقوله ولقد ارسلنا نوحا الي قومه انا ارسلنا نوحا الي قومه انا ارسلنا نوحا
الي قومه ولم يذكر انه ارسل الي غيرهم كما قال لنبينا ليكون للعالمين
نذيرا لانذركم به ومن بلغ واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه
دعا علي جميع من في الارض بقوله رب لا تذر علي الارض من الكافرين
ديارا فاهلكوا بالغرقة الا اهل السفينة لايمانهم ولو لم يكن مبعوثا
اليهم لما اهلكوا لقوله تعالي وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا
وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يكون غيره ارسل
اليهم في اثناء مدة نوح لانه كان في الزمن الاول جماعة من الرسل كما قاله
ابن الجوزي فمن جاء من الرسل نبيئة الي قومه وجب عليهم العمل بها دون
غيرها من الشرايع وانه بلغهم عن اصحابها وعلم نوح بانهم لم يومنوا
فدعا علي من لم يومن من قومه وغيرهم فاجيب دعاوه باهلاك
الجميع بالطوفان وهذا جوابه حسن لكن لم ينقل انه نبي في زمن
نوح غيره فضلا عن كونه ارسل ويحتمل ان يكون معني الخصوصية
بضم الخا المعجمة وبفتح كما في القاموس وفي المصباح بالفتح والضم لغة لنبينا
صلي الله عليه وسلم اي جعلها له دون غيره في ذلك بقا شريعته الي
يوم القيامة ونوح وغيره بصدد ان يبعث نبي في زمانه او
بعده فينسخ بعض شريعته انتهي ما نقله عن الحافظ وترك بقيته
وهو ويحتمل ان يكون دعاوه قومه الي التوحيد بلغ بقية الناس فتمادوا علي
الشرك فاستحقوا العذاب والي هذا نحي ابن عطية في تفسير سورة هود قال وغير
ممكن ان نبوته لم تبلغ القريب والبعيد لطول مدته ووجهه ابن دقيق العيد
بان توحيد الله تعالي يجوز ان يكون عاما في حق الانبيا وان كان التزام فروع شريعته
ليس عاما لان منهم من قاتل غير قومه علي الشرك ولو لم يكن التوحيد لازما
لهم لم يقاتلهم ويحتمل انه لم يكن في الارض عند ارسال نوح الا قوم نوح
فبعثته خاصة لكونها الي قومه فقط وهي عامة في الصورة لعدم وجود
غيرهم لكن لو يكن مبعوثا اليهم انتهي واما قول بعض اليهود ان نبينا
محمدا صلي الله عليه وسلم مبعوث الي العرب خاصة ففاسد
والدليل عليه اي علي فساده وفي نسخة عليهم اي الحجة الرادة عليهم
انهم اي اليهود سلموا انه رسول صادق الي العرب صلة
رسول فوجب ان يكون كما يقوله حقا لاستحالة الكذب علي الرسول
وقد ثبت بالتواتر انه كان يزعم انه رسول الي كل الناس فلو
كذبوه فيه لزم التناقض اشار اليه صاحب المعالم اي معالم

السنن شرح ابي داود للخطابي ومرت ترجمته ومنها نصره صلي
الله عليه وسلم بالرعب بالضم الخوف كما قال ونصرت بالرعب
يقذف في قلوب اعدايي مسيرة شهر كما رواه جابر وابو امامة
وغيرهما ولا ينافيه رواية ابن عباس عند الطبراني مسيرة شهرين لحمله
علي ما اذا كان العدو امامه وخلفه فيصدق انه مسيرة شهرين
ويدل له رواية السايب بن يزيد في الطبراني ايضا مرفوعا ونصرت بالرعب
شهرا امامي وشهرا خلفي قال الشامي فيه ان العدو الواحد لا يكون في
جهتين بعيدتين وانما يكون امامه او خلفه فهو يرعب ولم يقابله فاطلق
الشهر باعتبار احدي الجهتين وكذا لو كان عدوين في جهتين امامه وخلفه
فالشهر نهاية مسافة الخوف ولهذا رمز به عليه هذا وهو بديع والشهر
قد قطع القمر درجات الفلك المحيط فهو اسرع قاطع حيث
قطعها في شهر فالرعب المقذوف في قلوب اعدايه اسرع قاطع لهم عن
معاداته لعموم رعبه في قلوب اعدايه فلا يقبل بموحدة الرعب
قبول تاثير ينتقل به من الكفر الي الايمان الا بعد ومقصود هدايته فاثر
بقلبه حتي امن ومن لم يقصد هدايته وان رعب لكن لم يتاثر قلبه تاثيرا
يوجب له الايمان بل يوثر ما يوجب سعيه في جميع الجيوش واهلاك
الاموال في حربه كما قال تعالي ان الذين كفروا ينفقون اموالهم وانما كان
كذلك ليتميز السعيد من الشقي ومن ذلك ما للطبراني بسند حسن عن
معاوية بن حيدة القشيري قال اتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما
دفعت اليه قال اما اني سالت الله ان يعينني بالسنة تحفيكم وبالرعب في
قلوبكم فقال بيديه جميعا اما اني قد حلفت هكذا وهكذا ان لا اومن بك فما
زالت السنة تحفيني وما زال الرعب يجعل في قلبي حتي قمت بين يديك والسنة
بفتح المهملة والنون الخفيفة الجدب وتحفيكم بضم الفوقية وسكون المهملة
وفا وتحتية تستاصلكم وتبالغ في اهلاككم ومفهوم هذا كما في الفتح انه
لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة اي الشهر ولا في اكثر
منها بالاولي اما ما دونها فلا يختص به بل يكون لغيره لكن لفظ
رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ونصرت ولو كان بيني
وبينهم مسيرة شهر بالرعب علي العدو فالظاهر من الاغيا
بلو اختصاصه به مطلقا قال الحافظ وليس المراد بالخصوصية
مجرد حصول الرعب بل هو وما ينشا عنه من الظفر بالعدو وانما جعل
الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده عليه السلام المدينة وبين احد من
اعدايه اكثر من شهر في جميع الجهات وهذه الخصوصية حاصلة
له علي الاطلاق حتي لو كان وحده بغير عسكر ولا يشكل الاختصاص
بخوف الجن وغيرهم من سليمان لان المراد علي الوجه المخصوص الذي كان
عليه صلي الله عليه وسلم من عدم العلم بالتسخير بل بمجرد الشجاعة والاقدام

البشرية واما سليمان عليه السلام فكل احد علم انه له قوة التسخير وهل
هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمال اليه هنا كلام الفتح
واصل الاحتمال حديث احمد والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا قال بعض
الاشياخ انهم رزقوا منه حظا وافرا لكن ذكر ابن جماعة انه في رواية انهم
مثله ومنها احلال الغنايم له ولامته ولم تحل لاحد قبله كما في
حديث جابر في الصحيحين وغيرهما واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي
وقدم المص الحديث ثانيا في ابتدا الخصايص واستانف في جواب سوال ماذا
كان يفعل فيها من قبله فقال وكان كما نقله الحافظ عن الخطابي من
تقدم علي ضربين منهم من لم يوذن له في الجهاد فلم تكن لهم
مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيا لم يحل
لهم ان ياكلوه اي يتصرفوا فيه وخص الاكل لانه اقوى طرق الانتفاع
وجات نار فاحرقته الا الذرية كما استثناها الحافظ والمراد بها نسا الكفار
وصبيانهم وارقاوهم ومجانينهم وقضية ذلك انها كانت تحرق الحيوانات
ومجي النار اذا لم يكن فيها غلول ولا خيانة والا بقيت حتى تذريها الرياح لخبر
ابي هريرة في الصحيحين غزا نبي من الانبيا الحديث وفيه فجمع الغنايم فجات
النار لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا الي ان قال فجاووا براس مثل راس
بقرة من الذهب فجات النار فاكلتها ثم احل الله لنا الغنايم راي عجزنا وضعفنا
فاحلها لنا زاد الحافظ وقيل المراد انه خاص بالتصرف في الغنيمة يصرفها
حيث شا والاول اصوب وهو ان من مضي لم تحل لهم الغنايم اصلا قال بعضهم
استيناف بياني كانه قيل ما حكمة ذلك فاجاب بانه اعطي صلي الله عليه
وسلم ما يوافق شهوة امته لان النفوس لها التذاذ بها
بمعنى ان احلالها له ولامته وان كان تعظيما له واكراما ليس الي الدنيا ولا لرغبته
فيها لنفسه بل ذلك توسعة علي امته لاحتياجهم ورغبتهم فيها لكونها
حصلت لهم عن قهر منهم لمحصليها وغلبة بفتح الغين اي قهر
فلا يريدون ان يفوتهم التنعم بها في مقابلة ما قاسوه صلة
التنعم اي يريدون التنعم في نظير ما قاسوه من الشدة بالكسر من الاشتداد
والتعب عطف لازم علي ملزوم ثم لا يرد علي ذلك ان المراد بالغنيمة ما يشمل
الفي لان كلا منهما اذا انفرد عم الاخر والفي لا يشترط حصوله عن قهر وغلبة
بل يشمل ما انجلوا عنه بلا قتال وما هادوه والجزية والخراج وغير ذلك لان ذلك
كله يصدق عليه انه عن قهر في الجملة اذ لولا خوفهم ما هادوا او ما جلوا عن
شي يتعلق بهم ومنها جعل الارض له ولامته مسجدا وطهورا
بفتح الطا علي المشهور كما قال صلي الله عليه وسلم وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل حيث كان رواه الشيخان
وغيرهما عن جابر وقدمه المص ثانيا في مبدا الخصايص فعجيب قول الشر
لم يذكر المص الحديث الدال لهذه ولحل الغنايم ولكن افة العلم النسيان والمراد

موضع

موضع سجود يباح الصلاة فيه حيث لا مانع كنجاسة فاطلق السجود
علي الصلاة مجازا من تسمية الكل باسم اي لا يختص السجود منها
بموضع دون غيره بل يشمل كل مكان ويمكن ان يكون المسجد مجازا
عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه اي شبه الموضع
الذي جاز فيه السجود ولو في صحرا بالبيت المهيا للصلاة واطلق عليه اسمه
وهو المسجد لانه لما جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في
ذلك فيكون استعارة تصريحية او انه قصد تشبيهه به بتقدير الاداة
وكانه قيل الموضع الذي يباح فيه السجود كالبيت المهيا للصلاة في جوازها
فيه لكن هذا الثاني لا يطابق قوله وهو من مجاز التشبيه وقيل المراد ليس
هذا منافيا لما قبله اذ الاول بيان لمدلول اللفظ وهذا في جهة الخصوصية ولفظ
الفتح الذي نقله عنه المص ظاهر لانه ليس فيه هذه الواو وعبارته قال ابن التين
قيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا
ولم تجعل له طهورا لان عيسى كان يسيح في الارض ويصلي
حيث ادركته الصلاة فالخصوصية لنا الجمع بين جواز الصلاة في اي محل
وبين كون الصعيد طهورا والمسجدية شورك فيه علي ما قاله عبد الواحد
ابن التين ومن قبله احمد بن نصر الداودي كلاهما في شرح البخاري
وسبقهما ابن بطال لذلك ولم يبينوا علي هذا حكم امة عيسى في صلاتهم لكن
الاصل ان ما شرع لنبي شرع لامته وقيل انما ابيح لهم في موضع يتيقنوا
طهارته بخلاف هذه الامة فابيح لهم في جميع الارض الا فيما
تيقنوا نجاسته فالخصوصية علي هذا جواز الصلاة في مظنون الطهارة
والاظهر ما قاله الخطابي وهو ان من قبله انما ابيحت لهم الصلاة
في اماكن مخصوصة نحو البيع كنايس النصارى والصوامع للرهبان
فان تعذر مجيئهم لها لنحو سفر لم يصلوا علي ظاهره فيسقط عنهم اداوها
ويقضونها اذا بلغوها قال بعض شراح الرسالة القيروانية كان من مضي
من الامم انما يصلون بالوضوء في مواضع اتخذوها وسموها بيعا وكنايس
وصوامع فمن غاب منهم عن موضع صلاته لم يجز له ان يصلي في غيره من
بقاع الارض حتى يعود اليه ثم يقضي كل ما فاته وكذا اذا عدم الما لم يصل حتى
يجده ثم يقضي ما فاته وخصت اليهود برفع الجنابة بالما الجاري دون
غيره انتهى وهو ظاهر الاحاديث المذكورة في قوله ويويده رواية عمرو
ابن شعيب عن ابيه عن جده بلفظ وكان من قبلي انما يصلون
في كنايسهم وهذا اللفظ نص في موضع النزاع وهو هل الخصوصية
بالمسجد ايضا لا الطهارة فتثبت الخصوصية بالمسجد كما هي ثابتة بالطهارة
ويويده ايضا ما رواه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث جابر
المتقدم قبل عد الخصايص في المتن وفيه ولم يكن احد من الانبيا يصلي
حتى يبلغ محرابه فهاتان الروايتان صريحتان في سقوط الادا ويقضون

اذا رجعوا كما جزم به بعض شراحه ويؤيده ظاهر قوله حتى يبلغ محرابه
فلا اتجاه لما قيل هل يسقط عنهم مطلقا اوادوها ويقضون اذا رجعوا
ومحل الحصر في الكنايس ونحوها في الحضر لا السفر ويكون محل خصوصية
الامة المحمدية الصلاة باي محل ولو بجوار المسجد وسهولة الصلاة فيه بل
هو تقصير وتمنع الثالث حديث ابن عباس المذكور والحصر في الحديث قبله
اذ التقييد لابد له من دليل قاله في فتح الباري في كتاب التيمم في شرح
حديث جابر المتقدم ومنها ان معجزته عليه السلام اضافة لمعجزة
اي النبادرة المعهودة شرعا وهي القران وبه افصح السيوطي مستمرة
اي قديمة يوم القيامة حتى ترفع ومعجزات ساير الانبيا انقرضت
لوقتها فلم يبق الا خبرها ولم يشاهدها الا من حضرها واكثرها
حسية تشاهد بالبصر كناقة صالح وعصى موسى لبلادة اممهم والقران
العظيم الذي اريد بالمعجزة المستمرة لم تزل حجته قاطعة وهي عقلية
تشاهد بالبصيرة لفرط ذكا هذه الامة فلا يمر عصر الا ويظهر فيه شي اخبر
بانه سيكون ومعارضته ممتنعة لاعجازه فكان من يتبعه لاجلها اكثر
اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جا بعد الاول وجميع معجزات المصطفى
احاد الا القران وحكمة ذلك مرت للمصطفى في انشقاق القمر عن الخطابي
وغيره ومنها انه اكثر الانبيا معجزة فقد قيل انها تبلغ الفا وقيل ثلاثة
الاف حكاهما البيهقي سوى القران ففيه ستون الف معجزة تقريبا قال
الحليمي وفيها مع كثرتها معنى اخر وهو انه ليس في شي من معجزات غيره
ما ينحو نحو اختراع الاجسام وانما ذلك لمعجزات نبينا خاصة نقله في الانموذج
قال القاضي عياض في الشفا ومعجزات نبينا خاصة اظهر من ساير
معجزات الرسل بوجهين كثرتها وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها
او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك اما كونها كثيرة فهذا
القران كله معجز دليل لكثرتها وفي نسخة من الشفا وهذا بالواو بدل
الفا فالتقدير فهذا القران موجود معروف وجميع اجزايه معجز فنا هيك
به كثرة واقل ما يقع الاعجاز فيه عند ايمة المحققين بسورة
بيا الجر داخلة على الخبر وفي نسخ اسقاطها انا اعطيناك الكوثر
وهي اقصر سورة في القران او اية في قدرها اي مساوية لها في الحروف
والكلمات وهي ثلاث ايات فاقل ما يقع الاعجاز به ثلاث ايات سورة او لا
بحيث يظهر فيه تفاصيل قوى البلاغة وذهب بعضهم الى ان كل اية
منه كيف كانت مقدار سورة ام لا معجزة وقال قوم لا يحصل الاعجاز
باية بل تشترط الايات الكثيرة اذ لم يقم دليل على عجزهم عن معارضة اقل
من سورة وقيل يتعلق الاعجاز بسورة طويلة كانت او قصيرة تشبثا بظاهر
قوله بسورة وذهب اخرون الى ان كل جملة منتظمة اي مفيدة و
تامة معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين لا يرد كيف تكون جملة
منتظمة

في ص

منتظمة وهي كلمة لانه يكون فيها مقدر كمدهامتان وقال اخرون يتعلق
بقليل القران وكثيره لقوله فليأتوا بحديث مثله قال القاضي ولا دلالة في
الاية لان الحديث التام لا يتحصل حكايته في اول الكلمات سورة قال
القاضي عياض والحق ما ذكرناه اولا ان المعجزة اقصر سورة او
مقدارها لقوله تعالى فاتوا بسورة اي سورة كانت من مثله فهو
الاعجاز ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص فلا يتوهم انه ليس فيه دليل
على مدعاه فهو اي ما ذكر اقل ما تحداهم الله او رسوله به اي طلبه
منهم معارضته مع ما ينصر هذا القول المذكور اولا اي يقويه ويؤيده
من نظر اي فكر وتدبر وتحقيق يطول بسطه ببيان الادلة والبراهين
القايمة لمن تدبره ونظر ما فيه من مراعاة كل مقام وما احتوى عليه من
الجزالة واللطافة التي تحير العقول فقد تحداهم اولا بجملته فقال قل فاتوا بكتاب
من عند الله ثم بعشر سور فاتوا بعشر سور مثله ثم بسورة فسجل عجزهم بعد
ارخا عنان التكليف فاذا كان هذا اي ثبت ان ما تحداهم به هذا المقدار الاقل
ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف
اي زيادة عليه على عدد بعضهم انه هذا مقداره وفي قدر هذا الزايد
خلف قال في الاتقان عد قوم كلمات القران سبعة وسبعين الف كلمة وتسعماية
واربعا وثلاثين كلمة وقيل واربعماية وسبعا وثلاثين وقيل ومايتان وسبع وسبعون
وقيل غير ذلك قيل وسبب الاختلاف في عدد الكلمات ان الكلمة لها حقيقة ومجاز
ولفظ ورسم واعتبار كل منها جايز وكل من العلما اعتبر احد الجوايز قال والاشتغال
باستيعاب ذلك مما لا طايل تحته وقد استوعبه ابن الجوزي في فنون الافنان
فراجعه منه فان كتابنا موضوع للمهمات لا لمثل هذه البطالات وقد قال
السخاوي لا اعلم لعدد الكلمات والحروف فايدة لان ذلك انما يفيد في كتاب
يمكن فيه الزيادة والنقص والقران لا يمكن فيه ذلك انتهى فلعل نحو للمم
زايد لان كل واحد من هذه الاقوال يصدق عليه انه نيف وعدد كلمات
انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزا القران على نسبة انا
اعطيناك الكوثر اي على مقدارها واتى بنسبة ليشمل اية واحدة قدرها
كما مر فالنسبة مجاز عن المقدار ازيد من سبعة الاف جزء اي بسبعماية
جزء وشي لان السبعين الفا اذا قسمت على العشرة خرج لكل واحد سبعة
الاف واذا قسمت السبعة الاف خرج لكل واحد منها سبعماية فيصير الحاصل
ان كل جزء سبعة الاف وسبعماية والنيف يختلف الخارج منه بحسب الخلاف فيه
كل واحد منها معجز في نفسه اي بقطع النظر عن غيره ثم اعجازه
اي القران كما تقدم من ذكر الاختلاف في قدره بوجهين الاول بلاغته
اي ما فيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال فهي من
جهة المعنى والثاني طريق نظمه اي اسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره
من الكلام نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله واتيان كل كلمة منه ما تستحقه

وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة **فصار**
في كل جزء من هذا العدد معجزا زائد من جهة بلاغته ونظمه **فتضاعف**
ماض من التفاعل او مضارع من المفاعلة **العدد** اي عدد معجزاته **في**
هذا الوجه المشتمل على البلاغة والنظم قال ابن عطية الصحيح والذي عليه
عليه الجمهور والحذاق في وجه اعجازه انه بنظمه وصحة معانيه وتوالي
فصاحة الفاظه وذلك ان الله احاط بكل شيء علما واحاط بالكلام كله فاذا ترتبت
اللفظة من القران علم باحاطته اي لفظة تصلح ان تلي الاولى وتبين المعنى بعد
المعنى ثم كذلك من اول القران الى آخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول
ومعلوم ضرورة ان احدا من البشر لا يحيط بذلك فبهذا جاء نظم القران في الغاية
القصوى من الفصاحة وبهذا يبطل قول من قال ان العرب كان في قدرتها الاتيان
بمثله فصرفوا عن ذلك والصحيح انه لم يكن في قدرة احد قط ولهذا ترى البليغ
ينقح القصيدة او الخطبة حولا ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرا وكتاب الله
سبحانه لو نزعت منه لفظة ثم ادير لسان العرب على لفظة احسن منها لم يوجد
ونحن تتبين لنا البلاغة في اكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا
عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة واقامة الحجة على
العالم بالقران لانهم كانوا ارباب الفصاحة ومظنة المعارضة كما قامت الحجة في
معجزة موسى بالسحر وفي معجزة عيسى بالطب وكان السحر انتهى في مدة موسى
الى غايته وكذا الطب في زمن عيسى والفصاحة في زمن محمد صلى الله عليه وسلم
انتهى **ثم فيه وجوه اعجاز اخر** غير الطريقين **من الاخبار بعلوم الغيب**
اي الامور المغيبة سابقة او لاحقة بيانه لوجوه **فقد يكون في السورة الواحدة**
من هذه التجزئة اي الاجزاء المذكورة المضاعفة من جهتي الاعجاز **الاخبار**
عن اشياء من الغيب الامور المغيبة عن علمنا **كل خبر منها بنفسه معجز**
باعتبار اخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره من وجوه الاعجاز **فتضاعف**
ماض او مضارع كما مر **العدد** المذكور اي العدد المضاعف لقوله **كرة** اي مرة
بعد اخرى اي بعد مضاعفته السابقة **ثم وجوه الاعجاز الاخر التي**
ذكرناها وهي ذكر الغيبيات **توجب التضعيف** الزيادة الى ما لا يكاد يحصى
كثرة **هذا في حق القران** دون غيره من المعجزات الزائدة على معجزات سائر
الانبياء **فلا يكاد يأخذ العدد** وفي نسخة العدو وهما بمعنى **معجزاته** اي لا
يحيط بها لكثرتها فالمراد بالاخذ الاحاطة مجازا بليغا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم
وهو مبالغة ولذا قال لا يكاد **ولا يحويه الحصر** اي الاحاطة **براهينه** اي
ادلته القاطعة الدالة على ثبوت رسالته لسائر الخلق وبقية كلام الشفاء في هذا
الوجه ثم الاحاديث الواردة في هذه الابواب اي ابوابه معجزاته وما دل على امره
مما اشرنا اليه جمل منه يبلغ نحوا من هذا اي المقدار الكثير **ومن ذلك انشقاق**
القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين اصابعه
ولم يثبت لواحد من الانبياء مثل ذلك المذكور من الاربع وكذا اختراع

الاجسام كتكثير التمر والطعام **كما ذكره ابن عبد السلام** عز الدين **وغيره**
ثم تقدم ما فيه من المباحث في المعجزات **ومنها انه خاتم الانبياء**
والمرسلين كما قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين اي آخرهم الذي
ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح وروى احمد والترمذي والحاكم
باسناد صحيح عن انس مرفوعا ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول
بعدي ولا نبي قيل من لا نبي بعده يكون اشفق على امته وهو كالوالد لولد ليس له
غيره ولا يقدح نزول عيسى بعده لانه يكون على دينه مع ان المراد انه آخر من
نبئ وكذا الخضر والياس على بقائهما الى آخر الزمان تابعان لاحكام هذه الملة
قال عليه السلام مثلي مبتدأ **ومثل الانبياء قبلي** عطف عليه **كمثل رجل**
خبره **بنى بيتا فاحسنه واكمله** وفي رواية جابر كرجل بنى دارا فاكملها
واحسنها **الا موضع لبنة** بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها نون ويكسر اللام
وسكون الموحدة ايضا قطعة طين تعجن وتعد للبنا من غير احراق فاذا احرقت
فهي آجرة **من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به** بالبيت و
ويتعجبون له اي لاجله وفي رواية جابر فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون اي
من حسنها **ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة** زاد في رواية احمد فيتم
بنيانك **فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين** ويكمل شرائع الدين فان
قيل المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه اجيب بانه جعل
الانبياء كرجل واحد لانه لا يتم ما اراد من التشبيه الا باعتبار الكل وكذا الدار لا تتم
الا باجتماع البنيان ويحتمل ان يكون من التشبيه التمثيلي وهو ان يوجد وصف من
اوصاف المشبه ويشبه بمثله من احوال المشبه به وكانه شبه الانبياء وما بعثوا به
من ارشاد الناس ببيت اسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع يتم به
صلاح ذلك البيت وزعم ابن العربي ان اللبنة المشار اليها كانت في راس الدار المذكورة
وانها لولا وضعها لانقضت تلك الدار قال وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور قال
الحافظ وهذا ان كان منقولا فهو حسن والا فليس بلازم نعم ظاهر السياق
ان تكون اللبنة في مكان يظهر عدم الكمال في الدار بفقدها وقد وقع في رواية
مسلم الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فظهر ان المراد انها مكملة محسنة
والا لاستلزم ان يكون الامر بدونها ناقصا وليس كذلك فان شريعة كل نبي بالنسبة اليه
كاملة فالمراد هنا النظر الى الاكمل بالنسبة الى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع
الكاملة **رواه البخاري** في احاديث الانبياء **ومسلم** في الفضائل من حديث ابي هريرة
واللفظ له ومن حديث جابر بنحوه وفي الحديث ضرب الامثال للتقريب الى الافهام
وفضل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين وان الله ختم به النبيين واكمل
شرائع الدين **ومنها ان شرعه مؤبد** بموحدة باق **الى يوم الدين** اي يوم
الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
وقيل الدين الشريعة او الطاعة فالمعنى يوم جزاء الدين وقد تكفل الله لشرعه و
ببقائه على ممر الدهور حتى ينزل عيسى فيحكم به ثم يضمحل عند قيام الساعة

بموت الطايفة الذين لا يزالون قايمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر
الله اي ريح لينة تقبض ارواحهم فلا يبقى على الارض من يقول لا اله الا الله
فتقوم الساعة كما بين في احاديث **وناسخ لجميع شرايع النبيين** اجماعا
حكاه غير واحد نعم خصه الامام الرازي بالشرايع السمعية لا العقلية فيمتنع
نسخه كمعرفة البارى وطاعته **وانه اكثر الانبيا تابعا لما قال عليه**
السلام ما من الانبيا من نبي الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي **فارجو ان اكون اكثرهم تابعا**
يوم القيامة ورجاوه محقق وقد جزم به في مسلم عن انس رفعه انا اكثر الانبيا
تبعا يوم القيامة وروى البزار باني معي من امتي يوم القيامة مثل السيل والليل
وخص لانه يوم ظهور ذلك **رواه الشيخان من حديث ابي هريرة**
ورتب قوله فارجو الخ على ما تقدم من معجزة القران المستمرة لكثرة فايدته وعموم
نفعه لاشتماله على الدعوة والحجة والاخبار بما سيكون فعم نفعه من حضر ومن
غاب ومن وجد ومن سيوجد فحسن ترتيب الرجا على ذلك وهذا قد تحقق فانه
اكثرهم تبعا ودل الحديث على ان النبي لا بد له من معجزة تقتضي ايمان من
شاهدها بصدقه ولا يضره من اصر على المعاندة وقوله ما مثله ما موصول
وقعت مفعولا ثانيا لاعطي ومثله مبتدا وامن خبره والمثل يطلق ويراد به عين
الشي وما يساويه والمعنى ان كل نبي اعطي اية او اكثر من شان من يشاهدها من
البشر ان يومن لاجلها وعليه بمعنى اللام او البا ونكتة التعبير بها لتضمنها معنى
الغلبة اي يومن بذلك مغلوبا عليه بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه لكن قد
يخذل فيعاند كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقوله وانما كان
الذي اوتيته وحيا اي القران المراد النوع المختص به او اعظمها وافيدها لا حصر
معجزاته فيه لانه لم يتخصص فيه او انه لا مثل له لا صورة ولا حقيقة بخلاف غيره
المعجزات فانها لا تخلو عن مثل وقيل غير ذلك كما بسطه في الفتح **ومنها انه لو ادركه**
الانبيا لوجب عليهم اتباعه لقوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا
ما وسعه الا اتباعي رواه ابو نعيم وغيره **كما سياتي تقريره ان شا الله**
تعالى في المقصد السادس وسبقت الاشارة اليه في ذا المقصد المقصد الاول
ومنها انه ارسل الى الجن وهم كما قال الحافظ عن ابي يعلى بن الفرا
الحنبلي اجسام مولفة واشخاص ممثلة يجوز ان تكون رقيقة وان تكون كثيفة
خلافا لدعوى المعتزلة انها رقيقة وان امتناع رويتنا لهم من جهة رقتها وهو
مردود بان الرقة لا تمنع الروية ويجوز ان يخفى عن رويتنا بعض الاجساد الكثيفة
اذا لم يخلق الله فينا ادراكها وروى البيهقي عن الشافعي من زعم انه يرى الجن
ابطلنا شهادته الا ان يكون نبيا وهو محمول على من ادعى رويتهم على صورهم
التي خلقوا عليها واما من ادعى انه يرى شيا منهم بعد ان يتصور على صورة شي
من الحيوان فلا يقدح فيه وقد تواترت الاخبار بتطورهم في الصور واختلف
المتكلمون هل هو تخييل فقط ولا ينتقل احد عن صورته الاصلية او ينتقلون

لكن لا اقتدار لهم على ذلك بل يضربه من الفعل اذا فعله انتقل كالسحر وهذا
قد يرجع الى الاول قال ابن عبد البر الجن عند الجماعة مكلفون قال عبد
الجبار لا نعلم خلافا بين اهل النظر في ذلك الا ما حكي عن بعض الحشوية انهم
مضطرون الى افعالهم وليسوا مكلفين قال والدليل للجماعة ما في القران من ذم
الشياطين والتحرز من شرهم وما اعد لهم من العذاب وهذه الخصال انما تكون
لمن خالف الامر وارتكب النهي مع تمكنه من انه لا يفعل والايات والاخبار الدالة
على ذلك كثيرة جدا واذا تقرر تكليفهم فهم مكلفون بالتوحيد واركان الاسلام
واما ما عداه من الفروع ففيه خلاف لما ثبت ان الروث والعظم زاد الجن
وفي رواية في الصحيح انه طعام الجن فدل على جواز تناولهم الروث وهو حرام
على الانس كذا في فتح الباري ولا دليل في حديث الروث لانه علف دوابهم كما
في الصحيح وقد نقل ابن عطية وغيره الاجماع على ان الجن متعبدون بهذه
الشريعة فان قيل لو كانت الاحكام بجملتها لازمة لهم لترددوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم حتى يتعلموها مع انهم انما اجتمعوا به قليلا اجيب بانه
لا يلزم من عدم اجتماعهم به وحضورهم مجلسه وسماعهم كلامه ان لا يعلموا
الاحكام فانه في الاثار والاخبار ان مومنيهم يصلون ويصومون ويحجون ويطوفون
ويقرون القران ويتعلمون العلوم وياخذونها عن الانس ويروون عنهم الاحاديث
وان لم يشعروا بهم وبانه يمكن اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم من غير ان يراهم
المومنون ويكون هو يراهم دون اصحابه بقوة يعطيها الله له زايدة عن قوة
اصحابه ثم لا خلاف انهم يعاقبون على المعاصي واختلف هل يثابون واليه ذهب
الجمهور وقال به الايمة الثلاثة والاوزاعي وابو يوسف وعليه فهل يدخلون مدخل
الانس وهو قول الاكثر والاشهر والاكثر اذ له زاد الحارث بن اسد المحاسبي ونراهم
في الجنة ولا يرونا عكس الدنيا قال الضحاك وياكلون فيها ويشربون وقال مجاهد
يلهمون التسبيح والتقديس فيجدون فيه ما يجده الانس من اللذة او يكونون
في بعض الجنة او الاعراف او الوقف اقوال واستدل الامام مالك على ان لهم الثواب
وعليهم العقاب بقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال فباي الا
ربكما تكذبان والخطاب للانس والجن فاذا ثبت ان فيهم مومنين ومن شان
المومن ان يخاف مقام ربه ثبت المطلوب واستدل ابن وهب بقوله تعالى اوليك
الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وابن عبد
الحكم وغيره بقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا بعد قوله يا معشر الجن والانس
الم ياتكم رسل منكم وذهب ابو حنيفة وليث ابن ابي سليم ان ثواب الجن ان يجاروا
من النار ثم يكونوا ترابا واحتجا بقوله تعالى ويجركم من عذاب اليم وقوله فمن
يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قالا فلم يذكر في الايتين ثوابا غير النجاة من
العذاب واجيب بان الثواب مسكوت عنه وان ذلك من قول الجن فيجوز
انهم لم يطلعوا على ذلك وخفي عليهم ما اعد الله لهم من الثواب وروى ابن
مردويه وابو الشيخ وابن ابي الدنيا والحكيم الترمذي والديلمي باسناد فيه

ضعف عن ابي الدردا مرفوعا خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهوا وصنف عليهم الحساب والعقاب **اتفاقا** اي اجماعا بدليل قوله **والدليل علي ذلك قبل الاجماع** المعلوم من الدين بالضرورة **الكتاب والسنة** اما الكتاب فقد **قال الله تعالي ليكون للعالمين نذيرا** منذرا او نذارا كالنكير بمعني الانكار **وقد اجمع المفسرون علي دخول الجن في هذه الاية** ولا يقدح فيه القول بان المراد الناس فقط لان كل واحد منهم من حيث اشتماله علي نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم علي حاله ولذا امر بالنظر الي الانفس في الافاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون اما الشذوذه فلم يعتد به حاكي الاجماع او انه قابله لبسوق المفسرين **وهو مع كونه نظا**هرا بنا علي ان العالمين اسم جمع لمن يعقل خاصة وهم الملايكة والثقلان لا جمع له لان العالم اسم لما سوي الله فلو كان جمعا له المفروض للزم ان معني المفرد اكثر من معني الجمع وهذا احد قولين والثاني انه جمع لمن يعقل شامل لذوي العلم وغيرهم قال البيضاوي العالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الي موثر فيها واجب لذاته تدل علي وجوده وانما جمعته ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلا منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملايكة والثقلين انتهي واذا كان كذلك **فلا يخرج عنه الا بدليل** ولم يوجد فثبت دخولهم في اللفظ **وان قيل ان الملايكة خارجون من ذلك** العموم علي مذهب الاكثر انه ليس مرسلا اليهم فتضعف دلالة العام علي افراده لاحتماله التخصيص زيادة علي ما خص به فحينئذ ثبت استثنا الجن ايضا فلا تدل الاية علي انه مرسل اليهم **فلا يضر** ذلك في الاستدلال بها علي دخول الجن **لان العام المخصوص حجة عند جمهور العلماء والاصوليين** مطلقا لاستدلال الصحابة به من غير نكير وقيل ان خص بمتصل كالصفة وقيل غير ذلك ومحل الخلاف انه هل هو حقيقة كان حجة عند الجميع **ولو بطل الاستدلال بالعمومات المخصوصة** كما قيل به مطلقا ايضا **لبطل الاستدلال باكثر الادلة** لكونها مخصوصة وهو خلاف عمل الصحابة والايمة بعدهم **وقال تعالي في الاحقاف** ذكرا لمن كان يعلم او شذ عنه **يا قومنا اجيبوا داعي الله** فامر بعضهم بعضا باجابته دليل علي انه داع لهم وهو معني بعثته لهم **الي غير ذلك من الايات** كقوله تعالي لانذركم به ومن بلغ والجن بلغهم القران وقوله تعالي سنفرغ لكم ايها الثقلان وهما الانس والجن لانهما ثقلا الارض او لانهما مثقلان بالذنوب وقال ولمن خاف مقام ربه جنتان ولذا قيل من الجن مقربون وابرار كالانس **واما السنة** فتسليم لمقدركما مر **ففي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان**

رسول

رسول الله صلي الله عليه وسلم قال فضلت علي الانبيا بست من الخصال وليس المراد الحصر لانه فضل بالتسليم الخبر بما اوحي اليه اولا ثم اخبر بالباقي كما مر بسطه **فذكر الحديث** المتقدم لفظه في المتن اول الخصايص فلا ننقله من غيره **منها وارسلت الي الخلق كافة** ارساله عامة محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وهذه اصح الروايات واشملها **فانه يشمل الجن والانس** بل والملايكة كما ياتي **وحمله علي الانس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز** لانه تحكم **والعلام فيه كالكلام في اية الفرقان** المذكورة اولا اذ العالمين والخلق كل منهما عام **فان قلت ان قوله تعالي قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا** حال من اليكم وهو خطاب عام **وقوله وما ارسلناك الا كافة للناس** الا ارسالة عامة لهم من الكف فانهم اذا احقتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم والا جامعا لهم في الابلاغ فهو حال من الكاف والتا للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس علي المختار قاله البيضاوي **ظاهر** ما ذكر من الايتين ولذا نقل ظاهر بان **في اختصاص رسالته عليه السلام بالانس** لان الخطاب لهم **واحتمال غير ذلك عدول عن الظاهر** فضلا بخلاف الايات والاحاديث الدالة علي بعثه الي الجن **فالجواب انه هذا السوال انما يتمشي علي مذهب** الاستاذ ابي علي الحسن بن علي النيسابوري **الدقاق** امام عصره برع في الفقه والاصول والعربية والتصوف قال الغزالي كان زاهد زمانه وعالم اوانه له كرامات ظاهرة ومكاشفات باهرة قيل له لم زهدت في الدنيا قال لما زهدت في اكثرها انفت عن الرغبة في اقلها مات سنة خمس او ست واربعماية **القايل بان مفهوم اللقب حجة** خصه لاشتهاره بذلك والا فقد قال به الصيرفي من الشافعية وهو اقدم منه واجل وابن خويز منداد من المالكية اذ لا فايدة لذكره الا نفي الحكم عن غيره كالصفة واجيب بان فايدته استقامة الكلام اذ باسقاطه يختل بخلاف اسقاط الصفة **والناس من قبيل اللقب** عند الاصوليين وهو الاسم الجامد سواء كان علما او اسم جنس لا عند النحاة الذي هو ما اشعر برفعة المسمي او ضعته **فان المسالة المترجمة في الاصول بمفهوم اللقب لا تختص باللقب** الشعر بمدح او ذم **بل الاعلام كلها واسما الاجناس كلها كذلك ما لم تكن صفة** ظاهرة لانها من اسما الاجناس كذلك لا تشمل الصفة فلا تدخل في اللقب **والناس اسم جنس غير صفة فلا مفهوم له** فسقط السوال **فهذه الاية ليس فيها اصلا ما يفهم منه انه ليس رسولا الي غيرهم** اي الانس **الا علي مذهب الدقاق** وهو ضعيف **بل** اشتقاليته **ولا يتم علي مذهبه التمسك بهذا المفهوم ايضا لان الدقاق انما يقول به حيث لم يظهر**

عرض سواه اي غيره في ذلك الاسم فيوافق الدقاق غيره علي عدم
اعتبار مفهوم اللقب وحيث ظهر غرض كموافقة الغالب وما معها المذكور
في الاصول لا يقول الدقاق بالمفهوم بل يحمل التخصيص علي ذلك
الغرض والغرض في الاية التعميم في جميع الناس وعدم اختصاص
الرسالة ببعضهم كما زعم اليهود والنصارى لا نفي غير الناس وحينئذ
فلا يلزم نفي الرسالة عن غيرهم لا علي مذهب الدقاق ولا علي
مذهب غيره وهم الجمهور وانما خاطب الناس فقط لانهم
الذين يغلب رويتهم والخطاب معهم فمقصود الاية خطاب
الناس والتعميم فيهم لا النفي عن غيرهم حتى يتاتى السوال وهذا
كله انما يحتاج اليه اذا قلنا ان لفظ الناس لا يشمل الجن كما هو احد
القولين فان قلنا انه يشملهم كما هو القول الاخر فواضح عدم تاتي
السوال وتكون الاية من جملة ادلة العموم والاختلاف فيه اي الشمول للجن
مبني علي الاختلاف في اشتقاق الناس هل هو من النوس المصدر
وهو الحركة لان اصل المشتقات المصدر علي الراجح وهو قول البصريين
ولذا لم يقل من ناس اذا تحرك لابتنايه علي قول الكوفيين ان اصلها الفعل
او من الانس وهو ضد الوحشة فاذا قلنا بالاول من النوس اطلق
علي الفريقين لان الجن يتحرك كالانس ولكن مع ذلك استعماله في
الانس اغلب من استعماله في الجن بحيث اطلق فالمراد به ولد ادم
لانه الاغلب واذا قلنا بالثاني وهو الانس فلا يدخل الجن لانا لا نانس
الجن ولا نانس بهم فدخول الجن في الاية اما ممتنع علي انه من
الانس واما قليل علي انه من النوس فلا نحمل عليه الاية وبهذا يتبين
ضعف الاستدلال بها علي انه مرسل اليهم لكنها لا تدل علي خلافه
وهو خروج الجن عن كونه مرسلا اليهم بل هي ساكتة عنه واما قول الضحاك
ابن مزاحم الهلالي ابو القاسم او ابو محمد الخراساني صدوق كثير الارسال روى
له الاربعة مات بعد المائة ومن تبعه ان الرسل الى الجن منهم لقوله
تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم فهو ظاهر الاية
قال ابن جزي لان الله اخبر ان من الجن والانس رسلا ارسلوا اليهم فلو جاز
ان المراد برسل الجن رسل الانس لجاز عكسه وهو فاسد واجابه الجمهور بان
معنى الاية ان رسل الانس رسل من قبل الله اليهم ورسل الجن بثهم الله في الارض
ليسمعوا كلام رسل الانس ويبلغوه قومهم كما قال تعالى ولوا الى قومهم منذرين
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى الاية لكن لم ينقل الضحاك
ولا احد غيره باستمرار ذلك في هذه الملة المحمدية وانما محل الخلاف
في ذلك الملل المتقدمة خاصة واما هذه الملة فنبينا صلى الله
عليه وسلم هو المرسل اليهم والى غيرهم اجماعا كما حكاه ابن عبد البر
وابن حزم وغيرهما ولم ينقل احد عن الضحاك ان رسل الجن منهم

مطلقا

مطلقا اي في الامم السابقة وهذه الامة بدليل قوله ولا ينبغي ان ينسب
اليه ما يخالف الاجماع ويحتمل ان معنى الاطلاق لا بانفسهم ولا
عن احد من البشر فهو مقابل قوله الاتي وقيل الرسل من الجن رسل
علي ان الاكثرين قالوا لم يكن الرسل الا من الانس خاصة ولم
يكن من الجن رسول قط لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب
صح ذلك من باب الحكم علي المجموع فلا يستلزم الحكم علي الجميع ونظيره
قوله يخرج بالبنا للفاعل والمفعول منهما اللولو والمرجان وهما
انما يخرجان من الملح دون العذب علي الصحيح وقول الجمهور
خلافا لقوم انه يخرج من العذب ايضا قال ابن عطية وقد رد الناس هذا
القول لان الحس يكذبه ووجهت اية يا معشر الجن والانس ايضا بانه لما كان
النداء لهما معا والتوبيخ جرى الخطاب عليهما علي سبيل التجوز المعهود في كلام
العرب تغليبا للانس لشرفهم وتاوله الفرا علي حذف مضاف اي من احدكم
كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان اي من احدهما وهو الملح وكقوله
وجعل القمر فيهن نورا اي في احداهن وهي سما الدنيا ويذكروا اسم الله
في ايام معلومات فالمراد بالذكر التكبير وبالايام العشر وهو يوم النحر وقيل
الرسل من الجن رسل الرسل من بني ادم اليهم فهم رسل الله بواسطة
اذ هم رسل رسله لا رسل الله بلا واسطة لقوله تعالى ولوا الى قومهم
منذرين وهذا منقول عن ابن عباس والضحاك ايضا ونقل بعضهم عنه
موافقة الجمهور ايضا قاله بعض العلما وقيل بعث الله رسولا واحدا من
الجن اليهم اسمه يوسف ونقل عن ابن عباس انه المراد في قوله تعالى ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات واحتج ابن حزم علي ان الرسل الى الجن منهم في الامم
السابقة بقوله صلى الله عليه وسلم وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وليس
الجن من قوم الانس فيثبت انه كان منهم انبيا اليهم وفي استدلاله بالحديث
نظر وما اخرجه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس في قوله ومن الارض مثلهن
قال سبع ارضين في كل ارض ادم كادمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم
وعيسى كعيسى ونبي كنبيكم فقال البيهقي اسناده صحيح لكنه شاذ بمرة يعني
فلا يلزم من صحة اسناده صحة متنه فقد يصح الاسناد ويكون في المتن
شذوذ او علة تقدح في صحته كما تقرر عند المحدثين قال ابن كثير وهذا ان صح عنه
يحمل علي انه اخذه من الاسرائيليات وهذا وامثاله اذا لم يخبر به ويصح سنده الى
معصوم فهو مردود علي قايله انتهى وعلى تقدير ثبوته يكون المعنى ان ثم
من يقتدى به يسمى بهذه الاسما وهم الرسل المبلغون الجن عن انبيا الله يسمى
كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه والله اعلم ومنها انه ارسل الى الملايكة
قال في فتح الباري قال جمهور اهل الكلام من المسلمين الملايكة اجسام لطيفة
اعطيت قدرة علي التشكل باشكال مختلفة ومسكنها السموات وابطل قول
من قال انها الكواكب او الانفس الخيرة التي فارقت اجسادها وغير ذلك من

الاقوال التي لا يوجد في الادلة السمعية شي منها وجا في صفتهم وكثرتهم احاديث
منها ما اخرجه مسلم عن عايشة مرفوعا خلقت الملايكة من نور الحديث
ولخرج الترمذي وابن ماجة والبزار عن ابي داود مرفوعا اطت السما وحق لها
ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وعليه ملك ساجد الحديث وروى
الطبراني عن جابر رفعه ما في السموات موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك
قايم او راكع او ساجد وذكر في ربيع الابرار عن سعيد بن المسيب قال الملايكة
ليسوا ذكورا ولا اناثا ولا ياكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون وفي
قصة الملايكة مع ابراهيم وسارة ما يويد انهم لا ياكلون واما ما وقع في قصة
الاكل من الشجرة انها شجرة الخلد التي تاكل منها الملايكة فليس بثابت وفي هذا
وفيما ورد من القران رد على من انكر وجود الملايكة من الملاحدة انتهى وفيه
احد القولين ورجحه السبكي والبارزي وابن حزم والسيوطي لانهم
مكلفون بالطاعات العملية قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم وان لم يكونوا مكلفين
بالوحدانية لظهورها لهم فتكليفهم بها تحصيل للحاصل ودليل رجحان هذا
القول ما قال تعالى تبارك وتعالى الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا مخوفا من عذاب الله ولا نزاع ان المراد من العبد ههنا
محمد عليه الصلوة والسلام اذ الاضافة عهدية وجا استعماله بهذا اللفظ
فيه اسرى بعبده انزل على عبده الكتاب واشتهر حتى صار كالعلم المخصوص به
صلى الله عليه وسلم فهو دفع لتجويز ان المراد غيره والعالم بفتح اللام والرفع
استيناف هو ما سوى الله وليس بالخفض عطفا على العبد لانه يكون التقدير
ولا نزاع في ان المراد من العالم ما سواه تعالى مع ان فيه النزاع قال الجد العالم الخلق
كله او ما حواه بطن الفلك وفي المصباح العالم الخلق وقيل مختص بمن يعقل
فيتناول جميع المكلفين على انه الخلق كله من الجن والانس والملايكة
وعلى انه اسم للعاقل فالمكلفون مخصوصه والتناول فيه باعتبار كل فرد او نوع
ويطل بذلك اي شمول الاية لجميع المكلفين قول من قال انه كان رسولا الى
البعض دون البعض لمخالفة التخصيص لصريح الاية لان لفظ العالمين
يتناول جميع المخلوقات توجيه للابطال فتدل الاية على انه رسول الى
الخلق كلهم ومنهم الملايكة فثبت المطلوب ولو قيل المدعي خروج الملايكة من
هذا العموم اقيم الدليل عليه لان تخصيص العالم لا بد له من دليل ربما تحجز
عنه فان اعتل بانه قال نذيرا فيخرج الملايكة لعصمتهم ولانه لم ينذرهم لم تنقل
علينه فانه يحتمل ان يكون من الملايكة من انذره صلى الله عليه وسلم
اما ليلة الاسرا واما غيرها واذا احتمل ذلك بطل تخصيصها بغير الملايكة
اذ لا يثبت الا بدليل وظاهر الاية شمولها لهم وهو كاف في الاستدلال اذ ليس
كل احتمال يقدح فيه بل انما يقدح الاحتمال القوي وكذا لا يلزم من العصمة عدم
الانذار ومن ينقل منهم اني اله فذلك نجزيه جهنم فقد انذرهم مع العصمة لكن لا يلزم من الانذار
الرسالة اليهم في شي خاص ان تكون بالشريعة كلها اذ لا تاتي كلها

فيهم

فيهم ومما يدل على شمول الاية للملايكة قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من
دونه فذلك نجزيه جهنم قال السيوطي لم اقف له على انذار في القران للملايكة
سوى هذه الاية والحكمة في ذلك واضحة لان غالب المعاصي راجعة الى البطن
والفرج وذلك ممتنع عليهم من حيث الخلقة فاستغني عن انذارهم فيه
واذا قلنا ان الملايكة هم مومنوا الجن السماوية كما ذهب اليه من زعم
ان العقلا الناطقين فريقان انس وجان ولكل فريق اخيار واشرار فاخيار الانس
هم الابرار منهم رسل وغير رسل واشرارهم الفجار كفار وغير كفار واخيار الجن
هم الملايكة منهم رسل وغير رسل واشرارهم الشياطين واستدل من قال الملايكة
هم خيار الجن بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا والمراد قول الكفار
الملايكة بنات الله تعالى عن ذلك فدل على ان الملايكة من الجن وبقوله تعالى
خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فلو كانت
الملايكة صنفا ثالثا لما ترك التمدح بالقدرة على اشرف خلقه وذكر ما دونه ورد
بان هذه الاية لبيان ما ركبه من خلق متعدد فلم تدخل الملايكة فيه لانهم مخترعون
قال تعالى لهم كونوا فكانوا ايجادا قال الاصل الذي خلق منه الانس والجن وهو التراب
والما والنار والهوا كف فكان في الملايكة في الاختراع كاصول الانس والجن لا كاعيانهم
فلذا لم يذكر معهم كما في الحبايك فاذا ركب هذا مع القول بعموم الرسالة
للجن الذي قام الاجماع عليه اي عموم رسالته للجن بان يقال الملايكة
مومنوا الجن السماوية ورسالته الى الجن مجمع عليها لزم عموم الرسالة
لهم لكن القول بان الملايكة من الجن قول شاذ لا اعتداد به لقيام الادلة
على خلافه ومن اصرحها قوله صلى الله عليه وسلم خلقت الملايكة من نور
وخلق الجان من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم رواه مسلم قال البيهقي
ففي فصله بينهما دليل على انه نور اخر غير نور النار واشتهر الجمهور على
ان العالمين في اية الفرقان عام مخصوص بالانس والجن فيخرج
الملايكة وهذا من حيز الاستدراك الذي قبله ويمكن ان مراد الجمهور انها مخصوصة
بها من حيث عمومها لجميع الاحكام من امر ونهي فلا ينافي انذار رسالته للملايكة
لامر خاص كما يقوله السبكي والمحققون كشرفه ودخولهم تحت دعوته واتباعه
تشريفا له على ساير المرسلين كما فسر بها حديث وارسلت الى الخلق
كافة المروي في مسلم بهذا اللفظ عن ابي هريرة لحديثه عن جابر بلفظ
وبعثت الى كل احمر واسود وللبخاري الى الناس كافة وصرح الحليمي العلامة
البارع رئيس اهل الحديث بما ورا النهر القاضي ابو عبد الله الحسين بن الحسن
ابن محمد بن حليم نسبة الى جده هذا البخاري الشافعي من اصحاب الوجوه وازكيا
زمانه وفرسان النظر له اليد الطولى في العلوم والادب قال الذهبي وما هو
من فرسان هذا الشان اي الحديث مع ان له فيه عملا جيدا مات سنة ثلاث و
واربعماية والبيهقي احمد بن الحسين الحافظ الشهير في الباب الرابع من
شعب الايمان بانه عليه السلام لم يرسل الى الملايكة وصرح في الباب

الخامس عشر من الشعب بانفكاكهم عن شرعه وفي تفسير الامام
فخر الدين الرازي المسمى باسرار التنزيل وتفسير البرهان النسفي
حكاية الاجماع على انه لم يكن رسولا اليهم حكاه شارح جمع الجوامع
في الكتاب السابع العلامة الجلال ابي جلال الدين محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم
المحلي ولد بمصر سنة احدى وتسعين وسبعمائة واشتغل وبرع في الفنون
فقها وكلاما واصولا ونحوا وغيرها واخذ عن الاقصرائي والبيجوري والبساطي
وغيرهم وكان اية في الذكا والفهم قال فيه بعض اهل عصره ذهنه يثقب الماس
وقال هو عن نفسه لا يقبل الخطا ولم يكن يقدر على حفظ كراس وكان ورعا صالحا
امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر يواجه بذلك الاكابر الظلمة والحكام وياتون اليه
فلا يلتفت اليهم ولا ياذن لهم بالدخول عليه توفي اول يوم من سنة اربع وستين
وثمانمائة والله اعلم بما في نفس الامر وعبارة النسفي ليست صريحة في
حكاية اجماع الامة فانه قال ثم انهم قالوا هذه الاية تدل على احكام
اولها ان قوله ليكون للعالمين نذيرا يتناول جميع المكلفين من الجن
والانس والملائكة لكنا لا نسلم تناوله للملائكة لانا اجمعنا على انه لم يكن
رسولا الى الملائكة وهذه العبارة تستعمل في اجماع الخصمين المتناظرين كما
لا يخفى وبفرض تسليمه فيمكن حمله على انه لم يكن رسولا اليهم بشرع يعملون به
لانهم مطبوعون على ما به امروا حتى ان العبادة لهم كالامور الضرورية لنا
بحيث لا يفترون عنها كالنفس للحيوان فلا ينافي انه رسول اليهم بغير ذلك بل
يكون رسولا الى الجن والانس جميعا بلا نزاع وقد تعقب الجلال مفعول
المحلي وفاعله العلامة كمال الدين بن ابي شريف المقدسي ثم المصري الفقيه
الاصولي فقال اعلم ان البيهقي نقل ذلك عن الحليمي فانه قال
هذا معنى كلام الحليمي وفي قوله هذا اشعار بالتبري من عهدته
فلا ينبغي نسبته حكاية الاجماع للبيهقي ويتعقب بان لا اشعار فيه بالتبري
فلا يصرح بانه مرضي عنده فكان ينبغي ان يقول قال البيهقي عن الحليمي
واما الحليمي فانه وان كان من اهل السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل
الملائكة على الانبيا عليهم السلام ومحل الخلاف ما عدا نبينا فانه افضل
من الملائكة باجماع حتى من المعتزلة كما قاله جمع من المحققين كالامام
الرازي وما نقل عنه من موافقته لقوله بافضلية الملائكة فلعله بنا عليه
وهو مردود فكذا ما بني عليه واما ما ذكره من حكاية الرازي والنسفي
الاجماع على انه عليه السلام لم يكن رسولا اليهم فغير مسلم فقد
وقع في نسخ من تفسير الرازي لكنا بينا بدل اجمعنا وهذا لا اشعار
فيه باجماع على ان قوله في النسخ الاخرى اجمعنا ومثله في النسفي ليس
صريحا في اجماع الامة لان مثل هذه العبارة اي هي ومثلها
تستعمل لاجماع الخصمين المتناظرين فلا يلزم منها عدم الخلاف فضلا
عن الاجماع بل لو صرح به بان قال اجمعت الامة لمنع بوجود الخلاف

فقد

فقد قال الامام السبكي في تفسير قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا
قال المفسرون كلهم في تفسيرها الجن والانس وقال بعضهم
والملائكة فدعوى الاجماع على عدمها باطلة ممن حفظ حجة انتهى
كلام السبكي ومعناه انهم اتفقوا على ارسال للثقلين واختلفوا في الملائكة بما هو
واضح جدا ولم يفهمه من قال قوله كلهم ينافي قوله وقال بعضهم فهذا امر من سوء الفهم
ما اشتد للواو وبالجملة فالاعتماد على تفسير الرازي والنسفي في حكاية
اجماع انفرد بحكايته لا تنهض حجة على طريق علماء النقل لان
مدارك جمع مدرك مصدر ميمي بمعنى نفس الادراك او الشيء المدرك
الاجماع من كلام الائمة متعلق بنقل وحفاظ الامة كابن المنذر محمد
ابن ابراهيم بن المنذر النيسابوري الحافظ العلامة الفقيه شيخ الحرم وصاحب
الكتب التي لم يصنف مثلها لانه غاية في معرفة الخلاف والدليل مجتهد لا يقلد
احدا مات بمكة سنة ثمان عشرة وثلثمائة وابن عبد البر يوسف بن عبد الله
ابن محمد بن عبد البر بن عاصم الامام الحافظ ساد اهل الزمان في الحفظ والاتقان
كان فقيها حافظا مكثرا عالما بالقراءات والرجال والحديث والخلاف وممن
فوقهما في الاطلاع الواسع كالائمة اصحاب المذاهب المتبوعة المقلدة
اربابها المدونة كتبها كالاربعة المشهورة والسفيانين والليث وابن جرير وداود
الظاهري والاوزاعي فكان لكل منهم اتباع يفتون بقولهم ويقضون وانما
انقرضوا بعد الخمسمائة لموت العلماء وقصور الهمم ذكره السيوطي وذكر عياض ان
اتباع الطبري انقرضوا بعد اربعمائة وان الثوري لم تكثر اتباعه ولم يطل تقليده
وانقطع مذهبه عن قريب ومن يلحق بهما اي المنذر وابن عبد البر وفي نسخة
بها اي الائمة وهي اخرى بهم في سعة دايرة الاطلاع والحفظ والاتقان
وقوله لها خبر ان في قوله لان مدارك اي للمدارك من الشهرة عند علماء النقل
ما يغني عن بسط الكلام فيها فكيف يعتمد على اجماع انفرد بنقله
رجلان ليسا من الحفاظ ولا لهما سعة اطلاع وقد ذكر الحافظ ان الرازي نوزع في
ذلك قال في الاصابة هل تدخل الملائكة في حد الصحابي محل نظر قال بعضهم ان ذلك
ينبني على انه كان مبعوثا اليهم ام لا وقد نقل الرازي الاجماع على انه لم يرسل
اليهم ونوزع في هذا النقل بل رجح الشيخ تقي الدين السبكي ارساله اليهم
واحتج بما يطول شرحها وفي صحة بنا هذه المسألة على هذا الاصل نظر
لا يخفى انتهى وفي الاصابة ايضا انكر ابن الاثير على ابي موسى المديني ترجمة
الجن في الصحابة ولا معنى لانكاره لانهم مكلفون وقد ارسل اليهم النبي صلى الله
عليه وسلم واما قوله كان الاولى ان يذكر جبريل ففيه نظر لان الخلاف في انه
ارسل الى الملائكة مشهور بخلاف الجن وفي فتح الباري الراجح دخول الجن
لانه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة
والطايعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة
وان كان ابن الاثير عاب ذلك على ابي موسى فلم يستند في ذلك الى حجة

واما الملايكة فيتوقف عدهم فيهم على ثبوت بعثته اليهم فان فيه خلافا بين
الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم انتهى قال
والالايق بهذه المسيلة التوقف على الخوض فيها لا مطلقا بل على
وجه يتضمن دعوى القطع في شي من الجانبين لتعسره او تعذره
انتهى كلام ابن ابي شريف وفي كشف الاسرار لابن العماد ان ادم عليه السلام
ارسل الي الملايكة لينبيهم بما علم من الاسما نقله الحمادي وهو منابذ لعده
في الانموذج من الخصايص التي اختص بها عن جميع الانبيا ارسله ثانيه
قبله انه ارسل الي الملايكة في احد القولين ورجحه السبكي زاد البارزي والي
الحيوانات والجمادات ومنها انه ارسل رحمة للعالمين من الله سبحانه بها على عباده
لطفا منه تعالى ومحض جود لا وجوبا كما زعمته المعتزلة كما قال تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمدا صلى
الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكونه في جميع وجه شمايله وصفاته وحياته وموته
رحمة كما قال حياتي خير لكم ومماتي خير لكم وقال اذا اراد الله بقوم رحمة امة
قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا قال السمرقندي يعني للجن
والانس تفسير للعالمين لارشاده لهم ولطفه بهم ورحمته لهم على ذلك الراحمون
يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما وقيل لجميع الخلق اعم
من الثقلين وهو المتبادر من العالمين رحمة بالهداية للمومن ورحمة للمنافقين
بالامان من القتل وتاخير عذابهم وللكفار بالامن من المسخ والخسف وعذاب
الاستيصال وقال ابن عباس رحمة للبر بالهداية والفاجر لان كل نبي قبله
اذا كذب اهلك الله من كذبه بالاستيصال ومحمد صلى الله عليه وسلم
اخر من كذبه الي الموت او الي القيامة والتاخير رحمة واما من صدقه
فله الرحمة في الدنيا والاخرة بالشفاعة التي ادخرها لامته في القيامة فذاته
عليه السلام كما ترى رحمة تعم المومن والكافر كما قال وما كان الله
ليعذبهم بما ساوره وانت فيهم لان العذاب اذا انزل بهم ولم يعذب امة
الا بعد خروج نبيها والمومنين بها وقال عليه السلام انما انا رحمة
اي ذو رحمة او بالغ في الرحمة حتى كاني عينها لان الرحمة ما يترتب عليه النفع
ونحوه وذاته كذلك فصفاته التابعة لها كذلك مهداه بضم الميم وللطبراني بعثت
رحمة مهداه قال ابن دحية معناه ان الله بعثني رحمة للعباد لا يريد لها عوضا
وقال غيره اي ما انا الا رحمة اهداها الله للعالمين فمن قبلها افلح ونجى ومن
ابى خاب وخسر ولا يشكل الحصر بوقوع الغضب منه كثيرا لانه لم يقصد من
بعثته بل المقصود بالذات الرحمة والغضب بالتبعية بل في حكم العدم مبالغة
او المعنى انه رحمة على كل فرد لان غضبه لله كانتقامه كقوله ولكم في القصاص
حياة او انه رحمة في الجملة فلا ينافي الغضب في الجملة رواه الدارمي عبد الله
ابن عبد الرحمن الحافظ وفي المقصد السادس الديلمي والبيهقي في شعبه و
الحاكم من حديث ابي هريرة وقال على شرطهما واقره الذهبي وفي الصحيحين

عن ابي هريرة مرفوعا انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا وروى ابن عمر رفعه
ان الله بعثني رحمة مهداه بعثت برفع قوم وخفض اخرين اي برفعهم بالسبق
الي الايمان وان كانوا من الضعفا وخفض من ابى وان بلغ غاية الشرف لانه
لم تنفعه فيه الاباية والتذاكي انه يجمع قدرهم وبذلهم باللسان والسنان سيأتي
في المقصد السادس مزيد لذلك قليلا ان شا الله والله الموفق
لا غيره ومنها ان الله خاطب جميع الانبيا الذين ذكرهم في القران
او الذين بلغنا في القران انه خاطبهم باسمايهم فلا يرد انه لم يثبت دليلا
على خطابه غيرهم لا باسمه ولا بغيره فقال يا ادم اسكن انت وزوجك
الجنة يا نوح اهبط بسلام منا يا ابراهيم اعرض عن هذا يا موسى وما تلك
بيمينك يا موسى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض يا زكريا انا نبشرك
بغلام يا يحيى خذ الكتاب بقوة يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ولم
يخاطبه هو تشريفا له واجلالا الا بيا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
يا ايها المزمل قم الليل يا ايها المدثر قم فانذر ومشى هنا على قول السهيلي
ليس المزمل والمدثر باسم من اسمايه يعرف به وانما هو مشتق من حالته التي كان
متلبسا بها حالة الخطاب ملاطفة على عادة العرب كقوله صلى الله عليه وسلم
لعلي قم يا ابا تراب وقوله لحذيفة قم يا نومان لا على القول بانهما من اسمايه لاشكاله
اللهم الا ان يكون لم يرد بعبير الاسما ما يراد به مجرد الذات الشريفة واراد بغير
الذات ما يراد به الذات مع صفة قايمة بها ومنه المزمل والمدثر ثم لا يخفى ان
الخطاب بيا لا يخرج به ذكره بلا ندا في محمد رسول وما محمد الا رسول ما كان محمد ابا
احد من رجالكم ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد امنوا بما نزل على محمد
لانه للتعريف بانه الذي اخذ الله عهده على الانبيا بالايمان به ولو لم يسمه لم يعرفوه
واما قول الله سبحانه يوم القيامة يا محمد ارفع راسك وقل تسمع الي اخره فتنويه
بذكر اسمه الدال على الصفة التي يحمده بها جميع الخلايق فانظر الي هذا التعظيم
ينادي به في كل مقام باشرف تعظيم يناسب ذلك المقام ففي الدنيا بالنبوة والرسالة
ليشهد له بهما وفي الاخرة لما تحققت الحقايق زاده باسمه لما اشتمل عليه من
المعنى المناسب لذلك اليوم وليفجاه سبحانه بما يدل على صفة يحمده بها الخلق
ليستدل بالندا بها على قبول شفاعته ثم عقب ذلك بقوله قل تسمع وسل تعط
فهو تكريم بعد تكريم وتعظيم بعد تعظيم زاد في الانموذج وخاطبه باللطف مما
خاطب به الانبيا اي كقوله لداود ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال للمصطفى
وما ينطق عن الهوى تنويها له على ذلك بعد الاقسام عليه وقال عن موسى
ففررت منكم لما خفتكم وقال عن نبينا واذ يمكر بك الذين كفروا اكنى عن خروجه
وهجرته باحسن العبارات ولم يذكره بالفرار الذي فيه نوع غضاضة ومنها
انه حرم على الامة نداه باسمه في كتابه العزيز قال تعالى لا تجعلوا دعا
الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا اي لا تجعلوا دعاه وتسميته
فهو من اضافة المصدر لمفعوله اي لا تجعلوا دعاكم اياه كندا تفسير لدعا

تعضكم بعضا بخطابه باسمه ورفع الصوت به والندا وراء الحجر
بجرهما عطفا على اسمه ذكرهما التمام التنبيه المستفاد من الاية لا بالرفع
على نداه لذكر حكمهما بعد ولانه ولانه في تمام تفسير الاية بقوله ولكن قولوا
يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير اي التعظيم والتواضع التذلل
وخفض الصوت لحرمة رفعه عليه والظرف اي بينكم متعلق بتجعلوا
لا حال من الرسول لانه يوهم انه لا يحرم نداوه باسمه بعد موته فانه مع ان الحرمة
ثابتة مطلقا وقيل المصدر مضاف الى فاعله اي لا تقيسوا دعاءه اياكم
على دعاء بعضكم بعضا بظنكم مساواته في جواز الاعراض والمساهلة
في الاجابة والرجوع بلا اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة قال تعالى استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم والرجوع بلا اذن حرام كما قال تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم لواذا الاية فالمعنى لا تظنوا انه مثلكم فتقيسوا اذ القياس الحاق فرع باخر لظن
القايس اتحاد الجامع ولولا ملاحظة هذا لورد ان القياس ليس من معنى الجعل
زاد البيضاوي او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعا بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه
فان دعاءه موجب اي لحصول ما دعا به او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعا صغيركم كبيركم
لم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب انتهى ومعناه عليها اي لا تظنوا
وتعتقدوا هذه وكره الشافعي ان يقال في حقه الرسول لانه ليس فيه من التعظيم ما في
الاضافة قال الحافظ وعلى هذا فلا ينادى بكنيته قال تلميذه الشيخ زكريا وهو ممنوع
اذ الكنية تعظيم باتفاق ولذا احتيج للجواب عن تكنية عبد العزى في تبت يدا ابي
لهب مع لا يستحق الكنية لانها تعظيم فالاوجه جواز ندائه بكنيته وان كان
نداوه بوصفه اعظم وتعقب بان مقتضى اية النور المذكورة انه لا ينادى بكنيته
لانهم كانوا يدعون بعضهم بعضا بها والحافظ لم يعلل الحكمة بترك التعظيم حتى
يتوجه عليه ما قاله تلميذه ومنها انه حبيب الله قال تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاذا كان متابعوه احباه فنفسه اولى وروى
البيهقي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتخذ الله ابراهيم خليلا
وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي وجلالي لاوثرن حبيبي على خليلي
ونجيي وجمع له بين المحبة والخلة قيل هما سواء وقيل الخلة ارفع والاكثر
على ان المحبة اعلا وسياتي تحقيق ذلك وما فيه من المباحث في
اخر المقصد السابع ان شا الله تعالى في نحو ورقة وقد روى ابو يعلى
في حديث المعراج فقال له ربه اني اتخذتك خليلا وحبيبا وصح انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ومنها انه تعالى اقسم على رسالته
بقوله تعالى يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين وبحياته فقال لعمرك انهم
سكرتهم يعمهون وببلده لا اقسم بهذا البلد وعصره والعصر ان الانسان السورة
قال ابو هريرة ما حلف الله بحياة احد الا بحياة محمد رواه ابن مردويه كما سياتي
ذلك في المقصد السادس ان شا الله تعالى مطولا ومنها انه كلم
بالبنا للمفعول بجميع اصناف الوحي كما نقل عن الشيخ عز الدين ابن عبد
السلام

السلام وسبق تحقيقه في المبعث من المقصد الاول ومنها ان
اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على نبي قبله عد هذه ابن سبع اخرج
الطبراني من حديث عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لقد هبط نزل علي ملك من السما ما هبط على نبي قبلي ولا
يهبط على احد بعدي اذ لا نبي بعده وهو اسرافيل فقال انا رسول
ربك اليك استدل به السيوطي على ضعف مرسل الشعبي ان اسرافيل اتاه في ابتدا
الوحي فقرن بنبوته ثلاث سنين قال لان هذه القصة بعد ابتدا الوحي بعده بسنين
كما قدمته امرني ان اخيرك ان شئت نبيا عبدا قدم العبودية اشارة الى انه
يختارها وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل وكان جالسا عنده قبل
نزول اسرافيل [illegible] وفي رواية فاشار جبريل اليه بيده ان تواضع وسبب
هذا التخيير ما رواه الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس كان صلى الله
عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما
امسى لال محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع
هدة من السما افزعته فقال صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم
قال لا ولكن امر اسرافيل فنزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان
الله قد سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزاين الارض وامرني ان اعرض
عليك اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فان شئت
نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا ثلاثا فلو اني قلت نبيا ملكا لسارت الجبال
معي ذهبا واخرج الترمذي عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم قال عرض
على ربي ليجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب الحديث ذكرهما المص في عيشه
من المقصد الثالث فمعيب نقل احدهما من غيره لكن افة العلم النسيان وبهما يعلم
وجه ترتيب قوله فلو اني قلت اذ هي قصة واحدة طولها راو واختصرها اخر فلا
يرد انه لا تلازم بين قوله نبيا ملكا وبين سير الجبال معه ذهبا وفضة وكانه
اقتصر عليهما في هذه الرواية مع ذكر اسرافيل له الزمرد والياقوت ايضا لانه
المخاطب لا يعلم غيرهما ولا اعتناء به ومنها انه سيد ولد ادم بضم الواو
وكسرها جمع ولد وبفتحها رواه مسلم في المناقب وابو داود في السنة من حديث
ابي هريرة مرفوعا بلفظ انا سيد ولد ادم يوم القيمة خصه لانه يوم
يجتمع له الناس فيظهر سودده لكل احد عيانا ووصف نفسه بالسودد المطلق
المفيد للعموم في المقام الخطابي على ما تقرر في علم المعاني فيفيد تفوقه على جميع
ولد ادم حتى من الملايكة اجماعا كما حكاه الرازي وغيره ولان الادمي افضل من الملك
وتتمة هذا الحديث في مسلم وابي داود واول من ينشق عنه القبر واول شافع و
اول مشفع وعند الترمذي في المناقب وقال حسن صحيح وابن ماجه والامام
احمد من حديث ابي سعيد الخدري رفعه انا سيد ولد ادم دخل ادم لان
في ولده من هو افضل منه كابراهيم يوم القيامة ولا فخر اي اقول ذلك شكرا
لا فخرا اي لا اقوله تكبرا على الناس وتعاظما وان كان فيه فخر الدارين فهو من قبيل

قول سليمان علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي وقيل غير ذلك **وبيدي لواء**
الحمد بالكسر والمد علمه والعلم في العرصات مقامات لاهل الخير والشر نصب في
كل مقام لكل متبوع لوا يعرف به قدره واعلا مقامات الخير الحمد فلما كان اعظم
الخلايق اعطي اعظم الالوية وهو لوا الحمد ليا وي اليه الاولون والاخرون فهو
حقيقي وعند الله علم حقيقته واما ما روي من صفته فموضوع بين الوضع
كما افاده المص في المقصد الاخير فلا وجه لعدول الطيبي ونحوه عن الحقيقة
وحمله على انفراده بالحمد وشهرته به على روس الخلايق وبقية هذا الحديث
عند الترمذي ومن معه وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوايي وانا اول
من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر **وانما قال**
ذلك كما قال ابن الاثير في النهاية **اخبارا عما اكرمه الله به من الفضل**
والسودد وتحدثا بنعمة الله عنده امتثالا لقوله واما بنعمة ربك فحدث
واعلاما للامة فهو من البيان الذي يجب عليه تبليغه اليهم **ليكون ايمانهم**
به على حسبه وموجبه بفتح الجيم ما يتسبب عن الشي فهو تفسير لحسبه
والمعنى ليكونوا على قدر ما علموه من فضله بان يكون ايمانا تاما لا شبهة فيه
لانهم حيث علموا اجمال فضله استحق ان يعظموه ويعتقدوا فيه الكمال اللايق
بمن قام به هذا الفضل **ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة**
التي نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل بكسر ففتح اي جهة **نفسي**
ولا بلغتها بقوتي اذ ليست في طوق البشر **فليس لي ان افتخر بها وانما**
افتخر بمن اعطانيها واما خبر لا تفضلوا بين الانبيا فمعناه تفضيل مفاخرة
وهو ادعا العظم والمباهاة او في نفس النبوة فلا تفاضل فيها وانما التفضيل
بنحو الخصايص ولا بد من اعتقاده تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
وقيل غير ذلك **ومنها انه غفر له ما تقدم من ذنبه** انه لو كان كما قاله
ابن عباس اي انه على سبيل الفرض والتقدير لانه كغيره من الانبيا معصومون
حتى من الصغاير قبل النبوة ولو سهوا على الاصح تكرمة لهم على الله خلافا
للاكثر في تجويز وقوع الصغاير منهم سهوا الا الدالة على خسة كتطفيف
وينبهون عليها واحتجوا ابطلوا هذا ان قالوا بها فضيت بهم الى خرق الاجماع
وما لا يقول به مسلم كما بسطه عياض في الشفا **وما تاخر** لا يشكل بان الغفر
اليسير فكيف يتصور وكيف يتصور ما لم يقع لان ما لم يقع يفرض وقوعه
مبالغة **قال تعالى** انا فتحنا لك فتحا مبينا **ليغفر لك الله ما تقدم**
من ذنبك وما تاخر وفيها اوجه اخر ذكر بعضها في المقصد السادس
وبعضها لا يرضى **قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصايصه**
انه اخبره الله بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبيا بمثل
ذلك فالخصوصية اخباره بذلك تعظيما له بادخال السرور عليه **ويدل**
له قولهم في الموقف يوم القيامة حيث يطلبون الشفاعة في فصل القضا من
ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى فيقول كل منهم **نفسي نفسي وقال ابن**

كثير

كثير في تفسير هذه الاية يعني اية الفتح لم يشاركه فيها غيره
ولذا قال ابن عطية المعنى التشريف بهذا الحكم ولم يكن ذنوب البتة **وقد**
اخرج ابو يعلى احمد بن علي الموصلي الحافظ الثقة **والطبراني** سليمان
ابن احمد بن ايوب **والبيهقي** احمد بن الحسين **عن ابن عباس قال**
ان الله فضل محمدا على اهل السما وعلى الانبيا قالوا فما فضله
على اهل السما قال ان الله تعالى قال لاهل السما اي الملايكة
ومن يقل منهم اني اله من دونه اي الله اي غيره **فذلك نجزيه**
جهنم وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تاخر فقد كتب له براة من الذنوب ان يفعلها
واذا منعه من فعلها فقد سترها عنه وهذا من الطف الاجوبة **قالوا فما**
فضله على الانبيا قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه اي بلغتهم **وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس**
فارسله الى الانس والجن جميعا تفضيلا له على جميع المرسلين هـ
ومنها انه اكرم الخلق على الله تعالى بنص قوله كنتم خير امة اخرجت
للناس اذ خيرية الامة تستلزم خيرية نبيها وان صفاته اعلا واجل وذاته افضل
واكمل ويصرح به قوله فبهداهم اقتده **فهو افضل من كل المرسلين وجميع**
الملايكة المقربين حتى الروح الامين اجماعا وغلط الزمخشري في تفضيله
عليه بان المعتزلة يجمعون عليه استثنائه من الخلاف في التفضيل بين البشر والملك
فقد جهل مذهبه **وسياتي الجواب عن قوله في حديث ابن عباس عند**
مسلم والبخاري **ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونحو**
ذلك كحديث الصحيحين لا تفضلوني على الانبيا وفي رواية لا تفضلوا بين الانبيا
واخرى لا تخيروا بين الانبيا وقوله تعالى لا نفرق بين احد منهم **في المقصد**
السادس ان شا الله تعالى باجوبة سبعة منها قول ابن ابي جمرة انه بالنسبة
الى القرب والبعد محمد صلى الله عليه وسلم وان اسري به لفوق السبع الطباق
واخترق الحجب ويونس عليه السلام وان نزل به الى قعر البحر هما بالنسبة الى
القرب والبعد من الله على حد واحد وروي هذا الجواب عن مالك الامام
ونحوه لامام الحرمين في قصة شهيرة **ومنها اسلام قرينه** اي صاحبه
الموكل به من الجن **رواه مسلم** واحمد **من حديث ابن مسعود** ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه
من الملايكة قالوا واياك قال واياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا
بخير ومعلوم عصمة الملايكة وايمانهم فانما المراد الاخبار بمصاحبة الملك والجني
لكل احد فالجني يغوي بخلاف الملك فقول بعض اسلام قرينه من الملايكة
والشياطين لا معنى له بالنسبة للملايكة ولا دلالة في الحديث عليه اللهم الا
ان يريد باسلام ملكه انقياده التام له وفيه ما فيه **والبزار من حديث**
ابن عباس رفعه فضلت على الانبيا بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني

الله عليه وسلم قال ونسيت الاخرى وفي حديث ابن عباس نص في ايمانه واما حديث ابن عباس نص في ايمانه مسعود فروي بفتح الميم وضمها اي فاسلم انا من فتنته وكيده وصحح الخطابي رواية الرفع ورجح عياض والنووي الفتح لقوله فلا يامرني الا بخير قال الدميري وهو المختار والاجماع على عصمته من الشيطان وانما المراد تحذير غيره من فتنة القرين ووسوسته واغوايه فاعلمنا انه معنا لنحترز منه بحسب الامكان انتهى وقال غيره اعترضت رواية الضم بانه تعوذ منه بقوله واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت اي يصرعني ويلعب بي ويفسد ديني او عقلي عند الموت بنزغاته التي تزل بها الاقدام وتصرع العقول وقد يستولي على الانسان حينئذ فيضله او يمنعه التوبة او يعوقه عن الخروج عن مظلمة او يؤيسه من الرحمة او يكره له الموت فيختم له بسوء والعياذ بالله واجيب بانه انما قاله تعليما لامته فان شيطانه اسلم ولا تسلط له ولا لغيره عليه بحال بل ساير الانبيا لا تسلط للشياطين عليهم وان لم يسلموا **ومنها انه لا يجوز عليه الخطا** في اجتهاده **كما ذكره ابن ابي هريرة والماوردي وذكره الحجازي في مختصر الروضة** لانه لا نبي بعده يستدرك خطاه فلذا عصم من بينهم كذا في الشامية وقال ابن السبكي الصواب ان اجتهاده لا يخطئ تنزيها لمنصب النبوة عن الخطا في الاجتهاد ومقتضى هذا التعميم ثم هذا مبني على الصحيح عند الاصوليين من جواز الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم ووقوعه لقوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض عفا الله عنك لم اذنت لهم فالعتاب لا يكون فيما صدر عن وحي وقيل يمتنع اجتهاده لقدرته على اليقين بانتظار الوحي والمنع ورد بان انزاله ليس في قدرته وثالثها الجواز في الاراء والحروب فقط والمنع في غيرها جمعا بين الادلة **وقال قوم ولا النسيان حكاه النووي في شرح مسلم** ما لم يترتب عليه تشريع كسلامه من ركعتين وصلاته الظهر خمسا **ومنها ان الميت يسال عنه عليه السلام** اذا وضع **في قبره** وتولى عنه اصحابه واختلف في اختصاص فتنة القبر بهذه الامة وجزم الحكيم الترمذي بالاختصاص **فعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال** اما فتنة الدجال فانه لم يكن نبي الا وقد حذر راسه وسا حذركموه بحديث لم يحذره نبي امته انه اعور وان الله ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر يقروه كل مومن **واما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسالونه فاذا كان الرجل الصالح** اي المسلم **اجلس** في قبره غير فزع ثم هو لفظ الحديث **فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله الحديث** بقيته جانا بالبينات من عند الله فصدقناه فيفرج عنه فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر ما وقاك الله ثم يفرج له فرجة الى الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك ههنا ويقال على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شا الله واذا كان الرجل السو اجلس في قبره فزعا فيقال له ما كنت تقول فيقول

لا ادري

لا ادري فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا فيفرج له فرجة من قبل الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال انظر الى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ويقال له هذا مقعدك منها على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شا الله ثم يعذب **رواه** بتمامه الامام **احمد والبيهقي** وروى الشيخان واحمد وغيرهم عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه حتى انه يسمع قرع نعالهم اتاه ملكان يقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المومن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا ويفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا الى يوم يبعثون واما الكافر والمنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه **ومنها انه حرم نكاح ازواجه من بعده** بقوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا **وقال تعالى وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة** اي الاحترام كالامهات في استحقاق التعظيم والرعاية ومن ذلك انه **حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة وخصوصية** له عليه السلام حيث جعلن امهات والام لا يحل نكاحها **ولانهن ازواج له في الاخرة** بنصه صلى الله عليه وسلم ولا يليق بحرمته تزوج امراة يحل عودها له ولان المراة لاخر ازواجها في الجنة على احد الاقوال فنكاح غيره لها المقتضي لكونها تكون لمن هو اخر يمنعه ما ثبت انها تكون زوجا له عليه السلام في الجنة **وهذا في غير المخيرات فمن اختارت منهن الدنيا ففي حلها للازواج طريقان احدهما طرد الخلاف** الاتي في قوله وفي التي فارقها في الحياة اوجه **والثاني القطع بالحل** بلا خلاف **واختاره الامام** اي امام الحرمين **والغزالي** وقال في الشرح الصغير انه الاظهر والافلا معنى للتخيير واعتمد الرملي الحرمة ولو اختارته قبل الرجوع **وازواجه التي توفي عنهن محرمات على غيره ابدا** كما قال الله وهذا مستانف بيانا في جوابه سوال تقديره ما ذكر في زوجاته هل يشمل من مات عنهن ومن فارقهن في الحياة مدخولا بهن ام لا **وفي جواز النظر اليهن** ولو لشهادة او مداواة **وجهان اشهرهما المنع وثبت لهن حكم الامومة في احترامهن وطاعتهن** فيما امرن به **وتحريم نكاحهن لا في جواز الخلوة بهن** فتحرم **والنفقة عليهن ولا الحجب والميراث** فلا توارث بينهن وبين الاجانب منهن **ولا يتعدى ذلك** التحريم **الى غيرهن فلا يقال بناتهن اخوات للمومنين على الاصح** لانه صلى الله عليه وسلم انكح عثمان وعليا بناته ولا لامهاتهن جدات المومنين على قياسه والا لزم

ان كل من نكحها حرمت امها عليه زوجها وقيل انما حرمن لانه
عليه السلام حي في قبره ويكون حاله عند صاحب ذا القيل كالنايم
وهذا مقابل قوله تكرمة له وخصوصية لانه يبعد انقطاع نكاح بموته
وهذا يبعد انه لم ينقطع ونحوه حكي الماوردي وجها للشافعية انه
لا يجب عليهن عدة الوفاة لحياته ومثله يقال في غيره من الانبيا
على قياسه وذكر الخطابي عن ابن عيينة انهن في معنى المعتدات فلهن سكنى
البيوت ما عشن ولا يملكن رقابها وفيه الزوجات التي فارقها في الحياة ممد
قدرنا ذلك لقوله الاتي احدها يحرمن ولا يضر وصفه الجمع بالمفرد لان جمع الاناث
وما لا يعقل يجوز وصفه بالمفرد وتوهم فيها ازواج مطهرة كالمستعيذة التي
قالت اعوذ بالله منك والتي رأى بكشحها بياضا اي برصا فردها وقال
دلستم علي اوجه احدها يحرمن ايضا وهو الذي نص عليه الشافعي
وصححه في الروضة لعموم الادلة ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اذ هو
ليس المراد بمن بعده بعدية الموت فقط بل بعدية النكاح وقيل
لا يحرمن مدخولا بها ام لا على ظاهر هذا الوجه لكن في شرح البهجة هو
الجزم بعدم حل المدخول بها والثالث وصححه امام الحرمين
والرافعي في الشرح الصغير على وجيز الغزالي تحريم المدخول بها
فقط وحل من لم يدخل بها لما روي ان الاشعث بن قيس بن معد يكرب
الكندي صحابي نزل الكوفة ومات سنة اربعين او احدى واربعين وهو ابن
ثلاث وستين نكح المستعيذة في زمن عمر بن الخطاب فهم عمر برجمه
بنا على ان نكاحها حرام فهو زنا وحد زنى المحصن الرجم فاخبر بانها
لم تكن مدخولا بها فكف عن رجمه الذي كان هم به وذلك يدل على حل من
لم يدخل بها ومن اطلق التحريم يقول هو اجتهاد من عمر وفي امة فارقها
بعد وطيها اوجه بالحرمة والحل ثالثها يحرم ان فارقها بالموت
كمارية القبطية ولا تحرم ان باعها في الحياة واعتمد شارح البهجة وغيره
التحريم انتهى ومنها ما عده ابن عبد السلام انه يجوز ان يقسم
على الله به اخرج الترمذي وابن ماجة والحاكم عن عثمان بن حنيف ان رجلا
اعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني فقال ان شيت اخرت
لك وهو خير وان شيت دعوت قال فادعه فامره ان يتوضا ويصلي ركعتين ويقول
اللهم اني اسيلك واتوسل اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اللهم اني توجهت بك الى ربي
في حاجتي وليس ذلك لغيره من الانبيا والملايكة والاوليا واما الاستشفاع
ببعضهم بلا اقسام فمستحب لان دعاهم ارجى للاجابة كما استشفع عمر بالعباس فقال
اللهم انا كنا اذا قحطنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا
فيسقون رواه البخاري وكذا بما فعل من خير يذكره في نفسه فيجعله شافعا لان ذلك
لا يليق بالشدايد كما في خبر الثلاثة الذين اووا الى الغار قال ابن عبد السلام وهذا
ينبغي ان يكون مقصورا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه سيد

ولد

ولد ادم وان لا يقسم على الله بغيره من الانبيا والملايكة والاوليا
لانهم ليسوا في درجته وان يكون هذا مما خص به لعلو درجته
ومرتبته انتهى وتعقبه بانه لا اتجاه لما ذكره لان الخصايص لا تثبت
بالاحتمال بل في بعض الاخبار التصريح بخلافه وذكر التستري عن معروف
الكرخي انه قال لتلامذته اذا كان لكم الى الله حاجة فاقسموا عليه بي فاني
الواسطة بينكم وبينه الان بحكم الوراثة عن المصطفى ومنها انه يحرم
روية اشخاص اي اجسام ازواجه في الازر ولا كذلك ازواج غيره
قال المصباح الشخص سواد الانسان يراه من بعد ثم استعمل في ذاته قال الخطابي
ولا يسمى شخصا الا جسم مولف له شخوص وارتفاع وكذا يحرم كشف وجوههن
مصدر مضاف الى مفعوله اي ان يكشفن وجوههن والكفين لشهادة
او غيرها اكراما له صلى الله عليه وسلم كما صرح به القاضي عياض واقره
النووي وعبارته في شرح مسلم فرض الحجاب مما اختصصن به فهو
فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف ذلك
في شهادة ولا غيرها بل يحرم عليهن ولا اظهار شخوصهن وان كن
مستترات بالازر ونحوها الا ما دعت اليه ضرورة من خروجهن الى
براز فتري اشخاصهن فلا حرمة قال الجوهري وغيره بالكسر ثقل الغذا وهو
الغايط وبالفتح اسم للفضا الواسع ولا يظهر معناه هنا الا بتكلفه قاله النووي
اي بجعله مجازا علاقته المجاورة او من تسمية الحال باسم المحل لخروجه بالفضا
ثم استدل بما في الموطا ان حفصة لما توفي ابوها عمر سترها النسا
عن ان يري شخصها ولم ينكر عليهن فكان اجماعا وان زينب بنت
جحش المتوفية بالمدينة في خلافة عمر سنة عشرين جعلن لها القبة
فوق نعشها ليستر شخصها وذلك بمحضر الصحابة ومنهم عمر الذي
صلى عليها ولم ينكر وفيه انه يمنع روية اشخاصهن بعد الموت ايضا انتهى كلام
عياض قال الحافظ ابن حجر وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه
من فرض ذلك عليهن لجواز انه فعل ذلك تكرمة لهن بل قد ورد عنهن ما يدل
على خلاف ذلك فقد كن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحججن ويطفن
وفي البخاري قول ابن جريج لعطا لما ذكر له طواف عايشة اقبل الحجاب او بعده قال
ان ادركته ذلك الا بعد الحجاب وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن
الحديث وهن مستترات الابدان بثياب تمنع روية البشرة لا الاشخاص
اذ لا يمنعها الا كونها بهودج ونحوه بحيث لا يرى شخصها انتهى ويمكن الجواب
عن عياض بان ذلك من جملة ما دخل في قوله الا ما دعت اليه ضرورة وقوله
من براز مثال لا قيد واما حكم نظر غير ازواجه عليه السلام ففي
الروضة واصلها عن الاكثرين من الشافعية جواز النظر الى وجه
حرة كبيرة اجنبية وكفيها اذا لم تكن اي توجد فتنة مع الكراهة
وفحوى كلام الشيخين الرافعي والنووي في الروضة يقتضي رجحانه

انه

وصوبه في المهمات للاسنوي لتصريح الرافعي في الشرح وجيز
الغزالي بان الاكثرين عليه وذلك يقتضي رجحانه لكن نقل ابن العراقي
ان شيخه البلقيني قال الترجيح بقوة المدرك اي الدليل والفتوى
على ما في المنهاج للنووي من حرمة ذلك وقد جزم به في التدريب
للبلقيني وقوة كلام الشرح الصغير للرافعي على الوجيز تقتضي رجحانه
وعلله باتفاق المسلمين على منع النسا من الخروج سافرات
كاشفات وجوههن ونقلا في الروضة واصلها هذا الاتفاق واقراه
وعورضا بنقل القاضي عياض عن العلما مطلقا عن التقييد بمذهب
فكانه قال اتفق العلما على انه لا يجب على المراة ستر وجهها في الطريق
وانما هو سنة ويجب على الرجال غض البصر وحكاه عنه اي عياض
النووي في شرح مسلم واقره وهو ينقض دعوى اتفاق المسلمين على
المنع قاله الشيخ نجم الدين بن قاضي عجلون في تصحيح المنهاج والله
اعلم بالحق في ذلك وكان النكاح في حقه عليه السلام عبادة مطلقا
عن التقييد بالاحتياج وغيره كما قاله السبكي وهو في حق غيره ليس عبادة
على الاصح عندنا اي الشافعية اي ليس مستحبا لذاته فيثاب فاعله مطلقا و
بل من المباحات لقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم اذ العبادة لا تتعلق بالاستطابة
والعبادة عارضة له من جهة بقا النسل وحفظ النسب والاستعانة على
المصالح الدينية وصرحوا بانه تجري فيه الاحكام الخمسة وقيل هو عبادة قال الحافظ
والتحقيق ان الصورة التي يستحب فيستلزم كونه عبادة فمن نفي العبادة عنه نظر
اليه في حد ذاته ومن اثبت نظر الى صورة مخصوصة انتهى اي او لصورة الوجوب
ومنها ان اولاد بناته ينسبون اليه شرعا فهو عصبة لهم كما قال صلى الله
عليه وسلم في حديث وكل ولد ادم فان عصبتهم لابيهم ما خلا ولد فاطمة فاني انا ابوهم
وعصبتهم رواه ابو نعيم عن عمر برجال ثقات وقال صلى الله عليه وسلم لكل بني ادم
عصبة الا ابني فاطمة انا وليهما وعصبتهما اخرجه الحاكم عن جابر وابو يعلى عن
فاطمة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يبعث نبيا قط الا جعل ذريته من صلبه
غيري فان الله يجعل ذريتي من صلب علي رواه الطبراني والخطيب بخلاف غيره
فاولاد بناته لا ينسبون اليه كما قال الشاعر

بنونا بنو ابنائنا وبناتنا ۞ بنوهن ابنا الرجال الاباعد

قال عليه السلام في الحسن الكبير ان ابني هذا سيد وفي رواية لسيد
باللام اي حليم كريم متحمل شريف من السودد وقيل من السواد لكونه يراس على السواد
العظيم من الناس اي الاشخاص العظيمة ذكره ابن الاثير وقال عليه السلام لما ولد اروني
ابني ما سميتموه وكذا لما ولد محسن اخوهما اخرجه احمد رواه ابو يعلى والبخاري
في مواضع من صحيحه واحمد وابو داود والترمذي والنسائي كلهم عن ابي بكرة قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي الى جنبه وهو يقبل على
الناس مرة وعليه اخرى ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين

عظيمتين

عظيمتين من المسلمين فقتصر الحم واوهم شديدا وقد صرح مغلطاي بانه
لا يجوز لمحدثي نقل حديث في احد الكتب الستة من غيرها ومنها ان
كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون الا سببه ونسبه فلا ينقطعان قال عليه السلام فيما رواه
الحاكم والبيهقي عن عمر كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا
سببي ونسبي قال عمر فتزوجت ام كلثوم لذلك واحببت ان يكون بيني
وبينه نسب وسبب رواه البزار وهذا لا يعارضه حثه في اخبار لاهل بيته
على خوف الله وتقواه وتحذيرهم الدنيا وغرورها واعلامهم بانه لا يغني عنهم
من الله شيا لان معناه انه لا يملك لهم نفعا لكن الله يملكه نفعهم بالشفاعة
العامة والخاصة فهو لا يملك الا ما ملكه ربه فقوله لا اغني عنكم اي بمجرد نفسي
من غير ما يكرمني الله به من نحو شفاعة او مغفرة وخاطبهم بذلك رعاية لمقام
التخويف او كان قبل علمه بانه يشفع وفي رواية ابن عساكر عن عمر كل نسب
وصهر منقطع يوم القيامة الا نسبي وصهري والنسب بالولادة والسبب
بالنكاح حكاه الديلمي مصدرا بان السبب هنا الوصلة والمودة وكل ما يتوصل
به الى الشي بعد عنه فهو سبب في البيضاوي فجعله نسبا وصهرا اي قسم البشر
قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينتسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن
كقوله وجعل منه الزوجين الذكر والانثى ويمكن حمل الحديث عليه بجعل الولادة عبارة
عن النسب الى الاباء والسبب عبارة عن القرابة من جهة النسا والتزوج بهن كما
قال الطيبي السبب النسب ما رجع الى ولادة قريبة من جهة الاباء والصهر ما كان
خلطه يشبه القرابة يحدثها التزوج واما حديث ابن عمر وابن عباس مرفوعا
الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري فيراد بالصهر فيه
خصوص النكاح وبالسبب القرابة من جهة الام لجمعه بين الثلاثة قيل ومعنا
اي الحديث بقطع النظر عن تفسيره المذكور فلا يرد عليه انه ينزل على الولادة
والنكاح ان امته ينتفعون بالنسبة اليه يوم القيامة بخلاف امة
غيره من ساير الامم فلا ينسبون اليهم وقد ضعف هذا القيل بانه تاويل
نشا من خفا الجمع على قايله بينه وبين حديث لا اغني عنكم من الله شيا وقد
علم الجمع بينهما بوجهين وضعفه ايضا الجلال البلقيني بما في الصحيح عن
ابي سعيد مرفوعا يجي نوح وامته فيقول الله هل بلغت فيقول نعم اي رب
فيقال لامته هل بلغكم الحديث فهو صريح في نسبة امة نوح اليه يومئذ
واجاب شيخنا بان مراده من حصر الانتساب الى نبينا والانتفاع به الشفاعة
الحاصلة منه لامته على وجوه متعددة لا يحصل لغيره مع امته وقيل معناه
ينتفع يومئذ بالنسبة اليه ولا ينتفع بجميع الانساب ورجحه السيوطي وايده
بحديث عمر المتقدم قال البلقيني وهذا هو الذي يظهر انتهى ومنها انه
لا يتزوج على بناته اي يحرم فعن المسور بكسر الميم وسكون
المهملة وفتح الواو بن مخرمة بفتح الميم وسكون المعجمة وفتح الرا ابن

نوفل بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري ابي عبد الرحمن له ولابيه
ولامه عاتكة بنت عوف اخت عبد الرحمن صحبة ولد بعد الهجرة بسنتين وقدم
المدينة في ذي الحجة بعد الفتح سنة ثمان وهو ابن ست سنين وحفظ عن النبي
صلى الله عليه وسلم احاديث وفي الصحيحين في بعض طرق هذا الحديث سمعت
رسول الله وانا يومئذ محتلم وهذا يدل على انه ولد قبل الهجرة لكنهم اطبقوا على انه
ولد بعدها وقد تاول بعضهم قوله محتلم على انه من الحلم بالكسر لا من الحلم بالضم
يريد انه كان عاقلا ضابطا لما يتحمله مات سنة اربع وستين على الصواب
بحجر اصابه من حجارة المنجنيق في حصار الجيش الذي ارسله يزيد بن معاوية
لابن الزبير وكان قائما يصلي فاقام خمسة ايام ومات يوم اتى نعي يزيد كما في
الاصابة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول
ان بني هاشم كذا وقع في مسلم وصوابه كما في البخاري هشام بن المغيرة
المخزومي اذ بنو هشام هم اعمام بنت ابي جهل لانه عمرو بن هشام بن المغيرة
وقد اسلم اخوه الحارث وسلمة ابنا هشام عام الفتح استاذنوني وفي رواية
استاذنوا في ان ينكحوا بضم اوله من انكح ابنتهم علي بن ابي طالب وعند
الحاكم بسند صحيح الى سويد بن غفلة بفتح المعجمة والفا احد المخضرمين ممن
اسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه قال خطب علي بنت ابي جهل
الى عمها الحارث فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعن حسبها تسالني
فقال لا ولكن اتامرني قال لا الحديث فلا اذن لهم في ذلك ثم لا اذن ثم
لا اذن لهم بالتكرار ثلاثا قال الكرماني فان قلت لا بد في العطف من المغايرة
بين المعطوفين قلت الثاني فيه مغايرة للاول اذ فيه تاكيد الاول وفيه اشارة
الى تابيد مدة منع الاذن كانه اراد رفع المجاز لاحتمال ان يحمل النفي على مدة بعينها
فقال ثم لا اذن اي ولو مضت المدة المفروضة تقدير الا اذن بعد هذا ثم كذلك ابدا الا
ان يحب هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري الا ان يريد ابن ابي طالب ان يطلق
ابنتي فكنى بمحبة الطلاق عن نفس الطلاق اشارة الى انه باختياره لا باكراه
وينكح بفتح اليا من نكح ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني بفتح الموحدة
وسكون المعجمة وحكي ضم الموحدة وكسرها اي قطعة لحم كما ضبطه الحافظ
وغيره ومفاده ان الرواية بالفتح ولذا اقتصر عليه المص في موضع يريبني بضم
اوله ما ارابها وفي نسخة ما رابها وهما صحيحان يقال رابني فلان وارابني
اذا رايت منه ما تكرهه ويؤذيني ما اذاها فمن اذاها فقد اذاه وهو
حرام باجماع ولم يقل ما يؤذيها اشارة الى ان اذاه مسببه عن اذاها فالمعنى
اذا اذاها احد اذاني وهذا تعليل لعدم اذنه يعني ان المانع لي من الاذن انه
يؤذيها كما يؤذيني اخرجه الشيخان في مواضع ومعلوم انه ارفع
الصحيح وانما ذكر قوله وصححه الترمذي اي صرح بصحته رد الزعم وصفه
قال الحافظ انما قام صلى الله عليه وسلم خطيبا ليشيع الحكم الذي سيقرره
ويأخذوا به على سبيل الوجوب او الاولوية وغفل الشريف المرتضى عن هذه

النكتة

النكتة فزعم ان هذا الحديث موضوع لانه من رواية المسور وكان فيه
انحراف على علي وجاء من رواية ابن الزبير وهو اشد في ذلك ورد كلامه
باطباق اصحاب الصحيح على تخريجه انتهى والشريف هذا من رؤوس الشيعة
وحمله على هذا قولهم ان عليا لا يمكن منه ان يفعل ذلك وعنه اي عن المسور
ايضا ان علي بن ابي طالب خطب بنت ابي جهل وعنده فاطمة بنت
النبي صلى الله عليه وسلم اخذا بعموم الجواز فلما انكره النبي صلى الله عليه
وسلم ترك الخطبة فلما سمعت بذلك فاطمة اتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت ان قومك يتحدثون وفي رواية يزعم قومك انك لا تغضب
لبناتك اذا اوذوا ولعل سبب التحدث او الزعم مشاهدتهم حلمه وانه لا يغضب
لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله وهذا علي ناكح اي يريد ان
ينكح بنت ابي جهل وفي مسلم والطبراني ناكحا بالنصب اطلقت عليه اسم
ناكح مجازا باعتبار قصده له قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم
خطيبا على المنبر فسمعته حين تشهد زاد في رواية للبخاري ومسلم
وانا يومئذ محتلم قال اما بعد فاني انكحت ابا العاص لقيط او مقسم
بكسر الميم او هشيم او غير ذلك ابن الربيع بن ربيعة بن عبد العزى بن
عبد شمس بن عبد مناف ويقال باسقاط ربيعة مشهور بكنيته وامه هالة
بنت خويلد اخت خديجة اي انكحته اكبر بناتي زينب قبل النبوة فحدثني
فصدقني بتخفيف الدال بعد الصاد المهملتين اي في حديثه زاد في رواية ووعدني
فوفى لي قال الحافظ ولعله كان شرط على نفسه ان لا يتزوج على زينب وكذلك
علي فان لم يكن كذلك فهو محمول على ان عليا نسي ذلك الشرط فلذلك اقدم على الخطبة
او لم يكن عليه شرط اذ لم يصرح به لكن كان ينبغي له ان يراعي هذا القدر فلذلك وقعت
المعاتبة وكان صلى الله عليه وسلم قل ان يواجه احدا بما يعاب به ولعله انما جهر بمعاتبة
علي مبالغة في رضى فاطمة وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة ولم يكن حينئذ تاخر
من بناته صلى الله عليه وسلم غيرها وكانت اصيبت بعد امها باخواتها فكان
ادخال الغيرة عليها مما يزيد حزنها انتهى وان فاطمة بنت محمد بضعة
مني قال المص بفتح الموحدة فقط وسكون المعجمة ولابي ذر عن الحموي والمستملي
مضغة بميم مضمومة بدل الموحدة وغين معجمة بدل المهملة واقتصر
على الفتح لانه الرواية والا فحكي الضم والفتح ايضا كما مر وفي الكرماني قال الجوهري
بفتح الباء النووي بضمها صاحب النهاية بالفتح وقد تكسر وانما اكره
ان يفتنوها لفظ مسلم وله ايضا وللبخاري واني اخاف ان تفتن في دينها
وللبخاري في المناقب واني اكره ان يسوءها اي احد عليه او غيره زاد في
رواية للشيخين واني لست احرم حلالا ولا احل حراما ولكن والله
لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند
رجل واحد ابدا قال المسور فترك علي الخطبة اعرض عنها وعزم
ان لا ينكح ابنة ابي جهل اخرجه الشيخان ايضا مسلم في الفضائل

والبخاري في مواضع قال ابن التين اصح ما تحمل عليه هذه القصة انه صلى
الله عليه وسلم حرم على علي ان يجمع بين ابنته وبين ابنة ابي جهل لانه علل
بان ذلك يوذيه واذيته حرام بالاجماع ومعنى قوله لا احرم ومعنى قوله لا احرم
حلالا انها حلال له لو لم تكن عنده فاطمة واما الجمع بينهما المستلزم تاذية لتاذي
فاطمة فلا انتهى واسم بنت ابي جهل هذه المخطوبة جويرية بضم الجيم
وجزم بذلك لانه اشهر الاقوال قال في الفتح اختلف في اسم بنت ابي جهل فروى
الحاكم في الاكليل جويرية وهو الاشهر وفي بعض الطرق اسمها العوراء اخرجه
ابن طاهر في المبهمات وقيل اسمها الحنفاء ذكره ابن جرير الطبري وقيل جرهم حكاه
السهيلي وقيل جميلة ذكره شيخنا ابن الملقن في شرحه وكان لابي جهل بنت
تسمى صفية تزوجها سهيل بن عمرو وسماها ابن السكيت وغيره وقال هي الحنفاء
المذكورة اسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وحفظت عنه وتزوجها
فيما يقال كما في الفتح عتاب بفتح العين والفوقية الثقيلة بن اسيد بفتح و
فكسر الصحابي امير مكة فولدت له عبد الرحمن بن عتاب ثم لما مات عنها تزوجها
ابان بفتح الهمزة وخفة الموحدة فالف فنون بن سعيد بن العاصي بن امية
ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي الصحابي قال ابو داود حرم الله
تعالى على علي رضي الله عنه ان ينكح على فاطمة حياتها اي مدة حياتها
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لقوله تعالى وما اتاكم اعطاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقد نهاه عن الزواج عليها
وذكر الشيخ ابو علي السنجي احد عظماء الشافعية اصحاب الوجوه نسبة
الى سنج بكسر المهملة وسكون النون وجيم قرية بمرو وفي شرح التلخيص
لابن القاص انه يحرم التزويج اي والتزوج على بنات النبي صلى الله عليه
وسلم الى هنا كلام ابي علي وهل يبطل النكاح مقتضى تحريمه للنهي المستفاد
من وما اتاكم الرسول الاية البطلان لان الاصل في النهي الفساد وفي فتح الباري
لا يبعد ان يعد من خصايص النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يتزوج على بناته
ويحتمل ان يكون ذلك خاصا بفاطمة رضي الله عنها لانها كانت
اصيبت بامها ثم باخواتها واحدة فواحدة فلم يبق من تانس به ممن يخفف عليها
امر الغيرة انتهى كلام الفتح وقد علل عليه السلام المنع بان ذلك يوذيه
واذيته حرام بالاتفاق اي الاجماع وفي هذا كما في الفتح تحريم اذى
من يتاذى النبي صلى الله عليه وسلم بتاذيه لان اذا النبي صلى الله عليه
وسلم حرام اتفاقا قليله وكثيره وما كان لكم ان توذوا رسول الله وقد
جزم عليه السلام بانه يوذيه ما اذى فاطمة وكل من وقع منه في
حقها شي تاذت به فهو يوذي النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة
الخبر الصحيح المذكور زاد في الفتح ولا شي اعظم من ادخال الاذى عليها
من قبل ولدها ولهذا عرف بالاستقرا معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في
الدنيا ولعذاب الاخرة اشد انتهى وقال الشريف السمهودي ومعلوم ان اولاد

فاطمة بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه ومن ثم لما رات ام
الفضل في منامها ان بضعة منه وضعت في حجرها اوله النبي صلى الله
عليه وسلم بان فاطمة تلد غلاما فيوضع في حجرها فولدت الحسن فوضع فيه
فكل من شاهد الان من ذريتها بضعة من تلك البضعة وان تعددت الوسا
ومن تامل ذلك انبعث من قلبه داعي الاجلال لهم وتجنب بغضهم على اي حال
كانوا انتهى وروى احمد والحاكم والطبراني ان حسين بن حسين خطب بنت
المسور بن مخرمة فقال له ما من نسب ولا صهر احب الي من نسبكم وصهركم
ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها
ويبسطني ما يبسطها وعندك ابنتها ولو زوجتك لاغضبها ذلك فذهب
عاذرا له قال في ذخاير العقبى فيه دليل على ان الميت يراعى منه ما يراعى من الحي
قال ولعل مراد ابي علي بقوله يحرم التزويج على بناته من ينتسب اليه بالبنوة
ويكون هذا الحديث دليله قال السيوطي فان اخذ هذا على ظاهره فمقتضاه
انه يحرم التزويج على ذريته بناته وان ينطبق ذلك الى يوم القيامة وفيه
وقفة انتهى بل لا يصح لقيام الاجماع الفعلي في كل عصر على خلافه فهو خاص
ببناته او بفاطمة فقط على ما مر وامتناع المسور من مزيد ورعه حملا لما سمعه
على عمومه وقد استشكل اختصاص فاطمة بذلك مع ان الغيرة
على النبي صلى الله عليه وسلم اقرب الى خشية الافتتان في الدين
الذي خشيه على فاطمة في نحو قوله واني اخاف ان تفتن في دينها ومع ذلك
فكان صلى الله عليه وسلم يستكثر من الزوجات ويوجد منهن
الغيرة عليه ومع ذلك ما راعى صلى الله عليه وسلم ذلك في حقهن
كما راعاه في حق فاطمة فهل لذلك حكمة واجيب بان فاطمة كانت اذ
ذاك فاقدة من تركن اليه ممن يونسها ويزيل وحشتها من ام لموت
امها وهي صغيرة جدا او اخت لموت اخواتها قبل ذلك واحدة بعد واحدة
بخلاف امهات المومنين فان كل واحدة منهن كانت ترجع الى من
يحصل لها معه ذلك المذكور من الايناس وازالة الوحشة وزيادة عليه
وهو زوجهن صلى الله عليه وسلم لما كان عنده من الملاطفة
وتطييب القلوب وجبر الخاطر بحيث ان كل واحدة منهن ترضى به
بسبب حسن خلقه بضمتين وجميل خلقه بفتح فسكون اذ لا اجمل منه
وترضى بجميع ما يصدر منه بحيث لو وجد ما يخشى وجوده من
الغيرة لزال عن قريب حتى كانه لم يكن لما يعلم منه من تصفح الاخبار
ومنها انه لا يجتهد في محرابه وهو ما ثبت انه صلى اليه وان لم يكن
بمسجد يمنة ولا يسرة اي لا يجوز ذلك لانه قطعي ولو قيل انه باجتهاده
اذ لا يقر على خطا فلو تخيل حاذق فيه يمنة او يسرة فخياله باطل وافتى
شيخ الاسلام قاضي القضاة ابو زرعة احمد بن عبد الرحيم العراقي
الحافظ بن الحافظ في الفتاوى المكية وهي نحو كراسين في شخص امتنع

من الصلاة الى محراب النبي صلى الله عليه وسلم وقال انا اجتهد
واصلي بانه ان فعل ذلك مع الاعتراف بانه على ما كان في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم فهو ردة لتضمنه انه كان مخطيا في
صلاته وهو ردة وان ذكرنا تاويلا بان قال ليس هو الان على ما كان عليه
في زمنه عليه السلام بل غير عما كان عليه فهذا سبب اجتهادي لم
يحكم بردته لانه يتضمن خطا وان لم يكن هذا التاويل صحيحا اذ هو
خطا تاويله لم يستلزم شيا في حقه صلى الله عليه وسلم والله اعلم ومنها ان
من راه في المنام فقد راه حقا قال القضاعي هذه الخصوصية مما خص
به دون غيره من الانبيا وجزم البغوي بمشاركة جميع الانبيا والملايكة له في ذلك وحكى
الشيخ اكمل الدين في شرح المشارق فيه خلافا فقال هل ذلك مختص بالنبي صلى
الله عليه وسلم ام لا قال بعضهم رويا الله تعالى والانبيا والملايكة والشمس والقمر
والنجوم المضيئة والسحاب الذي فيه الغيث لا يتمثل الشيطان بشي منها وذكر المحققون
انه خاص به صلى الله عليه وسلم وقالوا في ذلك انه وان ظهر بجميع اسما الله
تخلقا وتحققا لكن المقصود من رسالته صلى الله عليه وسلم هدايته للناس
وان يكون مظهرا لاسمه الهادي والشيطان بخلاف ذلك فهو ضال مضل ولا
يظهر احدهما بصفة الاخر ولو ظهر ابليس بصفته لالتبس على الناس فضلوا
بما يلقنه لهم لظنهم انه الرسول فعصم الله صورته من ان يتصور بها شيطان
انتهى والحكمة المذكورة تقتضي عمومه في جميع الانبيا والملايكة ثم اورد على
الشيخ اكمل الدين ان عظمة الله اتم من عظمة كل عظيم مع ان ابليس تراءى لكثير
وخاطبهم بانه الحق ليضلهم فضل جمع حتى ظنوا انهم راوا الحق وسمعوا خطابه
واجاب بان كل عاقل يعلم ان الحق لا صورة له معينة توجب الاشتباه بخلاف
النبي فصورته معينة معلومة وبان مقتضى حكمة الحق انه يضل من يشا
بخلاف النبي فانه متصف بالهداية ظاهر بصورتها ورسالته انما هي لذلك لا للاضلال
فلا يكون منه اضلال لاحد البتة فوجب عصمة صورته من ان يظهر بها
شيطان وقال عياض لم تختلف العلما في جواز صحة رويا الله في النوم وان رئي على
صفة لا تليق بحاله من صفات الاجسام لتحقق ان المرئي غير ذات الله اذ لا يجوز
عليه التجسم ولا اختلاف الحالات بخلاف رويا النبي فكانت روياه تعالى في النوم
من باب التمثيل والتخييل وقال ابن العربي رويا الله في النوم اوهام وخواطر في القلب
لا تليق به الحقيقة ويتعالى عنها وهي دلالات للرائي على امر كان او يكون كساير
المرئيات وقال غيره روياه تعالى مناما حق وصدق لا كذب فيها في قول ولا
فعل فان الشيطان لا يتمثل به كما اخرج احمد والبخاري والترمذي عن
انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من راني في المنام فقد راني فان الشيطان
لا يتمثل بي وفي رواية مسلم من حديث ابي هريرة من راني في المنام فسيراني
في اليقظة بفتح القاف روية خاصة بصفة القرب منه قال الدماميني وهذه
بشارة لرائيه بالموت مسلما لانه لا يراه في القيامة تلك الروية الخاصة باعتبار القرب

منه الا من تحقق موته على الاسلام وقال شيخنا اي فسيراني في اليقظة
على الصورة التي راني عليها في المنام وذلك يدل على ان من راه في المنام كانت روياه
صادقة او قال شك من الراوي فكانما راني في اليقظة قال الشيخ اكمل الدين
ومعناه غير الاول لانه تشبيه وهو صحيح لان ما راه في النوم مثال وما يراه في
عالم الحس حسي فهو تشبيه خيالي بحسي انتهى لا يتمثل الشيطان بي
هذا كالتتميم للمعنى والتعليل للحكم اي لا يحصل للشيطان مثال صورتي
ولا يتشبه بي فكما منعه الله ان يتصور بصورته في اليقظة منعه ذلك في النوم
لئلا يشتبه الحق بالباطل او هو استيناف في جواب ما سببه ذلك يعني ليس
ذلك المنام من قبيل تمثيل الشيطان في خيال الرائي ما شا من التخيلات وانما
عزاه لمسلم وحده لوقوع الشك من راويه في لفظه وقد رواه البخاري ومسلم
ايضا بلا شك كلاهما من حديث ابي هريرة من راني في المنام فسيراني في اليقظة
ولا يتمثل الشيطان بي ورواه الطبراني وزاد ولا بالكعبة وقال لا يحفظ هذه اللفظة
الا في هذا الحديث وروى الازرقي عن عثمان بن ساج قال بلغني عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اول ما يرفع الركن والقران ورويا النبي في المنام قال
الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح حديث ابي هريرة المذكورة ووقع عند
الاسماعيلي في مستخرجه فقد راني في اليقظة بدل قوله فسيراني ومثله
عند ابن ماجة وصححه الترمذي من حديث ابن مسعود ولا منافاة
بينها وبين فسيراني لحمل هذه الرواية على انها من التعبير بالماضي عن الاتي
لتحقق وقوعه نحو اتى امر الله ولا بينها وبين فكانما راني لحملها على التشبيه و
كزيد اسد وفي رواية ابي قتادة الحارث او عمرو او النعمان الانصاري شهد احدا
وما بعدها عند مسلم ايضا والبخاري بلفظه في التعبير فلا وجه لقصر العزو
قال ابو قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم من راني فقد راى الحق هكذا
الرواية في الصحيحين فما في نسخ من زيادة نون قبل اليا في راى لا عبرة بها اي
راى الرويا الصادقة الصحيحة وهي التي يريها الملك الموكل بضرب امثال الرويا و
بطريق الحكمة لبشارة او نذارة او معاتبة ليكونوا على بصيرة من امره او ابعد بعضهم
فقال يمكن ان يراد بالحق الله مبالغة تنبيها على ان من راه على وجه المحبة والاتباع
كانه راى الله كقوله من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله ورد بانه يابا
قوله فان الشيطان الخ وله ايضا من حديث جابر رفعه من راني في المنام
فقد راني اي فليبشر بانه راني حقيقة اي راى حقيقتي كما هي فلم يجد الشرط
والجزا وهو في معنى الاخبار اي من راني فاخبره بان روياه حق لا اضغاث احلام
ولا تخييل شيطان ثم اردف ذلك بما هو تتميم للمعنى وتعليل للحكم فقال انه ع
لا ينبغي لا يصح ولا يتصور للشيطان ان يتمثل في صورتي لاستحالة ذلك
وفي رواية لمسلم ايضا من وجه اخر عن جابر من راني في المنام فقد راني
فانه لا ينبغي للشيطان ان يتشبه بي والمعنى واحد وفي حديث ابي
سعيد الخدري عند البخاري من افراده عن مسلم انه سمع النبي صلى الله

عليه وسلم يقول من راني فقد راى الحق فان الشيطان لا يتكونني اي لا يتصور
تصورا كصورتي فحذف المضاف واقيم المضاف اليه بالفعل وفي حديث
ابي قتادة عند البخاري ومسلم ايضا بلفظ من راني فقد راى الحق فان
الشيطان لا يتراءى بي بالراء بوزن يتعاطى ومعناه لا يستطيع ان يتمثل
بي اي المقصود منه ذلك اذ المعنى ما يعني من اللفظ ولو مجازا فان معناه الحقيقي
النظر كما في القاموس لا الاستطاعة فاستعمله في لازمه فان من نظر شيئا تصوره
او ضمن تراءى معنى تصور فعداه بالباء والا فهو متعد بنفسه وهذا على ما اقتصر عليه
هنا من ان الرواية بالراء المهملة وهي رواية ابي ذر وحده للبخاري ورواه الباقون
بالزاي المنقوطة اي لا يظهر في زيي كما بينه المص وغيره يعني ان الله وان
امكنه من التصور في اي صورة اراد فانه لم يمكنه التصور في صورة
النبي صلى الله عليه وسلم فهذا الحديث يقيد مطلق الاحاديث قبله المفيدة انه
لا يتمثل به على اي صفة كانت وقد ذهب الى هذا جماعة منهم الحكيم الترمذي
وعياض فقالوا في الحديث ان محل ذلك اذا راه الرائي على صورته التي
كان اي وجد اي خلق عليها في الدنيا ومنهم من ضيق الذرع في ذلك فبالغ
حتى قال لا بد ان يراه على صورته التي قبض عليها حتى تعتبر عدد
الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة فانما يصح رؤياه عند هؤلاء
لاحد رجلين صحابي راه فعلم صفته فانطبع في نفسه مثاله فاذا راه جزم بانه راى مثاله
المعصوم من الشيطان والثاني رجل تكررت عليه صفاته المنقولة في الكتب حتى انطبعت
في نفسه صفاته ومثاله المعصوم كما حصل ذلك لمن شاهده فاذا راه جزم برؤية مثاله
واما غير هذين فلا يحصل الجزم بانه راه ولو وجد في نفسه ان المرئي هو النبي او قال له
قايل هذا النبي بل يجوز انه راى تمثاله ويحتمل انه من تخييل الشيطان ولا ينفسه قوله
للذي يراه انا رسول الله ولا قول من يحضر معه ذكره العلامة الشهاب القرافي في قواعده
ناسبا له للعلما اي بعضهم قايلا انه من المهم وتعقبه من قال لقد ضيقت واسعا
وما على الذي قلته دليل ولا برهان الا مجرد دعوى الحق في خلافها والمعول على
خلاف هذا الشرط ويبطله رؤيا الله تعالى ورؤيا الملايكة فانه يلزمك ان لا يصح رؤيا
الله فانه لا صورة له حتى يتمثل لنا انتهى وزعم بعض ان القرافي اخذ بعضه من كلام
شيخه العز بن عبد السلام بعيد فلفظه كيف يقولون انه راه شابا وشيخا واسود و
ابيض وغير ذلك واجيب بان هذه صفات الرائين واحوالهم تظهر فيه عليه السلام
وهو كالمراة لهم فان قلت كيف يبقى المثال مع هذه الاحوال المضادة له قلت لو كان
لك ابو شاب فغبت عنه ثم وجدته شيخا او اصابه مرض فاصفر او اسود اتشك
انه ابوك فما ذاك الا لما ثبت في نفسك من مثاله المتقدم عندك فكذلك من ثبت عنده
حال النبي صلى الله عليه وسلم لا يشك فيه مع عروض هذه الاحوال واذا حصل له
الضبط فراه على غير صفته دل على ظلم الرائي انتهى لكن هذا يشكل على الحكمة الثانية
المتقدمة وعن حماد بن زيد بن درهم الازدي البصري ثقة ثبت فقيه مات
سنة تسع وسبعين ومائة وله احدى وثمانون سنة عن ايوب بن كيسان السختياني

البصري

البصري مات سنة احدى وثلاثين ومائة وله خمس وستون سنة قال كان
محمد يعني ابن سيرين الانصاري ابو بكر البصري ثقة ثبت عابد كبير القدر لا يرى
الرواية بالمعنى مات سنة عشر ومائة اذا قص عليه رجل انه راى النبي
صلى الله عليه وسلم قال صف الذي رايته فان وصف صفة لا يعرفها
قال لم تره وانما رايت مثالا لا حيل لك انه مثاله اخرجه اسماعيل القاضي وسنده
صحيح قال الشامي وجرى عليه علما التعبير فاذا قيل للجاهل رايته يسيل عن
صفته فان وافقها فذاك والا فلا يقبل منه وقد اخرج الحاكم من طريق عاصم
ابن كليب ابن شهاب الجرمي الكوفي صدوق رمي بالارجاء روى له مسلم و
والاربعة ومات سنة بضع وثلاثين ومائة قال حدثني ابي كليب بن شهاب
ابن المجنون صدوق من كبار التابعين ووهم من ذكره في الصحابة روى له الاربعة
قال قلت لابن عباس رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال صفه
لي فذكرت الحسن بن علي فشبهته به لانه كان يشبهه كما قال الصديق وقد
حمله بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك كما في الصحيح قال قد
رايته فدل ذلك على ان رؤياه انما تصح لرائيه على صفته وسنده جيد اي مقبول
لكن يعارضه ما اخرجه ابن ابي عاصم من وجه اخر عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راني في المنام فقد راني فاني ارى
في كل صورة صورتي او غيرها وفي سنده ابن التومة بفتح الفوقية وسكون
الواو بعدها همزة مفتوحة صوابه صالح مولى التومة وهو صالح بن نبهان المدني
التابعي الصغير وهو صدوق اختلط فهو ضعيف لاختلاطه وهو من رواية
من سمع منه بعد الاختلاط قال ابن عدي لا باس برواية القدما عنه كابن ابي
ذيب وابن جريج مات سنة خمس او ست وعشرين ومائة روى له ابو داود والترمذي
وابن ماجة واخطا من زعم ان البخاري اخرج له قال القاضي ابو بكر محمد بن العربي
الحافظ الفقيه المالكي رؤيته صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة التي
كان عليها ادراك له على الحقيقة ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال
فان الصواب ان الانبيا لا تغيرهم الارض ويكون ادراك الذات الكريمة
حقيقة وادراك الصفات ادراك المثال لا الحقيقة فالاولى لا تحتاج الى تعبير
والثانية تحتاجه وللصوفية ما يوافق معنى هذا وان اختلف اللفظ حيث قالوا
هنا ميزان يجب التنبه له وهو ان الرؤيا الصحيحة ان يرى بصورته الثابتة
بالنقل الصحيح فان راه بغيرها كطويل او قصير او شيخ او شديد السمرة لم
يكن راه وحصول الجزم في نفس الرائي بانه راه غير حجة بل ذلك المرئي صورة
الشرع بالنسبة لاعتقاد الرائي او خياله او صفته او حكم من احكام الاسلام او هو
بالنسبة للمحل الذي راى فيه تلك الصورة قال القونوي كابن عربي وقد جربناه
فوجدناه لم ينخرم قال القاضي ابن العربي وقد شذ بعض القدرية فقال
الرؤيا من حيث هي للنبي او لغيره لا حقيقة لها اصلا لانهم حاولوا الوقوف
على حقيقتها بالعقل وهي لا تدرك به وهم لا يصدقون بالسمع فنفوا عنها

الحقيقة وقالوا انما هي حيا لات لا اصل لها كما بينه ابن العربي بنفسه وكذا غيره
قال ابن العربي وقوله فسيراني معناه فسيري تفسير ما رأي لانه حق
في نفس الامر وغيب عنا واما قوله فكانما راني فهو تشبيه ومعناه
انه لو رآني في اليقظة لطابق ما رآه في المنام فيكون الاول وهو رؤيته
يقظة حقا اي محققا وحقيقة والثاني اي رويا المنام حقا وتمثيلا قال
وهذا كله اذا رآه على صورته المعروفة بان كان صحابيا او تكررت عليه
صفته وتكررت من الكتب كما مر فان رآه على خلاف صفته فهي امثال اي امور
مشبهة له في المنام فتدل على ما يحصل له يقظة فان رآه مقبلا عليه مثلا
فهو خير للرائي وعلى العكس اي مدبرا عنه فبالعكس اي فهو شر للرائي
لكن لا يظهر تفريع هذا على ما قبله اذ مجرد رؤياه مقبلا او مدبرا لا ينافي انه رآه
على صفته الاصلية فالاولى لو مثل بنحو من رآه شيخا او شابا او جسما ملا البلد
الذي هو فيه وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بقوله فقد
رآني او فقد رأى الحق ان من رآه على صورته المعروفة في حياته
كانت رؤياه حقا ومن رآه على غير صورته كانت رؤيا تاويل بان
يؤول بما يناسب ما رآه من خير وغيره انتهى وتعقبه النووي فقال
هذا ضعيف بل الصحيح انه يراه حقيقة سواء كان على صفته
او غيرها انتهى وتبعه عليه بعض المحققين ثم قال فان قيل كيف يرى على
خلاف صورته ويراه شخصان في ليلة واحدة في مكانين والبدن الواحد انما يكون في
مكان واحد قلت التغيير في صفاته لا في ذاته مرئية فتكون ذاته مرئية وصفاته
متخيلة غير مرئية والادراك لا يشترط فيه تحقق الابصار ولا قرب المسافة ولا كون
المرئي ظاهرا على الارض او مدفونا فيها وانما الشرط كونه موجودا انتهى وتعقبه
شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فقال لم يظهر لي من كلام القاضي عياض
ما ينافي ذلك الذي ذكره النووي انه يراه حقيقة مطلقا بل ظاهر قوله اي كلام
عياض المذكور انه يراه حقيقة في الحالتين رؤياه على صورة حياته وعلى غيرها
لكن في الاولى الرؤيا مما لا يحتاج الى تعبير والثانية مما يحتاج
الى التعبير فاذا رآه على غير صورته كان المراد منها امرا يحصل للرائي
فهي حق من هذا الوجه وفي المفهم للقرطبي اختلف في معنى الحديث فقال قوم
من القاصرين هو على ظاهره فمن رآه في النوم رآه على حقيقته كمن يراه في
اليقظة سواء وهو قول يدرك فساده بادي العقل اذ يلزم عليه ان لا يراه
احد الا على صورته التي مات عليها وان لا يراه اثنان في وقت واحد في مكانين
وان يحيى الآن ويخرج من قبره ويمشي في الاسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه ويخلوا
قبره عنه فيزار مجرد القبر ويسلم على غايب لانه يرى ليلا ونهارا على اتصال
الاوقات وهذه جهالات لا يلتزمها من له ادنى مسكة من عقل وملتزم ذلك
مختل مخبول وقال بعضهم ولفظ القرطبي طايفة معناه ان من رآه على
صورته التي كان عليها فقد رآه حقا فهو شرط حذف جوابه او قوله على

صورته

صورته معمول لفقد رآني من رآه حقا رآه على صورته ويلزم من قول من قال
انها لا تكون الا على صورته المعلومة اخص منه قول القرطبي ويلزم
منه ان من رآه على غير صفته ان تكون رؤياه من اضغاث الاحلام والحال
نابي ذلك ومن المعلوم انه يرى في النوم على حالة تخالف حالته
في الدنيا من الاحوال اللايقة به ومع ذلك تكون تلك الرؤيا حقا كما لو رآه
ملا بلدا او دارا بجسمه فانه يدل على امتلا تلك البلدة بالحق والشرع وتلك
الدار بالبركة وكثيرا ما وقع ذلك هذا اسقطه الم من القرطبي ولو تمكن الشيطان
من التمثيل بشي مما كان عليه او ينسب اليه لعارض عموم قوله فان
الشيطان لا يتمثل بي اذ هو نفي مطلق فالاولى اي الاحق ان تنزه رؤياه
وكذا رؤيا شي منه كعمامته ونحوها او مما ينسب اليه عن ذلك فانه
ابلغ في الحرمة اي الاحترام والتعظيم واليق بالعصمة كما عصم من الشيطان
في يقظته بفتح القاف والصحيح في تاويل هذا الحديث ان مقصوده
ان رؤيته في كل حالة سواء كانت صفته ام غيرها ليست باطلة ولا اضغاثا
اخلاط احلام بل هي حق في نفسها ولو رؤي على غير صورته فتصور
تلك الصورة ليست من الشيطان بل من قبل الله تعالى مثل الله ذلك للرائي
بشرى فينبسط للخير او انذار فينزجر عن الشر تنبيها على خير يحصل وقد ذكرنا
ان المرائي في المنام مثلة المرئيات لا انفسها غير ان تلك الامثلة تارة تطابق
حقيقة الرائي وتارة لا تتم المطابقة وقد يظهر في اليقظة كذلك فالمقصود بتلك
الصورة معناها لا عينها ولذا خالف المثال صورة المرائي بزيادة او نقص او تغير
لون او زيادة عضو تنبيها على معاني تلك الامور هذا سقطه من كلام القرطبي
وهذا قول القاضي ابي بكر محمد بن الطيب ابن محمد القاضي المعروف بابن
الباقلاني الملقب بشيخ السنة ولسان الامة البصري ثم البغدادي المالكي واليه انتهت
رياسة المالكية في وقته وكان حسن الفقه عظيم الجدل وله بجامع المنصور ببغداد حلقة
عظيمة وورده عشرون ركعة كل ليلة ما تركها حضرا ولا سفرا واذا قضى ورده كتب
خمسا وثلاثين ورقة تصنيفا من حفظه مات سنة ثلاث واربعمائة وغيره
ويؤيده قوله فقد رأى الحق اشار اليه القرطبي في شرح مسلم وحاصل
كلامه ان رؤياه بصفته ادراك لذاته فلا يحتاج لتعبير وبغيرها ادراك لمثاله
فتحتاج الى التعبير وقال فسيراني في اليقظة يريد به اي يري تصديق
ذلك في اليقظة وصحتها اي يرى يقظة ما يصلح ان يكون تاويلا للرؤيا
وهذا ايضا اختاره ابن بطال نافيا قول من قال سيراه في الآخرة لانها لا تختص
بمن رآه مناما واجاب القاضي عياض عنه باحتمال ان تكون رؤياه له في
النوم علما للصفة التي عرف بها ووصف عليها في الاحاديث موجبة
لتكرمته في الآخرة وان تراه رؤيا خاصة من القرب منه عطف تفسير
لتكرمته اي بالقرب منه او الشفاعة بعلو الدرجة في الجنة زيادة على
الشفاعة العامة وعلى ادخال الجنة ونحو ذلك من الخصوصيات قال

عياض ولا يبعد ان يعاقب الله بعض المذنبين في يوم القيامة قبل دخول
الجنة بمنع رويته صلي الله عليه وسلم مرة فلا يضر قايل معني فسيراني في
اليقظة انه يراه في الاخرة كون امته جميعا يرونه فيها لانهم وان اشتركوا في
الروية يختلفون في وقتها وصفتها وحمله الامام ابن ابي جمرة بجيم وراء علي
محمل اخر فذكر عن ابن عباس او غيره انه راي النبي صلي الله عليه
وسلم في النوم فبقي بعد اليقظة متفكرا في هذا الحديث اي معني قوله
فسيراني في اليقظة فدخل علي بعض امهات المومنين لعلها خالته
ميمونة ان كان الراي ابن عباس لانه لم يجزم به اولا فاخرجت له المراة بكسر الميم
علي وزن فعلاه معروفة وجمعها مرايا كالنواصي كما في المصباح التي كانت للنبي صلي
الله عليه وسلم فنظر فيها صورة النبي صلي الله عليه وسلم لم ير
صورة نفسه فدل ذلك علي ان معناه رويته صورته في مراته ان امكن وما يخفي ان
هذا بعد الحاصل وقال الغزالي ليس معني قوله فقد راني انه راي جسمي
وبدني حقيقة وانما المراد انه راي مثالا صار ذلك المثال التي يتادي
بها المعني الذي في نفسي اليه وكذلك قوله فسيراني في اليقظة ليس
المراد انه يري جسمي وبدني بل المثال قال والالة تارة تكون حقيقية
وتارة تكون خيالية والنفس اي الذات غير المثال المتخيل فما راه من
الشكل ليس هو روح المصطفي ولا شخصه بل هو مثال له علي التحقيق
قال الغزالي ومثل ذلك من يري الله تعالي في المنام فان ذاته تعالي منزهة
عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته اي الامور التي تتعقل بها ذاته
تعالي الي العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره تقريبا لعقله ويكون
ذلك المثال الذي حقا في كونه واسطة في التعريف اي التعقل فيقول الراي
رايت الله عز وجل في المنام لا يعني اني رايت ذات الله تعالي بل يعني انه
راي مثالا علم به بعض صفاته المميزة له عن غيره كما تقول في حق غيره لان
روية ذات الله تعالي لا تجوز يقظة في الدنيا فكذا مناما لا انه يحقيقة بل مثالا لا
وقال الغزالي ايضا في بعض فتاويه من راي الرسول يعني في المنام لم ير
حقيقة شخصه المودع روضة المدينة اي قبرها اذ هي بين القبر والمنبر
كما في الحديث وانما راي مثاله لا شخصه ثم قال وذلك المثال مثال روحه
المقدسة عن الصورة والشكل فحاصله ان الراي ليس ذات الروح ولا الشخص
كما قاله قبل وقال الطيبي في شرح المشكاة المعني من راني في المنام باي صفة
كنت فليستبشر بفتح الباء والشين وليعلم انه قد راني الروية الحق اي روية
الحق لا الباطل وكذا قوله فقد راي الحق فالشرط والجزاء اذا اتحدا صورة دل
علي الغاية في الكمال اي فقد راني روية ليس بعدها شي اي فقد راي
حقيقتي علي كمالها لا شبهة ولا ارتياب فيما راي كما هو بقية كلام الطيبي زاد
الكرماني او هو في معني الاخبار اي من راني فاخبره بان رؤياه حق ليست من
اضغاث الاحلام ولا تخييلات الشيطان ومثله قوله صلي الله عليه وسلم اي اسامة

ابن

ابن زيد ان يطعنوا في امارته فقد كنتم تطعنون في امارة ابيه من قبله فيوول
ما لاخبار اي ان طعنتم فيه فاخبركم بانكم طعنتم في ابيه او يلازمه عند البيان
اي ان طعنتم فيه اثمتم بذلك والحاصل من الاجوبة المذكورة في قوله فسيراني
في اليقظة خمس تاويلات اولها انه علي التشبيه والتمثيل عطف تفسير
ويدل عليه قوله فكانما راني في اليقظة بنا علي ثبوته اذ هو بالشك
كما مر ثانيها معناه سيري في اليقظة تاويلها بطريق الحقيقة و
ثالثها انه خاص باهل عصره ممن امن به قبل ان يراه فيهاجر
ويراه رابعها المراد انه يراه في المراة التي كانت له ان امكنه ذلك قال
شيخ مشايخنا الحافظ ابن حجر وهذا من ابعد المحامل اذ لا دليل
عليه وروية ابن عباس او غيره ان ثبتت لا تدل علي التخصيص خامسها انه
يراه يوم القيامة بمزيد خصوصه من تحو قرب او شفاعة برفع درجاته
لا مطلق من راه حينيذ ممن يره في المنام وزيد سادس وهو انه يراه
في الدنيا حقيقة ويخاطبه وقال القرطبي من فوايد روياه صلي الله عليه وسلم
تسكين شوق الراي لكونه صادقا في محبته ليعمل مشاهدته والي ذلك الاشارة
بقوله فسيراني في اليقظة اي ان من راني روية معظم لحرمتي ومشتاق الي مشاهدتي
وصل الي روية محبوبه وظفر بمطلوبه قال ويجوز ان يكون مقصود تلك الروياء
معني صورته وهو دينه وشريعته فيعبر بحسب ما يراه الراي من زيادة او نقصانه
او اساءة او احسان قال الحافظ وهذا جوابه سابع والذي قبله لم يظهر لي وان ظهر
فهو ثامن والصواب كما قدمناه في رويته عليه السلام التعميم علي اي
حالة راه الراي لانه ظاهر الاحاديث الصحيحة اذ لم فيها بانه علي صورته
يشترط ان يكون علي صورته الحقيقية في وقت ما اي وقت كان سوا
كان في شبابه او رجوليته او كهوليته او اخر عمره وقد يكون لما خالف
ذلك تعبير يتعلق بالراي كما قال بعض علما التعبير ان من راه شيخا
فهو غاية سلم بالفتح والكسر صلح لان الشيخ لا حرب عنده غالبا ومن راه
شابا فهو غاية حرب لانه دابه الشبان وقال ابو سعيد احمد بن محمد ابن
نصر من راه نبيا اي بني كان علي حاله وهيئته فذلك دليل علي صلاح
حال الراي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ومن راه متغير الحال
عابسا مثلا فذاك دال علي سو حال الراي لان الارض لا تغير الانبيا
وهذا تقدم بمعناه عند ابن العربي وقال العارف الرباني عبد الله بن ابي
جمرة المغربي نزيل مصر عالم عابد خير من بيت كبير بالمغرب شهير الذكر
الشيطان لا يتصور بصورته اصلا فمن راه في صورة حسنة فذلك حسن
في دين الرايي وان كان في جوارحه شين او نقص فذلك خلل في الرايي
من جهة الدين فتدل روياه علي شين او نقص دينه قال وهذا الحق فقد
جرب ذلك فوجد علي هذا الاسلوب اي الطريق وبه تحصل الفايدة
الكبري في روياه حتي يتبين للرايي هل عنده خلل ام لا لانه عليه

السلام نور الهي مثل المراة الصقيلة ما كان في الناظر اليها من حسن
او غيره تصور فيه وهي في ذاتها على احسن حال لا نقص فيها
فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو على صفته التي ليس شيء احسن منها والتغير
انما هو في صفة الرائي وكذلك يقال في كلامه عليه السلام في النوم انه
يعرض على سنته فما وافقها فهو حق وما خالفها فالخلل في سمع
الرائي لانه لا يضبط ما يقال له فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو
في سمع الرائي او بصره قال وهذا خير ما سمعته اي احسن الوجوه التي
سمعتها في ذلك قال ويؤخذ من قوله فان الشيطان الخ ان من تمثلت صورة المصطفى
في خاطره من ارباب القلوب وتصور له في عالم سره انه يكلمه ان ذلك يكون
حقا بل هو اصدق من مرائي غيرهم انتهى كلام ابن ابي جمرة رحمه الله وقال
بعضهم ليست رؤياه صلى الله عليه وسلم في المنام رؤيا عين كرؤية اليقظة
انما يرى بالبصائر وذلك لا يستدعي حصر المرائي في محل بل يرى من
المشرق الى المغرب ومن الارض الى العرش كما ترى الصورة في المراة
المحاذية لها وليست الصورة منتقلة الى جرم المراة انما هي مثال وعين
الناظر مقابلة جميع الكائنات كالمراة واختلاف رؤياه صلى الله عليه وسلم
بان يراه بعضهم شيخا اي ما قابل الشاب فيشمل الكهل واخر شابا واخر ضاحكا
واخر باكيا يرجع الى الرائي كاختلاف الصورة الواحدة في مراء بزنة
نواص جمع مراة بكسر الميم مختلفة الاشكال والمقادير ففي المراة الكبيرة
يرى وجهه كبيرا وفي الصغيرة صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي
الطويلة طويلا الى غير ذلك فالاختلاف راجع الى اختلاف اشكال
المرائي جمع مراة لا الى وجه الرائي اذ لا تختلف ذاته كذلك الرائين له عليه السلام
بالنسبة اليه مختلفة فمن راه مقبلا اليه دل على ان الرائي متمسك بسنته
والله اعلم وفي الوردية

رؤيا محمد سرور كامله ○ وليس للشيطان ان يماثله

وقد اجاب الشيخ بدر الدين الزركشي عن سؤال رؤيته جماعة اضافة
بيانية له صلى الله عليه وسلم في آن واحد من اقطار نواحي متباعدة
مع ان رؤيته صلى الله عليه وسلم حق وهو حي في قبره يصلي فيه باذان
واقامة بانه صلى الله عليه وسلم سراج كما قال تعالى وسراجا منيرا ونور
الشمس في هذا العالم مثال نوره في العوالم بكسر اللام جمع عالم بفتحها الان هو
فاعل يجمع على فواعل وكما ان الشمس يراها كل من في المشرق والمغرب
في ساعة واحدة وهي في محلها بصفات مختلفة فكذلك النبي صلى الله
عليه وسلم اذ نوره اتم واعلا منها ولله در القائل

كالبدر من اي النواحي جئته ○ يهدي الى عينيك نورا ثاقبا
كالشمس في كبد السما وضوءها ○ يغشي البلاد مشارقا ومغاربا

وهذا الجواب نسبه بعضهم للصوفية قال هو باطل فانه صلى الله عليه وسلم يراه

زيد في بيته وعمرو كذلك في بيته بجملته والشمس انما ترى من اماكن عدة وهي في
مكان واحد فلو رؤيت داخل بيت بجرمها استحال رؤية جرمها داخل
بيت اخر وهذا هو الذي يجوز رؤيته صلى الله عليه وسلم في بيتين والاشكال
انما يرد في رؤيته في مواضع عدة واذا ورد بحسب ما قلنا فلا يتجه الجواب الا باثبات
الامثال وتعددها بالمرائي في ان واحد في مكانين مثلا لانه فلا اشكال واما رؤيته
صلى الله عليه وسلم في اليقظة بفتح القاف بعد موته عليه السلام فقال
شيخنا السخاوي لم يصل الينا ذلك عن احد من الصحابة ولا عن من
بعدهم كالتابعين ولم يرد في ذلك شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ما قد يؤخذ
من قوله فسيراني في اليقظة على احد الاحتمالات بخلاف حديث رؤياه مناما فقال
السيوطي انه متواتر وايد عدم الورود بقوله وقد اشتد حزن فاطمة رضي الله
عنها عليه صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمدا بفتح فسكون وبفتحتين
حزنا شديدا بعده بستة اشهر على الصحيح الثابت في البخاري وغيره
عن عايشة وقيل بثمانية اشهر وقيل اربعة وقيل شهرين وقيل غير ذلك وبيتها
مجاور لضريحه اي قبره الشريف ولم ينقل عنها رؤيته في المدة التي
تاخرت مماتها عنه فلو كان يرى في اليقظة لرأته لاشتداد حزنها ولم يقع ذلك اذ
لو وقع لنقل ورد هذا بان عدم نقله لا يدل على عدم وقوعه ونقض بانه ظاهر لو
جعله المانع دليلا قطعيا على انه لا يرى يقظة وانما جعله ظاهرا في عدم وقوعه
لفاطمة وقول غيرها انه راه يقظة مؤول غايته انه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في
الفاضل وانما حكي عن بعض الصالحين حكايات عن انفسهم انهم راوه
يقظة كما هو في كتاب توثيق عرى الاسلام للبارزي القاضي شرف الدين وبهجة
النفوس وتحليها بمعرفة ما عليها ولها لابي محمد عبد الله بن ابي جمرة وهو اسم
لشرحه على الاحاديث التي انتخبها من البخاري وروض الرياحين للعفيف
اليافعي وغيره من تصانيفه والشيخ صفي الدين بن ابي المنصور في رسالته
وعبارة ابن ابي جمرة في بهجة النفوس في قوله صلى الله عليه وسلم من راني في
المنام فسيراني في اليقظة هل هذا على عمومه في حياته وبعد مماته او في حياته وهل
ذلك لكل من راه مطلقا او خاص بمن فيه الاهلية والاتباع لسنته اللفظ يقتضي
العموم ومدعي الخصوص بغير تخصيص عنه عليه السلام متعسف فان خرق
العادة قد يقع للزنديق اغواء واملاء ثم ذكر ما تقدم عن ابن عباس او غيره من رؤية
صورته في مراته ثم قال قد ذكر عن السلف لعله اراد بهم من دون من بعد الصحابة
فلا ينافي ما قدمناه عن شيخه او ان نفي السخاوي انما هو من جهة اصطلاح
المحدثين بالاسانيد ولو ضعيفة والخلف الى هلم جرا قال الشيخ جمال الدين
ابن هشام هذا كلام مستعمل في العرف كثيرا وذكره الجوهري فقال تقول كان ذلك
عام كذا وهلم جرا الى اليوم وفي عباب الصغاني مثله وقال ابن الانباري معناها
سيروا على هينتكم اي تثبتوا في سيركم ولا تجهدوا انفسكم ماخوذ من الجر وهو
ترك الابل والغنم ترعى في السير وقال ابو حيان في الارتشاف هلم جرا معناه

نقال علي هيئتك ونصب جرا على انه مصدر في موضع الحال اي جارين قاله
البصريون وقال الكوفيون مصدر لان معنى هلم جر وقيل نصب على التمييز
واول من قاله عابد بن زيد قال
فان جاوزت مقفرة رمت بي … الى اخرى كتلك هلم جرا
وتوقف ابن هشام في كونه عربيا محضا واطال في بيانه باربعة اوجه منها
ان الجوهري لا يقبل ما تفرد به كما قال ابن الصلاح ولم ينقله لغوي قبله والصغاني
تبعه ثم قال الظاهر لي على انه عربي ان هلم هي القاصرة بمعنى ايت وتعالى
الا ان فيها تجوزين احدهما ليس المراد المجي الحسي بل الاستمرار على الشي والمداومة
عليه والثاني انه ليس المراد الطلب حقيقة بل الخبر عبر عنه بالطلب كما في فليمدد
له الرحمن وجرا مصدر جره اذا سحبه لكن ليس المراد الحسي بل التعميم فاذا قيل كان
ذلك عام كذا وهلم جرا فكانه قيل واستمر في بقية الاعوام استمرارا فهو مصدر او
استمر مستمرا فهو حال موكدة وبهذا ارتفع اشكال العطف فان هلم حينئذ خبر
واشكال التزام افراد الضمير اذ فاعل هلم مفرد ابدا عن جماعة كانوا يصدقون بهذا
الحديث يعني من راني في المنام فسيراني في اليقظة انهم راوه صلى الله
عليه وسلم في النوم فراوه بعد ذلك في اليقظة وسالوه عن اشيا كانوا
منها متشوشين فاخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجوه التي منها
يكون فرجها فجا الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص قال السيوطي واكثر ما يقع
له ذلك انما يقع له قرب موته او عند الاحتضار ويكرم الله من يشا قال ابن ابي جمرة
والمنكر لهذا لا يخلوا اما ان يكون ممن يصدق بكرامات الاوليا او لا يصدق
بها فان كان الثاني فقد سقط البحث معه فانه يكذب ما اثبتته السنة
اقواله وافعاله وتقريره وهمه وعزمه صلى الله عليه وسلم بالدلايل اي الدلالات
الواضحة جمع دلالة وهي ما يقتضيه اللفظ عند اطلاقه لا جمع دليل فلا يرد انه
لا معنى لاثبات السنة بالدلايل اذ هي نفسها او المراد بالسنة ما نقل عنه صلى الله عليه
وسلم مما يدل على ثبوت الكرامات وبالادلة المثبتة لها الطرق الموصلة الى العلم بها
اي باسانيدها او المراد اهل السنة بتقدير مضاف او استعمل السنة في اهلها مجازا
او الباء للتصوير لا متعلقة باثبتته اي السنة التي هي الدلايل او المراد الاحاديث
الواضحة الدلالة في اثبات كرامات الاوليا وان كان الاول فهذه منها لان الاوليا
يكشف لهم بخرق العادة عن اشيا في العالمين العلوي والسفلي عديدة
صفة اشيا مع التصديق بذلك اي منهم لظهور مطابقته للواقع عندهم
او ممن علموا به حيث صدقوا بما اخبروا به ولم ينكروه عليهم وهو حال من الحالي
لهم او متعلق بيكشف وقال الشيخ ابن ابي المنصور في رسالته ويقال
ان الشيخ ابا العباس القسطلاني دخل مرة على النبي عليه
وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الله بيدك يا احمد وعن
الشيخ ابي السعود بن ابي العشاير بن سفيان بن الطيب الواسطي ثم المصري
ذكره الحافظ المنذري في معجم شيوخه واثنى عليه وكان من اوسع الاوليا دايرة

في

في السلوك وله كرامات وخوارق وكلام عال في الحقايق مات سنة واربعين وستماية
ودفن بالقرافة فقال كنت ازور شيخنا ابا العباس البصير احمد بن محمد بن
عبد الرحمن الانصاري الخزرجي الاندلسي برع في علوم الشرع ببلاده ثم
سافر على قدم التجريد فدخل الصعيد ثم اقام بالقاهرة يقرئ الناس ويفيدهم
اجاز سبعة الاف رجل بالقراات السبع وكان بارعا في الحديث حافظا لمتونه
عارفا بعلله ورجاله حسن الاستنباط بذهن وقاد مات سنة ثلاث وعشرين
وستماية وغيره من صلحا مصر فلما انقطعت واشتغلت وفتح علي
لم يكن لي شيخ الا النبي صلى الله عليه وسلم وذكر انه كان
يصافحه عقب كل صلاة وذلك يقظة وحسبه بذلك شرفا وقال الشيخ
ابو العباس بن ابي بكر الحرار بمهملات كما في الكواكب المضية السعدي الاشبيلي
العابد الزاهد صاحب الكرامات قدم مصر واقام بها ومات بعد الستماية
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم مرة فوجدته يكتب اي يامر بان يكتب
مناشير جمع اي كتب الاوليا بالولاية قال وكتب لاخي محمد معهم منشورا
كبيرا فقلت يا سيدي يا رسول الله ما تكتب لي كاخي قال اتريد ان تكون
فصارا وهذه لغة اندلسية بفتح الالف والدال وضم اللام اقليم بالمغرب يعني
طرقيا وخاطبه بها لانه من المغرب وفهم عنه ان له مقاما غير هذا وقال حجة
الاسلام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال وهم يعني ارباب القلوب
في يقظتهم يشاهدون الملايكة على غير صورهم الاصلية وارواح الانبيا
ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون اي يكتسبون منهم فوايد ثم
يترقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق
النطق انتهى كلام الغزالي بما زدته ورايت في كتاب المنح الالهية في مناقب
السادات الوفائية عن سيدي علي بن سيدي محمد وفا العارف
الكبير بن العارف الشهير الغنيين بالشهرة عن التعريف وتقدم بعضه انه
قال في بعض مشاهده كنت وانا ابن خمس اقرا القران على رجل يقال
له الشيخ يعقوب فاتيته يوما فرايت انسانا يقرا على سورة والضحى
وصحته رفيقه له وهو علوي بميل شديد جانبي فمه بالامالة ورقته
يضحك اعجابا بقراة القاري ومقتضى علوي شدقيه انها لم تكن حسنة ولعله
حكمة امره عليه السلام لسيدي علي بالقراة ثم رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يقظة لا مناما محل الشاهد وعليه قميص ابيض قطن ثم رايت القميص
علي فقال اقرا فقرات عليه سورة والضحى والم نشرح ثم غاب عني فلما
بلغت احدى وعشرين سنة احرمت بصلاة الصبح بالقرافة بزاويتهم
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم قبالة وجهي فعانقني فقال لي واما
بنعمة ربك فحدث فاوتيت لسانه من ذلك الوقت بان صرت اتكلم بالكلام
الجامع المشتمل على الحكم الكثيرة والمواهب الربانية انتهى وصح هذا ايضا
انه يقظة واما ما حكاه الشيخ تاج الدين ابو العباس احمد بن محمد بن

عبد الكريم بن عطاء الله الجذامي الاسكندري الامام المتكلم على طريقة الشاذلية كان جامعا لانواع العلوم من تفسير وحديث ونحو واصول وفقه مالكي وتصوف وكان اعجوبة زمانه فيه وله تصانيف كثيرة كاختصار المدونة للبرادعي مات سنة سبع وسبعماية ودفن بالقرافة في لطايف المنن في مناقب الشيخ ابي العباس والشيخ ابي الحسن عن الشيخ ابي العباس المرسي بضم الميم نسبة الى مرسية مدينة بالمغرب احمد بن عمر الانصاري المالكي العارف الشهير قطب زمانه وراس اصحاب ابي الحسن الشاذلي مات بالاسكندرية سنة ست وثمانين وستماية انه كان مع الشيخ ابي الحسن الشاذلي بمعجمة ومهملة الشريف علي بن عبد الله ابن عبد الجبار العلوي الهاشمي من ذرية محمد بن الحنفية قال ابن دقيق العيد ما رايت اعرف بالله منه وقال ابن عطاء الله نشا بالغرب الاقصى وسيدا ظهوره بشاذلة وله السياحات الكثيرة والمنازلات الجليلة والعلوم الكثيرة لم يدخل في طريق الله تعالى حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة ذو علوم جمة جا في هذا الطريق بالعجب العجاب وشرح من علم الحقيقة الاطناب ووسع للسالكين الركاب وكان العز بن عبد السلام يحضر مجلسه ويسمع كلامه مات سنة ست وخمسين وستماية بالقيروان بفتح القاف والراء والواو بلد بافريقية في ليلة الجمعة سابع عشرين رمضان فذهب معه الى الجامع الحكاية الى ان قال ورايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس الخ فيحتمل ان يكون مناما لانه لم يصرح وكذلك الشيخ قطب الدين القسطلاني كنت امرا على ابي عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبي بالمدينة النبوية لمحبته يوما في وقت خلوة وانا يومئذ حديث السن فخرج الي وقال من ادبك بهذا الادب وعاب علي المجي هذا الوقت ومراده تربيتي وتاديبي فذهبت وانا منكسر الخاطر فدخلت المسجد النبوي وقعدت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا جالس على تلك الحال واذا بالشيخ قد جاني وقال لي قد جاءك شفيع ولا يرد بجيه النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه جاه في المنام ونحوه ما حكاه السهروردي بضم السين وسكون الهاء وضم الراء وفتح الواو وسكون الواو ومهملة نسبة الى سهرورد بلد بزنجان العلامة العارف شهاب الدين عمر تقدم بعض ترجمته في عوارف المعارف عن الشيخ عبد القادر ابن موسى بن يحيى الشريف الحسني الكيلاني بكاف او جيم مكسورتين ولد ببغداد سنة سبعين واربع ماية وحسبك فيه قول العز بن عبد السلام بلغت امامته مبلغ القطع ومات ببغداد سنة نيف وستين وخمسماية مناقبه شهيرة كثيرة انه قال ما تزوجت حتى قال لي النبي صلى الله عليه تزوج فيحتمل انه منام وحكي عن السيد نور الدين الايجي بالكسر وتحتية وجيم نسبة الى ايج بلد بفارس والد السيد عفيف الدين انه في بعض زياراته للنبي صلى الله عليه وسلم سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف عليك

السلام

السلام يا ولدي فهذا من سماع الصوت وان لم يكن برويه وقال البدر حسن ابن الاهدل في مسألة الرؤية له ان وقوعها للاوليا قد تواترت به الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك لاستحالة الكذب مع التواتر ومن تواترت عليه اخبارهم لم يبق له فيه شبهة ويكون يقع في بعض غيبة حس وغموض ظهر لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة ومراتبهم في الرؤية المذكورة من شبه اليقظة متفاوتة باعتبار مقاماتهم فبعضهم اعلا فيها من بعض واعترض هذا بانه سوء ظن بهم حيث يشتبه عليهم روية الغيبة برؤية اليقظة وهذا لا يظن بادون العقلا فكيف بالاكابر وكثيرا ما يغلط فيها رواتها فقلما نجد رواية متصلة صحيحة عن من نوثق به لان غالبهم يكتمون الامر واما من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناما او في غيبة حس فيظنه يقظة وقد يرى خيالا او نورا فيظنه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يلبس بكسر البا يخلط عليه الشيطان لعدم تمكنه اما المتمكن فلا كما حكي ان العارف الكيلاني راى مرة نورا ملأ الافق ونودي منه انا ربك وقد ابحت لك المحرمات فقال اخسأ يا لعين فانقلب النور دخانا وظلاما فقال نجوت مني بتفقهك في احكام منازلاتك وقد اضللت بهذه سبعين صديقا فقيل بم عرفت انه الشيطان قال بقوله ابحت لك المحرمات فيجب التحرز في هذا الباب فان رويته صلى الله عليه وسلم في اليقظة بابه ضيق وقل من يقع له ذلك الا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدمت غالبا مع انا لا ننكر من يقع له من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى في بواطنهم وظواهرهم قاله ابن الحاج في المدخل قال وقد انكر بعض علما الظاهر روية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لان العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبي في دار البقا والرائي في دار الفنا ورده الشيخ ابو محمد بن ابي جمرة ان المومن اذا مات يرى الله تعالى وهو لا يموت والواحد منهم يموت في كل يوم سبعين مرة انتهى وتامل معنى موت الواحد في اليوم سبعين مرة وفي روض الرياحين عن المرسي لما جا الغلا الكبير الى مصر توجهت لان ادعو فقيل لي لا تدع فلا يسمع لاحد منكم في هذا الامر دعا فسافرت الى الشام فلما وصلت الى قرب ضريح الخليل عليه السلام تلقاني فقلت يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك الدعا لاهل مصر فدعا لهم ففرج الله عنهم قال اليافعي قوله تلقاني الخليل قول حق لا ينكره الا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الاحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السموات والارض وينظرون الانبيا احيا غير اموات كما نظر النبي صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام في الارض وينظره ايضا هو وجماعة من الانبيا في السموات وسمع منهم مخاطبات انتهى وبالجملة فالقول برويته صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الراس في اليقظة يدرك فساده باوايل العقول مباحثها بدون احتياج الى تامل لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه في الاسواق وقد لا يلزم ذلك اذ من الجائز ان يكشف لهم عنه وهو في قبره ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وهم في اماكنهم وهو في صورته ولا احد [illegible] ذلك وخلو قبره عن جسده الشريف فلا يبقى منه

قد شي بحيث يرا محمد الغير ويسلم علي غايبه وقد علمت ان ذلك هو
ليس بلازم كما يري الغدران والنجوم في اقطار الارض شرقا وغربا وهي في اماكنها
اشار الي ذلك القرطبي الامام ابو العباس في المفهم في الرد علي من قال
بان الرايي له في المنام رويا حقيقية يراه بعد ذلك في اليقظة زاعما ان
معني من راني في المنام فسيراني في اليقظة قال القرطبي وهذه جهالات
لايقول بشي منها من له ادني مسكة بضم الميم شي يمسكه من المعقول
وملتزم شي من ذلك فضلا عن جميعه مختل مخدوع مخبول مجنون ولا
شك في ذلك ان الترمه اما ان قال بما اولناه فلا وقال القاضي ابو بكر ابن
العربي الفقيه الحافظ وشذ بعض الصالحين فزعم انها تقع بعيني الرا
حقيقة فجعله شاذا لا يعتد به لعدم امكانه عنده وقال في فتح الباري بعد
ان ذكر كلام ابن ابي جمرة المتقدم قريبا وهذا مشكل جدا ولو حمل علي ظاهره
لكان هولا اصحابه ولامكن بقا الصحبة الي يوم القيامة واجيب بان
شرط الصحبة رويته علي الوجه المتعارف قبل موته صلي الله عليه وسلم لابعده وان
كان حيا في قبره وهذه خوارق والخوارق لا تنتقض لاجلها القواعد وللشيخ مسلم
شيخ الطايفة المسلمية

فمن يدعي في هذه الدار انه ... يري المصطفي حقا فقد فاه مشتطا
ولكن بين النوم واليقظة التي ... تباشر هذا الامر مرتبة وسطا

وقد جعل القاضي ابو بكر بن العربي القول بان الرويا في المنام بعين الراس
غلوا تجاوز حد وحماقة قلة عقل ثم حكي ما نسب لبعض المتكلمين وهو القول
بانها مدركة بعينين في القلب وانه ضرب من المجاز انتهي فاذا قيل ذلك
في رويا المنام فما بالك برويته اليقظة فلا يمتنع سيما فعاله في قوله انه يتمثل منه
لخواص ارباب القلوب النيرة السليمة من الاغيار القايمين بالمراقبة لله في
اقوالهم وافعالهم والتوجه علي قدم الخوف بحيث لايسكنون اي لايركنون لشي
مما يقع لهم من الكرامات بحيث يعولون عليها ويرون ان لهم مقاما فضلا عن
التحدث بها لغير ضرورة مع السعي في التخلص من المكدرات والاعراض
عن الدنيا واهلها جملة وكون الواحد منهم يود انه يخرج من اهله وماله
مع عزتهما علي البشر وانه يري النبي صلي الله عليه وسلم كالشيخ عبد القادر
الكيلاني ان يتمثل صورته صلي الله عليه وسلم في خاطره ويتصور في عالم
سره انه يكلمه بشرط استقرار ذلك وعدم اضطرابه فان تزلزله
او اضطرب كان لمة مصدر محذوف الزوايد من الم الماما من الشيطان
وليس ذلك خادشا في علو مناصبهم مقاماتهم لعدم وجوب عصمة غير
الانبيا والملايكة وانما هي جايزة للغير فقد قال العلامة التاج ابن السبكي
في جمع الجوامع في الباب الخامس تبعا لغيره وان الالهام لفظه مسئلة الالهام
ايقاع شي في القلب يثلج له الصدر يخص الله به بعض اصفيايه وليس
بحجة لعدم ثقة من ليس معصوما بخواطره لانه لا يامن دسيسة الشيطان

فيها

فيها خلافا لبعض الصوفية في قوله انه حجة في حقه اما المعصوم كالنبي
صلي الله عليه وسلم فهو حجة في حقه وحق غيره اذا تعلق بهم كالوحي وحينئذ
فمن قال ممن حكينا عنه او غيره بان المرايي هو المثال لا يمتنع
حمله علي هذا الذي قلناه انه يتمثل صورته في خاطره الخ لا حقيقة الروية
بل حمل كل من اطلق انه راه حقيقة عليه اي علي هذا التاويل هو اللايق
وقريب منه قوله صلي الله عليه وسلم في حديث صلاة الكسوف اني
رايت الجنة والنار مع مزيد استبعاد هناك اي في هذا الحديث ان
يكون المراد بالروية العلم لبعده من لفظه وهو قوله صلي الله عليه وسلم
ما من شي لم اكن رايته الا رايته في مقامي هذا حتي الجنة والنار الحديث في
الصحيحين ويحكي عن الشيخ ابي العباس المرسي انه قال منذ كذا
لو حجب عني رسول الله صلي الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت
نفسي من المسلمين الكاملين لدلالة الحجب علي تقصير مني وعلي هذا فيكون
معني قوله فسيراني في اليقظة اي يتصور مشاهدتي ويتنزل نفسه
حاضرا معي لا بمجرد تصور وتنزيل بل بحيث لا تخرج عن ادابه وسنته
صلي الله عليه وسلم بل يسلك منهاجه طريقته ويمشي علي شريعته
وطريقته ومنه قوله عليه السلام في الاحسان الاخلاص او الاجادة هو
جوابا لسوال جبريل ان تعبد الله كانك تراه يعني انك مطلعا علي جميع
احوالك حتي كانك تشاهده عيانا فلا تنحرف عن الطريقة التي يمحه الشرع
وادي اليه طريق المعرفة وهذا من جوامع الكلم لجمعه مع الايجاز بيان المراقبة
في كل حال وهو الاخلاص في جميع الاعمال والحث عليه بحيث لو فرض انه
غايبة لم يترك شيا من ممكنه ويحمل العموم في قوله من راني علي المومنين
لا عموم الفاسق ويكفي في صدق العامة عمومه في فرد واليه يشير قول بعض
المتنورين وهو الشيخ ابو العباس القرطبي في المفهم في قوله فسيراني في
اليقظة اي من راني روية معظم لحرمتي قال ابن عربي التعظيم ملاحظة
الجلال بلواحظ الوقار وعلي بساط الادب في مقام المعرفة تعظيم قدر الملحوظ قال
والحرمة تعظيم مرهاب بالغيب والشهادة وحقيقتها الامتناع من تعدي الحد
ومشتاق لمشاهدتي وصل الي روية محبوبه وظفر بكل مطلوبه
قال الحافظ وهذا لم يظهر لي وان ظهر فهو ثالث من الاجوبة كما مر وقريب
منه قول شارح المصابيح او معني الحديث انه يراه في الدنيا حالة
الذوق والانسلاخ عن العوايق الجسمانية بكسر الجيم كما نقل ذلك
عن بعض الصالحين انه راه في حالة الذوق قال ابن عربي هو ادراك
في القلب يميز به بين اشخاص اصناف المعاني هذا اذا صح من علة داء الشرك الخفي
وحقيقته وجدان حلاوة في رياض روض الرضي وغايته الاستغنا في تصور
معاني الحقايق عن نصب الادلة والبراهين السمعية والعقلية وقال غيره الذوق
اول مبادي التجليات والشرب اوسطها والري نهايتها والاذواق التي يشير

لها الفهوم هو علوم لا تنال الا لمن كان خالي القلب عن جميع العلائق والعوائق
والشوق قال بعضهم يعنون به خواص فهو المحبة بشدة ميلها الى لحاق المشتاق
بمشوقه والعاشق بمعشوقه وقال ابن عربي الشوق انزعاج اثاره تعشق مسموع
يوجب الاستشراف الى القرب وحقيقته طلب يتعلق بمطلوب حجبه البعد يصحبه
قلق وغايته تمني النفس ما لا بد لها منه ولا قدرة لها على التوصل ولا اقتدار لها على
حصوله **وقد قال الشيخ الاهدل عقب الحكاية** السابقة **عن الشيخ
ابي العباس المرسي** لو حجب الى اخره **وهذا فيه تجوز يقع مثله في
كلام الشيوخ** جمع شيخ وحقيقته عند الصوفية الانسان البالغ في علم الشريعة
والطريقة والحقيقة الى حد من بلغه كان عالما ربانيا مربيا هاديا مهديا مرشدا
الى طريق الرشاد معينا لمن اراد الاستعانة به على بلوغ رتب اهل السداد وذلك بما
وهبه الله من العلم اللدني الرباني والطب المعنوي الروحاني فهو طبيب الارواح الشافي لها
بما علمه الله من ادوية ادوائها المردية لها **وذلك ان المراد انه لم يحجب حجاب
غفلة ونسيان** ولم يحجب عن **دوام المراقبة** المحافظة قال تعالى كنت انت الرقيب
عليهم اي الحفيظ وهي عند الصوفية الملاحظة لما هو المقصود بالتوجه ظاهرا وباطنا
ويندرج فيها الرعاية والحرمة **واستحضارها في الاعمال والاقوال ولم
يرد انه لم يحجب عن الروح الشخصية طرفة عين فذلك مستحيل**
فلا يريده العارف المرسي وتعقب هذا بانه ان اراد الاستحالة العقلية فباطل والشرعية
فمن اي دليل وقاعدة اخذ ذلك كل الا استحالة لذلك بوجه **والله اعلم** بما اراده ورسوله
عليه السلام **ومما اختص به عليه السلام ان التسمي باسمه** المعهود
المشتهر به وهو محمد واحمد وبدليل احاديث الترجمة التي ذكرها **ميمون**
اي مبارك بركة تامة لا توجد في التسمي باسم غيره من الانبيا وان كان فيها ايضا بركة
والتسمية بها مستحبة لقوله صلى الله عليه وسلم تسموا باسما الانبيا واحب الاسما
الى الله عبد الله وعبد الرحمن الحديث رواه ابو داود والنسائي لانهم سادة الخلق واخلاقهم
اشرف الاخلاق واعمالهم اصلح الاعمال فاسماؤهم اشرف الاسما فالتسمي بها فيه شرف
للمسمى وحفظها وذكرها وان لا ينسى فلذا ندب مع المحافظة على الادب قال ابن القيم
هذا هو الصواب وكان مذهب محمد كراهته ثم رجع **ونافع في الدنيا والاخرة** ان
سماه تبركا به وحبا له لا لكونه اسم احد ابائه او اسم نحو امير ويشهد له ما رواه
ابن عساكر وابن بكير عن ابي امامة مرفوعا من ولد له مولود فسماه محمدا حبا لي
وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة قال السيوطي هذا مثل حديث ورد في هذا
الباب واسناده حسن ونازعه تلميذه الشامي فقال وليس كذلك ففي سنده ابو
الحسين حامد بن حماد العسكري شيخ ابن بكير فيه قال في اللسان كالميزان
خبره هذا موضوع وهو افته وشيخه اسحق بن يسار مجهول **وروينا** بما
اخرجه الحافظ ابو طاهر السلفي من طريق حميد الطويل **عن انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبدان بين يدي الله تعالى فيامر
الله بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا**

يجازينا

يجازينا اي يجازينا الله بذلك العمل **الجنة** بان يجعله سببا لدخولها فاسناد المجازاة
للعمل مجاز عقلي من اسناد الفعل الى سببه وفي نسخة تجازينا به الجنة وهي ظاهرة
فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فاني اليت اي جعلت **على نفسي** والايلا انما
يتعدى بعلى للمحلوف عليه وضمن في قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم معنى البعد
فعدي بمن كما في البيضاوي فكان الظاهر اليت على **ان لا يدخل** لكنه ضمن معنى
فرضت او كتبت على نفسي انه لا يدخل **النار من اسمه احمد ولا محمد** وهذان
العبدان احدهما احمد والاخر محمد ويحتمل ان كلا اسمه احمد ومحمد **وروى ابو
نعيم عن نبيط** بضم النون وفتح الموحدة وسكون التحتية وطا مهملة **ابن
شريط** بفتح المعجمة وكسر الرا كما في الجامع والاصابة فلا عبرة بقول القاموس
كزبير فاهل الفن اعلم به ابن انس بن مالك بن هلال الاشجعي نزل الكوفة له ولابيه
صحبة روى احمد عنه اني لرديف ابي في حجة الوداع اذ تكلم النبي صلى الله عليه
وسلم فوضعت يدي على عاتق ابي فسمعته يقول ان دماكم واموالكم عليكم حرام الحديث
واخرجه البغوي وابن السكن من وجه اخر عن نبيط بن شريط عن ابيه قال ابو
الي جابر بني نبيط بعد النبي صلى الله عليه وسلم زمانا **قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اعذب احدا
يسمى باسمك** احمد او محمد **في النار** بل اعفو عنه **وعن علي بن ابي طالب قال
ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد او محمد الا قدس الله
ذلك المنزل كل يوم مرتين رواه ابو منصور الديلمي** وهو موقوف لفظا
مرفوع حكما اذ لا مدخل فيه للراي وقد ورد مرفوعا اخرج ابن عدي عن جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اطعم طعام على مائدة ولا جلس عليها وفيها
اسمي الا وقدسوا كل يوم مرتين وفيه احمد بن كنانة قال

وقال في اللسان كالميزان حديث مكذوب وتعقب ذلك السيوطي فقال فقد وجدت للحديث
طريقا اخر ليس فيه احمد بن كنانة اخرجه ابو سعد النقاش في معجم شيوخه عن
... ورجاله ثقات انتهى وحديث علي المذكور شاهد له واخرج الحاكم في تاريخه
والديلمي والخطيب عن علي رفعه اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه واوسعوا له في المجلس
ولا تقبحوا له وجها اي لا تقولوا له قبح الله وجهك او لا تنسبوه الى القبح في شي
من اقواله وافعاله وكنى بالوجه عن الذات واخرج البزار عن ابي رافع مرفوعا
اذا سميتم محمدا فلا تضربوه ولا تحرموه وروى البزار وابو يعلى والحاكم عن انس
رفعه تسمونهم اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وهذا استفهام انكاري بحذف الاداة انكر
اللعن اجلالا للاسم كما منع ضرب الوجه تعظيما للصورة ادم وشذ من اخذ من الحديث
منع التسمية به لان مدلوله النهي عن لعن من اسمه محمد لا عن التسمية به واخرج
الطرابلسي وابن الجوزي عن علي مرفوعا ما اجتمع قوم قط في مشورة وفيهم رجل
اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك فيه وذكر بعض الحفاظ انه لم يصح

في فصل التسمية بمحمد حديث وزعم ابن تيمية انه كلما ورد فيه منقضب وروي ابن سعد
مرسلا ما ضر احدكم لو كان في بيته محمد او محمدان وثلاثة وقال مالك ما كان في اهل بيت
اسم محمد الا كثرت بركته وفي فتاوي السخاوي ما رواه ابو شعيب الحراني عن عطا
من اراد ان يكون حمل زوجته ذكرا فليضع يده علي بطنها وليقل ان كان ذكرا فقد
سميته محمدا فانه يكون ذكرا لم يرد مرفوعا ورفع بعضهم له اورده ابن الجوزي في
الموضوعات **و**منها انه **ليس لاحد ان يتكني بكنيته** المشهورة المعروفة
له قديما **ابي القاسم** باسم اكبر اولاده عند الجمهور او لانه يقسم الجنة بين اهلها او
لقوله اني جعلت قاسما اقسم بينكم قال المص في اسمايه كنيته المشهورة ابو القاسم كما جا
في عدة احاديث صحيحة ويكني بابي ابراهيم كما في حديث انس في مجي جبريل وقوله السلام
عليك يا ابا ابراهيم وبابي الارامل ذكره ابن دحية وبابي المومنين ذكره غيره انتهي
سوا كان اسمه محمدا ام لا لظاهر حديث الصحيحين عن انس قال نادي رجل رجلا
بالبقيع يا ابا القاسم فالتفت اليه صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لم اعنك
انما دعوت فلانا فقال يا رسول الله اني لم اعنك انما دعوت فلانا فقال صلي الله عليه
وسلم فتسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ومنهم اي العلما من كره الجمع بين الاسم والكنية
وجواز الافراد اي التسمي باحدهما ويشبه ان يكون هو الاصح اذ سبب النهي اشتهاره
بابي القاسم ولذا لا يكره تكنية من اسمه محمد بابي ابراهيم وابي الارامل وابي المومنين
وان كني بها المصطفي لانه لم يتاذي بشي منها وفرقا لصلي الله عليه وسلم
لولا اكره ان احول كنيتي التي عرفت بها لتكنيت بابي ابراهيم كما به كناني جبريل رواه
الطبراني ومن الغريب انه قيل بحرم التسمي بمحمد والتسمي بالقاسم لئلا يكني ابوه
ابا القاسم حكاهما المازري في شرح مسلم وتبعه النووي فاما الثاني فمحتمل واما الاول
فقد قام الاجماع علي خلافه **قال النووي في هذه المسيلة مذاهب** فقيلها
فقال **الشافعي منع مطلقا** لمن اسمه محمد وغيره في حياته وبعده **وجوز**
مالك الجميع بينها لمن اسمه محمد ولغيره بعده وبه قال اكثر العلما كما قال عياض
والثالث يجوز لمن ليس اسمه محمدا ومن جوز خص النهي بحياته
لانه صلي الله عليه وسلم اذن لعلي وغيره ان يسموا من يولد لهم بعده محمدا ويكنونه
بابي القاسم فعلم من اذنه اختصاص النهي بحياته ودعوي انه خص به عليا لا دليل
عليها اذ اباح لغيره ذلك ايضا ولذا رجحه النووي فقال **وهو الاقرب** وان كان
الاصح عند الشافعية الاطلاق **انتهي** وحكي غيره المنع مطلقا في حياته والتفصيل
بعده بين من اسمه محمد او احمد فيمنع والا فيجوز قال الحافظ وهذا اعدل المذاهب
وقال ابن ابي جمرة بعد ان اشار الي ترجيح مذهب الجمهور لكن الاولي الاخذ بالمذهب
الاول فانه ابرا للذمة واعظم للحرمة **ومنها انه يستحب الغسل لقراه**
حديثه وروايته واستماعه وظاهره ولو سبق الغسل لسبب اخر **والتطيب**
لذلك **و** يستحب انه **لا يرفع عنده** اي عند قراته **الاصوات** وقول ابن
يجب لعله اراد به تاكد الندب **بل تخفض كما في حياته اذ انكم** تشبيه في
مطلق الخفض وان كان الاول مستحبا والثاني واجبا **فان** حرمته ميتا كحرمته
حيا

حيا كما قال ابن العربي قايلا **كلامه الماثور بعد موته في الرفعة مثل كلا**
مه المسموع من لفظه الشريف لا سيما ان تواتر او صح وكلامه شامل لمنع
مساواة صوته قاري الحديث زاد ابو بكر بن العربي فاذا قري كلامه وجب علي كل
حاضر ان لا يرفع عليه ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك عند تلفظه به وقد نبه
الله تعالي علي دوام الحرمة المذكورة علي مرور الازمنة بقوله واذا قري القران
الاية وكلامه صلي الله عليه وسلم من الوحي له مثل ما للقران الا معاني
مستثني بيانها في كتب الفقه واذا كان رفع الصوت فوق صوته موجبا لحبوط
العمل فما الظن برفع الارا ونتايج الافكار علي سنته وما جا به انتهي ه
و يستحب **ان يقرا علي مكان مرتفع** عال زاد في الانموذج وقراة حديثه
عبادة يثاب عليها كقراة القران في احدي الروايتين اي والرواية الثانية
اختصاص ذلك بالقران لانا نتعبد بالفاظه والحديث بمعانيه ولذا جازت روايته
بالمعني للعارف ولا يجوز ذلك في القران مطلقا **روينا عن مطرف** ابن عبد
الله بن مطرف اليساري بالتحتانية والمهملة المفتوحتين ابي مصعب المدني
ابن اخت مالك وثقه ابن سعد والدارقطني وروي عنه البخاري وغيره ولم
يصب ابن عدي في تضعيفه مات سنة عشرين ومايتين علي الصحيح وله
ثلاث وثمانون سنة **كان الناس اذا اتوا مالكا** رحمه الله لطلب العلم وهو
داخل بيته وطلبوا خروجه لاقرابهم **خرجت اليهم الجارية فتقول لهم**
يقول لكم الشيخ تريدون بتقدير اداة الاستفهام اي اتريدون **الحديث**
او المسايل الفقهية بتعريفه للعهد **فان قالوا المسايل خرج اليهم في**
الوقت علي حالته التي هو عليها **وان قالوا الحديث دخل مغتسله** المكان
الذي اعده للغسل فيه **فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا** بضم اوله
وثانيه جمع جديد كسرير وسرر **وتعمم ولبس ساجه** والساج الطيلسان
مطلقا او الاخضر او الاسود **وتلقي له منصة** بكسر الميم لانها الة علي ما في
المصباح وقال غيره بالكسر والفتح شي عال كالكرسي والسرير من نصصته اذا
رفعته وهي في الاصل ما يوضع للعروس تجلس عليه او تقف عند جلايها
فيخرج يجلس عليها وعليه الخشوع السكينة والوقار **ولا يزال**
يبخر بالعود حتي يفرغ من حديث رسول الله صلي الله عليه
وسلم اجلالا له فانه كان يحب الرايحة الطيبة فجعل مجلس حديثه كمجلسه
حيا صلي الله عليه وسلم **ولم يكن يجلس علي تلك المنصة الا اذا حدث**
فعلم انه انما فعله رعاية للحديث لا لنفسه **قال** اسماعيل بن ابي اويس
عبد الله بن عبد الله بن اويس بن مالك بن ابي عامر الاصبحي ابن
اخت الامام مالك المدني صدوق روي عنه الشيخان وروي له الباقون سوي
النسايي فاطلق القول بضعفه مات سنة ست وعشرين ومايتين **فقيل له**
في ذلك اي سيل عن سبب فعله جميع ما مر **فقال احب ان اعظم**
حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم لنسبته له وردا علي المنافقين

ومن علي سنتهم ولا احدث به الا علي طهارة متمكنا وقيل انه اي
ذلك المذكور من الغسل والتطيب الخ عن سعيد ابن المسيب اي بواسطة
لانه لم يلق سعيدا لانه مات بعد التسعين وولد مالك سنة ثلاث وتسعين وقد
روي عن الزهري وغيره عن سعيد وقد ذكره قتادة بن دعامة ومالك
الامام وجماعة التحديث علي غير طهارة حتي كان الاعمش سليمان
ابن مهران اذا كان علي غير طهارة تيمم لانه بدل الوضوء حيث فقد لشدة اعتنائه
بالحديث ولا شك ان حرمته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره
بعد مماته عند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه وسيرته كما كان
في حياته ولذا استحبت الصلاة عليه كلما ذكر صلى الله عليه وسلم والله اعلم
زاد في الشفا وكان مالك يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم وقال احب ان افهم
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن المبارك كنت مع مالك الي العقيق
فسالته عن حديث فانتهرني وقال كنت في عيني اجل من ان تسالني عن الحديث
ونحن نمشي وساله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه
فقيل له فقال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام ابن عمار سال مالكا عن حديث
وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال
هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا ومنها انه يكره لقاري حديثه
دون غيره من العلوم ان يقوم لاحد قال ابن الحاج في المدخل لانه اي
القيام قلة ادب مع النبي صلى الله عليه وسلم وقلة احترام وعدم
مبالاة ان اي ان يقطع حديثه لاجل غيره فكيف لبدعة وهي القيام
وقد كان السلف لا يقطعون حديثه ولا يتحركون وان اصابهم الضرر
في ابدانهم ويتحملون المشقة التي تنزل بهم اذ ذاك اي وقت التحديث
احتراما لحديث نبيهم صلى الله عليه وسلم وحسبك ما وقع لمالك
رحمه الله تعالى في لسع العقرب له سبع عشرة وفي الشفا ست عشرة
مرة فصار يصفر ويتلوى حتى تم المجلس وتفرق الناس وقال صبرت اجلالا
للنبي صلى الله عليه وسلم ولا ينافي قوله وهو لم يتحرك لان المراد حركة تنفعه
لا الالتوا وتحمله للمشقة توقيرا لحديثه ان يكون بغيرا وهو
يتحرك لضر اصابه مع انه معذور فيما وقع به فكيف بالحركة
والقيام اذ ذاك لا لضرورة بل لبدعة سيما اذا انضاف الي ذلك
ما لا ينبغي من الكلام المعتاد نحو ما حالكم انتم طيبون انتهى كلام ابن الحاج
ومنها ان قراء حديثه لا تزال وجوههم نضرة اي حسنة ذات بهجة
وسرور لقوله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما
سمعها رواه احمد والترمذي وغيرهما باسانيد صحيحة بل قال الحافظ انه مشهور
وعده بعضهم من المتواتر لانه ورد عن اربعة وعشرين صحابيا وسردهم
وان قراء حديثه اختصوا بالتلقيب بالحفاظ والحافظ من حفظ
مائة الف حديث متنا واسنادا ولو بتعدد الطرق والاسانيد او من روى ما يحتاج

اليه

اليه وروى ابن ابي حاتم عن الزهري قال لا يولد الحافظ الا في كل اربعين سنة وامرا
المومنين في الحديث من بين سائر العلما من المفسرين والفقها وغيرهم
واختصوا ايضا بانهم خلفاؤه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم خلفائي
الذين ياتون من بعدي الذين يروون احاديثي وسنتي ويعلمونها الناس رواه
الطبراني ويقع في بعض النسخ تاخير هذه عن التي بعدها وتقديمها انسب
كما لا يخفي ومنها اي فضايله التي اختص بها عن امته انه تثبت الصحبة
لمن اجتمع به صلى الله عليه وسلم وان لم يره لعارض كعمي ولو بلا مجالسة
ومكالمة ذكرا او انثي انسيا او جنيا روى عنه ام لا مميزا ام لا فدخل من حنكه
او مسح وجهه او تفل في فيه وهو رضيع علي الاصح لكن احاديث هؤلاء من
قبيل مراسيل كبار التابعين كما بينه الحافظ ثم هذه صفة في الحقيقة للصحابة
لكن لما كانت ببركته بتاثيره فيهم حدثت من خصايصه او التقدير ومنها نور
نور النبوة الفاض علي من صحبه وقد يكون هذا اولى لان السياق في خصايصه
كما قرره شيخنا لحظة مومنا في حياته واما من راه بعد موته وقبل دفنه فالراجح
انه ليس بصحابي والا لعد من اتفق ان يرى جسده المكرم وهو في قبره ولو في هذه
الاعصار وكذلك من كشف له عنه من الاوليا فراه كذلك علي طريق الكرامة اذ حجة من
اثبت الصحبة لمن راه قبل دفنه انه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست دنيوية وانما
هي اخروية لا تتعلق بها احكام الدنيا فان الشهدا احيا ومع ذلك فالاحكام المتعلقة
بهم بعد القتل جارية علي احكام غيرهم من الموتى وكذا المراد بهذه الروية من اتفقت
له وهو متيقظ اما مناما فهو وان كان راه حقا فذلك مما يرجع الي الامور المعنوية
لا الاحكام الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به في تلك
الحالة قاله الحافظ وقال البقاعي يخرج من التعريف من راه بعد الموت وقبل الدفن
كابي ذويب الهذلي فان الاخبار الذي هو معنى النبوة انقطع وايضا لا يعد ذلك لقيا
عرفا وقد صرحوا بان عدم جعله صحابيا ارجح انتهى فان ارتد ومات عليها فلا
يسمى صحابيا فان عاد فقولان اطبق المحدثون علي عد من وقع له ذلك كالاشعث
ابن قيس الكندي في الصحابة وعلى اخراج احاديثهم في المسانيد ويأتي تمام ذلك
ان شا الله في المقصد السابع بخلاف التابعي مع الصحابي فلا تثبت التابعية
بخلاف التابعي مع الصحابي فلا تثبت الا بطول الاجتماع معه عرفا
بحيث يعد ممن تلقى عن الصحابي وضبط ما قاله علي الصحيح عند اهل
الاصول لا المحدثين فالاصح عندهم كما قال ابن الصلاح والنووي انه من لقي الصحابي
كما قاله الحاكم وغيره قال العراقي وعليه عمل الاكثر مسلم وابن حبان وان لم يسمع من الصحابي
ولو غير مميز واشترط ابن حبان تمييزه وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الي الصحابة
والتابعين بقوله طوبى لمن راني وامن بي وطوبى لمن راي من راني الحديث فاكتفي
فيها بمجرد الروية انتهى واختاره ايضا الحافظ ابن حجر وهو صريح في ان فضل
التابعية يحصل بمجرد اللقا والروية وان كانت روايته عن ذلك الصحابي الذي راه
لا تصح الا اذا ثبت سماعه منه والا فهي منقطعة كما بين في علوم الحديث ومن

عكس هذا فقد وهم **والفرق** على ما صححه الاصوليون ووافقهم طايفة من المحدثين
كالخطيب **عظم مرتبة النبوة** اي نبوته قال عهدية او عوض عن المضاف اليه
وجعلها حسية تقتضي مشاركة الانبيا له في ذلك وان لم يكن رسولا ويحتاج
لنقل صريح لعدم ثبوت الخصايص بالاحتمال **ولعظم نورها فبمجرد رؤياه**
مصدر **ينتفع بصره على الاعرابي الجلف** بالكسر اي الجافي ووقوع بصره تمثيل
لا لتقييد فلو راى النبي على بعد ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم كان صحابيا **بنطق**
بالحكمة لشرف منزلته فيظهر اثر نوره في قلب من لقيه وعلى جوارحه فالاجتماع
به يوثر من النور القلبي اضعاف ما يوثره الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره ولاهو
يشترط ايمان التابعي وقت اجتماعه بالصحابي قال البقاعي وانما اشترط في الصحبة
الايمان لشرفها فاحتيط لها ولانه تعالى شرط في الصحابة كونهم مع النبي صلى الله
عليه وسلم فقال محمد رسول الله والذين معه ولا يكونون معه الا اذا امنوا به
انتهى نعم لو اسلم بعد ما لقيه كافرا وحدث بما سمعه منه حال [illegible] قبل وان لم يكن صحابيا
قال العراقي « وقبلوا من مسلم تحملا « في كفره كذا صبي حملا «
ومنها ان اصحابه كلهم عدول بتعديل الله تعالى وتعديله عليه السلام **لظواهر**
الكتاب نحو محمد رسول الله والذين معه الاية **والسنة** فتقبل رواياتهم ولو كان حجة
لفعلهم كرواية علي قتل الخوارج وشهاداتهم لا لثبوت عصمتهم واستحالة المعصية
عليهم كما نص عليه ابن الانباري وغيره واشار اليه بقوله **فلا يبحث عن عدالة احد**
منهم في شهادة ولا رواية **كما يبحث عن ساير الرواة** وغيرهم لانهم خير الامة
ومن طرا له منهم قادح كسرقة وزنا عمل بمقتضاه ولكن لا يفسقونه بما يفسق به غيرهم
كما ذكره الجلال المحلي في شرح جمع الجوامع فتقبل رواياتهم وشهاداتهم ولو وقعت
كبيرة من بعضهم اقيم حدها ام لا لانا لم يبلغنا توبته ومن فوايد عدالتهم مطلقا
انه اذا قيل عن رجل من اصحاب النبي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم كان حجة
كتعيينه باسمه بخلاف غيرهم فلا يقبل المبهم لاحتمال انه ليس عدلا وسوا من لابس
الفتنة وغيره على المختار طال اجتماعهم به او قصر وقول المازري في شرح البرهان
لسنا نعني بعدالة الصحابة كل من راه يوما او زاره او اجتمع به لغرض وانصرف عن
قرب بل الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه قال
العلايي الحافظ غريب لا يوافق عليه والجمهور على التعميم انتهى ويويد العموم
رواية الايمة احاديثهم مطلقا بدون تردد مع ورود النهي عن روايته عن غير
العدل فقال صلى الله عليه وسلم لا تاخذوا الحديث الا عن من تجوزون شهادته
رواه الخطيب وغيره عن ابن عباس وقال ابن سيرين هذا الحديث دين فانظروا
عن من تاخذون دينكم وقال مالك لا تحمل العلم عن اهل البدع ولا تحمله عن من لم
يعرف بالطلب ولا عن من يكذب في حديث الناس وان كان في حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يكذب رواه ابن عساكر وكان عروة بن الزبير يسمع الحديث يستحسنه
ولا يرويه لكونه لا يثق ببعض رواته لئلا يوخذ عنه رواه الشافعي فلو لم يكن
الصحابة كلهم عدولا لامتنع مالك وغيره من الايمة عن رواية كثير منهم **قال**

الله

الله تعالى خطابا للموجودين حينئذ يعني الصحابة **وكذلك** اي كما
هديناكم الى صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل **جعلناكم امة**
وسطا اي عدولا مزكين بالعلم والعمل وخيارا وكذا قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس فقال الحافظ العراقي فقيل اتفق المفسرون على ان الخطاب في الايتين للصحابة
الموجودين انتهى لكن البيضاوي والجلال جعلا الخطاب لامة محمد الشامل لهم
ولمن بعدهم الى يوم القيامة ويويده حديث البخاري وغيره في جحد الامم تبليغ انبيايهم
فيوتى بامة محمد فيشهدون بالبلاغ ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع
بان الخطاب للصحابة حقيقي لوجودهم وان كان المراد ما يشملهم وغيرهم لاشتراك
الجميع في العلم **وقال عليه السلام** فيما اخرجه الشيخان واصحاب السنن من حديث
ابي سعيد الخدري وفي بعض طرقه عند مسلم قال كان بين خالد ابن الوليد وبين عبد
الرحمن بن عوف شي فسبه خالد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **لا تسبوا اصحابي**
فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم وفي رواية فلو ان احدكم انفق **مثل احد**
ذهبا كل يوم كما زاد في رواية البرقاني قال وهي زيادة حسنة **ما بلغ مد احدهم**
بضم الميم مكيال معروف وحكى الخطابي روي بفتح الميم قال والمراد به الفضل
والطول ذكره الحافظ وتوقف الدماميني فقال لا ادري هل اراد انه روي في
البخاري او رواية في الحديث في الجملة فينبغي تحريره انتهى وهو تشكيك لا طايل
تحته فالمتبادر انه في البخاري **ولا نصيفه** اي المد من كل شي بوزن رغيف اي
نصفه كما يقال عشر وعشير وثمن وثمين وقيل النصيف مكيال دون المد ذكره الفتح
وقال تلميذه شيخ الاسلام زكريا بفتح النون وضمها مصغرا اي نصفه والنصف مثلث
النون فمجموع ذلك خمس لغات انتهى قال البيضاوي معنى الحديث لا ينال احدكم
بانفاق مثل احد ذهبا من الاجر والفضل ما نال احدهم بانفاق مد او نصفه وسبب
التفاوت ما يقارن الافضل من مزيد الاخلاص وصدق النية قال الحافظ واعظم من
ذلك في سبب الافضلية بسبب القتال كما في اية لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح
وقاتل ففيها اشارة الى موقع السبب الذي ذكرته وذلك ان الانفاق والقتال كان قبل
فتح مكة عظيما لشدة الحاجة اليه وقلة المعتني به بخلاف ما وقع بعد ذلك لان
المسلمين كثروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله افواجا فلا يقع ذلك الموقع المتقدم
انتهى وسبقه الطيبي فقال يمكن ان يقال فضيلتهم بحسب فضيلة انفاقهم
وعظم موقعها كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وهذا في
الانفاق فكيف بمجاهدتهم وبذلهم ارواحهم ومهجهم قال الحافظ وفي قوله
فلو ان احدكم اشعار بان المراد بقوله اصحابي اصحاب مخصوصون والا فالخطاب كان
للصحابة وقد قال لو ان احدكم انفق وهذا مثل قوله تعالى لا يستوي الاية ومع ذلك
فنهي بعض من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وخاطبه بذلك عن سب من
سبقه يقتضي زجر من لم يدركه ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب اولى
وغفل من قال يعني الكرماني الخطاب بذلك لغير الصحابة والمراد من سيوجد
من المسلمين المفروضين في العقل تنزيلا لمن سيوجد منزلة الموجود للقطع بوقوعه

ووجه التعقب عليه وقوع التصريح في نفس الخبر بان المخاطب بذلك
خالد بن الوليد وهو من الصحابة الموجودين اذ ذاك بالاتفاق انتهى وتعقبه
العيني بان الحديث الذي فيه قصة خالد لا يدل على انه المخاطب بذلك الخطاب
وان سلمنا انه المخاطب فلا نسلم انه كان اذ ذاك صحابيا بالاتفاق اذ يحتاج الى
دليل ولا يظهر ذلك الا بالتاريخ ولم يجب الحافظ في انتقاض الاعتراض عن
هذا التعقب لسقوطه فان عدم تسليم صحبته حينئذ مع وجود الاتفاق عليها
مجرد مكابرة وعناد وقد قال في خطبة الانتقاض انما يجيب عن الاعتراض
الذي له نوع تماسك وقال الشيخ زكريا الخطاب للحاضرين من الصحابة ولغيرهم
ولو من غير الصحابة ففيه تغليب الحاضر على الغايب انتهى **وقال عليه السلام**
فيما رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن مسعود **خير الناس اهل قرني**
اي عصري من الاقتران في الامر الذي يجمعهم يعني اصحابي ومن رآني او من كان
حيا في عهدي قال الحافظ ومدتهم من البعثة ماية وعشرون سنة او دونها
او فوقها بقليل على الخلاف في وفاة ابي الطفيل اخر من مات من الصحابة وان اعتبر
ذلك من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كان ماية سنة او تسعين او سبعا وتسعين
وفي رواية للشيخين خير امتي قرني **ثم الذين يلونهم** اي القرن الذي بعدهم
وهم التابعون ومدتهم نحو سبعين او ثمانين سنة ان اعتبر من سنة ماية **ثم**
الذين يلونهم وهم اتباع التابعين نحوا من خمسين الى حدود العشرين ومايتين
قال الحافظ فظهر بهذا ان مدة القرن تختلف باختلاف اعمار كل زمان واتفق ان اخر
من كان من اتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش الى حدود العشرين ومايتين
وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاحشا واطلقت المعتزلة السنتها ورفعت
الفلاسفة رووسها وامتحن العلما ليقولوا بخلق القران وتغيرت الاحوال تغيرا
شديدا ولم يزل الامر في نقص الى الان وظهر قوله صلى الله عليه وسلم ثم يفشوا
الكذب ظهورا بينا حتى يشمل الاقوال والافعال والمعتقدات والله المستعان ه
قال ووقع في رواية ابي الزبير عن جابر عند مسلم ذكر طبقة رابعة وهي رواية شاذة
واكثر الروايات مقتصر على ذكر الثلاثة ثم الجمهور على ان ذا الفضل باعتبار الافراد
وقال ابن عبد البر باعتبار المجموع ويأتي ان شا الله تعالى مزيد لذلك في المقصد
السابع وقبله في خصايص الامة قريبا **في** اي مع **ايات كثيرة واحاديث**
كثيرة جدا **تقتضي تعديلهم ولذلك اجمع من يعتد به على ذلك**
من المسلمين وهم اهل السنة والجماعة كما في الاستيعاب **سوا في التعديل من لابس**
الفتنة الواقعة من حين قتل عثمان كالجمل وصفين **منهم وغيره** وهو من
لم يلابسها خلافا لمن قال لا يحكم بعدالة من لابسها حتى يبحث عنه لان احد
الفريقين فاسق وقيل يقبل الداخل فيها اذا انفرد لان الاصل العدالة وشككنا
في ضدها ولا يقبل اذا خولف لتحقق ابطال احدهما من غير تعيين وقيل القول
بالعدالة مختص بمن اشتهر منهم ومن عداهم كساير الناس والصحيح الاول **لوجوب**
حسن الظن بهم حملا للملابس على الاجتهاد الواقع منه المقتضي ه

لجواز

لجواز فعله بل قد يعود به الى وجوبه ولا التفات الى ما يذكره الاخباريون فاكثره
لم يصح وما صح فله تاويل صحيح وما احسن قول عمر بن عبد العزيز تلك
دما طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها السنتنا **ونظر الى ما تمهد**
لهم من المآثر الجليلة من امتثال اوامره عليه السلام وفتحهم الاقاليم
بعده **وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس مع مواظبتهم**
على الصلوات والزكوات وانواع القربات مع الشجاعة والبراعة
الفضل في العلم والشجاعة وغيرهما **والكرم والاخلاق الحميدة التي لم تكن**
في امة من الامم المتقدمة ولا يكون احد بعدهم مثلهم في ذلك كل ذلك
بحلول نظره عليه الصلاة والسلام وقد قال محمد بن كعب القرظي اوجب
الله لجميع الصحابة الجنة محسنهم ومسيئهم قال ابن حجر وورد نص النبي صلى
الله عليه وسلم بالبشارة والشهادة بالجنة لغير العشرة كالحسنين وامهما وجدتهما
وجمع اكثر من ان يحصوا انتهى واشار بذلك الى انه لا تدافع بينه وبين تبشير العشرة
في حديث واحد لان العدد لا ينفي الزايد وروى الترمذي وصححه الضيا عن بريدة رفعه
ما من احد من اصحابي يموت بارض الا بعث قايدا ونورا لهم يوم القيامة اي الا بعث ذلك
الصحابي قايدا لاهل تلك الارض الى الجنة ونورا لهم يسعى بين ايديهم فيمشون في
ضوءه واطلاقه شامل للذكر وغيره وطويل صحبته وملازمته ولغيره وقد عد هذا بعضهم
من خصايصه **وافضلهم عند اهل السنة اجماعا** منهم **ابو بكر ثم عمر** والزاما
للشيعة بما صح عن علي انهما خير منه **واما بعدهما فالجمهور على انه عثمان**
ثم علي ومنهم من قدمه ومنهم من وقف **وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى**
في المقصد السابع مع فوايد نفيسة **ومنها ان المصلي يخاطبه بقوله السلام**
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته كما في حديث التشهد والصلاة صحيحة **ولا**
يخاطب غيره من الخلق ملكا او شيطانا او جمادا او ميتا ولا ينافيه قوله صلى الله عليه
وسلم لابليس العنك بلعنة الله لانه خصوصية او خطابه نفسي لا ما قيل انه قبل
تحريم الكلام في الصلاة لانه كان بالمدينة وتحريمه قبلها **ومنها انه كان يجب**
على من دعاه وهو في الصلاة ان يجيبه ويشهد له حديث ابي
سعيد بكسر العين **ابن المعلى** الانصاري المدني قال ابن عبد البر اسمه الحارث
ابن نفيع بن المعلى على الاصح ومن قال رافع بن المعلى فقد وهم لانه قتل ببدر مات
سنة اربع وسبعين وقيل سنة ثلاث قالوا وعاش اربعا وستين سنة قال في الاصابة
وهو خطأ فانه يستلزم ان تكون قصته مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير
وسياق الحديث يابى ذلك روى البخاري في تفسير الفاتحة عنه قال **كنت اصلي في**
المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه وللبخاري
في تفسير الانفال فلم اته حتى صليت ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال
الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ثم قال لي لاعلمنك سورة هي
اعظم سورة في القران قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له
الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القران قال الحمد لله رب العالمين هي السبع

المثانه والعزان العظيم الذي او شبه هذا العظة فاقتصر المص على حاجة منه
مشيرا الى ما حذفه بقوله **الحديث وفيه الم يقل الله تعالى استجيبوا لله**
وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وهو امر الدين لانه سبب للحياة الابدية **فاجابه**
فرض يعصي المرء بتركها اتفاقا **و**اختلف العلماء **هل تبطل الصلاة** بذلك
ام لا صرح جماعة من اصحابنا الشافعية وغيرهم كالعلامة بهرام
من المالكية وطائفة منهم **انها لا تبطل** ولو فرضا بل هي صحيحة ولو اجابه هو
بالفعل فتجب ولا تبطل على الراجح قال الاسنوي وهو المتجه قال الحيضري ومحله
اذا اقتصر على لفظ خطابه منه الجواب كنعم او لبيك فان زاد بطلت فيما يظهر
انتهى لكن قال الرملي لا فرق يعني في قليل الاجابة وكثيرها بالقول والفعل فلو
سال مصليا عن شيء وجبت اجابته وصحت صلاته كما الحقه بعض بدعائه اما
لو ابتداه المصلي بالكلام فانه تعلق بنحو الصلاة والسلام عليه فتعمد والاكمال فلان
او نصرك الله فيوم بدر فلا ينبغي البطلان لانه كلام اجنبي غير محتاج اليه ولا
دعا فيه للنبي صلى الله عليه ولا جواب به **وفيه بحث لاحتمال ان تكون اجابته**
واجبة مطلقا سواء كان المخاطب مصليا او غير مصل اما كونه
يخرج من الصلاة بالاجابة لبطلانها **او لا يخرج** لعدمه فليس
في الحديث اي حديث ابن المعلى المذكور **ما يستلزمه** ويدل عليه **فيحتمل**
ان تجب الاجابة ولو خرج المجيب من الصلاة كما لو وجب الكلام لنحو
انقاذ اعمى فتبطل به الصلاة **والى ذلك جنح بعض الشافعية** وبعض
المالكية ايضا وهو ضعيف والمعتمد في المذهبين الصحة **والله اعلم**
بالحكم وهذا اخذه المص من فتح الباري وزاد في الانموذج وكذلك الانبيا اي تجب
اجابتهم ولا تبطل الصلاة وفي التحفة والحق به عيسى اذا نزل ولعل قائله غفل عن
جعل هذا من خصائص نبينا اوله رأي انه من خصائصه على الامة لا على
بقية الانبيا وهو بعيد من كلامهم كذا قال ويوافقه قول بعض تسن اجابة
عيسى وتبطل بها الصلاة والسيوطي جعجة في العقل وقد جزم بان الانبيا مثله
ومنها ان الكذب اي الاخبار عنه على خلاف ما هو **عليه** ولو في غير الاحكام
كترغيب وترهيب ووعظ **ليس كالكذب على غيره** كما قال صلى الله عليه
وسلم ان كذبا علي ليس ككذب على احد فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار
اخرجه الشيخان من حديث المغيرة وابو يعلى عن البراء وكثيرون عن سعيد بن زيد هو
وظاهره حتى على الانبيا عليهم الصلاة والسلام وكان حكمة ذلك انه لا يصير شرعا مستمرا
لانه يصدر بعده نبي بعده تبين ما كذب عليه بخلاف نبينا فلا نبي بعده فمن قال الانبياء
مثله فيما يظهر فيه نظر للفرق وايضا فالخصائص انما تثبت بدليل صحيح لا بالاحتمال
ولا مفهوم لقوله علي انه لا يستشهد ان يكذب له لنهيه عن مطلق الكذب وقد اغتر قوم
من الجهلة كالكرامية فجوزوا وضعوا احاديث في الترغيب والترهيب وقالوا انه كذب
له لا عليه وهذا جهل باللغة العربية وما دروا ان قوله صلى الله عليه من يقل عني ما لم اقل فليتبوأ
الكذب على الله تعالى لانه اثبات حكم سواء كان في الايجاب او الندب وكذا مقابلهما وهو الحرام
والمكروه

والمكروه وقد اشتد النكير على من كذب على الله في قوله فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب بآياته فسوى بين من كذب عليه وبين الكافر وقال ويوم
القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة والآيات في ذلك متعددة
فلذا اشد في الكذب عليه صلى الله عليه وسلم وتمسك بعضهم بما ورد في بعض
طرق الحديث من زيادة لم تثبت وهي ما اخرجه البزار عن ابن مسعود من كذب
علي ليضل به الناس الحديث ورجح الدارقطني والحاكم ارساله ورواه الدارمي عن يعلى
ابن مرة بسند ضعيف وعلى تقدير ثبوته فليست اللام للعلة بل للصيرورة كقوله
تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس والمعنى ان مآل امره الى الاضلال
وهو من تخصيص بعض افراد العموم بالذكر فلا مفهوم له كقوله لا تأكلوا الربا اضعافا
مضاعفة ولا تقتلوا اولادكم من املاق فقتلهم ومضاعفة الربا والاضلال انما هو
لتأكيد الامر فيها لا لاختصاص الحكم كما قاله الحافظ رحمه الله قال وقوله صلى
الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار رواه عنه خلق كثير
من الصحابة واعتنى جماعة من الحفاظ بجمع طرقه فاول من وقفت على كلامه
في ذلك علي بن المديني وتبعه يعقوب بن شيبة فقالا انه ورد عن عشرين صحابيا
ثم ابراهيم الحربي والبزار فقالا ورد عن اربعين وزاد ابن صاعد قليلا
وقال الصيرفي رواه ستون وجمع الطبراني طرقه فزاد قليلا وقال ابن منده رواه
اكثر من ثمانين وجمع ابن الجوزي طرقه في مقدمة الموضوعات فجاوز التسعين وبه
جزم ابن دحية وقال ابو موسى المديني يرويه مائة صحابي وجمعها بعده الحافظ
اليسري وابو علي البكري وهما متقاربان فوقع لكل منهما ما ليس عند الآخر ومجموع
ما ذكراه مائة على ما فيها من صحيح وحسن وضعيف وساقط مع ان فيها ما هو
في مطلق ذم الكذب عليه من غير تقييد بهذا الوعيد الخاص ونقل النووي انه
جاء عن مائتين من الصحابة ولاجل كثرة طرقه اطلق جماعة انه متواتر ونازع بعض
مشايخنا في ذلك بان شرط التواتر استواء طرفيه وما بينهما في الكثرة وليست موجودة
في كل طريق بمفردها واجيب بان المراد باطلاق كونه متواترا رواية المجموع عن المجموع من
ابتدائه الى انتهائه في كل عصر وهذا كاف في افادة العلم وايضا فطريق انس وحدها
قد رواه عنه العدد الكثير وتواترت عنهم وحديث علي رواه عنه ستة
من مشاهير التابعين وثقاتهم وكذا حديث ابن مسعود وابي
هريرة وعبد الله بن عمرو فلو قيل في كل منها انه متواتر عن صحابيه لكان صحيحا
فان العدد المعين لا يشترط في المتواتر بل ما افاد العلم كفى والصفات العلية في الرواة
تقوم مقام العدد او تزيد عليه كما قررته في نكت علوم الحديث وشرح النخبة وبينت
هناك الرد على من ادعى ان مثال المتواتر لا يوجد الا في هذا الحديث فامثلته كثيرة
كحديث من بنى لله مسجدا والمسح على الخفين ورفع اليدين والشفاعة والحوض
ورؤية الله في الآخرة والائمة من قريش وغير ذلك واما ما نقله البيهقي عن الحاكم و
وافقه انه جاء من رواية العشرة وليس في الدنيا حديث اجمع العشرة على روايته
غيره فقد نقضه غير واحد لكن الطرق عنهم موجودة في ما جمعه ابن الجوزي

ممن بعده والصحاح منها علي والزبير والحسان طلحة وسعد وسعيد وابو عبيدة
ومن الضعيف المتماسك طريق عثمان وبقيتها ضعيف او ساقط ومخالفة قوله
قبل وصح ايضا في غير الصحيحين من حديث عثمان بن عفان فانه قال او لانه في
الصحيحين من حديث علي وانس وابي هريرة والمغيرة والبخاري عن الزبير وواثلة
ابن الاسقع وعبد الله بن عمرو بن العاصي ومسلم عن ابي سعيد وصح ايضا في
غير الصحيحين عن عثمان وابن مسعود وابن عمر وابن قتادة وجابر وزيد
ابن ارقم وورد باسانيد حسان عن طلحة وسعيد بن زيد وابي عبيدة ومعاذ بن
جبل وعقبة بن عامر وعمران وسلمان ومعاوية ورافع بن خديج وطارق الاشجعي
والسايب بن يزيد وخالد بن عرفطة وابي امامة وابي قرصافة وابي موسى وعايشة
فهولاء ثلاثون من الصحابة وورد ايضا عن نحو خمسين غيرهم باسانيد ضعيفة
وعن نحو عشرين اخرين باسانيد ساقطة انتهى وقد استبعد العراقي في شرح
الالفية قول النووي جا عن مايتين من الصحابة قال السخاوي ولعلها تصحفت
من ثمانين وهذا اقرب من قول شيخنا لعله تصحفت من ماية انتهى ونقل بعض عن
ابن دحية انه جا من اربعماية طريق خلاف نقل الحافظ عنه ازيد من تسعين و
تلميذه السخاوي **ومن كذب عليه لم تقبل روايته** عطف علة على معلول هو
ابدا وان تاب بخلاف الكذب على غيره فتقبل ان تاب **فيما ذكره جماعة من**
المحدثين كالامام احمد وعبد الله بن الزبير الحميدي شيخ البخاري وابن معين
وغيرهم **وقال عبد الرزاق** بن همام الصنعاني الثقة الحافظ المصنف الشهير
اخبرنا معمر ابن راشد الازدي مولاهم البصري نزيل اليمن ثقة ثبت **عن رجل**
لم يسم **عن سعيد بن جبير** الاسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه تابعي روايته
عن عايشة وابي موسى ونحوهما مرسلة قتله الحجاج سنة خمس وتسعين وله تسع
واربعون سنة وكونه من اوسط التابعين معلوم عند من له ادنى المام [illegible]
ان سياق الحديث يقتضي انه صحابي وليس كذلك **ان رجلا كذب على النبي صلى الله**
عليه وسلم لفظ رواية عبد الرزاق عن سعيد قال جا رجل الى ناس من الانصار
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني اليكم وزوجني فلانة **فبعث عليا**
والزبير فقال اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه وما اراكما تدركانه فوجداه
ميتا من لدغة حية هذا بقية الحديث قال البيهقي وقد سمي هذا الرجل في رواية
عطاء بن السايب عن عبد الله بن الحارث جد جد الجندعي وكذا اخرجه ابن
منده عن عبد الله بلفظ ان جد جد الجندعي فذكره وهو بجيمين مضمومتين
بينهما دال ساكنة مهملة صحابي كما في الاصابة **ولهذا الحديث قال امام**
الحرمين عن ابيه الشيخ ابي محمد الجويني وكان الاولى ان يقول ولذا قال
الجويني كما حكاه ابنه اذ الحديث ليس علة لحكاية الامام عن ابيه بل علة
لقول ابيه بذكر الحطب سهل **ان من تعمد الكذب على رسول الله**
صلى الله عليه وسلم يكفر لكن ولا حجة في الحديث لضعفه اذ فيه راو
مبهم اي لم يسم مع انه مرسل وعلى تقدير صحته فهو قضية عينية يتطرق

اليها

اليها الاحتمال لكن ليس منه علة بانه كافر اصلي لانه صحابي كما رايت ولذا
ضعف امام الحرمين قول ابيه وضعفه من بعده ايضا كما في الفتح ايضا **ولم**
يوافقه احد من الايمة عمل علمه ذلك فيه نظر ففي الفتح مال ابن المنير
الى اختياره ووجهه بان الكاذب عليه في تحليل حرام مثلا لا ينفك عن استحلال
ذلك الحرام او الحمل على استحلاله واستحلال الحرام كفر والحمل على الكفر كفر وفيما قاله
نظر لا يخفى والجمهور على انه لا يكفر الا ان اعتقد حل ذلك انتهى **والحق انه**
اي تعمد الكذب عليه **فاحشة عظيمة** فلو تعمد الكذب ولم يكن في الواقع كذبا بان
صادف الواقع لم يدخل في الوعيد لان اثمه من جهة قصده **وموبقة** مهلكة
مصدر وبق **كبيرة لكن لا يكفر بها الا ان استحله** قال بعض وكلام الجويني
محمول على ذلك وفيه نظر اذ لو حمل على ذلك ما خالفه احد قال في الفتح فان قيل
الكذب معصية الا ما استثني في الاصلاح وغيره والمعاصي قد توعد عليها بالنار
فما الذي امتاز به الكاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوعيد على من
كذب على غيره فالجواب من وجهين احدهما ان الكاذب عليه يكفر عند الجويني
ثم قال الثاني ان الكذب عليه كبيرة والكذب على غيره صغيرة فافترقا ولا يلزم من
استوا الوعيد في حق من كذب عليه او كذب على غيره ان يكون مقرهما واحدا او
طول اقامتهما سوا فقد دل قوله صلى الله عليه وسلم فليتبوا على طول الاقامة
فيها بل ظاهره انه لا يخرج منها لانه لم يجعل له منزل غيره لكن الادلة القطعية قامت
على ان خلود التابيد مختص بالكافرين وقد فرق بين الكذب عليه وبين الكذب على غيره بقوله
ان كذبا علي ليس ككذب على احد وقال فليتبوا امر بمعنى الخبر او التهديد او التهكم او
دعا اي بواه الله ذلك وقال الكرماني يحتمل انه على حقيقته والمعنى من كذب فليامر
نفسه بالتبوء ويلزم عليه كذا قال واولها اولاها فقد رواه احمد باسناد صحيح عن ابن عمر
بلفظ بني له بيت في النار وقال الطيبي فيه اشارة الى معنى القصد في الذنب وجزائه
اي كما انه قصد في الكذب التعمد فليقصد في جزائه التبوء **وقال النووي** في شرح
مسلم **المحدث له** اي لقول تقدم قبول رواية الكاذب عليه اذا تاب **في اصل المسالة**
دليلا يعتد به وخبر ابن جبير ضعيف لا يعتد به وبفرضه يحتمل التاويل كما هو
ويجوز ان يوجه بان ذلك جعل تغليظا وزجرا بليغا عن الكذب عليه
صلى الله عليه وسلم لعظم مفسدته فانه اي الكذب عليه اذا قبل ونقل
يصير شرعا مستمرا الى يوم القيامة بخلاف الكذب على غيره والشهادة
فان مفسدتهما قاصرة ليست عامة صفة كاشفة ثم **قال وهذا الذي**
قاله هولاء الايمة من عدم قبول روايته ولو تاب **ضعيف مخالف للقواعد**
الشرع اي ان التوبة مقبولة **والمختار القطع** الجزم **بصحة توبته** وقبول
روايته بعدها اذا صحت **توبته بشروطها المعروفة** قال **فهذا هو**
الجاري على قواعد الشرع دون ما قاله اولئك الايمة **وقد اجمعوا على**
صحة رواية من كان كافرا فاسلم واجمعوا على قبول شهادته ولا
فرق بين الرواية والشهادة في هذا قال شيخنا السخاوي في شرح

الالفية تعقبا علي النووي ويمكن ان يقال فيما اذا كان كذبه في وضع
حديث وحمل عنه ودون ان الاثم غير منفك عنه بل هو لاحق
له ابدا فان من سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها
الي يوم القيامة والتوبة حينئذ متعذرة ظاهرا وان وجد بمجرد
اسمها فانما تصح عند من قال بها بالنظر لاثم الكذب نفسه لا لما ترتب عليه
وتولد منه قال اعني السخاوي ولا يستشكل بقبولها ممن لم يمكنه التدارك برد
او محاللة فالاموال الضايعة لها مردود وهو بيت المال والاعراض فقد انقطع تجدد
الاثم بسببها فافترقا وايضا فعدم قبول توبة الظالم ربما يكون باعثا له علي الاستمرار
والتمادي في غيه فيزداد الضرر به بخلاف الراوي فانه لو اتفق استمراره فالمقاسمة
بالكذب مانع من قبول متجدداته وايضا فقبول توبته قد يستشهد عند من حمل
عنه كذبه فيبعثه علي التمسك بما رواه عنه بل قال الذهبي من عرفه بالكذب علي
الرسول لا يحصل لنا ثقة بقوله اني تبت يعني كما قيل بمثله في المعترف بالوضع
كما اتفق لزياد بن ميمون انه تاب بحضرة ابن مهدي والطيالسي وقال لهما
اريتما رجلا يذنب فيتوب اليس يتوب الله عليه قالا نعم ثم بلغهما انه نقل عن
من اعترف لهما بكذبه في سماعه منه فاتياه فقال لهما ايضا اتوب ثم بلغهما
ايضا التحديث عنه فتركاه اخرجه مسلم في مقدمة صحيحه انتهى وقال
شيخ الاسلام زكريا وقد كنت ملت لما قاله النووي ثم ظهر لي ان الاوجه ما قاله
الايمة لما مر يعني من الفرق بين الرواية والشهادة وهو ان الحديث حجة لجميع
المكلفين وفي جميع الاعصار فكان حكمه اغلظ لان متعلقها عام مبالغة في الزجر
عن الرواية له بلا اتقان وعن الكذب فيه عملا بقوله صلي الله عليه وسلم ان كذبا علي
ليس ككذب علي احد قال ويعين قول ايمتنا ان الزاني اذا تاب لا يعود محصنا ولا يحد
قاذفه واما اجماعهم علي صحة رواية من كان كافرا فاسلم فلنص القران علي غفران
ما سلف منه ومنها انه يحرم نداوه من وراء الحجرات اي من خارج
حجرات نسايه قال الله تعالي ان الذين ينادونك من وراء الحجرات بان
اتوها حجرة حجرة فنادوه او تفرقوا عليها متطلبين له لانهم لم يعلموه بايها
اكثرهم لا يعقلون محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم اذ العقل يقتضي
حسن الادب ومراعاة الحشمة عطف سبب علي مسبب ولو انهم صبروا
حتي تخرج اليهم لكان خيرا لهم اي لكان الصبر خيرا من الاستعجال
لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلي الله عليه وسلم الموجبين
للثناء والثواب وهذا نزل في وفد بني تميم وسبقت قصتهم في المقصد الاول
وفيه تسلية له صلي الله عليه وسلم وتلميح بالصفح عنهم خصوصا بقوله
والله غفور رحيم ومنها انه يحرم الجهر له بالقول قال الله تعالي
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم اذا نطقتم فوق صوت النبي
اذا نطق ولا تجهروا له بالقول اذا ناجيتموه كجهر بعضكم لبعض بل
دون ذلك اجلالا له ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون اي خشية ذلك بالرفع

والجهر المذكورين روي البخاري عن ابن ابي مليكة قال كاد الخيران يهلكا ابو
بكر وعمر لما قدم وفد بني تميم قال ابو بكر امر القعقاع بن معبد وقال عمر
امر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر لعمر انما اردت خلافي فقال عمر ما اردت
خلافك فارتفعت اصواتهما عند النبي صلي الله عليه وسلم فنزلت يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الي قوله عظيم قال ابن
ابي مليكة عن ابن الزبير فكان عمر بعد اذا حدث النبي صلي الله عليه وسلم
بحديث حدثه كاخي السرار لم يسمعه حتي يستفهمه ولم يذكر ذلك عن
ابيه يعني ابا بكر وقال ابن عباس لما نزل قوله تعالي لا ترفعوا اصواتكم
كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلي الله عليه وسلم الا كاخي السرار
قال المص بكسر السين المهملة اي كصاحب السرار اي لا يرفع صوته اذا حدثه
بل يكلمه كلاما مثل المسارة وشبهها لخفض صوته قال الزمخشري ولو اريد
باخي السرار المسارر كان وجها والكاف علي هذا في محل نصب علي الحال يعني لان
التقدير حدثه حديثا مثل المسارة انتهى فهو براين بينهما الف كما في النسخ
ومثله في صحيح البخاري كما رايته وصحفه من قال السر فاسقط منه الالف والرا
قال اي كالاخ الذي يريد مسارة اخيه بما يريد كتمه فلا يحب ان يطلع عليه
غيره فيخفي كلامه عند مخاطبته غاية الاخفاء فهذا صحيح في نفسه لكن ليس
هو الرواية وروي انه صلي الله عليه وسلم ما كان يسمع عمر حتي
يستفهمه مما يخفض صوته ما مصدرية قال الحافظ واما اخبار ابن عباس
وجابر في الصحيح ان نسوة كن يكلمن رسول الله صلي الله عليه وسلم عالية اصواتهن
فالظاهر انه كان قبل النهي ويحتمل ان علو الصوت كان بالهيئة الاجتماعية لا بانفراد
كل منهن وقال غيره انه بعده لكنهن لم يعلمن به ورد بانه يجب عليه بيان الحكم
لهن ولم ينقل وكان ثابت بن قيس بن شماس خطيبه صلي الله عليه
وسلم وخطيب الانصار في اذنه وقر بسكون القاف صمم وكان جهوريا اي
عالي الصوت فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فقعد
في بيته واغلق بابه فتفقده المصطفي ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت
عليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد
حبط فقال عليه السلام لست هناك اي في ذلك الموضع الذي يحبط فيه العمل
والمعني لست ممن يحبط عمله انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من
اهل الجنة وعند ابن سعد والدارقطني فقال له صلي الله عليه وسلم اما ترضي
ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة واخرجه ابن جرير وقال في اخره
فعاش حميدا وقتل شهيدا قال انس وكنا ننظر الي رجل من اهل الجنة
يمشي بين ايدينا وفي رواية اظهرنا فلما كان يوم اليمامة في حرب
مسيلمة بكسر اللام الكذاب راي ثابت من بعض المسلمين بعض الانكشاف
وانهزمت طايفة منهم فقاتل حتي قتل وظهر بذلك مصداق خبره
صلي الله عليه وسلم وروي ابن ابي حاتم قال انس فكنا نراه يمشي بين اظهرنا

وبخبر انه من اهل الجنة فلما كان يوم اليمامة كان في بعضنا بعض الانكشاف
فاقبل وقد تكفن وتحنط فقاتل حتى قتل واخرج البخاري عن انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل انا اعلم لك علمه فاتاه فوجده
جالسا في بيته منكسا راسه فقال ما شانك فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت
النبي صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو من اهل النار فاتى الرجل النبي
فقال انه قال كذا وكذا فرجع المرة الاخرة ببشارة عظيمة فقال اذهب اليه فقل
له انك لست من اهل النار ولكن من اهل الجنة واخرجه مسلم من وجه اخر عن
انس سال النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ما شان ثابت اشتكى فقال
انه لجاري وما علمت له شكوى الحديث وروى ابن المنذر من طريق اخر عن انس
فقال سعد بن عبادة هو جاري الحديث قال الحافظ وهذا اشبه بالصواب لان ابن
عبادة من قبيلة ثابت فهو اشبه ان يكون جاره من ابن معاذ لانه من قبيلة اخرى
وقد استشكل بعض الحفاظ رواية مسلم بان نزول الاية في سنة تسع وموت ابن معاذ
في سنة خمس ويمكن الجمع بان نزل في قصة ثابت مجرد رفع الصوت والذي نزل في
قصة الاقرع اول السورة وهو لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقد نزل قوله وان
طايفتان من المومنين اقتتلوا في قصة عبد الله بن ابي سلول قبل ان يسلم عبد الله
كما في الصحيح واسلامه كان بعد بدر وللطبري وابن مردوية عن ثابت لما نزلت
هذه الاية قعد ثابت يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك قال اتخوف ان
تكون نزلت في فقال صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا الحديث وهذا
لا ينافي ان يكون الرسول اليه من النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ انتهى
ومنها انه معصوم من الذنوب بعد النبوة وقبلها **كبيرها وصغيرها
عمدها وسهوها** على الاصح في ظاهره وباطنه سره وجهره جده ومزحه
رضاه وغضبه كيف وقد اجمع الصحب على اتباعه والتاسي به في كل ما يفعله
وكذلك الانبيا قال السبكي اجمعت الامة على عصمة الانبيا فيما يتعلق بالتبليغ
وغيره من الكباير وصغاير الخسة والمداومة على الصغاير وفي صغاير لا تحط من
رتبتهم خلاف مذهب المعتزلة وكثير من غيرهم الى جوازها والمختار المنع لانا امرنا
بالاقتدا بهم فيما يصدر عنهم فكيف يقع منهم ما لا ينبغي ومن جوزه لم يجوزه بنص
ولا دليل انتهى اي وانما تمسكوا بظواهر ان التزموها افضت بهم الى خرق الاجماع
وما لا يقول به مسلم كما بسطه عياض **ومنها انه لا يجوز عليه الجنون** ولو قصر
لانه نقص وهو لا يجوز على الانبيا لتادية الى النفرة عنهم وعدم الانقياد اليهم
ولا الاغما الطويل الزمن فيما ذكره الشيخ ابو حامد الغزالي **في التعليقة
وجزم به البلقيني في حواشي الروضة** اما القصير كلحظة او لحظتين
فيجوز صرح به الدارمي والقاضي وارتضاه الاسنوي **وكذلك الانبيا** وان
لم يكونوا رسلا ونبه السبكي **على ان اغماهم يخالف اغما غيرهم وانما هو
ناشى عن غلبة الاوجاع** عطف علة على معلول كانه قيل لغلبة الاوجاع **للحواس
الظاهرة دون القلب** بخلاف اغما غيرهم فيوثر حتى في القلب بحيث يصير المغمى
عليه

(هامش: الذين هم)

عليه لا شعور له وهل الاغما سهو يلحق الانسان مع فتور الاعضا لعلة او
امتلا بطون الدماغ من بلغم بارد غليظ او هو الغشي وهو تعطيل القوى المحركة
والاوردة الحساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد او برد او جوع مفرط
اقوال وانما خالف اغما غيرهم **لانه قد ورد في الصحيح انهم انما تنام اعينهم
دون قلوبهم وعصمت من النوم الذي هو اخف من الاغما** لسرعة
زواله غايته انه يمنع الادراك والمعرفة **فمن الاغما بطريق الاولى** لاستيلايه
على الحواس الظاهرة والباطنة استيلا تاما بحيث لا يزول الا بعلاج وربما
دام فلا يفيد علاجه **قال السبكي ولا يجوز عليهم العمى لانه نقص ولم
يعم نبي قط وما ذكر عن شعيب انه كان ضريرا فلم يثبت** وبفرض ثبوته
وانه حقيقي فلا يضر لانه طارى بعد تحقق النبوة بالايات فلا يغير الاعتقاد
فيهم والكلام في المقارن لابتدا الانبا لانه ينفر فلا تطمين النفس بما جا به
واما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت انتهى وقال القاضي عياض
الانبيا منزهون عن النقايص في الخلق والخلق سالمون من العاهات والمعايب
ولا التفات لما يقع في التاريخ من وقوع بعض العاهات في بعضهم بل نزههم
الله من كل عيب وكل ما يغض العيون او ينفر القلوب **وقال الرازي** الامام فخر
الدين في تفسير **قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم لما قال
يا اسفى على يوسف غلبه البكا وعند غلبة البكا يكثر الما في العين فتصير
العين كانها ابيضت من بياض ذلك الما** اي ولم يحصل له عمى ولا نقص ابصار
**وقوله وابيضت عيناه من الحزن كانه من غلبة البكا والدليل على
صحة هذا القول ان تاثير الحزن في غلبة البكا لا في حصول العمى فلو
حملنا الابيضاض على غلبة البكا كان هذا التعليل حسنا ولو حملناه على
العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه اولى** قال البيضاوي وفي الاية
دليل على جواز التاسف والبكا عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت
التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدايد ولقد بكى صلى الله عليه وسلم على
ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك
يا ابراهيم لمحزونون انتهى وذلك الجزع والحزن لما جبلوا عليه من الرحمة ولا ينافي ذلك
الرضا بالقضا فلا ينافي ان الانبيا عالمون بان الله فعال لما يريد وقضاه كاين ويوخذ
منه ان الانسان اذا اصيب بمصيبة لا يخرجه عن كونه صابرا راضيا اذا كان قلبه
مطمينا بل قد يقال ان من ينزعج من المصيبة ويعالج نفسه على الصبر والرضى ارفع
رتبة ممن لا يبالي بوقوع المصيبة اصلا اشار اليه ذلك ابن حجر واطال في بيانه
ثم قال الرازي واختلفوا فقال بعضهم كمقاتل **انه كان اعمى بالكلية فالله
تعالى جعله بصيرا في هذا الوقت** الذي القي فيه القميص على وجهه **وقال
اخرون بل كان ضعف بصره من كثرة البكا والاحزان** بحيث صار يدرك
ادراكا ضعيفا فلما القوا القميص على وجهه وهو قميص ابراهيم الذي
اتى به جبريل لابراهيم حين القي في النار من حرير الجنة فلما مات اخذه اسحاق

فلما مات اخذه يعقوب فلما شب يوسف جعله في قصبة من فضة وبعد
راسها وجعلها في عنقه كالتعويذة لما يخاف عليه من العين وكانت
في عنق يوسف حين القي في الجب عريانا فاتاه جبريل واخرج ذلك القميص
والبسه اياه فلما كان هذا الوقت امره جبريل بارساله لابيه وقال ان فيه ريح
الجنة ولا يلقى على مبتلى الا عوفي كما قاله مجاهد وغيره وجزم به البغوي
والجلال **وبشر بحياة يوسف** من ابنه يهوذا اخاه بالقميص وكان قد حمل
قميص الدم فاحب ان يفرحه كما احزنه عظم **وانشرح صدره وزالت**
احزانه فعند ذلك قوي بصره وزال النقصان عنه انتهى بكلام الرازي
ومنها ان من سبه اي شتمه **او انتقصه** بان وصفه بما يعد نقصا عرفا
قتل باجماع **واختلف هل يتحتم قتله في الحال او يوقف على استتابته**
والامتناع منها **وهل الاستتابة واجبة ام لا فمذهب المالكية يقتل حدا**
لا ردة بمعنى انه يتحتم قتله ثم تارة يكون مرتدا وتارة لا **ولا تقبل توبته**
في اسقاط الحد عنه كتوبة الزاني والسارق بعد بلوغ الامام لا تفيدهما في عدم الحد
وليس المعنى انه لا يقبل رجوعه للاسلام اذ لا قائل به **ولا عذره ان ادعى** وقوع
ذلك منه **سهوا او غلطا وعبارة شيخهم العلامة خليل** بن اسحاق
ابن موسى الجندي المجمع على فضله وديانته ثاقب الذهن اصيل البحث الفاضل
في المذهب المشارك في الحديث والعربية والاصول والفرائض تخرج به جماعة
فقهاء فضلاء وجمع بين العمل والعلم والاقبال على نشره مع الزهد والانقباض عن اهل
الدنيا وحج وجاور بمكة قال ابن فرحون اجتمعت به في القاهرة وحضرت مجلسه
يقرئ في الفقه والحديث والعربية وله تصانيف مفيدة كمختصره الذي قصد فيه
بيان المشهور مجردا عن الخلاف مع الايجاز البليغ مات سنة ست وسبعين وسبعمائة
وان سب مكلف **نبيا او ملكا** مجمعا على نبوته وعلى ملكيته بدليل ذكره بعد انه
يشدد عليه الادب في سب من لم يجمع على نبوته اي او ملكيته كالخضر وخالد بن سنان
وهاروت وماروت فلا يقبل سلبهما على المذهب خلافا للقرافي ثم المراد اجماع
المسلمين فلا عبرة بخلاف اهل الكتاب في بعضهم كسليمان فيقتل سابه **او ان**
عرض بالسب بلا تصريح **او لعنه** بصيغة الفعل او غيرها **او عابه** اي نسبه
للعيب وهو خلاف المستحسن عقلا او شرعا او عرفا في خلقه او خلقه او دين وهو اعم
من السب فان من قال فلان اعلم منه فقد عابه ولم يسبه **او قذفه** بنسبته للزنا او
نفيه عن ابيه **او استخف بحقه** كلا ابالي بنهيه عن كذا **او غير صفته** كاسود
او قصير او جبريل ينزل في صفة عبد اسود على النبي صلى الله عليه وسلم **او الحق**
به نقصا قال العلامة البساطي عبارة ليست بجيدة اي لان النقص لا يلحقه بالحاقه
والاولى بدلها او ذكر ما يدل على النقص في بدنه او دين انتهى كعمى وعرج او يحكم
بالهوى واجابوا عن من قال ان كان ابن عمك بانه تركه لان الحق له في حياته
وليس لنا بعده **وان في دينه** كذا في كثير من نسخ المختصر وهو الذي عند شارحه
بهرام تلميذه وتوقف فيه محشيه العلامة محمد بن غازي وذكر ان اكثر النسخ وان في

بدنه

بدنه وفي بعضها وان في دينه وتامل ما يليق به الاعيا في كلامه انتهى **او خصلته**
طبيعته التي جبل عليها كالكرم **او غض** اي نقص من **مرتبته او غض من**
وفور علمه او زهده او اضاف اي نسب **له ما لا يجوز عليه** كعدم التبليغ **او نسب**
اليه ما لا يليق بمنصبه كنفي زهده وانه لم يكن حقيقيا ولو قدر على الطيبات
اكلها او قال ليس بمكي او بحجازي لان وصفه بغير صفته المعلومة نفي له وتكذيب
ومقصوده تعداد الالفاظ الموجبة للقتل وقدم نظير ذلك في الاقرار في الطلاق فلا
يعترض عليه بان بعضها مكرر وبعضها يستغنى عنه بذكر غيره **على طريق**
الذم عايد لقوله او غض من مرتبته ولقوله واضافه وقوله او نسب الخ لكن مفهومه
لا يعتمد انتهى ولا يعتبره فالمعتمد المبالغة بعده **او قيل له بحق رسول الله** بفعل او
يقول كذا **فلعن وقال اردت العقرب** لان الله تعالى ارسلها الى من تلدغه
وسلطها كما في قوله تعالى ويرسل الصواعق وهذا حقيقة الارسال وانكاره مكابرة
لكنه لا يقبل من قائله لان رسول الله انما يراد به الانبياء ولا يخطر ببال احد غيره
ولذا قال في الشفا عن حبيب بن الربيع لان ادعاه التاويل في لفظ صراح لا يقبل
وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه انتهى
قتل المسلم المكلف **ولم يستتب** اي لا يطلب منه توبة ولا يقبل منه من غير طلبه
ولو جاء تائبا قبل الاطلاع عليه على ظاهره لازدرائه فهو حق ادمي مبناه المشاحة
بخلاف الزنديق كما قدمه **حدا** ان تاب او انكر ما شهد به عليه ويغسل ويصلى عليه
ويدفن بمقابر المسلمين والا قتل كفرا بلا استتابة ويدفن بمقابر الكفار بدون غسل
وصلاة **الا ان يسلم الكافر** فلا يقتل لان الاسلام يجب ما قبله والفرق بينه
وبين المسلم انه زنديق لا تعرف توبته كان على كفره فاعتبر اسلامه ولم يجعل
سبه من جملة كفره لانا لم نعطه العهد على ذلك ولا على قتل مسلم او اخذ ماله
فان قتل قتلناه وان كان يستحله في دينه وبالغ على قتل الساب وان كافرا بقوله
وان ظهر انه لم يرد الساب **ذمه** اي المذكور من نبي او ملك **لجهل او**
سكر او تهور في الكلام وهو كثرته بلا ضبط اذ لا يعذر احد في الكفر بذلك
وخرج بالمكلف المجنون والصغير لم يميز فلا يقتلان بالسب اما المميز
فاسلامه وردته معتبران فاذا بلغ ولم يتب قتل وان تاب او انكر ما شهد به عليه
لم يقتل لوقوعه من غير مكلف وفي المدخل من قال في نبي من الانبياء في غير التلاوة
والحديث عصى او خالف فقد كفر انتهى ويتبادر منه انه مرتد ويحتمل انه ساب
وهذا قد ذكره القاضي عياض في الشفا في اواخرها **وذكره غيره واستدل**
له بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى ان الذين
يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي ويؤذون
رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك **لعنهم الله في**
الدنيا والاخرة ابعدهم **واعد لهم عذابا مهينا** ذا اهانة وهو النار
فاطلق في الاية وعمم وقال والذين يؤذون المؤمنين بغير ما اكتسبوا فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا فقيد وشرط وغاير في الجزاء **واللعنة من**

اي ابعاد الملعون عن رحمته واحلاله في وبيل اي بموجبه وخيمة وعقوبة اي سيئة
عقوبته من اضافة الصفة للموصوف اي عقوبته الشديدة قال القاضي عياض
وانما يستوجب اللعن اي يستحقه وجوبا من هو كافر وهذه مقدمة
اولى من برهان منطقي على الحكم بقتله والمقدمة الثانية هي حكم الكافر
القتل لانه غير معصوم بالذات وانما يعرض له ما يمنع من قتله ومن كفر بسببها اشد
من الكافر الاصلي فيحتم والاذى هو الشر الخفيف فان زاد كان ضررا
كذا قاله الخطابي واطلاق الاذى في حقه تعالى انما هو على سبيل
المجاز لتعذر الحقيقة اذ هو ايصال المكروه وهو لا يتصور في حقه تعالى
لكنه لما خولف امره وارتكبت معاصيه عدل ذلك اذى له على ما تعارفه الناس
فيما بينهم او ذكر تصويرا لاذية الرسول وان من يؤذيه كمن يؤذي الله ويشهد
لذلك الحديث الالهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني
وهذا بخلاف جانب الرسول فتارة يكون حقيقيا كاذاه بما اصابه
من كسر رباعيته وشج وجهه كما قاله ابن عباس وتارة مجازا ايضا كاذاه بارتكاب
ما يكرهه فالاذى في حق الله تعالى وحق رسوله كفر بشهادة هذه
الاية لانه العذاب المهين انما يكون للكفار والمسلمون وان عذبوا بالنار
لكنه بلا اهانة فلا تسود وجوههم ولا تزرق اعينهم وكذلك العذاب الاليم
في اية والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم اي مؤلم وفيه مجاز عقلي وقال تعالى
في المنافقين الذين قالوا او هو ذاهب الى تبوك انظروا الى هذا الرجل يريد فتح الشام
هيهات هيهات ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله
واياته ورسوله كنتم تستهزؤن استفهام توبيخ عليهم استهزاءهم بمن
لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم لا تعتذروا باعتذاركم باعتذاركم
فانها معلومة الكذب ولا ينفعكم اعتذار الكذب قد كفرتم بعد ايمانكم اي
ظهر كفركم بعد اظهار الايمان قاله القاضي عياض قال اهل التفسير
كفرتم بقولكم في رسول الله هو اذن وفي البيضاوي بايذاء الرسول عليه وفيه
من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وسنده ضعيف لكن اعتضد
بالاجماع فقد ذكرنا جوابه اما بتقدير فجاوزي او جوابها محذوف اي كثيرة كما
قدرت منها ما رواه ابو داود والترمذي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من يتكفل لنا بابن الاشرف اي بقتله وفي البخاري
عند ابن عائذ عن عروة من لكعب بن الاشرف بفتح الهمزة وسكون
المعجمة وفتح الراء وبالفاء اليهودي حليفا حالف بني النضير اي من يتعاطى
لقتله اي يتوجه له فقد استعلن الفا تعليلية والسين للتاكيد اي اعلن
بعداوتنا او للطلب والابانة اي طلب اظهار عداوتنا متحققا من غيره
وهجائنا عطف سببه على مسببه وفي رواية في الصحيح عن جابر من
لكعب ابن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله لانه اعلن سب الرسول
وهجاءه ورثى اهل القليب وذهب الى المشركين يحرضهم عليه قال القاضي
عياض

عياض ووجه اليه اي ارسل له واصله الارسال لجهته من قتله غيلة
بكسر المعجمة وسكون التحتية اي خفية من غير شعور احد دون دعوة للاسلام
بخلاف غيره من المشركين مطلق الكفرة فانه يقتله بعد الدعوة والانذار وعلل
صلى الله عليه وسلم قتله باذاه له فدل على ان قتله اياه كان لغير الاشراك
مطلق الكفر لانه يهودي وورد الاشراك فهذا المعنى ايضا بل كان للاذى لله
ورسوله فدلت قصته على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم واذاه من الكفار
يقتل وفي حديث مصعب بن سعد بن ابي وقاص الزهري المدني التابعي
ثقة روى له الجميع مات سنة ثلاث ومائة عند ابي داود عن مصعب
عن ابيه لانه مرسل كما وهمه البعض قال سعد لما كان يوم الفتح امن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة فذكرهم مفصلين فقال
عكرمة وابن خطل ومقيس وابن ابي شرح وفي رواية الحويرث بدل عكرمة
واسم ابن خطل عبد العزى فلما اسلم سمي عبد الله ومن قال اسمه هلال التبس
عليه باخ له اسمه هلال كما تقدم بسطه في فتح مكة وان جملة من اهدر دمه
تسع رجال وست نسوة ثم قال واما ابن ابي شرح عبد الله بن سعد فاختبا
عند عثمان بن عفان ولان اخاه من الرضاعة كما في ابن اسحاق فلما دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به عثمان حتى اوقفه بالالف
لغة قليلة وانكرها الاصمعي وقال الجوهري انها ردية والكثير وقفه على رسول
صلى الله عليه وسلم فقال عثمان يا نبي الله بايع عبد الله فرفع راسه
فنظر اليه اي طويلا ثلاثا كل بالرفع ذلك وهو يابى ان يبايعه فبايعه بعده
الثلاثة ثم لما انصرف به عثمان كما في ابن اسحاق اقبل صلى الله عليه وسلم على
اصحابه فقال اما فهمزة الاستفهام مقدرة كان فيكم رجل رشيد شبيه بفهم
مراد يقوم الى هذا حين كففت يدي عن بيعته فيقتله فالاستفهام
للوم على عدم قتله وعند ابن اسحاق لقد صمت ليقوم اليه بعضكم فيقتله
قالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك الا بالفتح والتخفيف لمجرد التنبيه
نحو الا ان اولياء الله اومات اشرت الينا بحاجب او يد او غيرهما فقال انه
لا ينبغي لنبي ان يكون له خائنة الاعين هي الايماء الى مباح من نحو قتل
او ضرب على خلاف ما يظهر سميت بذلك لشبهها بالخيانة لاخفائها كما
لو اومى لقتله حين طلب عثمان مبايعته فانه خلاف الظاهر من سكوته وان
يجوز لغيره الا في محظور وعليه قوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
ففسره بذم النظر الى ما لا يجوز كما فسره ابن عباس ومجاهد وغيرهما وفسره
السدي والضحاك بالرمز بالعين وقد كان عبد الله بعد ان بايعه ممن حسن
اسلامه ولم يظهر منه شيء ينكر عليه وله المواقف المحمودة في الفتوح وولاه
عمر صعيد مصر ثم عثمان مصر كلها واعتزل الفتنة بعده وفيما
حدث بعده انه امر بقتل عبد الله بن خطل بفتح الخا المعجمة والطا المهملة
وبامر جاريتيه لانه كان يقول الشعر يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم

وهو محمد بن مسلمة الانصاري في اربعة وتقدمت القصة في المغازي

ان تغنيا به وفي الصحيح انه عليه السلام جاءه رجل فقال ابن خطل متعلق
باستار الكعبة فقال اقتلوه زاد ابن حبان فقتل وروى عمر بن شبة في كتاب
مكة عن السائب بن يزيد قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم استخرج
من تحت استار الكعبة ابن خطل فضرب عنقه صبرا بين زمزم ومقام ابراهيم
وقال صلى الله عليه وسلم لا يقتل قرشي بعد هذا صبرا واصح الروايات
في تعيين قاتله ابو برزة كما قدمه المص في فتح مكة تبعا للحافظ وكذلك
قتل مصدر مجرور عطف على عبد الله اي امر بقتل جاريتيه اللتين كانتا
تغنيان بهجائه وهما فرتنا بفتح الفاء واسكان الراء فعو فتية فنون مقصور
وقريبة بقاف وموحدة مصغر فقتلت واسلمت فرتنا فلم تقتل كما مر في الفتح
فلا يتم اقتل فعلا للاخبار بانه قتلهما لانه خلاف الواقع فقالوا في وجه
الاستدلال انه قد ثبت امره بقتل من اذاه ومن تنقصه والحق له عليه
السلام وهو مخير فيه فاختار القتل في بعضهم كابن خطل ومقيس
وعفى عن بعضهم كابن ابي سرح وعكرمة وبعده وكانه تعذرت المعرفة
بالعفو فبقي الحكم على عمومه في القتل لعدم الاطلاع على العفو وليس
لامته بعده ان يسقطوا حقه صلى الله عليه وسلم فانه لم يرد عنه
الاذن في ذلك وهذا جمله في الشفا سؤالا وجوابا واطال في بيانه تفاصيله
واما الاجماع فقال القاضي عياض اجمعت الامة على قتل منتقصه
بذكر ما فيه تحقير له وغض من علو مقامه من المسلمين وسابه بالشتم الذي
هو معنى السب فليس اطنابا اذ الانتقاص يشمل السب كما زعم تكن في الاستدلال
بهذا الاجماع على قتله اذا تاب نظر لان محصله انه يقتل فقط والتوبة وعدمها
لم يجمع عليه وعياض نفسه لم يجعله دليلا على ذلك وعبارته القسم الرابع في تصريح
وجوه الاحكام فيمن تنقصه اي ان قال حرم الله اذاه في كتابه واجمعت الامة الخ
وقيد بالمسلمين للخلاف في الكافر هل يقتل او ينتقض عهده ويبلغ مامنه وقد
عقد عياض لذلك فصلا بعد قال ابن المنذر ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري
اجمع عوام اي جماعة اهل العلم جمع عامة والمتقدمون يعبرون بهذه
العبارة للعموم فكانه قيل اجمع عموم اي كل العلماء وليس المراد العامي اذ لا عبرة
بهم ولا باجماعهم واهل العلم ينادي عليه لان العامي لا يكونون اهل علم على ان
من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك ابن انس
والليث بن سعد المصري الامام المجتهد المشهور واحمد بن حنبل واسحق بن
راهويه وهو مذهب الشافعي المشهور عنه وبعد هذا الاجماع ما في الخلاف في
تحتم قتله واستتابته وقبولها فهذا لم يفهمه من اعترض حكاية الاجماع بمذهب
الشافعي وقال الخطابي حمد بسكون الميم ابن محمد بن ابراهيم بن الخطاب
يقال انه من نسل زيد بن الخطاب اخي عمر لا اعلم احدا من المسلمين اختلف
في وجوب قتله اذا كان مسلما ولم يتب وانما الخلاف في الكافر وقال محمد
ابن سحنون الامام ابن الامام الجامع لخلال فلما اجتمعت في غيره من الفقه

البارع والعلم بالاثر والجدل والحديث والذب عن مذهب اهل الحجاز كريما
في معاشرته نفاعا للناس مطاعا جوادا بماله وجاهه وجيها عند الملوك
والعامة متجيد النظر في الملمات نحو مائتي كتاب في فنون العلم تفقه بابيه
وسمع من جماعة عدة بالمغرب والمشرق توفي سنة ست وخمسين ومائتين
وله اربع وخمسون او ست وخمسون سنة ودفن بالقيروان اجمع العلماء على
ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له لو عطفه كان احسن
كافر مرتد والوعيد في القران والسنة جار عليه لشموله له بعذاب الله كقوله
لهم عذاب اليم وحكمه عند الامة اي الائمة الاجابة كلهم القتل الا ان يتوب فاختلفوا
ومن شك في كفره وعذابه كفر لتكذيبه لقوله تعالى والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب اليم انتهى ومذهب الشافعي ان ذلك ردة تخرج من
الاسلام الى الكفر فهو مرتد لا نزاع في ذلك عند الجمهور من ائمتنا
بل جميعهم وجميع غيرهم انما النزاع في قتله اذا تاب والمرتد يستتاب فان تاب
قبلت توبته ولم يجز قتله عند الشافعية وان تكررت ردته لكن يعزر لزيادة تهاونه
بالدين ويتحتم قتله عند المالكية وطائفة والا يتب فقتل وفي الاستتابة قولان
اصحهما وجوبها لانه كان محترما بالاسلام وانما عرضت له شبهة فاوقعته
في الجناب الوضيع فينبغي اي يجب ازالتها بعد الاسلام على الاصح وفي وجه
يناظر اولا لان الحجة مقدمة على السيف وقيل يستحب ازالتها لانه غير معصوم
الدم اذ لا يقتل قاتله حينئذ فان قلنا بالاول فتجب الاستتابة بالحال اي
فورا ولم يمهل ثلاثة ايام كغيره من المرتدين وفي الصحيح للبخاري عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من بدل دينه اي انتقل من الاسلام
لغيره بقوله او فعل واصر فاقتلوه بعد الاستتابة وجوبا وخص عمومه بدين
الاسلام فمن انتقل من كفر لاخر لم يقتل وفي قول يمهل الساب ثلاثة ايام
فان لم يتب واصر على الكفر رجلا كان او امراة قتل الرجل باجماع والمراة
عند الائمة الثلاثة لان عموم من يشملها وقال ابو حنيفة لا تقتل لان من
الشرطية لا تعم المؤنث للنهي عن قتل النساء فكما لا تقتل في الكفر الاصلي
لا تقتل في الطارئ وان اسلم صح الاسلام وترك لقوله تعالى فان
تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم الاية والذين
قالوا يتحتم قتل الساب وان تاب خصوا منها المسلم اذا سبه لادلة اخرى
وعن ابن عباس ايما مسلم سب الله او سب احدا من الانبياء
فقد كذب رسول الله وهي ردة يستتاب منها فان تاب والا
قتل وعجب احتجاج المص بهذا وابن عباس لم يرفعه وهو مما يقال
بالراي وقول الصحابي ليس حجة عند الشافعية وايما معاهد سب الله
او سب احدا من الانبياء فقد نقض العهد فاقتلوه ظاهر قول
ابن عباس الاطلاق فهو مذهبه فتنزيله على تفصيل الشافعية او غيرهم
لا يليق واجيب عما تقدم من ادلة المالكية فاما قوله انه الذي

يؤذون الله ورسوله الآية فليس فيه إلا كفر مؤذيه عليه
السلام أما كونه يقتل حتما فلا دلالة فيه أصلا لكن قد يجيب عياض بأن وجه
الدلالة من الآية على القتل بيان من لعنته في الدنيا القتل بدليل قوله ملعونين
أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في أذى المؤمنين ما دون القتل من
الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله ورسوله أشد وهو القتل وأما ابن
خطل فإنما قتل ولم يستتب للكفر والزيادة فيه بالأذى
مع ما اجتمع فيه من موجبات القتل كقتل مولاه المسلم حين خالفه
في شيء أمره به ولأنه اتخذ الأذى دينا أي عادة مستمرة ولم ينطق
بالشهادتين عند الأمر بقتله فلا يقاس عليه من فرط منه فرطة
وقلنا بكفره وتاب ورجع إلى الإسلام عطف تفسير والفرق
واضح لكن فيه أنه وجه الدلالة منه أنه كان أسلم وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم
مصدقا ثم آذاه عليه السلام فأمر بقتله وإنه تعلق بأستار الكعبة ولم يأت في خبر أنه أمر
باستتابته مع أن استتابة المرتد واجبة فدل على أن مؤذيه يقتل بلا استتابة على أن
شيخنا قال هذا الفرق لا يتم فيمن تكررت منه الردة والعناد مرارا كثيرا وكذلك
قتل جاريتيه أي الأمر بقتلهما والمقتول واحدة كما مر لأنهما جعلا ذلك
دينا مع ما قام بهما من صفة الكفر لا يرد على مالك لأنه قال يقتل
الكافر أيضا إذا سبه ما لم يسلم وهما كانتا كافرتين فقتله الباقية عليه وتركه
المسلمة فهو حجة لمالك لا عليه وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة
ابن أبي معيط أحد أسرى بدر لما قدم ليقتل بمحل على ثلاثة أميال من الروحاء
قرب المدينة نادى رافعا صوته يا معشر قريش ذكرهم بيانا للحمية في عدم
الفرق بينه وبين غيره أو يستعطف عليه المسلمين منهم مالي أقتل من بينكم استفهام
إنكاري أي دون غيري منكم ومثله يستعمل للاختصاص صبرا أي بلا حرب ولا
غفلة وأصل معناه الحبس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترائك أي تعمدك الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له
سببين في تحتم قتله وهذا في غاية الظهور وهو من جملة أدلة
المالكية إذ هم قائلون بقتل الكافر إذا سبه ولذا ذكره في الشفا دليلا وأما قول
الخطابي وغيره لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله
إذا كان مسلما فحمله على التقييد بعدم التوبة لأنه محل الإجماع وأما
سياق القاضي عياض لقصة الرجل الذي كذب على رسول الله المتقدمة
قريبا ولفظ عياض ويروى أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم
وأنه بعث عليا والزبير ليقتلاه أنا أدركناه فقال وما أراكما تدركانه فوجداه
ميتا من لدغة حية فليس يفيد عياضا في هذا المقام الذي هو تحتم
قتل مؤذيه وإن إذا كان مسلما لأنه الظاهر أن هذا الكذب فيه إفساد
وفتنة بين المؤمنين هذا الاستظهار من عدم الاطلاع على الحديث فإن
لفظه جاء إلى ناس من الأنصار فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أرسلني

أرسلني إليكم وزوجني فلانة لا سيما إن كان كافرا فيكون من محاربي الله
ورسوله مع السعي في الأرض بالفساد فيكون متحتم القتل لذلك
وفيه أن المحارب لا يتحتم قتله بل يخير فيه القرآن مع أن منشأه المقصور وأن
الرجل صحابي وهو جد الجندعي ذكره صاحب الإصابة وغيره وإلا
فليس مطلق الكذب عليه مما يوجب القتل ولا الكفر على الصواب خلافا
للجويني وإنما هو إذا كذب عليه بما فيه نقص له كساحر ونحوه والجواب عن
عياض أنه لم يذكر هذه القصة دليلا مستقلا إذ هو لا يقول بقتل من كذب عليه
ولا بكفره وإنما ذكرها استئناسا لما ساقه من الأدلة وأشار إلى ضعفها
بقوله ويروى وقد علم أدنى الطلبة أنه لا يحتج بضعيف وكذا سياقه
حديث ابن عباس هجت امرأة من خطمة بفتح المعجمة وسكون
المهملة وميم بطن من الأنصار ينسبون إلى جدهم خطمة بن جشم بن مالك
ابن الأوس وهي عصماء بنت مروان اليهودية نسبت إلى بني خطمة لأنها زوج
يزيد ابن زيد الصحابي الخطمي النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها من
لي بها أي من يقوم لأجلي حتى عليه بقتلها فقال رجل من قومها عمير بن
عدي الخطمي صحابي شهير كان المصطفى يزوره وكان أعمى وسماه النبي صلى
الله عليه وسلم البصير أنا لك بها اقتلها يا رسول الله فنهض قام
بسرعة عقب قوله فجاءها ليلا ودخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها
نيام منهم من ترضعه فجسها ونحى الصبي عنها فقتلها بأن وضع
سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ثم رجع فصلى الصبح مع المصطفى
فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أي قتلها لما قال له كما عند ابن سعد
أقتلت ابنة مروان قال نعم هل علي في ذلك شيء فقال لا ينتطح فيها عنزان
وكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم أي لا يجري
فيها خلف ولا نزاع بل هي هدر وضرب مثلا للأمر الذي يقع بلا خلف ولا
نزاع لأن العنزين لا ينتطحان بل يتشامان ويفترقان وإنما ينتطح التيوس
والكباش ومرت القصة في المغازي فإن في هذه القصة أي الاستدلال
بها ونظائرها نظرا لأن القيام بالكفر بالمحكي عنهم والزيادة
منه وقد حاد المص رحمه الله للحمية المذهبية عن سواء السبيل فإنها كانت
ذمية يهودية متزوجة بمسلم صحابي فأمره بقتلها لأذاها له مع أن
نساء الحربيين فضلا عن أهل الذمة لا يقتلن دليل يقول المالكية يقتل الكافر
بسبه صلى الله عليه وسلم ما لم يسلم فالدليل من قصتها أشهر من الشمس في رابعة
النهار وقد أخبر عليه السلام أنه لا عصمة لأحد من الناس بعد
دعوتهم إلى الإسلام إلا بالإسلام بقوله أمرت أن أقاتل الحديث وهو
فكل منهم مهدر الدم إلا من عصمه الله منهم بالإسلام أو
بإعطاء الجزية كما في القرآن أو عهد أو أمان كما بين في السنة فما هذا الحصر
من المص وإنما النافع له في مقام الاستدلال ذكر من طرأ عليه

من المسلمين وصحة الارتداد بالسب على القول بكونه ردة فيه
نظر اذ هو ردة اجماعا كما مر فرجع الى الاسلام وتاب هذا هو محل النزاع
وموضع الاستدلال لكل من المتنازعين وسبحان الله لم قد ذكر
ذلك قبل فانه ذكر قصة ابن ابي سرح وهو قد كان مسلما اصليا واحد كتاب
الوحي ورجع الى الاسلام وامتنع النبي صلى الله عليه وسلم من مبايعته
ثلاث مرات ولام اصحابه على عدم قتله حين امتنع من بيعته وانما بايعه
لاجل عثمان وهو صلى الله عليه وسلم ولي ذلك فله العفو دون غيره بعده
لعدم اذنه في ذلك اما ذكر كافرا صلى بلغته دعوة النبي صلى الله
عليه وسلم وامتنع من اجابته وحاربه بيده ولسانه فلا نزاع
في اهدار دمه قطعا لا سيما وقد نقل عن هذه المراة الكافرة التي هي
عصما بنت مروان انها كانت تعيب الاسلام بفتح فكسر من عابه يعيبه
لازما ومتعديا او بضم ففتح وشد التحتية من عيبه اذا نسبه الى العيب او
احدث فيه عيبا وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم عطف اعم على
اخص لان عيب الاسلام يكون بذكر خلل في الدين وايذا النبي يكون به وبغيره
او لازم على ملزوم لان عيب الاسلام يلزمه ايذاؤه وتحرض تحث عليه
فاجتمع فيها موجبات القتل اجماعا يعني فلم يتعين ان قتلها للسب
وفيه انه خلاف الظاهر من قول ابن عباس هجت امراة النبي الحديث فقد تبين
مما ساقه القاضي عياض ان امره عليه السلام بقتل شانيه انما نقل
عن بعض في الكفرة ترد عليه ابن ابي سرح فقد امتنع من بيعته بعد اسلامه
ولام الصحابة على ترك قتله كما مر ولم ينقل انه قتل مسلما بسبه وانما
كان ذلك في اهل الكفر والعناد لكريم اخلاقه وحبه العفو والصفح وهو
ربي ذلك فاحب العفو عن من وقع له ذلك واسلم وقد قال من سب نبيا فاقتلوه
اخرجه الدارقطني والطبراني من حديث علي ومن يشمل المسلم والكافر وامره
كفعله ولو نقل فلا يتعين كونه حدا لاحتمال ان يكون قتله كفرا ويدفع
هذا الاحتمال ارادته قتل ابن ابي سرح بعدما اسلم ويؤيده عموم من سب نبيا
فاقتلوه فان ظاهره ولو عاد الى الاسلام وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اني سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم
يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن قتل الساب مشروعا كان
ذلك من اكبر الكبائر لانه قتل معصوم وظاهر قوله فلم يشق انه كان مسلما
اذ قتل الكافر لا يشق عليه حتى يعفى وقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به اي الاشراك به ويغفر ما دون سوى ذلك من الذنوب
لمن يشاء المغفرة له فيدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المومنين
بذنوبه ثم يدخله الجنة فاعلمنا ان ما وراء الشرك في حيز امكان المغفرة
وهو كذلك بلا شك لكنه لا يمنع اقامة الحدود الا ترى ان الزاني والسارق اذا
تاب بعد بلوغ الامام لا يسقط حده فكذلك حد سب الانبياء اذا تاب نقول بتوبته

وصحة

وصحة اسلامه ولكن نقيم حده وهو القتل عملا بعموم قوله فاقتلوه
وقال تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب من الشرك ولكن
ليس ذلك مانعا منا اقامة الحدود فالقاتل يقتل وان تاب فذكر الحصر هاتين
الايتين لا يفيده غرضا في استدلاله فان قلت هذا بالنظر الى ظلم النفس
وحقوق الله تعالى كصلاة وصوم لا بالنظر الى حقوق العباد لان
حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة وحقوق العباد مبنية
على المشاحة وهذا حق النبي صلى الله عليه وسلم وليس لنا ان
نسقطه لانه لم يرد اذنه في ذلك بخلافه هو صلى الله عليه وسلم
فان له ذلك لان الحق له ومن له حق فله اسقاطه فالجواب لا بد لنا من
نص على ذلك عنه عليه السلام كان يقول من سبني مثلا فاقتلوه
ولا تقبلوا له توبة ولا رجوعا عن سبه فان نقل اتبعناه والجواب
ان ظاهر قوله من سب نبيا فاقتلوه عدم قبول توبته في ترك قتله لانه حده
وان قبلناها في اجرا احكام الاسلام عليه من تغسيل وتكفين وصلاة ودفن
بمقابر المسلمين كالقاتل والزاني المحصن ونحوهما ثم انه من جهة النظر
العقلي ينبغي الحاق حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقوق
الله وبيانه ان حقوق الله مبناها على المسامحة كذلك حقوقه صلى
الله عليه وسلم فانه يتخلق باخلاق الله تعالى التي تليق به كما اشارت
اليه عايشة بقولها كان خلقه القران لكن منع من هذا الدليل العقلي قيام
الادلة الشرعية على خلافه في هذه المسئلة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم
وقد روى النسائي عن ابي برزة الاسلمي قال اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد
عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه بسبه اياك فقال اجلس
فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ان عامل عمر بن عبد
العزيز على الكوفة استشاره في قتل رجل سب عمر بن الخطاب فكتب اليه انه لا يحل
قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله فمن سبه فقد حل دمه
وقال ابو بكر الصديق حد قذف الانبيا ليس يشبه الحدود رواه ابن سعد وابن
عساكر فهذه ادلة متظاهرة على قتل الساب ولو تاب قال عياض ويدل على قتله
من جهة النظر والاعتبار ان من سبه صلى الله عليه وسلم او تنقصه قد ظهرت
علامة مرض قلبه وبرهان على سوء طويته وكفره ولهذا حكم له كثير من العلما
بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك ومما عد من خصايصه انه اذا
قصده ظالم وجب على من حضره ان يبذل بضم الذال نفسه دونه
اي يجود بها وان ادى الى قتله بخلاف غيره فلا يجب الدفع مع خوف ذلك
كما قاله الرافعي والنووي لان من قصد غيره مسلما لا يكفر وقاصده صلى الله
عليه وسلم بذلك يكفر حكاه النووي في زيادات الروضة عن جماعات
من الاصحاب الشافعية لقوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وظاهر
وانه كان له صلى الله عليه وسلم قدرة على الدفع والدافع عاجز قال الحافظ

ولهذا لم يقع ذلك في شيء من الاحاديث صريحا ويمكن ان يستانس له بان
طلحة وقاه بنفسه يوم احد وكان ابو طلحة الانصاري يتقي بترسه دونه ونحو
ذلك من الاحاديث ومن خصايصه عليه السلام انه كان يخص من شا
بما شا من الاحكام وغيرها كجعله شهادة خزيمة ابن ثابت بن الفاكه
ابن ثعلبة الانصاري الخطمي ابي عمارة المدني من كبار الصحابة شهد بدرا وقتل
مع علي بصفين سنة وثلاثين بشهادة رجلين ولذا لقب ذو الشهادتين
روى ابو داود وابن خزيمة وشيخهما فيه الذهلي باللام عن شعيب عن
ابن شهاب عن عمارة بن خزيمة بن ثابت الاوسي ابي عبد الله او ابي محمد
المدني تابعي ثقة مات سنة خمس ومائة وهو ابن خمس وسبعين روى له الاربعة
عن عمه قيل اسمه عمارة قاله ابن مندة وكان من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع اي اشترى من اعرابي
هو سوا ابن الحارث صحابي فرسا هو المرتجز او الطرف او النجيب اقوال ذكرها
الدم في خيله في تعيين هذا الفرس المشتري من افراسه صلى الله عليه وسلم
وزاد غيره القول بانه الملاوح ويرد على ذلك انه ردها على الاعرابي فماتت من
الغد كما في رواية الحارث وثاني فهو صريح في انها لم تكن من خيله المعينة المسماة
بالاسما المعلومة فاستتبعه اي تبعه فالسين زايدة والاولى كونها للطلب اي طلب
المصطفى من الاعرابي ان يتبعه ليقضيه ثمن الفرس فاسرع النبي صلى
الله عليه وسلم المشي وابطا الاعرابي ومعه الفرس بطفق بكسر الفاء وفتحها
اي جعل رجال يعترضون الاعرابي اي يتعرضون له بالكلام معه ماخوذ من
اعترض على الامير اي مر عليه لينظر حاله يساومونه بالفرس اي يطلبون بيعها
منه فالمفاعلة ليست مرادة بل بمعنى السوم والباء سببية او للمقابلة والعوض
اي يذكرون له ثمنا في مقابلته ولا يشعرون ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد ابتاعه حتى زاد واعلى ثمنه فذكر الحديث وهو فنادى الاعرابي
فقال ان كنت مبتاعا هذا الفرس فابتعه والا بعته فقال النبي صلى الله عليه وسلم
حين سمع ندا الاعرابي اوليس قد ابتعته منك قال الاعرابي لا والله ما بعتك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى قد ابتعته قال فطفق الاعرابي يقول
هلم شهيدا يشهد اني بعتك فمن جاء من المسلمين بعد هذا يقول
انكارا على الاعرابي ويلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
ليقول شيئا الا الحق تخبريين محذوف يتعلق به الجار حتى جا خزيمة
ابن ثابت فاستمع المراجعة التي بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين
الاعرابي فقال انا اشهد انك قد بايعته اي بعته الحديث وفيه قال
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة برجلين هكذا رواه
ابو داود وغيره من طريق عمارة عن عمه اخي خزيمة بدون تسمية الاعرابي وقد
رواه عمارة ايضا عن ابيه وسمى الاعرابي اخرج ابو بكر بن ابي شيبة وابو يعلى
وابن خزيمة والطبراني عن عمارة ابن خزيمة بن ثابت عن ابيه ان النبي صلى

الله

الله عليه وسلم اشترى فرسا من سوا ابن الحارث فجحد فشهد له خزيمة
فقال صلى الله عليه وسلم ما حملك على الشهادة ولم تكن معه حاضرا فقال
صدقتك بما جيت به وعلمت انك لا تقول الا حقا فقال صلى الله عليه
وسلم من شهد له خزيمة او شهد عليه فحسبه وفي البخاري في التفسير
من حديث خارجة عن ابيه زيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري النجاري
صحابي مشهور كتب الوحي قال مسروق كان من الراسخين في العلم مات سنة
خمس او ثمان واربعين وقيل بعد الخمسين قال لما نسخنا الصحف في المصاحف
فقدت اية من سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرؤها فوجدتها مع خزيمة وفي رواية لم اجدها مع احد الا مع
خزيمة الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه هذا بقية رواية البخاري قال
العلما اي لم اجدها مكتوبة مع كونها محفوظة عنده وعند غيره اذ القران لا يثبت
الا بالتواتر وعند الحارث بن ابي اسامة واسمه داهر في مسنده من
حديث مجالد عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشترى من اعرابي فرسا فجحده الاعرابي
فجا خزيمة فقال يا اعرابي اتجحد بالاستفهام الانكاري اي وتطلب منه
شهيدا انا اشهد انك بعته فقال انا اشهد انك بعته فقال الاعرابي
ان بفتح الهمزة اي لاجل انه وكسرها بمعنى اذ تعليلية نحو اتعجب اذ دنا
فتنية حزتا وفي نسخة وهي ظاهرة اذ شهد على خزيمة فاعطى الثمن
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا خزيمة انا لم نشهدك بالمبايعة او
بمعنى لم نحضرها كما في الرواية التي قدمتها ما حملك على الشهادة ولم تكن معه
حاضرا كيف تشهد على ما لم تعاينه ولم تحضره قال اصدقك على خبر
السما والارض كما في رواية الحارث فسقط من قلم المص والارض الا اصدقك
على ذا الاعرابي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته
بشهادة رجلين فلم يكن في الاسلام من تعدل لفظ رواية الحارث من
يجوز شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة بتخصيص المصطفى له
ففيه انه يخص من شا بما شا بقية رواية الحارث عن النعمان فرد صلى الله
عليه وسلم الفرس على الاعرابي وقال لا بارك الله لك فيها فاصبحت من الغد شايلة
برجلها اي ماتت وهذا الاعرابي اسمه سوا ابن الحارث من وفد محارب وروى
ابن مندة وابن شاهين عن المطلب بن عبد الله قال قلت لبني الحارث ان
سمعوا ابوكم الغزي جحد بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا تقل ذلك
فلقد اعطاه بكرة فما اصبحنا نسوق سارحا ولا بارحا الا منها قال الخطابي
في شرح ابي داود هذا الحديث حمله كثير من الناس على غير محمله
وتذرع بذال معجمة توسع وتوسل به قوم من اهل البدع وباهمال الدال
اي تمسكوا به وجعلوه كالذرع في اتفاق ما يرد عليهم الى استحلال

الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق على كل شيء ادعاه متعلق بالشهادة
وليس حمل الحديث على ذلك بصحيح وانما وجه الحديث اي وجهته التي
ينبغي حمله عليها انه صلى الله عليه وسلم حكم على الاعرابي بعلمه
لانه من خصايصه وجرت شهادة خزيمة مجرى التوكيد التقوية
لقوله والاستظهار على خصمه فصارت في التقدير بشهادة اثنين
في غيرها من القضايا الا ان شهادته منه وقعت كانت كشهادة رجلين
في الايطلب له ثانيه انتهى كلام الخطابي وفيه نظر فان الاحاديث ظاهرة بل صريحة
في تخصيصه بذلك دايما لا لمجرد الحكم بعلمه كيف وفي رواية الحارث فلم يكن في
الاسلام من تجوز شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة وفي رواية محمد بن
ابي عمر العدني في مسنده فاجاز النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين
حتى مات خزيمة وروى ابو يعلى عن انس قال افتخر الحيان الاوس والخزرج
فقالت الاوس ومنا من جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين
خزيمة فهذا صريح الحديث فانه لو كان للحكم بعلمه لم يكن فخر اصلا والغاية بقوله
حتى مات خزيمة صريحة في ذلك اذ هو قد عاش بعد النبي سبعا وعشرين سنة
نعم لا حجة فيه للمبتدعة لانه خصوصية لخزيمة خصه بها فمن له تخصيص
من شاء بما شاء ومن ذلك ترخيصه في النياحة رفع الصوت على الميت بالندب
وهو عد محاسنه كواكهفاه واجبلاه لام عطية نسيبة بضم النون وفتح المهملة
مصغر ويقال بفتح اوله وكسر المهملة بنت الحارث الانصارية المدنية ثم سكنت البصرة
وقيل بنت كعب وانكره ابو عمر لان بنت كعب هي ام عمارة وهذه ام عطية عن النبي
صلى الله عليه وسلم وعنها انس ومحمد وحفصة ولدا سيرين واخرون
وفي مسلم عنها غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات كنت
اخلفهم في رحالهم وفي الصحيح ايضا عن حفصة بنت سيرين ان ام عطية
قدمت البصرة فنزلت قصر بني خلف روى مسلم في الجنائز من طريق حفصة عنها قالت
لما نزلت هذه الاية يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيئا الاية الى قوله ولا يعصينك في معروف قالت كان منه
اي من العصيان النياحة على الميت وهي من كفر النعمة لان من ناح على الميت كفر
نعمة انه حي فقلت يا رسول الله الا ال فلان فانهم كانوا اسعدوني
في الجاهلية والاسعاد قيام المراة مع الاخرى في النياحة تراسلها اي تساعدها
وهو خاص بهذا المعنى ولا يستعمل الا في المساعدة عليه فلابد لي من ان اسعدهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ال فلان واخرجه البخاري في التفسير عن
حفصة بنت سيرين عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا
علينا ان لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امراة يدها فقالت فلانة
اسعدتني وانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت
ورجعت فبايعها وللنسائي قال اذهبي فاسعديها قالت فذهبت فساعدتها
ثم جئت فبايعته وللترمذي فاذن لها ولاحمد قال اذهبي فكافئيهم قال الحافظ
التي

التي تستثنيها هي ام عطية وفلانة لم اقف على اسمها انتهى وكانه
صلى الله عليه وسلم سكت اولا ثم اذن قال النووي هذا محمول على
ان الترخيص لام عطية خاصة في آل فلان خاصة وللشارع ان
يخص من العموم ما يشاء انتهى قال المص كغيره واورد على النووي
حديث ابن عباس عند ابن مردويه قالت لما اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم على النساء فبايعهن على ان لا يشركن بالله شيئا الاية قالت خولة بنت
حكيم يا رسول الله كان ابي واخي ماتا في الجاهلية وان فلانة اسعدتني وقد
مات اخوها الحديث وحديث اسماء بنت يزيد الانصارية عند الترمذي قالت قلت
يا رسول الله ان بني فلان اسعدوني على عمي ولا بد من قضائهن فابى قالت
فراجعته مرارا فاذن لي ثم لم انح بعد ذلك وعند احمد والطبراني من طريق
مصعب بن نوح قال ادركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت فاخذ علينا ان لا تنحن فقالت عجوز يا نبي الله ان
ناسا كانوا اسعدونا على مصائب اصابتنا وانهم قد اصابتهم مصيبة فانا
نريد ان نسعدهم قال اذهبي فكافئيهم فانطلقت فكافاتهم ثم انها اتت فبايعته
وحينئذ فلا خصوصية لام عطية والظاهر ان النياحة كانت مباحة ثم
كرهت كراهة تنزيه ثم تحريم فيكون الاذن لمن ذكرت وقع لبيان الجواز مع
الكراهة ثم لما تمت مبايعة النساء وقع التحريم فورد حينئذ الوعيد الشديد
في حديث ابي مالك الاشعري عند مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة عليها سربال من قطران و
درع من جرب انتهى ومن ذلك ترك الاحداد على الزوج اي ترخيصه
في تركه لاسماء بنت عميس بضم العين مصغر اخره سين مهملة الخثعمية
صحابية تزوجها جعفر بن ابي طالب ثم ابو بكر ثم علي وولدت لهم وماتت بعد
علي ولها احاديث في البخاري والسنن وهي اخت ميمونة بنت الحارث ام المؤمنين
اخرج ابن سعد عن اسماء بنت عميس قالت لما اصيب قتل بغزوة
مؤتة سنة ثمان من الهجرة جعفر بن ابي طالب الهاشمي ذو الجناحين و
الصحابي الجليل له في النسائي قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسلبي اي احدي على زوجك ثلاثا قال المصباح التسلب امتناع المراة
من الزينة والخضاب بعد موت زوجها وفي نسخة تسلي بدون موحدة
فان صحت فالمعنى تصبري اي صبري نفسك على الاحداد ثلاثة ايام ثم اصنعي
ما شئت فاباح لها ترك الاحداد بعدها مع وجوبه على المراة ما دامت في العدة
ومن ذلك الاضحية بالعناق بفتح المهملة وخفة النون الانثى من ولد
المعز قبل استكمالها الحول لابي بردة بضم الموحدة بن نيار السلوي حليف
الانصار اسمه هانئ وقيل الحارث بن عمرو وقيل مالك بن هبيرة مات سنة
احدى واربعين وقيل بعدها رواه الشيخان البخاري في العيد والاضاحي
ومسلم في الذبائح من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وفي رواية يوم
الاضحى بعد الصلاة فقال من صلى صلاتنا ونسك بفتح النون والسين
نسكنا بضم النون والسين ونصب الكاف اي ضحى مثل ضحيتنا فقد اصاب
النسك اي الطريقة وفي رواية فقد اصاب سنتنا وفي رواية النسك وفي اخرى
ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه واصاب سنة المسلمين ومن نسك
قبل الصلاة فتلك شاة لحم وليست اضحية ولا ثواب فيها واستشكلت
هذه الاضافة بان الاضافة اما معنوية مقدرة بمن كخاتم حديد او باللام كغلام
زيد او في كضرب اليوم او لفظية مضافة الى معمولها كضارب زيد وحسن الوجه
ولا يصح شيء منها في شاة لحم واجيب بان الاضافة بتقدير محذوف اي شاة هي
طعام لحم لا اطعام نسك وما اشبه ذلك يعني شاة لحم غير نسكه فهي مضافة الى
محذوف واقيم المضاف اليه مقامه وفي رواية للعمي لحم ايضا فانما هو لحم قدمه
لاهله ليس من النسك في شيء فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله
لقد نسكت شاتي اي ذبحتها قبل ان اخرج الى الصلاة وعرفت ان
اليوم يوم اكل وشرب بضم الشين وجوز الزركشي فتحها كما قيل به
في ايام منى ايام اكل وشرب ورده الدماميني بانه ليس محل قياس انما المعتمد
الرواية زاد في رواية واحببت ان تكون شاتي اول شاة تذبح في بيتي وفي رواية
اخرى عن انس في الصحيحين فقال يا رسول الله ان هذا يوم يشتهى فيه اللحم
اي بحسب العادة بكثرة الذبح فيه فتتشوف له النفس التذاذا به فتعجلت
وفي رواية وذبحت شاتي واكلت واطعمت اهلي وجيراني قبل ان اتي الصلاة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك شاة لحم لا اضحية ولا ثواب فيها بل
هي عادة الذبح للاكل المجرد عن القربة فافاد باضافتها الى اللحم نفي الاجزا
وفي رواية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ابدلها قال وفي رواية فقال له
عندي عناق جذعة بالتنوين فيهما فالثاني عطف بيان وفي رواية عندي
جذعة واخرى عندي عناق لبن اشارة الى صغرها وانها قريبة من
الرضاع وفي اخرى فان عندنا عناقا لنا جذعة صفتان لعناقا والمنصوب
بان وفي رواية فان عندي داجنا جذعة وما يوجد في بعض النسخ فان
عندي عناق جذعة واذا امكن توجيهها بجعل اسم ضمير الشان محذوفا
والجملة خبر لكنه ليس رواية هي خير من شاتي لحم لطيب لحمها وسمنها
فان قيل كيف تكون واحدة خيرا من اضحيتين بل العكس اولى كعتق اثنين خير
من عتق واحد ولو كان انفس اجيب بان القصد في الضحايا طيب اللحم
وكثرة الثمن فشاة سمينة افضل من شاتين واما العتق فالمقصود منه
التقرب الى الله بفك الرقبة فعتق اثنين افضل من عتق واحد نعم
ان عرض للواحد وصف يقتضي رفعته على غيره كالعلم وانواع الفضل
فجزم بعض المحققين انه افضل لعموم نفعه للمسلمين وفي رواية هي خير
من مسنة واخرى من مسنتين بالتثنية قال الجوهري يكون ذلك في الظلف

والحافر

والحافر في الثالثة وفي الخف في السادسة فهل تجزي عني قال نعم تجزي
عنك وفي رواية قال اجعلها مكانها ولن تجزي عن احد بعدك
اي غيرك لانه لا بد في تضحية المعز من الثنية ونيار بكسر النون
وتخفيف المثناة التحتية واخره راء بعد الف وقوله تجزي بفتح
اوله غير مهموز اي تقضي كقوله لا تجزي والدعن ولده قال ابن
بري الفقهاء يقولون لا تجزي بالضم والهمزة في موضع لا يقضي والصواب
الفتح بلا همز ويجوز الضم والهمز بمعنى الكفاية وفي الاساس بنو تميم يقولونه
بضم اوله واهل الحجاز بفتح اوله وبهما قرئ لا تجزي نفس عن نفس وجوز
بعضهم هنا الضم من الرباعي وبه قال الزركشي في تعليق العمدة اعتمادا
على نقل الجوهري وغيره انها لغة تميم ونقض بان الاعتماد انما هو على
الرواية لا لمجرد النقل عن تميم والجذع بالجيم والذال المعجمة ثم عين
مهملة ما استكمل سنة فالعناق جذع لسنة وربما اجذع قبل تمامها
للخصب فتسمن فيسرع اجذاعها وفي هذا الحديث تخصيص ابي بردة
باجزاء الجذع من المعز في الاضحية على سبيل الصراحة لكن وقع في عدة
احاديث التصريح بنظير ذلك لغير ابي بردة ففي حديث عقبة
ابن عامر الجهني العقبي الفاضل مات قريب الستين عند البيهقي واصله
في الصحيحين عن عقبة قال قسم النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه ضحايا
فصارت لعقبة جذعة فقلت يا رسول الله صارت لي جذعة قال ضح بها زاد
في رواية البيهقي ولا رخصة فيها لاحد بعدك قال البيهقي اذ كانت
هذه الزيادة محفوظة اي ليست بشاذة كان هذا رخصة لعقبة كما رخص
لابي بردة قال الحافظ ابن حجر وفي هذا الجمع نظر لان في كل منهما صيغة
عموم وهو نفي الاجزاء عن غير المخاطب في كل منهما فايهما تقدم على الاخر
اقتضى انتفاء الوقوع للثاني فلا يصح الجمع المذكور ويحتمل في الجمع ان يكون
خصوصية الاول نسخت بثبوت الخصوصية للثاني ولا مانع من ذلك
لانه لم يقع في السياق استمرار المنع لغيره صريحا لكن فيه دعوى
النسخ بالاحتمال وانما يكون بمعرفة التاريخ والى هذا اشار بقوله الاتي وان
تعذر الجمع الخ وفي كلام بعضهم ان الذين ثبتت لهم الرخصة اربعة
او خمسة واستشكل هذا البعض الجمع بحسب الظاهر والتحقيق وان
الاحاديث التي وردت ليس فيها التصريح بالنفي الا في قضية
ابي بردة في الصحيح للشيخين وفي قضية عقبة بن عامر عند
البيهقي واما ما عدا ذلك فوقعت المشاركة في مطلق الاجزاء لا في خصوص
منع الغير فاخرج ابو داود وصححه ابن حبان من حديث زيد
ابن خالد الجهني المدني صحابي شهير مات بالكوفة سنة ثمان وستين
او سبعين وله خمس وثمانون سنة ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه
عتودا بفتح المهملة وضم الفوقية الخفيفة ما قوي ورعى من اولاد المعز

وانثى عليه حول او العتود الجذع من المعز ابن خمسة اشهر وفي المحكم
الجدي الذي استكرش وقيل الذي بلغ السفاد **جذعا اي صغيرا فقال**
ضح به فقلت انه جذع لا يجزي ضحية **افاضحي به قال ضح به** ولم
يقل لا رخصة او لا يجزي عن احد بعدك **وفي الاوسط للطبراني من**
حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم اعطى سعد ابن ابي
وقاص مالك احد العشرة **جذعا من المعز فامره ان يضحي به**
واخرجه الحاكم من حديث عايشة وان خرجه الحاكم وكذا وقع لعويمر ابن
اشقر رواه ابن حبان وابن ماجة وروى ابو يعلى والحاكم عن ابي هريرة ان
رجلا قال يا رسول الله هذا جذع من الضان مهزولة وهذا جذع من المعز
سمين وهو خيرهما افاضحي به فقال ضح به فان لله الخير وسنده ضعيف
فلا منافاة بين ذلك كله **وبين حديثي ابي بردة وعقبة لاحتمال ان**
يكون ذلك في ابتدا الامر يجزيهما ثم تقرر الشرع **بان الجذع من المعز**
لا يجزي واختص ابو بردة وعقبة بالرخصة في ذلك لكن ينبغي
التعارض بين حديثيهما فان ساغ احد الجمعين المتقدمين فلا تعارض **وان**
تعذر الجمع بين حديث ابي بردة وحديث عقبة لان جمع البيهقي
فيه نظر بان في كل منهما صيغة عموم كما مر والجمع باحتمال نسخ خصوصية الاول
بالثاني لا ينهض اذ النسخ لا يكون بالاحتمال رجعنا الى الترجيح **فحديث ابي**
بردة اصح مخرجا لاتفاق البخاري ومسلم عليه فهو ارفع الصحيح فيقدم
على حديث عقبة عند البيهقي خصوصا وقد اخرجه الشيخان بدون تلك
الزيادة **وان كان حديث عقبة عند البيهقي من مخرج الصحيح** لانه
لا يلزم من اخراج الشيخين لرجاله ان يكون صحيحا مثل تخريجهما بالفعل وقد
نبه على ذلك ابن الصلاح في مقدمة شرح مسلم فقال من حكم لشخص بمجرد
رواية مسلم عنه في الصحيح بانه من شرط الصحيح عند مسلم فقد غفل واخطا
بل ذلك يتوقف على النظر في كيفية روايته وعلى اي وجه اخرج حديثه انتهى
ومن ذلك انكاح ذلك الرجل الذي كان عند المصطفى لما عرضت امراة
نفسها عليه صلى الله عليه وسلم فالاشارة الى معلوم **بما معه من القران**
اي بتعليمه اياها بان جعله صداقا وذلك لا يجوز كونه صداقا فهو خصوصية **فيما ذكره**
جماعة كابي حنيفة واحمد ومالك وهو احد قولين مرجحين عند اصحابه وجوزه
الشافعي والمص كغيره ممن ذكر الخصايص غالبا لا يقتصرون فيها على مذهبهم
بل يذكرون ما قيل انه خصوصية ولو كان ضعيفا فيجيب الاعتراض عليه
بانه خلاف مذهب الشافعي وكان المعترض ما تنبه لقوله فيما ذكره جماعة
وورد به حديث مرسل اخرجه سعيد بن منصور عن ابي النعمان
الازدي ظاهر المص انه تابعي لقوله مرسل وقد اورده في الاصابة في الكنى
في القسم الاول وقال ذكره ابو موسى عن الطبراني واخرج ابن السكن عن ابي النعمان
الازدي عن ان رجلا خطب امراة فقال صلى الله عليه وسلم اصدقها قال ما عندي
شي

شي قال اما تحسن سورة من القران فاصدقها السورة ولا يكون لاحد بعدك
مهرا قال ابن السكن لا تحفظ هذه الزيادة الا في هذه الرواية انتهى وفي التجريد
للذهبي ابو النعمان له حديث ساقه مطين وغيره في التزويج على سورة من
القران فهو صحابي قطعا فمراد المص كالسيوطي بقولهما مرسل ما سقط منه
راو على احد الاقوال لا ما رفعه التابعي وان كان هو المشهور في تعريفه لان
الواقع ان ابا النعمان صحابي لا تابعي **قال زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم**
امراة يقال انها خولة بنت حكيم او ام شريك او ميمونة قال الحافظ في المقدمة
ولا يثبت شي من ذلك ولم يسم الرجل **على سورة من القران** اي على جنس
فلا ينافي رواية الصحيحين فان معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا
لسور يعددها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انكحتكها بما معك من القران
ولابي داود والنسائي عن ابي هريرة سورة البقرة والتي تليها وللدارقطني
عن ابن مسعود البقرة وسورة من المفصل ولتمام الرازي عن ابي امامة قال
زوج النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الانصار على سبع سور وفي فوايد
ابي عمر بن حيويه عن ابن عباس قال معي اربع سور او خمس سور ذكره الحافظ
وفي ابي داود باسناد حسن عن ابي هريرة قم فعلمها عشرين اية من القران
وهي امراتك فظاهر حديث الصحيحين انه جعل الصداق تعليمها اياها جميع
ما معه من القران على اختلاف الروايات في تعيينه ولا منافاة بينها لان كلا
حفظ ما لم يحفظ الاخر واما الجمع بجواز ان ما كان مع الرجل سورة وعدتها
عشرون اية او كان عنده سور قصار تبلغ عشرين اية ففاسد لما رايت من
ان منها البقرة وال عمران هذا وانما عدل المص كالسيوطي عن الصحيحين الى
المرسل لانه صرح فيه بالخصوصية بقوله **وقال لا يكون لاحد بعدك مهرا**
وتجويز ان المراد لا ينبغي ان احدا يجعل السورة صداقا حتى لا يخالف الشافعي عدول
عن الظاهر وفيه قال مكحول ليس لاحد بعده اي انه خصوصية بخلاف حديث
الصحيحين فافادته الخصوصية بالقوة لا التصريح روى الشيخان عن سهل
ابن سعد ان امراة عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية لهما
فقالت يا رسول الله اني وهبت نفسي اليك فصعد فيها النظر فقامت قياما
طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة قال هل عندك
قال ما عندي شي قال اذهب فالتمس ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال
لا والله ما وجدت شيئا ولا خاتما من حديد ولكن هذا ازاري ولها نصفه قال
سهل وما له رداء فقال صلى الله عليه وسلم وما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن
عليها منه شي وان لبسته لم يكن عليك منه شي فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه
قام فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه او دعا له فقال له ماذا معك من
القران قال معي سورة كذا وسورة كذا لسور يعددها فقال النبي صلى
الله عليه وسلم انكحتكها بما معك من القران هنا وزاد السيوطي ترخيصه في
ارضاع سالم مولى ابي حذيفة وهو كبير وفي تعجيل صدقة عامين للعباس

وفي الجمع بين اسمه وكنيته للمولود الذي يولد لعلي وفي المكث جنبا لعلي
وفي فتح باب من داره في المسجد له وفي فتح خوخة فيه لابي بكر واكل
المجامع في رمضان من كفارة نفسه وفي لبس الحرير للزبير وعبد الرحمن
فيما قاله جماعة وهو وجه عندنا وفي لبس خاتم الذهب للبرا وفي اشتراط
الولا لموالي بريرة ولا يوفي به فيما ذكره بعضهم وفي العدية لعلية بن زيد
الحارثي فيما ذهب اليه الواقدي وفي خيار الغبن لحبان بن منقذ فيما ذكره
النووي في شرح مسلم وفي التحلل بالمرض لضباعة بنت الزبير وفي احد
القولين وفي ترك مبيت منى لاجل السقاية لبني العباس في وجه وبني هاشم
في اخر ولعايشة في صلاة ركعتين بعد العصر ولمعاذ في قبول الهدية حين
بعثه الى اليمن وفي المستدرك وغيره عن انس ان ام سليم تزوجت بالطلحة على
اسلامه قال ثابت ما سمعت بامراة كانت اكرم مهرا منها في الاسلام واعاد
امراة ابي ركانة اليه بعد ان طلقها ثلاثا من غير محلل واسلم رجل على ان لا يصلي
الا صلاتين فقبل منه وضرب لعثمان يوم بدر بسهم ولم يضرب لغايب غيره رواه
ابو داود وعن ابن عمر وكان يوم اخى بين الصحابة ويثبت بينهم التوارث وليس
ذلك لغيره قاله علي بن زيد وخص نسا المهاجرين بانهن يرثن دون ازواجهن
لانهن غرايب لا ماوى لهن وكان انس يصوم من طلوع الشمس لا من طلوع
الفجر فالظاهر انها خصوصية **ومنها انه كان يوعك** اي ياخذه الوعك
بسكون العين اي شدة الحمى او المها او رعدتها **كما يوعك رجلان لمضاعفة
الاجر** روى الشيخان عن ابن مسعود قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يوعك فقلت انك لتوعك وعكا شديدا فقال اجل اني اوعك كما يوعك
رجلان منكم قلت وذلك لان لك اجرين قال اجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه
اذى من شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سياته كما تحط الشجرة ورقها او دو
الاموذج وكذلك الانبيا وعصم من الاعلال الموجبة ذكر هذه القضاعي الاعلال
بمهملة جمع علة والموجبة بجيم المهملة القاتلة بسرعة فلم يصبه منها شي
طول حياته وروى الطبراني عن ابي امامة كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من
موت الفجاة وكان يعجبه ان يمرض قبل ان يموت وروى ابن ماجة وصححه الديلمي
عن ابي سعيد مرفوعا انا معاشر الانبيا يضاعف لنا البلا كما يضاعف لنا الاجر
كان النبي من الانبيا يبتلى بالقمل حتى يقتله وانهم كانوا يفرحون بالبلا كما يفرحون
بالرخا وروى احمد بسند حسن والطبراني عن فاطمة بنت اليمان قالت اتينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوده في نسا فاذا شن معلق نحوه يقطر
ماوه فيه من شدة ما يجد من حر الحمى فقلنا يا رسول الله لو دعوت الله
فشفاك قال انا معاشر الانبيا يضاعف علينا البلا **ومنها ان جبريل ارسل
اليه ثلاثة ايام في مرضه** الذي مات فيه اكراما له واجلالا **يساله عن حاله**
كل يوم يقول ان الله ارسلني اليك تفضيلا وخاصة يسالك عما هو اعلم به
منك كيف تجدك قال اجدني مكروبا ومغموما وفي اليوم الثالث جا ومعه
ملكه

ملك الموت فاستاذنه في قبض روحه فاذن **ذكره** اي اخرجه **البيهقي**
في الدلايل **وغيره** واشار البيهقي لضعفه ولما نزل اليه ملك الموت نزل
معه ملك يقال له اسماعيل وهو على سبعين الف ملك يصعد الهوا
لم يصعد الى السما قط ولم يهبط الى الارض قبل ذلك اليوم قط وسبقهما
جبريل فقال له ما تقدم فقال له ملك الموت يستاذن عليك ولم يستاذن
على ادمي قبلك فاذن له فدخل فوقف بين يديه وقال ان الله ارسلني اليك
وامرني ان اطيعك فان امرتني ان اقبض نفسك قبضتها وان امرتني ان
اتركها تركتها فقال له جبريل ان الله اشتاق الى لقايك اي اراده فقال
صلى الله عليه وسلم امض لما امرت به رواه الشافعي والبيهقي والطبراني
عن علي باسناد معضل وروى ابو نعيم عن علي لما قبض صلى الله عليه وسلم
صعد ملك الموت باكيا الى السما والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من
السما ينادي وا محمداه **ومنها انه صلى عليه الناس افواجا افواجا**
اي فوجا بعد فوج روى الترمذي ان الناس قالوا لابي بكر انصلي على رسول
الله قال نعم قالوا وكيف نصلي قال يدخل قوم ويصلون ويدعون ثم يدخل قوم
فيصلون فيكبرون ويدعون فرادى **بغير امام** قال علي هو امامكم حيا
وميتا فلا يقوم عليه احد فكان الناس يدخلون رسلا رسلا فيصلون صفا صفا
ليس لهم امام رواه ابن سعد قيل وصلوا كذلك لعدم اتفاقهم على خليفة وقيل
بوصية منه روى الحاكم والبزار بسند فيه مجهول انه صلى الله عليه وسلم لما
جمع اهله في بيت عايشة قالوا فمن يصلي عليك قال اذا غسلتموني وكفنتموني
فضعوني على سريري ثم اخرجوا عني فان اول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل
ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده من الملايكة باجمعهم ثم ادخلوا علي
فوجا بعد فوج فصلوا علي وسلموا تسليما **وبغير دعا** الجنازة المعروف
ذكره اي رواه البيهقي وابن سعد وغيرهما عن علي انهم كانوا يكبرون ويقولون
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله اللهم انا نشهد ان محمدا قد بلغ ما انزل عليه
ونصح لامته وجاهد في سبيلك حتى اعز الله كلمته فاجعلنا نتبع ما انزل اليه
وثبتنا بعده واجمع بيننا وبينه فيقول الناس امين اي الناس الذين لم يكونوا
مشغولين بالصلاة او من سبق بالسلام ولم ينصرف او المصلون انفسهم وروى
الحاكم والبيهقي اول من صلى الملايكة فرادى ثم الرجال فرادى ثم النسا ثم الصبيان
بوصية منه بذلك وروى البيهقي عن ابن عباس لما مات صلى الله عليه وسلم
ادخل عليه الرجال فصلوا بغير امام ارسالا حتى فرغوا ثم ادخل النسا فصلين
عليه كذلك ثم العبيد كذلك ولم يومهم عليه احد وتكرار الصلاة عليه من
خصايصه عند مالك وابي حنيفة وفي اقتصار المصنف على انه بغير دعا الجنازة
افادة انهم صلوا عليه الصلاة المعروفة ولم يقتصروا على مجرد الدعا وهو كذلك
قال عياض وتبعه النووي الصحيح الذي عليه الجمهور ان الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم كانت صلاة حقيقية لا مجرد الدعا فقط وعد طايفة من خصايصه

انه لم يصل عليه اصلا وانما كان الناس يدخلون ارسالا فيدعون ويصدقون
علي ظاهر حديث علي وعلل بانه لفضله وشرفه غير محتاج للصلاة عليه
ورد بان المقصود من الصلاة عليه عود التشريف علي المسلمين مع انه الكامل
يقبل زيادة التكميل **وترك بلا دفن ثلاثة ايام** لاختلافهم في موته او في
محل دفنه او لاشتغالهم في امر البيعة بالخلافة حتي استقر الامر علي ابي
بكر **قال الحاسباني** ذلك بتعليله في المقصد الاخير زاد غيره او لدهشتهم من ذلك
الامر الهائل الذي ما وقع قبله ولا بعده مثله فصار بعضهم كجسد بلا روح
وبعضهم عاجزا عن النطق وبعض عن المشي او خوف هجوم عدو او لصلاة
جم غفير **وفرش له في لحده قطيفة** نجرانية كان يتغطي بها وضعها مولاه
شقران وقال والله لا يلبسها احد بعدك فوضعها خصوصية له كما قال وكيع
فقد كره جمهور العلما وضع قطيفة او مضربة او مخدة ونحو ذلك في القبر
تحت الميت وشذ البغوي فجوزه والصواب الكراهة واجاب الجمهور عن هذا
الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه احد من الصحابة ولا علموا
بذلك وانما فعله ذلك كراهة ان يلبسها احد بعده قاله النووي وقد قال ابن عبد
البر انها اخرجت لما فرغوا من وضع اللبنات التسع ورجحه الحافظ وشيخه
في الالفية قال « وفرشت في قبره قطيفة » وقيل اخرجت وهذا اثبت
والامران تاخير الدفن والتفريش مكروهان في حقنا تنزيها **واظلمت
الارض بعد موته** رواه الترمذي عن انس لما كان اليوم الذي دخل فيه صلي الله
عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شي فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شي
وما نفضنا ايدينا عن التراب وانا لفي دفنه حتي انكرنا قلوبنا **قال الحاسباني** في
المقصد العاشر زاد الانموذج ولا يضغط في قبره وكذلك الانبيا ولم يسلم من
الضغطة صالح ولا غيره سواهم وفي تذكرة القرطبي الا فاطمة بنت اسد ببركته
ويحرم الصلاة علي قبره واتخاذه مسجدا قال الاوزاعي ويحرم البول عند قبور
الانبيا ويكره البول عند قبور غيرهم **ومنها انه لا يبلي** بالبلا المغسول **جسده**
اي لا يتغير عن حالته التي كان عليها في الدنيا ولا ينافي ان هذه الخصوصية شاركه
الانبيا فيها الشهدا وغيرهم **وكذلك الانبيا** ولا خلاف في طهارة ميتتهم وفي
غيرهم خلاف ولا يجوز للمضطر اكل ميتة نبي **رواه ابو داود وابن ماجة**
عن اوس رفعه ان الله حرم علي الارض ان تاكل اجساد الانبيا وروي الزبير
ابن بكار من مرسل الحسن من كلمه روح القدس لم تاكل الارض لحمه وروي نحو
البيهقي عن ابي العالية ان لحوم الانبيا لا تبليها الارض ولا تاكلها السباع
قال الشيخ ابو الحسن المالكي في شرح الترغيب وحكمة عدم اكل الارض اجساد
الانبيا ومن الحق بهم ان التراب يمر علي الجسد فيطهره والانبيا لا ذنب لهم
فلم يحتج الي تطهيرهم بالتراب **ومنها انه لا يورث فقيل لبقائه علي
ملكه** لانه حي **وقيل لمصيره صدقة وبه قطع** جزم **الروياني** وهو
المعتمد لقوله صلي الله عليه وسلم لا نورث ما تركناه صدقة ونصبها الشيعة

ورد بانه

ورد بانه يبطل معني الحديث اذ كل من ترك مالا احالة كونه صدقة كذلك
وبان عليا والعباس من اهل اللسان وقد احتج الصديق عليهم بالحديث
فقبلوه **ثم حكي وجهين في انه هل يصير وقفا علي ورثته**
لو كان يورث **وانه اذا صار وقفا هل هو الواقف** او صار وقفا من
غير انشا صيغة **وجهان قال النووي في زيادات الروضة الصواب
الجزم بزوال ملكه وانما تركه صدقة علي المسلمين لا تختص به الورثة
انتهي** وقال الحافظ يظهر ان ما تركه بعده من جنس الاوقاف المطلقة
ينتفع بها من يحتاج اليها ويقر تحت يد من يؤتمن عليها ولهذا كان له عند
سهل قدح وعند انس آخر وعند عبد الله بن سلام آخر وكان الناس يتبركون
منها تبركا وكانت جبته عند اسما بنت ابي بكر الي غير ذلك مما هو معروف
وقال الرافعي في الشرح الصغير علي وجيز الغزالي **المشهور انه
صدقة وذكر الرافعي** في الشرح الكبير علي الوجيز **في قسم الفي ان الخمس
كان له صلي الله عليه وسلم ينفق منه علي نفسه ومصالحه ولم يكن
يملكه ولا ينتقل الي ورثته** لو كان يورث **وقال في باب الخصايص انه
ملكه ويجمع بينهما بان لجهة الاتفاق ما ذكر مملوكة وغير
مملوكة والخلاف جار في احدهما انتهي والله اعلم وعلي هذا فيباح
ان يوصي بجميع ماله للفقرا وبعضه** اي ينفذ ذلك بعد موته **خ
بخلاف غيره فانه لا يمضي به الا الثلث بعد موته** فالوصية بجميع
المال في ساير الاحوال من غير حرمة ولا كراهة من خصايص الانبيا لانهم لا يورثون
وكذلك الانبيا لا يورثون لانهم لو ورثوا لظن ان لهم رغبة في الدنيا لوارثهم
ولانهم احيا والحي لا يورث او لئلا يتمني ورثتهم موتهم فيهلكون **لما رواه النسائي من حديث
الزبير** بن العوام **مرفوعا انا معاشر الانبيا** نصب علي الاختصاص والمدح
والمعشر كل جمع امرهم واحد فالانس معشر والانبيا معشر وهو معني قول جمع
المعشر الطايفة الذين يشملهم وصف **لا نورث** وهذا بمعني ما اشتهر مما لم
يثبت لفظه نحن معاشر الانبيا لا نورث قال الحافظ في تخريج المختصر
والحاصل انه لم يوجد بلفظ نحن ووجد بلفظ انا ومفادهما واحد فلعل من ذكره
بالمعني وهو في الصحيحين عن ابي بكر رضي الله عنه سمعت النبي صلي الله عليه
وسلم يقول لا نورث ما تركناه صدقة بحذف انا وكذا في السنن الثلاث انتهي
وصدقة بالرفع خبر المبتدا الذي هو ما تركنا والكلام جملتان الاولي فعلية
والثانية اسمية قال الحافظ ويؤيده وروده في بعض طرق الصحيح ما تركنا
فهو صدقة وادعي بعض الرافضة ان الصواب قراته بتحتية اوله ونصب
صدقة علي الحال والذي توارد عليه اهل الحديث في القديم والحديث بالنون
ورفع صدقة انتهي وفي شرح المصو وحرفه الامامية فقالوا لا يورث بتحتية
بدل النون وصدقة نصب علي الحال وما تركنا مفعول لما لم يسم فاعله فجعلوا
الكلام جملة واحدة ويكون المعني ان ما يترك صدقة لا يورث وهذا تحريف

بخروج الكلام عن نمط الاختصاص الذي دل عليه قوله في بعض طرق الحديث نحن
معاشر الانبيا لا نورث ويقضي ما صرفوه الي امر لا يختص به الانبيا لان آحاد
الامة اذا وقفوا اموالهم او جعلوها صدقة انقطع حق الورثة عنها فهذا من
تمايلهم او تجاهلهم وقد اورده بعض اهل الامامية علي القاضي شاذان صاحب
صاحب القاضي ابي الطيب فقال القاضي شاذان وكان ضعيف العربية قويا
في علم الخلاف لا اعرف نصب صدقة من رفعه ولا احتاج الي علمه فانه لا خفا
بي وبك ان عليا وفاطمة من افصح العرب لا ابلغ انه ولا اشاكل الي ذكر ما
فلو كان لها حجة فيما احتج به لابوها لابي بكر فسكته ولم يخرجوا باوذهب النحاة
الي صحة نصبه صدقة علي الحال وانكره عياض لتاييده مذهب الامامية لكن
قدره ابن مالك ما تركناه متروك صدقة فحذف الخبر وبقي الحال كالعوض منه
ونظيره قراءة بعضهم ونحن عصبة انتهي لكن في التوجيه نظر اذ لم تأت رواية
بالنصب حتي توجه ولانه لم يتعين حذف الخبر بل يحتمل ما قاله الامامية ولذا
انكره عياض وان صح في نفسه وعلي هذا فيجاب عن قوله تعالي وورث
سليمان داود وقوله فهب لي وقع في نسخة رب لي وهو تصحيف مخالف
للتلاوة من لدنك وليا يرثني بان المراد بوراثة النبوة والعلم خلافا لمن
زعم ان خوف زكريا من مواليه كان علي ماله لانه لا يخاف علي النبوة لانها من
فضل الله تعطيها من يشاء فلزم انه يورث وهذا مدفوع بانه خوفه منهم
لاحتمال شرهم من جهة تغييرهم احكام شرعه فطلب ولدا يرث نبوته
ليحفظها ومنها انه حي في قبره قال البيهقي لان الانبيا بعد ما قبضوا
ردت اليهم ارواحهم فهم احيا عند ربهم كالشهدا وقد رأي نبينا صلي الله
عليه وسلم جماعة منهم وامهم في الصلاة واخبره وخبره صدق ان الصلاة
معروضة عليه وان سلامنا يبلغه وان الله حرم علي الارض ان تاكل اجساد الانبيا
قال السيوطي وقد بين الا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة فيدخلون في عموم
قوله تعالي ولا تحسبن الذين قتلوا الاية واخرج احمد وابو يعلي والطبراني والحاكم
والبيهقي عن ابن مسعود قال لان احلف تسعا ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قتل قتلا احب الي من ان احلف واحدة انه لم يقتل وذلك ان الله اتخذه نبيا واتخذه
شهيدا واخرج البخاري والبيهقي عن عايشة كان صلي الله عليه وسلم يقول
في مرضه الذي توفي فيه لم ازل اجد الم الطعام حين اكلت بخيبر فهذا اوان
انقطع ابهري من ذلك السم يصلي فيه باذان واقامة وكذلك الانبيا احيا
في قبورهم يصلون روي ابو يعلي والبيهقي عن انس ان النبي صلي الله عليه
وسلم قال مررت علي موسي ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قايم يصلي
ولا عدة علي ازواجه لانه حي فزوجيتهن باقية غايته انه انتقل
من دار الي دار وحياته باقية وذلك مقتض لبقا العصمة وكان قايل هذا
رأي ان روحه لما ردت بعد موته اليه وكانه لم يمت لانه لم يمت حقيقة
بل هو امر كهيئة الاغما فظن به موته اذ لا قايل بذلك ومثله يقال في بقية

الانبيا وقد حكي محمد بن الحسن بن زبالة بفتح الزاي وتخفيف الموحدة المخزومي
ابو الحسن المدني كذبوه ومات قبل المايتين وابن النجار انه الاذان في ايام وقعة
الحرة بفتح الحا المهملة وشد الرا الشديدة ارض بظاهر المدينة ذات حجارة سود
كانها احرقت بالنار كانت بها الوقعة بين اهل المدينة وبين عسكر يزيد بن
معوية سنة ثلاث وستين بسبب خلع اهل المدينة يزيدا وولوا علي قريش عبد
الله بن مطيع وعلي الانصار عبد الله بن حنظلة واخرجوا عامل يزيد عثمان
ابن محمد بن ابي سفيان بن عم يزيد من بين اظهرهم وكان عسكر يزيد سبعة وعشرين
الف فارس وخمسة عشر الف راجل فقتل فيها خلق كثير من الصحابة وغيرهم
ونهبت المدينة وافتض فيها الف عذرا وفي البخاري عن سعيد ابن المسيب
ان هذه الفتنة لم تبق من اصحاب الحديبية احدا ثلاثة ايام وخرج الناس
من المسجد وسعيد بن المسيب في المسجد لم يخرج قال سعيد فاستوحشت
اي حصلت لي وحشة اي نفرة في نفسي لخلو المسجد ممن يستانس به فدنوت من
القبر الشريف لتزول الوحشة فلما حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر
فصليت الظهر بذلك اكتفا به لعلمه انه حق لكن مقتضي فلما حضرت الظهر
انه علم دخول الوقت قبل سماع الاذان لكن روي الدارمي اخبرنا مروان بن محمد
عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة لم يوذن في مسجد النبي صلي الله عليه
وسلم ثلاثا ولم يقم وان سعيد ابن المسيب لم يبرح مقيما كان لا يعرف وقت الصلاة
الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلي الله عليه وسلم ثم مضي استمر ذلك و
الاذان والاقامة في القبر لكل صلاة يحتمل من مكث عنده بغيره تعظيما له
علي الظاهر ويحتمل غير ذلك حتي مضت الثلاث ليال ورجع الناس
وعاد المؤذنون فسمعت اذانهم كما سمعت الاذان في قبر النبي صلي
الله عليه وسلم انتهي واشار بذلك الي ان ما سمعه في القبر هو الاذان
المعروف لا الاعلام بدخول وقت الصلاة بالفاظ اخر وشبه بذلك علي سماعه
بعد عود الناس اذان المؤذنين دون القبر وان كان باقيا لان سماعه تلك المرة
كرامة له وتانيس لاستيحاشه بانفراده في المسجد وتجويز انه انقطع الاذان في
القبر بعد عود الناس لا يسمع وكلامهم يا باه روي ابو نعيم عن سعيد بن المسيب
قال لقد رايتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم غيري
وما ياتي وقت صلاة الا سمعت الاذان من القبر وروي الزبير بن بكار عنه انه لم يزل
يسمع الاذان والاقامة في قبر رسول الله ايام الحرة حتي عاد الناس واخرج
ابن سعد عنه انه كان يلازم المسجد ايام الحرة والناس يقتتلون قال فكنت
اذا حانت الصلاة اسمع اذانا من القبر الشريف وقد ثبت ان الانبيا يحجون
ويلبون فيجب اعتقاده لثبوته فان قلت كيف يصلون ويحجون
ويلبون وهم اموات في الدار الاخرة وليست دار عمل بل دار
جزا ونعيم للمؤمنين فالجواب انهم كالشهدا بل افضل منهم
والشهدا احيا عند ربهم يرزقون كما في التنزيل وقال صلي الله

عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم
رزقهم بكرة وعشية رواه أحمد فلا يبعد أن يحجوا ويلبوا ويصلوا وهذا
لا يدفع السؤال كيف يقع أعمال الدنيا في الآخرة وليست دار عمل وما يرد هنا
في عمل الأنبياء يرد أيضا في الشهداء فالأحسن الجواب بأنه ورد عن الشارع
وهو ممكن فيجب قبوله ولا يبحث فيه بشيء وكون الآخرة ليست دار عمل
أي مكلف به وأعمالهم إنما هي بمجرد التلذذ به وتيسيره لهم فهو من جملة النعيم
أو نقول في الجواب إن البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا لأنه
قبل يوم القيامة وكل ما قبله يعد من الدنيا في استكثارهم من الأعمال
وزيادة الأجور وأن المنقطع في الآخرة إنما هو التكليف
وقد تحصل الأخرة من غير تكليف على سبيل التلذذ بها فهو
من النعيم وكان هذا تتمة الجواب الأول ولهذا أي حصول الأعمال في الآخرة
تلذذا ورد أنهم أي أهل الآخرة يسبحون ويقرؤون القرآن في الجنة كما في مسلم
مرفوعا أن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس ومن هذا
سجود النبي صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة ثلاث مرات وتشهد.
قال صاحب التلخيص ابن القاص أن ماله عليه السلام بعد موته قائم
أي باق على نفقته وملكه فيصرف منه على أزواجه ومن كان في نفقته في
حياته وعده من خصائصه ونقل إمام الحرمين وصححه عنه أن ما
خلفه بقي على ما كان عليه في حياته فكان ينفق منه أبو بكر على أهله
أي زوجاته وخدمه ويصرف منه ما كان يصرف في حياته وكان يرى يعتقد
أنه باق على ملك النبي صلى الله عليه وسلم فإن الأنبياء أحياء ومال السبكي
إليه لهذا التعليل وهذا يقتضي إثبات الحياة في أحكام الدنيا وذلك زائد
وعلى حياة الشهيد لأنها وإن كانت واقعة لكنه يزول ملكه معها ويعتد
نساؤه ويورث ماله فلا ينفق شيء منه على زوجاته وخدمه اتفاقا في ذلك كله
بخلاف الأنبياء ففيه خلاف والذي صرح به النووي وقال إنه الصواب
كما مر قريبا زوال ملكه عليه السلام بالموت وأن ما تركه صدقة على
جميع المسلمين لا يختص به ورثته وإنما ينفق منه على أزواجه لوجوب
نفقتهن في تركته مدة حياتهن لأنهن في معنى المعتدات لحرمة النكاح عليهن
أبدا وليس ذلك لإرثهن منه ولذلك اختصصن بمساكنهن مدة حياتهن ولم
يرثها ورثتهن بعدهن فإن قلت كيف يكون حيا ويختلف في زوال الملك عن ماله
وفي مدة زوجاته وهذا القرآن ناطق بموته عليه السلام قال الله تعالى خطابا
له صلى الله عليه وسلم إنك ميت وإنهم ميتون أي ستموت ويموتون فلا شماتة
بالموت نزلت لما استبطأ الكفار موته عليه السلام وقال عليه السلام إني امرؤ
مقبوض وقال الصديق ومن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات وأجمع
المسلمون على إطلاق ذلك ورجع عمر عن قوله إنه ما مات ولن يموت حتى
يفني الله المنافقين فقام لما بويع أبو بكر واستوى على منبره عليه السلام وتشهد

ثم

ثم قال أما بعد فإني قلت لكم مقالتي بالأمس ولم تكن كما قلت وإني والله
ما وجدتها في كتاب الله ولا في عهد عهده إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكني كنت أرجو أن يعيش حتى يكون آخرنا موتا فاختار الله له ما عنده اهـ
فأجابه أي فأقول أجابه لأن هذا ليس من المواضع التي تدخل عليها الفاء
الشيخ تقي الدين السبكي بأن ذلك الموت غير مستمر وأنه صلى
الله عليه وسلم أحيي بعد الموت غير مستمر وأنه صلى الله عليه وسلم
أحيي بعد الموت ويكون انتقالا ونحوه كاعتداد الزوجات مشروطا
بالموت المستمر ولأن الحياة الثابتة حياة أخروية ولا شك أنها أعلى
وأكمل من حياة الشهداء لتفضل الأنبياء عليهم وهي ثابتة للروح بلا
إشكال أي بلا خلاف عند أهل السنة إذ لا تموت بموت الأجساد في جميع الناس
ففي فنائها عند القيامة توقف بظاهر قوله تعالى كل من عليها فان وعدمه
قولان استقربه السبكي الثاني وقد ثبت أن أجساد الأنبياء لا تبلى وعود
الروح إلى الجسد ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا أي نهاية عن
الشهداء فضلا عن الأنبياء وإنما النظر في استمرارها في البدن وفي أن
البدن يصير حيا بحالته في الدنيا وحيا بدونها وهي حيث شاء الله
فإن ملازمة الروح للحياة أمر عادي أجرى الله به العادة فيجوز تخلفه
لا عقلي فيمتنع تخلفه فهذا أي الحياة بلا روح مما يجوزه العقل فإن صح
به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى في
قبره كما ثبت في الصحيح واختلف فيها فقيل الصلاة اللغوية أي يدعو الله ويذكره
ويثني عليه وقيل الشرعية ولا مانع من ذلك لأنه إلى الآن في الدنيا وهي دار
تعبد وعلى هذا جرى القرطبي فقال الحديث يدل بظاهره على أنه رآه رؤية اهـ
حقيقية في اليقظة وأنه حي في قبره يصلي الصلاة التي كان يصليها في الحياة
وذلك ممكن فإن الصلاة تستدعي جسدا حيا سواء قلنا إنها الشرعية أو
اللغوية وكذا الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات
الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها
كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من
صفات الأجسام لأن ذلك عادي لا عقلي وهذه الملائكة أحياء ولا يحتاجون
إلى ذلك وقيد بقوله التي نشاهدها حتى لا يرد عليه أنهم يأكلون ويشربون
مما لا نشاهده وفي الفتاوى الرملية الأنبياء والشهداء والعلماء لا يبلون اهـ
والأنبياء والشهداء يأكلون في قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون ويحجون
واختلف هل ينكحون نساءهم أم لا ويثابون على صلاتهم وحجهم ولا كلفة
عليهم في ذلك بل يتلذذون وليس هو من قبيل التكليف لأن التكليف انقطع
بالموت بل من قبيل الكرامة لهم ورفع درجاتهم بذلك بل يكون لها حكم آخر
فليس في العقل ما يمنع من إثبات الحياة الحقيقية لهم وأما الإدراكات
كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم بل ولسائر الموتى كما ورد في

الاحاديث قال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عليه الا
استأنس ورد عليه حتى يقوم رواه ابن ابي الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ما من
احد يمر بقبر اخيه المومن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه
السلام رواه ابن عبد البر وصححه ابو محمد عبد الحق وقال صلى الله عليه وسلم ان الميت
يعرف من يغسله ويحمله ويدليه في قبره رواه احمد وغيره **حكاه الشيخ زين
الدين المراغي** بفتح الميم وفتح اخره المحدث العالم النحرير **قال انه مما يعز
وجوده وفي مثله يتنافس المتنافسون** يرغبون بالمبادرة اليه لنفاسته
وفي بقاء الادراك حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره هو وساير الانبيا معلومة
عندنا علما قطعيا لما قام عندنا من الادلة في ذلك وتواترت به الاخبار والف
البيهقي في ذلك جزءا وفي تذكرة القرطبي عن شيخه الموت ليس بعدم محض
وانما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهدا بعد قتلهم وموتهم
احيا عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الاحيا في الدنيا
واذا كان هذا في الشهدا فالانبيا احق بذلك واولى وقد صح ان الارض لا تاكل
اجسادهم وانه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالانبيا ليلة الاسرا في بيت المقدس
وفي السما وراى موسى قايما يصلي في قبره واخبر صلى الله عليه وسلم بانه يرد
السلام على كل من يسلم عليه الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بان موت
الانبيا انما هو راجع الى ان غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين احيا
ولا يراهم احد من نوعنا الا من خصه الله تعالى بكرامة من اوليايه انتهى ولا
تدافع بين رويته موسى يصلي في قبره وبين رويته في السما لانه للانبيا مراتع
ومسارح يتصرفون فيما شاوا ثم يرجعون او لان ارواحهم بعد فراق الابدان
في الرفيق الاعلى ولها اشراق على البدن وتعلق به فيتمكنون من التصرف والتقرب
بحيث يرد السلام على المسلم وبهذا التعلق راه يصلي في قبره وراه في السما وراى
الانبيا في بيت المقدس وفي السما كما ان نبينا بالرفيق الاعلى وبدنه في قبره يرد
السلام على من يسلم عليه ولم يعنهم هذا من قال رويته يصلي في قبره منامية او تمثيل
او اخبار عن وحي لا روية عين فكلها تكلفات بعيدة واخرج البيهقي في كتاب حياة
الانبيا والحاكم في تاريخه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الانبيا
لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكن يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ
في الصور قال الحافظ في سنده محمد بن عبد الرحمن ابن ابي ليلى سيئ الضبط قال
واما ما اورده الغزالي والرافعي بلفظ انا اكرم على ربي ان يتركني في قبري بعد
ثلاث فلا اصل له الا ان اخذ من رواية ابن ابي ليلى هذه وليس الاخذ بجيد اذ ذلك
قابلة للتاويل قال البيهقي ان صح فالمراد انهم لا يتركون يصلون الا هذا المقدار
ويكونون مصلين بين يدي الله **ومنها انه وكل بقبره ملك** قايم على قبره
الى يوم القيامة **يبلغه صلاة المصلين عليه** بلفظ محمد واحمد او غيرهما
من اسمايه كالعاقب والماحي ولام المصلين للاستغراق فهي للعموم وعموم الاشخاص
يستلزم عموم الاحوال ككون المصلي جنبا او متعاطيا المحرم او في مكان لا يذكر الله فيه

كالاخلية ولا مانع من ذلك لجواز ان النهي لامر خارج وهو لا ينافي التبليغ
الذي يترتب عليه الثواب ويبلغه له عقب التلفظ بها كما روى الديلمي
عن ابي بكر رفعه اكثروا الصلاة علي فان الله وكل بي ملكا عند قبري فاذا صلى
علي رجل من امتي قال لي ذلك الملك يا محمد ان فلان بن فلان يصلي عليك الساعة
وبه سقط توهم انه لا حاجة الى ذلك لان اعمال امته كلها تعرض عليه والصلاة
من جملتها لانها تعرض ساعة التلفظ بها وهو غير وقت عرض الاعمال
ولذا جعلوا من ادلة حياته انه على الدوام وان روحه لا تفارقه ابدا قوله صلى الله
عليه وسلم ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام
رواه ابو داود بهذا اللفظ لاستحالة خلو الوجود كله من احد يسلم عليه عادة
وياتي ان شا الله تعالى بسط هذا الحديث في المقصد العاشر **رواه احمد والنسائي**
في الصلاة **والحاكم وصححه** في التفسير وابن حبان والطبراني وابو الشيخ والبيهقي
كلهم عن ابن مسعود **بلفظ** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **ان لله
ملايكة** جمع ملك نكره على معنى بعض صفته **سياحين** بسين مهملة
من السياحة وهي السير يقال ساح في الارض يسيح سياحة اذا ذهب فيها
واصله من السيح وهو الما الجاري المنبسط **في الارض** في مصالح بني ادم وفي
رواية بدله في الهوي **يبلغوني عن** وفي رواية من **امتي** امة الاجابة **السلام**
ممن يسلم علي منهم كما في خبر اخر وفيه تعظيم له صلى الله عليه وسلم
واجلال لامته حيث سخر الملايكة الكرام لذلك وهذا الحديث في الصحيحين
دون قوله سياحين فلم يعزه المص لهما الزيادتها فان ورد انه لا يطابق
ترجمته اذ هي ملك يبلغه الصلاة والحديث ملايكة تبلغه السلام فالجواب
انه اراد بملك الجنس وهو نوعان واحد موكل بالقبر واخرون سياحون واراد
بالصلاة ما يشمل السلام مجازا او في الحديث الاول تبليغ السلام والثاني تبليغ
الصلاة فطابق الترجمة والاجابة بان السياحين يبلغونه الموكل لانه صرح
برده عليهم بسماعه منهم ودعوى التجوز ممنوعة فالاصل الحقيقة
قال بعض هل يبلغ السياحون غير السلام او الملك غير الصلاة لم اقف على شيء
في ذلك والظاهر لا لانه غير مشروع وكانه اراد بغير الصلاة والسلام
نحو ترضيه وترحم عليه لتعليله بانه لم يشرع ولان الامر توفيقي لا دخل
فيه للقياس **وعند الاصفهاني** بكسر الهمزة وفتحها وهي همزة قطع
قال النووي ويجوز حذفها في الوصل وبفتح الموحدة وقد تكسر ويقال بالفا
مفتوحة ومكسورة مع كسر الهمزة وفتحها مدينة معروفة وهو ابو الشيخ
عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان بفتح المهملة والتحتية حافظ اصبهان
ومسند ذلك الزمان مات سنة ست وتسعين وثلثماية او اراد به الحافظ
ابا القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التيمي الطلحي الاصبهاني
الامام الحافظ الكبير الذي يضرب به المثل في الصلاح مات سنة خمس وثلاثين
وخمسماية وكلاهما صحيح فابو الشيخ روى هذا الحديث في كتابه العظمة

وابو القاسم رواه في كتابه الترغيب والترهيب له وقصر المم في العزو فقد رواه
البخاري في تاريخه والطبراني والعقيلي وابن النجار كلهم عن عمار بن ياسر احد
السابقين وقوله **عن عمار** تصحيف من الكتاب فالصواب اسقاط الهاء عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال **ان لله ملكا اعطاه سمع العباد كلهم**
اي قوة يقتدر بها على سماع ما ينطق به كل مخلوق من انس وجن وغيرهما
فما وفي رواية فليس **من احد يصلي علي صلاة الا اسمعها وابلغنيها** زاد
الطبراني في روايته واني سالت ربي ان لا يصلي علي عبد صلاة الا صلى عليه عشر
امثالها وللطبراني ايضا عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
لله ملكا اعطاه اسماع الخلايق كلها وهو قايم على قبري اذا مت الى يوم القيمة
فليس احد من امتي يصلي علي صلاة الا سماه باسمه واسم ابيه وقال يا محمد
صلى عليك فلان بن فلان فيصلي الرب تبارك وتعالى عليه بكل واحدة عشرا وروى
الخطيب عن ابي هريرة مرفوعا من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي
نائيا وكل الله بها ملكا يبلغني ورواه الديلمي بلفظ نائيا ابلغته اي بعيدا ابلغنيه
الملك فظاهره ان محل تبليغه ما لم يكن المصلي عند القبر الشريف والا سمعه صلى
الله عليه وسلم بنفسه قال الشهاب ابن حجر في فتاويه والذي يظهر ان المراد بالعندية
ان يكون في محل قريب من القبر بحيث يصدق عليه عرفا انه عنده وبالبعد عنه
ما عدا ذلك وان كان بمسجده صلى الله عليه وسلم وفي القول البديع اذا كان المصلي
عند قبره الشريف سمعه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة سواء كان ليلة الجمعة او
غيرها وما يقوله بعض الخطباء ونحوهم انه يسمع باذنيه في هذا اليوم من يصلي عليه
فهو مع حمله على القريب لا مفهوم له وسيل النووي عن من حلف بالطلاق الثلاث
انه صلى الله عليه وسلم يسمع الصلاة عليه هل يحنث ام لا فاجاب لا نحكم عليه
بالحنث للشك في ذلك والورع انه يلزمه الحنث انتهى لكن يعارضه خبر من صلى
علي عند قبري وكل الله به ملكا يبلغني وكفي امر دنياه واخرته وكنت له شفيعا او
شهيدا يوم القيامة وجمع صاحب الجواهر المنظم بانه يسمع الصلاة والسلام عند قبره
بلا واسطة ويبلغه الملك ايضا اشعارا بمزيد خصوصيته والاعتناء بشانه والاستمداد
له بذلك وروى الطبراني وغيره عن الحسن بن علي رفعه حيثما كنتم فصلوا علي
فان صلاتكم تبلغني ومعناه لا تتكلفوا المعاودة الى قبري لكن الحضور فيه مشافهة
افضل من الغيبة والمنهي عنه الاعتياد الرافع للحشمة المخالف لكمال المهابة
واخرج البيهقي في شعب الايمان عن انس قال صلى الله عليه وسلم ان اقربكم
مني يوم القيامة في كل موطن اكثركم علي صلاة في الدنيا من صلى علي يوم الجمعة
وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوايج الاخرة وثلاثين من
حوايج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكا يدخله في قبري كما يدخل عليكم الهدايا يخبرني
بمن صلى علي باسمه ونسبه الى عشيرته فاثبته عندي في صحيفة بيضاء واخرج
الطبراني والبيهقي عن ابي هريرة وابن عدي عن انس مرفوعا اكثروا الصلاة
علي في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض علي قالوا وكيف تعرض

صلاتنا

صلاتنا عليك وقد ارمت اي بليت فقال ان الله حرم على الارض ان تاكل
اجساد الانبياء اي لانها نور وهو لا يتغير بل ينتقل من حالة الى حالة وروى
ابن ماجه برجال ثقات عن ابي الدرداء مرفوعا اكثروا من الصلاة علي يوم
الجمعة فانه يوم مشهود تشهده وان احدا لن يصلي علي الا عرضت علي
صلاته حتى يفرغ منها قلت وبعد الموت قال وبعد الموت ان الله حرم على
الارض ان تاكل اجساد الانبياء اي عرضت عليه عرضا خاصا فيه زيادة شرف
للمصلي في ذلك اليوم فلا ينافي انها تعرض عليه في اي وقت صلي عليه ولذا
قال اكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له
شهيدا وشافعا يوم القيامة رواه البيهقي عن انس باسناد ضعيف لكنه
حسن لشواهده اي شهيدا باعماله التي منها الصلاة علي وشافعا له شفاعة
خاصة اعتناء به والا فشفاعته عامة ووجه مناسبة الاكثار من الصلاة عليه
يوم الجمعة وليلتها ان يومها سيد ايام الاسبوع والنبي صلى الله عليه وسلم
سيد الخلق فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره وايضا فكل خير تناله الامة
في الدارين انما هو بواسطته واعظم كرامة تحصل لهم في يوم الجمعة وهي بعثهم
الى منازلهم في الجنة وكما انه عيد لهم في الدنيا كذا في الاخرى فانه يوم المزيد الذي
يتجلى لهم الحق تعالى فيه وهذا حصل لهم بواسطته فمن شكره اكثار الصلاة عليه
فيه وذكر ابو طالب في القوت ان اقل الاكثرية ثلثمائة مرة وورد في الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم الفاظ كثيرة اشهرها اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وياتي لذلك ان شاء الله تعالى مزيد لذلك في المقصد
السابع والاخير **وتعرض عليه اعمال امته** حسنها وسيئها فيحمد الله على
حسنها **ويستغفر لهم** سيئها روى البزار بسند جيد عن ابن مسعود
رفعه حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تعرض علي اعمالكم فما كان من حسن
حمدت الله عليه وما كان من سيئ استغفرت الله لكم اي طلبت مغفرة الصغاير
وتخفيف عقوبات الكباير وظاهره ان المراد عرض اعمال المكلفين اذ غير
المكلف لا ذنب له ويحتمل العموم وذلك العرض كل يوم مرتين كما **روى ابن**
المبارك عبد الله الذي يستنزل الرحمة بذكره **عن سعيد بن المسيب** التابعي
الجليل ابن الصحابي **قال ليس من يوم الا وتعرض على النبي صلى الله عليه**
وسلم اعمال امته غدوة وعشيا زيادة اكرام لهم **فيعرفهم بسيماهم**
واعمالهم فيحمد الله ويستغفر لهم فاذا علم المسيء ذلك قد يحمله على
الاقلاع ولا يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم تعرض الاعمال كل يوم الاثنين
والخميس على الله وتعرض على الانبياء والاباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون
بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا امواتكم
رواه الحكيم الترمذي لجواز ان العرض على النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم
على وجه التفصيل وعلى الانبياء ومنهم نبينا على وجه الاجمال يوم
الجمعة فيمتاز صلى الله عليه وسلم بعرض اعمال امته كل يوم تفصيلا

ويوم الجمعة اجمالا ويأتي ان شاء الله تعالى وجه ان مماته خير في المقصد العاشر
ومنها ان منبره على حوضه اي ينقل المنبر الذي قال عليه هذه المقالة يوم
القيامة فينصب على الحوض ثم تصير قوايمه رواتب في الجنة كما روي الطبراني
كما في حديث اخرجه الشيخان واحمد والترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري
على حوضي ومنبري على ترعة بضم فسكون من ترع بضم ففتح جمع ترعة
الجنة اي موضع معين فيها واصل الترعة اي حقيقتها الروضة على
المكان المرتفع فاذا كانت في المطمين فهي روضة وبهذه الحقيقة فسرها
الديلمي قال وقيل هي الدرجة وفي رواية لاحمد والطبراني عن بعض الصحابة تفسير
الترعة بالباب وسوى في القاموس بين هذه الحقايق فظاهره انها كلها لغوية
والروضة الموضع المعجب بالزهور لاستراضة المياه السايلة اليها اي سكونها
بها وعلم من المص ان الروضة تطلق على مجمع الزهور في المرتفع والمنخفض
ويختص المنخفض بالروضة دون الترعة ولم يحمله احد من العلما انه
على ظاهره اي ان المراد منبره الذي كان يخطب عليه في الدنيا وانه حوض محسوس
مشاهد بحاسة البصر موجود في الجنة وعلى الحوض قبل فان القدرة صالحة
لذلك لا يعجز فيها تعليل لنفي الخلاف وكلما اخبر به الصادق عليه السلام
من امور الغيب فالايمان به واجب اذ لا ينطق عن الهوى لكن في نفي الخلاف
نظر فالخلاف موجود فقيل هو منبره الذي كان يخطب عليه قال السيوطي وهو
الاصح وقيل منبر يوضع له هناك وقيل التعبد عنده يورثه الجنة فكانه
قطعة منها واستبعد الثاني بان في رواية احمد برجال الصحيح عن ابي هريرة
رفعه منبري هذا على ترعة من ترع الجنة فاسم الجنة ظاهر او صريح في
انه منبره في الدنيا والثالث بانه لا يكون خصوصية له اذ التعبد في اي مكان
يورث الجنة اللهم الا ان يجاب عن المص بان المعنى لم يختلف احد في ان المنبر على
ظاهره وان اختلفوا في انه الذي كان في الدنيا او غيره وفي انه على حذف مضاف
اي العمل عنده ام لا ويحتمل ان لفظ احد بمعنى الجماعة اي لم يختلف جماعة في
هذا وان اختلف غيرهم على نحو قول البيضاوي في لا نفرق بين احد من رسله
احد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي او ان احد بمعنى واحد كما في القاموس
اي لم ينفرد واحد في ذلك فلم يقل اراد بالمنبر المقام وهذا قريب مما قبله لكن قال
شيخنا تقريرا هذا من حيث اللفظ ومرادهم بمثله حكاية الاتفاق فالاقرب الاول
ومنها ان ما بين منبره وقبره روضة من رياض الجنة رواه البخاري
ومسلم وغيرهما بلفظ ما بين بيتي ومنبري ووقع في رواية ابن عساكر للبخاري
في فضل المدينة من صحيحه وقبري بدل بيتي قال الحافظ وهو خطا فقد تقدم
البخاري الحديث في كتاب الصلاة باسناده بلفظ بيتي كذا هو في مسند مسدد
شيخ البخاري فيه نعم وقع في حديث سعد بن ابي وقاص عند البزار برجال
ثقات وابن عمر عند الطبراني بلفظ قبري فعلى هذا المراد بالبيت في قوله بيتي

احد

احد بيوته لا كلها وهو بيت عايشة الذي صار فيه قبره وقد ورد الحديث
بلفظ ما بين المنبر وبيت عايشة روضة من رياض الجنة اخرجه الطبراني
في الاوسط وهذا يحتمل الحقيقة بان يكون على ظاهره ولم يثبت خبر عن
بقعة بخصوصها انها من الجنة الا هذه البقعة والمجاز اما الحقيقة
فبان يكون ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم بانه من الجنة مقتطعا
منها وضبط ذلك بثلاثة وخمسين ذراعا كما ان الحجر الاسود منها كما
قال صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود من الجنة رواه احمد عن انس والنسائي عن
ابن عباس والاصل الحقيقة ويؤيده ما للخطيب وابن عساكر مرفوعا الحجر الاسود
ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة وانما سودته خطايا المشركين يبعث يوم القيامة
مثل احد يشهد لمن استلمه وقبله من اهل الدنيا وروى الازرقي مرفوعا الحجر
الاسود نزل به ملك من السما وكذلك النيل والفرات من الجنة روى مسلم
عن ابي هريرة مرفوعا سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة وهو
على ظاهره على الاصل وقيل مؤول وكذلك الثمار الهندية من الورق التي
اهبط بها ادم عليه السلام من الجنة فاقتضت الحكمة الالهية ان
تكون في هذه الدار من مياه الجنة كالنيل والفرات ومن ترابها وهو
الارض التي بين المنبر والقبر ومن حجرها وهو الحجر الاسود ومن فواكهها
وهو الثمار الهندية حكمة حكيم جليل ليتدبر العاقل فيسارع اليها بالاعمال
الصالحة وقيل في معنى الحقيقة ان ذلك الموضع ينقل بعينه في الاخرة الى الجنة
واما المجاز فبان يكون من اطلاق اسم المسبب على السبب فان
ملازمة ذلك المكان للصلاة والعبادة فيه سبب في نيل الجنة قاله
ابن ابي جمرة بجيم وراء وفيه تقصير اذ الروضة ليست مسببة من حيث ذاتها
بل الوصول اليها مسبب عن العمل لكنها لما كانت المقصودة اطلق اسمها مريد
التعبد الموصل اليها وهو معنى قول بعضهم لكون العبادة فيه تؤول
اي تؤدي اي تكون طريقا الى دخول العابد روضة الجنة ففيه تجوز ايضا
لان الايلولة الرجوع وهذا فيه نظر اذ لا اختصاص لذلك بتلك
البقعة على غيرها فالعبادة في اي مكان كذلك وجوابه انها سبب قوي
يوصل اليها على وجه اتم من بقية الاسباب او هي سبب لروضة خاصة اجل
من مطلق الدخول والتنعم فان اهل الجنة يتفاوتون في منازلها بقدر اعمالهم
وفي كتاب بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما عليها ولها لابن ابي جمرة
ايضا حكاية قول ان تلك البقعة تنقل بعينها يوم القيامة فتكون
في الجنة بعينها روضة من رياضها قال والاظهر الجمع بين الوجهين
معا اذ لا تخالف بينهما يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها
موجبا لصاحبه روضة من رياض الجنة اختصره واجمع من هذا قول
المص على البخاري ولا مانع من الجمع فهي من الجنة والعمل فيها يوجب لصاحبه
روضة في الجنة وتنقل هي ايضا الى الجنة ويأتي مزيد لذلك في فصل

الزيارة من المقصد الاخير ان شا الله تعالي وهو نقل كلام ابن ابي جمرة
في الاسناد لا ل علي ذين الوجهين بالنظر والقياس بنحو رقة وقيل فيه وجه
المجاز ايضا انه من التشبيه البليغ اي كروضة من رياض الجنة في تنزل الرحمة
وحصول السعادة ومنها انه صلي الله عليه وسلم اول من تنشق
عنه القبر كما قال صلي الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة واول من
تنشق عنه القبر واول شافع واول مشفع رواه مسلم وابو داود وعن ابي
هريرة اي اول من يعجل احياوه مبالغة في اكرامه وتخصيصا بتعجيل جزيل
انعامه وفي رواية مسلم ايضا من حديث ابي هريرة انا اول من تنشق
عنه الارض فلا يتقدم عليه احد اي ارض قبره فهو مساو للرواية قبله
زاد الترمذي وقال حسن غريب والحاكم من حديث ابن عمر ولا فخر ثم ابو
بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة حتي
احشر بين الحرمين قال السمهودي وفيه بشري عظيمة لكل من مات
بالمدينة واشعار بذم الخروج منها مطلقا وهو عام ابدا في كل زمان كما نقله
المحب الطبري وارتضاه وروي الترمذي عن انس مرفوعا انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء
الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم علي ربي ولا فخر وهو اول من يفيق
بضم اوله من الصعقة وهي غشي يلحق من سمع صوتا اوراي شيا يفزع
منه واستشكل كون جميع الخلق يصعقون مع ان الموتي لا احساس لهم فقيل
المراد من كان حيا اذ ذاك والاموات هم المستثنون في قوله تعالي الا من شا
شا الله اي من سبق له الموت قبل ذلك فلا يصعق واما الانبيا ففي حكم الاحيا
وقيل المراد صعقة فزع بعد البعث حتي تنشق السما والارض وهي
غشية تحصل للناس في الموقف قال عليه السلام انا اول من يرفع
راسه بعد النفخة الاخيرة كما في الرواية فاذا انا بموسي اخذ بقايمة
من قوايم العرش اي بعمود من عمده وللشيخين من حديث ابي هريرة ايضا
باطش بجانب العرش اي اخذ بشي منه بقوة فالبطش الاخذ بقوة فلا
ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور لما تجلي ربه للجبل جعله
دكا وخر موسي صعقا وفي الصحيحين ايضا فما ادري اكان ممن صعق فافاق
قبلي او كان ممن استثني الله اي في قوله الا من شا الله فلم يصعق وكل من
الامرين فضيلة ظاهرة لكن لا يلزم من فضله من هذه الجهة افضليته مطلقا
ولا منافاة بين الروايتين لان المعني لا ادري اي هذه الثلاثة كانت الافاقة
او الاستثنا او المحاسبة رواه البخاري ومسلم وغيرهما وقد استشكل
كونه صلي الله عليه وسلم اول من تنشق عنه الارض واول من يفيق مع
التردد في خروج موسي من قبره واجاب عياض باحتمال ان هذه الصعقة
ليست النفخة الاولي ولا الثانية التي يعقبها النشور بل صعقة فاني يوم
القيامة حين تنشق السما والارض ورده القرطبي بانه صلي الله عليه
وسلم

وسلم صرح بانه يخرج من قبره فيلقي موسي متعلقا بالعرش وهذا انما هو
عند نفخة البعث قال ابو بكر انه عبر بقوله افاق لانه انما يقال افاق
من الغشي وبعث من الموت ولذا عبر عن صعقة الطور بالافاقة لانها
لم تكن موتا بلا شك واذا تقرر ذلك ظهر صحة الحمل علي انها غشية
تحصل للناس في الموقف واجاب البعض كغيره بقوله والظاهر انه عليه
السلام لم يكن عنده علم ذلك اي اوله وكونه اولا حتي اعلمه الله تعالي
بانه اول المبعوثين فقد اخبر عن نفسه الكريمة انه اول من تنشق
عنه القبر اي كما مر في الاحاديث الكثيرة علمه بافاقته قبل موسي ومجيئه بكونه
ممن استثني الله او جوزي بصعقة الطور وهو اول من يجيز بضم
اليا وكسر الجيم وبالزاي اي يمضي علي الصراط ويقطعه وفي رواية يجوز
يعني يقال اجزت الوادي وجزته رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة
في حديث طويل بلفظ قال صلي الله فاكون انا وامتي اول من يجيز علي الصراط
الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وانه يحشر في سبعين الفا من الملايكة
كما روي عن كعب الاحبار جمع حبر اي عالم العلما الحميري ابو اسحاق
الثقة المخضرم كان من اهل اليمن فسكن الشام مات في خلافة عثمان
انه دخل علي عايشة فتذاكروا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال كعب
ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الف ملك يحفون بقبره عليه
السلام يضربون باجنحتهم اسقط من الرواية ويصلون علي النبي صلي
الله عليه وسلم حتي اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف
ملك اسقط منها ايضا يحفون بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون علي
النبي صلي الله عليه وسلم سبعون الفا بالنهار حتي اذا انشقت عنه
الارض خرج في سبعين الفا من الملايكة يوقرونه صلي الله
عليه وسلم رواه ابن النجار الحافظ الامام البارع ابو عبد الله محمد بن
محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي سمع ابن الجوزي
وابن كليب وغيرهما وكان من اعيان الحفاظ الثقات مع الدين والورع
والصيانة والفهم وسعة الرواية له ثلاثة الاف شيخ ومولفاته عدة
مات في خامس شعبان سنة ثلاث واربعين وستماية عن ست وستين
سنة رحل منها في الاقطار سبعا وعشرين سنة للرواية في تاريخ المدينة
المسمي بالدرر الثمينة وكذا رواه ابو الشيخ وابن المبارك وابن ابي الدنيا
كلهم عن كعب وكانه من الكتب القديمة لانه حبرها وانه يحشر راكب
البراق بضم الموحدة رواه الحافظ العلامة شيخ الاسلام الناقد الدين
الحبر ابو طاهر عماد الدين احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم الاصبهاني السلفي
بكسر السين المهملة وفتح اللام لقب جده احمد ومعناه الغليظ الشفة وله
تصانيف وروي عنه الحفاظ مات سنة ست وسبعين وخمسماية كما
ذكره الطبري الحافظ محب الدين المكي في ذخاير العقبي فقال اخرج

السلمي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبعث الانبيا
على الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر ابناي فاطمة على ناقتي
العضبا والقصوا واحشر انا على البراق خطوها عند اقصى طرفها
ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة انتهى واخرجه الطبراني والحاكم
بلفظ يحشر الانبيا على الدواب ليوافوا المحشر ويبعث صالح على ناقته
وابعث على البراق ويبعث ابناي الحسن والحسين على ناقتين من نوق
الجنة ينادي بالاذان محضا وبالشهادة حقا حتى اذا قال اشهد ان
محمدا رسول الله شهد له المؤمنون من الاولين والاخرين فقبلت ممن قبلته
وردت على من ردته وفيه مخالفة لما قبله فيما يركبه السبطان الا ان يجمع
بركوبه ناقته وبركوبه ناقتي الجنة زيادة في تعظيمهما ثم لا تعارض
هذا ما ورد مرسلا ان المؤمن يركب عمله والكافر يركبه عمله لان بعضهم
يركب الدواب وبعضهم الاعمال او يركبونها فوق الدواب وروى النسائي
والحاكم والبيهقي عن ابي ذر رفعه ان الناس يحشرون يوم القيامة على
ثلاثة افواج فوج طاعمين كاسين راكبين وفوج يمشون ويسعون وفوج
تسحبهم الملائكة على وجوههم واخرج الترمذي وحسنه عن ابي
هريرة مرفوعا يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا
ركبانا وصنفا على وجوههم ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان
يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك هذا
وجزم الحليمي والغزالي بان الذين يحشرون ركبانا يركبون من قبورهم وقال
الاسماعيلي انهم يمشون من قبورهم الى الموقف ويركبون من ثم جمعا بينه
وبين حديث الصحيحين يحشر الناس حفاة مشاة قال البيهقي والاول
اولى وفي تاريخ ابن كثير يحشر الناس مشاة والنبي صلى الله عليه وسلم راكب
على ناقته الجدعاء ذا ان كان هذا من خصائصه فانما يؤتون بالنجائب بعد الجواز
على الصراط وهو الاشبه وفي غير الصحيح حديث انهم يؤتون بنجائب يركبونها عند
قيامهم من قبورهم وفي صحته نظر **ويكسى في الموقف اعظم الحلل من الجنة**
بعد حشر الناس كلهم عراة او بعضهم كاسيا او بعد خروجهم من قبورهم بثيابهم
التي ماتوا فيها ثم ما تواخيطا تتناثر عنهم عند ابتدا الحشر فيحشرون
عراة لحديث ابي سعيد عند ابي داود وصححه ابن حبان مرفوعا ان الميت يبعث
في ثيابه التي يموت فيها **رواه البيهقي** في الاسما عن ابن عباس مرفوعا **بلفظ**
اول من يكسى ابراهيم حلة من الجنة ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ويؤتى
بي **فاكسى حلة من الجنة لا يقوم** اي لا يصلح **لها البشر** وفي نسخة
بالتابدل اللام يقال قام بالامر اذا استقل به دون غيره فاستعمله في لازم
معناه اللغوي وذلك اللازم عدم صلاحية غيره لتلك الحلة وفي البخاري عن
ابن عباس مرفوعا انكم تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا اول خلق
نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين واول من يكسى يوم القيمة ابراهيم

الحديث

الحديث فتعقب عز وبعض له للبزار وقال الحافظ قيل في حكمة خصوصية
ابراهيم بذلك لكونه التي في النار عريانا او لانه اول من لبس السراويل
ولا يلزم من ذلك تفضيله على نبينا لان المفضول قد يمتاز بشي يخص به
ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة ويمكن ان يقال لا يدخل في عموم خطابه
وقال القرطبي قد جبر صلى الله عليه وسلم عن هذا السبق بكونه يكسى في
حلتين كما في حديث البيهقي واجاب الحليمي بانه يكسى ابراهيم اولا ثم
نبينا على ظاهر الخبر لكن حلة نبينا اعلى واكمل فانجبر بنفاستها ما فات
من الاولية على انه يحتمل ان نبينا صلى الله عليه وسلم خرج من قبره
في ثيابه التي مات فيها والحلة التي يكساها يوميذ حلة الكرامة بقرينة
اجلاسه عند ساق العرش فتكون اولية ابراهيم في الكسوة بالنسبة
لبقية الخلق **وروى كعب بن مالك** الانصاري السلمي المدني احد
الثلاثة الذين تيب عليهم مرفوعا **بلفظ يحشر الناس يوم القيمة
فاكون انا وامتي على تل** مكان عال **ويكسوني ربي حلة خضرا**ء
فبين في هذه الرواية لونها وهو عطف على اكون والواو لا ترتب فلا ينافي
مقتضى التعقيب بالفا في السابق ان الكسوة تكون عقب الخروج من
القبر والترمذي عن ابي هريرة انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة
من حلل الجنة الحديث وعلى احتمال انه يقوم بثيابه التي مات فيها
ولا تبلى حتى يكسى يكون ذلك له خصوصية اخرى حيث تبلى ثياب الخلائق
وثوبه لا يبلى ولا ينافيه الفا لان التعقيب في كل شي بحسبه **وهو عند ابن
ابي شيبة** عن كعب **بلفظ يحشر الناس** كلهم **على تل وامتي** اي
وهو معهم كما قال قبل **على تل** اعلا من التل الذي عليه الناس **وعند
الطبراني ايضا من حديث ابن عمر فيرقى هو يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم وامته على كوم** هو التل يعني **فوق الناس** ولم يبين
هل الكوم من كافور او مسك او نحوهما **وانه يقوم عن يمين العرش** حيث
شرفه الله بها **رواه ابن مسعود عنه عليه السلام** في حديث وفيه
لا يقومه غيره يغبطه فيه حال من المفعول اي يغبط النبي حالة
كونه في ذلك المقام او في سببية اي يغبطونه بسببه وقد ذكر المص الحديث
فيما ياتي بلفظ يغبطه به او الضمير لموقف الخلق فيكون حالا من فاعل يغبط
اي يغبطه حال كونهم في مقامهم **الاولون والاخرون** قال الحافظ الغبطة
انه يتمنى ان يكون له مثل ما لغيره من غير ان يزول عنه وعلى هذا يسمى منافسة
فان كان في الطاعة فمحمود ومنه فليتنافس المتنافسون وفي المعصية فهو
مذموم ومنه فلا تنافسوا وفي الجائز فمباح انتهى والمراد بالتمني هنا حالة
تستدعي محبته واستحسانه لا الطلب لعلمهم انه لا يكون لغيره فغبطتهم
لاستحسانهم لمقامه المخصوص به وعده مقاما عظيما له ففيه
تجريد اذ الغبطة تمني المستحسن مجرد عن تمنيه اريد به الجز

الثاني وهو المستحسن وروى الترمذي وقال حسن صحيح غريب
عن ابي هريرة مرفوعا انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من
حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك
المقام غيري **ومنها انه يعطى المقام المحمود** قال تعالى عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا **قال مجاهد** التابعي المفسر المشهور
هو جلوسه على العرش حملا للمقام على انه مصدر ميمي لا اسم
مكان **وعن عبد الله بن سلام** الصحابي هو **جلوسه على الكرسي**
وهو مغاير لما قبله على الاصح انه غير العرش ومساو على انه هو **وذكرها**
البغوي في تفسيره بعد ان صدر بان المراد الشفاعة وساق حديثها
الطويل في اتيان الناس ادم الخ وهذان التفسيران من جملة ما زيف
لانه تفسير للشي بخلاف ما فسره به صاحبه فقد روى البخاري والترمذي
عن ابن عمر قال سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود الشفاعة
اي الموعود بها في فصل القضا ولذا قال الرازي وغيره الصحيح المشهور
انه الشفاعة ولابن ابي حاتم عن سعيد بن هلال احد صغار التابعين
انه بلغه ان المقام المحمود يوم القيامة يكون بين يدي الجبار وبين جبريل
يغبطه بمقامه اهل الجمع وهو مما زيف ايضا لكن قال الحافظ يمكن رده الى القول
بانه الشفاعة لانه لما كان مقامه الذي يقوم فيه اقرب اليه من مقام جبريل
صار صفة للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلايق وقيل هو اعطاوه
لواء الحمد وقيل ثناوه على ربه **وسياتي ما قيل في ذلك مبسوطا في ذكر**
تفضيله عليه السلام بالمقام المحمود ان شا الله تعالى في المقصد العاشر
ومنها انه يعطى الشفاعة العظمى في فصل القضا بين اهل الموقف
حين يفزعون اليه لما يطول عليهم الوقوف بعد اتيانهم الانبيا ادم فنوح
فابراهيم فموسى فعيسى **والشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب**
لما في الصحيحين فارفع راسي فاقول يا رب امتي فيقال ادخل من امتك من
لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وروى هناد وابن منيع
والديلمي بسند جيد عن ابي هريرة سالت الله **الشفاعة** لامتي فقال لك سبعون
الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقلت رب زدني فحثى لي بيديه
مرتين عن يمينه وعن شماله والظاهر ان المراد التكثير لا خصوص العدد
وضرب المثل بالحثيات لان شان المعطي الكريم اذا استزيد ان يحثي بكفه
بلا حساب وربما ناوله بغير كيله وقال بعض هذا كناية عن المبالغة في الكثرة
والا فالكف ولا حثي **وفي رفع درجات ناس في الجنة كما جوز النووي**
اختصاص هذه به ولم يذكر لذلك مستندا **والتي قبلها** وهي ادخال
قوم الجنة بغير حساب وفيه انه لم يجوزها بل جزم بها وعبارته للنبي
صلى الله عليه وسلم شفاعات خمس الشفاعة العظمى للفصل وفي جماعة
يدخلون الجنة بغير حساب وفي ناس استحقوا النار فلا يدخلونها

وفي

وفي ناس دخلوها فيخرجون منها وفي رفع درجات ناس في الجنة و
المختص به الاولى والثانية ويجوز الثالثة والخامسة انتهى وبحث
بعض في اثبات الخصوصية بتجويز النووي بما صرحوا به ان الخصايص
لا تثبت بالاحتمال **ووردت الاحاديث به في التي قبل** وهي
الشفاعة العظمى **وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى في المقصد**
الاخير مع فوايد حسنة **والله المعين** لا غيره **ومنها انه صاحب**
لوا الحمد بالكسر والمد علمه ورايته **يوم القيمة** واضيف الى الحمد الذي
هو الثنا على الله بما هو اهله لانه منصبه في الموقف وهو المقام المحمود
المختص به والعرف جار بان اللوا انما يكون مع كبير القوم ليعرف مكانه
اذ موضوعه اصالة شهرة مكان الرييس وتنصب في القيامة مقامات
لاهل الخير والشر لكل متبوع لوا يعرف به قدره واعلاها مقام الحمد فاعطي
لاعظم الخلايق لوا الحمد وفي انه حقيقي وعند الله علم حقيقته او معنوي
وهو انفراده بالحمد يوميذ وشهرته على روس الخلايق به رايان رجح
بعض الاول وهو الاصل **ادم فمن دونه** اي سواه **تحته رواه**
البزار واخرجه احمد والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجة عن ابي
سعيد مرفوعا انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوا الحمد
ولا فخر وما من نبي يوميذ ادم فمن سواه الا تحت لوايي الحديث **ومنه انه**
اول من يقرع يطرق ويدق **باب الجنة** كما قال صلى الله عليه وسلم
انا اول من يدق باب الجنة فلم تسمع الاذان احسن من طنين الحلق على
تلك المصاريع رواه ابن النجار وجمع المصاريع باعتبار الابواب فانه اذا
قرع اعظمها تحرك الجميع او لتعدد القرع كانه تعدد منه المصاريع او ان
في كل مصراع مصاريع اعتبارية **روى مسلم** في الايمان **من حديث**
المختار بن فلفل بضم الفايين ولامين الاولى ساكنة مولى عمرو بن حريث صدوق
له اوهام روى له ابو داود والترمذي والنساي ومسلم **عن انس قال قال**
صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس الذي رايته في مسلم وكذا نقله
جمع من الحفاظ عنه الانبيا **تبعا** بفتح الفوقية والبا الموحدة جمع تابع
وفي القاموس وغيره التبع محركة يكون واحدا وجمعا ويجمع على اتباع
ونصب على التمييز **يوم القيامة** خصه لانه يوم ظهور ذلك الجمع وهذا يوضحه
خبر مسلم ايضا ان من الانبيا من ياتي يوم القيامة ما معه مصدق غير
واحد ولا يعارضه وارجو ان اكون اكثرهم تبعا اما لان رجاه محقق الوقوع
او قاله قبل ان يكشف له عن امته ويراهم ثم حقق الله رجاه فجزم به
وانا اول من يقرع باب الجنة اي يطرقه للاستفتاح فيكون اول داخل
وعنه اي مسلم **ايضا** في كتاب الايمان من حديث ثابت **عن انس قال**
صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة اي اجي بعد الانصراف من
الحشر والحساب الى اعظم المنافذ التي توصل الى دار الثواب وهو باب

الرحمة او بابه التوبة كما في النوادر وعبر باتي دون اجي للاشارة الي ان
مجيئه يكون بصفة من لبس خلقه الرضوان فجا عليه تمهل وامان من غير
نصب في الاتيان اذ الاتيان كما قال الراغب مجي بسهولة والمجي اعم فيؤذن ببشارة
عليه مزية يوم القيامة **فاستفتح** بسين الطلب عبر بها ايما الي القطع
بوقوع مدخولها وتحققا بما طلبه فتحه بالقرع كما في الاحاديث لا بالصوت
وفي رواية احمد اخذ بحلقة الباب والفا للتعقيب اشارة الي انه قد اذن له
من ربه من غير واسطة خازن ولا غيره وذلك انه من ورد باب كبير وقف عادة
حتي يستاذن له فالتعقيب اشارة الي ان ربه صانه عن ذل الوقوف واذن له
في الدخول ابتدا بحيث صار الخازن ماموره منتظرا قدومه **فيقول الخازن**
اي الحافظ وهو المؤتمن علي ما استحفظه وال عهدية والمعهود رضوان
وخص مع كثرة الخزنة لانه اعظمهم ومقدمهم وعظيم الرسل انما يتلقاه
عظيم الخزنة **بك امرت** كذا في جميع ما رايناه من نسخ المص وفيه سقط منه
او من نساخه فلفظ رواية مسلم فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول
بك امرت وقد ساقه المص في المقصد الاخير تاما وانما اجابه بالاستفهام واكده
بالخطاب تلذذا بمناجاته والا فابواب الجنة شفافة كما في خبر وهو العلم
الذي لا يشتبه والتمييز الذي لا يلتبس وقد راه رضوان قبل ذلك وعرفه
اتم معرفة ولذا اكتفي بقوله فاقول محمد وان كان المسمي به كثيرا والابنا في
كون ابواب الجنة شفافة خبر ابي يعلي عن انس رفعه اقرع باب الجنة
فيفتح لي باب من ذهب وحلقة من فضة لان ما في الدنيا لا يشبه ما في
الجنة الا في مجرد الاسم كما في حديث فلا مانع من كونه ذهبا شفافا ولم
يقل انا لابهامه مع اشعاره بتعظيم النفس وهو سيد المتواضعين وهذه
الكلمة جارية علي السنة المتجبرين اذا ذكروا مفاخرهم وزهوا بانفسهم قال و
ابن الجوزي انا لا تخلو عن نوع تكبر كانه يقول انا لا احتاج الي ذكر اسمي ولا نسبي
لسمو مقامي وقال بعض المحققين ذهبت طايفة من العلما وفرقة من
الصوفية الي كراهة اخبار الرجل عن نفسه بانا تمسكا بظاهر الحديث حتي قالوا
انها كلمة لم تزل مشومة علي قايلها كقول ابليس انا خير وفرعون انا ربكم وليس
كما قرروا بل الشوم لما صحبه من الخير والربوبية واصابة الصوفية في دقايق
العلوم والاشارات في التبري من الدعاوي الوجودية لكن الذي اشار الله بهذا
راجع الي معان تتعلق باحوالهم دون القول لثبوت ورودها في نصوص كثيرة انا
انا بشر انا اول المسلمين وما انا من المتكلفين انا سيد ولد ادم انا اكثر الانبيا تبعا
وقد قال النووي لا باس ان يقول انا الشيخ فلان او القاضي فلان اذا لم يحصل
التمييز الا به وخلا عن الخيلا والكبر والبا في قوله بك متعلقة بالفعل بعدها
وهي سببية اي بسببك امرت بالبنا للمفعول والفاعل الله **ان لا افتح**
كذا في نسخ وفي اخري بدون ان وهو الذي وقفت عليه في مسلم وذكره السيوطي
في جامعيه بان وتعقبه شارحه بان الذي في مسلم نسخ الصحيحة المقروة

بلا

بلا انك **لاحد قبلك** لا من الانبيا ولا من غيرهم اذ احد في سياق النفي للعموم
فيفيد استغراق جميع الافراد وعلم منه ان طلب الفتح انما هو من الخازن
ولم يطلبه منها بلا واسطة فانه ورد عن الحسن وقتادة وغيرهما انها
يري ظاهرها من باطنها وعكسه وانها تتكلم وتكلم وتعقل ما يقال لها انفتحي
انغلقي اجيب بان الظاهر انها مامورة بعدم الاستقلال بالفتح والغلق وانها
لا تستطيع ذلك الا بامر عريفها المالك لامرها باذن ربها وانما يطالب بما يراد
من القوم عرفاؤهم وحكمة اتخاذ الخزنة للجنة مع ان الخزنة عرفا انما تكون
لما يخاف ضياعه او تلفه او نقصه فيفوت كله او بعضه او وصفه علي صاحبه
ولا يمكن ذلك في الجنة هي ان الغرض من تعيين الخزنة لها انما هو مراعاة
الداخلين اكراما لهم فتتقدم الخزنة لكل منهم ما اعد له من النعيم ثم لا تعارض
بين الحديث وبين قوله تعالي جنات عدن مفتحة لهم الابواب حتي اذا
جاوها وفتحت ابوابها ووجهه الرازي وغيره بانه يوجب السرور والفرح
حيث نظروها مفتحة من بعد وفيه الخلاص من ذل الوقوف للاستفتاح
لان ابوابها تفتح اولا بعد الاستفتاح من جمع ويكون متقدما بالنسبة الي
البعض كما يقتضيه خبر ان الاغنيا يدخلون الجنة بعد الفقرا بخمس مائة
عام والظاهر انها لا تغلق بعد فتحها للفقرا واجيب ايضا بخمسة اجوبة
غير هذا نوقش فيها وهذا احسنها كما قال بعض المحققين **ورواه**
الطبراني بزيادة فيه قال فيقوم الخازن فيقول لا افتح لاحد قبلك
كما امرت **ولا اقوم لاحد بعدك وهذه خصوصية اخري له صلي الله**
عليه وسلم وهي ان خازن الجنة لا يقوم لاحد غيره صلي الله عليه
وسلم فقيامه له فيه اظهار لمزيته ومرتبته ولا يقوم لاحد بعده
بل خزنة الجنة يقومون في خدمته اي رضوان **وهو كالملك عليهم**
وقد اقامه الله تعالي في خدمة عبده ورسوله حتي مشي وفتح له
الباب زيادة في اكرامه **ومنها انه اول من يدخل الجنة** كما في مسلم وغيره
واستشكل بادريس حيث دخل الجنة بعد موته وهو فيها كما ورد وبان
السبعين الفا الداخلين بغير حساب يدخلون قبله وبحديث احمد في رويا
النبي صلي الله عليه وسلم بلالا سبقه في دخولها وبخبر ابي يعلي وغيره
اول من يفتح له باب الجنة انا الا ان امراة تبادرني فاقول ما لك او من انت
فتقول انا امراة قعدت علي ايتام لي وخبر البيهقي اول من يقرع باب الجنة
عبد ادي حق الله وحق مواليه واجيب بان دخوله صلي الله عليه وسلم بعد
فالدخول الاول لا يتقدمه ولا يشاركه فيه احد ويتخلل بينه وبين ما بعده
دخول غيره وقد روي ابن منده في حديث انه كرر الدخول اربع مرات ونحوه
في البخاري واما ادريس فلا يرد لان المراد الدخول التام يوم القيامة وادريس
يحضر الموقف للسوال عن التبليغ وثم اجوبة اخري هذا اظهرها وسيكون
لنا ان شا الله تعالي عودة لمزيد الكلام علي ذلك في المقصد الاخير **قال عليه**

السلام وانا اول من يحرك خلق الجنة بفتح اللام جمع حلقة بسكونها
على غير قياس وقيل فتحها لغة فالجمع قياسي ولاحمد والترمذي عن انس
مرفوعا انا اول من ياخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها **فيفتح الله لي** لا الخازن
مامر ان الفاتح رضوان لان الفاتح الحقيقي هو الله تعالي وتولي رضوان
ذلك انما هو بامره واقداره وتمكينه **فيدخلنيها ومعي فقرا المومنين**
اي يدخلون عقبه بسرعة فكانهم دخلوا معه وروي ابو داود عن ابي
هريرة مرفوعا ان ابا بكر اول من يدخل الجنة واخرج ابو نعيم عن ابي هريرة
رفعه انا اول من يدخل الجنة ولا فخر واول من يدخل علي الجنة ابنتي فاطمة
اي من النسا وابو بكر من الرجال فلا خلف وروي ابن ماجة وصححه الحاكم
عن ابي مرفوعا اول من يصافحه الحق عمر واول من يسلم عليه واول من ياخذ
بيده فيدخله الجنة **ولا فخر** اي لا افتخر بذلك بل بمن اعطانيه او اقول ذلك
شكرا لا فخرا وهو ادعا العظمة والمباهاة **رواه الترمذي** عن ابن عباس
في حديث ساقه المص بتمامه في المقصد العاشر **ومن خصايصه صلي
الله عليه وسلم الكوثر** كما قال تعالي انا اعطيناك الكوثر ونقل المفسرون فيه
اقوالا تزيد علي عشرة واولاها قول ابن عباس انه الخير الكثير لعمومه لكن ثبت
تخصيصه بالنهر من لفظه صلي الله عليه وسلم فلا معدل عنه روي مسلم
وغيره انه صلي الله عليه وسلم قرا انا اعطيناك الكوثر ثم قال اتدرون ما
الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو
حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم
فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك ولاحمد ان رجلا قال
يا رسول الله ما الكوثر قال نهر في الجنة اعطانيه ربي لهو اشد بياضا من اللبن
واحلي من العسل ولذا اقتصر المص هنا علي قوله **نهر في الجنة يسيل في
حوضه** كما في حديث البخاري ولاحمد ويفتح نهر الكوثر الي الحوض **مجراه علي
الدر** اللولو الكبار **والياقوت** وعند النسايي ترابه المسك وحصاه اللولو
والياقوت **وماوه احلي من العسل وابيض من الثلج** لعله سقط منه
من اللبن وابرد من الثلج فعند الحاكم من حديث ابي برزة ماوه احلي من العسل
وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد وانيته من فضة ولابن
مردويه من حديث ابن عباس حافتاه الزبرجد وفي حديث ثوبان لا يظما من
شرب منه رواه ابن ماجة فالمختص به صلي الله عليه وسلم الكوثر الذي
يصب من مايه في حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره وان حوضه اكبر الحياض
واكثر واردا كما قال صلي الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم
اكثر وارده واني لارجو ان اكون اكثرهم وارده رواه الترمذي وفي اثر ان حوضه
اعرض الحياض واكثرها واردا قال القرطبي وقول البكري المعروف بابن
الواسطي لكل نبي حوض الا صالحا فحوضه ضرع ناقته لم اقف علي ما يدل
عليه او يشهد له انتهي **ومنها الوسيلة** لما في مسلم مرفوعا اذا سمعتم

الموذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فان من صلي علي صلاة صلي الله
عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد
من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وهي اعلا درجة في الجنة كما قال صلي الله عليه وسلم الوسيلة درجة
عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة رواه احمد قال ابن كثير
الوسيلة علم علي اعلا منزلة في الجنة وهي اقرب امكنة الجنة الي العرش وقال
غيره فعيلة من وسل اذا تقرب وتطلق علي المنزلة العلية كما في الحديث وانها
منزلة في الجنة علي انه يمكن ردها الي الاول فان الواصل الي تلك المنزلة قريب
من الله فيكون كالقربة التي يتوسل بها ولما كان صلي الله عليه وسلم اعظم
الخلق عبودية لربه واعلمهم به واشدهم له خشية واعظمهم له محبة كانت
منزلته اقرب المنازل الي الله وامر امته ان يسالوها له لينالوا بهذا الدعا الزلفي
وزيادة الايمان وايضا فالله قدرها له باسباب منها دعا امته له بما نالوه
علي يده من الهدي واما الفضيلة فهي المرتبة الزايدة علي ساير الخلايق ويحتمل
انها منزلة اخري وتفسير للوسيلة ولابن ابي حاتم عن علي ان في الجنة لولوتين
احداهما بيضا واسمها الوسيلة لمحمد صلي الله عليه وسلم واهل بيته والصفرا
لابراهيم واهل بيته قال ابن كثير هذا اثر غريب ذكره المص في المقصد الاخير
وقال عبد الجليل القصري في شعب الايمان الوسيلة هي التوسل به صلي الله
عليه وسلم الي الله وذلك انه في الجنة بمنزلة الوزير من الملك بغير تمثيل
لا يصل الي احد شي الا بواسطته وهذا كما قال بعض وان كان حسنا لكنه تفسير
للشي بخلاف ما فسره به صاحبه علي انه يحتاج الي توقيف **واما خصايص
امته صلي الله عليه وسلم** في الدنيا والاخرة اي بعضها في الدارين
لتركه كثيرا فيهما **وزادها شرفا** والمراد دامه الاجابة **فاعلم انه لما
انشا سبحانه وتعالي العالم علي غاية من الاتقان وابرز جسد
نبينا** اي شخصه وهو الصورة التي تريه عليها **صلي الله عليه وسلم
للعيان** بكسر العين **وظهرت عنايته** رعايته واهتمامه **بامته الانسانية**
بمعاملته لهم معاملة من يريد نفع غيره **بحضوره وظهوره فيها** عطف
تفسير **وان كان العالم الانساني والناري** اي عالم الجن **كله امته** لبعثته
اليهم اجماعا **ولكن لهولا** اي العالم الانساني **خصوص وصف** من
اضافة الصفة للموصوف اي وصف خاص بهم لا يتجاوزهم الي غيرهم وهو
الخيرية المشار اليها بقوله **فجعلهم** جواب لما دخلت عليه الفا علي قلة او هو
عطف علي مقدر اي لما انشا العالم علي ما ذكر وخص الامة المحمدية بصفة
زايدة ميزهم علي غيرهم وفضلهم فجعلهم **خير امة اخرجت للناس
وجعلهم ورثة الانبيا** كما قال صلي الله عليه وسلم العلما ورثة الانبيا
ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم رواه ابو داود والترمذي
واحمد وغيرهم وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما واما خبر علما امتي كانبيا

بني اسرايل فقال الحافظ ومن قبله الدميري والزركشي لا اصل له وسيل
عنه الحافظ العراقي فقال لا اصل له ولا اسناد بهذا اللفظ ويغني عنه
العلما ورثة الانبيا وهو صحيح واخرج ابن عدي وابونعيم والديلمي عن
النبي صلي الله عليه وسلم العلما مصابيح الارض وخلفا الانبيا وورثتي
وورثة الانبيا **واعطاهم الاجتهاد في نصب الاحكام** من الكتاب
والسنة ونحوهما **ليحكمون بما ادي اليه اجتهادهم** ويوجرون
ولو اخطاوا فيه ولعل هذين من عطف بعض الاسبابه علي المسببه لان
كونهم ورثة الانبيا واعطاهم الاجتهاد من اسبابه الخيرية المبينة في الاية
بقوله تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله وكان هذا هو
الحامل علي ادخال الامرين في الخيرية **وكل من دخل في زمان هذه
الامة من الانبيا عليهم السلام بعد نبيها صلي الله عليه وسلم
كعيسي** عليه السلام فانه حين ينزل من هذه الامة اتفاقا مع بقايه علي
نبوته بل ذهب جمع من العلما الي انه صحابي لاجتماعه بالنبي صلي الله
عليه وسلم وهو حي مومنا به ومصدقا وكان اجتماعه به مرات في غير
ليلة الاسرا وروي ابن عساكر عن انس قلنا يا رسول الله رايناك صافحت شيا
ولا نراه قال ذاك اخي عيسي بن مريم انتظرته حتي قضي طوافه فسلمت
عليه وروي ابن عدي عن انس بينا نحن مع النبي صلي الله عليه وسلم اذ
راينا بردا ويدا فقلنا يا رسول الله ما هذا البرد الذي رايناه واليد قال قد
رايتموه قلنا نعم قال ذاك عيسي بن مريم سلم علي **او علي تقدير دخوله**
كالخضر علي انه نبي والياس علي انهما باقيان **فانه لا يحكم في العالم الا
بما شرعه محمد صلي الله عليه وسلم في هذه الامة** لا بشرايعهم
التي كانت قبله **فاذا نزل سيدنا عيسي عليه السلام فانما يحكم بشريعة
نبينا صلي الله عليه وسلم** ويكون وصولها اليه **بالهام** لاحكامها
او اطلاع علي الروح المحمدي فيخبره بشريعته **او بما شا الله تعالي**
من استنباطه لها من الكتاب والسنة ونحو ذلك وقد سيل السيوطي باي طريق
تصل احكام شريعتنا الي عيسي فاجابه بان الانبيا كانوا يعلمون في زمانهم
بجميع شرايع من قبلهم ومن بعدهم بالوحي من الله علي لسان جبريل وبالتنبيه
علي لسان جبريل ببعض ذلك في الكتاب الذي انزل عليهم وبان عيسي ينظر
في القران فيفهم منه جميع احكام هذه الملة من غير احتياج الي مراجعة الاحاديث
كما فهم النبي صلي الله عليه وسلم ذلك من القران فانه قد انطوي علي جميع
احكام الشريعة وفهمها نبينا بفهمه الذي اختص به ثم شرحها للامة
في السنة وافهام الامة تقصر عن ادراك ما ادركه صاحب النبوة وعيسي
نبي فلا بعد ان يفهم من القران كفهم النبي صلي الله عليه وسلم وبان
عيسي معدود في الصحابة لانه اجتمع بالنبي صلي الله عليه وسلم غير
مرة فلا مانع انه تلقي منه احكام شريعته المخالفة لشريعة الانجيل لعلمه

بانه

بانه سينزل في امته ويحكم فيهم بشريعته فاخذها عنه بلا واسطة هو
والي هذا اشار جماعة من العلما قال ورايت عبارة للسبكي نصها انما يحكم
عيسي بشريعة نبينا بالقران والسنة فيتجه ان اخذه السنة بطريق
المشافهة بلا واسطة وبانه اذا نزل يجتمع بالنبي صلي الله عليه وسلم في
الارض كما صرح به في احاديث فلا مانع ان ياخذ عنه ما احتاج اليه من احكام
شريعته واستدل السيوطي لكل واحد من هذه الاربع بما يطول ذكره وذكر
انه اعترض عليه في الجواب الاول بلزوم ان القران مضمن في الكتب السابقة
فاجابه بانه لا مانع من ذلك فقد دلت الاحاديث علي ثبوت هذا اللازم وقال
تعالي وانه لتنزيل رب العالمين الي قوله وانه لفي زبر الاولين ثم ساق ادلة
ذلك في نحو ورقة ثم قال ان السايل نفسه سالة ثانيا هل ثبت ان عيسي ينزل
عليه الوحي بعد نزوله فاجابه نعم روي مسلم وغيره اثنا حديثا واوحي
الله الي عيسي اني قد اخرجت عبادا من عبادي لا يدان لك بقتالهم فهذا
صريح في انه يوحي اليه بعد نزوله والذي نقطع به ان الجايي اليه
جبريل لانه السفير بين الله وبين انبيايه كما بذلك صرحت الاثار وساقها
ثم قال وقد زعم ان عيسي اذا نزل لا يوحي اليه حقيقة بل وحي الهام وهو
ساقط مهمل لما بذلته لحديث مسلم وغيره ولانه ما توهمه من تعذر
الوحي الحقيقي فاسد فهو لا يذهب ابدا ولا بعد موته فان تخيل انه ذهب
منه وصف النبوة فهو لا يذهب ابدا ولا بعد موته وان تخيل اختصاص
الوحي بزمن دون زمن فهو قول لا دليل عليه ويبطله ثبوت الدليل علي
خلافه انتهي **فياخذ عنه ما شرع الله له ان يحكم في امته فلا يحكم
بشي من تحريم وتحليل الا بما كان يحكم به نبينا صلي الله عليه
وسلم ولا يحكم** عيسي **بشريعته التي انزلت عليه في اوان رسالته
ودولته فهو** اي عيسي **تابع لنبينا صلي الله عليه وسلم وقد نبه علي
ذلك الترمذي الحكيم** محمد بن علي من طبقة البخاري حافظ واعظ زاهد
له تصانيف **في كتاب ختم الاوليا** احد تصانيفه **واعرب** بمهملة بين
عنه صاحب عنقا بالمد مجرور بالفتحة لالف التانيث الممدودة **مغرب**
قال الدميري طاير غريب يبيض بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه قيل
سميت بذلك لانه كان في عنقها بياض كالطوق وقيل طاير يكون عند مغرب
الشمس واطال الدميري الكلام فيها فعلي الاخير ميمه مفتوحة وعلي
الاولين مضمومة واقتصر عليه القاموس فقال عنقا مغرب بالرفع علي
الوصف وبالجر مضافة وهي بضم الميم طاير معروف الاسم مجهول الجسم
وهو اسم كتاب للعارف القطب محيي الدين بن علي بن محمد ابن عربي
الطايي الاندلسي مات بدمشق سنة ست وثلاثين وستمائة وعد الشعراوي
كتابه هذا من الكتب التي لا يكاد يفهم العلما منها معني مقصود الغافلة
اصلا لانه لسان قدسي لا يعرفه الا من تجرد عن هيكله من البشر هو

وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح عقائد النسفي
ابي الفضل محمد بن محمد بن محمد ثلاثة المعروف بالبرهان الحنفي له مختصر
تفسير الرازي ومقدمة في الخلاف وتصانيف كثيرة في علم الكلام واجاز للبرزالي
وتوفي سنة سبع وثمانين وستماية وهو متاخر عن النسفي عمر بن محمد
صاحب التفسير والفتاوي وغيرهما توفي سنة سبع وثلاثين وخمسماية
وغير صاحب الكنز والمدارك والمنار وغيرها واسمه عبد الله بن احمد بن
محمود وغير ابي المعين ميمون بن محمد كلهم حنفيون من نسف بفتح
النون والسين المهملة وبالفاء مدينة بما وراء النهر وصح انه اي
عيسى يصلي بالناس ويؤمهم يصلي بهم اماما ويقتدي به المهدي
محمد بن عبد الله الحسني الخليفة الاتي اخر الزمان وفي حديث
ضعيف المهدي بعد الثانين لانه اي عيسى افضل منه اي المهدي
فاماما منه اولى انتهى كذا جزم به اعتمادا على تعليله وورد ما يشهد
له في بعض الاثار وعورض بحديث الصحيحين عن ابي هريرة قال قال
صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم ولمسلم
ايضا كيف بكم اذا نزل ابن مريم فيقال صل بنا فيقول لا ان بعضكم على بعض
امرا تكرمة لهذه الامة ولاحمد من حديث جابر فاذا هم بعيسى فيقال تقدم
فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم ولابن ماجة في حديث ابي امامة وكلهم اي
المسلمون ببيت المقدس وامامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم اذ نزل
عيسى فرجع الامام ينكص ليتقدم عيسى فيقف عيسى بين كتفيه ثم
يقول تقدم فانها لك اقيمت وروى ابو نعيم عن ابي سعيد مرفوعا الذي
يصلي عيسى ابن مريم خلفه اي منا اهل البيت وجمع بان عيسى يقتدي
بالمهدي اولا ليظهر انه نزل تابعا لنبينا حاكما بشرعه ثم بعد ذلك يقتدي
المهدي به على اصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل قال ابن الجوزي
لو تقدم عيسى اماما لوقع في النفس اشكال ولقيل اتراه تقدم نائبا او مبتديا با
شرعا فيصلي ماموما لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله لا نبي بعدي
وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الامة مع كونه في اخر الزمان وقرب
قيام الساعة دلالة للصحيح من الاقوال ان الارض لا تخلو عن قايم
لله بحجة وقيل معنى وامامكم منكم انه يحكم بالقران لا بالانجيل كما في
رواية لمسلم وامامكم منكم قال ابن ابي ذيب معناه امكم بكتاب ربكم وعليه
لم يتعين ان عيسى اذا نزل يكون اماما او ماموما لكن يعكر عليه رواية
احمد ومسلم فانهما صريحتان انه لا يقبلان هذا التاويل وقال ابو الحسن الابري
في مناقب الشافعي تواترت الاخبار ان المهدي من هذه الامة وان عيسى يصلي
خلفه ذكر ذلك ردا لحديث ابن ماجة عن انس ولا مهدي الا عيسى وهو
عليه السلام وان كان خليفة في الامة المحمدية فهو رسول ونبي كريم
على حاله لا كما يظن بعض الناس انه ياتي واحدا من هذه الامة بدون
نبوة

نبوة ورسالة وجهل انهما لا يزولان بالموت كما تقدم فكيف بمن هو حي نعم
هو واحد من الامة مع بقائه على نبوته ورسالته لما ذكر من وجوب
اتباعه لنبينا صلى الله عليه وسلم والحكم بشريعته لا بشرع
الانجيل المنسوخ فان قلت قد ورد في صحيح مسلم والبخاري ايضا
ما هذا الايهام كلاهما عن ابي هريرة قوله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ليوشكن بكسر المعجمة اي ليقربن اي لا بد من ذلك سريعا ان
ينزل فيكم اي في هذه الامة فانه خطاب لبعضها ممن لا يدرك نزوله حكما
اي حاكما مقسطا اي عادلا بخلاف القاسط فهو الجاير ولمسلم ايضا اماما
مقسطا ولفظ البخاري حكما عدلا وفي مسلم عن ابي هريرة مرفوعا ينزل عيسى
ابن مريم على المنارة البيضا شرقي دمشق وفي الصحيحين عنه رفعه
ينزل عيسى فيقتل الدجال فيكسر الصليب تفريع على عدله اي فبسبب
عدله يكسره حقيقة او يبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه ويقتل الخنزير ير
فيبطل دين النصرانية وفيه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم اكله ونجاسته لان
الشيء المنتفع به لا يشرع اتلافه لكن في الطبراني الاوسط باسناد لا باس به
عن ابي هريرة ويقتل الخنزير والقرد فلا يصح الاستدلال به على نجاسة عين
الخنزير لان القرد ليس بنجس العين اتفاقا وفيه ايضا تغيير المنكرات وكسر
آلة الباطل زاد في رواية لمسلم ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ويضع
الجزية وفي رواية ويضع الحرب وبقية الحديث في الصحيحين ويفيض المال
حتى لا يقبله احد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول
اقروا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون
عليهم شهيدا قال الحافظ والمعنى ان الدين يصير واحدا فلا يبقى احد من اهل
الذمة يودي الجزية وقيل معناه يكثر المال فلا يبقى من يمكن صرف مال الجزية
الجزية له فيترك الجزية استغناء عنها وقال عياض يحتمل ان المراد بوضعها
تقريرها على الكفار من غير محاباة ويكون كثرة المال بسبب ذلك ونقضه
النووي وقال ان الصواب في معناه انه لا يقبل الا الاسلام او يفعل
القتل ان امتنعوا منه قال الحافظ ويؤيده رواية احمد من وجه اخر وتكون
الدعوى واحدة وهذا هو خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي
اذا بذل اي اعطى الجزية وجب قبولها ولم يجز بالزاي قتله لقوله تعالى
حتى يعطوا الجزية عن يد وفي نسخة لم يجب بالباء بدل الزاي وكانه عبر بها
لمطابقة ظاهر الاية فلا ينافي انه لا يجوز قتله وعلى قاتله ديته لان ذلك ثبت
بدليل اخر ولا اكراه على الاسلام واذا كان كذلك فكيف يكون عيسى
عليه السلام حاكما بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم فالجواب انه
لا خلاف ان عيسى انما ينزل بهذه الشريعة المحمدية لحديث عبد الله
ابن مغفل ينزل عيسى بن مريم مصدقا بمحمد على ملته رواه الطبراني ولا
ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة لان هذه الشريعة لا تنسخ

بل هو حاكم من حكام هذه الامة كقاض بين الخصوم بالملة المحمدية
واما حكم الجزية وما يتعلق بها من اقرارهم على ابقا صليبهم وخنزيرهم
ونحوهما حيث لم يظهروها فليس حكما مستمرا الى يوم القيامة بل هو
مقيد بما قبل نزول عيسى فوضعها بعد نزوله من شرع نبينا وقد اخبر
نبينا صلى الله عليه وسلم بنسخه بهذا الحديث كما في عبارة النووي
وليس عيسى هو الناسخ بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ
بقوله ويضع الجزية فدل على ان الامتناع في ذلك الوقت من قبول الجزية
هو شرع نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت لا قبله اشار اليه
النووي في شرح مسلم ولخصه الحافظ باوجز عبارة بقوله قال النووي
معنى وضع الجزية مع انها مشروعة في هذه الشريعة لان مشروعيتها مقيدة
بنزول عيسى كما دل عليه هذا الخبر وليس عيسى بناسخ لحكمها بل نبينا صلى الله
عليه وسلم هو المبين للنسخ بقوله هذا فان قلت ما المعنى اى العمر والحكمة
في تغيير حكم الشرع عند نزول عيسى عليه السلام في منع قبول الجزية
اهو تعبد بدام معقول المعنى فاجاب اى فاقول في ذلك اجابه ولا حاجة
للفا لدخولها على ماض متصرف وهو صالح لكونه جوابا للشرط ونقل البدر بن
مالك جوازه اعترض بانه ظاهره الاطلاق وليس كذلك بل الماضي المتصرف المجرد
ثلاثة اضرب ضرب لا يجوز اقترانه بالفا وهو المستقبل الذي لم يقصد به وعد
او وعيد نحو ان قام زيد قام عمرو وضرب يجب اقترانه بالفا وهو المستقبل الماضي
لفظا ومعنى نحو ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وقد معه مقدرة وضرب يجوز
اقترانه بالفا وهو المستقبل معنى وقصد به وعدا او وعيد نحو ومن جا بالسيئة
فكبت لانه اذا كان وعدا او وعيدا حسن ان يقدر ماضي المعنى فعومل معاملة
الماضي حقيقة وقد نص ابوه على هذا التفصيل في شرح كافيته ابن بطال
ابو الحسن على في شرح البخاري بانا انما قبلنا بها نحن لاحتياجنا الى المال
وليس يحتاج عيسى عليه السلام عند خروجه اى ظهوره ونزوله من السما
الى الارض الى مال لانه يفيض بفتح اوله وكسر الفا وبالضاد المعجمة اى يكثر
في ايامه حتى لا يقبله احد كما قال في الصحيحين ولمسلم في رواية وليعود الى
المال فلا يقبله احد قال الحافظ وسببه كثرته نزول البركات بسبب العدل وعدم
الظلم وحينئذ تخرج الارض كنوزها ويقل الراغب في اقتنا المال لعلمهم بقرب
الساعة فلا يقبل الا القتل اى لا يحكم الا به فصير ينفى القبول بمعنى فعل القتل
تجوزا نحو زجتن الحواجب والعيونا او الايمان بالله وحده انتهى جواب
ابن بطال واجاب الشيخ ولي الدين احمد بن العراقي بان قبول الجزية
من اليهود والنصارى لشبهة بالضم اى التباس ما بايديهم من
التوراة والانجيل عليهم فظنوا بسبب الالتباس حقية ما هم عليه وتعلقهم
بزعمهم بشرع قديم وهذه الشبهة والتعلق وان كانا باطلين لقيام الادلة
الواضحة على حقية الاسلام وبطلان ما سواه لكنهم عذروا في الجملة لذلك

فاكتفى

فاكتفى منهم بما دل على ذلهم وانقيادهم لبعض احكام الاسلام فحصل عليهم
فاذا نزل عيسى عليه السلام زالت تلك الشبهة لحصول معاينته
فصاروا كعبدة الاوثان في انقطاع شبهتهم وانكشاف امرهم
فعوملوا معاملتهم في انه لا يقبل منهم الا الاسلام والحكم يدور
بزوال علته وهذا ايضا ملحظ جواب ابن بطال قال وهذا معنى حسن
مناسب لم ار من تعرض له قال وهذا اولى مما ذكره ابن بطال انتهى
وكان وجه اولويته انه مبني على علة معنوية معقولة دون جواب ابن بطال
وهو ظاهر في زوال شبهة النصارى بنزوله واما زوالها عن اليهود بنزوله
كانه لانهم زعماهم والنصارى بقا شرعهما مع شريعة الاسلام وفي الفتح
قال العلما الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الانبيا للرد على اليهود في
زعمهم انهم قتلوه فبين الله كذبهم وانه الذي يقتلهم وبنزوله لدنو اجله
ليدفن في الارض اذ ليس لمخلوق من التراب ان يموت في غيرها وقيل
انه دعا الله لما راى صفة محمد وامته ان يجعله منهم فاستجاب الله دعاه
وابقاه حتى ينزل في اخر الزمان مجددا لامر الاسلام فيوافق خروج الدجال
فيقتله والاول اوجه وفي مسلم عن ابن عمرو انه يمكث في الارض بعد نزوله
سبع سنين وروى نعيم بن حماد في كتاب الفتن من حديث ابن عباس ان عيسى
يتزوج في الارض ويقيم بها تسع عشرة سنة وباسناد فيه مبهم عن ابي
هريرة يقيم بها اربعين سنة وروى احمد وابو داود باسناد صحيح عن
ابي هريرة مرفوعا ينزل عيسى عليه السلام وعليه ثوبان ممصران فيدق
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام ويهلك
الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود
مع الابل وتلعب الصبيان بالحيات فيمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون انتهى قال ابن كثير يشكل عليه خبر مسلم انه يمكث
في الارض سبع سنين اللهم الا ان تحمل هذه السبع على مدة اقامته بعد نزوله
وتكون مضافة الى مكثه فيها قبل رفعه الى السما وكان عمره اذ ذاك ثلاثا
وثلاثين سنة على المشهور وقال في مرقاة الصعود وقد اقمت سنين اجمع بذلك
ثم رايته البيهقي قال في كتاب البعث والنشور هكذا في هذا الحديث ان عيسى
يمكث في الارض اربعين سنة وفي مسلم من حديث عبد الله بن عمرو في قصة
الدجال فيبعث الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يلبث الناس بعده
سبع سنين ليس بين اثنين عداوة قال البيهقي ويحتمل ان قوله ثم يلبث
الناس بعده اى بعد موته فلا يكون مخالفا للاول انتهى فترجح عندي هذا
التاويل من وجوه احدها ان حديث مسلم ليس نصا في الاخبار عن مدة
لبث عيسى وخبر ابي داود نص فيها والثاني ان ثم تؤيد هذا التاويل
لانها للتراخي والثالث قوله يلبث الناس بعده فيتجه ان الضمير فيه لعيسى
لانه اقرب مذكور والرابع انه لم يرد في ذلك سوى هذا الحديث المحتمل

ولا ثاني له وورد مكث عيسى اربعين سنة في عدة احاديث من طرق
مختلفة فحديث ابي داود هذا هو صحيح واخرج الطبراني عن ابي هريرة
مرفوعا ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس اربعين سنة واخرج احمد
في الزهد عنه قال يلبث عيسى في الارض اربعين سنة لو يقول للبطحا سيلي
عسلا لسالت واخرج في المسند عن عايشة مرفوعا في حديث الدجال
فينزل عيسى فيقتله ثم يمكث عيسى في الارض اربعين سنة اماما عادلا
وحكما مقسطا وورد ايضا من حديث ابن مسعود عند الطبراني فهذه الاحاديث
المتعددة الصريحة اولى من ذلك الحديث الواحد المحتمل انتهى ويويده
ان حديث رفعه وهو ابن ثلاث وثلاثين انما يروى عن النصارى فعند الحاكم
عن وهب بن منبه قال ان النصارى تزعم فذكر الحديث الى ان قال وانه رفع
وهو ابن ثلاث وثلاثين وفيه عبد المنعم بن ادريس كذبوه ولو صح فهو عن النصارى
كما ترى والثابت في الاحاديث النبوية انه رفع وهو ابن مائة وعشرين روى
الطبراني والحاكم في المستدرك عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
في مرضه الذي توفي فيه لفاطمة ان جبريل كان يعارضني القران في كل عام
مرة وانه عارضني بالقران العام مرتين واخبرني انه لم يكن نبي الا عاش نصف
الذي قبله واخبرني ان عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا اراني
الا ذاهبا على راس الستين ورجاله ثقات وله طرق وذكر ابن عساكر ان وفاة
عيسى تكون بالمدينة فيصلى عليه هنالك ويدفن بالحجرة النبوية وروى الترمذي
عن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه
واختلف في موته قبل رفعه لظاهر قوله تعالى اني متوفيك قال الحافظ وعليه اذا
نزل الى الارض ومضت المدة المقدرة له يموت ثانيا وقيل معنى متوفيك رافعك من
الارض فعليه لا يموت الا في اخر الزمان وقال في موضع اخر رفع عيسى وهو حي على
الصحيح ولم يثبت رفع ادريس وهو حي من طريق مرفوعة قوية انتهى وفي
الاصابة عيسى بن مريم بنت عمران رسول الله وكلمته القاها الى مريم ذكره
الذهبي في التجريد مستدركا على من قبله فقال راى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة
الاسرا وسلم عليه فهو نبي وصحابي وهو اخر من يموت من الصحابة والغزه
القاضي تاج الدين السبكي في قصيدته التي في اواخر القواعد له فقال

من باتفاق جميع الخلق افضل من ۞ خير الصحاب ابي بكر ومن عمر
ومن علي ومن عثمان وهو فتى ۞ من امة المصطفى المختار من مضر

وانكر مغلطاي على من ذكر خالد بن سنان في الصحابة كابي موسى المديني وقال ان
ذكره لكونه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وكان ينبغي له ان يذكر عيسى وغيره من
الانبيا او من ذكره هو من الانبيا غيرهم ومن المعلوم انهم لا يذكرون في الصحابة
انتهى وينبغي ذكر عيسى خاصة لامور تقتضي ذلك وهي رفعه حيا على احد
القولين وانه ينزل الى الارض فيقتل الدجال وانه يحكم بشريعة محمد صلى الله
عليه وسلم فبهذه الثلاث يدخل في تعريف الصحابي وهو الذي عول عليه

الذهبي

الذهبي انتهى كلام الاصابة ويويده اجتماعه بالمصطفى مرات في غير ليلة
الاسرا في الطواف وغيره كما تقدم قريبا من رواية ابن عساكر وابن عدي عن
انس ونقل السيوطي عن العلم العراقي انه تعقب قول الناظم وهو فتى بانه
ان كان عن عيسى فلا يطلق اسم الفتى على الانبيا انما يسمى به الصبيان والعبيد
والخدم وان اراد ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يطلق عليه نبي فقد
نص الازهري على ان الصبي لا يسمى فتى حتى يراهق وان اراد الجنس فابو
بكر افضل منه فلو قال شخص بدل فتى صح على عيسى وعلى ابراهيم وعلى
فاطمة لحديث فاطمة بضعة مني قال مالك لا افضل على بضعة من النبي صلى الله
عليه وسلم احدا انتهى **وكذلك من يقول** وهم الجمهور كما قال ابن عطية والمازري
والبغوي والقرطبي **من العلما بنبوة الخضر** قائلين لان قوله تعالى وما
فعلته عن امري يدل على انه نبي يوحى اليه ولان النبي لا يتعلم ممن هو دونه
ولان الحكم بالباطن لا يطلع عليه الا الانبيا ثم اختلفوا في انه رسول ام لا قال
الثعلبي الخضر نبي بعثه الله بعد شعيبا وقالت طايفة منهم القشيري هو
ولي واجابوا عن الاية باحتمال بعيد جدا وهو ان الله اوحى الى نبي ذلك العصر
بان يامر الخضر بذلك وهو بفتح الخا وكسر الضاد المعجمتين وقد تسكن مع
كسر الخا وكنيته ابو العباس وفي الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا انما سمي
الخضر لانه جلس على فروة بيضا فاذا هي تهتز من تحته خضرا زاد عبد
الرزاق الفروة الحشيش الابيض وما اشبهه قال عبد الله ابن احمد اظن هذا
تفسيرا من عبد الرزاق وبه جزم عياض ويوافقه قول الحربي الفروة من الارض
قطعة يابسة من حشيش وقال ابن الاعرابي الفروة ارض بيضا ليس فيها
نبات وبه جزم الخطابي ومن تبعه وحكى مجاهد انه قيل له الخضر لانه كان اذا
صلى اخضر ما حوله واختلف في اسمه واسم ابيه ونسبه فالاصح الذي نقله
اهل السير وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال البغوي وغيره ان اسمه بليا
بفتح الموحدة وسكون اللام فتحتية فالف وضبطه الدمياطي في اول الاسم نقطتان
وقيل كالاول بزيادة الف بعد البا وقيل اسمه الياس وقيل عامر وقيل ارميا
بكسر اوله وقيل بضمه واشبعها بعضهم واوا وقيل المعمر وقيل خضرون وقيل
غير ذلك ابن ملكان بفتح الميم وسكون اللام ابن نافع بن عامر بن صالح ابن
ارفخشد بن سام بن نوح وعلى هذه فمولده قبل ابراهيم لانه يكون ابن عم
جد ابراهيم وحكى الثعلبي قولين في انه كان قبل الخليل او بعده وروى
الدارقطني عن ابن عباس قال هو ابن ادم لصلبه قال الحافظ وهذا ضعيف
منقطع وحكى ابو حاتم السجستاني انه ابن قابيل ابن ادم وقيل ابن ملكان
عبد الله بن نصر ابن الازد وقيل ابن عاسل بن معمر ابن عيصو ابن اسحاق
ابن ابراهيم وقيل الخضر بن فرعون صاحب موسى وهو غريب جدا وقيل
ابن بنت فرعون وقيل كان ابوه فارسيا وحكى السهيلي عن قوم انه كان
ملكا من الملايكة وليس من بني ادم قال النووي وهو غريب ضعيف او

باطل وقيل انه من ذرية بعض من امن بابراهيم وقيل انه الذي اماته الله مائة
عام ثم بعثه فلا يموت حتى ينفخ في الصور رواه الدارقطني وزاد مد
للخضر في اجله حتى يكذب الدجال ونقل عبد الرزاق عن معمر قال بلغني ان
الخضر هو الذي يقتله الدجال ثم يحييه **وانه باق الى اليوم فانه تابع**
لاحكام هذه الملة قال ابن الصلاح هو حي عند جمهور العلماء والعامة
معهم في ذلك وانما شذ بانكاره بعض المحدثين وتبعه النووي وزاد وذلك
متفق عليه بين الصوفية واهل الصلاح وحكاياتهم في رويته والاجتماع
به والاخذ عنه وسواله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة اكثر من ان
تحصر واشهر من ان تذكر قال في الاصابة لا يقال يستفاد من هذه الاخبار
التواتر المعنوي لان المتواتر لا يشترط فيه عدالة انما العمدة على وروده بعدد
تحيل العادة تواطيهم على الكذب فان اتفقت الفاظه فذاك وان اختلفت فمهما
اجتمعت فهو التواتر المعنوي وهذه الحكايات تجتمع في ان الخضر حي لانا
نقول بطرق حكاية القطع قول جماعة من الصوفية لكل زمان خضر وانه نقيب
الاولياء وكلما مات نقيب اقيم نقيب مقامه وسمي الخضر فلا يقطع مع هذا ان
الذي ينقل عنه الخضر صاحب موسى بل هو خضر ذلك الزمان ويؤيده اختلافهم
في صفته فمنهم من يراه شيخا او كهلا او شابا وهو محمول على تغاير المرائي وزمانها
انتهى وروى ابن اسحاق في المبتدا عن اصحابه ان ادم اخبر بنيه عند الموت بامر
الطوفان ودعا لمن يحفظ جسده حتى يدفنه بالتعمير فجمع نوح بنيه لما وقع
الطوفان واعلمهم بذلك فحفظوه حتى كان الذي تولى دفنه الخضر وروى خيثمة
ابن سليمان عن جعفر الصادق عن ابيه ان ذا القرنين كان له صديق من الملائكة
فطلب منه ان يدله على شي يطول به عمره فدله على عين الحياة وهي داخل
الظلمة فسار اليها والخضر على مقدمته فظفر بها الخضر فشرب منها وتوضا
واغتسل فيها ولم يظفر بها ذو القرنين فلا يموت حتى يرفع القران واخرجه ابن
عدي بسند ضعيف عن عمرو بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع وهو
في المسجد كلاما فقال يا انس اذهب الى هذا القايل فقل له يستغفر لي فذهب اليه
فقال قل ان الله فضلك على الانبيا بما فضل به رمضان على الشهور وفضل امتك
على الامم مثل ما فضل يوم الجمعة على ساير الايام فذهبوا ينظرونه فاذا هو الخضر
وروى ابن عساكر نحوه عن انس باسناد واهي منه قال ابن المنادي حديث واهي
منكر الاسناد سقيم المتن لم يراسل الخضر بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يلقه واستبعده ابن الجوزي من جهة امكان لقيه له صلى الله عليه وسلم
واجتماعه معه ثم لا يجي اليه وجا في اجتماعه ببعض الصحابة اخبار اكثرها
واهي الاسناد وقد جزم بموته وانه غير موجود الان البخاري وابراهيم
الحربي وابو جعفر بن المنادي وابو يعلى بن الفرا وابو طاهر العبادي
وابو بكر بن العربي وطايفة قال ابن عطية اكثر النقاش اخبارا كثيرة
تدل على بقايه لا يقوم بشي منها حجة قال ولو كان باقيا كان له في ابتدا الاسلام

ظهور

ظهور ولم يثبت شي من ذلك انتهى وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن
عمر وجابر وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في اخر حياته لا يبقى
على وجه الارض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم احد قال ابن عمر
اراد بذلك انخرام قرنه واجاب من اثبت حياته بانه كان حينئذ على وجه
البحر او هو مخصوص من الحديث كما خص منه ابليس باتفاق ومن حجج
من انكر ذلك قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وحديث ابن
عباس ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي
ليومنن به ولينصرنه ولم يات في خبر صحيح انه جا الى النبي صلى الله عليه
وسلم ولا قاتل معه وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر اللهم ان تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الارض فلو كان الخضر موجودا لم يصح هذا النفي
وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص الله علينا
من خبرهما فلو كان الخضر موجودا لما حسن هذا التمني ولاحضره بين يديه
واراه العجايب وكان ادعى لايمان الكفرة لا سيما اهل الكتاب وقد بسط الكلام
فيه في الاصابة بنحو كراس والمريشي منه في فتح الباري من جملته روى يعقوب
ابن سفيان في تاريخه وابو عروبة عن رياح بن عبيدة قال رايت
رجلا يماشي عمر بن عبد العزيز معتمدا على يديه فلما انصرف قلت له من
الرجل قال رايته قلت نعم قال احسبك رجلا صالحا ذاك اخي الخضر بشرني
اني سالي واعدل لا باس برجاله ولم يقع لي الى الان خبر ولا اثر بسند جيد
غيره وهذا لا يعارض الحديث في مائة سنة لانه كان قبل المائة انتهى قال في
الاصابة وعلى بقايه الى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وحياته بعده فهو
داخل في تعريف الصحابي على احد الاقوال ولم ار من ذكره فيهم من القدما
مع ذهاب الاكثر الى الاخذ بما ورد من اخباره في تعميره وبقايه **وكذلك**
الياس بهمزة قطع اسم عبراني واما قوله تعالى سلام على الياسين فقراه
الاكثر بصورة الاسم المذكور وزيادة يا ونون في اخره وقراه اهل المدينة ال
ياسين بفصل ال من ياسين وبعضهم تاول ان المراد ال محمد وهو بعيد ويويد
الاول ان الله تعالى انما اخبر في كل موضع ذكر فيه نبيا من الانبيا في هذه السورة
بان السلام عليه فكذلك السلام في هذا الموضع على المبدا بذكره في قوله تعالى وان
الياس لمن المرسلين وانما زيدت فيه اليا والنون كما قالوا في ادريس ادراسين
ونقل بعضهم الاجماع على ان ادريس جد نوح وفيه نظر لانه ان ثبت قول ابن
عباس ان الياس هو ادريس لزم ان ادريس من ذرية نوح لقوله تعالى ومن
ذريته داود وسليمان الى ان قال وعيسى والياس سوا كان ضمير ذريته
لنوح او لابراهيم لان من كان من ذريته هو من ذرية نوح لا محالة وذكر
ابن اسحاق ان الياس هو ابن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون اخي
موسى بن عمران **على ما صححه ابو عبد الله** محمد بن فرح **القرطبي**
المفسر **انه حي ايضا** ذكر وهب في المبتدا ان الياس عمر كما عمر الخضر

وانه يبقى الى اخر الزمان وروى الدارقطني عن ابن عباس مرفوعا
يجتمع الخضر والياس كل عام في الموسم فيحلق كل منهما راس صاحبه
ويتفرقان عن هولاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا
الله بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله بسم الله ما شاء الله ما
كان من نعمة فمن الله بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله هو
واسناده ضعيف ورواه ابن الجوزي بسند واهي جدا وزاد قال صلى
الله عليه وسلم ما من عبد قالها في كل يوم الا امن من الغرق والحرق
والسرق وكل شي يكرهه حتى يمسي وكذلك حتى يصبح ورواه احمد في
الزهد بسند حسن لكنه معضل عن عبد العزيز ابن ابي رواد وزاد
ويشربان من زمزم شربة تكفيهما الى قابل ويصومان رمضان ببيت
المقدس وروى الاحبار قال اربعة من الانبيا احيا اثنان في الارض الخضر
والياس واثنان في السما ادريس وعيسى وروى الحاكم في المستدرك
عن انس ان الياس اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم واكلا جميعا وان طوله
ثلثمائة ذراع وانه قال انه لا ياكل في السنة الا مرة واحدة قال الذهبي
هذا خبر باطل وفي الاصابة يلزم من ذكر الخضر في الصحابة ان يذكر الياس
ومن اغرب ما روي فيه انه هو الخضر فاخرج ابن مردويه في تفسير
سورة الانعام عن ابن عباس مرفوعا الخضر هو الياس وليس في
الرسل من يتبع رسوله عاملا بشريعته تاركا للشرع الذي اوحي اليه به
الا نبينا صلى الله عليه وسلم لانه نبي الانبيا وكفى بهذا شرفا لهذه
الامة المحمدية زادها الله شرفا فالحمد لله الذي خصنا بهذه الرحمة
واسبغ افاض واتم علينا هذه النعمة ومن علينا بما عمنا به من الفضايل
الجمة الكثيرة ونوه بنا اي رفع ذكرنا في كتابه العزيز بقوله كنتم خير
امة اخرجت للناس فتامل قوله كنتم الدال على ثبوت قدم الخيرية
لهم من قبل وجود الامم اي في اللوح المحفوظ وقيل كنتم في علم الله
والقصد بهذين القولين تحقيق معنى المضي وقيل معنى كنتم انتم كقوله
واذكروا اذ كنتم قليلا وفي موضع اخر اذ انتم قليل واشار البغوي الى ترجيح
الاول بما اخرجه هو واحمد والترمذي وغيرهم عن معوية بن حيدة انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس
قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله فينبغي لمن هو
من هذه الامة المحمدية ان يتخلق بالاخلاق الزكية بملازمة الطاعا
واجتناب المنهيات ليثبت له ما لهذه الامة الشريفة بشرف نبيها
من الاوصاف المرضية لله وعباده المتقين وينا هل لما لها من الخيرية
قال مجاهد في تفسير قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اذا
كنتم على الشرايط المذكورة اي قوله تامرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتومنون بالله لان ذلك استيناف لبيان الخيرية فهو شرط فيها

فمن لم يكن كذلك لم يتصف بالخيرية وقيل انما صارت اي كانت وجدت
امة محمد صلى الله عليه وسلم خير امة لان المسلمين منهم
الكثير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم اشهر وهذا
كله على ان الخطاب للامة كلهم وقيل هذا الخطاب لاصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم كما قال عليه السلام في الصحيحين وغيرهما خير الناس
وفي رواية خير امتي قرني اي اهل عصري يعني الصحابة ومدتهم من
البعثة مائة وعشرون سنة او دونها او فوقها بقليل على الخلاف في وفاة
اخر الصحابة موتا ابو الطفيل وان اعتبر من وفاته صلى الله عليه وسلم
كانت مائة او تسعين او سبعا وتسعين ثم الذين يلونهم اي القرن الذي
بعدهم وهم التابعون ومدتهم نحو سبعين او ثمانين سنة ان اعتبر
من سنة مائة ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين نحوا من خمسين
الى حدود عشرين ومائتين فمدة القرن تختلف باختلاف اعمار كل زمان
وسر الحديث قريبا وهذا يدل على ان اول هذه الامة افضل ممن
بعدها والى هذا ذهب معظم العلما وان من صحبه صلى الله
عليه وسلم وراه ولو مرة من عمره افضل من كل من ياتي بعده
وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل عطف علة على معلول هذا
مذهب الجمهور اطناب مسا ولقوله معظم العلما وذهب ابو عمر بن
عبد البر الى انه قد يكون فيمن ياتي بعد الصحابة افضل ممن كان
في جملة الصحابة كمن راه مرة وان قوله عليه السلام خير الناس قرني
ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول وقد
جمع قرنه عليه السلام جماعة من المنافقين المظهرين للايمان
لكن في الاستظهار بذكر هولاء على الدعوى شي اذ هولا كفار والكلام في المومنين
واهل الكباير الذين اقام عليهم وعلى بعضهم الحدود وفي الاستظهار
بهم ايضا شي فالحدود جوابر على الصحيح وقد روى ابو امامة الباهلي
صدي بن عجلان صحابي مشهور سكن الشام ومات بها سنة ست
وثمانين انه صلى الله عليه وسلم طوبى تانيث اطيب اي راحة وطيب عيش
حاصل لمن راني وامن بي مرة وطوبى سبع مرات المتبادر انه قال هذا
اللفظ الا انه كرر طوبى سبعا لمن لم يرني وامن بي لان الله مدح المومنين
بايمانهم بالغيب وايمان الصحابة بالله واليوم الاخر غيبا وبالنبي صلى الله
عليه وسلم شهود الايات والمعجزات ومن بعدهم امنوا غيبا بما امنوا به
شهودا فلذا اثنى عليهم وحديث ابي امامة هذا اخرجه احمد والبخاري
في التاريخ وابن حبان والحاكم بلفظ طوبى لمن راني وامن بي مرة وطوبى لمن
لم يرني وامن بي سبع مرات فذكر مرة واخر سبع مرات وصححه الحاكم وتعقب
لكن له شاهد من حديث انس عند احمد وروى الطيالسي وعبد بن حميد
عن ابن عمر قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ارايت من امن

ربك ولم يرك وصدقك ولم يرك قال اولئك اخواني اولئك معي طوبى لمن
رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني ثلاث مرات ولا يعارض ما قبله
لانه اخبر بما علمه اولا ثم زيد فاخبر به ويدل على ذلك حديث الطبراني
عن ابن عمر وابن النجار عن ابي هريرة رفعاه طوبى لمن ادركني وآمن بي
وطوبى لمن لم يدركني ثم آمن بي فاخبر ان كلا له طوبى ولم يذكر عددا
لانه قبل ان يوحى اليه بالعدد واخرج احمد وابن حبان عن ابي سعيد ان رجلا
قال يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن
رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني فقال رجل يا رسول
الله وما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة
تخرج من اكمامها وروى الطبراني برجال ثقات والحاكم عن عبد الله بن بسر
مرفوعا طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى
من رآني طوبى لهم وحسن مآب وفي مسند ابي داود سليمان بن داود
ابن الجارود الطيالسي البصري ثقة حافظ روى له مسلم والاربعة ومات
سنة اربع ومائتين عن محمد بن ابي حميد ابراهيم الانصاري الزرقي المدني
ضعيف روى له الترمذي وابن ماجة عن زيد بن اسلم العدوي المدني
ثقة عالم من رجال الجميع مات سنة ثلاثين ومائة عن ابيه اسلم مولى عمر
ثقة مخضرم روى له الجميع ومات سنة ثمانين وقيل بعد سنة ستين وهو
ابن اربع عشرة ومائة سنة عن عمر بن الخطاب قال كنت جالسا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون اي الخلق افضل ايمانا
قلنا الملائكة لانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون قال وحق
بفتح الحاء من حق لازما اي ثبت لهم وبضم الحاء من المتعدي اي اثبته وبني منه
للمفعول فيقال حق لك ان تفعل كذا بالضم كما في القاموس واقتصر المصباح على
اللازم بل مرادي غيرهم او غيرهم المراد فهو بالرفع ويحتمل النصب بتقدير
اريد غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلى الله
عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم في اصلاب الرجال يؤمنون بي
ولم يروني فهم افضل الخلق ايمانا اعاده تاكيدا والمراد من افضل
فلا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم افضل المؤمنين اسلاما من سلم المسلمون
من لسانه ويده وافضل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا رواه الطبراني باسناد
حسن وروى ابن ماجة وصححه الحاكم مرفوعا افضل المؤمنين احسنهم خلقا
ولا قوله صلى الله عليه وسلم افضل المؤمنين ايمانا المقل الذي اذا سأل اعطى
واذا لم يعط استغنى رواه ابن ماجة والخطيب فيجمع بينها ايضا باعتبار الجهة
اي افضل الخلق من جهة الايمان بالغيب وهكذا وروي ان عمر بن عبد
العزيز الامام العادل لما ولي الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله بن عمر احد
الفقهاء ان اكتب الي بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه
سالم ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر لان زمانك ليس كزمان
عمر

عمر ولا رجالك كرجال عمر اي ولا يمكنك ذلك لانه لا يتصور فالتعليق
محال قال وكتب الى فقهاء زمانه وكلهم كتب بمثل قول سالم ترغيبا
له وحثا على العدل الذي رامه قال ابو عمر ابن عبد البر بعد ذكره هذه الاحاديث
اخر فهذه الاحاديث تقتضي مع تواتر طرقها تواترا معنويا لا اتفاقا
على تفضيل العامل في اي زمان وحسنها باعتبار المجموع التسوية بين
اول هذه الامة واخرها في فضل العمل الا اهل بدر والحديبية
لنصه صلى الله عليه وسلم على فضيلة اهلهما على من سواهما فمحل النزاع
في من لم يحصل له الا مجرد المشاهدة ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب
انتهى واسناد حديث ابي داود الطيالسي عن عمر ضعيف لضعف
محمد ابن ابي حميد فلا يحتج به فتحسين ابن عبد البر اما حكم على المجموع
لانه قال وحسنها بعد احاديث عدة وابرز سند حديث عمر او باعتبار شاهده
الذي استدركه بقوله لكن روى احمد والدارمي والطبراني عن ابي عبيدة
عامر بن الجراح احد العشرة انه قال يا رسول الله احد بتقدير اداة الاستفهام
همزة او هل احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال خير منكم قوم
يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني واسناده حسن وصححه
الحاكم وهو بمعنى حديث عمر فهو شاهده والحق ما عليه الجمهور ان
فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولو مرة وذلك لا يكون لمن بعد الصحابة ولو بلغوا ما بلغوا والدلائل على
افضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل بذكرها هنا
وسيأتي بقية مباحث ذلك في فضل الصحابة من المقصد السابع
ان شاء الله تعالى بما منه ما محصله انه يمكن تاويل الاحاديث المتقدمة
بان زيادة الاجر والخيرية بسبب الايمان بالغيب دون مشاهدة الآيات
لا يستلزم الافضلية المطلقة فانما يقع التفاضل بالنسبة الى ما يماثله وما
قاربه من شاهده صلى الله عليه وسلم لم يقربه من لم يقع له ذلك فلا يعدله
فيه احد وقد خص الله تعالى هذه الامة الشريفة اي امة الاجابة
بخصائص لم يؤتها امة قبلهم كالصفة الكاشفة لما قبلها فان عدم ايتائها
لمن قبلهم هو معنى تخصيصهم بها ابان اظهر فضلهم على غيرهم وكذلك
خص امة الدعوة برفع ما كان من انواع العذاب في الامم السابقة كالخسف
ونحوه لكن لم تعدها لانه لهم لكفرهم ولا ينجيهم من العذاب الاشد
وضياع الدنيا قليل والاخبار والآثار عطف خاص على عام ومباين
ناطقة بذلك اي دالة دلالة قوية كالنطق وبين بعضها مقتصرا عليه
لان دلالته اوضح وكافية في المقصود بقوله فخرج ابو نعيم احمد بن عبد
الله الاصفهاني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقراها فوجد فيها
ذكر هذه الامة بالاوصاف الحميدة التي لم توجد لغيرها قال يا رب اني اجد

فيها

في الالواح التي انزلت التوراة فيها وكانت تسعة الواح وقيل عشرة
وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعا وقال الحسن
كانت من خشب والكلبي كانت من زبرجدة خضراء وسعيد بن جبير من
ياقوتة حمراء والربيع بن انس كانت من برد وابن جريج من زمرد امر الله
جبريل حتى جاء بها من عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من
نهر النور قال وهب امره الله بقطع الالواح من صخرة صماء لينها الله
له فقطعها بيده ثم شققها باصبعه قالت الرواة كانت التوراة سبعة اسباع
فلما القى الالواح تكسرت فرفعت ستة اسباعها وبقي سبع فرفع ما كان
من اخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام كذا في المعالم
امة هم الاخرون زمانا في الدنيا **السابقون** اهل الكتاب وغيرهم
منزلة وكرامة في الحشر والحساب والقضاء لهم قبل الخلائق وفي دخول
الجنة قبل الامم وفي الصحيحين عن ابي هريرة سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول نحن الاخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا
الكتاب من قبلنا الحديث وفي رواية مسلم نحن الاخرون من اهل الدنيا و
السابقون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق **فاجعلها امتي**
قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة انا
جيلهم مصاحفهم اي ما فيها محفوظ **في صدورهم** اي قلوبهم قال في
الاتقان فيه تسمية القرآن انجيلا وروى ابن الضريس وغيره عن كعب قال في
التوراة يا محمد اني منزل عليك توراة حديثة يفتح اعينا عميا واذانا صما
وقلوبا غلفا ففيه تسمية القرآن توراة ومع هذا لا يجوز الان يطلق عليه
ذلك وهذا كما سميت التوراة فرقانا في قوله تعالى واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان
وسمى صلى الله عليه وسلم الزبور قرآنا في قوله خفف على داود القرآن
يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤون كتبهم ولا يحفظونها قال الربيع بن انس نزلت
التوراة سبعون وقر بعير الجزء منها في سنة لم يقرأها الا اربعة موسى ويوشع
وعزير وعيسى وتفسير الاناجيل بالمصاحف يكون تجوزا بكتاب عيسى عن
بقية الكتب تسمية للمطلق باسم المقيد ثم استعملها في القرآن خاصة وجمعه
نظرا الى ان ما تلفظ به قارئ مغاير لما تلفظ به غيره من حيث التلفظ وان كان
المقروء واحدا اذ القرآن اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتعدد
بتعدد محله فالمقروء على لسانه عليه السلام هو المتلو الان والمختلف
التلفظ لا نفس الالفاظ والا لكان ما نقرؤه المصطفى غير ما قرأه
جبريل وهو باطل قطعا **فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال**
يا رب اني اجد في الالواح امة يأكلون الصدقة في بطونهم
اي ما يصرفونه على انفسهم واهاليهم **ماجورون** اي يثابون عليها
ثواب الصدقة بالمال على الغير لانه يتكفف بذلك عن السؤال ويكف اهله
كما قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما انفق المسلم من نفقة

علي

229

نفسه واهله كتبت له بها صدقة الحديث رواه عبد بن حميد والحاكم وصححه
عن جابر وفي كتاب البعث لابن ظفر هكذا الرواية يأكلون كفاراتهم و
صدقاتهم ومعنى ذلك انهم يطعمونها مساكينهم ولا يحرقونها كما كانت
الامم تفعل وجاء في حديث غير هذا مما هو منسوب الى كتب الله السالفة
يأكلون قربانهم في بطونهم فالمراد بهذا اللفظ الضحايا وما يؤكل من
الهدايا انتهى وتبعه بعضهم فقال اي يأكلها فقراؤهم الذين هم منهم
وكان من قبلهم انما يأكل صدقاتهم وقربانهم نار تنزل من السماء ان كانت
مقبولة والا بقيت بحالها انتهى وهو وان صح في نفسه الا ان اللفظ
والامتنان عليهم بذلك ينبو عنه ويبعده فالحمل الاول اولى لا سيما ويؤيده
احاديث **فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في**
الالواح امة يأكلون الفيء اي ما اخذ من الكفار بلا قتال او به فيشمل
الغنيمة لانه كان ممنوعا اذا انفرد عن الاخر هكذا ثبتت هذه الجملة في اصل صحيح
عليه خط المص وسقطت في غالب النسخ **فاجعلها امتي قال تلك امة**
احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة اي عقد
عزمه عليها **فلم يعملها** بفتح الميم **كتبت له حسنة واحدة** كاملة
لا نقص فيها وان نشأت عن مجرد الهم سواء كان الترك لمانع ام لا قيل ما لم يقصد
الاعراض عنها والا لم تكتب وفي الصحيحين فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها
الله عنده حسنة كاملة اي قدرها او امر الحفظة بكتابتها **وان عملها** بكسر
الميم **كتبت له عشر حسنات** لانه اخرجها من الهم الى العمل ومن جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وفي الصحيحين فان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات
الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة فالعشرة اقل ما وعد به من الاضعاف حتى قيل
المراد بها الكثرة لا العدد **فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب**
اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها بجوارحه ولا
بقلبه **لم تكتب** عليه سيئة بل تكتب حسنة كما في الصحيحين وان هم بسيئة
فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة **وان عملها كتبت سيئة واحدة**
لم توصف بالكاملة تفضلا منه ولمطابقة قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الا مثلها ولافادة انها لا تتضاعف قال العز بن عبد السلام ولافادة انها لا تكتب
اثنتان واحدة للعمل وواحدة للهم حيث انضم له العمل واستثنى بعضهم الحرم
المكي فتضاعف فيه السيئات كالحسنات لتعظيم حرمته والجمهور على التعميم
في الازمنة والامكنة ولا يرد على ذلك قوله تعالى من يأت منكن بفاحشة مبينة
يضاعف لها العذاب ضعفين لانه ورد تعظيما لحقه صلى الله عليه وسلم لان
وقوعه من نسائه يقتضي امرا زائدا على الفاحشة وهو اذاه وقوله تعالى
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم قال قتادة ومجاهد الالحاد
هو الشرك وعبادة غير الله وقال عطاء دخول الحرم بلا احرام وارتكاب شيء من
محظورات الحرم من قتل صيد او قطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل

احرام او صم

من لا يقتلك او تظلم من لا يظلمك وقال قوم هو كل شيء كان منهيا عنه من
قول او فعل حتى شتم الخادم ولكنه لا يدل عليه تضعيف العدد فاجعلها
امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة
يؤتون العلم الاول الذي انزل على الانبيا قبل المصطفى والعلم الاخر
الذي نزل على نبينا صلى الله عليه وسلم من الاحكام التي ليست من الشرايع
السابقة فيقتلون المسيخ الدجال نسبه اليهم لقتله في زمانهم
على يد عيسى عليه السلام وهو واحد منهم فاجعلها امتي قال تلك امة
احمد قال يا رب فاجعلني من امة احمد فاعطي عند ذلك خصلتين
اي اخبر بان الله اكرمه بهما فكلا منهما في ان الرسالة والكلام سابقان عليه ذلك وفي
رواية كعب الاحبار فلما عجز موسى قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى الله
اليه ثلاث ايات يرضيه بها فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس
الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يك كليما
ولا صاحب شرع برسالاتي بالتوحيد قراة اهل الحجاز وبالجمع قراة غيرهم
وبكلامي تكليمي اياك فخذ ما اتيتك من الفضل وكن من الشاكرين
لانعمي قال البغوي فان قيل ما معنى اصطفاؤه بالرسالة وقد اعطاها
غيره قيل لما لم يكن على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك
على الناس وان شاركه فيه غيره كما تقول خصصتك بمشورتي وان شاورت
غيره اذا لم تكن المشورة على العموم ويكون مستقيما وفي القصة ان موسى
لما كلمه ربه لم يستطع احد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل
على وجهه برقع حتى مات وقالت له امراته انا ايم منك منذ كلمك ربك
فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على
وجهها وخرت لله ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في
الجنة قال ذاك ان لم تتزوجي بعدي فان المراة لاخر ازواجها انتهى وفي
الانوار روي ان سوال الروية كان يوم عرفة واعطا التوراة يوم النحر
قال قد رضيت يا رب وروى البغوي من طريق ابي العباس السراج بسنده
عن كعب الاحبار هذا الحديث مطولا غير مرفوع وقال في اخره فلما عجز موسى
عن الخير الذي اعطى الله محمدا وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى الله
اليه ثلاث ايات يرضيه بهن يا موسى اني اصطفيتك الى قوله سأريكم دار
الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي
موسى كل الرضا وروى ابن طغربك بضم الطا المهملة والرا بينهما معجمة
ساكنة ثم موحدة مفتوحة كانه علم مركب من طغر وبك لقب للامام العلامة
المحدث سيف الدين ابي جعفر عمر ابن ايوب بن عمر الحميري التركماني الدمشقي
الحنفي لم ار له في ابن خلكان ترجمة انما ضبط اخر من الامرا بهذا الضبط
وزيادة لام ساكنة بعد الرا وقد مر هذا في اول الكتاب في كتابه المنطق
المفهوم عن ابن عباس رفعه لفظة استعملها المحدثون بمعنى
قال

قال صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب فهل في الامم اكرم عليك
من امتي ظللت عليهم الغمام سترتهم بالسحاب الرقيق من حر
الشمس في التيه وانزلت عليهم فيه المن والسلوى هما الترنجبين
والطير السماني بتخفيف الميم والقصر فقال سبحانه وتعالى يا موسى
اما علمت ان فضل امة محمد على ساير الامم كفضلي
على جميع خلقي وذلك مزايا لا تقتضي التفضيل قال يا رب فارنيهم
قال لن تراهم ولكن اسمعك كلامهم فناداهم الله تعالى فاجابوا
كلهم بصوت واحد لبيك اللهم لبيك اجابة لك بعد اجابة وهم
في اصلاب ابائهم وبطون امهاتهم اي بعض اصول هذه الامة
كان حينيذ في اصلاب الابا وبعضهم في بطون الامهات بخلافه حين اخذ
العهد على الذرية فلم يكن احد موجودا في بطون الامهات ولذا لم تذكر في
قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم فقال سبحانه
وتعالى صلاتي رحمتي ومغفرتي عليكم ورحمتي سبقت وفي رواية
غلبت اي غلبت اثار رحمتي على اثار غضبي والمراد لازمه وهو ارادة
ايصال العذاب الى من يقع عليه الغضب واليه اشار بقوله وعفوي سبق
عذابي وفي مسلم عن ابي هريرة مرفوعا قال الله سبقت رحمتي غضبي وفي
البخاري عنه رفعه ان الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه ان رحمتي
سبقت غضبي قال في الفتح في رواية غلبت قال والمراد من الغضب لازمه وهو
ارادة ايصال العذاب الى من يقع عليه الغضب والسبق والغلبة باعتبار التعلق
اي تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب لان الرحمة مقتضى ذاته المقدسة
واما الغضب فيتوقف على سابقة عمل من العبد الحادث وبهذا التقرير يندفع
استشكال من اورد وقوع العذاب قبل الرحمة في بعض المواطن كمن يدخل
النار من الموحدين ثم يخرج بالشفاعة وغيرها وقيل معنى الغلبة الكثرة
والشمول تقول غلب على فلان الكرم اي اكثر افعاله وهذا كله بنا على ان الرحمة
والغضب من صفات الذات وقال بعض العلما انهما من صفات الفعل لا من
صفات الذات ولا مانع من تقدم بعض الافعال على بعض فتكون الاشارة
بالرحمة الى اسكان ادم الجنة اول ما خلق مثلا ومقابلته ما وقع من اخراجه
منها وعلى ذلك استمرت احوال الامم تتقدم الرحمة في حقهم بالتوسيع عليهم
في الرزق وغيره ثم يقع بهم العذاب على كفرهم واما ما اشكل من امر من يعذب
من الموحدين فالرحمة سابقة في حقهم ايضا ولولا وجودها لخلدوا ابدا
وقال الطيبي في سبق الرحمة اشارة الى ان قسط الخلق منها اكثر من قسطهم
من الغضب وانها تنالهم من غير استحقاق وان الغضب لا ينالهم الا
بالاستحقاق فالرحمة تشمل الشخص جنينا ورضيعا وفطيما وناشيا
قبل ان يصدر منه شي من الطاعة ولا يلحقه الغضب الا بعد ان يصدر عنه
من الذنوب ما يستحق معه ذلك انتهى وفي المصابيح الرحمة ارادة الثواب

والغضب ارادة العقاب والصفات لا توصف بغلبة ولا يسبق بعضها
بعضا لكن هذا ورد على الاستعارة ولا منع من حمل الرحمة والغضب صفتي
فعل لا ذات فالرحمة الثواب والاحسان والغضب الانتقام والعذاب فتكون
الغلبة على بابها انتهى استجيب لكم قبل ان تسالوني زيادة في الاكرام
فمن لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
غفرت له ذنوبه وفي مسلم عن عبادة مرفوعا من شهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وفي الصحيحين مرفوعا من شهد
ان لا اله الا الله وجبت له الجنة وفي الطبراني رفعه من شهد ان لا اله
الا الله خالصا من قلبه دخل الجنة ولم تمسه النار وفي بسط الكلام في
هذا طول قال صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يمن علي بذلك
فقال وما كنت بجانب الطور الجبل اذ نادينا ايجابا منك حين
اسمعنا موسى كلامهم وفي البغوي قيل نادينا موسى خذ الكتاب بقوة
وقال وهب قال موسى يا رب ارني محمدا قال انك لن تصل الى ذلك وان شئت
ناديت امته واسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه
من اصلاب ابائهم وقال ابو زرعة بن عمرو بن جرير ناداهم يا امة محمد قد
اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني وروي عن ابن عباس نحوه
ورفعه بعضهم قال الله يا امة احمد فاجابوا من اصلاب الاباء وارحام الامهات
لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال تعالى يا امة
محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي عقابي قد اعطيتكم من قبل ان
تسالوني وقد اجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل ان تعصوني
من جاءني يوم القيامة بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي
دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر انتهى وروى قتادة
وزاد فقال يا رب ما احسن اصوات امة محمد صلى الله عليه
وسلم اسمعني مرة اخرى اصواتهم ولم ار هل اسمعه ام لا وفي كتاب
الحلية اي حلية الاولياء وطبقات الاصفياء لابي نعيم احمد بن عبد الله
الاصفهاني الحافظ الشهير عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوحى الله تعالى الى موسى نبي بني اسرائيل
انه من لقيني وهو جاحد باحمد ادخلته النار خالدا مخلدا لكفره
به قال يا رب ومن احمد قال ما خلقت خلقا اكرم علي منه بل هو
الاكرم وكان الظاهر في جواب السؤال ان يقال هو احمد بن عبد الله الهاشمي
من ذرية اسماعيل بن ابراهيم مثلا ليتميز عند السائل عن غيره لكنه
عدل عن ذلك الى ما يفهم منه الجواب زيادة في تبجيله كما اشار اليه بقوله
كتبت اسمه مع اسمي في العرش اي عليه قبل ان اخلق السموات
والارض حين خلقت العرش فاضطرب وهو اول المخلوقات بعد
النور المحمدي روى ابو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس اوحى الله

الى عيسى

الى عيسى امن بمحمد ومر امتك ان يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت ادم
ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه
لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وهذا لا يقال رايا فحكمه الرفع ان
الجنة دار الثواب محرمة ممنوعة على جميع خلقي حتى يدخلها
هو وامته حكم على الجملة فلا ينافي ان الانبياء تدخلها قبل هذه الامة كما
رواه ابن ماجة وللطبراني والدارقطني عن عمر مرفوعا ان الجنة حرمت
على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي قال
ومن امته قال الحمادون صيغة مبالغة اي الكثيرون الحمد وتعريف
الطرفين يفيد الحصر فكثرة الحمد مختصة بهم وهو بالنظر الى الغالب
او المجموع او الموفقين منهم او هذا من شانهم وكانه قيل ما سبب وصفهم
بالمبالغة فاجاب بقوله يحمدون على الاستيناف البياني جوابا لسؤال اقتضته
الاولى ولذا ترك العاطف صعودا الى المحل العالي وهبوطا الى الاسفل وقال
ابن القيم كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا علوا الثنايا كبروا واذا
هبطوا سبحوا فوضعت الصلاة على ذلك وعلى كل حال من قيام وقعود
واضطجاع وحضر وسفر ويسر او هو سعة العيش والسرور وضرا كالامراض
والمصائب فهم راضون عن الله في كل حال وروى النسائي عن ابن عباس مرفوعا
المومن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله ولما
احتضر معاذ بالموت قال مرحبا بحبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم الحمد
لله والحمد لا يلزم كونه في مقابلة نعمة كالشكر فلا يحتاج الحمد في الضر الى التوجيه
بمنفعة الثواب عليها يشدون اوساطهم بالازر كما في هذا الحديث غير
المرفوع ومثله نقل عن التوراة والانجيل وللديلمي مرفوعا ائتزروا كما رايت الملائكة
تأتزر عند ربها الى انصاف سوقها ولذا عد من خصائص هذه الامة وتوقف
فيه بانه ليس فيه ان الامم الماضية لم تكن تأتزر ولا تثبت الخصوصية بالاحتمال
ويندفع بانه المتبادر من وصفهم بذلك الاختصاص ولا يلزم النص على لفظ
الخصوصية نعم يحتمل ان المراد يشدون الازر للاجتهاد في العبادة بحيث يقومون
لها بنشاط وفراغ قلب نحو ما قيل في خبر كان اذا دخل العشر الاخير من
رمضان شد ميزره ويكون وجه الاختصاص اتيانهم بها على وجه
اكمل من الامم السابقة ويطهرون اطرافهم اي يتوضئون صائمون
بالنهار رهبان عباد بالليل اقبل منهم العمل اليسير واثيبهم
عليه الثواب الكثير رحمة منه بهم روى مالك واحمد والبخاري وغيرهم
عن ابن عمر مرفوعا انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة
العصر الى غروب الشمس اوتي اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى اذا
انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا
الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتاب ربنا
اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر

بهم لا قال هل ظلمتكم من اجركم من شي قالوا لا قال فهو فضلي او تيه من
اشا قال السيوطي والمراد تشبيه من تقدم باول النهار الي الظهر والعصر
في كثرة العمل الشاق والتكليف وتشبيه هذه الامة بما بين العصر والليل
في قلة ذلك وتخفيفه وليس المراد بطول الزمن وقصره اذ مدة هذه
الامة اطول من مدة اهل الانجيل قال امام الحرمين الاحكام لا توخذ من
الاحاديث التي لضرب الامثال انتهي **وادخلهم الجنة بشهادة
ان لا اله الا الله** يعني وان محمدا رسول الله فاكتفي باحدهما عن
الاخري لكونهما صارا كالشي الواحد **قال موسي اجعلني نبي تلك الامة**
فان قيل كيف ساغ سوال موسي عليه السلام ذلك مع اخبار الله تعالي له
انهم امة احمد قلت

بياض بأصله

قال نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت
في الوجود الزماني **واستاخر احمد** فيه بحيث كان خاتم النبيين فلا يمكن
ان تكون من امته **ولكن ساجمع بينك وبينه في دار الجلال**
يوم القيامة في الجنة ولا يرد اجتماعه به ليلة الاسرا في بيت المقدس
وفي السموات ومخاطبته له مرارا عديدة في امر الصلوات لان المراد
الاجتماع المتعارف في الدنيا بلا موت **وعن وهب بن منبه** بضم
الميم وفتح النون وكسر البا ابن كامل اليماني ابي عبد الله الانباري التابعي
الثقة من رجال الصحيحين مات سنة بضع عشرة ومائة **قال اوحي
الله تعالي الي شعيا** بشين مهملة واعجامها لغة ابن امصيا نبي بشر
بعيسي كما في القاموس **اني باعث الي جميع العالمين نبيا اميا** لا يقرا
ولا يكتب **افتح به اذانا صما** بضم الصاد وشد الميم جمع صما كعمي
وعميا لا تسمع وفتحها ازالته مجاز استعير الصمم لعدم الاذعان
للحق والانتفاع به لانها لما لم تسمع السمع المعتد به نزل منزلة الصمم
فلما ارشدهم صلي الله عليه وسلم للحق وكشف عنهم الحجب المظلمة وانقادوا
مذعنين كانوا كمن زال صممه **وقلوبا** جمع قلب العضو المعروف ويراد به
العقل وبه فسر وهو الظاهر لقوله **غلفا** بضم المعجمة وسكون اللام
جمع اغلف اي مغطاة في اكنة ومعناه ان قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية
فازال الله تعالي بالنبي صلي الله عليه وسلم حجابها وكشف غطاها حتي
اهتدت **واعينا** جمع قلة لعين عدل عن عيونا جمع كثرة وان كان انسب
هنا لان جمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه او لعده قليلا بالنسبة لقدرة
الله او لانها كانت قليلة في الابتدا **عميا** جمع عميا وهو عدم البصر عما هو
من شانه استعير لعدم انتفاعهم بها فهي كالمفقودة ولا ينافيه قوله

تعالي

تعالي وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لان في من طبع علي
قلبه وهذا في غيره **مولده بمكة ومهاجره** اي هجرته اي مكان
هجرته **طيبه** المدينة المنورة **وملكه** اي ظهوره **بالشام** لاشتماله
علي الامرا الذين يتصرفون في الدنيا تصرف الملوك بخلاف الحجاز وان
كان مبداوه فيهم لكنهم لم يكونوا كالملوك بل كانوا حريصين علي اتباع
خلافة النبوة وقد قال صلي الله عليه وسلم الخلافة بالمدينة والملك
بالشام رواه البيهقي اي خلافة النبوة التي ذكرها بقوله الخلافة بعدي
ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا **عبدي المتوكل** الذي يكل امره الي
الله فاذا امره بشي نهض بلا جزع **المصطفي** اي المختار من اشهر
اسمايه وفي احاديث ان الله اصطفاه **المرفوع** الدرجات علي جميع
الخلايق **الحبيب** فعيل من المحبة بمعني مفعول لانه محبوب لله او بمعني
فاعل لانه محب له تعالي **المنتخب** بالخا المعجمة او بالجيم كلاهما بمعني
المختار وهما من اسمايه عليه السلام وفي نسخة المنتخب بكسر البا اسم
فاعل من تخبب اليه تودد واظنها تصحيف ولم يذكره المص في الاسما
المختار اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفا كما في المصباح وهو ايضا
معدود في اسمايه كما مر **لا يجزي** بفتح اوله **بالسيئة السيئة** لان خلقه
القران وفيه جزا سيئة سيئة مثلها فمن عفي واصلح فاجره علي الله
وقال فاصفح عنهم ولذا قيل **ولكن يعفو** فلا يسي لمن اسا عليه **ويصفح**
يعرض عنه اغضا وتكرما فلا يقول لم فعلت كذا يا فلان بل يقول ما بال
اقوام يفعلون كذا **ويغفر** يستر ويدفع بالتي هي احسن وذكر الغفر بعد
العفو تاكيد ان كانا بمعني او يعفو تارة ويستر اخري واستدرك لانه لا يلزم
من عدم جزا بمثلها العفو لجواز ان يكله الي الله ويوخره للاخرة
رحيما بالمومنين كما في الكتاب المبين **يبكي للبهيمة المثقلة** لشدة
شفقته علي خلق الله **ويبكي لليتيم في حجر الارملة** ويقوم به **ليس
بفظ** سيي الخلق جاف **ولا غليظ** قاسي القلب وهو موافق لقوله
تعالي فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك ولا يعارضه قوله تعالي واغلظ عليهم لان النفي محمول علي طبعه
الذي جبل عليه والامر محمول علي المعالجة او النفي بالنسبة للمومنين والا
بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الاية **ولا صخاب**
بصاد وسين روايتان وهما لغتان والصاد اشهر والصخب والسخب
لغة اثبتها الفرا وغيره وضعفها الخليل وخا معجمة ثقيلة اي لا يرفع صوته علي الناس لسو خلقه ولا يكثر الصياح عليهم في الاسواق
بل يلين جانبه ويترفق بهم وفيه ذم اهل السوق الموصوفين بصفة
مذمومة من صخب ولغط وزيادة مدح وذم لما يتبايعونه وايمانه
حانثة ولذا ورد انها شر البقاع لما يغلب علي اهلها من الاحوال المذمومة

ولا متزين روي بزاي منقوطة وتحتية ونون وروي بدال مهملة من
الدين وروي متزي بزاي بلا نون من الزي وهو اللباس والهيئة اي
لا يتلبس بالفحش او يتجمل او يباهي به وهو القبيح والقول السيئ ولا
يرد ايهام ظاهره انه قد ياتي به غير متزين به لانه لا مفهوم له لجريه
على عادة ارباب الفحش في المباهاة به وقيل التزين بمعنى الاتصاف
على التجريد او المراد انه لا يرى الفحش زينة وهذا من علاماته صلى
الله عليه وسلم لانه تشابهت قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والطواف
عراة فاتى بخلافهم ولا قوال صيغة مبالغة اي كثير القول للخنا بخاء
معجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا مع ما قبله يفيد انه لا يصدر عنه
شيء منه لا قليل ولا كثير لان الفحش بمعناه او فعال هنا للنسبة كتمار
ونبال اي ليس بذي قول للخنا لو يمر الى جنب السراج المصباح والجمع
سرج ككتاب وكتب لم يطفه بفتح اوله من سكينة بفتح السين وكسر
الكاف مخففة وحكى عياض في المشارق كسر السين وشد الكاف وهي
فعيلة شاذ فعيلة من السكون اي وقاره وطمانينته ولو يمشي على
القصب كل نبات يكون ساقه انابيب وكعوبا قاله في مختصر العين الواحدة
قصبة الرعراع اي الطويل كما في القاموس لم يسمع من تحت قدميه
لان مشيه هونا وهو بنا ابعثه مبشرا من صدقه بالجنة ونذيرا منذرا
من كذبه بالنار وهذا كله من صفاته عليه السلام الى ان قال واجعل امته
خير امة اخرجت امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر تمييز اي من
جهة الامر والنهي او حال بمعنى امرين وناهين وتوحيدا لي وايمانا
بي كما قال تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله الاية
واخلاصا لي وتصديقا لما جاءت به رسلي والمنصوبات تمييزا واحوال كما
علم وهم رعاة الشمس والقمر للعبادة والذكر قال صلى الله عليه وسلم
ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى رواه
الحاكم والطبراني اي يرصدون دخول الاوقات بها لاجل ذكر الله من الاذان للصلاة
ثم اقامتها ولايقاع الاوراد في اوقاتها المحبوبة واخرج الطبراني والخطيب
مرفوعا لو اقسمت لبررت ان احب عباد الله الى الله لرعاة الشمس والقمر
وانهم ليعرفون يوم القيامة بطول اعناقهم وروى عبد الله بن احمد في زوائد
الزهد لابيه عن سلمان سبعة في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله
وقال في عدهم ورجل يراعي الشمس لمواقيت الصلاة طوبى فرح وقرة
عين وشجرة في الجنة لتلك القلوب باخلاصها في الايمان والعبادة
والوجوه والارواح التي اخلصت لي صفة قامت مقام التعليل
الهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد وثواب ذلك
لا يعلمه الا الله وفي الحديث افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد
لله رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه وقال

صلى

صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدات رواه مسلم والنسائي وروى
البزار باسناد حسن عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما يستطيع احدكم ان يعمل كل يوم مثل احد عملا قالوا ومن
يستطيعه قال كلكم يستطيع ذلك قالوا وما ذاك يا رسول الله قال سبحان
الله اعظم من احد والحمد لله اعظم من احد ولا اله الا الله اعظم من احد
والله اكبر اعظم من احد واحاديث الباب كثيرة في مساجدهم جمع مسجد
في الصلاة ودونها في مجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم منصرفهم
لاشغالهم بالنهار ومثواهم ماواهم الى مضاجعهم بالليل والمراد انه
يلهمهم ذلك على اي حال كانوا ويصفون في مساجدهم مصلاهم
كصفوف الملائكة حول عرشي قال صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما
تصف الملائكة عند ربها يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف رواه
مسلم وغيره هم اوليائي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وانصاري كما
قال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله والمراد انصار دينه ورسوله
كما في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم
انتقم بهم من اعدائي عبدة الاوثان اكراما لهم وابتلاء كما قال ذلك ولو
شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا الاية يصلون
لي قياما وقعودا للعذر في الفرض وبدونه في النفل والمراد يصلون
على اي حال كانوا وركعا وسجدا ويخرجون من ديارهم واموالهم
ابتغاء مرضاتي الوفا لاجل الجهاد ويقاتلون في سبيلي جهاد الكفار
صفوفا بعضهم بجنب بعض من شدة حبهم للقتال وفي القران ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص اي ملتزق بعضه
الى بعض ثابت اختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرائع وبدينهم
الاديان فلا كتاب ولا شرع ينسخ كتابهم ودينهم فمن ادركهم فلم يومن
بكتابهم ويدخل في دينهم وشريعتهم فليس مني لكفره وهو
مني بري واجعلهم افضل الامم واجعلهم امة وسطا خيارا عدولا
شهداء على الناس يوم القيامة ان رسلهم بلغتهم اذا غضبوا هللوني
قالوا لا اله الا الله ولا يعملون بمقتضى الغضب واذا تنازعوا في شيء بينهم
سبحوني فهم يذكرونه في جميع احوالهم يطهرون الوجوه والاطراف
الايدي والارجل في الوضوء ويشدون الثياب الى الانصاف من سوقهم
اقتداء بنبيهم ولا يرخونها الى اسفل من ذلك تيها وتكبرا ويهللون على
التلول جمع تل الامكنة العالية والاشراف جمع شرف بفتحتين المكان
العالي فالعطف مساو وحسنه اختلاف اللفظ ومراعاة الفاصلتين قربانهم
دماؤهم اي اضاحيهم وهداياهم او المراد انهم مستصحبون للجهاد في
سبيل الله فكانهم يتقربون الى الله بدماء انفسهم او بدماء من قتلوه من

الكفار كما قال كعب بن زهير في مدح الانصار

يتقربون بروئه نسكا لهم ... بدما من علقوا من الكفار

وفي الانموذج قربانهم الصلاة ودماؤهم وروى ابن عدي مرفوعا ان الصلاة
قربان المؤمن وفي حديث الصلاة قربان كل تقي اي الصلاة من التقي بمنزلة
الهدايا والضحايا لفاقدهما مصاحفهم محفوظة **واناجيلهم في صدورهم**
رهبانا بالليل ليوثا اسدا على الاعدا **بالنهار طوبى** فرح وقرة
عين وشجرة في الجنة **لمن كان معهم وعلى دينهم ومناهجهم** طرقهم
وشريعتهم وذلك فضلي اوتيه من اشاء وانا ذو الفضل الاحسان
العظيم فلا حجر في تخصيصهم بهذه الفضايل دون غيرهم **رواه ابو نعيم**
الاصبهاني **وقد ذكر الامام فخر الدين** الرازي **ان من كانت معجزاته**
اظهر يكون ثواب امته اقل لان قوة ظهورها يلجي الى الايمان **قال**
السبكي الا هذه الامة فان معجزات نبينا اظهر وثوابها اكثر من ساير
الامم فضلا من الله ونعمة **ومن خصايص هذه الامة احلال الغنايم**
وابتدا ذلك في غزوة بدر وفيها نزل وكلوا مما غنمتم حلالا طيبا كما في الصحيح
من حديث ابن عباس وعند ابن اسحاق اول غنيمة خمست غنيمة السرية
التي كان عليها عبد الله بن جحش وهي قبل بدر بشهرين قال الحافظ ويمكن
الجمع بما ذكر ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم اخر غنيمة تلك السرية حتى
رجع من بدر فقسمها مع غنايم اهل بدر **ولم تحل لاحد** من الامم وفي نسخة
لامة **قبلها** والمراد بها ما اخذ من الكفار بقهر وغيره فتعم الفي اذ كل منها
اذا انفرد يعم الاخر روى النسائي عن ابي هريرة رفعه ان الله اطعمنا الغنايم
رحمة رحمنا بها وتخفيفا خففه عنا لما راى من ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا
وفي حديث جابر في الصحيحين واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي قال الخطابي
كان من تقدم على ضربين منهم من لم يوذن له في الجهاد فلم يكن لهم مغانم ومنهم
من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيا لم يحل لهم ان ياكلوه وجاءت نار فاحرقته
وقيل المراد انه خاص بالتصرف في الغنيمة يصرفها حيث شاء والاول اصوب
وهو ان من مضى لم تحل لهم الغنايم اصلا ذكره الحافظ ويرجح ما صوبه قوله
ولم تحل لاحد قبلي لان التقييد بالقبلية يفيد بطريق المفهوم انها حلت له
ولامته وروى الترمذي بسند صحيح عن ابي هريرة رفعه لم تحل الغنايم
لاحد سود الروس من قبلكم كانت تجمع فتنزل نار من السما فتاكلها قال
في الفتح كان من مضى يغزون وياخذون اموال اعدايهم واسلابهم لكن
لا يتصرفون فيها بل يجمعونها وعلامة قبول غزوهم ان تنزل نار من السما
فتاكلها وعلامة قبوله ان لا تنزل ومن اسبابه عدم القبول الغلول وقد
من الله على هذه الامة تشرف نبيها عنده فاحل لهم الغنيمة وستر عليهم
الغلول وستر عليهم فضيحته ودخل في عموم اكل النار الغنيمة السبي
وفيه بعد لان مقتضاه اهلاك الذرية ومن لم يقاتل من النسا ويمكن

ان

ان يستثنوا من ذلك ويلزم منه استثناوهم من تحريم الغنايم عليهم
ويويده انه كانت لهم عبيد واما فلو لم يحل لهم السبي لما كان لهم ارقا
ولم ار من صرح بذلك انتهى وينظر فيه شيخنا بانه كان في شرع يعقوب
اذا سرق انسان شيا ووجد عنده جعل السارق رقيقا للمسروق منه
وجزم بعضهم باستثنا الذرية من اكل النار ويفهم منه انها كانت تحل
لغير هذه الامة من الامم وفي شرح المشارق للشيخ اكمل الدين انهم اي كل
الذين انهم كانوا اذا غنموا حيوانات تكون ملكا للغانمين دون انبيايهم
واذا غنموا غير الحيوانات جمعوها فتجي نار فتحرقها **وجعلت لي**
الارض مسجدا اي موضع سجود ولا يختص السجود منها بموضع دون
غيره ويمكن انه مجاز عن المكان المبني للصلاة من مجاز التشبيه
لانه لما جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك **ولم تكن الامم**
تصلي الا في البيع كنايس النصارى وقيل اليهود فقوله **والكنايس**
عطف تفسير على الاول جمع كنيسة متعبد النصارى وقيل اليهود وعبارة
المص فيما مر عن الفتح الا في نحو البيع والصوامع اي متعبد الرهبان
فان تعذر بحيثهم لها لنحو سفر لم يصلوا على ظاهره فيسقط عنهم
اداوها ويقضون اذا رجعوا كما جزم به بعض شراح الرسالة في فقه المالكية
ويويده ظاهر قوله في حديث ابن عباس ولم يكن من الانبيا احد يصلي حتى
يبلغ محرابه كما قيل هل يسقط عنهم مطلقا او محل الحصر في نحو البيع
في الحضر اما السفر فمباح في غيرها ويكون محل خصوصيتنا الصلاة
باي محل ولو بجوار المسجد وسهولة الصلاة فيه فتقصير وبمنع الشافعي انه
التعبد لا بد له من دليل مع ان ظاهر قوله حتى يبلغ محرابه يمنعه وتقدم
هذا مرتين **وجعلت تربتها طهورا** بفتح الطا على المشهور اي
مطهر الغير لا طاهر او الا لزم تحصيل الحاصل ولم تثبت الخصوصية
وهو التيمم لفقد الما حسا او حكما لعدم القدرة على استعماله **وفي رواية**
ابي امامة عند البخاري وجعلت الارض كلها لي ولامتي مسجدا
وطهورا فصرح بمشاركة امته له فيها **وفي رواية مسلم من**
حديث حذيفة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها
طهورا اذا لم نجد الما او لم نقدر على استعماله وبه احتج الشافعي واحمد
على تخصيص التيمم بالتراب واجيب بان تربة كل مكان ما فيه من
تراب او غيره وقد قال تعالى فتيمموا صعيدا طيبا والصعيد ما صعد على
الارض ترابا او غيره وفي حديث جابر في الصحيحين وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا وبهذا احتج لمالك وابي حنيفة على جواز التيمم بجميع اجزا الارض
واما قوله في رواية ابن خزيمة وغيره وجعل ترابها طهورا وقوله في حديث
علي وجعل التراب لي طهورا رواه احمد والبيهقي باسناد حسن فالنص
على التراب في هاتين الروايتين لبيان افضليته لا لانه لا يجزي غيره

منافيا

وليس مخصصا للعموم قوله وظهور الا ان شرط المخصص ان يكون
للعام ولذا قال القرطبي هو من باب النص على بعض اشخاص العموم
كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان **ومن خصائص هذه الامة**
ايضا الوضوء فانه لم يكن الا للانبياء دون اممهم خلاف هذه
الامة فهو لها كالانبياء **ذكره الحليمي** قال السيوطي وهو الاصح ونوزع
بما يأتي بيانه **واستدل بحديث البخاري** ومسلم عن ابي هريرة انه صلى
الله عليه وسلم قال **ان امتي** امة الاجابة لا الدعوة **يدعون** بضم اوله
اي ينادون او يسمون ولفظ مسلم يأتون **يوم القيامة** اي موقف الحساب
او الميزان او الصراط او الحوض او غير ذلك **غرا** بالضم والتشديد جمع
اغر اي ذو غرة بضم الغين بياض في جبهة الفرس فوق درهم ثم
استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر شبه به ما يكون لهم من النور في
الاخرة ونصب مفعول يدعون او حال اي اذا دعوا يوم القيامة على رؤوس
الاشهاد نودوا بهذا الوصف او كانوا على هذا النعت قال الطيبي لا تبعد
التسمية باعتبار الوصف الظاهر كما يسمى رجل به حمرة الاحمر للمناسبة
بين الاسم والمسمى **محجلين** من التحجيل وهو بياض في قوائم الفرس او في
ثلاث منها او في غيره قل او كثر بعد ما يجاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين
من اثار الوضوء بضم الواو وجوز ابن دقيق العيد فتحها على انه الما
وظاهر هذا كقوله في رواية لمسلم انتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ
الوضوء ان هذه السيما انما تكون لمن توضا في الدنيا ففيه رد لما نقله الزناتي
الفاسي في شرح الرسالة عن العلماء ان الغرة والتحجيل لهذه الامة من
توضا منهم ومن لا كما يقال لهم اهل القبلة من صلى ومن لا انتهى وفي القياس
على الايمان نظر لانه التصديق والشهادة وان ترك وفعل الحرام بخلاف
الغرة والتحجيل فمجرد فضيلة وتشريف للمتوضي فلا يكونان لسواه ومن
ثم قال شيخ الاسلام زكريا في شرح البخاري لا تحصل الغرة والتحجيل الا
لمن توضا بالفعل اما من لم يتوضا فلا يحصلان له قال شيخنا في حواشي
الرملي ومن نقل عنه خلاف ذلك فقد اخطا انما هو قول للزناتي لا لشيخ
الاسلام وينبغي على قوله ان ذلك خاص بمن توضا حال حياته فلا يرد خلو
من وضاه الغاسل ويبقى ايضا ما لم يتيمم ولم يتوضا هل يحصل له ذلك او
ام لا فيه نظر وينبغي ان يحصل لقيامه مقام الوضوء انتهى **لكن قال
في فتح الباري فيه** اي استدلاله بهذا الحديث **نظر** لان الذي دل
على انه خصوصية انما هو الغرة والتحجيل لا اصل الوضوء **ولانه ثبت
في البخاري في قصة سارة** بخفة الراء وقيل بتشديدها واختلف في
اسم ابيها فقيل هاران ملك حران تزوجها ابراهيم لما هاجر من بلاد
قومه الى حران وان هذا هو السبب في اعطاء الملك لها هاجر وانه قال
لابراهيم ان ابنتي تصلح وهي لا تصلح ان تخدم نفسها وقيل هي بنت

اخته

اخته وكان ذلك جائزا في شرعه حكاه ابن قتيبة والنقاش و
استبعد وقيل بنت عمه وتوافق الاسمان وقيل اسم ابيها توبل
عليها السلام وهي احدى النسوة اللاتي قيل بنبوتهن **مع الملك**
الذي اعطاها هاجر لها رواه البخاري في احاديث الانبياء بهمزة
بدل الهاء ورواه في احاديث البيوع وكذا مسلم وفتح الجيم عليها اسم سرياني
يقال ان اباها كان من ملوك القبط من حفن بفتح المهملة وسكون الفا
قرية بمصر كانت مدينة وهي الان كفر من عمل انصنا بالبر الشرقي
من الصعيد وفيها اثار عظيمة باقية **لما هو الملك** عمرو بن امرئ القيس
بن سبا وكان على مصر ذكره السهيلي وهو قول ابن هشام في التيجان
وقيل اسمه صادوف وكان على الاردن حكاه ابن قتيبة وقيل سنان بن
علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح حكاه الطبري
ويقال انه الضحاك الذي ملك الاقاليم **فالدنو فامت تتوضا وتصلي**
ففيه ان الوضوء كان مشروعا للامم قبلنا وليس مختصا بهذه الامة
ولا بالانبياء لثبوت ذلك عن سارة والجمهور انها ليست نبية اخرج
البخاري من طريق ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم هاجر ابراهيم بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من
الملوك او جبار من الجبابرة فقيل دخل ابراهيم بامراة هي من احسن النساء
فارسل اليه ان يا ابراهيم من هذه التي معك قال اختي ثم رجع اليها فقال
لا تكذبي حديثي فاني اخبرتهم انك اختي والله ان على الارض مؤمن غيري
وغيرك فارسل بها اليه فقام اليها فقامت تتوضا وتصلي فقالت اللهم ان
كنت تعلم اني امنت بك وبرسولك واحصنت فرجي الا على زوجي فلا تسلط
علي الكافر فغط حتى ركض برجله قال الاعرج قال ابو سلمة بن عبد الرحمن
ان ابا هريرة قال قالت اللهم ان يمت يقال هي قتلته فارسل ثم قام اليها فقامت
تتوضا وتصلي وتقول اللهم ان كنت تعلم اني امنت بك وبرسولك واحصنت
فرجي الا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر فغط حتى ركض برجله قال
الاعرج قال ابو سلمة قال ابو هريرة اللهم ان يمت يقال هي قتلته فارسل
في الثانية او في الثالثة فقال ما ارسلتم الي الا شيطانا ارجعوها الى ابراهيم
واعطوها اجر فرجعت الى ابراهيم فقالت اشعرت ان الله كبت الكافر
واخدم وليدة اخرجه ايضا مسلم واحمد وغيرهما من طرق في الفاظها
اختلاف ليس هذا موضع بيانه قال في فتح الباري قوله فارسل اليه ظاهر
في انه سأله عنها اولا ثم اعلمها بذلك لئلا تكذبه عنده وفي رواية هشام
ابن حسان عن ابن سيرين عن ابي هريرة عند البزار والنسائي وابن حبان
انه قال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امراتي يغلبني عليك فان سالك
فاخبريه انك اختي وانك اختي في الاسلام فلما دخل ارضه راها بعض
اهل الجبار فاتاه فقال لقد قدم ارضك امراة لا ينبغي ان تكون الا لك

ثم ارسل اليها فيجمع بينهما بان ابراهيم احس بانه سيطلبها منه فاوصاها
فلما وقع ما خشيه اعاد عليها الوصية واختلف في السبب الحامل له
على الوصية مع ان مراده غصبها اختا كانت او زوجة فقيل كان من
شانه ان لا يتعرض الا لذات الزوج فاراد ابراهيم رفع اعظم الضررين
بارتكاب اخفهما لان اغتصابه واقع لا محالة لكن ان علم ان لها زوجا حملته
الغيرة على قتله او حبسه واضراره بخلاف الاخ فالغيرة حينئذ من
قبله خاصة لا من قبل الجبار فلا يبالي به وهذا تقرير حسن جاء
صريحا عن وهب بن منبه رواه عبد ابن حميد عنه وذكر ابن الجوزي
في مشكل الصحيحين ونقله المنذري في حواشي السنن عن بعض اهل
الكتاب ان الجبار كان من رايه ان لا يقرب ذات زوج حتى يقتله فلذا قال
ابراهيم هي اختي لانه ان كان عادلا خطبها منه ثم يرجو مدافعته عنها
وان كان ظالما خلص من القتل وليس هذا ببعيد من الاول وقيل كان الجبار
ان الاخ احق بان اخته زوجته فقال هي اختي اعتمادا على ما يعتقده الجبار
فلا ينازعه فيها وتعقب بانه لو كان كذلك لقال هي اختي وانا زوجها فلم
اقتصر على قوله هي اختي وايضا فهذا الجواب انما يفيد لو كان الجبار يريد
ان يتزوجها لا ان يغصبها نفسها وقيل اراد ابراهيم انه ان علم انك امراتي
الزمني بالطلاق ولا يشكل قوله ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك
بلوط وقد قال تعالى فآمن له لوط لان مراده بالارض التي وقع له فيها ذلك
ولم يكن لوط معه فيها وقوله فغط بضم المعجمة وحكى ابن التين فتحها
والصواب الضم حتى ركض برجله يعني انه اختنق كانه مصروع وفي رواية
مسلم فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت قبضة
شديدة ويمكن الجمع بانه عوقب تارة بقبض يده وتارة بصرعه وبحث
عن قولها ان كنت تعلم مع انها قاطعة بانه تعالى يعلم ذلك بانها قالته على
سبيل الفرض هضما لنفسها وفيه اجابة الدعا باخلاص النية وكفاية
الرب لمن اخلص بعمله الصالح ونظيره قصة اصحاب الغار وابتلا الصالحين
لرفع درجاتهم ويقال ان الله كشف لابراهيم حتى راى حال الملك مع سارة
معاينة وانه لم يصل منها الى شي ذكره في التيجان ولفظه فامر بادخال ابرهيم
وسارة عليه ثم نحى ابراهيم الى خارج القصر وقام الى سارة فجعل الله القصر
لابراهيم كالقارورة الصافية فصار يراهما ويسمع كلامهما انتهى وفي قصة
جريج بجيمين مصغرا الراهب روى احمد عن ام سلمة كان رجل يقال
له جريج من بني اسرائيل تاجرا وكان ينقص مرة ويزيد اخرى فقال ما في
هذه التجارة خير لالتمسن تجارة هي خير من هذه فبنى صومعة وترهب
فيها الحديث قال الحافظ دل انه كان بعد عيسى ومن اتباعه لانهم الذين
ابتدعوا الترهب وحبس النفس في الصوامع انه قام فتوضا وصلى
ركعتين كما في حديث عمران ثم كلم الغلام ففيه ان الوضو لا يختص بهذه الامة

خلافا

خلافا لزاعمه روى الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى وكان في بني اسرائيل
رجل يقال له جريج يصلي جاءته امراة فدعته فقال اجيبها او اصلي
فقال اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات وكان جريج في صومعة
فتعرضت له امراة فكلمته فابى فاتت راعيا فامكنته من نفسها فولدت
غلاما فقالت من جريج فاتوه فكسروا صومعته وانزلوه وسبوه
فتوضا وصلى ثم اتى الغلام فقال من ابوك يا غلام قال الراعي قالوا نبني
صومعتك من ذهب قال لا الا من طين الحديث قال الحافظ لم اقف في شي
من الطرق على اسم جريج ولا على اسم الزانية لكن في حديث عمران انها كانت
بنت ملك القرية ولاحمد فذكر بنو اسرائيل عبادة جريج فقالت بغي منهم
ان شئتم لافتننه قالوا قد شئنا فاتته فتعرضت له فلم يلتفت اليها
فامكنت نفسها من راع كان يوي غنمه الى اصل صومعته ولاحمد من وجه اخر
وكانت تاوي الى صومعته راعية ترعى الغنم وفي اخرى كان عند صومعته
راعي ضان وراعي معز ويمكن الجمع بين هذه الروايات بانها خرجت من دار
ابيها بغير علم اهلها متنكرة وكانت تعمل الفساد الى ان ادعت انها تستطيع
ان تفتن جريجا فاحتالت بان خرجت في صورة راعية ليمكنها ان تاوي الى
ظل صومعته لتتوصل بذلك الى فتنته وفي رواية انه طعن الغلام باصبعه
فقال بالله يا غلام من ابوك قال انا ابن الراعي وفي مرسل الحسن عند ابن المبارك
انه سالهم ان ينظروه فانظروه فراى في المنام من امره ان يطعن في بطن
المراة فيقول ايتها السخلة من ابوك ففعل فقال راعي الغنم وفي رواية ثم
مسح راس الصبي فقال من ابوك قال راعي الضان ولاحمد فوضع اصبعه
على بطنها وفي رواية فاتي بالمراة والصبي وفمه في ثديها فقال له جريج
يا غلام من ابوك فنزع الغلام فاه من الثدي وقال ابي راعي الضان وفي اخرى
فلما ادخل على ملكهم قال جريج اين الصبي الذي ولدته فاتي به فقال له من
ابوك ولم اقف على اسم الراعي ويقال اسمه صهيب واما الابن فللبخاري
في اواخر الصلاة بلفظ فقال يا بابوس وليس اسمه كما زعم الداودي وانما
المراد به الصغير وفي حديث عمران ثم انتهى الى شجرة فاخذ منها غصنا ثم
اتى الغلام وهو في مهده فضربه بذلك الغصن فقال من ابوك ولابي الليث
السمرقندي بلا اسناد قال للمراة اين اصبتك قالت تحت شجرة فاتى تلك
الشجرة فقال يا شجرة اسالك بالذي خلقك من زنى بهذه المراة فقال كل
غصن منها راعي الغنم ويجمع بين هذا الاختلاف بوقوع جميع ما ذكر بانه
مسح راس الصبي ووضع اصبعه على بطن امه وطعنه باصبعه وضربه
بطرف العصا التي كانت معه وابعد من جمع بينهما بتعدد القصة وانه
استنطقه وهو في بطنها مرة قبل ان تلد ثم بعد ان ولد زاد في رواية
فوثبوا الى جريج فجعلوا يقبلونه وفي اخرى فابرا الله جريجا واعظم

لعلها امه

الناس امره انتهى ملخصا وحيث ثبت وضوء سارة وجريج وليسا
بنبيين فالظاهر ان الذي اختصت به هذه الامة الغرة
والتحجيل زاد بعضهم او التثليث او الكيفية او مزيد الحث عليه
والمبالغة في التاكيد لا اصل الوضوء وقول ابن بطال يحتمل ان يكون
جريج نبيا فيكون معجزة لا كرامة انما هو احتمال لا يثبت بنبوته وقد
صرح بذلك في رواية لمسلم عن ابي هريرة مرفوعا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي ابعد من ايلة من عدن لهو اشد بياضا من
الثلج واحلى من العسل باللبن ولانيته اكثر من عدد النجوم واني لاصد
الناس عنه كما يصد الرجل ابل الناس عن حوضه قالوا يا رسول الله اتعرفنا
يومئذ قال نعم لكم سيما بكسر فسكون ليست لغيركم لفظ مسلم ليست لاحد
من الامم تردون الحوض علي غرا محجلين من اثر الوضوء هذا لفظ مسلم تاما
في الوضوء واخرج نحوه من حديث حذيفة وقوله سيما اي علامة كقوله
تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود وهي نور وبياض يعرفون به في
الاخرة انهم سجدوا في الدنيا وقد قال صاحب المطامح تعلق بحديث انتم
الغر المحجلون الي اخذه الداودي وغيره من ضعفا النظر على ان الوضوء
من خصائصنا وهو غير قاطع لاحتمال ان الخاص بنا الغرة والتحجيل جزينه
خبر هذا وضوئي ووضوء الانبياء قبلي وقصره على الانبياء دون اممهم يرده
ان الوضوء اذا كان معروفا عند الانبياء فالاصل انه شرع ثابت لاممهم
حتى يثبت خلافه انتهى وتعقب بان حديث هذا وضوئي ضعيف لا حجة
فيه مع احتمال ان الوضوء من خصائص الانبياء دون اممهم الا هذه الامة
على انه صرح فيه بان الوضوء للامم المتقدمة روى الطبراني عن بريدة
دعا النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضا واحدة واحدة وقال هذا
وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ومرتين مرتين وقال هذا وضوء الامم
قبلكم ثم توضا ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء قبلي وصفها
مجموع الصلوات الخمس على هذه الكيفية ولم يجمع لاحد
من الانبياء والامم والحجة لذلك قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وصلوا
ارحامكم رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان والحاكم فاضافتها
اليهم تعطي ذلك ولا يعارضه قول جبريل في الصحيحين حين صلى الخمس
بالنبي صلى الله عليه وسلم هذا وقتك ووقت الانبياء قبلك لان المراد كما
قال الرافعي انه وقتهم اجمالا وان اختص كل منهم بوقت فقد اخرج
الطحاوي عن عبيد الله بضم العين محمد بن حفص ابن عمر بن
موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي ثقة رمي بالقدر ولا يثبت مات سنة
ثمان وعشرين ومائتين روى له ابو داود والترمذي والنسائي ويقال له
ابن عايشة والعايشي والعيشي نسبة الى عايشة بنت طلحة لانه
من ذريتها قال ان ادم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين

فصارت الصبح فكان يصليها الى ان مات وفدي اسحاق
عند الظهر من الذبح ففيه حجة لقول الجمهور انه الذبيح كقوله
صلى الله عليه وسلم الذبيح اسحاق رواه الدارقطني وغيره باسناد
جيد ومن بسطه وتسبيح من قال بها على انه الذبيح
اسماعيل لان هذا اخبار عن بلاغ فلا ينبني على خلاف العلماء والصحيح انه
ابراهيم فصلى اربع ركعات سقط ابراهيم من قلم الم او نساخه مع
انه في رواية الطحاوي فاوهم سقوطه ان المصلي اسحاق وليس كذلك
فصارت الظهر وبعث عزيرا لصرف سروحا لما مر على
قرية هي بيت المقدس او غيرها راكبا على حمار ومعه سلة تين
وقدح عصير بعد ما خرب القرية بخت نصر قال استعظاما لقدرة
الله تعالى انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم
بعثه احياه ليريه كيفية ذلك عند العصر فقيل له كم لبثت
مكثت هنا فقال لبثت يوما فراى الشمس فقال او بعض يوم
لانه نام اول النهار فقبض واحيي اثنا نهار غيره فظن انه يوم النوم
فصلى اربع ركعات وقد اختلف اهل التفسير في المراد بقوله تعالى
او كالذي مر على قرية الاية فالمشهور انه عزير واخرجه الحاكم وغيره
عن علي والخطيب عن عبد الله بن سلام وعن ابن عباس وقيل كان نبيا
اسمه ارميا وقيل الخضر وقيل حزقيل وقيل هو كافر بالبعث وقيل
غير ذلك الا ان ما افاده بقوله فصارت العصر ايضا كانت له مخالف
لما في شرح المسند للرافعي ان العصر لسليمان وغفر لداود بن ايشا
بكسر الهمزة وسكون التحتية ومعجمة ابن عويد بمهملة وموحدة بزنة
جعفر بن باعز بموحدة ومهملة مفتوحة بن سلمون بن يارب بتحتية
وموحدة اخره بن رام بن حضرون بمهملة ثم معجمة بن فارص بفا ونحو
مهملة بن يهوذ بن يعقوب عند المغرب فقام يصلي اربع ركعات
فجهد نعب فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثا وفيه
مخالفة لنقل الرافعي ان المغرب ليعقوب واول من صلى العشا الاخرة
نبينا صلى الله عليه وسلم فهي من خصايصنا وعورض بما في شرح
المسند ان العشا ليونس لكن ايده خبر الطحاوي حديث معاذ وهو
المذكور بقوله واخرج ابو داود في سننه في الصلوة وابن ابي شيبة
في مصنفه والبيهقي في سننه باسناد حسن عن معاذ بن جبل
في اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العتمة اي العشاء
الاخرة ليلة حتى ظن الظان انه قد صلى لفظ الرواية حتى ظن الظان
انه ليس بخارج والقايل منا يقول قد صلى ثم خرج فقالوا له كما قالوا
في الحديث اي القول الذي قالوا قبل خروجه فقال اعتموا بفتح الهمزة
وكسر الفوقية بهذه الصلاة صلاة العشاء والبا للتعدية اي ادخلوها

في العتمة ملتبسين بها قال البيضاوي اعتم الرجل دخل في العتمة
وهي ظلمة الليل اي صلوها بعد ما دخلتم في الظلمة وتحقق سقوط
الشفق ولا تشتغلوا فيها فتتوقعوها قبل وقتها وعليه فلا يدل على
افضلية التاخير ويحتمل انه من العتم الذي هو الابطا يقال اعتم الرجل
اذا اخر انتهى **فانكم فضلتم** بالبنا للمفعول بها **على ساير الامم ولم
تصلها امة قبلكم** واورد الحافظ الولي العراقي ما المناسبة بين تاخيرها
واختصاصها بنا دون ساير الامم حتى يجعل الثاني علة للاول واجاب بان
المراد اخروها منتظرين خروج النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في حكم
صلاة وكتب لهم ثواب المصلي فقوله فضلتم بها يعارض رواية ان العشا
ليونس ورواية ابن سعد ان ابراهيم واسماعيل اتياني فصليا بي الظهر
والعصر والمغرب والعشا والصبح وهو ظاهر قول جبريل هذا وقتك
ووقت الانبيا من قبلك وجمع الهروي وغيره بان المصطفى اول من
صلاها مؤخرا لها الى ثلث الليل ونحوه اما الرسل فكانوا يصلونها عند
اول مغيب الشفق وبدل لذلك بل يصرح به قوله في اثر الطحاوي نفسه
العشا الاخرة وجمع البيضاوي في شرح المصابيح بان العشا كانت تصليها
الرسل نافلة لهم ولم تكتب على اممهم كالتهجد وجب على نبينا دوننا
انتهى واحتج بحديث معاذ من قال الافضل تاخير العشا واليه ذهب جمع
شافعية ومالكية والمعتمد في المذهبين تفضيل التقديم وورد ما يدل على
نسخ التاخير وروى احمد والطبراني بسند حسن عن ابي بكرة قال اخر
النبي صلى الله عليه وسلم العشا تسع ليال الى ثلث الليل فقال له ابو بكر
يا رسول الله لو انك عجلت لكان امثل لقيامنا من الليل فعجل بعده [صح: كذا]
الاذان والاقامة للصلاة بدليل تحيرهم فيما يجمعون به للصلاة
حتى راى عبد الله بن زيد الرويا المشهورة كما تقدم ولا يعارضه ما روي
عند الحاكم وابن عساكر ان ادم لما نزل بالهند استوحش فنزل جبريل فنادى
بالاذان لان مشروعيته للصلاة فهي الخصوصية **ومنها البسملة** اي
قول بسم الله الرحمن الرحيم بهذه الالفاظ العربية على هذا الترتيب وما
روي ان ادم لما اراد الخروج من الجنة قال لها فقال له جبريل لقد تكلمت بكلمة
عظيمة قف ساعة لعل ان يظهر من الغيب لطف لا يرد لان لم تنزل عليه
وانما الهمها ومحل الخصوصية نزولها على نبينا وصارت لامته كما **قال بعضهم
فيما نقله الشيخ شهاب الدين** احمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي
النحوي نزيل القاهرة الشهير بالسمين قال الحافظ ابن حجر تعانى النحو
فمهر فيه ولازم ابا حيان الى ان فاق اقرانه واخذ القراءات عن التقي
الصايغ ومهر فيها وولي تدريس القراءات بجامع ابن طولون والاعادة
بالشافعي ونابه في الحكم وله تفسير القران واعراب القران وشرح التسهيل
وشرح الشاطبية مات في جمادى الاخرة سنة ست وخمسين وسبعماية

فيه

٢٤٨

في تفسيره وهو كبير في عدة اجزاء غير اعراب القران له كما علم **ولم
ينزلها الله على نبي احد من الامم قبلنا الا على سليمان بن
داود** وما شرع لنبي شرع لامته فالمراد بقوله **فهي مما اختصت
به هذه الامة** اي نزولها قرانا يتلى واما بالنسبة لسليمان فلعله
للتبرك بها كذا قال شيخنا واحسن منه قول بعض المحققين الاصح انها
بهذه الالفاظ العربية على هذا الترتيب من خصايص المصطفى وامته
وما في سورة النمل جا على جهة الترجمة عما في الكتاب لانه لم يكن
عربيا **انتهى** نقل الشهاب الحلبي وقد روى الطبراني عن بريدة رفعه
انزل على اية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم
ومنها التامين عقب الفاتحة للماموم على ما يخصه قوله خلف الامام
وروى **الامام احمد من حديث عايشة بينا انا عند النبي صلى الله
عليه وسلم اذا استاذن رجل من اليهود فذكر الحديث** وهو فاذن
له فقال السام عليك فقال النبي وعليك قالت فهممت ان اتكلم ثم دخل
الثانية فقال مثل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليك ثم دخل الثالثة
فقال السام عليك قالت قلت بل السام عليكم وغضب الله اخوان القردة
والخنازير اتحيون رسول الله بما لم يحيه به الله فنظر الي فقال مه ان الله
لا يحب الفحش ولا التفحش قالوا قولا فرددناه عليهم فلم يضرنا شيا ولزمهم
الى يوم القيامة **وفيه** عقب هذا **ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انهم
لن يحسدونا** كذا في النسخ وفي مسند احمد لا يحسدونا فلعله حذف نون
الرفع تخفيفا وقد اختلف في ان لا تخلص الفعل للاستقبال ام لا **على
شي كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها** بان نص لنا
عليها او بالاجتهاد ويشهد له اثر ابن سيرين في جمع اهل المدينة قبل
قدوم النبي صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان اوليك الصحابة اختاروا
يوم الجمعة بالاجتهاد ولا يمنع ذلك انه صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي
بمكة فلم يتمكن من اقامتها وقد جا بذلك حديث ابن عباس عند الدارقطني
ولذا جمع بهم اول ما قدم المدينة كما ذكر ابن اسحاق وغيره فحصلت الهداية
للجمعة بجهتي البيان والتوفيق قاله الحافظ ملخصا واسقط من الحديث
هنا قوله ضلوا عنها اي لانه فرض عليهم يوم من الجمعة بعينه واقيمو
شرعهم ووكل الى اختيارهم فاختلفوا في اي الايام هو ولم يهتدوا ليوم
الجمعة قاله ابن بطال وقواه عياض ورجح الحافظ انه فرض عليهم يوم
الجمعة بعينه فاختاروا السبت فقد روى ابن ابي حاتم عن السدي ان الله
فرض على اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى ان الله لم يخلق يوم السبت
شيا فاجعله لنا فجعل عليهم وليس هذا بعجيب من مخالفتهم كما وقع
لهم في قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وغير ذلك وهم
القايلون سمعنا وعصينا واسقط ايضا من الحديث قوله وعلى القبلة

التي هدانا الله لها تبصريح البيان بالامر المكرر اولا لبيان التساوي في
حكم السفر وغيره وثانيا للتاكيد وضلوا عنها لانهم لم يومروا
باستقبال الصخرة بل كان عن مشورة منهم كما عند ابي داود عن خالد
ابن يزيد بن معاوية وعنده ايضا ان يهوديا خاصم ابا العالية في القبلة
فقال ابو العالية كان موسى يصلي عند الصخرة ويستقبل البيت الحرام وكانت
الكعبة قبلته وكانت الصخرة بين يديه وقال اليهودي بيني وبينك
مسجد صالح النبي عليه السلام فقال ابو العالية فاني صليت في مسجد
صالح وقبلته الي الكعبة وفي مسجد ذي القرنين وقبلته اليها وفي البغوي
في قوله تعالي واجعلوا بيوتكم قبلة روي ابن جريج عن ابن عباس قال
كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه انتهي وقد رجح الحافظ العلاي
ان الكعبة قبلة الانبيا كلهم كما دلت عليه الاثار وقال بعضهم وهو الاصح
ولختار ابن العربي وتلميذه السهيلي ان قبلة الانبيا بيت المقدس قال
بعضهم وهو الصحيح المعروف فعد صاحب الانموذج من خصايص
المصطفي وامته استقبال القبلة انما هو علي احد قولين مرجحين نعم
ذكر فيما اختص به علي جميع الانبيا والمرسلين الجمع له بين القبلتين
وعلي قولنا خلف الامام امين فانها مختصة بنا بقيد الخلفية في
الصلاة وكذا عقب الدعا لكن شاركنا هارون في ذلك كما روي الحارث بن
ابي اسامة وابن مردوية عن انس مرفوعا اعطيت ثلاث خصال اعطيت
ثاني الصفوف واعطيت السلام وهو تحية اهل الجنة واعطيت امين
ولم يعطها احد ممن كان قبلكم الا ان يكون الله اعطاها نبيه هارون
فان موسى كان يدعو الله ويومن هارون اي اعطي الثالثة فانه كان
يومن علي دعا موسى كما قال تعالي قد اجيبت دعوتكما وفي اول الاية
وقال موسى ربنا فدل علي انه الداعي وهارون يومن فسماه داعيا لانه
لتامينه عليه مشارك له وفي مسند الفردوس مرفوعا الداعي والمومن في
الاجر شريكان فعلم ان الخصلتين الاولتين من خصوصيات هذه الامة
مطلقا وكذا الثالثة بالنسبة لغير هرون في غير الصلاة قال الحافظ
ابن حجر وهذا حديث غريب لا اعرفه بهذه الالفاظ الا من هذا
الوجه وقال شيخه الزين العراقي دخول اليهودي عليه ثلاثا واسنده انه
وما بعده لم اره في شي منها اي الاحاديث غير هذا لكن لبعضه متابع
بكسر البا اي عليه حسن في التامين متعلق بمتابع بيان لبعضه
اي دون الجمعة والقبلة اخرجه ابن ماجة وصححه ابن خزيمة
كلاهما من رواية سهيل بالتصغير عن ابي صالح ذكوان المدني
ابي يزيد صدوق تغير حفظه باخره وروي له السنة الا ان البخاري
روي له مقرونا وتعليقا عن ابيه ذكوان السمان الزيات المدني تابعي
ثقة ثبت كان يجلب الزيت الي الكوفة مات سنة احدي ومائة عن

عايشة

عايشة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ما حسدتنا اليهود
علي شي ما حسدتنا اي مثل حسدهم او مثل الذي حسدتنا علي
السلام عند التلاقي ففيه دلالة علي انه مختص بنا دونهم والتامين
اي ختم القارئ قرانه في الصلاة وغيرها بقول امين او الداعي دعاءه
بلفظ امين لكن خص من هذا هرون كما مر وروي ابن ماجة باسناد
ضعيف عن ابن عباس رفعه ما حسدتكم اليهود علي شي ما حسدتكم
علي امين فاكثروا من قول امين ومنها اي خصايص الامة الاختصاص
بالركوع في الصلاة وكانه زاد الاختصاص زيادة تاكيد لان فيه نزاعا وميله
للاختصاص والا فالكلام فيه وايضا صدر منها عايد له عن علي رضي
الله عنه قال اول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول
ما هذا الفعل الذي لم نعرفه قبل قال بهذا امرت رواه البزار
والطبراني في معجمه الاوسط الذي الفه في غرايب شيوخه كان
يقول هذا الكتاب روحي لانه تعب عليه ووجه الاستدلال منه
انه عليه السلام صلي قبل ذلك الظهر فالصلاة التي ركع فيها هي
عصر صبيحة الاسرا وصلي قبل فرض الصلوات الخمس قيام
الليل وكذا غيره مما كان يصليه نهارا فيكون اي وجود الصلاة
السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السابقة منه مبنا
علي ان شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ ويمكن بناوه علي القول
الاخر وتقرير القرينة بانه لو كان في صلاة الامم السابقة ركوع لكان
النبي صلي الله عليه وسلم اولي بانه لا يصلي بدونه صلاة واحدة لئلا يكون
صلاة غيره اتم من صلاته قاله بعض العلما يعني الجلال السيوطي كما
يعلم من الشامية قال وذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالي لبني
اسرايل واركعوا مع الراكعين ان مشروعية الركوع في الصلاة
خاص بهذه الامة وانه لا ركوع في صلاة بني اسرايل ولذا امرهم
بالركوع اظهار في محل الاضمار زيادة في البيان مع امة محمد صلي الله
عليه وسلم اذ لو كان في صلاتهم لم يحسن امرهم به مع قوله واقيموا الصلاة
وهذا يعارضه قوله تعالي يا مريم اقنتي لربك واسجدي
واركعي مع الراكعين المفسر صفة اي انما يعارضه علي تفسيره
بانها امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها من سجود وركوع
مبالغة في المحافظة عليها ومريم من بني اسرايل فهو ظاهر في
ان الركوع ليس من خواص هذه الامة قالوا وقدم السجود علي الركوع
اما لكونه كذلك في شرعهم اي بني اسرايل او للتنبيه علي ان
الواو لا توجب الترتيب بل لمجرد العطف وكلا الجوابين تقوية للمعارضة
لا دفع لها لانه ظاهر واجيب عن المعارضة بان المراد بالركوع
المختص بنا الركوع علي هذه الصفة المخصوصة من كونه جزءا

لا تصح الصلاة بدونه وما امرت به مريم ليس كذلك بدليل ما بعده علىه
ان المعارضة انما تتم لو كان المفسر بهذا هم الجماعة المتقدمون اما ان
كانوا غيرهم فلا لانه مقابل اولئك ومثبت الخصوصية معترف بذلك
بقوله ذكر جماعة من المفسرين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطا[عة]
لقوله تعالى امن بتخفيف الميم هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما
يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه اي كمن هو عاص بالكفر وغيره وفي
قراة ام من بمعني بل والهمزة وبالسجود الصلاة تسمية للكل باسم
البعض وبالركوع الخشوع لا مقابل السجود فلا معارضة على هذا
التفسير اصلا والاخبات عطف تفسير قال البيضاوي واخبتوا الى
ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمينة ومنها
الصفوف في الصلوة كصفوف الملايكة اي التراص واتمام الاول فالاول
وكانت الامم السابقة يصلون منفردين وكل واحد على حدة قال بعضهم
وحكمة الامر تسوية الصفوف ان المصلين دعوا الي حالة واحدة مع الحق
وهي الصلاة فساوي في هذه الدعوة بين عباده فلتكن صفتهم فيها
اذا اقبلوا الي ما دعاهم اليه تسوية الصفوف لان الداعي انما دعاهم
ليناجيهم من حيث انهم جماعة على السوا لا يختص واحد عنهم دون
اخر فلا يتاخر واحد عن الصف ولا يتقدم بشي من بدنه يوجب الحد
اعوجاجه وقال ابن العربي شرعت الصفوف في الصلاة ليتذكر الانسان
بها وقوفه بين يدي الله يوم القيامة في ذلك الموطن المهول والشفعاء
من الانبيا والملايكة والمومنين بمنزلة الايمة في الصلاة يتقدمون الصفوف
وصفوفهم كصفوف الملايكة عند ربها وقد امرنا بذلك وان كانت الملايكة
لا يلزم من خلل صفوفها لو اتفق ادبر خلها خلل كصفوفنا اذا الصفا ليست
محلا لدخول الشياطين وانما تتراص الملايكة لتناسب الانوار حتى تتصل
بعضها ببعض فتنزل متصلة الي صفوف المصلين فتعمهم تلك الانوار
فان كان فيها خلل ودخلت فيه الشياطين احرقتهم تلك الانوار رواه
مسلم من حديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة
الحديث ونقدم بتمامه اول مبحث الخصايص فيستحب انضمام
بعض المصلين الي بعض بحيث لا يبقي بينهم فرجة ولا خلل كانهم
بنيان مرصوص فان الشيطان ابليس او اعم اذا راي فرجة دخلها كما في
الحديث وقال صلي الله عليه وسلم من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا
قطعه الله رواه النسايي وصححه الحاكم على شرط مسلم اي وصله برحمته
ورفع درجته وقطعه بابعاده عن ذلك وعن الثواب فالجزاء من جنس
العمل ومنها تحية الاسلام اي السلام عند التلاقي لانه فتح باب المودة
وتاليف للقلوب موذي لكمال الايمان وفي مسلم عن ابي هريرة مرفوعا

لاتدخلوا

لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا الا ادلكم على
شي اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم لحديث عايشة
السابق قريبا عن النبي صلي الله عليه وسلم ما حسدتنا اليهود
على شي ما حسدتنا على السلام والتامين ففيه انه شرع لنا دونهم
وفي مسلم عن ابي ذر في قصة اسلامه وكنت اول من حياه بتحية الاسلام
فقال وعليك السلام ورحمة الله وللطبراني والبيهقي عن ابي امامة
رفعه ان الله جعل السلام تحية لاهل ملتنا وامانا لاهل ذمتنا ولابي
داود عن عمران بن حصين كنا نقول في الجاهلية انعم الله بك عينا
وانعم صباحا فلما جا الاسلام نهينا عن ذلك ورجاله ثقات لكنه
منقطع واخرج ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان قال كانوا يقولون
في الجاهلية حييت مساء حييت صباحا فغير الله ذلك بالسلام
ففي هذا كله انه خاص بهذه الامة دون من تقدمهم لكن عورض
بحديث الصحيحين عن ابي هريرة رفعه خلق الله ادم على صورته
وطوله ستون ذراعا ثم قال له اذهب فسلم على اولئك النفر من
الملايكة فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فذهب فقال
السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله الحديث
قال القرطبي فيه دليل على تاكد السلام وانه من الشرايع القديمة التي
كلف بها ادم ثم لم تنسخ في شريعة انتهي وجمع بان المراد بالذرية بعضهم
وهم المسلمون او المراد تحية ذريته من جهة الشرع وكلاهما تعسف
وقد ذكر المعارضة في الفتح وما تعرض للجمع

ومنها الجمعة بضم الميم على المشهور وقد تسكن وقرا بها الاعمش وحكي
الواحدي عن الفرا فتحها وحكي الزجاج الكسر ايضا سمي بذلك مع الاتفاق
على انه كان يسمي في الجاهلية العروبة بفتح المهملة وضم الراء وبالموحدة
لان خلق ادم جمع فيه على افصح الاقوال قال صلي الله عليه وسلم نحن
الاخرون زمانا السابقون اي الاولون منزلة يوم القيامة والمراد ان
هذه الامة وان تاخر وجودها في الدنيا عن الامم الماضية فهي سابقة لهم
في الاخرة بانهم اول من يحشر واول من يحاسب واول من يقضي بينهم
واول من يدخل الجنة وفي حديث حذيفة عند مسلم نحن الاخرون من اهل
الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلايق وقيل المراد بالسبق
هنا احراز فضيلة اليوم السابق بالفضل وهو يوم الجمعة وان سبق
بسبت قبله او احد بعد لا يتصور اجتماع الايام الثلاثة الا ويكون يوم
الجمعة سابقا وقيل المراد بالسبق الي القبول والطاعة التي حرمها
اهل الكتاب فقالوا سمعنا وعصينا قال الحافظ والاول اقوي بيد بموحدة
فتحتية ساكنة مثل غير وزنا ومعني وبه جزم الخليل والكسايي

بياض

ق

ورجحه ابن سيده وقال الشافعي معنى بيد من اجل واستبعده عياض
ولا بعد فيه اذ المعنى انا سبقنا بالفضل مع تاخرنا في الزمان بسبب
انهم ضلوا عنها مع تقدمهم ويشهد له ما وقع في فوايد ابن المقري
بلفظ نحن الاخرون في الدنيا ونحن اول من يدخل الجنة لانهم اوتوا الكتاب
من قبلنا وفي الموطا رواية سعيد بن عفير عن مالك بلفظ ذلك بانهم
اوتوا الكتاب وقال الداودي هي بمعنى على او مع قال القرطبي ان كانت
بمعنى غير فنصب على الاستثناء وان كانت بمعنى مع فنصب على الظرف
وقال الطيبي هي للاستثناء وهو من تاكيد المدح بما يشبه الذم والمعنى
نحن السابقون للفضل غير **انهم اوتوا الكتاب من قبلنا** اي التوراة
والانجيل فاللام للجنس قال ووجه التاكيد فيه ما ادمج فيه من معنى النسخ
لان الناسخ هو السابق في الفضل وان تاخر في الوجود وبهذا التقرير يظهر
قوله نحن الاخرون مع كونه مدرجا واضحا وقال القرطبي المراد بالكتاب التوراة
وفيه نظر لقوله واوتيناه من بعدهم فاعاد الضمير على الكتاب فلو كان
المراد التوراة لما صح الاخبار لانا انما اوتينا القران وسقط من الاصل واوتيناه
من بعدهم وهي ثابتة في رواية ابي زرعة الدمشقي من ابي اليمان شيخ
البخاري فيه اخرجه الطبراني في مسند الشاميين وكذا لمسلم من طريق ابن عيينة
عن ابي الزناد وذكره البخاري تاما بعد ابواب من وجه اخر عن ابي هريرة
ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم كذا للحموي ورواه الاكثر
باسقاط الجلالة اي فرض تعظيمه واشير اليه بهذا لكونه ذكر في اول
الكلام عند مسلم من طريق اخر عن ابي هريرة ومن حديث حذيفة قالا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا قال
ابن بطال ليس المراد ان يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه لانه لا يجوز
لاحد ترك ما فرض عليه وهو مومن وانما يدل والله اعلم انه فرض عليهم
يوم من الجمعة وكل الى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا في اي
الايام هو ولم يهتدوا ليوم الجمعة ومال عياض الى هذا ورشحه بانه لو
فرض عليهم بعينه لقيل فخالفوا بدل **فاختلفوا فيه** وقال النووي
يمكن انهم امروا به صريحا فاختلفوا هل يلزم بعينه ام يسوغ ابداله
بيوم اخر فاجتهدوا في ذلك فاخطاوا انتهى ويشهد له ما رواه
الطبري باسناد صحيح عن مجاهد في قوله تعالى انما جعل السبت
على الذين اختلفوا فيه قال ارادوا الجمعة فاخطاوا واخذوا السبت
مكانه ويحتمل ان يراد بالاختلاف اختلاف اليهود والنصارى في
ذلك وقد روى ابن ابي حاتم عن السدي التصريح بانه فرض عليهم
يوم الجمعة بعينه فابوا ولفظه ان الله فرض على اليهود الجمعة
فابوا وقالوا يا موسى ان الله لم يخلق يوم السبت شيا فاجعله لنا فجعل
عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى

ادخلوا

ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وغير ذلك وكيف لا وهم القايلون سمعنا
وعصينا قاله في فتح الباري قال المص ويشهد له قوله هذا يومهم الذي
فرض عليهم فانه ظاهر او نص في التعيين وذكر ابو عبد الله الابي عن
بعض الاثار ان موسى عين لهم يوم الجمعة واخبرهم بفضله فناظروه
بان السبت افضل فاوحي اليه دعهم وما اختاروا اي بان قالوا هو
يوم فراغ وقطع عمل فان الله فرغ من خلق السموات والارض فينبغي
انقطاعنا عن العمل فيه للتعبد وقالت النصارى الاحد لانه يوم بدء
الخلق الموجب للشكر والتعبد ووفق الله هذه الامة للصواب فعينوا
الجمعة لان الله خلق الانسان للعبادة وكان خلقه يومها فالعبادة
فيه احق لانه اوجد في ساير الايام ما ينفع الانسان وفي الجمعة اوجد
نفس الانسان فالشكر على نعمة الوجود **فهدانا الله له** بالنص
عليه او بالاجتهاد ويشهد للثاني ما رواه عبد الرزاق باسناد صحيح
عن محمد بن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدمها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقبل ان تنزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود يوما
يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما
نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا
الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وانزل الله بعد ذلك اذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة وهذا وان كان مرسلا فله شاهد باسناد حسن
اخرجه احمد وابو داود وابن ماجة وصححه ابن خزيمة وغير واحد
من حديث كعب بن مالك قال كان اول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسعد بن زرارة الحديث فمرسل ابن
سيرين يدل على ان اوليك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ولا
يمنع ذلك ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم
يتمكن من اقامتها ثم وقد ورد فيه حديث ابن عباس عند الدارقطني
ولذا جمع بهم اول ما قدم المدينة كما حكاه ابن اسحاق وغيره وعلى هذا
فقد حصلت الهداية للجمعة بجهتي البيان والتوفيق وقيل في حكمة
اختيارهم الجمعة وقوع خلق ادم فيه والانسان انما خلق للعبادة
فناسب الاشتغال بها فيه ولان الله اكمل فيه الموجودات واوجد فيه
الانسان الذي ينتفع بها فناسب ان يشكر على ذلك بالعبادة ذكره
الحافظ **فالناس لنا فيه تبع** اليهود اي السبت **والنصارى بعد غد**
اي الاحد وفي رواية ابن خزيمة فهو لنا ولليهود يوم السبت وللنصارى
يوم الاحد والمعنى انه لنا بهداية الله ولهم باختيارهم وخطابهم في
اجتهادهم قال القرطبي غدا منصوب على الظرف متعلق بمحذوف
تقديره اليهود يعظمون غدا وكذا قوله بعد غد ولا بد من هذا التقدير
لان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة وقال ابن مالك الاصل ان

يكون المخبر بظرف الزمان من اسما المعاني كقولك غدا للذاهب
وبعد غد للرحيل فيقدر هنا مضافا ان يكون ظرفا الزمان خبرين
عنهما اي بتعية اليهود غدا وتبعية النصارى بعد غد انتهى قاله
الحافظ وسبقه الى نحوه تك عياض وهو اوجه من كلام القرطبي وفيه
فرضية الجمعة كما قال النووي لقوله فرض عليهم فهدانا الله له فان
التقدير فرض عليهم وعلينا فضلوا وهدينا وفي رواية لمسلم بلفظ كتب
علينا وفيه ان الهداية والاضلال من الله كما هو قول اهل السنة وان سلامة
الاجماع من الخطا مخصوص بهذه الامة وان استنباط معنى من الاصل يعود
عليه بالابطال وان القياس مع وجود النص فاسد وان الاجتهاد في زمن
نزول الوحي جايز وان الجمعة اول الاسبوع شرعا ويدل عليه تسمية الاسبوع
كله جمعة وكانوا يسمون الاسبوع سبتا كما في حديث انس في الاستسقا فمطرنا سبتا
وذلك انهم كانوا مجاورين لليهود فتبعوهم في ذلك وفيه بيان واضح لمزيد فضل
هذه الامة على الامم السالفة زادها الله تعالى انتهى رواه البخاري ومسلم
والنسائي عن ابي هريرة ومنها ساعة الاجابة التي في يوم الجمعة
المشار اليها بحديث الصحيحين من طريق مالك عن ابي الزناد عن الاعرج عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيها ساعة
لا يوافقها عبد مسلم وهو قايم يصلي يسال الله تعالى فيها شيا الا اعطاه
اياه واشار بيده يقللها وقوله شيا اي مما يليق بالمسلم سواله من ربه وفي رواية
لمسلم كالبخاري في الطلاق يسال الله خيرا وفي ابن ماجة من حديث ابي لبابة ما لم
يسال حراما ولاحمد عن سعد ابن عبادة ما لم يسال اثما او قطيعة رحم وهو خاص
على عام للاهتمام به فقطيعة الرحم من الاثم وروى البزار وابو يعلى عن انس
مرفوعا اتاني جبريل في يده مراة بيضا فيها نكتة سودا فقلت ما هذه النكتة
السودا قال هذه الساعة وحقيقة الساعة هنا جزء من الزمان مخصوص
ويطلق على جزء من اثني عشر من مجموع النهار او على جزء ما غير مقدر
من الزمان فلا يتحقق او على الوقت الحاضر وفي حديث جابر مرفوعا عند
ابي داود وغيره باسناد حسن ما يدل للاول ولفظه يوم الجمعة ثنتا عشرة
ساعة فيها ساعة الخ قال ابن المنير الاشارة الى تقليلها للترغيب والحض
عليها ليسارة وقتها وغزارة فضلها واختلف في تعيينها على اقوال
تزيد على الثلاثين وقال غيره على نحو خمسين قولا ذكرتها في
لوامع الانوار اسم كتاب لكم في الادعية والاذكار وقد سردها في فتح
الباري نحو نيف واربعين قولا هل رفعت وكذبه ابو هريرة قايله او في جمعة
واحدة من كل سنة او مخفية في جميع اليوم او تنتقل يوم الجمعة ولا تلزم
ساعة لا ظاهرة ولا مخفية او عند اذان الغداة او من الفجر الى طلوع الشمس
او منه كذلك ومن العصر للغروب او في هذين الوقتين وما بين النزول من
المنبر حتى يكبر او اول ساعة بعد طلوع الشمس او عند طلوعها او اخر

الساعة

الساعة الثالثة من النهار او من الزوال حتى يصير الظل نصف ذراع
وكذلك حتى يصير ذراعا او بعد الزوال بقليل الى ذراع او اذا زالت الشمس
او اذا اذن الموذن للجمعة او من الزوال حتى يدخل الرجل في الصلاة او منه
حتى يخرج الامام او منه الى الغروب او ما بين خروج الامام الى ان تقام
الصلاة او عند خروجه او ما بين خروجه الى انقضا الصلاة او ما بين
حرمة البيع وحله او ما بين الاذان الى انقضا الصلاة او ما بين ان يجلس
الامام على المنبر الى ان تنقضي الصلاة ويمكن اتحاد هذا القول مع الذي
قبله او عند التاذين وعند تذكير الامام وعند الاقامة او اذا اذن واذا رقي
واذا انتهى وهذا مثل ما قبله واذا اخذ الخطيب في الخطبة او عند الجلوس
بين الخطبتين او عند نزوله من المنبر او حين الاقامة حتى يقوم الامام
في مقامه او من اقامة الصف الى تمام الصلاة او هي الساعة التي كان عليه
السلام يصلي فيها الجمعة ومغايرته لما قبله من جهة اطلاقه وتقييد هذا
او صلاة العصر الى الغروب او في صلاة العصر او بعده لاخر وقت الاختيار
او بعده مطلقا او من وسط النهار الى قرب اخره او من الصفرة للغروب
او اخر ساعة بعد العصر او من حين يغيب نصف قرص الشمس او تدليها
للغروب الى تكامل غروبها وبسط الكلام عليها بادلتها مع بيان الصحة
او الضعف او الرفع او الوقف والاشارة الى ماخذ بعضها بما يصلح انه
تاليف مفرد قال وليست كلها متغايرة بل كثير منها يمكن اتحاده مع غيره ثم
نقل عن ابن المنير الجمع بان ساعة الاجابة واحدة منها لا بعينها فيصادفها
المجتهد في الدعا في جميعها وليس المراد من اكثرها انها تستوعب جميع
الوقت الذي عين بل انها تكون في اثنايه لقوله يقللها وقوله في رواية اخرى
وهي ساعة خفيفة وفايدة ذكر الوقت انها تنتقل فيه فيكون ابتدا مظنتها
ابتدا الخطبة مثلا وانتهاوه انتها الصلاة وكان كثيرا من القايلين عين
ما اتفق له وقوعه فيها من ساعة في اثنا وقت من الاوقات فبهذا التقرير
يقل الانتشار جدا ولا شك ان ارجح الاقوال حديث ابي موسى وحديث عبد الله
ابن سلام وما عداهما اما ضعيف الاسناد او موقوف استند قايله الى اجتهاد
دون توقيف ولا يعارضها حديث ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم
انسيها بعد ان علمها لاحتمال انهما سمعا ذلك منه قبل ان انسي اشار اليه
البيهقي وغيره فاما حديث ابي موسى فروى مسلم وابو داود عن ابي موسى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين ان يجلس الامام
على المنبر الى ان تنقضي الصلاة واما حديث ابن سلام فروى الامام مالك
واصحاب السنن وابن خزيمة وابن حبان عن ابي هريرة انه قال لعبد
الله بن سلام اخبرني ولا تضن علي فقال عبد الله بن سلام هي اخر ساعة
من يوم الجمعة فقال ابو هريرة قلت كيف تكون اخر ساعة وقد قال
صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك ساعة

لا يصلي فيها فقال ابن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس
مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي قال ابو هريرة فقلت بلى قال
فهو ذلك ولذا استشكل قوله في حديث ابي هريرة السابق وهو قايم وكان ابن
وضاح يامر بطرحه لانه لو كان ثابتا عند ابي هريرة لاحتج به على ابن
سلام ولم يعارضه بانها ليست ساعة صلاة واجابه بالنص الاخر ان منتظر
الصلاة في حكم المصلي وسلم له ابو هريرة الجواب وارتضاه وافتى به بعد واجيب
بحمل الصلاة على الدعا او الانتظار وحمل القيام على الملازمة او المواظبة ولفظه
وهو قايم ثابت عند اكثر رواة الموطا وهي زيادة محفوظة عن ابي الزناد من
رواية مالك وورقا وغيرهما عنه واختلف السلف في اي الحديثين ارجح فقال مسلم
حديث ابي موسى اجود شي في هذا الباب واصحه وبذلك قال البيهقي وابن العربي
وجماعة وقال القرطبي هو نص في موضع الخلاف فلا يلتفت الى غيره وقال النووي
هو الصحيح بل الصواب وجزم في الروضة بانه الصواب ورجح ايضا بكونه
مرفوعا صريحا وفي احد فقال اكثر الاحاديث عليه وقال ابن عبد البر
انه اثبت شي في هذا الباب وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن ابي
سلمة بن عبد الرحمن ان ناسا من الصحابة اجتمعوا فتذاكروا ساعة الجمعة
ثم افترقوا فلم يختلفوا انها اخر ساعة من يوم الجمعة وحكى العلاي ان
شيخه ابن الزملكاني كان يختاره ويحكيه عن نص الشافعي واجابوا بان
الترجيح بما في الصحيحين او احدهما انما هو حيث لا يكون مما انتقده
الحفاظ كحديث ابي موسى هذا فانه اعل بالانقطاع والاضطراب وبينهما بما يطول
ثم قال واختار صاحب الهدي انحصارها في احد الوقتين المذكورين وان احدهما
لا يعارض الاخر لاحتمال انه صلى الله عليه وسلم دل على احدهما في وقت
وعلى الاخر في وقت اخر وهذا كقول ابن عبد البر الذي ينبغي الاجتهاد في
الدعا في الوقتين المذكورين وسبق الى نحو ذلك الامام احمد وهو اولى في طريق
الجمع وقال ابن المنير اذا علم ان فايدة ابهام هذه الساعة كليلة القدر بعث
الدواعي على الاكثار من الصلاة والدعا ولو بين لاتكل الناس على ذلك وتركوا
ما عداها فالعجب بعد ذلك ممن يجتهد في طلب تحديدها انتهى وقال السيوطي
هنا امر وهو ان ما اورده ابو هريرة على ابن سلام وارد على حديث ابي موسى
ايضا لان حال الخطبة ليست ساعة صلاة ويتميز ما بعد العصر بانها ساعة
دعا وقد قال يسال الله شيا وليس حال الخطبة ساعة دعا لانه مامور
فيها بالانصات وكذا غالب الصلوة ووقت الدعا منها اما عند الاقامة
او في السجود او التشهد وان حمل الحديث على هذه الاوقات انه اصح ويحمل قوله
وهو قايم يصلي على حقيقته في هذين الموضعين وعلى مجازه في الاقامة
اي قايم يريد الصلاة وهذا تحقيق حسن فتح الله به وبه يظهر ترجيح
رواية ابي موسى على ظاهره من قوله يصلي ويسال فانه اولى من حمله
على انتظار الصلاة لانه مجاز بعيد ويوهم ان انتظار الصلاة شرط في

الاجابة

الاجابة وانه لا يقال في منتظر الصلاة قايم يصلي وان صدق انه في
صلاة لان لفظ قايم يشعر بملابسة الفعل انتهى وفي الفتح فان قيل
ظاهر الحديث حصول الاجابة لكل داع بالشرط المتقدم مع اختلاف
البلاد والمصلي ويتقدم بعض على بعض وساعة الاجابة متعلقة بالوقت
فكيف تتفق مع الاختلاف اجيب باحتمال ان ساعة الاجابة متعلقة
بفعل كل مصل كما قيل نظيره في ساعة الكراهة ولعل هذا فايدة جعل الوقت
الممتد مظنة لها وان كانت هي خفيفة ويحتمل انه عبر عن الوقت بالفعل
فيكون التقدير وقت جواز الخطبة او الصلاة ونحو ذلك قال وقول
صاحبنا العلامة شمس الدين الجزري في الحصن الحصين واذن لي
في روايته الذي اعتقده انها وقت قراة الامام الفاتحة في صلوة الجمعة
الى ان يقول امين جمعا بين الاحاديث التي صحت يخدش فيه انه يفوت
على الداعي حينيذ الانصات لقراة الامام انتهى **ومنها اذا كان اول**
ليلة من شهر رمضان نظر الله تعالى اليهم اي الامة المحمدية
نظر رحمة وغفران **ومن نظر اليه** كذلك **لم يعذبه** ابدا لان الكريم لا يرجع
في ما اعطى ولا اكرم منه سبحانه **وتزين الجنة فيه** تبشير للصايمين
فاذا علموا ذلك بخبر الصادق زاد نشاطهم وتلقوه بمزيد القبول والمحبة
واعلاما للملايكة انه منزلة عظيمة عند الله **وخلوف** بضم الخا وفتحها خطا
وقيل لغة قليلة اي تغير ريح **افواه الصايمين** لخلو معدتهم عن الطعام
اطيب عند الله اي في الاخرة كما جزم به العز بن عبد السلام لانه في رواية
لمسلم يوم القيامة او في الدنيا والاخرة معا كما جزم به ابن الصلاح لان في رواية
ابن حبان لخلوف فم الصايم حين يخلف اطيب عند الله وروى الحسن
ابن سفيان من حديث جابر اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا قال واما
الثانية فانهم يمسون وخلوف افواههم اطيب عند الله من ريح المسك فكل
واحد من الحديثين صريح في انه وقت وجود الخلوف في الدنيا يتحقق
وصفه بذلك قال وقد ذكر العلما شرقا وغربا معنى ما ذكرته ولم يذكر احد
تخصيصه بالاخرة بل جزموا بانه عبارة عن الرضى والقبول ونحوهما مما
هو ثابت في الدارين واما ذكر يوم القيامة في رواية مسلم فلانه يوم
الجزا وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع
الرايحة الكريهة طلبا لرضى الله حيث يومر باجتنابها واجتلاب الرايحة
الطيبة للمساجد والصلوات وغيرها من العبادات فخص يوم القيامة
بالذكر في تلك الرواية لذلك كما خص في قوله ان ربهم بهم يوميذ لخبير
واطلق في باقي الروايات نظرا الى ان اصل افضليته ثابتة في الدارين **من**
ريح المسك اختلف في معناه لانه تعالى منزه عن استطابة الروايح
فقال المازري هو مجاز لانه جرت العادة بتقريب الروايح الطيبة لها
فاستعير ذلك لتقريب الصوم من الله فالمعنى انه اطيب عند الله من

ريح المسك عندكم اي انه يتقرب اليها اكثر من تقربه المسك اليكم وقيل
ان ذلك في حق الملايكة وانهم يستطيبون ريح الخلوف اكثر مما يستطيبون
ريح المسك وقيل المعنى ان الله يجزيه في الاخرة يكون نكهته اطيب من
المسك كما ياتي المكلوم وريح جرحه يفوح مسكا وقيل المعنى ان الخلوف اكثر
ثوابا من المسك المطلوب في الجمع والاعياد ومجالس الذكر والخير وصححه النووي
ونقل القاضي حسين في تعليقه ان للطاعات يوم القيامة ريحا يفوح
قال فرايحة الصيام فيها بين العبادات كالمسك **وتستغفر لهم** اي
للصايمين **الملايكة في كل يوم وليلة حتى يفطروا** حين انقضا الشهر
واذا كان اخر ليلة غفر لهم جميعا زاد في رواية للبيهقي واحمد
والبزار قيل يا رسول الله هي ليلة القدر قال لا ولكن العامل انما يوفى اجره
عند انقضا عمله **رواه البيهقي** اي منقول عن جابر بلفظ ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم **قال اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم**
يعطهن نبي قبلي اما واحدة فانه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان
نظر الله اليهم ومن نظر اليه لم يعذبه ابدا واما الثانية فان خلوف
افواههم حين يمسون اطيب عند الله من ريح المسك واما الثالثة فان
الملايكة تستغفر لهم في كل يوم واما الرابعة فان الله عز وجل يامر جنته
فيقول لها استعدي وتزيني لعبادي اوشك ان يستريحوا من تعب الدنيا
الى داري وكرامتي واما الخامسة فانه اذا كان اخر ليلة غفر لهم جميعا
فقال رجل من القوم اهي ليلة القدر قال لا الم تر العمال يعملون فاذا فرغوا
من اعمالهم وفوا اجورهم هذا لفظ رواية البيهقي واخرجه الحسن بن
سفيان من حديث جابر ايضا وحسنه ابو بكر بن السمعاني في اماليه وتبعه
ابن الصلاح وله شاهد بنحوه من حديث ابي هريرة رواه احمد والبزار والبيهقي
في بعضه **وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا رواه البزار** واحمد
والبيهقي في حديث ابي هريرة المذكور ورواه ابو الشيخ بلفظ الملايكة بدل الحيتان
وتصفد تشد وتربط بالاصفاد وهي القيود **مردة الشياطين** اي عتاتهم
وفي حديث ابن عباس عند البيهقي ويقول الله يا جبريل اهبط الى الارض
فاصفد مردة الشياطين وغلهم بالاغلال ثم اقذفهم في البحار حتى لا يفسدوا
على امة محمد صيامهم **رواه احمد والبزار** من حديث ابي هريرة بزيادة
فلا يخلصوا فيه الى ما كانوا يخلصون اليه في غيره وفي الصحيحين وغيرهما من
حديث ابي هريرة مرفوعا اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت
ابواب النار وصفدت الشياطين قال القاضي عياض يحتمل انه على ظاهره
وحقيقته وذلك علامة للملايكة بدخول الشهر وتعظيمه والتصفيد
ليمتنعوا من ايذا المومنين والتهويش عليهم ويحتمل انه مجاز عن كثرة
الثواب والعفو وان الشياطين يقل اغواهم وايذاوهم فيصيرون كالمصفدين
ويكون تصفيدهم عن اشيا الناس دون ناس ويحتمل ان فتح ابواب الجنة

عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات في هذا الشهر التي لا تقع
في غيره عموما كالصيام والقيام وفعل الخيرات والانكفاف عن كثير
من المخالفات وهذه اسباب لدخول الجنة وابوابها وكذا تغليق ابواب
النار وتصفيد الشياطين عبارة عما ينكفون عنه من المخالفات ومعنى
صفدت غلت والصفد بفتح الفا الغل انتهى ونقله النووي ولم يرد
عليه ورجح ابن المنير الاول وقال لا ضرورة تدعو الى صرف اللفظ عن
ظاهره وكذا رجحه القرطبي وقال فان قيل فكيف نرى الشرور والمعاصي
واقعة في رمضان كثيرا فلو صفدت لم يقع ذلك فالجواب انها انما تقل عن
الصايمين الصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت ادابه والمصفد
بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم كما في رواية الترمذي وغيره صفدت
مردة الجن والمقصود تقليل الشرور فيه وهذا امر محسوس فان وقوع
ذلك فيه اقل من غيره ولا يلزم من تصفيد جميعهم ان لا يقع شر ولا معصية
لان لذلك اسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة
والشياطين الانسية وقال الحليمي يحتمل ان المراد بالشياطين مسترقو
السمع منهم لانهم كانوا منعوا في زمن نزول القران من استراق السمع
فزيدوا التسلسل في رمضان مبالغة في الحفظ وقال الطيبي فايدة
تفتيح ابواب الجنة توقيف الملايكة على استحماد فعل الصايمين وانه
من الله بمنزلة عظيمة واذا علم المكلف ذلك باخبار الصادق في نشاطه وتلقاه
بارتياحه **ومنها السحور** بفتح السين وضمها ويحصل باقل ما يتناوله
المرء من ماكول او مشروب كما في الفتح وغيره **وتعجيل الفطر** عند تحقق
الغروب وما يفعله الفلكيون من التمكين بعد الغروب بدرجة فمخالف
للسنة فلذا قل الخير قاله المص **رواه الشيخان** عن سهل بن سعد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر زاد ابو
داود وابن ماجة وابن خزيمة وغيرهم من حديث ابي هريرة لان اليهود
والنصارى يوخرون ولابن حبان والحاكم من حديث سهل لا تزال امتي
على سنتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم وليس في رواية الشيخين تصريح
بانه من خصوصياتنا انما هو في غيرهما كما رايته واما السحور ففي
مسلم عن عمرو بن العاصي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فصل ما
بين صيامنا وصيام اهل الكتاب اكلة السحر وفصل بصاد مهملة وقراه
بمعجمة تصحيف ولم يخرجه البخاري نعم روى معا عن انس قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم تسحروا فان في السحور بركة وهذا لا تصريح
فيه بالخصوصية قال في الفتح بفتح السين وضمها روايتان لان المراد
بالبركة الاجر والثواب فيناسب الضم لانه مصدر بمعنى التسحر والبركة
كونه يقوي على الصوم وينشطه ويخفف مشقته فيناسب الفتح
لانه ما يتسحر به وقيل البركة ما تضمنه من الاستيقاظ والدعا في السحر

والاولي انها تحصل بجهات متعددة اتباع السنة ومخالفة اهل الكتاب
والتقوي علي العبادة والزيادة في النشاط والتسبب بالصدقة علي من يسال
اذ ذاك او يجتمع معه علي الاكل والتسبب للذكر والدعا وقت مظنة الاجابة
وتدارك نية الصوم لمن اغفلها قبل ان ينام ووقع لبعض المتصوفة
ان حكمة الصوم كسر شهوة البطن والفرج والسحور قد يباين ذلك قال
ابن دقيق العيد والصواب انه ما زاد قدره حتي يقدم هذه الحكمة بالكلية
لا يستحب كتانق المترفين في الماكل وكثرة الاستعداد لها وما عداه يختلف
مراتبه انتهي وقيل المراد بالبركة نفي التبعية روي البزار والطبراني عن
ابن عباس مرفوعا ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا ان شا الله اذا
كان حلالا الصايم والمتسحر والمرابط في سبيل الله وذكره في الفردوس
بلفظ ثلاثة لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر عليه وما اكل
مع الاخوان وقيل يبارك في قليله بحيث يعين علي الصوم فروي ابن عدي
تسحروا ولو بشربة من ماء وللطبراني ولو بتمرة ولو بحبات من زبيب
هذا والخصوص بانه للامة علي الامم لا علي الانبيا لقوله صلي الله عليه وسلم
انا معاشر الانبيا امرنا معاشر امرنا ان نعجل افطارنا ونوخر سحورنا
ونضع ايماننا علي شمايلنا في الصلاة رواه الطيالسي والطبراني باسناد
صحيح **وإباحة الاكل والشرب والجماع** للصايم **ليلا** ولو نام الي
الفجر كما قال تعالي احل لكم ليلة الصيام الاية **وكان محرما علي من قبلنا**
بعد النوم **وكذا كان محرما علينا في صدر الاسلام ثم نسخ** روي البخاري
عن البرا كان اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم اذا كان الرجل صايما فحضر
الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتي يمسي وان قيس ابن
صرمة الانصاري كان صايما فلما حضر الافطار اتي امراته فقال هل عندك
طعام فقالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه وجات
امراته فلما راته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي
صلي الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية احل لكم ليلة الصيام الرفث الي نسايكم
ففرحوا بها فرحا شديدا وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود واخرج احمد وابن جرير عن كعب بن مالك قال كان
الناس في رمضان اذا صام الرجل فامسي فنام حرم عليه الطعام والشراب
والنسا حتي يفطر من الغد فرجع عمر من عند النبي صلي الله عليه وسلم
وقد سمر عنده فاراد امراته فقالت اني قد نمت فقال ما نمت ووقع عليها
وصنع كعب بن مالك مثل ذلك فغدا عمر الي النبي صلي الله عليه وسلم فاخبره
فنزلت الاية وروي البخاري عن البرا لما نزل صوم شهر رمضان كانوا
لا يقربون النسا رمضان كله وكانوا رجال يخونون انفسهم فانزل الله
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفي عنكم وروي البخاري
عن سهل بن سعد قال نزلت وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الابيض

من

من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر وكان رجال اذا ارادوا الصوم
ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب
حتي يتبين له رويتهما فانزل الله بعد من الفجر فعلموا انما يعني الليل
والنهار **ومنها ليلة القدر** لخبر الديلمي عن انس مرفوعا ان الله
وهب لامتي ليلة القدر ولم يعطها من كان قبلهم **كما قاله النووي**
في شرح المهذب وعبارته ليلة القدر مختصة بهذه الامة لم يكن
لمن قبلنا هذا هو الصحيح المشهور الذي قطع به اصحابنا كلهم وجمهور
العلما قال الحافظ وجزم به ابن حبيب من المالكية ونقله عنهم كلهم الحكيم
الترمذي فجزم بذلك **وهل صيام رمضان من خصايص هذه**
الامة كما ذهب اليه الجمهور منهم معاذ وابن مسعود وجماعة من الصحابة
والتابعين والحجة لهم قوله صلي الله عليه وسلم ان الله افترض صوم
رمضان وسننت لكم قيامه رواه النسايي والبيهقي باسناد حسن عن
عبد الرحمن بن عوف فهو ظاهر في الاختصاص **ام لا** كما ذهب اليه جمع
منهم الحسن والشعبي **ان قلنا ان التشبيه الذي دلت عليه لفظة**
كما في قوله تعالي كتب فرض **عليكم الصيام كما كتب علي الذين من**
قبلكم علي حقيقته اي بشرطها تاما **فيكون رمضان كتب علي من**
قبلنا من جميع الامم وعن السدي هم النصاري كتب عليهم رمضان **وذكر**
ابي روي **ابن ابي حاتم عن ابن عمر رفعه صيام رمضان كتبه**
الله علي الامم قبلكم فهذا يويد تمام التشبيه ويرد علي السدي تخصيصه
بالنصاري **ولكن في اسناده مجهول** فهو ضعيف لكن له شاهد في
الترمذي **وان قلنا المراد مطلق الصيام دون قدره ووقته**
وهو شهر رمضان **فيكون التشبيه واقعا علي مطلق الصوم** فلا
ينافي اختصاصنا برمضان **وهو قول الجمهور** من الصحابة والتابعين
وغيرهم قال الزمخشري وبالجملة فالصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلا الله امة
من افتراضه عليهم **ومنها انهم الاسترجاع عند المصيبة** لقوله
صلي الله عليه وسلم اعطيت امتي شيا لم يعطه احد من الامم ان يقولوا
عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون رواه الطبراني وابن مردويه عن
ابن عباس **قال سعيد بن جبير** فيما رواه ابن جرير والبيهقي وغيرهما
عنه **لقد اعطيت هذه الامة** اي ما مة الاجابة اي ان يقول المصاب منهم
عند المصيبة اي مصيبة كانت لقوله صلي الله عليه وسلم كل شي سا المومن
فهو مصيبة رواه ابن السني **ما لم يعط الانبيا عليهم مثله** وهو انا
لله ملكا وعبيدا يفعل بنا ما شا **وانا اليه راجعون** في الاخرة فيجازينا
وروي ابو داود في مراسيله ان مصباح النبي صلي الله عليه وسلم طفي
فاسترجع فقالت عايشة انما هذا مصباح فقال كل ما اسا المومن فهو
مصيبة وفي الحديث من استرجع عند المصيبة اجره الله فيها واخلف

الخيط

بة

عليه خيرا وظاهره ان المامور به مرة واحدة فورا وذلك في الموقف عند
الصدمة الاولى وخيرا اذا ذكرها ولو بعد اربعين عاما فاسترجع كان له
اجرها يوم وقوعها زيادة فضل لانيا في الطلب بفور وقوع المصيبة
ولو اعطيت الانبيا لاعطيه يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفا
الالف بدل من يا الاضافة اي يا حزني **على يوسف** وهذا ظاهر في انه
من خصوصيات هذه الامة حتى الانبيا اذ قوله لقد اعطيته لا دخل للراي
فيه فلا يكون الا عن بلاغ واما ولو اعطيت الخ فانه كان من البلاغ فواضح
وان كان استنبطه فهو استظهار وتقوية لسابقه ببعض افراده فلا
يقال لا يلزم منه انه لم يشرع لغيره من الانبيا **ومنها ان الله رفع
عنهم الاصر** الامر الذي يثقل حمله عليهم اي لم يوجبه عليهم ولم
يجعله من شرعهم لا انه جعله عليهم ثم رفعه **الذي كان على الامم
قبلهم** اي على بعضهم وهم بنو اسرايل كما **قال تعالى** الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث
ويضع عنهم اصرهم ثقلهم **والاغلال التي كانت عليهم** فان في
الاية دليلا على ان من قبلهم كان عليهم الاصر ولو وضع عن بني اسرايل الذين
امنوا بالمصطفى حقيقي وبه يستدل على رفعه عن الامة بطريق الاولى
بمعنى انه لم يوضع عليهم بدليل ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين
من قبلنا **الخ ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة**
فالاغلال استعارة شبه الامور الشاقة التي كلفوا بها بالاغلال التي تجعل في
الاعناق جمع غل وهو طوق حديد وعن عطا كانت بنو اسرايل اذا قاموا
يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما نقب الرجل ترقوته
وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة
كتعيين القصاص في العمد والخطا لخبر البخاري كان في بني اسرايل
القصاص اي تحتمه حتى في الخطا ولم يكن فيهم الدية في نفس او جرح وذلك
قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها الاية فهو شرع اليهود اما النصارى فيتعين
عندهم العفو عن القود والمراد بالخطا ضد العمد وهو ان يقصد شيا فيخالف
لغير ما قصد لا ضد الثواب كما زعم لان تعمد الاثم يسمى خطا بالمعنى الثاني
ولا يمكن ارادته هنا **وقطع الاعضا الخاطية** كاللسان في الكذب
والذكر في الزنا وفقي العين في النظر للاجنبية **وقطع موضع النجاسة**
اخرج البخاري عن ابي وايل قال كان ابو موسى يشدد في البول ويبول
في قارورة ويقول ان بني اسرايل كان اذا اصاب ثوب احدهم قرضه فقال
حذيفة ليته امسك الحديث اي قطعه قال الحافظ ووقع في مسلم جلد
احدهم قال القرطبي مراده بالجلد واحد الجلود التي كانوا يلبسونها وحمله
بعضهم على ظاهره وزعم انه من الاصر الذي حملوه ويويده رواية

ابي داود كان اذا اصاب جسد احدهم لكن رواية البخاري صريحة في
الثياب فلعل بعضهم رواه بالمعنى انتهى **وقتل النفس في التوبة**
كما قال تعالى فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم قال الجلال اي ليقتل البري
منكم المجرم فارسل سحابة سودا لئلا يبصر بعضهم بعضا فيرحمه
حتى قتل منهم نحو سبعين الفا وروى ابن ابي حاتم عن علي قال قالوا
الذين عبدوا العجل يا موسى ما توبتنا قال يقتل بعضكم بعضا فاخذوا
السكاكين فجعل الرجل يقتل اباه وامه واخاه حتى قتل سبعون الفا فاوحى
الله اليه مرهم فليرفعوا ايديهم فقد غفر لهم وروي من طرق نحوه عن
ابن عباس وغيره وقول البيضاوي او المراد بالقتل قطع الشهوات كما
قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها قال السيوطي عليه
هذا ذكره بعض ارباب الخواطر قال جماعة ولا يجوز ان يفسر به لاجماع
المفسرين على ان المراد القتل الحقيقي انتهى وفي فتح الجليل اعتمده
جماعة باجماع المفسرين على ان المراد القتل الحقيقي بانه يسلم من عبد
العجل نفسه للبري ليقتلها فلا يرد عليه قول بعضهم اجمع المفسرون على
انهم ما قتلوا انفسهم بايديهم اذ لو كانوا مامورين بذلك لصاروا عصاة
بتركه **وقد كان الرجل من بني اسرايل يذنب الذنب فيصبح قد
كتب على باب بيته ان كفارته ان تنزع عينيك فينزعها**
وروى ابن جرير مرفوعا كان بنو اسرايل اذا اصاب احدهم الخطيئة وجدها
مكتوبة على بابه وكفارتها فان كفرها كانت له خزيا في الدنيا والا كانت له
خزيا في الاخرة وقد اعطاكم الله خيرا من ذلك ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
الاية وروى البيهقي مرفوعا كان بنو اسرايل اذا اذنب احدهم ذنبا اصبح
وقد كتبت كفارته على اسكفة بابه وجعلت كفارة ذنوبكم قولا تقولونه
تستغفرون الله فيغفر لكم **واصل الاصر الثقل** بكسر المثلثة وفتح
القاف وتسكن للتخفيف ضد الخفة واما واحد الاثقال فبالسكون كحمل
واحمال والثقل بفتحتين متاع المسافر وحشمه او مطلق المتاع **الذي
يأصر** بكسر الصاد **صاحبه** اي يحبسه من الحراك بفتح اوله وثانيه لثقله
فلا يقدر على التحرك **ومنها ان الله احل لهم كثيرا مما شدد على
من قبلهم** يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله رضي لهذه الامة اليسر وكره لها العسر رواه الطبراني برجال الصحيح
ولم يجعل عليهم في الدين من حرج بل سهله **قال تعالى** هو اجتباكم
وما جعل عليكم في الدين من حرج وروى احمد عن حذيفة سجد صلى
الله عليه وسلم فلم يرفع راسه حتى ظننا ان نفسه قبضت فلما فرغ قال
ربي استشارني الحديث وفيه واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم
يجعل علينا في الدين من حرج فلم اجد شكرا الا هذه السجدة **اي ضيق
بتكليف ما اشتد القيام به عليهم اشارة الى انه لا مانع لهم**

عنه ولا عذر لهم في تركه لعدم مشقة فعله عليهم يعني من لم
يستطع ان يصلي قايما فليصل قاعدا ومن لا يستطيع على دو
ما بين في الفروع وأباح للصايم الفطر في السفر وانه كان الصوم
افضل والقصر فيه للصلاة وجعله افضل من الاتمام بل ذهب الحنفية
الى انه عزيمة ولا يجوز الاتمام زاد البيضاوي او الى الرخصة في اغفال
بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بامر
فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك اي معنى الاية بان جعل لهم من كل
ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق هكذا في البيضاوي قيل قوله
وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه كالحنث في
اليمين به والارش والديات في حقوق العباد دون تعيين القود
قاله البيضاوي في تفسير الاية وروي عند ابن ابي حاتم عن ابن
عباس انه قيل له اما علينا في الدين من حرج في ان نسرق او نزني قال
بلى قيل فما جعل عليكم في الدين من حرج قال الحرج ما كان على بني
اسرايل من الاصر والشدايد وضعه الله عن هذه الامة يعني انه
لم يجعله عليهم قال تعالى ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا و
قال البيضاوي حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون
صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرايل من قتل الانفس وقطع موضع
النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة او ما
اصابهم من الشدايد والمحن قال السيوطي قوله خمسين صلاة غلط فلم يفرض
على بني اسرايل خمسون صلاة قط بل ولا خمس صلوات ولم تجتمع الخمس الا
لهذه الامة وانما فرض على بني اسرايل صلاتان فقط كما في الحديث وقال
شيخ الاسلام نسب التكليف بها الى بني اسرايل ونسبها غيره من المفسرين
الى اليهود ولا تنافي فالمراد من بني اسرايل اليهود فلا يرد ان بني اسرايل
لم يفرض عليهم خمسون ولا خمس صلوات مع ان من حفظ حجة على من لم
يحفظ كذا قال وفيه ما لا يخفى فكون المراد من بني اسرايل اليهود لا يدفع
الرد بان الخمسين لم تفرض عليهم فليس ملحظ الراد ايهامه انها فرضت
على جميع بني اسرايل مع انها انما فرضت على اليهود منهم فيجاب بانهم
المرادون من بني اسرايل وكونه من حفظ حجة لا يجدي هنا لان النافي
صححه ولعل نقيه وهو قوله كما في الحديث يشير الى ما في حديث المعراج
في مراجعة موسى لنبينا وفيه منه الفضلة فانه فرض على بني اسرايل
صلاتان فما قاموا بهما اخرجه النسائي من حديث انس وعن كعب
اعطى الله هذه الامة ثلاثا لفظه ثلاث خصال لم يعطهن
الا الانبيا كان النبي يقال له بلغ ولا حرج وانت شهيد على امتك
وادع اجبك جعلهم شهدا على الناس يوم القيامة بان رسلهم
بلغتهم وما جعل عليهم في الدين من حرج بل سهله وقال

صلي

صلى الله عليه وسلم خير دينكم ايسره اي ما لا مشقة فيه ولا اصر
لكن بعضه ايسر من بعض فامر بعدم التعمق فيه فانه لن يشاده
احد الا غلبه وجاءت الانبيا السابقة بتكاليف واصار بعضها اغلظ
من بعض وقال ادعوني اسالوني استجب لكم دعاءكم وقيل المعنى
اعبدوني اثبكم بقرينة ان الذين يستكبرون عن عبادتي واجاب
من فسر الدعا بالسوال بان الاستكبار الصارف عنه منزل منزلته
للمبالغة او المراد بالعبادة الدعا لانه من ابوابها اخرج الفريابي
عن كعب اعطيت هذه الامة ثلاث خصال لم يعطهن الا الانبيا
كان النبي يقال له بلغ ولا حرج وانت شهيد على امتك وادع اجبك
وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من حرج لتكونوا شهدا على
الناس ادعوني استجب لكم فاقتصر المص على حاجته منه ومنها
ان الله رفع عنهم المواخذة بالخطا اي اثمه لا حكمه اذ حكمه من
الضمان لا يرتفع او عن حكمه على القول الثاني او عنهما قيل وهو اقرب
لعموم التناول وعدم المرجح ولا ينافيه ضمان المال والدية ونحوها لخروجه
بدليل منفصل والنسيانه بالكسر ضد الذكر والحفظ ويطلق على الترك
وليس بمراد هنا وما استكرهوا عليه اي حملوا على فعله قهرا
وخص بغير الزنا وقتل المسلم وقطعه فلا يبيح ذلك الاكراه وحديث
النفس رفع عن هذه الامة المواخذة به اي ما يقع في قلوبهم من
القبايح قهرا لقوله صلى الله عليه وسلم تجاوز لامتي ما حدثت به
انفسها ما لم تتكلم به او تعمل رواه الشيخان وروى احمد ومسلم وغيرهما
عن ابي هريرة قال لما نزلت وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
اشتد ذلك على الصحابة فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثوا على
الركب وقالوا قد انزل عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال اتريدون ان
تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم
انزل الله في اثرها امن الرسول الاية فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل
لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى اخرها وروى مسلم وغيره عن ابن عباس
نحوه وعند الفريابي عن محمد بن كعب قال ما بعث من نبي ولا ارسل من
رسول انزل عليه الكتاب الا انزل عليه هذه الاية وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله فكانت الامم تابى على انبيايها ورسلها ويقولون
نواخذ بما نحدث به انفسنا ولم تعمل جوارحنا فيكفرون ويضلون فلما
نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم اشتد على المسلمين ما اشتد على
الامم قبلهم فقالوا انواخذ بما نحدث به انفسنا ولم تعمل جوارحنا
قال نعم فاسمعوا واطيعوا فذلك قوله تعالى امن الرسول الاية و
فرفع الله عنهم حديث النفس الا ما عملت الجوارح ومنه كان

بنوا اسرائيل اذا نسوا شيا مما امروا به او اخطوا في شي عجلت
لهم العقوبة فيحرم عليهم شي من مطعم او مشرب عقوبة
من الله لهم علي حسب ذلك الذنب من كبير وصغير وفي رواية
صلي الله عليه وسلم ان الله وضع عن امتي ... رواية رفع عن امه
امة الاجابة فقوله امتي دليل علي ان ذلك كان علي من قبلهم الخطا
والنسيان وما استكرهوا عليه حديث جليل قال بعض العلماء
ينبغي ان يعد نصف الاسلام لان الفعل اما عن قصد واختيار او لا الثاني
ما يقع عن خطا ونسيان او اكراه وهذا القسم معفو عنه اتفاقا وانما
اختلف هل المعفو عنه الاثم او الحكم معا وهو ظاهر الحديث وما خرج
عنه كضمان الدم الخطا واتلاف المال الخطا ونحوها فبدليل منفصل وفيه
ان طلاق المكره لا يقع رواه احمد وابن حبان والحاكم وابن ماجه
والطبراني والدارقطني باسانيد جيدة وفي بعضها كلام لا يضر كما بينه
النور الهيثمي وتلميذه الحافظ وحسنه النووي في الروضة واخرجه الطبراني
عن ثوبان بلفظ رفع عن امتي الخ وخفي علي الكمال بن الهمام فقال هذا الحديث
يذكره الفقها بهذا اللفظ ولا يوجد في شي من كتب الحديث كذا قال والكمال لله
قال البيضاوي ومفهوم الخبر ان الخطا والنسيان كان مواخذا بهما اولا اي
في الامم السابقة ولا يمتنع ذلك عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يودي
الي الهلاك وان كان خطا فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الي العقاب
وان لم يكن عزيمة لكنه تعالي وعدنا التجاوز عنه رحمة وفضلا ومن ثم
امر الانسان بالدعا استدامة واعتدادا بالنعمة ومنها ان الاسلام وصف
خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم الا الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كما ذهب اليه جمع من العلما فشرفت هذه الامة بان وصفت بالوصف
الذي كان يوصف به الانبيا تكريما لها لقوله تعالي وجاهدوا في الله حق
جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو
سماكم المسلمين من قبل في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ وفي التوراة
والانجيل وساير كتبه علي ان ضميره هو عايد لله كما قاله جمع من المفسرين
كابن عباس ومجاهد عند ابن المنذر وعلي بن زيد عند ابن ابي حاتم وكذا
روي عن قتادة وابن عيينة ومقاتل قالوا وفي هذا يعني القران وايد
بانه قري الله سماكم المسلمين فلولم ذلك خاصا به كالذي ذكر قبله لم يكن
لتخصيصه بالذكر ولا لاقترانه بما قبله معني وهذا ما فهمه السلف من الاية
من الاية ولقوله تعالي ورضيت لكم الاسلام دينا فانه ظاهر في الاختصاص
اذ لو لم يكن خاصا بهم لم يكن في الامتنان عليهم بذلك فايدة
لانه لو رضيه لغيرهم ما حسن الامتنان به عليهم ولا تقديم لكم وقد
يجاب بان رضي الاسلام دينا لهم في هذه الاية وتسمية ابراهيم
اياهم بذلك في الاية التي سابقها قبلها بنا علي ان الضمير لابراهيم لانه

اقرب

اقرب مذكور كما قاله جماعة كابن زيد في احد قوليه قال هو ابراهيم
الا ترى الي قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك لا ينفي اتصاف غيرهم
بذلك الوصف وفايدة ذلك اي الامتنان علي هذه الامة مع الاشتراك
للاعلام بالانعام عليهم بما انعم به علي غيرهم من الفضايل
ودفع السيوطي هذا الجواب بانه جهل بقواعد المعاني فان تقديم لكم
يستلزمه كما قال صاحب الكشاف في قوله تعالي وبالاخرة هم يوقنون
ان تقديمهم تعريض باهل الكتاب وانهم لا يوقنون بالاخرة وكما قال
الاصفهاني في قوله وما هم بخارجين من النار ان تقديمهم يفيد ان
غيرهم يخرجون منها وهم الموحدون وقيل لا يختص بهم بل يطلق
علي غيرهم ايضا وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعا كما اجاب
به ابن الصلاح لقوله تعالي حكاية عن وصية يعقوب ووصي
بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفي لكم الدين فلا تموتن
الا وانتم مسلمون قال السيوطي هذا من قول ابراهيم ويعقوب لبنيهما
وفي بني كل انبيا فلا يحسن الاستدلال به علي غيرهم مع انه لا يلزم منه
طرده في امة موسي وعيسي لما علم ان ملة ابراهيم تسمي الاسلام وبها
بعث النبي صلي الله عليه وسلم وكان اولاد ابراهيم ويعقوب عليها
فصح ان يخاطبوا بذلك ولا يتعدي الي من ملته اليهودية والنصرانية
قال واما قوله تعالي حكاية عن اولاد يعقوب ونحن له مسلمون فجوابه ان
ذلك اما علي سبيل التبعية له ان لم يكونوا انبيا مع ان فيهم يوسف وهو
نبي قطعا فلعله هو الذي تولي الجواب فاخبر عن نفسه بالاصالة وادرج
اخوته معه تغليبا وان كانوا انبيا كلهم فلا اشكال ومن ادلة العموم قوله
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين واجاب عنه السيوطي بما
حققه صاحب القول الراجح ان هذا الوصف يطلق علي الانبيا والبيت
المذكور بيت لوط ولم يكن فيه مسلم الا هو وبناته وهو نبي فصح اطلاقه
عليه بالاصالة وعلي بناته بالتغليب او علي التبعية اذ لا مانع ان
تختص اولاد الانبيا بخصايص لا يشاركهم فيها بقية الامة كما اختصت
فاطمة بانه لا يتزوج عليها واخوها ابراهيم بانه لو عاش لكان نبيا
وذكر امورا استظهارا علي ذا الجواب الي غير ذلك كقوله تعالي وقال
موسي يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين واجابه
السيوطي بحمله علي التغليب لانه خاطبهم وفيهم هرون ويوشع وهما
نبيان فادرج بقية القوم في الوصف تغليبا او يحمل علي ان المراد ان
كنتم منقادين لي فيما امركم به قال والتحقيق الذي قامت عليه
الادلة ما رجحناه من الخصوصية بالنسبة الي الامم وان كل ما ورد
من اطلاق ذلك فيمن تقدم فانما اطلق علي نبي او ولده تبعا او جماعة
فيهم نبي غلب لشرفه ومن ذلك قوله تعالي واذ اوحيت الي الحواريين

ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون فان الحواريين
فيهم انبيا منهم الثلاثة المذكورون في قوله تعالى اذ جاءها المرسلون
اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون
نص العلما على انهم من حواريي عيسى واحد قولي العلما ان الثلاثة
انبيا ويرشحه ذكر الوحي اليهم **ولان الايمان** لكونه التصديق القلبي
اخص من الاسلام لانه الانقياد للاحكام المامور بها فان صحبه
تصديق قلبي فمسلم فقط تجري عليه احكام الدنيا ولا ينفعه ذلك عند
الله كما هو مذهب **كثير من العلما وليس خاصا بهذه الامة بل**
يوصف به اي بالايمان **كل من دخل في شريعة معترفا بالله تعالى**
وبانبيائه كما قاله الراغب فقياس الوصف بالاخص الوصف بالاعم وجوابه
انه قياس في معرض النصوص الظاهرة بخلافه فلا يعتبر وقد حكى السيوطي
القولين في تاليف سماه اتمام النعمة ورجح القول بالاختصاص وذكر له
ثلاثا وعشرين دليلا منها ما رواه ابن راهويه وابن ابي شيبة عن مكحول
كان لعمر على رجل حق فاتاه يطلبه فقال عمر لا والذي اصطفى محمدا على البشر
لا افارقك فقال اليهودي والله ما اصطفاه فلطمه عمر فاتى النبي فاخبره
فقال صلى الله عليه وسلم بل يا يهودي ادم صفي الله وابراهيم خليل الله
وموسى نجي الله وعيسى روح الله وانا حبيب الله بل يا يهودي تسمى الله
باسمين سمى بهما امتي هو السلام وسمى امتي المسلمين وهو المومن وسمى
امتي المومنين الحديث وهو صريح في اختصاصنا بوصف الاسلام والايمان
بحسن ايراده في معرض التفضيل اذ كان اليهودي يقول ونحن وساير
الامم كذلك واخرج البخاري في تاريخه والنسائي وابن مردويه عن الحارث
الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا بدعوى الجاهلية فانه من
جثا جهنم قال رجل وان صام وصلى قال نعم فادعوا بدعوة الله التي سماكم
بها المسلمين والمومنين عباد الله ولابن جرير عن قتادة ذكر لنا انه يتمثل
لاهل كل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم
الخير حتى يجي الاسلام فيقول يا رب انت السلام وانا الاسلام فصريحه
اختصاص الاسلام بها للفرقة بينه وبين الايمان المتعلق باهل الاديان
وقوله تعالى وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين اسلمتم دليل على الخصوص
والا لقال الكتابيون نحن مسلمون وديننا الاسلام وذكر في اخره قول السبكي
القصد من تكثير الادلة ان الاية الواحدة والاثنين قد يمكن تاويلها ويتطرق
لها الاحتمال فاذا كثرت قد ينتهي الى حد ينقطع بارادتها ظاهرا وينتفي
الاحتمال والتاويل قال ولذا ذكرت ثلاثة وعشرين دليلا لان كلا على انفراده
يمكن تاويله ويتطرق الاحتمال فلما كثرت غلب على الظن دون القطع
لاجل ما عارضها من الايات التي استدل بها للقول الاخر ومنها قوله
الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون واذا يتلى عليهم قالوا

امنا

امنا به انا كنا من قبله مسلمين والجواب ان مسلمين اسم فاعل مراد به
الاستقبال على حقيقته وهو الاصل لا الحال ولا الماضي الذي هو مجاز
والتقدير انا كنا من قبل مجيئه عازمين على الاسلام به اذا جاء لما كنا
نجده في كتبنا ويرشحه ان السياق يرشد الى ان قصدهم الاخبار بحقيته
القران وانهم كانوا على قصد الاسلام به اذ جا به صلى الله عليه وسلم
لما عندهم من صفاته وقرب زمانه وليس قصدهم الثنا على انفسهم
بانهم كانوا متصفين بصفة الاسلام لانه ينبو عنه المقام او يقدر في الاية انا كنا من
قبله به مسلمين فوصف الاسلام سببه القران لا التوراة والانجيل ويرشحه
ذكر الصلة في قوله قبله هم به مومنون فدل على انها مرادة في الثانية
وحذفت كراهة لتكرارها مرتين في انه واحد لذكرها في قوله امنا به او
وصفهم انفسهم به من اول امرهم اعتبارا بما ختم لهم من الدخول في دين
الاسلام كقول الاشعري من كتب الله انه يموت مومنا فيسمى عند الله مومنا
ولو في حالة كفر سبقت منه وكذا عكسه فاذا وصف الكافر حال كفره بالايمان
للخاتمة فلان يوصف بالاسلام من كان على دين حق لما قدر له من دخوله
فيه من بابه اولى انتهى هذا ومن خصوصيات الاسلام انه يجب ما قبله
اي يقطع روى ابن سعد والطبراني عن الزبير وجبير بن مطعم مرفوعا
الاسلام يجب ما كان قبله وفي رواية يهدم اي من كفر وعصيان وما ترتب
عليهما من حقوق الله اما حقوق عباده فلا تسقط اجماعا ولو كان
المسلم ذميا والحق ماليا وظاهره اسا بعده او احسن واما خبر من
احسن في الاسلام لم يواخذ بما عمل في الجاهلية ومن اسا في الاسلام اخذ بالاول
والاخر رواه الشيخان فوارد على نهج التحذير وروى مسلم عن عمرو بن
العاص قلت يا رسول الله تبايعني على ان تغفر لي فقال اما علمت ان الاسلام
يهدم ما قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله
ففيه ان كل واحد بمفرده يكفر ما قبله قال ابن تيمية واختص صحبه صلى
الله عليه وسلم باسم الانصار والمهاجرين فهما اسمان شرعيان جاء
بهما الكتاب والسنة وسماهما الله بهما كما سماهم بالمسلمين **ومنها ان**
شريعتهم اكمل من جميع الشرايع المتقدمة لا زيادة تشديد فيها
فيصعب القيام بها ولا زيادة تخفيف بل على غاية الاعتدال وخير الامور
اوساطها **وهذا مما لا يحتاج الى بيانه لوضوحه** لانك اذا تدبرت
في اي حكم منها وجدته معتدلا واستظهر على ذلك بقوله **وانظر الى**
شريعة موسى عليه السلام فقد كانت شريعته شريعة جلال
وقهر امروا بقتل نفوسهم في التوبة وقد امتن الله علينا بعدم
ذلك وذكرنا بهذه النعمة في قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او
اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم اي لانه رحمنا فلم يكتب علينا
ذلك كما كتبه على بني اسرايل **وحرمت عليهم الشحوم** وهي الثروب

وشحم الكلى من البقر والغنم الا ما حملت ظهورهما الخ وذوات الظفر
وهو ما لم يفرق اصابعه كالابل والنعام والطيور وغيرهما من الطيبات
بعد حلها لهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقال تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه اي الابل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذر ان
شفي لا ياكلها فحرم عليهم وحرمت عليهم الغنا[illegible] في غيرهم
سوانا فجعلت لنا من اجل اموالنا وجعل لهم من العقو[illegible] ما يجب
من غرامه وغيره كعقابهم بتحريم ما كان لهم حلالا وحملوا من الاصفاد
والاغلال عطف تفسير اي التكاليف الشاقة ما لم يحمله غيرهم بسبب
ظلمهم وكان موسى عليه السلام من اعظم خلق الله هيبة ووقارا
كسعامه رزانة واشدهم باسا شدة غضبا لله وبطشا باعداء الله
فكان لا يستطاع النظر اليه لذلك ونبينا صلى الله عليه وسلم وان كانت
اعظم في كل ذلك منه لكنه كان يعامل امته بالرفق واللين فيقدمون عليه
ويكلمونه وعيسى عليه السلام كان في مظهر اي محل ظهور الجمال والبركات
شريعته شريعة فضل واحسان لا من كل وجه بل فيها بعض تشديد
لكنها تخفيف بالنسبة لشريعة موسى لقوله وكان لا يقاتل ولا يحارب
وليس في شريعته قتال البتة والنصارى يحرم عليهم في دينهم
القتال وهم به عصاة لحرمته عليهم فان الانجيل كتابهم يامرهم
بقوله من لطمك ضربك بكفه مفتوحة ويكون على الخد وعلى غيره من
الجسد ولذا قال على خدك الايمن فادر له خدك الايسر اشارة الى عدم
الانتقام ومن نازعك ثوبك فاعطه رداءك ومن سخرك ميلا فامش
معه ميلين ونحو هذا اي ما كله كناية عن المساهلة مع الناس في الاخذ
والعطا والمعاشرة كما يدل عليه سوقه في مقام تخفيف شرع عيسى لا الامر
بعيني ما ذكر حقيقة وليس في شريعتهم مشقة ولا اصار ولا
اغلال تفسير كما في شرع موسى فلا يخالف قول ابن الجوزي بدو الشرايع
كان على التخفيف ولا يعرف في شرع صالح ونوح وابراهيم تثقيل ثم جاء
موسى بالتشديد والاثقال وجاء عيسى بنحوه وجاءت شريعة نبينا بنسخ
تشديد اهل الكتاب ولا يطلق على تسهيل من كان قبلهم فهي على غاية
الاعتدال فقوله وجاء عيسى بنحوه ظاهر في خلاف كلام المص لكن يمكن
تاويله بانه تشديد نسبي وان كان بعيدا اباه لفظ الانجيل المذكور فان ظاهره
ان لا تشديد فيها البتة فلعل اصل العبارة وجاء عيسى بعده فنسخت بنحوه
واما النصارى فابتدعوا بعده تلك الرهبانية وهي رفض النساء
واتخاذ الصوامع من قبل انفسهم ولم تكتب عليهم اي لم يومروا
بها كما قال تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان
الله وهو منقطع اي لكن فعلوها ابتغا الخ وقد قال صلى الله عليه وسلم

لا خزم

لا خزم ولا زمام ولا سياحة ولا تبتل ولا ترهب في الاسلام رواه عبد الرزاق
وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالجهاد فانه رهبانية الاسلام رواه احمد
وقال عليه الصلاة والسلام تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم ولا تكونوا كرهبانية
النصارى رواه البيهقي واما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان
مظهر بفتح الميم محل ظهور الكمال الجامع لتلك القوة والعدل
والشدة [illegible] اللين [illegible] الرافة والرحمة فشريعته اكمل الشرايع
وامته اكثر [illegible] ومنها ما بهم اكمل الاحوال والمقامات
بعد ذلك المذكور من كونه مظهرا الخ فاتى بمعنى اتت شريعته بالعدل
اي الحكم المشتمل عليه وهو القصد اي التوسط في الامور ثم تنوع ذلك
الحكم الى واجب وغيره كما قال ايجابا له اي للعدل بمعنى الحكم كما علم وفرضا
مساو وبالفضل ندبا اليه واستحبابا لا فرضا وايجابا كالعفو عن الجاني
وبالشدة في موضع الشدة كقتال الكفار ونحوهم وباللين في موضع
اللين كالعفو عن الاسارى ووضع السيف موضعه ووضع الندا
اي الخير موضعه اي المحل اللايق به شرعا فيذكر الظلم ويحرمه والعدل
ويامر به والفضل ويندب اي يدعو اليه في بعض اية كقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها سميت الثانية بذلك لمشابهتها الاولى صورة
وان كانت عدلا لوقوعها جزاء السيئة هي الفعلة القبيحة قال الجلال وهذا
ظاهر فيما يقتص منه من الجراحات قال بعضهم واذا قال له اخزاك الله
فيقول له اخزاك الله فهذا عدل ولذا قال صلى الله عليه وسلم لجبار بن
الاسود سب من سبك لما كانوا يسبونه بعد سلامه بما كان قبله فلتعفوا عنه
فمن عفى عن ظالمه واصلح الود بينه وبينه بالعفو عنه فاجره على الله
اي ان الله ياجره لا محالة فهذا افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم من عفى
عند القدرة عفى الله عنه يوم العسرة رواه الطبراني وقال من عفى عن دم
لم يكن له ثواب الا الجنة رواه الخطيب وقال عليه السلام من عفى عن قاتله دخل
الجنة رواه ابن منده اي مع السابقين او بلا سبق عذاب او هو اعلام بوفاته
على الاسلام والامن من سوء الخاتمة انه لا يحب الظالمين اي البادين بالظلم
فيترتب عليهم عقابهم فهذا تحريم للظلم وفي الحديث القدسي يا عبادي اني
حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا وقوله وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به هذا ايجاب للعدل وتحريم للظلم فهو
وهو العقاب بغير مثل ما عوقبوا به ولئن صبرتم عن العقاب لهو
اي الصبر خير للصابرين ندب الى الفضل دون ايجابه فترتاح النفوس
لذكره وتسمح به وكذلك تحريم ما حرم على هذه الامة الا صيانة
وحمية لهم عما يضرهم كالميتة والدم المسفوح حرم عليهم كل خبيث
كما قال ويحرم عليهم الخبائث وضار كالخنزير واحل لهم كل طيب اي مستلذ
لا ضرر فيه كما قال اليوم احل لكم الطيبات ونافع للبدن والعقل فتحريمه

عليهم رحمة وعلى من كان قبلهم لنزعها من عقوبة كما اشرنا اليه
قريبا في قوله وقد كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيا مما امروا به او اخطاوا
عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شي من مطعم او مشرب وهداهم لما
ضلت عنه الامم قبلهم كيوم الجمعة كما سيا ذكره ان شا الله
تعالى في مقصد عبادته عليه السلام وتقدم ما يشهد له
قريبا ووهب لهم من علمه وحلمه كمالاته كثيرة لم تحصل لغيرهم
وجعلهم خير امة اخرجت للناس وكمل لهم من المحاسن ما فرق
في الامم فجمعوا محاسن كل امة كما كمل لنبيهم من المحاسن ما فرق
في الانبيا قبله وزاده عليهم وكما كمل في كتابه من المحاسن و
ما فرق في الكتب قبله وكذلك في شريعته فهذه الامة هم المجتبو
اي الذين اختارهم الله لدينه ولنصره كما قال الله جل وعلا هو اجتباكم
وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وجعلهم شهدا على
الناس فاقامهم في ذلك مقام الرسل الشاهدين على اممهم
اشار اليه ابن القيم وذكر ابن عبد السلام انهم نزلوا منزلة العدول من
الحكام فيشهدون على الناس ان رسلهم بلغتهم ما جاوا به عن الله قال
تعالى لتكونوا شهدا على الناس قال وهذه خصيصة لم تثبت لغيرهم ومنها
انهم لا يجتمعون على ضلالة اي محرم باعتقاد خلاف الواقع فيشمل كل
حكم يعتقد فيه خلاف ما هو عليه في نفس الامر فلا يجتمعون على نفي حكم حرة
ولا ندب مندوب ولا اباحة مباح بل متى اجمعوا على حكم كان عند الله كذلك
كما افاده كلام الشيخ ولي الدين وما في وتكن قيدوا الامة هنا بالعلما لان
العامة عنها تاخذ دينها واليها تفزع في النوايب واقتضت الحكمة
حفظها رواه احمد في مسنده والطبراني سليمان بن احمد ابو القاسم
في معجمه الكبير وابن ابي خيثمة احمد بن زهير بن حرب البغدادي في
تاريخه وهو كثير قال فيه محمد بن سلام الجمحي لا اعرف اغزر من فوايده
عن ابي بصرة بفتح الموحدة واسكان الصاد المهملة واسمه حميل بضم
الحا المهملة ولام اخره وقيل بفتح اوله وقيل بالجيم ابن بصرة بفتح الموحدة
ابن وقاص بن حبيب بن غفار وقيل ابن حاجب بن غفار الغفاري روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه ابو هريرة وجماعة هو وابوه وجده
صحابة قال ابن يونس شهد فتح مصر واختط بها ومات بها ودفن
في مقبرتها وقال ابو عمر كان يسكن الحجاز ثم تحول الى مصر وقال ان عده
صاحبه كثير من ذريته وانكر ذلك ابن الاثير مرفوعا في حديث سالت
ربي ان لا تجتمع امتي اي امة الاجابة على ضلالة فاعطانيها
اي هذه الخصلة ورواه ابن ابي عاصم الحافظ الكبير الامام ابو بكر
احمد بن عمرو بن النبيل ابي عاصم الشيباني الزاهد قاضي اصبهان له
الرحلة الواسعة والتصانيف النافعة قال ابن ابي حاتم ذهبت كتبه

بالبصرة

بالبصرة في فتنة الزنج فاعاد من حفظه خمسين الف حديث وقال
ابن الاعرابي كان من حفاظ الحديث والفقه ظاهري المذهب مات في
ربيع الاخر سنة سبع وثمانين ومايتين والطبراني ايضا وغيرهما
كلهم من حديث ابي مالك الاشعري قال الحافظ في تخريج احاديث
المختصر اختلف في ابي مالك راوي هذا الحديث فان في الصحب ثلاثة يقال
لكل منهم ابو مالك الاشعري احدهم راوي حديث المعازف مشهور بكنيته
وفي اسمه خلف الثاني الحارث بن الحارث مشهور باسمه اكثر الثالث كعب
ابن عاصم مشهور باسمه دون كنيته حتى قال المزي في ترجمته لا يعرف له
كنية وتعقب بان الشيخين والنسائي كنوه وذكر المزي هذا الحديث
في ترجمة الثاني ووضح لي انه الثالث لان ابن ابي عاصم لما خرج
الحديث المذكور قال في سياق سنده عن كعب بن ابي عاصم الاشعري فدل
على انه هو الا ان يكون ابن ابي عاصم تصرف في التسمية بظنه وهو بعيد
انتهى ان الله تعالى اجاركم حماكم ومنعكم وانقذكم من ثلاث خلال
ان لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا وان لا يظهر اهل الباطل على اهل
الحق هذا ما اشار اليه حذفه بقوله وذكر منها بلو هذا ما لفظه
وان لا تجتمعوا على ضلالة قال الطيبي حرف النفي في الفقرتين
زايد كقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وفايدته توكيد معنى الفعل
وتحقيقه وذلك ان الاجارة انما تستقيم اذا كانت الخلال منفية لا مثبتة
قال شيخنا يعني السخاوي في المقاصد وبالجملة فهو حديث
مشهور المتن اي لفظ الحديث انما قال السخاوي وهذا القول شيخه الحافظ
في اسناده انقطاع وله طرق لا يخلو واحد منها من مقال لكنه قال في موضع
اخر اسناده حسن لانه من رواية ابي بكر ابن عياش عن الشاميين وهي
مقبولة قال وله شاهد عند احمد رجاله ثقات لكن فيه راو لم يسم وله اسانيد
كثيرة متعددة الطرق والمخارج وذلك علامة القوة فلا سيما عن الحسن
فاخرجه ابو نعيم والحاكم واعله واللالكاي في السنة له وابن منده ومن
طريقه الضيا في المختارة عن ابن عمر رفعه ان الله لا يجمع هذه الامة على
ضلالة ابدا وان يد الله مع الجماعة فاتبعوا السواد الاعظم فانه من شذ
شذ في النار وكذا اخرجه الترمذي لكن بلفظ هذه الامة او قال امتي ورواه
ابن ماجه والدارقطني وغيرهما عن انس مرفوعا ان امتي لا تجتمع على
ضلالة فاذا رايتم اختلافا فعليكم بالسواد الاعظم والحاكم عن ابن عباس
رفعه لا يجمع الله هذه الامة على ضلالة ويد الله مع الجماعة وابن ابي
عاصم وغيره مرفوعا عن عقبة بن عمرو والانصاري مرفوعا في حديث
عليكم بالجماعة فان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة والطبري في تفسيره
عن الحسن مرسلا بلفظ ابي بصرة وله شواهد متعددة في المرفوع
الى النبي صلى الله عليه وسلم كقوله انتم شهدا الله في الارض وفي غيره

أي غير المرفوع وهو الموقوف كقول ابن مسعود إذا سئل أحدكم فلينظر في كتاب
الله فإن لم يجد ففي سنة رسول الله فإن لم يجد فلينظر ما اجتمع عليه المسلمون
وإلا فليجتهد هذا والاختلاف شامل لما كان في أمور الدين كالعقائد أو الدنيا
كالإمامة العظمى ومعنى فعليكم بالسواد الأعظم الزموا متابعة جماهير
المسلمين الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك المنهج القويم
فهو الحق الواجب والفرض الثابت الذي يحرم خلافه فمن خالفه مات
ميتة جاهلية **ومنها أن إجماعهم حجة** قاطعة فإن تنازعوا في
شيء ردوه إلى الله ورسوله إذ الواحد منهم غير معصوم بل كل أحد يؤخذ
من قوله ويرد عليه إلا النبي صلى الله عليه وسلم كما قال مالك قال الحافظ
الولي العراقي والمراد به الاتفاق أي الاشتراك في القول أو الفعل أو الاعتقاد
أو ما في معناها من السكوت عند من يقول به ويتناول الأمور الشرعيات
واللغويات بلا نزاع والعقليات والدنيويات على الراجح **وأن اختلافهم**
أي الأمة أي مجتهديها في الفروع التي يسوغ الاجتهاد فيها **رحمة**
أي توسعة على الناس ونعمة كبيرة وفضيلة جسيمة بجعل المذاهب كشرائع
متعددة بعث صلى الله عليه وسلم بكلها لئلا تضيق بهم الأمور فالمذاهب
التي استنبطها الصحابة فمن بعدهم من أقواله وأفعاله على تنوعها
كشرائع متعددة له وقد وعد بوقوع ذلك فوقع فهو من معجزاته أما
الاجتهاد في العقائد فضلال والحق ما عليه أهل السنة والجماعة فإنما
الحديث في الاختلاف في الأحكام كما في تفسير البيضاوي قال فالنهي مخصوص
بالتفرق في الأصول لا في الفروع قال السبكي لا شك أن الاختلاف في
الأصول ضلال وسبب كل فساد كما أشار إليه القرآن قال وما ذهب
إليه جمع أن المراد الاختلاف في الحرف والصنائع مردود بأنه كان المناسب
أن يقال اختلاف الناس إذ لا خصوصية للأمة فإن كل الأمم يختلفون في الصنا بيع
والحرف فلا بد من خصوصية قال وما ذكره إمام الحرمين كالحليمي أن المراد
اختلافهم في المناصب والدرجات والمراتب فلا يساق الذهن من لفظ الاختلاف
إليه **وكان اختلاف من قبلهم عذابا** ومن جملته أنه كان في شرع بني
إسرائيل ينسخ الحكم إذا رفعه الخصم إلى حاكم آخر يرى خلافه إذا رفعه الخصم
إلى حاكم آخر يرى خلافه كما في الخصائص بخلاف شرعنا فيرفع الخلاف لو
فيصير المسألة كالمجمع عليها فليس لحاكم آخر نقضه بل عليه تنفيذه وإن كان
يرى غيره أصوب على الأرجح إلا أن يكون مما ينقض **روى البيهقي**
وفي نسخة رواه بالضمير والأول أصوب لأنه لم يبرز الترجمة إلا أن يكون أراد
المراد بمعناه فقد ذكر السمهودي وغيره أن اختلاف الصحابة في معنى
اختلاف الأمة **في المدخل** إلى السنن الكبرى **في حديث من رواية**
سليمان بن أبي كريمة
عن جويبر مصغر جابر ويقال اسمه جابر وجويبر لقبه ابن سعيد

الأزدي

الأزدي أبي القاسم البلخي نزيل الكوفة راوي التفسير ضعيف جدا مات بعد الأربعين
ومائة **عن الضحاك** بن مزاحم الهلالي الخراساني صدوق مات
بعد المائة روى له الأربعة **عن ابن عباس قال قال رسول الله**
صلى الله عليه وسلم مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر
لأحد في تركه فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية فإن لم يكن سنة
مني فما قال أصحابي إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم
واختلاف أصحابي لكم رحمة ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي
بلفظه سواء فاقتصر المص على حاجته منه والأوجه أن المراد اختلافهم
في الأحكام ويؤيده ما رواه البيهقي في المدخل عن عمر بن عبد العزيز ما
سرني لو أن أصحاب محمد لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة وكذا
قول يحيى بن سعيد الآتي أهل العلم الخ وقول مالك لما سأله الرشيد الخروج
معه إلى العراق وأن يحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن
أما حمل الناس على الموطأ فلا سبيل إليه لأن الصحابة افترقوا في الأمصار
فعند أهل كل مصر علم صريح في أن المراد الاختلاف في الأحكام وما نقله ابن
الصلاح عن مالك أنه قال في اختلاف الصحابة مخطئ ومصيب فعليك
بالاجتهاد وليس كما قال ناس فيه توسعة فإنما هو بالنسبة إلى المجتهد
لقوله فعليك بالاجتهاد فالمجتهد مكلف بما أدى إليه اجتهاده فلا توسعة
عليه في اختلافهم وإنما التوسعة على المقلد فقوله اختلاف أمتي وأصحابي
رحمة للناس أي المقلدين ومعنى قول مالك مخطئ ومصيب رد على القائل
أن المجتهد يقلد الصحابة دون غيرهم كما أفاده السمهودي ثم لا يرد على هذا
كله نهي الله عن الاختلاف بقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا لأن المنهي عنه الاختلاف على
الرسل فيما جاؤوا به قال ابن العربي وغيره إنما ذم الله كثرة الاختلاف على
الرسل كفاحا بدليل خبر إنما أهلك الذين من قبلكم كثرة اختلافهم على
أنبيائهم أما هذه الآية فمعاذ الله أن يدخل فيها أحد من العلماء المختلفين
لأنه أوعد الذين اختلفوا بعذاب عظيم والمعترض موافق على أن اختلاف الأمة
في الفروع مغفور لمن أخطأ منهم فتعين أن الآية في من اختلف على الأنبياء
فلا تعارض بينها وبين الحديث وفيه رد على المتعصبين لبعض الأئمة
على بعض وقد عمت به البلوى قال الذهبي وبين الأئمة اختلاف كثير
في الفروع وبعض الأصول وللقليل منهم غلطات وزلقات ومفردات منكرة
وإنما أمرنا باتباع أكثرهم صوابا ونجزم بأن غرضهم ليس إلا اتباع الكتاب
والسنة وكل ما خالفوا فيه لقياس أو تأويل فإذا رأيت فقيها خالف حديثا
أو رد حديثا أو حرف معناه فلا تبادر لتغليطه وقد قال علي لمن قال له أتظن
أن طلحة والزبير كانا على باطل يا هذا إنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف
بالرجال اعرف الحق تعرف أهله وما زال الاختلاف بين الأمة في الفروع

وبعض الاصول مع اتفاق الكل على تعظيم البارعي وانه ليس كمثله شيء
وان ما شرعه رسوله حق وان كتابهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة و
وانما وضعت المناظرة لكشف الحق وافادة العالم الانجب العلم لمن دونه و
وتنبيه الاعقل الاضعف فان داخلها زهو من الاكمل وانكسار من الاصغر
فذاك دأب النفوس الزكية في بعض الاحيان غفلة عن الله فما الظن بالنفوس
الشريرة انتهى وجويبر ضعيف جدا والضحاك عن ابن
عباس منقطع لانه لم يسمع منه والضحاك كثير الارسال وقد عزاه العراقي
لآدم ابن ابي اياس في كتاب العلم والحلم بلفظ اختلاف اصحابي رحمة لامتي قال
وهو مرسل ضعيف وهو كما قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر
حديث مشهور على الالسنة لفظ المقاصد قرأت بخط شيخنا يعني
الحافظ ابن حجر انه اي حديث واختلاف اصحابي لكم رحمة معنى حديثا مشهورا
على الالسنة وبهذا يتضح قوله وقد اورده ابن الحاجب في المختصر
الاصولي في مباحث القياس بلفظ اختلاف امتي رحمة للناس
وانما كان بمعناه لان اختلاف الصحابة في معنى اختلاف الامة كما افصح به
غيره وكذا اورده نصر المقدسي في كتاب الحجة له والبيهقي في الرسالة
الاشعرية ولم يذكر واله سندا والاصحابيا وكذا امام الحرمين والقاضي حسين
قال السيوطي ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل الينا قال الحافظ
وكثر السؤال عنه وزعم كثير من الائمة انه لا اصل له بهذا اللفظ
لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطردا مصدر ميمي اي
استطراد المناسبة وقال اعترض على هذا الحديث رجلان احدهما
ماجن بكسر الجيم اسم فاعل من مجن مجونا صلب وغلظ ومنه الماجن لمن
لا يبالي قولا وفعلا كانه صلب الوجه والاخر ملحد طاعن في الدين قال بعض
الائمة وهم في زماننا الباطنية المدعون ان للقران ظاهرا وباطنا وانهم يعلمون
الباطن فاحالوا بذلك الشريعة لانهم تاولوا بما يخالف العربية التي نزل بها
القران وقال ابو عبيدة الحد الحاد اجادل ومارى ذكره المصباح وهما اسحاق
الموصلي بفتح فسكون وكسر المهملة نسبة الى مدينة بالجزيرة الماجن
المغني في الدولة العباسية وعمرو بن بحر الجاحظ لقب لعمرو الملحد
لجحظ كان بعينيه وكان قبيح الشكل جدا حتى قيل فيه

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ... ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه ... وهو القذى في عين كل ملاحظ

وقالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا قال
الحافظ ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام ولم يقع في كلامه
شفاء في عزو الحديث ولكنه اشعر بان له اصلا عنده وهو من
كبار الحفاظ من حديث عطف على قوله من رواية سليمان اي وروى
البيهقي ايضا في المدخل من حديث الليث ابن سعد بن عبد الرحمن

الفهمي

الفهمي المصري الامام الثقة الثبت الفقيه المشهور مات في شعبان
سنة خمس وسبعين ومائة عن يحيى بن سعيد بن قيس الانصاري
المدني ثقة ثبت من رجال الجميع مات سنة اربع واربعين ومائة او بعدها
قال اهل العلم اهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل
هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا على هذا لانه بحسب فهم الادلة في
الاحكام الاجتهادية اشار اليه شيخنا السخاوي في المقاصد
الحسنة في الاحاديث المشهورة على الالسنة ومنها ان الطاعون
فاعول من الطعن عدلوا به عن اصله ووضعوه دالا على الموت العام
كالوباء ذكره الجوهري لهم شهادة اي سبب لكون الميت به شهيدا وظاهره
يشمل الفاسق فيكون شهيدا لكنه لا يساوي في مرتبته مسلم غير فاسق في
انه يغفر له جميع ذنوبه وانما يغفر له غير حق الادمي اخذا من خبر
ان الشهيد يغفر لهم كل ذنب الا الدين قاله شيخ الاسلام زكريا وهو ظاهر
ورحمة رحم بها المؤمنين وهل المراد بهم الكمل واعم احتمالان وكان على
الامم عذابا ففيه مزيد عناية بهذه الامة حيث جعل ما كان عذابا لغيرهم
رحمة لهم لحصول الشهادة لهم به وان العادة لا تؤثر بنفسها لانه
كان بلا بنفسه لمن تقدم ثم عاد بنفسه وصفته رحمة والصفة واحدة
لم تتغير رواه احمد والطبراني في الكبير من حديث ابي
عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهور بكنيته
قيل اسمه احمر اخره وقيل سفينة قال في الاصابة والراجح انه غيره ووقع
في الاستيعاب احمر بن عسيب وتعقب ويحتمل ان كنيته وافقت اسم ابيه ورجاله
احمد ثقات ولفظه الطاعون شهادة لامتي ورحمة لهم ورجز
بكسر الراء اي عذاب على الكافر ووقع في بعض الاصول رجس بسين بدل
الزاي والمعروف بالزاي وروى احمد والبخاري عن عائشة انها سالت النبي
صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فقال الطاعون كان عذابا يبعثه الله على من
يشاء وان الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من احد يقع الطاعون فيمكث في
بلده صابرا محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له اجر شهيد
وسر التعبير بمثل ان من لم يمت به له مثل اجره وان لم يحصل له درجة الشهادة
نفسها قال الحافظ ويؤخذ منه ان من اتصف بالصفات المذكورة ثم مات
بالطاعون له اجر شهيدين ولا مانع من تعدد الثواب بتعدد الاسباب كمن
يموت غريبا او نفسا بالطاعون والتحقيق انه يكون شهيدا بوقوعه له
ويضاف له مثل اجر شهيد لصبره فان درجة الشهادة شيء واجرها
شيء قال ويؤخذ منه ان من لم يتصف بذلك لا يكون شهيدا وان مات بالطاعون
وذلك ينشأ من شؤم الاعتراض الناشئ عن الضجر والسخط للقدر وفي
الصحيحين مرفوعا الطاعون رجز او عذاب ارسل على طائفة من بني
اسرائيل فاذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه واذا

وقع بارض ولستم بها فلا تهبطوا عليها قال الخطابي احد الامرين
تاديب وتعليم والاخر تفويض وتسليم وروى احمد برجال ثقات عن
عايشة مرفوعا الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار
منه كالفار من الزحف وروى الطبراني وابو نعيم باسناد حسن عن
عايشة الطاعون شهادة لامتي ووخز اعدايكم من الجن غدة كغدة
الابل تخرج في الاباط والمراق من مات منه مات شهيدا ومن اقام به كان
كالمرابط في سبيل الله ومن فر منه كان كالفار من الزحف وروى الحاكم
عن ابي موسى مرفوعا الطاعون وخز اعدايكم من الجن ووخز بفتح الواو
وسكون المعجمة ثم زاي طعن وفي النهاية تبعا للهروي اخوانكم قال
الحافظ ولم اره بلفظ اخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ في شي من طرق
الحديث المسندة ولا في الكتب المشهورة ولا الاجزا المنثورة وعزاه بعضهم لمسند
احمد والطبراني وابن ابي الدنيا ولا وجود له فيها قال السيوطي واما تسميتهم
اخوانا في حديث المطعم فباعتبار الايمان فان الاخوة في الدين لا تستلزم الاتحاد
في الجنس **ومنها انهم اذا شهد اثنان منهم** عدلان لا نحو فاسق
ومبتدع **لعبد بخير** بعد موته بان اثنيا عليه بخير فليس المراد الشهادة
عند القاضي ولا لفظ اشهد بخصوصه **وجبت له الجنة** قال الحافظ
اي ثبتت او هو في صحة الوقوع كالواجب اذ لا يجب على الله شي بل الثواب
فضل والعقاب عدل لا يسال عما يفعل والمراد مع السابقين الاولين او من
غير سبق عذاب والا فكل من مات مسلما دخلها ولا بد شهد له احد ام لا وروى
احمد والبخاري والنسايي عن عمر مرفوعا ايما مسلم شهد له اربعة ادخله
الله الجنة قيل وثلاثة قال وثلاثة قيل واثنان قال واثنان ثم لم نساله
عن الواحد قال النووي في معناه قولان احدهما ان هذا الثنا بالخير لمن
اثنى عليه اهل الفضل وكان ثناوهم مطابقا لافعاله فيكون من اهل الجنة
فان لم يكن كذلك فليس هو مرادا بالحديث والثاني وهو الصحيح المختار
انه على عمومه واطلاقه وان كل مسلم مات فالهم الله تعالى الناس او معظمهم
الثنا عليه كان ذلك دليلا على انه من اهل الجنة سوا كانت افعاله تقتضي
ذلك ام لا لانه وان لم تكن افعاله تقتضيه فلا تتحتم عليه العقوبة بل هو
في المشيئة فاذا الهم الله الناس الثنا عليه دل ذلك على انه شا المغفرة
له وبهذا تظهر فايدة الثنا وقوله صلى الله عليه وسلم وجبت وانتم شهدا
الله ولو كان لا ينفعه الا ان تكون اعماله تقتضيه لم يكن للثنا فايدة وقد
اثبت صلى الله عليه وسلم له فايدة انتهى وترك الشهادة بالشر مفهم حكمه
قياسا او اختصارا وهو اظهر كما قال الحافظ وبه صرح حديث انس في
الصحيحين مرفوعا من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيتم
عليه شرا وجبت له النار انتم شهدا الله في الارض **وكانت الامم**
السالفة اذا شهد منهم مابة لحديث ابي يعلى ان الامم السالفة

المابة

المابة امة اذا شهدوا للعبد بخير وجبت له الجنة وان امتي الخمسون
منهم امة فاذا شهدوا للعبد بخير وجبت له الجنة **ومنها انهم**
اقل الامم عملا واكثرهم اجرا الخبر مالك واحمد والبخاري عن ابن
عمر مرفوعا انما بقاكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر
الى غروب الشمس اوتي اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى اذا انتصف
النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا
الى العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الى
غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتاب ربنا اعطيت هولاء
قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال هل ظلمتكم
من اجركم من شي قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشا قال السيوطي
والمراد تشبيه من تقدم باول النهار الى الظهر والعصر في كثرة العمل
الشاق والتكليف وتشبيه هذه الامة بما بين العصر والليل في قلة ذلك
وتخفيفه وليس المراد طول الزمن وقصره اذ مدة هذه الامة اطول من
مدة اهل الانجيل قال امام الحرمين الاحكام لا توخذ من الاحاديث التي
لضرب الامثال **واقصرهم اعمارا** رحمة من الله بهم وعطفا عليهم
اخرهم في الاصلاب حتى اخرجهم الى الارحام بعد نفاد الدنيا وجعل
اعمارهم قصيرة لقلة التباسهم بالدنيا وتدنسهم بها وكانت الامم الماضون
اعمارهم واجسادهم وارزاقهم اضعاف ذلك كان احدهم يعمر الف سنة
وحبة القمح ككلية البقر والرمانة يحملها عشرة وهكذا فلطف الله بهذه
الامة لياخذ من الدنيا ارزاقا قليلة باجسام ضعيفة في مدة قصيرة لئلا
ياشروا ويبطروا ثم ضاعف لهم الحسنات فجعل الحسنة بعشرة امثالها الى
سبعماية ضعف الى ما لا يعلمه الا الله **واوتوا العلم الاول** الذي اوتيه الامم
قبلهم **والاخر** الذي اوتوه فجمع لهم ما تفرق في غيرهم وزيدوا **واخر**
الامم فافتضحت الامم عندهم بما قص عليهم في القران من وقايع
بعضهم الشنيعة ومخالفتهم وتعنتهم على انبيايهم وكفى بقول بني
اسرايل لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة ارنا الله جهرة وغير ذلك **ولم**
يفتضحوا ومنها انهم اوتوا الاسناد وهو حكاية طريق
المتن والسند الطريق الموصلة الى المتن وقد يستعمل احدهما في الاخر
والامر سهل **وهو خصيصة فاضلة من خصايص هذه**
الامة لم يوتها احد من الامم قبلهم **وسنة بالغة من السنن الموكدة**
قال ابن المبارك الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شا ما شا وعنه
مثل الذي يطلب امر دينه بلا اسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم وقال
سفيان الثوري الاسناد سلاح المومن فاذا لم يكن معه سلاح فباي شي
يقاتل وقال الشافعي مثل الذي يطلب الحديث بلا اسناد كمثل حاطب ليل
وفي تاريخ الحاكم عن اسحاق بن ابراهيم الحنظلي قال كان عبد الله

ابن طاهر اذا سالني عن حديث فذكرته له بلا اسناد سالني عن اسناده
ويقول رواية الحديث بلا اسناد من عمل الزمني فان اسناد الحديث كرامة
من الله تعالي لامة محمد وقيل في قوله تعالي او اثارة من علم اسناد الحديث
وقال بقية ذاكرت حماد بن زيد باحاديث فقال ما اجودها لو كان لها
اجنحة يعني اسنادا وقد روينا من طريق الامام ابي العباس محمد
ابن عبد الرحمن الدغولي بفتح الدال المهملة والغين المعجمة فواو فلام
نسبة الي دغول رجل ويقال للخبز الذي ليس رقيقا نسر رخص دغول
قال ابن الاثير فلعل بعض اجداد المنتسب كان يخبزه قال سمعت محمد
ابن حاتم بن المظفر يقول ان الله تعالي قد اكرم هذه الامة
وشرفها وفضلها بالاسناد وليس لاحد من الامم كلها
قديمها وحديثها اسناد موصول انما هو صحف في ايديهم
وقد خلطوا بكتبهم اخبارهم فليس عندهم تمييز بين ما نزل
من التوراة والانجيل وبين ما الحقوا بكتبهم من الاخبار التي
اتخذوها اي نقلوها عن غير الثقات قال ابن حزم نقل الثقة حتي
يبلغ به النبي صلي الله عليه وسلم مع الاتصال شيء خص به المسلمون دون
جميع الملل اما مع الارسال والاعضال فيوجد في اليهود لكن لا يقربون
به من موسي قربنا من نبينا بل يقفون حيث يكون بينهم وبينه اكثر من ثلاثين
نفسا وانما يبلغون به الي نوح وشمعون واما النصاري فليس عندهم من
صفة هذا النقل الا تحريم الطلاق وهذه الامة الشريفة زادها الله
شرفا بنبيها انما تنص اي تروي الحديث عن الثقة المعروف
في زمانه بالصدق والامانة عن مثله حتي تتناهي اخبارهم
لكن هذا الحصر انما يكون لرواة الصحاح والحسن اذ الضعيف بانواعه قد
رووه كثيرا ثم يبحثون اشد البحث حتي يعرفوا الاحفظ
فالاحفظ والاضبط فالاضبط لما حفظ في صدره بانه يثبت ما سمعه
بحيث يتمكن من استحضاره متي شا او بكتابته بصيانته عنده منذ
سمع فيه وصححه الي ان يودي منه والاطول مجالسة لمن فوقه اي
شيخه ممن كان اقصر مجالسة له فان قدم السماع من اقسام العلو
النسبي ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها تارة واكثر اخرى
حتي يهذبوه من الغلط والزلل ويضبطوا احرفه ويعدوه
عدا ويبينوا الالفاظ التي اختلفت فيها الرواة وعذر اصحاب الحديث
في اكثر طرق الحديث الواحد ليعتمد عليه اذ المقبول ما اتصل سنده
وعدلت رجاله او اعتضد بعض طرقه ببعض حتي تحصل القوة بالصورة
المجموعة ولو كان كل طريق منها لو انفردت لم تكن القوة فيها مشروعة
والاعراض عن ذلك يستلزم ترك العمل بكثير من الاحاديث اعتمادا علي
ضعف الطريق التي فيها مقال وقد قال عبد الله بن جعفر بن خالد سالت

ابراهيم

ابراهيم بن سعيد الجوهري البغدادي يعني شيخ مسلم واصحاب السنن
عن حديث لابي بكر الصديق فقال لجاريته اخرجي لي الجزء الثالث
والعشرين من مسند ابي بكر فقلت لا يصح لابي بكر خمسون حديثا فمن
اين ثلاثة وعشرون جزءا فقال كل حديث لا يكون عندي من مائة وجه
فانا فيه يتيم فهذا من فضل الله علي هذه الامة فنستودع
الله شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه فانه اذا استودع شيا
حفظه وقال ابو حاتم محمد بن ادريس بن داود الرازي الحنظلي عن
احمد وقتيبة وخلق وعنه ابو داود والنسائي وابن ماجة واخرون قال
الخطيب كان احد الائمة الحفاظ الاثبات مشهورا بالعلم مذكورا بالفضل وثقه
النسائي وغيره قال ابن يونس قدم مصر فقيها وكتب عنه مات بالري سنة
خمس وقيل سنة سبع وسبعين ومائتين لم يكن في امة من الامم منذ
اي حين خلق الله ادم امنا جمع امين يحفظون اثار الرسل الا
في هذه الامة وهذا رواه ابن عساكر عن الرازي المذكور بلفظ لم يكن في امة
من الامم منذ خلق الله ادم امة يحفظون اثار نبيهم وانسابه خلفهم كهذه الامة
وفي تاريخ ابن عساكر ايضا عنه لم يكن في امة من الامم امة يحفظون اثار نبيهم
غير هذه الامة فقيل له ربما رووا حديثا لا اصل له قال علماؤهم يعرفون
الصحيح من السقيم فروايتهم للواهي للمعرفة ليتبين لمن بعدهم انهم
ميزوا الاثار فيها وحفظوها واخرج الحاكم وابو نعيم وابن عساكر عن
علي مرفوعا اذا كتبتم الحديث فاكتبوه باسناده فان يك حقا كنتم شركا
في الاجر وان يك باطلا كان وزره عليه وفيه شرف اصحاب الحديث ورد علي
من كره كتابته من السلف والنهي عنه في خبر اخر منسوخ او مؤول
ومنها انهم اوتوا الانساب اي معرفتها والاعراب اي الابانة
والكلام الفصيح وكل منهما مما يتنافس فيه المتنافسون وقد قال صلي الله
عليه وسلم تعلموا من انسابكم ما تصلوا به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في
الاهل مثراة في المال منساه في الاثر رواه احمد والترمذي والحاكم صحيحا عن
ابي هريرة ولا يعارضه قوله صلي الله عليه وسلم علم النسب علم لا ينفع وجهالة
لا تضر رواه ابو نعيم وغيره عن ابي هريرة لان النهي عنه الاسترسال
فيه بحيث يشتغل به عما هو اهم منه كما يفيده قوله وجهالة لا تضر اما
علمه بقدر ما يصل به رحمه فمحبوب مطلوب فقد قال صلي الله عليه وسلم
تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية
ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا رواه ابن زنجويه قال ابو بكر محمد
ابن احمد ابن عبد الباقي بن منصور البغدادي الحافظ الامام القدوة
كان فاضلا حسن القراءة للحديث ورعا ثبتا زاهدا ثقة قايما باللغة
علامة في الادب مات في ثاني ربيع الاول سنة تسع وثمانين واربعمائة
بلغني ان الله خص هذه الامة بثلاثة اشيا لم يعطها

من قبلها من **الامم الاسناد والانساب والاعراب انتهى وهو**
مروي عن ابي علي الامام الحافظ الثبت الحسين بن محمد الاندلسي
الجياني بفتح الجيم والتحتية المثقلة ونون بلدة كبيرة بالاندلس ولد في
محرم سنة سبع وثلاثين واربعمائة واخذ عن الباجي وابن عتاب وابن عبد
البر وخلق ولم يخرج من الاندلس وكان من جهابذة الحفاظ بصيرا باللغة
والعربية والشعر والانساب صنف في كل ذلك ورحل اليه الناس وتصدر بجامع
قرطبة واخذ عنه الاعلام مع التواضع والصيانة توفي ليلة الجمعة ثاني عشر
شعبان سنة ثمان وتسعين واربعمائة **ومنها انهم اوتوا تصنيف الكتب**
ذكره بعضهم قال ابن العربي في شرح الترمذي لم يكن قط في امة من
الامم من انتهى الى حد هذه الامة من التصرف في التصنيف والتحقيق
ولا جاراها في مداها من التفريع والتدقيق وتصنيف الكتب وتدوين العلوم
وحفظ سنة نبيهم اي اقواله وافعاله فتدوين العلوم وتصنيفها وتقرير
القواعد وكثرة التفريع وفرض ما لم يقع وبيان حكمه وتفسير القرآن
والسنة واستخراج علوم الادب وتتبع كلام العرب امر مندوب اليه واهله
خير الخليقة وقال العراقي في شرح المحصول من خصائصه صلى الله عليه
وسلم ان الواحد من امته يحصل له في العمر القصير من العلوم والفهوم ما لم
يحصل لاحد من الامم السابقة في العمر الطويل ولهذا تهيا للمجتهدين من
هذه الامة من العلوم والاستنباطات والمعارف ما تقصر عنه اعمارهم
انتهى وقال قتادة اعطى الله هذه الامة من الحفظ ما لم يعطه احدا من
الامم خاصة خصهم بها وكرامة اكرمهم بها انتهى **ولا تزال طائفة**
منهم اي من امة الاجابة **ظاهرين** اي غالبين **على الحق** منصورين
على من خالفهم واحتمال ان المراد بالظهور الشهرة وعدم الاستتار هو
بعيد **حتى ياتي امر الله** وهو وقوع الآيات العظام التي يعقبها قيام
الساعة ولا يتخلف عنها الا قليلا وفي مسلم عن جابر بن سمرة رفعه
لن يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة
اي الى قرب قيامها والمراد تقوم ساعتهم وهي حين تاتي الريح فتقبض
روح كل مومن فلا تنافي بينه وبين خبر مسلم لا تقوم الساعة الا على
شرار الناس وخبر مسلم والترمذي عنه صلى الله عليه وسلم لا تقوم
الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله **رواه الشيخان** من حديث
المغيرة بن شعبة رفعه لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى ياتي
امر الله وهم على ذلك قال البخاري في الصحيح والطائفة اهل العلم وقال
النووي في التهذيب حمله العلماء وجمهورهم على اهل العلم وقد دعى
لهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها
فاداها كما سمعها وجعلهم عدولا في حديث يحمل هذا العلم من كل خلف
عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وهذا اخبار منه

بصيانة

بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه وانه تعالى يوفق له في كل
عصر عدولا يحملونه وينفون عنه وهو من اعلام نبوته ولا يضر
معه كون بعض الفساق يعرفون شيئا من العلم لان الحديث انما هو
اخبار بان العدول يحملونه لا ان غيرهم لا يعرف منه شيئا وقال النووي
ايضا يجوز ان تكون الطائفة جماعة متعددة من انواع الامة ما بين
شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومفسر ومحدث وقائم بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وزاهد وعابد ولا يلزم اجتماعهم ببلد واحد بل يجوز
اخلاء الارض كلها من بعضهم اولا فاولا الى ان لا يبقى الا فرقة واحدة
ببلد واحد فاذا انقرضوا جاء امر الله بقيام الساعة انتهى وفيه معجزة
بينة فان اهل السنة لم يزالوا ظاهرين في كل عصر الى الان فمن حين ظهرت
البدع على اختلاف صنوفها من خوارج ومعتزلة ورافضة وغيرهم
لم يقم لاحد منهم دولة ولم يستمر لهم شوكة بل كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله بنور الكتاب والسنة وزعمت المتصوفة انه الاشارة اليهم
لانهم لزموا الاتباع بالاحوال واغناهم الاتباع عن الابتداع **ومنها**
ان فيهم اي الامة **اقطابا** ولا يلزم منه تعددهم في زمن واحد فلا
يخالف قوله الاتي والغوث واحد وتصريح غيره بان القطب واحد كلما
مات ابدل قال اليافعي في الكفاية سمي قطبا لدورانه في جهات الدنيا
الاربع كدوران الفلك في افق السماء وقد سترت احوال القطب وهو الغوث
عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه غير انه يرى عالما كجاهل
وابله كفطن تاركا اخذا قريبا بعيدا سهلا عسرا امنا حذرا وقال غيره
الاقطاب جمع قطب وهو الخليفة الباطن وسيد اهل زمانه سمي قطبا لجمعه
جميع المقامات والاحوال ودورانها عليه ماخوذ من القطب وهو الحديدة
التي تدور عليها الرحى ولا يعرف القطب من الاولياء الا القليل جدا بل قال
جمع لا يراه احد الا بصورة استعداد الرائي فاذا راه لم يره حقيقة وذهب
قوم الى ان مرتبة القطبانية ثقيلة جدا قل ان يقيم فيها احد اكثر من ثلاثة
ايام وجمع الى انها كغيرها من الولايات يقيم فيها صاحبها ما شاء الله
ثم ينعزل قال الخواص والذي اقوله وتساعده الوجدان انها ليس لها
مدة معينة وان صاحبها لا ينعزل الا بالموت واول من تقطب بعد النبي
صلى الله عليه وسلم الخلفاء الاربعة على ترتيبهم في الخلافة ثم الحسن
هذا ما عليه الجمهور وذهب بعض الصوفية الى ان اول من تقطب بعده
ابنته فاطمة قال بعض ولم اره لغيره واول من تقطب بعد الصحابة عمر
ابن عبد العزيز واذا مات القطب خلفه احد الامامين لانهما بمنزلة الوزيرين
له احدهما مقصور على عالم الملكوت والاخر على عالم الملك والاول اعلى
مقاما من الثاني **واوتادا اربعة** في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون
وهم العمد وهم حكم الجبال في الارض ولذا سموا اوتادا يحفظ الله باحدهم

المشرق والاخر المغرب والاخر الجنوب والاخر الشمال وروى ابن
عساكر من حديث علي الاوتاد من ابناء الكوفة اي اصلهم لا انها مقرهم
وروى الحكيم الترمذي عن ابي الدرداء ان الانبياء كانوا اوتاد الارض
فلما انقطعت النبوة ابدل الله مكانهم قوما من امة محمد صلى الله
عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة لكن بحسن الخلق
والنية وصدق الورع وسلامة القلوب للمسلمين والنصح لله في ابتغا
مرضاته بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة فهم خلفا الانبيا
قوم اصطفاهم الله لنفسه واستخلصهم لعلمه يدفع الله بهم
المكاره عن الارض والبلايا عن الناس وبهم يرزقون ويمطرون قال
الحكيم فيها ولا امات هذه الامة فاذا ماتوا فسدت الارض وخربت
الدنيا وذلك قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الاية
ونجبا يسمون بسكنهم مصر ورتبتهم فوق النقبا ودون الابدال
على ما ياتي **وابدال** بفتح الهمزة جمع بدل سموا بذلك لانه اذا مات
واحد ابدل مكانه اخر او لانهم اعطوا من القوة ان يتركوا ابدانهم
حيث يريدون اي اخلفوا صورة على صورتهم بحيث ان كل من راها
لا يشك في انه هو وهو لفظ مشترك يطلقونه على من تبدلت اوصافه
الذميمة بمحمودة ويطلقونه على عدد خاص مختلف في قدره قاله
ابن عربي واخرج الحاكم في كتاب الكنى له عن عطا بن ابي رباح مرسلا
الابدال من الموالي ولا يبغض الموالي الا منافق قال الحافظ ابن حجر
في فتاويه الابدال ورد في عدة اخبار منها ما يصح وما لا واما القطب
فورد في بعض الاثار واما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم
يثبت انتهى **عن انس مرفوعا الابدال اربعون رجلا** وفي حديث
عبادة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم وكل منهما يعكر على قول
الرافعي الاصح انهم سبعة وقيل اربعة عشر وجمع بين الحديثين بان
ثلاثين منهم قلوبهم على قلب ابراهيم والعشرة ليسوا كذلك كما يصرح
به خبر الحكيم الترمذي عن ابي هريرة ويرده حديث ابن مسعود لا يزال
اربعون رجلا من امتي على قلب ابراهيم وجمع بان البدل له اطلاقان كما
تفيده الاحاديث في تخالف علاماتهم وصفاتهم او انهم يكونون في زمان
اربعين وفي اخر ثلاثين ورد بقوله ولا الاربعون اي ينقصون كلما مات
رجل الخ او ان تلك الاعداد اصطلاح لوقوع الخلاف في بعضهم كالابدال
فقد يكون في ذلك العدد نظروا الى مراتب عبروا عنها بالابدال والنقبا
والنجبا والاوتاد وغير ذلك والحديث نظر الى مراتب اخرى والكل
متفقون على وجود تلك الاعداد وبعد هذا لا يخفى والاولى في الجمع بين
الحديثين ان الاخبار بالثلاثين كان قبل ان يعلمه الله بالاربعين بدليل
زيادة النسائي في حديث انس هذا بقوله **واربعون امراة كلما مات**

رجل

رجل ابدل الله رجلا مكانه واذا ماتت امراة ابدل الله
مكانها امراة فاذا كان عند قيام الساعة ماتوا جميعا **رواه**
ابو محمد الحسن بن ابي طالب بن محمد بن الحسن بن علي **الخلال** بفتح
الخا المعجمة وشد اللام الحافظ البغدادي ولد سنة اثنين وخمسين وثلثماية
وسمع ابن شاذان وغيره وعنه الخطيب وغيره قال الخطيب كان ثقة
خرج المسند على الصحيحين مات سنة تسع وثلاثين واربعماية في
كتابه المولف **كرامات الاولياء** واورده ابن الجوزي في الموضوعات من
سرد احاديث الابدال وطعن فيها واحدا واحدا وحكم بوضعها ونقبه
السيوطي بان خبر الابدال صحيح وان شئت قلت متواتر واطال في بيان
ذلك ثم قال هذا بالغ حد التواتر المعنوي بحيث يقطع بصحة وجود
الابدال ضرورة **رواه** اي حديث انس **الطبراني في الاوسط** قال
الحافظ نور الدين الهيثمي باسناد حسن **بلفظ لن** قال الطيبي
لن لتاكيد النفي في المستقبل وتقريره **تخلو الارض من اربعين رجلا**
مثل خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام اي انفتح لهم طريق الى
الله على طريق ابراهيم وفي ايثار الرحمن والخلة مزيد مقام وايماء الى
مناسبة المقام اذ من كان مرضيا للرحمن حقه ان ينشا عنه صفة الرحمة
من نفع البلاد والعباد **فبهم تسقون وبهم تنصرون** على الاعدا
اي بوجودهم او بدعائهم وهو الاظهر فقد فسره ابن مسعود بذلك
وتفسيره مزية لانه ادرى بما سمع روى ابو نعيم عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل في الخلق ثلثماية
قلوبهم على قلب ادم ولله في الخلق اربعون قلوبهم على قلب موسى ولله
سبعة في الخلق قلوبهم على قلب ابراهيم ولله في الخلق خمسة قلوبهم
على قلب جبريل ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكايل ولله في
الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه
من الثلاثة واذا مات من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة واذا مات
من الخمسة ابدل الله مكانه من السبعة واذا مات من السبعة ابدل الله
مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين ابدل مكانه من الثلثماية
واذا مات من الثلثماية ابدل الله مكانه من العامة فبهم يحيي ويميت
ويمطر وينبت ويدفع البلا قيل لابن مسعود كيف بهم يحيي ويميت قال
لانهم يسالون الله اكثار الامم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون
ويستسقون فيسقون ويسالون فتنبت الارض ويدعون فيدفع بهم
انواع البلا قال في الفتوحات معناه انهم يتقلبون في المعارف الالهية
تقلب ذلك الشخص اذ كانت واردات العلوم الالهية انما ترد على
القلوب فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من ملك او رسول يرد على
هذه القلوب التي هي على قلبه وربما يقول بعضهم فلان على قدم

فلان ومعناه ما ذكروقال اليافعي في الكفاية عن بعض العارفين الواحد
الذي علي قلب اسرافيل هو القطب ومكانه في الاوليا كالنقطة في الدايرة
التي هي مركز لها به يقع صلاح العالم وقال عن بعضهم لم يذكر ان احدا علي
قلبه صلي الله عليه وسلم لانه لم يخلق الله في عالم الخلق والامر اعز والطف
واشرف من قلبه فقلوب الانبيا والملايكة والاوليا بالاضافة الي قلبه كاضافة
ساير الكواكب الي كامل الشمس انتهي وهذا يرد قول ابن عربي احد الاوتاد
علي قلب عيسي عليه السلام وله ركن الحجر الاسود **ما مات منهم احد**
الا ابدل الله مكانه اخر بان اقامه مقامه في التصرف الذي كان
امر به في حياته فلا يرد ان الاوليا يتصرفون بعد موتهم تصرفا تخاصة
تمكنوا منها وفعلوها لا لكونهم مامورين بها لزوال التكليف بالموت
ورواه ابن عدي في كامله بلفظ البدلا اربعون اثنان وعشرون
بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم احد ابدل الله
مكانه اخر فاذا جا الامر قرب الساعة وهو الريح التي تاتي يقبض
روح كل مومن ومومنة **قبضوا كلهم** وليس المراد بالامر النفخة الاولي
لان هولا من خيار الخلق وقد قال صلي الله عليه وسلم لا تقوم الساعة الا
علي شرار الناس رواه مسلم وقال هنا **فعند ذلك** اي يجي الامر **تقوم**
الساعة جعل قيامها عقب موتهم لانه يقرب من قيامها والقريب من
الشي يعده العرف عنده او المراد ساعتهم كامر نظيره **وكذا يرويه كما**
عند احمد في المسند والخلال نسبة الي الخل الماكول **من حديث**
عبادة بن الصامت مرفوعا باسناد حسن **لا يزال في هذه الامة**
ثلاثون مثل ابراهيم وفي لفظ لاحمد من حديث عبادة الابدال في هذه الامة
ثلاثون رجلا قلوبهم علي قلب ابراهيم **خليل الرحمن كلما مات واحد**
وفي لفظ رجل **ابدل الله تعالي مكانه رجلا** فلذا سموا ابدالا وقيل لانهم
بدلوا الاخلاق السيئة حسنة وراضوا انفسهم حتي صارت محاسن اخلاقهم
حلية اعمالهم قال العارف المرسي كنت جالسا بين يدي استاذي الشاذلي فدخل
جماعة فقال هولا ابدال فنظرت ببصيرتي فلم ارهم ابدالا فتحيرت فقال الشيخ
من بدل سياته حسنات فهو بدل فعلمت انه اول مراتب البدلية وعند ابن
عساكر ان ابن المثني سال احمد بن حنبل ما تقول في بشر ابن الحارث قال لي رابع
سبعة من الابدال وقال المرسي جلت في الملكوت فرايت ابا مدين معلقا بساق
بساق العرش رجل اشقر ازرق العين فقلت له ما علومك وما مقامك قال
علومي احد وسبعون علما ومقامي رابع الخلفا وراس الابدال السبعة قلت
فالشاذلي قال ذاك بحر لا يحاط به فظاهر هذا ان الابدال مراتب الثلاثين مختلفة
وفي لفظ الطبراني في الكبير باسناد صحيح من حديث عبادة الابدال
في امتي ثلاثون **بهم تقوم** اي تعمر وتنتظم امور اهلها ببركتهم ودعايهم
وبهم يمطرون وبهم ينصرون علي الاعدا **ولابي نعيم في الحلية**

باسناد

باسناد ضعيف لا موضوع كما زعم ابن الجوزي والذهبي فغاية ما في اسناده
رجلان مجهولان وذلك لا يقتضي الوضع بحال **عن ابن عمر** ابن
الخطاب **رفعه خيار امتي في كل قرن خمسماية** من الناس **والابدال**
اربعون رجلا **فلا الخمسماية ولا الاربعون** ينقصون **كلما مات**
رجل ابدل الله مكانه اخر وبقية هذا الحديث في الحلية قالوا يا رسول
الله دلنا علي اعمالهم قال يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الي من اسا اليهم
ويتواسون فيما اتاهم الله **وهم في الارض كلها** فلا يختص وجودهم
بمكان دون اخر ويويد هذا ما رواه الحكيم الترمذي ان الارض شكت الي
ربها انقطاع النبوة فقال تعالي فسوف اجعل علي ظهرك اربعين صديقا
كلما مات منهم رجل ابدلت مكانه رجلا ولا يعارضه حديث الابدال بالشام
لجواز انها مقرهم ولكن يتصرفون في الارض كلها **وفي الحلية ايضا عن ابن**
مسعود رفعه لا يزال اربعون رجلا من امتي علي قلب ابراهيم
اي علي حال مثل قلبه في تخصيصه وقلبه لافادة الصبر علي البلا بذبح الولد
والاحتساب بالوفي والرضي مع التلذذ بما يرضاه الحبيب والتحبب الي الخلق
والبذل والكرم والمبادرة الي التكاليف باصدق الهمم **يدفع الله بهم**
عن اهل الارض كلها وخبر الابدال في اهل الشام وبهم ينصرون وبهم
يرزقون رواه الطبراني بسند حسن عن عوف بن مالك ونحوه وبنحوه حديث
علي عند احمد لا يخالفه لان نصرتهم لمن هم في جوارهم اتم وان كانت اعم
يقال لهم الابدال انهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا
بصدقة قال فبم ادركوها يا رسول الله قال بالسخا والنصيحة
للمسلمين ولا يرد هذا علي قول ابي طالب في قوته يصير الابدال ابدالا بالصمت
والعزلة والجوع والسهر لان من بهذه الصفات يتصف بالسخا والنصيحة
ولابن ابي الدنيا عن علي قلت يا رسول الله صفهم لي قال ليسوا بالمتنطعين
ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صيام ولا صلاة ولكن
بسخا الانفس وسلامة القلوب والنصيحة لايمتهم قال ابن عربي في كتابه
حلية الابدال اخبرني صاحب لنا قال بينا انا ليلة في مصلاي قد اكملت وردي
وجعلت راسي بين ركبتي اذكر الله تعالي اذ احسست بشخص قد نقض مصلاي
من تحتي وبسط حصيرا بدلها وقال صلي الله عليه وسلم قد احلني منه
فرع فقال من يانس بالله لم يجزع قال اتق الله في كل حال ثم الهمت الصبر
فقلت بماذا يصير الابدال ابدالا قال بالاربعة التي ذكر ابو طالب في القوت
الصمت والعزلة والجوع والسهر ثم انصرف ولا اعرف كيف دخل ولا خرج
وبابي مغلق قال ابن عربي وهذا رجل من الابدال اسمه معاذ بن اشرس والاربعة
المذكورة هي عماد هذا الطريق وقوامه ومن لا قدم له فيها ولا رسوخ فهو تايه
عن طريق الله تعالي واذا رحل البدل عن موضع ترك فيه بدله حقيقة روحانية
يجتمع اليها ارواح اهل ذلك الوطن الذي رحل عنه هذا الولي فان ظهر

مشوق شديد من اناس ذلك الموطن لهذا الشخص تجسدت لهم تلك الحقيقة
الروحانية التي تركها بدله فكلمتهم وكلموها وهو غايب عنهم وقد يكون هذا
في غير البدل لكن الفرق بينهما ان البدل يرجع ويعلم انه ترك غيره وغير
البدل لا يعرف ذلك وان تركه لانهم يحكم هذه الاربعة المذكورة قال وفي ذلك قلت

يا من اراد منازل الابدال * من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن بها فلست من اهلها * ان لم تزاحمهم على الاحوال
واصمت بقلبك واعتزل عن كل من * يدنيك غير الحبيب الوالي
واذا سهرت وجعت نلت مقامهم * وصحبتهم في الحل والترحال
بيت الولاية قسمت اركانه * سادا تنا فيه من الابدال

وعن معروف بن فيروز الكرخي بفتح فسكون فخا معجمة نسبة الى
كرخ بغداد الامام شيخ السلسلة استاذ السري السقطي لم يكن في العراق
من يوجب المريدين في زمنه مثله حتى عرف جميع المشايخ فضله وكان
ابن حنبل وابن معين يختلفان اليه وسيما لانه ولم يكن مثلهما في علم الظاهر
فيقال لهما مثلكما يفعل ذلك فيقولان كيف يفعل اذا جانا امر لم نجده في كتاب
الله ولا سنة رسوله وقد قال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين وكراماته
كثيرة وكان يهدي اليه طيبات الطعام فياكل فقيل له ان اخاك بشرا الحافي
لا ياكل فيقول اخي قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة انما انا ضيف في
دار مولاي مهما اطعمني اكلت مات سنة احدي ومايتين من قال اللهم
ارحم امة محمد في كل يوم كتبه الله من الابدال ان فعل الطاعات
واجتنب المنهيات او ان قابل ذلك وان كان مرتكبا للحرام يوفق للتوبة
النصوح الى ان يكون منهم حقيقة نحو حديث من حفظ على امتي اربعين
حديثا وخبر اعطي اجر شهيد وهو في الحلية عن معروف بلفظ من
قال في كل يوم عشر مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم فرج
عن امة محمد اللهم ارحم امة محمد كتبه من الابدال مصاحبة
ووصفا بحيث يحشر معهم لا ذاتا فلا ينافي ان قابل ذلك يكون منهم وان ولد
لهم اولاد كثيرة وعن غيره قال من علامة الابدال ان لا يولد لهم
لئلا يشتغلوا بالاولاد عما اقيموا فيه ولا يرد على ذلك الانبيا ونحوهم لان
البدلا لم يصلوا الى مقامهم ويروى في مرفوع الى النبي صلى الله عليه
وسلم معضل بان سقط من سنده اثنان فوق وهذا رواه ابن ابي الدنيا
في كتاب الاوليا عن بكر بن خنيس بمعجمة ونون ومهملة مصغر الكوفي
صدوق له اغلاط قال قال النبي صلى الله عليه وسلم علامة ابدال امتي
انهم لا يلعنون شيا من المخلوقات ابدا لان اللعن الطرد والبعد عن
الله وهم انما يقربون الى الله ولا يبعدون عنه ويروى عن معاذ مرفوعا
ثلاث من كن فيه فهو من الابدال الرضى بالقضا والصبر عن محارم الله
والغضب في ذات الله رواه الديلمي وقال يزيد بضم التحتية اوله فزاي ابن

هارون

هارون السلمي مولاهم ابو خالد الواسطي ثقة متقن من رجال
الجميع عابد مات سنة ست ومايتين وقد قارب التسعين الابدال
هم اهل العلم النافع وهو علم الظاهر والباطن لا الظاهر وحده
وقال احمد الامام ابن حنبل ان لم يكونوا اصحاب الحديث فمن هم
قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في فضل الشام له مراد احمد باصحاب الحديث
من حفظه وعلمه وعمل به فانه نص ايضا على ان اهل الحديث من عمل
بالحديث لا من اقتصر على طلبه ولا ريب ان من علم سنن النبي صلى الله عليه وسلم
وعمل بها وعلمها الناس فهو من خلفا الرسل وورثة الانبيا ولا احد احق
بان يكون من الابدال منه انتهى وقال غيره مراده من هو مثله ممن جمع بين
علمي الظاهر والباطن واحاط بالاحكام والحكم والمعارف كساير الايمة الاربعة
ونظرايهم فهولا اخيار الابدال والنجبا والاوتاد فاحذر ان يسوطنك باحد
منهم وان يسول لك الشيطان ومن استولى عليه ممن لم يهتد بنور المعرفة
ان المجتهدين لم يبلغوا تلك المرتبة وقد اتفقوا على ان الشافعي كان من الاوتاد
وقيل انه تقطب قبل موته وفي تاريخ بغداد للخطيب وتاريخ الشام
لابن عساكر كلاهما عن الكتاني بالفتح والفوقية نسبة الى الكتان وعمله
الامام المحدث المتقن ابي محمد عبد العزيز بن احمد بن محمد بن علي التميمي الدمشقي
محدث دمشق ومفيدها سمع الكثير والف وجمع قال الذهبي ويحتمل ان يوصف
بالحفظ في زمنه ولو وجد في زماننا لعد في الحفاظ وقال ابن الاثير حافظ كبير
متقن روى عن تمام بن محمد وغيره وعنه الخطيب وابن ماكولا وغيرهما مات
سنة تسع وثمانين وثلثماية قال النقبا ثلثماية لعلهم الذين قال
فيهم قلوبهم على قلب ادم والنجبا سبعون والبدلا اربعون
والاخيار سبعة والعمد اربعة وهم الاوتاد والغوث واحد
فمسكن النقبا المغرب ومسكن النجبا مصر المدينة المعروفة
فلا تصرف كقوله ادخلوا مصر ومسكن الابدال الشام اي اكثرهم فلا
يخالف ما مر ان ثمانية عشر بالعراق ان صح ثم المراد محل اقامتهم فلا ينافي
تصرفهم في الارض والاخيار سياحون في الارض لا يستقرون بمكان
والعمد الاوتاد في زوايا الارض اي جهاتها الاربع واحد بالمشرق
واخر بالمغرب واخر بالجنوب واخر بالشمال قال ابن عربي ولكل ركن من
البيت ويكون على قلب نبي فالذي على قلب ادم له الركن الشامي والذي على قلب
ابراهيم العراقي وقلب عيسى اليماني وقلب محمد له ركن الحجر الاسود كذا قال
وهو مخالف لما سبق ان قلبه المصطفى لا ينحصر على احد فلذا لم يذكر ان احدا
على قلبه ومسكن الغوث وهو القطب الفرد الجامع مكة وقيل
اليمن رواه ابن عساكر عن ابي سليمان الداراني والاصح ان اقامته
لا تختص بمكة ولا بغيرها بل هو جوال وقلبه طواف في حضرة الحق
تقدس لا يخرج من حضرته ابدا ويشهده في كل جهة ومن كل جهة ومما

جافية كما قال بعض المحدثين خبر ابي نعيم مرفوعا ان الله تعالى
في كل بدعة كيد بها الاسلام واهله وليا صالحا يذب عنه ويتكلم بعلاماته
فاغتنموا حضور تلك المجالس بالذب عن الضعفا وتوكلوا على الله
وكفى بالله وكيلا فاذا عرضت الحاجة من امور العامة ابتهل
فيها النقبا ثم النجبا ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان
اجيبوا والا ابتهل الغوث بخصوص تلك الحاجة فلا يخالف ما
ورد ان دعوة المومن لا ترد لاسيما وحال هولا يقتضي اجابة دعايهم
دايما الا ان الاجابة قد تكون بخصوص المسيول وقد تكون بغيره وقد
تدخر للقيامة وقد تؤخر الاجابة فتشتد الضرورة لحصول المطلوب في
ذلك الوقت فيبتهل الغوث لتنجيز المسيول دفعا للضرورة ما امكن فلا
تتم مسالته حتى تجاب دعوته لطفا من الله بعباده وقد زعم ابن
الجوزي ان احاديث الابدال كلها موضوعة ونازعه السيوطي وقال خبر
الابدال صحيح وان شيت قلت متواتر يعني تواترا معنويا كما اشار اليه بعد
وقال السخاوي وله طرق عن انس بالفاظ مختلفة كلها ضعيفة ثم ساق ما
ذكره المص وزيادة ثم قال واحسن مما تقدم ما رواه احمد من حديث شريح
يعني ابن عبيد قال ذكر اهل الشام عند علي وهو بالعراق فقالوا العنهم يا امير
المومنين قال لا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول البدلا يكونون
بالشام وهم اربعون رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا يستسقى بهم
الغيث وينتصر بهم على الاعدا ويصرف عن اهل الشام بهم العذاب رجاله
من رواة الصحيح الا شريحا وهو ثقة انتهى وقال السيوطي حديث علي هذ
اخرجه احمد والطبراني والحاكم من طرق اكثر من عشرة انتهى قال السخاوي
ومما يقوي الحديث ويدل لانتشاره بين الايمة قول الشافعي في بعضهم كنا نعده
من الابدال وقول البخاري في غيره كانوا لا يشكون انه من الابدال وكذا وصف
غيرهما من النقاد والحفاظ والايمة غير واحد بانهم من الابدال ويقال ما تغرب
الشمس يوما الا ويطوف بالبيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا
ويطوف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض
ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم غير معرضين عنها ولا
تايبين ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المومنين
لهم بيان لسبب خروجهم بلا ذنوب كانه قال لانها تمحص عنهم بسبب
طلب المغفرة لهم والتمحيص تنقيص الشي شيا فشيا الى ان تذهب
فاستغفار المومنين يزيل الذنوب شيا فشيا حتى تذهب فيخرج من
قبره طاهرا منها وقد يكون بحسابه في قبره ويستوفى منه فيه اما بعقابه
على جميعها او على بعضها مع العفو عن باقيها فيخرج ايضا طاهرا
منها قال الحكيم الترمذي انما حوسب المومن في قبره ليكون اهون عليه
في الموقف فتمحص ذنوبه في البرزخ فيخرج منه وقد اقتص منه وايضا

لستترهم

لستترهم في المحشر حيث لم يكن عليهم ما يفتضحون به على روس الاشهاد
رواه الطبراني في الاوسط من حديث انس ولفظه قال
رسول الله صلى الله وسلم امتي اي امة الاجابة امة مرحومة
من الله او من بعضهم لبعض مغفور لها من ربها منا منه عليها من الله
بمعنى انه لا يتركها مصرة على الذنب ورواه ابن ماجة والبيهقي في البعث
بلفظ ان هذه الامة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها والروايتان
متفقتان معنى في صدر الحديث ولفظا ومعنى في باقيه وتخرج من
قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المومنين
لها فتزول جميعها حقيقة او حكما بزوال معظمها للادلة القطعية انه
لابد من دخول طايفة من عصاة هذه الامة النار لكنه لما قل بالنسبة لما
ذهب نزل منزلة العدم حتى كانها غفرت جميعها وروى ابو داود وغيره
امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة انما عذابها في الدنيا
في الفتن والزلازل والقتل والبلايا ونفي عذابها في الاخرة بمعنى ان من
عذب منهم لا يحس بالم النار الا قليلا كما ورد مرفوعا اذا ادخل الله الموحدين
النار اماتهم فيها اماتة فاذا اراد ان يخرجهم منها امسهم الم العذاب
تلك الساعة رواه الديلمي وفي تحفة المحتاج صلى الله عليه وسلم انما حر
جهنم على امتي كحر الحمام رواه الطبراني برجال ثقات ولا تناقض بين
الحاضرين لانها تكون عليهم عند احيايهم والامر باخراجهم كحر الحمام
اللطيف الذي لا يوذي الجسم ولا يوهنه وروى الدارقطني عن ابن عباس
رفعه ان حظ امتي من النار طول بلايها تحت التراب وزعم ان المراد لا عذاب
عليها في عموم الاعضا لان اعضا الوضو لا تمسها النار تكلف مستغنى عنه
وقوله الفتن اي الحروب والهرج بينهم والبلايا التي منها استيفا الحد من
فعل موجبه وعجلت العقوبة على الذنب في الدنيا لان شان الامم السالفة كان
يجري على سبيل العدل واساس الربوبية وشان هذه الامة يجري على نهج
الفضل فمن ثم ظهر في بني اسرايل السياحة والرهبانية وعليهم في شريعتهم
الاغلال والاصار وظهرت في هذه الامة السماحة ففك عنهم الاغلال ووضع
عنهم الاصار كما مر ومنها انهم اختصوا في الاخرة بانهم اول
من تنشق عنهم الارض من الامم بعد الانبيا رواه ابو نعيم عن
ابن عباس مرفوعا في حديث بلفظ وانا اول من تنشق الارض
عني قبل الانبيا وعن امتي قبل الامم ولا فخر اعظم من ذلك او لا اقوله
افتخارا بل تحدثا بالنعمة ومنها انهم يدعون يوم القيامة الى موقف
الحساب او الميزان او الصراط او الحوض او غير ذلك غرا بضم المعجمة
والتشديد جمع اغر اي ذو غرة محجلين من اثار الوضوء رواه البخاري
ومسلم من حديث ابي هريرة والغرة بياض في وجه اي جبهة الفرس
فوق الدرهم والتحجيل اصله من الحجل بكسر الحا الخلخال بياض فيه

فوايمه الاربع او في ثلاث منها او في غيره وذلك بما يكسبه حسنا
وجمالا امته صلي الله عليه وسلم النور الذي يكون يوم القيامة
في اعضا الوضو بالغرة والتحجيل ليفهم ان هذا البياض
في اعضا الانسان مما يزينه بفتح اوله لاما يشينه دفعا لتوهم
البرص لو قال يدعون بيضا مثلا يعني انهم اذا دعوا علي روس
الاشهاد نودوا بهذا الوصف بان يقال لهم يا غرا يا محجلين لو كانوا
علي هذه الصفة وهي النور الكاين باعضايهم وان نودوا باسمايهم وظاهره
حجة للشافعي في ندبه اطالة الغرة بغسل زايد علي ما وجب من اليدين والرجلين
ومع الوجه مقدم الراس وصفحة العنق وذهب الايمة الثلاثة الي عدم ندبه
ذلك واولوا الاطالة في قوله فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل بادامة
الوضوء ومنها انهم يكونون في الموقف مع نبيهم علي مكان عال عبر
عنه في الحديث تارة بكوم واخري بتل رواه ابن جرير وابن مردويه
من حديث جابر مرفوعا بلفظ انا وامتي نكون علي كوم فهو صلة
محذوف مشرفين علي الخلايق ما من احد الا ود تمني انه منا
لنيل هذا المقام والاستراحة مما في الموقف من الزحام وما من نبي كذبه
قومه الا ونحن نشهد له انه بلغ رسالة ربه كما قال تعالي لتكونوا
شهدا علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابن عبد السلام وهذه
خصوصية لم تثبت لغيرهم وعند ابن مردويه من حديث كعب ابن
مالك الانصاري قال صلي الله عليه وسلم انا وامتي علي تل مكان عال
قال في الانموذج ولهم نوران كالانبيا وليس لغيرهم الا نور واحد ومنها
ان لهم سيما فعلي من سامه اذا اعلمه وقد قريت ممدودة في وجوههم
من اثر السجود قال تعالي سيماهم علامتهم مبتدا في وجوههم
خبره من اثر السجود متعلق بما تعلق به الخبر اي كاينة واعرب حالا
من ضميره المنتقل اليه الخبر وهل هذه العلامة في الدنيا او في الاخرة
فيه قولان احدهما انها في الدنيا قال ابن عباس في رواية ابي طلحة
عنه هي السمت الحسن اي السكينة والوقار وقال ابن عباس في رواية
مجاهد عنه ليست السيما بالتي ترون من الاثر في جباة الساجد بل
هي سمة الاسلام وسيماه وخشوعه وفي البيضاوي تفسيرها بالاثر
قال يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود وقيل هي الصفرة
في الوجه من اثر السجود فتحسبهم مرضي وما هم بمرضي وذلك
محمود بخلاف ما اذا لم يكن بغير سجود ولا علة روي ابو نعيم في الطب عن
انس رفعه اذا رايتم الرجل اصفر الوجه من غير مرض ولا عبادة فذاك
من غش الاسلام في قلبه وروي الديلمي عن ابن عباس مرفوعا احذروا
صفر الوجوه فانه ان لم يكن من علة او سهر فانه من غل في قلوبهم للمسلمين
والقول الثاني انه في الاخرة يعني ان موضع السجود من

وجوههم

وجوههم يكون اشد بياضا يوم القيامة من بقية اجسادهم
يعرفون بتلك العلامة انهم سجدوا في الدنيا رواه العوفي
بفتح المهملة وسكون الواو وبالفا عطية ابن سعد بن جنادة بضم الجيم
بعدها نون خفيفة ابو الحسن الكوفي صدوق يخطي كثيرا وكان شيعيا
مدلسا مات سنة احد عشر وماية روي له ابو داود والترمذي والنسايي
وهو المراد عند الاطلاق كما في الانساب من التقريب فليس المراد به
يحيي بن يعمر قاضي مرو كما توهم من قول اللباب يروي عن ابن عباس
وابن عمر عن ابن عباس وروي عن شهر بن حوشب
الاشعري الشامي مولي اسما بنت يزيد بن السكن تابعي صدوق كثير
الارسال والاوهام مات سنة اثنتي عشر وماية روي له مسلم واصحاب
السنن يكون يوم القيامة مواضع السجود من وجوههم
كالقمر ليلة البدر وايد ذا القول بقوله صلي الله عليه وسلم امتي يوم
القيامة غر من السجود محجلون من الوضوء رواه الترمذي عن عبد
الله بن بسر بضم الموحدة وسكون المهملة اي من اثر سجودهم في الصلاة
واثر وضوءهم في الدنيا وقد سجدت الامم قبلهم فلم يظهر علي جباههم
ذلك النور وتطهروا فلم يظهر علي اطرافهم من ذلك شي فهو علامة هذه
الامة في الموقف بها يعرفون ذكره الحكيم الترمذي ولا تنافي بين هذا الحديث
وبين حديث الصحيحين ان امتي تدعون يوم القيامة غرا محجلين من
اثار الوضوء لان وجه المومن يكسي يوم القيامة نورا من اثر السجود ونورا
من اثر الوضوء نور علي نور فمن كان اكثر نورا واكثر وضوءا في الدنيا كان
وجهه اعظم ضيا واشد اشراقا من غيره فيكونون فيه علي مراتب في عظم
النور والانوار لا تتزاحم الا تري انه لو دخل سراج في بيت ملاه نورا فاذا
ادخل فيه اخر واخر تزايد النور ولا يزاحم الثاني الاول ولا الثالث الثاني
وهكذا وقال عطا بن ابي مسلم ابو عثمان الخراساني واسم ابيه ميسرة
وقيل عبد الله صدوق يهم كثيرا ويرسل ويدلس مات سنة خمس وثلاثين
وماية روي له النسايي وابن ماجة ولم يصح ان البخاري اخرج له ودخل
في هذه الاية كل من حافظ علي الصلوات الخمس فليس المراد
النوافل فقط فما تقرب متقرب الي الله باحب من ادا ما افترض عليه ومنها
انهم يوتون كتبهم بايمانهم رواه البزار وغيره ومنها ان نورهم
يسعي بين ايديهم امامهم علي الصراط ويكون بايمانهم قال تعالي يوم
لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعي بين ايديهم وبايمانهم
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي الي الجنة اخرجه احمد باسناد صحيح
عن النبي صلي الله عليه وسلم اني لاعرف امتي يوم القيامة من بين الامم
اعرفهم يوتون كتبهم بايمانهم واعرفهم بسيماهم في وجوههم من اثر
السجود واعرفهم بنورهم يسعي بين ايديهم زاد الانموذج وهم يمرون علي

الصراط كالبرق والريح ويشفع محسنهم في مسيئهم ومنها أنه
ما سعوا أي عملوا فكتب لهم ثواب أعمالهم أو ما يسعى لهم أي يعمل
لأجلهم من صدقة ودعاء وغيرهما على ما يأتي وليس لمن قبلهم إلا
ما سعى قاله عكرمة رواه ابن أبي حاتم وغيره عنه وأما قوله
تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى قال البيضاوي أي إلا سعيه
أي كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الأخبار من أن الصدقة
والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه ففيها أي معنى الجواب
عنها أجوبة فالظرفية هنا اعتبارية فلا ينافي كأنه المتبادر ففيها
وليس من معاني عن في فلا نود بمعناها فقد ذكر صاحب المغني جملة ما ذكر لعن
عشرة معان ليس فيه ورودها بمعنى في أحدها أنها منسوخة وروي
ذلك عن ابن عباس نسخها قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم
معطوف على آمنوا ذريتهم الكبار والصغار بإيمان من الكبار ومن الآباء
في الصغار ثم الذين آمنوا مبتدأ والخبر قوله ألحقنا بهم ذريتهم المذكورين في
الجنة فيكونون في درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم
فجعل الولد الطفل في ميزان أبيه أي في درجته أو في دخول الجنة ويشفع
الله تعالى الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء أي يأذن لكل منهم في الشفاعة
فيشفع وإذا استشفع قبل شفاعته بدليل قوله تعالى آباؤكم وأبناؤكم
مبتدأ خبره لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا في الدنيا والآخرة فظان أن هو
ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع وبالعكس وإنما العالم هو الله
تعالى ففرض لكم الميراث أخرج ابن مردويه وصححه الضياء المقدسي عن ابن
عباس رفعه إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال
إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالإلحاق
به وأخرجه الطبراني والبزار وأبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا بلفظ ذرية
المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا
إلى قوله وما ألتناهم من عملهم من شيء قال ما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين
هذا وقد ضعف ابن عطية هذا القول بالنسخ بأن قوله وأن ليس الآية خبر
والخبر لا ينسخ ولأن شروط النسخ ليست هنا قال اللهم إلا أن يتجوز في لفظ
النسخ وقال ابن القيم في كتاب الروح ذهبت طائفة إلى أنها منسوخة وروي
عن عباس وهو ضعيف ولا يرفع حكم الآية بمجرد قول ابن عباس ولا غيره
أنها منسوخة قال والجمع بين الآيتين غير متعذر كذا قال وفيه أنه إن صح ما روي
عن ابن عباس كان حكمه الرفع لأنه لا مجال للرأي فيه الثاني أنها مخصوصة
بالكافر أي كافرا وكافر مخصوص اختلف فيه على ما يأتي وأما المؤمن
فله ما سعى أي عمل غيره عنه بنيته على تفصيل وخلاف مقرر في
الفروع قال القرطبي وكثير من الأحاديث يدل على هذا القول وأن
المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره عنه بالنية وفي

الصحيح

الصحيح للبخاري ومسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من مات عام في المكلفين بقرينة قوله وعليه صيام هذا لفظ الصحيحين
ولم يصب من عزاه لهما بلفظ صوم صام عنه ولو بغير إذنه وليه جوازا
لا لزوما وإليه ذهب الشافعي في القديم وعمل به الجمهور وقال في الجديد
وهو مذهب أبي حنيفة ومالك لا يجوز الصوم عن الميت لأنه عبادة بدنية
والمراد بوليه على الأول كل قريب أو الوارث أو عصبته وخرج الأجنبي فإنما
يصوم بإذنه أو وليه بأجر أو دونه وقال صلى الله عليه وسلم للذي
حج عن غيره كما روى أبو داود وابن ماجه برجال ثقات عن ابن عباس أن
النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة فقال من شبرمة
قال أخ أو قريب لي قال حججت عن نفسك قال لا قال حج عن نفسك ثم حج
عن شبرمة بضم الشين المعجمة وإسكان الموحدة وضم الراء قال الحافظ في
تخريج أحاديث الشرح الكبير زعم ابن باطيش أن اسم الملبي نبيشة ومن
النوادر أن بعض القضاة ممن أدركنا صحف شبرمة فقال شبرمية بلفظ
القرية التي بالجيزة انتهى فمن عليه حج الفرض لا يصح حجه عن غيره فإن
أحرم عنه وقع عن نفسه وعليه الشافعي وصححه أبو حنيفة ومالك مع
الكراهة والجمهور على كراهة إجارة الإنسان نفسه للحج لكن حمل على قصد
الدنيا أما بقصد الآخرة لاحتياجه للأجرة ليصرفها في واجب أو مندوب
فلا وعن عائشة أنها اعتكفت عن أخيها شقيقها عبد الرحمن
وأعتقت عنه بعد موته فجأة سنة ثلاث وخمسين وقيل بعدها في طريق
مكة وقال سعد بن عبادة سيد الخزرج للنبي صلى الله عليه وسلم إن
أمي عمرة بنت مسعود الصحابية توفيت سنة خمس والنبي صلى الله عليه
وسلم في غزوة دومة الجندل في شهر ربيع ومعه سعد فلما جاء النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة أتى قبرها فصلى عليها ذكره ابن سعد أفأتصدق عنها
قال نعم قال أي الصدقة أفضل قال سقي الماء ولعله كان وقت
السؤال الناس أحوج إلى الماء من غيره لقلته في ذلك الموضع أو لشدة
حرارته كما هو الغالب في الحجاز وإلا فالصدقة بالطعام وإن قل عند كثرة
الماء وتيسره أفضل والنبي صلى الله عليه وسلم سيد الحكماء فيجيب كل
سائل بما هو الأفضل في حقه قال ابن القيم في كتاب الروح وأفضل
الصدقة ما صادف حاجة من المتصدق عليه وكان دائما مستمرا ومنه
قوله أفضل الصدقة سقي الماء وهذا في موضع يقل فيه الماء ويكثر العطش
وإلا فسقي الماء على الأنهار والقني لا يكون أفضل من إطعام الطعام عند الحاجة
وفي الموطأ للإمام مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو
بن حزم الأنصاري المدني القاضي مات سنة خمس وثلاثين ومائة وهو
ابن سبعين سنة عن عمته أم كلثوم أو أم عمرو وفي عمته الحقيقية
لا المجازية التي هي عمرة بنت حزم جد عبد الله الصحابية لأنه لم يدركها

انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشيا الى
مسجد قبا فماتت ولم تقضه اي لم تفعله فافتى عبد الله بن
عباس انها تمشي عنها ففي هذا كله دلالة على ان للمرء ما سعى
غيره لكن هذا مذهب صحابي وقد اعقبه في الموطا بقوله قال يحيى سمعت
مالكا يقول لا يمشي احد عن احد على ان الراجح ان من نذر مشيا الى غير بيت
الله الحرام وما الحق به لا يجب عليه لا لعبادة ولا لغيرها عند الشافعية
وقال مالك لمن نذر المشي الى المدينة او ايليا فليس عليه ذلك الا ان ينوي
صلاة بمسجديهما فيركب ومن المفسرين من قال ان الانسان في الاية
ابو جهل فرعون هذه الامة ومنهم من قال عقبة ابن ابي معيط
الكافر المقتول بعد انصرافهم من بدر صبرا ومنهم من قال الوليد بن
المغيرة الميت على كفره قبل وقعة بدر فهو جار على هذه الاقوال مخصوص
بواحد مختلف في تعيينه ومنهم من قال الاية اخبار عن شرع من قبلنا
لان قبلها ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم وقد دل شرعنا على ان
الانسان له سعيه وما سعي له وهذا قول عكرمة ومنهم من قال الانسان
سعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته التسبب الاصحاب
اي تسببه في وقوع الصحبة بينه وبين غيره واهديه لهم الخير وتودد
اليهم فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه لان الدال على الخير
كفاعله وقد انتفع اصحابه منه بمعرفة الخصال الحميدة فعملوا بها فحصل له
بتسببه في حصول ذلك لهم مثل ثواب ما عملوه ومنهم من قال الانسان
في الاية للحي دون الميت يعني ان الحي لا يسقط عنه الحج مثلا ما دام
حيا بحج غيره عنه بخلاف ما لو فعل عنه بعد موته فينفعه عند هذا القول
قال ابن القيم في كتاب الروح وهذا ايضا من النمط الاول في الفساد وكله من
سوء التصرف في اللفظ العام وصاحب هذا التصرف لا ينفذ قوله تصرفه في الا
الالفاظ وحملها على خلاف موضوعها وما يتبادر الى الذهن منها وهو
تصرف فاسد قطعا يبطله السياق والاعتبار وقواعد الشرع وادلته
وعرفه وسبب هذا التصرف السيئ ان صاحبه يعتقد قولا ثم يرد كلما
دل على خلافه بأي طريق اتفقت له فالادلة المخالفة له كالصائل لا يبالي
بأي شيء دفعه وادلة الحق لا تتعارض ولا تتناقض بل يصدق بعضها
بعضا انتهى ومنهم من قال لم ينف في الاية انتفاع الرجل بسعي
غيره له وانما نفى ملكه لسعي غيره لان قائل ذلك يرى ان اللام في
الانسان للملك وهو اخص من مجرد انتفاع الانسان بعمل غيره وهو المراد
هنا ممن تصدق عن غيره مثلا بمال لا يصير المال مغصوبا وانعم على
من تصدق عنه بحيث ينتفي ثوابه بالكلية عن المتصدق واليه اشار
بقوله وبين الامرين فرق واذا اردت بيانه فقال الزمخشري
ما يفيده في قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فان

قلت

قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه
وهما سعي غيره قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره
لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي غيره وهو ان يكون مؤمنا
مصدقا فالصدقة على الكافر ونحوها لا تنفعه بل يجر على المسلم
فعل ذلك وانما ينفعه الصدقة ونحوها اذا كان مسلما فهو اي سبب
في حصول فعل غيره فلذلك كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه
تابعا له وقائما مقامه اي موجود لاجل وجود الايمان منه فنزل
ايمانه الذي هو سبب في حصول ذلك له منزلة ما لو تصدق هو عن
نفسه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه اي
الغير ولكن اذا نواه له فهو في حكم الشرع كالنائب عنه
والوكيل القائم مقامه فيصل ثوابه اليه تنزيلا له منزلة المتصدق هو
واستبعده امام الحرمين بانه لم يامر به واوله بانه يقع عن المتصدق ويناله
الميت بركته ورده ابن عبد السلام بان ما ذكروه من وقوع الصدقة نفسها
عن الميت حتى يكتب له ثوابها هو ظاهر السنة والصحيح من الاجوبة
ان قوله وان ليس للانسان الا ما سعى عام مخصوص بما
تقدم من الاجوبة فالاية محكمة كما عليه الجمهور لا منسوخة قال ابن
عطية والتحرير عندي ان ملاك المعنى في اللام من قوله للانسان فاذا
حققت الشيء الذي حق للانسان ان يقول لي كذا لم تجده الا سعيه وما
زاد من رحمة لشفاعة او رعاية اب صالح او ابن صالح او تضعيف حسنات
ونحو ذلك فليس هو للانسان ولا يسعه ان يقول لي كذا الا على تجوز والحاق
بما هو له حقيقة وسال عبد الله ابن طاهر والي خراسان الحسين بن
الفضل عن هذه الاية مع قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء فقال ليس
له بالعدل الا ما سعى وله بالفضل ما شاء الله وقد اختلف العلماء في
ثواب القراءة هل يصل للميت فذهب الاكثرون الى المنع
وهو المشهور من مذهب الشافعي لكن المحققون من متاخري
مذهبه على الوصول اي وصول مثل ثواب القارئ للميت واولوا المنع عليه
معنى وصول عين الثواب الذي للقارئ او على قراءته لا بحضرة الميت ولا
بنية القارئ ثواب قراءته له او نواه ولم يدع قال ابن الصلاح وينبغي الجزم
بنفع اللهم اوصل ثواب ما قراناه اي مثله فهو المراد وان لم يصرح به
لفلان لانه اذا نفعه الدعاء بما ليس للداعي فما له اولى ويجري ذلك في سائر
الاعمال ومالك لكن قال الامام ابن رشد في نوازله ان قرا ووهب ثواب
قراءته لميت جاز وحصل للميت اجره ووصل اليه نفعه وقال ابو عبد الله
الابي ان قرا ابتداء بنية الميت وصل اليه ثوابه كالصدقة والدعاء وان
قرا ثم وهبه له لم يصل لان ثواب القراءة للقارئ لا ينتقل عنه الى غيره
وقال العلامة الشهاب القرافي الذي يتجه ان يحصل للموتى بركة القراءة

كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم او يدفنون عنده ووصول
القراة للميت وان حصل الخلاف فيها فلا ينبغي اهمالها فلعل الحق الوصول
فان هذه الامور مغيبة عنا وليس الخلاف في حكم شرعي انما هو في امر
هل يقع كذلك ام لا وكذلك التهليل الذي عادة الناس يعملونه اليوم ينبغي
ان يعمل ويعتمد فضل الله وجوده واحسانه هذا هو اللائق بالعبد انتهى
وينقل عن جماعة من الحنفية وقال كثير من الشافعية والحنفية
يصل وبه قال احمد بن حنبل بعد ان قال القراة على القبر بدعة
مكروهة وهو اصل مذهب مالك بل نقل عن الامام احمد يصل الى
الميت كل شي من صدقة وصلاة وحج واعتكاف وقراة وذكر
وغير ذلك كالدعاء له فقد صح خبر ان الله يرفع درجة العبد في الجنة
باستغفار ولده له ومعنى نفعه بالدعا حصول المدعو له به اذا استجيب
واستجابته محض فضل منه تعالى ولا يسمى في العرف ثوابا اما نفس الدعا
وثوابه فللداعي لانه شفاعة اجرها للشافع ومقصودها للمشفوع له
نعم دعا الولد يحصل ثوابه نفسه للوالد الميت لان عمل ولده لتسببه في وجوده
من جملة عمله كما صرح به خبر اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث
ثم قال او ولد صالح اي مسلم يدعو له فجعل دعاءه من جملة عمل الوالد وانما
يكون منه ويستثنى من انقطاع العمل ان اريد نفس الدعا لا المدعو به
وذكر الشيخ شمس الدين بن القطان العسقلاني ان وصول
ثواب القراة الى الميت من قريب او اجنبي هو الصحيح مع
النية وهو المعتمد عند متاخري الشافعية كما تنفعه الصدقة عنه
والدعاء والاستغفار له بالاجماع المؤيد بصريح كثير من الاحاديث
وقد افتى القاضي حسين بان الاستيجار لقراة القران على راس
القبر جائزة وان قلنا بكراهة القراة على القبر لان المكروه من الجائز
كالاستيجار للاذان وتعليم القران لكن قال الرافعي وتبعه النووي
عود المنفعة الى المستاجر شرط في الاجارة فيجب عود المنفعة
في هذه الاجارة الى المستاجر او ميته لكن المستاجر لا ينتفع بان
يقرا الغير له ومشهور ان الميت لا يلحقه ثواب القراة المجردة
عن نية بها او الدعا بوصول ثوابها له فالوجه تنزيل الاستيجار على
صورة انتفاع الميت بالقراة وذكروا له طريقين احدهما ان
تعقب القراة بالدعا للميت من قريب او اجنبي بان الدعا يلحقه
والدعا بعد القراة اقرب الى الاجابة واكثر بركة والثاني ذكر
الشيخ عبد الكريم بن احمد بن الحسن ابن محمد الفقيه الشالوسي
بشين معجمة ولام مضمومة ثم سين مهملة كما ضبطه ابن السمعاني وغيره
نسبة الى شالوس قرية كبيرة بنواحي امل طبرستان كان فقيه عصره
بامل ومدرسها واعظا زاهدا وبيته بيت العلم والزهد مات سنة خمس

وستين

وستين واربعمائة قال الاسنوي ووهم النووي في التهذيب فاهمل سينه
الاولى ايضا واهل المشرق خصوصا السمعاني اعرف ببلادهم من اهل
الشام ولا شك ان النووي هنا لم ينظر الى السمعاني ولا غيره وانما اعتمد على
ما يتلفظ به كثير من المتفقهة الذين لا اطلاع لهم على ذلك انه ان نوى
القارئ بقراته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه قال شيخنا المعتمد
انه يلحقه ثوابها حيث قرا بحضرته او دعا له عقبها او نواه بها وان لم
يكن عنده ولا دعا له لكن او قرا ثم جعل ما حصل من الاجر له فهذا
دعا بحصول ذلك الاجر للميت فينتفع الميت بذلك الدعا قال النووي
في زيادات الروضة ظاهر كلام القاضي حسين صحة الاجارة
مطلقا وهو المختار فان موضع بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود
بنفع الميت وقال الرافعي وتبعه النووي في باب الوصية الذي يعتاد
منه للحصول من قراة القراة على راس القبر قد ذكرنا في باب
الاجارة طريقين هما السابقان في عود فايدتها الى الميت وعن
القاضي ابي الطيب طريق ثالث وهو ان الميت كالحي الحاضر فترجى
له الرحمة ووصول البركة اذا اهدى الثواب اليه القارئ قريبا
او اجنبيا وقال ابو عبد الله الشالوسي اذا نوى بقراته ان يكون ثوابها
للميت لم يلحقه اذ جعل ذلك قبل حصوله اي الثواب وتلاوته عبادة
البدن فلا تقع عن الغير وان قرا ثم جعل ما حصل من الثواب للميت
فينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره اي لانه جعل بدعائه عقب القراة
شيا من اجرها للميت فينفعه لكن اطلاق ان الدعا ينفع الميت اعترض
عليه بعضهم بانه موقوف على الاجابة ونحن لا نعلمها ويمكن ان يقال
في الجواب الدعا للميت مستجاب منه تعالى اطلقوا اعتمادا على سعة فضل
الله فلا اعتراض وهو جواب لين وقال الرافعي وتبعه النووي يستوي
في الصدقة والدعا الوارث والاجنبي على ظاهر الاخبار قال الشافعي وفي
وسع الله من فضله ان يثيب المتصدق ايضا ومن ثم قال الاصحاب
يستحب ان ينوي المتصدق الصدقة عن ابويه مثلا فان الله
ينيلهما الثواب ولا ينقص من اجره شيا وقول الزركشي ما ذكر في
الوقف يلزمه تقدير دخول ملكه وتمليكه الغير ولا نظير له رد بان هذا
يلزم في الصدقة ايضا وانما لم ينظر له لانه جعله كالمتصدق محض فضل فلا
يضر خروجه عن القواعد لو احتيج لذلك التقدير مع انه غير محتاج
اليه بل يصح نحو الوقف عن الميت وللفاعل ثواب البر وللميت ثواب الصدقة
المرتبة عليه ذكره السبكي وذكر صاحب العدة انه لو انبط بفتح الهمزة
واسكان النون فموحدة مفتوحة فطا مهملة اي استخرج بمحله عينا
او حفر بيرا او غرس شجرا وياتي الحديث بخلاف كانه لانه غالبه شجر
المدينة او وقف مصحفا في حال حياته او فعل غيره ذلك عنه بعد

موته يلحق الثواب بالميت وقال الرافعي والنووي انه هذه الامور
اذا صدرت من الحي فهي صدقة فانه جارية يلحق ثوابها بعد
الموت كما ورد في الخبر كقوله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المومن من
عمله وحسناته بعد موته علما نشره وولدا صالحا تركه ومصحفا ورثه
ومسجدا بناه او بيتا لابن السبيل بناه او نهرا اجراه او صدقة اخرجها من ماله
في صحته وحياته تلحقه من بعد موته رواه ابن ماجة عن ابي هريرة باسنا د
حسن وروي البزار عن انس مرفوعا سبع تجري للعبد اجرها بعد موته
وهو في قبره من علم علما او اجرى نهرا او حفر بيرا او غرس نخلا او بنى
مسجدا او ورث مصحفا او ترك ولدا يستغفر له بعد موته وروي ابن
عساكر عن ابي سعيد رفعه من علم اية من كتاب الله او بابا من علم انمى الله
اجره الى يوم القيامة وروي احمد والطبراني عن ابي امامة رفعه
اربعة تجري عليهم اجورهم بعد الموت من مات مرابطا في سبيل الله
الحديث فتحصل من هذه الاحاديث احد عشر امرا تلحق بعد الموت نظمها
السيوطي فقال ۝ اذا مات ابن ادم ليس يجري ۝ عليه من فعال غير عشر ۝
۝ علوم بثها ودعا نجل ۝ وغرس النخل والصدقات تجري ۝
۝ وراثة مصحف ورباط ثغر ۝ وحفر البير او اجرا نهر ۝
۝ وبيت للغريب بناه ياوي ۝ اليه او بنا محل ذكر ۝
۝ وتعليم لقران كريم ۝ فخذها من احاديث بحصر ۝
ولا يرد ان هذه احد عشر فينافي قوله غير عشر لانه نوع التاسع لشيء
او يرجع لشيء وزاد عليه او قاله البيت الاخير بعد ذلك ويدل له انه بخطه في
شرح ابن ماجة لم يذكر الاخير وهو وتعليم لقران ولا يعارض هذا قوله
صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان وفي رواية ابن ادم انقطع عمله الا
من ثلاث الا من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له رواه
مسلم وغيره عن ابي هريرة لانه هذه الثلاثة هي الحقيقة امكانه يرد اليها
كثير من الانواع ولا تختص الحكم بوقف المصحف بل يلتحق به كل
موقوف كما صرح بعض الحديث في قوله او مسجدا الخ ومعني قوله في الخبر
ومصحفا ورثه بالتشديد يخلفه لوارثه قال بعض ويظهر ان مثله
كتب الحديث كالصحيحين وهذا القياس يقتضي جواز التضحية عن
الميت بلا كراهة فانها ضرب من الصدقة لكن في التهذيب انه
لا تجوز التضحية عن الغير بغير امره وكذا عن الميت الا ان يكون
اوصى به وهذا هو المعتمد في المنهاج وغيره وقد روي عن علي او
غيره من الصحابة انه كان يضحي عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد
موته لانه اوصاه بذلك وروي الترمذي عن علي اوصاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اضحي عنه علي ان جماعة ذكروا في خصايصه جواز التضحية
عنه وعن ابي العباس محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن مهران

السراج

السراج الثقفي مولاهم النيسابوري الامام الحافظ الثقة شيخ خراسان
صاحب السند والتاريخ مات سنة ثلاث عشر وثلثمائة قال ضحيت
عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعين اضحية لانه خصوصية واما
اهدا القراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعرف فيه خبر
ولا اثر بل انكره جماعة منهم الشيخ برهان الدين بن الفركاح
بكسر الفا واسكان الرا لان الصحابة لم يفعله احد منهم وهم احق
بالاتباع لكن اختار السبكي وغيره خلاف ذلك وكذا انكر البرهان القاري
قوله اللهم اوصل ثواب ما تلوته الى فلان خاصة والى المسلمين عامة لان
ما اختص بشخص لا يتصور التعميم فيه ورده الزركشي بان الظاهر خلاف
ما قاله فان الثواب يتفاوت فاعلاه ما خصه وادناه ما عمه وغيره والله
تعالى يتصرف فيما يعطيه من الثواب على ان المراد مثل ثواب ما تلوته
لفلان خاصة ومثل ذلك للمسلمين عامة وهذا منصوص وحكى صاحب
الروح الشمس بن القيم والروح جزء نحو خمسة عشر كراسة سماه بذلك
ليكلمه فيه على الروح وما يتعلق بها ان من الفقها المتاخرين من
استحبه ومنهم من راه بدعة مذمومة قالوا والنبي صلى الله عليه
وسلم غني عن ذلك لكن ليس في كونه غنيا ما يقتضي منع ذلك بل يجوز
ان يكون اهداؤها سببا في ثواب يصل اليه زايد على الثواب الواصل له من
كل خير عملته امته فان له اجر من عمل خيرا من امته من غير ان ينقص
من اجر العامل شي لقوله صلى الله عليه وسلم من دعى الى هدى كان له من
الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيا ومن دعى الى ضلالة
كان عليه من الاثم مثل اثام من تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيا رواه مسلم
واصحاب السنن عن ابي هريرة ومن ثم قال الشافعي ما من خير يعمله احد
من امة النبي صلى الله عليه وسلم اصل فيه لانه انما علم بارشاده قال
في تحقيق النصرة للزين المراغي المحدث جميع حسنات المسلمين
واعمالهم الصالحة في صحايف نبينا صلى الله عليه وسلم زيادة
على ما له من الاجر مع مضاعفة لا يحصرها الا الله تعالى لان
كل مهتد وعامل الى يوم القيامة يحصل له اجر ويتجدد لشيخه
مثل ذلك الاجر لد لالته له عليه ولشيخ شيخه مثلاه وللشيخ الثالث
اربعة وللرابع ثمانية وهكذا تضعيف كل مرتبة بعدد الاجور الحاصلة
بعده الى النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم تفضيل السلف على الخلف
لان السلف يحصل لهم ثواب ما عملوه ويزيد عليه ثواب من اخذ عنهم بواسطة
او بدونها مضاعفا على ما علم فيفضلون الخلف وهو من تاخر عنهم بذلك
فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان للنبي
صلى الله من الاجر الف واربعة وعشرون لعل ذلك بواسطة ما يحصل
لكل عامل من المضاعفة مضموما اليه بقية اعمال من دونه مثلا ما يكتب

للرابع من الثمانية يكتب للنبي مثله مع عمل من دونه من الاول والثاني
والثالث فاذا اهتدى بالعاشر حادي عشر صار اجر النبي صلى
الله عليه وسلم الفين وثمانية واربعين وهكذا كلما ازداد واحد
يتضاعف ما كان قبله ابدا كما قاله بعض المحققين انتهى كلام
تحقيق النصرة ولله در القايل سيدي محمد وفي امام العارفين العلم
المشهور فلا حسنة الا من محاسنه حسنة، ولا محسن الا له حسناته
لانه الجامع لذلك والدال عليه وبهذا المذكور عن تحقيق النصرة يجاب
عن استشكال دعا القارى له صلى الله عليه وسلم بزيادة
الشرف مع العلم بكماله عليه السلام في ساير انواع الشرف
وكان الداعي يلحظ ان قبول قرائته يتضمن لمعلمه نظير اجره
وهكذا حتى يكون للمعلم الاول وهو الشارع صلى الله عليه وسلم
نظير جميع ذلك ومن ذلك ما شرع عند روية الكعبة من قوله
اي الرائي المفهوم من روية اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما فثمرة
الدعا بذلك عايدة على الداعي لاشتماله على طلب قبول القراة
وهنا كذا في الصلاة عليه زاده الله شرفا لديه ان ثمرتها
عايدة على المصلي وهذا نظيره عند من قال به والا فالراجح انها
تصل الى النبي لان الكامل يقبل التكميل اشار لنحوه الحافظ بن حجر
ووقع السوال عما يقع من الداعين عقب الختمات من قولهم اللهم اجعل ثواب
ما قريناه زيادة في شرفه صلى الله عليه وسلم ثم يقول واجعل مثل ثواب ذلك واضعاف
امثاله الى روح فلان او في صحيفته او نحو ذلك هل يجوز ام يمتنع لما فيه من اشعار
تعظيم المدعو له بذلك حيث اعتني به وكرر الدعا له باضعاف مثل ما دعي للنبي
صلى الله عليه وسلم واجاب شيخنا بان الظاهر ان ذلك لا يمتنع لان الداعي
لم يقصد بذلك تعظيم غيره صلى الله عليه وسلم بل كلامه محمول على اظهار
احتياج غيره للرحمة منه سبحانه فاعتنوا به للاحتياج المذكور وللاشارة
الى انه صلى الله عليه وسلم لقرب مكانته من الله جل وعز الاجابة بالنسبة له
محققة وغيره لبعد رتبته عما اعطيه صلى الله عليه وسلم لا تتحقق الاجابة
له بل قد لا تكون مظنونة فناسب تاكيد الدعا له وتكريره رجا الاجابة انتهى
وهو توجيه وجيه لكن الاولى ترك ما يوهم ببادي الراي ولا يصح الا بمزيد
تحقيق وتدقيق ومن خصايص هذه الامة انهم يدخلون الجنة
قبل ساير الامم كما رواه ابن ماجة عن عمر ورواه الطبراني في الاوسط
من حديث عمر ابن الخطاب مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
حرمت اي منعت الجنة على الانبيا زاد في رواية الدارقطني كلهم حتى
ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي اي ان المطيع الذي
لم يعذب من امته يدخلها قبل المطيع الذي لم يعذب من امة غيره والداخل
للنار من امته يدخل الجنة قبل الداخل للنار من امة غيره فالمراد ان جملة

امته وتمام دخولها الجنة سابق على دخول امة غيره فلا يرد ما قد يتوهم
انه لا يدخل احد من سابقي الامم الطايعين الا بعد خروج العاصين من
الامة المحمدية من النار وقد اخذ من الحديث ان هذه الامة يخفف عن عصاتها
ويخرجون قبل عصاة غيرها قال ابن القيم فهذه الامة اسبق الامم خروجا
من الارض واسبقهم الى اعلا مكان في الموقف والى ظل العرش والى فصل القضا
والى الجواز على الصراط والى دخول الجنة ومنها انه يدخل منهم الجنة
سبعون الفا زمرة واحدة بغير حساب ولا عذاب بدليل رواية ولا حساب
عليهم ولا عذاب رواه الشيخان عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يدخل الجنة من امتي زمرة هم سبعون الفا تضي وجوههم اضاءة
القمر ليلة البدر فقام عكاشة بن محصن الاسدي يرفع نمرة عليه فقال
يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم قام رجل من
الانصار فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة
وفي الصحيحين عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم عرضت علي
الامم فرايت النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل
والرجلان والنبي ليس معه احد ورفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي
فقال جبريل هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد
كثير فقال هولا امتك وهولا سبعون الفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب
قلت ولم قال لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وفي
رواية هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم
يتوكلون وروى الشيخان عن سهل بن سعد قال النبي صلى الله عليه وسلم
ليدخلن من امتي الجنة سبعون الفا وسبعمائة الف متماسكين اخذ بعضهم
ببعض حتى يدخل اولهم واخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر قال
السبكي في شفا الغرام ظاهر قوله سبعون الفا انهم لا يزيدون على ذلك
وانهم كلهم بالصفة المذكورة ورجح غيره ان المراد الكثرة باختلاف الاخبار في
المقدار فروي سبعمائة الف ومع كل الف سبعون الفا ومع كل واحد سبعون الفا وليس
في الحديث نفي دخول احد على الصفة المذكورة غير هولا كالانبيا والشهدا
والصديقين والصالحين قال عياض يحتمل ان معنى كونهم متماسكين انهم على
صفة الوقار فلا يسابق بعضهم بعضا بل يكون دخولهم جميعا وقال النووي
معناه انهم يدخلون معترضين صفا واحدا بعضهم بجنب بعض فيدخل
الجميع دفعة واحدة وفي ذلك اشارة الى سعة الباب الذي يدخلون منه
ووصفهم بالاولية والاخرية باعتبار الصفة التي جازوا فيها الصراط ثم
هذا الحديث يخص عموم الحديث الذي اخرجه مسلم عن ابي برزة الاسلمي
رفعه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسال عن اربع عن عمره فيما
افناه وعن جسده فيما ابلاه وعن علمه ما عمل فيه وماله من اين اكتسبه
وفيم انفقه لانه وان كان عاما لانه نكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بمن

يدخل الجنة بغير حساب وبمن يدخل النار من اول وهلة على ما دل عليه
قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم الاية قاله القرطبي قال الحافظ وفي
سياق حديث ابي برزة اشارة الى الخصوص لانه ليس كل احد عنده علم
يسال عنه وكذا المال فهو مخصوص بمن له علم ومال دون من لا علم له ولا
مال واما السوال عن الجسد والعمر فعام ويخص من المسوولين من ذكر انتهى
وجزم ابن عبد السلام بان هذه الخصوصية لم تثبت لغير نبينا وقال السبكي لم
يرد فيه شي بنفي ولا اثبات في الامم السالفة واستظهر ابو طالب عقيل بن عطية
ان فيهم من هو كذلك انتهى وفيه ان الاستظهار لا دخل له هنا اذ هو من
الاشيا التي لا دخل له هنا لكونه الا بمحض النقل وروى الحاكم والبيهقي عن
جابر مرفوعا من زادت حسناته على سياته فذاك الذي يدخل الجنة بغير
حساب ومن استوت حسناته فذاك الذي يحاسب حسابا يسيرا ومن اوبق
نفسه فهو الذي يشفع فيه بعد ان يعذب وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
يدخل الجنة من امتي يوم القيامة سبعين الفا ومع كل الف سبعين الفا رواه
الترمذي **وعند الطبراني والبيهقي في البعث** عن النبي صلى الله عليه
وسلم **ان ربي وعدني ان يدخل من امتي** امة الاجابة وفي اضافتها اليه
اخراج غيرها من الامم من العدد المذكور **الجنة سبعين الفا بغير حساب**
عليهم اي ولا عذاب **واني سالت ربي المزيد فاعطاني مع كل واحد** المراد
بالمعية مجرد دخولهم الجنة بغير حساب وان دخلوها في الزمرة الثانية او
ما بعدها **من السبعين الفا سبعين الفا** زاد في رواية البزار من حديث
انس وهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
ومر في حديث ابن عباس وصف السبعين الفا بذلك ايضا فيكون الكل موصوفين
به واخرج احمد والديلمي عن ابي بكر مرفوعا اعطيت سبعين الفا من امتي
يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل
واحد فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين الفا **وبالجملة فقد اختصت**
هذه الامة بما لم يعطه غيرها من الامم تكرمة لنبيها عليه السلام
وزيادة في شرفه وتفصيل بصاد مهملة **فضلها** بمعجمة **وخصايصه**
تستدعي سفر ابل اسفار او ذلك فضل الله يوتيه من يشا النبي
وامته **والله ذو الفضل العظيم** وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا ولله الحمد على ما انعم

المقصد الخامس

في بيان تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصايص المعراج
والاسرا اي جعلها مخصوصة به لا تتجاوزه الى غيره والمراد بها الامور
الخارقة التي اختص بها الليلة كروية الله والجنة وقطعه في زمن قليل
واتساع الزمن حتى صلى بالانبيا الى غير ذلك فلما كانت تلك الامور لم

مبحث المقصد الخامس

لم تتعداه الى غيره جعل المصنف في الترجمة بيانها لانه صار بها مفردا
على من عداه ومقربا في حضرة التقديس عن كل ما سواه وقدم المعراج
في الذكر لتعلقه بالحضرة الالهية واخره في الترتيب مطابقة للواقع **وتعميمه**
اي تغطيته وستره **بعموم** اي كثرة **لطايف التكريم** اي النعم التي اكرمه
الله بها التي لا تحصى بجعلها شاملة له كالملاة التي تشتمل على جميع
جسد من جعلت عليه **في حضرة التقريب** اي المكان الذي خاطبه فيه
بالمكالمة والمشاهدة له سبحانه وتعالى **والايات الكبرى** العظمى
اعلم منحني اعطاني **الله واياك الترقي في معارج السعادات** اي
المراتب المحصلة لها لمن اراد الله به الخير والمعراج عند اهل الطريق منتهى
سير المقربين الذي هو عروجهم اي سلوكهم لان كل سالك الى طريق كان غايته
الحق بشرط فوزه منه بسعادة ما فذلك السالك صاحب معراج وسلوكه
عروج **واوصلنا** الله **به** اي النبي صلى الله عليه وسلم **اليه** اي الى قرب
المكانة الى الله **في حظاير الكرامات** اي المحلات التي تنزل بها الكرامات
وتليق بها والمراد بها الجنة واصل الحظيرة ما يعمل للابل من الشجر ليقيها
البرد ونحوه **ان قصة الاسرا والمعراج** بزنة مفتاح السلم وجمعه معارج
ومعاريج ويقال معرج للواحد بكسر الميم وفتحها **من اشهر المعجزات**
واظهر البراهين البينات الواضحات **واقوى الحجج** بالضم جمع **الحكمات**
واصدق الانبا جمع نبا بالهمز وهو الخبر **واعظم الايات واتم الدلالات**
الدالة على تخصيصه عليه الصلاة والسلام بعموم الكرامات لما
اشتملت عليه من الامور الخارقة للعادة التي تقصر العقول عن ادراك مثلها
وقد اختلف العلما بحسب اختلاف الاخبار **في الاسرا** اي في جواب قول السايل
هل هو اسرا فقيل كان كذلك ثم اختلف بنا على ذا القول **في ليلة**
هل كان **يقظة او مناما** وعليه انه يقظة هل الى المسجد الاقصى فقط والى
العرش مناما **او هما اسراان** واحد يقظة واخر منام **كل واحد منهما في**
ليلة ولعل ليلة اليقظة غير ليلة المنام وبهذا فارق القول الذي قبله **او يقظة**
بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما من
المسجد الاقصى الى العرش فالاسرا كان يقظة والمعراج مناما عند
هذا القايل وقد علم تقريره هذا القول على اتحاد الليلة فيهما **او هي اربع**
اسراات يقظة كلها كما يايتي **احتج القايلون بانه روي منام مع اتفاقهم**
على ان رويا **بقوله وما جعلنا الرويا التي اريناك** ليلة الاسرا
الا فتنة للناس اهل مكة اذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما اخبرهم بها **لان**
الرويا بالالف مصدر الحلمية وهي المنامية منسوبة الى الحلم بضمتين وقد
تسكن اللام تخفيفا **واما البصرية فالروية بالتا لا بالالف** وقد انكر ابن
مالك والحريري وغيرهما كما افاده الشيخ بدر الدين الزركشي **هم**
ورود الرويا بالالف للبصرية وخطوا ابا الطيب احمد بن الحسين المتنبي

لانه استعمل
الشاعر المشهور في قوله ورؤياك احلى في العيون من
الرؤيا بالالف في البصرية التي بالتا واجيب بانه لا حجة في الاية على انه منام
لانه انما قال الرؤيا لوقوع ذلك الرائي في الليل وسرعة تقضيه حتى كانه
كانه منام فهو مجاز علاقته المشابهة ومان الرؤيا بالالف والرؤية بالتا
واحدة يعني ان كلا منهما يستعمل موضع الاخر كقربى وقربة وهذا نقله ابن
وحية ونقطه قال اهل اللغة رايته رؤية ورؤيا مثل قربة وقربى وبشرى وبشرة
له قول ابن عباس وهو من ايمة اللسان في تفسير الاية كما عند
البخاري هي رؤية عين اريها صلى الله عليه وسلم ليلة اسري
به فاستعمل ابن عباس الرؤيا بالالف في البصرية وزاد سعيد بن منصور
عن سفين بن عيينة راويه عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس
في اخر الحديث وليس رؤيا منام فهو دليل قوي على استعمال كل منهما
موضع الاخر قال الحافظ وقد تمسك بكلام ابن عباس هذا من قال الاسرا
منام ومن قال يقظة فالاول اخذه من لفظة الرؤيا لاختصاصها برؤيا
المنام والثاني من قوله اريها ليلة الاسرا اذ لو كان مناما ما كذبه الكفار ولا
فيما هو ابعد منه واذا كان يقظة والمعراج تلك الليلة تعين كونه يقظة
ايضا اذ لم ينقل انه نام لما وصل بيت المقدس ثم عرج به وهو نايم ولم
يصرح في رواية البخاري بالمراي بل لفظه ما قدمه المص قال الحافظ
عقب ما نقلته عنه واذا كان يقظة فاضافة الرؤيا الى العين للاحتراز عن
رؤيا القلب فقال وقد اثبت الله في القران رؤيا القلب فقال ما كذب الفؤاد ما راي
ورؤيا العين فقال ما زاغ البصر وما طغى لقد راى وروى الطبراني في الاوسط
باسناد قوي عن ابن عباس قال راى محمد ربه مرتين ومن وجه اخر قال نظر
محمد الى ربه جعل الكلام لموسى والخلة لابراهيم والنظر لمحمد فاذا تقرر ذلك
ظهر ان مراد ابن عباس هنا برؤيا العين جميع ما ذكره صلى الله عليه وسلم
من الاشيا في تلك الليلة وعن سعيد بن منصور من طريق ابي مالك
قال هو ما اري في طريقه الى بيت المقدس مما ياتي بعضه وهذا مما
يستدل به على اطلاق لفظ الرؤيا على ما يري بالعين في اليقظة
كما تطلق على رؤيا المنام وهو يرد على من خطا المتنبي ولا عبرة بانكار
ذلك اذ من حفظ حجة خصوصا وابن عباس من فصحا بني هاشم وايمة
اللسان وفي كلام الاشموني افاده ان مصدر راى حلمية او بصرية او علمية
بالدليل او السمع يجي بالالف في لغة وان المشهور كونها مصدر الحلمية ﻫ
على انه اختلف المفسرون في هذه الاية على هذا الاستدراك وقيل يتعلق
بما قبلها من الكلام وقيل لا يتعلق بشي فقيل ان الرؤيا التي اريناك ليلة
المعراج كما مر عن ابن عباس قال البيضاوي وتعلق به من قال كان في
المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالالف بالرؤية بالتا وقيل
رؤيا عام الحديبية حتى راى انه دخل المسجد الحرام فسافر قاصدا
مكة

مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس اي بعد رؤياه وحي حتى قال صلى الله عليه وسلم اغلقت لكم في هذا العام وفي الفتح لان
قال هذا القايل والمراد بقوله فتنة للناس ما وقع من صد المشركين له في
الحديبية عن دخول المسجد الحرام وهذا وان امكن انه مراد الاية لكن الاعتماد
في تفسيرها على ترجمان القران اولى وقيل رؤياه وقعة بدر وسال ابن
النقيب الامام المفسر العلامة المفتي جمال الدين ابو عبد الله محمد بن سليمان
ابن حسن البلخي ثم المقدسي الحنفي مدرس العاشورية بالقاهرة ولد سنة
احدى عشرة وستماية قدم مصر فسمع بها من يوسف المخلي واقام مدة
بالجامع الازهر وصنف بها تفسير الكبير الى الغاية وكان اماما عابدا زاهدا
امارا بالمعروف كبير القدر يتبرك بدعايه وزيارته مات بالقدس في المحرم سنة
ثمان وتسعين وستماية ذكره الذهبي في العبر شيخه ابا العباس احمد بن
عمر بن ابرهيم القرطبي الانصاري المالكي الفقيه المحدث نزيل الاسكندرية
ولد سنة ثمان وسبعين وخمسماية وسمع الكثير وقدم الاسكندرية فاقام بها
يدرس وصنف المفهم في شرح مسلم صحيح واختصر الصحيحين مات في
ذي القعدة سنة ست وخمسين وستماية وليس المراد بابن النقيب هنا
شهاب الدين بن النقيب احمد ابو العباس احد علما الشافعية لانه ولد
بالقاهرة سنة اثنين وسبعماية ومات بها في رمضان سنة تسع وستين كما
ذكر السيوطي فلم يدرك القرطبي عن الاية فقال الصحيح انها رؤية عين
عين اراه جبريل مصارع القوم ببدر فاريه النبي صلى الله عليه
وسلم الناس اصحابه الحاضرين مصارعهم اي القوم الهالكين ببدر من
المشركين التي اراه جبريل فصار يقول قبل الوقعة واضعا يده على الارض
هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا
مثل سخر والسين والتا للتأكيد اي هزوا منه فلما التقى الجمعان كان كما قال انتهى لكن ما صححه
خلاف ما صححه الشامي انها رؤيا عين ليلة الاسرا وعزوه للحافظ في الفتح
قايلا وما روى ابن مردويه عن ابن عباس ان المراد رؤيا الحديبية وعن
الحسن بن علي مرفوعا اني اريت كان بني امية يتعاورون منبري هذا
فقيل دنيا تنالهم ونزلت الاية فكلاهما اسناده ضعيف واستدل
القايلون بانها رؤيا منام ايضا بقول عايشة المروي عند ابن
اسحاق حدثني بعض ال ابي بكر ان عايشة كانت تقول ما فقد جسده
الشريف ولكن اسري بروحه قال الشامي كذا فيما وقفت عليه من نسخ
السير فقد بالبنا للمفعول والذي وقفت عليه من نسخ الشفا فقدت
ما فقدت بالبنا للفاعل واسناد الفعل لتا المتكلم كذا قال وقد حكاها
في الشفا روايتين فقال اولا واما قول عايشة ما فقد جسده فعايشة لم
تحدث به عن مشاهدة الخ ثم قال بعد اسطر وايضا روي حديث عايشة
ما فقدته يعني بالبنا للفاعل قال ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه

قدم

وسلم الا بالمدينة وكل هذا توهم بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده
الشريف لانكارها رويته لربه روية عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره
وحديثها هذا ليس بالثابت عنها انتهى يعني لما فيه من العلة القادحة
وفي سنده من انقطاع وراو مجهول وقال ابن دحية في التنوير انه حديث
موضوع عليها وقال في معراجه الصغير قال امام الشافعية ابو العباس
ابن سريج هذا حديث لا يصح وانما وضع ردا للحديث الصحيح واجيب
على تقدير صحته بان عايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم
تكن اذ ذاك زوجا ولا في سن من يضبط لانها سنة الهجرة كانت بنت
ثمان سنين او لم تكن ولدت بعد بالبنا على الضم اي بعد هذه القصة
وهي صد قبل ويستعملان في التقدم والتاخر المتصل والمنفصل والمراد
هنا الاول او المراد زمن وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال
شايع على الخلاف في الاسرا متى كان فعلى انه كان بعد المبعث بعام لم
تكن ولدت وعلى انه قبل الهجرة بعام تكون ابنة سبع وعلى انه قبلها باكثر
تكون اصغر من سبع قال عياض واذا لم تشاهد ذلك عايشة دل على انها
حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وكان الظاهر
ان يقول فرجح خبر غيرها على خبرها اي لعدم ثبوته عنها كما افصح به
بعد وقد قدمت كلامه لا الروا ابنها عن مجهول اذ لو ثبت لكان مرسل
صحابي وهو حجة وقال التفتازاني في الجواب على تقدير الصحة اي ما فقد
جسده عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج للجسد والروح
جميعا انتهى وهو جواب حسن على ما فيه من كونه خلاف المتبادر من
اللفظ واحتج القايلون بانه بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى
السما بالروح فالاسرا يقظة والمعراج منام بقوله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد
الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب به من الكفار تعجب استحالة
ومن المومنين تعجب تعظيم بعظيم القدرة بالبا الجارة وفي نسخة بالنوقية
منصوبه على انه مفعول له اي لتعظيم قدرة الباهرة والتمدح بتشريف
النبي صلى الله عليه وسلم واظهار الكرامة له بالاسرا فلو كان الاسرا
بجسده الى مكان زايد عن المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في
المدح فلما لم يقع ذلك المعراج في هذا الموضع مع كون شانه اعجب وامره
اغرب بكثير من الاسرا دل على انه كان مناما واما الاسرا فلو كان مناما لما
كذبوه ولا استنكروه لجواز وقوع مثل ذلك وابعد منه لاحاد الناس واجيب
كما ذكر ابن المنير بان حكمة التخصيص بالمسجد الاقصى سوال قريش
له على سبيل الامتحان على ما شاهدوه وعرفوه من صفة
بيت المقدس وقد علموا انه لم يسافر اليه فيجيبهم بما عاين كما
يأتي بيانه ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع

ولهذا

ولهذا لم يسالوه عما راى في السما ولا عهد لهم بذلك
معلول اي لانه لا عهد اي لا علم له به وفي الشامي واجاب الايمة عن ذلك عطف علة على
بانه استدرجهم الى الايمان بذكر الاسرا فلما ظهرت امارات صدقه ووضحت
لهم براهين رسالته واستانسوا بتلك الاية اخبرهم بما هو اعظم منها وهو
المعراج فحدثهم به وانزله الله في سورة النجم قال الحافظ ويويد وقوع الاسرا
عقب المعراج في ليلة واحدة رواية ثابت عن انس عند مسلم اتيت بالبراق
فركبته حتى اتيت بيت المقدس فذكر القصة الى انه قال ثم عرج بنا الى السما
الدنيا وفي حديث ابي سعيد عند ابن اسحاق فلما فرغ مما كان في بيت
المقدس اتي بالمعراج وقال النووي في فتاويه وكان الاسرا به عليه
الصلاة والسلام مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة والى هذا
ذهب المهلب شارح البخاري وحكاه عن طايفة وابو نصر بن القشيري ومن
قبلهم ابو سعد في شرف المصطفى قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم معاريج
منها ما كان في اليقظة ومنها ما كان في المنام وذكر السهيلي تصحيح هذا
المذهب عن شيخه القاضي ابي بكر بن العربي واختاره وان مرة
النوم توطية له وتمهيد وتيسيرا عليه كما كان بدو نبوته الرويا
الصادقة كما قالت عايشة اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرويا الصادقة وفي رواية الصالحة في النوم فكان لا يرى رويا الا جات مثل
فلق الصبح ليسهل عليه بالرويا امر النبوة فانه امر عظيم تضعف عنه
القوى البشرية فقد ذكر ابو ميسرة التابعي الكبير وغيره ان ذلك وقع في
المنام وجمعوا بينه وبين حديث عايشة بان ذلك وقع مرتين في المنام كما في الفتح
وكذلك الاسرا سهلت قصته عليه بالرويا في النوم قبل اليقظة لان هوله
عظيم فجات اليقظة على توطيه وتقدمه رفقا من الله بعبده وتسهيلا
عليه وقد جوز بعض قايلي ذلك ان تكون قصة المنام قبل المبعث لاجل
قول شريك بن ابي نمر في روايته عن انس وذلك قبل ان يوحى اليه وسيأتي
البحث في ذلك ان شا الله تعالى قريبا مع الجواب عن اشكاله بالاجماع على
ان فرض الصلاة كان ليلة الاسرا فكيف يكون قبل الوحي واحتج القايلون
بانه اربع اسراته يقظة كما ذهب اليه جماعة بتعدد الروايات في الاسرا
واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيا لم يذكره الاخر وبعضهم
يسقط شيا ذكره الاخر واجيب بانه لا يدل على التعدد لان بعض
الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به او ينساه او يذكر ما هو الاهم
عنده او ينشط تارة فيسوقه كله وتارة يحدث المخاطب بما هو انفع له وقال
الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة
فاثبت اسراات متعددة فقد ابعد واغرب جا بشي غريب لا يعرف وهرب
الى غير مهرب يعني ان ذلك لا يجد به نفعا في دفع التعارض ولم يحصل
على مطلب حذف من كلام ابن كثير في تاريخه تعليله بقوله لان كل السياقات

فيها تصريحه بالانبيا وفي كلها تفرض عليه الصلاة فكيف يدعي تعدد
ذلك هذا في غاية البعد ووصله بقوله ولم ينقل ذلك عن احد من
السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
امته بذلك ولنقله الناس على التعدد والتكرار ولم يقع ذلك انتهى
ونحوه في الفتح وزاد ويلزم ايضا وقوع التعدد في سواله صلى الله عليه وسلم
عن كل نبي وسوال اهل كل باب هل بعث اليه وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك
فان تعدد مثل ذلك في القصة لا يتجه فتعين رد بعض الروايات المختلفة الى
بعض او الترجيح وقال ابن القيم هذه طريقة ضعفا الظاهرية الذين اذا راوا
في القصة لفظة تخالف سياق بعض الرواة جعلوه مرة اخرى فكلما اختلفت
عليهم الرواة عددوا الوقايع والصواب الذي عليه ايمة النقل ان الاسرا
كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ويا عجبا لهولا الذين زعموا انه وقع مرارا
كيف ساغ لهم انهم يظنوا انه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد
بين ربه تعالى وبين موسى حتى تصير خمسا فيقول امضيت فريضتي وخففت
عن عبادي ثم يعيدها في المرة الثانية خمسين ثم يحطها عشرا عشرا وقد
وقع في رواية عبثر بن القاسم الزبيدي بضم الزاي ابو زبيد كذلك الكوفي
الثقة من رجال الجميع مات سنة تسع وسبعين ومائة وعبثر بفتح العين المهملة
وبموحدة ساكنة فمثناه الذي في التقريب وفتح المثلثة بوزن جعفر في
روايته عن حصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي ثقة روى له الجماعة
وتغير حفظه في الاخرة مات سنة ست وثلاثين ومائة وله ثلاث وتسعون سنة
عند الترمذي والنسائي لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
جعل يمر بالنبي ومعه الواحد الحديث فان كان ذلك محفوظا كان فيه
قوة لمن ذهب الى تعدد الاسرا وانه وقع بالمدينة ايضا اسرا غير
الذي وقع بمكة فضمير صفة محذوف قال في فتح الباري والذي يتحرر
من هذه المسيلة ان الاسرا الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة
من استفتاح ابواب السما بابا بابا بالتكبير ولا من التقا الانبيا كل
واحد في سما ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات
ولا طلبه تخفيفها وساير ما يتعلق بذلك وانما تكررت قضايا كثيرة
سوى ذلك راها النبي صلى الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض
ومنها بالمدينة بعد الهجرة البعض ومعظمها في المنام ضد
اليقظة والله اعلم انتهى وفي فتح الباري ايضا وفتح الامام ابو شامة
الى وقوع المعراج مرارا واستند الى ما اخرجه البزار وسعيد ابن منصور عن
انس رفعه بينا انا جالس اذ جا جبريل فوكز بين كتفي فقمنا الى شجرة فيها
مثل وكري الطاير فقعدت في احدهما وقعد جبريل في الاخر فارتفعت حتى
سدت الخافقين الحديث وفيه ففتح لي باب من السما فرايت النور الاعظم
واذا دونه حجابه رفرف الدر والياقوت ورجاله لا باس بهم الا ان الدارقطني

ذكر له علة تقتضي ارساله وعلى كل حال فهي قصة اخرى الظاهر انها
وقعت بالمدينة ولا بعد في وقوع امثالها وانما المستبعد وقوع التعدد في
قصة المعراج الذي وقع فيها سواله عن كل نبي وسوال اهل كل باب هل
بعث اليه وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك فان تعدد ذلك في القصة
لا يتجه فتعين رد بعض الروايات المختلفة الى بعض او الترجيح الا
انه لا بعد في وقوع جميع ذلك في المنام توطية ثم وقوعه في اليقظة على
وفقه كما قدمته ومن المستغرب قول ابن عبد السلام في تفسيره وكان
الاسرا في النوم واليقظة ووقع بمكة والمدينة فان اراد تخصيص المدينة
بالنوم ويكون كلامه على طريق اللف والنشر غير المرتب فيحتمل ويكون
الاسرا الذي اتصل به المعراج وفرضت فيه الصلاة بمكة والاخر في المنام
بالمدينة وينبغي ان يزاد فيه ان الاسرا بالمنام تكرر بالمدينة النبوية وقال
بعض العارفين ان له صلى الله عليه وسلم اربعة وثلاثين مرة من
الاسرآت الذي اسري به منها واحد بجسمه والباقي بروحه دون
جسده رويا راها انتهى فالحق وهو الصحيح انه اسرا واحد بروحه
وجسده يقظة في القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء
المحدثين والفقها والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة
ولا ينبغي العدول الرجوع والميل عن ذلك الظاهر اذ ليس في العقل ما يحيله
حتى يعدل عنه وانما عده محالا اصدر من كفار قريش وبعض ضعفا المسلمين
لتوهمهم ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محال لبعدها
فتنقطع في ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الزاعمين ان الافلاك لا فرجة
فيها ولا تقبل الخرق والالتيام وكلاهما خطا عقلا ونقلا الا ترى نقل عرش
بلقيس في طرفة عين مع بعد مسافته وقد نطقت النصوص بان للسما ابوابا
تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة قال التفتازاني ادعا استحالة الخرق
باطل لانه انما ينبني على اصول الفلاسفة من امتناع الخرق والالتيام على
السموات والا فالخرق والالتيام على السموات واقع عند اهل الحق والاجسام
العلوية والسفلية متماثلة مركبة من الجواهر الفردة المتماثلة يصح على كل
من الاجسام على ما يصح على الاخر ضرورة التماثل المذكور فاذا امكن خرق
الاجسام السفلية امكن خرق الاجسام العلوية والله قادر على الممكنات كلها
فهو قادر على خرق السموات وقد ورد به السمع فيجب تصديقه وقال
البيضاوي تبعا للرازي الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين
طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة
ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من درجة والاجسام
كلها متساوية في قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر على ان
يخلق مثل هذه الحركة الشريفة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله
والتعجب من لوازم المعجزات قال الرازي الامام فخر الدين قال اهل التحقيق

الذي يدل على انه تعالى اسرى بروح سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم وجسده معا يقظة من مكة الى المسجد الاقصى القران والخبر
اي الحديث اما القران فهو قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الابعد وتقرير الدليل انه
العبد اسم للجسد والروح فواجب ان يكون الاسرا حاصلا بجميع
الجسد والروح اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ويدل عليه قوله ارايت
الذي ينهى عبدا اذا صلى ولا شك ان المراد هنا مجموع الجسد والروح
لان العبد هنا محمد صلى الله عليه وسلم والناهي له عن الصلاة ابو جهل وهو
لا ينهاه عن الصلاة بروحه وايضا قال سبحانه وتعالى في سورة الجن
وانه بالفتح عطفا وبالكسر استينافا والضمير للشان لما قام عبد الله محمد
صلى الله عليه وسلم يدعوه يعبده ببطن نخله والمراد في تينك الايتين جميع
الروح والجسد وكذلك ههنا في قوله اسرى بعبده اذ الايات تحمل على
نظيرها انتهى واما الخبر فاشار اليه بقوله واحتجوا ايضا بظاهر قوله
عليه الصلاة والسلام اسري بي لان الاصل في الافعال ان تحمل على
اليقظة حتى يدل دليل على خلافه عقلي او شرعي وقال عياض وشيعه بغيره
الحق والصحيح انه اسرا بالجسد والروح في القصة كلها ويدل عليه الاية نصا
وصحيح الاخبار الى السموات استفاضة ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى
التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحالة تودن
بتاويل اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما
طغى اي ما عدل عن روية ما امر به من عجايب الملكوت وما جاوزها نص احة
ظاهرة في انه بجسده يقظة لانه اضاف الامر الى البصر وهو لا يكون الا يقظة
بجسده بشهادة لقد راى من ايات ربه الكبرى ولو كان مناما لما كانت فيه اية
ولا معجزة خارقة للعادة دالة على صدقه وان كانت رويا الانبيا وحيا اذ ليس
فيها من الابلغية وخرق العادة ما فيه يقظة على ان ذلك انما يعرفه من
صدقه وصدق خبره وان ذلك لو كان مناما لما كان فيه فتنة للضعفا
الذين كانوا اسلموا فارتدوا اي وقعوا في فتنة اي بلية عظيمة توقعهم في العذاب
لردتهم وتكذيبهم وانكارهم لخبر الصادق بما هو خارق للعادة ولا استبعده
الاغبيا جمع غبي بمعجمة اي الكفار ولا كذبوه فيه لان مثل هذا من المنامات لا ينكر
بل لم يكن منهم ذلك الا وقد علموا ان خبره انما كان عن اسرا به بجسمه وحال
يقظته ولان الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجسام وقد تواترت
الاخبار بانه اسري به على البراق وهو دابة فوجب كونه بالجسد والروح
معا فان قلت ما الحكمة في كونه تعالى جعل الاسرا ليلا مع ان غالب
الفرايض كالصوم والجهاد والصبح والظهر والعصر والابتغا من فضل
الله انما هو بالنهار وان وقع جهاد كيلا فنادر لنحو غارة وفيه الصلاة الوسطى
والصوم الذي قال الله فيه كل عمل ابن ادم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به ومن

ثم صح

ثم صح الشرف المناوي انه افضل من الليل وصحح غيره تفضيل الليل ثم
اجيب بانه انما جعل ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى
اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا فجمع له بين المقامين وهذا دليل
لما افهمه قوله بمقام المحبة والليل اخص زمان للمحبين بفتح الباء
المشددة تثنية محب اي اولى زمان يخلو فيه المحب بحبيبه يجمعهما فيه
فليس المراد باخص هنا مقابل الاعم ثم المحب لغة من وقعت منه المحبة والحبيب
والمحبوب من وقعت عليه فغلبه المحبة على المحبوب فقال المحبين او اشارة
الى ان المتحابين اذا صدقت محبة كل منهما لصاحبه كان محبا ومحبوبا
باعتبارين والخلوة بالحبيب متحققة بضم الميم وكسر القاف المشددة
اي ثابتة بالليل من تحقق الامر اذا ثبت ويجوز فتح القاف اسم مفعول
اي مثبتة والاول اولى وقال ابن المنير ولعل تخصيص الاسرا
بالليل ليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين
كفروا زيادة على فتنتهم اذ الليل اخفى حالا من النهار
فما وقع فيه لا يطلع عليه غالبا وكان من الغيب ما وقع نهارا يطلع عليه غالبا
لمشاهدته فاذا اخبر صلى الله عليه وسلم عما وقع له ليلا صدقه المومنون
فزادوا به ايمانا وكذبه الكافرون فزادت فتنتهم قال ابن المنير ولعله
لو عرج به نهارا لفات المومن فضيلة الايمان بالغيب وقد
اثنى الله على الذين يومنون بالغيب ففيه فضل عظيم ولم يحصل ما وقع
من الفتنة على من شقي وجحد عطف علة على معلول اي شقي بجحوده
انتهى وفيه ذلك حكمة اخرى ثالثة على طريق اهل الاشارات وهم
المحققون من الصوفية والاشارات الحقايق التي ياخذونها من نص القران
وغيره ولا يقصدون ان ما اخذوه تفسير صريح النص كما قاله العز بن عبد
السلام وغيره ذكرها العلامة محمد بن مرزوق وهي انه قيل لان
الله تعالى لما محا اية الليل طمس نورها بالظلام ليسكن فيه والاضافة
للبيان وجعل اية النهار مبصرة اي مبصرا فيها بالضوء وفايدة اضافة
البيان تحقيق مضمون الجملة السابقة انكسر الليل فجبر بان اسري
فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك اعظم الجبر وقيل افتخر
النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر فان كانت شمس
الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود في الليل الى السما
وهذا ايضا من كلام اهل الاشارات وقيل لانه صلى الله عليه وسلم سراج
كما قال تعالى وسراجا منيرا والسراج انما يوقد بالليل لانه انما يحصل
الانتفاع بايقاده ليلا ويذم بايقاده نهارا قال الفرزدق
كم والد لك يا جرير كانه ، قمر المجرة او سراج نهار ،
وانشد في ذلك المعنى
قلت يا سيدي فلم تؤثر الليل ، على بهجة النهار المنير ،

قال لا استطيع تغيير رسمي ، هكذا الرسم في طلوع البدور ،
انما زرته في الظلام لكيما ، يشرق الليل من اشعة نوري ،

وحاصل معنى الابيات انه سال محبوبه عن حكمة زيارته ليلا دون النهار
فقال انا بدر وهو انما يظهر اثره ليلا ولا يستطيع تغيير ذلك الاثر وان في
زيارته ليلا فايدة لا تظهر لو زاره نهارا وهي اشراق الليل بنوره فصار الليل
في حقه كالنهار في الاضاءة والاشراق فان قلت ايما افضل ليلة
الاسرا ام ليلة القدر التي هي خير من الف شهر فالجواب كما قاله الشيخ
ابو امامة ابن النقاش ان ليلة الاسرا افضل في حق النبي صلى
الله عليه وسلم من ليلة القدر لما اكرم به فيها من خوارق العادات
التي اجلها رويته الله تعالى على الصحيح وليلة القدر افضل في حق
الامة لانه اي العمل فيها لهم خير لهم من عمل في ثمانين سنة لمن
قبلهم اي العمل بالغا الكسر وهو ثلاث سنين وثلث سنة بناء على انه المراد هو
حقيقة العدد وهو الف شهر وصدر البيضاوي بان المراد التكثير واما
ليلة الاسرا فلم يات في ارجحية العمل فيها حديث صحيح ارك به
ما يشمل الحسن بدليل قوله ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي صلى
الله عليه وسلم لاصحابه ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح
ولا صح الى الان ولا يصح الى ان تقوم الساعة فيها شيء لانه اذا لم يصح
من اول الزمان لزم انه لا يصح في تعيينه لعدم امكان تجدد واحد عادة يطلع
على ذلك بعد الزمن الطويل وهذا لا يشكل عليه ما قيل انه كان ليلة سبع عشرة
او سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الاول او سبع وعشرين من رمضان
او من ربيع الاخر او من رجب واختير وعليه العمل لان ابن النقاش لم ينف الخلاف
فيها من اصله وانما نفى تعيين ليلة بخصوصها للاسرا وانها صح ومن
قال فيها شيا فانما قال من كيسه اي من عند نفسه دون استناد لنص
يعتمد عليه لمرجح ظهر له استانس به لما جزم به ولهذا اي عدم
اتيان شي فيها تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر
فيها على شي ولو تعلق بها نفع للامة ولو ذرة اي شيا قليلا جدا
لبينه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم لانه حريص على نفعهم انتهى
كلام ابي امامة زاد الشامي عقبه ويوخذ من قول الامام البلقيني في قصيدته
التي مدح فيها المصطفى

او لاك رويته في ليلة فضلت ، ليالي القدر وفيها الرب رضاكا ،

ان ليلة الاسرا افضل من ليلة القدر قال في الاصطفا ولعل الحكمة في ذلك اشتمالها
على رويته تعالى التي هي افضل كل شي ولهذا لم يجعلها ثوابا عن عمل من
الاعمال مطلقا بل من بها على عباده يوم القيامة تفضلا منه تعالى انتهى
لكن هذا لا يصادم كلام ابن النقاش اذ ليس في النظم انها افضل في حق
الامة وان كان فضل الزمان والمكان لا يختص بالعمل فيها على ما رجحه

الشهاب

الشهاب القرافي وغيره فهو خاص بتلك الليلة لا يتعداها الى مماثلها كل
سنة لعدم ورود شي فيه وفي الهدي لابن القيم ان ابن تيمية سيل هل ليلة
الاسرا افضل ام ليلة القدر فاجاب بان القايل ليلة الاسرا افضل ان اراد
انها ونظايرها كل عام افضل فهذا باطل لم يقله احد من المسلمين وهو معلوم
الفساد بالاضطرار وان اراد انها بخصوصها افضل لانه حصل له صلى الله
عليه وسلم فيها ما لم يحصل له في غيرها وما لم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم
ان انعام الله على نبيه ليلة الاسرا اعظم من انعامه عليه بانزال القران ليلة
القدر وهذا لا يعلم الا بوحي ولا يجوز التكلم فيه بلا علم ولا يعرف عن احد من
الصحابة انه خص ليلة الاسرا بامر من الامور فان قلت هل وقع الاسرا
لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبيا ام هو من خصايصه عليهم
اجاب العارف عبد العزيز المهدوي بان مرتبة الاسرا بالجسم
الى تلك الحضرات بفتح الضاد جمع حضرة اي المراتب العلية لم تكن
لاحد من الانبيا الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى وعبارة الانموذج
في الخصايص التي اختص بها على الانبيا ولم يوتها نبي قبله لفظها وبالاسرا
وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو الى قاب قوسين ووطيه مكانا
ما وطيه نبي مرسل ولا ملك مقرب واحيا الانبيا له وصلاته اماما بهم وبالملايكة
واطلاعه على الجنة والنار عد هذه البيهقي ورويته ايات ربه الكبرى وحفظه
حتى ما زاغ البصر وما طغى ورويته للباري تعالى مرتين وبركوبه البراق
في احد القولين وانما قال تعالى اسرى ماخوذ من السرى وهو سير
الليل يقول سرى وسرى اذا سار ليلا هذا قول الاكثر وقال الحوفي اسرى
سار ليلا وسرى سار نهارا وقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار من اخره
وهذا اقرب بعبده محمد صلى الله عليه وسلم اتفاقا والضمير لله تعالى
والاضافة للتشريف والمراد جعل البراق يسري به كما يقال امضيت كذا اي جعلته
يمضي وحذف المفعول لدلالة السياق عليه ولان المراد ذكر المسرى به لا ذكر الدابة
قال في الفتح اشارة الى انه تعالى هو المسافر به ليعلم ان الاسرا
من عبده هيبة الحضرة عناية ربانية سبقت له عليه السلام
ما لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره ولعل وجه الاعلام بذلك
انه اذا كان تعالى هو المسافر به افاد انه لم يكن منه فعل في الاسرا بل هو من
نعمه عليه وادخل بالمصاحبة على قول المبرد والسهيلي لان
الفعل اللازم اذا تعدى بالبا غيرت البا معناه بخلاف بقية الحروف اذا تعدى
بها الفعل فلا يتغير شي منها معناه فلذا جعلته للمصاحبة في قوله بعبده
ليفيد انه تعالى صحبه في مسراه بالالطاف والعناية والاسعاف
والرعاية بيان لمعنى صحبة الله لعبده لاستحالة المصاحبة الحقيقية
عليه هكذا جزم المبرد والسهيلي ان البا تقتضي مصاحبة الفاعل
للمفعول في الفعل بخلاف الهمزة حتى قال السهيلي اذا قلت قعدت به

فلابد من مشاركة ولو باليد وبه جزم ابن دحية وابن المنير زاد ابن دحية **ويشهد**
له اي لوصفه تعالي بالصحبة **قوله عليه الصلاة والسلام اللهم انت**
الصاحب في السفر والجمهور ان البا للتعدية مترادف الهمزة ولا تقتضي المصاحبة
ورد علي المبرد واتباعه بقوله تعالي ذهب الله بنورهم لان الله تعالي لا يوصف
بالذهاب مع النور وبقول الشاعر

ديار التي كانت ونحن علي مني ٭ تحل بنا لولا نجا الركايب ٭ فتصبر

اي تخلنا فالبا هنا للتعدية ولم تقتض المشاركة لان الديار لم يكن حراما
حلالا او تكون الباء بمعني الهمزة لا يجمع بينهما فلا يقال اذهبت بزيد **وناما قوله**
تعالي هو الذي يسيركم في البر والبحر وقوله اسري بعبده تلمح لك
خصوصية مصاحبة الرسول عليه الصلاة والسلام للحق سبحانه
وتعالي دون عموم الخلق لانه اتي بالمصاحبة في بعبده واتي بفي في العموم
اشارة الي الفرق بين لطفه بعبده وبين غيره من الخلق **وقرن سبحانه**
وتعالي النبي بهذا الاسرا فقال سبحان الذي اسرا واصلها التنزيه ويطلق
في موضع التعجب فعلي الاول المعني تنزه الله عن ان يكون رسوله كذابا وعلي الثاني
عجب الله عباده بما انعم به علي رسوله ويحتمل انه بمعني الامر اي سبحوا الذي اسري
قاله في الفتح **لينفي عن قلب صاحب الوهم ومن تحكم عليه خياله من**
اهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق سبحانه من
الجهة والحد والمكان حملا لقوله اسري بعبده من المسجد علي ظاهره فيكون
معناه صاحبه في سيره من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي وذلك محال
في حقه وفي البيضاوي تصديره بالتسبيح للتنزيه عن العجز عما ذكر
بعد ولذا قال **لنريه من اياتنا يعني ما راي في تلك الليلة من عجايب**
الايات كانه سبحانه وتعالي يقول ما اسريت به الا لرؤية الايات
لا الي وا لي لا يحدني مكان لانه الخالق له وموجده فكيف يحده **ونسبة**
الامكنة الي نسبة واحدة فكيف اسري به بضم الهمزة مضارع من اسري
اي كيف انقله من المكان الذي هو به لاحضره **الي وانا عنده وانا معه**
اينما كان اي في اي مكان حل به **ولله در القايل** اي ما معني ما ذكر

سبحان من اسري اليه بعبده ليريه الذي
اخفاه من اياته اي ستره عن عامة خلقه ويريه مبني للمفعول بفتح
اوله او بضمه وحذف المفعول اي ليريه ومثل لذلك علي طريق اهل الاشارة
بقوله **لحضوره في غيبه** يعنون بها غيبة القلب عن علم ما يجري من
احكام الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من الحق حتي انه قد يغيب عن
احساسه بنفسه فضلا عن غيره والغيبة بازاء الحضور والغيب بازاء
الشهادة فيقال الغيب عن عالم الشهادة حضور في عالم والحضور في عالم
القدس غيبة عن عالم الحس **وسكره** وهو غيبة بوارد قوي **في صحوه**
وهو الرجوع الي الاحساس بعد الغيبة بوارد قوي وذلك ان العبد اذا كوشف

بنعمة

بنعمة الجمال سكر وطرب وهام قلبه فاذا عاد من سكره سمي صاحيا
فمحو رفع اوصاف العادة **في اثباته** وهو اقامة احكام العادة مقابل
للمحو ويري الذي عنه تكون سره السر يعني به عن حصة كما
موجود من الحق بالتوجه الايجادي المنبه عليه بقوله تعالي انما
امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون **في منعه ان شاه** اي التمنع
وهباته جمع هبة ذكره كله في لطايف الاعلام **ويريه** من الاراه
ما بدي اظهر له من جوده تعالي عليه صلي الله عليه وسلم هو
بوجوده والتفرد من هباته سبحانه من سيد من اسمايه
تعالي كما في حديث **ومهيمن** كما في التنزيل المهيمن اي الشاهد
الحافظ او المومن او الامين او الرقيب او القايم علي خلقه **في ذاته واسمايه**
بتثليث السين لغة في الاسما وهي ما دل علي الذات باعتبار صفة **وصفاته**
جمع صفة وهي المعني القايم بالذات **واكد تعالي بقوله ليلا مع ان**
الاسرا لا يكون في اللسان العربي الا ليلا لا نهارا وكذا اسري
عند الاكثر كما مر قال الحافظ ولم يختلف القرا في اسري بخلاف قوله تعالي
في قصة لوط فاسر فقرئت بالوصل والقطع وفيه تعقب علي من قال سري
واسري بمعني واحد قال السهيلي السري من سريت اذا سرت ليلا معنى هو
فهو لازم والاسرا يتعدي في المعني لكن حذف مفعوله حتى ظن من ظن
انهما بمعني واحد وانما معني اسري بعبده جعل البراق يسري به
كما تقول امضيت كذا اي جعلته يمضي لكن حذف المفعول لقوة الدلالة
عليه والاستغنا عن ذكره اذ المقصود بالذكر المصطفي لا الدابة التي سارت
به واما قصة لوط فالمعني سر بهم علي ما يتحملون عليه من دابة ونحوها
هذا معني قراة القطع ومعني الوصل سر بهم ليلا ولم يات مثل ذلك في الاسرا
لانه لا يجوز ان يقال اسري بعبده بوجه من الوجوه قال الحافظ والنفي الذي
جزم به انما هو من هذه الحيثية التي قصد فيها الاشارة الي انه سار
ليلا علي البراق والا فلو قال قايل سرت بزيد بمعني صاحبته لكان المعني
صحيحا **ليدفع الاشكال حتي لا يتخيل انه اسري بروحه فقط**
دون جسده **ويزيل من خاطر من يعتقد من الناس ان الاسرا**
ربما يكون نهارا فان القران وان كان نزوله بلغة العرب فانه
خاطب به الناس اجمعين اصحاب اللسان العربي وغيرهم
وهذا علي قول الاكثر من اختصاصه بالليل والافي الفتح ليلا ظرف
للاسرا للتاكيد وفايدته دفع توهم المجاز لانه قد يطلق علي سير النهار
ايضا **وقال البيضاوي تبعا لصاحب الكشاف** الزمخشري **وفايدة**
الدلالة بتنكيره علي تقليل مدة الاسرا اي انه وقع في بعض الليل
لا في جميعه والعرب تقول سري فلان ليلا اذا سار بعضه وسري ليلة
اذا سار جميعها كما في الفتح **ولذلك قري** في الشواذ **من الليل** اي بعضه

كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقيل يقال اسرى
ليلا اذا سار اثنا الليل واذا سار في اوله يقال ادلج ومنه قوله تعالى في
قصة موسى ان اسر بعبادي ليلا اي من وسط الليل
[illegible] الكشاف وكي انه [illegible] عليه قراة اية النسف اي
نقل النسفي عن غيره واقره فلذا نسبه اليه وعبارته قال بعضهم وفيه
نظر لان التنكير التقليل لا يكون الا فيما يقبل القلة والكثرة والليل لا يقبلهما
ولا يسلم له ايضا علي تقدير انه بالاعتبار لان هذا المعني وهو البعض حاصل
ولو لم يكن فادة قولك دخل زيد البلد الليل وليلا يفيد هذا المعني اذ ليس
الدخول في كل الليل انتهي قال النعماني وفيه نظر اذ لا نسلم ان هذا وزان نطاق
الامير البلد ليلا فانه طوفه قد يكون مستغرقا لكل الليلة ولما استشهد صاحب
الكشاف هذا استشهد بقراة عبد الله وحذيفة من الليل ولا يسلم له ايضا
كونها تبعيضية بل يجوز انها ابتدائية فالسؤال باق انتهي والمعاريج
ليلة الاسرا عشرة سبع الي السموات السبع والثامن الي سدرة
المنتهي والتاسع الي المستوي الذي سمع فيه صريف الاقلام بتصويبها
في تصاريف الاقدار والعاشر الي العرش والرفرف والروية لله
عز وجل وسماع الخطاب منه بالمكافحة الي طبقة الكشف الحقيقي
وقد وقع له عليه الصلاة والسلام في سني الهجرة بكسر السين
جمع سلامة لسنة وسكون اليا فحذفت النون للاضافة فالتقي ساكنان اليا
واللام فحذفت اليا لفظا لالتقا الساكنين فبقي هكذا سني خطا فتكتب اليا ولا
تقرا العشرة ما كان فيه مناسبات لطيفة بهذه المعاريج العشرة
والتي ذكرها المص وهذا ختمت سني الهجرة كذا في جميع النسخ باليا
والصواب سنو بالواو لانه جمع مذكر سالم نايب فاعل ختمت بالوفاة وهي
لقا الحق جل جلاله والانتقال من دار الفنا الي دار البقا والعروج
بالروح الكريمة الي المقعد الصدق مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم واريد
به الجنس وقري في مقاعد صدق والمعني ان مجالس الجنات سالمة من اللغو والتاثيم
بخلاف مجالس الدنيا فقل ان تسلم من ذلك والي الموعد الحق والي الوسيلة
وهي المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسرا باللقا والحضور
بحضيرة القدس وقد افاد الامام الذهبي محمد الحافظ العلم الشهير
نسبة الي الذهب ان الحافظ عبد الغني المقدسي جمع احاديث الاسرا
في جزئين ولم يتيسر لي الوقوف عليهما بعد الفحص الطلب الشديد
وقد صنف الشيخ ابو اسحاق ابراهيم النعماني تلميذ الحافظ ابن حجر
رحمه الله في الاسرا والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادة
الرقايق والاشجان بفواصل الحقايق اي بزيادة بيانها ولم اقف
عليه حال كتابتي هذا المقصد الشريف وقد وقفت عليه والله تعالي
يرحم شيخ الاسلام والحفاظ الشهاب ابن حجر العسقلاني فانه جمع

في

في كتابه الفتح كثيرا مما تشتت من طرق حديث الاسرا وغيره
من الاحاديث مع تدقيق مباحث فقهه والكشف عن اسرار معاني
[illegible] الفاظه وحكمه واكثر ما ذكره المصنف هنا
في قسم من المنح العطايا النبوية والمناقب المحمدية وكل من صنف
استخرجنا معارف اللطايف من رياض عياض اي فوايده المذكورة
في الشفا سماها رياضا لكثرة نفعها كنفع الاشجار المثمرة للعامة
والاستشفا من ادوا المشكلات بدر واشفايه المبري لمعضل بلس
الصاد اي شديد الامراض والله تعالى يفيض عليه وعلي ساير علما
الامة سجال رحمته ورضوانه ويسكننا معهم في بحبوحة بضم
البايين جنانه اي وسطها وقد وردت احاديث الاسرا من حديث
انس بن مالك في روايته عن النبي صلي الله عليه وسلم بلا واسطة رواه
احمد ومسلم عن ثابت والشيخان عن شريك وابن مردويه عن كثير بن خنيس
والنسايي وابن مردويه عن يزيد بن ابي مالك وابن ابي حاتم وابن جرير وابن
مردويه والبيهقي عن عبد الرحمن بن هاشم وعبد العزيز بن صهيب والطبراني
عن ميمون بن سياه وابن جرير عن كثير بن سليم وابن مردويه عن ابي هاشم
وعلي بن زيد عن ثمامة وابن سعد وسعيد بن منصور والبزار عن ابي عمران
الجوني الاحد عشر عن انس عن المصطفي بلا واسطة وابي بن كعب رواه
عنه ابن مردويه من طريق مجاهد عن ابن عباس وعبد الله بن احمد في زوايد
المسند بلفظ حديث انس عن ابي ذر حرفا بحرف قال الحافظ في اطراف المسند
انه وقع فيه تحريف وكان في الاصل عن ابي ذر فسقط من النسخة لفظة ذر
فظن انه ابن كعب فادرج في مسند ابي بن كعب غلطا قال الشامي ونبه الدارقطني
في العلل علي ان الوهم فيه من ابي حمزة انس بن عياض وجابر بن عبد الله
عند الشيخين ورواه الطبراني وابن مردويه بلفظ اخر بسند صحيح وبريدة
بضم الموحدة وفتح الرا وسكون التحتية بن الحصيب بمهملتين مصغر رواه
الترمذي والحاكم وصححه وسمرة بن جندب عند ابن مردويه وابن عباس
عبد الله رواه احمد والشيخان وابو يعلي وابو نعيم وابن مردويه والنسايي والبزار
بطرق كلها مختصرة وابن عمر رواه ابو داود والبيهقي وابن مسعود
رواه مسلم وابن عرفة واحمد وابن ماجة والبزار وابو يعلي والبيهقي بطرق
عندهم عنه وابن عمرو بفتح العين بن العاصي عند ابن سعد وابن عساكر
وحذيفة بن اليمان عند ابن ابي شيبة واحمد والترمذي وصححه وشداد
ابن اوس عند البزار والطبراني والبيهقي وصححه وصهيب بن سنان
عند الطبراني وابن مردويه وعلي بن ابي طالب عند احمد وابن مردويه
وعمر بن الخطاب رواه احمد وابن مردويه ومالك بن صعصعة
رواه احمد والشيخان وابن جرير والبيهقي وغيرهم وابي امامة
عند ابن مردويه وابي ايوب الانصاري رواه الشيخان في احاديث

ابي ذر وابي حبة بموحدة على الصحيح الانصاري الاوسي البدري رواه
ابن مردويه قال في الاصابة وقع ذكره في الصحيح من رواية الزهري عن
ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابي حبة البدري عقب حديث الزهري
عن انس عن ابي ذر في الاسرا وروي عنه ايضا عمار بن عمار وحديثه عنه
في مسند ابن ابي شيبة واحمد وصححه الحاكم وصرح بسماعه منه وعلى هذا
فهو غير الذي ذكر ابن اسحاق انه استشهد باحد قال ابو حاتم اسمه عامر
ابن عبد عمرو بن عمير بن ثابت وقال ابو عمر يقال بالموحدة وبالنون والياء والصواب
بالموحدة وقيل اسمه عامر وقيل مالك وبالنون ذكره ابن عقبة وابن ابي خيثمة
وانكر الواقدي ان يكون في البدريين من يكنى ابا حبة بموحدة وقد خلطه غير
واحد بابي حبة بن غزية بن عمرو الخزرجي البخاري وفرق بينهما غير واحد
وصوبه ابن عبد البر فقال هذا الخزرجي وذاك اوسي وهذا لم يشهد بدرا وذاك
شهدها وابي ذر رواه الشيخان وابي سعيد الخدري رواه ابن
جرير وابن ابي حاتم والبيهقي من طريق هرون العبدي وهو متكلم فيه وقد
روى البيهقي عن ابي الازهر قال حدثنا زيد بن ابي حكيم قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله رجل من امتك يقال له
سفيان لا باس به فقال صلى الله عليه وسلم لا باس به حدثنا عن ابي هرون عن
ابي سعيد عنك انك ليلة اسري بك قلت رايت في السما فحدثته بالحديث فقال
نعم فقلت ان اناسا من امتك يحدثون عنك في الاسرا بعجايب فقال ذاك حديث
القصاص وابي سفيان بن حرب عند ابي نعيم في الدلايل وابي هريرة
رواه مطولا ابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي والحاكم وصححه ومختصرا الشيخان
واحمد وابن ماجة وابن مردوية وابن سعد والطبراني وسعيد بن منصور
بطرق عنه وعايشة عند الحاكم وصححه والبيهقي وابن مردوية واسما بنت
ابي بكر رواه ابن مردوية وام هاني عند الطبراني وام سلمة عند الطبراني
وابي يعلى وابن عساكر وابن اسحاق وغيرهم فاخرجه ابن عساكر عن سهل
ابن سعد والبزار والبغوي وابن قانع عن عبد الله بن اسعد بن زرارة والطبراني
عن ابي الحمرا وابن مردوية والطبراني عن ابي ليلى الانصاري وسعيد بن منصور
عن عبد الرحمن بن قرط وذكره ابن دحية عن ابي بكر الصديق وعبد الرحمن ابن
عابس وابي سلمة وعياض بن ... وذكره ابو حفص النسفي عن العباس ابن عبد
المطلب وعثمان بن عفان وابي الدردا وابي سلمى راعي النبي صلى الله عليه وسلم
وام كلثوم بنت المصطفى وبلال بن حمامة وبلال بن سعد وابن الزبير وابن
ابي اوفى واسامة بن زيد قال الشامي ولم اقف على حديثه فهو لا خمسة
واربعون صحابة رووا القصة رضي الله سبحانه وتعالى عنهم اجمعين
وفي تفسير الحافظ ابن كثير من ذلك ما يكفي ويشفي وبالجملة
فحديث الاسرا اجمع عليه المسلمون واعرض عنه الزنادقة
الملحدون لاستحالته في زعمهم الكاذب يريدون ان يطفيوا منصوب

بان

بان مقدرة واللام مزيدة نور الله شرعه وبراهينه بافواههم باقوالهم
فيه والله متم مظهر نوره ولو كره الكافرون ذلك وقد ساق البرهان
النعماني غالب الفاظ الصحابة الذين رووا القصة ولم اقتصر على حديث
البخاري في باب المعراج وتكلم بعده بما غالبه من فتح الباري فقال وقد روى
البخاري بسنده وهو حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام عن قتادة
ابن دعامة وليس هذا من التعليق في شي عن انس بن مالك وكذا رواه
مسلم والنسايي واخرجه البخاري في بدء الخلق من وجه اخر عن قتادة
حدثنا انس فزال ما يخشى من تدليس قتادة بتصريحه بالتحديث عن
مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك الانصاري من بني النجار
ما له في البخاري ولا في غيره سوى هذا الحديث ولا يعرف من روى عنه الا
انس بن مالك قاله في الفتح وذكر في الاصابة الخلاف في انه من بني عدي ابن
النجار رهط ابي حزم ابن سعد او من بني مازن بن النجار رهط ابي حزم البغوي وقال
سكن المدينة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين وذكر الخطيب
في المبهمات انه الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم اكل تمر خيبر هكذا
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثه عن ليلة اسري به فيها
صفة لليلة هكذا رواه الكشميهني والنسايي ورواه الاكثر عن ليلة الاسرا
وبين ما حدثه به بقوله بينما اي فقال المصطفى بينها وثبت في بعض
نسخ البخاري قال بينما بالميم انا نايم في الحطيم وربما قال في الحجر
بكسر فسكون والشك من قتادة كما بين والمراد بالحطيم الحجر مضطجعا نصب
على الحال اذ اتاني ات هو جبريل فقد بالقاف والدال الثقيلة قال قتادة
وسمعته اي انسا يقول فالقايل قتادة والمقول عنه انس ولاحمد قال قتادة
وربما سمعت انسا يقول فالقايل قتادة والمقول عنه انس ولاحمد قال قتادة
لمالك بن صعصعة فشق ما بين هذه الى هذه قال قتادة فقلت
للجارود بفتح الجيم فالف فرا مضمومة فواو فدال مهملة قال الحافظ لم ار من
نسبه من الرواة ولعله ابن ابي سبرة البصري صاحب انس فقد اخرج له ابو
داود من روايته عن انس حديثا غير هذا انتهى وجزم المص بما ترجاه وهو
الى جنبي ما يعني انس به اي بقوله فشق ما بين هذه الى هذه قال يعني
من ثغرة نحره بضم المثلثة وسكون المعجمة الموضع المنخفض بين الترقوتين
الى شعرته بكسر المعجمة اي شعر عانته ووقع السوال هل كان شق صدره
الشريف بالة ام لا ولم يجب عنه احد ولم ار من تعرض له بعد التتبع وظاهر
قوله فشق انه كان بالة ويدل له قول الملك في حديث ابي ذر خط بطنه
فخاطه وفي لفظ عتبة بن عبد حصه فخاصه وفي حديث انس كانوا يرون
اثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم ذكره الشامي وزعم بعض ان
الشق في المرات كلها لم يكن بالة ولم يسل منه دم ولم يجد لذلك الما كما
صرح به في بعض الروايات لانه من خرق العادات وظهور المعجزات
فاستخرج قلبي ثم اتيت بضم الهمزة بطست بفتح الطا وكسرها

وسكون السين المهملتين وبمثناة وقد تحذف وهو الاكثر واثباتها لغة
طي واخطا من انكرها قاله الحافظ **من ذهب** قبل تحريم استعماله **مملوة** بالجر
على الصفة والتانيث على لفظ الطست لانها مونثة **ايمانا** نصب على التمييز
ملا حقيقة وتجسد المعاني جايز كتمثيل الموت كبشا ووزن الاعمال وغير ذلك
من احوال الغيب او مجاز من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما
مثلت له الجنة والنار في عرض الحايط وفايدته كشف المعنوي بالحسي ثم
هذا لفظ البخاري في المعراج وله في بدء الخلق بطست ملئ حكمة وايمانا
بالتذكير باعتبار الاناء وللمستملي والحموي ملان بفتح الميم وسكون اللام
وهمزة ونون وللكشميهني ملاى بفتح الميم وسكون اللام وفتح الهمزة مونثة
على لفظ الطست فزاد في هذه الرواية حكمة قال ابن ابي جمرة فيه ان الحكمة
ليس بعد الايمان اجل منها ولذا قرنت معه ويويده قوله تعالى ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واصح ما قيل فيها انها وضع الشي في محله او
الفهم في كتاب الله وعلى الثاني قد توجد الحكمة دون الايمان وقد لا توجد وعلى
الاول قد يتلازمان لان الايمان يدل على الحكمة **فغسل** بضم الغين اي غسل
جبريل **قلبي** وعند مسلم والبخاري في الصلاة بما زمزم لانه افضل المياه
تقوية القلب **ثم حشي** بضم المهملة وكسر المعجمة ايمانا وحكمة **ثم اعيد**
موضعه من الصدر المقدس وللبخاري في الصلاة ثم جا بطست من ذهب
ممتلي حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم اطبقه **ثم اتيت** بضم الهمزة
بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض ذكر باعتبار كونه مركوبا
او نظرا للفظ البراق وحكمة كونه بهذه الصفة الاشارة الى ان الركوب كان في
سلم وامن لا في حرب وخوف او لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد بدابة
لا توصف بذلك عادة **فقال له الجارود هو البراق** استفهام حذفت اداته
اداته **يا ابا حمزة** بمهملة وزاي كنية انس **قال انس نعم** هو البراق هو
بضم الموحدة وتخفيف الرا ضبطه الحافظ وغيره وكثيرا ما يخطي التشديد فيه
فيقراونه بكسر البا **يضع خطوه** بفتح المعجمة المرة الواحدة وبضمها الفعلة
عند اقصى طرفه بسكون الرا وبالفا اي نظره اي يضع رجله عند منتهى
ما يرى بصره قاله الحافظ والتعبير بالخطو مجاز لانه مصدر وهو لا يتصف
بالوضع **فحملت عليه** بضم الحا مبنيا للمفعول **فانطلق بي جبريل حتى اتى**
السما الدنيا ظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السما وليس مرادا
بل هذا اختصار من الراوي وياتي بسطه ثم وقال النعماني ما الاثر من
انه صلى الله عليه وسلم رقي المعراج فوق ظهر البراق بظاهر هذا الحديث
انتهى والمانع من ذلك ربطه ببيت المقدس كما ياتي بيانه **فاستفتح**
اي طلب فتح باب السما بقرع او صوت والاشبه الاول لانه صوته معروف
قاله الحافظ وصرح به في رواية مسلم عن ثابت عن انس بلفظ فقرع الباب
وفي حديث ابي ذر فقال جبريل لخازن السما افتح فيجمع بينهما بانه فعل
القرع والصوت معا والتعليل بمعرفة صوته لا ينهض مع كون السما

شفافة

شفافة وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي في ذكر الانبيا الى باب من
ابواب السما الدنيا يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسماعيل تحت
يده اثنا عشر الف ملك وفي حديث جعفر بن محمد عند البيهقي ايضا
يسكن الهوا لم يصعد الى السما قط ولم يهبط الى الارض قط الا يوم
مات النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي في الدلايل
وبين يديه سبعون الف ملك مع كل ملك جنده مائة الف **قيل من هذا**
الذي يقرع الباب **قال جبريل قيل ومن معك قال محمد** وهذا يشعر
بانهم احسوا معه برفيق اما بمشاهدة لان السما شفافة واما بامر معنوي
كزيادة انوار ونحوها تشعر بتجدد امر يحسن معه السوال بهذه الصيغة
والا كان السوال بلفظ امعك احد **قيل وقد ارسل اليه** للعروج الى السما
على الاظهر لقوله اليه لان اصل بعثه قد اشتهر في الملكوت الاعلى كما ياتي
في المتن **قال نعم قيل مرحبا به** اي لقي رحبا بضم الرا وفتحها وسكون الحا
وبفتحهما سعة وكنى بذلك عن الانشراح **فنعم** لفظ البخاري في المعراج
وله في بدء الخلق ولنعم **المجي جا** قال ابن مالك فيه شاهد على الاستغنا
بالصلة عن الموصول او الصفة عن الموصوف في باب نعم لانها تحتاج الى
فاعل هو المجي والى مخصوص بمعناها وهو مبتدا مخبر عنه بنعم وفاعلها
فهو في هذا وشبهه موصول او موصوف بجا والتقدير نعم المجي الذي جا
او نعم المجي مجي جا وكونه موصولا اجود لانه مخبر عنه والمخبر عنه اذا
كان معرفة اولى من كونه نكرة انتهى فلا حذف فيه ولا تقديم خلافا لقول
المظهري المخصوص بالمدح محذوف فيه تقديم وتاخير تقديره جا فنعم
المجي مجيه **ففتح الباب فلما خلصت** بفتح اللام اي وصلت **فاذا**
فيها ادم وفي حديث انس عن ابي ذر عند البخاري في الصلاة فاذا رجل
قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا
نظر قبل شماله بكى فقلت لجبريل من هذا **قال هذا ابوك** ووقع ذكر النسم
هنا في بعض النسخ والصواب اسقاطه اذ ليس في حديث انس عن مالك بن
صعصعة الذي هو في سياق لفظه وانما هو في حديث انس عن ابي ذر
كما في البخاري **فسلم عليه** لانه المار يسلم على القاعد وان كان المار افضل
فسلمت عليه ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فيه
اشارة الى افتخاره بابوة النبي صلى الله عليه وسلم والصالح القايم بما يلزمه
من حقوق الله وحقوق العباد فلذا كانت كلمة جامعة لمعاني الخير
وتوارد الانبيا على وصفه بها وكررها كل منهم عند كل صفة **ثم صعد**
بي الى السما الثانية فاستفتح جبريل بابها **قيل من هذا قال جبريل**
قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به
فنعم المجي مجي جا او الذي جا **جا ففتح** الخازن الباب **فلما خلصت**
اذا يحيى بن زكريا **وعيسى** بن مريم زاد في حديث ابي سعيد عند ابن جرير

وابن ابي حاتم والبيهقي شبيه احدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما ومعهما
نفر من قومهما واذا عيسى جعد مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط
الراس كانما خرج من ديماس اي حمام مشبهه بعروة ابن مسعود الثقفي
وهما ابنا الخالة لان ام يحيى ايشاع بنت فاقود اخت حنة بمهملة
ونون مشددة بنت فاقود ام مريم وذلك ان عمران بن ماثان تزوج
حنة وتزوج زكريا ايشاع فولدت ايشاع يحيى وولدت حنة مريم فتكون
ايشاع خالة مريم وحنة خالة يحيى فهما ابنا خالة بهذا الاعتبار وليس
عمران هذا ابا موسى اذ بينهما فيما قيل الف وثمانماية سنة قال ابن السكيت
يقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة ولا يقال ابنا عم ولا ابنا خال قال الحافظ
والسبب فيه ان ابني الخالة ام كل منهما خالة الاخر لزوما بخلاف ابني العم
قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليه[ما] فردا علي السلام
ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي
السما الثالثة فاستفتح جبريل الباب فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا
به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال لي جبريل هذا
هذا يوسف فسلم عليه ولعل حكمة امره بالسلام على كل من ورد عليه
ولم يكتف بالامر الاول مع حصول العلم بطلب السلام على كل من مر عليه
منهم الاشارة الى استحقاق كل منهم للتعظيم وان من مر على جماعة منهم
يطلب منه السلام على كل منهم بخصوصه فسلمت عليه فرد ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح زاد في مسلم في رواية ثابت عن
انس فاذا هو قد اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم
كما قال ابن المنير او المراد غير المصطفى بالمرة ويأتي بسطه للتمم ثم صعد
بي حتى اتى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به
فنعم المجي الذي جا فلما خلصت فاذا ادريس زاد في حديث
ابي سعيد عند ابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي قد رفعه الله مكانا عليا
واستشكل بانه راى هرون وموسى وابراهيم في مكان ارفع منه واجيب بان
وجهه ما ذكره بعض الاخبار ان ادريس خص من بين جميع الانبيا برفعه حيا
رفعه الملك الموكل بالشمس وكان صديقا له وكان ادريس يسال له ان يريه الجنة
فاذن الله له في ذلك فلما كان في السما الرابعة راه ملك الموت فعجب وقال امرت
ان اقبض روح ادريس في السما الرابعة فقبضه هناك فرفعه حيا الى ذلك
المقام خاص به دون الانبيا قاله السهيلي وتعقبه الحافظ في كتاب الانبيا
فقال فيه نظر لان عيسى ايضا رفع وهو حي على الصحيح وكون ادريس رفع
وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وروى الطبري ان كعبا قال لابن
عباس ان ادريس سال صديقا له من الملائكة فحمله بين جناحيه ثم صعد

به

به فلما كان في السما الرابعة فقلت كيف ذلك وهو في الارض فقبض روحه
فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وهذا من الاسرايليات والله اعلم
بصحته اشتهى والحاصل عن السهيلي انه قيد خصوصية ادريس برفعه
حيا الى السما الرابعة فلا يرد عيسى لانه رفع حيا الى السما الثانية وذكر
ابن قتيبة ان ادريس رفع وهو ابن ثلاث ماية وخمسين سنة قال هذا
ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح قيل فيه رد على النسابة في قولهم ادريس جد
نوح والا لقال والابن الصالح كما قال ادم ولا رد فيه لانه خاطبه بالاخوة تادبا
وتلطفا وان كان ابا والمومنون اخوة وكان وجه الخطاب بذلك لرفعه مكانا
عليا ثم صعد بي حتى اتى السما الخامسة فاستفتح قيل من
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال
نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا هرون زاد في
حديث ابي سعيد عند ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي نصف
لحيته بيضا ونصف لحيته سودا يكاد يضرب الى سرته من طولها وفي حديث
ابي هريرة عند ابن جرير والبيهقي وغيرهما وحوله قوم من بني اسرايل وهو
يقص عليهم قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما السادسة
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد ارسل اليه قال نعم هكذا ثبت في البخاري في باب المعراج هنا وفي
السابعة قال نعم ايضا وسقط في الموضعين في بدء الخلق وهو الذي وقف
عليه الشيخ ابن حجر وقال لم يذكر البخاري قال نعم لا في السادسة ولا في السابعة
قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا موسى بن عمران رجل
ادم طويل كانه من رجال شنوءة كما في البخاري عن ابي هريرة ومسلم عن ابن عباس
وفي حديث ابي سعيد كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دونهما
قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح فلما تجاوزت بجيم وزاي وحذف الضمير المنصوب بكى موسى
قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما صغير السن بالنسبة اليه وقد انعم
الله عليه بما لم ينعم به عليه مع طول عمره بعث من بعدي يدخل الجنة
من امته اكثر ممن يدخلها من امتي وليس بكاوه حسدا معاذ الله فانه
منزوع عن احاد المومنين في ذلك العالم فكيف بمن اصطفاه الله بل لاجه
تاتي في المتن ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل قيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه
قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا ابراهيم قال
جبريل هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام
فقال بالفا وحذفها روايتان في البخاري مرحبا بالابن الصالح والنبي

الصالح زاد في حديث ابي ايوب عند ابن ابي حاتم وابن حبان وابن مردويه
واحمد وقال مر امتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وارضها
واسعة فقال له وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
واخرج الترمذي وقال حسن والطبراني عن ابن مسعود رفعه انا ابراهيم
قال اقرا امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الما وانه
غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال النووي وقد
من الله الكريم فجعل لنا سندا متصلا بخليله ابراهيم وفي الصحيحين من
حديث ابي هريرة وهو اي المصطفى اشبه ولد ابراهيم به وياتي في المتن
توجيه رويته لها ولا الانبيا في السموات ولهم ولغيرهم في بيت المقدس
مع ان اجسادهم في قبورهم **ثم رفعت** كذا للاكثر بضم الرا وسكون العين
وضم التا من رفعت بضمير المتكلم وبعده حرف الجر وهو **الي سدرة**
المنتهى وللكشميهني رفعت بفتح العين وسكون التا اي من اجلي
وسدرة المنتهى بالرفع نايب فاعل رفعت وكذا في بدء الخلق ويجمع بين
الروايتين بان المراد انه رفع اليها اي ارتقي به وظهرت له والرفع الي الشي
يطلق على التقرب منه وقد قيل في قوله وفرش مرفوعة اي تقرب لهم **فاذا**
نبقها بفتح النون وكسر الموحدة وبسكونها ايضا قال ابن دحية والاول
هو الذي ثبت في الرواية اي التحريك المعروف وهو ثمر السدر **مثل قلال**
قال الخطابي بالكسر جمع قلة بالضم هي الجرار يريد ان ثمرها في الكبر مثل
القلال وكانت معروفة عند المخاطبين فلذا وقع التمثيل بها قال وهي التي
وقع تحديد الما الكثير بها في قوله اذا بلغ الما قلتين **هجر** بفتح الها والجيم
بلدة لا تنصرف للتانيث والعلمية ويجوز الصرف **واذا ورقها مثل اذان**
الفيلة بكسر الفا وفتح التحتية بعدها لام جمع فيل وفي بدء الخلق مثل اذان
الفيول وهو جمع فيل ايضا قاله كله في فتح الباري وقول الزركشي الفيلة بفتح
الفا واليا سهو قاله في المصابيح **قال** جبريل **هذه سدرة المنتهى** ووجه
تسميتها بذلك بينه صلى الله عليه وسلم بقوله واليها ينتهي ما يعرج من
الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها رواه
مسلم من حديث ابن مسعود قال الحافظ واورده النووي بصيغة التمريض
فقال وحكي عن ابن مسعود انها سميت بذلك الخ فاشعر بضعفه عنده ولا
سيما ولم يصرح برفعه وهو صحيح مرفوع انتهى وياتي بعض هذا في
المتن **واذا اربعة انهار** تخرج من اصلها **نهران باطنان ونهران**
ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة
ويجريان في اصل سدرة المنتهى ثم يسيران حيث شا الله ثم ينزلان الي الارض
ثم يسيران فيها وقال مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر كذا في شرح المص
وياتي في المتن ابسط منه **واما الظاهران فالنيل** نهر مصر **والفرات**
بالفوقية خطا وصلا ووقفا لا بالها نهر بغداد قال الحافظ هذا في القراة

المشهورة وجا في قراة شاذة انها هاتانيث وشبهها ابو المظفر الليث
بالتابوت والتابوه **ثم رفع لي البيت المعمور** زاد الكشميهني **يدخله**
كل يوم سبعون الف ملك وتقدمت هذه الزيادة في بدء الخلق بزيادة
اذا خرجوا لم يعودوا اخر ما عليهم كذا وقع مضموما الي رواية قتادة عن
انس عن مالك بن صعصعة وهو مدرج من رواية قتادة عن الحسن عن
ابي هريرة لان البخاري عقب الحديث في بدء الخلق بقوله وقال همام عن قتادة
عن الحسن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في البيت المعمور قال
الحافظ ثمة يريد انهما فصل في سياقه قصة البيت المعمور من قصة الاسرا
فروى اصل الحديث عن قتادة عن انس وقصة البيت عن الحسن البصري
واما سعيد وهو ابن ابي عروبة وهشام وهو الدستوائي فادرجا قصة البيت
المعمور في حديث انس والصواب رواية همام وهي موصولة هنا عن هدبة عنه
ووهم من زعم انها معلقة فقد روى الحسن ابن سفيان الحديث بطوله عن
هدبة الى قوله فرفع لي البيت المعمور فقال قال قتادة فحدثنا الحسن عن ابي
هريرة انه صلى الله عليه وسلم راى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك
ولا يعودون فيه وعرف بذلك مراد البخاري بقوله في البيت المعمور واخرج الطبري
من طريق سعيد ابن ابي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال البيت المعمور مسجد في السما بحذا الكعبة لو خر خر عليها يدخله
كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا وهذا وما قبله يشعر بان
قتادة لا يدرج قصة البيت المعمور في حديث انس وتارة يفصلها وحين
يفصلها تارة يذكر سندها وتارة يبهمه انتهى **ثم اتيت باناء من خمر واناء**
من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فشربت منه **فقال جبريل هي**
الفطرة التي انت عليها وامتك وفي حديث ابي هريرة عند البخاري
في الاشربة ولو اخذت الخمر غوت امتك وفي حديث انس عند البيهقي ولو
شربت الما غرقت وغرقت امتك وفي مسلم من حديث ثابت عن انس ان اتيانه
بالانية كان ببيت المقدس قبل المعراج ولفظه ثم دخلت المسجد
فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بي الى السما وجمع الحافظ بحمل
ثم على غير بابها من الترتيب وانما هي بمعنى الواو هنا او وقوع عرض الانية
مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس وسببه ما وقع له من
العطش ففي حديث شداد فصليت من المسجد حيث شا الله واخذني من العطش
اشد ما اخذني فاتيت باناءين احدهما لبن والاخر عسل فعدلت بينهما ثم هداني
الله فاخذت اللبن فقال شيخ بين يدي يعني لجبريل اخذ صاحبك الفطرة
ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة واما الاختلاف
في عدد الانية وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكر الاخر ومجموعها
اربعة اشيا من الانهار الاربعة التي راها تخرج من اصل سدرة المنتهى

وهي الما واللبن والعسل والخمر كما في حديث ابي هريرة عند الطبري فلعله
عرض عليه من كل نهر اناء وجاء عن كعب ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن
نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الما نهر سيحان وفي حديث ابي
هريرة عند ابن عايذ بعد ذكر ابراهيم ثم انطلقنا فاذا نحن بثلاثة انية مغطاة
فقال لي جبريل يا محمد الا تشرب مما سقاك ربك فتناولت احدها فاذا هو
عسل فشربت منه قليلا ثم تناولت الاخر فاذا هو لبن فشربت منه حتى رويت
فقال الا تشرب من الثالثة قلت قد رويت قال وفقك الله وفي رواية البزار
ان الثالث كان خمرا لكن وقع عنده ان ذلك كان ببيت المقدس وان الاول كان
ما ولم يذكر العسل وياتي لذلك مزيد في كلام المص ثم فرضت بالبنا للمفعول
علي الصلاة بالافراد وفي رواية الصلوات بالجمع خمسين صلاة كل يوم
اي وليلة وللنسائي عن انس اوتيت سدرة المنتهى فغشيتني ضبابة فخررت
ساجدا فقيل لي اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين
صلاة فقم بها انت وامتك قال صلى الله عليه وسلم فرجعت وفي حديث انس
عند ابن ابي حاتم فمر على ابراهيم فلم يقل شيئا فمررت على موسى زاد في حديث
ابي سعيد ونعم الصاحب كان لكم فقال بما ولابي ذر بم امرت بضم الهمزة مبني
للمفعول وفي حديث انس عند النسائي وغيره ما فرض ربك عليك وعلى
امتك قال امرت بخمسين صلاة كل يوم ولمسلم عن ثابت عن انس قال
فرض علي وعلى امتي خمسين صلاة كل يوم وليلة واني والله قد جربت
وفي رواية خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة
مثل المزاولة يعني مارستهم ولقيت الشدة فيما اردت منهم وفي رواية النسائي
فانه فرض على بني اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما وفي الصحيحين من رواية
شريك عن انس وبلوت بني اسرائيل وعالجتهم اشد المعالجة على ادنى من
هذا فضعفوا وتركوه وامتك اضعف اجسادا وابدانا وابصارا واسماعا فالتفت
النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل يستشيره فاشار اليه جبريل ان نعم ان
شئت فارجع الى ربك واساله لامتك فرجعت فوضع عني عشرا
فرجعت الى موسى فقال مثله ان امتك لا تستطيع الخ فرجعت
فوضع عني عشرا من الاربعين فرجعت الى موسى فاخبرته
فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا من الثلاثين فرجعت
الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات بالاضافة
وفي رواية بتنوين عشر كل يوم وليلة فرجعت الى موسى فقال مثله
فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم كما في لفظ الحديث اي وليلة
فرجعت الى موسى فقال بم بلا الف رواية ابي ذر ولغيره بما بالف بعد الميم
امرت قلت امرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع
خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني
اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك

وفي رواية فسله والاصل فاساله لانه امر من السوال فنقلت حركة
الهمزة الى السين فحذفت تخفيفا واستغني عن همزة الوصل فحذفت قال
صلى الله عليه وسلم لموسى سالت ربي حتى استحييت ولكني رواية
ابي ذر عن الكشميهني ولغيره ولكن ارضى واسلم قال الحافظ فيه حذف
وتقدير الكلام سالت ربي حتى استحييت فلا ارجع فاني ان رجعت صرت
غير راض ولا مسلم ولكن ارضى واسلم فلما جاوزت نادى مناد
امضيت فريضتي وخففت عن عبادي قال الحافظ هذا من اقوى
ما استدل به على انه تعالى كلم نبيه محمدا ليلة الاسرا بلا واسطة وفي رواية
النسائي عن انس فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت انها عزمة من
الله فرجعت الى موسى فقال ارجع فلم ارجع وفي الصحيحين من طريق شريك عن
انس فقال اهبط بسم الله قال المص اي قال جبريل لا موسى وان كان ظاهر
السياق وفي رواية له اي للبخاري وكذا مسلم كلاهما من حديث انس
عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة
فنزل جبريل ففرج بفتحات اي بلفظ صدري وفي رواية عن صدري
بزيادة عن لمجرد التاكيد او فرج مضمن معنى كشف والمراد بالصدر القلب
اي كشف عن قلبي ما منع الوصول اليه وذلك بشق الصدر ثم غسله
بما زمزم قال ابن ابي جمرة انما لم يغسل بما الجنة لما اجتمع في زمزم من
كون اصل مايها من الجنة ثم استقر في الارض فاريد بذلك بقا بركة النبي صلى
الله عليه وسلم في الارض وقال السهيلي لما كانت زمزم حفرة جبريل روح
القدس لام اسماعيل جده ناسب ان يغسل عند دخوله حضرة القدس لمناجاته
ثم جا بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغه في
صدري ثم اطبقه اي الصدر الشريف وفي رواية مسلم فاستخرج قلبي
فغسل بما زمزم ثم اعيد مكانه ثم حشي ايمانا وحكمة وفي رواية شريك
ابن ابي نمر عن انس عند الشيخين فحشي به صدره ولغاديده
يعني اي هذه اللفظة بلام مفتوحة وغين معجمة اي عروق حلقه
في النهاية لابن الاثير جمع لغدود وهي لحمة مشرفة عند
اللهات والشك في قوله وربما قال في الحجر كائن من قتادة
كما بينه الامام احمد في روايته هذا الحديث عن عفان بتشديد الفا
ابن مسلم بن عبد الله الباهلي البصري ثقة ثبت روى له الجميع مات
في سنة تسع عشرة ومائتين ولفظه بينما انا نايم في الحطيم وربما
قال قتادة في الحجر اي انه كان يحدث به تارة فيقول في الحطيم وتارة
يقول في الحجر لشكه في خصوص اللفظ الذي سمعه من انس وان كان
المعنى واحدا كما قال والمراد بالحطيم هنا الحجر زاد الحافظ وابعد من
قال المراد به ما بين الركن والمقام او بين زمزم والحجر وهو وان كان
مختلفا في الحطيم هل هو الحجر ام لا لكن المراد هنا البقعة التي وقع

ذلك فيها ومعلوم انها لم تتعدد لان القصة متحدة لاتحاد مخرجها
ولا وقع عند البخاري في اول بدء الخلق اولية نسبية اذ هو
في باب ذكر الملائكة بعد خمسة ابواب من كتاب بدء الخلق من طريق قتادة
عن انس عن مالك ابن صعصعة ايضا بلفظ بينا انا باسقاط ما المذكورة
في باب المعراج انا عند البيت وهو نائم من قوله في الحطيم وربما قال
في الحجر انه يحتمل لهما ولمحل اخر من المسجد يقرب البيت وفي رواية
الزهري عن انس عن ابي ذر عند البخاري ومسلم فرج بضم الفاء
وكسر الراء اي فتح سقف بيتي وانا بمكة جملة حالية اسمية وفي
رواية الواقدي باسانيده انه اسري به من شعب ابي طالب
وفي حديث ام هاني فاختة او هند او عاتكة شقيقة علي بكسر الشين المعجمة
لها احاديث في الكتب الستة وغيرها عند الطبراني انه بات في
بيتها قالت ففقدته من الليل فسالته لما رجع وذهب الى اي محل
في الوقت الذي فقدته فيه فقال ان جبريل اتاني فذكر الحديث والجمع
بين هذه الاقوال اي الروايات كما في فتح الباري انه بات في بيت
ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب ابيها ففرج سقف
بيته واضاف البيت اليه في رواية ابي ذر لانه كان يسكنه فنزل
منه الملك والاضافة تكون بادنى ملابسة ولان البيت ينسب لساكنه
فنزل منه الملك جبريل فاخرجه من البيت الى المسجد الحرام
فكان به مضطجعا وبه اثر النعاس فلذا قال بينما انا نائم في الحطيم
مضطجعا ثم اخرجه الملك الى باب المسجد فاركبه البراق فقال
في الفتح وقد وقع في مرسل الحسن البصري عند ابن اسحاق
ان جبريل اتاه فاخرجه الى المسجد فاركبه البراق وهو يؤيد
هذا الجمع تاييدا قويا فان قيل لم فرج سقف بيته عليه الصلاة
والسلام ونزل منه الملك ولم يدخل من الباب مع قوله تعالى
واتوا البيوت من ابوابها اجيب كما قال ابن دحية بان الحكمة في ذلك ان الملك
انصب اي نزل من السما انصبابة واحدة على جهة الاستقامة
ولم يعرج على شي سواه اي من غير تعريج عن الجهة التي نزل منها
الى غيرها فكان نزوله على السقف مبالغة في المفاجاة وتنبيها
على ان الطلب وقع على غير ميعاد ذكرا من غير ميعاد عليه الصلاة والسلام
كما افهمه قوله بينا انا نائم اذ مجيئه له فجاءة تشعر بانه لا موعد بينهما وكذا
قوله فرج سقف بيتي اذ لو كان بينهما موعد لانتظر مجيئه فيه ولاتاه
من الباب على عادة الجائي لمن ينتظره وفيه اشارة الى طلب الاستقامة
في الامور والى المبادرة اليها واخذها من اقرب الطرق وهذا بخلاف
موسى عليه الصلاة والسلام فكانت كرامته بالمناجاة لله
سبحانه عن ميعاد واستعداد بالصوم قال تعالى وواعدنا موسى
ثلاثين

ثلاثين ليلة قال الجلال اي نكلمه عند انتهائها بان يصومها وهي
ذو القعدة فلما تمت انكر خلوف فمه فاستاك فامره الله تعالى بعشرة
اخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى واتممناها بعشر اي من ذي
الحجة بخلاف نبينا عليه الصلاة والسلام فانه حمل عنه الم
الانتظار الواقع لموسى مدة الصوم حتى كلمه ربه كما حمل عنه الم
الاعتذار الذي اعتذر به موسى انه انما استاك لانكار رايحة فمه ويوخذ
من هذا ان مقام نبينا عليه الصلاة والسلام بالنسبة الى مقام
موسى عليه الصلاة والسلام مقام المراد مطلوب للمناجاة بلا سوال
بالنسبة الى مقام المريد بقوله رب ارني انظر اليك ويحتمل ان
يكون توطية وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فاراد الملك
بافراجه عن السقف ثم التيامه السقف على الفور بغية اي
صفة ما يصنع به وقرب له الامد في نفسه بالمشاهد
في بيته لطفا في حقه عليه السلام وتثبيتا لبصره وفي
الفتح قيل الحكمة في نزوله عليه من السقف الاشارة الى المبالغة في
مفاجاته بذلك والتنبيه على ان المراد منه ان يعرج به الى جهة العلو
والله اعلم بحقيقة السر في ذلك وقوله مضطجعا زاد البخاري في بدء
الخلق بين النايم واليقظان اي ان نومه قريب من اليقظة وهو يحمل
على ابتدا الحال ثم لما خرج به الى باب المسجد فاركبه البراق استمر
في يقظته التي لا يخالطها نوم وفي نسخة لما اخرج به بزيادة الباء في نعوت
والاصل اخرجه فهو مبني للفاعل واما ما وقع في رواية شريك عنده
اي البخاري ايضا في كتاب التوحيد في اخر الحديث فلما استيقظ لفظ الحديث
في الصحيح واستيقظ وهو بالمسجد الحرام فان قلنا بالتعدد للمعاريج فلا
اشكال لانه معراج اخر في المنام والا حمل على ان المراد استيقظ افقت
يعني انه افاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت باطن
الملك ورجع الى العالم الدنيوي فالمراد الافاقة المشوبة التي يكون
البشر عليها عادة من الغمرة الملكية التي كان عليها وقال ابن ابي حمزة
لو قال صلى الله عليه وسلم انه كان يقظانا لاخبر بالحق لان نومه ويقظته سوا
وعينه لم يكن ايضا لم يكن النوم تمكن منها لكن تحري الصدق في الاخبار
بالواقع فيوخذ منه انه لا يعدل عن حقيقة اللفظ الا لضرورة وقوله اذ
اتاني ات هو جبريل عليه السلام ووقع في بدء الخلق وذكر بين الرجلين
وهو مختصر وضحته رواية مسلم بلفظ اذ سمعت قايلا يقول احد الثلاثة
بين الرجلين فاتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين حمزة وجعفر كان صلى
الله عليه وسلم نايما بينهما قال ابن ابي حمزة وفيه تواضعه وحسن خلقه
اذ انه في الفضل حيث هو ومع ذلك كان يضطجع مع الناس ويقعد معهم
ولم يجعل لنفسه مزية عليهم وفيه جواز نوم جماعة في موضع واحد لكن

بشرط ان يكون لكل واحد منهم ما يستريح به جسده **وفي رواية شريك**
عن انس في الصحيحين **انه جا** بكسر الهمزة وللكشميهني اذ بدل انه والاول
اوجه وللحموي والمستملي انه بفتح الهمزة جا بالاضمير **ثلاثة نفر** قال الحافظ
لم اقف على اسمايهم صريحا لكن في رواية الطبري فاتاه جبريل وميكاييل
انتهى وكذا رواه ابن جرير وابو يعلى ويقال ان الثالث اسرافيل **قبل ان**
يوحي اليه وهو نايم في المسجد الحرام فقال اولهم جبريل **ايهم**
هو لانه كان نايما بين حمزة وجعفر كما علم **قال اوسطهم** اي الثلاثة
الذين جاوه وهو ميكاييل **هو خيرهم فقال اخرهم** الثالث ولابي ذر
عن الكشميهني احدهم بالدال اي احد الثلاثة **خذوا خيرهم وكانت**
تلك الليلة اي كانت تلك القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكر هنا
بالضمير المستتر في كانت المحذوف وكذا خبر كان وهذا شرح من اتم لقوله وكانت
تلك الليلة **فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى** هي ثالثة على ما يفيده رواية
ابن مردوية عن انس بلفظ حتى اتوه ليلة اخرى فقال الاول هو هو فقال
الاوسط نعم وقال الاخر خذوا سيد القوم فرجعوا عنه حتى اذا كانت الليلة الثالثة
راهم فقال الاول هو فقال الاوسط نعم وقال الاخر خذوا سيد القوم الاوسط بين
الرجلين فاحتملوه حتى جاوا به زمزم فاستلقوه على ظهره وكان يجي الملايكة
له **فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبيا تنام اعينهم**
ولا تنام قلوبهم الثابتة في الروايات انه كان بيقظة فان قلنا بالتعدد فلا اشكال
والاحمل على انه كان في طرفي القصة نايما وليس في ذلك ما يدل على كونه نايما في
كلها **فلم يكلموه** صلى الله عليه وسلم **حتى احتملوه** فوضعوه عند بير زمزم
فتولاه منهم جبريل كما في نفس حديث شريك **وقد انكر الخطابي قوله**
قبل ان يوحى اليه وكذلك القاضي عياض والنووي وابن حزم وعبد
الحق **وعبارة النووي وقع في رواية شريك يعني هذه اوهام**
ازيد من عشرة فصلها الحافظ واجاب عن بعضها **انكرها العلما احدها**
سبتدا خبره **قوله قبل ان يوحى اليه وهو غلط** من شريك **لم يوافق عليه**
واجمع على ان فرض الصلاة كان ليلة الاسرا فكيف يكون الاسرا **قبل**
الوحي انتهى كلام النووي **فقد صرح هولاء** الخطابي ومن بعده **بان**
شريكا تفرد بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر في دعوى التفرد
نظر فقد وافقه كثير ابن خنيس بالمعجمة ونون مصغرا **عن**
انس كما اخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد بن ابان ابن سعيد بن
القاضي **الاموي** ابو عثمان البغدادي ثقة روى له الشيخان وغيرهما وربما
اخطا مات سنة تسع واربعين وماتين **في كتاب المغازي له من طريقه**
قال الحافظ مجيبا عن اشكال قوله قبل ان يوحى له **ولم يقع التعيين بين**
المجيين اي زمن **فيحمل على ان المجي الثاني كان بعد الوحي وحينئذ**
وقع الاسرا والمعراج فقوله قبل ان يوحى اليه ظرف للمجي الاول لا لها

الذي

الذي هو منشا التغليط واذا كان بين المجيين مدة فلا فرق بين ان
تكون تلك المدة ليلة واحدة او ليالي كثيرة **او عدة سنين وبهذا**
التقرير **يرتفع الاشكال عن رواية شريك ويحصل به الوفاق** على
ان الاسرا كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة وفي ليلة فرضت
الصلوة **وسقط تشنيع الخطابي وغيره بان شريكا خالف الاجماع**
في دعواه ان المعراج كان قبل البعثة وقال الحافظ ابو الفضل ابن
طاهر تعليل الحديث بتفرد شريك ودعوى ابن حزم ان الافة منه شي لم يسبق اليه
فان شريكا قبله ايمة الجرح والتعديل ووثقوه ورووا عنه وادخلوا حديثه
في تصانيفهم واحتجوا به قال وحديثه هذا رواه عنه سليمان بن بلال وهو ثقة
وعلى تقدير تفرده بقوله قبل ان يوحى اليه فلا يقتضي طرح حديثه فوهم
الثقة في موضع من الحديث لا يسقط جميع الحديث ولا سيما اذا كان الوهم لا يستلزم
ارتكاب محذور ولو ترك حديث من وهم في تاريخ لترك حديث جماعة من
ايمة المسلمين انتهى **واقوى ما يستدل به على ان المعراج كان بعد**
البعثة قوله في هذا الحديث نفسه ان جبريل قال لبواب السما
اذ قال ابعث اليه لم يقع في لفظ الحديث اليه لكن حملها عليه الم كغيره
فقال اليه للاسترا وصعود السموات وليس الاستفهام عن اصل البعثة
والرسالة لانه لا يخفى عليه الى هذه المدة ولاشتهار امر النبوة في الملكوت
الاعلى **قال نعم فانه ظاهر في ان المعراج كان بعد البعثة** ولفظه
ثم عرج به الى السما الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السما من هذا
فقال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قال وقد بعث قال نعم **ووقع في رواية**
ميمون بن سياه بكسر السين المهملة وخفة التحتية البصري ابي بحر
التابعي صدوق عابد يخطي روى له البخاري والنسايي **عند الطبراني**
فاتاه جبريل وميكاييل فقالا ايهم المطلوب اي الثلاثة حمزة وجعفر
والمصطفى **وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال** الملك الاخر الذي
لم يسم **امرنا بسيدهم ثم جاوه وهم ثلاثة نفر** كما جاووا ولا يكون هذا
يقتضي ان الذين جاوه اولا اثنان فقط ليس بمراد لان الثالث لم يسم كما مر
وفي رواية مسلم من طريق سعيد عن قتادة عن انس **سمعت قايلا**
يقول احد الثلاثة بين الرجلين فاتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين
حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابي طالب وكان النبي صلى الله
عليه وسلم نايما بينهما من مزيد تواضعه واجيب ايضا بان المراد قبل
ان يوحى اليه في شان الصلاة ومنهم من اجراه على ظاهره ملتزما ان الاسرا
كان مرتين قبل النبوة وبعدها حكاه في المصابيح **وقوله فقد بالغار والا**
النقيلة وفي رواية **فشق** واخرى فرج والمعنى واحد **من نحره**
بنحره **بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة بعدها را الموضع المنخفض**
الذي بين الترقوتين تثنية ترقوة بزنة فعلوة بفتح الفا وضم اللام وهي

ل

العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين والجمع التراقي قال و
بعضهم ولا تكون الترقوة لشيء من الحيوان الا للانسان خاصة **الى شعرته**
بكسر الشين المعجمة اي شعر العانة الشريفة اي الشعر النابت عليها
من اضافة اسم الحال للمحل قال الازهري وجماعة العانة منبت الشعر فوق
المراة قبل وذكر الرجل والشعر النابت عليها يقال له الاسب بكسر الهمزة
وسكون المهملة وموحدة وقال الجوهري هي شعر الركب بالتحريك اي فتح
الراء والكاف منبت العانة للمراة خاصة عند الخليل وللرجل ايضا عند الفرا
وقال ابن السكيت وابن الاعرابي استعان واستحد حلق عانته وعلى هذا
فالعانة الشعر النابت وذكر الكرماني انه وقع في رواية الى ثنته بضم المثلثة
وتشديد النون اي ما بين السرة والعانة **وفي رواية مسلم الى اسفل**
البطن وفي رواية البخاري في بدء الخلق **الى مراق** بفتح الميم وخفة
الراء فالف فقاف ثقيلة واصله مراقق بقافين فادغمت الاولى في الثانية
اي ما سفل من **بطنه** ورق من جلده **وفي رواية شريك** عن انس
فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه
بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر
وفيه تنحر الابل **وقد انكر القاضي عياض في الشفا** سبقه الى الانكار
ابن حزم **وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسراء وقال انما كان**
وهو صبي وقبل الوحي يعني في بني سعد بن بكر وهو عند مرضعته
حليمة وادعى ابن حزم وعياض ان ذلك من تخليط شريك قال الحافظ
العراقي وليس كذلك فقد ثبت في الصحيحين من غير طريق شريك وقال
في المفهم لا يلتفت لانكاره لان رواته ثقات مشاهير **ولا انكار في ذلك**
قاله الحافظ ابو الفضل احمد بن حجر **العسقلاني رحمه الله** في الفتح
فقد تواردت الروايات به فقد ثبت في الصحيحين من حديث مالك
ابن صعصعة وفي مسلم وغيره عن انس في روايته عن النبي صلى الله عليه
وسلم بلا واسطة وفي الصحيحين من رواية انس عن ابي ذر وله طرق اخرى
وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم في
الدلائل والطيالسي والحارث ابن ابي اسامة والبيهقي في الدلائل من حديث
عائشة وقدمته في المقصد الاول في المبعث النبوي **ولكل منها** اي المرات
الثلاث المذكورة في بني سعد ثم عند البعثة ثم ليلة الاسرا **حكمة فالاول**
الذي وقع وهو عند حليمة **وقع من الزيادة كما عند مسلم من حديث**
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان
فاخذه وصرعه فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شقه **فاستخرج**
منه علقة فقال هذا حظ الشيطان اي الموضع الذي يتوصل منه
اليه وسوسة الناس ولا ينافيه قوله **منك** لجواز تقدير مضاف اي من مثلك
من بني ادم وبقية خبر مسلم ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم

لامه فاعاده مكانه وجعل الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره
فقالوا ان محمدا قد قتل فجاؤوا وهو منتقع اللون قال انس فلقد
كنت ارى اثر المخيط في صدره **وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ**
على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان وغيره وخلقت هذه
العلقة لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانساني
ونزعها كرامة ربانية من خلقه بدونها قاله التقي السبكي وقال غيره
لو خلق سليما منها لم يطلع الادميون على حقيقته فاظهره الله على
يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر **وثانيها الشق**
كان سببا في اسلام قرينه اي صاحبه الموكل به من الجن **المروي عند**
البزار من حديث ابن عباس رفعه فضلت على الانبيا بخصلتين
كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه فاسلم قال ونسيت الاخرى **ويحتمل**
ان يكون قوله هذا حظ الشيطان منك **الاشارة الى حظ الشيطان**
المباين اي خلاف القرين **كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه**
صلاته وامكنه الله منه وقدمت لفظ الحديث قريبا في الخصائص
وان لفظ عفريت ظاهر في ان المراد غير ابليس كما قال الحافظ **واما**
شق الصدر عند البعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى
اليه بقلب قوي على اكمل الاحوال من التطهير وكذلك كان **واما**
شقه عند ارادة العروج الى السما فللتهيؤ للترقي الى الملا
الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوي لاستجلا تجلي الاسما
الحسنى يعني رؤية الله سبحانه بدليل قوله **ولهذا لما لم يتفق لموسى**
عليه السلام مثل هذا التهيؤ لم يتفق له الرؤية مع كونه سالها
وكيف يثبت الرجل لما لا يثبت له الجبل المذكور في قوله لن تراني ولكن
انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكا والحافظ قال حكمة ذلك ليتاهب للمناجاة **ويحتمل ان تكون الحكمة**
في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة
الثالثة كما تقرر في شرعه عليه السلام قال ابدى هذا الاحتمال
تبعا للحافظ مع انه قال في المقصد الاول وروى ابو نعيم الشق ايضا
وهو ابن عشر قال وروي خامسة ولا تثبت وحكمته ان العشر قريب
من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب
على الرجال الا ان تكون جملة مرتبة الصبا بمنزلة المرة الواحدة قال و
النعماني وقدس لداخل الحرم الغسل فما ظنك بداخل الحضرة القدسية
فلما كان الحرم من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات انيط الغسل له ب
ظاهر البدن في علم المعاملات ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم ال
الملكوت وهو باطن الكائنات انيط الغسل لها بباطن البدن في
التحقيقات وقد عرج به لتفرض عليه الصلوات وليصلي بملائكة

السموات ومن شان الصلاة الطهور فقدس ظاهرا وباطنا قال وقد رايته
في بعض المعاريج ان جبريل وضاه بعد غسل قلبه قلت ليصير مطهرا
متطهرا انتهى وبينه بقوله ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر
واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة كاختراق السموات
مما يجب التسليم له اي تسليمه فاللام زائدة للتقوية دون التعرض له
لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من
ذلك لان القدرة انما تتعلق بالممكن دون المستحيل هكذا قاله القرطبي في المفهم
والطيبي والتوربشتي والحافظ في الفتح والسيوطي وغيرهم ويؤيده الحديث الصحيح
انهم كانوا يرون اثر المخيط في صدره قال السيوطي وما وقع من بعض جهلة
العصر من انكار ذلك وحمله على الامر المعنوي والزام قائله القول بقلب الحقائق
فهو جهل صراح وخطأ قبيح نشأ من خذلان الله تعالى لهم وعكوفهم على العلوم
الفلسفية وبعدهم عن دقائق السنة عافانا الله من ذلك انتهى قال العارف
ابن ابي جمرة رحمه الله وفيه دليل على ان قدرة الله تعالى لا يعجزها
ممكن اي لا يمنعها من التعلق به بل يجوز تعلقها بسائر الممكنات لا بالمستحيلات
فلا تتعلق بها اصلا ولذا قيد بممكن فلا يفهم منه انها تعجز عن التعلق بالمستحيل
لانها لا تتعلق به اصلا فلم يلتفت الى مثل هذا الايهام ولا تتوقف اي لا تتخلف
عن ايجادها ارادة لعدم وجود شيء مؤثر فيما تعلقت به ولا لوجوده اي وجود
شيء يمنع تاثيرها فيما تعلقت به وليست مربوطة بالعادة اي ليس هو
تاثيرها قاصرا على ما جرت به العادة بل عام في جميع الممكنات الا حيث شاء له
اي ربط التاثير بالعادة القدرة ونسبة المشيئة الى القدرة تسمح اذ المشيئة انما
تنسب للقادر لا لشيء من صفاته فهو اما على حذف مضاف اي ذو القدرة او
مصدر بمعنى القادر لانه خلي ما يحمله ويعرف ان البشر بفتحتين ذكرا
او انثى واحدا وجمعا وقد يثنى ويجمع ابشار كما في القاموس وفي المصباح ان
العرب ثنوه ولم يجمعوه ومن التثنية نؤمن لبشرين مهما شق بطنه كله
واخرج ما فيه لم يعش وكذا سائر الحيوان واقتصر على البشر لكون المصطفى
منهم لا لاخراج غيره وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد شق بطنه
المكرمة انثه باعتبار الجارحة والا فالبطن خلاف الظهر مذكر حتى
اخرج القلب وغسل وهو حي وقد شق بطنه كذلك كهذا الشق
الواقع في المعراج ايضا وهو صغير شق قلبه واخرج منه
نزغة الشيطان اي محل نزغه اي وسوسته الحاملة على خلاف
ما امر به كاعتراء غضب وفكر ومعلوم ان القلب مهما وصل له
الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق
بطنه في هاتين المرتين واخرج قلبه وشق ولم يمت الم
من ذلك ولم يمت لما اراد الله تعالى ان لا يؤثر ما اي شيئا او
الذي اجرى به العادة ان يؤثر بها موت صاحبها فابطل تلك العادة

جواب

جوابه لما ودخول الفاء فيه قليل قاله شيخنا والاظهر ان اللام في لما
تعليلية لعدم مؤنته فالفاء للتفريع على التعليل وقد رمي ابراهيم
عليه الصلاة والسلام في النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما
ما
اي ان شق الصدر الشريف وان كان خارقا للعادة لا بعد فيه لانه ممكن
وقد وقع مثله للخليل حيث فعل به ما هو مهلك عادة ولم يؤثر
فيه شيئا ذكره للتقريب انتهى كلام ابن ابي جمرة وقد حصل من شق
صدره الكريم الرامه عليه السلام بتحقيق ما اوتي من الصبر
بجعله صفة قائمة به وكان ذلك تحقيقا له لبروزه الى الوجود الخارجي
فهو من حسن ما الزم به اسماعيل الذبيح على احد القولين
الشهيرين والثاني اسحاق وليت شعري اي اختصاص من حكى هذا القولين
في الذبيح ان ابراهيم ليس له غيرهما من الاولاد مع ان اولاده ثلاثة عشر
كلهم ذكور كما في تاريخ ابن كثير او خمس منهم اناث على ما في الروض
بتحقيق صبره على مقدمات الذبح شدا وكتفا وتلا للجبين
واهوا بالمدية السكين الى المنحر يعني انه لما تله للجبين بان القاه
على جنبه انقلب على جبهته او انه فعل ذلك باشارته لئلا يرى فيه
تغيرا فيرق له فلا يذبحه فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
على الذبح او على قضاء الله وترتيب ما ذكر على ما قبله يقتضي ان قوله ذلك
بعده وسوق الاية صريح انه قال ذلك جوابا لقول ابيه يا بني اني ارى في المنام
اني اذبحك الا ان تجعل الفاء في الم بمعنى الواو ولفظ ابن المنير متنوع الدلالة
وقد قال ستجدني بالواو ووفي بما وعد الله تعالى بقوله ستجدني الاية
فاكرمه الله بالثناء على صبره الى الابد ولا مرية بكسر الميم اي لا شك
ان الذي حصل من صبر نبينا صلى الله عليه وسلم اشد واجل
لان تلك الاحوال الواقعة لاسماعيل من الشد والكتف والتل مقدمات
للذبح وهذه الواقعة للمصطفى نتيجة ما يفعل بمن اريد ذبحه و
نحوه من الاثر الذي قصد ترتبه على الفعل وتلك معاريض اي مقدمات
لا حقائق وتسميتها معاريض تجوز اذ هي لغة التورية فشبه المقدمات
بالمعاريض واستعار له اسمه لما سبق في علم الله ان حقيقة ما امر به
ابوه من الذبح لا يقع وهذه حقيقة والنحر مقتل اي يصدق عليه
وليس مفهومها واحدا اذ المنحر موضع النحر من الحلق ويكون مصدرا
ايضا وما اصابه اي المنحر من اسماعيل ظاهره انه امر السكين على
منحره مع ان الفداء وقع قبل مرور السكين اليه فقوله الا صورة القتل
لا فعله اي الصورة التي تحصل عند ارادة القتل وشق صدر نبينا
صلى الله عليه وسلم واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا اي نزع
العلقة منه وغسله ونحو ذلك مقاتل غير برة جمع مقتل وقعت
كلها ولكن انخرقت العادة ببقاء الحياة فهذا الابتلاء اعظم من

امتلا الذبيح بما ذكر وفي المصباح المقتل الذي اذا اصيب لا يكاد صاحبه
يسلم والواقع للمصطفى اسبابه تفضي الى القتل فلعل المقاتل في المرجع
مقتل بمعنى القتل واطلقه على سببه مجازا فان قلت انما يتحقق الصبر
ان لو كانت هناك مشقة فلعل العادة لما انخرقت في ابقا الحياة
اي لم يوثر التقابل استمرت بعد ما يوجب ازالتها عادة وفي نسخ في بقا
وهي اظهر لان البقا استمرار الحياة وهو اثر الابقا اذ يتقضي ايضا
دفع المشقات وحمل الالام فلا تتم المفاضلة المذكورة بينه وبين الذبيح
اجيب اي اجاب المفسر بانه ورد في حديث شق صدره في بني سعد
وهو صغير قبل وهو منتقع اللون بنون فمثناة فوقية فقاف مفتوحة
اي متغير او ممتقع بالميم بدل النون روايتان قاله ابن المنير قال الكسائي انتقع
مبنيا اذا تغير من حزن او فزع قال وكذا ابتقع بالموحدة وامتقع بالميم اجود
قاله الجوهري اي مبنيا للمفعول صرح به المجد وغيره وفي المصباح ما يفيد
بناه للفاعل وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة
محقق فتتم المفاضلة انتهى ما اجيب به قال القاضي عياض واصل
انتقع صار بلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون الاموات
وهذا يدل على غاية المشقة اذ لا يصير كلون الاموات الا بعد مشقة شديدة
واما قول ابن الجوزي فشقة وما شق عليه اي ما المه ذلك الشق فيحمل
على انه صبر صبر من لم يشق عليه ويحمل ايضا على انه ما شق عليه
المشقة التي يحصل مثلها عادة من ذلك الفعل فلا ينافي حصول مشقة دون
المعتاد فنزلها منزلة العدم انتهى كلام ابن المنير وفي الشامي اختلف هل
وقع له مع ذلك مشقة ام لا فقال الحافظ من غير مشقة وبه جزم ابن الجوزي
فقال شقه وما شق عليه وقال ابن دحية بمشقة عظيمة ولهذا انتقع لونه
اي صار كلون النقع قلت رواية انتقع لونه حكاية لما وقع في المرة الاولى وهو
صغير في بني سعد واما ما وقع بعدها فلم ينقل انه تاثر لذلك انتهى وكذلك
الابتلا ايضا من حيث الشق فان ذلك وقع لنبينا صلى الله عليه
وسلم بعيد بلفظ التصغير ما فطم بشهرين او ثلاثة وكان فطامه بعد
عامين وايضا كان منفردا عن امه في بني سعد وامه بمكة وبتيما
من ابيه لموته وهو حمل على الصحيح واختطف من بين الاطفال
الذين كانوا معهم في البرية زعما به ما فعل من الاهوال بتسهيلا لما
يلقاه في المال وتعظيما لما ناله على الصبر من الثواب والثنا
من الكبير المتعال وهذا لما شج وجهه الشريف في احد وجرح وكسرت
رباعيته بفتح الراء والموحدة وخفة التحتية قال اللهم اغفر لقومي مغفرة تصرف
عنهم عذاب الاستيصال فانهم لا يعلمون رفيع قدر عيه عندك فاعتذر
عنهم بالجهل الحكمي وان كان بعد الابانة البينات ليس بعذر ولم يقل
يجهلون تحسينا للعبارة ليجذبهم بزمام لطفه الى الايمان ويدخلهم

بعظيم

٤٢

بعظيم عفوه حرم الامان زاده الله شرفا وفضلا صلى الله عليه وسلم
وقوله ثم اتيت بطست من ذهب انما اتى بالطست لانه اشهر
اي اظهر الات الغسل عرفا من حيث ان استعماله للغسل اكثر من استعمال
غيره فان قلت ان استعمال الذهب حرام في شرعه عليه السلام
بنصه على حرمته فكيف استعمل الطست الذهب هنا قلت اجاب
العارف ابن ابي جمرة بان تحريم الذهب اي علته انما هو لاجل الاستمتاع
به في هذه الدار الدنيا واما الاخرة فهو للمومنين خالصا لقوله
عليه السلام هو لهم في الدنيا الفانية وهو لنا في الاخرة الباقية وما
هنا كان في الغالب انه من احوال الاخرة قال ابن ابي جمرة ثم ان الاستمتاع
بهذه الطست لم يحصل منه عليه الصلاة والسلام حتى يجي السوال
وانما كان غيره هو السابق اي الحامل له حتى احضره له يقال ساق
الصداق الى امراته حمله اليها والتناول لما كان حشي وضعه في القلب
المبارك فسوق ان مصدر على فعال هذا ظاهره ولم يذكره الجوهري ولا
المجد ولا غيرهما وانما الواقع مصدر ساق سوقا وسياقه ومساقا فينظر سند
المص الطست من هناك وكونه كان من ذهب دال على ترفيع المنام
اي اعلائه فانتفى التعارض بدليل ما قررنا انتهى جواب ابن ابي جمرة
وهو مشتمل على جوابين احدهما مسلم وهو الاول والثاني تعقبه الحافظ ابن
حجر بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك
من الملايكة لانه اذا كان قد حرم عليه استعماله لنزه ان يستعمله
غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم لانه صين عما يخالف شرعه حتى قبل
النبوة ويمكن ان يقال في الجواب ان تحريم استعماله مخصوص باحوال
الدنيا وما وقع تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب ما غاب
عن مشاهدة الناس فيلحق باحوال الاخرة وهذا مستفاد من الجواب
الاول لابن ابي جمرة واشار الى توافقها عليه والحافظ لم ينقل كلامه انما قال ولعل
ذلك كان قبل ان يحرم الذهب في هذه الشريعة ولا يكفي ان يقال الخ ما ذكر
المص فقوله ولعل جواب مستقل فهي ثلاثة وقال اعني الحافظ في اول كلامه
خص الذهب لكونه اعلا الاواني الحسنة واصفاها ولان فيه خواص ليست
لغيره ووصل هذا بقوله ويظهر لها هنا مناسبات للناظر في المقام
لا من خصوص ما قدمه منها انه من اواني الجنة كما قال يطاف عليهم
بصحاف من ذهب ومنها انه لا تاكله النار وكذلك القران لا تاكله النار
ولا تقلبا وعاه ولا بد ناعمل به يوم القيامة ففيه مناسبة له ولا التراب
لا تاكله ولا تغيره وكذلك القران لا يستطاع تغييره كذا في الروض ومنها
انه لا يلحقه الصدا بفتح المهملتين مهموز ومنها انه اثقل الجواهر
فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام لانه من اواني احوال الجنة اي
من الاواني التي تستعمل في الاحوال التي تقع في الجنة وتحتاج الى اناء وعبارة

ع

الحافظ ومنها انه اثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي ولا تاكله النار ولا التراب
كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء
ولا يلحقه الصدأ بخلاف غيره كما قال ان القلوب لتصدأ وانه اثقل من كل
قلب عدله به وفيه مناسبة اخرى وهو ثقل الوحي فيه انتهى كلام
الحافظ قلت قوله ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة
يشعر انه لم يطلع فيه على شيء وانما ترجاه من نفسه وينافيه انه قد جزم
هو في اول الصلاة من كتابه فتح الباري بان تحريم الذهب انما وقع
بالمدينة حيث قال ابعد من استدل به اي حديث المعراج على جواز تحلية المصحف
وغيره بالذهب لان المستعمل له الملك فيحتاج الى ثبوت كونهم مكلفين بما كلفنا
به ووراء ذلك ان ذلك كان على اصل الاباحة لان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة
كما سياتي واضحا في اللباس انتهى وقال السهيلي وتلميذه ابن دحية ان
نظر الى لفظ الذهب فناسب من جهة اذهابه الرجس الاثم والشر عنه
ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى معناه فلوضائته ونقائه
وصفائه ولرسوبه والوحي ثقيل قال الله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ومن
ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ولانه اعز الاشياء في الدنيا والقران هو
الكتاب العزيز انتهى كلام السهيلي بهذا الذي زدته زاد ابن دحية ولانه راس
الايمان وقيمة المتلفات فهو اذن اصل الدنيا والايمان اصل الدين فوقع التنبيه
على ان اصل الدنيا آلة اصل الدين وخادم له ووسيلة اليه وانه اذا قضيت
الحاجة منه عدل عنه قال بعض ومن المناسبات خلق سرور القلب عند
رؤيته كما قال تعالى في البقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ويكون جعل
الذهب انية الايمان من جنس قوله الدنيا مطية الاخرة والمراد بقوله ملئ
حكمة وايمانا ان الطست جعل فيها شيء يحصل به كمال الايمان والحكمة
فسمي حكمة وايمانا مجازا واورد السهيلي كيف يكون الايمان والحكمة
في طست من ذهب والايمان عرض من الاعراض لا يوصف الاستحالة والذي
تقوم به ولا يجوز فيها الانتقال لانه لانه صفة الاجسام لا الاعراض هو
واجاب بانه انما عبر عما في الطست بهما كما عبر عن اللبن الذي شربه هو
واعطى فضله عمر بالعلم فكان تاويل ما افرغ في قلبه ايمانا وحكمة ولعل
الذي كان في الطست ثلجا وبردا كما في الحديث الاول فعبر في المرة الثانية بما
يؤول اليه وعبر عنه في الاولى بصورته التي راها لانه كان طفلا فلما راى الثلج
في طست الذهب اعتقده ثلجا حتى عرف تاويله بعد وفي المرة الاخرى كان
بالغا فلما راى طست الذهب مملوءة ثلجا علم التاويل لحينه اي لوقته واعتقده
في ذلك المقام حكمة وايمانا فكان لفظه في الحديثين على حسب اعتقاده
في المقامين انتهى وهذا على يحتمل ان يكون حقيقة وتجسد المعاني
جائز كما ان سورة البقرة تجي يوم القيامة كانها ظلة كما قال
صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وال عمران فانهما ياتيان

يوم

يوم القيامة كانهما غمامتان او غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف
الحديث رواه مسلم واو للتنويع وتقسيم القارئين فالاول لمن قرأهما بلا فهم
معناهما والثاني لمن قرأهما مع فهمه والثالث لمن ضم اليها تعليم المستفيد
وارشاد الطالب وبيان حقائقهما وكشف ما فيهما فالاول عام في كل احد والثاني
يختص بمثل الملوك والثالث ارفع كما كان لسليمان وغمامتان بالغين سحابتان
وغيايتان بتحتية وموحدة كل شيء اظل الانسان فوق راسه كالسحابة وغيرها
كما في النهاية قال البيضاوي ولعله اراد ما يكون له صفا وضوء اذ الغياية ضوء
ضوء شعاع الشمس والموت وهو عرض يتمثل في صورة كبش كما قال صلى الله
عليه وسلم يؤتى بالموت كانه كبش املح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار
فيقال يا اهل الجنة ويا اهل النار هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضجع
ويذبح فلولا ان الله قضى لاهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا ان الله
قضى لاهل النار الحياة فيها لماتوا ترحا وفي رواية فيذبح وهم ينظرون فلو
ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان احدا مات حزنا لمات اهل النار رواهما
الترمذي عن ابي سعيد والقول ان الموت جسم لا يصح قال الحافظ من الاخبار
الواهية في صفة البراق ما ذكره الماوردي عن مقاتل واورده القرطبي في
التذكرة ومن قبله الثعلبي من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال الموت
والحياة جسمان فالموت ليس يجد ريحه شيء الا مات والحياة فرس بلقاء انثى
وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي وكذلك
وزن الاعمال وغير ذلك من احوال الغيب وقال البيضاوي في شرح
المصابيح لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما
مثلت له الجنة والنار في عرض الحائط بضم العين اي جانبه وهذا
تنظير لان الجنة والنار ليستا من المعاني التي تتمثل في الذهب والاصور لهما
خارجية فلا يصح جعلهما مثالين للمعاني لكنه قصد تقريبه بفعل تصوير المعاني
بتصوير الجنة والنار فانهما مع عظمهما صورا له في عرض الحائط وكما وقع
خرق العادة بذلك لا يبعد في تصوير المعاني بصور محسوسة خرقا للعادة هو
وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس اظهاره وتصويره اي تصويره بصورته
للتقريب وقال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة
جواهر محسوسات لا معاني لانه عليه السلام قال عن الطست انه
ملئ حكمة وايمانا ولا يقع الخطاب الا على ما يفهم ويعرف هو
للمخاطبين فالمتبادر منه انها جواهر والمعاني ليس لها اجسام حتى
تملا الطست وانما تملا الانا بالاجسام والجواهر لا بالاعراض وهو
نص من الشارع عليه الصلاة والسلام بضد ما ذهب اليه المتكلمون
في قولهم ان الايمان والحكمة اعراض والجمع بين الحديثين المذكور الدال
على انها جواهر قائمة بانفسها وما ذهبوا اليه من انها اعراض تقوم بغيرها
لا بانفسها هو ان حقيقة اعيان المخلوقات التي ليس للحواس فيها

ادراك ولا ثبت من جهة النبوة اخبار عن حقيقتها فلم يخبر بها
احد من الانبيا غير محققة وانما هو غلبة ظن لان للعقل بالاجماع
من اهل العقل المويدين بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط
فيما عدا ذلك ولا يقدر ان يصل اليه هذا وما اشبهه منها لانهم
تكلموا على ما ظهر لهم من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر
التي ذكرها الشارع عليه السلام في الحديث ولم يكن للعقل
قدرة انه يصل الى هذه الحقيقة التي اخبر بها عليه السلام فيكون
الجمع بينهما ان يقال ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن
الجواهر وهو الذي يدرك بالعقل والحقيقة ما ذكره عليه الصلاة
والسلام في الحديث المفيد انها جواهر محسوسات لانه شاهدها والمتكلمون
لم يشاهدوها فوقفوا على ما ادركته عقولهم ولهذا نظاير كثيرة واقعة
بين المتكلمين وفي انشية عن اثار النبوة بان تكلم بها الانبيا او لحزنه مما جا
عنهم ويقع الجمع بينهما على الاسلوب الذي قررناه وما اشبهه
فيحمل كلا من الكلامين المتخالفين على وجه لا يخرج عن قواعد الشرع
ثم مثل ابن ابي جمرة للنظاير بمجي الموت في هيئة اي صورة كبش املح
ثم مثل بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر منها هنا في دار الدنيا
معان وتوجد يوم القيامة جواهر محسوسات توزن ولا يوزن في
الميزان الا جواهر لاستحالة وزن المعاني قال وفي ذلك دليل لاهل
الصوفة واحدة الصوف اي القطعة منه وهم السادة الصوفية سموا بذلك
للبسهم الصوف او لصفا قلوبهم او لغير ذلك مما هو معلوم واصحاب
المعاملات وهي عند الطايفة توجه النفس الانساني الى باطنها الذي هو
الروح الروحانية والسر الرباني استمدادها منهما ما يزيل به الحجب عنها
ليحصل لها قبول المدد في ازالة كل حجاب ومنازل هذه المعاملات عشر الرعاية
والمراقبة والحرمة والاخلاص والتهذيب والاستقامة والتوكل والتفويض
والثقة والتسليم سميت هذه المنازل بالمعاملات لان العبد لا يصلح له المعاملة
للحق حتى يتحقق بهذه المقامات كما في اللطايف وقول شيخنا هم الذين يعاملون
الله تعالى بالتمادي في الطاعات واجتناب المنهيات سمي بذلك معاملة
اخذا من قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال البيضاوي اقراضه
مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه اي اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص
وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق
في سبيل الله صحيح في نفسه لكنه غير ما يعنيه الصوفية الصوفية وان
رجع الى بعض ما قالوا من التحقيق القايلين بانهم يرون قلوبهم
وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان اخوانهم بالعين بصايرهم
جمع بصيرة وهي قوة للقلب المنور بنور القدس يرى به حقايق الاشيا
وبواطنها بمثابة البصر للعين يرى به صور الاشيا وظاهرها قال ابن

الكمال

الكمال جواهر محسوسات فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح
اي السراج اي الفتيلة الموقودة ومنهم من يعاينه مثل الشمعة
واحدة الشمع بفتح الميم وتسكن تخفيفا وقيل الفتح لغة العرب والسكون
لغة المولدين ومنهم من يعاينه مثل المشعل كمقعد القنديل كما
في القاموس والمراد هنا معناه العرفي وهو الشعلة العظيمة والاعا
المصباح ونا في قوله وهو اقواها اي اكثر من ضو المصباح والشمعة
ومقولون بانه لا يكون الحقيقة حقا حتى يعاين قلبه بعين
بصيرته فله عين كما ان للجسد عينا كما يعاين كفه بعين بصره
فيتعرف فيه الزيادة من النقصان وحينئذ يكون محققا فان
قلت ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم علمه بكسر الميم وسكون
اللام من عطف الاسم على الاسم هكذا في نسخة صحيحة وهي ظاهرة وفي نسخة
ثم ملي وينبغي تاويله بالمصدر ليحصل التناسب بين المتعاطفين ايمانا وحكمة
ولم لم يوجد الله تعالى ذلك المذكور من الايمان والحكمة فيه اي القلب
من غير ان يفعل به ما فعل من الشق قلت اجابه العارف ابن ابي جمرة
بانه عليه السلام لما اعطي كثرة الايمان اي خصاله وشعبه او الاسباب
المحصلة لكماله فلا يرد ان الايمان هو التصديق وهو شي واحد لا يتعدد
ولا يتكثر وانما التكثر في متعلقاته من صلاة وصوم ونحوهما وقوة بضم القاف
او لجمي من فتحها الاحتياجه لتقدير قوة التصديق منه بذلك لكل ما ورد
من قبل الله اذ ذاك ليس هذا من الاضافة الى المفرد بل الى الجملة الاسمية او الفعلية
والتقدير اذ ذاك كذلك او اذ كان كذلك اعطي بروية شق البطن والقلب
عدم الخوف في جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه السلام
قوة الايمان من ثلاثة اوجه بقوة التصديق اي الحاصلة بزيادة
الايمان والحكمة وبالمشاهدة لشق الصدر وغسل القلب وعدم الخوف
المترتب على عدم حصول اذى له بعد فعل ما يهلك بعادة من العادات اي
مما تجري به العادات المهلكات جمع عادة وتجمع ايضا على عاد وعوايد
وجعل المشاهدة وعدم الخوف من قوة الايمان بنا على انه يزيد وينقص فلا يرد
انهما خارجان عن التصديق الذي هو مسمى الايمان فكمل له عليه الصلاة
والسلام بذلك ما اريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم
الخوف مما سواه ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان عليه السلام
في العالمين اشجعهم واثبتهم واعلاهم حالا ومقالا اي قولا لاقصد
قال كنقولا ومقالة فقيه اي فوقهم حالا ورسالة في العالم العلوي بضم العين
وكسرها مع سكون اللام المكان المرتفع من نسبة الكلي وهو المكان العالي من
حيث هو الى جزئيه وهو ما وصل اليه تلك الليلة فانه جزئي من جزئيات مطلق
المكان كان كما اخبر عليه السلام ان جبريل لما وصل الى مقامه
اي جبريل المشار اليه بقوله وما منا الا له مقام معلوم وهو سدرة المنتهى

التي لم يتجاوزها احد الا نبينا صلى الله عليه وسلم قاله النووي ثم قال ها انت
وربك هذا مقامي بفتح الميم اي موضعي لا انفداه فزج به في النور
زجة ولم يتوان ولم يلتفت اي الغي نفسه بلا توقف لما عنده من
الثبات وقوة القلب فكان هناك في الحضرة كما اخبر عنه ربه
عز وجل بقوله ما زاغ البصر ما مال بصره صلى الله عليه وسلم عما راه
وما طغى ما جاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا متقنا او ما عدل عن رؤية
العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها وما احسن اختصار الحافظ لهذا
كله بقوله في الفتح قال ابن ابي جمرة الحكمة في شق بطنه مع القدرة على ان
يمتلي قلبه ايمانا وحكمة بغير شق الزيادة في قوة اليقين لانه اعطي بشق
بطنه وعدم تاثره بذلك ما امن معه من جميع المخاوف العادية فلذا كان
اشجع الناس واعلاهم حالا ومقالا ولذلك وصف بقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى واما حاله عليه السلام في هذا العالم فكانه اذا حمي الوطيس
التنور اي اشتد الحرب كما فسر به حديث الان حمي الوطيس والاولى اسقاط قوله
اللهم الا ان يخرج عن معناه بان يقال المعنى اذا اشتد الامر في الحرب ركض
بغلته اي ضربها ليتقدم في نحر العدو اي صدورهم فلا يهاب احدا منهم
ولا يمنعه من ذلك كثرتهم ولا شدتهم في الحرب وهم شاكون اي داخلون
في سلاحهم دروعا وغيرها فهي محيطة بكل بدنهم وفيه مسامحة اذ لا يتاتى
ان تكون الاسلحة لهم غير الدروع ظروفا فالظرفية اعتبارية فيه كما في جذوع
النخل بالغ في جعل السلاح ظرفا لهم كانهم لشدة تمكنهم منها واستيلائهم عليها
مظروفون فيها ويقول انا النبي لا كذب لان صفة النبوة يستحيل معها
الكذب فكانه قال انا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب انا ابن عبد المطلب
فركوبه البغلة مزيد ثبات لانها ليست مراكب الحرب بل الامن فالحرب عنده
كالسلم وكذا اشهاره نفسه مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو ومن بسط
هذا في حنين مران في العناية اي الاهتمام بتطهير قلبه المقدس
وافراغ الايمان والحكمة فيه اشارة الى مذهب اهل السنة في ان
محل العقل ونحوه من اسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو
القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة وبعض اهل السنة
كالحنفية وعبد الملك بن الماجشون من المالكية لكن مذهب الاكثرين ظاهر
على اثبات القوى الباطنية ولم يتعرضوا لها فوصفها بانها محالا تسمع والمراد
انه جعل للقلب حالا يدرك بها الامور المعقولة وفي قوله من اسباب الادراك
اشعار بان المدرك هو العقل وما عداه طريق لادراكه وفي العقل تعاريف نقل
المجد منها جملة وقد نقل كلامه المص في الفصل الثاني من المقصد الثالث واما
الحكمة في غسل قلبه المقدس عليه الصلاة والسلام كما مر في رواية
البخاري ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم
يقوي القلب ويسكن الروع بالفتح الفزع قال الحافظ الزين

العراقي ولذلك غسل قلبه عليه السلام ليلة الاسرى ليقوى
على رؤية الملكوت باطن الملك وقال ابن ابي جمرة انما لم يغسل بماء الجنة
لما اجتمع في زمزم من كون اصل مائها من الجنة ثم استقر في الارض فاريد
بذلك بقاء بركة النبي صلى الله عليه وسلم في الارض وقال السهيلي لما كانت زمزم
حفرة جبريل روح القدس لام اسماعيل جد النبي صلى الله عليه وسلم ناسب ان
يغسل عند دخوله حضرة القدس لمناجاته وقال غيره لما كانت زمزم اصلها
حياة ابيه اسماعيل وقد ربي عليها ونمى قلبه عليه وجسده وصار هو
صاحبه وصاحب البلدة المباركة ناسب ان يكون وليه الصادق المصدوق كذلك
ولما فيه من الاشارة الى اختصاصه بذلك بعد وفاته فانه قد صارت الولاية
اليه في الفتح فجعل السقاية للعباس وولده وحجابة البيت لعثمان بن شيبة
وعقبه الى يوم القيامة واستدل شيخ الاسلام السراج البلقيني
بغسل قلبه الشريف به بماء زمزم على انه افضل من ماء الكوثر قال
لانه لم يغسل قلبه المكرم الا بافضل المياه وتوقف فيه السيوطي بان كونه
لا يغسل الا بافضل المياه مسلم ولكن بافضل مياه الدنيا اذ الكوثر من متعلقات
دار البقاء فلا يستعمل في دار الفناء ولا يشكل بكون الطست الذي غسل منه محمد
صلى الله عليه وسلم من الجنة لان استعمال هذا ليس فيه ذهاب عين بخلاف
ذاك واجاب في الايعاب بانه اذا سلم انه لا يغسل الا بافضل المياه لزم تسليم
قول البلقيني وتخصيصه بافضل مياه الدنيا لما ذكره لا دليل عليه وكون ما
الكوثر من الجنة لا يقتضي عدم الغسل به لان المناسب لما له صلى الله عليه وسلم
ان يستعمل له الافضل مطلقا لا بالنسبة لدار الدنيا اذ الاصل في الافضل على الاطلاق
ان لا يستعمل له الا الافضل كذلك والفرق بينه وبين الطست بما ذكره لا تاثير له
لان ذلك الوقت وقت اظهار كرامته وخرق العادة له والا لحرم استعمال الذهب
فلما جاز علمنا ان القصد به خرق العادة لمزيد اظهار الكرامة وهذا مقتض
لاستعمال ماء الكوثر لو كان افضل فلما عدل الى ماء زمزم اقتضى ذلك بقرينة
المقام انه افضل منه قال وبهذا يرد على من نازع البلقيني ايضا يعني السيوطي
بخبر لقاب قوس احدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها واجاب عن الغسل
به دون مائها بانه قد الفه ونشا عليه كجده اسماعيل اذ هو اول ما نبع بمكة لاجله
ووجه رده ان الخبر مخصوص والالفة لا تقتضي ما ذكر سيما في مقام اظهار
شرفه ونازعه ايضا بان حكمة الغسل به قول الزين العراقي انه يقوي به على
رؤية الملكوت لان من خواصه انه يقوي القلب ويسكن الروع فاذا ثبت هذا لم
يكن في الغسل به دلالة على افضليته لان سلب هذا المعنى عن ماء الكوثر لا يقتضي
ان ماء زمزم افضل منه لان سبب انتفائه عنه انه من مياه الجنة وهي لا روع
فيها حتى يحتاج لسلبه فسلبه عنه لعدم المحل القابل لا لعجز الفاعل وبان
الكوثر مما من الله به على نبيه وانزل فيه القران وزمزم من عطا اسماعيل ولم
ينزل فيها ما نزل من القران فيه ومن خصوصياته ان من شرب منه شربة

لايظما بعدها ابدا وغير ذلك انتهى ووجه رده ان ماذكره من الحكمة لم يثبت
على انه يكفي في تقوية قلبه وتسكين روعه ماوقع له من تكرر شق الصدر
المنبي عن بلوغه في قوة القلب وسكون الروع الى الغاية القصوى فلا
يحتاج لشي اخر وعلى التنزل فكونه غسل به لاجل ذلك لا يقتضي انه غسل
به لذلك بل يحتمل انه لذلك بل يحتمل انه لذلك ولاظهار شرفه فالامران يحتمل
انهما مقصودان فما الدليل على قصره على احدهما وكون الكوثر مما من الله به
على نبينا بخلاف زمزم لا يكون صريحا في الافضلية وما ذكر فيه من الخصوصية
ورد في زمزم اعظم منه وهو ان من شرب منها للامن من العطش يوم القيمة
اعطيه كما يصرح به الحديث الصحيح خلافا لمن نازع فيه ماء زمزم لما شرب
له وقول ابن الرفعة والماء النابع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم اشرف المياه
لا يرد على البلقيني لان قوله الا افضل المياه اي الموجودة اذ ذاك والنابع لم يكن
موجودا اذ ذاك ولا يرد على ابن الرفعة الحديث الصحيح خير ما على وجه الارض
ماء زمزم لان ما نبع من بين اصابعه لم يكن موجودا عند قوله ذلك انتهى
والعبد بوعيه قال العارف ابن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس
اسم شرحه على الاحاديث التي انتخبها من البخاري واما قوله عليه السلام
فغسل صدري فالظاهر ان المراد به القلب كما في الرواية الاخرى
في البخاري عن مالك بن صعصعة فغسل قلبي وفي رواية مسلم فاستخرج
قلبي فغسل بماء زمزم وقد يحتمل ان تحمل رواية على ظاهرها ويقع
اي يحصل الجمع بينهما بان يقال اخبر عليه السلام مرة بغسل صدره
الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه واخبر مرة اخرى بغسل قلبه و
ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما مرة لقلبه
بعد اخراجه ومرة لصدره بعد شقه مع مبالغة في تنظيف المحل المقدس
ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى
اليه من الخير ومنه الايمان والحكمة وقد غسل اولا وهو عليه السلام
طفل واخرج من قلبه نزعة الشيطان وانما كان اعظاما وتاهبا
لما يلقى هناك لا لازالة امر مستقذر فيه لا لكمال خلقه مع العلقة التي اخرجت
منه لم يكن للشيطان عليها لولم تخرج سبيل وانما قصد باخراجها المبالغة
في اظهار تعظيمه وتكميله من بين افراد انواعه وقد جرت الحكمة بذلك في
غير موضع وفي نسخة بزيادة ما للتاكيد مثل الوضو للصلاة لمن كان
متنظفا ولو نظافة حسية بان غسل بدنه وبالغ في تنظيفه ثم يات بافعال
الوضو على الوجه المعتبر فيه شرعا لان الوضو الشرعي في حقنا انما
هو اعظام وتاهب للوقوف بين يدي الله تعالى ومناجاته لان
المصلي يناجي ربه فالقصد بالوضو اعظام ما ذلبس ثم دنس محسوس
يزيله الوضوء ولا ينافي هذا قول الفقها ان الحدث امر اعتباري يقوم
بالاعضا يمنع صحة الصلاة حيث لا مرخص لجواز انهم ارادوا بالاعتباري

معني ارادة الشارع منافيا لكمال التعظيم مع خلو الاعضا من الدنس الحسي
فكذلك غسل جوفه الشريف هنا ليس لعدم القابل بل للاعظام والتاهب
للمناجاة وقد قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى
القلوب اي فان تعظيمها منه من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه
المضافات والعايد اليمن وذكر القلوب لانها منشا التقوى والفجور والامر بهما
قاله البيضاوي فكان الغسل له عليه السلام من تعظيم شعائر الله
واشارة لامته بالفعل من الملك معه بتعظيم شعائر الله كما نص عليه
بالقول في الاية المذكورة واما قوله ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار
ابيض ذكر باعتبار انه مركوب او نظرا للفظ البراق يضع خطوه عند اقصى
طرفه مرا ساكنة وفا اي نظره فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى بي
السما الدنيا وفي رواية عنده اي البخاري في الصلوة ثم اخذ بيدي فعرج
بي السما فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السما وليس
هذا الظاهر بمراد لما ثبت انه ربط البراق ببيت المقدس ورقي السما على المعراج
كما ياتي بيانه ومشى على ظاهره ابن ابي جمرة في قوله والقدرة كانت صالحة لان
يصعد بنفسه من غير براق لكن ركوب البراق كان زيادة في تشريفه لانه لو صعد
بنفسه كان في صورة ماش والراكب اعز من الماشي قال العارف ابن ابي
جمرة عقب هذا افاد ذلك انهم كانوا يمشون في الهوى وقد جرت
العادة بان البشر لا يمشي في الهوى سيما وكان راكبا على دابة من
دواب الارض يعني البراق لكن لما ان شانه القدرة ذكره كان اي شانه
ذو القدرة ففيه مضاف او مصدر بمعنى اسم الفاعل اي القادر وانث الفعل نظرا
للفظ فلابد ان القدرة صفة لا تنسب لها المشية وانما تنسب لله تعالى فكما بسط
تعالى لهم الارض يمشون عليها لذلك يمشيهم في الهوى كل ذلك بيد
قدرته لان نشط قدرته تعالى بعادة جارية اي لا يتوقف تاثيرها على
موافقة عادة بل يوثر في كل ممكن اراد تاثيرها فيه وان خالف العادة وقد سيل
عليه السلام حين اخبر عن الاشقيا الكفار الذين يمشون على وجوههم
يوم القيامة كيف يمشون فقال عليه السلام ان الذي امشاهم في الدنيا
على اقدامهم في رواية على ارجلهم قادر على ان يمشيهم يوم القيامة
على وجوههم والحديث في الصحيحين عن انس انتهى كلام ابن ابي جمرة وقد
استدل بعضهم بهذا الحديث على ان المعراج كان في ليلة غير ليلة
الاسرا الى بيت المقدس لكون الاسرا اليه لم يذكر هنا اذ ظاهر قوله
فانطلق بي جبريل حتى اتى السما الدنيا انه استمر سايرا به الى حيث
شا الله ولم ينزل بيت المقدس واما المعراج ففي غير هذه الرواية من
الاخبار ما يدل على انه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم
كما وقع التصريح به في حديث عند ابن اسحاق والبيهقي في
الدلايل النبوية من حديث ابي سعيد كما سياتي ان شا الله تعالى قريبا

ويمكن ان يقال في الجمع ما الذي وقع هنا اختصار من الراوي فيرد
ما هنا الي تلك الرواية كان يقال قوله حتي اتي السما الدنيا ذكر غاية ما وصل به
جبريل ولم ينظر لتفاصيل ما دون ذلك والاتيان متم المقتضية للتراخي
لا ينافي وقوع الاسرايين الامرين المذكورين وهما الانطلاق المذكور في
قوله فانطلق بي جبريل والعروج المذكور بقوله حتي اتي السما وفي نسخة
الاطباق بكسر الهمزة فطا ساكنة فموحدة ثم قاف اي اطباق صدره كما كان وفيه
تعسف وحاصله اي هذا الجمع ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر
وقال النعماني ما المانع من انه صلي الله عليه وسلم رقي المعراج فوق ظهر
البراق لظاهر الحديث انتهي والمانع موجود وهو احاديث ربطه البراق
بالحلقة كما ياتي وثابت البناني بضم الموحدة وبالنون في هذا الحديث
ففي رواية عن مسلم عن انس انه اتي الي بيت المقدس فصلي به ثم
عرج الي السما كما سياتي ان شا الله تعالي ومن قواعد المحدثين تقدم
رواية من حفظ القصة وفصلها فيرد اليه رواية من اجمل ونقص فيها
وقد قيل الحكمة في الاسرا به راكبا مع القدرة علي طي الارض له اشارة
الي ان ذلك وقع تانيسا له بالعادة حيث اسري به راكبا مع امكان ايصاله
بلا ركوب بل لو اراد حضوره بغير شي كان له في مقام خرق العادة حيث قطع
تلك المسافات الكثيرة ذهابا وايابا في اقل زمن لان العادة جرت ان الملك
اذا استدعي اي طلب من يختص به بعث اليه بمركوب يسمي اي شريف
يحمله عليه في وفادته اليه فعامله بذلك تانيسا وتعظيما وفي كلام بعض
اهل الاشارات اي محققي الصوفية لما كان صلي الله عليه وسلم ثمرة
شجرة الكون يعنون بالشجرة في اصطلاحهم الانسان الكامل المشار اليه في
اية النور وهو الشجرة المباركة الزيتونة التي لا شرقية ولا غربية لاعتدالها
بين طرفي الافراط والتفريط في الاقوال والاحوال ودرة صدفة الوجود
وسر معني كلمة كن السر يعني ما يخصه كل موجود من الحق بالتوجه
الايجادي المنبه عليه بقوله تعالي انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون فقولهم لا يحب الحق الا الحق ولا يطلب الحق الا الحق ولا يعلم
الحق الا الحق انما اشاروا بذلك الي السر الصاحب من الحق للخلق علي
الوجه الذي عرفته فانه هو الطالب للحق والمحب له والعالم به كذا في الاعلام
باشارات اهل الالهام ولم يكن بد فراق وبحاله من عرض هذه الثمرة
بين يدي متمرها ورفعها الي حضرة قدسه والطواف الدورات
بها علي ندمان حضرته ارسل اليه جبريل اعز خدام الملك بكسر
اللام سبحانه عليه فلما ورد عليه قادما واتاه علي فراشه نايما فقال
بلسان الحال قم يا نايم فقد هيئت لك الغنايم جمع غنيمة فقال بلسان
حاله يا جبريل الي اين فقال يا محمد ارتفع الاين من البين انما انا
رسول القدم اي الذي هو القدم وهو الحق تعالي ارسلت اليك لاكون من
جملة

جملة الخدم يا محمد انت مراد الارادة المراد عبارة عن المجذوب عن ارادته
مع تهيئ الامور له فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة وهذا
مراد شيخ الاسلام ابي اسماعيل الانصاري بقوله المراد هو المختطف من
وادي التفرق الي ربوة الجمع وهذا هو الانسان الذي اجتباه الحق واستخلصه
الكل اي كل المخلوقات مراد لاجلك كما قال تعالي لادم لولا محمد ما خلقتك
رواه الحاكم مرفوعا وروي ابو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس اوحي
الله الي عيسي امن بمحمد ومر امتك ان يومنوا به فلولا محمد ما خلقت ادم ولا
الجنة ولا النار وذكر ابن سبع وغيره عن علي ان الله قال لنبيه من اجلك اسطح
البطحا وامرج الموج وارفع السما واجعل الثواب والعقاب وانت مراد لاجله
انت صفوة كاس المحبة انت درة هذه الصدفة انت شمس المعارف
هي في اصطلاح القوم عبارة عن احاطة العبد بعينه وادراك ماله وعليه
كما قال الامام الجنيد ان تعرف ما لك وما له انت بدر اللطايف جمع لطيفة
وهي كل اشارة دقيقة المعني يلوح في الفهم لا تسعها العبارة ما مهدت
الدار الا لاجلك ما صفي ذلك الحمي الا لوصلك ما روق كاس المحبة
الا لشربك فسر شيخ الاسلام الهروي في منازل السايرين المحبة بانها تعلق
القلب بين الهمة والانس في البذل والمنع اي بذل النفس للمحبوب ومنع القلب
من التعرض الي ما سواه وانما يكون ذلك بافراد المحب لمحبوبه بالتوجه اليه والاعراض
عما عداه وذلك عند ما ينسي اوصاف نفسه في ذكر محاسن حبه فتذهب ملاحظة
التسوية والي هذا المعني اشار القايل

شاهدته وذهلت عني غيره ... مني عليه فهو المنتهي مفرد

وانما كانت المحبة حاله بين الهمة والانس كما اشار اليه الشيخ لان المحب لما كان
اشد الراغبين طلبا صارت الهمة من جملة اوصافه اذ المراد بالهمة شدة طلب
القلب للحق طلبا خالصا عن رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه ولما كان الطلب
بالهمة قد يعري عن الانس ومن شرط المحب كونه مستانسا بمحاسن محبوبه
مستغرقا وجب ان يكون المحب موصوفا بالانس فلذا اكتنفت المحبة بالهمة والانس
فقال عليه السلام بلسان الحال يا جبريل فالكريم يدعوني اليه فما الذي
يفعل قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي يستر الذنب عنك
فلا تلبسه قال يا جبريل هذا لي فما لعيالي امتي اطفالي اصحابي والي قال
ولسوف يعطيك ربك فترضي فقال صلي الله عليه وسلم اذن لا ارضي واحد
من امتي في النار وروي البيهقي عن ابن عباس في هذه الاية قال رضاه ان
يدخل امته كلهم الجنة وفي مسلم عن ابن عمر انه صلي الله عليه وسلم تلي قول
الله عن ابراهيم فمن تبعني فانه مني وعن عيسي ان تعذبهم فانهم عبادك
ثم رفع يديه فقال اللهم امتي وبكي فقال الله يا جبريل اذهب الي محمد فقل له انا
سنرضيك في امتك ولا نسوك فقال الان طاب قلبي لذو ركب ها انا ذاهب الي
ربي ثم قال جبريل يا محمد انما جيت اليك الليلة لاكون خادم دونك

وحاجب حاشيتك جانبك قال المصباح حاشية الثوب جانبه والجمع
الحواشي وحاشية النسب كأنه مأخوذ منه وهو الذي يكون على جانبه
كالعم وابنه وحامل غاشيتك بغين وشين معجمتين اسم لشيء نفيس يحمل
امام الاكابر ويمشي به بين يديهم عرفا والغشا في الاصل الغطاء وزنا ومعنى وجيء
بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك اذا استزاروا
حبيبا طلبوا زيارته او استدعوا قدومه وارادوا اظهار كرامته واحترامه
ارسلوا اخص خدامهم واعز قوامهم لنقل اقدامهم اي الذي ارسل
اليهم وجمعه حملا على ان المراد بالحبيب الجنس الصادق بالواحد والمتعدد مجيئا
على رسم عادة الملوك تأنيسا بالعادة وادابه السلوك وهو في اصطلاح
الطايفة عبارة عن الترقي في مقامات القرب الى حضرات الرب فعلا وحالا و
وذلك بانه يتحد باطن الانسان وظاهره فيما هو بصدده مما يتكلفه من فنون
المجاهدات وما يقاسيه من مشاق المكابدات بحيث لا يجد في نفسه حرجا من ذلك
ومن اعتقد انه يصل اليه بالخطا بالضم جمع خطوة ما بين القدمين فقد
وقع في الخطا بالفتح خلاف الصواب ومن ظن انه محجوب بالغطا بغين
معجمة فقد حرم العطا انتهى والحكمة في كون البراق الذي اعد له وتعلق
علمه تعالى بانه سيسري به عليه دابة دون البغل وفوق الحمار ابيض
او فيه حذف اي الحكمة في المجيء له بالبراق الموصوف بما ذكر فلا يرد انه ليس المراد
بيان حكمة خلق البراق على هذه الصورة فحق العبارة الحكمة في المجيء له دون فرس
مثلا ولم يكن على شكل الفرس التي هي اشرف الدواب المركوبة اشارة خبر
الحكمة ان الركوب كان في سلم وامن لا في حرب وخوف فان الحرب هي التي
يعتد لها بنحو الفرس وصورة البراق لم يعهد عليه قتال البتة او لوقوع الاسراع
الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة لكن البياض لا دخل له في الحكمتين
فلعل ذكره لبيان الواقع او لاظهار البياض يختار عادة لاظهاره وقد ذكره بقوله
ابيض باعتبار كونه مركوبا او عطفا لضوءا اي ميلا يقال عطفت على كذا
ملت له على لفظ البراق وعلى معنى المجيء ولفظ الفتح او بالنظر للفظ البراق
واختلف في اشتقاق تسميته بذلك لقوله الاتي ويحتمل ان لا يكون مشتقا
فقيل مشتق من البريق اللمعان اي سمي بذلك للمعان لونه لصفاء بياضه
وقال القاضي عياض لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان في خلال
صوفها الابيض طاقات سود فقال الحافظ ولا ينافيه وصفه في الحديث
بانه ابيض لان البرقاء من الغنم معدودة في البيض انتهى ولكن اعترض بان
هذا الوصف لم يثبت للبراق وما يأتي ان صدره ياقوتة حمراء ضعيف وقيل
مشتق من البرق ما يلمع من السحاب لانه وصف بسرعة السير فاشبه
البرق في سيره ويحتمل ان لا يكون مشتقا فلا يلاحظ في تسميته اخذه من
مادة اصلا وانما هو اسم له ووصفه بانه يضع خطوه عند اقصى طرفه
بسكون الراء وبالفاء اي نظره اي يضع رجله بيان للمراد بخطوه فليس المراد
نفس

نفس المصدر عند منتهى ما يرى بصره فالطرف بمعنى البصر فقوله
عند اقصى طرفه اي في المكان الذي هو غاية منتهى ما يصل اليه بصره
وقال ابن المنير يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة
فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السما في خطوة واحدة قال
لان بصر الذي في الارض يقع على السما فبلغ اعلى السموات
في سبع خطوات اخبار عما وصف به في حالة عروجه لانه يزعم كما سيأتي
وهو فيما دونها انتهى كلام ابن المنير وهو مبني على انه عرج به على البراق
اخذا بظاهر الحديث والصحيح خلافه وفي حديث ابن مسعود عند
ابي يعلى والبزار كما افاده في الفتح ما لفظه اذا اتى بمعنى اقبل على
جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه فلا مشقة على راكبه في
صعود ولا هبوط وفي رواية لابن سعد محمد عن الواقدي محمد بن عمر بن
واقد باسانيده له جناحان قال الحافظ ابن حجر ولم ارها لغيره وهو
عجب مع قول الشامي قوله له جناحان في فخذيه يحفز بهما رواه ابن اسحق
وابن جرير وابن المنذر عن الحسن البصري مرسلا ورواه ابن سعد من طريق
الواقدي وابن عساكر من حديث جماعة من الصحابة ويحفز بفتح التحتية وسكون
المهملة وكسر الفاء اي يحث بهما رجليه على سرعة السير قال ابن الاثير الحفز
الحث والاعجال ولعل سر كونهما في فخذيه لتنقل موخر الدابة او لان ذلك جار
على هذا الامر في خرق العادة او لانهما لو كانا في جنبيه على العادة لكانا
تحت فخذي الراكب او فوقهما ويحصل له مشقة بضمهما ونشرهما خصوصا
مع السرعة العظيمة انتهى وعند الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس
في صفة البراق لها خد كخد انسان وعرف بضم المهملة واسكان الراء
وقد تضم وبالفاء كعرف الفرس وهو شعره النابت في محدب رقبته وقوائم
كالابل اي كقوائمها واظلاف بمعجمة جمع ظلف بالكسر للبقرة والشاة بمنزلة
القدم لنا وذنب كالبقر عايد لهما اي لها اظلاف كالبقر وذنب كالبقر وكان
صدره ياقوتة حمراء تشبيه بليغ اي كياقوتة لا ان ذاته ياقوتة بالفعل
هذا ان قرئ كان بالفعل فان قرئ بالتشديد والهمز فهو تشبيه حقيقي لكن
ظاهر السياق الاول وفي رواية ابي سعد هكذا في نسخة صحيحة باداة الكنية
واسكان العين واسمه عبد الرحمن بن الحسن الاصفهاني النيسابوري الحافظ
المشهور الثقة المتوفي سنة سبع وثلثمائة وقد وصفه الذهبي في تاريخه بالحافظ
واغفله من طبقات الحفاظ والسهيلي يكنيه ابا سعيد بالياء ورده مغلطاي بانه
انما هو سعد بسكون العين ووقع في نسخ ابن سعد وهو خطأ لقوله في شرف
المصطفى اذ هذا الكتاب انما هو لابي سعد عبد الرحمن لا لابن سعد محمد والذي
في الفتح وغيره ابي سعد وكان الذي امسك بركابه جبريل وبزمامه بكسر
الزاي مقود البراق ميكائيل ولا ينافي ذلك ان جبريل كان راكبا معه كما ياتي
لانه امسك ركابه حتى ركب امامه نعم يعارضه رواية وجبريل عن يمينه

ومسكا بيبل عن يساره رواه سعيد بن منصور والطبراني وابن مردويه فانه
ظاهر في عدم الركوب الا ان يكون ذلك اخبارا عن مبدا سيره ثم ركب جبريل قدامه
رفقا به والعلم لله ومن رواية معمر عن قتادة عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما حالا ان
من البراق فاستصعب عليه اي عسر وامتنع فقال له جبريل ما حملك
على هذا يعني اي شيء اغراك بهذا اي ما منعك من الانقياد له مع انه اعظم
من يستحق غاية التعظيم لانه ما ركبك خلق اي مخلوق اكرم على الله منه
بل هو اكرم من ركبك على مفاد النفي عرفا وان صدق لغة بالمساواة قال
فارفض سال وجرى عرقا منصوب على التمييز من الفاعل ولهذا ورد مخففا
والمعنى خجل من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب قاله في الابانة الباهرة
اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وصححه ابن حبان من حديث انس
واخرجه ابو داود والطبراني والبيهقي وصححه من حديث شداد بن اوس وذكر
ابن اسحاق حيث قال الحديث عن قتادة انه لما شمس بفتح المعجمة والميم
فسين مهملة اي منع ظهره من ركوبه بامتناعه وضع جبريل عليه السلام
يده على معرفته بفتح فسكون ففتح موضع نبات العرف اي الشعر النابت
على عنقه وقال اما تستحي وذكر نحوه فقال اما تستحي يا براق مما تصنع
فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد اكرم عليه منه فاستحى حتى ارفض عرقا ثم قر حتى
ركبته لكنه مرسل لانه لم يذكر انسا انما قال قتادة حدثت عن رسول الله قال
لما دنوت منه لاركبه شمس فذكره وفي رواية وثيمة بمثلثة وتحتية وميم
عند ابن اسحق نفست الدابة كذا في النسخ وهو تصحيف فالذي في الفتح
وغيره فارتعشت حتى لصقته بالارض فاستويت عليها وفي رواية النسائي
وابن مردويه بفتح الميم وبكسر مهموز من طريق يزيد بتحتية فزاي ابن
ابي مالك عبد الرحمن الهمداني بالسكون الدمشقي القاضي صدوق ربما وهم
مات سنة ثلاثين ومائة او بعدها روى له ابو داود والنسائي وابن ماجة
عن انس نحوه موصولا وزاد وكانت تسخر للانبيا قبله ونحوه في حديث
ابي سعيد الخدري عند ابن اسحاق محمد صاحب السيرة وفيه دلالة
على ان البراق كان معدا لركوب الانبيا خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية
واول قول جبريل فما ركبك اكرم على الله منه اي ما ركبك احد قط
فكيف يركبك اكرم منه فيكون من نفي الموصوف فينتفي ذلك الوصف ما انتفا
وهي طريقة معلومة خرجوا عليها قوله تعالى لا يسألون الناس الحافا اي
لا سوال فلا الحاف ولم يرد اثبات السوال ونفي الالحاف بدليل يحسبهم الجاهل
اغنيا من التعفف اذ التعفف لا يجامع المسالة وقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة
الشافعين اي لا شافع فلا شفاعة بغير عمد ترونها اي لا عمد فلا رويتم
فيكون مثل قول امرئ القيس على لاحب بمهملة وموحدة طريق واضح
لا يهتدى بمناره اي علمه فيفهم ان له منارا يهتدى له وليس المراد

الا انه

الا انه لا منار له البتة فالمراد نفي المنار من اصله لا اثبات منار
انتفى عنه الاهتدا فتأمله لان شرط التخريج على هذا اذا وجد ما يدل
عليه وليس كذلك هنا كيف وقد جزم السهيلي بان البراق انما
استصعب عليه لبعد ركوب الانبيا قبله فصرح بانه ليس خاصا
به وهو من الحفاظ الكبار وهو مثبت فيقدم على نفي تلميذه ابن دحية وان
وافقه ما قال النووي قال صاحب مختصر العين الزبيدي وتبعه
صاحب التحرير كان الانبيا يركبون البراق قال النووي متعقبا لهما وهذا
يحتاج الى نقل صحيح انتهى وتقدم النقل بذلك قريبا قال في الفتح
ويؤيده ظاهر قوله فربطته اي شددته بالحلقة التي تربط بكسر الباء
وضمها لغة بها الانبيا انتهى قلت تامل فانه ليس فيه فربطته
بالحلقة التي تربطه بها الانبيا بالضمير وانما قال تربط بها الانبيا
وسكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل كما قال ابن المنير ان يكون
غير البراق ويصير تقديره تربط بها الانبيا دوابهم وذلك لا يستلزم كون
البراق مركوبا لهم وهذا لا يرد على الحافظ لانه لم يقل يؤيده قوله انما قال ظاهر
قوله ولا شك ان ظاهره ربط البراق لانه المحدث عنه واما هذا الاحتمال فبعيد
وابعد منه قوله ويحتمل ان يريد ارتباط الانبيا انفسهم بتلك الحلقة
اي تمسكهم بها ويكون من جنس العروة الوثقى وهو من تمسك الحق
من النظر الصحيح والرأي القويم كما في البيضاوي وغيره انتهى كلام ابن المنير
ثم استدرك المص تعقبه على الحافظ بان الروايات يفسر بعضها بعضا
فتتعين ان المراد تربط بها البراق لا الدواب ولا انفسهم فقال لكن وقع التصريح
بذلك في حديث ابي سعيد عند البيهقي ولفظه فاوثقته اي ربطته
دابتي بالحلقة التي كانت الانبيا تربطها فيه وقد وقع عند ابن اسحق
في المبتدأ من رواية وثيمة في ذكر الاسرا فاستصعب البراق وكانت
الانبيا تركبها قبلي وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في
الفترة التي بينه وبين عيسى وهي ستمائة سنة على الصحيح وفي
مغازي ابن عائذ من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب قال البراق
هي الدابة التي كان يزور ابراهيم عليها اسماعيل وفي اوائل الروض
للسهيلي ان ابراهيم حمل هاجر على البراق لما سار الى مكة بها وبولدها
وفي كتاب مكة للفاكهي والازرقي ان ابراهيم كان يحج على البراق فهذه
اثار يشد بعضها بعضا وجاءت اثار اخرى تشهد لذلك لم ار الاطالة بايرادها
قاله الحافظ وعلى ذلك كله فلا يكون ركوب البراق من خصائصه
صلى الله عليه وسلم قال الشامي ولعل النافي ركوب غيره لم يستحضر
هذه الاحاديث والاثار لانه اقتصر على الحديثين ولم ار نصا بنفي ركوب
غيره من الانبيا عليه ومعارضة النص بتاويل قول جبريل فيه نظر
بل ورد ما يدل على ان غير الانبيا ركبه ففي اوائل روض السهيلي ان ابراهيم

حملها احد على البراق لما سار الى مكة بها وبولدها وفيه ايضا عن الطبري
اوحى الله الى ارميا ان اذهب الى بخت نصر فاعلمه انى قد سلطته على العرب
فاحمل معدا على البراق كي لا تصيبه النقمة فانى مستخرج من صلبه نبيا
كريما اختم به الرسل فحمله معه على البراق الى ارض الشام انتهى نعم
قيل ركوبه مسرجا ملجما لم يرد لغيره من الانبيا عليهم السلام
فيحمل القول بان ركوبه من خصايصه على ركوبه مسرجا ملجما لا مطلقا فهو
فلا ينافي ان غيره ركبه لا بهذه الصفة فان قلت ما وجه استصعاب
البراق عليه اجيب اي اجاب ابن المنير بانه اي وجهه تنبيه اعلام
انه لم يذلل قبل ذلك ان قلنا انه لم يركبه احد قبله او لبعد العهد به
ان قلنا انه ركب قبله وهما قولان ارجحهما الثاني كما علم ويحتمل ان يكون
استصعابه تيها بكسر الفوقية وسكون التحتية تكبرا وزهوا عطف تفسير
ففي القاموس الزهو التيه والفخر بركوبه صلى الله عليه وسلم واراد جبريل
بقوله ابمحمد تستصعب استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة
وانما تاه زهوا لمكان الرسول عليه السلام منه اي لوجوده عنده
وارادته ركوبه ولهذا قال فارفض سال عرقا فكانه اجابه بلسان
الحال متبريا من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب اي عتاب
جبريل له ومثل هذا رجفة الجبل تحرك به حتى قال كما في الصحيح عن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان فرجف
بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق ابو بكر وشهيدان عمر وعثمان
فانها هزة الطرب الفرح لا هزة الغضب فلذا اقر الجبل وسكن وكذا هو
البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم على الله منه قر
فاستقر سكن وخجل من ظاهر الاستصعاب وتوجه الخطاب
اليه بالعتاب فعرق حتى غرق اي عمه العرق فشبه عمومه له بالغرق في
الما ووقع في حديث حذيفة بن اليمان عند الامام احمد قال اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فلم يزل على ظهره هو وجبريل
حتى انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده حذيفة عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد ولم يبلغه الاحاديث
التي فيها نزوله في اماكن قبل بيت المقدس ويحتمل ان يكون بقوله هو وجبريل
متعلقا بمرافقته في السير لا في الركوب الى بيت المقدس دون نزول قبله
فلا يخالفه احاديث نزوله قبله في اماكن وقال ابن دحية معناه وجبريل
قايد او سايق او دليل قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت
كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها وتبعه ابن
المنير وغيره في التعليل لا بتخصيص فان من جملة كرامته اكرام صاحبه
وقد تعقب الحافظ ابن حجر فقال برد التاويل المذكور بان في صحيح
ابن حبان من حديث ابن مسعود ان جبريل حمله على البراق رديفا

له

له اي جا علاه خلفه وفي رواية الحارث ابن ابي اسامة في مسنده
عن ابن مسعود اتي بالبراق فركبه خلف جبريل وكانه لسرعة السير
وكونه ليلا وكونها دابة غير مالوفة تخفف عليه ليلا ينزعج فلم يجعله امامه
فسار بهما فهذا صريح في ركوبه معه والله اعلم انتهى ومعلوم
تقديم صريح المنقول على مقتضى المعقول وقد وقع في غير هذه الرواية
بيان ما راه ليلة الاسرا قبل اتيانه بيت المقدس ولا يحسن ابقا قوله حتى
استمر على ظهر البراق حتى انتهيا الى بيت المقدس على ظاهره وكذا قوله
في حديث مالك ابن صعصعة ثم اتيت بدابة فحملت عليها فانطلق بي
جبريل حتى اتى السما الدنيا لا يليق بقاوه على ظاهره لانه مجمل فيقضى عليه
المفصل من الاحاديث المذكور فيها ما راه في ذهابه وايابه وفي السموات ولما
كانت ما صيغة عموم تفيد استيعاب جميع ما راه اتى بقوله فمن ذلك
انه لم يستوعب ذلك ما وقع في حديث شداد بن اوس عند البزار
والطبراني وصححه البيهقي في الدلايل انه اول ما اي شي راه ليلة
اسري به مر بارض ذات نخل فهو اول المرييات او سماه اول باعتبار
قطع المسافة سريعا فلا ينافي بين مكة ويثرب مسافة طويلة فلا يصدق
الجمع على المعتد او هو اول فصلى هذا فالخبر جملة قوله مر الخ بتقدير انه واسمها
ضمير الشان ويجوز نصبه اولا على انه ظرف متعلق بمر فما مصدرية واسم ان ضمير
للنبي صلى الله عليه وسلم اي انه مر اول اسرايه بارض والاولية نسبية اي انه
عد المرور اول اسرايه مع تاخره لقصر سيره فيه وغر شيخنا ان هذا احسن
فقال له جبريل انزل فصل فنزل فصلى ثم ركب فقال له اتدري اين صليت
فقلت الله اعلم هكذا في حديث شداد نفسه قبل قوله صليت بيثرب صليت بطيبة
هكذا لجمع بينهما في حديث شداد فيثرب لانها انما كانت مشهورة بهذا الاسم فقصد
اخباره بالمحل وطيبة للاشارة الى انها تسمى به بعد حلوله فيها وفي حديث انس
عند النسائي اتدري اين صليت صليت بطيبة واليها المهاجر بفتح الجيم فجبريل تبرع
باخباره بذلك بعد سواله هل تدري المحل الذي صلى فيه او لا قاصدا ادخال السرور
عليه ولم يساله النبي صلى الله عليه وسلم عنه على الظاهر المتبادر ثم مر بارض
بيضا فقال انزل فصل فصلى ثم ركب فقال له جبريل اتدري اين صليت قال
لا قال صليت بمدين عند شجرة موسى كما في خبر شداد ومدين بفتح الميم والتحتية
واسكان المهملة بينهما بلد بالشام تلقا غزة سميت باسم بانيها مدين بن ابرهيم
ويحتمل ان المراد شجرة موسى الشجرة التي كلمه الله عندها لما خرج من عند شعيب
بعد انقضا الاجل قاصدا مصر فنودي منها ان يا موسى اني انا الله رب العالمين
او المراد الشجرة التي اوى بعد سقي الغنم لمداين المذكورة في قوله فسقى لهما ثم
تولى الى الظل فانه كان ظل سمرة قال ابن عطية عن ابن عباس وعلى هذا ففي
اطلاق مدين عليها تجوز لانها بالطور وليس هو مدين لكنه لقربه
منه سماه بذلك وفي حديث شداد ثم قوله عند شجرة موسى ثم ركب فانطلق

البراق يهوي به ثم قال له انزل فصل ففعل ثم ركبه فقال اتدري اين صليت قال
لا قال صليت بطور سينا حيث كلم الله موسى فصرح بانه صلى في الموضعين
عند الشجرة وعند الجبل وكلمه الله عندهما معا لكن بين التكليمين لموسى
مدة طويلة فالتكليم الاول الذي نبي فيه كان عمره اربعين سنة كما في ابن عطية
والثاني كان بعد غرق فرعون واستقر الامر لموسى بعد الامر بالصوم
وانقضا مدة الوعد المذكورة في قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها
بعشر ثم مر ببيت لحم بلام مفتوحة ومهملة ساكنة قرية من الشام تلقا
بيت المقدس والمص اختصر الحديث والا فلفظ حديث شداد عند من عزاه
لهم عقب قوله حيث كلم الله موسى ثم بلغ ارضا بدت له قصور فقال له جبريل
انزل فصل فصلى ثم ركب وانطلق البراق يهوي به فقال له جبريل اتدري
اين صليت قال لا قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم وفي حديث
انس عند البيهقي في الدلايل لما جا جبريل بالبراق اليه صلى الله
عليه وسلم استصعب عليه فكانها بسبب ذلك اصرت اذنيها اي جمعت
بينهما فهو مفرع على محذوف واصل الصر الجمع والشد كما في النهاية فقال
له جبريل مه اي انكفي عن هذا واتركيه وانقادي له يا براق فوالله ما ركبك
مثله بكسر الكاف ليناسب اصرت وان جاز فتحها فسار رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاذا هو بعجوز على جنب الطريق ناحيته اسقط
من البيهقي عن انس فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم يلتفت اليها فقال
ما هذه يا جبريل قال سر يا محمد امره بالسير خشية ان يسمع سوالها رقة
عليها لسنها حيث يجيبها لما جعل الله في قلبه من الرافة والرحمة فساروا ما شا
الله ان يسير فاذا هو بشيخ يدعوه متنحيا من شدة الكبر متنحيا ه
مصروفا مباعدا عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبريل سر يا محمد
ليلا يرق قلبه له لسنه فيقبل عليه وفي حديث انس المذكور انه مر بجماعة
في مسيره ذلك ولفظه وبينا هو يسير اذ لقيه خلق من خلق الله تعالى فسلموا
عليه فقالوا السلام عليك يا اول من اسمايه صلى الله عليه وسلم لانه اول
الانبيا خلقا واول من قال بلى يوم الست بربكم والاول عوداخيرا واول من تنشق
عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع السلام عليك
يا اخر لانه اخر الانبيا بعثا السلام عليك يا حاشر لانه يحشر الناس على
قدميه اي بعد مبعثه وهم خلفه او يتبعهم فيحشر قبلهم والثلاثة من اسمايه
كما مر في مقصدها فقال له جبريل اردد عليهم السلام فرد الحديث اسقط
منه ثم لقيه الثانية فقال له مثل ذلك ولقيه الثالثة فقال له مثل ذلك وفي اخره
فقال له جبريل اما العجوز التي رايت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا
الا ما بقي من عمر تلك العجوز والذي دعاك ابليس اراد ان تميل اليه
كما في نفس الحديث والعجوز الدنيا اي انها صورت له بصورة عجوز اشارة
الى قرب انقضايها والا فهي نقيض الاخرة لا صورة لها بل هي عرض اما بالتحقيق

لو

لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا على الاخرة بجعلها نصب اعينهم
وعبادتها دون الله فلا بد ان كثيرا من امته بل اكثرهم يتبعون الدنيا ويؤثرونها
عليها لانهم وان فعلوا ذلك لكن لاغراض فاسدة عندهم مع اعتقاد كمال
قدرة الله ووحدانيته فلا يصدق عليهم اتباعهم للدنيا واما الذين
سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام سلموا عليه
ثلاثا زيادة في المحبة قال الحافظ عماد الدين بن كثير في الفاظه
اي هذا الحديث نكارة وغرابة لمخالفته لما في حديث ابي سعيد ان جبريل
اجابه بقوله لو اجبتها الخ لما تمثلت بامراة حاسرة عن ذراعيها عليها
من كل زينة خلقها الله واما حين تمثلها بعجوز فاجابه بانه لم يبق من
الدنيا الخ ومن جهة تفرده بذكر لقايه لها ولا الانبيا الثلاثة في ذهابه
الى بيت المقدس قبل دخوله وفي رواية عند انس بلفظ انه صلى الله عليه
وسلم مر بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره قال انس راويه
ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله بيان لكلمة ويحتمل ان الكلمة
غيرها وقوله اشهد الخ ما نشا عنها والحديث في مسلم والنسايي وغيرهما
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت على موسى ليلة اسري بي
عند الكثيب الاحمر وهو قايم يصلي في قبره وفي حديث ابن مسعود عند
الحسن بن عرفة والطبراني وابي نعيم وغيرهم رجل طوال سبط ادم كانه
من رجال شنوءة وهو يقول يرفع صوته اكرمته وفضلته فدفعنا اليه فسلمنا
عليه فرد السلام وقال من هذا معك يا جبريل قال هذا احمد قال مرحبا بالنبي الامي
العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لامته ودعا له بالبركة وقال سل لامتك
اليسر ثم ابعدنا فقلت من هذا يا جبريل قال هذا موسى بن عمران قلت ومن
يعاتب قال يعاتب ربه قال ايرفع صوته على ربه قال ان الله قد عرف له حدته
فذكر الحديث وفيه انه لقي ابراهيم في طريقه ثم دخل الاقصى وصلى بالانبيا قال
النعماني وفيه غرابة ولا مانع ان الانبيا عليهم السلام يصلون في
قبورهم الصلاة الشرعية التي كانوا يصلونها في الحياة الدنيا لانهم الى الان
في الدنيا وهي دار تعبد وقيل المراد الصلاة اللغوية اي تدعون الله وتذكرونه
وتثنون عليه وجزم القرطبي بالاول لانه ظاهر الحديث ولانهم احيا عند
ربهم يرزقون حياة حقيقية والصلاة تستدعي جسدا حيا سوا قلنا انها
الشرعية او اللغوية ولا يلزم من كونها حقيقية ان تكون الابدان معها كما كانت
في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب ونحوهما من صفات الاجسام التي
نشاهدها الان ذلك عادي لا عقلي وهذه الملايكة احيا ولا يحتاجون الى ذلك
فهم يتعبدون بما يجدون من دواعي انفسهم فتعبدهم بذلك
لذة اي لذة لا بما اي شي يلزمون به لانه لا تكليف بعد الموت كما يلهم
اهل الجنة الذكر ويجدون اللذة القوية ولا تكليف في الجنة وسياتي
الاشارة القليلة الى ذلك في حجة الوداع ان شا الله تعالى وسبق

في الخصايص بابسط مما هي في الموضعين وفي حديث ابي هريرة عند
الطبراني والبزار والبيهقي وابن جرير وابو يعلي انه عليه السلام
مر علي قوم يزرعون ويحصدون بكسر الصاد وضمها في كل يوم
كلما حصدوا اعاد كما كان فقال لجبريل ما هذا قال هولاء المجاهدون
في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة الي سبعماية ضعف وما
انفقوا من شي فهو يخلفه اخبار عن حالهم ولم يقصد القران فلا
يرد ان التلاوة وما انفقتم من شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين
والمراد ان ما ينتفعون به من نواله وغيرها اذا نفذ في ذلك الوقت جي لهم
بغيره علي التوالي وبذلك يتميزون عن غيرهم من اهل الجنة او انه اخبار
بان ما انفقه المجاهدون يعوضون به في الدنيا سريعا ولا يوخر ثوابهم
للاخرة ثم اتي علي قوم ترضخ اي تشدخ كما في التقريب وفي المصباح بكسر
روسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم
بضم اوله وفتح الفا وشد الفوقية اي لا يخفف عنهم من ذلك الرضخ شي
او هو بضم اليا وضم الفوقية مخففا اي لا يرتفع عنهم ذلك ولا يسهل فقال
ما هذا يا جبريل قال هولاء الذين تتثاقل روسهم عن الصلاة
المكتوبة بالتساهل فيها اما بتركها اصلا او باخراجها عن وقتها كلا او بعضا
ثم اتي علي قوم علي اقبالهم رقاع جمع رقعة كاعناق وعنق
وهو من كل شي خلاف دبره قبل سمي قبلا لان صاحبه يقابل به غيره وعلي
ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل الذي في رواية البزار والبيهقي
وغيرهما كما تسرح الابل والغنم ياكلون الضريع الشوك اليابس او نبات
احمر منتن الريح يرمي به البحر والزقوم ثمر شجر كريه الطعم قيل لا يعرف في
شجر الدنيا وانما هي في النار تكره اهل النار علي اكلها كما قال تعالي انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه روس الشياطين وفي القاموس الزقوم كتنور
الزبد بالتمر وشجرة بجهنم ونبات بالبادية له زهر ياسميني الشكل وطعام
اهل النار واخرج ابن جرير عن قتادة قال قال ابو جهل زعم صاحبكم هذا ان في
النار شجرة والنار تاكل الشجر وانا والله ما نعلم الزقوم الا التمر والزبد فانزل
الله حين عجبوا ان يكون في النار شجرة انها شجرة تخرج في اصل الجحيم الاية
ورضف جهنم بفتح الرا وسكون الضاد المعجمة بعدها فا الحجارة المحماة
واحدها رضفة بسكون الضاد وتفتح قال ما هولا يا جبريل قال هولا
الذين لا يودون زكاة اموالهم وما ظلمهم الله شيئا وما الله بظلام
اي بذي ظلم للعبيد فيعذبهم بلا ذنب ثم اتي علي قوم بين ايديهم لحم
نضيج مستوي في قدور ولحم ني بالهمز وزان حمل كل شي شانه ان يعالج
بطبخ او شي لم يطبخ فيقال لحم ني والابدال والادغام عامي في قدور خبيث
بالرفع نعت لحم فجعلوا ياكلون من الني الخبيث ويدعون النضيج
فقال ما هولا يا جبريل قال جبريل هذا الرجل من امتك يكون عنده

المراة

المراة الحلال الطيب فياتي امراة خبيثة فيبيت عندها حتي
يصبح ولعله قيد بامته لان لغيرهم عذابا اعظم من هذا او لان الغرض
اعلامه بما اعد لمرتكبي ذلك ليتنكبوا عنه والمراة تقوم من عند زوجها
حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتي تصبح ولعل
التقييد بذلك لانه الاغلب والمراد الزنا وان لم يكن بيات حتي الصباح
ويويده ان الحافظ اختصر الحديث بقوله قال هولاء الزناة ثم اتي علي
رجل قد جمع حزمة بضم فسكون ما حزم من اي شي وفي فتح الباري
حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها اي يضم
اليها غيرها قال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك تكون
عنده اي في جهته امانات الناس لا يقدر علي ادايها اي الخروج
من عهدتها يدخل فيه ما تحت يده كوديعة وما وكل علي بيعه وما تحت يده
من مال يتيم ونحوه وما فوض اليه كالامامة والخطابة وغيرهما من المناصب
الشرعية مما لا يوصف بكونه تحت يده حسا وهو يريد ان يحمل عليها اي يزيد عليها
ما يحتاج الي حمله معها مع عدم قدرته علي حمل الاولي ثم اتي علي قوم تقرض
تقطع السنتهم وشفاههم جمع شفة مخففة بمقاريض جمع مقراض
بكسر الميم من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من
ذلك شي قال ما هذا يا جبريل قال هولا خطبا الفتنة اي الذين يقولون
ما لا يفعلون فيفتنون الناس بذلك لعدم مطابقة قولهم لفعلهم واسقط من
الرواية خطبا امتك يقولون ما لا يفعلون والمراد بالخطبا كل من تصدي
لتعليم العامة ما طلب منهم ونصيحتهم عما نهوا عنه فدخل العالم والواعظ
وغيرهما قال ثم اتي علي جحر بضم الجيم وسكون المهملة ثقب مستدير
صغير يخرج منه ثور عظيم بمثلثة ذكر البقر فجعل الثور يريد ان
يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال
هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة من سخط الله ثم يندم عليها
فلا يستطيع ان يردها لعدم امكانه ثم اتي علي واد فوجد فيه ريحا
طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال ما هذا يا جبريل
قال هذا صوت الجنة تقول بلسان القال علي الظاهر المتبادر فلا مانع
من ان يخلق لها ادراك ونطق رب ائتني بالمد بما وعدتني بزيادة البا
في المفعول كقوله تعالي ولا تلقوا بايديكم لان اتي يتعدي بنفسه كقوله واتاه
الله الملك فقد كثرت غرفي بالضم جمع غرفة وهي العلية واستبرقي
ثخين الديباج وفي البيضاوي ثخين الحرير وحريري عطف عام علي خاص
وسندسي رقيق الديباج وعبقريي قيل هو الديباج او البسط الموشية
او الطنافس الثخان واصله فيما قيل ان عبقر قرية يسكنها الجن فيما
يزعمون فكلما راوا شيا فايقا غريبا مما يصعب عمله ويدق او شيا عظيما
في نفسه نسبوه اليها فقالوا عبقري وفي القاموس العبقري الكامل

من كل شيء والسيد الذي ليس فوقه شي وعليه فالمراد هنا وكبرت نفاسيه
الكاملة منه شابه وغيرها ويكون من ذكر العام بعد الخاص **ولولويه** بهمزتين
او بحذفهما او باثبات الاولى دون الثانية **ومرجاني** قال الازهري وغيره
هو صغار اللولو وقال الطرسوسي هو عروق حمر تطلع من البحر كاصابع
الكف وهكذا شاهدناه بمغارب الارض **وفضي وذهبي واكوابي**
جمع كوب اناء لا عروة له ولا خرطوم **وصحافي** جمع صحفة اناء كالقصعة
واباريقي جمع ابريق اناء له عروة وخرطوم **ومراكبي** ما يركب **وعسلي ومائي
ولبني وخمري** بالانهار الاربعة **فاتني بما وعدتني قال لك كل مسلم
ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن امن بي وبرسلي وعمل صالحا**
الطاعات **ولم يشرك بي شيئا** بان لا يرائي احدا بعبادته وحملناه على هذا
ليغاير قوله **ولم يتخذ من دوني اندادا** شركا يخصهم بالعبادة **ومن خشيني**
خافني مع الاجلال **فهو امن ومن سالني اعطيته ومن اقرضني**
باتفاقه في سبيلي لاجلي **جازيته** جزاء مضاعفا كما قال من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم **ومن توكل علي كفيته انني انا
الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد** الوعد بالبعث والجزاء **وقد** للتحقيق
افلح فاز المؤمنون وتبارك الله احسن الخالقين اي المقدرين بزنة
اسم الفاعل ومميز احسن محذوف للعلم به اي خلقا **قالت الجنة قد رضيت
ثم اتى على واد فسمع صوتا منكرا** بنكره سامعه لعدم سماع نظيره
في الاصوات المعتادة لشناعته وقبحه **ووجد ريحا منتنة** بضم الميم
وكسر التاء اسم فاعل من انتن ويجوز كسر الميم للاتباع وضم التاء اتباعا للميم قليل
كما في المصباح **فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول** بلسان
القال **رب اتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي** جمع سلسلة **واغلالي**
قيودي **وسعيري** ناري وسعر تسعيرا واسعر تسعيرا وقد تها **وحميمي** ماء الحار
غاية الحرارة **وغساقي** بخفة السين وتثقيلها اي ما يسيل ويخرج مني لشدة
حرارتي وفي البيضاوي وغيره الغساق ما يغسق اي يسيل من صديد اهل النار
فانهم يذوقونه **وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فاتني بما وعدتني
قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة** عطف عام على خاص لان المشرك
اذا اجتمع مع الكافر اريد به من جعل لله شريكا كعباد الاوثان والكافر يشمل
ذلك وغيره **وكل جبار** كافر **لا يؤمن بيوم الحساب** يوم القيامة **قالت
قد رضيت قال فسار حتى اتى بيت المقدس** وفي نسخة حتى انتهى
فسار حتى انتهى **ومن رواية ابي سعيد** الخدري سعد بن مالك بن سنان
عند البيهقي وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه **دعاني داع عن
يميني يا محمد انظرني** نظرا اقبل علي وتوجه الي **اسالك فلم اجبه
ثم دعاني اخر عن يساري** يا محمد انظرني اسالك كما في الرواية
والمختصر هنا بقوله **كذلك فلم اجبه وفيه** اي حديث ابي سعيد المذكور

وبينما

وبينما هو يسير **اذا امراة حاسرة** كاشفة عن ذراعيها اسم فاعل
من حسر اذا كشف **وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت
يا محمد انظرني اسالك فلم التفت اليها وفيه** اي الحديث المذكور انه
جبريل قال اما الداعي الاول الذي عن يمينه **فهو داعي اليهود
ولو اجبته لتهودت امتك** لعل حكمة ذلك لو وقع ان الله جعل اجابته
سببا لذلك في سابق علمه وكذا يقال في قوله **واما الثاني فداعي النصارى
ولو اجبته لتنصرت امتك واما المراة فالدنيا** اما انك لو اجبتها
لاختارت امتك الدنيا على الاخرة هكذا في حديث ابي سعيد المذكور وتصورت
له ايضا بصورة عجوز اشارة الى قلة ما بقي منها كما مر **وفيه** اي الحديث
المذكور **انه صعد الى السما الدنيا وراى فيها ادم وانه** بعد اجتماعه بادم
مضى هنيهة **وراى اخوانه** جمع خوان بكسر المعجمة وضمها الذي يوكل
عليه وقال الخليل هو المائدة **عليها لحم منتن عليها ناس يأكلون منها
قال يا جبريل ما هذا قال جبريل هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون
الحرام** وفي لفظ عند البيهقي ايضا وغيره فاذا هو باقوام على مائدة عليها لحم
شوي كاحسن ما رئي من اللحم واذا حوله جيف فجعلوا يقبلون على الجيف
يأكلون منها ويدعون اللحم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الزناة يحلون ما
حرم الله عليهم ويتركوا ما احل الله لهم **وفيه** اي حديث ابي سعيد المذكور انه
مر بقوم بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر سقط من
قيام **وان جبريل قال** له جوابا لقوله يا جبريل من هؤلاء قال **هم اكلة الربا**
اي الذين يتناولون من الاموال ما اخذوه على وجه الربا وهو خاص بالمطعومات
والنقود اذا اخذت بالعقد المسمى بعقد الربا بان اشتمل احد العوضين فيه على
زيادة او تاخير في البدلين او احدهما وخرج بذلك المأخوذ بعقود فاسدة لا
كفقد روية او شرط فاسد مع انتفاء الربا عنها فلا يكون لفاعلها ذلك الوصف
وان اثم ولم يملك ما اخذه وقد افاد المصنف انه اختصر الحديث وهو كذلك ولفظه
في هذه الجملة ثم مضى هنيهة فاذا هو بقوم بطونهم امثال البيوت فيها الحيات
ترى من خارج بطونهم كلما نهض احدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة وهم
على سابلة ال فرعون فتجيء السابلة فتطؤهم فسمعتهم يضجون الى الله تعالى
فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من امتك الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما
يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والسابلة ابناء السبيل المختلفة وحملوا
بطرق ال فرعون يمرون عليهم غدوا وعشيا لان ال فرعون هم اشد الناس
عذابا بطونهم فضلا عن غيرهم من الكفار وهم لا يستطيعون القيام ومعنى
ذلك ان الله وقف امرهم بين ان يتنبهوا فيكون جزاؤهم وبين ان يعودوا او يصروا
فيدخلهم النار واستشكل بان هذه الحالة ان كانت عبارة عن حالهم في الاخرة
قال فرعون قد دخلوا اشد العذاب وانما يعرضون على النار غدوا وعشيا في
البرزخ وان كانت هذه الحال التي راهم عليها فاي بطون لهم وقد صاروا عظاما

ما

طمس لبس علمها احمر كلامها
ما تحتي عليها

ورفاتا ومزقوا كل ممزق واجيب بانه انما راهم في البرزخ لانه حدث عما اي وهذه الحال هي ارواحهم بعد الموت وفيه تصحيح لمن قال الارواح اجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب فيخلق الله تعالى في تلك الارواح من الالم ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطي بالاقدام ولا يستطيع معه قياما ولا دليل على ان ال فرعون وغيرهم من الكفار الذين لا ياكلون الربا بطونهم ما داموا في البرزخ الى ان يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم ينادي منادي الله ادخلوا ال فرعون اشد العذاب ذكره السهيلي وانه مر بقوم مشافرهم بفتح الميم وخفة المعجمة فالف ففا مكسورة فرا اي شفاههم كالابل لفظ الرواية كمشافر الابل وعبر عن شفاههم بذلك مجازا اذ يقال شفة الانسان ومشفر البعير وجحفلة الفرس يلقمون جمرا فتخرج من اسافلهم وفي رواية يجعل في افواههم صخر من جهنم ثم يخرج من اسافلهم فسمعهم يضجون الى الله تعالى وان جبريل قال له جوابا لقوله يا جبريل من هؤلا قال هؤلا الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا كما في جواب جبريل وانه مر بنسا يعلقن بثديهن بضم المثلثة يقال بكسرها وتشديد المهملة جمع ثدي يذكر ويؤنث فيقال هو الثدي وهي الثدي وهو معروف وانهن الزواني يجوز انه راي ارواحهن وقد خلق فيها من الالام ما يجده من هذه حاله وان يكون مثلت له حالهن في الاخرة قاله السهيلي ولفظ الحديث ثم مضى هنيهة فاذا هو بنسا معلقات بثديهن وبنسا منكسات بارجلهن فسمعهن يضججن الى الله فقال من هؤلا يا جبريل قال هؤلا اللاتي يزنين ويقتلن اولادهن وانه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون وانهم الغمازون كذا في النسخ بغين معجمة اي المشيرون باعينهم او حواجبهم لمعايب الناس او لما فيه ضررهم لكن لفظ الرواية الهمازون بالها بدل الغين وهم الذين يغتابون الناس بلا مواجهة الغمازون العيابون كما في الشامي اي الذين يكثرون من اعراض الناس والطعن فيهم ولفظ الحديث ثم مضى هنيهة فاذا هو باقوام تقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له كل كما كنت تاكل لحم اخيك فقال يا جبريل من هؤلا قال هؤلا الهمازون من امتك اللمازون وفي حديث ابي هريرة عند البزار والحاكم والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم صلى ببيت المقدس قبل صعوده كما هو سياق الحديث عند الثلاثة ولفظه ثم سار الى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة بيت المقدس ثم دخل فصلى مع الملائكة وفي رواية انه صلى بالانبيا ايضا وانه التقى هناك بارواح الانبيا فاثنوا على الله وفيه اي الحديث قول ابراهيم لما اثنى نبينا على ربه بعد ثنا الانبيا لقد فضلكم محمد اي زاد عليكم بما اثنى به على ربه قال ذلك ابراهيم اظهارا لشرف المصطفى وفضله وليس ضمير فيه عايدا لما اثنوا به كما توهم لان ثناهم انما كان على الله والمصنف اختصر الحديث هنا وسنذكره تاما عن قريب وفي رواية عبد الرحمن ابن هاشم عن انس عند الطبراني والبيهقي

ثم

ثم بعث له آدم اي امر بالمجي اليه فمن دونه من الانبيا كما في نفس حديث انس فامهم تلك الليلة اي صلى بهم اماما ومن حديث ام هاني عند ابي يعلى وبشر اي سبق لي رهط من جملة الانبيا وجمعوا حولي عبر عن ذلك بالبشر اشارة الى كثرتهم وتفرقهم منهم ابراهيم وموسى وعيسى او المعنى اخرجوا من قبورهم عبر عنه بالبشر تشبيها له ببعثهم من قبورهم وسعيهم الى المحشر الى المحشر وحضورهم فيه ويحتمل ان المراد جميع الانبيا ان المراد جميع الانبيا ماخوذ من بشر الراعي غنمه بشرا من باب قتل اذا بثها ولا ينافيه لفظ رهط من الانبيا لجواز ان من للبيان وسماهم رهطا نظرا لقلتهم بالنسبة لغيرهم من الناس وهذا وان كان بعيدا لكن الحامل عليه الجمع بينه وبين قوله في الحديث فبعث له آدم فمن دونه من الانبيا وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف اسمه عبد الله وقيل اسماعيل عن ابي هريرة رفعه ثم حانت الصلاة اي دخل وقتها ويأتي تلو الخلاف في انها الصبح او العشا ويأتي تضعيفهما وان الاظهر انها من النفل المطلق او من الفرض الذي كان قبل الخمس فالمراد بحانت الصلاة دخل الوقت المامور بالصلاة فيه فاممتهم صليت بهم اماما اخرجه مسلم وفي حديث ابي امامة عند الطبراني في الاوسط ثم اقيمت الصلاة اي تهيئوا او قاموا لها لا الاقامة المشروعة لانه لانها انما شرعت بالمدينة فتدافعوا اي منع كل نفسه الامامة بعد ان طلبه منه ان يكون اماما وطلبه من غيره التقدم عليه حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا ينافيه حديث ابن مسعود الاتي فقمنا صفوفا ننتظر من يومنا فاخذ بيدي فقدمني فصليت بهم المفيد ظاهره انهم لم يتدافعوا ولم يقدموه لان انتظار من يوم لا ينافي تدافعهم اي قول بعضهم لبعض تقدم انت مثلا ولما قدمه جبريل رضوا به فنسبه هنا تقديمه اليهم لرضاهم به وسرورهم وفي رواية ثابت البناني عن انس رفعه عند مسلم قال اتيت بالبراق فوصفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته يعني البراق تفسير من الم لاسقاطه اول الحديث كما تركه بالحلقة وهي باسكان اللام على الاشهر وقد تفتح لامها وتكسر وليس في الكلام حلقة بفتح اللام الا جمع حالق ولغة ضعيفة كما حكاه القاموس التي تربط به الانبيا البراق كما رواه البيهقي لا دوابهم كما توهمه بعض وقد تقدم قال النووي قوله به كذا في الاصول بتذكير الضمير اعاده اي ارجاعا للضمير مذكرا حملا على معنى الحلقة وهو اي المعنى الشي والا فكان الظاهر ان يقول بها لان الحلقة مونثة تانيثا لفظيا وقال غيره روي بالتانيث والتذكير في مسلم والشفا والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس قاله صاحب التحرير اي بابه المعهود المعروف وان كان للمسجد ابواب متعددة وعند البيهقي والطبراني والبزار من حديث شداد ودخل المدينة من بابها اليماني ودخل المسجد من باب تميل

مسلم
فيه الشمس والقمر وروى الواسطي في فضايل بيت المقدس عن الوليد بن مسلم
قال حدثني بعض اشياخنا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى عن يمين المسجد
وعن يساره نورين ساطعين فقال يا جبريل ما هذان النوران قال اما الذي
عن يمينك فانه محراب اخيك داود واما الذي عن يسارك فعلى قبر اختك
مريم قال عليه السلام في رواية مسلم عن ثابت عن انس ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين غير الصلاة التي صلاها بالانبيا كما صرح به
في حديث ابن مسعود الاتي وعنه ثم قيل يحتمل انهما تحية المسجد وانهما غيرهما
ثم خرجت بعد صلاته بالانبيا الواقعة بعد هذين الركعتين كما صرح به
حديث ابي هريرة ثم حانت الصلاة فاممتهم رواه مسلم وعند ابن اسحق
عن ابي سعيد فصلى بهم اي الانبيا ثم اتي باناء فيه لبن الخ فعرض الاواني
انما كان بعد صلاته بالانبيا ففي هذا السياق اختصار فليس المراد انه
خرج من المسجد بعد صلاة الركعتين بل بعد صلاته بالانبيا فجاني جبريل
عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فلم يقع في رواية مسلم هذه
واناء من عسل خلاف ما يوجد في نسخ سقيمة من المص واناء من عسل بعد قوله
من خمر نعم هو ثابت في غيرها رواية فليس النزاع في انه اتي باناء فيه عسل
انما هو في العزو لمسلم ما ليس فيه في روايته من طريق ثابت عن انس مرفوعا
بلا واسطة فاخذته وفي رواية فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت
وفي رواية فاخذته الفطرة بكسر الفا قال ابن دحية تطلق الفطرة على الاسلام
لخبر كل مولود يولد على الفطرة ويطلق على اصل الخلقة كقوله تعالى فطرة
الله التي فطر الناس عليها وفاطر السموات والارض اي مبدي خلقهما او قول
جبريل اخترت الفطرة اي اخترت الذي عليه اي بسببه نبت اللحم
وبين بنايها عليه بقوله ومنه نبت اللحم ونشز بزاي منقوطة اي ارتفع
العظم وغلظ واخترته لانه الحلال الدايم هو في دين الاسلام واستتر
الضمير الفاعل بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه اي الدايم حله
كعيشة راضية خلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر وقد
روى ابو يعلى والبزار من حديث ابي هريرة اتي بانية ثلاثة مغطاة افواهها
فاتي باناء منها فيه ماء فشرب منه قليلا ثم رفع فلم يشرب منه شيا ثم دفع اليه
اناء اخر فيه خمر فقيل له اشرب قال لا اريده قد رويت فقال جبريل اما انها ستحرم
على امتك قال ابن دحية ايضا وقد تكون الاشارة بتقديم اللبن الى انه شعار
العلم في التعبير كما ورد انه صلى الله عليه وسلم قال رايت كاني اتيت بقدح من
لبن فشربت حتى ارى الري يخرج من اظفاري ثم ناولت فضلي عمر بن الخطاب
قالوا يا رسول الله ما اولته قال العلم والاسرا وان كان يقظة الا انه ربما وقعت
في اليقظة اشارة الى حكم الفال فيعبر كما يعبر في المنام ولذا كان صلى الله
عليه وسلم يحب الفال الحسن وكانه لما ملي قلبه ايمانا وحكمة اردف ذلك
بالعلم مطلقا وبجعل الله تعالى شربه ذلك اللبن سببا في ترادف العلوم
واستحسان

واستحسان القلب النبوي بانوارها وقال النووي المراد بالفطرة هنا
في قول جبريل اخترت الفطرة الاسلام والاستقامة وبه فسرت
الاية اي بملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه لادى بهم اليها وفسرت
ايضا بالخلقة التي خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه
وبالعهد الماخوذ من ادم وذريته قال ومعناه والله اعلم اخترت
علامة الاسلام وعلامة الاستقامة بالجر ففيه حذف مضاف اذ شرب
اللبن ليس هو هما قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا
لذيذا طاهرا لا يشوبه شي من الفرث والدم من لون او طعم او ريح وهو
بينهما سايغا للشاربين سهل المرور في حلوقهم لا يغص به سليم
العاقبة في الحال والمال وهذا كله تعليل لجعله علامة الاسلام والاستقامة
واما الخمر فانها ام الخبايث كما ورد مرفوعا عند القضاعي بلفظ الخمر
ام الخبايث اي اصلها التي تنشا عنه لحملها الشارب على مجاوزة الحدود
وجالبة لانواع الشر في الحال والمال انتهى وقد قال صلى الله عليه
وسلم الخمر ام الفواحش واكبر الكباير من شربها ترك الصلاة ووقع على امه
وخالته وعمته رواه الطبراني وقال القرطبي شارح مسلم في المفهم
يحتمل ان يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه اول شي يدخل
جوف المولود ويشق امعاه والسر اي السبب في ميل النبي صلى
الله عليه وسلم اليه دون غيره لكونه مالوفا له اولا ولكونه لا ينشا
عن جنسه مفسدة انتهى كلام القرطبي بما زدته وحقيقة السر ما يكتم وهو
خلاف الاعلان فاطلاقه على السبب مجاز مرسل من تسمية الجزي باسم الكلي
واذا كانت الخمرة مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسرا كان
بمكة وجواب اذا الشرطية قوله فما وجه تجنبه عليه السلام لاحد
المباحين باختياره الشرب منه وما وجه عد ذلك صوابا وعد
الاخر خطا وهما سوا في الاباحة وفرع على ذلك بجواب شرط هو واذا
اردت بيان الوجه فيحتمل ان يكون تركها تورعا لما في تناوله من
الغايلة المتوقعة وان كان مباحا ولا خلاف ان مثل هذا الورع يثاب عليه كما قاله
ابن المنير او تعريضا بانها ستحرم ولعل سبب التعريض انه اوحي اليه بذلك
او بالالهام فيتركها تنبيها على ان حلها لا يستمر وانه لما وافق الصواب
في علم الله تعالى قال له جبريل اصبت الفطرة او اصبت اصاب
الله بك كما روينا الاول في الصحيح والثاني في غيره قال ابن المنير قول
جبريل ذلك على ان اختيار الخمر خطا عصم منه صلى الله عليه وسلم وان المسالة
اجتهادية لان الخمر لم تكن حرمت قال وفيه دليل على المذهب المشهور لمالك
والشافعي وغيرهما ان المسايل الاجتهادية لله فيها حكم معين من اصابه فقد
اصاب الحق ومن اخطاه فقد اخطا الحق خلافا للقول بان حكم الله على كل
مجتهد ما غلب على ظنه انتهى وفيه افادة وجه كون اختيار الخمر خطا

وهو ان حكم الله فيها تحريمها بعد ابدا وان كانت مباحة حينئذ لامور
خفيت علينا ثم الخمر المحضرة يحتمل انها من خمر الدنيا وانها من خمر الجنة
التي لا يصدعون عنها ولا ينزفون فاذا قلنا من خمر الدنيا فوجه تجنبها
ما تقدم وان قلنا انها اي الخمرة المحضرة له كانت من خمر الجنة فيكون
سبب تجنبها صورتها ومضاهاتها مشابهتها الخمر المحرمة
اي في علم الله تعالى وذلك ابلغ في الورع فان قلت فيلزم اجتنابها
في الجنة تورعا من صورتها قلت لا يلزم لان الجنة ليست دار تكليف قال ابن
المنير ويستفاد منه ان من اتخذ من ماء الرمان او غيره شيئا يستعمله
على الصفة المعتادة بين شربة الخمر ولو ماء قراحا صرفا وضاهاها به
الخمر في الصورة وهيئاته في الهيئات التي يتعاطاها اهل السماعات
لفظ ابن المنير اهل الشهوات من الاجتماعات فقد اتى منكرا وانه كان
لا يحد عليه قال اعني ابن المنير وقد نص العلماء على هذا فينبغي ان يؤخذ من
حديث الاسراء كما بيناه قاله ابن المنير في المقتفي فيما يخصه الم منه فاحسن
والاخصر وقد اتى بعبارة طويلة استطرد فيها فوائد نفيسة على عادته واورد
قبل ذلك احضار الخمر واللبن هل اريد اباحتهما معا لم لو احضرت طعامين
لضيف وابحتهما له فما معنى اختياره لاحدهما وتصويب جبريل له وان كان في
احدهما لا بعينه بحيث يكون الاخر ممنوعا لزم التخيير بين ممنوع ومباح وذلك
لا يتصور قال والذي يرفع الاشكال ان المراد تفويض الامر في تحريم ما يحرم
وتحليل ما يحل الى اجتهاده صلى الله عليه وسلم وسداد نظره المعصوم فلما نظر
فيهما اداه اجتهاده الى تحريم الخمر وتحليل اللبن فوافق الصواب في حكم الله
فقال له جبريل اصبت وفيه اجتهاده فيما لم يوح اليه فيه وهي مسئلة خلاف
وهذا الحديث يحقق الجواز مع اتفاق المسلمين على ان اجتهاده معصوم من
الخطا بخلاف غيره من العلماء وينظر فيما يعمله كثير من فقراء اليمن
بمكة المشرفة وجده بضم الجيم ساحل البحر بمكة وغيرهما من ماء
قشر البن ثم صاروا بعد ذلك يعملونه من البن ايضا ويسمونه بالقهوة
وهو اسم من اشهر اسماء الخمر هل يحرم تناوله لتسميتهم بالخمر فكانهم شبهوه
بها وجوابه لا حرمة لانه لا يشرب على الهيئة التي يشرب عليها الخمر ومجرد
تسميته قهوة لا يقتضي ان يعطى حكمها وفي حديث ابن عباس عند احمد
فلما اتى المسجد الاقصى قام يصلي فلما انصرف من صلاته بالانبيا
جيء بقدحين في احدهما اللبن وفي الاخر عسل فاخذ اللبن وهذا
موافق لرواية مسلم ان اتيانه بالانية كان ببيت المقدس قبل المعراج ومر لفظه
قريبا ومن رواية البزار من حديث ابي هريرة انه جيء له بثلاث اواني
وان الثالث كان خمرا وان ذلك وقع ببيت المقدس وانه الاول كان
ماء ولم يذكر العسل واخرجه ابن عائذ من هذا الوجه في حديث المعراج
بعد ذكر ابراهيم قال ثم انطلقنا فاذا نحن بثلاثة انية مغطاة فقال لي

جبريل

جبريل يا محمد الا تشرب مما سقاك ربك فتناولت احداها فاذا هو عسل
فشربت منه قليلا ثم تناولت الاخر فاذا هو لبن فشربت منه حتى رويت
فقال الا تشرب من الثالث فقلت قد رويت قال وفقك الله وفي حديث شداد
ابن اوس عند البزار والطبراني والبيهقي فصليت في جانب من المسجد
حيث شاء الله واخذني من العطش اشد ما اخذني فاتيت باناءين
احدهما لبن والاخر عسل فعدلت بينهما هكذا في الحديث قبل قوله
ثم هداني الله فاخذت اللبن فقال شيخ بين يدي اسقط من
الرواية متكئ على منبر له يعني لجبريل اخذ صاحبك الفطرة وانه
لمهدي كما في تفنية حديث شداد وفي حديث ابي هريرة عند الشيخين اتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به بايلياء باناء فيه خمر واناء فيه لبن فنظر
اليهما فاخذ اللبن فقال له جبريل الحمد لله الذي هداك للفطرة لو اخذت الخمر
غوت امتك وفي حديث انس عند البيهقي فعرض عليه الماء والخمر واللبن
فاخذ اللبن فقال له جبريل اصبت الفطرة لو شربت الماء لغرقت وغرقت
امتك ولو شربت الخمر لغويت وغويت امتك قال الحافظ ويجمع بين هذا
الاختلاف في عدد الانية وما فيها بحمله على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره
الاخر ومجموعها اربعة انية فيها اربعة اشيا من الانهار الاربعة التي راها
يخرج من اصل سدرة المنتهى فلعله عرض عليه من كل نهر اناء انتهى وسياتي
هذا في كلام الم واما الاختلاف في ان عرض الاواني في بيت المقدس او بعد سدرة
المنتهى او البيت المعمور فالجمع بينهما ما ذكره بقوله وقد كان اتيانه
بالاواني مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس وسببه
ما وقع له من العطش قاله الحافظ ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى
ورؤية الانهار الاربعة التي راها تخرج من اصل سدرة المنتهى وفي
هذا اعمال لجميع الروايات لصحتها وهو اولى من جمع الحافظ بحمل ثم في رواية
مالك بن صعصعة انه اتي بالاواني بعد سدرة المنتهى ورفع البيت المعمور
له على غير بابها من الترتيب وانما هي بمعنى الواو وهنا وممن صرح بانه
كان مرتين على طريق الترجي الحافظ عماد الدين لا الجزم كما يوهمه الم
مصادرة الشامي قال السهيلي وابن دحية وابن المنير وابن كثير والحافظ
لعله قدم مرتين اي جمعا بين الروايات وعلى هذا فيكون تكرار جبريل
عليه السلام للتصويب حيث اختار اللبن تاكيدا للتحذير مما سواه
اي اللبن وذلك السوى هو الخمر خاصة وقد انكر حذيفة بن اليمان رضي
الله عنهما ربط البراق بالحلقة فروى احمد والترمذي من حديث
حذيفة قال يحدثون انه ربطه اي البراق اخاف ان يفر منه كذا في
النسخ الصحيحة بهمزة الانكار ومثله في الفتح والنعماني والشامي والفيطي
كما في نسخ خاف بحذفها سهو منه قلم الم او نساخه والحال انه قد
سخره له عالم الغيب والشهادة فكيف يخاف ان يفر منه وتجويز

بين

ان خاف بلا همزة حكاية عن كلام المحدث عنهم وان رد عليهم بقوله وقد
الحي ممنوع اذ جميع الذين حدثنا بانه ربطه لم ينقل احد منهم انه خاف ان
ينفد منه والجواب عما وجه به انكار ربطه انه لم يجعل ذلك خوفا قال
النووي في ربط البراق الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وانه
ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على الله وقال التسهيلي فيه من
الفقه التنبيه على الاخذ بالحزم مع صحة التوكل وان الايمان بالقدر لا يمنع
الحزم من توقي المهالك كما روي عن وهب بن منبه وكذا انكر حذيفة
ايضا في هذا الحديث صلاته عليه السلام ببيت المقدس واحتج
بانه لو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه كما كتب عليكم الصلاة في البيت العتيق
ونقضه البيهقي وابن كثير بان المثبت مقدم على النافي
يعني من اثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس وهم جمهور
الصحابة معه زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول من
النافي لانه لم يصحبه دليل نفيه قال الحافظ والجواب عنه منع التلازم في الصلاة
ان كان اراد بقوله كتب عليكم الفرض وان اراد التشريع فنلتزمه وقد شرع
النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه فقرنه بالمسجد الحرام ومسجده في شد
الرحال وذكر فضيلة الصلوة فيه في غير ما حديث ووقع في رواية بريدة
عند البزار لما كان ليلة اسري بي فاتى جبريل الصخرة بالفاء جواب
لما وهو قليل اجازه ابن مالك ورواه ابن هشام التي ببيت المقدس التي
كانت قبلة قال العرفي في غريب الموطا هي من غرائب الدنيا فان جميع المياه تخرج
من تحتها وهي صخرة صما في وسط المسجد الاقصى كجبل بين السما والارض
معلقة لا يمسكها الا الله وفي اعلاها موضع قدم النبي صلى الله عليه وسلم
حين ركب البراق ليلة الاسرى ليلة الاسرا فمالت من تلك الجهة من هيبته
وفي الجهة الاخرى اثر اصابع الملائكة التي امسكتها اذ مالت ولذا كان بعضها
ابعد من الارض من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة
والدعا فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق ونحوه
للترمذي وابن حبان والحاكم وصححه عن بريدة قال قال صلى الله عليه وسلم لما
انتهينا الى بيت المقدس ليلة اسري بي قال جبريل باصبعه فخرق بها الحجر وشد
به البراق والمراد بالحجر صخرة بيت المقدس كما في رواية البزار فلذا اختار سياقه
لصراحته والجمع بين هذا وبين قوله في حديث انس عند مسلم فربطته بالحلقة
التي كانت تربط بها الانبيا ما قاله بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ربطه اولا
بالحلقة تادبا واتباعا للانبيا فاخذه جبريل وحله من الحلقة وخرق الصخرة
وشده بها كانه يقول انت لست ممن يكون مركوبه بالباب بل انت اعلا واغلا
فلا يكون مركوبك الا في داخل المحل وهذا امر مشاهد في العادة بين الكبرا
واما جواب الطيبي بان المراد بالحلقة الموضع الذي كان فيه الحلقة وقد استند
فخرقه جبريل فرده النجم بان الحلقة وموضعها بالباب والذي خرقه جبريل

باصبعه

باصبعه انما هو الصخرة وهي داخل المسجد بعيدة عن الباب انتهى وفي
حديث ابي سعيد عند البيهقي حتى انتهيت الى بيت المقدس فاوثقت
دابتي بالحلقة التي كانت الانبيا تربطها فيه فدخلت انا وجبريل
بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين عبر بالصلاة التي صلاها بالانبيا
كما هو صريحه قال بعضهم يحتمل انهما تحية المسجد ويحتمل غير ذلك اي كونهما
من صلاة الليل والقصد بهما شغل البقعة قال ابن دحية وفيه دليل على ان
الصلاة لم تزل معهودة قبل ان تفرض ومعهودة مثنى مثنى قال النعماني وقد
فرضت الصلاة قبل البعثة ركعتين وفي رواية ابن مسعود عند الحسن بن
عرفة وابي نعيم نحوه وزاد ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم
دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع اي خاشع لخشوع
الراكع فلا يرد ان الركوع من خصائص الامة وما صلاه المصطفى قبل الاسرا
لا ركوع فيه وكذا ظهر عقب الاسرا واول صلاة بركوع العصر بعدها وساجد
ثم اذن كذا في النسخ وفيها سقط فليس هذا من رواية ابن مسعود انما
هو عن انس ففي فتح الباري بعد قوله وساجد ثم اقيمت الصلاة فاممتهم
وفي رواية يزيد بن ابي مالك عن انس عند ابن ابي حاتم فلم البث الا يسيرا
حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن مؤذن اي اعلم بطلب الصلاة فاقيمت
الصلاة اي نخشوا لها وشرعوا فيها فلا يرد ان الاذان والاقامة انما شرعا
بالمدينة والاسرا كان بمكة فقمنا صفوفا ننتظر من يومنا وفي نسخة
ننتظر وهي بمعنى ننتظر كقوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة اي
ما ينتظرون فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم اماما وفي
حديث ابن مسعود ايضا عند مسلم وحانت الصلاة اي دخل وقت
طلبهم بها فاممتهم صليت بهم اماما وفي حديث ابن عباس عند
احمد فلما اتى صلى الله عليه وسلم المسجد الاقصى قام يصلي بعد
انتظارهم من يؤمهم وتقديم جبريل للمصطفى فاذا النبيون اجمعون
يصلون معه كما في الحديث قبله فليس المراد ظاهره انه قام يصلي وحده
فاقتدوا به لان الاحاديث يفسر بعضها بعضا فان قيل كيف تصلي
الانبيا وهم اموات في الدار الاخرة وليست دار عمل اجاب عياض وتبعه
السبكي بانهم كالشهدا بل افضل منهم والشهدا احيا عند ربهم يرزقون
فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا وان يتقربوا الى الله بما استطاعوا لانهم وان
ماتوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى اذا فنيت مدتها وتعقبتها
الاخرة التي هي دار الجزا انقطع العمل وحاصله ان البرزخ ينسحب
عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور وبان المنقطع
في الاخرة انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل
التلذذ بها والخضوع لله ولذا صح عن اهل الجنة انهم يسبحون ويدعون
ويقراون القران كما في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو

معنى قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وانظر الى سجوده صلى الله عليه
وسلم وقت الشفاعة اليس ذلك عبادة وعملا وعلى كلا الجوابين لا يمتنع
حصول هذه الاعمال في مدة البرزخ وقد صح عن ثابت البناني التابعي انه
قال اللهم ان كنت اعطيت لاحد ان يصلي في قبره فاعطني ذلك فرئي بعد
موته يصلي في قبره ويكفي رؤيته صلى الله عليه وسلم لموسى قائما يصلي في
قبره ولان جميع الانبيا لم يقبضوا حتى خيروا في البقا في الدنيا وبين الاخرة
ولا شك انهم لو بقوا في الدنيا لازدادوا من الاعمال الصالحة ثم انتقلوا الى
الجنة فلو لم يعلموا ان انتقالهم الى الله اكمل لما اختاروه ولو كان انتقالهم من هذه
الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقربهم الى الله لما اختاروه انتهى وعن ابي سعيد
الخدري ثم سار حتى اتى بيت المقدس فربط فرسه اي البراق سماه
فرسا بجواز القرب صورته منها الا لان الفارس يطلق على مقابل الماشي سوا
ركب فرسا او بغلا او حمارا او تجويز ان جبريل ركب معه فرسا لا يصح لحديث
انه ركب معه على البراق وقد جا تسمية البراق فرسا في رواية اخرى انه اتى
بفرس فحمل عليه وضمن ربط معنى ضم فعداه بالى في قوله الى صخرة او الى
بمعنى البا او عند كقوله ﴿ اشهى الي من الرحيق السلسل ﴾ والمراد بالصخرة
هنا الحلقة التي بالباب لا التي بداخل المسجد بدليل قوله ثم دخل فصلى مع
الملائكة اماما بهم على المتبادر فضمير صلى للنبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاته
ركعتين هو وجبريل اماما فقريبا وترجيع ضمير صلى لجبريل وان المعنى صلى
مع الملائكة لما وجدهم يصلون بعيد جدا بل يمنعه ما رواه الواسطي عن
كعب فاذن جبريل ونزلت الملائكة من السما وحشر الله له المرسلين فصلى
النبي صلى الله عليه وسلم بالملائكة والمرسلين فلما قضيت الصلاة بالبنا
للمفعول اي تمت وفرغوا منها قالوا يا جبريل من هذا معك خبر بعد خبر
او حال قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين والرسل قالوا وقد
ارسل اليه اي طلب للحضور لا ارسل اليه بالوحي ام لا لقوله لهم رسول الله
قال نعم قالوا حياه الله اي ابقاه وسلمه وملكه ما اعطيه واكرمه من
اخ فمن متعلق بمحذوف او مبينة للضمير او زائدة وجعلوه اخا لهم لان المراد
اخوة الايمان ومن خليفة لله تعالى لعمارة الارض وسياستها وتكميل
النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه تعالى بل لقصور الخلق
عن التلقي بلا واسطة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا اي المصطفى والملائكة
ببيت المقدس بعد انقضا الصلاة ارواح الانبيا متشكلة بصور اجسادهم
فاثنوا اي الانبيا على ربهم وتجويز ان المثني الملائكة لملاقاتهم الانبيا كما يقول
من راى صالحا الحمد لله الذي من علي بلقائك يمنعه قوله فقال ابراهيم عليه
السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا اصفيا خالص المحبة له واعطاني
ملكا عظيما قال ابن دحية لا نعهد لابراهيم ملكا عرفيا فاما ان يراد بالملك
الاضافة اليه نفسه لقهره عظما الملوك وناهيك بنمروذ وقد قهره الله

لخليله وعجزه عنه وغاية الملك العظيم قهر الملك العظيم فالقاهر
اعظم من المقهور قطعا او يراد الاضافة الى بنيه وذريته نحو ملك يوسف
وهلم جرا الملك داود وسليمان والكل من ولد ابراهيم وفي التنزيل واتينا
ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما والاشارة هنا الى ذريته
واما ان يراد ملك النفس في مظنة الاضطرار مثل ملكه لنفسه وقد ساله جبريل
الك حاجة قال اما اليك فلا وجعلني امة اماما جامعا لخصال الخير وفضا
لا تكاد توجد الا مفرقة في اشخاص كثيرة والجامع لذلك امة لقيامه مقام
الجماعة كانه اجتمع فيه ما تفرق في غيره كقوله ﴿
وليس لله بمستنكر ﴾ ان يجمع العالم في واحد ﴾
قانتا مطيعا يؤتم يقتدى بي وانقذني من النار وجعلها علي بردا
ذهبت حرارتها فلم تحرق غير وثاقه وبقيت اضاءتها وسلاما سلم من المو
ببردها ثم ان موسى عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي
كلمني تكليما بلا واسطة واصطفاني اختارني على اهل زماني قال تعالى
يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وانزل علي التوراة
فيها هدى ونور وسماها الله تعالى الفرقان لتفرقتها بين الحق والباطل والحلال
والحرام وبصاير للناس وهدى ورحمة وجعل هلاك فرعون على يديه ونجاة
بني اسرائيل على يدي بتنازعه هلاك ونجاه وجعل من امتي قوما
يهدون الناس بالحق وبه يعدلون يحكمون ثم ان داود اثنى على ربه
فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما في بني اسرائيل ولم يجتمعوا
على نبي قبله وعلمني الزبور كتاب الله المنزل عليه والان لي الحديد فكان
في يديه كالعجين وسخر لي الجبال يسبحن معي بالعشي وقت صلاة العشا
والاشراق وقت صلاة الضحى وهو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفي التنزيل
يا جبال اوبي معه اي سبحي معه قاله مجاهد رواه الفريابي وعن الضحاك
هو التسبيح بلغة الحبشة قال ابن كثير وفيه نظر فالتاويب لغة الترجيع
وقال وهب نوحي معه وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها
اياه على التسبيح اذا تامل فيها وقيل سيري معه حيث سار والتضعيف
للتكثير والطير قال تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير سخرا
للتسبيح معه لامره به اذا وجد فترة لينشط للتسبيح واتاني الحكمة
النبوة والاصابة في الامور وفصل الخطاب البيان الشافي في كل قصد قاله
البيضاوي وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل والكلام الملخص الذي يتبينه
المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل
والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها ثم
ان سليمان عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي
الرياح ذللها لطاعتي اجابة لدعوتي تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة
لا تتزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب اي اراد وسخر

اي الشياطين يعملون له ما يشاء من محاريب ابنية مرتفعة يصعد
اليها بدرج كالقصور سميت بها لانه يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل
جمع تمثال وهو كل شي مثلته بشي اي صورا من نحاس وزجاج ورخام ولم
يكن اتخاذ الصور حراما في شريعته واسقط المص من حديث ابي سعيد وجفان
كالجوابي وقدور راسيات وكذا هو ثابت في حديث ابي هريرة عند البيهقي وغيره وهو
وهو موافق للقران فكانه سقط من قلم المص سهوا والجوابي جمع جابية وهو
حوض كبير يجتمع على الجفنة الف رجل ياكلون منها وقدور راسيات ثابتات
لها قوائم لا تتحرك عن اماكنها تتخذ من الجبال يصعد اليها بالسلالم وعلمني
منطق الطير اي فهم اصواته واتاني من كل شي يوتاه الانبيا والملوك
فضلا مبينا ظاهرا وسخر لي جنود الشياطين اي اعوانا هم الشياطين
والانس والجن فهو من اضافة الاعم الى الاخص او اضافة بيانية
ظاهره انهم غير الشياطين وهو كذلك باعتبار الايمان فمن كفر من الجن
يقال له شيطان كما في حياة الحيوان وغيرها والطير اسقط من الحديث وفضلني
على كثير من عباده المومنين قبل قوله واتاني ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي اي سواي ولو في حياتي كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله اي
سواه وجعل لي ملكا طيبا ليس علي فيه حساب ولا عقاب كما في الرواية
اي لعصمته من الظلم المودي الى ذلك فهو وان اتسع ملكه بحيث تجري
العادة في مثله بترتب الحساب والعقاب لم يحصل فيه شي يقتضيهما
كما يقع للملوك لاسيما الجبابرة ثم ان عيسى عليه السلام اثنى على ربه
فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته اي مكونا بها وهي قوله تعالى كن من غير
واسطة اب ولا نطفة وجعلني مثل ادم كشانه في خلقه من غير اب وهو من
تشبيه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واوقع في النفس خلقه اي ادم
اي قالبه من تراب ثم قال له كن بشرا فيكون اي فكان وكذلك عيسى قال له كن
من غير اب فكان والجملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به التشبيه وعلمني الكتاب
الخط او جنس الكتب الالهية والحكمة اي العلوم وتهذيب الاخلاق والتوراة
النازلة قبله على موسى والانجيل المنزل على عيسى وجعلني اخلق اصور من
الطين كهيئة الطير مثل صورته والكاف اسم مفعول فانفخ فيه الضمير للكاف
او للطين او للطير وهكذا بالتذكير في ال عمران وبالتانيث في المائدة عائد للهيئة
وهو تفنن على عادة العرب في التفنن في الكلام وجعلني ابري اشفي الاكمه
الذي ولد اعمى والابرص وخصا لانهما داءا اعيا وكان بعثه في زمن الطب فابرا في
يوم خمسين الفا بالدعا بشرط الايمان واحيي الموتى باذن الله بارادته
فاحيا عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم وسام
ابن نوح ومات في الحال ورفعني اليه من الدنيا بلا موت وطهرني بعدني من
الذين كفروا واعاذني وامي من الشيطان الرجيم المطرود فلم يكن للشيطان
علينا سبيل قال صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين

يولد

يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان قال وان محمدا صلى
الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم يا هولاء الذين اثنوا اثنى على
ربه وانا اثني على ربي فاقول الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
المسلمين لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم والكافرين
بامنهم من الخسف والمسخ والاستيصال وكافة للناس بيان لعموم
رسالته فهو اما صفة مصدر اي ارسالة كافة اي عامة لهم كفتهم عن
الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلني او اسم فاعل حال من اليا
اي حال كوني كافا للناس فالتا للمبالغة وكونه حالا من الناس
مقدما على صاحبها المجرور قول ضعيف بشيرا اي مبشرا بالخير
لمن امن واتقى ونذيرا منذرا محذرا من كفر وعصى وهو حال مترادفة
او متداخلة حمدا اولا على ما انعم به عليه ثم ثنى بما له من المنافع والفوايد
وبعبارة كافة اي جامعا في الانذار والابلاغ من الكف بمعنى الجمع
ومنه كف الثوب وهو جمعه بالخياطة والها للمبالغة كعلامة ونحوها
وقيل معناه مانعا ورادعا عن الكفر وساير المعاصي من الكف بمعنى
المنع والها للمبالغة ايضا ونصب كافة على الوجهين حال من المفعول
في ارسلني وانزل علي الفرقان من اسما القران لانه فرق بين الحق
والباطل وهذا عام لغة وعليه ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان
ثم خص عرفا بالقران فصار علما له بالغلبة واصله تبارك الذي
نزل الفرقان على عبده وهو مصدر بمعنى الفارق او المفرق
اباته او انزاله فيه تبيان كل شي بكسر التا البيان الشافي كما قال تعالى
ما فرطنا في الكتاب من شي اي تحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية
تفصيلا في بعض واجمالا في بعض واحاله على الرسول عليه السلام
في امره باتباعه بقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وعلى الاجماع بقوله ويتبع غير سبيل المومنين وهو
شامل للقياس والاجتهاد كما في الكشاف وغيره وجعل امتي
خير امة اخرجت للناس كما قال في الكتاب العزيز كنتم خير
امة اخرجت للناس تامرون الاية وجعل امتي امة وسطا
اي خيارا عدولا جامعين بين العمل والعلم وساير الصفات التي
بين التفريط والافراط وجعل امتي هم الاولون في دخول الجنة
والاخرون في الوجود وهم ضمير مبتدا مفيد للحصر لا ضمير فصل
لانه لو كان كذلك لقيل الاولين وشرح لي صدري وسعه بالعلم
والايمان والحكمة واليقين بحيث لا احزن على امر من امور الدنيا
او شقه وملاه بالانوار كما مر ووضع عني وزري طهر قلبي
من حظ الشيطان وعصمني فلا ارتكب ذنبا ولذا قال ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فسوى بينهما لعدم وقوعهما

اوخفف اعبا النبوة والتبليغ بافاضة منته علي والجملتان في غاية
التناسب **ورفع لي ذكري** جعلني مذكورا في الملا الاعلى وجعل
اسمي طراز الجنان ومقرونا باسمه تعالي على كل لسان وعلي المنابر
في كل اقامة واذان قال حسان
وضم الاله اسم النبي الي اسمه اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وجعلني فاتحا لابواب الايمان والهداية الي الصراط المستقيم
ولبيان اسباب التوفيق وما استغلق من العلم او هو من الفتح
بمعنى الحكم فجعله حاكما في خلقه ففتح ما انغلق بين الخصمين
باحيايه للحق وايضاحه واماتته الباطل وادحاضه او فاتحا
بالشفاعة يوم القيامة **وخاتما** للنبيين اي اخرهم بعثا **فقال**
ابراهيم بهذا اي بمجموع ما ذكر وبكل واحدة منها لا بالاولي فقط
كما زعم **فضلكم محمد** اي زاد فضله عليكم وقدم المعمول للحصر وقال
هذا ابراهيم خطابا لالانبيا اذاعة لفضله لما سمع ثناه **ثم ذكر**
في هذا الحديث **انه عرج به الي السما الدنيا** القريبة الينا من بين
السبع سموات **ومن سما الي سما ذكره القاضي عياض في الشفا مختصرا**
بمعنى انه لم يذكر ثنا الانبيا بل قال فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل
واحد منهم وهم ابراهيم وموسي وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر
كلام النبي صلي الله عليه وسلم فقال كلكم فذكره بلفظ المص هنا
من حديث ابي هريرة من غير عزو لمخرج وقد اخرجه ابو يعلى
والبزار وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي كلهم
من حديث ابي هريرة فما يوهمه قول المص **ورواه** اي الحديث
التي ذكره او لا تعرله وعن ابي سعيد ثم سار حتي اتى بيت المقدس
الي هنا لا قوله ثم عرج به الي السما كما زعمه من لم يقف على شي
البيهقي من حديث ابي سعيد الخدري **وهذا لفظه** من ان
البيهقي لم يروه عن ابي هريرة وان عياضا وهم في نسبته
له ليس بمراد وروى احمد وابن ماجة وصححه الحاكم عن ابن
مسعود مرفوعا لقيت ليلة اسري بي ابراهيم وموسي وعيسى
فتذاكروا امر الساعة فردوا امرهم الي ابراهيم فقال لا علم لي
بها فردوا الامر الى موسي فقال لا علم لي فردوا الامر الي عيسى
فقال اما وجبتها فلا يعلم بها احد الا الله وفيما عهد الى ربي
ان الدجال خارج ومعي قضيبان فاذا راني ذاب كما يذوب
الرصاص فيهلكه الله اذا راني حتى ان الحجر والشجر ليقول
يا مسلم ان تحتي كافرا فتعال فاقتله فيهلكهم الله ثم يرجع
الناس الى بلادهم واوطانهم فعند ذلك يخرج ياجوج وما
جوج وهم من كل حدب ينسلون فيطون بلادهم لا يطاون

على

علي شي الا اهلكوه ولا يمرون على ما الا شربوه ثم يرجع الناس
الي فيشكونهم فادع الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتي تجري الارض
من نتن ريحهم ثم ينزل الله المطر فيجترف اجسادهم حتى يقذفهم
في البحر ثم ينسف الجبال وتمد الارض مد الاديم فيما عهد الي ربي
انه ذلك اذا كان كذلك فان الساعة كالحامل المتم لا يدري اهلها
متى تفجاهم بولادتها ليلا او نهارا وقوله فيهلكه الله اذا راني
اي على يديه بقتاله له بعد هروبه لا بمجرد رويته وقوله حتي ان
الشجر غاية لمقدر ففي حديث ابي امامة عند ابن ماجة وصححه
ابن خزيمة والحاكم مرفوعا فاذا انصرف اي من الصلاة خلف
المهدي قال عيسى افتحوا الباب فيفتحون ووراه الدجال معه
سبعون الف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فاذا نظر اليه الدجال
ذاب كما يذوب الملح في الما وينطلق هاربا ويقول عيسى ان لي
فيك ضربة لن تسبقني فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله فيهزم
الله اليهود فلا يبقى شي مما خلق الله عز وجل تتوارى به دابة
الا الغرقد فانها من شجرهم لا تنطق الا قال يا عبد الله المسلم
هذا يهودي فيقال اقتله **وفي رواية ابن ابي حاتم في تفسيره**
عن انس لما بلغ بيت المقدس فبلغ اي فسار حتى بلغ **المكان الذي**
يقال له باب محمد الان بعد دخوله صلى الله عليه وسلم منه ويحتمل
انه كان معروفا عندهم قبل المعراج بهذا الاسم من الانبيا والكتب
القديمة **اتي الي الحجر** جواب لما **الذي به** وهو الصخرة المعروفة **فغمز جبريل**
باصبعه فثقبه ثم ربطها اي الدابة وهي البراق وفي نسخة ثم
صعدا اي مر بعد ربط البراق والا فلا معنى للصعود هنا
واكثر النسخ باسقاطها وهي ظاهرة **فلما استويا في سرحة** بسين
مهملة وحا اي فنا **المسجد** اي ساحته التي في وسطه وفي نسخة
صرحة المسجد بصاد مهملة وهي ظاهرة اي ساحته وفي نسخة
عرصة المسجد اي ساحته التي لا بنا فيها ونقل الشامي هذا
الحديث بعينه بلفظ في صخرة المسجد اي عندها **قال جبريل**
يا محمد هل سالت ربك ان يريك الحور العين بكسر العين جمع عينا
حسنة العينين واسعتهما والحور النسا البيض اللاتي باعينهن
حور وهو شدة بياض بياضها وسواد سوادها وقيل الحور اسوداد
المقلة كلها كعيون الظبا قالوا ولا حور في الانسان وانما قيل ذلك
في النسا على التشبيه **قال نعم قال فانطلق الى اولئك النسوة**
فانهن من الحور العين **فسلم عليهن قال** صلى الله عليه وسلم **فانطلقت**
فسلمت عليهن فرددن على السلام فقلت لمن انتن فقلن
خيرات اخلاقا **حسان** وجوها جمع حسنا وقيل خيرات جمع خيرة

بفتح وسكون وهي الحور انسا قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا بفتح اليا والرا وبضم اليا وكسر الراي لم يصبهم درن وهو الوسخ واقاموا فلم يظعنوا اي يتحولوا من محل لاخر فتصيبهم مشقة الظعن وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت من عند الحور فلم البث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن مؤذن واقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يومنا فاخذ تقدم المراد بها قال فقمنا صفوفا ننتظر من يومنا فاخذ جبريل عليه السلام بيدي فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت من الصلاة قال لي جبريل اتدري من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله تعالى اي اوحي اليه بشرع فشمل الانبيا والمرسلين لقوله في الحديث السابق فاذا النبيون اجمعون يصلون معه ثم ظاهر سياق هذا الحديث يخالف قوله في الرواية السابقة ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قايم وراكع وساجد ثم اقيمت الصلاة فاممتهم قال القاضي عياض يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا جميعا في بيت المقدس قبل العروج قال الشامي وهو الذي تظافرت به الروايات واستظهره الحافظ ثم صعد منهم الى السما من ذكر انه عليه السلام راه في السموات ادم فيحيى وعيسى فيوسف فادريس فهارون فموسى فابراهيم ويحتمل ان يكون صلى بهم بعد ان هبط من السما فهبطوا ايضا للصلاة معه قال الشامي وصححه ابن كثير وقوله والاظهر ان صلاته بهم ببيت المقدس قبل العروج انتهى ظاهره انه من كلام عياض وليس كذلك انما هو للحافظ ذكره في فتح الباري بعد كلام عياض وكذا اعزاه له تلميذه النعماني ثم الشامي ثم الغيطي وقال ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه انتهى وهذا انما يذ لنقله على ابن كثير نفسه من قوله الظاهر انه بعد رجوعه الى اخر ما ياتي بعد اسطر وقد نسب النعماني ما هنا لنفسه وتبعه الشامي فعزاه له وقد اختلف في هذه الصلاة هل هي الشرعية المعروفة او اللغوية وصوب الاول لان النص يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية ما لم يتعذر حمله على الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب حمله على الشرعية وعلى هذا اختلف هل هي فرض وبدل عليه كما قال النعماني حديث انس عند ابن ابي حاتم المتقدم قريبا ثم او نفل واذا قلنا انها فرض فاي صلاة هي قال بعضهم الاقرب انها الصبح ويحتمل ان تكون العشا وانما يتاتى على قول من قال انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم قبل عروجه

الي السما وفي النعماني انما يتاتى على ان الاسرا من اول الليل لكن قال بعض رواة حديث الاسرا انه بعد صلاة العشا واما على قول من قال صلى بهم بعد العروج فتكون الصبح والاحتمالان كما قال الشامي ليسا بشي سوا قلنا صلى بهم قبل العروج او بعده لان اول صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس مطلقا الظهر بمكة باتفاق ومن حمل الاولية على مكة فعليه الدليل قال والذي يظهر انها كانت من النفل المطلق او كانت من الصلاة المفروضة عليه قبل ليلة الاسرا وفي فتاوى النووي ما يويد الثاني قال ابن كثير ومن الناس من يزعم انه امهم في السما والذي تظاهرت به الروايات انه ببيت المقدس فهو الواجب القبول والظاهر انه بعد رجوعه اليهم لانه لما مر بهم في منازلهم من السموات جعل يسال جبريل عنهم واحدا بعد واحد وهو يخبره بهم فلو راهم قبل العروج ما حسن السوال ولا الجواب لكن هذا عقلي يدفعه قوله ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قايم وراكع وساجد والسوال عنهم بعد ذلك في السموات لا يستلزم انه لم يرهم قبل لجواز اختلاف الصفة وقد نقل الحافظ ان روية الذين صلوا ببيت المقدس يحتمل الارواح خاصة والارواح باجسادها واما ما في السما فيحتمل فمحمول على الارواح الا عيسى لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ايضا ذلك وياتي ذلك ثم ثم قال ابن كثير وهذا هو اللايق لانه اول كان مطلوبا الى الجناب ليفرض الله عليه وعلى امته ما يشا ثم لما فرغ مما اريد به اجتمع هو واخوانه من النبيين وهذا ايضا عقلي لا ينهض حجة في المدعي لانه قدم على هذا الامر العظيم الذي ليس في طوق بشر ايناسه بالانتقال من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وما راه في سيره من الايات ثم دخوله الاقصى وصلاته ركعتين فناسب ان يجتمع باخوانه ليزيد ايناسه بالاجتماع بجنسه ثم اظهر شرفه عليهم بتقديمه في الامامة ثم ثنى من اثنى منهم على ربه وزيادة ثنائه عليهم وقول ابراهيم بهذا فضلكم محمد فيتلقى المعراج بقلب قوي فلا يكون عنده وحشة في العالم العلوي وفي رواية ابن اسحاق عن ابي سعيد انه عليه السلام قال لما فرغت مما كان في بيت المقدس من صلاته الركعتين وصلاته بالانبيا وثناهم على الله اتي بالمعراج الذي يعرج عليه ارواح بني ادم كما في الرواية الاتية ولم ار قط شيا احسن منه وهو الذي يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر ولو كان

الميت الحي كما في شرح الصدور فالميت يكشف له اذا احتضر عن
المعراج فيراه فتمتد عينيه اليه فاذا قبضت روحه صعدت
فيه الى حيث شا الله فاصعد بي صاحبي جبريل فيه حتى
انتهى الى باب من ابواب السما اي الدنيا كما مر في الحديث وفي
رواية كعب عند الواسطي في فضايل بيت المقدس فوضعت
له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو المعراج حتى عرج
هو وجبريل عليها والمرقاة موضع الرقي ويجوز فتح الميم على
انه موضع الارتقا وكسرها تشبيها باسم الالة كالمطهرة وانكره ابو
عبيد وقال لم تقله العرب وفي رواية لابي سعيد في كتاب شرف المصطفى
انه اتي بالمعراج من جنة الفردوس قال صلى الله عليه وسلم
والفردوس اعلا الجنة ووسطها وفوقه عرش الرحمن ومنها تفجر
انهار الجنة فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس رواه ابن ماجه
وصححه الحاكم وانه منضد باللولو اي جمع عليه بحيث جعل
بعضه فوق بعض وعن يمينه ملايكة وعن يساره ملايكة
وفي رواية ابي سعيد عند البيهقي ثم اتيت بالمعراج الذي
تعرج عليه ارواح بني ادم فلم ير الخلايق احسن من المعراج
اما رايت الميت استفهام قصد به تقرير المبالغة في حسنه
حين يشق بصره اي تنفتح عيناه عند الاحتضار انفتاحا
لا يرتد عما راه قال المجد شق بصر الميت نظر الى شي لا يرتد اليه
طرفه ولا تقل شق الميت بصره فانه لازم وفسره الفقها
بشخص بصره ولعله اشارة الى انه صار كالشاخص الذي لا يتحرك
من شدة نظره للمعراج الذي تعرج روحه عليه وتري بصره
حال كونه طامحا اي رافعا بصره الى السما فان ذلك اي سببه
عجبه بالمعراج وقد تقدم في حديث البخاري السابق عن
مالك بن صعصعة فانطلق بي جبريل حتى اتى السما الدنيا
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم ولم يقل جبريل عليه
السلام انا حين قال له من هذا انما سمى نفسه فقال
جبريل واقتصر عليه لانه ليس في الملايكة من سمي بهذا الاسم
غيره ~~فقال جبريل واقتصر عليه لانه ليس في الملايكة من سمي~~
~~بهذا الاسم~~ لان لفظ انا فيه اشعار بالعظمة الا التي لا تخلو
عن نوع تكبر كانه يقول انا لا احتاج الى ذكر اسمي لسمو مقامي
قاله ابن الجوزي قال بعضهم وعادة العارفين المتقين ان يذكر
احدهم اسمه بدل قوله انا الا في نحو اقرار بحق فالضمير اولى وفي
الكلام السابر الجاري بين الناس اول من قال انا ابليس فشقي

وقال

وقال فرعون انا ربكم الاعلى فتعس وايضا فقوله انا مبهمة
لافتقار الضمير الى العود فهي غير كافية في البيان والضمير
اذا عاد وتعين مضمره كان اعرف المعارف والمستاذن
محجوب عن المستاذن عليه غير متعين عنده وكانه احاله على
جهالة كما في ابن المنير وغيره وعلى هذا فينبغي للمستاذن اذا قيل
له من انت ان لا يقول انا بل يقول فلان ويصف نفسه بما يميزه
عن غيره فلا يكفي ان يقول محمد مثلا الا اذا كان معروفا للمخاطب
بذلك الاسم وقد انكر النبي صلى الله عليه وسلم على الذي استاذن
عليه فقال من هذا فقال انا فقال صلى الله عليه وسلم انا انا
انكارا عليه قاله ابن المنير وغيره وقال بعض المحققين ذهبت
طايفة من العلما وفرقة من الصوفية الى كراهة اخبار الرجل
عن نفسه بانا تمسكا بظاهر الحديث حتى قالوا كلمة انا لم تزل
مشومة على اصحابها وزادوا ان ابليس انما لعن بقولها وليس كما
قالوا بل النهي عنه لما صحبه من النظر الى نفسه بالخيرية ولا
سكر اصابة الصوفية في دقايق علومهم واشاراتهم في التبري
من الدعاوي الوجودية لكن الذي اشاروا اليه بهذا راجح
الى معان تتعلق باحوالهم دون ما فيه من التعلق بالقول
كيف وقد ناقض اقوالهم نصوص كثيرة وهم اشد الناس فرارا
من مخالفتها كقوله تعالى انما انا بشر مثلكم انا اول المسلمين
وما انا من المتكلفين وقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
ادم والحاصل كما قال بعض الافاضل ان ذلك يتفاوت بتفاوت
الاحوال والمقامات فالمتردد في الاحوال المتحول في الفنا والتلون
ينبغي في حاله ان يقول انا ومن رقي الى مقام البقا بالله وتصاعد الى
درجات التمكين فلا باس به وفي رواية البخاري في الصلاة وغيرها
ومسلم في الايمان من حديث انس عن ابي ذر فعرج بي جبريل
الى السما الدنيا بدل قوله في رواية صعصعة فانطلق وهو
بفتح العين والفا والرا بمعنى صعد وفي حديث ابي سعيد
عند البيهقي وابن اسحق حتى انتهى الى باب من ابواب السما
يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسماعيل وهو
صاحب سما الدنيا كما في رواية البيهقي عن ابي سعيد وفي
حديث جعفر بن محمد عند البيهقي معضلا ايضا يسكن الهوا
لم يصعد الى السما قط ولم يهبط الى الارض قط الا يوم مات النبي
صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان علم ذلك باخباره عليه السلام به
قبل موته لان هذا لا مدخل فيه للراي تحت يده اثنا عشر الف
ملك ينقادون لامره ويهبته كالجند زاد في رواية ابن اسحاق

مع كل ملك اثنا عشر الف ملك وروي ابن جرير والبيهقي في الدلايل
من حديث ابي سعيد وبين يديه سبعون الف ملك مع كل ملك
جنده مائة الف وفي رواية للبزار تحت يده سبعون الف ملك
تحت كل ملك سبعون الف ملك ولعل المراد التكثير فلا تخالف
مائة الف ولعل الاثني عشر الفا روسا السبعين الفا وكذا الاثنا
عشر الفا الذين مع كل ملك روسا على ما في المائة الف فلا خلف
والله اعلم وفي رواية شريك بن عبد الله المدني عن انس عند
البخاري ايضا ثم عرج جبريل به بالنبي صلى الله عليه وسلم
الي سما الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل سما الدنيا
اي جنسهم الصادق بالحفظة للباب من هذا الذي يدق الباب
وفي حديث ابي ذر فلما جيت الي السما قال جبريل لخازن السما
الدنيا افتح قال من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال
محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا واهلا فيستبشر
به اهل السما سقطت الفا من رواية الاصيلي وزاد الدنيا
لا تعلم اهل السما بما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم اي على
لسان من شا كجبريل عليه السلام ووقع في هذه الرواية اي
رواية شريك عن انس ايضا انه راي في سما الدنيا النيل والفرات
عنصرهما بضم المهملتين بينهما نون ساكنة اصلهما الذي تميزا به
عن نهري الجنة فينزلان الى سما الدنيا ثم ينزلان الي الارض وهو
بدل من قوله قبله ولفظ رواية شريك فاذا هو في السما الدنيا
بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا
النيل والفرات عنصرهما وظاهرها اي هذه الرواية يخالف
حديث مالك بن صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة المنتهى
واذا في اصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران
فقلت ما هذان يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة
واما الظاهران فالنيل والفرات ويجمع بينهما بان اصل نبعهما
من تحت سدرة المنتهى ومقرهما في السما ومنها ينزلان الي
الارض وجمع ابن دحية بانه راي هذين عند سدرة المنتهى
مع نهري الجنة وراهما في السما الدنيا دون نهري الجنة واراد
بالعنصر عنصر انتشارهما بسما الدنيا وكان الحافظ لم يرتضه
لقوله كذا قال ابن دحية انتهي وتتبعه المهم فيما ياتي وجمع
غيره بان منبعهما من السدرة واذا نزلا الي الارض يسلكان
اولا على الجنة فيه خلاف ثم ينزلان الي الارض بعد ذلك
وياتي مزيد لذلك ان شا الله قريبا ووقع في هذه الرواية
ايضا ثم مضى به في السما الدنيا فاذا هو بنهر اخر عليه قصر

من

٢١٦

من لولو وزبرجد وانه فسره جبريل بقوله هذا الكوثر
ولفظه عقب زبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك قال ما هذا
يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبا لك ربك وهو مما استشكل
من رواية شريك فان الكوثر في الجنة والجنة فوق السما السابعة
ويحتمل الجمع برد رواية شريك الى هذا وهو ان يكون هناك حذف
تقديره ثم مضى في سما الدنيا الى السابعة فاذا هو بنهر كذا ذكره
الحافظ فاستبعده تلميذه القطب الخيضري في الخصايص بان ما
بين الاولى والسابعة خمس سموات كل منها له صفة غير صفة الاخرى
ولها ابواب وخدام غير الاولى خرجي فاطلاق المسير اليها بعيد
وذكرها بعد السادسة مما يبعده ايضا لكن قد يقال من غير
استبعاد ان اصل الكوثر في الجنة وجعل الله تعالى منه فرعا في السما
الدنيا عجل لنبيه رويته استبشارا لانها اول المراتب العلوية بعد السفلية
ويويد هذا قول جبريل خبا لك ربك انتهي ثم ان قوله في الحديث
استفتح دلالة صريحة على انه صادف ابواب السما مغلقة واصرح
منه قوله في حديث ابي ذر قال جبريل لخازن السما الدنيا افتح
وكذا ضربه الباب والحكمة كما قال ابن المنير في ذلك والله اعلم
التنويه بقدره اي اظهاره ورفعه عليه السلام وتحقيق ان
السموات لم تفتح ابوابها الا من اجله ولو وجدها مفتحة
لم يتحرر اي لم يعلم انها فتحت لاجله ولا بد بل كان يحتمل انها
مفتوحة دايما وانها فتحت لغيره فصادف مجيئه بعده
فلما فتحت له تحقق عليه السلام ان المحل مصون وان
فتحه له كرامة وتبجيل تعظيم قال ابن دحية وانما لم يهيا له
بالفتح قبل مجيئه وان كان ابلغ في الاكرام لانه لو راها مفتحة
لظن انها لا تزال كذلك ففعل ذلك ليعلم ان ذلك فعل من اجله
ولان الله تعالى اراد ان يطلعه على كونه معروفا عند اهل
السموات واما قوله في الحديث ارسل اليه بهمزة واحدة
ولابي ذر ارسل اليه بهمزتين الاولى للاستفهام والثانية
للتعدية وهي مضمومة وللكشميهني وارسل بواو مفتوحة
بين الهمزتين وفي رواية لشريك عن انس وقد بعث اليه فيحتمل
ان يكون استفهم عن الارسال اليه العروج الي السما والاسرا
وهو الاظهر لقوله اليه اذ لو كان المراد اصل البعثة لقوله اليه
لان اصل بعثته قد اشتهر في الملكوت الاعلى فلا يخفى عليهم
الى هذه المدة قال الحافظ بعد ما استظهر هذا تبعا لابن
المنير وغيره ويحتمل ان يكون خفي عليه اصل ارساله لاشتغاله
بعبادته قال ويويده رواية شريك وقد بعث اليه انتهى وقد

لم يحتج ح

يقال لا تابيد فيها لان المراد البعث الخاص للاسرا وصعود
السموات لا عن اصل البعثة وقيل سالوا تعجبا من نعمة الله
تعالى عليه بذلك او استبشارا به وقد علموا ان بشرا لا يترقى
هذا الترقي الا باذن من الله تعالى اذ لا قدرة له على ذلك
حتى باذن وان جبريل لا يصعد بمن لم يرسل اليه فليس
سوالا حقيقيا وقيل ان الله اراد تعالى اطلاع نبيه على
انه معروف عند الملا الاعلى لانهم قالوا وقد بعث
اليه بحذف همزة الاستفهام للعلم بها او ارسل اليه بحذفها
واثباتها روايتان كما علم فدل على انهم كانوا يعرفون ان
ذلك سيقع له صلى الله عليه وسلم قال والا لكانوا يقولون ومن
محمد مثلا ولذلك اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجي جا وكلامهم
بهذه الصيغة ادل دليل على ما ذكرناه من معرفتهم
بجلالته وتحقيق رسالته ولان هذا احلى ما يكون
من حسن الخطاب والترضح المبالغة في اطلها زقدره وشرفه
بين الملايكة بنا على المعروف من عادة العرب في من خاطبوه
بذلك وهذا ذكره ابن ابي جمرة وذكر ابن المنير ان موقع قول الخازن
وقد بعث اليه استنطاق جبريل بالسبب الموجب للاذن والفتح
لان مجرد قوله معي محمد لا يوجب الاذن الا بواسطة البعث
من الله تعالى ويلزم منه الاذن في ازالة الموانع وفتح ابواب السما
فعلم يتوقف الخازن على ان يوحى اليه بالفتح لانه لزم عنده من البعث
الاذن واما قوله من معك فيشعر بانهم احسوا به عليه الصلاة
والسلام لفظ الحافظ بانهم احسوا معه برفيق والا لكان السوال
بلفظ امعك احد وهذا الاحساس اما بمشاهدة لكون السما
شفافة لا تحجب ما وراها واما لامر معنوي كزيادة انوار
ونحوها قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري ولعله اخذه من
كلام العارف ابن ابي جمرة حيث قال في بهجته اي كتابه
بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وعليها وهو اسم شرحه
على الاحاديث التي انتخبها من البخاري الثاني ان يكون
سوالهم له لجبريل لما راوا من اقبالهم عليه على جبريل من
زيادة الانوار وغيرها بيان لما راوا من الماثر الحسان زيادة
على ما يعهدونه منه قال وهذا هو الاظهر من احتمال ان
ذلك لان السما شفافة كانهم قالوا من الشخص الذي من اجله
هذه الزيادة التي معك فاخبرهم بما اراد وهو تعيين
الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى ويويده انه قد قال بعض
العلما في قوله تعالى لقد راي من ايات ربه الكبرى انه

صلى الله عليه وسلم راى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا
هو نبي عروس المملكة لشدة انواره واما قولهم له مرحبا به اي
اصاب رحبا وسعة كنى بذلك عن الانشراح واخذ منه ابن المنير جواز
رد السلام بغير لفظه وتعقب بان مرحبا به ليس ردا لانه كان قبل
الفتح والسياق يرشد اليه وقد نبه على ذلك ابن ابي جمرة ولنعم المجي
جا فيحتمل ان يكونوا قالوه لما عاينوه من بركاته عليه السلام
التي سبقته للسما مبشرة بقدومه وفيه دلالة على ان الخامسة
اذ افهموا من سيدهم عزما اكرام وافدان تبشروه بذلك وان لم ياذن
لهم فيه ولا يكون افشا سر لان الخازن اعلم النبي صلى الله عليه وسلم
حال استدعا به انما استدعا اكرام واعظام فعجل بالبشرى والفراسة
الصادقة عند اهلها وفي محلها تحصيل العلم كما تحصله الوحي قاله
ابن المنير وفيه تقديم وتاخير والتقدير جا فنعم المجي مجيئه
كذا قاله بعض الشراح وخرجه ابن مالك في التوضيح على وجه
لا تقديم فيه ولا تاخير فقال في هذا الكلام شاهد على الاستغنا
بالصلة عن الموصول او الصفة عن الموصوف في باب نعم لانها
تحتاج الى فاعل هو المجي والى مخصوص بمعناها وهو مبتدا
مخبر عنه بنعم وفاعلها فهو في هذا الكلام وشبهه موصول
او موصوف بجا والتقدير نعم المجي الذي جا ونعم المجي مجي جا
وكونه موصولا اجود لانه مخبر عنه والمخبر عنه اذا كان معرفة
اولى من كونه نكرة نقله في الفتح وقدمته في شرح الحديث وانما
لم يقل الخازن مرحبا بك بصيغة الخطاب بل قال به بصيغة
الغيبة لانه حياه قبل ان يفتح الباب وقبل ان يصدر من
النبي صلى الله عليه وسلم خطاب لما فيها من اجلال المخاطب
على مخاطبه لانه لم ينزل نفسه اهلا لخطابه لجلالته عليه
وهذا الاحتمال لان ذكرها ابن المنير واما قوله في الحديث
ليس يعني به حديث مالك بن صعصعة الذي قدمه لانه ليس
فيه ذكر النسيم كما في البخاري ومسلم وانما عني به حديث انس
عن ابي ذر عند البخاري اول كتاب الصلاة ولفظه فلما فتح
علونا السما الدنيا فاذا بالفا وللاصيلي وابن عساكر بدون
رجل قاعد عن يمينه اسودة اشخاص جمع سواد كازمنة جمع زمان
وعن يساره اسودة اذا نظر قبل بكسر القاف وفتح الموحدة اي جهة
يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال ذلك الرجل القاعد
مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح وفي رواية شريك فقال
مرحبا واهلا يا بني نعم الابن انت والصالح القايم بما يلزمه من حقوق
الله وحقوق العباد فهي صفة جامعة لمعاني الخير فوصفه

بها مكررا مع النبوة والبنوة اشارة الى انه جمع بين صلاح الانبيا
وصلاح الابنا كانه قال مرحبا بالنبي التام في نبوته والابن
البار في بنوته وفيه افتخاره بابوته للنبي صلى الله عليه وسلم
وبجمع الصلاح ولخلال الخير اقتصروا لانبيا على وصفه بالصالح
وتواردوا على ذلك وكررها كل منهم عند كل صفة ولم يقولوا بالنبي
الصادق او الامين قال بعضهم وصلاح الانبيا صلاح خاص
لا يتنا ول عموم الصالحين لان كثيرا من الانبيا تمنى ان يلحق
بالصالحين ولا يتمنى الاعلى ان يلحق بالادنى فهذا يحقق ان
صلاح الانبيا غير صلاح الامم فصلاح الانبيا صلاح كامل لانهم
يزول بهم كل فساد فلهم كل صلاح ومن دونهم الامثل فالامثل
فكل واحد يستحق اسم الصلاح على قدر ما زال به ومنه من الفساد
قلت لجبريل من هذا قال هذا ادم ظاهره انه يسال
عنه بعد ان قال له ادم مرحبا ورواية مالك ابن صعصعه
بعكس ذلك وهي المعتمدة فيحمل هذه عليها اذ ليس في هذه
اداة ترتيب كذا في فتح البارى وتبعه الشامي اي لانه لم يقل هنا
فقلت لجبريل بالفا انما قال قلت فيحمل على ان القول وقع قبل
قول ادم مرحبا والمراد بالعكس المخالفة فلفظ رواية ابن
صعصعه فلما خلصت فاذا فيها ادم فقال هذا ابوك ادم
فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح
والنبى الصالح وهذه الاسودة التى عن يمينه وشماله
نسم بنيه ارواحهم فاهل اليمين منهم اهل الجنة
والاسودة التى عن شماله اهل النار فاذا نظر قبل يمينه
ضحك سرورا واذا نظر قبل شماله بكى حزنا فالاسودة بوزن
ازمنة مفرد سواد بوزن زمان هي الاشخاص من كل شئ وتطلق
بمعان اخر والنسم بالنون والسين المفتوحتين جمع نسمة
بزنة قصب وقصبة وهي الروح بيان للمراد بها هنا والاصل في
المصباح النسيم والنسمة نفس الريح ثم سميت بها النفس بالسكون
قال الحافظ وحكى ابن التين انه رواه شيم بكسر الشين المعجمة
وفتح اليا اخر الحروف بعدها ميم وهو تصحيف وظاهره
ان ارواح بنى ادم من اهل الجنة والنار في السما وهو مشكل
وقد قال القاضي عياض جاء ان ارواح الكفار في سجين
مكان يعذبون فيه اسفل سافلين كما في ابن المنير وفي المهم
في سجين الارض السابعة وفي القاموس سجين موضع فيه
كتاب الفجار وواد في جهنم وان ارواح المومنين منعمة
في الجنة روى الطبراني والبيهقي بسند حسن عن ام مبشر

وكعب ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نسمة
المومن تسرح في الجنة حيث شاءت ونسمة الكافر في سجين
وسيل صلى الله عليه وسلم عن ارواح المومنين فقال في طير خضر
تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا وارواح الكفار قالوا محبوسة
في سجين رواه الطبراني يعني فكيف تكون مجتمعة في سما
الدنيا مع ان ارواح الكفار في سجين الارض السابعة واجاب
عياض بانه يحتمل انها تعرض على ادم اوقاتا فوافق وقت
عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على ان كونهم
في النار في اوقات دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون
عليها يحرقون بها غدوا وعشيا صباحا ومسا واعترض بان
ارواح الكفار لا تفتح لهم ابواب السما كما هو نص القران في قوله
تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم
ابواب السما والجواب عنه ما ابداه هو احتمالا لان الجنة كانت
في جهة يمين ادم والنار كانت في جهة شماله وكان يكشف له
عنهما وحين مر المصطفى على ادم كشف له عن ذلك فراى
ما راه ادم والى هنا جواب عياض كما في الفتح زاد المصنف
ولا يلزم من روية ادم لها وهو في السما ان تفتح لها ابواب
السما ولا تلجها فلا اعتراض على عياض وان كان الحافظ
في الفتح انما ذكر هذا عقب احتمال ان المراد من خرجت
من اجسادها حين خروجها لا انها مستقرة ولا يلزم الى اخر
ما هنا ويابى كلامه وفي حديث ابي هريرة عند البزار وابي
يعلى وابن جرير والبيهقي فاذا عن يمينه اي ادم باب
يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة
اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن
وهذا لو صح لكان المصير اليه اولى من جميع ما تقدم
لعدم احتياجه لتاويل لان المستفاد منه روية الباءين
حين مروره على ادم وهو لا يستلزم ان عنده شيا من
النسم التى راها عند ادم لجواز انه راها من وراء الابواب ولكن
سنده ضعيف قاله الحافظ ابن حجر في كتاب الصلاة
ببعض تصرف من المهم وفيه ايضا قبل ذكره هذا الحديث
الضعيف ويحتمل ان النسم المرئية هي التى لم تدخل الاجساد
بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها عن يمين ادم
وشماله وقد اعلم بما سيصيرون اليه فلذلك كان يستبشر
اذا نظر الى من على يمينه ويحزن اذا نظر الى من على يساره
بخلاف التى في الاجساد فليست مرادة قطعا وبخلاف التي

انتقلت من الاجسا د الى مستقرها فليست مرادة ايضا فيما
يظهر وبهذا يندفع الايراد ويعرف ان قوله نسم بنيه عام
مخصوص او اريد به الخصوص انتهى وهو مبني على ان الارواح
كلها قبل الاجساد كما جزم به ثم اذا اراد الله احيا شخص ارسل
الروح التي سبق في علمه انها معدة لذلك الجسد وقال في الفتح
هنا في باب المعراج وظهر لي الان احتمال اخر وهو ان يكون
المراد من خرجت من الاجساد حين خروجها لا انها مستقرة
ولا يلزم من روية ادم لها وهو في السما ان تفتح لها ابواب السما
ولا تلجها وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي ما يويده ولفظه
فاذا انا بادم تعرض عليه ارواح ذريته المومنين فيقول روح
طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه ارواح
ذريته الفجار فيقول ريح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها
في سجين ويظهر منه ومن حديث ابي هريرة عدم اللزوم المذكور
وهذا اولى مما جمع به القرطبي في المفهم ان ذلك في حالة مخصوصة
انتهي وهو مخصص للارواح بالخارجة من الاجساد حين الموت
لا مطلقا فهو ايضا عام مخصوص او اريد به الخصوص واجاب
بعضهم عن الاشكال بحمل الاسودة التي عن شماله على العصاة
من الموحدين لا على الجاحدين وعضده ببكا ادم رحمة لهم ولا يرحم
الكفار وتعقبه ابن المنير بان المومنين برهم وفاجرهم مطيعهم
وعاصيهم من اهل اليمين وقد فسروا ان اصحاب الشمال بالكفار
فقال واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل
من يحموم الايات وهذا انما هو لكافر لا حظ له في الايمان ولا حجة
في بكا ادم لانه ليس فيه استغفار لهم ولا خلاف ان من مات ابوه
كافرا وهو مسلم لا يحرم عليه البكا عليه لا سيما الطبيعي والرقة
الطبيعية وقال ابن دحية فان قيل كيف تكون نسم السعدا
كلهم في السما وقد كان حين الاسرا جماعة من الصحابة في الارض
وهم من السعدا فالجواب ان ادم انما راهم في مواضعهم
ومعادهم في الارض ولكنه يراهم من الجانب الايمن فالتقييد
للنظر لا للمنظور انتهى وتبعه ابن المنير وهو واضح وقال
السهيلي فان قيل كيف راى عن يمينه ارواح اصحاب اليمين
ولم يكن اذ ذاك منهم الا نفر قليل ولعله لم يكن مات تلك الليلة
منهم احد وظاهر الحديث يقتضي انهم جماعة فالجواب ان الاسرا
ان كان منا ما فتاويله ان ذلك سيكون وان كان يقظة فمعناه
ارواح المومنين راها هنالك لان الله توفى الخلق في منامهم
فصعد بالارواح الى هنالك فراها ثم اعيدت الى اجسادها انتهى

وهو

وهو مبني على تخصيص الارواح بالخارجة من الاجساد بالموت
ولو بالنوم واما قوله في الحديث اي حديث مالك بن صعصعة
ثم صعد بي حتى اتى السما الثالثة كذا في رواية ابي ذر للبخاري
ولغيره ثم صعد بي الى السما وهي التي قدمها المص فاستفتح فقيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
ارسل اليه قال نعم ارسل اليه قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح
الخازن الباب فلما خلصت اذا بيحيى وعيسى وهما ابنا
الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما
فردا علي السلام ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
الى قوله ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي فلما
خلصت بفتح اللام وصلت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك
ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا
بالنبي الصالح والابن الصالح وقصد المص زيادة البيان
لطول العهد بسوق لفظ الحديث والا فلا لاوجز لو قال
واما ما ذكره في الحديث من اماكن الانبيا في السموات فهذه
الرواية موافقة لرواية ثابت البناني عن انس عند مسلم
وفيه ان في السما الاولى ادم وفي الثانية يحيى وعيسى وفي
الثالثة يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة
هارون وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم
فهذا بيان للموافقة محكي بالمعنى وخالف ذلك ابن
شهاب الزهري في روايته عن انس عن ابي ذر كما في
اول الصلاة من البخاري ايضا وقد خرج مسلم حديثه ايضا
وذكر انه لم يثبت من الاثبات ابو ذر كيف منازلهم اي لم يعين
ابو ذر لكل نبي سما والمراد هنا ذكر الجميع فلا ينافي انه قال ادم في
السما الدنيا وقال فيه وابراهيم في السما السادسة ولفظ
البخاري قال انس فذكر اي ابو ذر انه وجد في السموات ادم
وادريس وموسى وعيسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم
غير انه ذكر انه وجد ادم في السما الدنيا وابراهيم في السما
السادسة وفي رواية شريك عن انس في الصحيحين ثم عرج
به الى السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سما فيها انبيا قد سماهم
وعيت منهم ان ادريس في الثانية وهرون في الرابعة
واخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة
وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى اي بسبب انه

فضل كلام الله اياه وفيه دلالة على ان شريكا ضبط كون
موسى في السابعة فيتعين في احد الجموع الاتية وسياقه
يدل على انه لم يضبط منازلهم اي جميع والا فقد صرح بقوله
وحيث انه ضبط اربعة ايضا كما صرح به الزهري محمد
ابن مسلم بن شهاب في حديث ابي ذر ورواية من ضبط
اولى احق بتقديمها على من لم يضبط لاسيما مع ماحصل فيها
من القوة من اجل اتفاق ولفظ الفتح مع اتفاق فلا يحتاج
لهذا التعسف قتادة ابن دعامة عند الشيخين وثابت
البناني عند مسلم وقد وافقهما يزيد ابن ابي مالك هو
ابن عبد الرحمن نسب الي جده الهمداني بالسكون الدمشقي
القاضي صدوق ربما وهم مات سنة ثلاثين ومائة او بعدها
وله اكثر من سبعين سنة روى له ابو داود والنسائي وابن ماجه
عن انس الا انه خالف في ادريس وهارون فقال
هارون في الرابعة فوافق شريكا في ذلك وادريس
في الخامسة فخالف قتادة وثابتا في انه الرابعة وشريكا في انه
في الثانية ووافقهم ابو سعيد الخدري عند ابن مردويه
وكان الاولى ووافقهما بتثنية الضمير عائدا على قتادة
وثابت وجمعه قد يوهم موافقة ابي ذر وشريك وليس بمراد
فان رواية ابي سعيد انما وافقت رواية قتادة وثابت
الا ان في روايته يوسف في الثانية وعيسى ويحيى
في الثالثة وجمع باحتمال الانتقال لا التعدد لانه خلاف
الصحيح والمشهور في الروايات كلها غير روايتي ابي ذر وشريك
ان الذي في السابعة هو ابراهيم قال الحافظ وهو الارجح واكد
قوى ذلك في حديث مالك بن صعصعة بانه كان مسندا
ظهره الى البيت المعمور قال الحافظ وهو في السابعة بلا خلاف
وما جاء عن علي انه في السادسة عند شجرة طوبى فان ثبت حمل
على البيت الذي في السادسة بجانبه شجرة طوبى لانه جاء عنه
ان في كل سما بيتا يحاذي الكعبة وكل منها معمور بالملايكة
وكذا القول فيما جاء عن الربيع ابن انس وغيره ان البيت المعمور
في السما الدنيا فانه يحمل على اول بيت يحاذي الكعبة من بيوت
السموات مع التعدد اي مع القول بتعدد المعراج فلا
اشكال بين الثابت المشهور في الروايات انه في السابعة وبين
روايتي ابي ذر وشريك انه في السادسة لحمل كل على مرة ومع
الاتحاد الذي هو الصحيح وقول الجمهور فقد جمع بان موسى
كان حالة العروج في السادسة وابراهيم في السابعة

على

على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط
كان موسى في السابعة بان يكون صعد معه او بعده لاجل
المراجعة في امر الصلاة لانه لم يذكر في القصة ان ابراهيم
كلمه في شي مما يتعلق بما فرض على امته من الصلاة لكن
لا يلزم من عدم الكلام ان يكون في السادسة حين الرجوع
الذي هو تمام الجمع بين الروايتين اذ تركه وان كان في السابعة
لان الخليل شانه التسليم لخليله كما كلمه موسى عليه السلام
وجزاه عنا خيرا والسما السابعة اول شي انتهى اليه حالة
الهبوط مما هو اعلى منها فناسب ان يكون موسى بها لانه هو
الذي خاطبه في ذلك اي امر الصلاة كما ثبت في جميع الروايات
لان شان الكليم التكلم ولا باس بهذا الجمع لكن قد علمت ان تمامه
بوجود ابراهيم حين رجع في السادسة واستدلاله بعدم تكلمه
في الصلاة لا ينهض بل قد يخدش قوله فيه قوله في حديث انس
عند ابن ابي حاتم ثم انجلت عنه السحابة واخذ بيده فانصرف
سريعا فاتى على ابراهيم فلم يقل شيا فظاهر هذا انه مر على ابراهيم
قبل موسى ويحتمل في الجمع ايضا ان يكون لقي موسى في السادسة
فاصعد معه الى السابعة تفضيلا له على غيره من اجل كلام
الله تعالى وظهرت فايدة ذلك في كلامه مع نبينا فيما يتعلق
بامر امته في الصلاة وهو قريب من الاحتمال قبله ولم يعرج
في هذا ايضا على رواية وابراهيم في السادسة قاله في فتح الباري
وقال ان النووي اشار الى شي من ذلك وجمع الكرماني في كتاب
الصلاة بانه راي ابراهيم في السادسة ثم ارتقى ابراهيم الى السابعة
ليراه في مكانين تعظيما له وتبعه شيخ الاسلام زكريا وهو عندي
اولى من الاحتمالين وفي رواية شريك عن انس في قصة موسى
تلو قوله بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم اظن احد يرفع
علي لا في الماضي ولا في المستقبل ولفظ الصحيح لم اظن ان يرفع
على احد قال المص بضم التحتية وفتح الفا ولابي ذر عن الحموي
والمستملي ان ترفع على احدا بالنصب وفتح الفوقية قال ابن بطال
فهم موسى عليه السلام من اختصاصه بكلام الله تعالى
في الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى تعليل لفهم اختصاصه
اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ان المراد بالناس
هنا البشر كلهم من في زمنه ومن تقدمه ومن تاخره وانه استحق بذلك
ان لا يرفع عليه احد فلما فضل الله محمدا عليه السلام بما اعطاه
من المقام المحمود ارتفع على موسى وغيره بذلك فكان المراد
بالناس ناس زمانه لا جميع البشر وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي

وغيره قال موسى يزعم بنو اسرايل اني اكرم الخلق على الله
وهذا اكرم على الله مني واخرج البزار والبيهقي وغيرهما من
حديث ابي هريرة قال موسى تزعم بنو اسرايل اني اكرم بني ادم
على الله وهذا رجل من بني ادم خلفني في دنيا وانا في اخرى
فلوانه بنفسه لم ابالي ولكن مع كل نبي امته زاد سعيد بن ابان
ابن سعيد بن العاصي بن امية الاموي بفتح الهمزة على غير قياس
وضمها على القياس وهو الاشهر عندهم كما في المصباح نسبة لجده
الاعلى امية بن عبد شمس بن عبد مناف وجزم الجوهري بالفتح
ثم قال وربما ضموا في روايته لحديث المعراج في مغازيه ولو كان
هذا وحده لهان علي ولكن معه امته وهم افضل الامم عند الله
ومعلوم ان هذا من الغبطة لا الحسد معاذ الله وفي حديث
مالك ابن صعصعة ولما جاوزته بكى موسى ببكي فنودي لفظ
الحديث كما مر فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك وكذا هو لفظ البخاري
في المعراج وبدء الخلق وكذا لفظ مسلم وغيره ما يبكيك قال ابن
ابي جمرة الظاهر ان قايل ذلك له البارى تبارك وتعالى يدل على
هذا قوله في الجواب رب هذا غلام بعثته من بعدي يدخل
الجنة من امته اكثر مما يدخل من امتي وفي رواية ابي عبيدة
ابن عبد الله بن مسعود عن ابيه انه مر بموسى عليه السلام يرفع
صوته فيقول اكرمته وفضلته فقال جبريل هذا موسى قلت
من يعاتب قال يعاتب ربه قلت ويرفع صوته على ربه قال
ان الله قد عرف له حدته قال العلما ولم يكن بكى موسى حسدا
معاذ الله مفعول مطلق حذف عامله اي اعوذ اي اعتصم
بالله معاذا من توهم ان بكاه حسدا فان الحسد في ذلك العالم
منزوع من احاد المومنين فكيف بمن اصطفاه الله
تعالى بل كان اسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب
عليه رفع الدرجات له بسبب ما وقع من امته من كثرة
المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص
اجره ان لكل نبي مثل اجر كل من تبعه من غير ان ينقص من
اجورهم شي ولهذا كان من اتبعه في العدد دون من اتبع
نبينا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه
الامة وقال العارف بن ابي جمرة قد جعل الله تعالى في
قلوب انبيايه عليهم السلام الرافة والرحمة لاممهم
وركبهم اي ركب بنيتهم في اصل خلقتهم مجبولة على ذلك حتى
كانهم خلقوا من الرافة والرحمة وقد بكى نبينا فقيل له ما يبكيك
روى الشيخان عن اسامة ارسلت بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان

ابني قد احتضر فاشهدنا فارسل يقري السلام ويقول ان
لله ما اخذ وله ما اعطى وكل شي عنده باجل مسمى فلتصبر
ولتحتسب فارسلت اليه تقسم عليه لياتينها فقام ومعه سعد ابن
عبادة ومعاذ ابن جبل وابي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال
ندفع اليه الصبي فاقعده في حجره ونفسه تقعقع ففاضت
عيناه فقال له سعد يا رسول الله ما هذا قال هذه رحمة
جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحما
روي بالنصب مفعول يرحم على ان ما في انما كافة واداة حصر
وبالرفع خبر ان على انها موصولة بمعنى الذين والرحما جمع
رحيم من صيغ المبالغة فمقتضاه ان رحمة الله تختص بالمتصف
بالرحمة الكاملة بخلاف من فيه رحمة ما لكن قضية خبر ابي
داود الراحمون يرحمهم الله شموله له ورجح وانما بولغ في الاول
لان ذكر الجلالة دال على العظمة فناسب فيه التعظيم
والمبالغة وقال شيخنا لعل مراد الحديث انه يرحم كثير الرحمة
رحمة تامة بحيث تمنع من قامت به من العذاب فلا يرد انه يرحم
الكافر بتخفيف العذاب عنه وبنا خيره في سعة عيش وصحة
وغيرهما الى وقت قبض روحه وقد يخفف عنه عذاب غير الكفر
والانبيا عليهم السلام قد اخذوا من رحمة الله اوفر نصيب
فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله اكثر من غيرهم فلاجل
ما كان بموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكي اذ ادركه منه
رحمة لامته لان هذا وقت افضال وكرم وجود فرجا حصول
ما يتمناه من الثواب لامته فقال لعل انه يكون والرجا
يستعمل بمعنى التمني والخوف لان الراجي يخاف ان لا يدرك
ما يترجاه وقت القبول والافضال اي الزيادة من النعم
والخير على العبادة فيرحم الله امته ببركة التاعم لان لله
اوقات يتجلى فيها بالرحمة على العباد فلا يرد فيها سايلا ولا يمنع راجيا
فان قال قايل كيف هذا الواقع من موسى وامته لا تخلو من
قسمين جملة حالية مقررة للاشكال قسم مات على الايمان
وقسم مات على الكفر فالذي مات على الايمان لا بد له
من دخول الجنة وان كثر عصيانه في الدنيا والذي مات على الكفر
لا يدخل الجنة ابدا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فبكاوه لاجل ما ذكر لا يسوغ لان الحكم
فيهم قد مر ونفذ عطف تفسير قيل في الجواب ان الله
قد قدره قد قسمين فقدر قدرا وقدر ان ينفذ على كل
الاحوال فلا بد من وقوعه وقدر قدرا وقدر ان لا ينفذ

اي لا يوجد خارجا ولكن يكون رفعه بسبب دعا او صدقة
او غير ذلك مما علق عليه في الازل وحصل ذلك المعلق عليه
فلاجل ما ركب في موسى عليه السلام من اللطف والرحمة
بالامة طمع في ذلك وقال لعل ما اتفق لامته من القدر الذي
قدره الله تعالى وقدر ارتفاعه بسبب الدعا والتضرع اليه
وهذا وقت يرجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالي
لانه وقت اسري فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع بكسر ففتح
جمع خلعة بزنة سدرة وسدر القرب والفضل العميم فطمع الكليم
لعل ان يلحق لامته نصيبا من هذا الخير العظيم وقد قال
نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا اي تصدقوا
او من التعرض وهو الميل الي الشي من احد جوانبه لنفحات الله اي اسلكوا
طرقها حتى تصير عادة وطبيعة وسجية وتعاطوا اسبابها وهو فعل
الاوامر وتجنب المناهي رجا ان تهب من رياح رحمته نفحة تسعدكم
او المعنى تعرضوا لها بطلبكم منه قال الصوفيه التعرض للنفحات
الترقب لورودها بدوام اليقظة والانتباه من سنة الغفلة
حتى اذا مرت نزلت بفنا القلوب قال بعضهم ومقصود الحديث
ان الله قبوضا ومواهب تبدو لوامعها من ابواب خزاين الكرم
والمترع في بعض الاوقات فتهب فورتها ومقدماتها كالانموذج
لما وراها من مدد الرحمة فمن تعرض لها مع الطهارة الظاهرة
والباطنة بجمع همة وحضور قلب حصل له منها في دفعة واحدة
ما يزيد على النعم الدائرة في الازمنة الطويلة على طول الاعمار
فان خزاين الثواب بمقدار على طريق الجزا وخزاين المنن
النفحة منها تفوق مما يعطى على الجزا لا مقدار و وقت
معلوم و وقت النفحة مبهم في الازمنة والساعات ليداوم على
الطلب بالسوال كما في ليلة القدر وساعة الجمعة فقصد ان
يكونوا متعرضين له في كل الاوقات قياما وقعودا وعلى
جنوبهم وفي وقت التصرف في اشغال الدنيا فانه اذا دام او
يمكن ان يوافق الوقت الذي ينفح فيه فيسعد بسعادة الابد
فقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا
لنفحات رحمة الله فان لله نفحات تصيب من يشا من عباده
الحديث اخرجه البيهقي من حديث انس وابي هريرة وهذه
نفحة من النفحات عطية من العطيات قال المصباح النفحة
العطية وقيل سداشي قليل من كثير وفي الصحاح نفح الطيب
فاح ونفحت الريح هبت فتعرض لها موسى وكان امرا قد قدر
والاسباب لاتوثر الا بما سبقت القدرة بانها فيه توثر من

تعليقه

تعليقه على سبب ووقوعه وما كان قضا نافذا لا يوثر فيه ترد
الاسباب لانه حتم قد لزم ومثال ذلك دعا النبي صلى الله عليه
وسلم لامته ان لا يظهر عليهم عدو من غيرهم وان لا يهلكهم
بالسنين فاعطيهما وان لا يجعل باسهم بينهم فمنعها فاستجيب
له في الاثنين دون الثالثة وقيل له هذا امر قدرته اي انفذته
فكانت الاثنتان من القدر الذي قدره الله وقدر ان لا ينفذه بسبب
الدعا والثالثة من القدر الذي قدره وقدر انفاذه على كل الاحوال
لا يرده راد وفي حكمة بكايه اي موسى عليه السلام وجه اخر وهو البشارة
لنبينا صلى الله عليه وسلم وادخال السرور عليه وذلك قوله موسى
عليه السلام الذي هو اكثر الانبيا اتباعا ان الذين يدخلون
الجنة من امة محمد صلى الله عليه وسلم اكثر مما يدخلها من امتي
فبكاه حين جاوزه المصطفى وقيل ان يبعد عنه لاجل ان
يسمعه هذه البشارة اذ لو لم يكن لذلك لترك البكا حتى يبعد عنه
فلا يسمعه ولم يبك حين كان معه بل رحب به واثنى عليه ودعا له
بخير لئلا يشوش عليه واما قوله موسى لان غلاما ولم يقل غير
ذلك من الصيغ كرجلا ونبيا فاشارة الى صغر سنه اي المصطفى
بالنسبة اليه الى موسى وفي القاموس الغلام الطار اي النابت
الشارب او الكهل ضد فيحتمل انه استعمله بمعنى الكهل لاستعماله
وفي الكهل وقال الخطابي العرب تسمي الرجل المستجمع السن
اي البالغ مبلغ الرجال بان بلغ اشده واستوت لحيته غلاما
ما دامت فيه من القوة في الكهولة اشارة الي مدحه بقوة
الشباب مع انه كهل وقال ابن ابي جمرة العرب انما يطلقون
على المرء غلاما اذا كان سيدا فيهم فلاجل ما في هذه اللفظة
من الاختصاص على غيره من الفاظ الافضلية ذكره موسى دون
غيره تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم قال في فتح الباري
ويظهر لي ان موسى عليه السلام اشار الي ما انعم الله به على
نبينا عليه السلام من استمرار القوة في الكهولة الى ان
دخل في سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتراه
في قوته نقص وهذا غير كلام الخطابي لانه قال بقية من القوة
وهذا اصرح ببقا قوته كلها حتى ان الناس في قدومه المدينة لما راوه
مردفا ابا بكر على راحلته وانه كان له راحلة اكراما وعلى راحلة
اخرى قال تعالى بالف من الملايكة مردفين اي يتلو بعضهم بعضا
قاله الداوودي ورجح ابن التين الاول وقال لا يصح الثاني لانه
يلزم منه ان يمشي ابو بكر بين يديه صلى الله عليه وسلم ورده الحافظ
بانه انما يلزم ذلك لو جا الخبر بالعكس اماما ولفظه وهو مردف

ابا بكر فلاوفى البخاري من وجه اخر عن انس فكانى انظر الى النبي
صلى الله عليه وسلم على راحلته وابو بكر ردفه اطلقوا عليه
اسم الشاب وعلى ابي بكر اسم الشيخ قال انس اقبل صلى الله عليه
وسلم الى المدينة وهو مردف ابا بكر وابو بكر شيخ يعرف والنبي
صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف الحديث فى البخارى مع
كونه عليه السلام فى العمر اسن من ابى بكر بازيد من عامين لانه
استكمل بمدة خلافته عمر المصطفى والله اعلم انتهى وقد ذكرت
ذلك اي حديث انس المذكور فى الهجرة من المقصد الاول
قال الحافظ وقد وقع من موسى فى هذه القصة من مراعاة
جانب النبى صلى الله عليه وسلم انه امسك عن جميع ما وقع
له حتى فارقه النبى ادبا معه وحسن عشرة فلما فارقه بكى
وقال ما قال انتهى وقد وقع فى حديث ابي هريره عند الطبرى
محمد بن جرير فى ذكر ابراهيم فاذا هم برجل اشمط اي ابيض الراس
يخالطه سواده جالس عند باب الجنة على كرسى وفى حديث ابي
سعيد فاذا ابا براهيم خليل الرحمن مسند ظهره الى البيت
المعمور كاحسن الرجال وفى رواية مسلم من حديث ثابت البناني
عن انس ثم عرج بالبنا للفاعل وضميره للمصطفى وجبريل
ويجوز بناوه للمفعول الى السما السابعة فاذا ابراهيم
مسند ظهره الى البيت المعمور قال ابو عبيده معنى المعمور
الكثير الغاشية ويقال له الضراح بضم المعجمة واهمالها غلط بين
كما فى زهر الابرار سمى به لانه ضرح عن الارض اى بعد قال
الحافظ فيه جواز الاستناد الى القبلة بالظهر وبغيره لان البيت
المعمور كالكعبة فى انه قبلة من كل جهة وقد اسند ابراهيم ظهره
اليه انتهى وقال التلمسانى قيل فيه دلالة على ان الافضل فى غير
الصلاة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها ولعل
ابراهيم اسند ظهره ليتوجه للمصطفى ويخاطبه انتهى
وقد يقال انما دل على الجواز لا على انه افضل كيف وفى
الحديث اشرف المجالس ما استقبل به القبلة رواه الطبرانى
واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك للعبادة ثم لا يعودون
اليه لان حجهم مرة كفرض الحج علينا ولا شغال غيرهم حوله هذا
ما فى مسلم وزاد ابن اسحق من حديث ابي سعيد الى يوم
القيامة هكذا بينه فى الفتح فما وهم قوله الى يوم القيامة
من انه فى رواية مسلم خطا نشا عن سقط ووقعت هذه
الزيادة عند البخارى فى بدء الخلق مضمومة الى رواية قتادة
عن انس بن مالك بن صعصعة بلفظ اذا خرجوا لم يعودوا

اخر ما عليهم وهي مدرجة من رواية قتادة عن الحسن عن ابي
هريرة كما بينه فى الفتح واليه اشار البخاري وقد قدمنه واخر
روي بالرفع بتقدير ذلك اخر والنصب على الظرف قال عياض والرفع
اجود قال الحافظ واستدل به على ان الملائكة اكثر المخلوقات
لانه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه فى كل يوم
سبعون الفا غير ما ثبت من الملائكة فى هذا الخبر انتهى وياتى
مزيد لهذا فى المقصد وسئل علي عنه فقال بيت فى السما السابعة يقال
البيت حرمته كحرمة هذا فى الارض يدخله كل يوم سبعون
الف ملك ثم لا يعودون اليه اخرجه ابن راهويه وحكمه الرفع
اذ لا يقال راياً وفيه اي حديث ثابت المذكور عن انس ثم عرج
بنا الى السما الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف
واذا هو قد اعطى شطر الحسن اي نصفه والناس كلهم بعده
شركاء فى النصف الاخر هذا ظاهره بادي الراي لكن الحقيقة
والمراد منه انه اوتي شطر الحسن الذي اوتي المصطفى جملته
قاله ابن المنير وقال بعض شراح المصابيح المراد بالشطر
البعض لان الشطر كما يراد به نصف الشي قد يراد به بعضه
مطلقا قال الطيبي وقد يراد به الجهة ايضا نحو قوله وجهك
شطر المسجد الحرام اي جهة من الحسن ومسحة منه كما يقال
على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال اي اثر ظاهر ولا يقال
ذلك الا فى المدح وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي وابي
هريرة عند الطبري محمد بن جرير فاذا انا برجل يعني
يوسف احسن ما خلق الله قد فضل زاد الناس بالحسن
كالقمر ليلة البدر اربعة عشر وهو اعلا ما يكون البدر على
سائر الكواكب وهذا ظاهره ان يوسف عليه السلام
كان احسن من جميع الناس لكن هذا الظاهر ليس بمراد اذ
لا نزاع ان المصطفى احسن منه وقد روي الترمذي من
حديث انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن
الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا
فصرح بانه احسن من يوسف وغيره فعلى هذا يحمل حديث
المعراج المذكور من رواية ابي سعيد وابي هريره على ان
المراد غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا تعارض بينه
وبين حديث انس المذكور ويؤيده قول من قال من اهل
الاصول ان المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه وحمل ابن
المنير حديث الباب المروي فى مسلم على ان المراد ان
يوسف اعطى شطر الحسن الذي اوتيه نبينا اي اوتيه

جملته كما عبر به ابن المنير قايلا فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ
الغاية ويوسف عليه السلام بلغ نصفها قال ويحقق هذا
حديث ما بعث الله نبيا فذكره او المراد به البعض والجهة كما
مر عن الطيبي وغيره واما قوله في الحديث عن ادريس ثم قال
مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح فسماه بالاخ مع انه جد له اعلا
لانه ادريس بن مارد بن مهلاييل بن قينان ابن انوش بن شيث
ابن ادم فكان قياسه ان يقول بالابن كما قال ابراهيم وادم
فيحمل على اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد فلا
اشكال في خطابه له بالاخوة لانه كما هو والده نسبا اخوه في النبوة
والاسلام وعدل للاخوة تلطفا وتادبا وقال ابن المنير وفي
طريق شاذة مرحبا بالابن الصالح هكذا ذكره في الفوايد من
معراجه وقال قبل ذلك في اوايله اكثر الطرق على انه خاطبه
بالاخ وقال لي ابن ابي الفضل صحت لي طريق انه خاطبه بالابن
الصالح انتهى وكانه بين مراده اولا فالشاذ ما خالف فيه الثقة
غيره وهذه هي القياس وان قال بعضهم في صحتها نظر لانه
جده الاعلي اذ هو سبط شيث كما علم وجه ابي نوح ابن لمك
بفتح اللام واسكان الميم وكاف ابن متوشلخ بفتح الميم
وشد الفوقية مضمومة وسكون الواو وفتح المعجمة واللام اخره
معجمة بن حنوخ وهو ادريس سمي به لكثرة درسه للصحف على انه عربي
مشتق من الدراسة وقيل سرياني وقيل ان ادريس الذي لقيه
ليس هو الجد المشهور ولكن الياس بياسين سبط هرون اخي موسى
بعث بعده وسمي ادريس ايضا لانه قري ادريس وادراس مكان
الياس وفي البخاري يذكر عن ابن مسعود وابن عباس ان
ادريس هو الياس واختار هذا القول ابن العربي وتلميذه
السهيلي لحديث المعراج حيث سماه اخا فان كان كذلك
ارتفع الاشكال وان كان هو الجد الاعلى فتحمل على اخوة
النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد وانما خص ابراهيم
ونوح وادم بالابوة لعرف خاص فيهم كما تشتهر الانسان باحد
اجداده دون من سواه من الاعلين والادنين كاشتهار
محمد ابن ادريس بالشافعي نسبة الى احد اجداده شافع وهكذا
اسماكلها تشتهر واحد من طبقة الاجداد ككنتسب اليه الاولاد دون
من فوقهم ومن تحته هذا بقية كلام ابن المنير فان قلت
لم كان هولا الانبيا هولا الثمانية المذكورون في حديث
مالك بن صعصعة ادم فيحيى وعيسى فيوسف فادريس
فهارون فموسى فابراهيم عليهم السلام في السموات دون غيرهم

من

من الانبيا لعل المراد انه انما وجد هولا دون غيرهم السموات
والا فكونه مر علي هولا لا يلزم منه ان لا يكون فيها غيرهم ولم يات
نص ينفي كون غيرهم فيها وما وجه اختصاص كل واحد بسما تخصه
ولم كان في السما الثانية بخصوصها اثنان يحيى وعيسى اجيب
عن الاقتصار على هولا دون غيرهم من الانبيا بانهم امروا
بملاقاة نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه من اول وهلة
ومنهم من تاخر فلحقه ومنهم من فاته على عرف الناس اذا تلقوا
الغايب مبتدرين للقايه فلا بد غالبا ان يسبق بعضهم بعضا ويصادفه
بعضهم اللقا ولا يصادف بعضهم والي هذا اشار ابن بطال قال
السهيلي فلم يصنع شيا انتهى لكن هذا الجواب لا يطابق سوال المهم
الا بتقدير مضاف اي لم كان انتظار هولا لملاقاة النبي في السموات
فحذف المضاف لفهمه من الجواب وفي فتح الباري اختلف في حكمة
اختصاص كل منهم بالسما التي التقاه بها فقيل ليظهر تفاضلهم
في الدرجات وقيل لمناسبة تتعلق بالحكمة في الاقتصار على هولا
دون غيرهم من الانبيا فقيل امروا بملاقاته فمنهم من ادركه من
اول وهلة ومنهم من تاخر فلحق ومنهم من فاته وهذا زيفه
السهيلي فاصاب انتهى فلو اتي المهم بهذا كان ابعد مما ذكره وسلم
من الايراد وقيل الحكمة في الاقتصار على المذكورين اشارة
الى ما يقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع
لكل منهم ووجه الاشارة ان روية لصورهم كالفال فتفسر
روية كل واحد بما يشبه ما وقع له فهو تنبيه على الحالات الخاصة
بهم وتمثيل بما يقع للمصطفى مما اتفق لهم مما قصه الله عنهم
في كتابه والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الحسن ويستدل
به على حسن العاقبة وبالضد من ذلك والفال في اليقظة
نظير الروبا في المنام واهل التعبير يقولون من راي نبيا من
الانبيا بعينه في المنام فان روياه تودن بما يشبه من حال ذلك
النبي من شدة او رخا وغير ذلك من الامور التي اخبر بها عن الانبيا
في القران والحديث اشار الي هذا ابن المنير وغيره فاما ادم عليه
السلام فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة التي كان
في امن الله وجواره الى الارض بما سيقع لنبينا صلي الله عليه
وسلم من الهجرة من مكة وهي حرم الله وبيته وامنه وقطانها جيران
الله لان فيها بيته الى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل
منهما من المشقة وكراهة فراق ما الفه من الوطن ثم
كان عاقبة كل واحد منهما ان يرجع الي وطنه فادم رجع
الي السما بعد ان اهبط منها والمصطفى رجع الي مكة لما فتحها

وصارت في يده الذي خرج منه هذا معنى كلام السهيلي وزاد
تلميذه ابن دحية وتبعه ابن المنير ان فيه تنبيها على انه يقوم
مقامه في مبدا الهجرة لان مقام ادم التهيئة والنشاة وعمارة الدنيا
بالولادة وكذا كان مقام المصطفى اول سنة من الهجرة مقام
تنشية الاسلام وتربية اهله واتخاذ الانصار لعمارة الارض كلها
بهذا الدين الذي اظهره الله على الدين كله وزوي الارض لنبيه
حتى اراه مشارقها ومغاربها وقال صلى الله عليه وسلم وليبلغن
ملك امتي ما زوي لي منها واتفق ذلك في زمن هشام بن عبد
الملك جبى اليه خراج الارض شرقا وغربا وكان اذا نشات سحابة
يقول امطري حيث شيت فيصل الي خراجك وبعيسى ويحيى
على ما وقع له اول الهجرة وهي ثاني حاله والاولى بمكة من
عداوة اليهود وتماديهم بالدال اي استمرارهم وفي نسخ تماليهم
باللام اي تعاونهم واجتماعهم على البغي عليه وارادتهم وصول السوء
اليه وهذا لفظ الفتح قايلا انه لخصه من السهيلي وهو محتاج لبيان
ولفظ السهيلي واضح وهو ثم راي في الثانية عيسى ويحيى وهما
الممتحنان باليهود اما عيسى فكذبته اليهود واذوه وهموا
بقتله فرفعه الله واما يحيى فقتلوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد انتقاله الي المدينة صار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت
محنته فيها باليهود اذوه وظاهروا عليه وهموا بالقا الصخرة
عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجي عيسى ثم سموه في الشاة فلم تزل
تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت ابهره وقال بن دحية كانت حالة
عيسى ومقامه معالجة بني اسرايل والصبر على معالجة اليهود
وحيلهم ومكرهم وطلب عيسى الانتصار عليهم بقوله من انصاري
الي الله اي مع الله قال الحواريون نحن انصار الله فهذه
كانت حالة نبينا صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة
ففيها طلب الانصار للخروج الى بدر العظمى فاجابوه ونصروه
فلقاوه لعيسى في السما الثانية تنبيه على سبلقي مثل حاله
ومقامه في السنة الثانية من الهجرة وبيوسف على ما وقع
له مع اخوته على ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من
قريش اقاربه من نصبهم الحرب له وارادتهم اهلاكه
وكانت العاقبة له وقد اشار عليه السلام الي ذلك يوم
الفتح بقوله لقريش بعد الخطبة يا معشر قريش ما ترون
اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت
فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب لا عتب عليكم اليوم
خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فغيره اولي يغفر الله لكم

وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقا بضم المهملة وفتح اللام
وقاف جمع طليق قال المص في فتح مكة اي الذين اطلقوا فلم يسترقوا
ولم يوسروا والطليق الاسير اذا اطلق فتفسيره هنا بقوله اي
العتقا جمع عتيق بمعنى معتوق فيه تجوز لان حقيقة العتيق
من ازيل عنه الرق وهولا لم يسترقوا لكن لما كان المصطفى متمكنا
منه ورفعه عنهم شبههم بمن ازيل عنه الرق واطلق عليهم اسمه ثم
هذا الذي ذكره المص الي قوله اليوم يغفر هو ما ذكره في الفتح انه لخصه
من السهيلي واما لفظه في الروض فهو واما لقاوه ليوسف في الثالثة
فيوذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف وذلك انه ظفر باخوته بعد
اخراجه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم الاية وكذا
نبينا اسر يوم بدر جملة من اقاربه الذين اخرجوه فيهم عمه العباس
وابن عمه عقيل فمنهم من اطلق ومنهم من فدى ثم ظهر عليهم
عام الفتح فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم انتهى
وقال ابن دحية مناسبة لقايه ليوسف في الثالثة ان الثالثة من
الهجرة اتفقت فيها غزوة احد وكانت على المسلمين لم يصابوا بنازلة
قبلها ولا بعدها مثلها فانها كانت وقعة اسف وحزن واهل التعبير
يقولون من راي احدا اسمه يوسف اذن ذلك من حيث الاشتقاق
ومن حيث قصة يوسف باسف يناله قال ابن دحية فان كان يوسف
النبي فالعاقبة حميدة والاخرة خير من الاولي ومما اتفق في احد
من المناسبة شيوع قتل المصطفى فناسب ما حصل للمسلمين من الاسف
على فقد نبيهم ما حصل ليعقوب من الاسف علي يوسف لاعتقاد
انه فقد الي ان وجده بعد تطاول الامد ومن المناسبة ايضا بين
القصتين ان يوسف كيد والقي في غيابة الجب حتى انقذه الله على
يد من شا قال ابن اسحاق واكبت الحجارة على جبهته صلى الله عليه وسلم
من قريش حتى سقط لجنبه في حفرة كان ابو عامر الفاسق حفرها
مكيدة للمسلمين فاخذ علي بيده صلى الله عليه وسلم واحتضنه طلحة
حتى قام وبادريس على رفيع منزلته عند الله تعالي لفظ الروض
ثم لقاوه لادريس في الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكانا عليا
وهو اول من خط بالقلم فكان ذلك موذنا بحالة رابعة وهو علو
شانه صلى الله عليه وسلم حتى اخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الي
طاعته حتى قال ابو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاه كتاب
النبي صلى الله عليه وسلم وراي ما راي من خوف هرقل لقد امر امر
ابن ابي كبشة حتى اصبح يخافه ملك بني الاصفر وكتب عنه بالقلم
الى جميع ملوك الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك
عمان ومنهم من هادنه واهدي اليه واتحفه كهرقل والمقوقس

ومنهم من يعصى عليه فاظفره الله به فهذا مقام علي وخط بالقلم
كنحو ما اوتي ادريس انتهى ولا يفهم من قوله بجاله رابعة وقوع
الكتابة الي الملوك في رابعة الهجرة كما ظن ابن المنير فقال فلعل
ذلك صادف السنة الرابعة مطابقا للقا ادريس في السما الرابعة
انتهى فانه سهو بحجيبه فان كتابته للملوك كانت اول السنة
السابعة كما تقدم في المكاتبات قال ابن المنير واختلف هل
رفع ادريس بعد الوفاة او رفع حيا كعيسى وفي المكان العلي
هل هو السما الرابعة والجنة فان كان هو الجنة فقد شاركه
المصطفى بلقايه فيها وزاد عليه في الارتفاع الي اعلا الجنان
وارفع الدرجات انتهى ملخصا **وبهرون اذ رجع قومه الي محبته
بعد ان اذوه** ولفظ الروض ولقاوه في الخامسة لهارون المحبب
في قومه يوذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه وقال
تلميذه ابن دحية ما نال هارون من بني اسرايل من الاذى
ثم الانتصار عليهم والايقاع بهم وقصر التوبة فيهم على القتل دون
غيره من العفو بانه المنحطة عنده وذلك ان هارون عندما ترك
موسى في بني اسرايل وذهب للمناجاة تفرقوا على هارون
وتحزبوا عليه وداروا حوله قتله وتقضوا العهد واخلفوا الموعد
واستضعفوا جانبه كما حكى الله تعالى عنهم ذلك عنهم وكانت
الجناية العظمى الصادرة منهم عبادة العجل فلم يقبل الله منهم
التوبة الا بالقتل فقتل في ساعة واحدة سبعون الفا كان نظير
ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم ما لقيه في خامسة الهجرة من
يهود قريظة والنضير وقينقاع فانهم نقضوا العهد وحزبوا الاحزاب
وجمعوها وحشدوا وحشروا واظهروا عداوة النبي صلى الله عليه وسلم
وارادوا قتله وذهب اليهم قبل الوقعة بزمن يسير يستعينهم في دية
قتيلين فاظهروا اكرامه واجلسوه تحت جدارهم تواعدوا ان
يلقوا عليه رحى فنزل جبريل فاخبره بمكرهم الذي هموا به
فمن حينيذ عزم علي حربهم وقتلهم وفعل الله تعالى ذلك
وقتل قريظة بتحكيم سعد بن معاذ فقتلوا شر قتلة وحاق
المكر السيء باهله ويظير استضعاف اليهود لهارون استضعافهم
المسلمين في غزوة الخندق **وبموسى على ما وقع له من معالجة
قومه وقد اشار الي ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله**
لما اثرناسا ليولفهم في قسمة غنايم حنين فقال رجل والله
ان هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله فتغير
وجهه ثم قال **لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر** رواه
الشيخان ولفظ السهيلي ولقاوه في السادسة لموسى يوذن

بحالة تشبه حالة موسى حين امر بغزو الشام فظهر علي
الجبابرة الذين كانوا فيها وادخل بني اسرايل البلد الذي خرجوا
منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزا صلى الله عليه وسلم تبوك
من ارض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه
علي الجزية بعد ان اتي به اسيرا وافتتح مكة ودخل اصحابه
البلد الذي خرجوا منه وقال ابن دحية يوذن لقاوه له في السادسة
بمعالجة قومه فان موسى ابتلي بمعالجة بني اسرايل والصبر على اذاهم
وما عالجه المصطفى في السنة السادسة لم يعالج قبله ولا بعده مثله
ففيها افتتح خيبر وفدك وجميع حصون اليهود وكتب الله
عليهم الجلا وضربهم بسوط البلا وعالج صلى الله عليه وسلم في هذه
السنة كما عالج موسى من قومه اراد ان يقيم الشريعة في الارض
المقدسة وحمل قومه علي ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا ان فيها قوما
جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها وفي الاخر سجلوا بالقنوط
انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فغضب الله عليهم وحال بينهم
وبينها واوقعهم في التيه وكذلك اراد صلى الله عليه وسلم في السادسة
ان يدخل بمن معه مكة يقيم بها شريعة الله وسنة ابراهيم فصدوه
فلم يدخلها في هذا العام فكان لقاوه لموسى تنبيها على التاسي
وجميل الاثر في السنة القابلة ووقع التنبيه **بابراهيم في استناده
الي البيت المعمور بما ختم الله له صلى الله عليه وسلم في اخر
عمره من اقامة نسك الحج وتعظيم البيت الحرام** ولفظ الروض
ثم لقاوه في السابعة لابراهيم لحكمتين احداهما ان البيت المعمور
بحيال الكعبة واليه تحج الملايكة كما ان ابراهيم بنى الكعبة واذن
في الناس بالحج اليها والثانية ان اخر احواله صلى الله عليه وسلم
حجه الى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين الفا
ورويه ابراهيم عند اهل التاويل توذن بالحج لانه الداعي اليه
والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة وقال ابن دحية مناسبة لقيه
لابراهيم في السابعة من الهجرة دخل مكة هو واصحابه ملبين
معتمرين محييا لسنة ابراهيم ومقيما لرسمه الذي كانت الجاهلية
اماتت ذكره وبدلت امره ورويته لابراهيم مسندا ظهره الى البيت
المعمور اشارة الي انه يطوف بالكعبة في السابعة وهي اول دخلة
دخل مكة بعد الهجرة والكعبة في الارض قبالة البيت المعمور وقال
وفي قوله فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الفا لا يرجعون اليه
الى اخر الدهر اشارة الى انه اذا دخل البيت الحرام لا يرجع اليه
لانه لم يدخله بعد الهجرة الا عام الفتح ثم لم يدخله في حجة الوداع
واعلم ان ما ذكره المص تبع فيه الحافظ وقال في اخر هذه مناسبات

هو الذي م

لطيفة ابداها السهيلي كما وردتها منقحة ملخصة وقد زاد ابن المنير
في ذلك اشيا اضربت عنها اذ اكثرها في المفاضلة بين الانبيا
والاشارة في هذا المقام عندي اولى من تطويل العبارة انتهى
وقال ابن دحية لا باس بما ذكره هذا الامام يعني شيخه السهيلي
لكن يحتاج الى تنبيهات منها اجراوه لذلك كالتعبير فانه يوهم
ان الاسرا كان منا ما والصحيح انه يقظة والذي يرفع الاشكال
ان الفال في اليقظة نظير الاحلام بما يدل عليه منا ما فعلى
هذا يصح كلامه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن
ويستدل به على حسن العاقبة وبالضد من ذلك ومنها انه لم
يذكر المستوي ولا ما بعده نظيرا اما لتعذر استنباط المناسبة
او لانقطاع الفكرة دون ذلك انتهى او لان الاولى ترك ذلك
كما افصح به السهيلي نفسه عقب ذكر المناسبات اذ قال وكان الحزم ترك
التكلف لنا ويل ما لم يرد فيه نص عن السلف ولكن عارض هذا ما يجب
من التفكر في حكم الله وتدبر اياته قال ولولا مسارعة الناس الى انكار
ما جهلوه وغلظ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لابديناه من سر هذا
السوال اكثر مما كشفنا **واجاب العارف بن ابي جمرة عن وجه**
اختصاص كل واحد منهم بسما الذي هو ثاني اسيلة المهم وفيه
جواب الثالث وهو لم كان في الثانية بخصوصها اثنان **بان**
الحكمة في كون ادم في السما الدنيا لانه اول الانبيا واول
الابا فناسب مقام الاولية وهو الاصل فكان الاول في الاول
ولاجل تانيس البنوة بالابوة في مبدا العالم العلوي **واما عيسى**
فانما كان الثانية لانه اقرب الانبيا من حيث الزمن **الى النبي**
صلى الله عليه وسلم ولانه **لا تنسخ شريعة عيسى عليه السلام**
الا بشريعة سيدنا محمد ولانه ينزل في اخر الزمان لامة محمد
صلى الله عليه وسلم على شريعته ويحكم بها ووجه جعل هذا
حكمة كونه في الثانية ان عيسى لما شابه المصطفى في ثاني احواله
وهي حكمه بشريعته وكونه واحدا من امته ناسب ان يكون في السما
الثانية واول احوال عيسى كونه رسولا الى بني اسرايل **ولهذا**
المذكور من الحكم الثلاث **قال عليه السلام** في الصحيحين وغيرهما
انا اولى الناس اي اخصهم **بعيسى** ابن مريم واقربهم اليه لانه
بشر بانه ياتي من بعده فالاولية هنا من جهة قرب العهد
كما انه اولى الناس بابراهيم لانه ابوه ودعا به واشبه الناس به
خلقا وملة وبين وجه الاولية بقوله في بقية الحديث ليس بيني
وبينه نبي كانه قال لانه ليس الخ وضعف هذا الحديث ما ورد ان
جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين بعد عيسى لان في اسنادهما

مقالا

مقالا وهذا صحيح بلا شك الا ان يجاب بانهما بعثا بتقرير شريعة
عيسى لا بشريعة مستقلة ذكره الحافظ وغيره **فكان في الثانية**
لاجل هذا المعنى وفي فتح الصفا لانه خلق ثان كخلق ادم ان
مثل عيسى عند الله كمثل ادم **وانما كان يحيى عليه السلام معه**
هناك لانه ابن خالته وهما كالشي الواحد فلاجل التزام احدهما
بالاخر كانا هناك معا اذ في من هذا قول ابن المنير السر في ذلك
ان عيسى لم يلقه بعد موته لرفعه حيا صيانة له وذخيرة الى
وقت عوده الى الارض قايما بشرع المصطفى غير مجدد شرعا
فهو في حكم الاحيا ومقامه في السما ليس على معنى السكنى الدايمة
بخلاف غيره من الانبيا ويحيى هو المقيم في السما اسوة غيره من
الانبيا واختص مقامه عند عيسى لانهما ابنا الخالة وكانا الذين
وكانت ام يحيى تقول لام عيسى وهما حاملتان اني اجد ما في بطني
يسجد لما في بطنك اي سجود تحية فكان بينهما اتحاد منذ كانا
فلما عرض لعيسى الصعود الى السما جعل عند يحيى **وانما كان**
يوسف عليه السلام في السما الثالثة لان على حسنه تدخل
امة النبي صلى الله عليه وسلم الجنة وهي ثالث دورها الدنيا
فالبرزخ فالجنة فناسب كونه في الثالثة **فاري له هناك لكي**
يكون ذلك بشارة له عليه السلام فيسر بذلك وفي فتح الصفا
ويوسف في الثالثة باعتبار ان جعله على خزاين الارض
كان مرتبة ثالثة له لانه بعد خروجه من السجن وذلك بعد
رفعه من السجن **وانما كان ادريس في السما الرابعة لانه**
هناك توفي ولم تكن له تربة في الارض على ما ذكر عن كعب
الاحبار ان الملك الموكل بالشمس كان صديقا لادريس فسأله
ان يريه الجنة فاذن الله له في ذلك فرفعه فلما كان في السما
الرابعة راه ملك الموت فتعجب وقال امرت ان اقبض روحه
في السما الرابعة فقبضه قال السهيلي ولكون رفعه حيا الى ذلك
المقام خاصا به قال تعالى ورفعناه مكانا عليا فالانبيا في م
رويته ابراهيم وموسى في مكان اعلى منه ومر عن الحافظ انه
هذا من الاسرايليات والله اعلم بصحته وان رفعه وهو حي
لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وقال ابن المنير اختلف
في ادريس هل رفع الى السما بعد موته كغيره من الانبيا وانما
رفع حيا وهو الى الان حي كعيسى وجا في القصص ان ادريس
احبته الملايكة لكثرة عبادته فسال ملك الموت ان يذيقه
الموت ليهون عليه فاذاقه ثم احيي فسال ان يورده النار ليزداد
رهبة فاوردها ثم اخرج فسال ان يدخل الجنة ليزيد رغبة فادخلها

فقيل له اخرج قال يا رب اني ذقت الموت ووردت النار ودخلت
وقد وعدت من دخلها على ذلك ان لا يخرج منها ابدا فاوحى الله
الى الخازن ان دعه فاذني فعل ما فعل فبقي في الجنة في السما الرابعة
على هذا الوجه انتهى فتامله وانما كان هارون عليه السلام
في السما الخامسة لانه ملازم لموسى عليه السلام لاجل انه
اخوه ووزيره وخليفته في قومه لما ذهب الى المناجات
فكان ههناك لاجل هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى في السما
السادسة لان لموسى مزية وحرمة وهي كونه كليما واختص
باشيا لم تكن لهارون فلاجل هذا المعنى لم يكن معه تكرار
لزيادة البيان وانما كان موسى السادسة لاجل ما اختص
به من الفضايل ولانه الكليم وهو اكثر الانبيا اتباعا بعد
نبينا صلى الله عليه وسلم فكان فيها للاشعار بالقرب وانما كان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام في السابعة لانه الخليل والاب الاخير
للمصطفى فناسب ان يتجدد للنبي عليه السلام بلقيه انس
لتوجهه بعده الى عالم اخر وهو اخراق الحجب كما انس بابيه
ادم في اول عالم السموات ثم في وسطها بابيه ادريس لان الرابعة
من السبع وسط معتدل وايضا لانه الخليل ولا احد افضل من
الخليل الا الحبيب والحبيب ها هو قد علا ذلك المقام فكان
الخليل فوق الكل لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق
الكل لاجل ما اختص به مما زاده به عليهم وما احسن اختصار
الحافظ لهذا بقوله وايضا فمنزلة الخليل تقتضي ان تكون
ارفع المنازل ومنزلة الحبيب ارفع من منزلته فلذلك ارتفع
عن منزلة ابراهيم الى قاب قوسين او ادنى قال الله تعالى تلك
مبتدا الرسل صفة والخبر فضلنا بعضهم على بعض بتخصيصه
بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله كموسى ورفع بعضهم اي
محمدا درجات على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة به وتفضيل
امته على ساير الامم والمعجزات المتكاثرة والخصايص العديدة
فحصل له الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة
والنبوة ورفعه بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة الالهية
ترفيعا للمرفوع دون تنقيص بالمنزول وفي نسخة للمنزول
بلام بدل الموحدة اي النازل عن غيره في الفضل انتهى فليتامل
وقد اختلف في صفة روية نبينا صلى الله عليه وسلم لهولاء
الانبيا عليهم السلام في السموات ولهم ولغيرهم في بيت
المقدس مع ان اجسادهم مستقرة في قبورهم بالارض فحمله
بعضهم على روية ارواحهم متشكلة بصور اجسادهم

الاعيسى لما ثبت انه رفع بجسده سوا قلنا رفع حيا عند
اكثر الاكثرين او بعد ان توفي على ظاهر قوله اني متوفيك
للاتفاق على رفعه بجسده وقد قيل في ادريس ايضا ذلك
اي رفع بجسده حيا ثم مات ام لا على قوله تقدما واما
الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الارواح خاصة
دون الاجساد ويويده حديث ابي هريرة عند الحاكم
والبيهقي فلقي ارواح الانبيا وقيل فيه دليل على تشكل
الارواح بصور اجسادها في عالم الله ويحتمل الاجساد بارواحها
بان يكون اسرى باجسادها من قبورهم لملاقاة النبي صلى
الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفا له وتكريما ويويده حديث
انس عند البيهقي وبعث له ادم فمن دونه من الانبيا فامهم
وعند البزار والطبراني فنشر لي الانبيا من سمى الله تعالى
ومن لم يسم فصليت بهم قال الحافظ واختاره بعض شيوخنا
واحتج بما في مسلم مرفوعا رايت ~~النبي صلى الله عليه~~ موسى ليلة
اسري بي قايما يصلي في قبره فدل على انه اسرى به لما مر به
قلت وليس ذلك بلازم بل يجوز ان لروحه اتصالا بجسده
في الارض ولذلك تمكن من الصلاة فيها وروحه مستقرة
في السما وقيل اي قال ابن ابي جمرة رويته لهولا الانبيا تحتمل
وجوها احدها انه يحتمل ان يكون عليه السلام عاين
كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي اخبر بها
من الموضع الذي ذكر انه عاينه فيه فيكون الله عز وجل
قد اعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما ادرك
به ذلك لكن قد يبعده فاذا فيها ادم الخ لاسيما قوله
فاذا انا بابراهيم مسند ظهره الى البيت المعمور فان
الاصل الحقيقة وكون المعنى فاذا في وجودي في السما
عاينت ادم في قبره ثم يقال مثله في البقية مجاز بعيد
جدا بلا داعية وكيف يقال عاينت وانا في السما السابعة
ابراهيم في قبره وهو مسند ظهره الى البيت المعمور وثانيها
له رويته عليه الصلاة والسلام الجنة والنار في عرض
الحايط بضم العين واسكان الرا جانبه وناحيته وهو
يحتمل لان يكون عليه الصلاة والسلام الجنة والنار
راهما من ذلك الموضع حقيقة بان كشف له عنهما وازيلت
الحجب التي بينه وبينها قال ابن ابي جمرة كما يقال رايت الهلال
من منزلي من الطاق والمراد من موضع الطاق او مثل
له صورتهما في عرض الحايط والقدرة صالحة لكليهما

لكن هذان الاحتمالان ظاهران في ذا الحديث واجرا مثلهما
في حديث المعراج لا يظهر لبعده وقبحه اي قال ابن ابي
جمرة ايضا يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم عاين ارواحهم
هناك في صورهم وان يكون الله سبحانه وتعالى لما اراد بالاسرا
نبينا رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه عليه السلام
وتعظيما له حتى يحصل له من قبلهم بكسر ففتح جهتهم ما اشرنا
اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن
وهذا الاحتمال هو عين قوله اولا ويحتمل الاجساد بارواحها
غايته انه مبسوط عنه فهو كالشرح له وبقي احتمال رابع وبه
جزم ابو الوفا ابن عقيل ان ارواحهم مستقرة في الاماكن التي راهم
المصطفى فيها متشكلة بصور اجسادهم لكنه انما يظهر في الذين
راهم في السموات لا في بيت المقدس وكل هذه الوجوه محتملة
بضم الميم الاولى وفتح الثانية اي قريبة واما بكسر الثانية فالواقعة
نفسها كما صرح به بعضهم ولا ترجيح لاحدها على الاخر من حيث
الاحتمال في حد ذاته اذ القدرة صالحة لكل ذلك اما بالنظر لما
يشهد له من خارج فيترجح انتهى يعني كلام ابن ابي جمرة وان لم يفصح
به واوله ما قد علمته وما قبله اتى به المهم من فتح الباري وفيه
رد على ما اطال به ابن القيم في كتاب الروح من ترجيح ان رؤيته
انما هي لارواحهم فقط اذ الاجساد في الارض قطعا انما تبعث
يوم القيامة ولو بعثت قبل ذلك لكانت انشقت عنهم الارض
قبلها وكانت تذوق الموت عند نفخ الصور وهذه موتة
ثالثة وهذا باطل قطعا وبانها لو بعثت الاجساد لم تعد الى
القبور بل كانت في الجنة مع انها محرمة على الانبيا حتى يدخلها
نبينا وهو اول من يستفتح باب الجنة ولا تنشق الارض عن
احد قبله الى اخر ما اطال به مما لا حاجة له فيه وجوابه
كما املاه شيخنا انه انما يتم ما قاله لو كانت ارواحهم مفارقة
لاجسادهم في قبورهم وليس كذلك بل هم احيا في قبورهم
بحياة حقيقية ياكلون ويشربون ويتنعمون فيها وخروجهم
من قبورهم ومجيئهم لها كليس الخروج المقتضي للبعث
بل هو كخروج الانسان من منزله لحاجة يقضيها ويعود
اليه فلا يعد بذلك مفارقا له والذي يعد به مفارقا هو
الذي بحيث لا يعود اليه بل يقوم للقيامة وبهذا
سقط كلامه **واما قوله في الحديث رفعت** رواه الاكثر بضم الرا
وسكون العين وضم التا ضمير المتكلم بعده حرف الجر وهو **الى
سدرة المنتهى** وللكشميهني رفعت بفتح العين وسكون التا

الى

اي السدرة لي اي من اجلي وكذا في بدء الخلق وجمع بين
الروايتين بانه رفع اليها اي ارتقي به وظهرت له والرفع الى
الشي يطلق على التقريب منه وقد قيل في قوله وفرش مرفوعة
اي تقرب لهم **فاذا نبقها** بفتح النون وكسر الموحدة وبسكونها
ايضا قال ابن دحية والاول هو الذي ثبت في الرواية اي التحريك
وهو ثمر السدر **مثل قلال** قال الخطابي بالكسر جمع قلة بالضم هي
الجرار يريد ان ثمرها في الكبر مثل القلال وكانت معروفة عند
المخاطبين **هجر** بفتح الها والجيم بلدة لا تنصرف للتانيث والعلمية
ويجوز الصرف كما في الفتح وقدمته قال الثعالبي واما ثمرها
فهل هو كالثمار الماكول وانه يزول ويعقبه غيره وهل
الزايل يوكل او يسقط لم ار من ذكر هذا ولا يمتنع ان يكون كذلك
وانه تاكله الطيور التي تسرح في الجنة والروح على قول من
يقول انهم صنف على صورة الانسان لهم ايد وارجل وروس وانهم
ياكلون الطعام وليسوا من الملايكة قال ابن عباس ما ينزل
من السما ملك الا ومعه واحد من الروح وقال ابو صالح وليسوا
بناس ولا بالملايكة وعن بعضهم ان الملايكة لا يرونهم وليس
بينه وبين قول ابن عباس هذا تناف فانه لا يلزم من نزولهم
معهم رويتهم لهم انتهى **واذا ورقها مثل اذان** الفيلة بكسر الفا
وفتحها غلط زاعمه وفتح التحتية جمع فيل وفي بدء الخلق الفيول
جمع فيل ايضا والتشبيه في الشكل فقط لا في الكبر ولا في الحسن
فلا تنافي رواية تكاد الورقة تغطي هذه الامة **قال جبريل هذه
سدرة المنتهى** ولعل سبب اخباره انه صلى الله عليه وسلم كان عالما
بوجودها قبل الروية فكانه قيل قال هذه سدرة المنتهى التي
علمت بوجودها قال الرازي واضافتها الى المنتهى من اضافة
الشي الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى حينيذ موضع
لا يتعداه ملك او روح من الارواح او من اضافة المحل الى
الحال فيه ككتاب الفقه فالتقدير سدرة منتهى العلوم او من
اضافة الملك الى مالكه كشجرة زيد فالمنتهى اليه محذوف تقديره
سدرة المنتهى اليه قال تعالى وان الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه
هو الله تعالى واضافتها اليه كاضافة البيت للتشريف والتعظيم
واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران قال ابن ابي
جمرة يحتمل الحقيقة فهذه الانهار تنبع من اصل الشجرة نفسها فتكون
الشجرة طعمها نبق واصلها ينبع منه الما والقدرة لا تعجز عن هذا
ويحتمل انه من تسمية الشي بما قاربه فتكون الانهار تنبع قريبا
من اصل الشجرة انتهى **فقلت وما هذان يا جبريل قال اما الباطنان**

عندهام

فنهران في الجنة قال ابن ابي جمرة فيه ان الباطن اجل من الظاهر
لان الباطن جعل في دار البقا والظاهر جعل في دار الفنا ومن
ثم كان الاعتماد على ما في الباطن كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله
لا ينظر الي صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واما الظاهران فالنيل
نهر مصر والفرات بالفوقية في حال الوصل والوقف نهر الكوفة
وفي رواية عند البخاري ايضا في بدء الخلق فاذا في اصلها اي
سدرة المنتهى اربعة انهار فيفسر قوله في المعراج واذا اربعة
انهار اي في اصلها اذ الحديث واحد وعند مسلم يخرج من اصلها
فقوله في اصلها معناه يخرج منه وعنده اي مسلم ايضا من حديث
ابي هريرة اربعة انهار من الجنة النيل والفرات وسيحان من
السيح وهو جري الما على وجه الارض وهو نهر العواصم بقرب
مصيصم وهو غير سيحون نهر بالهند او السند وجيحان نهر
اذنة وجيحون نهر بلخ وينتهي الى خوارزم وزعم انهما هما وهم فقد
حكى النووي الاتفاق على انهما غيرهما لكن نازعه السيوطي في دعوى
الاتفاق فيحتمل ان تكون سدرة المنتهي مغروسة في الجنة
والانهار تخرج من اصلها فيصح انها من الجنة بهذا الاعتبار فلا
يعارض حديث المعراج ووقع في رواية شريك كما عند البخاري في
كتاب التوحيد من صحيحه انه رأى في سما الدنيا نهرين يطردان
بالتشديد يجريان فقال له جبريل جوابا لقوله ما هذان النهران
يا جبريل قال هما النيل والفرات عنصرهما بضم العين والصاد
المهملتين اصلهما بدل من النيل والفرات والجمع بينهما انه رأي
هذين النهرين عند سدرة المنتهي مع نهري الجنة الباطنين
وراهما في سما الدنيا دون نهري الجنة واراد بالعنصر عنصر
انتشارهما بسما الدنيا لا اصلهما الحقيقي فانه من اصل السدرة م
فلا تنافي بين الاحاديث كذا قال ابن دحية كانه تبرا منه لعدم
تعين ما قال لجواز ان يراد اصل نبعهما من تحت السدرة ومقرهما
في سما الدنيا ومنها ينزلان الى الارض كما تقدم للمص في المحلى قريب
من جمع ابن دحية وغيره وقال التعالبي يجوز ان عنصرهما مبتدا
يتعلق به خبر سابق لم يتقدم له ذكر من حيث اللفظ لكن من
حيث العهد فيكون المعنى هذا النيل والفرات فيتم الكلام ثم
يكون عنصرهما ما كنت رأيت عند سدرة المنتهى يا محمد فاكتفي
بهذا العهد السابق عن اعادة الكلام انتهي وهو مع تعسفه
لا يصح لان رويته ذلك في سما الدنيا قبل رقيه للسدرة فلا عهد
هنا وروي ابن ابي حاتم عن انس انه صلى الله عليه وسلم بعد ان
رأي ابراهيم قال ثم انطلق جبريل بي على ظهر السما السابعة

وهو

حتي

22

حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت بخا معجمة جمع خيم كسهم وسهام
وهو مثل الخيمة وفي نسخة جام بالجيم بلا يا اي اقداح والمراد الجنس
فيصدق بالاواني الكثيرة واللولو والزبرجد بفتح الزاي والدال
مهملة جوهر معروف ويقال هو الزمرد وعليه طير خضر
انعم فهو خبر مبتدا محذوف طير رايت وهو اسم تفضيل من
نعم بالضم نعومة لان ملمسه يعني ان ملمس هذه الطيور التي من
ملمس ساير الطيور وفي رواية انعم طير رايت قال جبريل هذا
الكوثر الذي اعطاك الله فاذا فيه انية الذهب والفضة
يجري على رضراض بفتح الرا وسكون الضاد المعجمة اخره مثلها حصي
صغار من الياقوت والزمرد بزاي فميم فرا ثقيلة مضمومات
اخره دال معجمة ومهملة كما في القاموس وقال انه الزبرجد معرب
ماوه اشد بياضا من اللبن قال فاخذت من انيته فاغترفت
من ذلك الما فشربته فاذا هو احلى من العسل واشد رايحة
من المسك تجمع الاوصاف الثلاثة الحسنة وفي حديث ابي سعيد عند
البيهقي واذا فيها اي السما السابعة عين تجري يقال لها السلسبيل
فينشق منها نهران احدهما الكوثر والاخر يقال له نهر الرحمة قال
الحافظ فيمكن ان يفسر بهما النهران الباطنان المذكوران في الحديث
وكذا روي عن مقاتل قال الباطنان السلسبيل والكوثر انتهي وفيه
مسامحة لان ما روي عن مقاتل صريح في ان احد النهرين السلسبيل
والاخر الكوثر وحديث ابي سعيد صريح في ان السلسبيل هو الاصل
ويخرج منه نهران احدهما الكوثر فهو فرع منه لا قسيم له تحقيقا العبارة
وروي عن مقاتل باسقاط لفظ كذا ويكون مقابلا لتفسيرهما
بما في حديث ابي سعيد ثم قال الحافظ عقب ما نقلته عنه واما
الحديث الذي اخرجه مسلم بلفظ سيحان وجيحان والنيل والفرات
من انهار الجنة فلا يغاير هذا لان المراد به ان في الارض اربعة
انهار اصلها من الجنة وحينئذ لم يثبت لسيحان وجيحان انهما
ينبعان من اصل سدرة المنتهي فيمتاز النيل والفرات عليهما
بذلك واما الباطنان فهما غير سيحان وجيحان قال النووي
في هذا الحديث ان اصل النيل والفرات من الجنة وانهما يخرجان
من اصل السدرة يسيران حيث شا الله ثم ينزلان الى الارض
ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد
به ظاهر الخبر فليعتمد وقول عياض الحديث يدل على ان اصل
سدرة المنتهى في الارض متعقب لان خروجهما من اصلها غير
خروجهما من النبع من الارض والحاصل ان اصلهما من الجنة
ويخرجان اولا من اصلها ثم يسيران الى ان يستقرا في الارض ثم ينبعان

واستدل به على فضيلة ما النيل والفرات لكون منبعهما من
الجنة وكذا سيحان وجيحان قال القرطبي لعل ترك ذكرها
في حديث الاسرى لكونهما ليسا اصلا براسهما وانما يحتمل ان يتفرعا
عن النيل والفرات قال وقيل انما اطلق على هذه الانهار انها
من الجنة تشبيها لها بانهار الجنة لما فيها من شدة العذوبة والحسن
والبركة والاول اولى انتهى وقال ابن المنير صورة انصبابها كانصباب
المطر متفرقا ثم يجتمع في مواقعها في الارض الى ان ينساق كل
منها الى مستقره ومجراه ويحتمل ان يكون انصبابها في نواحي
الارض الغايبة المتصلة بمبادي هذه الانهار فانه لم يقف احد
على مبادئها الى الان وقال ابن ابي جمرة وردت الاخبار ان من
شرب من ما الجنة لا يموت ولا يفنى وانه لا فضلة له تخرج على
ما يعهد في الدنيا وانما خروجه رشح مسك على البدن فجعل
فيه هذه الخاصة العظيمة ثم لما شات الحكمة نزوله الى هذه
الدار نزعت منه تلك الخصوصية وبقي جوهره بحاله وكل الخواص
مثله في هذا المعنى ان شا الله تعالى ابقى له الخاصية خلقه والجوهر
خلقه وانما القدرة هي الموثرة في كلها انتهى وسيات مزيد لذلك
عما ذكرهنا من الكوثر في المقصد الاخير ان شا الله تعالى
وقد وقع في حديث ثابت عند مسلم ثم ذهب بي لم يقل عرج لانها
في السما السابعة الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيله
شبهه بها وان لم تكن بارض الحجاز لانها كثيرة ببلاد الحبش وكثيرا
ما كانوا ياتونها للتجارة واليها كانت الهجرة واذا ثمرها كالقلال
شبهها بها لمد ظلها ولطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رايحته
وان كان شجر الجنة انما يحاكيه ما في الدنيا صورة فلما غشيها
طراعليها وغطاها من امر الله عز وجل ما غشى اي امر عظيم
غشي فان الابهام بمثله يفيده تحول الحاقة ما الحاقة فهو كقوله
اذ يغشى السدرة ما يغشى في ارادة الابهام للتفخيم او التهويل
وان معلوما كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم في حق فرعون
وقومه تغيرت عن حالها التي كانت عليه وفي رواية ابن عايذ
تحولت ياقوتا وزبرجدا والظاهر ان المراد با مر الله وحيه
او تجليه لرسوله فاشرق لها نور الهي زهت به وحسنت حسنا
لا ينعت ونورا لا يمكن ان تقابله الابصار كما قال فما احد من
خلق الله يستطيع يقدران ينعتها من حسنها الذي طراعليها
اي يصفها باوصاف تحصل صورتها في الذهن لقصر العبارة
بكمال حسنها عن بيان ماهيتها وانما ثبت لكونها من اشجار
الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من اشجار

حي

عن انس

ابن...

الارض لاحترقت كما صار الجبل دكا وقد جا في حديث ابن مسعود
عند مسلم ايضا بيان سبب تسميتها بسدرة المنتهى ولفظه لما
اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتهي بي الى سدرة
المنتهى وهي في السما السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض
فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها
قال القرطبي وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله او من اعلمه
فكانه قيل سميت بذلك لانه اليها ينتهي الخ وهو معنى قول ابن
ابي جمرة لان اليها تنتهي الاعمال وينزل الامر بتلقي الاحكام
وعندها تقف الحفظة وغيرهم ولا يتعدونها فكانت منتهى
لان اليها ينتهي ما يصعد من اسفل وما ينزل من العالم
العلوي من امر العلى سبحانه وهذا كالشرح لحديث ابن مسعود وقال النووي
لان علم الملايكة ينتهي اليها وقال كعب لانه ينتهي اليها علم كل نبي
مرسل وكل ملك مقرب ولا يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تجاوزها بما لا يعلمه الا الله قال الحافظ وهذا لا يغاير حديث
ابن مسعود لكنه ثابت في الصحيح فهو اولى بالاعتماد واورده
النووي بصيغة التمريض فقال وحكي عن ابن مسعود الخ
فاشعر بضعفه عنده ولا سيما ولم يصرح بانه رفعه وهو صحيح
مرفوع انتهى واطنب القرطبي فعد تسعة اقوال لم سميت
بذلك وذكر ما في مسلم وقال اولان علم الانبيا ينتهي اليها
ويعزب علمها وراها قاله ابن عباس اولان الاعمال تنتهي اليها وتقبض
منها اولانتها الملايكة والانبيا اليها ووقوفهم عندها اولان
ارواح الشهدا تنتهي اليها قاله الربيع ابن انس او تاوي اليها
ارواح المومنين قاله قتادة اولانه ينتهي اليها كل من كان
على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهاجه قاله علي ابن ابي
طالب والربيع ابن انس ايضا ولان علم الخلايق ينتهي اليها لان
من رفع اليها فقد انتهى به الى الكرامة انتهى والظاهر ان هذه
الاقوال كلها يمكن دخولها في لفظ من او في جوامع الكلم
اذ ما يعرج من الارض شامل للاعمال وارواح الشهدا
والمومنين ومن كان على سنته ومن رفع اليها فهذه الخمسة
ظاهر شمول ما يعرج من الارض لها وباقيها يشمله بضرب
من المجاز ولا يعارض قوله في حديث ابن مسعود هذا انها
في السادسة ما دل عليه بقية الاخبار لحديث انس وهو
قول الاكثر انه وصل اليها في السما السابعة كما نعم في المفهم
فقال وهذا تعارض لا شك فيه ويترجح حديث انس
بانه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف لانه يحمل على

المذكور

انه اصلها في السماء السادسة واغصانها وفروعها في السابعة
وليس في السادسة منها الا اصل ساقها قال في فتح الباري
ودعوى القرطبي ان حديث ابن مسعود هو موقوف لانه لانه
صرح برفعه وجاء في حديث ابي ذر عند البخاري في اول
الصلاة فغشيها الوان لا ادري ما هي علاها ولابسها انواع واطلاقها عليها
حقيقي كما في القاموس لا ادري ما هي قال الكرماني هي كقوله
تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى في ان الابهام للتفخيم والتهويل
وان كان معلوما انتهى وفيه انه لا ابهام هنا وانما هو اخبار بنفي
درايته ولذا قال شيخنا الحافظ البابلي الاولى حمل النفي على حقيقته
لانه صلى الله عليه وسلم من شدة الخشية لم يقدر على النظر الى جميع
الوانها وقد قال تعالى ما زاغ البصر وما طغى وفي بقية حديث
ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله اذ يغشى السدرة ما يغشى
قال فراش بالفتح جمع فراشة الطير الذي يلقي نفسه في ضوء السراج
من ذهب فسر المبهم في ما يغشى بذلك وفي رواية يزيد بن ابي
مالك عن انس تفسير المبهم بقوله جراد من ذهب قال البيضاوي
في شرح المصابيح وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل اي انه
يسقط عليها اشيا تشبه الفراش وخصه بالذكر لانه يتهافت
في السراج فشبه ما ينزل عليها به في سرعة سقوطه لان من شان
الشجران يسقط عليها الجراد وشبهه كالفراش وجعلها من
ذهب لصفا لونها واضاتها في نفسها انتهى كلام البيضاوي قال
الحافظ ويجوز جعلها من الذهب حقيقة ويخلق فيه الطيران
والقدرة صالحة لذلك فما وهمه المتن ان جعلها حقيقة من
كلام البيضاوي وهم نشا عن سقط وانتقاله نظر حين نقل من
فتح الباري ويحتمل ان يكون قوله وجعلها من الذهب من المصنف
اختيارا لما جوزه الحافظ مبتدا حذف خبره اولى اي للعلم به
من قوله والقدرة صالحة فيكون عطف علة على معلول
وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي وابن عباس فغشيها
الملائكة وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي على كل ورقة
منها ملك قال بعضهم كانهم طيور يرتقون اليها متشوقين متبركين
بها زائرين كما يزور الناس الكعبة وفي حديث ابي هريرة عند
البزار والبيهقي فغشيها انوار الخلاق وغشيها من الملائكة امثال
الغربان حين يقعن على الشجر وفي رواية ثابت عن انس عند
مسلم فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت عن حالها الاول
فزادت حسنا لان الذي غشيها انوار الخلاق لان النبي صلى الله
عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار

لكن كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة
وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم عليهما وفي
رواية حميد عن انس عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت
ياقوتا ونحو ذلك وفي رواية ابن عائذ تحولت ياقوتا وزبرجدا قاله
الشامي ولا منافاة بين هذه الروايات لان كلا منها يغشاها
وقيل ابهمه تعظيما كانه قيل اذ يغشى السدرة ما الله اعلم به من
دلائل ملكوته وعجائب قدرته قال ابن دحية واختيرت
السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة اوصاف جمع وصف وهو
ما ذكر ما في الموصوف من اثار تقوم به والمراد هنا الصفات
التي هي نفس الاثار ظل مديد وطعم لذيذ لثمرها ورائحة
زكية فالظل بمنزلة العمل لتجاوزه والطعم بمنزلة النية والكمون
اي استتاره والرائحة بمنزلة القول لظهوره كذا قاله الماوردي
معللا لما ذكره وقال العارف ابن ابي جمرة وهل الشجرة مغروسة
في شي ام لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة لكليهما
فكما جعل الله تعالى في هذه الدار الارض مقرا للشجر كذلك
يجعل لها الهوا كذلك مقرا وجاء عن كعب الاحبار ما قد يعين هذا الاحتمال
حيث قال هي في اصل العرش على رؤوس حملة العرش واليها ينتهي
علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله وكما رجع
صلى الله عليه وسلم يمشي في الهوى ولان بالقدرة استقرت
الارض مع انها على الماء فلا مانع من ان تكون الشجرة على الما
في الهوا لان قدرة الله لا يعجزها شي ويحتمل ان تكون مغروسة بارض
وان تكون تلك الارض من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء وقد
استظهر ابن ابي جمرة نفسه هذا الاحتمال لقوله وتهران باطنان
ولا يطلق هذا اللفظ وما اشبهه الا على ما يفهم والباطن
لا بد ان يكون سريانه تحت شي وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن
انتهى لكنه مبني على المشاهد ولا يتم قياس الغائب عليه لعدم
الجامع وقد جاء عن كعب ما قد يعين الاول كما علم قال ابن المنير
وجه مناسبة المعراج الثامن الى سدرة المنتهى لما اشتملت عليه
السنة الثامنة من الهجرة انها اشتملت على فتح مكة ومكة هي
ام القرى واليها المنتهى ومنها المبتدا على ما ورد ان الارض
كلها دحيت من مكة فلذا سميت ام القرى ولان اهل القرى
يرجعون اليها في الدين والدنيا حجا واعتمارا وجوارا وكسبا
واتجارا قال الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس اي يقوم بابدانهم وادبانهم وقال تعالى ليشهدوا منافع
لهم قيل هي الاجر والتجارات في الموسم فبين ام القرى وسدرة

المنتهى من المناسبة ما لا يخفى اذ سدرة المنتهى ينتهى اليها
علم الخلايق ومكة ينتهى اليها اهل الافاق شرقا وغربا وفيها
يكون الاجتماع فكان بلوغه الى سدرة المنتهى تنبيها على بلوغه
الى فتح مكة ام القرى في العام الثامن وقد غشيها الجراد او الفراش
الذي هو جند من جند الله جا اللفظان معا في الحديث
كما غشي مكة في الفتح جند الله وحزبه وغشيها ايضا اجناس
من الخلق والوان من الاسود والاحمر كما غشي سدرة المنتهى
الوان لا يعلمها الا الله ولما غشيت الوان السدرة حسنت
الى ان لا يستطيع احد ان ينعتها لفرط الحسن كما ان الوان الخلق
لما غشيت مكة يوم الفتح حسنت حينيذ بالايمان وباهل القران
حتى لا يستطيع احد ان يصف حالها من عظم الشان ثم كان
ظهور الانهار الاربعة حينيذ دليلا على ان ملك الامة سيبلغها
ويحققه ايضا قوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها دل على انه عليه
الصلاة والسلام يكشف له راي العين علامة تدل على ما سيكون
في المستقبل ولم يكن ذلك مناما يعبر عنه ولكنه علم يظهر ويتفرس
فيه بنور النبوة ما سيفتح حتى تكون الصور في حقه عليه السلام
دالة دلالة الالفاظ على المعاني كذلك هذه الاشارات الواقعة
في حديث الاسرا انتهى واما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
السابق من رواية مالك بن صعصعة ثم اتيت باناء من خمر
واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فشربت منه
فقال جبريل هي الفطرة علامة الاسلام التي انت عليها وامتك
فيدل مع رعاية ما مر من احاديث عرضها عليه ببيت المقدس
على انه عرض عليه الانية مرتين والا فهو لا يدل بذاته الا على مرة
واحدة عند السدرة مرة ببيت المقدس وسببه ما وقع له من العطش
ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة السابقة
في قوله واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران وتقدم
ان جمعا من الحفاظ جمعوا بينهما بالتعدد اما لا للاحاديث لصحة
جميعها وان الحافظ ابدا احتمال ان ثم هنا على غير بابها من الترتيب
وانما هي بمعنى الواو واما الاختلاف في عدد الانية جمع اناء كوعاء
وزنا ومعنى ففي هذا الحديث قال انها ثلاثة وفي مسلم عن انس
والصحيحين عن ابي هريرة اناءين انا من خمر واناء من لبن وللبزار
عن ابي هريرة والبيهقي عن انس فعرض عليه الما والخمر واللبن
وما فيها كما رايت فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره
الاخر لنسيان او نقص في السماع او نحو ذلك ومجموعها اي الاواني

التي

التي اشتملت عليه الروايات المختلفة اربعة اوان كما علمت
جمع انا ايضا والاولى رسم اوان بلا يا كما في اكثر النسخ وهو الاكثر
ويجوز اثباتها كما في نسخة واما النطق فبلا يا اتفاقا وهذا بخلاف
ما عرف باك فالاكثر رسمه باليا كالقاضي فيها اربعة انهار من
الانهار الاربعة التي راها تخرج من اصل سدرة المنتهى
ووقع في حديث ابي هريرة عند الطبري محمد ابن جرير
ما في الانهار الاربعة فعنيه لما ذكر سدرة المنتهى يخرج
من اصلها اربعة انهار نهر من ما غير اسن بالمد والقصر كضارب
وحذر اي متغير طعمه وريحه بخلاف ما الدنيا فيتغير لعارض
ونهر من لبن لم يتغير طعمه بخلاف لبن الدنيا لخروجه من
الضرع يتغير اذا مكث ومن خمر لذة لذيذة للشاربين بخلاف
خمرة الدنيا كريهة عند الشرب ومن عسل مصفى بخلاف
عسل الدنيا لخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره
وهذا قد يفيد بيان المحال التي يجي بهذه الاواني منها كما
قال فلعله عرض عليه من كل نهر انا اكراما له وجا عن
كعب عند البيهقي وغيره ان نهر العسل في الجنة نهر النيل ونهر
اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الما نهر سيحان
فهي الان وان كانت كلها ما لكن اصولها التي خرجت منها وهي الجنة
مختلفة بالاربعة ولنهر النيل فضايل ولطايف افردها بالتاليف
غير واحد من الايمة ووقع في بعض الطرق انه صلى الله
عليه وسلم صلى بالانبيا في السموات فان ثبتت تكون صلاته بهم
متعددة ببيت المقدس وفي السما على قياس عرضها اولا في
لكن قدم المص عن ابن كثير ما حاصله ان هذا لم يصح والذي تظاهرت
به الروايات انه انما امهم ببيت المقدس واما قوله عليه السلام
وكان الاولى تقديمه على قوله ثم اتيت الخ لانه في الحديث
مقدم على قوله ثم رفع بضم الرا وكسر الفا لي البيت المعمور
فمعناه انه ادني البيت المعمور له مكانه لانه جي له به ويحتمل
ان يكون المراد الرفوع صوابه الرفع كما عبر به الشامي وهو
ما ذكره الجوهري واتباعه مصدر الرفع وزعم بعض انه مصدر
لرفع عدل اليه لئلا يتوهم انه احد علامات الاعراب ليس
بشي اذ لا يخطر ببال عاقل ذلك مع قوله البيت المعمور
ولا نعلم احدا ذكر الرفوع مصدر والرؤية معا لانه قد يكون
بينه وبين البيت عوالم بكسر اللام جمع عالم بفتحها قياسا
مطردا باتفاق حتى لا يقدر على ادراكه فرفع اليه وامد
في بصره وبصيرته حتى يراه زاد الشامي على هذا وقد يحتمل

ان تلك العوالم التي كانت بينه وبينه ازيلت حتى ادركه ببصره
وقد يحتمل ان العالم بقي على حاله والبيت على حاله وامد في بصره
وبصيرته حتى ادركه وعاينه والقدرة صالحة للكل انتهى ولم اعلم
حقيقة المراد من هذه الاحتمالات وقد قال صلى الله عليه وسلم
قد خلت البيت المعمور اخرجه البيهقي كما ياتي وليس هذا
كقوله رفع لي بيت المقدس لان قوله هذا لما سالوه بمكة عنه
عن اشيا لم يكن اثبتها قال فرفعه الله لي انظر اليه واما البيت المعمور
فقد اخبر انه رفع اليه بعد اخباره انه راي ابراهيم مسند ظهره
اليه فالمتبادر انه رفع ورويه معا وتايد بدخوله وصلاته فيه
كما ياتي وروى الطبري محمد بن جرير من حديث سعيد بن ابي
عروبة مهران السكري مولاهم البصري ثقة حافظ من رجال
الجميع من اثبت الناس في قتادة له تصانيف في قتادة بن دعامة
قال ذكر لنا الذاكر له ذلك الحسن البصري ففي رواية الحسن بن سفين
في مسنده عن قتادة حدثنا الحسن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد في السما السابعة كما في اكثر الروايات
وجا من وجه اخر عن انس مرفوعا انه في السما الرابعة وبه جزم
شيخنا في القاموس وقيل في السما السادسة وقيل هو تحت العرش
وقيل بناه ادم لما اهبط الي الارض ثم رفع زمن الطوفان وكان
هذا اشبهه من قال انه الكعبة جا ذلك عن الحسن ومحمد بن عباد
ابن جعفر والاول اكثر واشهر اي كونه غير الكعبة كذا ذكره
الحافظ في بدء الخلق وهو يعبر في قوله في الصلاة انه
في السابعة بلا خلاف وما ورد عن علي انه في السادسة وعن
غيره انه في سما الدنيا محمول على ما جا عن علي ايضا ان في كل
سما بيتا يحاذي الكعبة وكل منها معمور بالملايكة وقدمت عبارته
بحذا الكعبة لو خر لخر عليها وقوله يدخله سبعون الف ملك كل يوم
للعبادة اذا خرجوا منه لم يعودوا هذه الجملة ايضا في مسلم
من رواية ثابت عن انس ووقعت في بدء الخلق من البخاري
مدرجة في حديث مالك بن صعصعة كما مر وروي اسحق
ابن راهوية والطبري وغيرهما ان ابن الكوا سال عليا عن السقف
المرفوع قال السما وعن البيت المعمور قال بيت في السما السابعة
بحيال البيت حرمته في السما كحرمته في الارض يدخله كل يوم
سبعون الف ملك لا يعودون اليه ولابن مردويه عن ابن
عباس نحوه وزاد وهو على مثل البيت الحرام لو سقط لسقط عليه
ومن حديث عايشة نحوه باسناد صالح ومن حديث عبد الله ابن
عمرو نحوه باسناد ضعيف وهو عند الفاكهي في كتاب مكة

باسناد

باسناد صحيحة لكن موقوفا عليه وفي هذا دليل على عظيم
قدرة الله تعالى فانه لا يعجزها ممكن لان هذا البيت المعمور
فيصلي فيه كل يوم هذا العدد العظيم منذ خلق الله الخلق
الى الابد ثم طايفة هذا اليوم لا يرجع اليه ابدا الي يوم القيامة
كما في حديث ابي سعيد عند ابن اسحاق ومع ذلك الامر الدال على عظم
القدرة انه قد روي ما هو اعظم في الدلالة منه انه ليس في السما
ولا في الارض موضع شبر الا وملك واضع جبهته هناك ساجدا
روي البيهقي عن ابن مسعود قال في السموات سما فيها موضع الا
وعليها جبهة ملك او قدماه واخرج ابو الشيخ عن عايشة رفعته
ما في السما موضع قدم الا عليه ملك ساجدا او قايم وروي احمد
والترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابي ذر اطت السما
وحق لها ان تئط ما منها موضع اربعة اصابع الا وعليه ملك
واضع جبهته وروي ابن ابي حاتم والطبراني والضيا عن حكيم
ابن حزام اني لاسمع اطيط السما وما يلام ان تئط ما فيها موضع
قدم الا عليه ملك ساجدا او قايم وروي ابن منده عن العلا
ابن سعد ممن بايع يوم الفتح مرفوعا اطت السما وحق لها
ان تئط ليس منها موضع قدم الا وعليه ملك قايم او راكع او
ساجد ثم قرا وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ولم اقف
على مثل ذلك في الارض كما ذكر المم نعم روي ابن ابي حاتم
عن كعب قال ما من موضع خرم ابرة من الارض الا وملك موكل
بها يرفع علم ذلك الي الله وعلى المولف مغمز في حصره ذلك في
السجود مع ان الاحاديث كما تري ناصة على انه فيه وفي الركوع
والقيام هذا واورد الشهاب على هذه كيف مر صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج واجاب بان الملك رفع راسه حتي مر او حمله على يديه
كما في حديث حجاب الذهب ان الملك احتمله حتى وضعه بين
يديه وهذا على القول الصحيح ان الملايكة متحيزه بلا التحيز
اما على انها ارواح غير متحيزة ولا على جبر فلا سوال ثم البحار
ما من قطرة الا ولها ملك موكل فاذا كانت السموات والارض
والبحار هكذا مملوة بالملايكة فهولا الملايكة الذين
يدخلون اين يذهبون هذا من عظيم القدرة التي لا يشبهها
شي وفي هذا دليل على ان الملايكة اكثر المخلوقات وقد قال
صلى الله عليه وسلم ليس شي من خلق الله اكثر من الملايكة ما من
شي ينبت الا وملك موكل بها رواه ابو الشيخ وقال ابن عمر ليس شي اكثر
من الملايكة رواه البزار وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو
لانه اذا كان سبعون الف ملك كل يوم يصلون في البيت المعمور على

ربع

ما تقدم ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة مع ان الملايكة
في السموات والارض والبحار لزم ان يكون الملايكة اكثر من
جميع المخلوقات غير الملايكة فان المخلوقات باسرها في بعض
الارض واكثر الارض خال منها فحذف جواب الشرط لدلالة
السياق عليه وفي فتح الباري واستدل به على ان الملايكة اكثر
المخلوقات لانه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه
في كل يوم سبعون الفا غير الملايكة وفي حديث ابي هريرة
عند ابن مردويه وابن ابي حاتم والعقيلي عن النبي صلى الله
عليه وسلم في السما السابعة بيت يقال له البيت المعمور بحيال
الكعبة انه زايدة في المصباح لاسقاطه اول الحديث المذكور ولفظه
وفي السما الرابعة كما في نفس حديث ابي هريرة هذا نهرا
بالنصب اسم ان التي زادها والرواية بالرفع لانه ليس فيها ان
يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة
كما هو الرواية ثم يخرج فينتفض انتفاضة كما في الرواية فيخرج
اي ينفصل عنه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة
ملكا هم الذين يصلون فيه اي في البيت المعمور ولفظ الرواية
يؤمرون ان ياتوا البيت المعمور فيصلون فيفعلون ثم لا يعودون
اليه لفظ الرواية ثم يخرجون فلا يعودون اليه ابدا ويولى عليهم
احدهم ثم يؤمر ان يقف بهم في السما موقفا يسبحون الله فيه الى
ان تقوم الساعة واسناده ضعيف كما جزم به الحافظ في بدء
الخلق وزاد وروي ابن المنذر نحوه بدون ذكر النهر من طريق
صحيحة عن ابي هريرة لكن موقوفا انتهى لكن حكمه الرفع
اذ لا يقال رايا فاعتضد ضعف طريق رفعه ولذا قال
الشامي الصواب انه ليس بموضوع اي كما زعمه بعضهم وروي
ابو الشيخ عن الليث حدثني خالد بن سعد قال بلغني ان
اسرافيل مؤذن اهل السما فيؤذن لاثنتي عشرة ساعة من
النهار ولاثنتي عشرة ساعة من الليل لكل ساعة يسمع تاذينه
من في السموات السبع ومن في الارضين السبع الا الجن والانس
ثم يتقدم عظيم الملايكة فيصلي بهم قال وبلغنا ان ميكاييل
يؤم الملايكة بالبيت المعمور وروى الديلمي عن علي مرفوعا
مؤذن اهل السموات جبريل وامامهم ميكاييل يؤمهم عند
البيت المعمور فتجتمع ملايكة السموات فيطوفون بالبيت
المعمور وتصلي وتستغفر فيجعل الله ثوابهم واستغفارهم
وتسبيحهم لامة محمد صلى الله عليه وسلم فان صح فلعل اسرافيل
وجبريل يتناوبان الاذان او يؤذنان في ان واحد معا او واحد

بعد

بعد واحد وذكر الامام فخر الدين الرازي عند تفسير قوله
تعالى ويخلق ما لا تعلمون انه روي عن عطا ومقاتل والضحاك
عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل
السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع لعل المراد
سيحان وجيحان والنيل والفرات وسيحون وجيحون يدخل
فيه جبريل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا
الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى
من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل
منهم البيت المعمور سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى
ان تقوم الساعة وفي هذا مخالفة لما قبله من وجهين
احدهما في النهر الذي يدخله والثاني صريح الاول انه لا يخرج
منه غير سبعين الفا والثاني يخرج منه اكثر يدخل منهم
البيت سبعون الفا والجمع بينهما بجواز ان المراد بالسبعين
التكثير وان جبريل ينغمس في البحرين ومن يدخل البيت
المعمور بعضهم يخلق من القطرات الخارجة عنه عند انتفاضه
من بحر الحيوان وبعضهم مما ينفصل عنه حين خروجه من بحر
النور وقد روي ان ثم ملايكة يسبحون الله فيخلق الله
بكل تسبيحة ملكا واخرج ابو الشيخ عن ابي سعيد مرفوعا ان
في الجنة لنهرا ما يدخله جبريل من دخلة فيخرج فينتفض الا
خلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكا واخرج عن الاوزاعي
قال موسى يا رب من معك في السما قال ملايكتي قال وكم هم
يا رب قال اثنا عشر سبطا قال وكم عدد كل سبط قال عدد
التراب واخرج عن كعب لا تقطر عين ملك منهم الا كانت
ملكا يطير من خشية الله هذا ما عدا الملايكة التي للتعبد
ايه الذين خلقوا وامروا به دايما على صفة خاصة كركوع او سجود
او قيام قال صلى الله عليه وسلم ان لله ملايكة ترعد فرايصهم
من مخافته ما منهم من ملك تقطر من عينه دمعة الا وقعت
ملكا قايما يسبح وملايكة سجود منذ خلق الله السموات والارض
لم يرفعوا روسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وصفوفا لم
ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون عنها الى يوم القيامة
فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم عز وجل فنظروا اليه
وقالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك رواه البيهقي وابو
الشيخ وغيرهما وما عدا الملايكة الموكلين بالنبات قال
صلى الله عليه وسلم ليس من خلق الله اكثر من الملايكة ما من شي
ينبت الا وملك موكل بها رواه ابو الشيخ والارزاق قال صلى الله

والملح

عليه وسلم ان لله ملائكة موكلين بارزاق بني ادم قال لهم
ايما عبد وجدتموه جعل الهم هما واحدا فضمنوا رزقه السموات
والارض وبني ادم وايما عبد وجدتموه طلبه فان تحرى الصدق
فطيبوا له ويسروا وان تعدى ذلك تخلوا بينه وبين ما يريد
ثم لا ينال فوق الدرجة التي كتبتها له رواه الحكيم الترمذي
في النوادر **والحفظة** قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فقيل على كل انسان ملكان عن اليمين وعن الشمال وقيل اربعة
اثنان ليلا واثنان بالنهار وقيل بزيادة ملك خامس
لا يفارقه لا ليلا ولا نهارا وعن عثمن يا رسول الله كم ملك
مع العبد قال ملك عن يمينك على حسناتك وهو امين على
الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا فاذا عملت
سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين اكتبه قال لا
لعله يستغفر فاذا قال ثلاثا قال نعم اراحنا الله منه فبئس
القرين ما اقل مراقبته لله تعالى واقل استحياه من الله
يقول الله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وملكان
من بين يديك ومن خلفك يقول الله له معقبات من بين
يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وملك قابض على
ناصيتك فاذا تواضعت لله رفعك واذا تجبرت على الله
قصمك وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك الا الصلوة
على النبي وملك قايم على فيك لا تدع الحية ان تدخل في فيك
وملكان على عينيك فهولا عشرة يبدلون لان ملائكة الليل
سوى ملائكة النهار فهولا عشرون ملكا على كل ادمي اخرجه
ابن جرير وروى ابو داود في كتاب القدر والطبراني وغيرهما
مرفوعا وكل بالمومن ستون وثلاثماية ملك يدفعون عنه
ما لم يقدر عليه الحديث **والملك الموكل بتصوير ابن ادم** قال
صلى الله عليه وسلم اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة
بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها
وشعرها وعظامها الحديث رواه مسلم وفي رواية الطبراني ان
النطفة اذا استقرت في الرحم فمضى لها اربعون يوما جاءها ملك
الرحم فصور عظمه ولحمه ودمه وشعره وبشره وهذا غير
الملك الموكل بالجنين روى ابو الشيخ بسند جيد عن ابن
عباس قال وكل بالجنين ملك اذا نامت الام واضطجعت
رفع راسه لولا ذلك لغرق في الدم **والملائكة الذين ينزلون
في السحاب** يصرفونه حيث امروا به كما في حديث
مرفوع عند ابي الشيخ **والملائكة الذين يكتبون الناس**

يوم الجمعة روى احمد والشيخان عن ابي هريرة مرفوعا اذا
كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة
يكتبون الناس على قدر منازلهم الاول فالاول فاذا جلس
الامام طووا الصحف وجاوا يستمعون الذكر وروى احمد
وصححه الضياء عن ابي سعيد مرفوعا اذا كان يوم الجمعة قعدت
الملائكة على ابواب المسجد يكتبون من جا من الناس على قدر
منازلهم فرجل قدم جزورا ورجل قدم بقرة ورجل قدم شاة
ورجل قدم دجاجة ورجل قدم عصفورا ورجل قدم بيضة
فاذا اذن المومن وجلس الامام على المنبر طووا الصحف ود
ودخلوا المسجد يستمعون الذكر **وخزنة الجنة** رضوان واتباعه
وكذا خزنة النار مالك وجنده قال تعالى عليها تسعة عشر
قال القرطبي المراد بهم روساوهم واما جملة الخزنة فلا يعلم
عدتهم الا الله **والملائكة الذين يتعاقبون** روى الامام
مالك والبخاري ومسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة
بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم
يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم وهو اعلم كيف تركتم عبادي
فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون قال
ابن حبان في هذا دليل واضح ان ملائكة الليل انما تنزل
والناس في صلاة العصر وحينيذ تصعد ملائكة النهار
ضد قول من زعم ان ملائكة الليل تنزل بعد غروب الشمس
والذين يؤمنون على قراءة المصلي روى مالك والبخاري
وغيرهما عن ابي هريرة مرفوعا اذا قال الامام ولا الضالين
فقولوا امين فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم
من ذنبه وظاهر المهم هنا انهم غير الحفظة وبه قيل لرواية
فوافق قوله قول اهل السما وقيل هم الحفظة وبه قيل لرواية
فوافق وانهم اذا قالوها قالها من فوقهم حتى ينتهي الى اهل
السما قال بعض ولو قيل بانهم الحفظة وساير الملائكة لكان اقرب
وقال الحافظ الذهبي يظهر ان المراد بهم من يشهد تلك الصلاة من
الملائكة ممن في الارض او السما لحديث وقالت الملائكة في السماء
ولمسلم فوافق ذلك قول اهل السما **والذين يقولون ربنا ولك
الحمد** لحديث مالك والشيخين مرفوعا اذا قال الامام سمع الله
لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد فانه من وافق قوله قول
الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر **والذين يدعون
لمنتظر الصلاة** قال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلي على احدكم

ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث اللهم اغفر له اللهم
ارحمه رواه مالك واحمد والبخاري ومسلم زاد في رواية ولابي
داود والنسائي واحمد او يقوم بعد قوله يحدث **والذين يلعنون**
من هجرت فراش زوجها قال صلى الله عليه وسلم اذا باتت المراة
هاجرة فراش زوجها لعنتها الملايكة حتى تصبح رواه احمد
والشيخان قيل هم الحفظة او من وكل منهم بذلك او اعم ويرشد
اليه رواية في مسلم لعنتها الملايكة الذين في السما ان كان المراد
به سكانها وبسط القول في هذه الاحاديث يخرج عن المقصود
فان المراد منها الاستدلال على كثرة الملايكة مع ان المص لم
يستوف جزئيات ذلك كالملايكة الموكلين بالشمس والريح
والمطر وقبر المصطفى والمبلغين له السلام من امته وغير ذلك
مما يحتمل مولفها فلا ثم زاد في الاستدلال فقال **وزوي**
ان في السما الدنيا وهي من ما ودخان قال تعالى ثم استوى
الى السما وهي دخان زوي عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن
عمر قال لما اراد الله ان يخلق الاشيا اذ كان عرشه على الما ولا
ارض ولا سما خلق الريح فسلطها على الما حتى اضطربت
امواجه واثار ركامه فاخرج من الما دخانا وطينا وزبدا فامر
الدخان فعلا وسما ونما فخلق منه السما وخلق من الطين
الارضين ومن الزبد الجبال واخرج ابن المنذر وابن جرير
عن ابن مسعود وناس من الصحابة لما اراد الله ان يخلق
الخلق اخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما فسما عليه فسماه
سما وهذا اخو من قال من موج مكفوف اذ الموج بعد اضطراب
الما فهو مكفوف عن الاضطراب **ملايكة خلق من ما وريح**
عليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر
روى احمد والترمذي والنسائي وصححه والنسائي عن ابن
عباس اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
اخبرنا ما هذا الرعد قال ملك من ملايكة الله موكل
بالسحاب بيديه مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث
امر الله قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال صوته
قالوا صدقت يقولون اي الرعد وجنده سبحان ذي الملك
والملكوت وذي العظمة عن ابن عباس الرعد ملك يسوق السحاب
بالتسبيح كما يسوق الحادي الابل بحدايه ولا ينافي الحديث قبله
في سوقه بمخراق من نار لانه يفعله بيده ويسبح بلسانه حال
سوقه وعن جابر سيل صلى الله عليه وسلم عن منشا السحاب
فقال ان ملكا موكل بالسحاب يلم القاصية ويلحم الدانية في يده

قوله

بخراق

مخراق فاذا دفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت
وعن عمرو بن بجاد مرفوعا اسم السحاب عند الله العنان
والرعد ملك والبرق طرف ملك يقال له روفيل رواهما ابن
مردويه **وان في السما الثانية** وهي مرمرة بيضا كما عند ابن راهويه
وابي الشيخ والطبراني وغيرهما عن الربيع بن انس **ملايكة على**
الوان اي انواع **وصفات شتى** متفرقين فيما امروا به من
العبادة المختلفة **رافعين اصواتهم يقولون سبحان ذي**
العزة والجبروت وروي مما هو اقترانه فيه ملكا نصف جسده
الاسفل **من نار ونصف جسده** الاعلى **من ثلج فلا النار**
تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار وهو يقول يا من الف بين
الثلج والنار فلم يبغ احدهما على الاخر مع انهما ضدان **الف بين قلوب**
عبادك المومنين وفيه جواز اطلاق الاسما المبهمة على الله في مقام
الدعاء به صرح بعضهم ولا يرد ان كثيرا من الناس قلوبهم مختلفة
ودعا الملايكة مستجابة لان مختلفي القلوب بينهم ايتلاف في
الجملة يمنعهم من استيصال بعضهم بعضا واختلافهم انما هو
لاغراض دنيوية لا من جميع الوجوه او ان الاضافة في عبادك
للتخصيص بالكاملين الذين استحقوا ان يضافوا اليه نكتة
هذا الحديث اخرجه ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا لما
اسري بي مررت بخلق عجيب رايت ملكا نصف جسده
مما يلي راسه ثلج والاخر نار ويكون ما بينهما رتق فلا النار تذيب
الثلج ولا الثلج تذيب النار وهو قايم ينادي بصوت رفيع
جدا يقول سبحان ربي الذي كف برد هذا الثلج فلا يطفى
حر هذه النار سبحان ربي الذي كف حر هذه النار فلا تذيب
الثلج اللهم مولف بين الثلج والنار الف بين قلوب عبادك
المومنين فقلت من هذا يا اخي يا جبريل قال هذا ملك من
الملايكة وكله الله باكناف السموات واطراف الارضين وهو
من انصح الملايكة لاهل الارض من المومنين يدعو لهم بما تسمع
فهذا قوله منذ خلق وذكر حديثا طويلا فيها عجايب وهو
موضوع كما قاله ابن حبان وابن الجوزي والحافظ اللسان
والذهبي في الميزان **وان في الثالثة وهي من حديد ملايكة ذوي**
صفة الملايكة وفي نسخة ذوا على لغة من يلزم المثنى الالف
وفي اخرى ذو واخبر محذوف اي هم ذووا **اجنحة ووجوه**
شتى جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرقات في الصور **واصوات**
شتى رافعين حال وفي نسخة رافعوا بتقدير هم **اصواتهم بالتسبيح**
يقولون سبحانك اللهم انت الحي الذي لا يموت بفوقية مراعاة

للغفلات وتحتية مراعاة للفظ الجي وهم صفوف قيام كانهم بنيا
مرصوص ملزوق بعضه الي بعض ثابت لا يعرف احدهم لون
صاحبه من خشية الله لانه ما نظر واحد منهم الى وجه صاحبه
ولا ينظر اليه الى يوم القيامة كما في العظمة عن خالد بن معدان
وان في الرابعة وهي من نحاس ملايكة يضعفون يزيدون
على ملايكة الثالثة مثليهم فاكثر عند الخليل وقال الازهري
الضعف في كلام العرب المثل ثم استعمل فيه وما زاد بلا حد
وكذلك كل سما اكثر عددا من السما التي تحتها وان ملايكة
السما الرابعة قيام وركوع وسجود على الوان انواع شتى
متفرقات من العبادات يبعث الله الملك منهم الى امر
من اموره فلا يعرف المبعوث صاحبه الذي الى جنبه ليرجع
اليه فصاحبه بالنصب ويجوز رفعه على ان الباقي بجمله لا يعرف
هل انصرف الذاهب ام لا من شدة العبادة واشتغاله بها
وهم يقولون سبوح قدوس بضم اولهما منزه عن سوء وعيب
والاظهر انه خبر لقوله ربنا الرحمن الذي لا اله الا هو وان
في السما الخامسة وهي من فضة ملايكة يزيدون على ملايكة
الاربع سمواته وهم سجود وركوع لم يرفعوا ابصارهم الى
يوم القيامة فاذا كان وجد يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك
حق عبادتك اعتذارا واعترافا بالتقصير واظهارا لكمال
عظمته وانعامه بحيث لا يقدر احد على القيام بشكر ما يقابل
نعمة من نعمه وان في السما السادسة وهي من ذهب جند الله
وجند اسم جنس مفرد ولذا وصف بقوله الاعظم الكروبيون قال
الحليمي ملايكة العذاب من الكرب وفي القاموس الكروبيون
سادة الملايكة منهم جبريل وميكاييل واسرافيل وهم المقربون
من كرب اذا قرب وفي تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم سيل
ابن دحية هل يعرف لغة ام لا فقال الكروبيون بتخفيف
الرا سادة الملايكة وهم المقربون من كرب اذا قرب انشد
ابو علي البغدادي كروبية منهم ركع وسجد وقال الطيبي عن
بعضهم في هذه اللفظة ثلاث مبالغات احداها ان كرب
ابلغ من قرب حين وضع موضع كاد بقولك كربت الشمس ان تغرب
كما تقول كادت والثانية على انه على وزن فعول وهو للمبالغة
والثالثة زيادة اليا فيه وهي تزاد للمبالغة كاحمري ذكره في
الحبايك لا يحصى عدده الا الله تعالى عليهم ملك امير له
سبعون الف ملك جنده وكل ملك منهم جنوده سبعون الف
ملك وهم الذين يبعثهم الله في اموره الى الدنيا فيرفعوا

فينطلق الملك منهم ثم ينصرف و

اصواتهم بالتسبيح والتهليل واخرج ابن المنذر عن ابن عمرو يرفعه
الملايكة عشرة اجزا تسعة اجزا الكروبيون الذين يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وجزء قد وكلوا بخزانة كل شي وما في السما
موضع اهاب الا فيه ملك ساجدا وملك راكع وان في السما السابعة
وهي من ياقوتة حمرا من الملايكة ما اي ملايكة يزيدون على
ما تقدم وعليهم ملك مقدم على سبعماية الف ملك منهم
جنود مثل قطر السما وتراب الثرى في الكثرة والرمل والسهل
وعدد الحصى والورق وعدد كل شي خلق في السموات
والارض ويخلق الله تعالى في كل يوم ما يشا وما يعلم جنود
ربك الا هو وروي ابو الشيخ مرفوعا خلق الله السما الدنيا
فجعلها سقفا محفوظا وجعل فيها حرسا شديدا وشهبا
ساكنها من الملايكة اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع في
صورة البقر مثل عدد النجوم لا يفترون من التسبيح والتهليل
والتكبير واما السما الثانية فساكنها عدد القطر في صورة
العقبان لا يسامون ولا يفترون ولا ينامون منها ينشا
السحاب حتى يخرج من تحت الخافقين فينشر في جو السما
معه ملايكة يصرفونه حيث امروا به اصواتهم التسبيح
وشحهم تخويف واما السما الثالثة فساكنها عدد الرمل في صورة
الناس يحشرون الليل والنهار واما السما الرابعة فساكنها عدد
اوراق الشجر صافون مناكبهم في صورة الحور العين من بين
راكع وساجد تبرق وجوههم سبحانه ما بين السموات السبع
والارض السابعة واما الخامسة فان عددها يضعف على
عدد سائر الخلق على صورة البشر منهم الكرام البررة والعليا
السفرة واما السما السادسة فحزب الله الغالب وجنده الاعظم
في صورة الخيل المسومة واما السما السابعة ففيها الملايكة
المقربون الذين يرفعون الاعمال في بطون الصحف
ويحفظون الخيرات فوقها حملة العرش الكروبيون وروي
ان حملة العرش لكل منهم وجوه شتى واعين شتى في جسده
لا يشبه بعضها بعضا روى عبد الرزاق وابن المنذر وغيرهما
عن وهب قال حملة العرش لكل منهم اربعة وجوه واربعة
اجنحة جناحان على وجهه من ان ينظر الى العرش فيصعق
وجناحان يطير بهما واقدامهم في الثرى لكل واحد منهم وجه
ثور واسد وانسان ونسر ليس لهم كلام الا ان يقولوا قدوس
الله القوي ملأت عظمته السموات والارض وزاد ابو الشيخ
عن وهب ملك منهم في صورة انسان يشفع لبني ادم في ارزاقهم

وملك في صورة نسر يشفع للطير في ارزاقها وملك في صورة الاسد
يشفع للسباع في ارزاقها فلما حملوا العرش وقعوا على ركبهم
من عظمة الله فلقنوا لا حول ولا قوة الا بالله فاستووا على
ارجلهم قياما وروى عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن
عباس قال لحملة العرش قرون لها كعوب ككعوب القنا ما بين
اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام وبين اربته الى ترقوته
مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط خمسمائة
عام رافعة اصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يفترون
لو ارسل الملك منهم جناحه لطبق بشد الباغطي الدنيا بريشه
من جناحه لا يعلم عددهم الا الله وروى ابن المنذر وابو الشيخ
والبيهقي في الشعب عن هارون بن رباب قال حملة العرش
ثمانية روسهم عند العرش في السماء السابعة واقدامهم في الارض
السفلى ولهم قرون كقرون الوعلة ما بين اصل قرن احدهم
الى منتهاه مسيرة خمسمائة عام يتجاوبون بصوت حسن رخيم
اي سهل يقول اربعة منهم سبحانك اللهم وبحمدك على
حلمك بعد علمك ويقول اربعة سبحانك وبحمدك على
عفوك بعد قدرتك وهذا ظاهر ان المشمولية في الدنيا ولكن
روى ابن جرير عن ابن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحمله
اليوم اربعة ويوم القيامة ثمانية وروى ابو الشيخ عن وهب
حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدوا
باربعة اخر وروى ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن
ابن عباس في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله والاصل
الحقيقة لانه تمثيل لعظمته تعالى بالمشاهد من احوال السلاطين
يوم خروجهم للقضاء العام بين الناس وحكى الضحاك في الاية
قولين ثمانية املاك وثمانية صفوف وقد روى الطبراني
والبيهقي وابو الشيخ من حديث ابن عباس قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل بناحية اذ انشق افق السماء
فاقبل جبريل يتضاءل ويدخل بعضه في بعض ويدنو من
الارض فاذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويخيرك بين ان تكون
نبيا ملكا او نبيا عبدا قال صلى الله عليه وسلم فاشار جبريل
الي بيده ان تواضع فعرفت انه لي ناصح فقلت نبيا عبدا فعرج
ذلك الملك الى السماء فقلت يا جبريل قد كنت اردت ان اسالك
عن هذا فرايت من حالك ما شغلني عن المسئلة فمن هذا

ياجبريل

يا جبريل قال هذا اسرافيل خلقه الله يوم خلقه صافا قدميه
لا يرفع طرفه بينه وبين الرب سبعون نورا ما منها نور يدنو
منه الا احترق بين يديه اللوح المحفوظ فاذا اذن الله
في شيء من السماء او في الارض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته
فينظر فيه فان كان من عملي امرني به وان كان من عمل ميكائيل
امره به وان كان من عمل ملك الموت امره به قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لجبريل على اي شيء انت اي انت موكل على اي
شيء تقوم به وتدبره قال على الرياح والجنود قال وعلى اي
شيء ميكائيل قال على النبات والقطر اي انهما راسا الموكلين
بذلك قال وعلى اي شيء ملك الموت قال على قبض الارواح
وفي لفظ الانفس اي وله اعوان قال تعالى توفته رسلنا
الحديث بقيته وما ظننت انه هبط الا بقيام الساعة وما
ذاك الذي رايت مني الا خوفا من قيام الساعة وفي اسناده
محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى الانصاري الكوفي القاضي ابو
عبد الرحمن مات سنة ثمان واربعين ومائة وقد ضعف لسوء
حفظه جدا ولم يترك بل روى له اصحاب السنن الاربعة
لانه صدوق وروى الترمذي باسناد صحيح والحاكم وصححه
من حديث ابي سعيد مرفوعا ان لي وزيرين من اهل السماء
ووزيرين من اهل الارض فوزيراي من اهل السماء جبريل وميكائيل
ووزيراي من اهل الارض ابو بكر وعمر هذا تمامه المشار له
بقوله الحديث واخرجه الحكيم الترمذي من حديث ابن
عباس واخرج البزار والطبراني وابو نعيم عن ابن عباس م
رفعه ان الله ايدني باربعة وزراء اثنين من اهل السماء جبريل
وميكائيل واثنين من اهل الارض ابي بكر وعمر قال القرطبي
وفيه دلالة ان المصطفى افضل من جبريل وميكائيل والوزير
من الوزر وهو الثقل فانه يتحمل عن الملك اوزاره قال
تعالى حكاية عن موسى واجعل لي وزيرا من اهلي وروى ابو
يعلى وابن عساكر عن ابي ذر مرفوعا ان لكل نبي وزيرين
ووزيراي وصاحباي ابو بكر وعمر وروى النقاش ان
اسرافيل اول من سجد لادم من الملائكة حين امروا بالسجود
وانه جوزي على ذلك بولاية اللوح المحفوظ بان جعل
مطلق عليه ومتصرفا فيه بتفضل ما فيه للملائكة كما في
حديث ابن عباس المتقدم قريبا وروى ابو الشيخ عن عائشة
رفعته لاسرافيل اربعة اجنحة منها جناحان احدهما
بالمشرق والاخر بالمغرب واللوح بين عينيه فاذا اراد الله ان

يكتب الوحي بنقر بين جبهته وروى ابو الشيخ وابن ابي حاتم
عن ضمرة قال بلغني ان اول من سجد لادم اسرافيل فاثابه
الله ان كتب القران في جبهته ولامنا فاه فكلاهما جوزي
به وفي كتاب العظمة لابي الشيخ عبد الله بن حبان بفتح
المهملة والتحتية الثقيلة الحافظ المشهور من ذلك اي مايدل
على كثرة الملائكة جدا العجب العجاب وعندي منه الجزء
الثاني وقد وقعت في رواية البخاري هنا اي في ذكر السموات
زيادات لا بقيد كونها بعد السدرة ورؤية الانهار لان رؤيته
لابراهيم كان قبل ذلك فمنها اي الزيادات ما وقع في رواية
ابي سعيد الخدري عند البيهقي في دلايله والبزار وابي يعلى
وابن جرير وابن ابي حاتم ثم صعدت الى السما السابعة
فاذا ابراهيم الخليل ساند برفعه خبر مبتدا محذوف ظهره
الى البيت المعمور كاحسن الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت
عليه وسلم علي اي رد السلام علي سماه سلاما لاشتماله عليه معنى
واذا انا بامتي منقسمة او اراه شطرين فنصب بعد روالا
فالظاهر شطران خبرا امتي زيدت فيه البا والشطر لغة
النصف وقد يستعمل في البعض قل او كثر وهو المراد هنا
فلا يلزم استوا القسمين عددا شطر عليهم ثياب بيض كانهم
القراطيس جمع قرطاس ما يكتب فيه وكسر القاف اشهر من
ضمها والقرطس وزان جعفر لغة فيه وشطر عليهم ثياب
رمده اي لونها كلون الرماد لكن الذي في دلايل البيهقي
رمد بلا ها قال في الكهاية اي غبر فيها كدورة كلون الرماد
واحدها ارمد قال فدخلت البيت المعمور نقل في النور
ان السلطان برقوق سال عن البيت المعمور من اي شي هو
فاجاب بعض الحاضرين بانه من عقيق ونقله عن بعض
التفاسير ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب
الاخرون اي منعوا من الدخول الذين عليهم الثياب الرمده
وهم على خير كما في رواية البيهقي وغيره اي لانهم لما تاب الله
عليهم صارت سياتهم مغفورة فبقيت اعمالهم التي يجازون
عليها كلها حسنة فصليت انا ومن في البيت المعمور اماما
على الظاهر وفي رواية الطبراني فاذا هو برجل اشمط
اي ابيض شعر الراس يخالط سواده كما في القاموس وفي
المغرب الشمط في الرجل شيب اللحية واطلق ابن الاثير
فقال الشمط الشيب جالس عند باب الجنة على كرسي
وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس

وقوم

وقوم في الوانهم شي اي غبرة كما في الحديث قبله فدخلوا نهرا فاغتسلوا
فيه فخرجوا وقد خلص بفتحات من الوانهم شي اي صفا بعض
الصفا ثم دخلوا نهرا اخر فاغتسلوا فيه هكذا في النسخ
الصحيحة ذكر ثلاثة انهار موافقة للرواية بخلاف ما في نسخ
سقيمة من الاقتصار على نهرين فانه خطا نشا عن سقط ويدل
عليه بقية الحديث فخرجت وقد خلصت الوانهم وصارت
مثل الوان البيض الوجوه فجاوا فجلسوا الى اصحابهم كما في الرواية
فقال يا جبريل من هذا لفظ الرواية من هولا البيض
الذين في الوانهم شي وما هذه الانهار التي دخلوا فيها فجاوا
وقد صفت الوانهم قال جبريل هذا ابوك ابراهيم اول من شمط
بكسر الميم كفرح على الارض واما هولا البيض الوجوه فقوم
لم يلبسوا يخلطوا ايمانهم بظلم اي شرك كما فسره به النبي صلى
الله عليه وسلم في الصحيحين اولئك لهم الامن منا العذاب وهم
مهتدون وتوقف بعض في تفسيره هنا بالشرك لمقابلته بقوله
واما هولا النفر الذين في الوانهم شي فقوم خلطوا عملا صالحا
وهو جهادهم او اعترافهم بذنوبهم او غير ذلك واخر سيا ولا
ونقوا اصلا فالمراد بالعمل الصالح السيي ما يشمل ادعا الشريك
لله تعالى وقوله فتابوا منه بمعنى اسلموا فتاب الله عليهم
واما البيض الوجوه فما خلطوه بشرك اصلا فلذا ميزوا عليهم
وان سبقت لمن لم يشرك معصية وتاب منها واما الانهار
فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم
شرابا طهورا مبالغة في طهارته ونظافته وظاهره ان الجملة
اسم للنهر وليس مرادا وانما المراد ان الثالث هو النهر الذي
يقال للذين يشربون منه سقاهم الخ وعليه فاسم النهر الشراب
الطهور وفي رواية البخاري في الصلاة عن ابن عباس وابي
حبة الانصاري قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم عرج بفتحات
او ضم الاول وكسر الثالث بي حتى ظهرت اي ارتفعت لمستوي
بفتح الواو منون اي موضع مشرف يستوي عليه اي يصعد ل
المم وفي بعض الاصول بمستوي بموحدة بدل اللام اسمع فيه
صريف الاقلام قال القرطبي لعلها المعبر عنها بالقلم المقسم
به في نون والقلم ويكون القلم للجنس الحديث والمستوى المصعد
وقيل المكان المستوي وعليهما فالبا ظرفية وعلى رواية اللام
قال التوربشتي اللام للعلة اي ارتفعت لاستعلا مستوي او
لرؤيته او لمطالعته ويحتمل ان يكون متعلقا بالمصدر اي
ظهرت ظهور المستوى ويحتمل ان تكون بمعنى الى قال تعالى

الوجوه

اوحي لها اي اليها والمعنى اني اتممت مظنا ما بلغت فيه من رفعة
المحل الى حيث اطلعت على الكوائن وظهر لي ما يراد من امور الله
وتدبيره في خلقه وهذا هو المنتهى الذي لا تقدم فيه لاحد عليه
وقال الطيبي لام الغرض والى الغائية يلتقيان في المعنى قال
في الكشاف في قوله تعالى كل يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل
مسمى اهو من تعاقب من الحرفين قلت كلا ولن يسلك هذه
الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني
الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قوله
الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقوله لاجل مسمى يريد يجري
لادراك اجل مسمى انتهى فالحاصل ان اللام والى وان كان معناهما
اعني الادراك والانتهاء ملائما لصحة الغرض فليسا متعاقبين
فمعنى ظهرت الى مستوى بلغته وانتهيت اليه اي لو روي بذلك
ومعنى لمستوى الذي الرواية به ادركت مستوى وجعل البيضاوي
اللام صالحة للعلة والغاية **وصريف الاقلام هو بفتح الصاد**
المهملة وكسر الراء واخره فاء وفي النور عن بعضهم صرير اخره عوض
الفاء هو الاشهر في اللغة **تصويتها حالة الكتابة والمراد** كما
قال عياض والنووي **ما تكتبه الملائكة من اقضية**
الله تعالى ووحيه وما ينسخون من اللوح المحفوظ او ما شاء الله
من ذلك ان يكتب ويرفع لما اراده من امره وتدبيره وفيه حجة
لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب
الله من اللوح المحفوظ بالاقلام التي يعلم كيفيتها على
ما جاءت به الايات والاحاديث الصحيحة وان ما جاء من ذلك
على ظاهره لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه لا يعلمه الا الله
ومن اطلعه على شيء منه من ملائكته ورسله وما يتأول هذا
ويحيله الا ضعيف النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة
ودليل العقول لا يحيله والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
حكمة من الله واظهارا لما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته
وسائر خلقه والا فهو غني عن الكتب والاستذكار انتهى **والقدر**
المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة فلا يتوهم ان القدر
الذي تكتبه الملائكة حادث انما الحادث الكتابة ونفس
القدر لا يكتب فيؤول بما تعلق به القدرة امضاه والمتعلق
حادث كالكتابة **وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ**
من كتابة وجف القلم كناية عن فراغ الكتابة وانتهائها
عبر به على عادة الكتاب انهم اذا فرغوا الكتابة نظفوا اقلامهم
فتجف بالذات لان المداد كان عليها **بما فيه قبل خلق السموات والارض**

وانما

وانما هذه الكتابة في صحف الملائكة كالفروع المنتسخة
من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر في الاثر
ذكره ابن دحية وتبعه ابن المنير وزاد واصل هذا
الذي انتسخ منه اللوح المحفوظ هو علم الغيب القديم في ازل القدم
وهو الذي لا محو فيه ولا اثبات حيث لا لوح ولا قلم والحكمة
البالغة والله اعلم في سماعه لصريف الاقلام حصول الطمأنينة
بجفاف القلم بما في القدر حتى يتمكن التفويض للقدر لا للسبب
وحتى يتعاطى السبب تعبدا لا تعويلا وبذلك يتم التوكل ويكن
الاضطراب عند اختلاف الاسباب قال والمناسبة بين هذا
المعراج التاسع والعام التاسع من الهجرة انه كان فيه غزوة
تبوك خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام في العدد
الذي لم يتم قبله مثله كان العدد ثلاثين الفا والشقة بعيدة
ولهذا لم يور فيها بل اعلم الناس بوجههم ليكونوا تاهبهم بحسب
ذلك ومع هذا الاجتهاد وفي الاستعداد لم يلق صلى الله عليه
وسلم فيها حربا ولا افتتح فيها بلدا لان اجل فتح الشام لم يكن حل
بعد فانتسخ العزم بالقدر وبجفاف القلم ورجع صلى الله عليه وسلم
الى المدينة وعلى المسلمين الوقار والسكينة من غير اضطراب عند
انصراف العزيمة **وذكر ابن القيم ان الاقلام اثنا عشر قلما**
وانها متفاوتة في الرتب جمع رتبة المنزلة **فاعلاها واجلها**
قدرا قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلق
يعني القدر وهو عبارة عن تعلق علم الله وارادته
ازلا بالكائنات قبل وجودها وهو سبحانه ازلي لا يتقيد
وجوده بزمان فلذا لا اول له وقال النووي قال العلماء المراد
تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ او غيره لا اصل
التقدير لانه ازلي لا اول له **لحديث عبادة بن الصامت**
الخزرجي النقيب البدري من فضلاء الصحابة **قال سمعت**
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما اي شيء **خلق**
الله القلم بالرفع على الخبرية والاولية نسبية اي بعد العرش
لان الجمهور وهو الاصح ان العرش خلق قبل القلم قال ابن
السيد الوجه رفع القلم وما علم احد رواه بالنصب وهو خطأ
لان القلم اول مخلوق كما دلت عليه الاحاديث فان صحت
رواية بنصبه خرجت على لغة نصب ان الجزئين لا على انه
مفعول خلق لفساده في المعنى والاعراب انتهى وظاهر
الاحاديث انه قلم حقيقي من نور لحديث ابن عباس قلم من نور
وعن مجاهد انه من اليراع القصب فان صح فلعل بجسمه من

نور علي صفة اليراع وطوله خمسمائة عام رواه ابو الشيخ عن
ابن عمرو وعنده ايضا بسند واه وعرضه كذلك وانه مشقوقة
ينبع منه المداد وفي خبر مرسل انه من لولو طوله سبعمائة
عام ولا معارضة فالاقل لا ينفي الاكثر وكونه لولوا على
التشبيه لشدة بياضه اذ هو نور واغرب شيخ الاسلام السراج
البلقيني فيما حكاه عنه ولده في ترجمته فقال القلم ملك من
الملايكة لانه من نور والملايكة مخلوقة من النور وانه
عاقل قايم بكل ما يومر به قال له اكتب قال القلم بان خلق
الله له قوة النطق والادراك كما خلقها في الاعضا واحد
وغير ذلك ويجوز غير هذا وهو خروج عن الظاهر بلا دليل
يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شي زاد في رواية الترمذي
ما كان وما هو كاين الى الابد اي ما كان قبل القلم لان اوليته
نسبية فلا يرد تصريحه انه اول مخلوق وما هو كاين الى انقضا
هذا العالم كما قال الى الابد وكقوله حتى تقوم الساعة
وكذا ما بعدها مما يمكنه تناهيه لا نعيم الاخرة وعذابها
اذ لا نهاية له فلا يدخل تحت الكتابة وبقية حديث ابي داود
من مات على غير هذا فليس مني فهذا القلم اول الاقلام
واجلها وقد قال غير واحد من اهل التفسير انه
القلم الذي اقسم الله به في قوله ن والقلم انه الذي خط
في اللوح وقيل المراد الذي يكتب به واقسم به لكثرة فوايده
الحاصلة بالكتابة والقلم الثاني قلم الوحي والثالث
قلم التوقيع اي الذي يكتب به ما يقع صادرا عن الله ورسوله
والتوقيع ما يوقع في الكتاب كما في القاموس والرابع قلم
طب الابدان الذي يحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع
عن الملوك ونوابهم وبه تساس الممالك اي يدبر امرها
والسادس قلم الحساب وهو الذي يضبط به الاموال
مستخرجها ومصروفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق
والسابع قلم الحكم الذي تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا
والثامن قلم الشهادة الذي تحفظ به الحقوق والتاسع
قلم التعبير تفسير الرويا وهو كاتب وحي المنام وتفسيره
وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم ووقايعه والحادي
عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثاني عشر القلم الجامع
وهو قلم الرد على المبطلين ودفع شبه المحرفين فهذه
الاقلام بها انتظام مصالح العالم قال ويكفي في كتابة
القلم انه لم يكتب كتب الله الا به وانه تعالى اقسم به في كتابه

في احد القولين كما مر انتهى ملخصا من كتاب اقسام القران لابن
القيم رحمه الله وقد وقع في رواية ابي ذر عند مسلم في الايمان
وغيره كالبخاري في احاديث الانبيا والترمذي في التفسير والنساي
في الصلاة من الزيادة ايضا ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ
اللولو واذا ترابها المسك حقيقة وقول المصنف اي تراب الجنة كرايحة
المسك تعقب بانه لا ضرورة الي هذا التاويل وقد تظاهرت الاحاديث
علي ان ترابها المسك وفي حديث ابي ابن كعب عند ابن مردويه فقال
يا جبريل انهم يسالوني عن الجنة فقال اخبرهم انها قيعان وان
ترابها المسك الحديث والجنابذ بالجيم ثم بالنون المفتوحتين ثم الف
ثم موحدة ثم ذال معجمة هي القباب وفي الفتح شبه القباب واحدها
جنبذة بالضم وهو ما ارتفع من البنا فارسي معرب واصله
بلسانهم كنبده بوزنه لكن الموحدة مفتوحة والكاف ليست خالصة
وفي القاموس الجنبذة وقد تفتح البا او هو لحن كالقبة ويويده
اي تفسيره بالقباب ما في التفسير لسورة الكوثر من البخاري من
طريق قتادة عن انس لما اعرج به اي بالنبي كما هو لفظه صلي
الله عليه وسلم قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللولو مجوف
فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر وللترمذي حافتاه
فيهما مثل القباب واما ما في كتاب الصلاة من البخاري
من حديث ابي ذر ثم ادخلت الجنة فاذا فيها حبايل اللولو بالمهملة
والموحدة واخره لام كذا لجميع الرواة في الصلاة فقال القاضي
عياض وغيره من الايمة هو تصحيف وانما هو جنابذ كما عند
البخاري في احاديث الانبيا وكذا عند غيره من الايمة ووقع في نسخة
معتمدة من رواية ابي ذر في الصلاة جنابذ على الصواب
قال الحافظ واظنه من اصلاح بعض الرواة وقال صاحب المطالع
الحبايل القلادة والعقود وهي من حبال الرمل فيها لولو مثل حبال
الرمل جمع حبل وهو ما استطال من الرمل وتعقب بان الحبايل
لا تكون الا جمع حبالة او حبيلة بوزن عظيمة وقال بعض من
اعتني بالبخاري الحبايل جمع حبالة وحبالة جمع حبل على غير
قياس والمراد ان فيها عقودا او قلايد من اللولو انتهى ووجد
الامام احمد والترمذي من رواية حذيفة فتحت لهما اي للمصطفي
وجبريل ابواب السما قال صلى الله عليه وسلم فرايت الجنة والنار
ووعد الاخرة اجمع وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي وابن جرير
وابن ابي حاتم انه صلى الله عليه وسلم عرضت عليه الجنة وان رمانها
كانه الدلا بكسر الدال والمد جمع دلو وفي رواية للبيهقي وغيره ايضا
واذا فيها رمان كانه جلود الابل المقتبة اي التي باقتابها واذا طيرها

كانه البخت نوع من الابل الواحد بختي مثل روم ورومي ثم يجمع علي البخاتي ويخفف ويثقل كما في المصباح وفي رواية للبيهقي وغيره واذا بطيرها كالبخاتي فقال ابو بكر يا رسول الله ان تلك الطير لناعمة قال اكلتها انعم منها واني لارجوا ان تاكل منها وفي عرضها عليه كرامة عظيمة لانه كان يعرضها على امته ليشتروها كما قال ان الله اشترى الاية فاراد ان يعاين نبيه ما يعرضه على امته ليكون وصفه لها عن مشاهدة ولانه كان يدعوا اليها فاراها له ليعلم انها تسع الخلايق كلهم ولا تمتلى حتى ينشى الله لها خلقا كما في الحديث وليعلم حسنة الدنيا في جنبها فيكون فيها ازهد وعلى الشدايد اصبر وليلا يكون لاحد كرامة الا وله مثلها وكان لا ادريس كرامة دخول الجنة قبل القيمة فاراد تعالى ان يكون ذلك لصفيه وحبيبه ايضا قاله ابن دحية ملخصا وانه عرضت عليه النار فاذا هي لو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها وفي مسلم عن ابن عباس وابن مردويه عن عمرو واري مالكا خازن النار فاذا رجل عابس يعرف الغضب في وجهه وفي حديث ابي هريرة في مسلم والنسائي فبدا النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام ووقع عند مسلم وكذا عند البخاري في الرقايق والترمذي من طريق همام بن منبه بن كامل الصنعاني اخو وهب ثقة روي له الجميع مات سنة اثنين وثلاثين ومائة على الصحيح عن قتادة بن دعامة ابن قتادة السدوسي البصري ثقة ثبت روي له الجميع يقال ولد اكمه سنة بضع عشرة ومائة عن انس رفعه بينما بالميم انا اسير في الجنة اذا انا بنهر وذلك ليلة المعراج كما في رواية البخاري السابقة قريبا عن انس لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم قال اتيت على نهر حافتاه بحا مهملة وخفة الفا جانباه لانه ليس مستطيلا يجري فيه الما حتى يكون له حافتان بل سايل على وجه ارض الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم لعلكم تظنون ان انهار الجنة اخدود في الارض لا والله انها لسايحة على وجه الارض رواه ابو نعيم وصححه الضيا عن انس والاخدود شق مستطيل في الارض قباب الدر المجوف واذا طينه بالنون وشك هدبة بن خالد شيخ البخاري هل هو بالنون او الموحدة ولم يشك فيه ابو الوليد شيخ البخاري ايضا فقاله بالنون وهو المعتمد وفي رواية البيهقي بلفظ ترابه مسك اذفر بذال معجمة فقال ذفر الشي بالكسر ذفرا بفتحتين اشتدت رايحته طيبة كانت او كريهة واما بدال مهملة فالريح المنتنة فقال جبريل هذا الكوثر ولمسلم ايضا من طريق ثابت

عن

عن قتادة عن انس لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وفي رواية ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود مشهور بكنيته والاشهر انه لا اسم له غيرها ويقال اسمه عامر كوفي ثقة والراجح انه لا يصح سماعه من ابيه مات بعد سنة ثمانين عن ابيه ان ابراهيم عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بني نصغير تحبب انك لاق ربك الليلة يحتمل ان يكون ابراهيم علم بذلك في حياته ويحتمل غير ذلك وان امتك اخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك كلها بدليل قوله او جلها بضم الجيم اي معظمها وكان معناه انه لم تستطع كلها فافعل ودعى له بالبركة وهذا الحديث ساقه الشامي في القصة قبل دخوله بيت المقدس فقال ومر على شجرة تحتها شيخ وعياله فراي مصابيح وضوا فقال من هذا يا جبريل قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فرد عليه السلام وقال من هذا معك يا جبريل قال هذا ابنك احمد فقال مرحبا بالنبي العربي الامي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لامته يا بني انك لاق فذكره ثم قال ثم سار حتى اتي المدينة يعني مدينة القدس فما وهمه سياق المصنف ان ابراهيم وصاه بذلك لما اجتمع به في السما السابعة ليس بمراد وفي حديث ابي سعيد الخدري عند البيهقي ثم صعد جبريل بي الي السما السابعة قال ثم رفعت لي بضم الرا مبني للمفعول وتانيثه سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تغطي لفظ رواية البيهقي وغيره عن ابي سعيد تكاد تغطي هذه الامة نعم في حديث ابي هريرة عند البزار والبيهقي وغيرهما الورقة منها مغطية للامة كلها وفي لفظ الطبري الورقة منها تظل الخلق واذا فيها اي في اصلها كما مر عين تجري يقال لها السلسبيل فيشق منها نهران احدهما الكوثر والاخر يقال له الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر المراد تشريفه بهذا الامر اي لو كان له ذنوب لغفرت ولم يكن له ذنب البتة قاله التقي السبكي تبعا لابن عطية ونحوه قول عياض عن بعضهم المغفرة هنا تبرئة من العيوب وقال بعض المحققين المغفرة هنا كناية عن العصمة اي فعصمت فيما تقدم من عمري وفيما تاخر منه عن الذنوب وهذا قول في غاية الحسن وسيكون لنا ان شا الله تعالى عودة الى بسط ذلك حيث تكلم فيه المصنف ثم رفعت الي الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لها لمن انت قالت لزيد بن حارثة الكلبي مولي المصطفي وحبه اي اسامة البدري المختص بان الله لم يصرح في كتابه باسم احد سواه من الصحابة وفيه اي حديث

ابي سعيد واذا رمانها كالدلا عظم بكسر ففتح وفي رواية كانه جلود
الابل المقتبة ولامنا فان الجوا ذا انه راي فيها ما يشبه بكل منها فاخبر
بكل مرة ويحتمل غير ذلك ثم عرضت علي بالبنا للمجهول ونايبه النار
فاذا فيها غضب الله وزجره عذابه ونقمه جمع نقمة لو طرحت
فيها الحجارة والحديد لاكلتها من شدة توقدها وفي حديث شداد
ابن اوس فاذا جهنم يكشف عن مثل الزرابي ووجدتها مثل الحمة
السخنة وزاد فيه انه راها في وادي ببيت المقدس كذا في فتح الباري
فيحتمل انها لما عرضت عليه وهو في السما راها في وادي بيت
المقدس اي من جهته بان قوى الله بصره حتى راها او ورد الشامي
الحديث في القصة قبل دخوله بيت المقدس ثم قال الزرابي بزاي فرا
كما رايته بخط جماعة منهم الذهبي في تاريخ الاسلام والهيثمي في مجمع
الزوايد والشيخ يعني السيوطي في تفسيره جمع زربية بتثليث
الزاي وهي الطنفسة بكسر الطا والفا وبضمهما وبكسر الطا وضم
الفا وهي البساط الذي له خمل رقيق ورايته بخط بعض المحدثين
الروابي برا فواو واظنه تصحيفا وان كان قريب المعنى والحمة بحا
مضمومة فميم والسخنة بضم السين المهملة وسكون الخا المعجمة
اي حادة ثم اغلقت دوني حتى لا يحصل له نوع ضجر قال
ابن دحية انما عرضت عليه النار ليكون امنا يوم القيامة فيفرغ
الى الشفاعة ولو لم يومن لكان مشغولا بنفسه كغيره من الانبيا
لانهم لم يروا قبل يوم القيامة شيا منها فاذا راوها جزعوا وكفت
السنتهم عن الخطبة والشفاعة من هولها وقال كل منهم نفسي
نفسي وهو صلى الله عليه وسلم قد راها قبل فلا يفزع منها مثل
ما فزعوا فيقدر على الخطبة وهو المقام المحمود ولان الكفار
لما كذبوا واستهزوا به واذوه اشد الاذى اراه الله تعالى النار
المعدة لهم تطييبا لقلبه وتسكينا لفواده وللاشارة الى ان
من طيب قلبه باهانة اعدايه والانتقام منهم فاولى ان يطيبه
في اوليايه بالشفاعة والاكرام وليعلم منة الله عليه حين انقذهم
منها ببركته وشفاعته انتهى ملخصا وفي الطبراني وابن حبان
من طريق ابي واقد الحراني قال الذهبي وهو الافة والخطيب
من طريق محمد بن خليل قال ابن الجوزي كذاب يضع وابن
عيلان من طريق احمد بن الاحجم المروزي وهو كذاب وابن
الجوزي من طريق غلام خليل وهو كذاب كلهم من حديث
عايشة مرفوعا لما كان ليلة اسري بي الى السما
ادخلت الجنة فوقفت بالفاني اطلعت على شجرة من اشجار
الجنة لم ار في الجنة شجرة احسن منها ولا ابيض ورقا ولا اطيب

منها ثمرة فتناولت اخذت ثمرة من ثمرها فاكلتها فصارت
نطفة في صلبي فلما اهبطت الى الارض واقعت خديجة
حملت بفاطمة فاذا اشتقت الى رايحة الجنة شممت ريح فاطمة
هذا بعينه وهو حديث ضعيف اراد به شر الضعيف وهو
الموضوع فقد صرح ابن الجوزي والذهبي والحافظ بانه موضوع
وان تعددت طرقه عن عايشة ورواه ابن الجوزي عن ابن
عباس من طريق الابرادي وهو وضاع كذاب والحاكم في المستدرك
عن سعد بن ابي وقاص قال الذهبي في تلخيصه هذا كذاب جلي
وهو من وضع مسلم بن عيسى الصفار لان فاطمة ولدت قبل النبوة
فضلا عن الاسرا ويدل على ان المص اراد بالضعف الوضع قوله
وفيه التصريح بان الاسرا كان قبل ولادة فاطمة وهي ولدت
قبل النبوة بسبع سنين وشي الذي جزم به ابن الجوزي والمدايني
واسيدة الواقدي عن الباقر عن العباس انها ولدت قبل النبوة
بخمس سنين ولا ريب ان الاسرا كان بعد النبوة بالاجماع ولذا
قال في اللسان كان واضعه جهل والا ففاطمة ولدت قبل
فرض الصلاة انتهى وذكر ابو الحسن علي ابن غالب في ما اي
كتاب تكلم فيه على احاديث الحجب السبعين والسبعماية والسبعين
الف حجاب وهذه الاحوال الثلاثة نشات من اختلاف الروايات
في عدة الحجب حيث وردت بكل منها وجمع التعاني بان السبعين
بالنسبة الى السموات السبع والسبعماية باعتبار عالم الكرسي وما حوى
والسبعين الفا باعتبار عوالم العرش وما حوى وبسط الكلام على
ذلك وعزاها لابي الربيع بن سبع باسكان الموحدة وقد تضم كما في التبصير
ومقتضى المص انه لم يره لابن سبع في شفا الصدور لانه كثير النقل عنه
من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد
ان ذكر مبدا احاديث الاسرا كما اي مثل ما ورد في الامهات
اي الاصول وهي الكتب وظاهره ان ابن عباس رواه بلا واسطة
وليس كذلك فالمنقول عن ابن غالب عن ابن سبع عن ابن عباس
قال قال علي سلوني قبل ان تفقدوني سلوني عن علم لا يعلمه
جبريل ولا ميكايل علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا
قال علمني ربي علوما شتى فعلمني صلى الله عليه وسلم قال كنت
نورا في جسد ابراهيم وذرة في ظهره فلما عارضه جبريل وهو
في المنجنيق فقال له يا خليل الرحمن هل لك من حاجة قال
اما اليك فلا فعاد اليه ثانية ومعه ميكايل فقال لا اليك
ولا الى ميكايل فعاد اليه ثالثة فقال هل لك من حاجة
الى ربك قال يا اخي يا جبريل من شان الخليل ان لا يعارضه

خليله قال النبي صلى الله عليه وسلم فانطقني الله ان قلت
ان بعثني الله نبيا واصطفاني بالرسالة لاجاز بي اخي جبريل
علي فعله بابي ابراهيم فلما كان ليلة الاسرا بعد ان بعثني الله
اتاني جبريل وكان السفير اي المسافر معي الذاهب بي الى ربي الى
ان انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل في مثل
هذا المقام وهو سدرة المنتهى يترك الخل خليله فقال ان جاوزته
احترقت بالنور فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل
من حاجة الى ربك فقال يا محمد سل الله في ان ابسط جناحي
مفرد مضاف الى يا المتكلم على الصراط لامتك حتى يجوزوا
عليه اذ لو كان منثني لقال عليهما ثم زج بزاي فجيم ثقيلة بي
في النور زجا فخرق بي بالبنا للمفعول سبعون الف حجاب
ليس فيها حجاب يشبه الاخر وانقطع عني حس كل ملك وانسي
فلحقني عند ذلك استيحاش اي حالة تشبه حالة المستوحش
في الانفراد والبعد عن الخلق وتطلق الوحشة على الخلوة
فعند ذلك ناداني مناد بلغة ابي بكر قف ان ربك يصلي فبينما
انا اتفكر في ذلك اقول هل سبقني ابو بكر فاذا النداء من العلي
الاعلى سبحانه وتعالى وتاويله بان النداء من الملك بامر العلي
بابه المقام كما لا يخفى بل العلي تعالى خاطبه بلا واسطة بقوله
ادن يا خير البرية اي الخلق واصله بالهمزة قلبت يا لوقوعها
بعد يا زايدة وادغمت الزايدة في المبدلة عن الهمزة ادن يا احمد
ادن يا محمد ليدن الحبيب مجزوم بلام الامر مسا ولادن تجمع بين
الامر بالصيغة وباللام فادناني ربي حتى كنت كما قال تعالى
ثم دنى قرب فتدلى زاد في القرب فكان منه قاب قرب قوسين
او ادنى من ذلك قال وسالني ربي لم يبين ما سالني عنه فلم
استطع ان اجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد
لاستحالتهما عليه فوجدت بردها بين ثديي فاورثني علم
الاولين والاخرين وعلمني علوما شتى فعلم اخذ على كتمانه
بكسر الكاف اي امرني باخفائه اذ علم اي لعلمه انه لا يقدر على
حمله احد غيري وعلمني خيرني فيه اي في اخفائه واظهاره
قال في الحديث فكنت اسر الى ابي بكر والى عمر والى عثمان والى
يا ابا الحسن يعني عليا لانه راويه وعلمني القران فكان جبريل
يذكرني به بضم اليا وسكون الذال وكسر الكاف مخففة وبضم
اليا وفتح الذال وكسر الكاف مشددة وكانه يريد معارضته بالقران
حيث كان يدارسه منزلة من يغفل عن الشي فيذكر به او كان
يحصل له سهو عن بعض الكلمات فيذكره به وعلم امر بلي

بتبليغه

بتبليغه الى العام والخاص من امتي وهو قوله يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك كذا في الرواية قبل قوله قال ولقد عاجلت
جبريل في اية نزل بها علي بها لم يبينها ولم تنزمن بيانها فعاتبني ربي
وانزل علي ولا تعجل بالقران اي بقراته من قبل ان يقضى اليك
وحيه اي يفرغ جبريل من ابلاغه وقل رب زدني علما بالقران فكلما
نزل عليه شي منه زاد به علمه ثم الهمني ربي ان قلت كما في الرواية
اللهم لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك سمعت مناديا
يناديني بلغة تشبه لغة ابي بكر فقال لي قف ان ربك يصلي
فعجبت من هاتين وبينهما بقوله هل سبقني ابو بكر الى هذا
المقام وان ربي لغني عن ان يصلي قال فناداني انا الغني
عن ان اصلي لاحد اتكمل به ولعرض عمل على صلاتي له وانما
اصلي على غيري رحمة وتفضلا مني من غير اجبار ولا الجا
على ذلك فاني انا الغني المطلق لا اله غيري وانما اقول
سبحاني سبحاني تنزيها لي عما لا يليق سبقت رحمتي غضبي اقرا
يا محمد هو الذي يصلي عليكم اي يرحمكم وملائكته اي يستغفرون
لكم ليخرجكم ليديم اخراجه اياكم من الظلمات اي الكفر الى النور
اي الايمان وكان بالمومنين رحيما ومن رحمته صلاته عليهم كما قال
فصلاتي رحمة لك ولامتك وروى ابن المنذر وغيره لما انزلت
ان الله وملائكته الاية قال الصديق يا رسول الله ما خصك
الله بشرف الا جعله واشركنا فيه فنزلت هو الذي يصلي عليكم
الاية واما امر صاحبك وهو سماعك صوتا يشبه صوته فلنسه
تانسك بسماع شبهه ليزول عنك عظيم الهيبة فتقوى على
قبوله ما يلقى اليك كما اشار اليه بقوله فان اخاك موسى كان
انسه بالعصى فلما اردنا كلامه قلنا وما تلك كاينة بيمينك
يا موسى الاستفهام للتقرير ليترتب عليه المعجزة فيها قال هي
عصاي وشغل بذكر العصى عنه عظيم الهيبة وكذلك
انت يا محمد لما كان انسك التام بصاحبك ابي بكر وانك خلقت
بكسر الهمزة جملة حالية انت وهو من طينة واحدة وهو
انيسك في الدنيا كما وقع ليلة الغار والاخرة خلقنا ملكا على
صورته يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك
من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم مصدر مضاف للمفعول
اي فهمك ما يراد منك فهمه ثم انساني ربي حاجة اخي جبريل
واراد ان يمن علي بانه ذكرنيها فقال الله تعالى واين حاجة
جبريل هكذا في الرواية انساني الخ وكانه انساها له يشغله بعظيم
الهيبة والجلال او يلذذه بسماع الخطاب ثم من عليه بتذكاره

فقلت اللهم انك اعلم فقال يا محمد قد اجبته فيما سال
ولكن في طابعة من امتك فقلت اللهم فمن تلك الطايفة قال
من احبك وصحبك فاجابه باذنه في بسط جناحه لخواص
امته الانقيادون من دنس ايمانه بتقصيرهم في طاعته وبالعصيان
لكن ابغض بغض صحبه وفي رواية من حديث ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نجدان ذكر حديث الاسرا كما في الالهيات قال
فتقدمت وجبريل على اثري فيه العطف على الضمير المتصل
بلا فاصل وهو ضعيف ومع ضعفه هو جايز في السعة كما قال ابن
مالك حتى انتهي بي الى حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل
من هذا قال انا جبريل ومعي محمد صلى الله عليه وسلم فقال
الملك الله اكبر تعظيما لما راي وفرحا بقدوم المصطفى
فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني فوضعني بين يديه
في اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسماية عام
فقال لي تقدم يا محمد اسقط منه فقلت انك انت تقدم قال
يا محمد تقدم فانت اكرم على الله مني فحصبت فانطلق بي الملك
في اسرع من طرفة عين الى حجاب اللولو فحرك الباب
فقال له الملك من ورا الحجاب من هذا فقال انا فلان لم يسم
صاحب حجاب الذهب ولا شك ان سيره معه باذن الله تعالى
تانيسا له عليه السلام وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول
رب العزة معي فقال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت
الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه ووجود الملايكة
عند الحجب معلول بما تقيده الاحاديث ان سدرة المنتهى
لم يجاوزها احد الا المصطفى وبه جزم النووي كما مر وتاويله
باحتمال ان المراد لم يجاوزها احد من ملايكة السموات ونحوها
انما ينهض لو كان لهذا الحديث نوع تماسك ويافي انه كذب
ثم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزت سبعين
حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسماية عام فقال لي تقدم
يا محمد فحصبته فانطلق بي الملك ثم دلي لي رفرف اخضر
تغلب خضرته ضوء الشمس فالتمع اي اضا بصري فقوى
ادراكه حتى يتمكن من مشاهدة ما في تلك الحضرات من الامور
التي يقصر العقل عن وصفها وبيان حقيقتها ووضعت على
ذلك الرفرف ثم احتملت حتى وصلت الى العرش اسقط
قوله فلما رايت العرش اتضع كل شي عند العرش ثم ان الله
تعالى بحوله وقوته وتمام نعمته على قربني عند العرش
فابصرت امرا عظيما لا تناله الالسن حذف منه فسالت

الهي

الهي ان يمن علي بالثبات حتى استتم نعمته فمن الله علي وقواني
لذلك ثم دلي لي قطرة من العرش فوضعت على لساني فما ذاق
الذايقون شيا قط احلى منها فانباني الله نبا الاولين والاخرين
ونور قلبي وغشى نور عرشه بصري فجعلت اري بقلبي
ولا اري بعيني قال النعماني اي فقط بل رايت بالباطن
والظاهر وقد ارشدها الى ذلك بقوله ورايت من خلفي
ومن بين كتفي كما رايت امامي والا فما المقتضي لكونه سلب
رؤية بصره وراي بغيره من ظاهر جسده ولهذا لا يشكل
مع ما تقرر من الرواية انتهي الحديث ذكر النعماني تمامه في ازيد
من ورقتين ناسبا له لمن عزاه له المص بقوله رواه والذي قبله
ابن سبع في كتاب شفا الصدور كما ذكره ابن غالب هذا يشعر
بعدم رؤيته في ابن سبع والعهدة في ذلك عليه قال الشامي بعد
نقل كلام المص هذا وهو كذاب بلا شك انتهى والعجب من النعماني
حيث اورد الروايتين بطولها ساكتا عليهما قال بلا ولا يستبعد
وقوع هذا كله في بعض ليلة وتكثير الحجب لم يرد في طريق صحيح
ولم يصح في ذلك غير ما في مسلم في الايمان عن ابي موسى قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى
لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل
الليل قبل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو
كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
ابه انه محتجب بنور عظمته وذلك الحجاب هو الذي تدهش
دونه العقول وتذهب الابصار وتتحير البصاير مجي به
خلاف الحجب المعهوده هكذو فكيف يشاهد فهو استيناف
في جواب سوال مقدر وهو لم لا نشاهد هذا الله اشار اليه الطيبي
والرفرف البساط اي هو المراد هنا وقيل انه في الاصل ما كان
من الديباج وغيره رقيقا حسن الصنعة ثم اتسع فيه فاطلق
على البساط وعلى كل ثوب عريض وعلى ذيل الخيمة وعلى الوسايد
والنمارق وبها فسر متكئين على رفرف خضر وفي نسخ رقيق
مبتدا خبره من الديباج مقدم عليه واسم كان ضمير الشان
والجملة خبر كان واعلم ان ما ذكر في هذا المحل من الحجب
على تقدير صحتها وكذا احجابه النور فهو في حق المخلوق
زاد الفا في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جايز لا في
حق الخالق عز وجل اذ الحجاب لغة المنع والحاجب المانع
ومنه حاجب العين وحاجب الامير فيقتضي تناهيه وتحيزه
والله سبحانه وتعالى منزه عما يحجبه اذ الحجب بضمتين جمع

عمل م

حجاب او بفتح فسكون مصدرا انما يحيط بقدر محسوس له طول
وعرض في جهة يحس بتوجه الناظر فيقتضي الجهة وهو منزه
عن ذلك فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني الاسماء
والصفات والافعال وساير المخلوقات من معاني الانوار
والظلمات كل له مقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك
اي انواع العلم والمعرفة به مقسوم بحسب ما اراده تعالى
وقد قال تعالى في الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فجعلهم هم المحجوبون لا هو واورد ان الحجب امر نسبي لا بد من تعلقه
بالطرفين فكيف يصح ذلك واجيب بانه نسبي لكن بين حاجب
ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وساير العظمة والمحجوب مخلوقاته
لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز ان يوصف بانه محجوب
عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره واقرب الخلق الى الله
تعالى الملايكة الحافظون بعرشه والكروبيون بحفة الراء وادغام
الملايكة من كرب اذا قرب كما مر وهم محجوبون عن رؤيته بنور المهابة
والعظمة والكبريا والجلال والقدس والقيومية حجب الذات
بالصفات اي كما ان الذات حجبت بالصفات التي قامت بها عن
معرفة حقيقتها وتعلقها بهيئة تميزها كذلك حجب الحافون
والكروبيون عنه تعالى بانوار المهابة وهم في الحجب عنه على طبقات
مختلفات كل على مقام معلوم ودرجات وفي التنزيل وما منا
الا له مقام وبالجملة فالمخلوقات كلها اي التي تقوم بالعالم يشتغل
بها عما يقربه الى الله ما كانت اما ظرفية اي مدة كونها اي وجدانها
حجاب بالرفع خبر المخلوقات عن الخالق اي هي التي تحجبهم عن
القيام بحقوق الخالق وجعلها بعض معترضة بين المبتدا والخبر
والاظهر جعلها ظرفا من المبتدا فقوم حجبوا برؤية النعم
التي اسبغت عليهم عن المنعم جل وعلا وبرؤية الاحوال
المشاهدة لهم من نحو صحة وغنى وضديهما عن ذي الحول والقوة
الذي خلق ذلك وقدره وفي نسخة عن المحول اي الموجد لتلك الاحوال
لكن في اطلاقه على الله نظر وبرؤية الاسباب كالشبع والري وضديهما
عن المسبب الخالق لذلك وقوم حجبوا بالعلم عن المعلم فتراهم
ابدا انما يبحثون ويتكلمون في العلم وما يتفرع منه وتراهم غافلين
عن التفكر الا من علمهم وبالفهم عن المفهم وبالعقل عن المعقل
وكل ذلك من معنى حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن
الواهب اذ هذه بعض تفاصيل النعم والمواهب وقوم حجبوا
بالشهوات المباحة فهم ابدا فيها يرتعون وقوم حجبوا بالشهوات
المحرمات والمعاصي والتبعات وان لم يكن فيها شهوات فتغا بر العطف

وقوم

وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا اللهم لا تحجب
قلوبنا عنك في الدنيا ولا ابصارنا عنك في الاخرة يا كريم واجعل
وجوهنا ناضرة الى ربها ناظرة وما احلى قول الحكم الحق ليس
بمحجوب انما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شي لستره ما حجبه
ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشي فهو له ساتر
وهو القاهر فوق عباده كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي
ظهر في كل شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر بكل شي
كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر لكل شي كيف يتصور
انه يحجبه شي وهو الظاهر قبل وجود كل شي كيف يتصور ان
يحجبه شي وهو اظهر من كل شي وقد ورد في الصحيح للبخاري
من طريق شريك عن انس قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى
لفظ الصحيح ثم علا به جبريل فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جا
سدرة المنتهى ففي قول المص اي شي لانه لم يصرح برفعه ودنا الجبار
رب العزة دنو قرب ومكانة لا دنو مكان ولا قرب زمان فتدلى
زاد في القرب فكان قاب قوسين او ادنى اقرب وهو بالنسبة
للمصطفى عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة
وبالنسبة الى الله تعالى اجابته ورفع درجته وهذا مما انكر
من رواية شريك قال الخطابي ليس في البخاري اشنع ظاهرا ولا
امنع مذاقا من هذا فانه يقتضي تحديد المسافة بين احد
المذكورين وبين الاخر وتمييز مكان كل واحد منهما هذا مع
ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشي الذي تعلق من
فوق الى اسفل فمن لم يبلغه من هذا الحديث الا هذا القدر
مقطوعا عن غيره ولم يعتبره باول القصة ولا باخرها اشتبه
عليه وجهه ومعناه وكان قصاراه اما رد الحديث من اصله
واما الوقوع في التشبيه وهما مرغوب عنهما واما من اعتبر اول
الحديث باخره فانه لم يزل عنه الاشكال فانه مصرح فيهما
بانه كان رويا لقوله اوله وهو نايم وفي اخره استيقظ وبعض
الرويا مثل يضرب ليتناول على الوجه الذي يجب ان يصرف اليه
معنى التعبير في مثله وبعض الرويا لا يحتاج الى ذلك بل ياتي
كالمشاهدة قال الحافظ وهو كما قال ولا التفات الى من تعقبه
بان في الحديث الصحيح ان رويا الانبيا وحي فلا يحتاج الى تعبير لانه
كلام من لم يمعن النظر فان بعض مرائي الانبيا يقبل التعبير كقول
بعض الصحب فيه في القميص فما اولته يا رسول الله قال الدين وفي
الرويا اللبن قال العلم لكن جزم الخطابي بانه منام متعقب بان
الراجح انه يقظة بالادلة ثم دفع الخطابي الحديث من اصله بان

القصة بطولها انما هي حكاية يحكيها انس من تلقا نفسه لم يعزها
الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا نقلها عنه فحاصل الامر في النقل
انها من جهة الراوي اما انس واما شريك فانه كثير التفرد بمناكير الالفاظ
التي لا يتابعه عليها ساير الرواة قال الحافظ وما نفاه من ان انسا
لم يسند هذه القصة الى النبي صلى الله عليه وسلم لا تاثير له فادنى
امره فيها ان تكون مرسل صحابي فاما ان يكون تلقاها عن النبي
صلى الله عليه وسلم او عن صحابي تلقاها عنه ومثل ما اشتملت
عليه لا يقال بالراي فيكون لها حكم الرفع ولو ثبت ما ذكره لم يحمل
حديث احد روى مثل ذلك على الرفع اصلا وهو خلاف عمل
المحدثين قاطبة فالتعليل بذلك مردود ثم قال الخطابي
نسبة التدلي للجبار مخالف لعامة السلف والعلما واهل
التفسير من تقدم ومن تاخر والذي قيل فيه ثلاثة اقوال
احدها دنى جبريل من محمد فتدلى اي تقرب منه وقيل هو
على التقديم والتاخير اي تدلى فدنى لان التدلي سبب الدنو
الثاني تدلى له جبريل بعد الانتصاب والارتفاع حتى راه مرتفعا
وذلك من ايات الله حيث اقدره على ان يتدلى في الهوا من غير
اعتماد على شي ولا تمسك بشي الثالث دنى جبريل فتدلى محمد ساجدا
لربه شكرا على ما اعطاه من الزلفى وقد روى هذا الحديث عن
انس من غير طريق شريك فلم يذكر هذه الالفاظ الشنيعة
وذلك مما يقوي الظن انها صادرة من شريك قال الحافظ قد
اخرج البيهقي من طريق الاموي في مغازيه عن محمد بن عمرو بن
ابي سلمة عن ابن عباس في قوله ولقد راه نزلة اخرى قال دنا منه
ربه وهذا اسناد حسن وهو شاهد قوي لرواية شريك ثم قال
الخطابي وفي هذا الحديث لفظة اخرى تفرد بها شريك ايضا لم
يذكرها غيره وهي قوله فعلا به يعني جبريل الى الجبار تعالى
فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا والمكان لا ينسب الى الله انما هو
مكان النبي صلى الله عليه وسلم في مقامه الاول الذي قام فيه قبل
هبوطه قال الحافظ وهذا الاخير متعين وليس في السياق تصريح
باضافة المكان الى الله تعالى قال وما جزم به من مخالفته
للسلف والخلف فقد ذكرنا من وافقه وقد نقل القرطبي عن
ابن عباس انه قال دنى الله قال القرطبي والمعنى دنى امره وحكمه
واصل التدلي النزول الى الشي حتى يقرب منه وقيل تدلى الرفرف
لمحمد حتى جلس عليه ثم دنى محمد من ربه وقد ازال العلما اشكاله
فقال القاضي عياض اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله
ليس بدنو مكان ولا قرب مدى ينتهى اليه وانما دنى صلى الله عليه وسلم

قيده

من

من ربه وقربه هو منه بانه عظيم منزلته وشريف رتبته اعتنا
بشانه واظهار لما لم يوته احدا غيره واشراق انوار معرفته
ومشاهدة اسرار غيبته وقدرته مما لم يطلع عليه غيره كما قال
جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ينتهي اليه مطمح فهم او مطرح
وهم ومن العباد بالحدود الغاية المنتهية الى غاية وقال ايضا
انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه
ودنى محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون
قلبه الى ما دناه اليه وازال عن قلبه الشك والارتياب اي
الذي عرض عن خاطره هل يغشى حضرة هذا القرب وينال
مواهبه من انافة واكرام وشرف وانعام فانجح الله امنيته لا الشك
في ذلك اذ كان اثبت الناس معرفة وايمانا واسكنهم جنانا واملكهم
طمانينة وسكونا وانما الدنو والقرب من الله تعالى واليه كناية
عن جزيل فوايده اليه وجميل عوايده عليه وتانيس لاستيحاشه
بانقطاع الاصوات عنه وبسط بالمكالمة واكرام بشرايف منيفة
وهو دنو افضال واجمال على احد الوجوه في حديث ينزل ربنا
الى سما الدنيا كل ليلة وقال الواسطي من توهم انه تعالى بنفسه
دنا فقد جعل ثم مسافة ولا مسافة لا منتهى لها بل كلما دنا بنفسه
من الحق تدلى بعدا يعني كلما قرب منه ترك نساحة البعد كناية
عن نفيهما جميعا وعن ادراك حقيقته اذ لا يدركها احد اذ لا
دنو للحق ولا بعد لا منتهى لهما وقوله فاني قريب تمثيل لكمال علمه
واجابته لتعاليه عن القرب مكانا فاوحى الى عبده ما اوحى
كذا في النسخ ولفظ البخاري فاوحى الله فيما اوحى خمسين صلاة
الحديث ذكر فيه قصة الهبوط والمراجعة في الصلاة وهذا الدنو والتدلي
المذكور في هذا الحديث وغيره من احاديث المعراج غير الدنو
والتدلي المذكور في قوله تعالى في سورة النجم ثم دنى فتدلى فكان
قاب قدر قوسين ما بين مقبض القوس والسية بكسر المهملة وتحتية
خفيفة وهي ما عطف من طرفيها ولكل قوس قابان وان اتفقا
في اللفظ لاختلافهما في المسند اليه لانه في الحديث مسند الى الله تعالى
بخلاف الاية فان الصحيح ان المراد في الاية جبريل لانه
الموصوف بما ذكر من اول السورة يعني قوله علمه شديد القوى
الى قوله ولقد راه نزلة مرة من النزول كجلسة من الجلوس والواو
للعطف والحال اي كيف تجادلونه فيما راه وهو قد راه على وجه
لا شك فيه اخرى يدل على سبق روية قبلها عند سدرة المنتهى طرف
مكان الراي هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
الذي اخرجه مسلم قالت عايشة رضي الله عنها سالت رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية اي ولقد راه نزلة اخرى
فقال ذاك جبريل لم اره في صورته التي خلق عليها الا مرتين
الاولى بالارض والنبي صلى الله عليه وسلم بحراء في اوايل البعثة
بعد فترة الوحي كما قال ابن كثير وجبريل بالافق ومرة
في السما ليلة الاسرا ولفظ القران لا يدل على غير ذلك من
وجوه سبعة احدها انه قال علمه اي صاحبكم محمد والمفعول
الثاني محذوف اي علم النبي الوحي ويجوز ان ضمير علمه للوحي
اي الموحي فالمفعول الاول محذوف اي علم الوحي النبي شديد
القوى اي قواه العلمية والعملية شديدة كلها وهذا جبريل
الذي وصفه بالقوة في سورة التكوير بقوله ذي قوة وفي
وصفه بذلك فوايد اذ مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه
جبريل بلا وصف لم يحصل للمصطفى فضيلة ظاهرة وفيه رد
قولهم اساطير الاولين والوثوق بقول جبريل لان قوة الادراك
شرط للوثوق بقول القايل وكذا قوة الحفظ والامانة فوصفه
لجمع هذه الشروط الثاني انه قال ذو مرة قال القرطبي قال
قطرب تقول العرب لكل جزل الراي حصيف العقل ذو مرة قال الشاعر

قد كنت قبل لقايكم ذا مرة ۝ عندي لكل مخاصم ميزانه

وكانت جزالة رايه وحصافة عقله ان الله ايتمنه الى وحيه الى
جميع رسله وفسره ابن القيم بقوله اي حسن الخلق بفتح فسكون
او بضمتين وهو الكريم في سورة التكوير في انه لقول
رسول كريم اي كريم خلقا وخلقا قال ابن القيم ايضا ذو مرة
اي جميل المنظر حسن الصورة ذو جلالة ليس شيطانا اقبح الخلق
صورة بل هو من اجمل الخلق واقواهم واعظمهم امانة ومكانة
عند الله قال وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة وتزكية له كما
ذكر نظيره في سورة التكوير فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر
وجلالته وهذه كانت اوصاف الرسولين البشري والملكي
الثالث انه قال فاستوى قال القرطبي اي ارتفع وعلا الى مكانه
في السما بعد ان علم محمدا قاله ابن المسيب وابن جبير قال الرازي
وهو المشهور وقيل ظهر في صورته التي خلق عليها وهو
اي جبريل مبتدا خبره بالافق الاعلى والجملة حال من فاعل
استوى قاله مكي قال القرطبي والمعنى فاستوى جبريل
عاليا على صورته ولم يكن المصطفى راه عليها حتى ساله اياها
وقيل الجملة مستانفة وهو اي الافق ناحية السما العليا وهذا
استوا جبريل عليه السلام واما استوا الرب جل جلاله فعلى عرشه
كما قال الرحمن على العرش استوى لكن الاية فيها تاويل معلومة

لايليق

لايليق الجزم بظاهرها دون الاتيان بها كما فعل لكن هذا
كلام ابن القيم وقد رمي بالتجسيم الرابع انه قال ثم دنى جبريل من
النبي صلى الله عليه وسلم بعد استوايه بالافق الاعلى من الارض
فتدلى على المصطفى والمعنى انه لما راى من عظمة جبريل ما راى
وهاله ذلك رده الله الى صورة ادمي حتى قرب من المصطفى هذا
قول الجمهور كما في القرطبي فكان قاب قوسين او ادنى قال
ابن القيم او ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة وانها لا تزيد
على قوسين البتة كما قال تعالى وارسلناه الى ماية الف او يزيدون
تحقيقا لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن ماية الف رجلا واحدا
فهذا دنو جبريل وقد نزل الى الارض حيث كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بها واما الدنو والتدلي في حديث المعراج
فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنا
الجبار جل جلاله منه وتدلى دنو منزلة كما في الحديث القدسي من
تقرب الي شبرا تقربت اليه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة
وهو تمثيل بقرب المعنى الى الافهام اي من تقرب الي بطاعتي
جازيته باضعاف ما تقرب الي ومن هرول في طاعتي سبقته
بجزايه فهو قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان والمامول
ثوابا مضاعفا ومزلة مزيد قربا الخامس انه قال ولقد راه نزلة
اخرى نصب على المصدر الواقع موقع الحال اي راه نازلا نزلة
اخرى قاله الحوفي وابن عطيه او على المصدر المؤكد والظرف
الذي هو مرة لان فعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها
ورد بانه ليس مذهب البصريين انما هو مذهب الفرا عند
سدرة المنتهى والذي عند سدرة المنتهى قطعا هو جبريل
وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل
ولا معدل عن تفسيره السادس ان نفس الضمير في قوله دنى
فتدلى وقوله فاستوى وقوله وهو بالافق الاعلى واحد
فلا يجوز ان يخالف بين المفسرين بفتح السين والرا تثنية بجعل
ضميري استوى وهو لجبريل ودنى فتدلى لله تعالى من غير دليل
لانه تحكم والاصل توافق الضماير لكن الاستدلال بهذا لا يصح
اذ الدليل ما سلمه الخصم وقد قيل الضميران في فاستوى وفي
وهو لله تعالى وهو قول الحسن البصري على معنى العظمة
والقدرة والسلطان السابع انه سبحانه وتعالى اخبر ان هذا
الذي دنى فتدلى كان بالافق الاعلى وهو افق السما اي جانب
من جوانبها قال ابن دريد ومنه قوله

اخذنا بافاق السما عليكم ۝ لنا قمراها والنجوم الطوالع

وقد قال مجاهد مطلع الشمس وقال قتادة هو الافق الذي
ياتي منه النهار يعني طلوع الفجر حكاها الماوردي ولذا قال
بلغتها فدنى من الارض فتدلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودنوا كوب وتدليه علي ما في حديث شريك عن انس كان فوق
العرش لا الى الارض فلا يصح تفسير الاية بما في حديث شريك
ولذا جزم بن كثير بان الدنو والتدلي في حديث شريك غير الذي
في الاية ثم نعى سبحانه وتعالي عن نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله
ما زاغ البصر اي ما قال ابن عباس ما زاغ يمينا ولا شمالا
وما طغى ما جاوز ما امر به وعلى هذا المفسرون ومفعول نفى قوله
ما يعرض للرائي الذي لا ادب له بين يدي الملوك والعظما
من التفاته يمينا وشمالا وهذا تفسير لزاغ ونفى بقوله ما طغى
مجاوزة بصره لما بين يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك
المقام وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانبا ولم يمد بصره الى غير
ما اري من الايات وما هناك من العجايب التي لا يشبهها شي
بل قام مقام العبد الذي اوجب ادبه فاعل ومفعوله اطراقه
واوجب اقباله على ما اريه دون التفاته الى غيره ودون
تطلعه الي ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجاش بالهمز وهو
روع بالفتح اي خوف القلب اذا اضطرب عند الفزع وقد
لا يهمز والجمع جوش كما في القاموس وفي النهاية الجاش القلب
والنفس والجنان يقال ثم فلان ثابت الجاش اي ثابت القلب
لا يرتاع للعظايم والشدايد وسكون القلب وطمانينته وهذا
غاية الكمال فزيغ البصر التفاته جانبا وطغيانه مده اماما
الى حيث ينتهي فنزه علمه عن الضلال وقصده وعمله عن الغي
ونطقه عن الهوي وفواده عن تكذيب بصره وبصره عن
الزيغ والطغيان وهكذا يكون المدح

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بما فعادا بعد ابوالا

قال الامام الرازي اللام في البصر تحتمل وجهين احدهما البصر
المعروف وهو بصر محمد صلي الله عليه وسلم اي ما زاغ بصر محمد فقدم
الزيغ ان قلنا الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم
يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده وان قلنا
انوار الله فمعناه لم يلتفت يمنة ويسرة بل اشتغل بمطالعتها
ففيه بيان ادبه او ما زاغ بضعفه عن مطالعتها ففيه بيان
قوته قال الثاني انها التعريف الجنس اي ما زاغ بصره اصلا
في ذلك الموضع لعظيم الهيبة قال وفيه لطيفة هي انه لم يقل ما مال
وما جاوز لان الميل والتجاوز مذمومات في ذلك الموضع فاستعمل

الزيغ

الزيغ والطغيان فيه او هو بيان لشدة يقينه الذي لا يقبل
فوقه اي ما مال عن الطريق فلم ير الشي علي خلاف ما هو عليه
بخلاف من ينظر الي عين الشمس مثلا ثم ينظر الى شي ابيض فانه
يراه ابيض واخضر يزيغ بصره عن جادة الابصار وقوله ما طغى اي
ما تخيل المعدوم موجودا وقيل ما جاوز ما امر به انتهى قال
ابن القيم في مدارج السالكين في شرح منازل السايرين لابي اسماعيل
الهروي وفي هذه الاية اسرار عجيبة هي من غوامض الاداب
اللايقة باكمل البشر صلوات الله وسلامه عليه تواطا هناك
بصره وبصيرته وهي العقل المنور بنور القدس المكحل بضيا
هداية الحق فلا يخطي في العيان ولا يحتاج الى برهان بل يتصور
الحق بينا مكشوفا والباطل زاهقا مدحورا فلذا قال صاحب
المنازل البصيرة ما يخلص من الحيرة وتوافقا عطف تفسير لتواطا
ولهذا قراها فيما شاهده بصره فالبصيرة مواطية موافقة
له وما شاهدته بصيرته فهو ايضا حق مشهود بالبصر فتوطا
في حقه اي ما كذب الفواد ما راه ببصره فهو اخبار عن تصديق
فواده كما راته عيناه وليس كمن راي شيا علي خلاف ما هو عليه فكذب
فواده بصره ولهذا قراها هشام وابو جعفر ما كذب الفواد
ما راي بتشديد الذال اي لم يكذب القلب البصر بل صدقه
وواطاه بصحة الفواد والبصر وكون المرائي المشاهد بالبصر
والبصيرة حقا وحاصله ان قلبه صدق ما راه بعينه ولم يقل
انه خيال لا حقيقة له وقرا الجمهور ما كذب الفواد بالتخفيف
وهو متعد بنفسه على القرائتين وما راي مفعوله اي ما كذب
قلبه ما رات عيناه بل واطاه ووافقه وما مصدرية اي ما كذب
فواده روءيته او موصول والعايد محذوف اي الذي راه بعينه وقيل
قراة التخفيف على اسقاط الخافض اي فيما راه قاله مكي وغيره
وعلي التقديرين فهو اخبار عن تطابق روية القلب لروية البصر
وتوافقها وتصديق كل واحد منهما صاحبه وهذا ظاهر في قراة
التشديد وقد استشكلها المبرد وغيره بانه اذا راي بقلبه فقد
علمه ايضا بقلبه واذا وقع العلم فلا كذب معه واجيب
بانه قد يتخيل الشي على خلاف ما هو به فلا يلزم فيكذبه
اذ يريه صورة المعلوم على خلاف ما هي عليه كما تكذبه عينه
فيقال كذبه قلبه وكذبته عينه فنفى ذلك سبحانه عن رسوله
للموافقة قلبه لقالبه جسده وظاهره لباطنه وبصره
لبصيرته لم يكذب القلب البصر ولم يتجاوز البصر حده فيطغى
ولم يمل عن المرائي فيزيغ بل اعتدل البصر علي المرائي ما جاوزه ولا

مال عنه كما اعتدل القلب في الاقبال على الله والاعراض
عما سواه فانه اقبل على الله بكليته واعرض عما سواه بكليته
قلبا وقالبا وقد حكى الماوردي في الفواد قولين احدهما نفسه
لانه محل الاعتقاد والثاني صاحبه وعبر عنه بالفواد لانه قطب
الجسد وبه قوام الحياة وكلاهما منتف عن قلبه وبصره فلم يزغ
قلبه التفاتا عن الله الي غيره ولم يطغ بجا وزته مقامه
الذي اقيم به وهذا غاية الكمال والادب مع الله تعالى ولا
بدع ففي الحديث ادبني ربي فاحسن تاديبي الذي لا يلحقه
فيه احد سواه فان عادة النفوس اذا اقيمت في مقام عال
رفيع ان تطلع الى ما هو اعلا منه وفوقه الا نري ان موسى
عليه السلام لما اقيم مقام التكليم والمناجاة لله سبحانه
طلبت نفسه الروية فقال رب اري انظر اليك ونبينا
صلى الله عليه وسلم لما اقيم في ذلك المقام وفاه حقه ولم
يلتفت ببصره ولا قلبه الي غير ما اقيم فيه البتة بالقطع فلم
يسال حتى قال له ربه سل ومع ذلك سال بالتلويح دون
التصريح فقال انك اتخذت الى اخرما بان ولاجل هذا ما عاقه
عايق ولا وقف به مراد حتي جاوز السموات السبع فلم تعقه
ارادة منه لشي ولم تقف به دون كمال العبودية همة ولذا
كان مركوبه يسبق خطوه الطرف فيضع خطوه وفي نسخة
قدمه عند منتهى طرفه بسكون الراي نظره وهذا صريح في
التساوي فيدافع قوله يسبق الا ان يكون المراد ان ما ينتهي
اليه طرفه وهو الجزء الاخير من المسافة التي ينتهي اليها
الطرف يضع موخر قدمه عنده فيكون جملة القدم مقدمه
على ما وصل اليه طرفه مشاكل الحال راكبه وبعد شاوه بالشين
المعجمة والهمز بزنة فلس اي غايته وامده الذي سبق اليه العالم
اجمع في سيره فكان قدم البراق لا يتخلف عن موضع
نظره كما كان قدمه صلى الله عليه وسلم لا يتاخر عن
محل معرفته فلم يزل صلى الله عليه وسلم في خفارة بضم
الخا وكسرها اي حماية كمال ادبه مع الله تعالى وتكميل مرتبة
عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاز السبع الطباق
وهي السموات وجاوز سدرة المنتهى ووصل الي محل من
القرب سبق به الاولين والاخرين اذ لم يصل اليه نبي مرسل
ولا ملك مقرب فانصبت له هناك اقسام القرب انصبابا
وانقشعت انكشفت له سحايب الحجب بضمتين جمع حجاب
ظاهرا وباطنا حجابا حجابا اي حجابا بعد حجاب واقيم

مقاما غمطه استحسنه من الانبيا والمرسلون فاذا
كان في المعاد يوم القيامة اقيم مقاما من القرب ثانيا
يغبطه به الاولون والاخرون واستقام هناك على
صراط مستقيم من كمال ادبه مع الله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى فاقامه في هذا العالم اي عالم الدنيا على اقوم
صراط على الحق والهدى وانك لتهدي الى صراط مستقيم واقسم
بكلامه القديم على ذلك في الذكر اي القران الحكيم فقال
يس القراة المشهورة بسكون النون وقري شاذا بالفتح للخفة
وبالكسر لالتقا الساكنين وبالضم على النداكما في الا تقال
والحكيم المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني انك لمن المرسلين
علي متعلق بما قبله صراط مستقيم اي طريق الانبيا قبلك
التوحيد والهدي والتاكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار
لست مرسلا فاذا كان يوم المعاد اقامه على الصراط فيسال
السلامة لاتباعه ولاهل سنته حتى يجوزوا الى جنات
النعيم وذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل
العظيم ثم اعلم ان ما ذكرهنا من القرب والدنو الى الله
ومن الله في حديث شريك وفي الاية على احد القولين
ليس بدنو مكان ولا قرب مدا وانما المراد به تاكيد المحبة
باظهار عظيم منزلته وتشريف رتبته والقربة ورفع
المنزلة والرتبة عطف تفسير قال جعفر الصادق
لصدقه في مقاله ابن محمد الباقر ابن علي ابن الحسين بن علي
الهاشمي ابو عبد الله الفقيه الامام الصدوق المتوفي
سنة ثمان واربعين ومايه روي له مسلم واصحاب السنن
لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية
الهيبة فلاطفه الحق بغاية اللطف وذلك قوله جل
جلاله فاوحي الله الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم بلا
واسطة ملك ولا غيره على ما هو المنقول عن جعفر
في الشفا وغيرها فالمراد بالوحي هنا الكلام وان كان
اعم منه ما اوحي اي امرا عظيما فهي ابهامه تفخيمه وتعظيمه
كما افاده قوله اي كان ما كان وجري ما جرى وقال
الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب والطف
به الطاف الحبيب للحبيب تخفى السر ولم يطلع عليه
احد لانه من اسرار المعارف التي يطلع عليها غيره
ولم يعلم احد ما اوحي الا الذي اوحي وهو الله سبحانه
اي والموحي اليه محمد صلى الله عليه وسلم علمه ايضا ويحتمل

قراة اوحي بالبنا للمفعول اي اوحي اليه لكن فيه حذف
نايب الفاعل الا ان يكون للعلم به من السياق وقال
غيره في قوله فاوحي الى عبده ما اوحي ابهم لعظمته
فان الابهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم لا يطلع عليه بل
يتعبد بالايمان به هذا معنى كلام جعفر وان اختلف
التعبير وقيل هو مفسر بالاخبار الواردة قال سعيد
ابن جبير اوحي الله اليه صلى الله عليه وسلم الم اجدك
استفهام تقريري يتيما بفقد ابيك قبل ولادتك او بعدها
فاويتك بضمك الى عمك ابي طالب واسكان محبتك في قلبه
حتى كان يقدمك على اولاده الم اجدك ضالا عما انت عليه
الان من الشريعة لقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
فهديتك اليها او ضالا في بعض شعاب مكة فبينت لك
الطريق ورددتك او ناسيا فهديتك الى الذكر لان الضلال جاء
بمعنى النسيان قال تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما
الاخري وجمع بينهما في لا يضل ربي ولا ينسي لانه ثم بمعنى
الخطا والغفلة الم اجدك عايلا قليل المال فاغنيتك
بما قنعتك به من الغنايم وغيرها وفي الحديث ليس الغنى
عن كثرة العرض وذلك الغنى غني النفس الم نشرح لك
صدرك بالنبوة وغيرها ووضعنا حططنا عنك وزرك
الذي انقض اثقل ظهرك وهذا كقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وتقدم قريبا وياتي للمم ورفعنا لك
ذكرك بان تذكر مع ذكري في الاذان والاقامة والتشهد والخطبة
وغيرها وقيل اوحي الله تعالى اليه ان الجنة حرام ممنوع دخولها
على الانبيا حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها
امتك ذكره الثعلبي الامام المفسر والقشيري العلم الشهير
وقيل اوحي الله تعالى خصصتك بحوض الكوثر فكل
اهل الجنة اضيافك بالما ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره
القشيري وذكر ايضا انما اوحي اليه ما اوحي الي الرسل
لقوله تعالى ما يقال لك بنا على ان معناه ما يوحي اليك
الا ما قد قيل للرسل من قبلك من الوحي وقيل
معناه ما يقال لك من التكذيب وقيل اوحي اليه
الصلوات الخمس ذكره النقاش وقيل ما في ما اوحي للعموم
فالمراد كلما جابه وفي الشفا اكثر المفسرين على ان الموحي
الله الى جبريل او جبريل الى محمد الا شذ وذا منهم جعفر
الصادق قال اوحي اليه بلا واسطة ونحوه ذهب بعض

المتكلمين ان محمدا كلمه ربه في الاسرا وحكي عن الاشعري وابن مسعود
وابن عباس وانكره اخرون انتهى وفي رواية ابي سعيد الخدري
عند البيهقي وابي هريرة عند ابن جرير والبزار وابي يعلى والبيهقي
ان الله تعالى قال له صلوات الله وسلامه عليه وفي رواية فراي
ربه سبحانه فخر صلى الله عليه وسلم ساجدا وكلمه ربه عند ذلك
فقال يا محمد قال لبيك يا رب قال سل اصله اسال فخفف وحذف
المفعول للعموم اي كل ما تريد فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا
صفيا خالص المحبة وفي رواية ابي يعلى ان الله قال له اني اتخذتك
خليلا وروي ابن ماجه عن ابن عمرو مرفوعا ان الله اتخذني خليلا
كما اتخذ ابراهيم خليلا فمنزلي ومنزل ابراهيم في الجنة يوم القيمة
تجاهين والعباس بيننا مومن بين خليلين واتيته ملكا
عظيما تقدم انه لا يعهد لابراهيم ملك عرفي فيجوز ان المراد
قهره لعظما الملوك كالنمرود فالقاهر اعظم من المقهور وملك
النفس او بالنسبة لذريته كيوسف وداود وسليمان وكلمت موسى
بلا واسطة تكليما اكده لافادة انه حقيقي فلا عبرة بانكار بعض
المعتزلة له واعطيت داود ملكا عظيما فجعلته خليفتك في الارض
والنت له الحديد فكان في يده كالعجين يتخذ منه الدروع وسخرت
له الجبال تسبح معه بالعشي والاشراق واعطيت سليمان
ملكا عظيما اذ ملكته الدنيا باسرها وسخرت له الانس جندا ورعايا
لا يعصونه في شي والجن فكانوا يخدمونه في بنايه وفي غيره فبنت
له بيت المقدس بالرخام المزخرف بنا عاليا حتى كان يضي
في الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل
ما فيه لمملكته بالعراق والشياطين وهم مردة الجن فهو عطف
خاص على عام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون له الدر
والجواهر ويعملون له ما يريد وسخرت له الرياح تجري بامره
رخا حيث اصاب وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة
شهر رواحا واعطيته ملكا لا ينبغي لا يكون لاحد من بعده
كما ملك فملك ما فوق الارض وما تحتها وعلمت عيسى وهو صغير
التوراة والانجيل الذي انزل عليه ولا احكام فيه انما هو
حكم وحقايق التوحيد وقيل فيه احكام قليلة بالنسبة
للتوراة فلذا احفظها وعمل بها وجعلته يبري الاكمه الذي
ولد اعمى والابرص بياض لون البدن وصيرورته قبيحا من
علة مزمنة لا يتيسر علاجها وخصهما لانهما دا اعيا ويحيي
الموتي باذنك فاحيا جماعة كما مر واعذته حفظته واجرته
وامه من الشيطان الرجيم المطرود اللعين فلم يكن له عليهما

سبيل طريق **فقال له ربه** جوابا لمعتي كلامه ان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل **قد اتخذتك حبيبا** هذا في مقام الخلة والمحبة اعظم وفي رواية ابي يعلى انه تعالى قال له اتخذتك خليلا لجمع المصنفين ولم يذكرها بل بما بعده لعلمه اذ هو لم يرض الملك لما عرض عليه والكلام وقع له كما وقع لموسى والقران العظيم اعظم من التوراة والانجيل وابرا الاكمه والابرص ووقع للمصطفى نظيره كرد عين قتادة وبري كثير من الامراض بمس يده واعيذ من الشيطان حتى ان قرينه امن به ووقع له احيا الموتى وما هو اغرب منه كما تقدم بسط ذلك كله في المعجزات فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن هذا من كلام الراوي الى سعيد او غيره استشهادا وتقوية للحديث وفي سبعيات الهمداني ثبت في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال همت ليلة المعراج ان اخلع نعلي فسمعت النداء من قبل الله يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السما بهما فقلت يا رب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يا ابا القاسم ادن مني لست عندي كموسى فانه كليمي وانت حبيبي انتهى وتعقب بان هذا باطل لم يذكر في شي من الاحاديث بعد الاستقرا التام وبالغ له من يرد وارسلتك الى الناس كافة جامعا في الانذار والابلاغ من الكف بمعنى الجمع ومنه كف الثوب وهو جمعه بالخياطة والها للمبالغة كعلامة وقيل معناه مانعا ورادعا عن الكفر وسائر المعاصي من الكف بمعنى الجمع والها للمبالغة ايضا والنصب على الوجهين حال من المفعول في ارسلتك او على انه مفعول مطلق لارسلتك اي ارسالة كافة اي عامة كفتهم عن الخروج منها فكافة صفة مصدر بشيرا للمومنين والمتقين ونذيرا للكافرين والعاصين وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الا وتذكر معي اي كثيرا وعادة او في مواطن معلومة كالاذان والاقامة والتشهد والاسلام والخطبة وغير ذلك وبهذا دفع ايراد ان الشهادة الثانية قد لا تذكر وهذا ابيان لرفع ذكره ولا ارفع من ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول لك تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله اعلم قال لا اذكر الا ذكرت معي رواه ابو يعلى والطبراني وصححه ابن حبان والضيا من حديث ابي سعيد

فقد خاطبه بذلك بعد ارسال جبريل له به قبل ذلك على مدلول الحديث بشي زيادة في التعظيم والاكرام **وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس** فيه تبشيره بذلك قبل انزاله عليه لان الاسرا بمكة والسورة مدنية **وجعلت امتك امة وسطا** خيارا عدولا **وجعلت امتك هم الاولون** في القيام من القبور والقضا ودخول الجنة **والاخرون** في الوجود والمنة لهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم في القبور وعدم نسخ شريعته وروى الخطيب عن انس مرفوعا لما اسري بي الى السما قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين او ادنى وعلمني المسميات قال يا محمد قلت لبيك قال هو غمك ان جعلتك اخر النبيين قلت يا رب قال يا محمد قلت لبيك لا قال هل غم امتك ان جعلتهم اخر الامم قلت يا رب لا قال فاقر امتك مني السلام واخبرهم اني جعلتهم اخر الامم لافضح الامم عندهم ولا افضحهم **وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة** اي لا يعتد بها اعتدادا كاملا **حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي** اي ياتوا بكلمتي الشهادة ولحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذما اي ناقصة لا بركة فيها وبالتقييد بكاملا اندفع ما قيل مقتضاه ان التشهد في الخطبة ركن او شرط ولم يقل به احد من الفقها وتعسف الجواب بان المعنى لا يصح المسلم المصدق بك والامة امة الدعوة او النسخ اذ لا يثبت بالاحتمال على ان الشافعي وغيره اشترطوا في الخطبة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تتضمن الشهادة بذلك فدعوى الاجماع غير مسموعة **وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم** اي يحفظون الكتاب المجيد ويتلونه حفظا والاناجيل جمع انجيل وهو اسم كتاب الله المنزل على عيسى **وجعلتك اول النبيين خلقا** لانه خلق روحه قبل الارواح وخلق الارواح ونباه قبلهم في عالم الارواح فهو اولهم خلقا ونبوة **واخرهم بعثا** ارسالا **واعطيتك سبعا من المثاني** الفاتحة لانها تثنى وتكرر في كل ركعة او غير ذلك مما تقدم بسطه **لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر** نهر في الجنة كما في مسلم مرفوعا **واعطيتك خواتيم سورة البقرة** من امن الرسول **من كنز تحت العرش** قال الحافظ العراقي معناه انها ادخرت له وكنزت كما قال **لم اعطها نبيا قبلك** وكثير من اي القران منزل في الكتب السابقة باللفظ والمعنى وان كان في القران ايضا مالم يوت غيره لكن في هذه خصوصية لهذه الامة وهي وضع الاصر الذي كان على من قبلها قال التوربشتي يعني بقوله اعطي

انما انزلت عليه بل المعنى انه استجيب له فيما لقن من الايتين
من قوله غفرانك ربنا الى اخر السورة ولمن يقوم بحقها
من السائلين قال الطيبي وفي كلامه اشعار بان الاعطا بعد
الانزال لان المراد منه الاستجابة وهي مسبوقة بالطلب
والسورة مدنية والمعراج كان بمكة قال ويمكن ان يقال
هذا من قبيل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
وانما اوثر الاعطا لتعبيره بكنز **واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام**
وصفا لامتك دون الامم ومر ان هذا ارجح القولين **والجهاد**
وما فيه من الغنايم **والصلوة** اي مجموع الصلوات الخمس
والصدقة الزكاة **وصوم رمضان** وفيه حجة لاحد القولين
في اختصاصه بالامة المحمدية **والامر بالمعروف والنهي عن المنكر**
لك بلا شرط ولامتك بالشروط المعلومة **وجعلتك فاتحا**
لكل خير **وخاتما للنبيين** **وفي اسناده ابو جعفر الرازي**
التميمي مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى بن عبد الله ابن
ماهان واصله من مرو وكان يتجر الى الري مات في حدود
الستين ومائة روى له اصحاب السنن **ضعفهم بعضهم وقال**
ابو زرعة الرازي **منهم وقال ابن كثير الاظهر انه سيئ الحفظ**
وليس بمتهم وبه جزم الحافظ فقال صدوق سيئ الحفظ خصوصا
عن مغيرة **وذكر الفخر الرازي عن والده قال سمعت ابا القاسم**
سليمان الانصاري يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم
الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج اوحى
الله تعالى اليه يا محمد بم يكون **شرفك** الذي تريده **قال يا رب**
بنسبتي اليك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده لانه ليس للمومن صفة اتم ولا اعم ولا اشرف
من العبودية ولذا اطلقه الله على نبيه في اشرف
المواطن كقوله اسرى بعبده الحمد لله الذي انزل على عبده
الكتاب تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فاوحى
الى عبده قاله ابو علي الدقاق قال الطوسي وسبب
ذلك ان الالهية والسيادة والربوبية انما هي في الحقيقة
لله لا غيره والمرتبة الحقيقية اشرف المراتب اذ ليس
بعدها الا المجاز قال بعض وهذا يخرج الجواب عن
وصف يحيى بالسيادة فسماه تعالى بهذا **لتحققه صلى الله**
عليه وسلم بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته فلا يصلح
هذا الاسم بالحقيقة الا له عليه السلام ولا قطاب من
بعده بتبعيته لا بالحقيقة وان اطلق على غيره مجازا

لان

لان حقيقة العبد عند القوم القايم الى اوامر سيده على حد
النشاط حيث جعله محل امره قاله ابو حفص النيسابوري
وقال ابن عطا هو الذي لا ملك له وقيل هو الذي يتخلق
باخلاق ربه وقيل غير ذلك مما هو متقارب المعنى مختلف
اللفظ وكل تكلم بلسان حاله على قدر مقامه **ورحم الله**
الاديب برهان الدين ابراهيم بن شرف الدين بن عبد الله
ابن محمد **القيراطي** البارع المفنن ولد في صفر سنة ست وعشرين
وسبعمائة ولازم علما عصره وبرع في الفنون ودرس باماكن
وفاق في النظم وله ديوان مشهور ومات بمكة سنة احدى
وثمانين وسبعمائة **فلقد اجاد حيث قال**

ودعتني بالعبد يوما فقالوا ❊ قد دعته باشرف الاسماء

وقد اخذ قول القايل

يا قوم قلبي عند زهراء ❊ يعرفه السامع والرائي
لا تدعني الا بيا عبدها ❊ فانه اشرف اسمائي

انشده الاستاذ ابو القاسم القشيري **ولبعض اهل**
الاشارات من محققي الصوفية الذين يستخرجون من
النصوص معاني كانها منطوق بها بحسب افهامهم واحوالهم
كانه الله تعالى **قال يا محمد** بحذف يا النداء لانها للبعيد وهو
قد حصل له غاية القرب **اني اعطيتك نورا** قوة في بصرك
شديدة زايدة على المعتاد **تنظر به جمالي** اذ لو لم اعطك ذلك
ما قدرت على نظره **وسمعا** زايدا على سمعك **تسمع به كلامي** فلولاه
ما سمعت **يا محمد اني اعرفك** بلسان الحال معنى **عروجك الي**
يا محمد وذلك لاني **ارسلتك الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد**
مطالب بتحقيقه ما يشهد به كما قال صلى الله عليه وسلم

فاريتك
جنتي لتشهد ما اعددت فيها لاوليائي المومنين **واريتك**
ناري لتشهد ما اعددت فيها لاعدائي الكافرين اذ ليس الخبر
كالعيان وفي التنزيل عن ابراهيم بلى ولكن ليطمئن قلبي
ثم اشهدتك جلالي عظمتي **واكشف لك عن جمالي لتعلم اني**
منزه في جلالي عن الشبيه والنظير والوزير المعين **والمشير**
فرآه صلى الله عليه وسلم بالنور الذي قواه من غير ادراك
ولا احاطة عطف تفسير كما فسره به بقوله قوله تعالى لا تدركه
الابصار اي لا تحيط به **فردا صمدا** مقصودا في الحوائج على الدوام
او لا جوف له كما في الطبراني عن بريدة وقاله كثير من المفسرين

امام

جمالي وعم

وكانه بمعنى المصمود وقال الشعبي لا ياكل ولا يشرب ونظر
فيهما ابن عطية بان الجسم في غاية البعد عن صفات الله
فما الذي يعطينا هذه العبارات لا في شي كونه
اي مكان ولا قايما بشي ولا على شي ولا من شي متولدا
ولا قايما بشي يعينه ولا على شي ولا مفتقرا الي شي لانه
خالق كل شي ليس كمثله شي الكاف زايدة لانه تعالى لا مثل
له تلا كلمه شفاها اي بلا واسطة وشاهده كفاحا بكسر الكاف
اي مواجهة بلا حايل فقيل يا محمد لابد لافراق ولا محالة لهذه الخلوة
من سر لا يذاع لا ينشر ولا يظهر ورمزا شارة لا يشاع لا يظهر
فمعناهما واحد حسنه اختلاف اللفظ لرعاية السجع فاوحى
الي عبده ما اوحى فكان سرا من سر لم يقف عليه ملك
مقرب ولا نبي مرسل وانشد لسان الحال

يا المحبين سر ليس يفشيه ، قول ولا قلم في الكون يحكيه
يقال فشى السر فشوا ظهر وانتشر وافشيته بالالف
سر يمازجه انس يقابله ، نور تحير في بحر من التيه

ولما انتهى الي العرش تمسك العرش باذياله جمع ذيل كذيول
قال في سبل الرشاد لم يرد في احاديث المعراج الثابتة انه
صلى الله عليه وسلم عرج به الي العرش فقول ابن المنير انه
عرج به اليه ليس علي ما ينبغي وقد سيل الامام رضي الدين
القزويني عن وطي النبي صلى الله عليه وسلم العرش بنعله
وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل
ثبت ذلك ام لا فاجاب اما حديث وطي النبي صلى
الله عليه وسلم العرش بنعله فليس بصحيح ولا ثابت اصلا
وانما صح في الاخبار انتهاوه الي سدرة المنتهي فحسب واما الي ماورايها
فانما ورد ذلك في اخبار ضعيفة ومنكرة لا يعرج عليها انتهى قال
بعض المحدثين قاتل الله من وضع انه رقي العرش بنعله ما اعدم
حياه وما اجراه علي سيد المتادبين وراس العارفين صلى الله
عليه وسلم قال وجواب الرضي القزويني هو الصواب فقد وردت
قصة الاسرا والمعراج مطولة ومختصرة عن نحو اربعين صحابيا
وليس في حديث احد منهم انه صلى الله عليه وسلم كان في تلك
الليلة في رجليه نعل وانما وقع ذلك في نظم بعض قصاص
جهلة ولم يذكر العرش بل قال واتى البساط فهم يخلع نعله فنودي
لا تخلع وهذا باطل لم يذكر في شي من الاحاديث بعد الاستقرا
التام ولم يرد في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه
جاوز سدرة المنتهى بل ذكر فيها انه انتهى الي مستوى سمع فيه

صريف الاقلام فقط ومن ذكر انه جاوز ذلك فعليه البيان واني
له به ولم يرد في خبر ثابت ولا ضعيف انه رقي العرش وافترا
بعضهم لا يلتفت اليه ولا اعلم خبرا ورد فيه انه راى العرش
الا ما رواه ابن ابي الدنيا عن ابي المخارق انه صلى الله عليه وسلم
قال مررت ليلة اسري بي برجل مغيب في نور العرش فقلت
من هذا املك قيل لا قلت نبي قيل لا قلت من هو
قيل هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله ولم
يستسب الوالديه قط وهو خبر مرسل لا تقوم به الحجة في
هذا الباب انتهى اي لان المرسل ضعيف عند جماهير النقاد
للجهل بالساقط في الاسناد مع ان ابا المخارق مجهول لكن
دعواه انه لم يرد انه جاوز سدرة المنتهى في حديث ضعيف
ولا حسن ولا صحيح فيها نظر وقد اخرج ابن ابي حاتم عن
انس انه صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى سدرة المنتهى غشيته
سحابة فيها من كل لون فتاخر جبريل والقزويني الذي
صوب هذا المحدث كلامه قد اعترف بورود هذا بقوله واما
الي ماورايها فانما ورد في اخبار ضعيفه ومنكرة وناداه بلسان
حاله قصره عليه ليس لامتناع كونه بلسان القال لانه جماد
وقد عهد نطقه كتسبيح الحصى ونحوه بل لانه لم يرد في حديث
نطقه بقوله يا محمد انت كاين في صفا اي خالص وقتك حال
كونك امنا فهو حال من الضمير في الخبر المحذوف وهذا اولي
من جعله حالا من المبتدا لضعفه بخلاف الخبر فالراجح جوازه
من مقتك مصدر مضاف لفاعله لمفعوله اي من وصول
مقتك اليك والمراد من جميع المشوشات اشهدك جمال احديته
اي احديته الجميلة وهي تنزهه عن الجسمية والتعدد وما
يستلزم احدهما كالسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها
كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية
للالوهية واطلعك على جلال صمديته اي سيديته واحتياج
غيره اليه وقصدهم اليه قال البيضاوي الصمد السيد المصمود اليه
في الحوائج من صمد اذا قصد وهو المصمود على الاطلاق فانه
مستغن عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته
وانا الظمان اي المشتاق اليه فهو مجاز من اطلاق الملزوم على
لازمه فالظما بالهمز العطش وزنا ومعنا ويلزمه الاشتياق للما
اللهفان اي المتحسر عليه المتحير فيه لا ادري من اي وجه اتى
طريق اتيه جعلني اعظم خلقه من حيث الجسم قال صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع

عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة وان فضل العرش
على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة رواه بن مردويه
وابن ابي شيبة عن ابي ذر وروى ابن جرير عنه رفعه ما السموات
السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة القيت في ترس وما الكرسي
في العرش الا كحلقة من حديد القيت بين ظهري فلاة من
الارض وهذا نص صريح في ان الكرسي غير العرش وما روى
عن الحسن البصري ان الكرسي هو العرش فضعيف لا يصح
عنه والصحيح منه وعن غيره من الصحابة والتابعين انه غيره
فكنت اعظمهم منه هيبة اي اعظم الخلق الذي اشابههم ويشبهوني
كالكرسي واللوح والقلم لا الانبيا والملايكة كيف وقد قال
صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله واشدكم له خشية **واكثرهم**
منه حيرة مصدر حار من باب تعب لم يدر وجه الصواب
قال الازهري واصله ان ينظر الانسان الى شي فيغشاه
ضوءه فيصرف بصره عنه **واشدهم منه خوفا يا محمد خلقني**
فكنت ازعد بضم العين وفتحها قال المجد رعد كمنع ونصر اضطراب
لهيبة جلاله فكتب على قايمتي لا اله الا الله فازددت
لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا عطف تفسير رعش كفرح
ومنع احدثته الرعدة **فكتب محمد رسول الله فسكن**
لذلك قلقي اضطرابي **وهديت** سكن **روعي** فزعي روى الحاكم وصححه
عن ابن عباس ان الله اوحى الى عيسى لقد خلقت العرش على الما
فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن موقوف
حكمه الرفع اذ لا يقال رايا **فكان اسمك لقاحا** كذا في نسخ بلام
قبل القاف اي كما لا **لقلبي** لان الناقة لا تلقح حتى تكمل فكذا
العرش لم يكمل حتى كتب عليه محمد رسول الله وبهذا اسقط اعتراض
بعضهم بانه لا معنى للقاح هنا لانه من لقحت الناقة حملت
فما كان ينبغي لهذا الصوفي الايراد بنحو شفا وفي نسخ نفاحا
بنون ثم فا اي رايحة من نفحت الريح هبت فكما ان هبوبها يريح
ما تتصل به كذلك اسمه صلى الله عليه وسلم لما ظهر اشبه هبوب
المروحة للاجسام الواصلة اليها **وطمانينة** اسم من اطمان
القلب سكن ولم يقلق **لسري** اي جوفي قال المجد في معاني
السر وجوف كل شي ولبه **فهذه بركة اسمك علي فكيف اذا**
وقع جميع نظرك علي يا محمد انت المرسل رحمة للعالمين وانا
من جملتهم **ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة** لعمومها
ونصيبي يا حبيبي ان تشهد لي بالبراة مما نسبه اهل
الزور الي اي الكذب قال تعالى والذين لا يشهدون الزور

وتقولهم

قال المجد م

وتقولهم اهل الزور اي ادعوا علي ما لا حقيقة له وبينه بقوله
زعموا اني اسع من لا مثل له لا شبيه له **واحيط بمن لا كيفية**
له يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته كيف يكون مفتقرا
الي ومحمولا علي لا يتاتى ذلك ولا يكون **اذا كان الرحمن اسمه**
والاستوا صفته كما قال الرحمن على العرش استوى وصفته
متصلة بذاته فكيف يتصل بي او ينفصل عني فاما الاستوا صفة
لا تفسر اذ لا يعلمه الا هو او تفسر بالاستيلا كقوله قد استوى
بشر على العراق او بغيره مما في المذهبان الشهيران **يا محمد**
لست بالقريب منه وصلا اي لا اتصل به **ولا بالبعيد عنه**
فصلا بل انا من جملة مخلوقاته **ولا بالمطيق له حملا او جدتني**
منه متعلق بقوله **رحمة** مقدم عليه لاجل السجع **وفضلا على**
وعلى عباده حيث جعلني سقف المخلوقات **ولو محقني**
اذ هبني كلي حتى لا يرى لي اثر كقوله يمحق الله الربا **لكان**
حقا منه وعدلا اذ لا حجر على المالك الحقيقي فيما يفعل بملكه
يا محمد انا محمول قدرته فكيف احمله ومعمول حكمته فاجاب
حال سيدي زاده الله فضلا وشرفا لديه عنده **وواصل صلاته**
وسلامه عليه ايها العرش اليك عني انا مشغول عنك فلا
تكدر **على صفوتي** مثلث الصاد اي خالص ما انا
فيه من اشتغالي بالحضرة **ولا تشوش على خلوتي** بشين
معجمة اوله اي تخلط على ما قاله الفارابي وتبعه الجوهري
وقال بعض الحذاق هي كلمة مولدة والصحيح هوش بالها
اوله وقد نقلها ابن الانباري قال ايمة اللغة انما يقال هوشت
وتبعه الازهري وغيره وقالوا تشويش خطا **فما اعاره صلى**
الله عليه وسلم منه طرفا نظرا ولا اقراه من مسطور ما
اوحى اليه حرفا ما زاغ البصر وما طغى استدلال لقوله
فما اعاره منه طرفا **وقد ورد في بعض اخبار الاسرا والمعراج**
مما ذكره العلامة محمد بن مرزوق في شرح البردة المديح
انه صلى الله عليه وسلم لما كان مع ربه كما قال صلى الله
عليه وسلم في رواية شريك ودنا الجبار فتدلى **فكان قاب**
قوسين او ادنى فليس فاعل قال عايد على الله فلا
يخالف ما مر له ان المراد في الاية جبريل على الصحيح
قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بدل **بالحجارة** كقوم
لوط **وبعضهم بالخسف** كقارون **وبعضهم بالمسخ** كطايفة
من بني اسرايل **فما انت فاعل بامتي قال تعالى انزل عليهم**
الرحمة وابدل سياتهم حسنات اي يجعل في الاخرة مكان

السيئة حسنة قال صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا
الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيمة فيقال
اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض الله
عليه صغارها ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت
يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق
من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له إن لك مكان كل سيئة حسنة
فيقول يا رب قد عملت أشيا لا أراها ههنا قال أبو ذر فلقد رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه رواه مسلم
وغيره ومن دعاني أي ناداني بنحو يا الله منهم لبيته أجبته بلبيك
ومن سألني أعطيته ما سأل أو نظيره فورا أو بعد مدة سبق
علمه تأخيرا لاعطا إليها الحكمة اقتضت ذلك أو تدخر له دعوته
في الآخرة فيجازي عليها ومن توكل علي كفيته وفي التنزيل
ومن يتوكل على الله فهو حسبه وفي الدنيا استر علي العصاة
وفي الآخرة أشفعك فيهم ولولا أن الحبيب يحب معاتبة
حبيبه أي ملاطفته بالكلام لما حاسبت أمتك وقال الخليل
حقيقة العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة ولما أراد صلى
الله عليه وسلم الانصراف قال يا رب إنه لكل قادم من سفره
تحفة بزنة رطبة وحكي سكون الحا ما اتحفت به غيرك فما تحفة
أمتي التي اتحفهم بها في قدومي قال الله تعالى أنا لهم
ما عاشوا في الدنيا بالحفظ والنصر وتيسيرهم لصالح الأعمال
وغير ذلك وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأنا لهم إذا ماتوا
أي وقت نزاع أرواحهم بطرد الشياطين عنهم وتوفيهم على
الإسلام وغير ذلك وأنا لهم في القبور بجعلها روضة من رياض
الجنة وتثبيتهم لسؤال الملكين وغير ذلك وأنا لهم في النشور
يوم القيامة بجعل الفزع الأكبر لا يحزنهم وجعلهم على
مكان عال وغرا محجلين من آثار الوضوء وغير ذلك حتى يدخلهم
الجنة قبل الأمم فنسأل الله الوفاة على الإسلام والإيمان بلا محنة
واعلم أنه قد اختلف العلما قديما وحديثا في رؤيته صلى
الله عليه وسلم لربه ليلة الإسرى وعلى أنه رآه هل بعيني رأسه
أو بقلبه أو مرة بالبصر وأخرى بالقلب وثالثها الوقف
هذا حاصل ما ذكره فروى البخاري في التفسير تاما وفي
التوحيد مقطعا ومسلم في الإيمان والترمذي والنسائي
في التفسير من حديث مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني
الوادعي الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم روى له الأئمة مات سنة
اثنين ويقال سنة ثلاث وستين وله ثلاث وستون سنة قال

قلت

قلت لعائشة رضي الله عنها وفي رواية عبد الرزاق وابن
حميد والترمذي وغيرهم عن مسروق قال لقي ابن عباس
كعبا بعرفة فسأله عن شيء فقال ابن عباس إنا بنو هاشم
نزعم وفي لفظ نقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى
ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال إن الله قسم
رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فرآه محمد مرتين وكلمه موسى
مرتين قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت يا أمتاه بضم
الهمزة وشد الميم ففوقية فألف فها ساكنة قال في الفتح والأصل
يا أم والها للسكت فأضيف إليها ألف الاستغاثة فأبدلت تاء
ثم زيدت ها السكت بعد الألف وقال الخطابي إذا نادوا قالوا
يا أمه بها السكت وعند الوصل يا أمت فإذا تفجعوا للندبة
قالوا يا أمتاه والها للسكت وتعقبه الكرماني بأن قول مسروق
ليس للندبة إذ ليس هو متفجعا عليها قال الحافظ وهو كما
قال هل رأى محمد ربه ليلة الإسرا فقالت لقد قف بفتح القاف
وشد الفا قام شعري مما قلت ولأبي ذر مما قلته بالضمير أين
أنت من ثلاث أي كيف يغيب فهمك عنها وكان ينبغي أن تكون
مستحضرها ومعتقدا كذب من يدعي وقوعها من حدثهن
فقد كذب في حديثه من حدثك أن محمدا رأى ربه ليلة المعراج
فقد كذب ثم قرأت مستدلة لذلك بطريق الاستنباط لا تدركه
الأبصار أي لا تراه وهو يدرك الأبصار أي يراها ولا تراه ولا
يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط بها علما
وهو اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقرأت مستدلة وما كان
لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه وحيا في المنام أو بالإلهام
أو من وراء حجاب بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه
السلام وأجيب بأن هذه الآية تدل على نفي الرؤية مطلقا
بل على أن البشر لا يرى الله في حال التكلم فنفي الرؤية مقيد
بهذه الحالة دون غيرها وبأنه عام مخصوص بما تقدم وبأن
المراد بالوحي الكلام بلا واسطة والقول وإن كان محتملا
لكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام
وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال
الواحدي وغيره معناه غير مجاهرين بالكلام بل يسمعون
كلامه تعالى من حيث لا يرونه وليس المراد أن يكون هناك
حجاب يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب
فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم ومن حدثك
أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب

اي يعمل غدا من خير او شر و يعلمه وفي رواية مسلم فقد اعظم
على الله الفرية واستدل بقوله قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله ومن حدثك انه كتم شيا مما امر بتبليغه
ولابي ذر انه قد كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ
ما انزل اليك من ربك جميعه ولا تكتم منه شيا خوفا ان
تنال بمكروه وان لم تفعل اي لم تبلغ جميع ما انزل اليك فما
بلغت رسالته بالافراد والجمع لان كتمان بعضها كتمان
كلها زاد مسلم في رواية ولو كان محمد كاتما شيا مما انزل عليه لكتم
هذه الاية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه
امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ولكنه صلى الله عليه وسلم
والمستملي ولكن راي جبريل في صورته مرتين مرة بالارض وهو
بالافق الاعلى ومرة في السما عند سدرة المنتهى وفي رواية مسلم
من حدثك ان محمدا راي ربه فقد اعظم الفرية بدل قوله
فقد كذب والفرية بالكسر الكذب وجمعها فرى كعنب وقوله اي
الشخص وهو عايشة قف اي قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة
الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك في الدنيا
وليس انكار الوقوع الروية مطلقا كما تزعم المعتزلة قال النضر
ابن شميل القفة بفتح القاف وشد الفا كالقشعريرة مرة
واصله التقبض والاجتماع لان الجلد ينقبض عند الفزع فيقوم
الشعر لذلك قال النووي تبعا لغيره لم تنف عايشة وقوع
الروية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته لان النص
اقوى من الاستنباط وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته
من ظاهر الاية وقد خالفها غيرها من الصحابة فلم يفهم
على ظاهرها كابن عباس والصحابي اذا قال قولا وخالفه
غيره منهم اي الصحابة لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا ممن قال
بانه حجة وممن قال ليس بحجة قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني
جزمه اي النووي بان عايشة لم تنف الروية بحديث مرفوع
تبع فيه ابن خزيمة محمد بن اسحق امام الايمة كما تبعه وهو عجيب
فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ النووي
فعنده من طريق داود بن ابي هند القشيري مولاهم
البصري ثقة متقن مات سنة اربعين ومائة وقيل قبلها روى
له مسلم واصحاب السنن عن الشعبي عامر بن شراحيل عن مسروق
في الطريق المذكور قال مسروق وكنت متكيا فجلست فقلت
يا ام المومنين انظريني ولا تعجليني الم يقل الله عز وجل

شميل

جماعة

ولقد

ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة اخرى فقال انا اول
هذه الامة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال
انما هو جبريل لم اره على صورته التي خلق عليها غير هاتين
المرتين رايته منهبطا من السما سادا عظم خلقه ما بين السما
والارض فهذا لفظ مسلم في كتاب الايمان قال في الفتح واخرج
ابن مردويه ايضا عن مسروق فقلت الم يقل الله ولقد راه
نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن هذه الاية فقلت يا رسول الله هل رايت
ربك قال لا انما رايت جبريل منهبطا اي نازلا من السما
فسقط من قلم المم او نساخه بعض الكلام كما ترى اذ لم يقع في مسلم
تصريح بان النبي صلى الله عليه وسلم نفى روية الله تعالى وبهذا بطل
تعجب الحافظ من النووي لان غاية ما في رواية مسلم ان عايشة
زعمته دليل الخصم باسنادها الى المصطفى ان المراد جبريل فلا تلتفت
الى غيره ولكن لا يدل على نفي الروية كما صرح به الابي لانه لا يلزم من
ابطال الدليل بطلان المدلول واما رواية ابن مردويه المصرحة
بنفي الروية ورفعها اليه صلى الله عليه وسلم فهي في الاية المسؤول
عنها وهي ولقد راه نزلة اخرى كان سلم ان رواية ابن مردويه
تعادل رواية مسلم والا فما فيه ولم يقع فيه تصريح بنفي الروية
مرفوعا وقد قال التقي السبكي في تفسيره قول ابن عطية
حديث عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قاطع لكل تاويل في
اللفظ لان قول غيرها انما هو منتزع من الفاظ القران فيه نظر
لانه ان كان سوالها عن ولقد راه نزلة اخرى فليس مما نحن
فيه وجايز ان يكون هذه جبريل وهذه الله سبحانه وان كان
عن الايتين فيقرب ما قاله ابن عطية والاحتمال حاصل
فيما سالته عنه ليس في لفظها صراحة بذكره ثم قال فلذلك نسلم
ما ادعاه هولا الايمة من ان عايشة لم تذكر فيه نصا وبان بهذا
ان الراجح في تفسير الاية ان الروية بالبصر وانها لله تعالى انتهى
وفيه تامل لان رواية مردويه صرحت بان السوال عن ولقد
راه نزلة اخرى لكن كلامه انما هو مع رواية مسلم ومن قال انه
صلى الله عليه وسلم خاطبها على قدر عقلها وحاول تخطيتها
فيما ذهبت اليه فهو مخطي قليل الادب نعم احتجاج
عايشة بالاية الاولى خالفها فيه ابن عباس فاخرج الترمذي
وحسنه من حديث الحكم بن ابان العدني ابي عيسى صدوق
عابد له اوهام مات سنة اربع وخمسين ومائة وكان مولده
سنة ثمانين روى له اصحاب السنن عن عكرمة عن ابن عباس

رضي الله عنهما قال راي محمد ربه قال عكرمة قلت اليس
يقول الله تعالى لا تدركه الابصار اي لا تراه قال ابن عباس ويحك
يا عكرمة ذاك اذا تجلى ظهر بنوره الذي هو نوره واما
اذا تجلى بغيره فتمكن رويته على الوجه الذي يليق بالرائي
وقد راي ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفواده رواه الطبراني
باسناد صحيح عن ابن عباس قال الشامي وحاصله ان المراد
بالاية نفي الاحاطة به عند رويته لا نفي اصل رويته وقال
النووي المراد بالادراك الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد
النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الروية بغير احاطة وقال
القرطبي الشيخ ابو العباس في المفهم الابصار في الاية جمع محلى
بالالف واللام فيقبل التخصيص وقد ثبت دليل ذلك
سمعا في قوله تعالى كلا احقا انهم عن ربهم يومئذ يوم القيمة
لمحجوبون فلا يرونه فيكون المراد الكفار بدليل قوله في الاية
الاخرى وجوه يومئذ يوم القيمة ناضرة حسنة مضيئة الى
ربها ناظرة فثبت النظر في الاخرة للمومنين بنص الاية واذا جازت
في الاخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة الى
المرئي وهو ذاته تعالى انتهى وهذا استدلال جيد من
القرطبي وقال القاضي عياض في الشفا والحق الذي لا امترا فيه
ان روية الله تعالى جايزة عقلا لانه موجود حقيقة وكل
موجود تجوز عيانا وليس في العقل ما يحيلها اي ما يقتضي انها
مستحيلة وهذا كالدليل لما قبله فهو عطف علة على معلول
وذكر دليلا نقليا تابعا للعقلي بقوله والدليل على جوازها
سوال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على
الله وما لا يجوز عليه ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي
لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله لن تراني اي لن تطيق ولا
تحتمل رويتي ثم ضرب له مثلا مما اقوى من بنية موسى واثبت
وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رويته في الدنيا بل فيه جوازها
على الجملة ثم قال عقب هذا وليس في الشرع دليل قاطع على
استحالتها ولا دليل قاطع على امتناعها وان لم تكن
مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا او في الدنيا
اذ كل موجود فرويته جايزة غير مستحيلة والله موجود
وهذا التعليل للجواز فالعلة فيه الوجود وهو مشترك
بين الله وساير الموجودات فكما يجوز رويتها تجوز رويته
وانتقد هذا التعليل باقتضائه صحة روية الاصوات والروايح
والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة

رويته م

بالبصر

بالبصر واجيب بانه منقول عن الاشعري وهو قد التزم جواز
رويتها فالكلام في الجواز لا في الوقوع ولا حجة مسلمة عند الخصم
لمن استدل على منعها اي الروية بقوله تعالى لا تدركه الابصار
لاختلاف التاويلات في هذه الاية فقيل لا تدركه ابصار الكفار
وقيل لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقيل لا تدركه الابصار
وانما يدركه المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الروية
ولا استحالتها انتهى كلام عياض بهذا الذي زدته وحذفه المصنف
استغناء بما بسطه تبعا للحافظ بقوله وقد روى ابن ابي حاتم بسنده
عن اسماعيل بن علية بضم العين المهملة وفتح اللام وشد التحتية
وهي امه اشتهر بها وابوه ابراهيم بن مقسم بكسر الميم وسكون القاف
وفتح السين البصري ثقة حافظ روى له الستة مات سنة ثلاث
وتسعين ومايه وهو ابن ثلاث وثمانين في تاويل هذه الاية
قال هذا في الدنيا وقال اخرون لا تدركه الابصار اي جميعها
وهذا مخصص بصيغة اسم المفعول بما ثبت في الكتاب
والسنة من روية المومنين له في الدار الاخرة وهذا كالشرح
لقول ابن علية وقال اخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه
من هذه الاية انه لا يرى في الدنيا ولا في الاخرة وقد بالغ عياض
في الرد عليهم بان ما استدلوا به حجة عليهم لا لهم فقال وقد استدل
بعضهم بهذه الاية على جواز الروية وعدم استحالتها انتهى اي لان
نفي الشي عند البلغا يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا يقال الحايط
لا علم له والله قد ساق نفي ادراك الابصار في سياق المدح وانما يتمدح
بامر ثبوتي كمالي لا بالعدم الصرف فكل نفي مدح به يتضمن امرا وجوديا
كنفي الموت المتضمن للحياة السرمدية فلو كان نفي الابصار معناه
انه لا يرى اصلا كساير المعدومات لم يكن فيه مدح فخالفوا اهل
السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اما الكتاب
فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة تراه يوم القيمة
مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذا قدم المفعول
وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقول
المعتزلة معناه منتظرة انعام ربها لان الانتظار لا يسند الى الوجه
وتفسير الوجه بالجملة خلاف الظاهر فان المستعمل بمعناه لا يتعدى
بالى واستشهادهم لتفسيرهم بقوله

واذا نظرت اليك من ملك ، والبحر دونك زدتني نعما

قال العلم السخاوي لا حجة فيه لان النظر بمعنى التامل لا يطلع
عليه مخلوق ولذا قال زدتني نعما وقال البيضاوي النظر

بمعنى السوال فان الانتظار لا يستعقب العطا وقال الطيبي
والبحر ونك جملة معترضة تحتمل وجهين احدها البحر بيني
وبينك وثانيهما البحر اقل منك في الجود وهذا ارجح وحينيذ لا يصلح
للاستشهاد وقوله كلا انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون فلا
يرونه بخلاف المومنين قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى
فدل هذا بالمفهوم على ان المومنين لا يحجبون عنه تبارك
وتعالى اذ تخصيص الحجب بالكفار يدل بمفهومه على ذلك
دلالة ظاهرة وحاد المعتزلة عن سوا السبيل فقدروا مضافا
مثل رحمة ربهم او قرب ربهم او هو تمثيل لاهانتهم باهانة من
يمنع من الدخول على الملوك واما السنة فقد تواترت
الاخبار عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان وابي هريرة
عبد الرحمن بن صخر وانس بن مالك وجرير بن عبد الله البجلي
وصهيب بضم الصاد بن سنان الرومي وبلال المؤذن وغير واحد
من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المومنين يرون
الله تعالى في الدار الاخرة في العرصات قبل دخول الجنة
وفي روضات الجنات جعلنا الله منهم وتفصيل ذلك يطول
وقيل المنفي في الاية بقوله لا تدركه الابصار ادراك العقول
تلاابنا في ادراك الابصار قال ابن كثير وهو غريب جدا
وخلاف ظاهر الاية لانه صرح بالابصار وقال اخرون
لا منافاة بين اثبات الروية ونفي الادراك فان الادراك
اخص من الروية ولا يلزم من نفي الاخص انتفا الاعم اذ النفي
انما وقع على خاص ثم اختلف هولا في الادراك المنفي
ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو
وان راه المومنون كما ان من راى القمر فانه لا يدرك
حقيقته وكنهه وماهيته عطف مساوي فالعظيم
تبارك وتعالى اولى بذلك من القمر لانه اذا لم يدرك حقيقة
المخلوق فكيف الخالق وله المثل الاعلى الوصف الاعلى الذي ليس
لغيره ما يساويه ولا يدانيه فانما هذا تقريب للفهم وقال
اخرون المراد بالادراك الاحاطة بجوانب المرئي وحدوده
لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول في المكان كقول اصحاب
موسى انا لمدركون او الزمان كما يقال ادرك فلان النبي صلى
الله عليه وسلم او الصفة كادرك الغلام اذا بلغ وادركت الثمرة
اذا نضجت ثم نقل لابصار الشي المتناهي المحدود بالجهات لتوهم
معنى اللحوق فيه كان البصر قطع المسافة التي بينه وبينه
حتى بلغه ووصل اليه فابصار ما ليس في جهة لا يتحقق فيه

معنى

معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو روية مخصوصة
نفي المطلقة والى هذا اشار بقوله قالوا اي الاخرون وليس المراد
التبري بل النسبة ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الروية كما لا
يلزم من عدم الاحاطة بالعلم عدم العلم فالمعنى لا تدركه الابصار
على وجه الاحاطة لتعاليه عن التناهي وعن الاتصاف بالحدود التي
هي النهايات والجوانب والاحاطة بما لا يتناهى محال وحينيذ فدلالة
الاية على جواز الروية بل على تحققها بالوقوع اظهر من دلالتها
على الجواز بما ذكرمن التمدح وفي صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم
لا احصي ثنا عليك قال ابن الاثير الاحصا هنا بلوغ الواجب
اي لا ابلغ الواجب في الثنا عليك وقال الراغب هو التحصيل اي
لا احصل ثنا لعجزي عنه اذ هو نعمة تستدعي شكرا وهكذا الى غير
نهاية او لا اعده كما في الصحاح لان معنى الاحصا العد بالحصى
كما قال ولست بالاكثر منهم حصى وانما العزة للكاثر
وعليه فهو من نفي الملزوم المعبر عنه بالاحصا المفسر بالعد
وارادة نفي اللازم وهو استيعاد المعدود فكانه قيل لا استوعب
فالمراد نفي القدرة على الاتيان بجميع الثناات وفرد منها ثم
لا عدها اذ يمكن عد افراد كثيرة من الثنا انت مبتدا خبره كما
اثنيت اي الثنا عليك هو المماثل للثنا بك على نفسك ولا قدرة
لاحد عليه ويحتمل ان انت تاكيد للكاف من عليك باستعارة
الضمير المنفصل للمتصل والثنا الوصف الجميل قال النووي
بتقديم المثلثة والمد المشهور في اللغة قصر استعماله في الخير
واستعماله في الشر مجاز وقال المجد وصف بمدح او ذم او خاص
بالمدح ولا يلزم من هذا عدم الثنا بل وجد الثنا من المصطفى
كثيرا جدا على ربه فكذلك هذا الذي فيه الكلام لا يلزم من عدم
الاحاطة عدم الروية وروي ابن ابي حاتم عن ابي سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لا تدركه الابصار قال
لو ان الجن والانس والشياطين مردة الجن والملايكة منذ خلقوا
الى ان فنوا صفوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا فهذا يويد ان
المراد بالادراك الاحاطة قال ابن كثير غريب لا يعرف الا من
هذا الوجه بمعنى انه تفرد به الراوي فلا متابع له ولم يروه احد
من اصحاب الكتب الستة وذلك ظاهر في غرابته وليس المراد ان
ما ليس فيها يكون غريبا والله اعلم بالحق في ذلك ومما ينسب لامام
الحرمين في كتاب لمع الادلة بضم ففتح جمع لمعة من لمع اضا انه
قال من اصحابنا من قال ان الرب تعالى لا يرى ولا يدرك لان
الادراك ينبي عن الاحاطة ودرك بفتح فسكون بمعنى ادراك

الغاية والرب جل جلاله تقدس تنزه عن الغاية والنهاية
وكلامهم في الادراك مسلم لكنه ليس بلازم من الروية كما مر
فنفيهم لها ليس بمسلم واليه اشار بقوله ثم قال فان عارضوا
بقوله تعالى في جواب قول موسى عليه السلام رب ارني
انظر اليك قال لن تراني لا تقدر علي رويتي وزعموا ان لن تفيد
النفي على التابيد كما زعمه الزمخشري في اغوذجه او تاكيده كما
زعمه في كشافه في الاية والصحيح انها لا تفيد ذلك قلنا هذه
الاية اوضح الادلة علي جواز الروية لانها لو كانت مستحيلة
لكان معتقد جواز الروية ضالا كافرا باعتقاد المحال على الله
وكيف يعتقد بالبنا للفاعل ما اي امرا لا يجوز على الله مفعول
والفاعل من اصطفاه تعالى لرسالته اني اصطفيتك على الناس
برسالاتي واختاره لنبوته بكرامته وشرفه بتكليمه بلا واسطة
وجعله افضل اهل زمانه اشار الى ان قوله على الناس ناس
زمانه وايده ببركاته نارا وقوله ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات والاستفهام للنفي اي لا يمكن اعتقاده ذلك وكذا
قوله وكيف يجوز على الانبيا الريب الشك في امر يتعلق
بعلم الغيب وانفصل المعتزلة عن هذا بانه لم يساله عن جوازه
عنده بل تبكيتا للقائلين له ارنا الله جهرة او سالها مع
علمه باستحالتها لتاكد الدليل العقلي بالسمعي وبطمين
قلبه كما قال ابراهيم ولكن ليطمين قلبي فان العلم يتفاوت
قوة وضعفا ورد بان تفاوته غير مسلم والخليل لم يساله
لذلك وانما علم ان الله متخذ خليلا يحيي الموتى بدعايه
فساله ذلك ليعلم اهو هو ام لا ولو سلم فلا يلزم سواله ما لا
يجوز وبينا في الادب اذ كان يقول موسى بين لي علم ذلك
جوازا او استحالة فيجب حمل الاية على ان ما اعتقد موسى
عليه السلام جوازه جايز لكن ظن ان ما اعتقد جوازه ناجز
واقع في الحال فرجع النفي في الجواب الى الانجاز فكانه قيل لن
تراني في الحال وما سال موسى ربه رويته في المال فصرف النفي
الى... لا يلزم انه لا يرى ابدا والجواب بلن تراني دون لن اري
يدل على قضية الخطاب انتهى وقال البيضاوي في هذه الاية
دليل على ان رويته تعالى جايزة في الجملة لان طلب المستحيل من
الانبيا محال لانهم بعثوا لتعليم الامم الشرايع والعقايد الحقة
وهي معرفة ما يجوز على الله وما يمتنع فلو جهل ذلك كان الله
امر لهم بما لا يعلمه وهو محال لانه جهل او عبث وخصوصا
ما يقتضي الجهل بالله وجواب المعتزلة بانه انما يلزم هذا لو

له

كان

كان سوالا حقيقيا لا لالزام غيره او تبكيته رد بان السياق
يا باه ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن اري ففي ذلك
دليل واضح علي الجواز انتهى وقوله تبت اليك اي من سوالي ما لم
تقدره لي قاله عياض اي في ذلك الوقت فلا ينافي قوله وقد
ذكر القاضي ابو بكر ان موسى راي الله فلذا خر صعقا وان
الجبل راه بادراك خلقه الله له فصار دكا قال عياض واستنبط
ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الي الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه للجبل ظهوره حتى راه على هذا القول وقال جعفر
ابن محمد شغله بالجبل حين تجلى ولولا ذلك مات صعقا بلا
افاقة وهذا يدل على ان موسى راه وقال بعض المفسرين
راه الجبل وبه استدل من قال بروية نبينا صلى الله عليه وسلم
اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الايات
نص في المنع انتهى والراجح ان موسى لم يره وقيل قوله تبت
اليك انما كان لما غشيه من شدة ما افضى به الى ان صعق كما
يقول من فعل جايزا حصل له منه مشقة تبت عن فعل مثله
ونقل القاضي عياض عن ابي بكر الهذلي في تفسير الاية
ان المراد ليس لبشر ان يطيق اي يقدر ان ينظر الي في الدنيا
وانه من نظر الي فيها مات لضعف القوى البشرية عن
سبحات الجلال الا من اقدره الله وفيه دليل على جواز وقوعها
في الدنيا لكن ممن وقع له لا بعينه كما روي ان من راي جبريل
من غير الانبيا يعمى قال عياض وقد رايت لبعض السلف
المتقدمين ولبعض المتاخرين ما معناه ان رويته
تعالى في الدنيا ممتنعة لمانع منها لا لذاتها من حيث هي لما
مر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض لضعف تركيب اهل
الدنيا اي لضعف ابدانهم المركبة كما قال تعالى وخلق الانسان
ضعيفا وقواهم جمع قوة وهي امر اودعه الله في البدن به الادراك
او المراد المعنى اللغوي وكونها اي القوى او هي مع التركيب متغيرة
بالازدياد اول امرها ثم النقص بعده وذلك يدل على ضعفها
غرضا بمجتنبين للافات شبه الجسد بهدف ينتصب لرمي السهام
والافات الدهر ومصايبه سهام لا يزال يرمى بها حتى تفنى
ويجوز اهمال العين اي معرضا لها والاول اصح رواية ودراية
ونصب حالا وخبرا بعد خبر لكون ولم يعطف لكونه سببا
لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه نظر لان ذلك
مخصوص بالجمل وقال التلمساني روي معترضة بدل فعلى

متغيرة اي ذات اعراض وهي الافات والاعراض اومن
العرضة اي متعرضة للافات وهي كالعاهات كل ما يعرض
لشي فيفسده والفنا بفتح الفا والمد الزوال والعدم فلم
تكن لهم قوة علي الروية لضعف ابدانهم وقواهم في الدنيا
فاذا كانوا في الاخرة اي اذا احياهم الله وركبوا تركيبا اخر
غير تركيبهم الاول ورزقوا قوي ثابتة بمثلثة ونون وتحتية
اي غير القوي الاولي الدنيوية وفي نسخ ثابتة بموحدة وفوقية
فقوله باقية تفسير له اي مخلدة لا تفني لقوة تركيبها وتمام
قواها واتم انوار ابصارهم وقلوبهم اي جعلها تامة كاملة
مستعدة للبقا السرمدية قووا بها على الروية جواب اذا و
ضميرها للمذكورات من التركيب والقوي والانوار فهذا
يدل على وقوعها في الاخرة وجوازها في الدنيا لانه لو رزقهم
ذلك في الدنيا صح ذلك منهم ايضا ولذا شق صدر المصطفى واودع
فيه ما قوي به على ذلك قال عياض وقد رايت وفي نسخ وروي
نحو هذا لمالك بن انس الامام رضي الله عنه قال لم ير بضم التحتية
ونايب الفاعل عايد على الله لانه باق ولا يري الباقي بالفاني
فاذا كان المنظور والناظر في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية
روي الباقي بالباقي لان البقا الابدي علة لصحة الروية
كما ان الفنا والحدوث لا مدخل له في المنع لان الروية بخلق
الله وليست مشروطة بشي عند اهل السنة فكانه اراد ان البقا
يلزمه قوة التركيب والقوة المعدة لصحة النظر فيكون بمعني
ما قبله وكذا ان كان مراده ان الرايي والمرايي لا بد ان يكون
بينهما مناسبة وايضا هذه الدار فانية فاذا عادت وكسبت
صفة دوام البقا تحملت روية الحي القيوم للمناسبة في الجملة
وان كان بقاوه قديما ذاتيا وبقاوها طاريا عرضيا وهذا كلام
حسن مليح وليس فيه دلالة على الاستحالة والامتناع
عقلا بل هو دال على الجواز اذ لا مانع منه الا من حيث
ضعف القدرة البشرية في الدنيا فاذا قوي الله من
شا من عباده بان رزقه قوة تطيق ذلك واقدره على
حمل اعبا اثقال الروية اي جعل له قدرة وطاقة على
رويته ومشاهدته وفي نسخة الرسالة تصحيف فلا دخل
لها هنا والذي في الشفا الروية لم تمتنع في حقه الروية فيمكنه
منها بما منحه من القوة واعبا جمع عب بكسر المهملة وسكون
الموحدة وهمزة الحمل الثقيل حقيقة في المحسوسات استعير
للمعاني الشاقة انتهى كلام عياض والاستثنا في قوله الا من

حيث

حيث ضعف القوة ينبغي ان يكون منقطعا على معني لكن
من حيثة القوة والا بانه كان متصلا فضعف القوة فصار راه
غايته انه يكون مانعا فلا يصح دخوله فيما قبل الاستثنا اي
امتنع من حيث ضعف القوة لانا فيه من جهة كونه مستحيلا
تقرير وبيان للانقطاع ويدل على هذا قوله فاذا قوي الله
تعالى من شا من عباده واقدره على حمل اعبا الروية لم يمتنع
في حقه اذ لو كان متصلا ما حسن التفريع وقد وقع في صحيح
مسلم ما يويد هذه التفرقة في حديث مرفوع نصه واعلموا
انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا واخرجه بن خزيمة ايضا في صحيحه
من حديث ابي امامة صدي بن عجلان الباهلي ومن حديث
عبادة بن الصامت الانصاري فاذا جازت الروية في الدنيا
عقلا فقد امتنعت سماعا بقوله حتى تموتوا لكن من اثبتها
للنبي صلى الله عليه وسلم له ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم
كلامه علي احد الاقوال في الاصول وفي تفسير بن كثير في بعض
كتب الله المتقدمة ان الله تعالى قال لموسى لما ساله الروية
انه قال لن يراني حي الا مات وقد اختلف على قول من قال
ان موسى راه هل مات ثم احياه الله كما ذهب اليه كثير من
المفسرين او لم يمت لانه الهي بالنظر للجبل حتى لا يموت اذا تجلى
له ابتدا وهو قول جعفر بن محمد كما مر وعليه فمعنى قوله الا
مات مالم اثبته واقويه فلا يموت وقد جزم القشيري في الرسالة
بانها لا تجوز في الدنيا على جهة الكرامة وادعي حصول
الاجماع عليه ونوزع بوجود الخلاف وحكى القاضي عياض في الشفا
امتناعها اي رويته تعالى في الدنيا عن جماعة من المحدثين
لعدم صحة حديث عن المصطفى صريح بذلك والفقها في باب
الردة هل يكفر مدعيها ام لا والمتكلمين في الاصول وقال
القشيري ايضا سمعت الامام ابا بكر بن فورك بضم الفا واسكان
فاسكان الف الواو وفتح الرا فكاف يحكي عن الامام ابي الحسن
الاشعري امام اهل السنة والجماعة في ذلك قولين في كتاب الروية
الكبير انتهى اي في جوازها وعدمها واجمعوا على وقوعها في الاخرة
للمومنين كما تواترت به الاحاديث وبه نطق القران وقوله
تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة الحسنى الجنة والزيادة هي
النظر اليه تعالى كما فسره به النبي صلى الله عليه وسلم في مسلم
وغيره واحالت المعتزلة ذلك فصادرت الادلة عندهم كالصايل
لا يبالون باي شي دفعوه فقال كبيرهم الزمخشري زعمت المسمية
المجبرة ان الزيادة النظر الي وجه الله وجا بحديث مرفوع

قال الطيبي هو عنده بالقاف اي مفتري واما عند اهل السنة
فبالفا وقال ابن المنير بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه والحديث
مدون في الصحاح وقد جعل اهل السنة جاوا به من عند انفسهم
نحسبه الله وقال الزمخشري في موضع اخر

لجماعة سموا هواهم سنة ، وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ، شنع الورى فتستروا بالبلكفه

قال ابن المنير انتقل الى الهجا وقد اذن صلى الله عليه وسلم لحسان
في المنافحة وهجا المشركين فناسبت ذلك

وجماعة كفروا برؤية ربهم ، هذا ووعد الله ما ان يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا اجل ، عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا انهم ، ان لم يكونوا في لظى فلهم شفه

وقال السعد لقد عورض ما انشده او انشاه من الهذيان

لجماعة كفروا برؤية ربهم ، ولقابه فهم حمير موكفه
فكما هم علموا بلا كيف فنحن ، نرى فلم ينفعهم بالبلكفه
هم عطلوه عن الصفات وعطلوا ، عند الفعال فيالها من مقلفه
هم نازعوه الخلق حتى اشركوا ، بالله زمرة حالة واساكفة
هم غلقوا ابواب رحمة النبي ، فهي لا تزال على المعاصي موكفه

الى اخر ما قال وقد اكثر الناس في الرد عليه نظما ونثرا ثم لما اثبت
المؤلف جواز الرؤية في الدنيا عقلا وسمعا وان كان كلامه في
الخلاف في وقوعها للمصطفى وعدمه لانه ان لم يثبت الجواز لم
يثبت الوقوع اخذ في تتميم الكلام على الوقوع فقال وقد
ذهبت عائشة كما تقدم وابن مسعود في المشهور عنه الى انه عليه
السلام لم ير ربه ليلة الاسرى واختلف عن ابي ذر فروي عنه
انه راه وروي عنه انه لم يره وكذا اختلف عن ابي هريرة فحكى
ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة هل راى محمد ربه قال نعم
وفي رواية لم يره والى النفي ذهب كثير من المحدثين والفقها
والمتكلمين وبالغ الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي فنقل فيه
الاجماع وذهب جماعة الى اثباتها قال النووي وهو اكثر العلما
وحكى عبد الرزاق بن همام الصنعاني احد الاعلام عن معمر بن راشد
عن الحسن البصري انه حلف ان محمدا راى ربه لفظ الرواية انه
كان يحلف بالله لقد راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه واخرج ابن
خزيمة عن عروة بن الزبير اثباتها اي رؤية الله للمصطفى وانه
كان يشتد عليه انكار عايشة لها وبه قال سائر جميع اصحاب
ابن عباس وجزم به كعب الاحبار اي ملجا العلما وكبيرها
وافقه ابن عباس حتى حيا وبته الجبال بعرفة سرورا والزهري

محمد

محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وصاحبه اي تلميذه معمر بن راشد
البصري احد الاعلام واخرون كثيرون وهو قول الاشعري وغالب
اتباعه وفي الشفا وقال الاشعري وجماعة من اصحابه انه صلى الله
عليه وسلم راى الله ببصره وعيني راسه وقال اي الاشعري كل اية
اوتيها نبي فقد اوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرؤية
ثم اختلفوا هل راه بعينه او بقلبه ورايي في معناه وقال النووي
الراجح عند اكثر العلما انه صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني راسه ليلة
المعراج واستدل باشيا نوزع في بعضها وجاءت عن ابن عباس اخبار
مطلقة اي دالة على الرؤية بلا قيد بالعين ولا بالقلب واخرى
مقيدة بانه راه بقلبه فيجب حمل مطلقها الدالة على الرؤية على مقيدها
انه راه بقلبه عملا بقاعدة حمل المطلق على المقيد هكذا
قاله الحافظان ابن كثير وابن حجر وغيرهما ومقتضاه انه لم يرد
عنه اخبار مقيدة بانه راه بعينه وهو عجب ففي الشفا
بعد حكاية اختلاف الروايات عن ابن عباس في انه راه
بعينه او بقلبه ما نصه والاشهر عنه انه راه بعينه روي
ذلك عنه من طرق انتهى فالوجه الجمع بانه راه مرتين مرة بقلبه
ومرة بعينه كما قال ابن خزيمة وبه صرح ابن عباس في الطبراني
بسند صحيح كما ياتي ومحل القاعدة اذا عارض المطلق مقيد
واحد اما اذا عارضه مقيدان فلا يقيد بواحد دون الاخر
لانه تحكم فان امكن الجمع كما هنا بالتعدد وجب المصير اليه والا
رجع للمطلق فمن ذلك اي ما جاء عن ابن عباس لا بقيد المطلق والمقيد
ما اخرجه النساي باسناد جيد اي مقبول وفي نسخة صحيح وهي
انسب لقوله وصححه الحاكم ايضا من طريق عكرمة عن ابن عباس
انه قال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم كما قال تعالى واتخذ
الله ابراهيم خليلا والكلام لموسى وكلم الله موسى تكليما والرؤية
لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا من الاحاديث المطلقة واخرجه
ابن خزيمة بلفظ ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة وموسى
بالكلام ومحمدا بالرؤية واستشكل تعريفه هذه الخصايص
بان الخلة والكلام ثبتا لنبينا ايضا واجيب بان مراده ان
الخلة ثبتت له مع زيادة المحبة فهو خليل وحبيب وموسى
اشتهر بالكليم لان كلام الله في الارض في الدنيا بلا واسطة في
حظاير قدسه لم يقع لاحد سواه وان كان الله تعالى كلم نبينا
في المعراج بلا واسطة في حظاير قدسه ومنها ما اخرجه
مسلم من طريق ابي العالية رفيع بضم الرا مصغر بن مهران
الرياحي بكسر الرا وبالتحتية ثقة من رجال الجميع مات سنة تسعين

وقيل ثلاث وستين وقيل بعد ذلك عن ابن عباس في قوله
تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال
رأى ربه بفؤاده مرتين اي بقلبه ولراي مسلم من طريق عطا
ابن ابي رباح عن ابن عباس قال رآه بقلبه وكل من الروايتين
مقيد لكن لا صراحة فيهما انه لم يره بعينه ولذا قال واصرح
من ذلك ما اخرجه ابن مردويه من طريق عطا عن ابن
عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه وانما
رآه بقلبه وكان هل احاطب ابن عباس به من لا يليق به
الافصاح بانه رآه بعينه او مراده لم يره بعينه فقط وانما
رآه بقلبه وعينه وهو من تصرف الراوي عن عطا فلا
ينافي ذلك انه لا شهر عنه انه رآه بعينه ولا شك ان رواية مسلم
عن عطا عنه اصح من رواية ابن مردويه هذه وعلى هذا فيمكن
الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة بان يحمل نفيها على
رؤية البصر واثباته على رؤية القلب لكن يقدح في الجمع
المذكور انه روى الطبراني في الاوسط باسناد رجاله رجال
الصحيح بمعنى انه خرج لهم اصحاب الصحيح خلا جهور بفتح
الجيم واسكان الهاء وفتح الواو ثم را ابن منصور الكوفي وجهور
ابن منصور المذكور ذكره ابن حبان في الثقات فالاسناد
صحيح لثقة رجاله وان لم يخرج لبعضهم في الصحيح لان الصحيح مراتب
عن ابن عباس انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم
رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده فلا يمكن الجمع حينئذ
بما تقدم بين اثباته ونفي عائشة لانه مصرح بانه رآه مرة ببصره
ولا رد المطلق عنه الى المقيد بالقلب ايضا كما قدمته وقول
ابن كثير ومن روى عن ابن عباس انه رآه ببصره فقد اغرب
فانه لا يصح في ذلك شي عن الصحابة قال الشامي ليس بجيد
لان اسناد الطبراني هذا صحيح ثم المراد برؤية الفؤاد كما
قال الحافظ ابن حجر رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى
الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من اثبتها
له انه رآه بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت له في
قلبه كما تخلق الرؤية بالعين والرؤية لا يشترط لها شي
مخصوص عقلا بل هي قوة يجعلها الله تعالى فيما شاء من
خلقه ولا يشترط فيها ايضا اتصال اشعة ولا مقابلة المرئي
ولا غير ذلك ولو جرت العادة بخلقها في العين فليست
شرطا وقال الواحدي وعلى القول بانه رآه بقلبه جعل الله
تعالى بصره في فؤاده او خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه

رؤية صحيحة كما يرى بالعين وروى ابن خزيمة باسناد قوي
عن انس قال رأى محمد ربه بعينه كما حمل عليه الواحدي
وتبعه البغوي وفي مسلم من حديث ابي ذر الغفاري انه سال النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك اي رؤيته لربه فلفظه عن عبد الله
ابن شقيق عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل رأيت ربك فقال نور منون مرفوع وروي بالنصب ايضا انى
بفتح الهمزة وشد النون والقصر أراه اي حجابه نورا اشارة الى ان
نور خبر مبتدا او يجوز انه فاعل لفعل مقدر اي حجبني او منعني
او ظهر لي نور وعلى رواية النصب تقديره رأيت نورا فكيف تفسير
لقوله انى أراه ومعناه ان النور منعني من الرؤية لجري العادة
بان النور اذا غشى البصر حجبه عن رؤية ما وراءه وروي نوراني
بكسر النون الثانية وشد التحتية نسبة للنور على غير قياس
كصنعاني وهذه الرواية حكاها في الشفا عن بعض مشايخه
ولكنه قال في شرحه لمسلم الاكمال هذه الرواية لم تقع لنا ولا
رأيتها في اصل من الاصول وعند احمد عن ابي ذر قال صلى الله
عليه وسلم رأيت نورا ظاهر عزوه لاحمد بعد عزوه ما قبله لمسلم انه
لم يروه وليس كذلك فقد رواه مسلم ايضا عقب الاول من وجه
اخر عن عبد الله بن شقيق قال قلت لابي ذر لو رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم لسالته فقال عن اي شي كنت تساله
قال كنت اساله هل رأيت ربك قال قد سالته فقال رأيت نورا
اي رأيته نورا حجبني عن رؤية الله فتتفق الروايتان على ان
النور مانع ومن المستحيل ان تكون ذات الله تعالى نورا اذ
النور من جملة الاعراض والله تعالى يتعالى عن ذلك ولذا
قال في الشفا حديث ابي ذر هذا مختلف اي فيه من حيث
اللفظ محتمل اي لكونه رآه او لم يره مشكل اي من حيث جعل
ذاته نورا وقال في الاكمال ومن المستحيل ان تكون ذاته نورا لانه
جسم وهو منزه عنه باجماع مؤول بما ذكر في الله نور السموات والارض
ان معناه منورها وهادي اهلها او منور قلوب المؤمنين او ذو
البهجة والجمال او خالق النور ورده ابو عبد الله الابي بانه لا يستقيم
تاويل الرواية لشي من الجميع لانه لا يلتئم مع قوله اني اراه لان كونه
خالقا او منورا وهاديا لا يمنع من رؤيته قال السنباطي فالذي
يظهر على ما نعتقده من وقوع الرؤية ان قوله نوراني هو ذو
نور ثم استعظم ما وقع له من الرؤية وما شاهد من الذات العلية
فقال اني اراه اعترافا بالقصور عن درجة الرؤية واستعظاما
للذات المقدسة كما قيل في قوله تعالى انى يحيي هذه الله بعد

موتهما قال واما رايته نورا فهو نص في الروية ذكرا وعلم بان المراد
منعي عن رويته كعادة الانوار الساطعة ضعيف جدا لان فيه
قياس الاشيا الخارقة للعادة الخارسة في طورها ورا العقل
على الاشيا المحسوسة العادية وهذا خطا قطعا انتهى وقال
العراقي في تخريج احاديث الاحيا مازلت لهذا الحديث منكرا وقال
ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شي انتهى واجيب بان
النور من اسمايه تعالى كما في الحديث قال الغزالي ومعناه
الظاهر بنفسه المظهر لغيره ونحوه قول الاشعري الله نور
ليس كالانوار فالروايتان بمعنى فهو نور النور الخفي بفرط
الظهور وقول عياض النور جسم غير مسلم وعند ابن خزيمة
والنسايي عنه اي عن ابي ذر انه قال في تفسير الاية راه بقلبه ولم
يره بعينه وروي ابن جرير عن بعض الصحابة قلنا يا رسول الله
هل رايت ربك قال لم اره بعيني رايته بفوادي مرتين ثم تلا
ثم دنا فتدلي وفيه موسى بن عبيدة ضعيف وبهذا يتبين
مراده في حديث ابي ذر المذكور عن مسلم بذكر النور الذي
حال بينه وبين رويته ببصره وذلك لا يمنع رويته بقلبه
وجنح اي مال ابن خزيمة في كتابه التوحيد الى ترجيح الاثبات
اي انه راه ببصره واطنب في الاستدلال بما يطول ذكره وحمل
ما ورد عن ابن عباس من انه راه بقلبه على ان الروية وقعت
مرتين مرة بقلبه ومرة بعينه جمعا بين مختلف الروايات عنه
عملا بتصريحه بذلك في الطبراني الى اخ من رد المطلق للمقيد كما
مر تحريره ومما يعزى للاستاذ عبد العزيز المهدوي انه صلى الله
عليه وسلم لما رجع من سفر الاسرا سمي خروجه من مكة الى المقدس
ثم الى السموات ثم الى حيث شا الله سفرا لصدق حد السفر عليه
وهو الخروج للارتحال من محله الى غيره ابصر العوالم بكسر اللام
من حيث فلكهم اي نظر كل عالم وخاطبه بما يليق بفلكه
المتعلق به ومراتبهم اللايقة بهم قربا وبعدا وسقى كل واحد
من كاسه وعلى قدر عقله فخاطب الكفار وهم اخذ العوالم
بما راي في الطريق وما كان في المسجد الاقصى على العيان
بكسر العين المشاهدة حيث جلا الله له المسجد وبما يعرفون
لانه في فلك الاجسام حتى صدقوا بالاسرا حقيقة وان لم
يومنوا عنادا ثم ارتقى حتى حدث عن فلك السما وكذلك
في كل سما حتى اخبر عما شاهد وراي كل ملكه وما يليق ان
يحدث به اعني اصحابه كلا على قدر مرتبته بلا ضيق ولا
مزاحم الى السما السابعة وحاصل معنى كلامه انه صلى الله عليه وسلم

راي

راي تلك الليلة ما تقصر العقول عن ادراكه فحدث اصحابه
كلا بما يليق بمخاطبته وبمرتبته فاختلفت العبارات باختلاف
احوال المخاطبين مع كون المخبر عنه واحدا لا اختلاف فيه
وانما نشا الاختلاف من اختلاف العبارات التي ادى بها عليه
السلام ولما وصل مقام جبريل تحدث عن الافق المبين
البين وهو الاعلى وعما فوق الافق الى الدنو القرب والى البدلي
الي موضع الايحا عند حضرة اسقاط الصور والخلق فاخبر
بذلك اصحابه فمنهم من قال راي جبريل بالافق المبين
وبالافق الاعلى وصدق لانه حدث بما اخبره به ومنهم من
قال برويته الفواد القلب والبصيرة لا البصر وهي عايشة
ومن معها كابن مسعود في الاشهر عنه ومنهم من قال بعيني
راسه راي ربه تبارك وتعالى وصدق فكل اخبر بما حدث صلى الله
عليه وسلم من مقامه وسقاه من كاسه وما يليق به لكن قال
الشامي من قال انه صلى الله عليه وسلم خاطب عايشة على قدر
عقلها ومن حاول تخطيتها فيما ذهبت اليه فهو مخطي قليل
الادب انتهى فاذا صح هذا المعراج عرفنا الامر ومقام الروية
والقايلين بذلك واختلافهم نفيا واثباتا ووقفا وقولهم
بالجميع حق انتهى كلام المهدوي وحاول بذلك الجمع بين النفي
والاثبات وقد يويده خبر حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون
ان يكذب الله ورسوله رواه الديلمي عن علي رفعه وهو في البخاري
موقوف عليه وروي الحسن بن سفيان عن ابن عباس يرفعه امرت
ان اخاطب الناس على قدر عقولهم قال الحافظ وسنده ضعيف
جدا لا موضوع ومن اثبت الروية اي روية الله تعالى لنبينا
صلى الله عليه وسلم الامام احمد بن حنبل روى الخلال بالخا
المعجمة نسبة الى الخل ابو محمد الحسن بن ابي طالب بن محمد بن الحسن
البغدادي الحافظ الثقة صاحب التصانيف مات سنة تسع
وثلاثين واربعماية في كتاب السنة عن اسحق بن منصور ابن
بهرام الكوسج التميمي المروزي نزيل نيسابور احد الايمة الحفاظ
الثقات روى عنه الجماعة سوى ابي داود قال الخطيب كان
فقيها عالما وهو الذي دون المسايل عن احمد مات سنة احدى
وخمسين ومايتين قال قلت لاحمد بن حنبل الامام انهم يقولون
ان عايشة قالت من زعم ان محمدا قد راي ربه فقد اعظم على الله
الفرية بكسر الفا الكذب فباي معنى يدفع بتحتية مضمومة
او فوقية مفتوحة قولها بالرفع والنصب قال يقول النبي
صلى الله عليه وسلم رايت ربي اي ببصري على الظاهر المتبادر

قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر بوحده اعظم واجل من قولها
تقدم عليه اذ لا راي لاحد مع نصه وهو ظاهر في ان احمد كان
يقول انه راه ببصره قبل ان يسال ويجيب لان عايشة تقول بانه راه
بقلبه على ما هو قد فعه احمد بالحديث حملا له على المتبادر منه
وحينئذ بطل الانكار المذكور بقوله وقد انكر صاحب الهدي
ابن القيم فيه على من زعم ان احمد قال راي ربه بعين راسه
قال وانما قال احمد مرة راي محمد ربه واطلق وقال مرة راه بفواده
يعني راسه وهذا من تصرف الحاكي فان نصوصه اي احمد
موجوده وليس فيها انه راه بعيني راسه فالحاكي ذلك عنه من
تصرفه انتهى لكن في الشفا ان عبد الله بن احمد حكى عن ابيه
انه راه وحكي النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث
ابن عباس انه راي ربه بعينيه راه راه حتى انقطع نفسه يعني
نفس احمد وقال ابو عمر راه بقلبه وجبن عن القول برويته
في الدنيا بالابصار اسي وجمع بينهما بانه قد يحكيه في بعض
المجالس وقد رجح القرطبي في المفهم بشرح مسلم قوله الوقف
في هذه المسلة وهو قول سعيد ابن جبير لا اقول راه ولا لم يره
وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل
قاطع وغاية ما استدل به الطايفتان ظواهر متعارضة
قابلة للتاويل ونحوه قول عياض واخر هذا المبحث من
الشفا لا مرية في الجواز اذ ليس في الايات نص في المنع بل هي
مشيرة للجواز واما وجوب وقوعها لنبينا صلى الله عليه وسلم
والقول بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول
عليه فيه على ايتي النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما
ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده ولم يسنده الي النبي صلى
الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه من رويته ربه ومثله
حديث ابي ذر في تفسير الاية ثم قال فان ورد حديث نص بين
في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع
قطعي يرده انتهى قال القرطبي وليست المسلة من العمليات
فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا
يكتفى فيها الا بالدليل القطعي ورده السبكي في السيف المسلول
على من سب الرسول بانه ليس من شرطه ان يكون قاطعا متواترا
بل متى كان حديثا صحيحا ولو ظاهرا وهو من رواية الاحاد جاز
ان يعتمد عليه في ذلك لان ذلك ليس من مسايل الاعتقاد التي
يشترط فيها القطع على انا لسنا مكلفين بذلك انتهى والله اعلم

بالواقع من ذلك واما قوله في الحديث اي حديث مالك بن صعصعه
الذي قدمه المص ثم تكلم عليه ثم فرضت علي الصلاة بالافراد لابي
ذر ولغيره الصلوات بالجمع كل يوم خمسين صلاة ففي رواية ثابت
البناني بضم الموحده ونونين بينهما الف عن انس عنه عند مسلم
ففرض الله علي فصرح بذكر الفاعل وان كان في الاولى بني
للمفعول للعلم به خمسين صلاة كل يوم وليلة فافاد ان المراد
باليوم في الرواية الاولى مع الليلة ونحوه في رواية مالك ابن
صعصعه عند البخاري ايضا لا محل لذكر هذا لان رواية
مالك هي التي اراد بقوله واما قوله في الحديث وهذا انما ذكره
الحافظ في قوله في الصلاة قال النبي صلى الله عليه وسلم ففرض
الله علي امتي خمسين صلاة نعم رقم الحافظ بروايتي ثابت
ومالك من جهة تصريحه فيهما بان الفرض عليه قال الحافظ فيحتمل
ان يقال في كل من رواية الباب والرواية الاخرى اختصار ويحتمل
ان يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الامة وبالعكس
الا ما يستثنى من خصايصه وكان المص حذف احتماله الاول
لانه لم يذكر رواية الصلاة لكنه بتركه رواية الصلاة صار لا كبير
فيه اذ رواية ثابت موافقة للرواية التي شرحها فيكون قوله
ذكر الفرض عليه ضايعا وفي حديث ثابت عن انس عند مسلم
عقب قوله وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على
امتك قال ولا فرض علي وهنا قال على امتك لان ما فرض
علي النبي فرض على امته ففيه احتباك وهو من انواع
البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف من كل منهما ما ذكر في الاخر
فحذف من الاول وعلى امتي وعلى الثاني عليك وهذا اجمع
ثالث ولم يقل موسى عليك لانه علل بعدم الطاقة وهي انما
تنسب الى الامة لا له ففيه حسن ادب موسى في الخطاب
قلت خمسين صلاة تمييز قال ارجع الى ربك اي الى الموضع
الذي ناجيته فيه فسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون
بضم اوله ذلك اي انه يشق عليهم فيقصرون فيه لا انه محال
حتى يقال انه مبني على تكليف المحال وهو جايز وفايدته
الاخذ في مقدماته حتى يعلم امتثاله فاني قد بلوت بني اسرايل
اي اختبرتهم بان امرتهم بما كلفوا به وخبرتهم اي علمت منهم عدم
الوفا بذلك فهو عطف مسبب على سبب يقال بلاه وابتلاه بخير
اوشر بمعنى امتحنته وخبرت الشي من باب قتل علمته واخبرته
بمعنى امتحنته كما في المصباح كذا اشار شيخنا وقال غيره وخبرتهم
عطف تفسير وهو اوضح لان كونه بمعنى علم في خبر لا اختبر معناه

امتحنتهم وفيه معتمد اي خبرتهم مع قوة اجسادهم وطول اعمارهم
فلم اجد لهم صبرا على ذلك فكيف حال امتك قال صلى الله عليه وسلم
فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي ما فرضته عليهم
من الصلاة فحذف المفعول للعلم به وفي رواية شريك عن
انس قال اي موسى ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف
عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كانه
يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به
الى الجبار فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان امتي لا تستطيع
هذا **فحط عني خمسا** منها واصل معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل
تشبيها مكنيا كقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به وفي رواية ابن
صعصعة وابي ذر وشريك فوضع **فرجعت الى موسى فقلت حط
عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله
التخفيف قال فلم ازل ارجع** اي اردد الرجوع واكرره **بين ربي
وبين موسى** اي بين موضع مناجاتي له تعالى وملاقاتي لموسى
حتى قال تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس يا محمد انهن خمس صلوات
كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فكل حسنة بعشر امثالها **فذلك خمسون
صلاة** وفي حديث ابي ذر هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول
لدي ومر في حديث ابن صعصعة فوضع عني عشرا ومثله
لشريك وفي رواية ابي ذر فوضع شطرها قال ابن المنير ذكر
الشطر اعم من كونه وقع دفعة واحدة او في مرار متعددة واذا
ورد تفصيل واجمال حمل الاجمال على التفصيل فلا تعارض قال
الحافظ وكذا العشر فكانه وضع العشر في دفعتين والشطر في خمس
دفعات او المراد بالشطر البعض وقد حققت رواية ثابت
ان التخفيف كان خمسا وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات
عليها وقال الكرماني الشطر هو النصف ففي المراجعة الاولى
وضع خمسا وعشرين وفي الثانية ثلاثة عشر يعني نصف الخمسة
وعشرين بجبر الكسر وفي الثالثة سبعة كذا قال وليس في حديث
ابي ذر في المراجعة الثالثة ذكر وضع شيء الا ان يقال حذف ذلك
اختصارا فيتجه لكن الجمع بين الروايات يأبى هذا الحمل فالمعتمد
ما تقدم انتهى قال الشامي ويؤيد رواية ثابت ما رواه ابن خزيمة
في صحيحه والبيهقي وابن مردويه مالك بن صعصعة فحط عني
خمسا وفيه فما زلت بين موسى وبين ربي يحط عني خمسا خمسا
انتهى والظاهر ان هذه رواية شاذة وان صح اسنادها فالثابت
في الصحيحين والنسائي ومسند احمد من حديث مالك بن صعصعة
فوضع عني عشرا وقدم المؤلف لفظه **ومن هم بحسنة** اي اراد فعلها

معتما

معتما عليه **فلم يعملها كتبت له حسنة** اي كتبت له الحسنة التي هم بها
ولم يعملها كتابة واحدة لان الهم سببها وسبب الخير **فان عملها
كتبت له عشرا** لان الحسنة بعشر امثالها **ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب
شيئا** اي اذا لم يصمم على الفعل كما هو مذكور في محله وفي الفتح استثنى
جماعة ممن ذهب الى عدم مؤاخذة من وقع منه الهم بالمعصية
ما يقع في الحرم المكي ولو لم يصمم لقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم ذكره السدي في تفسيره عن مرة عن ابن
مسعود واخرجه احمد من طريقه مرفوعا ومنهم من رجح وقفه
فان عملها كتبت سيئة واحدة قال في الفتح استثنى بعض العلماء وقوع
المعصية في الحرم المكي قال اسحاق بن منصور قلنا لاحمد هل
ورد في شيء من الحديث ان السيئة تكتب باكثر من واحدة قال لا
ما سمعت الا بمكة لتعظيم البلد والجمهور على التعميم في الازمنة
والامكنة لكن قد تتفاوت بالعظم ولا يرد على ذلك قوله
تعالى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين لان ذلك ورد تعظيما لحق النبي صلى الله عليه وسلم
لان وقوع ذلك من نسائه يقتضي امرا زائدا على الفاحشة وهو
اذاه صلى الله عليه وسلم واستدل به على ان الحفظة لا تكتب
المباح للتقييد بالحسنات والسيئات واجاب بعض الشراح بان بعض
الائمة عد المباح من الحسن وتعقب بان الكلام فيما يترتب على
فعله حسنة بالنية وليس البحث فيه **قال** صلى الله عليه وسلم **فنزلت
حتى انتهيت** اي انتهى سيري ووصلت **الى موسى** ولم يقل انتهيت قبل
هذا وقال ههنا اشارة الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة
بعده **فاخبرته** بما قال الله **فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف**
من الخمس **فقلت راجعت ربي** مرارا في سؤال التخفيف **حتى
استحييت منه** زاد في حديث ابن صعصعة ولكن ارضى واسلم
وفي رواية شريك عن انس قال صلى الله عليه وسلم يا موسى قد
والله استحييت من ربي مما اختلفت اليه قال ابن المنير هنا
نكتة لطيفة وهي يحتمل انه صلى الله عليه وسلم تفرس من كون
التخفيف وقع خمسا خمسا انه لو سأل التخفيف بعد ان صارت
خمسا لكان سائلا في دفعها فلذلك استحيى قال الحافظ ودلت
مراجعته صلى الله عليه وسلم لربه في طلب التخفيف في تلك المرات
كلها انه علم ان الامر في كل مرة ليس على سبيل الالزام بخلاف المرة
الاخيرة ففيها ما يشعر بذلك لقوله تعالى ما يبدل القول لدي
ويحتمل ان يكون سببه الاستحياء ان العشرة اخر جمع القلة واول
جمع الكثرة فخشي ان يدخل في الالحاح في السؤال لكن الالحاح

في الطلب من الله مطلوب فكانه خشي من عدم القيام بالشكر
وسياتي في التوحيد زيادة في هذا ومخالفه انتهى وفي رواية
النسائي من طريق يزيد بن ابي مالك عن انس فقيل لي اني يوم
خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين
صلاة كل يوم وليلة فقم بها انت وامتك وذكر ما جعته من
موسى وفي انه فرض على بني اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما هذا
هو الصواب وما وقع في البيضاوي انه فرض عليهم خمسون صلاة
في اليوم والليلة فقال السيوطي هذا غلط فلم يفرض على بني
اسرائيل خمسون صلاة قط ولا خمس صلوات ولم تجمع الخمس الا لهذه
الامة وانما فرض على بني اسرائيل صلاتان فقط كما في الحديث انتهى
وقال في آخره خمس بخمسين فقم بها انت وامتك قال فعرفته
انها عزمة اي طلب جازم لا يتغير وان سألت من الله فرجعت
الى موسى فقال ارجع فلم ارجع فهذا اصرح في ان عدم رجوعه
لانه فهم ان الامر للالزام لا لمجرد الفراسة فان قلت لم قال موسى
عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم ان امتك لا يطيقون ذلك
ولم يقل امتك لا يطيقه دونه اي ما الحكمة في قصر العجز على الامة دونه
اجيب بان العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبي صلى
الله عليه وسلم فهو لما رزقه الله من الكمال يطيق ذلك واكثر منه
وكيف لا يكون ذلك وقد جعلت قرة عينه فرحها وسرورها
في الصلاة ذات الركوع والسجود لانه محل المناجاة ومعدن
المصافاة والقول بان المراد صلاة الله وملايكته منع بان السياق
يأباه قال العارف بن ابي جمرة والحكمة في تخصيص فرض الصلاة
بليلة الاسري انه صلى الله عليه وسلم انه لما عرج به راى في تلك
الليلة تعبد الملايكة وان منهم القايم فلا يقعد والراكع فلا
يسجد والساجد فلا يقعد اي لا يرفع راسه منه ابدا فجمع الله له ولامته
تلك العبادات ليعلمه بما اكرمه به من ان ما راه من عبادة الملايكة
جمع له ولامته في ركعة واحدة يصليها العبد بشرايطها
من الطمانينة والاخلاص وقال بن ابي جمرة ايضا في اختصاص
فرضها بليلة الاسرا اشارة الى عظم شانها فلذلك اختص
فرضها بكونها بغير واسطة بل بمراجعات تعددت على ما سبق
بيانه وقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الامة
في امر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة لذلك في حديث
ابي هريرة عند الطبري والبزار قال صلى الله عليه وسلم كان
موسى اشدهم علي حين مررت يشير الى نحو قوله فلما تجاوزت
بكى فلما قيل ما يبكيك قال لان غلاما بعث من بعدي يدخل

انكرم

الجنة

الجنة من امته اكثر ممن يدخلها من امتي وغير ذلك مما تقدم
في المتن وغيرهم كحين رجعت لشفقته على امتي وفي حديث
ابي سعيد الخدري عند البيهقي وغيره فاقبلت راجعا فمررت بموسى
ونعم الصاحب كان لكم لامره لي بسوالي التخفيف عنكم كما افاده بقوله
فسالني كم فرض عليك ربك الحديث في المراجعة والقصد منه قوله
ونعم الصاحب كان لكم قال السهيلي واما اعتنا موسى عليه السلام
بهذه الامة والحاحه على نبيها ان يشفع لها ويسال التخفيف
عنها في الصلاة فلقوله اي موسى وشحة تعالى من جمل النسخ
ولا ذكر لها في الروض والله اعلم حين قضي اوحى الامر اليه بالرسالة
الى فرعون وقومه بجانب الجبل او الوادي او المكان الغربي من
موسى حين المناجاة ورأى صفات امة محمد صلى الله عليه
وسلم في الالواح وجعل يقول اني اجد في الالواح امة صفتهم
كذا ومقول القول اللهم اجعلهم امتي فيقال له تلك امة
احمد وهو حديث مشهور في التفاسير كما في الروض زاد المصنف وقد تقدم
ذكره في خصايص هذه الامة قال السهيلي فكان اشفاقه
اي حنوه وعطفه عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتني بالقوم
من هو منهم لقوله اللهم اجعلني منهم انتهى احسن الحافظ
تلخيصه بقوله وذكر السهيلي ان الحكمة في ذلك انه راى في مناجاته
صفة امة محمد فدعا الله ان يجعله منهم فكان اشفاقه عليهم كعناية
من هو منهم انتهى وقال القرطبي الحكمة في تخصيص موسى
بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في امر الصلوات يحتمل
ان يكون لكون امة موسى عليه السلام كلفت من الصلوات
ما لم تكلف به غيرها من الامم قبلها فثقلت عليهم وورد ان بني
اسرائيل كلفوا بركعتين بالغداة وركعتين بالعشي قبل وركعتين عند
الزوال فما قاموا بما كلفوا به فاشفق موسى على امة محمد من مثل
ذلك قال ابن المنير اكثر الامة يغلب عليه التفريط في الصلوات
الخمس خصوصا النسا وكثير من المصلين مفرط في الشروط غير موف
بالحقوق فكان ذلك من اثار فراسة موسى فيهم لقوله للمصطفى
وقد رجع الفرض الى الخمس ارجع الى ربك فاساله التخفيف ولم يرد
صلى الله عليه وسلم فراسة موسى ولكن قال استحييت وفي لفظ
ارضى واسلم ويشير اليه قوله اني جربت من التجربة وفي رواية خبرت
الناس قبلك قال ابن ابي جمرة فيه ان التجربة اقوى من المعرفة
الكثيرة لقوله مصطفى انه عالج الناس قبله وجربهم وفيه تحكيم
العادة والتنبيه بالاعلى على الادنى لان من سلف من الامم
كانوا اقوى ابدانا من هذه الامة وقد قال موسى انه عالجهم

على أقل مما وافقوه انتهى زاد في الفتح وقال غيره لعل الحكمة من
جهة انه ليس في الانبياء من له اتباع اكثر من موسى ولا له كتاب
اكبر ولا اجمع للاحكام من كتابه فكان من هذه الجهة مضاهيا للنبي
صلى الله عليه وسلم فناسب ان يتمنى ان يكون له مثل ما انعم به عليه
من غير ان يريد زواله عنه وناسب ان يطلعه على ما وقع له وينصحه
فيما يتعلق به ويحتمل ان موسى لما وقع له في الابتدا الاسف على
نقص حظ امته بالنسبة لامة محمد حتى تمنى ان يكون منهم استدرك
ذلك ببذل النصيحة لهم والشفقة عليهم ليزيل ما عساه ان يتوهم
عليه فيما وقع منه في الابتدا ووقع في كلام بعض اهل الاشارات اي
الصوفية في حكمة ذلك انه لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه
السلام اشتاق لانوار نور الطور فسرح اليها ليقتبس باخذ
القبس وهو شعلة في راس فتيلة او عود فاقتبس فلما نودي
من النادي اي انا الله اشتاق الى المنادي فكان يطوف في بني
اسرايل قايلا من يحملني رسالة الى ربي ومراده ان تطول مناجاته
مع الحبيب اي الله فلما مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
وعلم ان الله اتخذه حبيبا ردده في امر الصلوات ليسعد برؤية
حبيب الحبيب سوا قيل انه راه ام لا وقال اخر من الصوفية ايضا
لما سال موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البغية بكسر البا
وضمها لغة اي الحاجة التي طلبها بقي الشوق يقلقه بزعجه والامل
المرجا يعلله اي يشغله بما رجاه فيسهل عليه ويتسلى بما يترجاه
فلما تحقق ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم منح الرؤية لله سبحانه
وفخله بامه المزية اكثر السوال اي قصد بتكرير رجوعه ليسعد
برؤية اي بتكرار رؤية من قد راي قال الحافظ ويحتاج الى ثبوت
تجديد الرؤية في كل مرة انتهى اي فانها ما ثبتت سوى مرة مع قوة
الخلاف وتعقب بان محبته لرؤية من راي لا تتوقف على تجددها
اذ يكفي علمه بانه راه مرة واحدة لعلمه انه حصل له بها ما لم يحصل
لغيره فيحمله ذلك على محبة رؤيته ومخاطبته وتكررها بل مثله
يحمل على محبة الاتصال به بحيث يود ان لا يفارقه لحظة ويؤيده
قوله، واشرب الما ما بي نحوه عطش، الا لان عيونه سيل واديها،
كما قيل واستنشق الارواح جمع روح بالفتح وهو نسيم الريح من نحو
ارضكم لعلي اراكم او ارى من يراكم فكلاهما محبوب وانشد اسال من لا
قيت عنكم عساكم تجودون تسمحون لي بالعطف الحنو والشفقة
منكم عساكم تاكيد لفظي للتقوية وفيه تجريد الفعل بعد عسى
من ان وهو قليل فانتم حياتي ان حييت وان امت بهواكم فيا حبذا
ان امت عبد هواكم لانه غاية السعادة وقال اخر

وانما

وانما السر في موسى يردده، ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا لله در رسول حين يشهده
وقال اخر من الصوفية في حكمة ذلك لما جلى
الحبيب المصطفى في مقام القرب اي الموضع الذي حصلت
فيه المناجاة لربه الذي لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل
سواه ودارت عليه كوؤس الحب حيث قال اتخذتك حبيبا
ثم عاد وهلاله واحد الاهلة ما كذب الفؤاد ما راى بين عينيه
وبشره بكسر الموحده وسكون المعجمة فاوحى الى عبده ما اوحى ملو
قلبه واذنيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان
حاله لنبينا صلى الله عليه وسلم
يا واردا من اهيلي الحي تخبرني، عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر،
ناشدتك الله يا راوي حديثهم، حدث فقد نابه سمعي اليوم عن بصري،
شنف الاسماع اي فرحها بخبر الاحباب وسرها اي اصحابها
بذلك ماخوذ من شنف الجارية اذا جعل لها شنفا وهو
ما يعلق في اعلا الاذن فاجاب لسان حال نبينا بقول ابن الفارض
ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا، سر ارق من النسيم اذا سرى
واباح طرفي نظرة املتها، فغدوت معروفا وكنت منكرا،
وحاصل هذا ان حكمة ترديده ليعلم ما اوحي اليه فاشير للجواب
بانه من السر الذي لا يفشى ثم هي حكم لا تتزاحم فكل قوم يلحظون
مذهبهم وقد علم كل اناس مشربهم موضع شربهم فلا يشاركهم
غيرهم فيه والله تعالى بفضله واحسانه يوالي انسجام غفوه
ورضوانه على العارف الرباني الشيخ محمد بن الحسين بن محمد بن موسى
ابي عبد الرحمن السلمي بضم السين وفتح اللام نسبة الى جد له
اسمه سليم الازدي النيسابوري الصوفي سمع الاصم وغيره وسال
الدارقطني عن الرجال سوال عارف بالحديث وعنه القشيري
والبيهقي والحاكم ومات قبله بسبع سنين وكان حافظا عالما
زاهدا ثقة ولا عبرة بمن قال كان يضع للصوفية الاحاديث
ولد سنة ثلاثين وثلاث مائة قال الذهبي كان وافر الجلالة
وتصانيفه قيل تخوالف مات ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة
واربعمائة بنيسابور فلقد اجاد اذا افاد بما افرده من
لطايف المعراج حسبما جمعه من كلام اهل الاشارات
باقوم منهاج طريق قال ابن ابي جمرة والحكمة في ان ابراهيم
لم يتكلم في طلب التخفيف ان مقام الخلة انما هو الرضى والتسليم
والكلام في هذا الشان ينافي ذلك المقام وموسى هو الكليم
والكليم اعطي الادلال والانبساط ومن ثم استبد موسى بامر

النبي صلى الله عليه وسلم بطلب التخفيف دون ابراهيم مع
ان للمصطفى من الاختصاص بابراهيم ازيد مما له من موسى
لمقام الابوة ورفعة المنزلة والاتباع في الملة وقال غيره
الحكمة في ذلك ما اشار اليه موسى في نفس الحديث من سبقه
الى معالجة قومه في هذه العبادة بعينها وانهم خالفوه وعصوه
قال القرطبي واما قول من قال ان موسى اول من لاقاه بعد
الهبوط فلا يصح لان حديث مالك بن صعصعة انه راه في السادسة
وابراهيم في السابعة اقوى اسنادا من حديث شريك انه راه
في السابعة موسى في السابعة قال الحافظ اذا جمعنا بينهما بانه
لقيه في الصعود في السادسة وصعد معه الى السابعة فلقيه
فيها بعد الهبوط ارتفع الاشكال وبطل الرد وقد استدل العلما
بقوله في الحديث السابق قريبا من رواية ثابت عن انس عند مسلم
انهن خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون
صلاة ونحوه حديث ابي ذر هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول
لدي وفي رواية شريك كل حسنة بعشر امثالها فهي خمسون في ام
الكتاب وهي خمس عليك اي وعلى امتك على عدم فرضية ما زاد
على الخمس كالوتر خلافا لمن قال به وعلى دخول النسخ قبل
الفعل كذا في النسخ وصوابه على جوازا وفيه سقط فلفظ فتح
الباري وعلى دخول النسخ في الانشاآت ولو كانت موكدة
خلافا لقوم فيما اكد وعلى جواز النسخ قبل الفعل قال ابن بطال
وغيره الا ترى انه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل ان تصلى
ثم تفضل عليهم بان اكمل لهم الثواب وتعقبه ابن المنير فقال
هذا ذكره طوائف من الاصوليين والشراح وغيرهم وهو
مشكل على من اثبت النسخ قبل الفعل كالاشاعرة بنا على قولهم
بجواز بل وقوع التكليف بما لا يستطاع لان الافعال كلها مخلوقة
لله تعالى والعبد مطالب بما لا يقدر على ايجاده ولا يقدر
على احرازه لقوله والله خلقكم وما تعملون او منعه كالمعتزلة
جريا على قولهم العبد يخلق فعل نفسه ويوجد طاعة ربه
باستطاعته فلا يتصور التكليف عندهم بما لا يستطاع فلا
يتصور النسخ قبل التمكن من الفعل لكونهم اتفقوا جميعا على
ان النسخ لا يتصور قبل البلاغ قال المص وتعقب بان الخلاف
ماثور نص عليه ابن دقيق العيد في شرح العمدة وغيره وحديث
الاسرا وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكل عليهم جميعا
قال ابن المنير وهذه نكتة مبتكرة انتهى وتعقبه الحافظ وتعقبه
المص بقوله فان اراد قبل البلاغ لكل احد فممنوع لان ذلك بلغ

النبي صلى الله عليه وسلم وان اراد قبل البلاغ الى بعض الامة
فصوابه اسقاط بعض كما في الفتح فمسلم لكن قد يقال هو بالنسبة
اليهم ليس نسخا لكن هو نسخ بالنسبة الى النبي صلى الله
عليه وسلم لانه كلف بذلك قطعا ثم نسخ بعد ان بلغه وقبل
ان يفعله فالمسئلة صحيحة التصوير في حقه صلى الله عليه وسلم
وهذا الاستدراك انما هو ايضاح لما قبله لكن التعقب
على ابن المنير بهذا فيه نظر لانه ذكر في معراجه الجواب
بتصور النسخ في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا جواب
ضعيف بل كان التكليف عاما لقول موسى ان امتك لا تطيق
ذلك وسله التخفيف لامتك وتجويز ان التكليف كان عليه
خاصة لرواية فرض على خمسين صلاة لكنه فهم ان الامة تدخل
بعد وكذا فهم موسى فراجعه في التخفيف وكذا كل تكليف
يتقدم قبل الوصول على الامة تقدما زمانيا لانه يبلغه عن
الله قبل ان يبلغهم منه ولذا قال وانا اول المسلمين فيه نظر
لانه لو فهم دخولهم لدخلوا ضرورة اذ فهمه صواب قطعا فيعود
الاشكال لانه اختص بالدخول بالتكليف ثم التخفيف ثم كلفت
الامة بالتخفيف لا بالاصل فلم يدخلوا فيه البتة فالاحسن
الجواب بانه عام في حقه وحقهم والتخفيف ايضا عام وانما هو
النسخ في حق الامة لان الاسلام يوجب على كل مسلم الدخول
في فروعه وشرايعه فكل من امن في حياته عليه السلام امن على
ان ثم تكاليف منها ما نزل مبينا بكل وجه وما نزل مجملا من وجه
مبينا من وجه وما لم ينزل وسينزل والتزام الاسلام شامل للجميع
فكما يجوز النسخ بعد البلاغ وفيه نوع اجمال كذلك يجوز قبل
البلاغ لانه دخل عليه بالالتزام العام ولا فرق بين اجمال
واجمال واكثر الفرايض انما وجب مجملا ثم بين وقت الحاجة
كالصلاة والزكاة لم يقترن باول وجوبها ذكر اعدادها ولا
اوقاتها ولا شرايطها انتهى ملخصا ولما رجع صلى الله عليه وسلم
من سفر الاسرا مر في بعض طريقه بعير بكسر العين ابل بأحمالها
لقريش تحمل طعاما فيها جمل يحمل غرارتين تثنية غرارة
وهي الجوالق بجيم مضمومة فواو فالف فقاف الخرج غرارة
سودا وغرارة بيضا فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت
اي دارت بعضها ببعض من النفرة وانصرع ذلك البعير وانكسر
رواه ابن ابي حاتم عن انس وفي رواية له ايضا عنه ومر بعير
ابل قد اضلوا بعيرا واحدا وهو ناقة والبعير يقع على الذكر
والانثى لهم قد جمعه فلان اي ان به قاله المجد الجمع كالمنع تاليف

المفترق قال صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم هذا صوته محمد
لانه سلم عليهم كما في الرواية ثم اتى محمد صلى الله عليه وسلم مكة قبل
الصبح واخبر قومه بما رأى وقال لهم ان من اية ما اقول لكم
اني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا اي بالروحا كما في حديث
ام هانئ وقد اضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان لرجل سماه فنسي
الراوي اسمه وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ويأتونكم يوم
كذا وكذا يقدمهم بضم الدال كقوله تعالى يقدم قومه والماضي
بفتحها جمل آدم بفتح الهمزة والمد وفتح الدال واصله اادم بهمزتين
ابدلت الثانية الفا اي شديد البياض والناقة ادما كما في الصحاح
وعليه مسح اسود وغرارتان وفي رواية ابي يعلى قالوا فاخبرنا
عن عدتها وما فيها من الرعاة قال وكنت مشغولا عن عدتها
ثم قام فاتى الابل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة ثم اتى قريشا
فقال هي كذا وكذا وما فيها من الرعاة فلان وفلان وكان
كما قال فلما كان ذلك اليوم الذي قال انهم يأتون فيه اشرف
الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار اقبلت
العير يقدمهم ذلك الجمل كما وصف عليه السلام وفي رواية
للبيهقي عن يونس بن بكير وعن اسماعيل السدي سألوه اية
فاخبرهم بقدوم العير يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم
لم يقدموا حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا الله فحبس
الشمس حتى قدموا كما وصف وهو يخالف للرواية فوقهم انها
اقبلت قرب نصف النهار ولا خلف لانه مر بعير بعد بعير
بثلاثة فكان احداها تأخرت وقد روى الطبراني وابن مردويه
عن ام هانئ قالوا اخبرنا عن عيرنا فقال اتيت على عير بني
فلان بالروحا قد ضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فانتهيت
الى رحالهم فليس بها منهم احد واذا قدح ماء فشربت منه ثم
انتهيت الى عير بني فلان فيها جمل عليه غرارتان غرارة سودا
وغرارة بيضا فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير
وانكسر ثم انتهيت الى عير فلان في التنعيم يقدمهم جمل اورق
عليه مسح اسود وغرارتان سوداوان وها هي ذه تطلع عليكم
من الثنية فاستقبلوا الابل فقالوا هل لكم بعير قالوا نعم
قالوا العير الا هو فقالوا هل انكسر لكم ناقة حمرا قالوا نعم
قالوا فهل كان عندكم قصعة من ماء فقال رجل انا والله
وضعتها فما شربها احد منا ولا هريقت في الارض زاد ابو
يعلى وابن عساكر فرموه بالسحر وقالوا صدق الوليد فانزل
الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس

وعن

وعن عائشة لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى
اصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا امنوا لانهم استبعدوا
وقوع ذلك بالمشاهدة التي كثبت عليهم وفي حديث ابن عباس عند
احمد والبزار باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما كان ليلة اسري بي واصبحت بمكة مر بي عدو الله ابو جهل
فقال هل كان من شي قلت انه اسري بي الليلة الى بيت المقدس
قال ثم اصبحت بين اظهرنا قلت نعم قال فان دعوت قومك
اتحدثهم بذلك قلت نعم قال يا معشر بني كعب بن لوي فانفضت
اليه المجالس فقال حدث قومك بما حدثتني فحدثتهم فمن بين
مصفق ومن بين واضع يده على راسه متعجبا وسعى رجال من
المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه اسري
به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم
وفي رواية ابن اسحاق فقال لهم ابو بكر انكم لتكذبون عليه قالوا
بل ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس قال لئن قال ذلك
لقد صدق اي لئن تحققتم قوله ذلك فتحققوا انه قد صدق لانكم
تعلمون انه لا يكذب فاتى باللام وقد زيادة في تحقيق صدقه
قالوا اتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح
فقال نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك وازال توهم
قصر البعد على الارض بقوله اصدقه في خبر السما في غدوة
بضم الغين ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس او روحة اسم
للوقت من الزوال للغروب فلذلك سمي الصديق رواه
الحاكم في المستدرك من حديث عائشة وابن اسحاق من حديث
الحسن البصري مرسلا وزاد ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا نبي الله احدثت بهمزة الاستفهام
وتا الخطاب كما هو في ابن اسحاق هولا القوم بانك جئت
بيت المقدس هذه الليلة قال نعم حدثتهم قال يا نبي
الله صفه لي فاني قد جئته قال الحسن البصري فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي المسجد حتى نظرت
اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر
فيقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف له
منه شيا قال صدقت اشهد انك رسول الله حتى انتهى قال
صلى الله عليه وسلم وانت يا ابا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق
وانزل الله وما جعلنا الرؤيا الاية هذا بقيته في ابن اسحاق
وقول ابي بكر صفه لي لم يكن عن شك فانه صدقه من اول
وهلة ولكنه اراد اظهار صدقه عليه السلام لقومه فانهم

كانوا يثقون بمثله من الوثوق بابي بكر فاذا طابق خبره عليه السلام ما كان يعلم ابو بكر وصدقه كان حجة ظاهرة عليهم وفي رواية البخاري ومسلم كلاهما عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى بجيم وتخفيف اللام ولابي ذر عن الكشميهني بتشديدها الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه هذا بقيته في البخاري ومسلم وقوله فجلى اي كشف الحجب بيني وبينه حتى رايته والمسجد في مكانه وفي رواية مسلم عن ابي هريرة رفعه لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا من بيت المقدس لم اثبتها اي لم اعرفها حق المعرفة فكربت بضم الكاف وكسر الرا من الكرب وهو الغم الذي ياخذ النفس لشدته كربا شديدا وفي رواية كربة بضم الكاف وسكون الرا لم اكرب مثله بتذكير الضمير عائدا على معنى كربه على روايتها وهو الغم والهم او الشي قط فرفعه الله لي انظر اليه ما يسالوني عن شي الا انباتهم اخبرتهم به فيحتمل ان يكون حمل الي ان وضع حيث يراه ثم اعيد ففي حديث ابن عباس عند احمد والبزار فجي بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وانا انظر اليه قال الحافظ وهذا يقتضي انه ازيل من مكانه حتى احضر اليه وما ذلك في قدرة الله بعزيز وهذا ابلغ في المعجزة من كشفه له عن المسجد وهو في مكانه ولا استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس في طرفة عين لسليمان واما ما وقع في حديث ام هاني عند ابن سعد فخيل الي بيت المقدس وطفقت بكسر الفا وسكون القاف اخبرهم عن اياته علاماته فان ثبت لفظ خيل زاد الحافظ ولم يكن مغيرا من قوله فجلى احتمل ان يكون المراد مثل قريبا منه كما قيل في حديث اريت الجنة والنار ويؤول قوله في حديث ابن عباس جي بالمسجد اي جي بمثاله زاد الحافظ ويؤيد الاحتمال الاول اي تفسير جلي بكشف حديث شداد بن اوس عند البزار والطبراني ففيه ثم اتيت اصحابي قبل الصبح بمكة فاتاني ابو بكر فقال اين كنت الليلة قلت اني اتيت بيت المقدس فقال انه مسيرة شهر فصفه لي قال ففتح لي شراك كاني انظر اليه لا تسالني عن شي الا انباته عنه وفي حديث ام هاني المذكور انهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم اكن عددتها قال فجعلت انظر اليه واعدها بابا بابا اي بعد باب وعند ابي يعلى من حديث ام هاني ان الذي سال صلى الله عليه وسلم عن

صفة

صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدي الميت على كفره والد جبير بضم الجيم بن مطعم النوفلي الصحابي المشهور ولا تنافي فانه ساله استجانا وابو بكر ارادة لان يصدقه قومه وقد علم الصديق انه لم يكن اتيته تلك الليلة فالله يطلعه عليهم لا ينافي اسناد السوال الي المطعم رواية من روي ان الكفار قالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناوه وكيف هيئته وكيف مقربه من الجبل فذهب ينعت لهم بناوه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب لاحتمال ان المطعم هو الذي ابتدا سواله من المشركين كما انه الذي تولي كبر التكذيب يومئذ روي ابو يعلى وغيره عن ام هاني انه صلى الله عليه وسلم لما اخبرهم بالاسرا الي بيت المقدس عجبوا واعظموا ذلك فقال المطعم بن عدي كل امرك قبل اليوم كان امما غير قولك اليوم انا اشهد انك كاذب نحن نضرب اكباد الابل مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك قد اتيته في ليلة واللات والعزى لا اصدقك فقال ابو بكر يا مطعم بيس ما قلت لابن اخيك جبهته وكذبته انا اشهد انه صادق واشار ابن ابي جمرة الي ان الحكمة في الاسرا الي بيت المقدس اظهار الحق للمعاند الذي يريد اخماد الحق لانه لو عرج به من مكة الي السما لم يجد لمعاندة الاعدا سبيلا الي البيان والايضاح حيث سالوه عن جزئيات تتعلق بالاسرا وبينها بقوله من سوالهم عن صفة بيت المقدس حتى ابوابه عن عدتها كانوا راوها وعلموا انه لم يكن راها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقيق انه اسري به الي بيت المقدس وان اصروا على التكذيب فلمحض العناد واذا صح البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا لقوة ايمان المومنين وزيادة في شقا من عاند وجحد من الكافرين اصلا وارتدادا ثم حكم اخر ولا تتزاحم والله اعلم بحقيقة الحكمة في ذلك وقد اقتصر المص في الاسرا والمعراج على الزبد التي ذكرها لان مرامه الاختصار ولا فمعلوم ما فيه من التصانيف المبسوطة التي لو جمعت واختصرت كانت عدة اسفار كبار والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه واساله العون على التمام والصلاة والسلام على اشرف الانام وجميع الانبيا والمرسلين وآلهم وصحبهم اجمعين

المقصد السادس في بيان ما ورد في اي التنزيل من عظم قدره

بيان لما اي بيان مقداره وشرف رتبته ورفعه اي اعلا ذكره بين الناس بامرهم بالثنا عليه فيه وقرن اسمه باسمه محمد رسول الله وجعل طاعته من يطع الرسول فقد اطاع الله وخطابه بالالقاب يا ايها النبي يا ايها الرسول وشهادته له اي اخباره والشهادة خبر قاطع كما في القاموس بصدق نبوته اي بوجودها وتحققها في نفسها التحقق انها وحي من الله والمراد بصدقه

المقصد السادس في بيان ما ورد في آي التنزيل

عليه السلام في دعواها ومن ذلك قوله تعالى انا ارسلناك بالحق
بشيرا ونذيرا وقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله
ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فجعله شاهدا
على امته بابلاغهم الرسالة وهذا من خصايصه ومبشرا لاهل
الطاعة ونذيرا لاهل المعصية وداعيا الى توحيد الله وسراجا
منيرا يهتدي به للحق وثبوت بعثته كالدليل على تحقيق نبوته
وقسمه تعالى على تحقيق رسالته بنحو يس والقران الحكيم انك لمن
المرسلين على صراط مستقيم وعلو منصبه حسبه وشرفه الجليل العظيم
ومكانته عظمته يقال مكن فلان مكانة بربه ضخم مخامة عظم وارتفع
فهو مكين واستقامته يقال الناس على مكانتهم اي على استقامتهم
ووجوب طاعته بنحو يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واتباع سنته طريقته بنحو قوله قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واخذه تعالى له الميثاق
على سائر اي جميع النبيين فضلا اي احسانا ومنه اي انعاما ليؤمنن به
ان ادركوه ولينصرنه بقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية
والتنويه اي الرفع والتعظيم به في الكتب السالفة بذكر اسمه ونعته فيها
كالتوراة والانجيل كما في الصحيح عن عبد الله بن عمرو انه صلى الله
عليه وسلم موصوف في التوراة ببعض صفته في القران انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الحديث وفي التنزيل عن الانجيل ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد وفي نسخ والتوراة والانجيل من عطف
الخاص على العام تنبيها على عظم قدرها حتى كانها نوع مغاير لما
عطف عليه بانه صاحب الرسالة والتبجيل متعلق بقوله والتنويه
به بعد تعلقه بالاول والمعنى رفع ذكره بانه صاحب الرسالة وهذا
اظهر من كونه بدلا منه وغير ذلك اعلم امر يصدر به ما يعتنى
به من الكلام اطلعني الله واياك على اسرار التنزيل بمعنى
المنزل وهو القران والكتب المنزلة فيشمل جميعها ومنحنا
وهبنا بلطفه تبصرة اي تنويرا في قلوبنا وهي روية الاشيا
بعين البصيرة بحيث لا يقتصر منها على روية ظاهرها بل
نعبر من ذلك الى ما يوول اليه باطنها كذا في لطايف الاعلام
نهدينا الى سوا السبيل الطريق ومعمول اعلم انه لا سبيل لنا ان
نستوعب الايات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح والاشارة
اي من حيث دلالتها على ما ذكر فلا ينافي ان الايات الدالة محصورة
معدودة في انفسها بل حروف القران كلها محصورة مضبوطة واحتمال

ان المراد

ان المراد بالايات معناها اللغوي وهو العلامات الدالة على
نبوته وغيرها مما ثبت له من الكمالات مدفوع بان الترجمة فيما
ورد في اي الكتاب التنزيل لا في مطلق العلامات اي علو محله الرفيع
اي الشريف ومرتبته ووجوب المبالغة في حفظ الادب معه
كقوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وكذلك الايات التي فيها
ثناؤه تعالى عليه واظهار عظيم شانه لديه عنده وقسمه
تعالى بحياته بقوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق المفسرون
على انه قسم من الله بمدة حياته صلى الله عليه وسلم حكاه عياض
ومراده مفسروا السلف فانه كما قال ابن القيم لا يعرف بينهم في ذلك
نزاع ولم يوفق الزمخشري في قوله انه خطاب من الملايكة للوط
وياتي ان شا الله تعالى بسطه عند حكاية المص ذلك ونداؤه
بالرسول والنبي ولم يناد باسمه بخلاف غيره من الانبيا فناداهم
باسمايهم يا ادم يا نوح يا ابراهيم يا لوط يا موسى يا عيسى الى غير
ذلك مما يشير الى انافة اي زيادة قدره من انافت الدراهم على
مائة زادت عليها العلي الرفيع عنده تعالى وانه لا يجاري ولا يساوي
بمجده شرفه وكرمه في ذاته واصوله ومن تامل القران العظيم
وجده طافحا ممتليا اي دالا دلالة ظاهرة بمعنى ناطقا فلا اعراض
بالبا في قوله بتعظيم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ورحم
الله ابن الخطيب ابا عبد الله محمد بن جابر الاندلسي حيث قال
مادحك ايات الكتاب كلها صريحا او استلزاما لدوام المخالفة
ودلالتها على اكرامه بنزولها عليه مع اشتمالها على ما فاقت
به غيرها من الكتب السماوية فما عسى يثني علي علياك اي
شرفك نظم مديحي اي فاي شي يرجى بان يليق الثنا به على
شرفك التام بالنسبة لما اثنى الله عليك واذا كتاب الله اثنى مفصحا
عليك كان الفصيح اي العجز قصار بضم القاف اي غاية كل
فصيح انه يعترف عن الاتيان ببعض اوصافك وهذا المقصد
اكرمك الله جملة دعايية يشتمل على عشرة انواع النوع الاول
في ذكر ايات تتضمن عظم قدره ورفعة ذكره وجليل رتبته
وعلو درجته على الانبيا وتشريف منزلته هي والرتبة
متقاربان بمعنى علو القدر قال الله تعالى تلك مبتدا الرسل
صفة والخبر فضلنا بعضهم على بعض بتخصيصه بمنقبة ليست
لغيره منهم من كلم الله قال المفسرون اي جمهورهم يعني موسى
عليه السلام كلمه بلا واسطة وقيل المصطفى كلمه ليلة المعراج وليس نصا
في اختصاص موسى بالكلام لانه انما قال منهم فلا يفهم منه انه لم
يكلم غيره وقد ثبت انه تعالى كلم نبينا ايضا كما مر لبيانه وقد قال

أثني ج

السيوطي من جملة من كلم من الانبيا ادم كما في الحديث **فان قلت**
اذا بمعنى حيث **ثبت انه عليه السلام كلم ربه بلا واسطة وقام**
به هذا الوصف فلو لم يشتق له من الكلام اسم الكليم بمعنى المكالم
كالجليس بمعنى المجالس والانيس بمعنى المؤانس والنديم بمعنى
المنادم وهو كثير **كما اشتق** منه **لموسى بان اعتبار المعنى قد**
يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل مثل القايم والضارب
فيطرد بمعنى ان كل من قام به ذلك الوصف يشتق له منه
اسم وجوبا بالملاحظة ان صحة استعماله بالنظر لمبدء الاشتقاق
دون غيره **وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة**
فلا يطرد وحاصله مع الايضاح كما قال شيخنا ان المشتق وهو
ما دل على ذات مبهمة باعتبار حدث معين قد يكون اشتقاقه لما
فهم فيه من المصدر الذي اشتق منه ذلك اللفظ فلاحظ ان
صحة استعماله بالنظر لمبدء الاشتقاق دون غيره فاذا اشتق
على هذا الوجه وجب اطلاقه على كل ما صدق عليه كالضارب
والقايم فان كلا منهما يصدق على من اتصف بالضرب والقيام
وقد يكون اطلاقه على معنى وتخصيصه به باعتبار امر قام به
حمل المستعمل على ملاحظته في اصل وضع اللفظ لذلك المعنى
فوضعه له وهذا من الاسما المشبهة للصفات وليست منها
والكليم من هذا النوع فلا يلزم من اطلاقه على موسى لكلام الله
له اطلاقه على غيره ممن كلمه الله تعالى **وحينئذ فلا يلزم في كل**
من قام به ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم كما حققه القاضي
عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الايجي المحقق البحر يروي تصانيف
البيضاوي عن زين الدين الهنكي عنه وروى عنه محمد بن يوسف
الكرماني شارح البخاري **وهذا ملخصه وتحريره كما قاله تلميذه**
المولى سعد الدين التفتازاني بفتح الفوقيتين والزاي وسكون
الفا نسبة الى تفتازان قرية بنواحي نسا ولعل حكمة عدم اطلاقه
على المصطفى مع ظهور دلالته على كلامه ان قومه انكروا الاسرا
اصلا فلم يسم كليما حذرا من انكارهم اذا سمعوه وتكلمهم بما يليق
في حقه ولا دليل قطعي يرد عليهم فاقتصر على ما ظهر لهم
كالاسرا له ووصفه لهم بيت المقدس وغيرهم فتحققوا صدقه
وان انكروا عنادا **وقوله ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى**
الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة اوجه بالذات في المعراج
الى مقام لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل **وبالسيادة على جميع**
البشر لقوله انا سيد الناس يوم القيامة **وبالمعجزات لانه عليه**
السلام اوتي من المعجزات ما لم يوت نبي قبله قال عياض ولانه

بعث

بعث الى الاحمر والاسود اي لعموم بعثته **قال الزمخشري**
وفي هذا الابهام بقوله بعضهم **من تفخيم فضله واعلاء قدره**
ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه
والمتميز الذي لا يلتبس فهو وان عبر عنه بالبعض المقتضي
لابهامه معلوم متميز عن سائر من عداه ومتعين فيه قال
التفتازاني في التعبير عنه باللفظ المبهم تنبيه على انه من الشهرة
بحيث لا يذهب الوهم الى غيره في هذا المعنى الا ترى ان التنكير
الذي يشعر بالابهام كثيرا ما يجعل علما على الاعظام والافخام
فكيف اللفظ الموضوع لذلك **انتهى** كلام الزمخشري وقد احسن فيه
لكنه اسا في قوله بعده ويجوز ان يريد ابراهيم او غيره من اولي
العزم من الرسل وقد قال بعض المحققين لم يصب الزمخشري
في تجويزه ان المراد بالبعض غيره لان المستحق للتفضيل على
الوجه المذكور هو افضل الانبيا باجماع المسلمين وتايده
بخبر ابن عباس تذاكرنا فضل الانبيا فذكرنا نوحا وابراهيم وموسى
وعيسى فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا
من يحيى بن زكريا مدفوع بان المراد ان في كل نبي نوع فضيلة تخصه
فلا وجه لتخصيص بعضهم بالامتياز من تلك الجهة فالمنفي في قوله
لا ينبغي الخ الخير به من جميع الوجوه **وقد بينت هذه الاية وكذا**
قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بتخصيص كل
منهم بفضيلة كموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد بالاسرا وسليمان
بالملك **ان مراتب الانبيا والرسل** وفي نسخة الرسل والانبيا اي الذين
ليسوا برسل وهو عطف عام على خاص **متفاوتة خلافا للمعتزلة**
القايلين بانه لا فضل لبعضهم على بعض وفي هاتين الايتين
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض **رد عليهم** على سبيل الصراحة **وقال قوم ادم افضل**
لحق الابوة وليس بشي لانها بمجردها لا تقتضي فضله عليهم
مطلقا وكم من فرع فضل اصله لخصوصيات شرف بها على الاصل
بل كثيرا ما تشرف الاصول بفروعها
وكم اب قد علا بابن ذري شرف كما علا برسول الله عدنان
وتوقف بعضهم لتعارض الادلة عليه **فقال السكوت افضل**
لعدم القاطع عند ذا البعض **والمعتمد ما عليه جماهير**
السلف والخلف ان الرسل افضل من الانبيا لان الرسالة تثمر
هداية الامة والنبوة قاصرة على النبي كالعلم والعبادة خلافا
لمن قال النبي افضل لان النبوة الوحي بمعرفته تعالى وصفاته
فهي متعلقة به من طرفيها والرسالة الامر بالتبليغ فهي متعلقة

به من احد الطرفين واجيب بانها تستلزم النبوة فهي مشتملة
عليها لانها كالرسول واخص من النبوة التي هي اعم كالنبي **وكذلك**
الرسل بعضهم افضل من بعض بشهادة هاتين الايتين وغيرهما
قال بعض اهل العلم بالكتاب **فيما حكاه القاضي عياض** في الشفا
والتفضيل المراد لهم هنا عطف على مقدر او على ما تقدم وهنا
اشارة لما ذكر قبله **في الدنيا** متعلق بالتفضيل **وذلك بثلاثة**
احوال وفي نسخة اوجه **ان تكون اياته ومعجزاته اظهر** وفي نسخة
ابهر اي اقوى واغلب من بهر ضوء القمر الكواكب عليها او هو
بمعنى اظهر **واشهر** كانشقاق القمر وانفلاق البحر وانقلاب
العصى حية **او يكون** بالنصب **امته ازكى** اتقى واطهر لبعدهم
عن التلبس بما لا يليق **واكثر** من غيرهم **او يكون في ذاته افضل**
بزيادة علمه وخصاله المحمودة **واظهر** بمعجمة اي اشهر وبمهملة انقى وانقى
وفضله في ذاته ونفسه **راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته**
اي اكرام الله له بما ثر ومناقب عظيمة وهباله **واختصاصه** بالجر
معطوف على مدخول اي **من كلام** بلا واسطة كموسى والمصطفى
وهو بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه به **او خلة** لابراهيم والمصطفى
او روية عيانا لنبينا صلى الله عليه وسلم **او ما شا الله** اراده لهم
غيرما ذكر **من الطائف** بفتح الهمزة اي عطاياه **وتحف** بفاخر **ولايته**
اي تحفه ولاهالهم هكذا في الشفا بالفا فقط وفسرها شارحها
بما ذكر وقال شيخنا كان المراد بها ما ميز به تعالى ولايته عن
ولاية غيره من الخواص والمزايا التي لم تثبت لغيره وفي بعض نسخ
المتن وتحقق ولايته بقافين اي ثبوتها بلا ريبة ولا تردد لكثرة
الادلة المثبتة لها **واختصاصه** بما اختصهم به من قرة اعين لا يعلمها
الا هو انتهى **فلا مرية** بالكسر لا شك **ان ايات نبينا ومعجزاته**
اظهر وابهر موحدة اغلب **واكثر وابقى** بالموحدة **واقوى** اشد
ومنصبه حسبه وشرفه **اعلى ودولته اعظم واوفر**
وذاته افضل واطهر بالمهملة **وخصوصياته على جميع الانبيا**
اشهر من ان تذكر فقد جمعت فيه الاحوال الثلاثة وزيادة
قد رجته ارفع من درجات المرسلين وذاته ازكى وافضل
من ساير المخلوقين انسا وملكا **وتامل حديث الشفاعة** اضافه
لادنى ملابسة لذكرها فيه **في المحشر** بفتح الشين وكسرها
وانتهايها اليه بعد تنصل روسا الانبيا منها **وانفراده هناك**
بالسودد اي السيادة **كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد**
يكون جمعا وواحدا والمراد الاول **ادم واول من تنشق**
عنه الارض يوم القيامة اي اول من تعجل احياوه مبالغة

في اكرامة

والسنة م

في اكرامه وتخصيصا بتعجيل جبريل انعامه **رواه ابن ماجة** محمد
القزويني **وفي حديث انس عند الترمذي** مرفوعا انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا ابسوا لوا الحمد يومئذ بيدي **وانا اكرم ولد ادم يومئذ**
على ربي اخبار بما منحه من السودد والاكرام وتحدث بمزيد
الفضل والانعام **ولا فخر** حال موكدة اي اقول ذلك غير مفتخر
به فخرا تكبرا اتى به دفعا لتوهم ارادة الافتخار به قال القرطبي انما
قال ذلك لانه مما امر بتبليغه لما يترتب عليه من وجوب اعتقاد
ذلك وانه حق في نفسه وليرغب في الدخول في دينه ويتمسك به
من دخل فيه ولتعظم محبته في قلوب متبعيه فتكثر اعمالهم
وتطيب احوالهم فيحصل لهم شرف الدنيا والاخرة لان شرف
المتبوع متعد للشرف التابع **لكن هذا لا يدل على انه افضل**
من ادم بل من اولاده فالاستدلال بذلك على مطلق
افضليته عليه السلام على الانبيا كلهم ضعيف تبع التفتازاني
في شرح العقايد وقد تعقب بان المراد به جنس الادميين
فلا يخرج ادم لان المراد من ولد ادم كافة البشر بدليل قوله
في حديث ابي هريرة انا سيد الناس وقوله في حديث ابي سعيد
ادم فمن سواه الا تحت لوائي وقد لوح المص بعد قليل الى معنى
هذا المتعقب بقوله وهذا يدل على انه افضل من ادم وبان
دخول ادم اولى لان في ولده من هو افضل منه وبان ذلك
من الاسلوب العربي على حد اعملوا ال داود شكرا لدخول
داود ولزوما او قصدا وعبر عنه بذلك لارادة التنصيص على
دخوله معه **واستدل الشيخ سعد الدين** مسعود بن عمر بن
عبد الله **التفتازاني** الشافعي قال الحافظ في الدرر الكامنة
ولد سنة ست عشرة وسبعمائة واخذ عن القطب والعضد
وتقدم في الفنون واشتهر ذكره وطار صيته وله تصانيف
انتفع بها الناس مات بسمرقند سنة احدى وتسعين وسبعمائة
لمطلق افضليته عليه الصلاة والسلام على جميع الانبيا **بقوله**
تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال لانه لا شك ان
خيرية الامم بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال
نبيهم الذي يتبعونه وهذا انما ذكره التفتازاني سندا للاجماع
على فضل المصطفى وتعقب بانه لا يصلح سندا له لان خيريتهم
في الدنيا بزيادة نفعهم للغير لحديث خير الناس انفعهم
للناس وهذا هو الظاهر لحديث البخاري عن ابي هريرة قال
خير الناس للناس ياتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا

الاسلام وخبرتهم في الاخرة بكثرة ثوابهم لحديث البخاري لكم الاجر
مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطا والسر
في ذلك انهم صدقوا الانبيا كلهم بخلاف جميع الامم فانما صدق كل منهم
نبيه ومن قبله كما نبه عليه صلى الله عليه وسلم بقوله لهرقل
اسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين قال الكرماني وعبره مرة للايمان
بنبيهم ومرة للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والخيرية باحد هذين
المعنيين للامة لاتدل على افضلية رسولهم انتهى وفيه تامل وكما نقل
له الفخر الرازي في المعالم اي معالم التنزيل اسم تفسيره بانه
تعالى وصف الانبيا بالاوصاف الحميدة في سورة الانعام ثم
قال لمحمد صلى الله عليه وسلم اوليك الذين هدى هم اد
فبهداهم طريقهم التوحيد والصبر اقتده بهاء السكت وقفا ووصلا
وفي قراة بحذفها وصلا فامره ان يقتدي باثرهم فيكون اتيانه
به واجبا والا فيكون تاركا للامر وهو محال واذا اتى بجميع ما اتوا
به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا
فيهم فيكون افضل منهم لان الواحد اذا فعل مثل الجماعة
كان افضل منهم قيل عليه لاشك انه افضل من كل واحد منهم ومن
الجميع ايضا لكن في هذا الدليل حقا لانه يلزم من اتيانه بكل ما اتى
به كل واحد منهم الامسا وانه للمجموع لا افضليته عليهم وكانه
الداعي للعز بن عبد السلام على قوله انه افضل من كل واحد
منهم لا من جميعهم فيما لاجماعه من علما عصره على تكفيره
فعصمه الله بل قد يتوقف في المساواة ايضا لانك لو انعمت على
اربعة فاعطيت واحدا دينارا واخر دينارين واخر ثلاثة واخر
اربعة لزاد صاحب الاربعة على كل واحد دون جميع ما لغيره ولو
اعطيته ستة لساواهم ولو اعطيته عشرة زاد عليهم فينبغي ان يقال
انه صلى الله عليه وسلم ساواهم في العمل وزاد عليهم بانه اعلم
منهم بالله واكثرهم من جميعهم خصايص ومعجزات وهذا التفضيل
في القرب والمنزلة وهو اكثر ثوابا وامته اكثر من جميع الامم
واجرهم له الى يوم القيامة ولو كانت للناس مساكن بعضها فوق
بعض لكان الذي فوق الاخير اعلى من الجميع وفي اية تلك الرسل
ايما لقصد احيث ابهم وعبر برفع الدرجات دون ان تسميه ويقول
انه اعظم او افضل انتهى وبان دعوته عليه السلام في التوحيد
والعبادة وصلت الى اكثر بلاد العالم بخلاف ساير الانبيا
فظهر ان انتفاع اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم
اكمل من انتفاع ساير الامم بدعوة ساير الانبيا فوجب
ان يكون افضل من ساير الانبيا انتهى استدلال الرازي

وقد

وقد روى الترمذي وقال حسن صحيح واحمد وابن ماجه وصححه
الحاكم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة خصه لانه يوم مجموع
له الناس فيظهر سودده لكل احد عيانا ووصف نفسه بالسودد
المطلق المفيد للعموم في المقام الخطابي فيفيد سيادته على جميع
اولاد ادم حتى اولوا العزم واحتياجهم اليه وتخصيص ولد ادم
ليس للاحتراز فهو افضل حتى من خواص الملايكة باجماع من يعتد
به ولا فخر بل انما قلته شكرا كقول سليمان علمنا منطق الطير
واوتينا من كل شي اي لا اقوله تكبرا وتعاظما على الناس في الدنيا
وان كان فيه فخر الدارين او لا افتخر بذلك بل فخري بمن اعطاني
هذه الرتبة وبيدي لوا بالكسر والمد علم الحمد والعلم في العرصات
مقامات لاهل الخير والشر ينصب في كل مقام لكل متبوع لوا يعرف
قدره واعلا تلك المقامات مقام الحمد ولما كان صلى الله عليه وسلم
اعظم الخلايق اعطي اعظم الالوية لوا الحمد ليأوي اليه الاولون
والاخرون فهو حقيقي ولا وجه لحمله على لواء الجمال والكمال ولا
فخر لي بذلك فخر تكبرا ولا فخرا بالعطا بل بالمعطي وما من نبي
يوميذ ادم فمن سواه الا تحت لوايي قال الطيبي ادم فمن سواه
اعتراض بين النفي والاستثنا وادم بالرفع بدل او بيان من محله
ومن موصولة وسواه صلته وصح لانه ظرف واثر الفا التفصيلية
في فمن للترتيب على منوال الامثل فالامثل وبقية هذا الحديث
وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع ولا فخر
وفي حديث ابي هريرة مرفوعا عند البخاري ومسلم
والترمذي واحمد انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون
مم ذاك يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد فذكر حديث
الشفاعة بطوله وهذا المذكور من حديث ابي سعيد وابي
هريرة يدل على انه افضل من ادم عليه السلام ومن كل
اولاده بل افضل من الانبيا اضراب انتقالي للدفع يوهم
ان المراد باولاده من عدا الانبيا بل افضل الخلق كلهم لانه من
ناس اذا تحرك تشمل الملايكة حتى امين الوحي باجماع حتى من
المعتزلة وجهل الزمخشري كما حققه جماعة من المحققين وروى
البيهقي في فضايل الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعد
فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عايشة
الست يا رسول الله سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو
سيد العرب وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا
والملايكة لان العالم ما سوى الله وقد روى الحاكم في صحيحه

المستدرك من طريق ابي عوانة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس مرفوعا لكن بلفظ انا سيد ولد ادم وعلي سيد
العرب وقال الحاكم انه صحيح ولم يخرجاه اي البخاري ومسلم مع ان اسناده
على شرطهما من حديث عروة بن الزبير عن خالته عائشة
وساقه اي رواه الحاكم من طريق احمد بن عبيد بن ناصح اي
جعفر النحوي يعرف بابي عصيدة قبل ان ابا داود حكى عنه
مات بعد السبعين ومائتين قال حدثنا الحسين بن علوان وهما
ضعيفان لكن اقتصر في التقريب على ان احمد ابن عبيد لين
الحديث عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة مرفوعا
بلفظ ادعو لي سيد العرب قالت عائشة فقلت يا رسول الله
الست سيد العرب فقال وذكره وكذا اورده الحاكم من حديث
عمر بن موسى الوجيهي بفتح الواو وكسر الجيم نسبة الى وجيه وهو
ضعيف ايضا عن ابي الزبير محمد بن مسلم المكي عن جابر مرفوعا
ادعو لي سيد العرب فقالت عائشة الست سيد العرب وذكره
ورواه ابو نعيم في الحلية عن الحسن بن علي رفعه ادع سيد العرب
يعني عليا فقالت له عائشة الست سيد العرب فقال انا سيد ولد
ادم وعلي سيد العرب قال شيخنا السخاوي وكلها ضعيفة بل جنح
مال الذهبي الى الحكم على ذلك بالوضع انتهى ولم يتبين لي ذلك
اذ ليس فيها وضاع ولا كذاب ولا متهم والحاكم انما اورد حديث
عائشة من الطريقين وان كان فيهما ضعف شاهد الحديث
ابن عباس الذي صححه لان رواته من رجال الصحيح ولم يقل صلى
الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه
والفخر ادعاء العظيم والمباهاة حاشاه من ذلك اذ هو سيد المتواضعين
وانما قاله اظهارا لنعمة الله عليه لقوله واما بنعمة ربك فحدث
واعلاما للامة ليقدروا امامهم ومتبوعهم عند الله وعلو
منزلته لديه ليعرف نعمة الله عليهم وعليه وليعتقدوا افضله
على من سواه قال القرطبي ولانه مما يترتب عليه لما يترتب عليه
من وجوب اعتقاد ذلك وانه حق في نفسه فان قيل هذا
راجع للاعتقاد فكيف يحصل القطع به من اخبار الاحاد قلنا
من سمع شيا من هذه الامور منه صلى الله عليه وسلم مشافهة
حصل له العلم به كالصحابة ومن لم يشافهه حصل له العلم به من
طريق التواتر المعنوي لكثرة اخبار الاحاد به وكذلك العبد
اي عبد من عباد الله الكاملين اذا لاحظ ما هو فيه من فيض
المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك
فقره الي ربه في كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين

ينشئ له في قلبه سحايب النور وفي نسخة السرور والسرور وكمن
اذا انبسطت هذه السحايب في سرا قلبه وامتلا افقه بها
طرت عليه وابل المطر بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم
يصبه وابل مطر شديد فطل مطر خفيف والمعنى انه تزكو وتنمو
كثرة المطر وقل وحينئذ يجري على لسانه الافتخار من غير
عجب ولا فخر بل هو فرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك الفضل والرحمة فليفرحوا فالافتخار
كاين على ظاهره بحسب اللفظ والافتقار والانكسار في باطنه
ولا تنافي احدهما الاخر والى هذا المعنى يشير قول العارف
هو من اشهده الحق نفسه وظهرت عليه الاحوال والمعرفة حاله
هكذا ذكره الشيخ فالعالم عنده اعلا مقاما من العارف خلافا
للاكثرين وقد قرر ذلك في الفتوحات ومواقع النجوم الرباني
سيدي علي الوفاي في قصيدته التي اولها من انت مولاه ناصره
ومعينه حاشا علاه رفعته ان سلاشا كس بعد رفعته والله يا روح
حياة قلبي لامات من بك عاشا بل يحيى حياة طيبة قوم لهم انت
ساق لا يرجعون عطاشا بل على غاية الري لا قص بمهلة
تقبله دهر جنا حاله وفاوك راشا اصلح حاله ونفعه بك
النعيم المقيم لمن وهبت انتعاشا اي رفعة وجبرا وذكرا حسنا
قال المجد نعشه الله كمنعه رفعه كانعشه ونعشه وفلانا جبره
بعد فقره والميت ذكره ذكرا حسنا ومن حولك قوتك يقوي
لمن يضعف الدهر بالنصب جاشا اي نفسا قال المجد الجاش
نفس الانسان وقد لا يهمز عبد له بك عز قوة ومنعة فكيف
لا يتحاشا مكرم ويعظم حاشا وفاوك بري من انت مولاه
حاشا اي تنزه له ان يفعل ذلك فان قلت ما الجمع
بين كل منه هاتين الايتين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فان كلا منهما صريح في التفضيل
وعدم التفريق في قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم قال على التسوية
لجملة احاديث كما قال وبين قوله تعالى خطابا للمومنين قولوا
امنا بالله وما انزل الينا من القران وما انزل الى ابراهيم
من الصحف العشر واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط اولاد
يعقوب وما اوتي موسى من التوراة وعيسى من الانجيل
وما اوتي النبيون من ربهم من الكتب والايات لا نفرق بين
احد منهم فنومن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى
ونحن له مسلمون واوردان بين انما تقع على اثنين كجلسة بين
زيد وعمرو واحد في الاية مفرد لانه بمعنى واحد لا بعينه فكيف

مع دخول بين عليه واجيب بانه باعتبار معطوف حذف
لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره وفيه دلالة صريحة على
تحقيق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين من عداهم كاينا
من كان بخلاف ما لو قيل لا نفرق بينهم واجاب الكشاف
بان احدا في معنى الجماعة بحسب الوضع قال التفتازاني لانه اسم
لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر
والمونث ويشترط ان يكون استعماله مع كلمة كل او في كلام غير
موجب وهذا غير الاحد الذي هو اول العدد في مثل
قل هو الله احد قال وليس كونه في معنى الجماعة من جهة كونه
نكرة في سياق النفي على ما سبق الى كثير من الاوهام الا ترى
انه لا يستقيم لا نفرق بين رسول من الرسل الا بتقدير عطف
اي رسول ورسول وقال لا نفرق بين رسول من الرسل الا بتقدير
عطف اي رسول احد من رسله من زعم ان معنى الجمع في احد انه نكرة
في سياق النفي فقد سهى وانما معناه ما ذكر في كتب اللغة انه
اسم لمن يصلح ان يخاطبه فحين اضيف بين اليه واعيد ضمير جمع
اليه او نحو ذلك فالمراد به جمع من الجنس الذي يدل عليه الكلام
فمعنى لا نفرق بين احد بين جمع من الرسل ومعنى فما منكم من احد
فما منكم من جماعة ومعنى لستن كاحد كجماعة من جماعة النسا
انتهى **والحديث الثابت في الصحيحين عن ابي هريرة قال**
استبا اي سب **رجل من المسلمين** قال عمرو بن دينار هو ابو بكر
الصديق اخرجه سفيان بن عيينة في جامعه وابن ابي الدنيا
في كتاب البعث ويعكر عليه ان في رواية للشيخين من
حديث ابي هريرة ايضا وابي سعيد انه من الانصار الا ان
كان المراد المعنى الاعم فان الصديق من انصاره صلى الله
عليه وسلم بل هو راس من نصره ومقدمهم وسابقهم قاله
الحافظ في الفتح زاد في المقدمة او يحمل على تعدد القصة لكن
لم يسم من اليهود غير واحد **ورجل من اليهود** اي سب كل منهما
الاخر بمعنى غيره قال الحافظ لم اقف على اسم هذا اليهودي
وزعم ابن بشكوال انه فنحاص وهو بكسر الفا وسكون النون
ومهملتين وعزاه لابن اسحاق والذي ذكره ابن اسحاق لفنحاص
مع ابي بكر في لطمه اياه قصة اخرى في نزول قوله تعالى لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير الاية **فقال اليهودي**
في قسمه اي حلفه وفي رواية للشيخين عن ابي هريرة فقال
المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين وقال اليهودي والذي
اصطفى موسى على العالمين فرفع مسلم عند ذلك يده فلطم

وجه

وجه اليهودي وفي رواية لهما ايضا بينما يهودي يعرض سلعته اعطى
فيها شيا كرهه فقال **لا والذي اصطفى موسى على العالمين** وفي
رواية لهما على البشر فقال ذلك ردا على المسلم فيما قال له واكده بالقسم
فرفع المسلم يده عند ذلك اي سماعه قوله لما فهمه من عموم لفظ
العالمين او البشر فدخل فيه محمد صلى الله عليه وسلم
عند المسلم انه افضل وقد جا ذلك مبينا في حديث ابي سعيد وقد تقدم
ان الضارب قال له اي خبيث اعلى محمد فدل على ان لطمه عقوبة
له على كذبه عنده قاله الحافظ **فلطم اليهودي** وفي رواية لهما
فلطم وجه اليهودي وقال اتقول هذا ورسول الله بين اظهرنا
وفي رواية للامام احمد فلطم عين اليهودي وقوله **فقال**
اي خبيث بفتح الهمزة وكسر وسكون اليا حرف ندا **وعلى محمد**
هذه الجملة ادخلها المص في حديث ابي هريرة وليست منه فقد
اخرجه مسلم في الفضايل والبخاري في الخصومات والرقاق
والتوحيد واحاديث الانبيا مختصرا ومطولا وليس فيه هذه
الجملة انما هي عنده في مواضع عن ابي سعيد قال بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس جا يهودي فقال ضرب وجهي رجل من
الانصار فقال ادعوه فقال اضربته قال سمعته بالسوق يحلف
والذي اصطفى موسى على البشر قلت اي خبيث اعلى محمد
صلى الله عليه وسلم فاخذتني غضبة ضربت وجهه فقال لا تخيروا
بين الانبيا الحديث واخرجه مسلم بنحوه وقد صرح الحافظ
كما رايته بان هذه الجملة من حديث ابي سعيد **فجا اليهودي الى**
رسوله الله صلى الله عليه وسلم واشتكى ضمنه معنى اعترض
فعداه بقوله **على المسلم** وهذا نقل بالمعنى والا فلم تقع هذه
اللفظة في الصحيحين لا في حديث ابي هريرة ولا في حديث ابي
سعيد ولفظ البخاري في الاشخاص في حديث ابي هريرة فذهب
اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان من امره
وامر المسلم وكذا في روايتيه في احاديث الانبيا ولفظه في الثانية
يا ابا القاسم ان لي ذمة وعهدا فما بال فلان لطم وجهي فقال
لم لطمت وجهه فذكره فغضب صلى الله عليه وسلم حتى روي
في وجهه وكذا اخرجه مسلم في الفضايل باللفظين من طريقين
فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على الانبيا وفي رواية
لهما لا تفضلوا بين الانبيا وفي رواية لا تخيروني على موسى وفي
حديث ابي سعيد الخدري عند البخاري في التفسير والتوحيد
والخصومات ومسلم في الفضايل انه صلى الله عليه وسلم قال
لا تخيروا بين الانبيا بان تقول فلان خير من فلان وعنده

اولي ح

ابن عباس عند البخاري ومسلم ايضا في الفضايل [illegible] عا ما ينبغي
ما يصح ولا يجوز لعبد من عباد الله ان يقول انا خير من
يونس يحتمل رجوع انا الى القايل والى النبي صلى الله عليه وسلم
قال الحافظ في التفسير والاول اولى لكنه قال في احاديث
الانبيا حديث عبد الله بن جعفر عند الطبراني لا ينبغي
لنبي ان يقول انا خير يويد رجوعها للنبي صلى الله عليه وسلم
وللطبراني في حديث ابن عباس ما ينبغي لاحد وللطحاوي
انه سبح الله في الظلمات فاشار الى جهة الخيرية انتهى بن متى
بفتح الميم والفوقية الثقيلة والف مقصورة وقع في تفسير
عبد الرزاق انه اسم امه ورده الحافظ بقوله في بقية هذا
الحديث ونسبه الى ابيه ففيه رد على من زعم انه اسم امه وهو
محكي عن وهب بن منبه وذكره الطبري وتبعه ابن الاثير في
الكامل والذي في الصحيح اصح وقيل سبب قوله ونسبه الى ابيه
انه كان في الاصل يونس بن فلان فنسبه الراوي وكنى عنه
بفلان وذلك سبب نسبته الى امه فقال الذي نسي يونس
ابن متى وهي امه ثم اعتذر فقال ونسبه اي شيخه الى ابيه اي
سماه فنسيه ولا يخفى بعد هذا التاويل وتكلفه ايضا بل يرده
ما في الثعلبي عن عطا سالت كعب الاحبار عن متى فقال
هو ابو يونس واسم امه بروزة اي صديقة بارة قانتة وهي من
ولد هارون انتهى فقول السيوطي التاويل عندي اقوى وان
استبعده الحافظ فيه نظر قال الحافظ ولم اقف في شي من الاخبار
على اتصال نسبه وقد قيل انه كان في زمن ملوك الطوايف
من الفرس وحديث ابي هريرة عند الشيخين من قال
انا خير من يونس بن متى فقد كذب هذا اللفظ للبخاري
في التفسير مختصرا بلا واو ولم نرها ذاتها في نسخ خط ولم
يخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد احسن السيوطي فعزاه في الزوايد
للبخاري والترمذي وابن ماجة نعم اخرجه مسلم والبخاري
في اخر الحديث السابق بلفظ ولا اقول ان احدا افضل من يونس
ابن متى ورواه البخاري ايضا مختصرا بلفظ لا ينبغي للعبد ان يقول
انا خير من يونس بن متى وفي رواية مسلم عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يعني الله لا ينبغي لعبد لي وقال ابن
المثنى لعبدي ان يقول انا خير من يونس بن متى ومسلم رواه
عن شيوخه ابن ابي شيبة وابن بشار ومحمد بن مثنى فلذا بين
اختلاف لفظهم فالاولان بلام والثالث بدونها والاضافة
لياء المتكلم اجاب العلما بان قوله عز وجل لا نفرق بين

احد

احد منهم بعض في الايمان بما انزل اليهم والتصديق
بانهم رسل الله وانبياوه عطف عام على خاص على ان الرسول
اخص من النبي ومرادف على تساويهما وان كلا منهما انسان
اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه والمعنى التصديق بان منهم
رسل وانبيا ليسوا برسل والتسوية بينهم في هذا المذكور
من الايمان بما انزل الخ لا يمنع ان يكون بعضهم افضل من
بعض كما هو نص الاية بسبب خاص ترجح من قامت به
على غيره بالنظر لتلك الخصوصية واجابوا عن الاحاديث
باجوبة سبعة او ثمانية فقال بعضهم ان مخففة من الثقيلة
نعتقد بالرفع اي انا نعتقد ان الله تعالى فضل بعضهم على
بعض في الجملة وجاز حذف اللام مما دخلت عليه لظهور
المراد كقوله ان الحق لا يخفى على ذي بصيرة ولكن عدم الفصل
بينها وبين الفعل الغير الناسخ نادر والمضارع اندر من الماضي
كما في ان يزينك لنفسك وان شينك لهيه ويحتمل قراته بفتح الهمزة
ونكف نمتنع عن الخوض في تفضيل تبيينا للتفضيل باراينا
لانه هجوم على عظيم قال ابن ظفر فان اراد هذا القايل
انا نكف عن الخوض في تفصيل التفضيل باراينا المجردة عن
فهم من كتاب او سنة فصحيح ولهذا لا يرد ان هذا عين ما قاله
ذلك البعض فكيف يجعله احتمالا فيه وان اراد انا لا نذكر في ذلك
ما فهمناه من كتاب الله وروي لنا من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو راي ايضا لكن في فهم الدليل من غير
ان تكون دلالته عليه قطعية فسقيم اي ضعيف لان الاخبار
على غلبة الظن وما ادى اليه الاجتهاد لا يمتنع ومحصله
ان التفضيل بالراي المحض يجمع على منعه وبالدليل لا وجه
لمنعه وما احسن اختصار الحافظ لهذا بقوله فان العلم انما نهي
عن ذلك من يقوله برايه لا من يقول بدليل اخر وقال نفضل
اي نعتقد فضل من رفع الله درجته منزلته تخصا بمن
الحظوة بضم الحا المهملة وكسرها ومعجمة المحبة ورفع المنزلة
والزلفى القرب مصدر بمعنى التقريب ولا نخوض لا نتكلم
في تفضيل بعضهم على بعض عبر عن التكلم بالخوض لما فيه
من المشقة بلوم الدنيا وعقوبة الاخرى وفي القاموس خاض
الما دخله والغمرات اقتحمها في سياسة امر ونهي المنذرين
بفتح الذال القوم الذين ارسلوا اليهم وبينوا لهم عواقب
الفواحش والصبر على الدين اي القيام به وهو هنا
ما شرع من الاحكام التي من جملتها وجوب تبليغ ما امروا به

ومنع المخالفين لهم الخارجين عن الطاعة والنهضة اي السرعة
في اداء الرسالة والحرص على هدى الضلال بضم الضاد وشد اللام
جمع ضال ويجوز فتحها والتخفيف بتقدير اهل الضلال والاول
اولى وان كلا منهم قد بذل في ذلك وسعه الذي لا يكلف
الله اكثر منه لانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال اخرون
مما ذكره القاضي عياض في الشفا ان نهيه عليه السلام على التفضيل
كان قبل ان يعلم بالبنا للفاعل او المفعول اي يعلمه الله انه سيد
ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف اي اعلام
به واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل وان من فضل بلا علم بل
بالراي المجرد فقد كذب لانه لا يطابق ما في نفس الامر والجملة
حالية او استينافية مفرعة لما قبلها قال الحافظ عماد الدين
ابن كثير في هذا الذي قاله الجماعة الاخرون نظر انتهى ولعل
وجه النظر من جهة معرفة المتقدم والمتاخر من ذلك لانه
يتوقف على العلم بتقدم النهي على العلم بانه سيد ولد ادم ولم
يعلم التاريخ او فيه مضاف اي جهة جهل معرفة التاريخ ثم رايت
في تاريخ ابن كثير ان وجه النظر ان هذا من رواية ابي سعيد
الخدري وابي هريرة الدوسي وما هاجر ابو هريرة الا عام خيبر
بالمعجمة وراخره على الصواب في المحرم سنة سبع وشيخه حسن تصحيف
فيبعد انه لم يعلمه الله تعالى بهذا الا بعد هذا بل اعلمه فضله
قبل ذلك قال السبكي وفي حديث الاسرا ما يدل عليه انتهى ومن
جملته قول ابراهيم بهذا افضلكم محمد وقال اخرون انما قاله صلى
الله عليه وسلم على طريق التواضع لين الجانب وخفض الجناح
ونفي التكبر اظهار العظمة والعجب بضم فسكون استحسان النفس والمدح
لها قال القاضي عياض وهذا لا يسلم من الاعتراض لانه
عد الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب مذموم تواضعا
قيل ولان نفي التكبر والعجب يقتضي ثبوتهما له وانه مع ما علم
من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم في صالحي امته ولا يخفى
انه اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه صلى
الله عليه وسلم كذا في شرح الشفا وقال شيخنا لانه صلى الله عليه وسلم
كثيرا ما يفتخر من باب التحدث بالنعمة بل المطلوب منه ان
يظهر فضله لامته ليقوى ايمانهم به وليلا يجهلوا مقامه فيضلوا وقيل
مما ذكره عياض ايضا لا نفضل بعضهم تفضيلا يودي بضم التحتية
وفتح الهمزة وشد الدال يجر ويوصل الى تنقيص بعضهم تفعيل
من النقص اي يقتضي وصفهم بما فيه نقص او الغض منه بفتح
العين والضاد المعجمتين اي انتقاصه كما في القاموس وغيره فهو

مساو

مساو لما قبله ولا يصح انه عطف تفسير لانه انما يكون بالواو الا
ان يكون او استعملت بمعنى الواو مجازا تعومل معاملتها
وقد رد هذا الجواب بانه ان اريد مطلق النقص فهذا لا يقول
مسلم وان اريد نقص بعضهم عن بعض في الفضل فلا معنى لانفي
التفضيل الا ذلك وقيل مما ذكره عياض ايضا منع التفضيل
بين الانبيا والرسل انما هو في حق النبوة والرسالة نفسهما
لا الانبيا والرسل فان الانبيا عليهم السلام فيها اي النبوة
على حد واحد فرتبتها وقدرها متحد فيهم اذ هي شي واحد
لا تتفاضل اي لا يزيد بعضها على بعض وانما التفاضل في زيادة
الاحوال اي العوارض الطارية عليها والخصوص اي ما خص به بعضهم
دون بعض والكرامات التي كرم الله بها بعضهم والرتب الدنيوية
والاخروية واما النبوة نفسها فلا تتفاضل قال السنوسي في شرح
عقايده ويدل عليه منع ان يقال لفلان النبي النصيب الاقل
من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من العبارات
التي تقتضي ان النبوة مقولة بالتشكيك ولا شك ان امتناع ذلك
معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل على ان
حقيقة النبوة من المتواطي المستوي افراده ولا يلتفت لمن خالف
مقتضاه لوضوح فساده وانما التفاضل بامور اخرى زايدة عليها
ليست من نفس حقيقتها كما تبين وفي ذكره ذلك في النبوة دون
الرسالة ايما الى الفرق بينهما ولذلك المذكور من ان التفاضل لامر
زايد كان منهم رسل والوا عزم اي شدة وقوة وتصميم وتنفيذ
على ما يراد منه ويقبوه انتهى وهذا قريب من القول الثاني
وليس عينه لاختلاف ملحظهما وفي فتح الباري قال العلما
انما نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك من يقوله برايه لا من يقوله
بدليل او من يقوله بحيث يودي الى تنقيص المفضول او يودي
الى الخصومة والتنازع او المراد لا تفضلوا بجميع انواع الفضايل
بحيث لا يترك للمفضول فضيلة فالامام مثلا اذا قلنا انه
افضل من المودن لا يستلزم نقص فضيلة المودن بالنسبة الى
الاذان وقيل النهي انما هو في حق النبوة نفسها لقوله
لا نفرق بين احد من رسله ولم ينههم عن تفضيل الذوات
لقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية وقال الحليمي
الاخبار الواردة في النهي عن التخيير انما هي في مجادلة اهل
الكتاب وتفضيل بعض الانبيا على بعض بالمخايرة لان المخايرة
اذا وقعت بين دينين لم يومن ان يخرج احدهما الى الازرا بالاخر
فيفضي الى الكفر فاما اذا كان التخيير مستندا الى مقابلة الفضايل

بل ليحصل الرجحان فلا يدخل في النهي ثم قال اعني في الفتح
في قوله ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس قال العلما
انما قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا ان كان قاله بعد ان علم
انه افضل الخلق وان كان قاله قبل علمه فلا اشكال وقيل
خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته ان يقع في نفسه
تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة انتهى وذكرته
برمته لحسن تلخيصه وان تكرر بعضه مع ما ذكرته المهم وقال
ابن ابي جمرة بجيم وراء في حديث يونس يريد بذلك نفي
التكييف والتحديد على ما قاله ابن خطيب الري الامام فخر
الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الطبرستاني
الرازي بحر العلوم ناصر السنة الورع الدين صاحب التصانيف
الكثيرة تفقه على ابيه وغيره ولد سنة ثلاث وقيل اربع واربعين
وخمس مائة وتوفي بهراة يوم عيد الفطر يوم الاثنين سنة ست
وستمائة من بعض تراجمنا ايضا كان ابوه خطيبا بالري بفتح الراء وشد
التحتية مدينة مشهورة من اعلام البلاد كانت من اعظم مدن
اصبهان والنسبة اليها بزيادة زاي لانه قد وجدت الفضيلة
بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم اسري
به الى فوق السبع الطباق اي السموات ويونس نزل به
الى قعر البحر وقد قال انا سيد ولد ادم يوم القيامة
خصه لانه يوم ظهور ذلك كل الظهور وقال عليه السلام ادم
ومن دونه تحت لوائي فالمراد بولد ادم جنس البشر كما تقرر
فدخل ادم وقد اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة
الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبيا عليهم السلام فهذه
الفضيلة وجدت بالضرورة فلم يبق ان يكون قوله
عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة
الى القرب من الله سبحانه والبعد فمحمد صلى الله عليه وسلم
وان اسري به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب
ويونس عليه السلام وان نزل به لقعر البحر لهما بالنسبة
الى القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد واحد
انتهى وهو مروي عن امام دار الهجرة مالك بن انس وهو
حمل حسن لا يرد عليه شي وعزي نحوه لامام الحرمين ابي المعالي
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ذكر القرطبي في التذكرة
ان القاضي ابا بكر بن العربي قال اخبرني غير واحد ان امام الحرمين
سئل هل الباري في جهة فقال لا هو متعالي عن ذلك قيل ما الدليل
عليه قال قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس

بن متى قيل ما وجه الدليل منه قال لا اقول حتى ياخذ ضيفي هذا
الف دينار تقضى بها دينا فقام رجلان فقالا هي علينا فقال
لا يتبع بها اثنين لانه يشق عليه فقال واحد هي علي فقال
ان يونس رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر
البحر في ظلمات ثلاث ونادى لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين كما اخبر الله ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم
حين جلس على الرفرف الاخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى
به الى موضع يسمع فيه صريف الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه
واوحى اليه ما اوحى باقرب الى الله من يونس في ظلمة البحر
فالله سبحانه قريب من عباده يسمع دعاهم ولا يخفى
عليه حالهم كيف ما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم انتهى
وقال ابن المنير في معراجه ان قلت ان لم تفضل نبينا صلى
الله عليه وسلم على يونس باعتبار استوا الجهتين بالنسبة
الى وجود الحق تعالى فقد فضله باعتبار تفاوت الجهتين
في تفضيل الحق سبحانه فانه تعالى فضل الملا الاعلى اي السموات
على الحضيض الادنى اي الارض عند الاكثرين لانه لم
يعص فيها ومعصية ابليس لم تكن فيها او وقعت نادرة
فلم يلتفت اليها وقيل الارض افضل لانها مستقر الانبيا
ومدفنهم ونسب للاكثر ايضا وصحح الاول ومحل الخلاف
كما قال السراج البلقيني فيما عدا قبور الانبيا فهي افضل
اتفاقا فكيف لا نفضله عليه السلام على يونس فانه لم
يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة الرفيعة وعلو المنزلة
بلا اشكال ثم قال بل وهذا السوال بلا فاصل قلت لم ينه عن
مطلق التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم
منه القرب المكاني الذي يتعالى الله عنه فعلى هذا يحمل
جمعا بين القواعد انتهى وهذا في معنى ما قال امام الحرمين
ومالك وغيرهما وقد اختلف في جواب قول السايل هل البشر
افضل من الملايكة ام الملايكة افضل ثالثها الوقف واختاره
الكيا الهراسي ومحل الخلاف في غير نبينا صلى الله عليه وسلم
اما هو فافضل الخلق اجماعا لا نفضل عليه ملك مقرب
ولا غيره كما ذكره الرازي وابن السبكي والسراج البلقيني
والزركشي وما في الكشاف من تفضيل جبريل قال بعض
المغاربة جهل الزمخشري مذهبه فان المعتزلة مجمعون على
تفضيل المصطفى نعم قيل ان طايفة منهم خرقوا الاجماع
كالرماني فتبعهم فقال جمهور اهل السنة والجماعة خواص بني

ادم وهم الانبيا افضل من خواص الملايكه واختاره الامام
فخر الدين في الاربعين وفي المحصل قال ابن المنير وفضلهم
باعتبار الرسالة والنبوة لا باعتبار عموم الاوصاف البشرية
بمجردها والا لكان كل البشر افضل من الملايكة معاذ الله وذكر
الامام فخر الدين ان الخلاف في التفضيل بمعنى ايهما اكثر ثوابا
على الطاعات وزيف بذلك احتجاج الفلاسفة على تفضيل الملايكه
بانها نورانية علوية والجسمانية ظلمانية سفلية وقال هذا لا
يلاقي محل النزاع وبهذا يزول الاشكال في المسئلة وهم جبريل
وميكايل واسرافيل وعزرايل ملك الموت وحملة العرش
وهم اربعة او ثمانية تقدم تحريره في المعراج والمقربون
والكروبيون بفتح الكاف وخفة الرا كما مر والروحانيون
بضم الرا وفتحها اما الضم فلانهم ارواح ليس معهم ماء ولا نار
ولا تراب ومن قال هذا قال الروح جوهر ويجوز ان يولف
الله ارواحا فيجسمها ويخلق منها خلقا ناطقا عاقلا فيكون
الروح مخترعا والتجسيم بضم النطق والعقل اليه حادثا من بعد
ويجوز ان اجساد الملايكة على ما هي اليوم مخترعة كما اخترع
عيسى وناقة صالح واما الفتح فبمعنى انهم ليسوا محصورين في الابنية
والظلل ولكنهم في فسحة وانبساط وقيل ملايكة الرحمة روحانيون
بفتح الرا وملايكة العذاب الكروبيون من الكرب قاله الحليمي
والبيهقي وخواص الملايكة وهم المذكورون افضل من عوام
بني ادم يعني اوليا البشر وهم من عدا الانبيا كما في الحبايك اي
الصلحا كابي بكر قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة لعصمتهم
جميعا قال السيوطي لكن رايت لطايفة من الحنابلة انهم فضلوا
اوليا البشر علي خواص الملايكة وخالفهم ابن عقيل من ايمتهم
وقال ان ذلك شناعة عظيمة عليهم وعوام بني ادم افضل
من عوام الملايكة وهم غير خواصهم في احد القولين وجزم
به الصفار والنسفي كلاهما من الحنفية وذكر البلقيني انه المختار
عند الحنفية ومال الي بعضه وهو انه قد يوجد من اوليا البشر
من هو افضل من غير الخواص من الملايكة وذهب الاكثرون
الي تفضيل جميع الملايكة على اوليا البشر وجزم به ابن السبكي
في جمع الجوامع وفي منظومته فذكر المص ثلاث صور استدل
لها بقوله فالمسجود له افضل من الساجد وهو الملايكة اي
ان مجموع البشر افضل من مجموع الملايكة كما اشار له بقوله
فاذا ثبت تفضيل الخواص وهم الانبيا علي الخواص من الملايكه
بالسجود لادم لانهم ثبت تفضيل العوام علي العوام وهذا

صونح في تفضيل المجموع واورد الرازي في الاربعين لم لا يقال السجدة
كانت لله وادم كالقبلة سلمنا انها لادم لكن لم لا يكون من السجود
التواضع والترحيب سلمنا انها وضع الجبهة على الارض لكنها قضية
عرفية يجوز ان تختلف باختلاف الازمنة فلعل عرف ذلك الوقت
ان من سلم على غيره وضع جبهته على الارض وتسليم الكامل
على غيره امر معتاد قال والجواب عن الاسيلة الثلاثة ان ذلك
السجود ولم يدل ذلك على زيادة منصب المسجود له على الساجد لما
قال ابليس ارايتك هذا الذي كرمت علي فانه لم يوجد شي اخر
يصرف هذا الكلام اليه سوي هذا السجود فدل على اقتضايه ترجيح
المسجود له على الساجد فعوام الملايكه خدم عمال الخير وهم
صلحا المومنين والمخدوم له فضل على الخادم وهذا استدلال
للصورة الثالثة وعطف على فالمسجود له افضل من الساجد باعتبار
المعنى اي فبنوا ادم من حيث هم افضل لان هذا النوع مسجود له
في الجملة ولان المومنين من حيث هم ركب فيهم الهوى بالقصر اي
الميل الى الشي ثم استعمل في الميل المذموم نحو ولا تتبع الهوى فيضلك
والعقل عبر به دون الشهوة وان كان اظهر في بيان المشقة الحاصلة
للمومنين في العبادة لبيان ما حصل به الاشتراك بين الادمي والبشر
وقد اوضح ذلك الفخر في الاربعين فقال الملايكه لهم عقول بلا
شهوة والبهايم لهم شهوة بلا عقل والادمي له عقل وشهوة فان
رجحت شهوته على عقله كان اخس من البهيمة قال تعالى اوليك
كالانعام بل هم اضل سبيلا فقياسه لو رجح عقله على شهوته وجب
ان يكون افضل من الملك انتهي وذكر نحوه البيهقي وزاد الا ترى
من ابتلى من الملايكه بالشهوة فكيف وقع في المعصية وذكر قصة
هاروت وماروت وساقها من ثلاثة طرق فكان المص عبر عن الشهوة
بالهوي لتنبيه عنها مع تسليط الشيطان عليهم بوسوسته
والملايكه ركب فيهم العقل دون الهوي لعدم الشهوة ولا
سبيل للشيطان عليهم لعصمتهم فهذه الافة غير حاصلة للملايكة
فالانسان كما قاله التفتازاني في شرح العقايد للنسفي يحصل
الفضايل والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوايق
والموانع من الشهوة والغضب وسنوح الحاجات اي ظهورها
وعروضها الضرورية التي لا بد منها الشاغلة عن اكتساب
الكمالات من علم وعمل ومع ذلك يحصلها ولا شك ان العبادة
وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف اي الموانع وهي لازمة
للشواغل وكانه جمع صارف او صارفة اي امر صارف او خصلة
صارفة لان فواعل يجمع قياسا على فاعل وفاعله والمص صرف

كفلس وفلوس على ما في المصباح اشق وادخل في الاخلاص
فيكون الانسان افضل وفي الاربعين لان طاعة البشر اشق لان
الشهوة والغضب والحرص والهوى من اعظم الموانع عن الطاعة
وهذه صفات موجودة في البشر مفقودة في الملايكه والفعل
مع المانع اشق منه مع عدم المانع ولان تكاليف الملايكه مبنية
على النصوص قال تعالى لا يسبقونه بالقول وتكاليف البشر
بعضها مبني على النصوص وبعضها على الاستنباط قال تعالى
فاعتبروا يا اولي الابصار وقال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه
منهم والتمسك والاجتهاد والاستنباط في معرفة الشيء اشق من
التمسك بالنص والاشق افضل نصا وقياسا اما النص فقوله
صلى الله عليه وسلم اجرك على قدر نصبك وحديث افضل العبادات
احمزها اي اشقها واما القياس فلو اشترك الطاعات السهلة والشاقة
في الثواب لخلى تحمل الشاقة عن الفايدة وتحمل الضرر الخالي عن
الفايدة محظور قطعا وكان يجب حرمة الشاقة فلما لم يكن كذلك
علم ان الاشق اكثر ثوابا والمراد بعوام بني ادم هنا في هذا المبحث
الصلحا لا ما اشتهر انهم مقابل العلما ولا ما في الاصول انهم خلاف
المجتهدين لا الفسقة جعلهم في مقابلة الصلحا يقتضي ان كل
من لم يرتكب كبيرة ولم يصر على صغيرة من صلحا المومنين
وانه لم يصل درجة الاوليا وهو قد ينافي تعريف الولي بالقايم
بحق الله والعباد لكن من هذه صفته قليل كما نبه عليه العلامة
كمال الدين بن ابي شريف المقدسي قال ونص عليه البيهقي
في الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا في المفاضلة
بين الملايكه والبشر الانسان سمي به لظهور بشرته يطلق
على الانسان واحدا وجمعا وقد يثنى ويجمع على ابشار كما في القاموس
فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر الذين يدعون الناس
الى الحق ويبلغونهم ما نزل اليهم افضل من الرسل من الملايكه وهم
الذين يتوسطون بين الله وبين الانبيا فهم رسل بالمعنى اللغوي
كقوله جاعل الملايكه رسلا اما الاصطلاحي وهو انسان حر ذكر
اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه فلا يكون رسولا اذ لا شي من الملايكه
بانسان والاوليا من البشر قال السيوطي وهم من عدا الانبيا
افضل من الاوليا من الملايكه وهم من عدا خواصهم كما افاده
السيوطي انتهى كلام البيهقي وانما يوافق دعواه بتاويل اوليا البشر
بالصلحا الذين لا كبيرة لهم ولا اصرار على صغيرة لا بما عرف
التفتازاني انه العارف بالله وصفاته حسب ما يمكنه المواظب
على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك

امام

في

في اللذات والشهوات وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة اي اهل السنة كابي اسحاق الاسفرايني والحاكم ابي عبد الله الي تفضيل الملايكه وهو اختيار القاضي ابي بكر محمد بن الطيب ابن الباقلاني بتخفيف اللام والنون نسبة الي بيع الباقلا وابي عبد الله الحليمي واختاره ايضا الامام فخر الدين في المعالم وابو شامة قال البيهقي واكثر اصحابنا ذهبوا الي القول الاول والامر فيه سهل وليس فيه من الفايدة الا معرفة الشي على ما هو به انتهى وتمسكوا بوجوه نحو عشرين اقتصر منها على اربعة الاول وهو اضعفها ان الملايكه ارواح مجردة قال الامدي هذا غير مسلم بل اجسام ذات ارواح والتفاوت في هذا المفهوم ليس بمسلم كاملة بالعقل يعني انها مبراة عن مبادي الشرور والافات كالشهوة والغضب والخيال والوهم وعن ظلمات الهيولا قال المجد القطبي وشبه الاوايل طبيعة العالم بها وهو في اصطلاحهم موصوف بما يتصف به اهل التوحيد توحيد الله تعالى موجود بلا كمية ولا كيفية ولم تقترنه بشي من سمات الحدث ثم حلت به الصنعة واعترضت بها الاعراض تحدث منها العالم والصورة قالوا وهذه الصفات هي الحجب المقومة عن تجلي نور الله ولا كمال الا بحصول ذلك التجلي ولا نقص الا بحصول ذلك الحجاب فلما كان هذا التجلي في اكثر الاوقات علم انه لا نسبة لكمالهم الى كمال البشر والقول بان الخدمة مع كثرة العوايق اعلا منها بلا عوايق كلام خيالي لان المقصود من جميع العبادات والطاعات حصول ذلك التجلي فاي موضع كان فيه التجلي اكثر ومن المعاوق ابعد كان فيه الكمال والسعادة اتم ولذا قال تعالى في الملايكه يسبحون الليل والنهار لا يفترون قوية على الافعال العجيبة لا تستثقل حمل الاثقال ولا تستصعب نقل الجبال والرياح تهب بتحريكها والسحاب تعرض وتزول بتصرفاتها والزلازل تطوى بقوتها عالمة بالكواين ماضيها واتيها من غير غلط لانهم ناظرون الي اللوح المحفوظ ابدا فيعلمون ما وجد في الماضي وما سيوجد في المستقبل والجواب ان مبنى ذلك الذي احتجوا به على الاصول الفلسفية اذ هم القايلون بانهم ارواح مجردة دون الاصول الاسلامية القايلين بانهم اجسام ذات ارواح والتفاوت في هذا غير مسلم عندنا واما ما في الصفات المذكوره فغير مسلم على ما عرف من اصولنا قاله الامدي الثاني ان الانبيا مع كونهم افضل البشر يتعلمون من الملايكه ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى اي جبريل وقوله تعالى نزل به الروح

الامين على قلبك ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم والجواب
ان التعليم انما هو من الله والملائكة انما هم مبلغون
فلا يلزم تفضيلهم على الانبيا لان مجرد كونهم وسايط في التبليغ
لا يقتضي التفضيل الا ترى ان السلطان لو ارسل الى الوزير مثلا
رسالة مع بعض اتباع السلطان لا يلزم منه ان الرسول افضل
من الوزير بل ولا مساويا له ولا يلزم ايضا كون المعلم اعلم كما ادعوه
قال الامدي ادم كان اعلم منهم لقوله وعلم ادم الاسما كلها الاية
والمراد اصحاب الاسما وهي المسميات لقوله ثم عرضهم ولو اراد الاسما
لقال ثم عرضها كما قاله ثعلب ولو سلم انهم اعلم فانما يدل على
اختصاصهم بالاعلمية ولا يلزم ان يكونوا افضل عند الله بمعنى
اكثر ثوابا وارفع درجة **الثالث انه اطرد في الكتاب والسنة**
تقديم ذكرهم على الانبيا كقوله كل امن بالله وملائكته وكتبه
وقوله الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس **وما ذاك**
الا لتقدمهم في الشرف والرتبة لان العرف شاهد بفضيلة
المتقدم في الذكر والاصل تنزيل الشرع عليه ويدل عليه قول
عمر للقايل كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا لو قدمت الاسلام لاعطيتك
والجواب ان ذلك لتقدمهم في الوجود لا للدلالة على الفضيلة
بدليل انه تعالى قدم ذكرهم على كتبه والكتب على الرسل والكتب
ان كانت هي الكلام القديم النفساني فهي افضل من الملائكة
وان كانت العبارات والكتابات الدالة فالرسل افضل منها باتفاق
وقد اخر الرسل عنها في الذكر قاله الامدي **او لان وجودهم اخفى**
لعدم رؤيتنا لهم ولذا استدلوا على وجودهم بالادلة السمعية كذكرهم
في الكتب السماوية واخبار الانبيا بهم **فالايمان بهم اقوى وبالتقديم**
اولى لان الله اثنى على الذين يؤمنون بالغيب اي بما غاب
عنهم **الرابع قوله تعالى لن يستنكف** يستكبر ويانف **المسيح** الذي
زعمتم انه الاه عن **ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون** عنده
ان يكونوا عبيدا لله **فان اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية**
الملائكة من اي على **عيسى اذ القياس في مثله الترقي من الادنى**
الى الاعلى يقال لا يستنكف من هذا الامر الوزير ولا السلطان
ولا يقال السلطان ولا الوزير اذ لا يحسن ذلك لاقتضائه
زيادته على السلطان ولا كذلك فدل على فضل الملائكة
على الانبيا ثم اجابوا عن قصور الدليل على فضلهم على عيسى
فلا يلزم ذلك على بقية الانبيا بقولهم **ثم لا قايل بالفرق** وفي نسخة
بالفصل بصاد مهملة اي التمييز **بين عيسى وغيره من الانبيا**
عليهم السلام فثبت الدليل بقياس المساواة لكن قد اعترض

الفخر

الفخر هذا الاستدلال بوجوه ان محمدا افضل من المسيح ولا يلزم من فضل الملائكة عليه فضلهم على محمد صلى الله عليه وسلم وبان قوله ولا الملائكة المقربون صيغة جمع تتناول الكل فيفيد ان مجموعهم افضل من المسيح لا ان كل واحد افضل منه ولان الواو حرف عطف فيفيد الجمع المطلق لا الترتيب فاما المثال المذكور فليس بحجة لان الحكم الكلي لا يثبت بالمثال الجزئي ثم هو معارض بسائر الامثلة كقولك ما اعانني على هذا الامر لا عمرو ولا زيد فلا يفيد فضل المتاخر في الذكر ومنه قوله تعالى ولا الهدي ولا القلايد ولا امين البيت فلما اختلفت الامثلة امتنع التعويل عليها ثم تحقيق المسالة اذا قيل هذا العالم لا يستنكف عن خدمته الوزير ولا السلطان فنحن نعلم بعقولنا ان السلطان اعظم درجة من الوزير فعرفنا ان الغرض من ذكر الثاني المبالغة وانما عرفناها بالعقل لا بمجرد الترتيب فلا يمكننا ان نعرف ان المراد في ولا الملائكة بيان المبالغة الا اذا عرفنا قبل ذلك ان الملائكة افضل من المسيح وحينئذ تتوقف صحة الدليل على صحة المطلوب وهو دور **والجواب** على تقدير ان الاية دالة على ان منصب الملك اعلى من المسيح لكنها لا تدل على ان تلك الزيادة في جميع المناصب بل في بعضها فقولك لا يستنكف من خدمة هذا العالم الوزير ولا السلطان انما يفيد ان السلطان اكمل منه في بعض الاشيا وهي القدرة والسلطنة ولا يفيد زيادته على الوزير في العلم والزهد فاذا ثبت هذا فنحن نقول بموجبه وهو ان الملك افضل من البشر في القدرة والقوة والبطش فان جبريل قلع مداين قوم لوط والبشر لا يقدر على ذلك فلم قلتم بفضل الملك على البشر في كثرة الثواب الذي هو محل الخلاف في المسالة وكثرته انما تحصل بنهاية التواضع والخضوع ووصف العبد بذلك لا يلايم صيرورته مستنكفا عن العبودية بل ينافيها فامتنع كون المراد من الاية هذا المعنى اما انضافر بالقدرة الشديدة والقوة الكاملة فيناسب للتمرد وترك العبودية وذلك **ان النصارى استعظموا المسيح بحيث يرتفع** وفي نسخة يترفع اي يتعالى **عن ان يكون عبدا من عباد الله بل ينبغي ان يكون ابنا له** كما قال تعالى وقالت النصارى المسيح **لانه مجرد لا اب له ولانه كان يبري الاكمه والابرص ويحيي الموتى بخلاف سائر العباد من بني ادم فرد الله عليهم بانه لا يستنكف من ذلك** عبوديته **المسيح ولا من هو اعلى منه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا اب لهم ولا ام ويقدرون**

باذن الله تعالى على افعاله اقوى واصعب واعجب من ابراء
الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله تعالى الذي شاهدتموه
من المسيح فالترقي والعلو انما هو في امر التجرد من الاب
والام واظهار الاثار القوية كالشدة والقوة والبطش لا في
مطلق الشرف والكمال المودى الى كثرة الثواب ومزيد الزلفة عند
الله فلا دلالة في الاية على افضلية الملايكة البتة انتهى ما اراده
من هذا المبحث وليس المراد انتهى ما في الشعب لانه ليس فيها ذلك وقدم
قوله انتهى يعني ما في الشعب قبل قوله قوله وذهبت والقول
الثالث الوقف حكاه الكلاباذي عن جمهور الصوفية قال شارح
القونوي وهو اسلم الاقوال والسلامة لا يعدلها شي كيف
وادلة الجانبين متجاذبة وليست المسيلة مما كلفنا الله تعالى
بمعرفة الحكم فيها فالصواب تفويض علمها الى الله واعتقاد ان
الفضل لمن فضله الله ليس بشرف الجوهر ليقال الملايكة افضل
لان جوهرهم اشرف فانهم خلقوا من نور وخلق البشر من
طين واصل ابليس وجوهره وهو النار اشرف واصفى من جوهر
البشر وما افاده ذلك فضلا ولا بالعمل ليقال عمل الملايكة
اكثر لان ابليس اكثر عملا ايضا وقال في منح المواهب عن والده
ليست المسالة مما يجب اعتقاده ويضر الجهل به ولو لقي الله
ساذجا منها بالكلية لم ياثم قال القاضي تاج الدين فالناس
ثلاثة رجل عرف ان الانبيا افضل واعتقده بالدليل واخر جهل
المسئلة ولم يشتغل بها وهذان لا ضرر عليهما وثالث قضى بان الملك
افضل وهذا على خطر وهل من فضل الانبيا على خطر فالساذج
اسلم منه وانه لاصابة الحق ان شا الله ناج من الخطر هذا موضع نظر
والذي كنت افهمه عن الوالدان السلامة في السكوت وان الدخول
في التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله بلا دليل قاطع
في خطر عظيم وحكم في مكان لسنا اهلا للحكم فيه وجات احاديث
مشيرة الى عدم الدخول في ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني
على يونس بن متى ونحوه ولا خلاف انه افضل منه فلعله اشارة
الى انكم لا تدخلوا في امر لا يعنيكم وما للسوقة والدخول بين الملوك
اعني بالسوقة امثالنا وبالملوك الانبيا والملايكة انتهى وقد
بسط في الحبايك المسالة ثم ان الملايكة بعضهم افضل من بعض
فاعلاهم درجة حملة العرش الحافون حوله فاكابرهم كالاربعة
فملايكة الجنة والنار فالموكلون ببني ادم فالموكلون باطراف
هذا العالم كذا ذكر الرازي وافضلهم الروح الامين جبريل
المزكي صفة بمنزلة التعليل كانه قال لانه المزكي من رب

العالمين انه لقول [illegible] ذي العزة
رسول كريم على الله اضيف اليه القرآن لنزوله به ذي قوة اي
شديد القوى عند ذي العرش اي الله مكين ذي مكانة
مطاع ثم اي تطيعه الملايكة في السموات وثم اما متعلقة
بمطاع او بقوله امين على الوحي فوصفه بسبع صفات على ما قال
الزمخشري وهو ظاهر بجعل عند ذي العرش صفة مستقلة لا
متعلقة بما قبلها ولا بما بعدها وعدها الرازي ستة بجعلها
متعلقة بقوله ذي قوة وهو افضل الملايكة الثلاثة على
الاطلاق وهم ميكايل واسرافيل وعزرايل كما قال كعب
الاحبار جبريل افضل الملايكة نقله التعالبي وكان هذا لم يصح
عند السيوطي فقال في الحبايك سيلت هل الافضل جبريل
او اسرافيل فالجواب لم اقف على نقل ذلك لاحد من العلما
والاثار متعارضة فحديث الطبراني عن ابن عباس مرفوعا
الا اخبركم بافضل الملايكة جبريل واثر وهب ان ادنى الملايكة
من الله جبريل ثم ميكايل يدل على تفضيل جبريل وحديث
ابن مسعود مرفوعا ان اقرب الخلق من الله لهو اسرافيل
صاحب الصور جبريل عن يمينه وميكايل عن يساره وحديث
عايشة مرفوعا اسرافيل ملك الله ليس دونه شي واثر كعب
ان اقرب الملايكة الى الله اسرافيل واثر الهذلي ليس شي من الخلق
اقرب الى الله من اسرافيل وحديث ابن ابي جبلة اول من يدعى
يوم القيامة اسرافيل واثر ابن سابط يدبر امر الدنيا اربعة جبريل
وميكايل وملك الموت واسرافيل الى ان قال واما اسرافيل فامين
الله بينه وبينهم اي وبين الثلاثة واثر خالد بن ابي عمران اسرافيل
بمنزلة الحاجب كل ذلك يدل على تفضيل اسرافيل انتهى وكذلك
الرسل افضل من الانبيا الذين ليسوا برسل لزيادتهم بالرسالة
والانبيا بعضهم افضل كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض قال الامام الرازي اجمعت الامة على ان بعض الانبيا
افضل من بعض وان محمدا افضل الكل وكذلك الرسل بعضهم
افضل من بعض بنص الاية ومحمد صلى الله عليه وسلم افضل
الانبيا والرسل نصا واجماعا كما تقدم قريبا ويليه ابراهيم كما
نقل بعضهم عليه الاجماع وفي الصحيح خير البرية ابراهيم خص
منه المصطفى فبقي على عمومه كذا في النقاية وقال التفتازاني
في شرح المقاصد اختلف في الافضل بعد المصطفى فقيل ادم
لكونه ابا البشر وقيل نوح لطول عبادته ومجاهدته وقيل
ابراهيم لزيادة توكله واطمينانه وقيل موسى لكونه كليم الله

وغيبه وقيل عيسى لكونه روح الله وصفيه انتهى وجزم ابن كثير
في تاريخه بان ابراهيم افضل بعد محمد صلى الله عليه وسلم عليهم
واول الانبيا ادم اي والرسل ايضا فالصحيح انه مرسل اي بنبيه كما
دل عليه حديث ابي ذر واخرهم نبينا صلى الله عليه وسلم فاما
نبوة ادم فبالكتاب الدال على انه قد امر بنحو اسكن انت وزوجك
الجنة ونهي بنحو ولا تقربا هذه الشجرة مع القطع بانه لم يكن في زمنه
نبي اخر فهو بالوحي لا غير وكذا السنة دلت على نبوته كحديث
ابي ذر الاتي والاجماع من الامة عليها فانكر نبوته على ما نقل
عن البعض يكون كفرا لمخالفة الاجماع انتهى وقد اختلف في عدد
الانبيا والمرسلين والمشهور في ذلك ما في حديث ابي ذر
عند ابن مردويه في تفسيره وعبد بن حميد والحاكم في المستدرك وابن
عساكر والحكيم الترمذي في النوادر قال ابو ذر قلت يا رسول الله
كم الانبيا قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قال قلت
يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم
اي جمع غفير اي كثير قال قلت يا رسول الله من كان اولهم
اي الرسل قال ادم ثم قال صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اربعة
سريانيون ادم وشيث ابنه ونوح وخنوخ بفتح المعجمة وضم
النون وسكون الواو ثم معجمة بوزن ثمود عند الاكثر وقيل بزيادة
الف في اوله وسكون المعجمة الاولى وقيل كذلك لكن بحذف الواو
وقيل كذلك لكن بدل الخا الاولى ها وقيل كالثاني لكن بدل المعجمة
مهملة وقيل ادريس سرياني وقيل عربي مشتق من الدرس لكثرة درسه
الصحف ولا يمنع الحديث لفظ ادريس عربيا اذا ثبت ان له اسمين
وهو اول من خط بالقلم وذكر ابن اسحاق ان له اوليات كثيرة منها
انه اول من خاط الثياب ذكره كله الحافظ واربعة من العرب
هود بن عبد الله بن رباح بن ثعاد بن حارث بن عوض بن ادم بن
سام بن نوح وسماه في التنزيل اخا عاد لكونه من قبيلتهم لا من
جهة اخوة الدين هذا هو الراجح في نسبه واما ابن هاشم فقال
اسمه عابر بن ارفخشد بن سام وصالح بن عبيد الله بن ماسح بن عبيد
ابن حاجر بن ثمود بن عامر بن ارم بن سام وشعيب بن ميكيل بن يشجن
ابن عنقا بن مدين بن ابراهيم وقيل شعيب بن صفور بن عنقا بن ثابت
ابن مدين وقول ابن اسحاق يشجن بن لاوي بن يعقوب لا يثبت ونبيك
محمد صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر ففي هذا الحديث ان شعيبا من العرب
العاربة وقيل انه من بني عنزة بن اسد ففي حديث سلمة بن سعيد
العنزي انه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فانتسب الى عنزة
فقال نعم الحي عنزة مبغي عليهم منصورون رهط شعيب واختان

موسى

موسى اخرجه الطبراني وفي اسناده مجاهيل واول نبي من بني
اسرايل موسى قد يشكل هذا بقوله ولقد جاكم يوسف من قبل
بالبينات سوا قلنا انه ابن يعقوب او ابن افرايم يوسف بن
يعقوب وكلاهما قبل موسى وهما من بني اسرايل الذي هو يعقوب
الا ان يقال المعنى اول نبي امر جميع من ياتي من انبيايهم بعده
باتباع شرعه والدعا اليه واخرهم عيسى واول السبعة على الاطلاق
ادم واخرهم نبيك يا ابا ذر وقد روى هذا الحديث بطوله
الحافظ ابو حاتم محمد بن حبان بكسر المهملة وشد الموحدة في كتابه
الانواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحيح وكذا صححه الحاكم وخالفه
ابن الجوزي فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هشام
الغساني قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه تكلم فيه اي ابراهيم غير
واحد من ايمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث فقال
ابو حاتم انه غير ثقة وكذبه ابو زرعة الرازي والله اعلم بصحته
في نفس الامر وعدمها وروى ابو يعلى وابو نعيم في الحلية بسند
ضعيف عن انس مرفوعا كان من خلا من اخواني من الانبيا
ثلاثة الاف نبي لا يعارض ما قبله بفرض صحتهما لان الاخبار بالاقل
لا ينافي الاكثر لدخوله فيه ولعله اوحي اليه بهذا فاخبر به ثم بالاولى
وما ينطق عن الهوى ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا والذين
نص الله على اسمايهم في القران ادم وادريس ونوح وهود وصالح
وابراهيم ولوط واسماعيل واسحق ولدا ابراهيم ويعقوب بن اسحق
ويوسف بن يعقوب وكذا حفيده يوسف بن افرايم بن يوسف
في قوله ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات في احد القولين
والثاني انه ابن يعقوب وحكى النقاش والماوردي انه رسول من
الجن بعث اليهم قال السيوطي وهو غريب جدا وايوب قال ابن
اسحاق والصحيح انه من بني اسرايل ولم يصح في نسبه شي الا ان اسم
ابيه ابيض وقال ابن جرير هو ايوب بن موص بن روح بن عيص بن
اسحاق وحكى ابن عساكر ان امه بنت لوط وان اباه امن بابراهيم فعلى
هذا كان قبل موسى وقال ابن جرير كان بعد شعيب وقال ابن
ابي خيثمة بعد سليمان ابتلي وهو ابن سبعين سنة سبع سنين
وقيل ثلاثة عشر وقيل ثلاث سنين وروى الطبراني ان مدة عمره
ثلاث وتسعون سنة وشعيب وموسى وهارون اخوه شقيقه
وقيل لامه وقيل لابيه حكاهما الكرماني في عجايبه ويونس
وسليمان ابنه والياس واليسع وذكريا ويحيى ولده وعيسى
ابن مريم وكذا ذو الكفل نبي عند كثير من المفسرين وقيل
هو ابن ايوب في المستدرك عن وهب بعث الله بعده ايوب

ابنه بشر نبيا وسماه ذا الكفل وامره بالدعا الي توحيده وكان مقيما
بالشام عمره حتى مات وعمره خمس وستون سنة وكفل مائة بني قروا اليه
من القتل وتكفل بصيام جميع النهار وقيام جميع الليل وان يقضي
بين الناس ولا يغضب فوفي بذلك وقيل هو الياس وقيل يوشع
وقيل زكريا وقيل اليسع وان له اسمين وقيل اسمه ذو الكفار وقيل
لم يكن نبيا بل رجلا صالحا تكفل بامور فوفى بها والله اعلم بذلك
ومن جملة المختلف في نبوته لقمان وذو القرنين وكذا الخضر لم يفصح
باسمه في القران وقال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك واستانف
بيانا فقال روى ابن جرير محمد الطبري الحافظ احد الاعلام في
تفسيره وابو يعلى والطبراني من حديث ابي سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك
المحسن اليك الي واليك بجليل التربية المزكي لي ولك بجميل التزكية
والاضافة رب للتشريف وكما تقيده اضافة العبد اليه تعالى لتشريف
تكذا اضافته اليه تعالى تقيده بل ذلك اقوى افادة له لقول
زاد في رواية لك تنبيها علي كمال العناية ومزيد الوجاهة عنده
والرعاية تدري استفهام حذفت اداته تخفيفا لكثرة وقوعها
فيه وفي رواية اتدري باثباتها وهو غير حقيقي لاستحالته علي
علام الغيوب بل تقريري ليقر بعدم علمه فيعلمه من لدنه اي اتدري
جواب كيف اي علي اي حال ومعنى رفعت ذكرك وكيف في محل نصب حال
من المفعول علي القاعدة المشهورة ان وقعت بعد كلام تام فحال
والا فخبر وليست منصوبة بتدري لان لها الصدر فتدري معلق
عن الجملة بعده كقوله
وما ادري وسوف اخال ادري اقوم ال حصن ام نسا
وزعم ان كيف خرجت عن الاستفهام اي اتدري كيفية الرفع وهذا
من الانبساط مع المحبوب لاجل زيادة التوجه والانتظار نكتة
الجملة مع ان لفظ كيفية لم تسمع من العرب كما صرح به اهل اللغة
قلت وفي رواية فقلت الله اعلم وكان هذا اخبارا من جبريل
عما وقع من المخاطبة بينه وبين الله قبل نزوله والله عالم
بانه بحيث يرد العلم اليه وكان قال اذا اجابك فقل قال اذا ذكرت
بضم التاء لضمير الله ذكرت بفتحها خطاب للمصطفى والفعل
مجهول فيهما وفي رواية الا ذكرت معي بصيغة الحصر واي رفع
اعظم من ذلك وافادت هذه الرواية الثانية ان الحصر هو المراد
في الاولى اي اذا ذكرت فلا ابقى والمطلوب ان تذكر معي فمن لم
يذكرك ترك المطلوب فيه رد العلم الي الله ورد على من كرهه
مطلقا او عقب ختم نحو الدرس ولا ايهام فيه خلافا لزاعمه بل

هو في غاية التفويض المطلوب وفاقا لعقلا الي الله اعلم حيث
يجعل رسالاته وقال علي وابردها علي كبدي اذا سئلت عما لا
اعلم ان اقول الله اعلم ولا يعارضه ما في البخاري ان عمر سال
الصحب عن سورة النصر فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا
نعلم او لا نعلم فمن جعل الجواب بذريعة الى عدم اخباره
عما سئل عنه وهو يعلم مجهول وفي المعالم انه صلى الله عليه وسلم
سال جبريل عن الاية فقال قال الله وكانه بعد السوال جا وقال
ان ربي الخ وقوله قال الله نقل بالمعنى هكذا قال بعض المحققين
ثم قد وقع في بعض نسخ الشفا الله ورسوله اعلم فان صحت رواية فالمراد
به جبريل لانه من رسل الملائكة يرسل بالوحي للانبيا والرسل وتفضيله
عليه في خصوص هذا العلم لانه علمه قبل ان يبلغه اليه وكذا اي رواه
ايضا الطبراني سليمان ابن احمد واسناده حسن وفي نسخة الطبري
ولا فايدة فيها اذ هو ابن جرير الذي يشبه له اولا وصححه ابن حبان
وكذا صححه الضيا المقدسي في الاحاديث المختارة ورويناعن الامام الشافعي قال
اخبرنا ابن عيينة سفيان عن عبد الله بن ابي نجيح بفتح النون
وكسر الجيم وحا مهملة يسار المكي ابي يسار الثقفي مولاهم ثقة
من رجال الجميع ورمي بالقدر وربما دلس مات سنة احدى
وثلاثين ومائة او بعدها معناه اي قوله ورفعنا لك ذكرك لا اذكر
مجهول المتكلم الا ذكرت مجهول المخاطب معي في قول اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وفي التفسير لهذا اشارة الى ان
الحصر بما قبله قال الشافعي يعني والله اعلم ذكره عند الايمان بالله
تعالى وفي الاذان كما اشار اليه ابن ابي نجيح فلا يرد علي الحصر
ان الكافر كثيرا ما يذكر الله وحده بل والمومن كثيرا ما يقول لا اله
الا الله مقتصرا عليها وكثيرا ما يذكر الله ولا يطلب ذكره صلى الله
عليه وسلم كسمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد والتسمية في الوضو والاكل
والشرب قال الشافعي ويحتمل ان يكون المراد ذكره عند تلاوة
القران وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية بان
يتذكر في نفسه ان فعلها والكف عن ضده سببه تبليغ النبي صلى
الله عليه وسلم والثواب الحاصل للمطيع والعقاب الحاصل للعاصي
فيصلي عليه جزا التبليغ وتحمل اعبا الرسالة انتهى قول الشافعي وقيل
معناه رفعه بالنبوة الخاصة وهي رسالته الى جميع الخلائق وبقا
شرعه الى يوم الدين وكونها رحمة للعالمين فلا يرد ان وصف النبوة
شاركه فيها الانبيا فلا يكون مرفوعا بها عليهم او المراد بها سبقه
بالنبوة جميع الانبيا وكونه اول الانبيا في الخلق او على من في عصره
والفضل للمتقدم قاله يحيى ابن ادم بن سليمان الكوفي ابو زكريا مولى

المختار

هو المراد

بني امية ثقة حافظ فاضل روى عنه احمد وغيره وروى له السنن ومات
سنة ثلاث ومايتين وعن ابن عطا هو بلا اضافة ابو العباس احمد
ابن محمد بن سهل بن عطا البغدادي الزاهد الادمي بفتحتين نسبة
الى بيع الادم له لسان في فهم القران يختص به صحب الجنيد وغيره
ومات سنة تسع واحدى عشرة وثلثمائة جعلتك اي ذكرك ذكرا
من ذكري او جعلت ذاتك مبالغة حتى كان من راى ذاته ذكر
الله والمعنى كان ذكرك عين ذكري لعدم انفكاكه عنه غالبا وهو
مثله في التقرب به والاجر وهو معدود من افراده لان كل مطيع لله
ذاكره فمن ذكرك ذكرني الفاء تفسيرية او تفريعية وعنه ايضا جعلت
تمام الايمان بذكري معك وفي نسخة من الشفا بذكرك معي وهذه
واضحة والاولى مخالفة لقاعدة ان مع تدخل على المتبوع غالبا
وقد تجي لمطلق المصاحبة كما هنا اي جعلته يحصل بذكر الله
مصحوبا بذكره عليه السلام بان ياتي بالشهادتين على الوجه
المعروف وجعله تمام الايمان اما لان الايمان عنده تصديق
القلب واللسان كما هو قول لاهل السنة واما من يقول بمجرد
التصديق فباعتبار انه لا يعتد به بدونه ولا يترتب عليه الاحكام
ما لم يات به لسانا وعن جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين
ابن الحسين بن علي بن ابي طالب الصادق صفة لجعفر لصدقه في
مقاله ابي عبد الله الهاشمي فقيه امام صدوق روى له مسلم واصحاب
السنن ومات سنة ثمان واربعين ومائة لا يذكرك احد بالرسالة الا
ذكرني بالربوبية صفة مصدر من الرب والنسبة للمصدر به فلابد معها
من تا التانيث يعني لا يعترف احد برسالتك الا بعد ان يعترف
بربوبية الله ووحدانيته لوجوب معرفة الله عقلا قبل ذلك لئلا
يلزم الدور كما هو مذهب اليه الماتريدية او سمعا كما ذهب اليه غيرهم
وقيل المراد او اراد ذلك او عبر بالماضي عن المضارع مبالغة في تحقق
وقوعه ولا يشكل الاول بعدم مقارنة الحال للعامل لتقدم الايمان
بالله او ارادته على الايمان بالرسول واما التلفظ بما يدل على ذلك
فذكره عقبه بلا فاصل يعد مقارنا عرفا ومثله يكفي عند النحاة فلا
حاجة لجعل الحال مقدرة ودعوى عدم اختصاصه صلى الله عليه وسلم
بذلك مدفوعة بان هذه المقارنة في الاذان والاقامة والخطب
والصلاة والايمان وهذا كله مختص بهذه الامة فتختص المقارنة
على هذه الصفة بنبيها لاختصاصها به دون من عداه من الامم
والرسل وهذا في غاية الظهور قال البيضاوي واي رفع مثل ان
قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى
عليه في ملائكته وامر المومنين بالصلاة وخاطبه بالالقاب وانما

زاد

زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة
بما زدته فاقتصر المص على حاجته منه هنا لاجل شرحه انتهى كلام البيضاوي
البيضاوي اي قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله يشير
طاعته والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضا فجعل طاعته
والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين ولان الكلام في ايذا
الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول
كذلك قاله في الانوار ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما
واطيعوا الله والرسول لانه بمعنى واطيعوا الرسول فجمع بينهما
بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه
الصلاة والسلام قاله عياض واعترض بانه لا مانع ان يقال اطع
الله والقاضي كقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم قال حتى قال بعض انه وهم وما اظن احدا
منعه واجيب بانه اراد انه منهي عنه تنزيها وادبا بالورود
الحديث بما يدل على رعاية الادب في اللفظ وترك ما يوهم خلافه
واطلق نفي الجواز اعتمادا على تصريح الخطابي وغيره بالكراهة
ولا دلالة في اية واولي الامر لاحتمال الجواز بالتبعية ولذا
لم يكرر اطيعوا مرة اخرى كما لم تكرر اللام في عامتهم في حديث
الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ويشير
الى قول قتادة بن دعامة فيما اخرجه ابن ابي حاتم والبيهقي رفع الله
ذكره صلى الله عليه وسلم في الدنيا والاخرة فليس خطيب
يخطب على جهة الكمال وفي الحديث كل خطبة ليس فيها شهادة
فهي كاليد الجذماء ولا متشهد اي ات بكلمة الشهادة في غير الخطبة
والصلوة ولا صاحب صلاة اراد بها الفرد الكامل المتبادر فلا
ترد صلاة الجنازة الا يقول مستثنى من اعم الاحوال اي ليس
في حال من الاحوال الا قائلا اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله انتهى قول قتادة واورد ان امر الاخرة لا يعلم
بالمقايسة فرفع ذكره في الدنيا لا يستلزم رفعه في الاخرة واجيب
بانه اخذه من اطلاق الاية والحديث ورفع ذكره في الدنيا عنوان
رفعه في الاخرة ووجه التفريع ان من رفع ذكره في الدنيا
الدارين حقيق بان يشهد له بذلك فهو بيان لبعض الاحوال
التي تفعل في الدنيا وليس فيها شيء من احوال الاخرة وان
شمل قوله في الدنيا والاخرة لما ذكره ولغيره فيندرج فيه
ما يفعل في الاخرة فهو مذكور معه تفريع على قول قتادة في
الشهادة دخولا في الايمان وثناء عليه بعده والتشهد لان الشهادة
من جملة الفاظه الواردة فيه سواء كان بلفظ حديث ابن مسعود

اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله او بلفظ حديث عمره وان محمدا رسول الله **ومقرون ذكره بذكره في القران** اي مصاحبا لهم فالمقارنة المصاحبة كما قيل

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه ٭ فكل قرين بالمقارن يقتدي

والخطبة الشرعية الكاملة **والاذان ويؤذن** باسمه **في موقف القيامة** اظهارا لرفعة قدره في ذلك الموطن روى ابن زنجويه عن كثير بن مرة الحضرمي مرفوعا يبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي على ظهرها بالاذان فاذا سمعت الانبيا واممها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك **واخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة رفعه لما نزل ادم عليه السلام بالهند استوحش** حصل له وحشة لانفراده **فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالاذان الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث** ورواه ايضا الحاكم وابن عساكر وحكمة ذلك التنويه باسمه في عهد ادم ومصاحبته لاسم الله وان الاذان ينفع المستوحش الحزين وقد روى الديلمي عن علي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا فقال يا ابن ابي طالب اراك حزينا فمر بعض اهلك يؤذن في اذنك فانه دوا للهم قال علي فجربته فوجدته كذلك وقال كل من رواته جربته فوجدته كذلك **وكتب اسمه الشريف على العرش** اي على ساقه كما قدمه في الاسما اي فوايمه ولابن عدي لما عرج بي رايته مكتوبا على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي **وعلى كل سما** اي السموات السبع **وعلى الجنان وما فيها** من قصور وغرف وعلى نحور الحور العين وورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى واطراف الحجب وبين اعين الملايكة **رواه ابن عساكر** عن كعب الاحبار وهو من الاسرائيليات وقيل انه موضوع وقدمه في الاسما والمعجزات واعاده هنا لبيان رفع الذكر **واخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا لما عرج بي الى السما ما مررت بسما الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله** وكتب مع انه مشهور في السموات باحمد اكثر ليحصل به الرد ممن علم ذلك على منكر رسالته وانما يعرف نبيهم بمحمد دون بقية اسمايه **وفي الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة شجرة عليها ورقة الا مكتوب عليها** اي الورقة **لا اله الا الله محمد رسول الله** وكل من هذين شاهد وبيان لقوله في حديث كعب على كل سماء وعلى الجنان **واخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله** ويروى عن عبادة بن الصامت مرفوعا عند الطبراني

ايضا

217

ايضا ان فص خاتم سليمان بن داود كان سماويا القي اليه فوضعه في اصبعه وكان نقشه انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعزاه اي نسبه **الحافظ ابن رجب** عبد الرحمن في كتاب **احكام الخواتيم للخرائطي** وقال انه باطل **موضوع** وتعقب بانه شديد الضعف لا موضوع **وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى** **وشق** بالبنا للفاعل عطفا على قوله قبل وضم الاله اسم النبي الى اسمه اي اخذ له اسما حروفه **من اسمه ليجله** ليعظمه **قال حسان** بن ثابت **فذو العرش محمود وهذا محمد وسماه من اسمايه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك في اسمايه صلوات الله وسلامه عليه** من المقصد الثاني **وصلى عليه في ملايكته وامر المومنين بالصلاة والتسليم عليه** من جملة ما رفع به ذكره **قال تعالى ان الله وملايكته يصلون** اختلف المفسرون وغيرهم وان الواو عايدة على الله تعالى وملايكته او على ملايكته فقط وخبر الجلالة محذوف اي ان الله يصلي وملايكته يصلون فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك حكاه عياض اي التسوية بين الله وملايكته في لفظ واحد وهو ضمير الواو ولما فيه من عدم رعاية التعظيم **على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** خصه بالتاكيد وتنوين التعظيم اي تسليما عظيما تعريضا ممن لم يسلم او لان المراد تسليما لا كتسليم غيره من الامة والصلاة لا يشاركه فيها الامة فيفهم منها في نفسها التعظيم بلا تاكيد ولان التسليم لم يثبت لله والملايكة فهو في معرض المساهلة في الجملة **فاخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملا الاعلى بانه يثني عليه عند ملايكة المقربين وان الملايكة تصلي عليه ثم امر العالم السفلي** اي المومنين **بالصلاة والتسليم عليه** وكل ذلك ابانة لفضله ورفعا لذكره **فيجتمع الثنا عليه من اهل العالمين** بفتح اللام والميم تثنية العالم **العلوي والعالم** السفلي **جميعا** وقد اورد على هذا ان المومنين شاركوه في ذلك قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملايكته ومثله كثير في الاحاديث كحديث ان الله وملايكته يصلون على ميامن الصفوف واجيب بان الاية الاولى نزلت اولا من غير مزاحم فيها مع التاكيد بان والاسمية وتمييزه بمجموع ما ذكر فبان بها فضله ورفعه على غيره وقد اخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال لما نزلت ان الله وملايكته يصلون على النبي قال ابو بكر يا رسول الله ما انزل الله عليك خيرا الا اشركنا فيه فنزلت هو الذي يصلي عليكم وملايكته وقال الامام الرازي صلاة الملايكة على المومنين بطريق التبعية لصلاته عليهم تتاخر وكيف

وصلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الاصالة ففيها تفضيله
على غيره كما اذا قيل يدخل فلان وفلان يدخل فلان انتهى ولا يرد
بان الواو لمطلق الجمع بلا ترتيب لان ملحظه ان التقديم الذكري يشعر
بالاهتمام والتقديم لا من حيث الواو ونباه نبيا وادم بين الروح
والجسد كما مر مبسوطا في المقصد الاول وختم به النبوة والرسالة
فلا نبي بعده ولا رسول واعلى بذكره الكريم اي اظهره في الاولين
والاخرين ولواه رفع بقدره الرفيع العالي حين اخذ الميثاق
على جميع النبيين كما قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية
وجعل ذكره في فواتح الرسائل وخواتمها وشرف به المصاقع
بالصاد المهملة والقاف الخطبا الفصحا البلغا جمع مصقع بكسر
الميم على المنابر جمع منبر من النبر وهو الارتفاع وزين بذكره
ارباب الاقلام والمحابر جمع محبرة بفتح الميم والبا وفتحها وضم
البا وكسرها وفتح البا لا ثالث لها اجودها الاولى ونشر ذكره في الافاق
النواحي شرقا وغربا بحرا وبرا حتى في السموات السبع وعند المستوى
صريف الاقلام تصويتها والعرش والكرسي وسائر يعني جميع
الملائكة المقربين من الكروبيين بالتخفيف سادة الملائكة والروحانيين
بفتح الرا وضمها والعلويين اي الملازمين للسموات والسفليين من عوالم
كالموكلين بحفظ بني ادم ومصالحهم وجعله في قلوب المومنين بحيث
يستطيبون ذكره ويتلذذون به فترتاح ارواحهم وربما
يميل من سماع اسمه اشباحهم اجسادهم وانشد لغيره قوله
واذا ذكرتكم اميل كانني ** من طيب ذكركم سقيت الراحا
الراح الخمر كالرساح وبالفتح والارتياح كانه تعالى يقول
اهل الوجود كله علويه وسفليه من اتباعك كلهم يثنون عليك
ويصلون عليك ويحفظون سنتك وقد قال الا اني اوتيت
الكتاب ومثله معه الحديث رواه احمد وابو داود وما من
فريضة من فرايض الصلاة الا ومعها سنة مماثلة كتكبيرة
الاحرام معها رفع اليدين والفاتحة معها السورة وهكذا
فهم يتمسكون في الفريضة بامري وفي السنة بامرك لانه من امري
وجعلت طاعتي طاعتك في نحو قولي من يطع الرسول فقد اطاع الله
وبيعتي بيعتك ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وواثق
بهما على القلب للمبالغة فالقرا يحفظون الفاظ منزلك
على اختلاف القراات الواردة عنك متواترة وغيرها وبوجوه
ما قد يخفى من جهة اللسان باوجه متعددة او وجه ما ولاهم القرا
والمفسرون يفسرون معاني فرقانك بما ورد عنك وعن اصحابك
وتابعيهم وما استنبطوه من اللغة واستخرجوه من علوم البلاغة

والوعاظ

والوعاظ المذكورون يبلغون بليغ وعظك من اضافة الصفة
للموصوف اي وعظك البليغ والملوك والسلاطين يقفون في
خدمتك ويسلمون عليك من ورا الباب ادبا واحتشاما
يمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك
تشرفا بك في ابد الابدين والحمد لله رب العالمين على ذلك
الفضل العظيم وقال تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى
من الشقا التعب والشقاوة على ما ياتي اعلم ان للمفسرين
في طه قولين احدها انها اي هذه اللفظة والاتي حرفان
من اسماء حروف التهجي والثاني انها كلمة مفيدة اي مركبة
لا مقطعة من اسما حروف التهجي وعلى القول قيل معناها
الذي اريد بها يا مطمع بزنة مقعد الشفاعة للامة اي يا من هو
محل تطمعها في الشفاعة لها ويا هادي الخلق الى الملة ويحتمل
ان الاسم مركب من مجموع الندائين وان كل واحد منهما يسمى
بمجموع الطا والها ومقتضى قول عياض وقيل هي حروف مقطعة
لمعان الاول فالطا للاول والها للثاني وقيل الطا في الحساب
بتسعة والها بخمسة فالجملة اربعة عشر ومعناها يا ايها البدر
ذكره معرفا باللام اشارة الى انه الكامل المنير السالم من العوارض
وهذه الاقوال استعمل الجمع في اثنين لانه الذي قدمه بنا على انها
اقله فهو حقيقة او مجاز من استعمال الكل في البعض بنا على ان اقله
ثلاثة لا يعتمد عليها اذ هي كما قال المحققون من بدع بكسر فسكون
اي غريب التفسير الذي لا سند له سوى هذا التوهم العقلي وفي
نسخة المفسرين والمعنى واحد ويجوز قراته بفتح الدال جمع بدعة
اسم من الابتداع وهو الاستخراج والاحداث بلا اصل ومثلها
قول الواسطي ابي بكر محمد بن موسى الامام العارف من كبار اتباع
الجنيد فيما حكاه القاضي عياض في الشفا اراد يا طاهر
ويا هادي فالطا من طاهر والها من هادي وقيل الطا طول
العزة والها هيبتها وقيل طوبى والها وية وقيل قسم بطوله
وهدايته عليه السلام وهي ايضا من البدع وقيل طه اسم
من اسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل من اسماء الله حكاهما
عياض والمصنف في المقصد الثاني قائلا المعتمد انهما من اسماء
الحروف واما على من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان احدهما
ان معناه يا رجل اي معناه رجل وحرف الندا مقدر معه وهو
مروي عن ابن عباس عند البيهقي والحسن البصري ومجاهد وسعيد
ابن جبير وقتادة وعكرمة والكل من التابعين المفسرين قال
سعيد بن جبير بلسان النبطية اي المنسوبة الى النبط قوم

كانوا ينزلون سواد العراق وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة ولا يشكل عليهم قوله تعالى قرانا عربيا لان المراد عربي الاسلوب لا الكلمات او هو اسم للجملة وهي كثيرة فلا يخرجه اشتماله على كلمات قليلة غير عربية كقسطاس وسجيل عن كونه عربيا ولانه نزل بمكة والمدينة وبينهما لانه لا يلزم من نزوله بها ان جميعه بلغتهم لجواز اشتهار تلك اللغة في تلك الاماكن وقال البيضاوي انه صح ان معناه يا رجل فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب للياطا والاختصار اي الاقتصار على الهاء من هذا انتهى قال الكلبي لو قلت في عك بفتح العين وشد الكاف قال الجوهري هو عك بن عدنان اخو معد وهم الجوم باليمن يا رجل لم تجبه حتى تقول طه لانها بلغتهم ولا يعلمون لفظ يا رجل وقال السدي بضم السين وشد الدال معنى طه يا فلان كناية عن اسم الانسان دون قصد واحد بعينه نحو رايت زيدا فقلت له يا فلان افعل كذا بخلاف يا رجل القصد به يا هذا الذكر من بني ادم وقال الزمخشري لعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياطا الاحسن ان يقول بالدال لان الكلمة المركبة من حرفين فصاعدا انما ينطق بلفظها لا بحروف هجائها والياء انما هي اسم لاحد حروف التهجي فقالوا في يا طا اي ذكروا لفظ يا بدل لفظ ط فهي للبدل وكذا في الكشاف نعم ويقع في بعض نسخ المحشي باسقاط في على حذف مضاف اي بدل يا ط واختصروا لفظ هذا بحذف الذال واقتصروا على مضمومه الى ط فصار طه بالقصر لان اسما حروف التهجي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذا قيل ق وص مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وها ولا عاله في الانواد واثر الصيغة لا يخفى في البيت المستشهد به وهو ان السفاهة طه اي يا رجل في خلايقكم اي طبايعكم لا قدس الله اخلاق الملاعين جمع ملعون اي مطرود كما في القاموس وغيره وقول بعض سموا ملاعين لانهم يلعنون الناس كثيرا لا يناسب اللغة ولم يذكر المجدان اخلاق من جموع خليقة فيحتمل انه جمع خلق كعنق واعناق فيكون مجازهم او لان طبيعتهم مجبولة على السفاهة مجبولة على خلقتهم انتهى كلام الزمخشري ورده البيضاوي فقال الاستشهاد بالبيت ضعيف لجواز ان يكون قسما كقولهم حم لا ينصرون انتهى اي ان السفاهة وحق طه او وقسمي طه كقوله صلى الله عليه وسلم ليلة الخندق ان لقيتم الليلة

فقولوا حم لا ينصرون رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن البراء بن عازب قال ابو حيان في البحر وكان الزمخشري تفسيره الكبير يخوض تكلف الخوض بما لغته بما تكلفه وتجرى اسرع بالهجوم بلا توقف ادعا على عك بانهم يقولون يحوى وهو انهم قلبوا الياطا وهذا لا يوجد في لسان اي لغة العرب قلب يا التي للنداطا وكذا حذف اسم الاشارة في النداوا اي ابقا ها التي للتنبيه كذا في النسخ الصحيحة وهو ما في النهر كما في بعض النسخ واقترن تصحيف انتهى وقيل معناه يا انسان حكاه عياض وغيره فان صحت هذه التفاسير فهو مشترك والوجه الثاني انها كلمة دالة على الطلب ويدل عليه انه قرئ شاذا طه وبه قرا الحسن البصري باسكان الهاء على انه امر له صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه وقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه للاستراحة من طول القيام فامر بان يطا الارض بقدميه معا حتى لا يتعب فيحتاج للاستراحة اخرج عبد بن حميد عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله طه الاية واخرج ابن مردويه عن علي قال لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع اخرى فهبط عليه جبريل فقال طه طا الارض بقدميك يا محمد فامره ان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته هاء كما قالوا هباك بكسر الهاء في اياك وهرقت في ارقت ويجوز ان يكون الاصل من وطي على ترك الهمزة قال الطيبي بان قلبت الفا وبني الامر عليه واذا بني عليه فيكون اصله طا يا رجل ثم اثبت الهاء فيه للوقف اي السكت فصار طه وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها فالالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الارض اي الضمير راجع اليها لعلمها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية عند النحاة ويحتمل انه اراد ان الهاء وحدها ضمير كما عليه بعض النحاة او ان ها اسم لحرف ماخوذ من ها اسم الضمير فهي كناية اصطلاحية عنه لانه ضمير لكن يرد ذلك كما قال البيضاوي كتبتها على صورة الحرف وتعقب بان رسم المصحف على قياس كما رسم المومنون بلا الف في الامام واما قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى فذكروا في سبب نزولها اقوالا منها ما تقدم واخرج

البزار عن علي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يراوح بين قدميه
يقوم على كل رجل حتى نزلت ما انزلنا عليك القران لتشقى احدها
ما عند ابن مردويه بمعناه عن ابن عباس ان ابا جهل فرعون
الامة والوليد بن المغيره ومطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم انك لتشقى حين تركت دين ابايك ومرادهم
ضد السعادة فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين
فكيف اشقى انا فانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم وتعريفا
له صلى الله عليه وسلم بان دين الاسلام والقران هو اي المذكور
السلم فلا يرد ان القياس هما السلم الى نيل كل فوز والسبب
في ادراك كل سعاده وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها
واي شقاوة مثل الخلود في جهنم وثانيها انه كما رواه بن مردوية
عن علي بمعناه انه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه يا ايها المزمل
قم الليل الا قليلا صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل
بامر الله ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلنا عليك
القران لتنتهك تتعب وتولم نفسك بالعبادة الزايدة وتذيقها
المشقة العظيمة بالسهر وقيام الليل وما بعثت الا بالحنيفية
السمحا السهلة التي لا تعب فيها وروي انه كان اذا قام من الليل
ربط صدره بحبل حتى لا ينام مبالغة في امتثال الامر وقال بعضهم
كان يسهر طول الليل في ابتدا امره حتى امر بالتخفيف وتعقب
بانه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل شيا من ذلك فلا بد
ان يكون فعله بامر الله تعالى وهذا ممنوع لانه فعل ذلك
لتحقق مدلول ما امر به من قيام الليل على الوجه لا تم لا للامر
به بخصوصه ويمتنع تعقبه ايضا بقوله فاذا فعله عن امره فهو
من باب السعادة لا من باب الشقا بل هو التباس اذ الرد على
انه من باب الشقا بمعنى اتعاب النفس على هذا لا ينافي
ان لا اتعاب المذكور للسعادة وانما يقال من باب السعاده
لا الشقا على الوجه الذي قبله في الرد على ابي جهل ومن معه
هكذا املاني شيخنا ثالثها قال بعضهم ظاهره انه سبب لنزول
الاية لقوله اولا ذكروا في سبب نزولها اقوالا ولا كذلك فانما
هذا فهم في الشقا اذ السبب لا يكون احتمالا بل نقل بمجرد
وقد قال يحتمل ان يكون المراد ولا تشقي نفسك ولا تعذبها
بالاسف الحزن والحسرة على كفر هولا فهو كقوله لا تذهب
نفسك عليهم حسرات فانما انزل عليك القران لتذكر تعظ
به من امن ممن امن واصلح عملا الصالحات من الفرايض
وغيرها فلنفعه لان ثمرته عايده عليه وان كان للنبي اجره

ايضا

ايضا ومن كفر فلا يحزنك كفره لا تهتم لكفره فما عليك الا البلاغ
وليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشا وهذا كقوله تعالى
لعلك باخع قاتل نفسك ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان
تقتلها ان لا يكونوا مومنين لئلا يومنوا وخيفة ان لا يومنوا
وكقوله ولا يحزنك كفرهم وايضا وهو من نمط الثالث لا سيما
التروك كما يوخذ من المم ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة وفي
ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا تحت اعدايه الكفار
وكانه تعالى قال له لا تظن انك تبقى على هذه الحالة التي هي قهر الاعدا
لك بل يعلوا امرك ويظهر قدرك فانما ما انزلنا عليك القران لتشقى
اي لتبقى شقيا صعبا مقهورا والشقا تابع بمعنى التعب ومنه اشقى
من رايض المهر اي ان معالجة المهارة شقا وة لما فيها من التعب
بل تصير معظما مكرما زاده الله تعظيما وتكريما ثم الى هذا الاشارة
بقوله الا تذكرة لمن يخشى اي لكن تذكيرا لما في قلبه خشية ورقة تتاثر
بالانذار ولمن علم ان الله يخشى بالتخويف فانه المنتفع به ومن خشى
صار المصطفى لديه معظما مكرما كما وقع ذلك للصحب به حتى كانوا
عنده كانما على روسهم الطير ولا يجدون النظر اليه وكان احب
اليهم من انفسهم قال البيضاوي ما انزلنا عليك القران لتشقى خبر
طه ان جعلت مبتدا على انه موول بالسورة والقران فيه واقع
موقع العايد وجواب ان جعلت مقسما به ومنادي له ان جعلت
ندا واستيناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا او طايفة
من الحروف محكية قال تبعا للكشاف وانتصاب الا تذكرة على الاستثنا
المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين
يعني ان نصب تذكرة نصبة صحيحة ليست بعارضة والنصب التي
في لتشقى بعد نزع الخافض عارضة كما قال ابو حيان ولا يجوز
ان يكون مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدي الى
علتين وقيل هو مصدر في موضع الحال من الكاف او القران
او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة للقران
اي ما انزلنا عليك القران المنزل لتتعب بتبليغه قال الله تعالى
انا اعطيناك الكوثر ذكره مع ضمير العظمة ايما الى عظمة المعطي
والمعطى وتشريفا ونفيا للشبهة فيه السورة قال الامام فخر الدين
محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الطبرستاني الرازي
ابن الخطيب بالري مرت ترجمته غير مرة في هذه السورة كثير
من الفوايد منها انها كالمتممة لما قبلها من السور المتعلقة به
صلى الله عليه وسلم وليس القصد بها بيان الاحكام فلا يرد ان ما ذكره
دليلا على ذلك بعض السور لا جميعها على انه كما قال شيخنا في التقرير

لم نظهر زيادة الكوثر على تفسيره بما هو أعم من النهر على قوله
ولسوف يعطيك ربك فترضى فانه شامل لما شمله الكوثر واشمل
وذلك لان الله تعالى انزل وفي نسخة جعل **سورة والضحى
في مدح نبينا صلى الله عليه وسلم وتفصيل احواله** اي جنسها فلا
ينافي ان ما ذكره في هذه السورة مشتمل على جميعها لزوما **فذكر
في اولها** اي احواله **ثلاثة اشيا تتعلق بنبوته** اي ترتبط بها
وتترتب عليها كالثمرة لها وليس المراد التعلق النحوي ولا
المعنوي المقتضي لكون هذه من معنى النبوة اذ ليست من
معناها **وهي قوله ما ودعك** تركك **ربك وما قلى** ابغضك حذف
مفعوله اختصارا للعلم به وللجري على نهج الفواصل ولئلا
يخاطبه بالبغض وان كان منفيا او ليعم نفسه واصحابه وامته
روى الشيخان وغيرهما عن جندب بن عبد الله قال اشتكى
النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة او ليلتين فاتته امراة
فقالت يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فانزل الله والضحى
والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وروى سعيد بن منصور
والفريابي عن جندب قال ابطا جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال المشركون قد ودع محمد فنزلت وهذه المراة هي العوراء ام
جميل اخت ابي سفيان بن حرب روى الحاكم برجال ثقات
عن زيد بن ارقم قال مكث صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه
فقالت ام جميل امراة ابي لهب ما ارى صاحبك الا قد ودعك
وقلاك فانزل الله والضحى الايات وفي الصحيح ايضا عن جندب
قالت امراة يا رسول الله ما ارى صاحبك الا ابطا عنك فنزلت
ما ودعك ربك وما قلى قال الحافظ هي زوجته خديجة كما في
المستدرك ايضا واعلام النبوة لابي داود واحكام القران
للقاضي اسماعيل وتفسير ابن مردويه من حديث خديجة
نفسها تخاطبه كل واحدة منهما بما يليق بها وروى سنيد
في تفسيره ان قايل ذلك عايشة وهو باطل لانها لم تكن اذ ذاك
زوجه واخرج ابن جرير عن عبد الله بن شداد ان خديجة
قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ما ارى ربك الا قد قلاك
فنزلت واخرج ايضا عن عكرمة ابطا جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة اني ارى
ربك قد قلاك مما نرى من جزعك فنزلت وكلاهما مرسل رجاله
ثقات قال الحافظ والذي يظهر ان كلا من ام جميل وخديجة
قالت ذلك لكن ام جميل قالته شماتة وخديجة قالته توجعا
وروى ابن ابي شيبة والطبراني بسند فيه من لا يعرف عن خولة

خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جروا دخل بيته تحت
السرير فمات فمكث صلى الله عليه وسلم اربعة ايام لا ينزل عليه
الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيت رسول الله جبريل لا ياتيني
فقلت في نفسي لو هيات البيت وكنسته فاهويت بالمكنسة
تحت السرير فاخرجت الجرو فجاء صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته وكان
اذا نزل عليه اخذته الرعدة فانزل الله والضحى الى قوله فترضى
قال الحافظ قصة ابطا جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها
سبب نزول الاية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح **وللاخرة
خير لك من الاولى** لكونها باقية خالصة من الشوايب وهذه فانية
مشوبة بالمضار واللام للابتدا موكدة وجواب قسم ففيه تعظيم
اخراي كما اعطاك في الدنيا يعطيك في الاخرة ما هو اعلا واكثر
فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية بعد ما نفى عنه ما يكره
فهو تحلية بعد تخلية وحاصل المعنى ان نهاية امرك خير من بدايته
فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال **ولسوف يعطيك ربك
فترضى** وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر
واعلا الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للتاكيد
وفرق الزمخشري وتبعه البيضاوي اللام للابتدا دخل على
الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف ورده ابن الحاجب
وغيره بان فيه تكلفين وهما تقدير محذوف وخلع اللام عن
معنى الحال لئلا يجتمع دليلا حال واستقبال قال وليست
للقسم لانها انما تدخل على المضارع موكدا بالنون قال
ابن هشام وهو ممنوع بل تارة تجب اللام وتمتنع النون
وذلك مع الفعلين مع الاية ومع تقدم المعمول بين اللام
والفعل نحو ولين متم او قتلتم لالى الله تحشرون ومع كون
الفعل للحال نحو لا اقسم وتارة يمتنعان وذلك مع الفعل المنفي
نحو تالله تفتؤ وتارة يجبان نحو وتالله لاكيدن **ثم ختمها**
اي الاحوال المتعلقة بنبوته **كذلك باحواله ثلاثة فيما يتعلق
بالدنيا من حيث النبوة** لكن تعلق الثلاثة الاول بالنبوة
من حيث كونها حاصلة بها والثلاثة الثانية بمعنى ان سببها
اكرامه بالنبوة وان كان اولها حصل قبل النبوة والاثنان بعد
النبوة ولو اسقط كذلك فات التنبيه على تعلقها بالنبوة
وهي قوله تعالى الم يجدك من الوجود بمعنى العلم **ويتيما** مفعول
الثاني والمصادفة ويتيما حال اي لا اب لك وقيل لا مثل لك
فاوى بان ضمك الى عمك ابي طالب **ووجدك ضالا اي عن
عن علم الحكم** بكسر ففتح جمع حكمة اي معرفة العلل والاسباب

فقوله **والاحكام** عطف مسبب على سبب وليس الحكم مفرد الاحكام
لانه يصير ما بعده مرادف ولا ينافي ذلك ان بعض الاحكام تعبدي
لانه بالنسبة لنا اما هو صلى الله عليه وسلم فكان عارفا بالعلة **فهداك**
اي هداك الى معرفتها وهذا احد نقلا سيبويه الاية كما في
للمم **ووجدك عائلا** اذا عيال **فاغنى** بما حصل لك من ربح
التجارة كذا فسره البيضاوي ولم يجعله شاملا لذلك ولغيره
من مبدايه الى نهايته ما حصل له او يقصره على ما حصل له من
الغنايم والفتوحات لان ربح التجارة حصل به اصل الغنى
وما حصل بعده حصل به الزيادة بعد اطمينان النفس
بالاول فكانت النعمة في الحقيقة هي الربح لانها التي حصل
بها دفع الحاجة هذا ولم يذكر المص من احواله بقية السورة
مع انها خطاب له لعدم دلالتها على مدحه صريحا اذ ليست
اوصافا قايمة به يمدحه بتعدادها ولا صفات كمالية قايمة
به ولا على تعداد النعم التي انعم بها عليه وانما هي امر له ونهي
وكلاهما لا يعد من النعم الصريحة وان ترتب عليه الامتثال
بفعل المامور وترك المنهي وهما من اعظم النعم ولا يرد قوله
اولا جعل سورة والضحى في مدح نبينا لان المراد معظمها
او كلها ولكن ما تركه هنا مستلزم للكمال لان كونه منهيا مامورا
مقتضي لامتثاله وهو كمال استلزاما لا صراحة **ثم ذكر في سورة**
الم نشرح انه تعالى شرفه عليه السلام بثلاثة اشيا وهي الم
نشرح لك صدرك استفهم عن الشرح على وجه الانكار مبالغة
في اثبات الشرح فكانه قيل شرحنا ولذا عطف عليه ووضعنا
اعتبارا للمعنى قاله الكشاف قال الطيبي ان انكرنا عدم الشرح
فاذا انكره ثبت لان الهمزة للانكار وهو نفي اذا دخل على النفي
عاد اثباتا ولا يجوز جعل الهمزة للتقرير براسها اي لان التقرير
سوال مجرد اذ هو حمل المخاطب على الاعتراف بامر استقر عنده
ثبوته او نفيه فلا يحسن عطف ووضعنا عليه **اي الم نفسح**
حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فالمراد به ما يرجع
الى المعرفة والطاعة وكانه قيل الم نفسح ونوسع صدرك
بالايمان والنبوة والعلم والحكمة وبه جزم البغوي وتقدم
غير ذلك **ووضعنا عنك وزرك اي عناك** بفتح المهملة والمد
اي خضوعك **الثقيل** القوي الذي كنت فيه قبل ظهور امرك
والمشقة التي كنت فيها بمعاداة الكفار لك فوضعنا ذلك
باظهارك عليهم بقتل من قتل وهداية من اهتدى فالعنا
يكون بمعنى الخضوع وبمعنى المشقة **الذي انقض ظهرك**

أثقله وبالك للمص في النوع العاشر معنى الاية **ورفعنا لك**
ذكرك مر الكلام عليه **وهكذا سورة سورة حتى قال**
انا اعطيناك الكوثر اي اعطيناك هذه المناقب جمع منقبة
بفتح الميم الفعل الكريم كما في المصباح وفي المختار بوزن المتربة
ضد المثلبة انتهى فالقاف مفتوحة فقراته بكسرها على هذا
خطا **المتكاثرة التي كل واحد منها اعظم من ملك الدنيا**
بحذافيرها باسرها والحذافير جمع حذفور كعصفور كما في
القاموس **واذ** تعليلية **انعمت عليك بهذه النعم** وفي نسخة
واذا للظرفية المجردة والفاء في **فاشتغل بطاعتنا** زائدة
على النسختين والتعليل اظهر **ولا تبال بقولهم** ساحر كاهن
مجنون وغير ذلك **ثم ان الاشتغال بالعبادة اما ان يكون**
بالنفس وهو قوله فصل لربك امر بالصلاة مطلقا او التهجد
وكان الظاهر فاشكر فعدل عنه لان مثل هذه النعمة
العظيمة ينبغي ان يكون شكرها كذلك واعظم ذلك العبادة واعظمها
الصلاة **واما بالمال وهو قوله وانحر** امر بتقريب البدن لان
النحر مختص بها وفي غيرها يقال ذبح **وتامل قوله انا اعطيناك**
كيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك بلفظ المضارع
ليدل صلة ذكره **على ان الاعطا حصل في الزمان الماضي**
كما **قال عليه السلام كنت نبيا وادم بين الروح والجسد**
رواه احمد والبخاري في التاريخ وغيرهما ومر الكلام عليه اول
الكتاب **ولا شك ان من كان في الزمان الماضي عزيزا**
مرعي الجانب اشرف ممن يصير كذلك كانه تعالى يقول يا محمد
قد هيانا يسرنا وسهلنا **اسباب سعادتك قبل دخولك في هذا**
الوجود فكيف امرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا
استفهام تفخيم وتعظيم اي فاعتقد من الكمال التي تحصل
لك بعد وجودك ما شئت فانها لا نهاية لها **يا ايها العبد**
الكريم انا لم نعطك الفضل العظيم المعبر عنه بالكوثر **لاجل**
طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير
موجب مرتب على ما قبله الاستفهام اي هيانا لك اسباب
سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود لا لاجل طاعتك
المتاخرة بل فضلا وليس مرتبا على الاستفهام لئلا يكون
فيه بعض مناقب **واختلف المفسرون على تفسير**
الكوثر على وجوه وصلت الى نحو عشرين قولا **منها انه نهر**
في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف
والخلف ودليله انه **روى انس بن مالك ان رسول الله صلى**

الله عليه وسلم قال بينما بالميم انا اسير في الجنة اذا انا بنهر وللترمذي
اذ عرض لي نهر اي ظهر وللبخاري في التفسير عن انس قال لما
عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السما قال اتيت على نهر حافتاه
بحا مهملة وخفة الفا جانباه لانه ليس اخدودا التي شقا مستطيلا
في الارض يجري فيه الما حتى يكون له حافتان ولكنه سايل على
وجه ارض الجنة ومعلوم انه ليس عاما في جميعها فما جاوزه
ما انتهى سيلانه اليه هو جانبه روى ابو نعيم والضيا عن انس
قال قال صلى الله عليه وسلم لعلكم تظنون ان انهار الجنة اخدود
في الارض لا والله انها لسايحة على وجه الارض قباب بكسر
القاف وخفة الموحدة جمع قبة وللترمذي حافتاه فيهما
لولو مثل القباب فالمراد في جانبيه مثل قباب الدر المجوف بفتح
الواو مشددة صفة للدر وهو كبار اللولو حقيقة وتجويزا ثم
مثله في الحسن والنضارة خلاف الظاهر بلا داعية قلت
ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك وعطف
على مقدر اي فنظرت له فاذا طينه مسك اذ المفاجاة انما
تترتب على النظر لا على اعطاك ربك ويدل له رواية الترمذي
عن انس قال اي المصطفى ثم ضرب اي جبريل بيده الى طينه
فاستخرج مسكا اي اظهار الشرف المنعم به وسماه طينا جريا
على العادة في كون مقر الما طينا كما قال الدلجي وغيره فلا
بد من تقدير في قوله طينه مسك لبعض الحمل وهو هنا في المبتدا
اي فاذا مادة ما تحت ما به مسك ولا يقدر في الخبر اي مثل
مسك لانه خلاف الظاهر من الاحاديث انه يجري على المسك
ولا يعارضه حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي ومجراه
على الدر والياقوت لانها فوق طينه الذي هو مسك كما
ان الانهار تجري على طين وحصى فهذا حصاه جواهر وطينه
مسك اذفر بمعجمة ساكنة اي شديد الرايحة الطيبة ويطلق ايضا
على الكريهة وليس بمراد هنا واما بالمهملة فخاص بالمنتنة رواه
البخاري في الرقاق بهذا اللفظ عن شيخه ابي الوليد هشام
ابن عبد الملك وهدبة بن خالد كلاهما عن همام عن قتادة عن
انس ثم قال في اخره طينه اي بالنون او طيبه وبموحدة شك
هدبة اي ولم يشك ابو الوليد انه بالنون قال الحافظ وغيره
وهو المعتمد وفي البعث للبيهقي من طريق عبد الله بن
مسلم عن انس بلفظ ترابه مسك ورواه في التفسير الى قوله
هذا الكوثر واخرجه مسلم ايضا كما قدم في المعراج والترمذي
وقيل الكوثر اولاده من فاطمة لان عقبه انما هو منها ويؤيده

قوله الا في فنظركم قتل من اهل البيت فان هذه السورة انما نزلت
ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام بعده اي بفقد الاولاد
كالعاصي بن وايل قال لما مات القاسم لقد اصبح محمد ابتر فنزل انا
اعطيناك الكوثر عوضا عن مصيبتك بالقاسم رواه يونس في زيادات
المغازي ولابن جرير عن شمر بن عطية كان عقبة ابن ابي معيط
يقول لا يبقى لمحمد ولد وهو ابتر فانزل الله فيه ان شانئك هو الابتر
وللطبراني بسند ضعيف عن ابي ايوب لما مات ابراهيم مشى
المشركون بعضهم الى بعض فقالوا ان هذا الصابي قد بتر
الليلة فانزل الله انا اعطيناك الكوثر الى اخر السورة فان
صح هذا كله فقد تعدد السبب والنزول بمكة والمدينة اذ موت
ابراهيم بها وعلى هذا فالمعنى انه تعالى يعطيه صلى الله عليه وسلم
نسلا يبقون على ممر الزمان فهو من وضع الماضي موضع المستقبل
فانظركم قتل من اهل البيت مع الحسين وبعده ثم العالم ممتلي منهم
ولم يتفق لنبي من الانبيا غيره مثل هذا وقيل الكوثر الخير
الكثير الذي اعطاه اياه قاله ابن عباس رواه البخاري وغيره
فهو وصف مبالغ في المفرط الكثرة فيشمل النبوة والقران والخلق
الحسن العظيم وكثرة الاتباع والعلم والشفاعة والمقام المحمود وغيرها
مما انعم به عليه لكن اورد عليه ان اراد ابن عباس بهذا بيان
ما وضع له لغة او بيان معنى عام خص في الاية فلا كلام فيه
وان اراد تفسيرا لاية فينافي النص النبوي جا بخلافه كما مر وياتي
وقيل النبوة وهي الخير الكثير الذي اعطيه وقيل علما امته وجعل
البيضاوي مجموع اولاده والاتباع والعلما قولا واحدا لعله قول
اخر لم يذكره المص وقيل الاسلام ولا ريب لا شك في انهما اي الاسلام
والعلما من الخير الكثير الذي فسر به ابن عباس الكوثر فلا يقصر
عليهما ولا على النبوة ولا غيرها بل يعم شرف الدارين فالعلما
ورثة الانبيا لان الميراث ينتقل للاقرب واقرب الامة في نسبة
الدين العلما الذين اعرضوا عن الدنيا واقبلوا على الاخرة
وكانوا للامة بدلا من الانبيا الذين فازوا بالحسنيين العلم
والعمل وحازوا الفضيلتين الكمال والتكميل ولا رتبة فوق
رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة ولهذا
اشتغلت الملايكة وغيرهم من المخلوقات بالاستغفار والدعا
لهم الى يوم القيامة وروى ابن عدي وابو نعيم والديلمي عن
علي رفعه العلما مصابيح الارض وخلفا الانبيا وورثتي وورثة
الانبيا قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
قال الكشاف ما سماهم ورثة الانبيا الا لمداناتهم لهم في الشرف

والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وقال الغزالي لا يكون
العالم وارثا الا اذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون
بينه وبينه الا درجة النبوة وهي الفارق بين الوارث والموروث
اذ هو الذي حصل له المال واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث
هو الذي لم يحصل لكن انتقل اليه وتلقاه عنه انتهى كما رواه احمد
وابو داود والترمذي وابن ماجة والبيهقي كلهم عن ابي الدردا
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا
يلتمس فيها علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان الملائكة
لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر
له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الما وفضل
العالم على العابد كفضل القمر على ساير الكواكب وان العلما ورثة
الانبيا ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن
اخذه اخذ بحظ وافر وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة
الكناني وضعفه الترمذي وغيره بالاضطراب في سنده قال
السخاوي لكن له شواهد يتقوى بها ولذا قال شيخنا له طرق يعرف
بها ان للحديث اصلا وقد اخرجه الديلمي عن البرا بن عازب رفعه
العلما ورثة الانبيا يحبهم اهل السما وتستغفر لهم الحيتان في البحر
اذا ماتوا واورده ايضا بلا سند عن انس مرفوعا العلما ورثة الانبيا
وانما العالم من عمل بعلمه واما خبر علما امتي كانبيا بني اسرايل
فانهم كانوا يدعون الى شريعة موسى من غير ان ياتوا بشرع جديد
وكذا قال علما هذه الامة يدعون الى الشريعة المحمدية فقال
الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري والزركشي انه لا اصل له زاد
بعضهم ولا يعرف في كتاب معتبر وسيل عنه الحافظ العراقي
فقال لا اصل له ولا اسناد بهذا اللفظ ويغني عنه العلما ورثة
الانبيا وهو حديث صحيح وعن عبد الله بن عمرو مرفوعا اكرموا
حملة القران فمن اكرمهم فقد اكرمني ومن اكرمني فقد اكرم الله
الا فلا تنقصوا حملة القران حقوقهم فانهم من الله بمكان كاد
حملة القران ان يكونوا انبيا الا انه لا يوحى اليهم رواه الديلمي
وقال انه غريب جدا قال السخاوي وفيه من لا يعرف والحسم
غير صحيح نعم روى ابو نعيم في كتاب فضل العالم
العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه اقرب الناس
من درجة النبوة اهل العلم والجهاد لانهم لما قاموا مقام
الانبيا في الامرين استحقوا ان يكونوا اقرب الناس من درجتهم
وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع بمعجمة وتحتية عطف مساو
وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه اولى لوجوه

احدها

احدها ان العلم هو الخير الكثير الذي يتفرع عنه سعادة الدارين
والوجه الثاني اما ان يحمل على نعم الاخرة او على نعم الدنيا قال
ذلك البعض والاول غير جايز ان حمل على حقيقة اللفظ
لانه قال انا اعطيناك الكوثر بصيغة الماضي والجنة سيعطيها
لانه اعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا
ابقا للفظ اعطينا على حقيقته واشرف الامور الواصلة
اليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم
كانه قصره عليه مع اشتراكه مع النبوة في انهما اشرف ما وصل
اليه لان العلم مترتب عليها فكانه المقصود بالوحي وثمراته
كثيرة بخلاف النبوة فخاصة به عليه السلام والوجه الثالث
انه لما قال انا اعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر
والشي الذي يتقدم على العبادة هو المعرفة اي العلم
بالاحكام فيفيد انه المراد ولان الفا في قوله فصل للتعقيب
ومعلوم ان الموجب اي السبب المقتضي للعبادة ليس الا العلم
فيفيد انه المراد لكن هذا كله استنباط عقلي لا يلاقي تفسيره
صلى الله عليه وسلم بانه نهر في الجنة وقيل الكوثر الخلق الحسن
لان به سعادة الدارين كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث
ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة رواه الطبراني والبزار
وعن ابن عباس ان الكوثر جميع نعم الله تعالى على نبيه صلى
الله عليه وسلم فيشمل النبوة والعلم وجميع ما مر وغيره من النعم
التي لم تذكر وبالجملة فليس حمل الاية على بعض هذه النعم
اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل ولذا روي
ان سعيد بن جبير لما روى هذا القول ان الكوثر جميع النعم
عن ابن عباس لكن الذي رواه البخاري من طريق ابي بشر
وعطا ابن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه قال ابو بشر فقلت
لسعيد ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر
الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه قال له بعضهم
هو ابو بشر جعفر بن ابي وحشية واسمه اياس ان ناسا وفي
رواية ان اناسا بضم الهمزة وسمي منهم ابو اسحق السبيعي
وقتادة يزعمون يقولون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر
الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه لان النهر فرد
من افراد الخير الكثير فلا ينافي لكن صرح صلى الله عليه وسلم
بانه نهر في الجنة كما في مسلم وياتي وكما مر عن الصحيحين في حديث
المعراج ان جبريل قال له هذا الكوثر الذي اعطاك ربك وفي

الصحيح عن ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود انه سال عايشة
عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قالت نهر اعطيه نبيكم
في الجنة شاطياه عليه در مجوف انيته كعدد النجوم فاي معول
عن هذا على انه قد ورد عن ابن عباس تفسيره بالنهر وكانه بلغه
عن المصطفى فرجع عن الاستنباط اخرج ابن ابي الدنيا عن
ابن عباس في قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة
عمقه سبعون الف فرسخ ماوه اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل شاطياه من اللولو والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه
قبل الانبيا وما ذكر في عمقه لا يخالفه ما رواه ابن ابي الدنيا عنه ايضا
انه سئل ما انهار الجنة في اخدود قال لا ولكنها تجري على ارضها
لا تغيض ههنا ولا ههنا لانه اجيب بان المراد انها ليست في اخدود
كالجداول ومجاري الانهار التي في الارض بل سايحة على وجه الارض
مع عظمها وارتفاع حافاتها فلا ينافي ما ذكر في عمقها قال
الامام فخر الدين بن الخطيب الرازي قال ... الظاهر
قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه
ذلك الكوثر فيجب ان يكون الاقرب حمله على ما اتاه الله تعالى
في الدنيا من النبوة والقران والذكر العظيم والنصر على الاعدا
والايات البينات واما الحوض الذي له في القيامة وهو اخر ما قيل
في تفسير الكوثر كما في الشفا وساير ما اعده الله له من الثواب
في الاخرة فهو وان جاز ان يقال انه داخل فيه لان ما ثبت
بحكم وعد الله فهو كالواقع لانه لا يخلف وعده وجوازه لا يوجب
الحمل عليه ولا يرجحه لانه اذا حمل عليه بخصوصه او على ما يشمله
كان مجازا واذا حمل على ما اعطيه في الدنيا فقط كان حقيقة
وهي مقدمة على المجاز ما امكنت حيث لا مانع وقد علم ان
المانع تفسيره صلى الله عليه وسلم بانه نهر في الجنة الا ان الحقيقة
ما قدمناه في قوله فيجب ان يكون الاقرب الخ لان ما اعطاه
في الدنيا ثبت اعطاوه له بالفعل فاستعمال الاعطا حقيقة
فيه بخلاف امور الاخرة لان ذلك وان اعد له فلا يصح ان
يقال على الحقيقة انه اعطاه الكوثر في حال نزول السورة
بمكة وانما يصح ان يقال ذلك على المجاز اما لانها ستعطى او لانه
تعالى قد رقم علمه انها له فعبر عنها باعطينا ويحتمل ان يجاب
عنه بان من اقر لولده الصغير بشي يصح ان يقال اعطاه ذلك
الشي مع ان الصبي في ذلك الحال ليس اهلا للتصرف انتهى
وعليه يحمل اعطا على ما اعطاه من امور الاخرة ولا يكون مجازا
لان من وهب شيا لولده الصغير وقبله له صار ملكا حقيقيا

للصغير فها هنا كذلك وقد روينا في صحيح مسلم وسنن ابي داود
والنسائي من حديث انس بينما بالميم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اظهرنا اي بيننا واظهر زايد اذ اغفا اغفاه اي نام نومة
خفيفة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما يضحكك اضحك الله
سنك يا رسول الله قال نزلت علي سورة انفا اي قريبا فقرا بسم
الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان
شانيك هو الابتر ففهم منه فاهمون ان السورة نزلت في تلك الاغفاه
لان رويا الانبيا وحي قال في الاتقان والاشبه ان القران كله نزل
يقظة واجاب الرافعي بانه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة
في اليقظة او عرض عليه الكوثر الذي نزلت فيه السورة فقراها
عليهم وفسره لهم او الاغفاة ليست نوما بل هي البرحا التي كانت
تعتريه عند الوحي قال في الاتقان والاخير اصح من الاول
لان قوله انزل علي انفا يدفع كونها نزلت قبل ذلك قال
اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر داخل
الجنة كما راه المصطفى ليلة المعراج كما في حديث انس في الصحيح
وعدنيه ربي بقوله انا اعطيناك الكوثر عليه خير كثير منه
قوله سابقا حافتاه قباب الدر وطينه مسك اذفر وهو حوض
اي نهر في الجنة يسيل في حوضه ترد عليه امتي يوم القيامة
وفي رواية لاحمد ويفتح نهر الكوثر الى الحوض وفي مسلم عن ابي
ذر ان الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة قال المم ويطلق
على الحوض كوثر لكونه يمد منه وقال الحافظ وهذا النهر هو
الذي يصب في الحوض كما جا صريحا في البخاري انيته عدد
النجوم ولاحمد من رواية الحسن عن انس اكثر من عدد نجوم
السما وفي الصحيحين من حديث ابن عمرو وكيزانه كنجوم السما
من شرب منه فلا يظما ابدا فيختلج بضم التحتية وسكون المعجمة
وفتح الفوقية واللام وبالجيم مبني للمفعول اي يجتذب
ويقتطع العبد منهم فاقول رب انه من امتي فلم اخرج منهم
فيقول ما تدري ما احدث بعدك من الردة عن الاسلام
او المعاصي فيمنعون من الحوض حتى يطهر وامن دنوبهم
واحضر المرتدون زيادة لتنكيلهم وحسرتهم وهذا التفسير صريح
منه صلى الله عليه وسلم بان المراد بالكوثر هنا الحوض اي النهر
الذي يصب في الحوض بدليل قوله نهر فالمصير اليه اولى اي احق
واوجب وقول الشارح اي من حيث الاعتبار فلا ينافي ما قدمه
من انه واجب فيه انه لم يقدم ذلك انما قدم الوجوب في تفسيره
بغير ذلك وهذا هو المشهور كما تقدم في قوله انه نهر في الجنة

وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف وهذا التأويل
صريح في تأويل قوله الكوثر الحوض بما قلناه لانه الذي قدمه
وقد قيل ان المراد به الحوض الذي في القيامة على ظاهر الحديث
بلا تأويل وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل المعرفة
اي العلوم اللدنية التي افاضها عليه بلا واسطة فكانها كوثر
وقيل تخفيفات الشريعة وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر
وقيل الدعوات المجابات له وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل الخمس صلوات التي خصت بها امته فهذه
عشرة والمصنف حكي عشرة فتلك عشرون اصحها الاول فسبحان
من اعطاه هذه الفضايل العظيمة وشرفه بهذه الخصال
العميمة وحباه بوحدة بما افاضه عليه من نعمه جمع نعمة
الجسيمة وقد جرت عادة الله تعالى مع انبيايه عليهم السلام
ان يناديهم باسمايهم الاعلام نحو يا ادم اسكن انت وزوجك
الجنة وبدا به لانه ابو البشر المقدم عليهم يا نوح اهبط بسلام
وكذا يا ابراهيم قد صدقت الرويا يا موسى اني انا الله يا عيسى
ابن مريم اذكر نعمتي عليك يا داود انا جعلناك خليفة يا زكريا
انا نبشرك يا يحيى خذ الكتاب واما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فناداه بالوصف الشريف من الانبا والارسال الدال على التعظيم
والملاطفة لمنزلته عنده فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها
المزمل يا ايها المدثر فلم يذكر باسمه في الندا تعظيما وذكره في الخبر
وما محمد الا رسول محمد رسول الله والذين ومبشرا برسول ياتي
من بعدي اسمه احمد لانه ورد مورد التعيين ولا علام بان
صاحب هذا الاسم هو الرسول وقوله لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة لما لم يورد هذا المورد لم يذكر اسمه ولله در القايل
ودعى جميع الرسل كلا باسمه ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي
دعانا ذكره ومراد المصنف خطاب الله تعالى له في القران باسمه
فلا يرد عليه كما توهم خطابه بقوله انك لا تهدي من احببت
وقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقوله في الحشر ارفع
راسك وقل تسمع يا محمد ولم يقل يا ايها النبي ويا ايها الرسول
وان قيل حكمته انه اخصر ففيه سرعة اجابته وتطويل الكلام
عليه لا يناسب مقام الاذن في الشفاعة وقد سرى هذا التشريف
ببركته الى امته فلن الخصايص ان الله شرفهم بخطابهم في القران
بقوله يا ايها الذين امنوا وخاطب الامم السالفة بيا ايها المساكين
قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على احد ان
السيد اذا دعا احد عبيده بافضل ما وجد لهم اعطاهم

من الاوصاف العلية والاخلاق السنية بمعنى العلية
محسنه اختلاف اللفظ ودعا اخرين وفي نسخة غيرهم
باسمايهم الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا
خلق بتضمنين من الاخلاق دل دعاوه لذلك البعض على
ان منزلة من دعاه بافضل الاسما والاوصاف اعز عليه واقرب
اليه ممن دعاه باسم العلم فالمقدر جواب اذا لان لفظان مفرد
لا تقع جوابا لاذا وجملة اذا من الشرط والجواب خبر ان السيد
الخ وهذا معلوم بالعرف ان من دعي بافضل اوصافه واخلاقه
كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهى اذ العدول عن
الاسم العلم يقتضي ذلك عرفا ولذا قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وانظر نظر
تامل وتدبر في المعاني المستنبطة من الالفاظ ما في نحو قوله تعالى
واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة من ذكر
الرب تعالى المشعر بمزيد الرافة واضافته اي الرب اليه صلى الله
عليه وسلم بقوله ربك وما في ذلك من التنبيه على شرفه باضافته
اليه واختصاصه وخطابه وما في ذلك من الاشارة اللطيفة
وهي ان المقبل عليه بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر
من الجملة المخبر بها وهي هنا خلافة الله في الارض فلا ريب انه
له النصيب الاوفى منها اذ هو في الحقيقة اعظم خلفايه الا ترى
الى عموم رسالته ودعا به الخلق الى ذلك اني رسول الله اليكم جميعا
وجعله افضل انبيايه بدليل انه امهم ليلة اسرايه بتقديم
جبريل له والحق للامامة للافضل وجعل ادم فمن دونه اي فمن بعده
يوم القيامة تحت لوايه فهو المقدم في ارضه وسمايه وفي
داري تكليفه الدنيا وجزايه الاخرة وبالجملة فقد تضمن
الكتاب العزيز القوي من التصريح بجليل رتبته وتعظيم
قدره اي رتبته وشرفه وعلو منصبه من مسجد العلو والرفعة كما في
المصباح الكبير ورفعة ذكره ما يقضي على بانه استولى على اقصى
درجات التكريم اي اعلاها ويكفي اخباره تعالى بالعفو عنه
ملاطفة معاملة وشفقة والمفاعلة مجازية لتنزيل التحقاقه
له بمنزلة فعله او هي لاصل الفعل بلا مشاركة قبل ذكر العتاب
في قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فقدم عفى الله عنك
دعامة يقصد بها الملاطفة او هو خبر معناه لا عهدة عليك
وليس المعنى ان الاذن ذنب تعلق به العفو بل لا تمسا تحته
لهم مع اذاهم اسقاط للحظوظ فهو عتب بلطف لا ملامة فيه
اي قد بلغت في الامتثال والاحتمال الغاية وزدت في طاعة

الغالب

الله ومحبته والرفق بالبر والفاجر ما اجحف بك فهو مث
عتب الحبيب في حبيبه على نفسه وتخفيف لا تعنيف ومدح
لا قدح وبالى نبسط هذا ان شا الله تعالى ويكفي في ذلك ايضا
تقديم ذكره على الانبيا تعظيما اذ التقديم يعطيه مع تاخره عنهم
في الوجود في قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم قيل معناه تبليغ الرسالة
وتصديق بعضهم بعضا وقيل ان يعلنوا بنبوة المصطفى
ويعلن هو بانه لا نبي بعده ففيها تفضيل له من وجوه منها
انه ذكر النبيين جملة ثم خص بالذكر بعضهم تشريفا لهم وقدمه
صلى الله عليه وسلم عليهم تشريفا على تشريف وهولا الخمسة هم
اولوا العزم في قول واخباره بتمني اهل النار طاعته في قوله
تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول وهذا بحر لا ينفد بفتح الفا
لا يفرغ وقطر بفتح القاف وسكون الطا اي مطر لا يعد لكثرته
او بضم القاف اي اقليم لا يمكن عد نواحيه وبلاده لكثرتها
جوزهما شيخنا في التقرير واقتصر في الحاشية على الفتح
لانه اظهر والله اعلم النوع الثاني في اخذ الله الميثاق على
النبيين عداه بعلى اشارة الى انه الزمهم به وعداه فيما ياتي
بمن اشارة الى انهم التزموه فضلا اي احسانا ومنة اي انعاما
ليومنن به ان ادركوه ولينصرنه على عدوه قال الله تعالى واذ
اي حين متعلق بمقدر اي اذكر وقيل باقررتم وان اخر عنه
اخذ الله ميثاق النبيين عهدهم كلهم او مع اممهم او انبيا بني
اسرائيل لما بفتح اللام للابتدا وتوكيد معنى القسم الذي في اخذ
الميثاق وكسرها متعلقة باخذ وما موصولة على الوجهين
اي للذي اتيتكم اياه وفي قراءة اتيناكم من كتاب وحكمة ثم
جاكم رسول مصدق لما معكم من الكتاب والحكمة وتنوين
رسول وابهامه للتعظيم والمراد محمد صلى الله عليه وسلم
او للتعميم على القولين الاتيين لهم لتومنن به ولتنصرنه
جواب القسم ان ادركتموه واممهم تبع لهم في ذلك لاية اخبر تعالى
في الازل كما حكاه المم اول الكتاب انه اخذ ميثاق كل نبي
بعثه صفة نبي ولا يرد انه قاصر على الرسل مع ان المنتا در
العموم لجواز ان معناه اوحي اليه والبعث يطلق على الايحا
من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا
على نبوته ومعناه كما في البغوي انه اخذ العهد على كل نبي
ان يومن بمن ياتي بعده وينصره ان ادركه والا يامر قومه بنصره

فاحذ

فاحذ الميثاق من موسى ان يومن بعيسى ومن عيسى ان يومن
بمحمد انتهى فليس معنى هذا القول بصدق بعضهم بعضا على
نبوة المصطفى وانهم من اتباعه ومومنون به كما توهم اذ لو كان
كذلك ما صح قول المم لا بعد ان ذا القول لا يخالف قول علي
وابن عباس اذ هو مبنيه على ذا الفهم قاله الحسن البصري وطاوس
اليماني وقتادة السدوسي الثلاثة التابعين وقيل معناه انه تعالى
اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغني بذكرهم عن ذكر الامم
لانهم تبع لهم فهو من الاستغنا بذكر الملزوم عن لازمه ولا يرد انه
خاص بالرسل لانهم هم الذين لهم امم اما النبيون فلا امم لهم لجواز
ان يريد باممهم الناس الموجودون في زمانهم واطلق عليهم
اممهم من حيث وجودهم في زمانهم وان لم يرسلوا اليهم فالنبي
وان لم يامر بشرع يجب عليه ان يخبر بنبوته لئلا يحتقر ولا
يمتنع عليه الوعظ ونحوه ومنه اخباره للناس بالايمان
بمحمد اذا جا والانبيا وعن علي بن ابي طالب عند ابن جرير
وغيره وابن عباس عند ابن جرير وابن عساكر وقع للزركشي
وابن كثير والحافظ في الفتح في كتاب الانبيا انهم عزوه لصحيح
البخاري قال الشامي ولم اظفر به فيه ما بعث الله نبيا من الانبيا
وفي رواية لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث
محمد صلى الله عليه وسلم وهو اي ذلك النبي حي ليومنن به ولينصرنه
وياخذ العهد بذلك على قومه هذا بقية المروي عن علي
وابن عباس كما تقدم ثم هو موقوف لفظا مرفوع حكما لانه
اخبار عن غيب فلا مجال للراي فيه ويحتمل انهما قالاه فهما
للاية والظاهر الاول ولذا اقتصر عليه اول الكتاب
وما قاله قتادة والحسن وطاوس من ان المعنى اخذ على كل
نبي ان يومن بمن بعده لا يضاده لا يخالف ما قاله علي
وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه لانه اذا صدق بعضهم
بعضا لزم ان يكونوا مامورين بالايمان بالمصطفى ونصره
ويقتضيه عطف تفسير وقيل معناه ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه
اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يومنوا به وينصروه
وعلى هذا فاضافة الميثاق الى النبيين اضافته للفاعل
والمعنى واذ اخذ الله ميثاق الذي وثقه الانبيا على اممهم
قاله البيضاوي واحتج له بان الذين اخذ الله الميثاق
منهم يجب عليهم الايمان بمحمد عند مبعثه وكان الانبيا
عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات

لا يرد عيسى وادريس على حياتهما والخضر على حياته ونبوته لان
الحكم للاكثر والميت لا يكون مكلفا فتعين ان يكون الميثاق
ما خوذا على الامم قالوا ويوكد اي يقوي هذا القول انه تعالى
حكم على الذين اخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا
فاسقين بقوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون
وهذا الوصف لا يليق بالانبيا اي لا يجوز عليهم وانما يليق
بالامم لجوازه عليهم واجاب الفخر الرازي وفي نسخة
واجاب القفال والظاهر فسادها وفي اخرى واجيب بان يكون
المراد من الاية ان الانبيا لو كانوا في الحياة لوجب عليهم
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كما قال لو كان موسى حيا ما وسعه
الا اتباعي ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك
وقد علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام
على سبيل التقدير والفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط
الكفرة والاشعار على حكم الامم والخطاب باعتبار كل واحد
وقال تعالى ولو تقول النبي علينا بعض الاقاويل بان قال
علينا ما لم نقله سمي الافترا تقولا لانه قول متكلف والاقوال
المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك
لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه
بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه باقطع ما يفعله الملوك
بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف
ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة قاله البيضاوي
وقال في الملايكة ومن يقل منهم اني اله من دونه الله اي غيره
فذلك نجزيه جهنم كذلك فما جزيناه نجزي الظالمين مع انه
تعالى اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول لا ياتون بقولهم
الا بعد قوله وبانهم يخافون اي الملايكة حال من ضمير
يستكبرون ربهم من فوقهم حال من هم اي عليا عليهم بالقهر فكل
ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا نزلت هذه
الاية واذ اخذ الله ميثاق النبيين على ان الله اوجب على جميع
النبيين ان يومنوا بمحمد لو كانوا في الاحيا وانهم لو تركوا ذلك
فرضا وتقديرا لصاروا في جملة الفاسقين حاشاهم فلان
يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم من
باب اولى لانه اذا امر المتبوع بذلك فكيف بالتابع فكان صرف هذا
الميثاق الى الانبيا اقوى في تحصيل المقصود بالتعظيم
له لشموله للامم بالاخروية بخلاف حمله على الامم وقال السبكي
الكبير في رسالة صغيرة سماها التعظيم والمنة في لتومنن به

ولينصرنه

اي و

ولينصرنه في هذه الاية افاده انه عليه السلام على تقدير مجيئه
اي النبيين في زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته
عامة لجميع الخلق من ادم الى يوم القيامة وتكون الانبيا
واممهم كلهم من امته مع بقا الانبيا على نبوتهم ويكون قوله عليه
السلام في حديث رواه الشيخان وغيرهما وبعثت الى الناس كافة يعني
ويتناولهم من العرب والعجم لا يختص به الناس الكاينون من زمانه
الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم ايضا وذكر نحوه البارزي
في توثيق عرى الايمان وادعى بعض ان ما ذكره السبكي غريب
لا يوافقه عليه من يعتد به والجمهور على ان المراد بالكافة
ناس زمنه فمن بعدهم الى يوم القيامة ودفعه شيخنا لما ذكرته
له بانه لا ينافي كلام الجمهور الا اذا اريد التبليغ بالفعل اما
اذا اريد بالبعث اتصافه بكونهم مامورين في الازل
بان يتبعوه اذا وجد كما هو صريح كلامه فلا يخالف واحد فضلا
عن الجمهور وانما اخذ المواثيق على الانبيا ليعلموا انه
المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم مع بقايهم على النبوة
والرسالة ولذا لما اثنى على ربه في المعراج قال ابراهيم بهذا
فضلكم محمد وفي اخذ المواثيق خبر مقدم وهي في معنى
الاستحلاف بحا مهملة اي طلب اليمين قال ذلك لان الميثاق
لغة العهد ولذلك دخلت لام جواب القسم في لتومنن به
ولتنصرنه وجواب الشرط محذوف ان جعلت ما بمعنى الشرط
وقري بفتح اللام اما على لما بكسرها وجعل ما مصدرية
فهو جواب القسم في واذ اخذ الله الخ لطيفة مبتدا موخر
وهي كانها ايمان البيعة التي توخذ للخلفا على الناس بالطاعة
ولعل ايمان الخلفا اخذت من هنا فانظر نظر تدبر وتامل
هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى
فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبيا اي مبعوث
اليهم لاخذ الميثاق عليهم بايمانهم به ان ادركوه والمراد بالنبوة
هنا الرسالة اي انه رسول الى جميع الانبيا اي اوحي اليه
بتبليغهم عن الله تعالى حتى لو اجتمع بواحد منهم في زمانه
كان مرسلا اليه مع بقايه على رسالته ونبوته ولهذا
ظهر ذلك في الاخرة اي كونه نبي الانبيا جميع الانبيا بالرفع بدل
من ذلك او بيان له تحت لوايه كما قال في احاديث وظهر في الدنيا
كذلك ليلة الاسرا صلى بهم اماما ولو اتفق مجيئه في زمن ادم
ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وباقي الانبيا والمرسلين وجب
عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم

نبوته عليه السلام عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل لهم
في حياتهم وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك
الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه
وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وهو ذاته صلى الله
عليه وسلم من حيث انها قابلة للرسالة بان يوحى اليها وتوقفه
على اهلية الفاعل وهو من امر بالتبليغ لانه يفعل ما امر به
من تبليغ ما امر به وبامره ونهيه وهي ذاته فيطلق عليها محلا
وفاعلا باعتبارين فههنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من
جهة ذاته الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر
المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك
ولهذا يأتي عيسى في اخر الزمان على شريعته اي نبينا بمعنى
انه مامور بالعمل بها لكونه مامورا باتباعه وهو نبي كريم على
حاله لا كما يظن بعض الناس انه يأتي واحدا من هذه الامة
ليس متصفا بنبوته وحذف هذه الصفة تادبا قال السيوطي
وشبه هذا الظن تخيله ذهاب صفة النبوة منه وهو فاسد
لانه لا يذهب ابدا ولا بعد موته نعم هو واحد من هذه الامة
لما قلنا من اتباعه للنبي وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم بالقران والسنة واخذه لها من النبي صلى الله عليه وسلم
بلا واسطة لانه اجتمع به غير مرة فلا مانع انه تلقى منه احكام
شريعته المخالفة لشرع الانجيل لعلمه بانه ينزل في امته ويحكم
فيهم بشرعه والى هذا اشار جماعة من العلما او يتلقاها عنه
اذا نزل لانه يجتمع به في الارض كما صرح به في احاديث فلا مانع
ان ياخذ عنه ما احتاج اليه من احكام شرعه ذكره السيوطي وتقدم
له مزيد في خصايص الامة وكلما فيهما من امر ونهي فهو
متعلق به كما يتعلق بساير الامة من حيث كونه مامورا بهما
كغيره وفي نسخة لا كما يتعلق بلا النافية اي لا تعلقه به قطعي
من حيث انه اذا اجتهد في اخذ شي منهما كان قطعيا مطابقا
للواقع بخلاف اخذ غيره من الامة فظني قد لا يصيب فيه وهو
نبي كريم على حاله لم ينقص منه شي اذ النبوة لا تذهب بالموت
فكيف بمن هو حي وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم
في زمانه او في زمان موسى وابراهيم ونوح وادم كانوا
مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبي صلى الله
عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم
واشمل واعظم لكونها للانبيا والامم جميعا بخلاف غيره فكل الى
امته وتتفق مع شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف كما قال

تعالى

تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك
وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث والانبيا اولاد علات
امهاتهم شتى ودينهم واحد رواه الشيخان وعلات بفتح المهملة
وشد اللام وفوقية اي ضراير من رجل واحد وتتقدم شريعته
فيما عساه يختلف او يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على
سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص
بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الاوقات
بالنسبة الى اولئك الامم ما جاءت به انبياوهم وفي هذا
الوقت بالنسبة الى هذه الامة هذه الشريعة التي اجابها
اليه عليه السلام والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات
كعادم الما لمرض او سفر فرضه التيمم واعترض بان النصوص
العقلية والنقلية ناطقان بخلافه كقوله تعالى انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وما في معناها
من الايات والانبيا مع تعظيمهم له ومحبتهم ليسوا مكلفين
باحكام شرعه والا لم يكونوا اصحاب شرع فالمحبة والتعظيم
معنى والتعبد بشرعه معنى اخر ولا عبرة بظن بها امرا واحدا
وقوله ليومنن به دون شرعه مما دعليه فما نحى اليه السبكي والمحشي
هو ومن بعده لا وجه له عند من له ادنى بصيرة نقاده وكيف
يتاتى ما قاله مع قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه
وقد طلب موسى ان يكون من امته فاجابه الله بقوله
استعجلت واستاخرت ولكن ساجمع بينك وبينه في دار
الجلال انتهى وتعسفه لا يخفى فان قوله ذلك من جملة مدخول
لو في قوله لو بعث في زمان عيسى او موسى الخ فسقط جميع
ما قاله ومن اقوى تعسفه قوله ليسوا مكلفين باحكام شرعه
فانه لم يدع تكليفهم به بل ان شرايعهم على تقدير وجوده
في ازمانهم شرع له فيهم ولهذا بان ظهر واتضح لنا معنى
حديثين كان خفيا اي بعد ادراكهما عنا احدهما قوله صلى
الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه
الى يوم القيامة فبان انه جميع الناس اولهم واخرهم والثاني
قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد
رواه احمد والبخاري في التاريخ وابو نعيم وغيرهم كنا نظن انه
بالعلم فبان انه زايد على ذلك على ما شرحناه يعني بقوله
او لانه قد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فقد
يكون قوله كنت نبيا اشارة الى روحه او حقيقة من الحقايق

والحقايق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن
امده بنور الهي ويوتي الله كل حقيقة منها ما يشا في الوقت
الذي يشا فحقيقته صلى الله عليه وسلم قد تكون من حين خلق
ادم اتاها ذلك الوصف بان يكون خلقها متهيئة لذلك وافاضه
عليها من ذلك الوقت فصار نبيا فحقيقته موجودة من ذلك
الوقت وان تاخر جسده المتصف بها الى ان قال فقد علم ان
من فسره بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان
علمه محيط بجميع الاشيا ووصفه صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك
الوقت ينبغي ان يفهم منه امر ثابت له في ذلك الوقت وقبله فلا بد
من خصوصية له لاجلها اخبر بهذا الخبر ليعرف قدره عند الله
انتهى وانما يفترق الحال بعد بين ما بعد وجود جسده الشريف
وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم
وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك
وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل
وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فههنا التعليق انما هو
بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع
الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا
كما يوكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل
صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل
التوقف اي توقف التصرف الاظهر في التعبير بقوله والتصرف متوقف
على وجود الكفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح
في صحة الوكالة واهلية التوكيل وهذا المثال ظاهر في حديثه
بعثت الى الناس كافة انتهى كلام السبكي في رسالته وهو نحو ورقتين
كما ذكر المص سوابسوا ممن كتب على قوله وا لاوقات الى هنا انتهى
كلام السبكي لم نقف على رسالته فرجم بالغيب والله اعلم النوع
الثالث في بيان ما يدل على وصفه تعالى له صلى الله عليه وسلم
بالشهادة على وحدانية الله وغيرها مما ياتي في انا ارسلناك شاهدا
وشهادته تعالى له بالرسالة اي اخباره بذلك فالشهادة غير قاطع
كما في القاموس وغيره قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم
واسماعيل عليهما السلام اي ما وقع منهما من الالفاظ الحادثة
المنزلة على المصطفى وايجادها متاخر عن بعثته فلا يرد ان
كلامه تعالى قديم سابق على قولهما فكيف يكون حكاية لما قالاه
عند تمام بنا البيت اذ الدعا انما كان بعد ان فرغا من دعائه
الحرام اي الكعبة واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل
ربنا تقبل منا انك انت السميع للقول العليم بالفعل ربنا

واجعلنا

واجعلنا مسلمين منقادين لك واجعل من ذريتنا اولادنا
امة جماعة مسلمة لك ومن للتبعيض واتى به لتقدم قوله لا ينال
عهدي الظالمين وارنا علمنا مناسكنا شرايع عبادتنا وحجنا
وتب علينا انك انت التواب الرحيم سالاه التوبة مع عصمتهما
تواضعا وتعليما لذريتهما ربنا وابعث فيهم اي اهل البيت
رسولا منهم من انفسهم يتلوا عليهم اياتك القران ويعلمهم الكتاب
القران والحكمة ما فيه من الاحكام ويزكيهم يطهرهم من الشرك انك
انت العزيز الغالب الحكيم في صنعه فاستجاب الله دعاهما
بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا وبعث في اهل مكة رسولا منهم
بهذه الصفة من ولد اسماعيل الذي دعا مع ابيه ابراهيم
عليهما السلام بهذا الدعا افادت المبتدي بالدعا ابراهيم
فوافقه اسماعيل فلهذا اخص ابراهيم في الخبر الاتي لكونه
المبتدي به وزعم ان الدعا كان من ابراهيم وضم اليه اسمعيل
لمشاركته له في الدعا بتامينه عليه او غيره فاسد لان
التامين من خصوصية هذه الامة كما مر في الخصايص
قال صلى الله عليه وسلم واعطيت امين ولم يعطها احد ممن كان
قبلكم الا ان يكون الله اعطاها نبيه هارون فان موسى كان
يدعو الله ويومن هارون رواه ابن مردويه وغيره فان
قلت من اين علم ان الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم
فالجواب من وجوه ثلاثة احدها اجماع المفسرين وهو حجة
قوية الثاني قوله عليه السلام في حديث اخرجه الطيالسي
والحارث والديلمي وابن عساكر انا دعوة ابي ابراهيم اي
صاحب دعوته اذ لا يصح الاخبار بالمصدر وبشارة اخي
عيسى وفي رواية ابن عساكر وكان اخر من بشر بي عيسى بن مريم
وفايدة اخبار المصطفى بذلك بعد علمه ثبوته ووقوعه مقدرا
له ذلك في الازل التنويه بشرفه وكونه مطلوب الوجود تاليا
للايات معلما للكتاب والحكمة مطهرا للناس من الشرك
معروفا عند جميع الانبيا قالوا ليس مراده التبري بل الحكاية
عن كل العلما واراد بالدعوة هذه الاية وخصه لانه المبتدي كما
مر وبشارة عيسى هي هكذا في النسخ الصحيحة خبر بشارة وفي
نسخة سقيمة وهي بزيادة واو ولا يحسن عطف بشارة على قوله
هذه الاية لان المعنى عليه يصير حاصله اراد ببشارة عيسى
بشارة عيسى ولا يخفى ما فيه ما ذكر في سورة الصف من قوله
تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد سماه به
لانه مسمى به في الانجيل ولانه ابلغ من محمد بشر عيسى قومه

منهم

بذلك ليومنوا به عند مجيئه او ليكون معجزة لعيسى عند ظهوره
الثالث ان ابراهيم انما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين
كانوا بها وما حولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة من
ذريته ابراهيم واسماعيل الا محمدا صلى الله عليه وسلم فتعين
انه المراد وقد امتن وفي نسخة من وهما بمعنى انعم لمطلقا
او على من لا يطلب ويكون بمعنى بعد اذ النعم على المومنين
ببعث النبي منهم على هذه الصفة فقال لقد من انعم
الله على المومنين ولا يجد المن الا من الله تعالى لانه يمنه بذكر
العبد نعمته على الشكر فيثيبه ومن الخلق فقبيح مطلقا
ولذا قال لنبيه ولا تمنن تستكثر فالمن حرام عليه مكروه لغيره
وقيل بحرمته ايضا اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من جنسهم
يعرفون حاله وانه ما قرا ولا درس وقد جاء العلم دفعة
فقص سير الاولين والاخرين على ما هي عليه فيعلم العاقل
انه امر خارق من عند الخالق كل ذلك ابلاغ في ظهور
حجته ووضوح معجزته فكيف يليق ان يجعل المقتضي مانعا
فيلحدون ويجحدون قاله ابن المنير في تفسيره يتلو عليهم
اياته القران ويزكيهم يطهرهم من الذنوب ويعلمهم الكتاب
القران الاية با لنصب اي اقراوا ذكر فليس لله تعالى منة على
المومنين اعظم من ارسال محمد صلى الله عليه وسلم يهدى الى
الحق الاسلام او العقايد والى طريق مستقيم من الشرايع وانما
كانت النعمة على هذه الامة بارساله اعظم النعم لان النعمة به
صلى الله عليه وسلم تمت به مصالح الدنيا والاخرة وكمل بسببها
دين الله تعالى احكامه وفرايضه الذي رضيه اختاره لعباده كما
قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الاسلام دينا وقوله من انفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز
عليهم بالوحي لا ملك ولا عجمي وقري في الشواذ من انفسهم يعني
بفتح الفا يعني من اشرافهم واذا كان من اشرافهم كان منهم
ضرورة لانهم من بني هاشم وبنو هاشم افضل قريش وقريش
افضل العرب والعرب افضل من غيرهم وقد مر تفاصيل ذلك
في المقصد الاول وكذا قري لقد جاكم رسول من انفسكم بفتح الفا
كما مر ايضا ثم قيل لفظ المومنين عام ومعناه خاص في العرب
لان المراد المومنون منهم وفي الطرفية تسمح اذ التخصيص انما
هو بكون المومنين من العرب لا بكون المومنين فيهم ولو من
غيرهم ويمكن تعلق في العرب بمقدر كالدليل لكون معناه خاصا
اي وانما كان مخصوصا بالعرب لان بعثه فيهم ويحتمل تعلقه

بمعناه

بمعناه تجوزا لا حقيقة اذ العموم والخصوص من عوارض
الفاظ دون المعنى لانه ليس حي من احيا العرب الا وقد ولده
بفتحات اي له عليه ولادة اما بكونه جده او جدا وفي البغوي
قيل اراد العرب لانه ليس حي منهم الا وله فيهم نسب الا بني تغلب
دليله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقيل اراد جميع
المومنين ومعنى قوله من انفسهم بالايمان وخص المومنين
بالذكر مع ان نعمة البعثة عامة لانهم المنتفعون به اكثر فالنعمة
عليهم اعظم فلا ينافي قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فان قلت هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب
شرط في صحة الايمان وهو من فروض الكفاية على الابوين
مثلا فاذا علم احدهما ولده المميز ذلك سقط طلبه عن الاخر
اجاب الشيخ ولي الدين احمد بن عبد الرحيم العراقي الحافظ
ابن الحافظ انه شرط في صحة الايمان فلو قال شخص او من
برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق لكن لا ادري
هل هو من البشر او من الملايكة او من الجن او لا ادري
اهو من العرب او العجم فلا شك في كفره لتكذيبه القران
كقوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقال تعالى
ولا اقول اني ملك وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف
وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعلم في ذلك
خلافا فلو كان غبيا بمعجمة فموحدة جاهلا قليل الفطنة لا يعرف ذلك
وجب تعليمه اياه فان جحده اي المعلوم بالضرورة بعد ذلك حكمنا
بكفره لان انكاره كفر اما انكار ما ليس ضروريا فليس كفرا ولو
بجحده بعد التعليم على ما اقتضاه شرح البهجة شيخ الاسلام
زكريا انتهى جواب الولي وتعقبه بعض شراح مسلم بقول
الحليمي في منهاجه الايمان به صلى الله عليه وسلم الى التصديق
بانه رسول الى الانس والجن الى قيام الساعة يتضمن الايمان
بجميع الانبيا والمرسلين فلذا اكتفي به في المقارنة للايمان بالله
تعالى ومن امن به صلى الله عليه وسلم وقال لا ادري اكان بشرا
ام ملكا ام جنيا لم يضره ذلك ان كان ممن لم يسمع شيا من اخباره
سوى انه رسول الله كما لو لم يعلم انه كان شابا او شيخا مكيا او عراقيا
عربيا او عجميا لان شيا من ذلك لا ينافي الرسالة لامكان اجتماعها
بخلاف ما لو قال امنت بالله ولا ادري اجسم هو ام لا لان الجسم
لا يمكن ان يكون الها فتبين بذلك ان معرفته صلى الله عليه وسلم
ليست شرطا في صحة ابتدا الايمان وانما هي واجبة بعد ذلك لاجل
ان لا يقع في شي مما ينقص مقامه الشريف فلينا مل انتهى فان

قلت هل هو عليه السلام باق على رسالته الى الان بعد الموت
الى الابد اجاب ابو المعين ميمون بن محمد ابن
سعيد بن مكحول النسفي الحنفي صاحب التبصرة في علم
الكلام والتمهيد لقواعد التوحيد وغيرها وهو غير صاحب
الكنز عبد الله ابن احمد وغير صاحب التفسير عمر بن محمد
وغير صاحب العقائد البرهان محمد بن محمد وكلهم حنفيون
من نسف بفتح النون والمهملة وبالفاء مدينة بما ورا النهر بان
الاشعري قال انه عليه الصلاة والسلام الان في حكم الرسالة
وحكم الشي يقوم مقام اصل الشي الا ترى ان العدة تنزل
على ما كان من احكام النكاح انتهى قضيته ان وصفه بانه رسول
انقطع بموته لكن بقي حكمها نزل منزلة بقائها فهي باقية حكما
لا حقيقة وقال غيره ان النبوة والرسالة باقية كل منهما وحدها
ولاتحادها في صفة الايجاب فكانهما شي واحد وبنا على اتحادها
فلا يرد ان الاولى للمطابقة باقيتان بعد موته عليه السلام
حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمومن بعد موته لان
المتصف بالنبوة والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية
لا تتغير بموت البدن باجماع انتهى وتعقب هذا التعليل
بان الانبيا احيا في قبورهم كما صرحت به الاحاديث
فوصف النبوة باق للجسد والروح معا اي الاتصاف بالنبوة
مع الرسالة وان انقطع العمل بشرايعهم سوى شريعة نبينا صلى
الله [illegible] عليهم وقال القشيري كلام الله تعالى النفسي الازلي
لا الفاظ الدال عليه لمن اصطفاه ارسلتك او بلغ عني وكلامه
تعالى قديم فهو عليه السلام قبل ان يوجد كان رسولا بقوله
ارسلتك او بلغ عني وفي حال كونه اي وجوده خارجا بعد
تكوينه وايجاده رسولا وان تاخر الامر بالتبليغ الى بعد الوحي
وتقدم تقريبه بان من اقر لولده الصغير بشي يصح ان يقال
اعطاه ذلك الشي مع ان الصبي في هذا الحال ليس اهلا للتصرف
وفي صحته وفي حال موته وعليها يكون ساكتا عن حال وجوده
للعلم به والى الابد رسولا لبقا الكلام وقدمه واستحالة البطلان
على الارسال الذي هو كلام الله تعالى وهذا ظاهر على ما هو
الراجح من ان كلامه تعالى الازلي يتنوع حقيقة الى امر ونهي وخبر
واستخبار وغير ذلك ونقل السبكي في طبقاته عن ابن فورك
بضم فسكون انه عليه السلام حي في قبره رسول الله ابد الاباد
اي في جميع الازمنة الصادق بما بعد موته الى قيام الساعة على الحقيقة
لا المجاز لحياته في قبره يصلي فيه باذان واقامة قال ابن عقيل

الحنبلي

الحنبلي ويضاجع ازواجه ويستمتع بهن اكمل من الدنيا وحلف
على ذلك وهو ظاهر ولا مانع منه وقال تعالى هو الذي بعث
في الاميين رسولا منهم نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم
اياته القران ويزكيهم يطهرهم من الشرك ويعلمهم الكتاب القران
والحكمة ما فيه من الاحكام وان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف
اي وانهم كانوا من قبل قبل مجيئه لفي ضلال مبين بين والمراد
بالاميين العرب سموا بذلك لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقراون
وكانت الكتابة معدومة فيهم الا نادرا لا حكم له ثم اطلق
على من كتب منهم ومن لم يكتب تغليبا والامي هو الذي
لا يكتب ولا يقرا الخط وان قرا ما حفظها لسماع من غيره
وقيل الذي لا يقرا ولا يكتب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة
وعظمها حيث كانوا لا كتاب لهم وليس عندهم شي من اثار
النبوة لا يرد انه كان عندهم بقايا من شرع ابراهيم كالحج
والغسل من الجنابة لانهم لما اشتغلوا عنها بعبادة الاصنام
وغيروا البقايا عن وجهها كانها لم تكن عندهم كما كان عند اهل
الكتاب بقايا فلذلك فمن الله عليهم بهذا الرسول وبهذا
الكتاب حتى صاروا افضل الامم اي الذين امنوا منهم وفي كونه
عليه السلام منهم فايدة ان احدا هذا الرسول كان
ايضا اميا كامته المبعوث اليهم لم يقرا كتابا قط ولم يخطه
يكتبه بيمينه كما قال تعالى وما كنت تتلو تقرا من قبله اي
الكتاب المذكور في قوله وكذلك انزلنا اليك الكتاب اي القران
ولا تخطه بيمينك الجارحة التي تكتب بها وذكرها زيادة تصوير
لما نفى عنه من الكتابة ولا خرج عن ديار قومه عطف على
قوله لم يقرا اي خروجا يقتضي تعلم شي من غيره كما افاده قوله
فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم فلا يرد خروجه مع عمه وفي
تجارة خديجة لانه لم يقم فيهما اقامة تقتضي التعلم منهم بل لم
يزل اميا بين امة طايفة امية لا تقرا ولا تكتب كيوم ولدته
امهاته على جبلتها ويظرف من قال

من عجيب الاشيا اي امر ، عمي خالي وابي ابي لا يكتب

لا يكتب ولا يقرا حتى بلغ الاربعين من عمره ثم جا بعد ذلك
اي احضر وظهر وبعث بهذا الكتاب المبين اسم فاعل
من ابان بمعنى البين الواضح او بمعنى المظهر للشرايع وما فيها
والموضح لها وهذه الشريعة الباهرة الغالبة الفاضلة على
غيرها من الشرايع وهذا الدين القيم هو ابلغ من المستقيم
باعتبار الوزن لانه صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام

والمستقيم ابلغ باعتبار صيغته الدالة على الطلب فكانه
تقسم الذي يطلب تقوامه الذي اعترف حذاق الارض وبطارقها
انه لم يقرع اي يصل العالم ناموس رسول صاحب سر يبلغهم ما جاء
به عن الله اعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه وامتنان
وثنا عظيم **الفائدة** الثانية التنبيه على ان المبعوث
منهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه
وصدقه وامانته وعفته وانه نشا بينهم معروفا بذلك وانه
لم يكذب قط فكيف كان يدع اي يترك الكذب على الناس ثم
يفتري بقول الكذب على الله عز وجل من تلقا نفسه هذا
هو الباطل والاستفهام انكاري ولهذا سال هرقل بكسر
الها وفتح الرا واسكان القاف على المشهور لا ينصرف للعلمية
والعجمة وحكى الجوهري وغيره سكون الرا وكسر القاف عن
هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة
والرسالة فقال سالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب
فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسالتك هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا فقد اعرف انه لم يكن
ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله الى ان قال وسالتك
بما يامركم فذكرت انه يامركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامركم بالصلاة والصدق والعفاف
فان كان ما يقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد قال
الله خطابا له خطاب شفقة وتسلية قد نعلم انه ليحزنك
الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون واستشكل ظاهره لان كذب القول يستلزم كذب قائله
الا ان يكون ناقلا غير ملتزم للصحة والنبي صلى الله عليه وسلم
انما ذكره على انه حق من عند الله واجيب بان المراد
ليس قصدهم تكذيبك لانك عندهم موسوم بالصدق وانما يقصدون
تكذيبي والجحود باياتي اولا يعتقدونك كاذبا وانما ينسبون الكذب
لما جئت به عنادا اولا يقولون عادتك الكذب لكنا منكر النبوة
فلا يلزم ان يكون كذابا او انك غير متعمد للكذب بل تخيلت
امرا باطلا فالتكذيب المنفي بالنسبة لا فتعاله وتعمده فلا يكون
عيبا قيل وهذا احسن التاويلات وقيل لا يخصونك بالتكذيب
وقيل لا يكذبونك في السر ونقل بن الجوزي عن قتادة لا يكذبونك
بحجة بل بهتانا وعنادا وقال عياض ففي هذه الاية منزع لطيف
الماخذ من تسليته تعالى له صلى الله عليه وسلم والطافه
في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين

له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وكانوا يسمونه قبل النبوة
الامين فدفع عنه بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب
ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فحاشاه من الوصم
وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون
ممن علم الشي ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا انتهى ويروى ان رجلا هو الحارث بن عامر بن نوفل
كما عند النسائي عن ابن عباس وروى ابن جرير من طريق العوفي
عن ابن عباس ان اناسا من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ان نتبعك نتخطف الناس فنزلت وقالوا ان نتبع الهدى الاية
فلعل الحارث هو المبتدي قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك
ولكنا ان نتبعك نتخطف من ارضنا رواه ابو صالح مشهور بكنيته
واسمه ميزان البصري مقبول من اواسط التابعين خرج له
الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مقاتل كان الحارث
ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف ووقع في الانوار تسمية ابيه
عثمان وهو خلاف الروايات انه عامر يكذب النبي صلى الله
عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من
اهل الكذب ووقع في الانوار انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا
العرب وانما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم
بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا وروي ان المشركين كانوا اذا راوه عليه
السلام قالوا انه لنبي ويتعللون بالانفة عن اتباعه حتى لا يكونوا
تابعين ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وروى
الترمذي والحاكم عن علي قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به وفي نسخة مصححة من
الشفا ما جيت بدون الباء نزل الله تعالى الاية لفظ روايتهما
فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون والمعنى انهم ينكرونه مع العلم بصحته اذ الجحد لغة كما
صرح به الجوهري والمجد وغيرهما هو الانكار مع العلم فهو محض
عناد وبغي فان قلت فما الجمع بين هذا فانهم لا يكذبونك وبين
قوله تعالى تلو هذه الاية ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فان
مفادها انهم كذبوا لانها تسلية له اذ قوله فصبروا على ما كذبوا حتى
اتاهم نصرنا ومعناه فاصبر كما صبروا حتى ياتيك نصرنا باهلاك
من كذبك كما كذب الرسل من قبلك ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك
من نبا المرسلين اي ما فيه تسلية لك قيل كان الاولى المعارضة
بقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك لصراحتها

قوله نزلت هذه الآية ظاهره ان الحارث ... ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا

في التكذيب دون هذه ورده شيخنا تقريرها بان ما سلكه المصم
اولي لان هذه الاية صرح بلها بالقضية الشرطية فلا تستلزم هي
التكذيب بالفعل بخلاف ولقد كذبت تستلزمه اجيب بانه
اي التكذيب الصادر منهم على طريقة الجحد لعلمهم بصدقه
وكذبوه عنادا واستكبارا عن الاتباع فهم مصدقون في نفس
الامر وان كذبوا ظاهرا وهو يختلف باختلاف احوالهم
في الجهل فمنهم من وقع منه ذلك لجهله لا جحدا فحيث علم
امن ومنهم من علم وانكر كفرا وعنادا كابي جهل فيكون
المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم وهم
الذين كذبوا جهلا ثم امنوا والمكذبون عنادا وهم مصدقون
باطنا لا كلهم وحينئذ لا تعارض بين الايتين وفي الشفا من
قرا لا يكذبونك بالتخفيف معناه لا يجدونك كاذبا وقال
الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على
كذبك ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى
الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك انتهى ومرله مزيد وروي ان
ابا جهل لقيه النبي صلى الله عليه وسلم فجاج مكة فصافحه
فقيل له اتصافحه وانت تعاديه فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن
متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الاية فانهم لا يكذبونك
والجمع بين هذا وحديث علي انه صافحه وقال له انا لا نكذبك الخ
وقال لسابله والله اني الخ رواه ابن ابي حاتم ونقل البغوي
وغيره عن السدي قال التقى الاخنس بن شريف واسلم بعد ذلك
وابو جهل فقال يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب
فانه ليس هنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان
محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللوا
والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش
فانزل الله هذه الاية وفي الشفا يروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني
قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله هذه الاية
قال السيوطي لم اجد هذا والقران كله مملو بالايات الدالة على
صدق هذا الرسول الكريم وتحقيق رسالته ثبوتها وكيف
استفهام انكاري على من ينسب الكذب للنبي اي لا يليق
بكمال الله تعالى ان يقر من يكذب عليه اعظم الكذب
مع قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ويخبر عنه بخلاف
ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويقويه ويعلي
كلمته ويرفع شانه امره ويجيب دعوته اي جنسها ويهلك

عدوه ويظهر على يديه من الايات والبراهين والادلة
الفاظ متفقا ربة ما يضعف عنه قوى البشر وهو مع ذلك كاذب
عليه مفتر ساع في الارض بالفساد ومعلوم ان شهادته
اطلاعه سبحانه على كل شي كما قال وهو على كل شي شهيد
وقدرته على كل شي وحكمته وعزمه وكماله المقدس المطهر
عما لا يليق به يابى ذلك كل الاباء اشد الامتناع ومن ظن
ذلك او جوزه عليه فهو من ابعد الخلق عن معرفته ان
عرف منه بعض صفاته كصفة القدرة وصفة المشية اي ان
جميع الناس يدركون كثيرا من صفاته ويقرون بها ومن حق
من عرف شيا منها ان يعترف بما ظهر له من الادلة باتصافه
صلى الله عليه وسلم بجميع صفات الكمال اللايقة بالانبيا
والقران كله مملو من هذه الطريق وهذه طريقة الخاصة
بل خاصة الخاصة الذين يستدلون بالله اي بذاته وصفاته
على افعاله وما يليق به ان يفعله وما لا يفعله وليس الحكم
مقصورا على الذات من غير اعتبار صفة زايدة عليها كما
تقول المعتزلة واذا تدبرت القران اي تاملت معانيه وتبصرت
ما فيه وايته ينادي على ذلك ويبديه ويعيده لمن له فهم
وقلب واع عن الله تعالى يتفكر به في حقايقه فالمتضح بالقران
المتاهل لامره ونهيه هو الجامع بين الحفظ والفهم واتعاب
النفس في تامل الفاظه ومعانيه قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل بان قال عنا ما لم نقله لاخذنا لنلنا
منه عقابا باليمين بالقوة والقدرة ثم لقطعنا منه الوتين
نياط القلب وهو عرق متصل به اذا انقطع مات صاحبه فما
منكم من احد هو اسم ما ومن زايدة لتاكيد النفي ومنكم حال
من احد وهو في الاصل نعت له فلما قدم عليه اعرب حالا عنه
حاجزين مانعين خبر ما وجمع لان احدا في سياق النفي بمعنى
الجمع وضمير عنه للنبي اي لا مانع لنا عنه من حيث العقاب
افتراه سبحانه يخبران كماله وحكمته وقدرته تابى ان
يقر من تقول عليه بعض الاقاويل ثم يقر من يكذب عليه
بل لا بد ان يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته
عادته في المتقولين عليه فذلك دليل على صدقه صلى
الله عليه وسلم وقال تعالى ام بمعنى بل يقولون افترى على
الله كذبا بنسبة القران الى الله فان يشا الله يختم على قلبك
ههنا انتهى جواب الشرط وهو فان يشا الله والقصد به
كما في البيضاوي استبعاد الافترا عن مثله بالاشعار

انه انما يجتري من كان محتوما على قلبه جاهلا بربه واما من كان
ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشا الله ختم لانك تجتري
بالافترا عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القران والوحي عنه او
يربط عليه بالصبر عليه فلا يشق عليه اذاهم انتهى ثم اخبر خبرا
جازما غير معلق انه يمحوا الباطل ويحق الحق بكلماته
انه عليم بذات الصدور فهو كما في البيضاوي استيناف لنفي الافترا
عما يقول بانه لو كان مفتري لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل
واثبات الحق بوحيه او بقضائه لا مرد له وقال تعالى وما
قدروا الله حق قدره او ما عظموه حق عظمته او ما عرفوه
حق معرفته اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه
في القران ما انزل الله على بشر من شي قال ابن عباس قايل
ذلك اليهود وقال مجاهد مشركوا قريش وقال السدي فنحاص
اليهودي وقال سعيد بن جبير مالك بن الصيف اخرجها ابن ابي
حاتم فاخبر ان من نفى عنه الارسال والكلام لم يقدره حق
قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما يستحق اي الرحمة والانعام
على العباد فان الوحي والبعث من عظايم رحمته وجلايل
نعمته او ما قدروه في السخط على الكفار وشدة البطش بهم
حين جسروا على هذه المقالة فكيف من ظن انه ينصر الكاذب
المفتري عليه ويؤيده ويظهر على يديه الايات والادلة
وهذا اي تعظيمه صلى الله عليه وسلم بالايات الدالة على كماله
في القران كثير وذلك لانه يستدل بزيادة السبب والثنا اي يدل
تعالى خلقه بكماله المقدس واوصافه وجلاله على صدق
رسوله فيما جا به وعلى وعده ووعيده مثلا قوله تعالى يا ايها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم دل بكونه خالقا للناس منعما عليهم
بجعل الارض فراشا والسما بنا اي على ان من قدر على ابتدا هذه
الاحوال لا يعجز عن بعثهم بعد فنا اجسادهم ومن لازم ذلك
صدق الرسول في اخباره عن الله بالبعث والاعادة ويدعو عباده
الى ذلك اي تصديقه فيما جا به عليه السلام والاشارة راجعة
للصدق بتقدير مضاف اي الى اعتقاد صدق رسوله وقال تعالى
لمن طلب اية تدل على صدق رسوله مثل ناقة صالح وعصى موسى
ومايدة عيسى وهم الذين قالوا لولا انزل عليه اية من ربه فرد عليهم
بقوله قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم فيما
طلبوا انا انزلنا عليك الكتاب القران يتلى عليهم فهو اية مستمرة
لا انقضا لها بخلاف ما ذكر من الايات ان في ذلك الكتاب
لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى عظة لقوم يؤمنون لمن همه الايمان

دون

دون التعنت وروى ابن جرير وابن ابي حاتم والدارمي عن يحيى
ابن جعدة قال جا ناس من المسلمين بكتب قد كتبوها فيها بعض
ما سمعوه من اليهود فقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بقوم
ضلالا ان يرغبوا عما جا به نبيهم اليهم الى ما جا به غيره الى
غيرهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا الاية قل كفى بالله بيني
وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغ ما ارسلت
به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم
ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين امنوا بالباطل
وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان فاخبر سبحانه ان
الكتاب الذي انزله يكفي من ايه بدل كل اية لا انقضا بها بخلافه
ففيه الحجة والدلالة على انه من الله تعالى وان الله سبحانه
ارسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة
وينجيه من العذاب بقوله ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون
قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض
فاذا كان سبحانه عالما بجميع الاشيا المعبر عنها بما في السموات والارض
كانت شهادته اعظم شهادة واعدلها فانها شهادة بعلم تام
محيط بالمشهود به بخلاف شهادة غيره فليس لها هذا الوصف
اذ قد يخفى عليه ما يمنعه من هذه الشهادة بما شاهده لو علمه
وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته فهذا حكمة قوله
يعلم ما في السموات والارض بعد قوله شهيدا مع انه مقطوع
محقق الحصول عند كل احد ويذكر قدرته وملكه عند مجازاته
لافادته انه لا يعجزه شي وحكمته عند خلقه وامره ورحمته
عند ذكر ارسال رسله وحلمه عند ذنوب عباده تنبيها لهم
على التوبة وان لا يقنطوا فتامل ورود اسمايه الحسنى في كتابه
وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب يظهر لك من
اسرارها العجب العجاب وحاصله ان من عادته تعالى اذا ذكر
امرا تقصر عن ادراكه العقول ذكر انه انما اخبر عنه بعلم تام
وقدرة كاملة فليس اخباره عن شي كاخبار بعض البشر عما
شاهده لانه قد يخفى عليه ما يمنعه الشهادة لو علمه او من
المجازاة عليه وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه بتيسيره اطلق له لانه من اسبابه وقيده
اشارة الى انه امر صعب لا يتاتى الا بمعونته تعالى قاله البيضاوي
وغيره وقال العز بن عبد السلام في مجاز القران اذنه مشيئته
وارادته لان الغالب في الاذن انه لا يفتح الا بمشيئته واعتبار الملازمة

حالي م

الغالبة مصحح المجاز او نا مرا لتكوين فان الامر ملازمه مشية الامر
غالبا وقال بن عباس في قوله تعالى فهزموهم باذن الله بامره وقوله
كن وهو من مجاز التمثيل شبه سهولة الاشيا في قدرته بسهولة
هذه الكلمة على الناطق بها تفهيما لسرعة نفوذ مشيته وقدرته
فيما يريده ويعبر بالاذن عن التيسير والتسهيل كقوله تعالى
والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه اي بتيسيره وتسهيله
اذ لا يحسن ان يقال دعونه باذني ولا قمت ولا قعدت باذني ولذا
قال الزمخشري يجوز ان يراد بالاذن هنا الامر اي يدعوكم الى الجنة
والمغفرة باذنه اياكم بطاعته وكلاهما من مجاز الملازمة انتهى
وسراجا احوال مقدرة **منيرا** قال عياض جمع الله له في هذه الاية
ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا
على امته بابلاغهم الرسالة وهي من خصايصه ومبشرا لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى الله باذنه الى
توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدي به الى الحق وقال
ابن عطية هذه ارجى اية في القران لانه امر بتبشير المومنين
بالفضل الكبير وقد فسره في اية اخرى والذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم ما يشاوون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير **اي شاهدا**
على الوحدانية اي اتصافه تعالى بانه واحد احد لا شريك له
في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله ولم يعبد الشهادة فشملت
الشهادة بها في الدنيا والاخرة وفي البيضاوي شاهدا على
من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم
وكذا تقدم عن عياض فجعلا ذلك صلة الشهادة وجعل
صلة داعيا الى الاقرار بالله وتوحيده وما يجب الايمان به
من صفاته وهو خلاف ما ذكرالمم **وشاهدا في الدنيا باحوال**
الاخرة اي بما يكون فيها ذاتا او صفة **من الجنة والنار والميزان**
والصراط وشاهدا في الاخرة باحوال الدنيا وذلك بان تشهد
للمطيع **بالطاعة** وعلى العاصي **بالمعصية** فهو بيان للمراد بالشهادة
والصلاح الواقع من المطيع **والفساد** من العاصي وعلمه
صلى الله عليه وسلم بذلك لان اعمال امته تعرض عليه كما ثبت
في الحديث واستشكل مع حديث الصحيح لتذادن رجال عن حوضي
كما يذاد البعير الضال اناديهم الاهلم فيقال انهم بدلوا وغيروا
بعدك فاقول سحقا سحقا وفي رواية انك لا تدري ما احدثوا
بعدك واجيب بانها انما تعرض عليه عرضا مجملا
فيقال له عملت امتك شرا عملت امتك خيرا وانها تعرض عليه دون
تعيين عاملها قاله الابي **وشاهدا على الخلق يوم القيامة** بابلاغ

انبابهم

انبابهم وتزكية امته **كما قال تعالى** وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهدا على الناس **ويكون الرسول عليكم شهيدا**
روى احمد والبخاري والترمذي والنسايي وابن ماجة عن ابي
سعيد مرفوعا يجي نوح وامته فيقول الله هل بلغت فيقول
نعم اي رب فيقول لامته هل بلغكم فيقولون لا ما جانا من نبي
فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته وهو قوله
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس
والوسط العدل فيدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم اشهد
عليكم وروى احمد والنسايي وابن ماجة عن ابي سعيد رفعه
يجي النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان
ويجي النبي ومعه الثلاثة واكثر من ذلك فيقال له هل بلغت
قومك فيقول نعم فيدعي قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا
فيقولون لا فيقال له من يشهد لك فيقول محمد وامته
فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال وما
علمكم فيقولون جانبينا فاخبرنا ان الرسل قد بلغوا وصدقناه
فذلك قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا قال البيضاوي وهذه الشهادة
وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المومن على امته
عدي بعلى وقدمت الصلة لكد لالة على اختصاصهم بكون
الرسول شهيدا عليهم وطالبهم بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة
على المنكرين انتهى ولا ظهار فضل هذه الامة على روس
الاشهاد وقال ابو الحسن القابسي ان الله فضل نبينا
وفضل امته بهذه الاية وفي قوله وفي هذا ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهدا على الناس وكذلك قوله فكيف
اذا جينا من كل امة بشهيد الاية **كانه تعالى يقول يا ايها**
المشرف بالقابا لنبوة **من قبلنا انا ارسلناك شاهدا** لهذه
بوحدانيتنا ومشاهدا لكمال فرد انيتنا تخبر عبادنا عنا
ويحذرهم **مخالفة امرنا وتعلمهم مواضع الخوف منا** وهي المعاصي
وداعيا الخلق الينا اي الى ما يجب الينا **وسراجا بستضاء بك**
من ظلمات الجهل ويقتبس من نورك انوار البصاير **وشمسا يسطع**
شعاعك على جميع من صدقك وامن بك ولا يصل الينا الا من
اتبعك وخدمك وقدمك على جميع الخلق بان علم كمالك الذي
تتميز به على غيرك واذعن له **فبشر** يا ايها المشرف من قبلنا المومنين
بفضلنا انعامنا عاجلا واجلا **وطولنا** اي احساننا **عليهم** بترك
عقابهم فتغاير العطف لكن يصير **واحساننا لديهم** تفسيرما

علیهم

وفي نسخة فسره بضمير عايد على لفظ من وحذفه اولى ولما
كان الله تعالى قد جعله عليه السلام شاهدا على الوحدانية
والشاهد لا يكون مدعيا لان المدعي من يقول شيا على خلاف
الظاهر والوحدانية اظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه
وسلم كان ادعى النبوة قبل نزول هذه الاية حيث اخبر ان الله
بعثه ولم يعترف بها قبل الدعوة فانه بخلاف ظاهر حاله قبل
فجعل جواب لما ادخل الفا الله تعالى نفسه شاهدا له في مجازات
كونه شاهدا له فقال سبحانه والله يشهد التلاوة يعلم انك لرسوله
ولا يصح ان يشهد تفسير ليعلم لان علم الشي لا يستلزم الشهادة
به لكن في القاموس شهد الله انه لا اله الا هو اي علم الله او
قال او كتبه ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين كفروا قيل هم
روسا اليهود لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد
عليها ومن عنده علم مرتفع بالظرف لاعتماده على الموصول
او مبتدا والظرف خبره الكتاب القران وما الف عليه من النظم
المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه قال سعيد بن جبير
هو جبريل وقال عكرمة هو عبد الله بن سلام رواهما ابن
ابي حاتم وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقال قتادة
كنا نتحدث ان منهم ابن سلام وسلمان الفارسي وتميما الداري
اخرجهما ابن جرير وقيل المراد علم اللوح المحفوظ وهو الله قال
الطيبي فيلزم عطف الشي على نفسه فاول الزمخشري وغيره
اسم الذات بما يعطيه من معنى استحقاق العبادة لكونه
جامعا لمعاني الاسما فقال اي وكفى بالذي يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب
منا ويويده قراة من قرا ومن عنده بالكسر خبر والمبتدا علم
قال الازهري لا يكون الها حتى يكون معبودا وخالقا ورازقا
ومدبرا فاتى بالموصول ليتوافق المعطوف والمعطوف عليه
فاستشهد على رسالته بشهادة الله له وامره بقول ذلك اذ لا يجحد
باطنا وكذلك قوله تعالى حين قالت قريش يا محمد لقد سالنا
عنك اهل الكتاب فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا
ما يشهد لك انك رسول الله فنزلت على ما قال الكلبي وتبعه
البغوي وغيره واخرج ابن اسحاق وابن جرير عن ابن عباس
ان ثلاثة من اليهود جاوا فقالوا يا محمد ما تعلم مع الله الها
غيره فقال لا اله الا الله بذلك بعثت والى ذلك ادعو فانزل
الله في قولهم قل اي شي اي موجود اكبر شهادة تمييز محول عن

المبتدا

المبتدا قل الله شهيد بيني وبينكم على صدقي فهو الجواب لانه
تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شي شهادة قال الطيبي فهو
من الاسلوب الحكيم يعني فشهادته معلومة لا كلام فيها وانما
الكلام في انه شاهد لي عليكم مبين لدعواي واذا ثبت انه
شهيد له لزم ان اكبر شي شهادة شهيد له ونحوه قول التفتازاني انه
كانه قيل معلوم ان الله هو الاكبر شهادة ولكن الانسب بالمقام
هو الاخبار بان الله شهيد لي لينتج مع قولنا الله اكبر شهادة
ان الاكبر شهادة شهيد لي قال ابو حيان هذا الوجه ارجح
مما قدمه الزمخشري ان المعنى قل الله اكبر شهادة ثم ابتدا شهيد
اي هو لان فيه اضمارا ولا واحدا والاول لا اضمار فيه مع صحة
معناه وقوله تعالى روى ابن اسحاق عن ابن عباس دخل جماعة
من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني والله اعلم
انكم تعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله لكن
الله يشهد يبين نبوتك بما انزل اليك من القران المعجز انزله
ملتبسا بعلمه اي عالما به او فيه علمه والملائكة يشهدون ايضا لك
وكفى بالله شهيدا على ذلك قال البيضاوي استدراك عن مفهوم
ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السما
واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون
ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما
انزل اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روى ابن جرير
عن ابن عباس لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك
فنزلت وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله فلا يضرك قول
المنافقين ذلك بالسنتهم مخالفا لما في قلوبهم وقوله محمد رسول الله
جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد
خبر محذوف او مبتدا والذين معه معطوف عليه وخبرهما
اشداء على الكفار رحماء بينهم كما في الانوار فهذا كله منه تعالى
شهادة لرسوله قد اظهرها وبينها وبين صحتها غاية البيان
بحيث قطع العذر بسكون الذال وبضم للاتباع اي منع الاشيا التي
يكون سببا لطلب ما يزيل اللوم عن الفاعل بينه وبين عباده
واقام الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله صلى الله عليه وسلم
وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه
ولاجله ودين الحق الاسلام ليظهره ليعليه على جنس
الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او تسليط
المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه
تاكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على انما وعده كاين

اوعلي ثبوته باظهار المعجزات اوعلي انك مرسل كما قال محمد رسول الله
فيظهر ظهورين ظهورا بالحجة والبيان بحيث لا يستطيع
المعاند ردها بل يجادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والافترا
والمباهتة والرضا بالدسه كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما
تدعونا اليه وغير ذلك وظهورا بالنصر والعلبة والتابيد حتى
يظهر على مخالفيه ويكون منصورا كما قال هو الذي ايدك
بنصره لينصرك الله نصرا عزيزا ومن شهادته تعالى ابضاما اودعه
في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت
والطمانينة بكلامه سبحانه وخبره الي انبيائه فان الله تعالى
فطر خلق القلوب مشتملة على قبول الحق والانقياد له
والطمانينة والسكون اليه ومحبته وفطرها على اعاذ العامل
تنبيها علي ان كلا من قبول الحق وبغض الكذب والباطل مقصود
بالذات والنفور عنه وعدم السكون اليه ولو بقيت الفطرة
بالكسر الخلقة على حالها لما اثرت قدمت على الحق سواه
ولما سكنت اطمانت الا اليه ولا اطمانت الا به ولا احبت
غيره ولهذا ندب دعا الحق سبحانه الى تدبر القران فان كل
من تدبره اوجب له علما ضروريا ويقينا جازما انه حق
بل احق كل حق واصدق كل صدق قال تعالى افلا يتدبرون
القران يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا
على المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف
لها امر وقيل ام منقطعة والهمزة للتقرير وذكر قلوب لان المراد
قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او
لفرط جهلها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة
على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة
وقرئ اقفالها على المصدر قاله البيضاوي فلو رفعت الاقفال
عن القلوب لباشرتها حقايق القران واستنارت فيها مصابيح
الايمان وعلمت علما ضروريا كسائر الامور الوجدانية
يكتسوا كوا كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقا
وبلغه رسوله جبريل الي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا
الشاهد في القلب من اعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج
السالكين للعلامة ابن القيم في شرح منازل السايرين لشيخ الاسلام
الهروي وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا حال من الضمير في اليكم قال المحقق لما حكى ما في الكتابين
من نعوته صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم
لسعادة الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة

بهم بل شاملة لكل من تبعهم كاينا من كان ببيان عموم رسالته
للثقلين مع اختصاص ساير الرسل باقوامهم وارسال موسى
الي فرعون وملايه بالايات التسع انما كان لامرهم بعبادة
رب العالمين وترك العظمة التي كان يدعيها الطاغية وتقبلها
منه الفية الباغية وبارسال بني اسرايل من الاسر والقسر والعمل
باحكام التوراة مختص ببني اسرايل انتهى ففي هذه الاية دلالة
على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الثقلين الانس
والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض ولرزانة رايهم وقدرهم
اولانهما متثقلان بالتكليف ووجه الدلالة ان الناس وان
غلب استعماله في الانس لكنه اسم للانس والجن لانه مشتق من
ناس ينوس اذا تحرك فيطلق عليهما وبهما فسر في صدور الناس
وقالت العيسوية من اليهود وهم اتباع عيسى المنقول لغير ابي عيسى
الاصفهاني زاد في نسخة النصراني ولا ينافيها قوله اولا من اليهود
لجواز انه كان نصرانيا ثم تهود فتبعته تلك الطايفة ان محمدا صادق
مبعوث الى العرب غير مبعوث الى بني اسرايل ودليلنا
الى ابطال قولهم هذه الاية لان قوله يا ايها الناس خطاب
عام يتناول كل الناس العرب وبني اسرايل وغيرهم فتخصيصه
بالعرب من اين ثم قال يا امر الله تعالى قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع
الناس اقتضا ظاهرا لا سيما مع قوله جميعا فهو قريب من
الصريح وايضا دليل ثان في الرد على ~~قولهم~~ العيسوية فلانا
نعلم بالتواتر انه كان يدعى اي يذكر انه مبعوث الى الثقلين
فاما ان نقول انه كان رسولا حقا او ما كان كذلك من ارخا
العنان للخصم للزوم الحجة له فان كان رسولا حقا كما اعترفت
به ايها الخصم امتنع الكذب عليه لاستحالته على الرسول ووجب
الجزم بكونه صادقا في كل ما يدعيه ومنهم انه رسول الى بني اسرايل
كما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الاية لم نقل بصريحها لاحتمال
ان ال فيه للجنس ولكن بمعونة وبعده التاكيد بقوله جميعا
انه كان يدعى انه مبعوث الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا
وذلك يبطل قول من يقول انه كان مبعوثا الى العرب فقط
لا الى بني اسرايل وغير بعيد لان الادعا قول يخالف الظاهر
كما قدمه وهذا وان طابق الواقع بحسب نفس الامر لكنه
مخالف للظاهر فلذا اتى بالادلة والبراهين لاثبات رسالته
واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا من الناس من يقول انه عام دخله التخصيص ومنهم

من انكره لكن اما الاولون فترك عدّ بلاد ما لظهوره اي واما
المنكرون فقالوا هو باق على عمومه والتكليف ووصول
خبر الرسالة ليس شرطا في الرسالة وانما هو شرط في المؤاخذة
بما بلغه فقالوا دخله التخصيص من وجهين الاول ان رسول
الله الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين لا مجانين وصبيانا
فاذا لم يكونوا من جملة المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك
لانه عليه السلام قال كما رواه احمد وابو داود والنسائي
وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن علي وعمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن ثلاثة كناية عن عدم
التكليف لانه يلزم منه الكتابة وعبر برفع اشعارا بان التكليف
لازم لبني ادم لا ينفك عنهم الا عن ثلاثة عن الصبي الطفل
ولو مراهقا حتى يبلغ وفي رواية يكبر وفي اخرى حتى يشب
واخرى حتى يحتلم قال السبكي ليس في رواية حتى يكبر وحتى
يبلغ من البيان ما في رواية حتى يحتلم فالتمسك بها لبيانها
اولى لان حتى يبلغ مطلق وحتى يحتلم مقيد فيحمل عليه
فان الاحتلام بلوغ قطعا وعدم بلوغ السن ليس ببلوغ
قطعا وعن النائم حتى يستيقظ من نومه وعن المجنون
زاد في رواية المغلوب على عقله حتى يفيق وفي رواية حتى يبرأ
اي المبتلى بداء الجنون قال ابن حبان والمراد برفع القلم
ترك كتابة الشر عليهم دون الخير قال الزين العراقي وهو
ظاهر في الصبي دون المجنون والنائم لانهما في حيز من ليس
قابلا لصحة العبادة منهم لزوال الشعور فالمرفوع عن الصبي
قلم المؤاخذة لا قلم الثواب لقوله صلى الله عليه وسلم للمرأة
لما سألته الهذا حج قال نعم واختلف في تصرف الصبي
فصححه ابو حنيفة ومالك باذن وليه مراعاة للتمييز وابطله
الشافعي مراعاة للتكليف والثاني ان رسول الله الى كل
من وصله خبر وجوده وخبر معجزاته وشرائعه حتى
يمكنه عند ذلك متابعته اما لو قدرنا قد يشعر لعدم
وجوده والمصرح به في الفروع والاصول خلافه حصول قوم
في طرف من اطراف الارض لم يبلغهم خبره وخبر معجزاته
وشرائعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا يكونون
مكلفين بالاقرار بنبوته ويكونون من الناجين في الاخرة
لعذرهم بعدم بلوغ الدعوة ولكن لا يصلى عليهم لانه انما
يصلى على المحقق اسلامه ولا يجوز لعنهم لانهم لعدم تكذيبهم
في معنى المسلم كما قال الغزالي انه التحقيق لا مسلم كما عبر به

حتى م

بعض

بعض او على الفطرة كما عبر به اخر واختار السبكي التعبير
بناج وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال والذي نفسي بيده نحو اقسم تقوية للحكم لا يسمع بي
احد من هذه الامة الذي وجد فيهم الى قيام الساعة
ولا يهودي ولا نصراني عطف خاص على عام لافادة بعثته
ومات ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار
الخالدين فيها رواه مسلم واحمد ومفهومه ان من لم يسمع
به ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور فيكون ناجيا على
ما تقرر في الاصول انه لا حكم قبل الشرع على الصحيح لقوله
تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها
غافلون ثم اختلف هل نجاة من لم تبلغه الدعوة ودخول
الجنة غير متوقفة على الامتحان او متوقفة عليه لورود
احاديث كثيرة بانهم يمتحنون يوم القيمة يبعث رسول
اليهم ان ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما
ومن لم يدخلها سحب اليها وفي هذا الحديث نسخ الملل
كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لجعله من لم يؤمن
برسالته من اهل النار وانما يكون كذلك بموته كافرا وكفره
يستدعي نسخ الشرع الذي هو يتمسك بها والله اعلم وقال
تعالى يا اهل الكتاب اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا
محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم الدين وحذف لظهوره او
ما كتمتم من الكتاب كاية الرجم وصفته صلى الله عليه وسلم
وحذفه لتقدم ذكره ويجوز انه لا يقدر مفعول على معنى
يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا
مبينا على فترة من الرسل متعلق بجاء اي على حين فتور من
الارسال وانقطاع من الوحي فيتعلق على فترة بجاءكم
تعلق الظرفية كقوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على
ملك سليمان وقيل انه حال من ضمير لكم ان تقولوا ما جاءنا من
بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فهو في موضع
المفعول له فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي
لا تعتذروا بما جاءنا بان تقولوا ذلك قاله الكشاف قال التفتازاني
اي بمحذوف تفصح عنه الفاء وتفيد بيان سببه كالتي تذكر
بعد الاوامر والنواهي بيانا لسبب الطلب لكن كمال حسنها
وفصاحتها ان تكون مبنية على التقدير مبنية على المحذوف
بخلاف قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وتكون مبنية
مبنى الفاء الفصيحة على الحذف اللازم بحيث لو ذكر لم يكن

بتلك الفصاحة تختلف العبارة في تقدير المحذوف فتارة امرا
او نهيا كما في هذه الآية وتارة شرطا كقوله فهذا
يوم البعث وتارة معطوفا عليه كقوله فانفجرت **والله على
كل شيء قدير** فيقدر على الارسال كما فعل بين موسى وعيسى
اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال
على الفترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
**خاطب الله تعالى اهل الكتاب من اليهود والنصارى
بانه قد ارسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي
بعده ولا رسول** بيان لخاتم النبيين **بل هو المعقب لجميعهم**
اي الجائي بعدهم **ولهذا قال تعالى على فترة من الرسل
اي من بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى ابن مريم**
والفترة لغة من فتر الشيء اذا سكنت حدته سميت المدة
التي بين الانبياء فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرائع
وقد اختلفوا في مدة مقدار هذه المدة فقال النهدي
بفتح النون واسكان الهاء ابو عثمان عبد الرحمن بن مل بلام
ثقيلة والميم مثلثة مشهور بكنيته من كبار التابعين مخضرم
ثقة عابد روى له الجميع مات سنة خمس وتسعين وقيل بعدها
وعاش بعد هامائة وثلاثين سنة وقيل اكثر **وقتادة** بن دعامة
الاكمه التابعي المشهور **في رواية عنه ستمائة سنة ورواه البخاري**
من حديث ابي عثمان النهدي **عن سلمان الفارسي** قال فترة
بين عيسى ومحمد ستمائة سنة قال الحافظ اي المدة التي لم يبعث
فيها رسول من الله ولا يمتنع ان يبعث فيها نبي يدعو الى شريعة
الرسول الاخير **وعن قتادة انها خمسمائة وستون سنة** اخرجه
عبد الرزاق عن معمر عنه لكن لم يقل وستون كما في الفتح قال وعن
الكلبي خمسمائة واربعون **وقال الضحاك اربعمائة سنة وبضع
وثلاثون سنة وعن الشعبي** عامر بن شراحيل **فيما ذكره ابن عساكر
عنه ستمائة سنة وثلاثة وثلاثون سنة قال الحافظ عماد
الدين ابن كثير والمشهور انها ستمائة سنة** خلافا لنقل ابن
الجوزي الاتفاق على ذلك فانه تعقب بوجود الخلاف الواقع
**قال وكانت هي الفترة بين عيسى بن مريم آخر انبياء بني
اسرائيل وبين محمد آخر** النبيين **من بني آدم على الاطلاق كما
في البخاري** في احاديث الانبياء وكذا مسلم كلاهما من **حديث ابي هريرة
مرفوعا** بلفظ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **انا اولى
الناس بابن مريم** وفي رواية للبخاري بعيسى ابن مريم في الدنيا
والآخرة ولفظ مسلم في الاولى والآخرة قال الحافظ اي اخصهم به

واقربهم

واقربهم اليه لانه بشر بانه يأتي من بعده فالاولوية من جهة قرب
العهد كما انه اولى الناس بابراهيم من جهة قوة الاقتداء زاد السيوطي
ولانه ابوه ودعا به واشبه الناس به خلقا وملة وقول الكرماني
التوفيق بين الحديث وبين قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي ان الحديث وارد في كونه صلى الله
عليه وسلم متبوعا والآية واردة في كونه تابعا رده الحافظ بان مساق
الحديث كمساق الآية فلا دليل على هذه التفرقة والحق انه لا منافاة
ليحتاج الى الجمع فهو اولى بكل منهما من جهة واسقط المصنف من هذه
الرواية عند البخاري ومسلم والانبياء اولاد علات **لانه ليس بيني
وبينه نبي** لم تقع لفظه لانه في الصحيحين ولذا قال السيوطي
ليس الخ بيان لجهة الاولوية وقال الحافظ قوله ليس بيني وبينه
نبي هذا اورده كالشاهد لقوله انه اقرب الناس اليه وتبع المصنف
في رواية لهما والانبياء اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد والعلات
بفتح المهملة الضرائر واصله ان من تزوج امرأة ثم اخرى كانه عل
منها بعد ما كان ناهلا من الاخرى والعلل الشرب بعد الشرب
واولاد العلات الاخوة من الاب وامهاتهم شتى فقوله امهاتهم الخ
من باب التفسير كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر
جزوعا واذا مسه الخير منوعا ومعنى الحديث ان اصل دينهم واحد
وهو التوحيد وان اختلف فروع الشرائع وقيل المراد ان ازمنتهم
مختلفة **وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال
له خالد بن سنان** العبسي **كما حكاه القاضي** عياض وفي نسخة القضاعي
وغيره وفي فتح الباري استدل به على انه لم يبعث بعد عيسى احد
الا نبينا صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لانه ورد ان الرسل الثلاثة
الذين ارسلوا الى اصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة يس
كانوا من اتباع عيسى وان جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين وكانا
بعد عيسى والجواب ان هذا الحديث يضعف ما ورد من ذلك فانه
صحيح بلا تردد وفي غيره مقال او المراد انه لم يبعث بعد عيسى نبي
بشريعة مستقلة وانما بعث بعده بتقرير شريعة عيسى **والمقصود
ان الله بعث محمدا على فترة من الرسل وطموس** مصدر طمس يجيء
ودرس **عن السبل** اي ذهاب الشرائع وعدم العلم بشيء منها
وتغير الاديان بتحريف ما يدل عليها وتبديلها **وكثرة عبادة الاوثان
والنيران والصلبان** جمع صليب للنصارى **فكانت النعمة به اتم
والنفع به اعم وفي حديث عند الامام احمد مرفوعا ان الله
نظر الى اهل الارض** نظر غضب **فمقتهم** ابغضهم اشد البغض
البغض لقبح ما ارتكبوه والمراد من هذا ونحوه غايته **عجمهم**

بفتحتين وفى لغة بضم فسكون خلاف العرب وعن بهم الابقايا
من بني اسرايل فلم يمقتهم لتمسكهم بالحق وفى لفظ مسلم من اهل
الكتاب بدل قوله من بنى اسرايل ومعناهما واحد وكان
الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم فهدي به الخلايق واخرجهم الله به من
الظلمات الكفر الى النور الايمان وتركهم على المحجة بفتح الميم البيضا
اي الطريقة الواضحة ببيانه لهم الحق من الباطل والشريعة الغرا صلوات
الله وسلامه عليه قال الامام الرازي كان العالم مملوا من الكفر
والضلال اما اليهود فكانوا فى المذاهب الباطلة من التشبيه
والافترا على الانبيا وتحريف التوراة واما النصارى فقالوا
بالتثليث والابن والاب والحلول والاتحاد واما المجوس
فاثبتوا الهين واما العرب فانهمكوا فى عبادة الاصنام والفساد
فى الارض فلما بعث صلى الله عليه وسلم انقلبت الدنيا من الباطل
الى الحق ومن الظلمة الى النور وانطلقت الالسن بتوحيد الله
فاستنارت العقول بمعرفة الله ورجع الخلق من حب الدنيا
الى حب المولى انتهى وقال تعالى لقد جاكم رسول من انفسكم
بضم الفا فى قراة الجمهور اي منكم وقري شاذ بفتح الفا وقال انا
انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى ابايي من لدن ادم سفاح كلنا
نكاح عزيز شديد عليه ما عنتم حريص عليكم ان يهتدوا
بالمومنين روف شديد الرحمة رحيم يريد لهم الخير والرافة مع
الرحمة حيث وقعت مقدمة لا للفاصلة كما قال البيضاوي
ومن تبعه لوقوعه كذلك فى غير الفواصل قال تعالى وجعلنا
فى قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة بل لان اصل معنى الرافة
التلطف والشفقة كما صرح به القرطبى فى شرح الاسما فقال
قال الله تعالى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه الاية حيث
ذكر الوصفات قدم الروف على الرحيم فى الذكر وسببه ان الرحمة
فى المشاهد انما تحصل بمعنى المرحوم من فاقته وضعفه
وحاجته والرافة تطلق عندنا على ما تحصل الرحمة من
شفقة على المرحوم وقال المشايخ الروف المتعطف والذي
جاد بلطفه ومن تقطعه انتهى اي عزيز عليه عنتكم اي اثمكم
بالشرك والمعاصي بيان للمراة بالعنت والا فهو لغة المشقة
والخطا قال الحسن البصري عزيز عليه ان تدخلوا النار من
عز اذا صعب وشق قال يعز علينا ان نفارق من نهوى حريص
عليكم ان تدخلوا الجنة والحرص فرط الشدة او الشح على الشي
ان يضيع والمراد هنا شدة الطلب لما نريده ونحبه ومن حرصه

صلى الله عليه وسلم علينا على الرفق بنا انه لم يخاطبنا بما يريد
ابلاغه الينا ويريد فهمنا اياه على قدر منزلته بان ياتى بالالفاظ
المتناهية فى البلاغة والغرابة خشية عدم فهمنا للمراد منها بل
على قدر منزلتنا بالالفاظ المتداولة بين الناس وان نزلت فى
الرتبة عن غيرها ليسهل فهمها علينا ويتضح المراد منها والى هذا
اشار صاحب البردة بقوله لم يمتحنا لم يبتلينا بما اي بخطاب
تعيي العقول اي تقصر عن فهمه لغموضه فلا يهتدي الى المراد
به حرصا علينا ان لا نضل فلم نرتب ولم نهم اي لم نتحير تفسير
لنرتب ولم نشك فيما القاه الينا بل تحققناه لسهولته وقال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الانس والجن وغيرهم ولا رحمة مع
التكليف بما لا يفهم بل هو عقاب ومن حرصه عليه السلام
على هدايتنا انه كان كثيرا ما يضرب به المثل بالمحسوس ليحصل
الفهم كقوله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير من ان يكون لك
حمر النعم وهذه سنة القران عادته المستمرة ان الله لا يستحيى
ان يضرب مثلا ما ومن يتبع الكتاب والسنة راي من ذلك العجب
العجاب البالغ فيما يتعجب منه لاشتماله على الاشيا البالغة
فى زيادة البيان والايضاح والرفق بالمومنين ولما ساوي
سبحانه بين الناس مومنهم وكافرهم فى حرص رسوله عليه السلام
على اسلامهم خص المومنين برافته ورحمته لهم المستفاد من
التقديم كانه قيل بالمومنين لا بغيرهم وقال من انفسكم ولم
يقل من ازواجكم فقيل تحتمل ان يكون مراده على مغايرة
النفس للروح انه منا بجسده المنفس بالتشديد للمبالغة
اي المكرم ولرعايته لا بروحه المقدس المطهر وان كان اصل المنفس
بالتخفيف ويرحم الله القايل اذا رمت قصدت مدح المصطفى
شغفا ولوعا به ومحبة له تبلد من البلادة عدم الذكا والفطنة
اي انكسرت حده ذهني ويردعن الاوصاف اللايقة بمقامه وفى
نسخة تبدد اي تفرق هيبة لمقامه لاني ارى الاوصاف قاصرة عنه
فيعلوني الخجل عن ارادة مدحه فاقطع ليلي ساهر الجفن اى
ضده مطرقا بكسر الراو فتحها هوى بالقصر اي ميلا فيه
احلى من لذيذ نومه منامه اذ السهر فى هوي المحبوب الذ اذا قال
فيه الله جل جلاله روف رحيم وهما من اسمايه فى سياق كلامه
ومعنى اذا الظرفية المجردة لا الشرط لان القول محقق من الله
فلا يليق جعله مستقبلا ويجوز ان اذ امنون اي لاجل هذا
فمن ذا يجاريه ياتى بما يشابه الوحي بثنايه على المصطفى
نثرا ونظما والوحي معجز بمختلفيه بالفا متعلق بيجاري

نثره ونظامه اي نظمه والمعنى ان الوحي معجز للكلام نثرا كان
او نظما فلا يمكن مشابهته لاحد تنبيه ايقاظ وتبيين واما
قول القاضي عياض بعد ذكره الاية لقد جاءكم في الشفا بما لفظه
اعلم الله تعالى المومنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس
على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم
رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه
وامانته ولا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم
وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولادة او قرابة وكونه من انفسهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح
ثم وصفه بعد اي بعد الاعلام المذكور باوصاف حميدة اي محمودة
عند الله والناس او حامدة على التجوز في النسبة واثنى عليه
بمحامد جمع محمدة كثيرة والثناء بها لا يغاير الوصف بصفات
حميدة ولا يعاب مثله في مقام الخطابة مع انه لما كانت اوصاف
جمع قلة عقبه بجمع الكثرة دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر
الاية والثاني صفا تضمنته مما لا يحصى من حرصه بيان لما قبله
من الاوصاف وما بعده اي من فرط شدته على هدايتهم اي
دلالتهم والمراد طلب تاثيرها لا مجردها ورشدهم اي صلاحهم
ظاهرا وباطنا ليغاير الهداية كما يقتضيه ظاهر العطف فلا يفسر
بضد الغي لانه الهداية واسلامهم مغاير لما قبله فلذا عطف بالواو
وجعل ذلك متعلق الحرص لدلالة السياق عليه ولقوله ان تحرص
على هداهم فالقران يفسر بعضه بعضا والحرص لا يتعلق بالذوات
فان قيل لم قدم عياض هذه الصفة وهي حريص عليكم مع
تاخرها في الاية اجيب بانه لما كانت العزة منشا الحرص قدمت
في الاية على وفق الواقع لبيان حاله في ابتداء امره فلما حكاه
عياض بيانا للمحامد قدم المقصود بالذات الذي هو الحمد ولان
المقام مقام مدح وهو في الحرص اتم واكمل وسياقا لانه للامتنان
وهو كونه يعز عليه حالهم فاشار الى تفاوت المقامين ولا يرد
ان المنة في الحرص اتم لان مسلك الاية على الترقي وما هنا علاوة
للتفنن وشدة ما يعنتهم روي بسكون العين وخفة النون
من الاعنات قال تعالى ولو شاء الله لاعنتكم وروي بفتح العين
وتثقيل النون وهما لغتان اعنت وعنت بمعنى المشقة والوقوع
فيها وتجي بمعنى الاثم والفساد والهلاك ويضرهم بفتح اليا
وضم الضاد وروي بضم اليا وكسر الضاد مضارع اضر لانه يقال
ضره واضر به ومعناهما اوقعه في الضرر في دنياهم واخراهم
الدنيا تقال في مقابل اخرة واخرى كما عبر به وعزته عليه

عطف تفسير على شدة كقوله انما اشكو بثي وحزني وكان المناسب
لعطف التفسير تاخير الاشهر لا الاظهر فيقول عزته وشدته
لكنه عكس للمبادرة للمراد حتى يسلم السامع من عنت الانتظار
ولا حاجة لجعل الشدة غير العزة للتنازع في عليه فان التفسير
لا ينافي التنازع وبقية كلام عياض ورافته ورحمته بمومنيهم
تنبيه وان كان المقصد منه صحيحا ففي ظاهره شي لانه يوهم
ان قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر الذي
هو الحرص بيان للمصدر ومتعلقه قوله على هدايتهم فيكون
مخفوضا به فيصير المعنى من حرصه على شدة ما تعنتهم
وهذا فاسد ومما يقوي هذا التوهم قوة اعطا الكلام
ان الضمير الاول من قوله وعزته عليه عايد على النبي صلى
الله عليه وسلم والضمير الثاني عايد على الله تعالى فلا يبقى
الشدة الا ان تكون معطوفة على متعلق المصدر اي قوله على
هدايتهم ولا يخفى ما في هذا من الفساد الموهم خلاف المراد
وقد تاوله بعض الفضلا على حذف مضاف مجرور معطوف على
الحرص المجرور بمن اي وكراهة شدة ما يعنتهم ونحو ذلك من
المضاف فان المصحح للمراد قال في النسيم لا حاجة الى تقدير لان
معنى شدته عليه انه صعب شاق عليه فيراد به انه مكروه تاباه
نفسه فالمعنى من حرصه على هدايتهم ومن كراهته لما يضرهم
وصاحب المواهب لم يخف عليه العطف ولكن اوقعه التقدير
فيما وقع فيه انتهى وكانه لم ير بقية الكلام وهو قوله والاولى او
من تاويله على حذف مضاف او الصواب على ابقائه على ظاهره
ان شا الله تعالى ان تكون الشدة على نفس المصدر الذي
هو الحرص وكان هذا اولى من تقدير المضاف لما فيه من الاحتياج
لتقدير الاصل عدمه ويكون قوله وعزته معطوفا
على وشدة والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما في قوله
ما يعنتهم اي الذي والهاء التالية في عليه عايدة على النبي صلى
الله عليه وسلم انتهى والمعنى وصفه واثنى عليه بمحامد من
شدة الذي يعنتهم وعزة الذي يعنتهم على المصطفى وقال
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز ان يكون قوله
رحمة مفعولا له اي لاجل الرحمة والعالمين متعلق به الا لترحم
بك العالمين بهدايتك اياهم لسعادة الدارين وفي الصحيح قيل
يا رسول الله ادع على المشركين فقال اني لم ابعث لعانا انما بعثت
رحمة ويجوز ان ينصب على الحال من الكاف مبالغة في ان جعله
نفس الرحمة واما على حذف مضاف اي ذا رحمة وليس للعالمين

متعلق بواي الا لترحم بك العالمين بهدايتك اياهم لسعادة الدارين
وفي الصحيح قيل يا رسول الله ادع على المشركين فقال اني لم ابعث
لعانا انما بعثت رحمة بارسلناك لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها
الا في الاستثنا المفرغ نحو ما مررت الا بزيد والمعنى الا لارحم
العالمين بالبنا للفاعل لا للمفعول كما زعم **او بمعنى راحم** اسم
فاعل **قاله السمين** الشيخ شهاب الدين احمد بن يوسف بن عبد
الدايم الحلبي النحوي نزيل القاهرة مات سنة ست وخمسين
وسبعماية له اعراب القران وايضا تفسير كبير في عدة اجزا **قال**
ابو بكر بن طاهر بن مفوز بن احمد بن مفوز المعافري الشاطبي
كما جزم به البرهان الحلبي في المقتفى والشمني وغيرها **فيما حكاه**
القاضي عياض في الشفا **زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم**
بزينة الرحمة استعارة مكنية بجعلها كالحلة والخلعة البهية
والزينة ما يتزين به لباسا وغيره واضافتها للرحمة بيانية او من
اضافة الاعم للاخص كلجين الما وقيل الزينة هنا اللباس اي
البسه الله رحمة رحمانية شاملة له وفيه اشارة الى انها منة
من الله بها عليه غير الجبلة البشرية **فكان كونه** اي وجوده فهي
تامة لا خبر لها وتقدير من ربنا فيه **رحمة** خبر فكان والفا فيه
للتفسير والتفصيل **وجميع شمايله** جمع شمال بالكسر قال الازهري
الشمال خلقة الرجل اي خلقه وجمعه شمايل ورجل كريم الشمايل
اي في اخلاقه ومخالطته انتهى فعطف **وصفاته رحمة** عام على
خاص ان لم تخصص الصفات بالظاهرة والشمايل بخلافها
وقال شراح الشفا صفاته تشمل غضبه وظاهر مراه لانه
لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح وهو
رحمة في ذاته واما مراه الحسن فانه لمحبته والتصديق به الا
ترى ان عبد الله بن سلام لما راه امن به وقال لما رايت وجهه
عرفت انه ليس بوجه كذاب **فمن اصابه شي من رحمته** اي اهتدى
بهدايته لان من لم يهتد كمن لم تصبه الرحمة كما ان من شرب الما
ولم يرو كانه لم يشرب **فهو الناجي** اي السالم **في الدارين** الدنيا
والاخرة **من كل مكروه** يصيب من لم يهتد في الدنيا كقتل وسبي
واخذ جزية وفي الاخرة العذاب المخلد واما اسقام الدنيا
والامها التي تصيب المومن فلا تعد مكروهة بعد العلم بما
فيها من تكفير السيات ونيل الحسنات **والواصل فيهما الى كل**
محبوب اما في الاخرة فغني عن البيان واما في الدنيا فان كان
ذا غنى ونعمة فظاهر والا فالمومن العاقل اذا صبر وقام
بوظايف العبودية في دنيا سريعة الزوال كان ما صابه من

المكروه

المكروه لانضاله للنعم الاخروية محبوبا عنده **انتهى** كلام
ابن طاهر **وقال ابن عباس رحمة للبر** اي المومن **والفاجر** اي
الكافر **لان كل نبي ممن سبق اذا كذب** بشد الذال مبني
للمجهول **اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم**
اخر من كذبه الى الموت او الى القيامة فتاخير عذاب الدنيا
عنهم بنحو الاستيصال والخسف والمسخ والعذاب النازل
من السماء رحمة فلا يرد عليه من قتل من الكفار في غزوات
المصطفى **واما من صدقه** اي امن به **فله الرحمة في الدنيا**
والاخرة وان عذاب العاصي فماله للجنة مع خفة عذابه على
الكفار بمراحل بل لا مشابهة وعن ابن عباس ايضا عند الطبري
وغيره هو رحمة للمومنين والكافرين اذ اعرفوا مما اصاب
غيرهم من الامم المكذبة **وقال ابو الليث السمرقندي** نصر
ابن محمد بن احمد بن ابراهيم الفقيه الحنفي الامام المشهور له التصانيف
كالتفسير والنوازل وخزانة الفقه وتنبيه الغافلين والبستان
توفي سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة منسوب الى سمرقند مدينة
بفارس بما ورا النهر قال التلمساني المصحح في النسخ بفتح السين
والرا وسكون الميم والمعروف فتح الميم وسكون الرا وتبع قول
المجد اسكان الميم وفتح الرا لحن وفيه نظر وهو معرب سمركند
وسمر اسم رجل وكند بمعنى قرية **رحمة للعالمين يعني للجن والانس**
تفسير للاية بجنس العقلا من الثقلين بقرينة جمع المذكر السالم
وان كان جمع عالم وهو كل ما يعلم به الصانع من العقلا وغيرهم
فالمفرد اعم من جمعه تخصص ثم جمع بجعله صفة او ملحقا بها لانه
فاعل بالفتح اسم اله كالخاتم والقالب وقيل غلب العقلا او جعل
اسما لذي العلم من الثقلين او منهما والملك او الانس وقيل لجميع
الخلق مقابل لما اختاره قال الشريف الجرجاني يطلق على كل
جنس وعلى مجموعها واذا عرف بلام الاستغراق شمل كل فرد
من جنس كالاقاويل فمن فسره بجميع الخلق فعلى الاصل ومن
فسره بالانس والجن فعلى بعض الوجوه او خصه لانه صلى
الله عليه وسلم مبعوث اليهما ومن فسره بالمومن والكافر
اراد انه يشملهما لا ان معناه ذلك انتهى واخذ في بيان ما به
تكون الرحمة على مختاره فقال للمومنين بدل من العالمين
او متعلق بمقدر اي ارسله وعلى الاول وهو الظاهر هو
بيان لمختاره وعلى الثاني يصلح لهما وفي نسخة للمومن بالافراد
رحمة بالهداية الزايدة على هداية الايمان او لمن قدر ايمانه
ورحمة للمنافقين وفي نسخة للمنافق بالافراد على ارادة الجنس

بالامان من القتل مطلقا بخلاف الكافرفانما يامن بجزية او لعان
ورحمة للكافرين وفي نسخة بالافراد بتاخير العذاب لما بعد
الموت واما عذاب الدنيا بالقحط وغيره فلا يختص بطايفة او
المراد الاستيصال او المسخ والخسف والزنديق سوا دخل في
المنافق او الكافر فعذابه موخر ايضا فالظاهر اشتراكهما
فيه وتمييز المنافق باجرا احكام الاسلام عليه ظاهرا و نقل
اراد في كل قسم ذكر رحمة مخصوصة من غير تخصيص فذاته
عليه السلام رحمة تعم المومن والكافر كما قال تعالى وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم لان العذاب اذا نزل عم ولم يعذب
امة الا بعد خروج نبيها والمومنين منها قال عليه السلام
انما انا رحمة مهداة بضم الميم معطاة من الله بلا عوض رواه
الديلمي والبيهقي في الشعب للايمان من حديث ابي هريرة
ورواه الحاكم وصححه على شرطها واقره الذهبي ومن شرحه في الاسما
الشريفة وقال بعض العارفين الانبيا كلهم خلقوا من الرحمة
ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم عين الرحمة اعلاها واجلها ولقد
احسن القايل

غنيمة عمر الكون بهجة عيشه ❊ سرور حياة الروح فايدة الدهر
هو النعمة العظمى هو الرحمة التي ❊ تجلى بها الرحمن في السر والجهر

ومعنى البيتين ظاهر فنبيانه اي ظهوره وتبيينه عليه السلام
ونصحه رحمة اي كل واحد منهما ودعاوه واستغفاره كل منهما رحمة
سوا في حياته وبعد مماته كما قال صلى الله عليه وسلم حياتي خير
لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرايع
واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت
الله وما رايت منها سيا استغفرت الله لكم رواه البزار وغيره
بسند جيد فرفع ذلك من قبله بان امن به وان عاصيا وحرمه
من رده فلم يومن به نسال الله الثبات على الايمان فان قلت
كيف كان رحمة وقد جا بالسيف قال تعالى جاهد الكفار اي
بالسيف واستباحة الاموال الغنايم التي لم تحل لاحد قبله ومنه
استرقاق الذراري والنسا فالجواب من وجهين احدهما انما جا
بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر فعذابه انما جاء
من نفسه كعين جرت فانتفع بها قوم وكسل اخرون فهي رحمة لها
وهو صلى الله عليه وسلم لم يرد ضررا لاحد وقد اجتهد في نفع كل
احد وايصال تلك الرحمة اليه ولكن من يضلل الله فما له من هاد
ومن اوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة
ولا تنافي بين الوصفين فكذا لا تنافي بين بعثه بالسيف وكونه

رحمة وقال تعالى ونزلنا من السما ما مباركا كثير البركة والمنافع
ثم قد يكون سببا للفساد باهلاك الزرع وغيره والقصد انه
لا مانع من وصف الشي بالشي وضده لاختلاف من يقع عليه
الامران وثانيهما ان كل نبي من الانبيا قبل نبينا اذا كذبه قومه
اهلك الله المكذبين بالخسف كقارون والمسخ قردة كاصحاب
ايلة بدعا داود وخنازير كاصحاب المايدة بدعا عيسى قال
تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرايل على لسان داود وعيسى
ابن مريم الاية والغرق كقوم نوح وفرعون وقومه وبالريح
العاصف فيها حصبا كقوم لوط وبالصيحة كثمود قال تعالى فكلا
اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته
الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وقد
اخر الله عذاب من كذب نبينا الى الموت او الى يوم القيامة
فتاخيره رحمة لانه لم يجمع عليهم عذابين كالامم السابقة لا يقال
انه تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله بقتلهم بايديكم ويخزهم
اي يذلهم بالاسر والقهر وقال تعالى ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات لانا نقول لا تخصيص العام عليكم وهو
العالمين من رحمة للعالمين ببعض افراده وهو المنافق والمشرك
لا يقدح فيه لانه يكفي في عمومه صدقه على غير ما خصص به وفي
الشفا للقاضي عياض وحكي بالبنا للمجهول كما قال البرهان
انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شي
فيه اشارة الى انه مرحوم مقرب وانما السوال عن رحمة نالته
من رحمة المصطفى كما افاده اسم الاشارة قال نعم كنت اخشى
العاقبة اي سوها والمراد بالعاقبة السية بجعل التعريف للعهد
بقرينة الخشية فانها بمعنى الخوف وانما يكون في المكروه والعاقبة
ما يعقب الشي ويحصل منه خيرا كان او شرا فامنت بفتح الهمزة المقصورة
وكسر الميم الخفيفة مبني للفاعل من الامن ضد الخوف وضبطه
بضم الهمزة مبني للمفعول خلاف المشهور ثم ان كان بشد الميم
فظاهر وان كان بتخفيفها فركيك جدا لانه ان كان من ضد الخيانة
فلا يناسب المقام او من الامن فكذلك لان مفعوله الثاني من
المعاني لا الذوات فيحتاج لتقدير وحذف اي امنت سو عاقبتي
ولاد اعي له لثنا الله تعالى علي بقوله انه لقول رسول كريم ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين عند الله في علمه او في حكمه
وقضايه لان ثناه يقتضي رضاه وقبوله وهو لا يرضى ويقبل
الا من كان مرجوا مامونا فلما علم ذلك من القران الذي هو
رحمة نازلة بالمصطفى اطمان خاطره وامن سو الخاتمة انتهى نقل

عياض قال السيوطي ولم اجده مخرجا في شي من كتب الحديث وذكره
السمرقندي في تفسيره بلفظ وذكر انه النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل يقول الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فهل اصابك من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى عاقبة
الامر اي خاتمته فامنت بك لثنا الله تعالى علي في قوله ذي
قوة عند ذي العرش مكين ولا يعارض هذا ما روي ان
جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له رسول
الله ما يبكيك قال ومالي لا ابكي فوالله ما جفت لي عين منذ خلق
الله النار مخافة ان اعصيه فيقذفني فيها اخرجه احمد في الزهد
عن ابي عمران الجوني بلاغا واخرج ابو الشيخ عن عبد العزيز بن
ابي رواد قال نظر الله الى جبريل وميكائيل وهما يبكيان فقال
الله ما يبكيكما وقد علمتما اني لا اجور قالا يا رب انا لا نامن
مكرك قال هكذا فافعلا فانه لا يامن مكري الا كل خاسر لانه
كلما زاد القرب زاد الخوف فالمقرب لا يزال خائفا من مهابته و
لانه من عظمة الله تعالى قد يذهل عن الامان وهذا يقتضي
ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل وهو الذي عليه
الجمهور حكى الرازي عليه الاجماع وكذا ابن السبكي والبلقيني
والزركشي وقال انهم استثنوه من الخلاف في التفضيل بين
النبي والملك خلافا لمن زعم ان جبريل افضل وقد قال بعضهم
علما المغاربة جهل الزمخشري مذهبه فان المعتزلة مجمعون
على انه افضل من جبريل نعم قيل ان طايفة منهم خرقوا الاجماع
كالرماني فتبعهم الكشاف جهلا واستدل بان الله وصف جبريل
بسبعة اوصاف من اوصاف الكمال في قوله انه لقول رسول
كريم اي جامع لانواع الخير ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس
المراد كريم عند مرسله كما قيل به في انه لكتاب كريم وان اجيز هنا
للاستغنا عنه بعند ذي العرش ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي
واقتلاع المداين والجبال واهلاك صيحته كل من سمعها وهبوطه
الى الارض وصعوده في طرفة عين الى غير ذلك عند ذي العرش
صفة مستقلة عنده لانه عدها سبعا لا متعلقة لا بما قبله ولا
بما بعده والا فهي ستة وقد عدها الرازي ستة فعلقها بما
قبلها مكين اي متمكن المنزلة عنده رفيع المحل عنده مطاع
ثم اي في السما امين على الوحي ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم
بقوله وما صاحبكم بمجنون كما نهته الكفرة ولو كان محمد صلى
الله عليه وسلم مساويا لجبريل في صفات الفضل او مقاربا
له لكان وصف محمد بمثل ذلك قال البيضاوي وهو استدلال

ضعيف

ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر فيفترى على الله
كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما واجيب بانا
متفقون ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضايل اخرى القران طافح
بها ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ان تطيعوه تهتدوا
قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
الى غير ذلك سوى ما ذكر في هذه الاية وعدم ذكره تعالى لتلك
الفضايل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع لانه لم يقصد المفاضلة بينهما
واذا ثبت ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضايل اخرى زايدة على هذه
السبع التي تستدل بها اهل المعتزلة فيكون افضل من جبريل وهو
اجماع حتى من المعتزلة ايضا كما مر وبالجملة فافراد التخصيص بالوصف
لا يدل البتة بقطع النظر عن انتفا تلك الاوصاف عن الثاني
باتصافه بها بل هو موصوف بها ضرورة انه لا يصح نفيها عنه واذا ثبت
بالدليل القراني انه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملايكة
من جملة العالمين وجب ان يكون افضل منهم حتى جبريل والله
اعلم ولهذا ونحوه حذر جماعة من اكابر العلما كالسبكي من قراة
الكشاف وقال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم قال
الله تعالى اذهب الله بهذه الاية ما وقع في نفوس المنافقين
وغيرهم من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة دعيه
زيد بن حارثة لانهم كانوا استعظموا ان يتزوج زوجة ابنه
فنفى القران تلك البنوة واعلم انه عليه السلام ما كان ابا احد من
المعاصرين له حقيقة ولم يقصد بهذه الاية انه لم يكن له ولد فيحتاج
الى الاحتجاج في امر بنيه بانهم كانوا ماتوا ولا في الحسن والحسين الا
انهما ابنا ابنته ومن احتج بذلك تاول معنى البنوة على غير ما قصدها
ولكن رسول الله وقرى بالرفع اي هو وقرا عاصم وابو عمرو ونافع
بالنصب عطفا على ابا ولكن بالتخفيف وقرات فرقة لكن بالتشديد
ورسول اسمها والخبر محذوف وخاتم النبيين بكسر التا قراة الجمهور
بمعنى انه ختمهم اي جا اخرهم وقرا عاصم بفتح التا اي انهم ختموا
به فهو كالخاتم والطابع لهم وهذه الاية نص في انه لا نبي بعده
واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الاولى لان مقام
الرسالة اخص من مقام النبوة فانه كل رسول نبي ولا ينعكس
فليس كل نبي رسولا كما قدمنا ذلك في اسمايه الشريفة من المقصد
الثاني وبذلك وردت الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى
الامام احمد بن حنبل من حديث ابي بن كعب الانصاري الخزرجي
سيد القرا من فضلا الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي
مبتدا في النبيين متعلق به وفي حديث جابر ومثل الانبيا بالعطف

والخبر كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع
لبنة بفتح اللام وكسر الموحدة ونون وتجوز كسر اللام وسكون
الموحدة قطعة طين تعجن وتعد للبناء من غير أن تحرق فإن
حرقت فهي آجر فلم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان
ويتعجبون بفوقية بعد التحتية منه أي من حسنه وكماله ويقولون
وددنا لو تم موضع هذه اللبنة فلو للتمني فلا جواب لها
أو جوابها محذوف لعلمه من المذكور أي لتم حسنها وكمالها فأنا
في النبيين موضع تلك اللبنة وفي رواية أحمد عن أبي هريرة
ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك رواه الترمذي عن بندار
بضم الموحدة وإسكان النون ودال مهملة فألف فراء بلا نقط لقب
محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري أبي بكر ثقة روى عنه الأئمة
الستة وابن خزيمة وغيرهم مات سنة اثنين وخمسين ومائتين وله
خمس وثمانون سنة عن أبي عامر عبد الملك بن عمرو القيسي العقدي
بفتح المهملة والقاف ثقة مات سنة أربع أو خمس ومائتين روى له
الجميع وقال الترمذي حديث حسن صحيح عن أبي بن كعب وفي
حديث أنس بن مالك مرفوعا أن الرسالة والنبوة قد انقطعت
فلا رسول بعدي ولا نبي قبل ومن لا نبي بعده يكون أشفق على
أمته كالوالد ليس له غير ولد رواه الترمذي وغيره كالإمام أحمد
والحاكم بإسناد صحيح وفي حديث جابر مرفوعا قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم مثلي مبتدأ ومثل الأنبياء عطف عليه كمثل رجل
خبر بنى دارا فأكملها وأحسنها وفي رواية همام عن أبي هريرة
عند مسلم كمثل رجل ابتنى بيوتا فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع
لبنة من زاوية من زواياها وكان من دخلها فنظر قال
ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة وفي رواية الشيخين
فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع
هذه اللبنة وفي حديث أبي هريرة ويقولون هلا وضعت
هذه اللبنة وفي رواية همام ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك
قال صلى الله عليه وسلم فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء والرسل
جئت فختمت الأنبياء عليهم السلام وفي حديث أبي هريرة قال
فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين رواه أبو داود سليمان بن داود
ابن الجارود الطيالسي بفتح الطاء والتحتية نسبة إلى الطيالسة
المعروف البصري الثقة الحافظ المهم مات سنة أربع وقيل
ثلاث ومائتين روى له مسلم والأربعة وكذا البخاري ومسلم بنحوه
عن جابر وأخرجاه أيضا من حديث أبي هريرة وسياقه أتم
وقدمه المصنف في الخصائص وفي حديث أبي سعيد الخدري

فجئت

فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة رواه مسلم فيه شيء لأن مسلما لم
يسق لفظه بل أحاله على حديث أبي هريرة الذي رواه من
ثلاثة طرق فقال حدثنا ابن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا
أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل النبيين فذكر نحوه
هذا لفظ مسلم وقد علمت ثبوتها في حديث أبي هريرة وأورد
أن المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه وأجيب
بأنه جعل الأنبياء كرجل واحد لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه
إلا باعتبار الكل وكذا الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان وبأنه
من باب التشبيه التمثيلي وهو أن يوجد وصف من أوصاف
المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به فكأنه شبه الأنبياء وما
بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع
بنيانه وبقي منه موضع يتم به صلاح ذلك البيت وزعم ابن العربي
أن اللبنة المشار إليها كانت في أس الدار المذكورة وأنها لولا
وضعها لانقضت تلك الدار قال وبهذا يتم المراد من التشبيه
المذكور قال الحافظ وهذا إن كان منقولا فحسن وإلا فليس
بلازم نعم ظاهر السياق أن اللبنة في مكان يظهر عدم الكمال في الدار
بفقدها وفي رواية مسلم إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فظهر
أن المراد أنها مكملة محسنة وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها
ناقصا وليس كذلك فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة فالمراد
هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من
الشرائع الكاملة وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام
وفي حديث أبي هريرة عند مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب
وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة
إرساله عامة محيطة بهم لأنها إذا أحاطتهم فقد كفتهم أن يخرج منها
أحد منهم وختم بي النبيون أي أغلق باب الوحي والرسالة وسد
بكمال الدين وتصحيح الحجة فلا نبي بعده ومر الحديث في الخصائص
فمن تشريف الله تعالى له ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال
الدين الحنيفي المائل عن الباطل للحق له وقد أخبر الله تعالى
في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا
أي المخبر بهما أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب كثير
الكذب أفاك كذاب مبالغ فيه دجال كذاب قال
ثعلب الدجال هو المموه يقال سيف مدجل إذا طلي بذهب
وقال ابن دريد كل شيء غطيته فقد دجلته واشتقاق الدجال

من هذه الامة يغطي الارض بالجمع الكثير ضال لم يهتد
والالفاظ الاربعة متقاربة وقد علم صلى الله عليه وسلم
بذلك واخبر به في الصحيحين مرفوعا ولا تقوم الساعة حتى
يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول
الله ولو تخذلق بفوقية فمهملة فمعجمة اظهر الحذق وادعى
اكثر مما عنده ومثله حذلق بلا تاء وتشعبذ بالذال المعجمة
بعد الموحدة اي بما يري الانسان منه ما لا حقيقة له كالسحر
ويقال له ايضا شعوذ بالواو بدل الموحدة واتى بانواع السحر
قال ابن فارس وهو اخراج الباطل في صورة الحق ويقال
هو الخديعة وسحره بكلامه استماله برقته وحسن تركيبه وقال
الامام فخر الدين هو في عرف الشرع كل امر يخفى سببه ويتخيل على
غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع قال تعالى يخيل
اليه من سحرهم انها تسعى واذا اطلق ذم فاعله والطلاسم
والنيرنجيات بكسر النون واسكان التحتية
وفتح الراء فنون ساكنة فجيم فتحتية فالف ففوقية قال المجد
النيرنج بالكسر اخذ كالسحر وتلبيس به فكلها محال باطل وضلالة
زوال عن الحق عند اولي الالباب العقول ولا يقدح في هذا
نزول عيسى بن مريم عليه السلام بعده لانه اذا نزل من
السما كان على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومنهاجه
طريقه في شرعه فهو واحد من امته مع انه لا يرد هذا اصلا اذ
ان المراد انه اخر من نبي وارسل فلا يضر وجود واحد بعده او
اكثر ممن نبي او ارسل قبله قال ابن حبان من ذهب الى النبوة
مكتسبة لا تنقطع او الى ان الولي افضل من النبي فهو زنديق
يجب قتله لتكذيب القران وخاتم النبيين والله اعلم النوع
الرابع في التنويه به اي التعظيم ورفعه صلى الله عليه وسلم
بذكره في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب
الرسالة والتبجيل متعلق بقوله في التنويه اي رفع ذكره بانه
صاحب وهذا اظهر من كونه بدلا منه قال الله تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل باسمه وصفته بحيث لا يشكون
انه هو ولذا عدل عن يجدون اسمه او وصفه مكتوبا فتضمن
ذلك اخباره تعالى بذكره في الكتب من قبل وجوده تعظيما
له وحثا على اتباعه اذا وجد روى ابو نعيم في الحلية عن وهب
ابن منبه قال كان في بني اسرائيل رجل عصى الله مائتي سنة ثم
مات فاخذوه فالقوه على مزبلة فاوحى الله الى موسى ان اخرج

فصل

فصل عليه قال يا رب بنو اسرائيل يشهد وا انه عصاك مائتي
سنة فاوحى الله اليه هكذا كان الا انه كان كلما نشر التوراة ونظر
الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم قبله ووضعه على عينيه وصلى عليه
فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حورا وهذا يدل
انه لو لم يكن مكتوبا بها كان ذكر هذا الكلام من اعظم المنفرات
لهم عن اتباعه والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله
بل في الزيادة ولا فيما ينفر الناس عن قبول مقاله فكيف
بارجح الخلق عقلا فلما قال لهم عليه السلام هذا المذكور من
كتابنا باسمه ووصفه بالنبي الامي دل على ان ذلك النعت
اي الوصف الذي وصف لهم به نفسه كان مذكورا في التوراة
والانجيل وذلك من اعظم الدلايل على صحة نبوته لكن اهل
الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون الحق نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وهم يعلمون انه الحق ويحرفونه يبدلون الكلم الذي في التوراة
من نعت محمد وغيره عن مواضعه التي وضعه الله عليها والا
فانهم قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا
ابناهم كما قال تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناهم قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لقد عرفته
صلى الله عليه وسلم حين رايته كما اعرف ابني ومعرفتي لمحمد
اشد ووجدوه عندهم مكتوبا في التوراة والانجيل لكن حرفوها
ويدلوها عطف تفسير ليطفئوا نور الله بافواههم باقوالهم
ويابى الله الا ان يتم نوره يظهره ولو كره الكافرون ذلك
فلا بل نبوة نبينا في كتابيهما بعد تحريفهما طافحة اي طاهرة
ما بين كتابيهما من طفح الانا امتلا لنص عليه واعلام نبوته
ورسالته فيهما لائحة فالباقي بعد التحريف كاف في بيان
صدقه واظهار رسالته عليه السلام وكيف يغني عنهم انكارهم
وهذا اسم النبي بالسريانية كما جزم به عياض وغيره مشفح
بضم الميم وشين معجمة مفتوحة وفا شديدة مفتوحة حتى
ثم حا مهملة مرفوع في النسخ الصحيحة وفي كثيرها مشفحا
بالنصب على الحال اي جا حال كونه مشفحا او بتقدير يرى
مشفحا لكن قال الدلجي مشفح ممنوع الصرف للعلمية والعجمة
وبالفا جزم ابن دحية وقال انه بوزن محمد ومعناه وروي كما قاله
المصنف بالقاف وبه جزم الشمني والدلجي وقال القاف مفتوحة
او مكسورة واقتصر المجد على الفتح فقال مشقح كمعظم قال
الحافظ البرهان لا اعرف ضبطه ولا معناه اي سواء كان بالفا
او القاف وقال الدلجي لا اعرف له معنى ولعل مرادها لا يعرفان

هل معناه شافع او صاحب الحوض او اللواء ونحو ذلك فلا
بنا في قول عياض وابن دحية وغيرهما وتبعهم المصنف بقوله فمشفح
محمد بغير شك اي معناه محمد وهو ثابت في كتبهم بهذا الوصف
واعتبار ذلك دليله انهم يقولون شفحا لاها اذا ارادوا ان
يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد اي معناه في لغتهم شفحا فمشفح محمد
وقد يقال لا يلزم من التعبير عن الحمد لله بمشفح انه اسم لمحمد لجواز
ان يراد به اسم اخر كمحمود وممدوح ونحوه الا ان يقال وجه
الملازمة انه اذا ثبت ان الحمد معناه الشفح كان مصدرا واسم
المفعول الماخوذ من الحمد مصدرا هو محمد فيكون مشفح
بمعنى محمد ولان الصفات التي اقروا بها اي بورودها في كتبهم
هي وفاق اي مطابقة لاحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه
وشريعته صلى الله عليه وسلم فان انكروا انه هو فليدلونا
على من هذه الصفات له قايمة به فالعطف على مقدر وجبت
بحذوا ثبت المطلوب ان من قامت به هذه الصفات هو النبي
صلى الله عليه وسلم ولزمهم الحجة ومن خرجت له الام اي جاءت
له طايفة منه عنه من بين يديه وقوله وانقادت له واستجابت
اجابت لدعوته بيان للمراد به من صاحب الجمل الذي هلكت بابل
بلد في سواد العراق ينسب اليه السحر والخمر واصنامها به اذ هو في نسخ
على انا لو لم تات بهذه الانباء الاخبار والقصص من كتبهم وجواب
لو قوله الم يكن فيما اودع الله عز وجل القران دليل على ذلك
وفي نسخ الم يكن بهمزة الاستفهام الانكاري وعليها فجواب
لو محذوف اي لا يضرنا ذلك او كنا في غنية عنه لكن حذف
الهمزة اولى لان ذكرها لا يحصل المقصود من الزامهم الحجة وقد
يقال بل يحصل بضميمة قوله وفي تركهم جحد ذلك وانكاره
بالنصب وهو يقرعهم يبشرهم ويوبخهم به دليل على
اعترافهم له فانه يقول الذين يتبعون الرسول النبي
الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
باسمه وصفته ويقول حكاية عن المسيح واذ قال عيسى
ابن مريم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
ومبشرا في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري برسول ياتي
من بعدي اسمه احمد والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى
الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل قاله
البيضاوي ويقول يا اهل الكتاب لم تلبسون تخلطون الحق
بالباطل بالتحريف والتزوير وتكتمون الحق اي بعث النبي صلى
الله عليه وسلم وانتم تعلمون انه حق ويقول الذين اتيناهم

يا بني اسرائيل

الكتاب

الكتاب يعرفونه اي محمدا عليه السلام كما يعرفون ابناءهم
بنعته في كتبهم قال ابن سلام بل معرفتي لمحمد اشد وكانوا يقولون
لمن لقيتهم عند القتال هذا نبي قد اظل اي قرب مولده
يذكرون من صفته ما يجدونه في كتابهم اخرج ابن ابي
حاتم عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس
والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه
الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال
لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وداود بن سلمة يا معشر يهود
اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل
شرك وتخبرونا بانه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام ابن
مشكم احد بني النضير ما جاءنا نبي نعرفه وما هو الذي كنا نذكر
لكم فانزل الله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة وجواب لما الاولى دل عليه
جواب الثانية ويحتمل انهم كانوا يظنون انه من بني اسرائيل
فلما بعثه الله من العرب من نسل اسماعيل عظم ذلك عليهم
واظهروا التكذيب بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء
من عباده فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر
للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فاللام للعهد ويجوز انها للجنس
ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم وقد كان صلى الله عليه
وسلم يدعوهم الى اتباعه وتصديقه فكيف يجوز ان يحتج باطل
من الحجج ثم يحيل ذلك الى ما عندهم وما في ايديهم ويقول
من علامة نبوتي وصدقي انكم تجدونني عندكم مكتوبا باسمي
وصفتي وهم لا يجدونه كما ذكر في كتبهم وليس ذلك مما يزيدهم
عنه بعدا استفهام انكاري وقد كان غنيا عن انه يدعوهم
بما ينفرهم عن اتباعه وعن ان يستميلهم بما يوحشهم وقد سلم
من اسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام بالتخفيف الاسرائيلي
ابي يوسف حليف بني الخزرج قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم عبد الله له احاديث وفضل مات بالمدينة سنة
ثلاث واربعين وتميم بن اوس بن خارجة الداري ابي رقية بقاف
مصغرا صحابي مشهور سكن بيت المقدس بعد عثمان مات
سنة اربعين وكعب بن ماتع الحميري المعروف بكعب الاحبار
كان يهوديا من احبارهم من اهل اليمن وادرك الزمن النبوي
قيل واسلم فيه وقيل في خلافة ابي بكر وقيل عمر وهو الراجح وسكن
الشام ومات في خلافة عثمن وقد زاد على المائة وفي نسخة وكم

اسلم ومعناها التكبير لكن الثلاثة الذين ذكرهم قليل فالمراد ان
المسلمين من علمايهم كثير لكن ليسوا من اضراب بن سلام فلم يذكرهم
واقتصر على عظمايهم وقد وقفوا انه على مثل هذه الدعاوى
واعترفوا بثبوتها في كتبهم وقد روي بن عساكر في تاريخ دمشق
والطبراني وابو نعيم في الدلايل كلهم من طريق محمد بن حمزة بن
يوسف بن عبد الله بن سلام صدوق من السادسة ومنهم
من زاد بين حمزه ويوسف محمدا روى له بن ماجة عن ابيه حمزه بن
يوسف ويقال ان يوسف جده واسم ابيه محمد مقبول من
السابعة روى له ابن ماجة كما في التقريب عن جده يوسف ابن
عبد الله بن سلام الاسرايلي المدني ابي يعقوب صحابي صغير
وقد ذكره العجلي في ثقات التابعين وقوله عبد الله بن سلام
انه يقتضي ان المراد جده الاعلى فيكون منقطعا لانه لم يذكره وفي
رواية الطبراني وابي نعيم عن ابيه ان عبد الله بن سلام وهو منقطع
ايضا لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه ولابي
نعيم والطبراني انه قال لاحبار يهود اني اردت ان احدث بمسجد
ابينا ابراهيم عهدا فانطلق الى رسول الله وهو بمكة فوافاه بمنى
والناس حوله فقام مع الناس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لما نظر اليه انت عبد الله بن سلام عالم اهل يثرب فهو من معجزاته
حيث اخبره بذلك بمجرد رويته له قال نعم قال صلى الله عليه وسلم
ادن فدنا منه كما في الطبراني وابي نعيم فقال ناشدتك بالله
الذي انزل التوراة على موسى هل تجد صفتي في كتاب الله
التوراة وفي رواية انشدك بالله اما تجدوني في التوراة رسول الله
قال انسب ربك يا محمد وفي رواية انعت لنا ربك فارتج بالبنا
للمفعول مخففا اي لم ينطق النبي صلى الله عليه وسلم بجواب
ويقال ارتج وزان اقتتل بالبنا للمفعول ايضا كما في المصباح وفي
رواية فارتعد صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه فقال
جبريل قل هو الله احد خبرثان الله الصمد المقصود
في الحوايج على الدوام والذي لا جوف له كما للطبراني عن
بريدة وبه قال كثير من المفسرين قال ابن عطية كانه بمعنى
المصمت وقال الشعبي هو الذي لا ياكل ولا يشرب وفي هذا
التفسير كله نظر لان الجسم في غاية البعد عن صفات الله تعالى
فما الذي يعطينا هذه العبارات قال والصمد في كلام العرب
السيد الذي يصمد اليه في الامور ويستقل بها وانشدوا
«الا بكر الناعي بخيري بني اسد» بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد»
وبهذا تفسير هذه الاية لان الله موجد الموجودات واليه يصمد

وبه قوامها ولا غنى بنفسه الا هو تبارك وتعالى انتهى لم يلد
لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة
والفنا عليه ولم يولد لانه لا يفتقر الى شي ولا يسبقه عدم ولم يكن له
كفوا احد مكافيا ومماثلا فله متعلق بكفوا قدم عليه لانه محط
القصد بالنفي واخر احد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة
فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر
دينك على الاديان كلها بابطال باطلها ونسخ حقها وفي رواية
الطبراني وابي نعيم فقال ابن سلام اشهد ان لا اله وانك رسول
الله ثم انصرف الى المدينة وكتم اسلامه وقضية هذا انه اسلم بمكة
قبل الهجرة لكن هذا حديث ضعيف متكلم فيه معارض بما في البخاري
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر اتاه ابن سلام وقال اني سايلك
عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي فساله واجابه النبي صلى الله عليه وسلم
عن مسايله فقال اشهد انك رسول الله الحديث وفيه قد علمت اليهود
اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فسلهم عني قبل ان يعلموا
باسلامي وانه سالهم عنه فاعترفوا بما قال فلما قال لهم اني اسلمت
كذبوه وقالوا فيه ما ليس فيه ومن ثم لم يعرج الحافظ على رواية ابن
عساكر ومن معه هذه بل جزم في الفتح والاصابة بانه اسلم اول
ما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وغلط من قال اسلم
قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين وقد اخرج احمد واصحاب
السنن عن عبد الله بن سلام قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة انجفل الناس لقدومه فكنت في من انجفل فلما تبينت وجهه
عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب فسمعته يقول افشوا السلام واطعموا
الطعام الحديث ويحمل على من اسلم قبل ذلك ان يشك بعد ذلك وانه
يساله امتحانا ليعلم اهو نبي ام لا وقد اختلف في ان سورة الاخلاص
مكية او مدنية واخرج الترمذي والحاكم وابن خزيمة عن ابي بن
كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك
فانزل الله قل هو الله احد الى اخرها واخرج الطبراني وابن جرير
مثله من حديث جابر فاستدل به على انها مكية واخرج بن ابي حاتم
عن ابن عباس ان اليهود جات الى النبي صلى الله عليه وسلم منهم كعب
ابن الاشرف وحيي بن اخطب فقالوا يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك
فانزل الله قل هو الله احد وروى ابن جرير عن قتادة وابن المنذر
عن سعيد بن جبير مثله فاستدل بهذا على انها مدنية ولابن جرير عن
ابي العالية قال قال قتادة الاحزاب انسب لنا ربك فاتاه جبريل
بهذه السورة قال في اللباب وهذا يبين المراد بالمشركين في حديث
ابي فتكون السورة مدنية كما دل عليه حديث ابن عباس وينتفي

التعارض بين الحديثين لكن روى ابو الشيخ في العظمة عن انس ان
يهود خيبر اتوا الي النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم خلق
الله الملائكة من نور الحجاب وادم من حما مسنون وابليس من لهب
النار والسما من دخان الارض من زبد الما فاخبرنا عن ربك فلم يجبهم
فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله احد انتهى نعم بقية الحديث
ثابتة عن ابن سلام علقها البخاري تلو حديث ابن عمرو الاتي
واخرجها الدارمي ويعقوب بن سفين والطبراني وهي قوله واني
لاجد صفتك في كتاب الله يعني التوراة ففي رواية الجماعة عنه
انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا على امتك بما يفعلون لهم وعليهم مقبول عند
الله ومبشرا لمن اجابك بالثواب ونذيرا مخوفا لمن عصاك بالعذاب
انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل اي على الله لقناعته باليسير
من الرزق واعتماده على الله في السر والجهر والصبر على انتظار الفرج
والاخذ بمحاسن الاخلاق واليقين بتمام وعد الله فتوكل على الله
فسماه المتوكل ليس بفظ سيء الخلق جاف وفيه التفات من الخطاب
الي الغيبة اذ لو جرى على نسق الاول لقال لست بفظ ولا غليظ قاسي
القلب ولا سخاب بسين مهملة وخا معجمة ثقيلة لغة اثبتها الفرا وغيره
وبالصاد اشهر من السين بل ضعفها الخليل اي لا يرفع صوته على الناس
لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم في الاسواق بل يلين جانبه ويرفق
بهم وفيه ذم اهل السوق الذين يكونون بالصفة المذمومة من صخب
ولغط وزيادة مدحة لما يبيعونه وذم لما يشترونه والايمان الحانثة
ولذا كانت شر البقاع لما يغلب على اهلها من هذه الاحوال المذمومة
وقيده بالاسواق والمراد نفيه عنه مطلقا لانه اذا انتفى في المحل المعتاد
فيه انتفى في غيره بالطريق الاولى وهو ابلغ وافصح من الاطلاق
لانه نفي بدليل نحو قوله لا يرى الضب بها ينجحر فهو من نفي المقيد
دون قيده ولا يجزي بالسيئة مثلها اي السيئة ولكن يعفو ويصفح
يعرض ما لم تنتهك حرمات الله ولن يقبضه يميته الله حتى تقيم به
الملة العوجا ملة ابراهيم فانها اعوجت في الفترة فزيدت ونقصت
وغيرت عن استقامتها واميلت بعد قوامها وما زالت كذلك حتى
اقامها صلى الله عليه وسلم بنفي الشرك واثبات التوحيد كما قال
حتى يقولوا لا اله الا الله اي ومحمد رسول الله فالمراد كلمة
التوحيد هكذا فسر شراح الحديث قاطبة الملة العوجا بملة
ابراهيم وكذا ابن الاثير في النهاية قائلا ان العرب كانوا يزعمون
انهم على ملته وابعد من قال انها الملة التي وراها فاجر عن
الحق فازال اعوجاجها وان لم تنتسب الى ابراهيم كملة اليهود

والنصارى فانهم حرفوا وبدلوا ولم يتركوا ما نسخ من شرعهم
مجاهدهم حتى اهتدى من اهتدى وقتل من قتل ويفتح
به بالنبي وفي رواية البخاري بها اي بكلمة التوحيد اعينا
عميا بضم العين وسكون الميم صفة لاعين اي عن الحق واذانا
صما عنه استماع الحق وقلوبا غلفا بضم المعجمة وسكون اللام
صفة قلوبا جمع اغلف اي مغطى ومغشى وقوله ليس بفظ
ولا غليظ موافق لقوله تعالى فيما زائدة اي فبرحمة
من الله لنت لهم اي سهلت اخلاقك حيث خالفوك
ولو كنت فظا غليظ القلب جافيا فاغلظت لهم لانفضوا
تفرقوا من حولك ولا يعارض هذا قوله تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم لان النفي محمول
على طبعه الكريم الذي جبل عليه والامر محمول على
المعالجة لنفسه على خلاف ما طبع عليه او النفي بالنسبة
الى المومنين والامر بالنسبة الى الكافرين والمنافقين
كما هو مصرح به في الاية ذكر الجواب بين الحافظ والثاني
كما قال شيخنا اظهر لموافقة الاية وان كان الاول من حيث
عمومه شاملا لعصاة المومنين اذا فعلوا منكرا ولا سيما اذا ظهر
منهم التصميم عليه وقلوبا غلفا اي مغشاة مغطاة واحدها
اغلف ومنه غلاف السيف وغيره والمعنى ان قلوبهم كانت
محجوبة عن الهداية فازال صلى الله عليه وسلم حجابها وكشف
غطاها واخرج البيهقي وابو نعيم عن ام الدردا او امراة ابي
الدردا شك من الراوي في اللفظ الذي قاله شيخنا وان اتحد
المعنى ولابي الدردا زوجتان يكنى كل منهما بذلك احداهما
الكبرى واسمها خيرة بنت ابي حدرد صحابية من فضلا النسا
وعقلائهن وذوات الراي منهن مع العبادة والنسك ماتت
قبل زوجها بالشام في خلافة عثمان والثانية الصغرى
اسمها هجيمة او جهيمة ثقة فقيهة ماتت سنة احدى وثمانين
وهي التي روى لها اصحاب الكتب الستة لا صحبة لها ولا روية
وذكر في الاصابة للكبرى حديثين سمعتهما من النبي صلى الله
عليه وسلم وكل منهما يحتمل انها التي قالت قلت لكعب بن مانع
الحميري المعروف بكعب الاحبار كيف تجدون صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم في التوراة قال كنا نجده موصوفا فيها
محمد رسول الله كما في القران اسمه المتوكل الذي يكل امره الى
الله فاذا امره بشي نهض بالاجزع وفي التنزيل وتوكل على الله
وتوكل على الحي الذي لا يموت ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب

في الاسواق التي هي محل السخب وارتفاع الاصوات ففي غيرها
اولى واعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا وهو الفاقد
بصر احدي عينيه ويكون الفتح والابصار مجازا عن الهداية عبر
تارة بعميا واخري بعورا جمع اعور صفة اعينا ويسمع اذانا صما
عن سماع الحق ويقيم به السنة معوجة جمع لسان حتى
تشهدوا ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اي ومحمد رسول
الله ففيه اكتفا نحو سرابيل تقيكم الحر اي والبرد يعني المظلوم
على الظالم ويمنعه من ان يستضعف بان ينصره بحيث يصير
فيه قوة يحمله على ان يدفع عن نفسه وفي البخاري في البيوع
ثم في التفسير الفتح عن عطا بن يسار الهلالي ابي محمد المدني
مولى ميمونة ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة مات سنة
اربع وتسعين وقيل بعدها روي له الستة قال لقيت عبد الله
ابن عمرو بن العاصي الصحابي بن الصحابي رضي الله عنهما انهم
فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
في التوراة بدليل الجواب فان السوال يعاد في الجواب صراحة او
ضمنا وهو من القواعد الاصولية قال عبد الله اجل بفتح
الهمزة والجيم وباللام حرف جواب كنعم فيكون تصديقا للمخبر
واعلاما للمستخبر ووعدا للطالب فتقع بعد نحو قام زيد ونحو
اقام زيد واضرب زيدا فيكون بعد الخبر وبعد الاستفهام والطلب
وقيل يختص بالخبر وهو قول الزمخشري وابن مالك وقيده المالقي
الخبر بالمثبت والطلب بغير النهي وفي القاموس اجل كنعم الا انه
احسن منه في التصديق ونعم احسن منه في الاستفهام وهذا قاله
الاخفش كما في المغني وغيره قال الطيبي اجل في الحديث جوابا للامر
على تاويل قرات التوراة هل وجدت صفة رسول الله فيها فاخبرني
قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران
اكده بموكدات الحلف بالله والجملة الاسمية ودخول ان عليها مع
ودخول لام التاكيد على الخبر وانما سالة عما في التوراة لانه كان
يحفظها وقد روي البزار من حديث ابي لهيعة عن وهب ان
عبد الله بن عمرو بن العاصي راي في المنام في احدي يديه عسلا
وفي الاخري سمنا وهو يلعقهما فلما اصبح ذكر ذلك للنبي صلى
الله عليه وسلم فقال له تقرا الكتابين التوراة والقران وكان يقراهما
فالنهي عن قراتها ليس على اطلاقه لو وقع في الزمن النبوي لكثير
من الصحابة بلا انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها
ويضيع وقته في الاشتغال بها ام غيره فلا يمنع بل قد يطلب ه
لالزامهم فيما انكروه منها وقد اخرج الدارمي ويعقوب ابن

سفين

سفين في تاريخه والطبراني عن عطا بن يسار عن بن سلام مثله
وعليه البخاري قال الحافظ ولا مانع ان يكون عطا حمله عن كل
منهما فقد اخرجه ابن سعد عن زيد بن اسلم قال بلغنا ان عبد الله بن
سلام كان يقول انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها
النبي بدل من بعض او بيان له انا ارسلناك شاهدا لامتك المومنين
بتصديقهم وعلى الكافرين بتكذيبهم وانتصاب شاهدا على الحال
المقدر من الكاف او من الفاعل اي مقدرا او مقدرين شهادتك
على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبول عند
الله لهم وعليهم او شاهدا للرسل قبله بالبلاغ ومبشرا للمومنين
ونذيرا للكافرين او مبشرا للمطيعين بالجنة ونذيرا للعصاة بالنار
وحرزا بكسر المهملة واسكان الراء ثم زاي اي حصنا للاميين
اي العرب لان اكثرهم لا يقراون ولا يكتبون يتحصنون به عن غوايل
الدهر او سطوة العجم وتغلبهم فخصهم لذلك او لارساله بين اظهرهم
او لشرفهم او من مطلق العذاب ما دام فيهم وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم او من عذاب الاستيصال فلا يرد ان دعوته عامة
وجعله نفسه حرزا مبالغة لحفظه لهم في الدارين انت عبدي
الكامل في العبودية ورسولي فقدم العبودية لشرفها فانه لم يبرح
مريدا اختصاص ولذا اقتصر عليها في الاسرا وانزال الكتاب وليست
بالمعنى العام الذي يتصف بها كل مخلوق بل بالخاص الذي رضيه
له حتى اطلعه على حظاير قدسه وجعله رسولا مبلغا عنه وكفاه
جميع مونانه فقال اليس الله بكاف عبده فان الملك لا يرضى
بوقوف عبده بباب غيره واحتياجه لسواه واهانة احد له فانه هو
الذي يود به كما قال اذ بعث زفق فاحسن تاديبي فلذا قال سميتك
المتوكل دون جعلتك او وصفتك المنادي بشدة توكله الذي
صبره عليا له ففيه اشعار بشدة توكله البادي في امته صلى الله عليه
وسلم وخطابه بما في التوراة خطاب للحاضر في العلم وبالماضي
في ارسلناك لتحققه او حكاية لما يقال في المستقبل او لاستحضار
الاتي وعبر بما يعبر به عنه في الاتي ليس بفظ سيء الخلق
جاف ولا غليظ قاسي القلب بل ملته سمحة ولا ينافيه وقوع
الغلظة اللايقة والواجبة احيانا لانها لا تنافي حسن الخلق
او المراد نفيهما بحسب الخلقة او في غير محلها وقوله النبوة لعمر انت
افظ واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس القصد به
التفضيل بل اصل الفعل او من قبيل العسل احلى من الخل
اي غلظتك يا عمر اشد من رقته صلى الله عليه وسلم واختاره
في المصابيح ثم يحتمل ان تكون هذه اية اخرى في التوراة لبيان

صفته وان تكون حالا من المتوكل او من الكاف في سميتك ففيه التفات من الخطاب الى الغيبة حتى لا يواجهم بمثله وان كان منفيا **ولا سخاب** بشد الخا بعد السين ويقال بالصاد وهو افصح واذعى بعض انه روي بهما اي لا يرفع صوته على الناس لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم **في الاسواق** بل يلين جانبه ويرفق بهم وهو من نفي المقيد بدون قيده ففيه دخوله صلى الله عليه وسلم الاسواق تواضعا وتركا لعادة الجبابرين من الملوك ورد القول الكفرة ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويحتمل انه من نفي القيد والمقيد معا كما قال الطيبي المراد نفي الصخابية وكونه في الاسواق انتهى على معنى نفي اعتياد دخوله في الاسواق كارباب الدنيا بل يدخلها لحاجة فلا يشكل ما قاله بانه خلاف الواقع والمبالغة للنسبة كخياطا وبذي صخب كما في وما ربك بظلام في احد الوجوه او على بابها لثبوت اصل الصخب له في محله كخطبة وتلبية ونحوها **ولا يدفع** هكذا الرواية في البخاري في المحلين فسخه ولا يجزيه **بالسية السية** هو كقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة وخلقه القران وقد قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله وكذا قال **ولكن يعفوا** يمحوا ويزيل السيئة من ظاهره وخاطره **ويغفر** يستر السيئة ولا يلزم منه ازالتها او يعفوا تارة ويستر اخرى فلا يفضح فيقول في خطبته ما بال اقوال يفعلون كذا او هما متساويان فالثاني تاكيد ونقل القرطبي عن بعضهم ان الغفر ستر لا يقع معه عقاب ولا عتاب والعفو انما يكون بعد عقاب او عتاب فان استعمل في غيره فهو مجاز وفي نسخة ويصفح **ولن يقبضه** يميته الله واصله اخذ المال واستيفاوه فاطلق على الموت بتشبيه الحياة والروح بالمال كما قيل

اذا كان راس المال عمرك فاحترس ... عليه من الانفاق في غير واجب

او هو من استعمال المقيد في المطلق ثم شاع حتى صار حقيقة فيه حتى يقيم به **الملة العوجا** ملة ابراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها لانهم ذرية اسماعيل بن ابراهيم وكانوا يزعمون انهم على ملته الحنيفية والحنيف من يوحد الله تعالى ويعبده لان الحنيف في اللغة الاستقامة قاله ابن الاثير **بان يقولوا** اي اهلها لا اله الا الله فتنصر عليها وجعلها اقامة الملة لان العوج الواقع عموده الشرك وعبادة الاصنام يستقيم بها وانهم ياتون بكلمة التوحيد التي هي عبارة عن لا اله الا الله محمد رسول الله لان الكلمتين صارا كالكلمة الواحدة واكتفوا بالاولى تبعا ثم

الحر **ويفتح به اي** بالنبي كذا وقع بتذكير الضمير هنا تبعا للشفاء عنه وكليهما للبخاري والذي فيه في الموضعين بها اي بكلمة التوحيد **اعينا عميا** بضم فسكون وفي رواية القابسي اعين عمي بالاضافة ولا تنافي بين هذا وبين قوله وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لانه دل اولا الفاعل المعنوي حرف النفي على ان الكلام في الفاعل وذلك انه تعالى نزله لحرصه على ايمانهم منزلة من يدعي استقلالا بالهداية فقال له انت لست بمستقل به بل انك لتهدي الى صراط مستقيم باذن الله وتيسيره وعلى هذا فيفتح معطوف على يقيم اي يقيم الله بواسطته الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح بواسطة هذه الكلمة اعينا عميا **واذانا صما وقلوبا غلفا** بضم وسكون وفي رواية ابي ذر ويفتح بها اعين عمي واذان صم وقلوب غلف بضم اوله مبني للمفعول ورفع اعين واذان وقلوب على النيابة **وعند محمد بن اسحاق** بن يسار بدل قوله ولا صخاب **ولا صخب** بكسر الخا صفة مشبهة تفيد المبالغة باعتبار افادة الثبوت هكذا في عدة نسخ صحيحة موافقة لما عند ابن اسحاق والشفاء عنه فلا عبرة بنسخ ولا صخاب **في الاسواق** وعنده زيادة هي **ولا متزين** بزاي منقوطة من الزينة وروي بدال من الدين وروي متزي بلا نون من الزي والهيئة **بالفحش** القبيح وزنا ومعنى فعلا كان او قولا اي لا يتجمل ولا يتدين ولا يتلبس به ولا يرد ان ظاهره يوهم انه قد ياتي به غير متجمل وزا وغير متزين لانه لا مفهوم له لجريه على عادة ارباب الفحش في المباهات به او هو استعارة تهكمية او التزين بمعنى الاتصاف تجريدا والمراد لا يرى الفحش زينة فهي مكنية وهذا من ابانه لانه نشا بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والزنا والطواف عراة فاتى بما يخالف عادتهم **ولا قوال** فعال صيغة مبالغة اي كثير القول **للخنا** بمعجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا مع ما قبله يفيد انه لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم شيء منه قليله ولا كثيره لان الفحش بمعناه او فعال للنسبة كتمار اي ليس بذي قول الخنا ولما ذكر صفات التخلية بقوله ليس بفظ الى هنا ذكر صفات التحلية بطريق وعد من لا يخلف وعده مستانفا لمقصد اعلى مما قبله ولذا لم يعطفه او في جواب سوال هو كما يفعل به بعد ان صسم عن النقايص فقال **اسدده** اوفقه للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل **لكل جميل** حسن صورة كان او معنى يليق به **واهب** بفتحتين **له كل خلق** بضمتين وتسكن اللام السجية والطبيعة **كريم** عزيز نفيس

ثم **اجعل** مضارع المتكلم وهو الله **السكينة** بالفتح والتخفيف
والوقار والطمانينة وفيها لغة بالكسر والتشديد يحكاها
في المشارق وبها قري شاذ **البأس** اي ما يظهر عليه من
الخشوع والتثبيت فشبه المعقول بالمحسوس تقريبا للفهم
ومبداهذا الوقار يلوح للقلب في مراقبته فلذا قال
تعالى انزل السكينة في قلوب المومنين ولكل وجهة **واجعل**
البر الطاعة والاحسان او زيادة والخير والرحمة **شعاره**
لباسه الذي يلي جسده سمي به لانه لبس شعره ويدثره وتقابله
الدثار وهو ما يتغطى به ولما كانت السكينة ظاهرة فيه
صلى الله عليه وسلم في سايرا حواله ويراها كل احد برا وفاجرا
جعلها لباسا والبر والخير والرحمة وان لازمها ايضا وعم احواله
انما يقف عليه المومنون بعضا برهم جعله شعارا فانظر
حسن موقعه مع ما قبله وما بعده ايضا وهو **والتقوى**
ضميره لان الضمير ما يضمر في القلب وينوي في الخاطر بحيث
لا يعني قتا مل كيف انتقل من الظاهر للخفي ثم الاخفى
مع ما فيه من شبه اللف والنشر مع الامور السلبية والتقوى
ما يقي العذاب في الاخرة ولها مراتب اولها التبري عن الكفر
والثاني التنزه عن كل ما يوثم والثالث التنزه عما يشغل
السر عن الله وبهذا اعلم التيامها مع الضمير **والحكمة** كل
كلام جامع لما يرشد الي الحق فشمل المواعظ والامثال لانتفاع
الناس بها ويطلق على القران والعلوم الشرعية والقضا
بالعدل وبه فسر ادع الي سبيل ربك بالحكمة **معقوله** مصدر او
اسم مفعول فالمراد انها تعقله وادراكه او ما يعقله كله
حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه لا ينطق عن الهوى **واجعل**
الصدق والوفا طبيعته اي ان الله جبله انه لا ينطق بغير
ما وافق الواقع واذا عاقد احدا او وعد لا يخلفه **والعفو**
والمعروف ما يعرفه ويالفه العقلا ولذا قيل المعروف
كاسمه **خلقه** وفي المصباح المعروف البر والرفق والاحسان
ومنه قولهم من كان امرا بالمعروف فليا مر بالمعروف
اي من امر بخير فليامر برفق **والعدل** القصد في الامر
ضد الجور **سيرته** طريقته الحميدة وفي التنزيل ان الله يامر
بالعدل والاحسان فعل المندوب وفي المعنوي العدل
بين العبد وربه ايثار حقه على حظ نفسه واجتناب الزواجر
وامتثال الاوامر وبينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها
والتصبر وبينه وبين غيره بذل النصيحة وترك الخيانة

وانصافهم

وانصافهم من نفسه والصبر علي اذاهم وجعل العدل سيرته
صلى الله عليه وسلم لا ينافي ان يكون الاحسان سيرته في محل
يليق به ولا ان يكون العفو طبيعة له ايضا لمصلحة تليق بالمقام
والحق شريعته بنصبها عطف علي مفعول اجعل كما هو
في نسخ الشفا الصحيحة المقروءة لا برفعها لاقتضا تعريف
الطرفين الحصر فيفهم ان شرايع غيره باطلة وليس كذلك
وان وجه بان المراد الحق الكامل الذي لا ينسخ او في زمانه
لا غيرها لنسخها بشريعته وبغير ذلك لان هذا انما يحتاج اليه
لو ثبت روايته **والهدى امامه** بكسر الهمزة كما ضبطه الحافظ
البرهان اي مقتداه ومتبعه وهو كناية عن ملازمته له
وعدم انفكاكه عنه ويجوز ان يراد بالامام الطريق كما قيل
في قوله وانهما لبامام مبين وضبطه بعضهم بفتح الهمزة
بمعنى قدام فالمراد بطريق الكناية انه ملاحظ له كما
يقال في ضده انه ظهري وخلف ظهري والهدي الدلالة
بلطف ولذا اختصت بالخير وقيل تعريفه للعهد اي هدى
الانبيا لقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اي
ما اتفقوا عليه من التوحيد والاصول لا الفروع **والاسلام**
ملته بنصبها على الصحيح اي انه اسم لملته اي دينه خاصة دون
الامم على احد القولين وعلي الاخر بالعموم لكل دين حق فالمراد
الكامل لما يكون من خصايصه التي يمتاز بها عن غيره وكماله بنسخ
غيره وكونه سمحا بين اللين والشدة وفي التنزيل سماكم المسلمين
من قبل وفي هذا **واجعل احمد اسمه** وبه سماه في الكتب قبل وجوده
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ولما ذكر صفاته
الموصوف بها في نفسه وذكر صفاته التي لوحظ فيها غيره جوابا
لسوال هل سمح بهذا الطاهر المطهر الكامل في نفسه غيره فقال
اهدي بفتح الهمزة مضارع هدى **به** بسببه او معديه بعد الضلالة
بمعنى الضلال سلوك غير الطريق الموصلة وقيل انما فصله
لعلو رتبة الهداية سوا كانت الايصال او الدلالة الموصلة
وفيه تقوية لمدحه السابق والمراد الهداية الى ما به النجاة
والى ما به يكمل الناجي فلذا قال **واعلم** بضم الهمزة وشد اللام
كما في المقتفى **به بعد الجهالة** بفتح الجيم مصدر كالجهل ضد العلم
وهو الاعتقاد الذي لا يطابق الواقع **وارفع به بعد الخمالة**
بفتح الخا المعجمة والميم اي الخفا ودني بعض انه لا يقال خماله
بل خمول وفي الصحاح الخامل الساقط الذي لا نباهة له وقد
خمل يخمل خمولا وفي الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة

وهو ضد التنبيه والنابه وفي القاموس خمل ذكره وصوته خمولا خفي واخمله الله فهو خامل ساقط لا نباهة له جمعه خمل محركة واجيب بان ثبوت الجهالة في هذا الحديث الصحيح شاهد لصحتها وان كانت على غير قياس او لمشاكلة الضلالة والازدواج معها والمراد رفعه بجعل الدين والتوحيد بعد ما ترك في الفترة لغلبة الجهل مشهورا شايعا فهو مجاز كقوله ورفعنا لك ذكرك **واسمي** روي بضم الهمزة وفتح السين والتشديد وبه ضبطه في المقتفي وروي بضم الهمزة وسكون السين **به** بسببه **بعد النكرة** بضم فسكون وبفتح فكسر خلاف المعرفة ويطلق بمعنى المجهول اي اعرف الناس بسببه او بما اوجبه اليه الناس المجهولين او اعرفهم ما جهلوه من التوحيد او اعرف الناس ما لم يعرفوه من الانبيا وقصصهم والاولى التعميم كما قيل **واكثر** بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة مخففة وبفتح الكاف وشد المثلثة يتعدي بالهمزة والتضعيف **به بعد القلة** اي اكثر به الارزاق مطلقا او على من اتبعه او اكثر امته بعد قلتها او بعد عدمها لورود القلة بمعنى العدم لكنه بعيد هنا او المراد قواعد الملة بعد اعوجاجها فاعاد منها ما نقص بكلمة التوحيد وهو تكلف مستغنى عنه لتقدم معناه **واغنى** اعطى الغنى **به بعد العيلة** بفتح فسكون الفقر اي ما كانوا عليه في الابتدا ففتح لهم الفتوحات والممالك واحل لهم الغنايم **واجمع به** الناس **بعد الفرقة** الافتراق وتنافر القلوب والعداوة المودية للحروب كما وترك الدنيا وكما كان بين الاوس والخزرج من الحروب قبل الاسلام فلما جا الله به الف بين قلوبهم وسل احقادهم وضغاينهم وصيرهم اخوة **واولف** جمع **به بين قلوب مختلفة** وذلك يستلزم التاليف بين الذوات وكونه بسببه المصطفى لانه السبب الظاهري والمولف الحقيقي هو الله فلا ينافي اسناد التاليف اليه سبحانه في قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا **واهوا** جمع هوى وهو ميل النفس لما تحبه وتشتهيه **متشتتة** متفرقة بتقديم التا على الفا من التفرق وبتقديم الفا على التا من الافتراق روايتان يعني ان كل امة كانت على دين واعتقاد وطريقة منهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم يهودي ونصراني ومنهم غير ذلك فنسخ الله بشرعه صلى الله عليه وسلم جميع الشرايع وجعل الدين دينا واحدا فيما من حاد عنه هلك

وشقي

وشقي في الدارين وان حمل قوله واجمع به بعد الفرقة على جمع العقايد والملل على التوحيد او الاعم كان ما بعده عطف تفسير له **واجعل امته** الذين اجابوه **خير امة اخرجت** اوجدت وخلقت او اخرجت من العدم **للناس** وفي التنزيل كنتم خير امة الاية اي انه تعالى قضى بذلك وقدره ازلا وفي عالم الذر قبله المراد كنتم مذكورين في الامم الذين قبلكم موصوفين بذلك لخيرية نبيكم ودينكم او لما بينه بقوله تامرون الخ ومر الكلام فيه **واخرج البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود** بن المعلى ويقال ابن عمرو بن المعلى العبدي ابو المنذر ويقال ابو غياث بمعجمة ومثلثة على الاصح ويقال بمهملة وموحدة اسمه بشر بن حنش بمهملة ونون مفتوحتين ثم معجمة وقيل مطرف وقيل غير ذلك لقب الجارود لانه غزا بكر بن وايل فاستاصلهم قال الشاعر

قد ساهم بالخيل من كل جانب ۝ كما جرد الجارود بكر بن وايل ۝

وحكي ابن السكن ان سبب تلقيبه بذلك ان ابل عبد القيس اجربت وبقيت للجارود بقية من ابله فتوجه بها الى قديد بن سنان وهم اخواله فجربت ابل اخواله فقال الناس جردهم بشر فلقب الجارود **فاسلم** قال ابن اسحاق وكان نصرانيا وحسن اسلامه وكان صلبا على دينه قال في الاصابة قدم الجارود سنة عشر في وفد عبد القيس الاخير وبشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه روى الطبراني عن انس لما قدم الجارود وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح به وقربه وادناه وروى الطبراني ايضا عن الجارود قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت اني لي دينا فلي انه تركت ديني ودخلت في دينك ان لا يعذبني الله قال نعم **وقال الجارود والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول** عيسى ابن مريم وقتل الجارود بارض فارس بعقبة الطير فصار يقال لها عقبة الجارود وذلك سنة احدى وعشرين في خلافة عمر وقيل قبل بها وندم النعمان ابن مقرن وقيل بقي الى خلافة عثمان قال ابو عمر من محاسن شعره

شهدت بان الله حق وسامحت ۝ بنات فوادي بالشهادة والنهض ۝
فابلغ رسول الله عني رسالة ۝ باني حنيف حيث كنت من الارض ۝
فان لا تكن داري بيثرب فيكم ۝ فاني لكم عند الاقامة والخفض ۝
واجعل نفسي عند كل ملمة ۝ لكم جنة من دون عرضكم عرضي ۝

وابنه المنذر كان من روسا عبد القيس بالبصرة مدحه الاعشي

وغيره وحفيده الحكم هو الذي يقول فيه الاعشى يا حكم بن المنذر بن الجارود
سرادق المجد عليك ممدود انت الجواد بن الجواد المحمود
نبت في الجود وفي بيت الجود والعود قد ينبت في اصل العود
قال وكان الحجاج يحسد الحكم على هذه الابيات واخرج ابن سعد
قال لما امر ابراهيم الخليل باخراج هاجر بابنها ويقال بالالف
والجيم من ارض الشام حين غارت منها سارة زوجته حمل على البراق
وكان لا يمر ابراهيم بارض عذبة اي عذب ماؤها وسهلة لينة يمكن
زرعها الا قال أأنزل بصيغة المضارع وحذف همزة الاستفهام
اي أانزل ههنا يا جبريل فيقول لا ولم يزل كذلك حتى اتى مكة فالغاية
لمقدر فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع بفتح
الضاد وسكون الراء لذات الظلف كالثدي للمرأة ولا زرع قال
ذلك تعجبا من امره له بنزوله في موضع قفر اي كيف انزل في ارض
لا انيس بها ولا ما تتاتى به المعيشة قال جبريل نعم ههنا يخرج
النبي الذي من ذرية ابنك اسمعيل الذي تتم به الكلمة العليا وهي
كلمة الله وفي ذلك تسلية له وترغيب بنزول تلك الارض وفي التوراة
مما اختاروه اي العلماء بعد الحذف والتحريف والتبديل الواقع
من اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه مما ذكره العلامة محمد بن ظفر
بفتح الظاء المعجمة والفا في كتاب البشر بكسر ففتح بخير البشر بفتحتين
وابن قتيبة في كتاب اعلام النبوة تجلي ظهر الله من سينا بالقصر
جبل بالشام كذا في القاموس واشرق بالقاف من ساعير قال
ابن ظفر كناية عن ظهور انوار كلامه واستعلن من جبال فاران
بفا فالف فرا فالف فنون اي ظهر كتابه وتوحيده وحمده وما
شرعه وسوله من الاذان والتلبية فسينا هو الجبل الذي كلم الله فيه
موسى واصطفاه وارسله وساعير هو الذي كلم فيه عيسى يعني
انزل عليه الانجيل ونباه فيه كما يأتي عن ابن قتيبة لا انه كلمه فيه
ككلامه لموسى في الجبل كما يوهمه هذا الكلام وعبارة البشر وساعير
جبل بالشام منه ظهرت نبوة المسيح واليه يشير قوله فظهرت فيه
نبوته وجبال فاران الاضافة من اضافة الكل الى الجزء كان هذه
الجبال اشتهرت بذلك والا فلا معنى للاضافة هنا مع ان فاران
احدها وهو اسم عبراني بكسر العين المهملة نسبة الى العبرانية
وهي لغة اليهود وليست الالف الثانية للالف همزة وهي جبال بني
هاشم التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث بفتح التحتية
والفوقية والحا المهملة والنون الثقيلة ثم مثلثة يتعبد الليالي ذوات
العدد في احدها وفيه فاتحة الوحي ابتدا انزاله عليه فهو جبل
حرا وهو احد ثلاثة جبال احدها ابو قبيس بضم القاف وفتح

امره وم

الباء والمقابل له قعيقعان بقافين بعد كل عين مهملة وبعد الاولى
تحتية اخره نون بعد الف بصيغة التصغير جبل يشرف على الحرم
من جهة الغرب الى بطن الوادي والثالث الشرقي فاران
المعروف بحرا ومنفتحه بميم فنون ففا ففوقية فمهملة فها اي المحل الذي
يصعد منه اليه ويهبط الذي يلي قعيقعان الى بطن الوادي
وهو شعب بني هاشم وفيه مولده صلى الله عليه وسلم على اصح
الاقوال والثاني بردم بني جمح بمكة والثالث بزقاق المدكك
بمكة والرابع وهو شاذ انه ولد بعسفان والصحيح الذي عليه الجمهور
انه ولد بمكة واختلف في عين المحل على الاقوال الثلاثة قال
ابن قتيبة وليس بهذا غموض بمعجمتين اوله واخره اي خفا لان
تجلي الله من سينا انزاله التوراة على موسى بطور سينا قال
في الانوار جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد
يقال له طور سينين ولا يخلو ان يكون الطور اسما للجبل وسينا
اسم بقعة اضيف اليها والمركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع
صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا
للالف لانه فيعال كديماس من السنا بالمد وهو الرفعة وبالقصر
وهو النور ويجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح
الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير ارض الخليل ابراهيم
بقرية تدعى تسمى ناصرة وبها ولد تلو ما في البشر باسمها يسمى
من اتبعه نصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان فكما وجب
ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل والنبوة فكذلك
يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القران على
محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة الثلاثة المتقدمة وليس
بين المسلمين واهل الكتاب في ذلك اختلاف في ان فاران
هي مكة فدل من قوله في ذلك لبيان اسم الاشارة لكن هذا
يخالف ما قدمه ان فاران ليس مكة بل جبل من جبالها الا ان
يقال هو اسم للجبل وسميت مكة باسمه لقربها منه وفي البشر
وفاران هي مكة لا يخالف في ذلك احد من اهل الكتاب وفي
التوراة وربى اي اسماعيل في برية فاران فمكة هي منشا اسماعيل
وحيث ربي وفي جبال فاران اوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم
وان ادعى عن معاندتهم انها غير مكة قلنا اليس في التوراة ان الله
اسكن هاجر واسمعيل فاران فان قالوا بلى طلبنا منهم تعيين ذلك المحل
وقلنا لهم دلونا على الموضع الذي استعلن الله اي اظهر النبوة
منه واسمه فاران والنبي الذي انزل عليه كتاب بعد المسيح
ابن مريم اوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وبين الاول

للتاكيد وهو ما ظهروا انكشف فهل يعلمون دينا ظهر ظهر
الاسلام وفشى في مشارق الارض ومغاربها فتنوه اي انتشر
واتسع وبهذا اغا بر ظهر وفي التوراة ايضا مما ذكره ابن ظفر
في المصنف الذي لا ينكرا هل الكتاب بجنبته في التوراة خطا
با لموسى والمراد به اي الخطاب الذي اختارهم موسى ممن لم
يعبد العجل لميقات ربه بامره اي للوقت الذي وعده
باتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة اصحابهم العجل الذين اخذتهم
الرجفة الزلزلة الشديدة قال بن عباس لانهم لم يزايلوا قومهم
حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سالوا الروية واخذتهم
الصاعقة خصوصا ثم خاطب بني اسرايل عموما والله ربك
يقيم نبيا من اخوتك فاستمع له ما تخاطبه قومه تعنتا كما قال
تعالى اخبارا عنهم وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او
تاتينا اية اي هلا يكلمنا كما يكلم الملايكة او يوحي الينا انك رسوله
او تاتينا اية حجة على صدقه والاول استكبار والثاني جحود كما
في الانوار فهو تسلية لموسى عليه السلام كالذي سمعت ربك
في حورث بحا مهملة اوله وفوقية اخره قال في القاموس موضع ولا
نظير لها اي لهذه الكلمة يوم الاجتماع حتى قلت لا اعود اسمع
صوت الله ربي لئلا اموت فقال الله تعالى نعم ما قالوا
وساقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فمه
فيقول لهم كل شي امرته وفي نسخة امره به وايما رجل لم يطع من
تكلم باسمي فانا انتقم منه وجوز شيخنا في التقدير ان يكون هذا
من باب واذ اخذ الله ميثاق النبيين اي استمع له اذا وجد
وانت حي كسماعك لربك وهذا بعيد جدا ولذا لم يذكره في الشرح
قال بن ظفر وفي هذا الكلام ادلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
من ثلاثة اوجه فقال فقوله لفظه منها قوله نبيا من اخوتهم
وموسى وقومه من بني اسحاق واخوتهم من بني اسماعيل ولو
كان هذا النبي الموعود به من بني اسحاق لكان من انفسهم
لا من اخوتهم كما قال عز وجل اخبارا بدعوة ابراهيم لولده
اسماعيل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وكما قال سبحانه مخاطبا
للعرب لقد جاءكم رسول من انفسكم هذا تركه المصنف من كلام ابن
ظفر واما لفظه ومنها نبيا مثلك وقد قال في التوراة لا يقوم
في بني اسرايل احد مثل موسى من انفسهم فلا بنا في انه قام فيهم
مثل موسى بل اجل وهو محمد عليه السلام لعموم دعوته لانه
من بني اسماعيل اخوتهم لا من انفسهم فلا خلف بين هذا وقول
التوراة السابق وساقيم لهم نبيا مثلك وفي ترجمة اخرى مثل

موسى لا يقوم في بني اسرايل ابدا من انفسهم فذهبت اليهود
الى هذا النبي الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل
لان يوشع لم يكن كفوا لموسى عليه السلام بل كان خادما له
في حياته ومؤكدا لدعوته وداعيا اليها بعد وفاته فتعين
ان يكون المراد به محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفوء موسى لانه
يماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام
اي اظهارها والمجي بها وان كان اصلها من الله واجرا النسخ
على الشرايع السالفة ومنها قوله تعالى اجعل كلامي في فمه
فانه واضح في ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه
اوحي اليه بكلامي فينطق به على نحو رايده ولم يفصح في ابن ظفر
انما قال على ما سمعه ولا انزل عليه صحفا ولا الواحا كما انزلت
عليك يا موسى لانه اي لانه اي لا يحسن ان يقرا المكتوب مدة حياته وبقية
كلام ابن ظفر وقوله ايما رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني انتقم
منه دليل على كذب اليهود في قولهم ان الله امرنا بمعصية كل نبي
دعانا الى دين يتضمن نسخا لبعض ما شرعه موسى هكذا
مع قطعنا انهم يكتمون الحق وهم يعلمون وانهم يحرفون الكلم
عن مواضعه فان اهل الكتابين عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم
كما عرفوا ابناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
وانما يذكر ما اظهروه ورضوا التفسير له مما حكيناه عن تراجمهم
بلفظهم الذي اختاروه واثبتوه في كتبهم ليكون ذلك اقطع
لعذرهم واحسم لروغانهم وقد صح انه صلى الله عليه وسلم اتى اليهود
فقال اخرجوا الى اعلمكم فاخرجوا اليه عبد الله بن صوريا
الاعور فقال له صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي اطعم اسباطكم
المن والسلوى وظلل عليهم الغمام اتعلم اني رسول الله فقال ابن
صوريا اللهم نعم وان القوم ليعرفون من هذا ما اعرف وان
نعتك لبين عندهم ولكن القوم حسدوك لانك عربي قال فاسلم
قال اني اكره خلاف قومي وعسى ان يسلموا فاسلم انتهى وفي
الانجيل مما ذكره بن ظفر بك بضم الظا المهملة وسكون المعجمة وضم
الرا وفتح الموحدة بم كاف علم مركب من ظفر وبك الامام العلامة
المحدث سيف الدين ابن ايوب الجميري المركماني الدمشقي الحنفي
في كتابه الدر المنتظم في مولد النبي صلى الله عليه وسلم قال يوحنا
في انجيله اضافة اليه لان عيسى لم تظهر دعوته في عصره وانما اخذ
الانجيل عنه اربعة من الحواريين متى ويوحنا وقيس ولوقا فتكلم
كل واحد من هولا بعبارة لملايمة الذين تبعوا دعاهم ولهذا
اختلفت الاناجيل الاربعة اختلافا شديدا قال في المنتقى عن

الذي هو

المسيح انه قال انا اطلب لكم من الاب ان يعطيكم فارقليط
قال المحم في المقصد الثاني واما البارقليط والفارقليط
بالموحده وبالفا بدلها وفتح الرا والقاف وبسكون الرا مع
فتح القاف وبفتح الرا مع سكون القاف وبكسر الوا وسكون القاف
غير منصرف للعلمية والعجمة اخو شيت معكم الى الابد اخر الدهر
يبقا دينه الى القيامة روح الحق اضافة اليه ليميز روحه عن
سائر المخلوقات بما خصه الله به من الكمال لانه الذي لم يطرق
العالم ان يقتلوه وان اراد بعضهم ذلك وهو عند ابن سعد
في البشر بلفظ ومما ترجموه في الانجيل ان عيسى قال ان احببتموني
فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ابي اي ابي كما يأتي فيعطيكم
فارقليط اخر فيكون معكم الدهر كله يبقا شريعته الى انقضا
الدهر قال ابن ظفر فهذا تصريح بان الله سيبعث اليهم من يقوم
مقامه اي عيسى وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه وتكون شريعته
باقية مخلدة ابدا الى يوم القيمة كما هو مفاد قوله كله فهل هذا
الا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب النبوة الخاتمة انتهى ولم يذكر
فصوله اي انواع المسايل التي ذكرها الفارقليط كما افاده ابن ظفر بكر
سوى يوحنا دون غيره من نقلة الانجيل ومن حفظ حجة وقد
اختلف النصارى في تفسير الفارقليط قال ابن ظفر والذي صح
عندي من ذلك عنهم انه الحكيم الذي يعرف السر فقيل هو الحامد
وقيل هو المخلص بشد اللام اسم فاعل فان وافقناهم على
انه المخلص افضى بنا الامر الى ان المخلص رسول يأتي لخلاص
العالم من الهلاك باخراجهم من الكفر الى الايمان وذلك من
غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له
قول المسيح في الانجيل اني جيت لخلاص العالم فاذا ثبت
ان المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو
الذي سال الاب ان يعطيهم فارقليط اخر ففي مقتضى
اللفظ ما يدل على انه قد يقدم فارقليط اول حتى يأتي
فارقليط اخر وهو محمد صلى الله عليه وسلم وان بكسر فسكون شرطية
تنزلنا معهم ووافقناهم على القول بانه الحامد وجواب الشرط
فاي لفظ اقرب الى احمد ومحمد من هذا الذي هو الحامد قال
ابن ظفر محمد في البشر وفي الانجيل مما ترجموه ما يدل على ان
الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذي يسمعونه
ليس هو لي بل الاب اي الرب الذي ارسلني بهذا الكلام لكم
لفظ ابن ظفر كلمتكم بهذا وانا معكم واما البارقليط روح القدس الذي
يرسله الى باسمي فهو يعلمكم كل شي وهو يذكركم بالتثقيل كلما

الدهر

تلته لكم لفظه جميع ما اقوله لكم فهذا يفهم منه ان الفارقليط الرسول
فهل بعد هذا بيان البس هذا صريحا في ان الفارقليط رسول
يرسله الله تعالى وهو روح القدس وهو يصدق بشد الدال
المكسوره بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وعبده
ليس بالاه كما زعموا فضلوا وهو يعلم الخلق كل شي ويذكرهم كلما
اي شي قاله لهم المسيح عليه السلام وكلما امرهم به المسيح من توحيد
الله بنحو قوله اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد
حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار فهل
جابهذا الا محمد صلى الله عليه وسلم واما قوله ابني فهذه اللفظه
مبدله محرفه ومع ذلك ليست منكره الاستعمال عند اهل الكتابين
يقولها المتكلم اشارة الى الرب سبحانه وتعالى لانها عندهم لفظه
تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد منه العلم وهو شيخه
ومن المشهور مخاطبة النصارى عظما دينهم بالاب الروحانيه
بضم الراء ولم تزل بنوا اسرايل يعقوب وبنوا اخيه عيصوا بكسر
العين المهمله واسكان اليا ومهملة يقولون نحن ابنا الله لسو فهمهم
من الله تعالى زاد ابن ظفر واختلال بصايرهم في التلقي من انبيايه
وقد قرات في التوراة مما اساوا الترجمة عنه فنظر الرب وسخط من
اغضبه بنوه وبناته وقال ساعرض بوجهي عنهم وانظر الى ما يصير
عاقبتهم لانهم خلف معوج ابنا ليس لهم ايمان واما قوله يرسله الي
ما سمي فهو اشارة الى شهادة المصطفى له لعيسى بالصدق
والرسالة وما تضمنه القران من مدحه وتنزيهه عما افترى
في امه لفظ ابن ظفر عما افتراه في عيسى امرا اليهود وعبارة المحم الكريه
اشبه وفي ترجمة اخرى للانجيل انه قال البارقليط اذا جا
وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقا نفسه واستانف قوله
ما اي الذي يسمع من ربه بواسطة الوحي في اغلب الاحوال هو الذي
يكلمهم به ويسوسهم يدبرهم ويقوم بامرهم بالحق ويخبرهم بالحوادث
والغيوب التي كانت وتكون الى يوم القيامة هكذا وهو عند ابن
ظفر بلفظ فاذا جا روح الحق ليس ينطق من عنده
بحر الظرف بمن بل يتكلم بكل ما يسمع اي يسمعه من الله بالوحي
ويخبرهم بما يأتي وهو يحذرني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم
فقوله ليس ينطق من عنده مبتدا وعطف عليه قوله وفي الرواية
الاخرى التي فوق هذه ولا يقول من تلقا نفسه بل يتكلم بكل
ما يسمع من الله الذي ارسله وهذا كما قال تعالى في القران
في صفته صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى هوى نفسه
ان هو الا وحي يوحى جملة معترضة لبيان ان ما في الانجيل

موافق للقران وعطف على المبتدا ايضا فقال وقوله وهو يجدني وهو وحذف الخبر وهو دليل على ان المقول فيه ذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم وعلل هذا الخبر المقدر بقوله فلم يجده حق تجحيده الا يمعنى غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبراه وبرا امه مريم عليهما السلام مما نسب اليهما وامرا منه بذلك فقد قال ابن ظفر محمد في البشر فمن ذا الذي ونخ العلما على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس من عرض الدنيا واتخاذهم اربابا من دون الله ومن ذا الذي انذر بالحوادث واخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم فوقعت كما قال وما لم يقع لابد كما قال وسيدرك محمد عبد الله الشقراطيسي رحمه الله حيث قال في قصيدته اللامية المشهوره

توراة موسى اتت عنه فصدقها ، انجيل عيسى بحق غير مفتعل ،
اخبار احبار تلك الكتب قد وردت ، عما راو ورووا في الاعصر الاول ،

ويعجبني قول العارف الرباني ابي عبد الله بن النعمان حيث قال

، هذا النبي محمد جات له ، توراة موسى للانام مبشر ،
، وكذاك انجيل المسيح موافق ، ذكرا لاحمد معرب ومذكر ،

ويرحم الله بن جابر محمد احيث قال

، لبعثته في كل جيل علامة ، على ما جلت الكتب من امره الجلي ،
، فجا به انجيل عيسى باخر كما قد مضت توراة موسى باول ،

والابيات السنة غنية عن الشرح وقد اعترض على المص وغيره ممن اكثر النقل عن التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب المنسوخة فان الاشتغال بها ينافي الغرض من نسخها وقد حرم الفقها قراتها والنظر فيها وانها محرفة مبدلة ثم اختلفوا هل التحريف بالزيادة والنقص او بتاويلها وتفسيرها بغير المراد منها واجيب بانه لا مانع من قراتها للعارف الفطن لمعرفة صفة النبي صلى الله عليه وسلم فيها ولالزامهم بما انكروه وكيف يحرم لمثل هذا وقد قال تعالى قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ووقع في احاديث النقل عنها وقال الحلبي في شرح الشفا اذا وجد فيهما ما يقوم النظر على عدم تبديله وافادة النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد ان يباح النظر فيه والاشتغال به وفي الدلايل للبيهقي عن شيخه الحاكم ابي عبد الله المشهور بسند لا باس به عن ابي امامة الباهلي صدي بالتصغير بن عجلان الصحابي المشهور سكن الشام ومات بها سنة ست وثلاثين ثمانين عن هشام بن العاص الاموي بضم الهمزة نسبة الى امية على القياس وبفتحها على

من وقوعه

خلافه وهو الاشهر عندهم تقدم مرارا قال بعثت انا ورجل اخر من قريش كما في نفس رواية البيهقي اي في زمن الصديق الى هرقل بكسر الها واسكان الرا وفتح القاف على المشهور صاحب الروم يدعوه الى الاسلام فذكر الحديث وهو فنزلنا على جبلة فدعوناه الى الاسلام فاذا عليه ثياب سود فسالناه عن ذلك قال حلفت ان لا انزعها حتى اخرجكم من الشام فقلنا له والله لناخذن مجلسك هذا ولناخذن ملك الملك الاعظم اخبرنا بهذا نبينا قال لستم بهم ثم ذكر قصة دخولهم على هرقل وانه ارسل اليهم ليلا واختلى بهم قال فدخلنا عليه فدعى بشي كهيئة الربعة العظيم مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج اي اخرج حريرة سودا فنشرها فاذا فيها صورة حمرا واذا رجل اي واذا تلك الصورة صورة رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان بالضاد المعجمة خصلتان من الشعر احسن ما خلق الله تعالى قال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا ادم عليه السلام ثم فتح بابا اخر فاستخرج حريرة سودا واذا فيها صورة بيضا فاذا رجل احمر العينين ضخم الهامة عظيم الراس حسن اللحية فقال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا اخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضا واذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعرفون هذا اسقط من رواية البيهقي فبكينا وقلنا نعم محمد رسول الله ونبينا والله انه اي هرقل قام قايما ثم جلس تعظيما لصورته وقال انه لهو قلنا نعم انه لهو كانك تنظر اليه فامسك ساعة مدة من الزمن ينظر اليها ثم قال اما بالفتح والتخفيف والله انه لاخر البيوت ولكني عجلته لكم لانظر ما عندكم من العلم بنبيكم الحديث وفيه ذكر صورا لانبيا ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال فقلنا له من اين لك هذه الصورة فقال ان ادم سال ربه ان يريه الانبيا من ولده فانزل عليه صورهم اجابة لسواله فكان في خزانة ادم اي ذلك المنزل من صورهم مع صورة ادم عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال النبي عليه السلام ثم تنقلت الى ان وصلت الى هرقل وفي بقية خبر البيهقي ثم قال هرقل لوطابت نفسي بالخروج من ملكي لوددت اني كنت عبدا لاشركم حتى اموت قال فلما رجعنا حدثنا ابا بكر فبكى ثم قال لو اراد الله به خيرا لفعل ثم قال اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم واليهود يعرفون نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال فى الاصابة وقد تقدم فى ترجمة عدي بن كعب نحو هذه
القصة لكن فيها انه هشام بن العاصي السهمي فالله اعلم وقال
فيما تقدم لا اعرف نسب عدي بن كعب وروي المعافى فى الجليس
عن عبادة بن الصامت قال بعثني ابو بكر ومعي عمرو بن العاصي
واخوه هشام بن العاصي وعدي بن كعب ونعيم بن عبد الله
الى ملك الروم فدخلنا على جبلة فذكر قصة طويلة نحو رقتين
واسناده ضعيف وقد اخرجها البيهقي عن هشام بن العاصي
الاموي وفي زبور داود عليه السلام من مزمور مفرد مزامير
كمزمار اربعة واربعين اي المنغم لها وهي ما كان يتغنى به من
الزبور وضروب الدعا فاضت النعمة من شفتيك من اجل
هذا باركك اي جعلك الله مباركا وفي ابن ظفر عن الزبور
مخاطبا المصطفى لتنزيله منزلة الموجود لتحققه عنده فاضت
الوجهة على شفتيك من اجل ذلك ابارك عليك الى الابد تقلد
ايها الجبار من اسمايه صلى الله عليه وسلم لجبره الخلق على الحق
وصرفهم عن الكفر او لاصلاحه امته بالهداية والتعليم او لقهر
اعدايه او لعلو منزلته على الخلق وعظم خطره ونفي تعالى
عنه جبرية التكبر فقال وما انت عليهم بجبار سيفك اي اجعل
حمايله على عاتقك واجعله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيومر
بالجهاد فان شرايعك جمع شريعة وسنتك كذا في النسخ والذي
قدمه المص فى الاسما ومثله فى الشفا وابن ظفر وابن دحية فان
ناموسك وشرايعك والمراد بالناموس الوحي النازل عليك
ويحتمل ان شرايع عطف تفسير ولذا وجد الخبر فقوله مقرونة
كلبيته بيمينك اي بالخوف من سيفك فكنى عنه بذلك او بجوز بالبين
عما فيه وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك
بالمعجمة من الخرور وهو السقوط اي يخضعون ويذلون لك
فهذا المزمور ينبوه برفع محمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة
التى فاضت من شفتيه هى القول الذي يقوله وهو
الكتاب الذي انزل عليه اي القران والسنة التى سنها اذ لا
ينطق عن الهوى وفي قوله تقلد سيفك ايها الجبار دلالة على
انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيف امة من الامم الا
العرب وكلهم يتقلد وبها على عواتقهم بخلاف غيرهم فيجعلونها
فى اوساطهم وفي قوله فان شرايعك وسنتك نص صريح على انه
صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه قهرا على ما خالف والجبار
الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق وهو التوحيد ويصرفهم عن
الكفر وهو ما خالف الايمان جبرا والتوحيد جبرا عليهم كما قال

امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وعن وهب
ابن منبه بضم الميم وفتح النون وكسر الموحدة الثقيلة ابن كامل اليماني
ابى عبد الله الانباري بفتح الهمزة وسكون بعدها نون تابعي ثقة
له روي له الشيخان وغيرهما مات سنة بضع عشرة ومائة قال
قرات فى بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى
وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب اهل مكة وما حولها
نورا يملا ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسماعيل
ابن ابراهيم نبيا رسولا عربيا اميا لا يقرا ولا يكتب يومن به عدد
نجوم السما ونبات الارض كلهم يومن بي ربا وبه رسولا ويكفرون
بملل ابايهم ويفرون منها من الفرار اي يهربون قال
موسى بن عمران عليه السلام سبحانك تنزيها لك عما يليق بك وتقدست اسماوك
ولقد كرمت فضلت هذا النبي وشرفته على من سواه قال الله
يا موسى انى انتقم من عدوه الكفار فى الدنيا بالقتل والاسر
والاجلا والقحط والسنين وغير ذلك وفي الاخرة بالعذاب المخلد
واظهر دعوته كل دعوة وسلطانه ومن اتبعه على البر والبحر
واخرج لهم من كنوز الارض هذا تركه المص من البشر فقيل قوله
واذل من خالف شريعته ولو كان له سلطان فهو ابدا ذليل
خايف من سطوة الاسلام وعزه وبالعدل الانصاف زينته
وللقسط اي العدل اخرجته فلا يحكم ولا يامر الا به وعزتي لاستنقذن
به امما من النار فتحت الدنيا بابراهيم وختمت بمحمد مثل كتابه
الذي يجي به فاعقلوه يا بنى اسرايل كمثل السقا المملو لبنا يمخض
فيخرج زبده بكتابه اكتب اختم الكتب وبشريعته اختم الشرايع
هذا اسقطه المص من كتاب البشر فقيل قوله فمن ادركه ولم يومن
به ويصدق به باطنا ولم يدخل فى شريعته ظاهرا فهو من الله
بري ذكره ابن ظفر فى البشر وغيره وبقيته اجعل امته يبنون
فى مشارق الارض ومغاربها مساجد اذا ذكر اسمي فيها ذكر
اسم ذلك النبي معي لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول

النوع الخامس

فى ايات تتضمن اقسامه تعالى على تحقيق رسالته

نبوتها وثبوت ما اوحي اليه مستفاد من سابقه لانه متى
تحققت رسالته قطع بصدقه فى كل ما يقوله وقد اخبر بان الله
القران من الله فيكون حقا لكنه اراد التنبيه على انه اقسم
عليه بخصوصه اعتنا بشانه وشد ما معنى القسم منه سبحانه
مع ان القصد به تحقيق الخبر وتوكيده فان كان لاجل المومن

فهو مصدق بمجرد الاخبار بلا قسم وان كان للكافر فلا يفيد فيه
واجيب بان القران نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم
اذا ارادت توكيد امر واجاب القشيري بان الله اقسم لكمال
الحجة وتاكيدها لان الحاكم يفصل اما بالشهادة واما بالقسم فذكر
الله تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال شهد
الله الاية وقال قل اي وربي انه لحق من اياته القران وهو
الظاهر من استدلاله عليه بقوله لانه انه لقران كريم وبجمل
ما هو اعم ودليله والنجم الي قوله ان هو الا وحي وعلوا اي ارتفاع
رتبته منزلته الرفيعة العلية الشريفة فهو من الموصوف
بالمساوي حسنه اختلاف اللفظ وهو سايغ شايع كقوله تعالى
صلوات من ربهم ورحمة ومكانته اي مرتبته المعنوية وهي
الرفعة فهو عطف تفسير والمكان معروف اذا زيدت فيه
الها اريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة وهذا النوع
اعزك الله جملة معترضة دعايية لخصت اكثره من كتاب اقسام
القران للامام العلامة ابن القيم محمد بن ابي بكر مع زيادات من
فوايد اي نفايس الفوايد وغرايبها وهي الجواهر النفيسة فهي من
اضافة الصفة للموصوف اي الفوايد النفيسة كالجواهر وحقيقته
واذا اردت ذلك فاعلم ان الله تعالى اقسم باموره على امور
وانما اقسم بنفسه اي بالالفاظ الداله على ذاته الموصوفه بصفاته
وذلك في سبعة مواضع من القران قل اي وربي انه لحق وقوله
بلى وربي فوربك لنحشرنهم فوربك لنسالنهم فلا وربك لا يومنون
فورب السما والارض انه لحق فلا اقسم برب المشارق والمغارب
والباقي كله اقسم بمخلوقاته كما قال واقسم باياته المستلزمة
لذاته وصفاته لدلالة الايات على الصانع واورد كيف اقسم
بالخلق وقد ورد النهي في القسم بغير الله اجيب
بان المراد بنحو قوله والعلم ورب العلم وكذا الباقي وبان العرب
كانت تعظم هذه الاشيا وتقسم بها فنزل القران على ما تعرفه
وبان الاقسام انما يكون بما يعظمه المقسم ويجله وهو فوقه
والله تعالى ليس فوقه شي فاقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته
لانها تدل على بارين وصانع واقسامه ببعض مخلوقاته
دليل على انه اي ذلك البعض من عظيم اياته من اضافة الصفة
للموصوف قال ابن القيم والقسم اما على جملة خبرية وهو الغالب
كقوله فورب السما والارض انه لحق واما على جملة طلبية كقوله
فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون مع ان هذا القسم
قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به

تحقيق

تحقيق المقسم والمقسم عليه ويراد بالقسم توكيده وتحقيقه ثم
تعالي تارة يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة يحذفه
وتارة يقسم علي ان القران حق وتارة علي ان الرسول حق وتارة
علي ان الجزا والوعد بالخبر والوعيد بالشر حق فالاول وهو ان القران
حق كقوله تعالى فلا اقسم بزيادة لا بمواقع النجوم بمساقطها لغروبها
وانه اي القسم بها لو تعلمون عظيم اي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم
عظم هذا القسم انه اي المتلو عليكم لقران كريم كثير النفع لاشتماله على
اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد وحسن مرضي في
جنسه في كتاب مكتوب مكنون مصون وهو المصحف لا يمسه خبر بمعنى
النهي الا المطهرون اي الذين طهروا انفسهم من الاحداث وباقي
بسط هذا والثاني كقوله تعالى يس والقران الحكيم المحكم بعجيب
النظم وبديع المعاني انك لمن المرسلين على صراط مستقيم اي طريق
الانبيا قبلك التوحيد والهدي والتاكيد بالقسم وغيره رد لقولهم
الكفار لست مرسلا والثالث والذاريات الرياح تذرو التراب
وغيره ذروا الي قوله وان الدين الجزا بعد الحساب لواقع لا محالة
وهذه الامور الثلاثة القران والرسول والمعاد المعبر عنه اولا
بالجزا والوعد والوعيد متلازمة فمتى ثبت ان الرسول حق
ثبت ان القران حق لان المعاد الرسول اخبر بانه من عند الله
ومحال على الرسول الكذب وثبت المعاد الرجوع الى يوم القيمة
الذي اخبر به ومتى ثبت ان القران حق ثبت صدق الرسول
الذي جا به ومتي ثبت ان الوعد والوعيد حق ثبت صدق
الرسول الذي جا به لاستحالة خلاف مع حقيقتهما وفي هذا النوع
خمسة فصول الاول في قسمه تعالي على ما خصه به من الخلق
العظيم وحباه بوحده اعطاه بلا اجر فلم يحتج الى ان يقول
به ولا الي تبيينه واما قوله من الفضل العظيم فشانه لما المستفادة
من العطف قال الله تعالي ن والقلم وما يسطرون قال ابن
عطية معناه معناه يكتبون سطورا فان اراد الملايكة فهو كتب
الاعمال وما يوزن به وان اراد بني ادم فهو الكتب المنزلة والعلوم
وما جرى مجراها ما انت بنعمة ربك بمجنون اي انتفي الجنون عنك
بسبب انعام ربك عليك بالنبوة وغيرها وهذا رد لقولهم انه
مجنون وان لك لاجرا ثوابا غير ممنون منقطع وانك لعلى خلق عظيم
اتى بعلى اشارة لاستعلائه عليه لكونه مجبولا عليه بغير تكلف
ن من اسما الحروف كالم والمص وق واختلف فيها فقيل هي اسما
للقران قاله مجاهد رواه ابن جرير وقتادة رواه عبد بن حميد
اي ان فاتحة كل سورة ابتدئت بنحو هذه الاحرف اسم للقران

بتمامه ولذا اخبر عنها بالكتاب فى قوله الر كتاب انزلناه والقران
فى قوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين **وقيل اسما للسور**
وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه قال الامام
الرازي وقد نقض هذا القول بامور احسنها ان اسما السور
توقيفية ولم يرد مرفوعا ولا موقوفا عن احد من الصحابة
ولا التابعين ان هذه اسما للسور فوجب الغا هذا القول
وتقضه الرازي بانها لو كانت اسما لها لوجب اشتهارها بها وقد
اشتهرت بغيرها كسورة البقرة وال عمران **وقيل اسما الله** قاله
ابن عباس اخرجه بن المنذر وابن جرير وابن ابي حاتم وابن
مردويه والبيهقي باسناد صحيح **ويدل عليه ان عليا رضي الله
عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق** اخرجه بن ماجه في تفسيره
عن فاطمة بنت علي بن ابى طالب انها سمعته يقول يا كهيعص
اغفرلى **كما قيل** ان قول علي ذلك يدل علي انها اسما الله **ولعله
اراد يا منزلهما** كما قال البيضاوي فلا يدل على ذلك قال
السيوطي يرده ما اخرجه ابن ابي حاتم عن الربيع بن انس فى
قوله كهيعص ان معناه يا من يجير ولا يجار عليه ومثله ما اخرجه
عن اشهب قال سالت مالكا ايسبغي لاحد ان يسمي بيس قال
لا تقول الله يس والقران الحكيم لقول هذا اسمي تسميت
به وكذا حديث ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون **وقيل
انه سر اي امر خفي استاثر الله بعلمه** اخرجه ابو الشيخ وابن
المنذر عن داود بن ابي هند قال كنت اسال الشعبي عن
فواتح السور فقال يا داود ان لكل كتاب سرا وان سر هذا القران
فواتحه فدعها وسل عما بدا لك **وقد روي عن الخلفا الاربعة
وغيرهم من الصحابة** فحكاه الثعلبي وغيره عن ابي بكر وعلي
وكثير وحكاه السمرقندي عن عمر وعثمان وابن مسعود ونقله
الرازي عن ابن عباس **ما يقرب منه** وحكاه القرطبي عن الثوري
والربيع بن خيثمة وابن الانباري وابى حاتم وجماعة من
المحدثين واختاره ومال اليه الرازي **ولعلهم ارادوا انها
اسرار بين الله ورسوله لم يقصد بها افهام غيره** لانه امر انفرد
بعلمه تعالي كما قد يقتضيه لفظ استاثر **اذ يبعد الخطاب
من الله** لرسوله **بما لا يفيد** وهذه عبارة البيضاوي فى اول
البقرة وما نرجاه جزم به العلم السخاوي فقال المروي عن
الصدر الاول في التهجي انها اسرار بين الله وبين نبيه صلوات
الله عليه وقد يجري بين المحترمين كلمات معميات تشير الي سر
بينهما وتفيد تحريض الحاضرين على استماع ما بعد ذلك وهذا

معنى قول السلف حروف التهجي ابتلا لتصديق المومنين وتكذيب
الكافرين هذا وهي اعلام توقظ من رقدة الغفلة بنضج التعليم
وتنشط في القا السمع على شهود القلب للتعظيم انتهى **وهل المراد
بقوله هنا ن اسم الحوت** ام غيره فيه خلاف يحذف عند بل هل لعله
من قوله الاتى وقيل المراد الدواة وعلى القول بانه الحوت **هل المراد
به الجنس** بمعنى اي حوت كان **او البهموت وهو الذي عليه الارض**
وبهذا اعلم سقوط دعوى زيادة هل الثانية **وهل المراد به
الدواة** عللة البيضاوي بان بعض الحيتان يستخرج منه شي سواد
من الحبر يكتب به **وهو مروي عن ابن عباس** وقتادة والضحاك
قال بن عطية فهذا اما ان يكون لغة لبعض العرب او تكون
لفظة اعجمية عربت وقال الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم ❊ القت النون بالدمع السجوم

فمن قال انه اسم الحوت جعل القلم القلم الذي خلقه الله وامره
بكتب الكائنات وجعل ضمير يسطرون للملائكة ومن قال
اسم للدواة جعل القلم هذا المتعارف بين الناس ونصر ذلك
ابن عباس وجعل الضمير فى يسطرون للناس **ويكون هذا
قسما بالدواة والقلم** الذي يكتب به **فان المنفعة بهما بسبب
الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة**
وجرى ابن عطية فجا القسم علي هذا بمجموع امر الكتاب الذي هو
قوام للعلوم والمعارف وامور الدنيا والاخرة فان القلم اخو
اللسان وفطنة الفطنة ونعمة من الله عامة وقيل **ان نون**
بالفتح بلا تنوين اسم ان او بالسكون على الحكاية وقرئ بالفتح
والكسر كص **لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يامرهم به الله
رواه معوية بن قرة** بضم القاف وشد الرا بن اياس بن هلال
المزني ابو اياس البصري التابعي الثقة من رجال الجميع مات
سنة ثلاث عشرة ومائة وهو بن ست وسبعين سنة **مرفوعا**
مرسلا **و**على المروي عن ابن عباس ان المراد به الدواة فقد **اقسم
تعالى بالكتاب** اي بمجموع امر الكتاب كما مر عن ابن عطية
وهو الدواة **والقلم** **وهو القلم** وابعد من
قال اي فى قوله حم والكتاب المبين وفى قوله يس والقران
الحكيم لان بقية السياق يرده وافواه قوله على تنزيه نبيه بقوله
ما انت **الذي هو احد بانه** هذا لا يظهر على قوله السابق
بالدواة والقلم الخ نعم هو ظاهر على انه الذى خط فى اللوح
لكن قد علمت ان ابن عطية انما فرعه على ان ن اسم للحوت وان
من قال اسم للدواة جعل القلم هذا المتعارف واول مخلوقاته

انتهى

في احد القولين والاصح ان العرش خلق قبله كما مر **الذي جري به**
قدره وشرعه وكتبه به الوحي اي بالقلم لا بالمعنى السابق الذي
هو اول المخلوقات بل القلم الذي كتب به الوحي بين يدي النبي صلى
الله عليه وسلم ففيه استخدام ويحتمل رجوعه اليه بالمعنى الاول
على ضرب من المجاز بان يراد بالوحي الموحي اي كتب به الموحي ويويد
الاستخدام قوله **وقيد به الدين** اي حفظه بكتابة ما يدل عليه
واثبت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد
في المعاش والمعاد فان هذه كلها صفات للقلم الذي يخط به
الناس لا سيما قوله **واقام به في الناس ابلغ خطيب** بكتابته
ما حصل للخطيب به الرفعة على غيره واتصافه بقوله **وافصحه**
وانفعه لهم وانصحه وواعظا تشفي مواعظه القلوب من
السقم وبالجملة فقد لفق المصنف بين القولين في القلم **وطبيبا يبري**
بضم التحتية وبالهمز من ابراه الله من المرض **باريه** اي
الذي يبري القلم للكتابة به والياء اصلية او منقلبة عن واو ولا
بريت القلم بريا من باب رمى فهو مبري وبروته لغة **من انواع**
الالم اي المرض وذكر صلة قوله واقسم الله على **تنزيه نبيه ورسوله**
محمد المحمود الممدوح **في كل اقواله وافعاله** وهو من اسمايه صلى الله
عليه وسلم **مما غمصته** بفتح الغين المعجمة وكسر الميم وفتحها وفتح
الصاد المهملة ومعجمة احتقرته وعابته **اعداوه الكفرة** وقال
ابن حبيب في غريب الموطا الغمض بضاد معجمة تصغيرا لنعمة
وتحقيرها وبصاد مهملة اذا صغر الناس وازدرى بهم واستحسن
هذا الفرق بعد ان قال انهما سوا **وتكذيبهم له** بالجر عطف
على ما اي نزهه عن تكذيبهم له وهو واقع **بقوله تعالى ما انت**
بنعمة ربك بمجنون لان معنى الاية بسبب انه تعالى انعم عليك بكمال
العقل والمعرفة فافادت تنزيهه عن الكذب وان تكذيبهم له
كلا تكذيب لعدم الاعتداد به مع قيام الدليل على خلافه **وكيف**
يرمى بالجنون استفهام انكاري وهو ان يكون ما بعد اداته
غير واقع ومدعيه **من اتى بما عجزت العقلاء قاطبة** اي جميعا
عن معارضته وكلت اعيت وعجزت **عن مماثلته وعرفهم**
عن الحق سبحانه **بما لا تهتدي اليه عقولهم بحيث اذعنت**
انقادت **له عقول العقلاء** ولم تستعص عليه **وخضعت** ذلت
له الباب جمع لب بزنة قفل واقفال **الالبا** جمع لبيب بزنة اشحا
وشحيح اي عقول اصحاب العقول الراجحة **وتلاشت** اي حسبت
حتى صارت بمنزلة العدم **في جنب ما جا به بحيث لم يسعها**
الا التسليم والانقياد والاذعان عطف خاص على عام

كاذباه

لانه

لانه انقياد بلا استعصا بخلاف مطلق الانقياد فقد يكون
معه استعصا **طايعة مختارة فهو الذي يكمل** بشد الميم المكسورة
عقولها بكمل الطفل برضاع الثدي ثم بعد ان نزهه وبراه **اخبر**
تعالى عن كمال بشره بعطيته في دنياه واخرته لفظ الشفاء اعلمه
سبحانه بماله عنده من نعيم دايم وثواب غير منقطع لا ياخذه
العد ولا يمن به عليه **فقال** بالفا لتفرعه على ما قبله من الاخبار و
تفصيل له في الجملة **وان لك لاجرا غير ممنون** وعطفه ولانه بثم
اشارة الي بعد ما بين الامرين تعقيبا لسريع الانقطاع ونعيمه
الدايم الواقع في مقابلة تكذيبهم له والاجر المضاعف على عمله
وصبره على طعنهم ورميهم له بما لا يليق ففيه تسلية له صلى
الله عليه وسلم كانه قيل لا يحزنك فقد تبين كذبهم بداهة فلا نقص
يعود عليك بما قالوه فلك نعيم مويد في مقابلته والصبر
على الشدايد والمقاساة في التبليغ ففيه تثبيت وتحضيض **اي**
ثوابا تفسير الاجر **غير منقطع بل هو دايم** تفسير لقوله غير ممنون
وفي ابن عطية اختلف في معنى ممنون فاكثر المفسرين انه
الواهن المنقطع وقيل ضعيف وقيل غير ممنون عليك اي
لا يكدره من به وقال مجاهد معناه غير مضر ولا محسوب
اي بغير حساب اسهي ونكر الاجر للتعظيم اي اجرا عظيما
لا يدرك الوصف ولا يناله التعبير المتعارف للناس اذ
يقصر عن ادايه لكثرته واتى بتاكيدات اربع للاهتمام والتقرير
والانكار وزيادته فاكد المجموع بالمجموع او هي موزعة على ما ذكر
وان لم يكن صلى الله عليه وسلم منكرا لانه قد يراعي حال السامع
كما في التعريض ثم اثنى عليه مدحه بما منحه اي اعطاه من مواهبه
السنية فقال وانك لعلى خلق عظيم موكدا بان مع القسم واللام
واسمية الجملة تتميما للتعظيم وهذا من اعظم ايات نبوته ورسالته
ولقد سيلت عايشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم
فقالت كان احسن الناس خلقا كان خلقه القران يرضى لرضاه
ويغضب لغضبه لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الاسواق
ولا يجزي بالسيية السيية ولكن يعفو ويصفح ثم قالت اقرا قد
افلح المومنون الى العشر فقرا السايل فقالت هكذا كان خلقه
صلى الله عليه وسلم اخرجه ابن ابي شيبة وغيره مطولا ورواه
احمد ومسلم وابو داود عنها بلفظ كان خلقه القران يغضب
لغضبه ويرضى لرضاه ومن ثم قال ابن عباس وغيره تفسيرا
لقوله على خلق اي على دين عظيم وسمي الدين خلقا لان
الخلق الحسن هيية مركبة من علوم صادقة وارادة زاكية

صالحة نامية وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل الإنصاف والحكمة وهي تحقيق العلم وإتقان العمل ويطلق على أمور والمصلحة التي تقتضيها وأقوال مطابقة للحق لا كذب فيها أصلا تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك الا العلوم والإرادات فتكتسب النفس بها أخلاقا حسنة هي أزكى أي أنمى الأخلاق وأشرفها وأفضلها عطف تفسير وهذا كله بيان للمراد بالخلق الحسن في استعمالهم وهي إرادات تترتب عليه إذ الخلق الطبيعة وهذه الكما لات ليست نفس الطبيعة وتكون حسنة وقبيحة قال ابن الأثير الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافه ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة وهذه الأخلاق الحميدة كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم المقتبسة أي المأخوذة من القرآن وكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا وتبيينا تفسير وعلومه علوم القرآن وكانت إرادته وأعماله ما أوجبه طلبه طلبا جازما وندب طلبه طلبا غير جازم إليه القرآن وأعراضه وتركه لما منع القرآن منه ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهده فيه وكرهه فيما كرهه تحقة الراكيلنسب قوله بعد أحبه فيه ومحبته فيما أحبه وسعيه في تنفيذ أوامره فترجمت أم المؤمنين عائشة لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن فعل ماض عطف على فترجمت تصرفها أو هو بضم الحاء وسكون السين والجر عطف على لكمال والأول أظهر عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن وفهم السائل عنها هذا المعنى واكتفى به واشتفى من داء الجهل بمعنى أنه زال ما كان عنده من التوقف الحامل على السؤال حتى كأنه برئ من داء يروم مزيدا لشرح هذا في الفصل الثاني من المقصد الثالث ولما وصفه تعالى بأنه على خلق عظيم قال مسليا له عما قالوه في حقه بما وعده من عقابهم وتوعدهم فستبصر ويبصرون قال أبو عثمان المازني هنا تم الكلام واستأنف قوله بأيكم المفتون قال الأخفش بل هو عامل في الجملة المستفهم عنها في معناها أي أيكم الذي فتن بالجنون والباء زائدة قاله قتادة وأبو عبيدة معمر وقال الحسن والضحاك المفتون بمعنى الفتنة فالمعنى بأيكم الجنون على أن المفتول مصدر كالمعقول أي العقل وقيل المعنى

بأي

بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أو بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهذا معنى قول الأخفش المعنى بأيكم فتنة المفتون قال المعنى وهذا قول حسن قليل التكلف أي فستري يا محمد ويري المشركون كيف عاقبة أمرك فإنك تصير معظما في القلوب ويصيرون أذلاء جمع ذليل مغلوبين وتستولي عليهم بالقتل والنهب تفسير لقوله فستبصر ويبصرون

الفصل الثاني في قسمه

تعالى على ما أنعم به عليه الأظهر على إنعامه كما عبر به قريبا لأن ما فعله الله مع رسوله هو حقيقة الإنعام وما قام به صلى الله عليه وسلم هو المنعم به إلا أن يقال إنه من حيث صدوره عن الله تعالى فيساوي ما بعده وأظهره من قدره العلي لديه عنده قال الله تعالى والضحى والليل إذا سجى معناه سكن واستقر ليلا تاما وقيل معناه أقبل وقيل أدبر وأقبل والأول أصح يقال بحر ساج أي ساكن ومنه قول الأعشى

«فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم ٭ وبحرك ساج لا يواري الدعامصا»

وطرف ساج إذا كان ساكنا غير مضطرب النظر قاله ابن عطية والمراد سكون الأصوات وأصحابه ما ودعك قرأ الجمهور بشد الدال من التوديع وقرأ عروة بن الزبير وابنه هشام بتخفيف الدال بمعنى تركك وكذا قرأ مقاتل وابن أبي عبلة وفي الحديث لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين أخرجه مسلم وغيره ولينتهين بضم الياء التحتية وفتح الفوقية والهاء ليدل على واو الضمير المحذوف إذ أصله لينتهون وفي الحديث إن من شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وقال الشاعر

«وكان ما قدموا لأنفسهم ٭ أعظم نفعا من الذي ودعوا»

فلا عبرة بزعم النحاة أن العرب أماتت ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل استغنى بترك لوروده عن سيد الفصحاء قراءة وحديثا للماضي ومصدرا في الحديث الصحيح وفي شعر العرب وما هذا سبيله يجوز القول بقلة استعماله ولا يجوز القول بالإماتة وقال الطيبي يحمل كلام النحاة على قلة استعماله مع صحته قياسا لكن قال السيوطي روى الطبراني الحديث بإسناد حسن بلفظ لينتهين أقوام يسمعون النداء يوم الجمعة ثم لا يأتونها أو ليطبعن الله على قلوبهم فعلم أن الرواية الأولى من تغيير الرواة لا من لفظ النبوة فإن سلم له ذلك فكيف يصح في القراءة والشعر العربي مع أن أصل هذا الكلام البالغ فيه لأبي حيان مردود بأنه يرفع الوثوق بالحديث أصلا إذ كل لفظة يحتمل

انها من تغيير الرواة فالوجه الجمع بان يكون صلى الله عليه وسلم
نطق باللفظين ويؤيده اختلاف المخوح ربك وما قلى اي ما
ابغضك السورة بالنصب بتقدير اقرأوا واذكر اقسم الله تعالى
على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له اي تنويهه
واللطف به واعطايه ما يرضيه في الدارين وذلك متضمن لتصديقه
له في دعواه الرسالة فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزايه في
الاخرة فهو قسم على النبوة والمعاد جميعا من قوله وللاخرة
خير نبا على ان المراد بها القيمة قال ابن عطية يحتمل ان يريد
الدنيا والاخرة وهذا تاويل ابن اسحاق وغيره ويحتمل ان يريد
حالته في الدنيا قبل نزول السورة وبعدها فوعده الله على
هذا التاويل بالنصر والظهور انتهى وقيل احوالك الاتية خير
من السابقة في الدارين واقسم الله تعالى باتين عظيمتين
من اياته كما قال ومن اياته الليل والنهار دالتين على ربوبيته
ووحدانيته وحكمته ورحمته بيان لكونهما من الايات وهما
الليل والنهار بقوله والضحى فسره بقول
قتادة الضحى هنا النهار كله وايده بقوله ان ياتيهم باسنا ضحى في
مقابله بياتا وهو مجاز اذ الضحى ارتفاع الضوء وكماله وبه فسر
مجاهد تخصيصه لان النهار يقوى فيه اوكلم الله موسى فيه والقى
السحرة سجدا وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحى
بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره وعليه فمعنى اذا
سجى اشتد سواده وظهر بزوال غبار بحوالسفر عنه ففيه استعارة
وقال الرازي ولا استبعاد فيه لان وجهه صلى الله عليه وسلم
كان شديد النور بحيث يقع نوره على الجدر اذا قابلها وكان
الشمس تجري في وجهه وكان شعره شديد السواد فلا يبعد
اطلاق الضحى والليل عليهما لكن حيث كان ذلك مجازا احتاج
الى قرينة تصرف معناهما عن الحقيقة الا ان يقال ان قايل
ذلك استند لقرينة حالية وقت نزول الاية وتامل مطابقة
هذا القسم فيه وهو نور الضحى مشعرا بانه اثره لشدة ضوئه
فهو اشارة للعقول الاخر الذي يوافي باتي بعد ظلام الليل للمقسم
عليه وهو نور الوحي الذي وافاه اي اتاه بعد احتباسه عنه
مدة خمسة عشر يوما لما قال اخبركم غدا ولم يقل ان شا الله
حتى ارجف اهل مكة وقالوا قد قلاه ربه وتركه قاله ابن
عباس عند ابن اسحاق وقال مجاهد اثنا عشر وقال التيمي وابن
عقبة انما ابطا عليه ثلاثة ايام وقيل اربعة وقيل اربعين حتى
قال اعداوه المشركون ودع محمدا ربه والصحيح في سبب نزولها

ما في الصحيحين وغيرهما عن جندب بن عبد الله قال اشتكى النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة او ليلتين فاتته امراة فقالت
يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فانزل الله تعالى والضحى
والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وهذه المراة هي العورا
بنت حرب امراة ابي لهب رواه الحاكم برجال ثقات عن زيد بن
ارقم وفي الصحيح ايضا عن جندب قالت امراة يا رسول الله ما ارى
صاحبك الا ابطا عنك فنزلت ما ودعك ربك وما قلى قال الحافظ هي
زوجته خديجة كما في المستدرك وغيره فخاطبته كل واحدة
منهما بما يليق بها والعورا قالته شماتة وخديجة توجعا وقصة
ابطا الوحي بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الاية
غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح وتقدم لها مزيد قريبا فاقسم
بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة
احتباسه واحتجابه فهذه مناسبة بين القسم والمقسم عليه وايضا
مناسبة اخرى فان الذي اقتضت رحمته الذي امتن بها في قوله
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ان لا يترك عباده
في ظلمة الليل سرمدا الى يوم القيامة بل هداهم الى مصالحهم
ومعايشهم كما قال ولتبتغوا من فضله لا يتركهم في ظلمة الغي والجهل
بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الى مصالح دنياهم واخراهم فتامل
حسن ارتباط القسم بالمقسم عليه بكل من المناسبتين وتامل هذه
الجزالة العظمة والحسن والرونق الحسن فهو مثنى وحقه اختلاف
اللفظ ولذا قال الذي على هذه الالفاظ اقتصارا على وصف
الرونق المساوي لما قبله معنى حتى كانهما اسم واحد والجلالة
العظمة التي في معانيها لكثرتها مع وجازة لفظها ونفى سبحانه
ان يكون ودع نبيه اي قطعه قطع المودع وقرى بالتخفيف
اي تركك كما في الانوار وقلاه ابغضه فالتوديع الترك لعله
بيان المراد من الاية اذ الترك معنى الوداع مخففا واما بالتثقيل
فتشييع المسافر كما في اللغة ولذا غاير البيضاوي في تفسير القراتين
كما رايت لكن في النسيم الوداع له معنيان في اللغة الترك وتشييع
المسافر وكلهم فسروه بالترك ولما وان صيغة التفعيل تفيد
زيادة المعنى والمبالغة فيه تقتضي لانقطاع التام قالوا
المبالغة في النفي لا في المنفي اولنفي القيد والمقيد ويجوز
ان يفسر بتشييع المسافر على طريق الاستعارة ففيه ايما
الى ان الله تعالى لم يتركه اصلا فانه معه اينما كان وانما الترك
لو تصور من جانبه ظاهر مع دلالته لهذا المعنى على الرجوع
والتوديع انما يكون لمن يحب ويرجى عوده واليه اشار الجرجاني

اذا رايت الوداع فاصبر ۝ ولا يهمنك البعاد
وانتظر العود عن قريب ۝ فان قلب الوداع عاد

فقوله وما قلى موكد له وهذا الم ار من ذكره مع غاية لطفه
والقلا بكسر القاف والقصر وقد يمد البغض مصدر قلي يوزن رمي
اي ما تركك منذ اعتنى بك وهو من اول امره تفسير ما ودعك ربك
اي ما تركك منذ احبك تفسير للقلا وفي الشفا اي ما تركك وما
ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك وزعم شارحه ان
المشهور الثاني واختار الاول لمناسبته لما قبله والاهمال عدم
التقيد مع الترك فهو ترك مخصوص وحذف الكاف من قلى
اكتفا بكاف ودعك فهو اختصاص للعلم به ولان روس الاي بالي
فاوجب اتفاق الفواصل حذفها ولئلا يخاطبه بالبغض وان
كان منفيا ولتعمه واصحابه وامته وتتحسرهم وهذا يعم كل احواله
وان كل حالة يرتقيه اليها هي خير له مما قبلها كما قال وللاخرة
خير لك من الاولى واللام للابتدا موكدة او جواب قسم
ففيه تعظيم اخراي كما اعطاك في الدنيا يعطيك في الاخرة
مما هو اعلى واكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية
بعد ما نفى عنه ما يكره فهو تحلية بعد تخلية ثم وعده
بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى بما تقر بفتح القاف والفوقية
به عينه اي تسكن وبتحتية اوله وشد القاف مكسورة ونصب
عينه يقال قرت العين واقر الله العين قال في فتح الباري
قرة العين يعبر عنها عن المسرة ورويه ما يحبه الانسان
ويوافقه لان عينه قرت اي سكنت حركتها عن التلفت
لحصول غرضها فلا تستشرف لشي اخر فكانه ماخوذ من القرار
وقيل معناه انام الله عينك وهو يرجع الى هذا وقيل بل هو
ماخوذ من القر وهو البرد اي ان عينه باردة لسروره ولذا قيل
دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ومن ثم قيل في ضده
اسخن الله عينه وتفرح بفتح الراء مع فتح اوله فوقية وبضمه تحتية
مع كسر الراء نفسه بسرها ويرضيها والفرح لذة القلب بنيل
ما يشتهي ويتعدى بالهمزة والتضعيف ويبتهج به صدره بوسعه
ويبلا ويه نورا وهو ان يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه
من القران النازل عليه بعد الاية والهدي النصر العون
والتقوية والظفر باعدايه يقال ظفر بعدوه واظفرته به
واظفرته عليه بمعنى واصله الفوز والفلاح يوم بدر بقتل سبعين
واسر سبعين وفتح مكة وحل القتال له فيها ساعة من نهار
وصار اعظم اهلها عليه احوجهم اليه ودخول الناس في الدين

هذه ح

دين الله افواجا جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحدا بعد
واحد وذلك بعد فتح مكة جاء العرب من اقطار الارض
طايعين والغلبة على بني قريظة بقتل رجالهم وسبي
ذريتهم ولسلبهم والنضير باجلايهم وجعلها خالصة له وبث عساكره
وسراياه في بلاد العرب وفي غيرها كبعث زيد والامرا الى
موته من ارض الشام وبعث اسامة ابنه بعد ذلك الى محل
قتل ابيه فخرج بعد الوفاة النبوية فنصره الله وقتل قاتل
ابيه فاقتصر على العرب لكثرتها فيها وما فتح على خلفايه
الراشدين في اقطار الارض من المداين ففتح في ايام الصديق
بصرى ودمشق وبلاد حوران وما والاها ثم في ايام عمر البلاد
الشامية كلها ومضوا الى اقليم فارس وكسر كسرى وفر الى
اقصى مملكته وهرقل الى القسطنطينية ثم في زمن عثمان
مداين العراق وخراسان والاهواز وبلاد المغرب كلها
ومن المشرق الى اقصى بلاد الصين وقتل كسرى ومزق ملكه
بالكلية ثم امتدت الفتوحات بعده الى الروم وغيرها ولم
تزل تتجدد الى الان ولله الحمد وقد فتح في زمنه صلى الله
عليه وسلم المدينة بالقران وخيبر ومكة والبحرين وساير
جزيرة العرب وارض اليمن بكمالها واخذ الجزية من مجوس
هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه هرقل والمقوقس
وملوك عمان والنجاشي الذي ملك بعد اصحمه وما قذف
في قلوب اعدايه من الرعب مسيرة شهر من كل جهة لانه لم
يكن بينه وبين اعدايه اكثر من شهر ونشر الدعوة تفرقتها
وعمومها الخلق ورفع ذكره فلا يذكر الله الا ويذكر معه
صلى الله عليه وسلم واعلا كلمته كلمته على كل كلام فهذا كله
مما اعطاه الله في الدنيا وما يعطيه بعد مماته من الرحمات
النازلات على قبره والرضوان الذي لا يتناهى له دوام ترقياته
ومضاعفة اعماله فيه فانه حي يصلي في قبره باذان واقامة
وله ثواب اعمال امته مضاعفا وما يعطيه في موقف القيمة
من الشفاعة اي جنسها فيشمل الشفاعات الخاصة به كلها والمقام
المحمود هو مقام الشفاعة العظمى الذي يحمده فيه الاولون
والاخرون او كل مقام يتضمن كرامة محمودة وعلى هذا يكون
بمعنى ما قبله وما يعطيه في الجنة من الوسيلة اعلى منزلة في الجنة
فقوله والدرجة الرفيعة عطف تفسير والكوثر نهر في الجنة
اعطانيه ربي كما صح عنه صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه
قال ابن عباس في تفسير هذه الاية يعطيه في الجنة الف قصر

من لولوا بيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها من الازواج
والخدم رواه ابن جرير وغيره ومثله لا يقال الا عن توقيف
فهو في حكم المرفوع وهذا تفصيل بعض ما اعطاه وبالجملة
فقد دلت هذه الاية على انه يعطيه كلما يرضيه مما لا يعلم
على الحقيقة الا هو واما ما يفتريه بها من الافتراء اي الكذب
او بالفتح المعجمة وبعد الرا موحدة من الغرور وهذا اولى وان
كان ظاهر سياقه الاول الجهال من انه لا يرضى واحد من
امته في النار روى الديلمي في الفردوس عن علي قال لما
نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذا لا ارضى واحد من امتي في
النار واخرجه ابو نعيم في الحلية موقوفا على علي قال
في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ليس في القران
ارجى منها ولا يرضى صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من
امته النار وقوله ولا يرضى موقوف لفظا مرفوع حكما
اذ لا مدخل للراي فيه او لا يرضى ان يدخل احد من امته
في النار كما روي عن علي موقوفا وحكمه الرفع كما علم فهو من غرور
الشيطان اي خداعه لهم ولعبه بهم حيث حملهم على الافتراء
الغرور بما لم يفهموا معناه فانه صلوات الله عليه يرضى
بما يرضى به ربه تبارك وتعالى اذ رضاه تابع لرضاه وهو
سبحانه وتعالى يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة
المسلمين ثم يجد بضم الحاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدا
اي يقدر له جماعة ويميزهم عن غيرهم ورسوله عليه السلام
يشفع فيهم كما يأتي ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير فلا يدع
احدا منهم ولا يزيد على من اذن له في الشفاعة فيه ورسوله
عليه السلام اعرف به وبحقه من ان يقول لا ارضى ان يدخل
احد من امتي النار او يدعه فيها هذا ظاهر جدا في انه اراد
انه من الافتراء الكذب لا الغرور بل ربه تبارك وتعالى ياذن
له فيشفع فيمن شاء الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن
له ورضيه ومقام الرضا بما يريده الله والتسليم مقام عظيم
للسالكين فكيف لا يكون لسيد المرسلين وقد رد العلامة
الشريف الصفوي في شرح الشفا وتبعه في النسيم على المهم
التابع لابن القيم بانه جراه وسوء ادب والوجه توجيه الحديث
لوروده بطرق وان ضعفت الحرو لا يبعد ان يكون عذاب العصاة
غير مرضي لله تعالى فلا يرضى به رسوله ايضا لان رضاه على وفق
رضى ربه والرضى بالمقضي فلا يكون مذموما فاذا لم يرض بعصيانهم
ودخولهم النار لعدم رضى ربه به نذ خلهم الله الجنة ولو بالاخرة

للوعد به والرضى بفعل الله انما يجب من حيث انه فعل المولى
الحكيم لا من حيث هو في ذاته والمنفي في الحديث الثاني فهو
لا يرضى بدخول احد من امته النار من حيث هو في ذاته
لا من حيث انه مراد الله فلا اشكال او الرضى مجاز عن ترك
الطلب اي لا اترك طلب العفو واحد من امتي في النار
ولا يلزم منه عدم الرضى حقيقة وكم طلب صلى الله عليه وسلم
لامته امورا وهو في مقام الرضى دائما واذا وعد بالرضا فلا
بد من ادخالهم الجنة لا ترك الطلب كما فهمه فانه دقيق فلا
ينبغي ان يجترئ احد على ابطال الروايات باوهام الشبهات
وهذا محصل مما في شرح المواقف من ان للكفر نسبة الى الله
باعتبار فاعليته له وايجاده ونسبة الى العبد باعتبار محليته
واتصافه به وانكاره باعتبار النسبة الثانية والرضى باعتبار
النسبة الاولى وقال بعض الشراح يجوز ان المراد نفي الرضا
بالدخول على وجه الخلود وانما قال ان يدخل دون ان يخلد
قصد الارادة نفي الرضى بالخلود على نهج المبالغة والاستدلال
او ان المراد ولا يرضى ان يعصي الله احدا من امته فعبر بالمسبب
عن السبب الا ان السياق يأباه انتهى ولا يرضى دخولهم النار
دخولا يشتد عليهم العذاب به بل يكون خفيفا لا تسود
وجوههم ولا تزرق اعينهم كما ورد به الاحاديث فهو تعذيب
كتاديب الحشمة بل قال صلى الله عليه وسلم انما حرجهم على امتي
كحر الحمام اخرجه الطبراني برجال ثقات عن الصديق وللدارقطني
في الافراد عن ابن عباس رفعه ان حظ امتي من النار طول
بلائها تحت التراب وفي تفسير السبكي اطلقت الامة وجوب الرضا
بالقضاء وشاع على السنة العلماء والعوام وورد مرفوعا يقول الله
من لم يرض بقضائي فليطلب ربا سوائي وفي شامل امام الحرمين
لم يثبت عندنا وجوب الرضا بالقضاء فان الانسان اذا اعترته
الالام واكتنفته الاسقام لا يجب عليه ان يطمئن اليها ويرضى
بها ولا عليه ان يكرهها ويبدي قلقا منها يقول لا ينطوي
على اعتراض قال والخبر من الاحاد لا تقوم به الحجة في القطعيات
ثم يعارضه استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم من قضاء السوء
انتهى ثم ذكره لشدة الكاف اي جعله سبحانه متذكرا بنعمة عليه
اي ذكره بتفضيلها وتفضيلها بالضاد وان كان ذاكرا لها وكيف
ينسى مثله وقد قام حين تورمت قدماه وقال افلا اكون
عبدا شكورا وقال بعض الشراح المراد اعلامه بما انعم به عليه
او لاشتغاله بتذكرا لنعم العظيمة المتجددة او النعم كلها على الاجمال

قد يغفل عن تفصيلها او التذكير بمعنى الوعظ لئلا يغفل نحو
تذكر بالقرآن من ابوابه الى عمه ابي طالب حتى كان عنده اعنو
من بنيه بعد يتمه بموت ابيه وامه حبلى به على الصحيح وقيل بعد
ان ولد بقليل فقال الم يجدك من الوجود بمعنى العلم يتيماً
مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال فآوى بالمد وقرئ بالقصر
بمعنى رحم بقول اويت فلانا اي رحمته قاله بن عطية وقيل معنى
الآية آواه الله الى نفسه ولم يحوجه لحماية احد وايوابه وهو بمعنى
قول جعفر الصادق ويتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون عليه حق
لمخلوق وذهب بعضهم الى ان معنى اليتيم عدم النظير من قولهم
درة يتيمة اي لا نظير لها وتسمى فريدة ايضا لانفرادها عن نظائرها
الم يجدك واحدا في شرف قريش بل في جميع الخلق عديم النظير
فآواك اليه لانتفاء من يكافئوك او بذاتك بحيث يركن اليه قال
البخاري وهذا قول ضعيف حكاه صاحب المشروع الروني وجعله
في الكشاف من بدع التفاسير واغناك بعد الفقر قال بن عطية قال
مجاهد معناه بما اعطاك من الرزق وقيل فقيرا اليه فاغناك
به والجمهور على انه فقر المال والمعنى فيه صلى الله عليه وسلم انه اغناه
بالقناعة والصبر وحببا اليه وقيل بالكفاف لتصرفه في مال
خديجة ولم يكن كثير المال ورفعه الله عن ذلك وقال ليس الغنى
عن كثرة العرض ولكنه غنى النفس ثم امره سبحانه وتعالى
ان يقابل هذه النعم الثلاث التي لم يشر المص الى وسطها لانه
سيتكلم عليه في ازالة الشبهات بما يليق بها من الشكر فنهاه ان يقهر
اليتيم بقوله فاما اليتيم فلا تقهر في مقابلة الم يجدك يتيما فآوى
وان ينهر السائل بقوله واما السائل فلا تنهر معناه ان يرده ردا
جميلا اما بعطا او بقول حسن وان يكتم النعمة بل يحدث بها
فان من شكر النعمة التحدث بها واظهارها بالملابس والمطاعم
والمراكب ونحوها فلهذا اتى بمن التبعيضية وفي ابن عطية
قوله واما السائل فلا تنهر بازاء اي مقابل ووجدك ضالا فهدى
على قول ابي الدرداء والحسن وغيرهما ان السائل هنا السائل عن
العلم والدين وبازاء قوله ووجدك عائلا فاغنى قوله واما بنعمة
ربك فحدث ومن قال السائل هو سائل المال المحتاج جعلها بازاء
ووجدك عائلا فاغنى وجعل واما بنعمة ربك فحدث بازاء
ووجدك ضالا فهدى وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث
بالجر عطفا على النعمة اي والمراد بالتحدث بها تبليغها للناس وهذا
قول مجاهد والكلبي وقال آخرون بل هو عام في جميع النعم وكان
بعض الصالحين يقول لقد اعطاني الله كذا وصليت البارحة كذا

وذكرت

وذكرت الله كذا فقيل له مثلك لا يقول هذا فقال ان الله يقول
واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث وقال صلى الله
عليه وسلم التحدث بالنعمة شكر وقال من اسديت اليه يد فذكرها
فقد شكرها ومن سترها فقد كفرها ذكره ابن عطية

الفصل الثالث

في قسمه تعالى على تصديقه عليه السلام فيما اتى به
من وحيه مصدر بمعنى اسم المفعول فقوله وكتابه
خاص على عام وتنزيهه عن الهوى في خطابه اي
نطقه قال الله تعالى والنجم اذا هوى اقسم الله تعالى بهذا
المخلوق تشريفا له وتنبيها للاعتبار به حتى تؤول العبرة الى
معرفة الله تعالى وقيل المعنى ورب النجم وفيه قلق مع لفظ
الآية ما ضل صاحبكم وما غوى والضلال يكون بلا قصد والغي
كانه شيء يكتسبه ويريده وما ينطق صاحبكم عن الهوى اي بهواه
وشهوته وقيل ما ينطق القرآن المنزل عن هوى وشهوة ونسب
النطق اليه من حيث انه يفهم منه الامور كما قال تعالى هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق واسند النطق اليه وان لم يتقدم
له ذكر لدلالة المعنى عليه ذكره بن عطية اقسم تعالى بالنجم
على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه اليه اعداؤه الكفار من الضلال
والغي فنفى عنه ان يكون ضل في هذه السبيل التي اسلكه اياها
قال الرازي والنسفي اكثر المفسرين لا فرق بين الضلال والغي
وبعضهم قال الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة
الرشد قال تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان
يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وتحقيق الفرق ان الضلال اعم
استعمالا في الوضع يقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوى
والمراد من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا مستقيما
والغواية ان لا يكون الى المقصد طريق مستقيم ويدل عليه انه
قال للمؤمن الذي على غير طريق السداد سفيه غير رشيد
ولا يقال ضال فالضال كالكافر والغاوي كالفاسق وكانه
تعالى قال ما ضل اي كفر ولا اقل من ذلك مما فسق ويؤيده
قال انستم منهم رشدا الآية اذ يقال الضلال كالعدم والغواية
كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة ويحتمل ان معنى ما ضل
ما جن فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله ما انت بنعمة
ربك بمجنون وقيل معنى ما غوى ما خاب لما طلب قال
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

اي من خاب في طلبه لامه الناس فيجوز ان هذا اخبار عما بعد
الوحي وان يكون اخبارا عن احواله على التعميم اي كان ابدا موحدا
لله تعالى وهو الصحيح واختلف المفسرون في المراد بالنجم
باقاويل معروفة جمع قول فهو جمع الجمع عبر به للدلالة على كثرتها
والبا متعلقه بالمفسرين او بمقدر من جنسه لانه يقال فسره
بكذا فيتعدى بالبا وان كان بعيدا الظهر من تقدير اختلافا في
معمولا باقاويل منها النجم على ظاهره وسمي الكوكب نجما
لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلع
قاله ابن عادل والقرطبي وزاد ونجم فلان ببلد كذا اذا خرج
على السلطان ويكون ال لتعريف العهد في قول والمعهود
الثريا او غيرها كما ياتي وتعريف الجنس في اخر وهي النجوم
التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر والى هذا ذهب ابو
عبيدة قايلا انه من اطلاق الواحد على الجمع ونقله ابن عطية
والماوردي عن الحسن ونقله غيرهما عن مجاهد ويرد قول ابن
جرير هذا التاويل له وجه ولكن لا اعلم احدا من اهل التاويل
قاله فقيل الثريا بالمثلثة تفريع على ان ال للعهد اذا سقطت
وغابت تفسير لهوى وهو بها مغيبها وهو مروي عن ابن
عباس في رواية علي بن ابي طلحة سالم يكنى مولى بني العباس
سكن حمص وارسل عن ابن عباس ولم يره صدوق قد يخطي مات
سنة ثلاث واربعين ومائة وعطية بن سعد العوفي الكوفي صدوق
يخطي كثيرا وكان شيعيا مدلسا مات سنة احدى عشرة ومائة والعرب
اذا اطلقت النجم تريد بها الثريا قال الشاعر

طلع النجم عشيا ✻ فابتغى الراعي كسا

وفي الحديث ما طلع نجم قط وفي الارض من العاهة شي الا رتفع
رواه احمد واراد الثريا واختار هذا القول ابن جرير والزمخشري
وقال المصنف انه الصحيح لان هذا صار علما بالغلبة وقال عمر بن
ابي ربيعه

احسن النجم في السما الثريا ✻ والثريا في الارض زين النسا

وعن ابن عباس في رواية عكرمة بن عبد الله البربري اراد النجوم
التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في اثارها لان الهوي
السقوط من علو قاله الراغب عند استراق السمع وهذا
قول الحسن البصري وهو تفريع على ان ال جنسية وعن السدي
بضم السين وشد الدال المهملتين اسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي
صدوق يهم مات سنة سبع وعشرين ومائة الزهرة بزنة رطبة
نجم في السما الثالثة وكذا قال سفين الثوري وعلى ان ال عهدية

وهو

وعن الحسن البصري ايضا النجوم اذا سقطت يوم القيامة
فهو بمعنى قوله واذا الكواكب انتثرت على انها جنسية وقيل
المراد الشعرى على انها عهدية وقيل المراد به النبت الذي
لا ساق له والنجم والشجر يسجدان وهوى اي سقط على الارض
وهذا قول الاخفش وقيل القران رواه الكلبي محمد بن السايب
عن ابن عباس لانه نزل نجوما اي امدادا مفرقة في اوقات قاله
ابن عطية وفي ابن القيم اربع ايات وثلاث ايات والسورة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة او عشرين
بالعامرة الفترة ما وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك وهو
بمعنى نزل وفي هذا الهوي بعد وتحامل على اللغة قاله ابن
عطية وقال جعفر الصادق فالصادق في مقاله محمد بن الباقر لبقره
العلم بن علي زين العابدين بن الحسين السبط هو محمد صلى الله
عليه وسلم اذا هوى نزل من السما ليلة المعراج قال النعماني
ويعجبني هذا التفسير لملايمته من وجوه فانه صلى الله عليه وسلم
نجم هدانية خصوصا لما هدى الله من فرض الصلاة تلك الليلة
وقد علمت منزلة الصلاة من الدين ومنها انه اضا في السما والارض
ومنها التنبيه بسرعة السير ومنها انه كان ليلا وهو وقت ظهور
النجم فهو لا يخفى على ذي بصر واما ذباب البصاير فلا يمترون
كالصديق رضي الله عنه وعن جعفر ايضا انه قلب محمد صلى الله
عليه وسلم كما في الشفا اي لاشراقه بالانوار الالهية وهو
منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفا وابعد منه انه الصحابة
لحديث اصحابي كالنجوم حكاه الثعالبي وهو بهم موهم واظهر
الاقوال كما قاله ابن القيم انها النجوم التي ترمى بها الشياطين
لانها يبعد الشياطين عن اهل السما والانبيا بعد وثب
الشياطين عن اهل الارض فناسب ان يقسم برجمها عند البعثة
ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الاية الظاهرة المشاهدة
بالبصر التي نصبها الله اية وحفظا للوحي من استراق
الشياطين السمع فيزيدون فيه فيكون ما زادوه باطلا
على انه ما اتى به رسول حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا
طريق له اليه عطف مساو بل قد حرس بالنجم اذا هوى
رصدا اي راصدا له بين يدي الوحي يمنعهم عن استماعه وحرسا
له منهم عطف تفسير لرصدا وعلى هذا فالارتباط بين
المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور لان المقسم به هو
النجم الذي قصد بسقوطه حفظ الوحي والمقسم عليه نفس الوحي وفي المقسم
به دليل على المقسم عليه فان النجوم التي يرمى بها الشياطين

ايات من ايات الله يحفظ بها دينه ووحيه واياته المنزلة على رسوله
بها ظهر دينه وشرعه واسماوه وصفاته وجعلت هذه النجوم
المشاهدة حرسا لهذه النجوم الهادية هذا اسقطه من ابن
القيم قيل قوله مبينا لحقا ما عدا القول الذي استظهره وليس
بالبين تسمية القران عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية
نزوله هويا بضم الها وفتحها ولا عهد في القران بذلك اى
تسميته بالنجم فيحمل بالنصب هذا اللفظ عليه بل قال
ابن عطية انه تحامل على اللغة مع بعده وليس بالبين ايضا
تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت لانه تخصيص
بلا مخصص لكن فيه ان العرب اذا اطلقت النجم تعني الثريا
والقران وارد بلغتهم فهو وجه للتخصيص وليس بالبين
ايضا القسم بالنجوم عند انتثارها تساقطها متفرقة
يوم القيامة بل هذا مما يقسم الرب عليه لا به ويدل عليه
بانه فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين
ولا سيما منكروا البعث فانه تعالى انما يستدل بما لا يمكن
جحده ولا المكابرة فيه فيذكر الدليل لمن هو بصدد الانكار
قال ابن كثير وهذا القول له اتجاه ثم انه بين المقسم به
والمقسم عليه من المناسبة ما لا يخفى كلام مستانف غرضه
به توجيه الاقوال التي اسلفها وان استظهر واحدا منها
واستبعد غيره فان قلنا ان المراد النجوم التي للاهتدا
فالمناسبة ظاهرة لانه يهتدى بها في معرفة الطرقات
وغيرها وبالمصطفى من ظلمات الجهل ومعرفة الحق من الباطل
فاقسم بها لما بينهما من المناسبة والمشابهة قاله الرازي وان
قلنا ان المراد الثريا فلانه اظهر النجوم عند الرائي لانه
يكون له علامة لا يشتبه بغيره في السما هو ظاهر لكل احد
والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح اي اعطى
من الايات البينات فاقسم به ولان الثريا اذا ظهرت من
جهة المشرق وقت الفجر حان اي قرب ادراك الثمار اي
طيبها واذا ظهرت من المغرب وقت اوان الخريف
تقل الامراض معناه انها تظهر بعيد الغروب بحيث يكون
ابتدا ظهورها بين المغرب والعشا وتستمر ظاهرة الى الفجر
والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشرك والامراض
القلبية وادركت الثمار الحكمية والحكمة هذا بقية المناسبة
التي ابداها الامام الرازي وان قلنا ان المراد بها القران
فهو استدلال بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبرائه

وانه

وانه ما ضل ولا غوى زاد الرازي فهو كقوله يس والقران
الحكيم انك لمن المرسلين وان قلنا المراد به النبات فالنبات
به نبات القوى الجسمانية اي المتعلقة بالجسم بكسر الجيم وهو
كل شخص مدرك وقال ابو زيد الجسم الجسد وبه صلاحها
ر القوى العقلية وهي الصفة التي يمتاز بها الانسان القبيح
اولى احق بالصلاح وذكر بالرسل وايضاح السبل وبعد ان
ابدى الرازي هذه المناسبات قال ومن هذا يظهر ان المختار
هو النجوم التي في السما لانه اظهر عند السامع وقوله اذا هوى
دال عليه ثم بعده القران لما فيه من الظهور ثم الثريا وتامل
كيف قال الله تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل محمد تاكيدا
لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم الذي نشا بين ظهرانيهم
وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه
بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون بكسر القاف وفتحها
لا يعيبون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا
المعنى بقوله عز وجل افلم يدبروا القول ام جاهم ما لم
يات اباهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق
وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم والاستفهام
للتقرير بالحق من صدق النبي ومجي الرسل للامم الماضية
ومعرفة رسولهم بما ذكر فهم له منكرون دعواه لاحد هذه
الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشي قطعا او ظنا
انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحسب
ما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ثم نزه نطق رسوله
صلى الله عليه وسلم عن ان يصدر عن هوى بالقصر المحبة
في الاصل ثم اطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشي ثم
استعمل في ميل مذموم نحو اتبع هواه قال الرازي والحسن
ما يقال في تفسيره انه المحبة لكن من النفس الامارة وحروفه
تدل على الدنو والنزول والسقوط ومنه الهاوية فالنفس
اذا كانت دنية وتركت المعالي وتعلقت بالسفاسف فقد
هوت فاختص الهوى بالنفس الامارة بالسوء قال
الشعبي انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه فقال
تعالى وما ينطق عن الهوى وهذا ترتيب في غاية
الحسن عبر اولا بالماضي وهنا بالاتي اى ما ضل حين اعتزلكم
وما تعبدون وما غوى حين اختلى بنفسه وما ينطق
عن الهوى الان حين ارسل اليكم وجعل شاهدا عليكم فلم
يكن اولا ضالا غاويا وصار الان منقذا من الضلال ومرشدا وهاديا

الحسن منه م

ولم يقل وما ينطق بالهوى لانه نفى نطقه عن الهوى
ابلغ من نفي نطقه به فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى
واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن هو
اي نفي صدوره عن الهوى الامرين بالنصب مفعول نفي
الهوى بالنصب ايضا بدل مفصل من مجمل او الرفع بتقدير
وهما نفي ولا يصح جره بدل من الامرين لانهما منفيان لا انتفاء
عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه
بالحق ومصدره اي محله الذي يصدر عنه هو الهدى والرشاد
لا الغي والضلال تعن على بانها قال النحاس وهو اولى اي
ما يخرج نطقه عن رايه بدليل ان هو الخ وقيل بمعنى الباء اي
ما ينطق بالهوي وما يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا انه
تقوله القران من تلقا نفسه قال ابن القيم نفى الله عن رسوله
الضلال المنافي للهدي والغي المنافي للرشاد ففي ضمن هذا
النفي الشهادة له صلى الله عليه وسلم بانه على الهدي والرشد
فالهدي في علمه والرشد في علمه وهذان الاصلان هما غاية
كمال العبد وبهما سعادته وصلاحه الى ان قال فالناس اقسام
ضال في علمه غا وفي قصده وعمله وهولا شرار الخلق وهم مخالفو
الرسل ومهتد في علمه غا وفي قصده وعمله وهولا هم الامة الغضبية
ومن تشبه بهم وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به وضال في علمه
راشد في قصده وهم ورثة الانبيا وان كانوا اقل عددا فهم الاكثرون
عند الله قدرا وصفوته من خلقه ثم قال تعالى ان هو الا وحي
يوحي قال الرازي هذا تكملة للبيان لانه لما قيل وما ينطق
عن الهوي كان قايلا قال فعما ذا ينطق اعن الدليل والاجتهاد
فقال لا انما ينطق عن الله بالوحي وهذا ابلغ من ما لو قيل
هو وحي يوحي وكلمة ان استعملت مكان ما للنفي كما استعملت
ما للشرط مكان ان فاعاد الضمير على المصدر المفهوم
من الفعل اي ما نطقه الا وحي يوحي صفة لنفي المجازاي
هو وحي حقيقة لا لمجرد تسمية كقولك هذا قول يقال
قاله في اللباب وهذا احسن من جعل الضمير عايدا
على القران ووجه الاحسنية بقوله فانه نطقه بالقران
والسنة وان كليهما وحي يوحي اي لافادته اي السنة من
الوحي بخلاف عوده على القران فلا يفيد ذلك قال
الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القران
والسنة بتفسير الحكمة في احد الاقوال ومنه احد منع اجتهاده
واجيب بانه اذا اجتهد وافق الواقع ولا يقع منه خطا

ويقر

ويقر عليه وينبه علي انه خطا فصار بمنزلة الوحي وذكر الاوزاعي
عبد الرحمن بن عمرو الفقيه الثقة الجليل المتوفى سنة سبع وخمسين
ومايه عن حسان بن عطيه المحاربي مولاهم الدمشقي ثقة فقيه
عابد مات بعد العشرين ومايه وان جبريل ينزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه القران يعلمه اياها
اخرجه الدارمي باسناد صحيح عنه وهو مرسل لان حسان ابن
عطيه من صغار التابعين وله شواهد كثيرة منها ما اخرجه احمد
عن ابي امامة رفعه ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من امتي مثل
الحيين ربيعة ومضر فقال رجل يا رسول الله وما ربيعة من مضر
فقال انما اقول ما اقول واسناده حسن وروي ابو داود وابن حبان
مرفوعا الا اني اوتيت الكتاب وما يعدله يوشك شبعان على اريكته
يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما كان فيه من حلال
استحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه الا وان ما حرمه رسول
الله مثل ما حرم ثم اخبر تعالى عن وصفه من علمه الوحي والقران
بما يعلم بضم اليا وكسر اللام انه مضاد لاوصاف الشياطين
معلمي الضلال والغوايه بفتح الغين وفي لغة بكسرها على ما في
المصباح ونفاها في القاموس فقال علمه اي صاحبكم شديد
القوى وهو جبريل اي قواه العلمية والعملية كلها شديدة
ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل
ولم يصفه لم يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة
وايضا ففيه الوثوق بقول جبريل لان قوة الادراك شرط
في الوثوق بقول القايل وكذا قوة الحفظ والامانة فقال
ذلك ليجمع هذه الشروط وهذا نظير قوله تعالى عند ذي
العرش كما سياتي البحث فيه ان شا الله تعالى قريبا ثم اخبر
سبحانه وتعالى عن تصديق فواده صلى الله عليه وسلم لما رايته
ابصرته عيناه وان القلب المعبر عنه بالفواد صدق العين
وليس كمن راي شيا على خلاف ما هو به فكذب فواده بصره
بل ما راه ببصره صدقه الفواد وعلم انه كذلك وفي حديث
الاسري مزيد لما ذكرته هنا والله الموفق لا غيره وقال تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار بدون يا لجميع القرا الا يعقوب فاثبتها
الكنس الى قوله وما هو اي القران بقول شيطان رجيم مرجوم
بالكواكب واللعنة وغير ذلك نفي لقول قريش ان محمدا صلى الله عليه وسلم كاهن
اي لا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فلا ليست بزايدة
عند كثير من المفسرين لان الاصل عدم الزيادة [illegible] او فاقسم
ولا مزيدة للتاكيد والتقوية وهذا قول اكثر المفسرين وهو

كان

انسب بالمقام ولما عقد له الفصل بدليل قوله تعالى وانه لقسم
لو تعلمون عظيم اذ الاتيان فى بيان شان القران فهما متوافقان
فى المعنى وقال الزمخشري والوجه اي المنجبان بقال هي للنفي
لا زايدة اي انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له وكانه بادخال
حرف النفي يقول ان اعظامي باقسامي كلا اعظام يعني
انه يستاهل اي يستحق فوق ذلك وفي ابن عطية لا اما زايدة
واما رد لقول قريش ساحر كاهن ونحوه وتكذيبهم نبوته
صلى الله عليه وسلم ثم ابتدا ما بعده اقسم سبحانه وتعالى بالنجوم
في احوالها الثلاثة من طلوعها المفهوم من الخنس لانها
الكواكب التى تظهر ليلا وجريانها فى سيرها بقوله الجوار
وغروبها المفهوم من قوله الكنس اي السيارات التى تختفي
تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو
بيته المتخذ من اغصان الشجر كما فى الانوار وفي ابن عطية
جمهور المفسرين ان الجوار الدراري السبعة الشمس والقمر
وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري وقال علي ابن ابي
طالب المراد الخمسة دون الشمس والقمر وذلك لان هذه الخمسة
تخنس في جريها اي تتقهقر فيما ترى العين وهي جوار في السما
وهي تكنس في ابراجها اي تستتر وقال على ايضا والحسن وقتادة
المراد النجوم كلها لانها تخنس وتكنس بالنهار حتى تختفي وقال
ابن مسعود والنخعي وجابر بن زيد وجماعة المراد بالخنس الجوار
الكنس بقر الوحش لانها تفعل هذه الافعال فى كناسها وهي
المواضع التى تاوي اليها من الشجر والغيران ونحوه وقال
ابن عباس والحسن ايضا والضحاك هي الظبا وذهب هولاء
فى الخنس الى انه صفة لازمة لانه يلزمها الخنس وكذلك فى بقر
الوحش ايضا ومنه والليل اذا عسعس اي والليل اذا انصرام الليل اي ذهابه المفهوم
من قوله اذا عسعس وباقبال ~~الليل~~ النهار عقيبه بالليل
لغة فى عقبه من غير فصل المفهوم من قوله والصبح اذا تنفس
قال ابن عطية عسعس الليل فى اللغة اذا كان غير مستحكم
الظلام فقال الحسن ذلك وقت اقباله وبه وقع القسم وقال
زيد بن اسلم وابن عباس وعلي ومجاهد وقتادة ذلك عند
ادباره وبه وقع القسم ويرجح هذا قوله بعد والصبح اذا تنفس
فكانهما حالان ويشهد له قول علقمة

حتى اذا الصبح لها تنفسا ۝ وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقال المبرد اقسم باقبال الليل وادباره معا قال الخليل يقال
عسعس الليل وسعسع اذا اقبل وادبر وتنفس الصبح استطار

واتسع ضوءه قال علوان بن قيس

وليل دجوجي تنفس فجره ۝ لهم بعد ما خالوه لن يتنفسا

فذكر سبحانه حالة ضعف هذا اي الليل وادباره من حيث
انه لا يهتدي فيه الي المصالح الدنيوية وليس محلا للسعي
والتردد وحالة قوة هذا اي الصبح واقباله بطرد ظلمة
الليل بتنفسه فكلما تنفس اي زاد نوره هرب الليل وادبر
بين يديه وفي تنفسه قولان احدهما ان في اقبال الصبح روحا
ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثاني انه شبه الليل بالمكروب
المحزون فاذا جعل له التنفس وجد راحة فكانه تخلص
من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة كما فى الخازن
وذلك من اياته ودلايل ربوبيته ولذا اقسم به انه القران
قول معمول اقسم تفسير للضمير فى انه لقول رسول كريم
وقول بمعنى مقول ورسول بمعنى مرسل قال ابن عطية
وكريم صفة تقتضي رفع المرام وهو هنا جبريل عند جمهور
المتاولين وقال اخرون هو محمد صلى الله عليه وسلم فى الاية
كلها والاول اصح لانه ذكر صفته قطعا بعد ذلك بما يعينه
به على وجه لا يحتمل ان المراد غيره واما الرسول الكريم
فى سورة الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم لا جبريل لانه
قال وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن
والمشركون ما كانوا يصفون جبريل بالشعر والكهانة على
ما بان فاضافه اي القول الى الرسول الملكي تارة والى البشري
اخرى واضافته اليهما غير حقيقية بل اضافة تبليغ لا اضافة
انشا من عندهما ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول
هو الذي يبلغ كلاما من ارسله فهذا صريح فى انه كلام من
ارسل جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم فجبريل تلقاه عن
الله تلقيا روحانيا بضم الرا لا بكيفية ومحمد صلى الله عليه وسلم
تلقاه عن جبريل وقد وصف الله تعالى رسوله الملكي في
هذه السورة اي التكوير بانه كريم يعطي افضل العطايا وهي
العلم والمعرفة والهدي والبر والارشاد وهذا غاية الكرم
نهايته التى ما بعدها غاية والعلية فيمنع بقوته الشياطين
ان يدنوا منه اي من القول بان يزيدوا او منع جبريل من ايصاله
الى الرسول او منع الرسول من تبليغه للخلق او يزيدوا فيه
او ينقصوا منه شيا ولو قل بل اذا راه الشيطان هرب هيبة ولم
يقربه وروي مما يدل على قوته انه رفع قريات بفتح الرا جمع تصحيح
لقرية بسكون الرا قيا سا لان ما كان اسما يجمع على فعلات بالفتح

كجفنة وجفنات وماكان صفة يجمع بالسكون كصعبة وصعبات
والمتبادر من المصباح انها اسم لانه قال القرية كل مكان اتصلت
به الابنية واتخذ قرارا ويقع على المدن وغيرها والجمع قرى
على غير قياس اي جمع التكسير والتصحيح قريات قوم لوط على
قوادم جناحه وهي اربع او عشر ريشات في مقدم الجناح الواحدة
قادمة كما في القاموس حتى سمع اهل السما نباح كلابها بضم النون
اصواتها واصوات بنيها وصياح ديكتها ثم قلبها عليهم روى ابن
عساكر عن معوية بن قرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل ما احسن ما اثنى عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين ما كانت قوتك وما كانت امانتك قال اما
قوتي فاني بعثت الى مداين قوم لوط وهي اربع مداين وفي كل
مدينة اربع مائة الف مقاتل سوى الذراري فحملتها من الارض
السفلى حتى سمع اهل السما اصوات الدجاج ونباح الكلاب
ثم هويت بهن فقلبتهن واما اماتي فلم اومر بشي فعدوته
الى غيره وقال محمد بن السايب الكلبي من قوة جبريل انه اقتلع
مداين قوم لوط من الما الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها
الى السما حتى سمع اهل السما نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها
ومن قوته ايضا انه ابصر ابليس يكلم عيسى بن مريم على بعض
عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة القاه باقصى جبل
الهند ومن قوته صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم فاصبحوا
جاثمين خامدين ومن قوته هبوطه من السما على الانبيا
وصعوده في اسرع من طرفة عين ذي قوة عند ذي العرش
مكين اختلف في تعلق ذي العرش فقيل متعلق بما قبله
وقيل متعلق بمكين اي متمكن المنزلة اي عظيم مبجل رفيع
المقدار عنده وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف
والتعظيم لاستحالة الحقيقية في الله تعالى مطاع في ملايكة
الله تعالى المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى
رايه ثم بفتح المثلثة وشد الميم اسم اشارة للمكان بمعنى هناك اي
في السما كما دل عليه قوله عند ذي العرش واشاره البعيد والمقام
ونحوه قول الكشاف مطاع عند ذي العرش في ملايكته ويجوز
تعلقه بقوله امين وبها على وحي الله ورسالاته وخصه بذلك
لان المقام يقتضيه وهو موتمن عليه وعلى غيره ولذا فسر بمقبول
القول مصدق فيما يقول فقد عصمه الله من الخيانة والزلل
فهذه خمس صفات بنا على ان العندية والمكان ليسا بصفتين
حقيقيتين فلم يعدهما هنا ولحظ الزمخشري ان كلا منهما دال

على

على صفة كمال فعدها سبعا وتبعه المص في موضعين تقدما
وعدها الرازي ستة فجعل قوله عند ذي العرش متعلقا
بقوله ذي قوة تتضمن تزكية سند القران وانه سماع محمد
صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين
فنا هيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكية
بنفسه اي ذاته وفي اطلاق النفس على الله تعالى ثم نزه رسوله
البشري وزكاه مما يقول فيه اعداوه الكفرة فقال وما
صاحبكم بمجنون وهذا امر يعلمونه ولا يشكون فيه وان
قالوا بالسنتهم خلافه استكبارا وعنادا فهم يعلمون تحقيقا انهم
كاذبون وانما حملهم عليه البغي والعناد ثم اخبر عن رويته صلى الله
عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام بقوله ولقد راه بالافق
المبين قال ابن عطية ضمير راه لجبريل وهذه الروية كانت
بعد امر غار حرا حين راه على كرسي بين السما والارض وقيل
هي رويته عند سدرة المنتهى في الاسرا وسمى ذلك الموضع افقا
تجوزا وقد كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم روية ثالثة
بالمدينة وليست بهذه ووصفه بالمبين لانه روي انه كان
في المشرق من حيث تطلع الشمس قاله قتادة ايضا فكل افق
فهو في غاية البيان وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج
يرى بالعيان بكسر العين ويدرك بالبصر خلافا لقوم
حقيقته عندهم انه خيال موجود في الاذهان لا في العيان
وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل واتباعهم وخرجوا به عن
جميع الملل ولهذا كان تقرير اثبات وبيان روية النبي
صلى الله عليه وسلم لجبريل اهم من تقريره لروية ربه تبارك
وتعالى فان رويته عليه الصلاة والسلام لجبريل هي اصل
الايمان لايتم الا باعتقادها ومن انكرها كفر قطعا لجحده
ما انبنى عليه الايمان واما رويته لربه تعالى فغايته ان تكون
مسيلة نزاع خلاف بين العلما من الصحابة فمن بعدهم لايكفر
جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من العلما بانه لم يره
فنحن الى تقرير اثبات روية جبريل احوج منا الى تقرير
رويته لربه تعالى وان كانت روية الرب سبحانه وتعالى
اعظم من روية جبريل فان النبوة لا تتوقف عليها البتة
بقطع الهمزة وقد ضعف ايضا كون ضمير راه لله تعالى بانه قول
غريب لم ينقل عن احد ممن يعتمد عليه وباباه كل الابا قوله
بالافق المبين سوا كان نواحي السما او حيث تطلع الشمس اذ لم
ينقل احد انه راى ربه بالافق واجيب بان رويته بالافق

كما ستوي على العرش او المراد بالافق الذي فوق السما السابعة
او المراد به المنزلة العالية كما اشار اليه الامام الرازي وقولهم
لم يقل به احد يرده انه روي عن ابن مسعود ثم نزه سبحانه
وتعالى رسوليه كليهما صلى الله عليهما وسلم احدهما بطريق
النطق والثاني بطريق اللزوم اذ يلزم من نفيه عن احدهما
صريحا نفيه عن الاخر لانه تلقاه منه او عنه عما ينافي بخالف
مقصود الرسالة من الكتمان الذي هو الضنة بكسر المعجمة وشد
النون والبخل تفسير والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة
فقال وما هو على الغيب بضنين اي ما غاب عن الحس
الذي اخبر به او ما هو وسائر الانبيا على اخبار الغيب فيشمل
الذات والصفات والقرائن ويستدل به على غيره او المراد ما غاب
عن علمكم فيشمل اخباره عن المشاهد والغائب فان الرسالة لا يتم
مقصودها الا بامرين اذاعتهما من غير كتمان واداتها على
على وجوهها من غير زيادة ولا نقصان اذ لو فرض زيادة
او نقص او كتم ما حصل المقصود والقراآت كالايتين فتضمنت
احداهما وهي قراة الضاد قراة نافع وعاصم وحمزة وابن عامر
تنزهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به اضن
بفتح الضاد بوزن بخلت ابخل ومعناه عطف على بوزن فبابه
فرح زاد المصباح وفي لغة من باب ضرب وقال ابن عباس
ليس بخيل بما انزل الله بل يبلغه وقال مجاهد لا يضن
عليهم بما يعلم وهو قريب من تفسير ابن عباس او اعم ان خص
ما انزل القران واجمع المفسرون على ان الغيب ههنا القران
والوحي قال الفرا يحيى بن زياد بن عبد الله الاسدي ابو زكريا
الكوفي نزيل بغداد النحوي المشهور مات سنة سبع ومايتين قيل له
الفرا لانه كان يفري الكلام وهو صدوق في الحديث علق عنه
البخاري بقوله تعالى ياتيه غيب من السما وهو نفوس اي
مرغوب فيه فلا يضن بفتح الضاد وتكسر لا يبخل به عليكم وهذا
معنى حسن جدا فان عادة النفوس الشح بالشي النفيس
ولا سيما عن من لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلى
الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحي الذي هو انفس شي واجله
وقال ابو علي الحسن بن احمد الفارسي الامام المشهور المتوفى سنة
سبع وسبعين وثلثماية المعنى ياتيه الغيب فيبينه ويخبر به
ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتى
ياخذ عليه حلوانا بضم فسكون عطا اسم من حلوته احلوه واما
قراة من قرا بظنين بالظا كابي عمرو والكسايي وابن كثير فمعناه

المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته متعدي الى مفعول واحد
وليس هو من الظن الذي هو الشعور والادراك فان ذلك
يتعدى الى مفعولين كظننت زيدا قايما والمعنى وما هذا الرسول
على القران بمتهم فالنفي فيه كالنفي في لا ريب فيه والمعنى وما
هذا الرسول على القران بمتهم فالنفي فيه كالنفي في لا ريب فيه
انه هو امين فيه لا يزيد ولا ينقص منه وهذا يدل على ان
الضمير فيه اي قوله هو يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه
تقدم وصف الرسول الملكي جبريل بالامانة ثم قال وما
صاحبكم بمجنون يعني محمدا باجماع ثم قال وما هو اي وما
صاحبكم بمتهم ولا بخيل على القرائتين ورجح ابو عبيد قراة الظا
مشالة بان قريشا لم تبخل محمدا صلى الله عليه وسلم وانما كذبته فنفى
سبحانه عن رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وزكى سند القران
اعظم تزكية فلا يطلب بعد تزكية الله تزكية لانها اعظمها والله
يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل
سبيل الحق وقال تعالى فلا اقسم بما تبصرون تشاهدون بالبصر
وما لا تبصرون المغيبات انه لقول رسول كريم اقسم تعالى بصريح
ان لا زايدة للتاكيد وقيل نافية اي لا اقسم بذلك وان كان يستحق
ان يقسم به لوضوح الامر عن الاحتياج الى قسم واستغنا به عن
التحقيق بالقسم وقيل فلا رد لما تقدم من اقوال الكفار واستانف
اقسم وقرا الحسن فلا قسم بلام القسم بالاشيا كلها ما يبصر منها وما لا
يبصر وهذا اعم قسم وقع في القران فانه يعم العلويات والسفليات
والدنيا والاخرة وما يرى وما لا يرى دخل فيه الخالق وصفاته
تعالى كما في الخازن وغيره ويدخل في ذلك الملايكة كلهم والجن
والانس والعرش والكرسي واللوح والقلم وكل مخلوق وحيث
شمل ذلك كله فالحمل عليه اولى من الحمل على بعضه فقيل الدنيا
والاخرة او ما على ظهر الارض وبطنها او الاجساد والارواح او
الانس والجن او الخلق والخالق او النعم الظاهرة والباطنة او ما اظهره
الله من مكنون غيبه واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون
ما استاثر بعلمه فلم يطلع عليه احدا من خلقه وذلك كله من ايات
قدرته وربوبيته فقد ضمن هذا القسم ان كل ما يرى وما لا يرى
اية ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم قد يتوقف فيه
بان كثيرا من المخلوقات ليس فيه دلالة على ذلك كذات السما مثلا
اللهم الا ان يقال الاقسام بها دليل عظمتها وكما لها ففيها دلالة
على صدق المصطفى من حيث الاخبار عن الله انه انما خلق
السموات وغيرها لاجله صلى الله عليه وسلم او ان الاقسام بكل

واحدة منها من حيث تعلق الاقسام به بثبت صدقه فيما جا به
وان ما جا به هو من عند الله تعالى وهو كلامه تعالى لانه
ليس شاعر ولا مجنون ولا كاهن كما زعموا وانه حق ثابت كما ان
ساير الموجودات ما يري منها وما لا يري حق كما قال اي
ونظير ذلك قوله فورب السما والارض انه اي ما توعدون لحق
مثل ما انكم تنطقون برفع مثل صفة وما زايدة وبفتح اللام
مركبة مع ما لمعنى مثل نطقكم في حقيقته اي معلوميته عندكم
ضرورة صدوره عنكم فوجه التنظير بهذه الاية انه اقسم برب
السما والارض على ان ما توعدونه حق كما ان نطقكم الذي يا[تون]
به حق لا تشكون فيه فكانه سبحانه وتعالى يقول انه اي القران
الذي رجع اليه ضميرانه لقول رسول كريم حق كما ان ما يشاهدونه
من الخلق وما لا يشاهدونه حق موجود فلا وجه للانكار ويكفي
الانسان من كذا في بعض النسخ الصحيحة من التي للبدل وهو
الصواب الواقع في اصله ابن القيم وفي غالب النسخ مع ولا معنى
لها اذ المعنى بدل جميع ما يبصره وما لا يبصره نفسه كما قال
تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون اي وفي انفسكم ايضا ايات من مبدا
خلقكم الى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجايب افلا تبصرون
ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته ومبدا خلقه ونشاته
وما يشاهده من احواله ظاهرا وباطنا اذ ما في العالم
شي الا وفي الانسان له نظير يدل ذاته على ما تفرد به من
الهيات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن
من الافعال الغريبة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع الكمالات
المتنوعة كما في البيضاوي ففي ذلك ابين دلالة على وحدانية
الرب كذا في نسخ صحيحة متعددة وهو الذي في اصله ابن القيم
خلاف ما في بعضها ابين دلالة الرب فانه خطا نشا عن سقط
وثبوت صفاته وصدق ما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم
ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم يخالط بشاشة الايمان
اي طلاقة الوجه والتلطف بالضعفا وحسن السيرة مع المومنين
قلبه من اضافة المسبب الى السبب اي لم يخالط البشاشة الناشية
عن الايمان قلبه او شبه الايمان بانسان حسن الاخلاق كامل
التودد والصداقة لاخوانه واثبت له ما هو من خواصه وهو
البشاشة تخييلا ثم لما ان اثبت بالقسم انه قول رسول كريم
ونفى عنه اقوال الكفرة بقوله وما هو بقول شاعر قليلا
ما تومنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب
العالمين اقام سبحانه البرهان الدليل القاطع على صدق

رسوله

رسوله صلى الله عليه وسلم وانه لم يتقول عليه فيما قاله بقوله
تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم
لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين قال
الكشاف سمى الافترا تقولا لانه قول متكلف والاقوال
المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول
كالاضاحيك لما اثر وانه لو تقول عليه وافترى عطف تفسير
لما افتره ولعاجله بالاهلاك اي عجل اهلاكه فان كمال علمه
وقدرته وحكمته تابى ان تقر من يقول عليه ما لم يقل وافترى
عليه واضل عباده واستباح دما من كذبه وحريمهم نساهم
واموالهم فكيف يليق باحكم الحاكمين واقدر القادرين ان يقر
على ذلك لا فهو استفهام بمعنى النفي بل اضراب انتقالي لا ابطالي كيف
يليق به ان يويده وينصره ويغلبه ويظهره ويظفره بهم
اي المكذبين له بسفك دمائهم ويستبيح اموالهم واولادهم
ونساهم قايلا ان الله امرني بذلك واباحه لي استفهام بمعنى
النفي ايضا اي لا يكون ذلك بل للاضراب الانتقالي ايضا لكن
كيف يليق ان يصدقه بانواع التصديق كلها فيصدقه
باقراره على ما فعله فيهم من سفك دمهم وغيره وبالايات
المعجزات المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بانواعها كلها على
اختلافها فكل اية علامة ومعجزة على انفرادها مصدقة
له ثم يقيم الدلالة القاطعة على ان هذا قوله وكلامه فيشهد
له باقراره وفعله وقوله من اعظم المحال وابطل الباطل
وابين البهتان اي افترا الكذب ان لا يجوز على احكم الحاكمين
ان يفعل ذلك ففي ذلك كله ابين الدلالة على صدقه صلى الله
عليه وسلم والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم
في قول جماعة من اهل التفسير كما قدمته في الاية التي قبل
هذه واضيف اليه لانه بلغه وقال جماعة منهم هو جبريل والاول
اصح لانه لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول
شاعر ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام
بالشعر والكهانة واجيب بانه يصح ارادة جبريل من حيث ان
المشركين كانوا يصفون القول بانه نفسه شعر وكهانة وانهم لم
يلحظوا قايله قيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي
الكاهنية لان عدم مشابهة القران الشعر لا ينكر الا معاند
بخلاف مباينة الكهانة فيتوقف على تذكر احواله صلى الله عليه وسلم
ومعاني القران المنافية لطريق الكهنة ومعاني اقوالهم وانت
خبير بان ذلك ايضا مما يتوقف على قابل قطعا كذا في بعض التفاسير

والله اعلم ومن ذلك قوله تعالى فلا اقسم قيل لا زايدة والمعنى
فاقسم وزيادتها في بعض المواضع معروفة نحو لئلا يعلم اهل
الكتاب فهي موكدة تعطي في القسم مبالغة ما وهي كاستفتاح
كلام مشبهة في القسم الا في سابر الكلام القسم وغيره ومنه قوله
الا واي اعداها لا اخوها المعنى واي اعداها وله نظاير وقرا
الحسن فلاقسم بلا الف اي فلانا اقسم وقال سعيد بن جبير
وبعض النحاة نافية كانه قال لا صحة لما يقوله الكفرة ثم
ابتدا اقسم بمواقع بالجمع قراة الجمهور وقرا عمر وابن مسعود وابن
عباس واهل الكوفة وحمزة والكسايي بموقع بالافراد مرادا
به الجمع ونظيره كثير ومنه ان انكر الاصوات لصوت الحمير جمع
من حيث ان لكل حمار صوتا مختصا وافرد من حيث ان الاصوات
كلها نوع النجوم قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم
هي نجوم القران التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
لانه نزل في ليلة القدر الى سما الدنيا وقيل الى البيت المعمور
جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك على المصطفى نجوما مقطعة
في عشرين سنة قال ابن عطية ويويده عود الضمير في انه الى
القران فانه لم يتقدم ذكره الا على هذا التاويل ومن قال
بغيره قال الضمير عايد على القران وان لم يتقدم ذكره الا على
هذا التاويل ومن قال بغيره قال الضمير عايد على
القران وان لم يتقدم ذكره لشهرة الامر ووضوح الحق كقوله
حتى توارت وكل من عليها وقال جمهور المفسرين النجوم
هنا الكواكب المعروفة واختلف في مواقعها فقال مجاهد
وابو عبيدة مواقعها عند غروبها وطلوعها وقال
قتادة مواضعها من السما وقيل مواقعها عند الانقضاض
اثر الجن وقال الحسن مواقعها عند الانكدار يوم القيمة انتهى
وهو ظاهر في ان الاضافة على بابها وان الاقسام انما هو بمواقعها
لا بذواتها وتجويزانه من اضافة الصفة للموصوف اي بالنجوم
حين سقوطها خلاف الاصل وظاهر اللفظ وكلام المفسرين
وانه لقسم تاكيد للامر وتنبيه من المقسم به لا اعتراض بل معنى
قصد التتميم به وانما الاعتراض لو تعلمون وقيل انه اعتراض وان
لو تعلمون اعتراض في اعتراض والتحرير ما ذكرناه قاله ابن عطية
عظيم اي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم انه اي
المتلو عليكم لقران كريم هو الذي وقع القسم عليه ووصفه
بالكريم اثبات الصفة المدح له ودفع صفات الحطيطة عنه
في كتاب مكنون مصون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب

العالمين

العالمين واختلف في الكتاب بعد الاتفاق على ان المكنون
المصون كما قال ابن عطية فقيل المراد بالكتاب اللوح
المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب الذي بايدي
الملايكة وهو المذكور في قوله كلا انها تذكرة فمن شا ذكره في صحف
خبر ثان لانها وما قبله اعتراض مكرمة عند الله مرفوعة
في السما مطهرة منزهة عن مس الشياطين بايدي سفرة كتبة ينسخونها
من اللوح المحفوظ كرام بررة مطيعين لله وهم الملايكة قال
مالك الامام احسن ما سمعت في هذه الاية اي في كتاب مكنون
انها مثل الذي في سورة عبس استدلال لما صححه قال ابن القيم ومن
المفسرين من قال ان المراد المصحف لا يمسه الا طاهر من الحدث
والاول ارجح عند غيره يعني اللوح المحفوظ اذ هو الاولى
في كلامه ولا يخالفه قوله في الثاني انه الصحيح لانه عند نفسه
ويويد ذلك قول ابن القيم الخامس اي من التراجيح ان وصفه
بكونه مكنونا نظير وصفه بكونه محفوظا فقوله لقران كريم
في كتاب مكنون كقوله بل هو قران مجيد في لوح محفوظ
لا ان الاية سيقت تنزيها للقران ان تنزل به الشياطين وانه
محله لا تصل اليه كما قال تعالى وما تنزلت به بالقران الشياطين
وما ينبغي يصلح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون ذلك والقران
يفسر بعضه بعضا فترجح كون المراد بايدي الملايكة وايضا
فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا
لكان مفتوحا ومن حمل الاية على النهي احتاج الصرف
الخبر عن ظاهره الى معنى النهي فقال انه خبر بمعنى النهي وضمة
السين ضمة اعراب وقيل هو نهي وضمة السين ضمة بنا لا اعراب
والاصل في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته وليس
ههنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي بل
الموجب موجود وهو اجتماع النفي والاثبات انتهى ما اراد
نقله من كلام ابن القيم حال كونه ملخصا بمعنى محذوفا
منه ما لم يرد نقله والا فهو قد ذكر كلاما طويلا من جملته
عشرة اوجه في ترجيح انه الذي بايدي الملايكة منها الوجهان
المذكوران في المهم وهذا الذي قاله ابن القيم تمسك به جماعة
منهم داود بن علي بن خلف الحافظ المجتهد ابو سليمان الاصبهاني
البغدادي فقيه اهل الظاهر ولد سنة اثنين ومايتين واخذ
عن اسحاق وابي ثور وسمع القعنبي وحدث عنه ابنه محمد وزكريا
الساجي وصنف التصانيف وكان بصيرا بالحديث صحيحه وسقيمه
اماما ورعا ناسكا زاهدا كان في مجلسه اربعماية طيلسان مات

في رمضان سنة ثمانين وما تين بانه يجوز مس المصحف للمحدث
لان الاية لم ترد فيه انما وردت في اللوح او الذي بايدي
الملايكة لكن ولو قلنا بذلك لا دلالة فيها على جواز مس
المصحف للمحدث اذ هو مسكوت عنه واجاب ابن الرفعة
في الكفاية شرح التنبيه للشيخ ابي اسحاق الشيرازي كتاب
واسع كبير عن ادلتهم المزخرفة اي المزينة بما يروجها فقال
ما نصه القران لا يصح مسه وانما يمكن مس النقوش الدالة
عليه فعلم ان المراد بالكتاب الذي هو اقرب المذكورين
وهما القران الكريم والكتاب المكنون ولا يتوجه النهي الى
اللوح المحفوظ ولا الي صحف الملايكة لانه غير منزل ومسه غير
ممكن ولا يمكن ان يكون المراد بالمطهرون الملايكة لانه قد
نفى بقوله لا يمسه واثبت بقوله الا المطهرون وكانه قال لا يمسه
المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسماء ليس فيها غير مطهر
بالاجماع فحمله على الملايكة يلزم منه انقسامهم لمطهر وغيره وهو
خلاف الاجماع فعلم بذلك انه اراد بالمطهرين الادميين وتعين
انه اراد بالكتاب المصحف وبين ذلك ويزيده وضوحا ما روي انه
عليه الصلوة والسلام قال في كتاب عمرو بفتح العين ابن حزم
ابن زيد بن لوذان الانصاري يكنى ابا الضحاك شهد الخندق
وما بعدها واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على نجران وروي
عنه كتابا كتبه له فيه الفرايض والزكاة والديات وغير ذلك وعنه
ابنه محمد وجماعة قال ابو نعيم مات في خلافة عمر وكذا قال
ابراهيم بن المنذر ويقال بعد الخمسين قال في الاصابة وهو اشبه
بالصواب ففي مسند ابي يعلى برجال ثقات انه كلم معوية في امر
بيعته ليزيد بكلام قوي وفي الطبراني وغيره انه روي لمعاوية
ولعمرو بن العاصي حديث يقتل عمار الفية الباغية المروي
في الدارقطني وغيره كابي داود والنسايي وابن حبان والدارمي
ولا يمس القران الا وانت على طهر فهذا نص صريح في المطلوب
وان احتملت الاية ثم قال ابن الرفعة فان قيل قد قال
الواحدي ان اكثر اهل التفسير على ان المراد اللوح
المحفوظ وان المطهرين الملايكة ثم لو صح ما قلتم ان
المراد المصحف والمطهرون بنو ادم لم يكن فيها دليل على
حرمة مسه للمحدث لان قوله لا يمسه بضم السين ليس نهيا
عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر لا دلالة
فيه على الحرمة قلنا اما قول اكثر المفسرين فهو معارض
بقول الباقين والمرجع الى الدليل وهو انما دل على ان المراد

المصحف فلا ننظر الى كثرة قول القايلين بخلافه واما كون المراد
بالاية الخبر فجوابه انا نقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهي
وهو ابلغ في النهي من النهي الصريح وهو كثير في القران وكذا
السنة قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها بسببه بان تكره
على ارضاعه اذا امتنعت فلفظه خبر ومعناه النهي والمطلقات
يتربصن ومعناه لتتربص المطلقات ولا تبادر بالنكاح قبل
انقضا الاقرا انتهى كلام ابن الرفعة واجاب العلامة البساطي
قاضي القضاة المالكية شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان
شيخ الاسلام ولد سنة ستين وسبع ماية وبرز في الفنون
ودرس في الشيخونية وغيرها وصنف تصانيف ومات في رمضان
سنة اثنين واربعين وثمان ماية في شرحه لمختصر الشيخ خليل
ابن اسحاق العلم الشهير في الافاق بان يمسه مجزوم وضم
السين لاجل الضمير كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب
البصريين ومنهم اي الجماعة ابن الحاجب في شافيته انتهى
كلام البساطي وقد ذكر هذا العلامة شهاب الدين احمد بن
يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي الشهير بالسمين صاحب
اعراب القران وله ايضا تفسير كبير نقص ترجمته مع زيادة ايضاح
وله فوايد فقال في هذه في لا يمسه وجهان الاول انها نافية
الثاني انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن
الادغام لظهر فيه الجزم فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء
حيث يظهر الجزم فيه بفك ولكنه ادغم في لا يمسه ولما ادغم حرك
اخره بالضم لاجل ها ضمير المذكر الغايب ولم يحفظ سيبويه
في هذا الا الضم وفي الحديث الذي اخرجه الشيخان وغيرهما
عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدي لرسول الله صلى
الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابوا او بودان فرده عليه
فلما راي ما في وجهه قال انا بكسر الهمزة لم نرده عليك لعلة من
العلل الا انا بفتح الهمزة حرم بكسر بضم الحا والراي محرمون
زاد في رواية النسايي لا ناكل الصيد قال المحم نرده بفتح الدال
رواية المحدثين وذكره ثعلب في الفصيح لكن قال المحققون
من النحاة انه غلط والصواب ضم الدال كاخر المضاعف من
كل مضاعف مجزوم اتصل به ضمير المذكر مراعاة للواو التي توجبها
ضمة الها بعدها لخفا الها فكان ما قبلها ولي الواو ولا يكون
ما قبل الواو الا مضموما كما فتحوها مع المونث نحو نردها مراعاة
للالف وجوز الكسر ايضا وهو اضعفها ففيها ثلاثة اوجه وللحموي
والكشميهني لم نردده بفك الادغام فالدال الاولى مضمومة والثانية

الادغام

بجزومة وهو واضح انتهى وانه كان القياس جواز فتحه تخفيفا
وبه جاءت الرواية فهي صحيحة للتخفيف وليست بغلط قال
السمين وبهذا الذي ذكرته يظهر فساد رد من رد بانه لو كان
نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل
الهاء في هذا النحو اي في هذا ونحوه من اخر كل مضاعف مجزوم
اتصل به ضمير المذكر لا سيما على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره
بقي ان ابن عطية قال القول بان لا يمسه نهي قول فيه ضعف
لانه اذا كان خبرا فهو في موضع الصفة وقوله تنزيل صفة ايضا
فاذا جعلناه نهيا جا بمعنى اجنبي معترض بين الصفات
وذلك لا يحسن في وصف الكلام فتدبر وفي مصحف ابن مسعود
ما يمسه وهو مما يقوي ما رجحته من الخبر الذي معناه حقه
وقدره ان لا يمسه الا طاهر انتهى واجاب شيخنا لما ذكرته له بان تضعيفه
بما ذكر انما هو في سياق قصد به كله معنى واحدا ما اذا قصد به
معنيان او اكثر فلا يضر ما قاله والله اعلم بما اراد

الفصل الرابع

في قسمه تعالى على تحقيق اي اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى يس امال حمزة والكسائي الياء غير معرطين والجمهور
بفتحونها ونافع وسط في ذلك والقران الحكيم فعيل بمعنى مفعل
اي احكم في مواعظه واوامره ونواهيه ويحتمل انه اسم فاعل اي
ذو الحكمة او الحكيم صاحبه اعلم ان كل سورة بدا الله تعالى فيها
بحروف التهجي كان في اوايلها الذكر كقوله ص والقران ذي الذكر
وينبغي ان المراد به ما يعم لفظه وما تضمن معناه نحو الم احسب
الناس ان يتركوا والم غلبت الروم ونحوها او الكتاب الم ذلك
الكتاب او القران وهما الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الا
سورة ن فليس في اوايلها ذلك صريحا لكن تقدم من جملة
الاقوال ان معنى يسطرون يكتبون القران وغيره فعليه يكون
كغيرها ثم ان في ذكر هذه الحروف في اوايل السور امورا تدل
على انها خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها
الا ان كشف الله سر ذلك بان يطلعه عليه وهذا بنا على انه اريد
بها ما خفي لا ما استاثر الله بعلمه اذ لا يطلع عليه احد واختلف
المفسرون في معنى يس على اقوال احدها انه يا انسان بلغة طي
لانهم يقولون يا ايسان بمعنى يا انسان ويجمعونه على اياسين
فهذا منه وقالت فرقة قوله يا حرف ندا والسين مقامه مقام انسان
انتزع منه حرف فاقيم مقامه قال ابن عطية وهو قول ابن عباس

غيرهم

عند ابن ابي حاتم والثعلبي والحسن البصري وعكرمة والربوكي
والضحاك وسعيد بن جبير وقيل بلغة الحبشة حكى عن ابن
عباس ايضا ومقاتل وقيل بلغة كلب وحكي الكلبي مجاهد بن
السايب انها بالسريانية قال الامام فخر الدين الرازي
اي هذا القول ان معناه يا انسان باي لغة بما ذكروه وتقريره
تصغير انسان انيسين وكانه حذف الصدر واخذ العجز لكثرة
الندا به وقال يس وعلى هذا اي يا انسان يساير ما قيل فيه فيكون
الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده حديث لي عند ربي
عشرة اسما وعد منها طه ويس ويؤيده قوله تعالى انك لمن المرسلين
لانه خطاب له صلى الله عليه وسلم بلا نزاع فيقوي كون يس كذلك
وتبع الزمخشري الامام على هذا وتعقبه ابو حيان بان الذي نقل
عن العرب في تصغير انسان انيسيان بيا بعد السين وبعدها
الف فدل على ان اصله انسيان لان التصغير يرد الاشيا الى
اصولها فيعرف به كما يعرف بالجمع ولا نعلم انهم قالوا في تصغير
انيسين وعلى تقدير انه تصغير كذلك وروده عن العرب فلا يجوز
ذلك الا ان يبني على الضم لانه منادى مقبل عليه فكان يبنيه
ضم النون وقراة الجمهور بسكون النون واظهارها وان كانت النون
الساكنة تخفى مع الحروف وانما هي مع الانفصال وحق هذه الحروف
المقطعة ان تظهر وقرا عاصم وابن عامر بخلاف عنهما يس والقران
بادغام النون في الواو وقري بنصب النون وبضمها ومع ذلك
وجه ثالث فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة انتهى
كلام ابي حيان واعتراضه الاول معارض بنقل الرازي وتبعه
الزمخشري والبيضاوي وايضا المثبت مقدم على النافي ولا يرد
بقوله المنقول عن العرب لانه باعتبار علمه وجواب الثاني انه
ينوي ضمه كما في الاسما المبنية على الكسر كسيبويه فنطق به
بالسكون مع انه منادى نظرا الى انه لما كان بصورة الحرف ابقى
على ما يلفظ به الحرف قال الشيخ شهاب الدين السمين وهذا
الاعتراض الاخير الثالث صحيح فقد نصوا على ان التصغير
لا يدخل في الاسما المعظمة شرعا كاسما الله تعالى وانبيايه
لانه مفهم للتحقير وان جا للتعظيم في قوله دويهية لانه انما جا
فيما يجوز تصغيره تلطفا منهم كما تقدم ما قلت حسبي من التحقير
بل يعقب اسم الشي بالتصغير واجاب شيخنا عنه بان التصغير
يرد لغير التحقير كالشفقة والمحبة فيحمل اللفظ عليه سيما مع
وجود القرينة الدالة على ذلك وقد يرد بانه انما ورد لغيره فيما
يجوز تصغيره الا ان يقال المنع انما هو اذا وقع من غير الله اما

منه تقصد الملاطفة ونحوها فلا يمتنع لكن يرد بانه ليس نصا منهم
تعالى على ذلك انما هو على هذا التفسير وليس بمتعين خصوصا
والمذهب المنصور في اسما الحروف التي في اوايل السور انها مما استاثر
الله بعلمه ولذلك يحكى ان عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
لما قال في المهيمن بكسر الميم الثانية وفتحها اي المراقب انه مصغر
من موتمن والاصل مويمن فابدلت الهمزة ها كراهة اجتماع
همزتين في كلمة لان اصله ماامن وقلبت الاولى ها لاتحاد مخرجهما
قيل له هذا يقرب من الكفر لان اسما الله وما في معناها من
الاسما العظيمة لا يناسبها التصغير لانه ينافي التعظيم فليتق
الله قايله انتهى ومع ذلك فهو تكلف لا حاجة اليه مع سماع ابنية
يلحق بها والياء اصلية لا مبدلة وقيل معنى يس يا محمد لانه
وضع له ابتدا او بواسطة قاله ابن الحنفية محمد بن علي بن ابي
طالب الهاشمي ابو القاسم المدني ثقة روي له الجميع اشتهر بامه
مات بعد الثمانين والضحاك بن مزاحم وقيل يا رجل قاله
ابو العالية رفيع بن مهران التابعي وقيل هو اسم من اسما القران
قاله قتادة وقيل من اسما السور وهما من الاقوال المشتركة في اوايل
جميع السور وعن ابي بكر الوراق محمود بن الحسن يا سيد البشر
وعن جعفر الصادق لصدقه في مقاله بن محمد بن علي بن الحسين بن
علي بن ابي طالب انه اراد يا سيد مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم
بفتح الطا منسوب بدل مما قبله او مصدر فعل مقدر اي خاطبه
به مخاطبة مخصوصة به قيل فعلى هذا فهو اكتفا ببعض الكلمة
عن باقيها وهو مذهب للعرب حكاه سيبويه وغيره يقولون
الاتا بمعنى تفعل فيقول بلى فا اي افعل فيكتفون عن الكلمة
ببعض حروفها وفي الحديث كفى بالسيف شا اي شاهدا وقال
التجاني التحقيق انهم يكتفون ببعض حروف الكلمة معبرين
باسم بعض حروفها كقولهم قلت لها قفي فقالت ق اي وقفت
فيحتمل يس ان يكون عبر عنه باسمين من اسما حروفه لا بمسماه
كما قاله الرازي وان كانت العرب قد تكتفي ببعض الكلمة كقوله
كانت منازل الاف عهدتهم ... اي منازلها وقوله درس المنا بمتالع
فا بان اي المنازل ونظايره كثيرة وفي بديع الاكتفا للنواجي
قال علما البديع الاكتفا ان يدل موجود الكلام على محذوفه
وهذا الحد صادق على نحو اسال القرية على احد القولين فيه
ثم قسمه الى الاكتفا بكلمة نحو سرابيل تقيكم الحر اي والبرد والى الاكتفا
ببعض الكلمة وهذا الثاني مما اخترعه المتاخرون من اهل
البديع واكثر منه الشعرا المتاخرون والتزموا فيه التورية كقول

الدماميني: بقول صاحبي والروض زاه ... وقد بسط الربيع بساط زهر
تعال نباكر الروض المفدى ... وقم نسعى الى روض ونشر
اي نسرين وقول الحافظ ابن حجر
دع يا عذول رقى الملام تمد سوى ... عين الحبيب فنبت دام له البقا
والطرف مذ فقد الرقاد بكي بما ... يحكي الغمام فليس يهدى بالرقا
اي الرقاد واستشكل بانه لا يجوز الترخيم في غير المنادى لمخالفة
القياس فكيف بعد نحسنا مع اخلاله بالفصاحة فلا يخرج
القران عليه وان كان فيه تورية اللهم الا ان يقولوا انه مقيس
مغتفر في الشعر وما في القران ليس منه بل من ذكر حرف
من كلمة ايما الى بقيتها لا من الترخيم وهو ما اشار اليه المفسرون
وفيه من تمجيده اعزازه وتشريفه وتعظيمه اجلالا له ما لا
يخفى لو صفه بالسيادة المفيدة للعموم في المقام الخطابي فيفيد
تفوقه على من سواه لانه صلى الله عليه وسلم واسطة كل خير وروي
ابن جرير عن طلحة عن ابن عباس انه اي يس قسم بمعنى مقسم
به او جعله قسما لتضمنه له او مبالغة اقسم الله به وهو من
اسمايه اي الله تعالى وعن كعب بن مانع المعروف بكعب الاحبار يس قسم
اقسم الله به قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام
اي بمقدار الفي عام اذ قبل خلقها لا اعوام لان الزمان مقدار
حركة الفلك والمراد مجرد الكثرة او عدم النهاية مجازا او باعتبار
ان الفلك الاعظم وهو العرش مخلوق قبلها لقوله تعالى وكان
عرشه على الما ونظر في هذا بان مجرد تقدم العرش لا يقتضي
الزمان بالمعنى المتعارف واستشكل ايضا بان كلام الله قديم
فلا قبلية فيه ولا بعدية وخلقها محدث واجيب بان
المراد ابرازه في اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع الكاينات
او انه اطلع عليه ملايكته قبلها بهذا المقدار وهو مناسب
هنا لافادة اظهار علم قدره في الملا الاعلى ومثل هذا كثيرا
في الحديث فتضعيف ما هنا بمجرد الايراد وانه ان صح ترك
علمه الى الله اذ مثله لا يقال بالراي لا يسمع فالتضعيف
انما هو من جهة الاسناد يا محمد انك لمن المرسلين بيان للمخاطب
وليس تفسيرا ليس لانه لا يناسب ان الله اقسم به ولذا ذكر جواب
القسم توضيحا لمراده وليس مراده انه جواب مقدر للقسم بيس
حتى يلزم عليه اجتماع قسمين من غير عطف على قسم وقد
اباه النحاة كما في الكشاف وقال ان العرب تكرهه ثم قال والقران
الحكيم انك لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم لست مرسلا فاقسم الله باسمه وكتابه انه

لمن المرسلين بوحيه الى عباده بكسر ان لتقدير القول والحكاية
بالمعنى اي قايلا انك ولذا لم يقل انه وعلى طريق مستقيم من
ايمانه بيان للطريق وان المراد بها التوحيد او هي تعليلية
وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود مقسم عليه لا متعلق
بالمرسلين اي من ارسل على هذه الطريقة فالقسم على امرين كما
قال قبله ان الارسال على امرين رسالته والشهادة بهدايته
لا على امر واحد هو انه صلى الله عليه وسلم رسول مهدي على
طريقة مستقيمة ولا حال كما قيل لانه قريب من هذا وان كان
جعله قيدا ابنا في القصد لان هذا اوضح واتم في المدح اي طريق
لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق بفتح همزة اي وسكون اليا
مخففة تفسير للطريق المستقيم وهذا اتم من الايمان فهو تفسير
ثان وشد اليا على انه بمعناه طريق واي طريق لانه لا اعوجاج
ولا عدول الخ تفسير لعدم الاعوجاج مخالف للرواية والظاهر
وان جاز قال النقاش الحافظ ابو بكر محمد بن الحسن ابن احمد
الموصلي البغدادي المقري المفسر ضعيف في الحديث وحاله
في القراءات امثل واثنى عليه ابو عمرو الداني وزعم الجعبري
ان المضعف له غالط وتقدم قبل هذا بعض ترجمته لم يقسم
الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة اي بسببها والبا بمعنى على
في كتابه الا له صلى الله عليه وسلم كما في هذه الاية وان دلت
على ان غيره مرسل ايضا لكن المقسم عليه بالقصد انما هي رسالته
عليه السلام ولم يقل رسول او مرسل وهو اخصر لتثبيت رسالته
وانه عريق فيها على نهج قوله كانت من القانتين لان فلانا من العلما
ابلغ من العالم اي لم يذكر هذا القسم في القران لغيره تشريفا له صلى
الله عليه وسلم وتعظيما ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا اكد بتاكيدات

الفصل الخامس

في قسمه تعالى بمعنى الاقسام وهو الاتيان بالقسم ويكون
بمعنى المقسم به والمراد الاول بمدة حياته صلى الله عليه وسلم
فيه تسمح اذ القسم انما وقع بنفس الحياة ولا يصح ان تكون الاضافة
بيانية لان المدة نفس الحياة واجاب شيخنا بانه من اضافة
الصفة للموصوف اي بحياته القايمة به في الزمن الذي كان فيه
او ببقائه حقيقة او حكما فيشمل هذا الزمن وعصره وبلده
تقدم الفصل لان المواهب الى صلة وانواع الاهتدا انما نشات عن
عصره لا عن خصوص البلد ولان زيادة تشريف البلد انما حصل
في عصره فالاعتنا به اهم واخره في الترتيب رعاية لترتيب المصحف

اذ سورة البلد مقدمة على العصر فزعم بعض ان الصواب تقديم
البلد على العصر لتقدمه عليه في الترتيب ساقط وايضا الواو
لا تقتضي ترتيبا ولا شرفا فلا يقال في مثله الصواب بل ولا الانسب
قال الله تعالى لعمرك انهم اي قوم لوط لفي سكرتهم غفلتهم
وغلبة الهوى والشهوة عليهم حتى صاروا سكارى لا يميزون
الخطا من الصواب يعمهون يتحيرون لعمى بصايرهم العمر بالفتح
والعمر بالضم واحد ولكنه في القسم بفتح اي يلزم الفتح والاحسن لو عبر
لكثرة الاستعمال علة للفتح اي بمعنى ان الكثرة يطلب لها
التخفيف والفتح خفيف فخصوه بالقسم وان استعمل في غيره قليلا
والضم اكثر فاذا اقسموا قالوا لعمرك لافعلن ومنه الاية وقوله
القسم خبر مبتدا محذوف اي هو القسم او منصوب لجعلوه مقدرا
وليس من جملة اليمين والاظهر لو استغنى عنه بقوله قال
النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتدا والخبر محذوف والمعنى
قسمي صد جواب القسم مسد الخبر فحذف الخبر لان في الكلام دليلا
عليه لسد جواب القسم مسده وباب القسم يحذف منه الفعل
نحو تالله لافعلن والمعنى احلف بالله فيحذف احلف لعلم المخاطب
بانك حالف من ذكر القسم قال الزجاجي بفتح الزاي وشد الجيم ابو القاسم
عبد الرحمن بن اسحق صاحب الجمل والامالي وغير ذلك مات
بطبرية سنة تسع وثلاثين وقيل سنة اربعين وثلثمائة نسبة الى
شيخه الزجاج ابراهيم بن محمد البغدادي من قال لعمر الله كانه
حلف ببقا الله فيحذف احلف جواب سوال حاصله الحلف
بالعمر ظاهر في غيره تعالى لان الحياة القايمة به صفة لها غاية
يعبر عنها بمدة العمر واما هو سبحانه فهو حي ازلا وابدا الا يقال
في مدة حياته انها مقدرة بمدة حلف بها فاجاب بصرف العمر
في حقه تعالى للبقا وهو صفة له لا نهاية لها ومن ثم قال
المالكية والحنفية تنعقد بها اليمين لان بقا الله من صفات
ذاته الثمانية المنظومة في قوله

حياة وعلم قدرة وارادة ... وسمع وابصار كلام مع البقا

وعن مالك رواية لا يعجبني الحلف بذلك لظاهر حديث من كان
حالفا فليحلف بالله وقال الامام الشافعي واسحق بن راهويه
لا يكون يمينا الا بالنية لاستعمال الحياة في غيره كثيرا ورد بانه
مضاف لله وتعقب هذا شيخنا بان صريح متن البهجة وشرحها
ان صفاته تعالى تنعقد بها اليمين نوى بها اليمين او اطلق وعن
احمد روايتان كالمذهبين الراجح منه كالشافعي تنعقد ان نواها
واختلف في من المخاطب في الاية على قولين احدهما ان الملايكة

قالت للوط عليه السلام لما وعظ ذكر وخوف قومه وقال هولا
بناتي ان كنتم فاعلين ما تريدون من قضا الشهوة فتزوجوهن
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اي يتحيرون لعمى بصايرهم والعمه
في البصيرة والعمى في البصر فكيف يعقلون قولك ويلتفتون
الى نصيحتك وقدم الكشاف ذا القول لانه المناسب عنده للسياق
والثاني ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
تعالى اقسم بحياته وقدمه البيضاوي وقال عياض اتفق اهل
التفسير ومراده اهله الذين هم اهله وهم مفسروا السلف قال ابن
القيم اكثر المفسرين من السلف والخلف بل لا يعرف في السلف فيه نزاع
ان هذا قسم من الله بحياة رسوله عليه السلام وهذا من اعظم
فضايله ان يقسم الرب بحياته وهذه مزية لا تعرف لغيره ولم يوقف
الزمخشري لذلك فصرف القسم الى انه بحياة لوط وانه من قول الملايكة
له فقال هو على ارادة القول اي قالت الملايكة للوط لعمرك انهم
لفي سكرتهم وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الامرين بل ظاهر
اللفظ وسياقه انما يدل على ما فهمه السلف الطيب لا اهل التعطيل
والاعتزال انتهى فما اوهمه المصنف من تساوي القولين مخالف للكلام
اصله الا ان يقال لما راي قوله وليس في اللفظ الخ اقتصر على مجرد
حكايتهما بلا ترجيح لكن قد علم اضراب اصله بقوله بل ظاهر اللفظ
الخ وعليه فقيل ضميرانهم لقريش والجملة اعتراض كما في البيضاوي
وقال الثعالبي انه بعيد لانقطاع الاية به عما بعدها وما قبلها
وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه اي منزلة وقدر عريض
مجاز بمعنى عظيم كدعا عريض قال البيضاوي اي كثير مستعار مما له
عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطول
لانه اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قال
ابن عباس ما خلق وما ذرا الله وما درا وما برا بالهمز فيهما وذكرها
للتاكيد لانهما بمعني وقد يفرق بينهما بالاعتبار بان يكون ذرا من
الدراية وبرا بمعنى صور اي لم يوجد نفسا اكرم عليه من محمد صلى
الله عليه وسلم اشرف منه ذاتا ونسبا وصوره ومثل هذه العبارة
تفيد عدم المساواة عرفا وما سمعت الله اقسم اي ما علمت من
اطلاق السبب على مسببه وقيل انه هنا من النواسخ الداخلة على المبتدا
والخبر على ان المفعول الاول مصدر الخبر المضاف اليه الى المبتدا
واليه ذهب الرضي وغيره في فعل السماع الداخل على الذوات
كسمعت زيدا يقول كذا بشرط كون الخبر مما سمع والتقدير ما سمعت
اقسام الله بحياة احد والجملة مبينة للمقدر لكن فيه انهم شرطوا كون
السماع بلا واسطة غيره بالجر صفة احدا وبدل منه وبالنصب على

الاستثنا قيل وهو احسن للصراحة في انه اقسم بالنبي ولم يقسم
بغيره وليس فيه انه اقسم به ولا وجه له فانه يفيدهما على الوجهين
بقرينة السياق وتلاوة الاية وهي قال الله تعالى لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك وبقايك في الدنيا
وفي الشفا ومعناه وبقايك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك
انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه محمد بن جرير الحافظ الشهير ومراده
بقوله سمعت الله كلامه المتلو في الكتب المنزلة وفي لسان
نبيه ورواه البغوي في تفسيره من طريق ابي الجوزا عن ابن
عباس بلفظ ما اقسم الله بحياة احد الا بحياته صلى الله عليه وسلم
وما اقسم بحياة احد غيره الى به مع استفادته مما قبله لاشتماله
على النفي والاستثنا فكانه قال اقسم بحياته لا بحياة غيره لان
دلالته على النفي بالمفهوم وبعض الايمة كالحنفية يجعله مسكوتا
عنه فنفي ذلك بالتصريح به وذلك يدل على انه اكرم خلق الله على
الله وذلك باجماع والكرم صفة جامعة لكل خير وذلك باجماع
والكرم صفة جامعة لكل خير وان خصه العرف الطاري الان
بالجود فليس بمراد هنا وحده وعلى هذا فيكون قسمه تعالى
بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط
تسلية للمصطفى عن اذية قومه له وهو واضح بجعل ضميرانهم لقريش
اما على انه لقوم لوط فلا يظهر جعله اعتراضا اذ هو من جملة
ما يتعلق بقوم لوط نعم لا يمنع ذلك ان القسم بحياة المصطفى فغايته
انه تاكيد لخبره قوم لوط وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية او لتشبيه
الماضي بالحال وقال القرطبي واذا اقسم الله بحياة نبيه فانما اراد
بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان نحلف بحياته ولا دلالة فيه على
ذلك فانما المراد التعظيم والله تعالى له ان يقسم بما شا والشمس وضحاها
والضحى والليل والمقدر في مذهب القرطبي قولان مشهوران
فذهب الاكثرون الى حرمة الحلف بالنبي والكعبة وكل معظم شرعا
وشهره بحرام في شامله والاقلون الى كراهة الحلف بذلك وشهره التاج
الفاكهاني وحجة كل قوله صلى الله عليه وسلم فمن كان حالفا فليحلف
بالله او ليصمت رواه الشيخان ومحل الحلف اذا كان الحالف صادقا
والا حرم اتفاقا بل ربما يكون بالنبي كفرا وقد قال الامام احمد بن
حنبل فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم ينعقد يمينه ويجب
الكفارة بالحنث ومذهب مالك والشافعي والجمهور لا تنعقد
ولا كفارة فاحتج احمد بكونه صلى الله عليه وسلم احد ركني الشهادة
ولا حجة فيه اذ لا يلزم من ذلك انعقاد اليمين به بل ولا جواز الحلف
به لا سيما مع النهي الصريح عنه صلى الله عليه وسلم عليه قال ابو بكر

محمد ابن احمد المعروف بانه ابن خويز منداد ويقال بضم الخا وكسر
الزاي وفتح الميم وسكون النون ودال بينهما الف خواز منداد
تفقه علي الابهري وله كتاب كبير في الخلاف وكتاب في اصول الفقه
وكتاب في احكام القران وعنده شواذ عن مالك وله اختيارات
تخالف المذهب ولم يكن بالجيد النظر ولا قوي الفقه
قال الباجي لم اسمع له في علما العراق ذكرا وكان يجانب الكلام
وينافر اهله حتى يودي ذلك الى منافرة المتكلمين من اهل
السنة ويحكم على جميعهم بانهم من اهل الاهوا قاله في الديباج
واستدل من جوز الحلف به عليه الصلاة والسلام بان ايمان
المسلمين جرت من عهده صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا به
وهذا بفرض تسليمه لا دلالة فيه علي الجواز اذا المختلف فيه لا يجب
انكاره حتى ان اهل المدينة الي يومنا هذا اذا جا من يريد
التحليف صاحبه الذي يريد تحليفه وقال له احلف لي
بحق صاحب هذا القبر وبحق ساكن هذا القبر يعني النبي
صلى الله عليه وسلم كان ذلك عنده غاية في تغليظ اليمين وقال
تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد من اقامة
الظاهر مقام المضمر فلم يقل به استعظاما لحلوله فيه الاية
اقسم تعالى بالبلد الامين فلا زايدة لافادة التاكيد
والتحسين وان كان حذفها لا يغير اصل المعنى فاندفع قول
الامام الرازي انه مانع من الانتظام وموهم جعل الاثبات نفيا
ويلزمه عدم الاعتماد على القران مع ان لا تاتي زايدة مع القسم
كثيرا وقد تزاد في غيره ايضا وقد ذهب بعض المفسرين والنحاة
الى انه لا يطلق على مثله زايد بل يقال تاكيد باصلة وهو حسن
ويحتمل كلام المص انه حملها على انها واقعة جواب قسم مقدر اي
وانه لانا اقسم ويويده القراة الشاذة لاقسم بلام الابتدا وهو
مكة ام القرى وهو بلده عليه الصلاة والسلام وقيده
بحلوله فيه اظهارا لمزيد فضله فالمعنى اقسم به والحال انك
مقيم به لشرفك وعظمتك عندي واشعارا بان شرف المكان بشرف
اهله وفيه ايما الى ان القسم بقوله وهذا البلد الامين لكونه
فيه فلا تنافي بين الايتين فاذا كان فيه فهو حقيق بالاقسام
به كما قيل وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا
قاله البيضاوي غير مقتصر عليه بل حكي بعد ما ياتي للمص
لكنه لم ينقله عنه لوجوده في كلام من تقدمه ثم اقسم بالوالد
وما ولد اثرما على من معنى التعجب كقوله والله اعلم بما وضعت
اولان كثيرا من النحاة جوزوه او لتاويله بالمبهم اي الولد

الكامل الذي لا يدرك كنه ذاته ولاطراده فيما قصد به المعنى
الوصفي كالمولود هنا نظرا للصفة فانها ليست من جنس العقلا
قال في حواشي الكشاف التفرقة بين من وما انما هو اذا اريد
الذات واما اذا اريد الوصف فيجوزونها بالي الوصف وقد خفي
هذا علي بعض الافاضل وهو فيما قيل ابراهيم واسمعيل وما
ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا تتضمن السورة الاقسام
به في موضعين احدهما في البلد التي هي محله فان القسم بمكانه
قسم به صلى الله عليه وسلم ابلغ من القسم بذاته وحياته والثاني
قوله وما ولد وزعم انه لما اقسم بوالده وهو في اصله فكانه
اقسم به في غاية البعد اللهم الا ان يقال لما قصد تعظيمه
بالقسم بوالده كانه اقسم بصفة من صفاته وهي شرف حسبه وقيل
المراد به اي بوالد ادم وبما ولد ذريته وهو قول الجمهور من المفسرين
فما ولد عام شامل لجميع اولاده لا يختص بفرد منهم فالقسم على هذا
بنوع الانسان وانما اقسم تعالى بهم وان كان فيهم فسقة وكفار
للتعليل المذكور بقوله لانهم اعجب خلق الله على وجه الارض
اذ خلقهم في احسن تقويم لما فيهم من البيان النطقي المبين عن
المقاصد والنظر الاستدلال واستخراج العلوم وفيهم الانبيا
اريد بهم ما يشمل المرسلين والدعاة جمع داع كالعلما والاوليا والصلحا
فالكل يدعون الى الله تعالى والانصار لدينه بالسيف والحجة وكل
ما في الارض من مخلوق خلق لاجلهم كما قال تعالى خلق لكم
ما في الارض جميعا وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل
السكان ادم خصه لشرفه وكونه اصلهم فمرجع البلاد الى مكة لانها امها
ومرجع العباد الى ادم لانه اصلهم ولو قال ومرجع غير بني ادم اليهم
وفسر اصل السكان بادم وذريته كان اوفق بتفسير الولد والوالد
بانهما ادم وذريته ثم ظاهر هذا التفسير ولو كان فيهم فسقة وكفار
من حيث تعليله بما ذكر ولا ضير فيه وفي الخازن اقسم بادم وبالانبيا
والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان في ذريته فلا حرمة
له حتى يقسم به انتهي وفيه نظر لان الاقسام لم يلاحظ فيه الحرمة
فقط بل كونه اعجب الخلق علي الارض كيف وقد قال ابن عباس
الوالد والولد هنا على العموم فهي اسما جنس يدخل فيها جميع
الحيوان وقال ابن عباس وابن جبير وعكرمة والوالد معناه كل من
ولد وانسل وما ولد لم يبق منه الا العاقر الذي لم يلد البتة وقيل
المراد نوح وجميع ولده وقيل ابراهيم وجميع ولده حكي ذلك ابن
عطية وغيره المراد وقيل الوالد محمد صلي الله عليه وسلم لحديث
انما انا لكم بمنزلة الوالد والولد امته وذريته وقوله تعالى وانت

حل هو من الحلول الاقامة ضد الظعن اي الارتحال وهو احد
مصادر حل وفي الاخبار به المذاهب الثلاثة اما ان يوول بالمشتق
او بتقدير مضاف اي ذو حل او مبالغة كزيد عدل وفي القاموس
حل المكان وبه يحل ويحل حلا وحلولا وحللا محركة نادر نزل به
فيتضمن اقسامه تعالى ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو
خير البقاع حتى المدينة او الا المدينة الخلاف الشهير واشتمل
على خير العباد بالاجماع فقد جعل الله تعالى بيته الكعبة
هدى للناس ونبيه صلى الله عليه وسلم اماما قدوة وهاديا لهم
الى صراط مستقيم وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه
وفي الشفا قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه اي بعد خروجك منه حكاه
مكي وقيل لا زايدة اي اقسم به وانت يا محمد حلال او حل لك ما فعلته
فيه على التفسيرين وقيل المعنى وانت مستحل قتلك واخراجك
من هذا البلد الامين الذي يامن فيه الطير والوحش تفسير
للامين فهو اسناد مجازي كعيشة راضية وقد استحل فيه قومك
حرمتك وفيه تثبيت له وتعجيب مما جرى عليه واشارة الى علة
عدم القسم فسقط الاعتراض بان الحال يقتضي عدم القسم بعد
الخروج فيتنافيان وهذا كما قال ابن عطية يتجه على انه
قسم وعلى نفيه اي لا اقسم ببلد انت ساكنه على اذى هولاء
وكفرهم وهذا مروي عند البيهقي وغيره عن شرحبيل بضم
الشين المعجمة وفتح الراء وسكون المهملة ابن سعد المدني مولى
الانصاري تابعي صدوق اختلط باخره مات سنة ثلاث وعشرين
ومائة وقد قارب المائة روى له ابو داود وابن ماجه وعن قتادة
ابن دعامة الاكمه المفسر التابعي وانت حل اي لست باثم بالمد
لان حل له معان ضد الحرمة والاقامة بالمكان والاسم منهما حل
بالكسر وحلال بمعنى جايز ومقيم وحلال لك ان تقتل بمكة
من شيت وذلك ان الله تعالى وعده بانه يفتح عليه مكة واهلها
اي ويطيعه اهلها وما فتحت على احد قبله فاحل ما شا وحرم
ما شا فقتل اي امر بقتل ابن خطل بفتح المعجمة والمهملة هلال
او عبد الله وهو متعلق باستار الكعبة وقتل غيره كما تقدم
في فتح مكة وحرم دار ابي سفيان صخر بن حرب اي جعل لها
حرمة بان اعطى الامان من دخلها بقوله من دخل دار ابي
سفيان فهو امن وحرم قتل من دخلها وعلى هذا ففي الاية
تسلية له صلى الله عليه وسلم اي ان اخرجوك منها فستعود لها
وتفعل فيها ما تريد وتثبيت ووعد بالنصر والاول على انه
قسم والثاني على انتفائه وكل منهما جار على التفسيرين وقيل المعنى

وانت حلال اي غير محرم بها اشارة الى دخولها يوم الفتح حلالا
فان قلت هذه السورة مكية عند جمهور المفسرين وبالغ
النسفي فحكى عليه الاتفاق وينقضه قول ابن عطية وقال قوم
هي مدنية وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال وعن الواقعة
بالجر عطف ويحتمل الرفع اي والحال الواقعة التي ذكرت في اخر
مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين المتنافيين بحسب
الظاهر اجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى بالحال في
مستقبل كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون اي ستموت
ويموتون فلا شماتة بالموت فاطلق الحال واراد الاستقبال
لكن استشكل هذا بانه يلزمه اختلاف زمني الحال وعاملها الا
ان يقال الجملة معترضة لا حالية فتضمن فيه مبالغة تنزيل
المستقبل المحقق منزلة الحال لا الماضي كما يدل له قول عياض
او حل لك ما فعلت فيه وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم
ببلد رسول الله صلى الله عليه وسلم بجعل لا زايدة ولا يخفى ما فيه
زيادة التعظيم حيث اقسم ببلده بقيد كونه فيه دفعا لتوهم ان
المكان اشرف وان شرفه مكتسب وقد روي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم واقره عليه بابي انت
وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان اقسم
بحياتك دون ساير الانبيا في قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
وهذا ان صح دليل لقول الجمهور انه قسم بالمصطفى لا بلوط لانه
عمر قاله للنبي واقره عليه فهو نص في محل النزاع ولقد بلغ من
فضيلتك عنده ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد
ففيه اشارة الى ان هذا القسم ادخل في تعظيمه من القسم بذاته
وبحياته قال عياض في الشفا والمراد بالبلد عندهم لا مكة
وقال الواسطي اي يحلف بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه
حيا وبركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية
وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطا في
تفسير قوله وهذا البلد الامين قال امنها الله لمقامه فيها
وكونه بها فان كونه امانا حيث كان انتهى لكن تعقبه الدلجي
وغيره بان القايل لا يسلم ان السورة مكية والبلد عنده في الموضعين
المدينة والاشارة فيهما لها وحل بمعنى حال مقيم فكيف يقام
عليه الدليل بما لا يسلمه وفي قوله تعالى والعصر ان الانسان اسم جنس
لفي خسر نقصان وسوء حال وذلك بين غاية البيان في الكافر
لانه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين واما المومن
وان كان في خسر في دنياه في هرمه وما يقاسيه من شقا هذه الدار

نه لك معفو عنه في جنب فلاحه في الاخره وزيحه الذي لا يغني
ومن كان في مدة عمره في التوصي بالحق والصبر والعمل بحسب الوصاه
فالاخسر منه وقد جمع له الخير كله وقرا علي والعصر ونوايب الدهر
ان الانسان وفي مصحف عبد الله والعصر لقد خلقنا الانسان وعنه
على لفي خسر وانه فيه الى اخر الدهر الا الذين وقرا عاصم والاعرج
لفي خسر بضم السين وقرا سلام ابن المنذر والعصر بكسر الصاد والصبر
بكسر البا وهذا لا يجوز الا في الوقف على نقل الحركة وعن ابي عمرو بالصبر
بكسر البا اشماما وهذا ايضا لا يكون الا في الوقف قاله ابن عطية رحمه
الله اختلف في تفسير العصر على اقوال فقيل عن ابن عباس هو الدهر
يقال فيه عصر وعصر بضم العين والصاد قال امرى القيس
وهل يعمن من كان في العصر الخالي لانه مشتمل على الاعاجيب
المختلفة لانه يحصل فيه السرا بالفتح والمد الخير والفضل والضرا
بفتح المعجمة والمد نقيض السراء والصحة في البدن حالة طبيعية
تجري افعاله معها على المجرى الطبيعي واستعير للمعاني كصحت
الصلاة اذا اسقطت القضا وصح العقد اذا ترتب عليه اثره وصح
اذا طابق الواقع والسقم بضم فسكون مصدر سقم كترب وبفتحتين
مصدر سقم كفرح طال كرحم مرضه وغير ذلك
وقيل ذكر العصر مبني للمجهول اشارة الي قول اخر في العصر اي قال
بعضهم المراد بالعصر هنا هو الذي يمضيه اي انقضايه بينقضي عمرك
ايها الانسان فاذا لم يكن في مقابلته كسب للطاعات صار ذلك عين
الخسران ولهذا قال القايل
انا لنفرح بالايام نقطعها ؛ وكل يوم مضى نقص من الاجل
يعني انه لا فرح بانقضا الايام حقيقة وان كانت في شدة لانها تنقص
من اجل الانسان وقال قتادة العصر العشي وقال ابي بن كعب
سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال اقسم ربك باخر
النهار وقيل اليوم والليله ومنه قول حميد
ولن يلبث العصران يوم وليلة ؛ اذا طلبا ان يدركا ما تيمما
اي قصدا وقيل بكرة وعشيا وهما الابرادان وقال مقاتل العصر
الصلاة الوسطى اقسم بها حكاها ابن عطية وفي تفسير الامام فخر
الدين الرازي والبيضاوي وغيرهما انه تعالى اقسم بزمان
الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الموافق للترجمة انه اقسم بمدة
حياته وعصره وبلده قال الامام الرازي واحتجوا اي لهذا
القول بقوله صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم
من اليهود والنصارى والمثل في الاصل بمعنى النظير ثم
استعمل لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة لارادة

زيادة التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم لبريك
المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولذا اكثر الله في كتابه
الامثال وفشت في كلام الانبيا والمعنى مثلكم مع نبيكم ومثل من
قبلكم مع انبيائهم مثل رجل استاجر اجرا بضم الهمزة وفتح الراء جمع
اجير وفي رواية كرجل استاجر عمالا جمع عامل فقال من يعمل من
الفجر الى الظهر بقيراط زاد في رواية قيراط فذكره مرتين ليدل
على تقسيم القراريط على جميعهم لان العرب اذا ارادت تقسيم
الشي على متعدد كررته كما يقال اقسم هذا المال على بني فلان
درهما درهما كما في الفتح فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر
الى العصر بقيراط قيراط بالتكرير ايضا كما في رواية وهو نصف
دانق والمراد هنا النصيب فعملت النصارى ثم قال من يعمل من
العصر الى المغرب بقيراطين فعلتم ايها الامة المحمدية
فغضبت اليهود والنصارى ايها الكفار منهم وقال نحن اكثر
عملا لان الوقت من الفجر الى الظهر اكثر من وقت العصر الى
الغروب وتمسك به بعض الحنفية الى ان وقت العصر من مصير
ظل كل شي مثليه لانه لو كان من مصير مثله لكان مسا ويا لوقت
الظهر وقد قالوا نحن اكثر عملا فدل على انه دون وقت الظهر
واجيب بمنع المساواة وذلك معروف عند علما هذا الفن
ان مدة بين الظهر والعصر اطول من مدة بين العصر والمغرب
وما نقله بعض الحنابلة من الاجماع على ان وقت العصر ربع
النهار محمول على التقريب اذا فرعنا على ان وقت العصر مصير
الظل مثله كما قال الجمهور واما على قول الحنفية فالذي من
الظهر الى العصر اطول قطعا وعلى التنزل لا يلزم من التمثيل
والتشبيه التسوية من كل جهة وبان الخبر اذا ورد في معنى
مقصود لا يوخذ منه المعارضة لما ورد في ذلك المعنى بعينه
مقصودا في معنى اخر وبانه ليس في الخبر نص على ان كلا من
الطايفتين اكثر عملا لكن لصدق ان كلهم مجتمعين اكثر عملا من
المسلمين وباحتمال انه اطلق ذلك تغليبا وباحتمال ان ذلك
قول اليهود خاصة فيندفع الاعتراض من اصله كما جزم به
بعضهم ويكون نسبة ذلك للجميع في الظاهر غير مرادة بل هو
عموم اريد به الخصوص وبانه لا يلزم من كونهم اكثر عملا ان
يكونوا اكثر زمنا لاحتمال ان عمل زمنهم اشق ويوبده
قوله تعالى ربنا لا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من
قبلنا ومما يوبده ان المراد كثرة العمل وقلته لا بالنسبة
الى طول الزمن وقصره اتفاق اهل الاخبار على ان المدة

زيادة

التي بين عيسى ونبينا دون المدة التي بيننا وقيام الساعة لان جمهور اهل الاخبار قالوا مدة الفترة بين عيسى ونبينا ستمائة سنة وثبت ذلك في البخاري عن سلمان وقيل انها دون ذلك حتى قال بعضهم انها مائة وخمس وعشرون سنة ومدة المسلمين بالمشاهدة اكثر من ذلك فلو تمسكنا بان المراد التمثيل بطول الزمانين وقصرها للزم ان وقت العصر اطول من وقت الظهر ولا قائل به فدل على ان المراد كثرة العمل وقلته قاله في الفتح **واقل اجرا فقال الله تعالى وهل نقصتكم من اجركم** الذي شرطته لكم شيئا وفي رواية هل ظلمتكم من حقكم **شيئا قالوا لا** لم تنقصنا شيئا وانما لم يكن ظلما لانه تعالى شرط معهم شرطا وقبلوا ان لا يعملوا به **قال فذلك فضلي اوتيه من اشاء** من عبادي قال الطيبي ما ذكر من المقاولة والمكالمة لعله تخييل وتصوير ولم يكن حقيقة لانه لم يكن ثمة هذه الامة اللهم الا ان تحمل ذلك على حصوله عند اخراج الذر فيكون حقيقة قال صلى الله عليه وسلم **فكنتم اقل عملا واكثر اجرا** ممن كان قبلكم **رواه البخاري** من حديث ابن عمر في الصلاة والاجارة وفضل القران وفي ذكر بني اسرائيل وفي التوحيد بالفاظ متقاربة ليس في محل منها بهذا اللفظ وانما هو لفظ مسلم واخرجه البخاري بنحوه من حديث ابي موسى لكن ظاهر سياقهما انهما قصتان وحاول بعضهم الجمع بينهما فتعسف كما في الفتح **قالوا فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره صلى الله عليه وسلم الذي هو فيه فيكون على هذا اقسم الله تعالى بزمانه في هذه الامة وبمكانه في قوله تعالى وانت حل بهذا البلد** سواء قلنا انه مكة او المدينة اذ كل مكانه **وبعمره في قوله لعمرك الاية وذلك كله كالظرف له فاذا وجب** ثبت وحق **تعظيم الظرف** بالاقسام به **فكيف حال المظروف** استفهام تعجب **قال الرازي ووجه القسم كانه تعالى قال ما اعظم خسرانهم اذا اعرضوا عنك انتهى** كلام الرازي وهو وجيه

النوع السادس

في وصفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بالنور والسراج المصباح معه سراج ككتاب وكتب **المنير** وصف به تأكيدا ولان بعض السرج لا يضيء اذا دق فتيله وقل زيته وقد قيل ثلاثة تضني رسول بطي وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر اليها من يجيء **اعلم ان الله تعالى قد وصف رسوله صلى الله عليه وسلم بالنور** اي اخبر عنه بانه نور **في قوله تعالى قد جاءكم** الخطاب لاهل الكتاب في قوله يا اهل الكتاب وهو شامل للتوراة والانجيل وكانوا يخفون ما فيها من صفات النبي صلى الله عليه وسلم

من

من الله نور هو محمد صلى الله عليه وسلم **وكتاب مبين** قران بين ظاهر **وقيل المراد بالنور القران** وعليه فالعطف للتفسير وقوله يهدي به الله في موقعه وعلى الاول افرده مع تغايرهما وعطفها نالوا ولرجوعه لهما معا باعتبار المذكور او لانهما معا كالشيء الواحد وهداية احدهما عين هداية الاخر فان خلقه القران وما افاده المص من ترجيح الاول هو الصحيح فقد اقتصر عليه الجلال وقد التزم الاقتصار على ارجح الاقوال وبه جزم عياض في محل وساوى بينهما في اخر وتبعه المص في الاسماء الشريفة وفسر النور ايضا بالاسلام **ووصفه عليه الصلاة والسلام ايضا بالسراج المنير في قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا** على من ارسلت اليهم **ومبشرا** من صدقك بالجنة **ونذيرا** منذرا من كذبك بالنار **وداعيا الى الله** الى طاعته **باذنه** اي امره فهو على ظاهره لان الله امره اذن له او المراد به الارادة فانه كثيرا ما يتجوز به عنها وعن الامر كما في مجاز القران لابن عبد السلام وفسرا ايضا بتوفيقه وتيسيره **وسراجا منيرا** يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر **والمراد كونه هاديا مبينا كالسراج يري الطريق** اي يكون سببا في ادائها فالاسناد مجازي **ويبين الهدى والرشاد** والصلاح وهو خلاف الغي والضلال وهو اصابة **فبيانه اقوى واتم وانفع من نور الشمس** لانه يفرق بين الحق والباطل والشمس انما يتبين بها ما يدرك بحاسة البصر من الالوان ونحوها فهو تفريع على قوله يبين الهدى واذا كان كذلك وجب ان تكون نفسه المقدسة اعظم بحث النورانية من الشمس فكما ان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فلذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية لسائر اي لجميع الانفس البشرية ولم يقل ولا تستفيد من غيرها كما قال في الشمس لانه صلى الله عليه وسلم يستفيد الوحي من جبريل فلذا وقع تشبيهه بالسراج لانه في غاية الوضوح والبلاغة لانه يستضيء من الوحي ويضيء للناس بما اتاهم به ففيه من البلاغة ما ليس في قوله شمسا وقمرا قال القاضي ابو بكر ابن العربي قال علماؤنا سمي سراجا لان السراج الواحد يؤخذ منه السرج الكثيرة ولا ينقص من ضوئه شيء وكذلك سرج الطاعات اخذت من سراجه صلى الله عليه وسلم ولم ينقص من اجره شيء وكذلك وصف الله تعالى الشمس بانها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وفي قراءة سرجا بالجمع اي نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة وكما وصف الله تعالى رسوله بانه نور

الصعابة

وصف نفسه المقدس بذلك فقال الله نور السموات والارض
قال ابن عباس وغيره اي هادي اهلهما قال الرازي في شرح
الاسما وهو حسن الا ان تفسيره به في الاسما التسعة وتسعين لايجوز
لانه يصير محض تكرار واجيب بجواز ان الهادي اعم كما قالوه في الرؤف
الرحيم او يعتبر به هداية بالغة الى حد لايتناهي فتحصل به
المغايرة في الجملة كالرحمن الرحيم فلا وجه لقوله لايجوز لان
له نظاير في الاسما وفي حواشي الكشاف معنى نور السموات
والارض هادي العالمين مبين ما يهتدون به ويتخلصون
من ظلمات الكفر والضلال بوحي منزل ونبي مرسل فليس
فيهما الا الله ونوره المقدس اي المراد به هو سر الوجود ايجاد
العالم والحياة والجمال والكمال وفي الانوار اصل الظهور هو الوجود
كما ان اصل الخفا هو العدم والله موجود بذاته موجد لما عداه
وهو الذي اشرق على العالم كله وهو ما سوي الله لكن وقع ذلك
الاشراق على وجوه متنوعة فاشرق على العوالم بكسر اللام جمع
عالم الروحانية بضم الرا فهو من عطف المفصل على المجمل نحو توضا
نفسل وجهه وهم الملايكة فصارت سرجا بضمتين منيرة يستمر بفتح اوله
منهما من دونها فاعل بجود الله ثم سري النور الى عالم النفوس
الانسانية ثم طرحته النفوس على صفحات الجسوم اي جوانبها
جمع جسم فليس في الوجود الا نور الله السارية اي التي منه بقدر
قبوله ووسع استعداده ورحب تلقيه بضم الرا وفتحها وعطفه
على ما قبله كالمسبب على السبب فالاستعداد هو الاسباب التي
يكون اجتماعها فيه سببا لحصول المعرفة وقبول ما يلقى اليه
ورحب التلقي قوة قبوله لما يلقى اليه وحسن استماعه له والنور
في الاصل عند الحكما لا اللغة فانه الضو واصله من نار ينور اذا
نفر ومنه نوار الظبية وبه سميت المراة فوضع للضو لانتشاره
او لازالته الظلام فكانه ينفر منه كيفية اي صفة لكن لفظ كيفية
لم يسمع من العرب كما صرح به اهل يدركها الباصر اولا ويدرك بواسطتها
ساير المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين الشمس والقمر
على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وبعضهم زعم انه اجرام صغار
تنفصل من المضي وتتصل بالمستضي وهو بهذا المعنى لايصح
اطلاقه على الله لاستحالته اذ هو عرض او جسم وكلاهما محال عليه
الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم فمعنى الله نور
اي ذو نور او بمعنى نور السموات والارض فهو من اطلاق المصدر
وارادة اسم الفاعل فان الله تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض
عنهما من الانوار وبالملايكة والانبيا وذلك ماخوذ من قولهم

اللغة و

للربيب

للربيب الفايق في التدبير وهو فعل الامر عن فكر وروية نور القوم
اذا كانوا يهتدون به في الامور ويويد هذا التاويل قراة علي
ابن ابي طالب وزيد بن علي بن الحسين بن علي وغيرهما نور فعلا
ماضيا مفتوح النون والواو مشددة والارض بالنصب مفعول وادعي
الغزالي انه حقيقة لان النور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره
وهو ميل لقول الاشراقيين قال شارح حكمة الاشراق الله نور
السموات والارض لا بمعنى منورهما على ما يقوله بعض المفسرين
هربا من اطلاق اسم النور عليه بمعنى انه محض النور البحت
وان ساير الانوار تشرق من نوره كذا قال وقوله تعالى مثل نوره
اي مثل هداه سبحانه وتعالى وفسره البيضاوي بالصفة العجيبة
واضاف النور الى السموات والارض اما دلالة على سعة اشراقه
وفشو اضاته حتى تضي له السموات والارض واما لارادة اهل
السموات والارض واضاف النور اليهم لاجل انهم يستضيئون به
والاضافة تجي لادنى ملابسة
وعن مقاتل اي مثل الايمان في قلب محمد صلى الله عليه وسلم
كمشكاة كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها اسم ما لاينفذ
قيل معربة من الحبشة وقيل هي القنديل وقيل موضع الفتيلة
منه وقيل معلاقه فيها مصباح قنديل او الفتيلة ماخوذ من الصبح
او الصباحة فالمشكاة نظير صدره كذا في جميع النسخ والاولى صلب
عبد الله والزجاجة مثلثة الزاي والضم اعرفها وافصحها
نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح نظير الايمان
والنبوة في قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن غيره اي غير مقاتل
المشكاة نظير ابراهيم والزجاجة نظير اسمعيل عليهما السلام
والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة والنبوة والرسالة
التي يتوقد منها المصباح ونحوه قول من قال المشكاة ابدان ابايه
والزجاجة اصلابهم والمصباح نوره المستودع فيهم وعن ابي سعيد
الخراز ابراهيم وقيل احمد ابن عيسى البغدادي قال الخطيب
كان احد المشهورين بالورع والمراقبة وحسن الرعاية وحدث بسير
صحب السقطي وذا النون وغيرهما قال الجنيد لو طالبنا الله بحقيقة
ما عليه ابو سعيد لهلكنا اقام كذا وكذا سنة ما فاته ذكر الحق تعالى
بين الخرزتين وقال السلمي الخراز امام القوم في كل فن من علومهم
واحسنهم كلهم ما خلا الجنيد فانه الامام لذلك فان جماعة يقولون
الخراز قمر الصوفية فان ذا النون امامهم مطلقا الجنيد فهو الشمس
والخراز القمر مات سنة سبع وسبعين ومايتين وقيل غير ذلك
المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح

بياض

النور الذي جعله الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن كعب
ابن ماتع بفوقية المعروف بكعب الاحبار وابن جبير سعيد
احد الاعلام النور الثاني هنا في قوله مثل نوره محمد صلى الله عليه وسلم
بطريق المجاز والاول هو الله صفة لجميع مخلوقاته للتعميم والثاني
مضاف لله تعالى للتشريف والتعظيم والثالث في قوله يهدي
الله لنوره من يشاء اضافته كالجبين المأتي به بيانا للتشبيه الذي
بنيت عليه الاستعارة فالمعنى انه نور بنوره جميع مخلوقاته
وخص نبيه صلى الله عليه وسلم باوفر اسم منه فسماه باسمه والبسه حليته
كما البسه الرافة والرحمة وعن سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى
التستري بفوقيتين اولاهما مضمومة وفتح الثانية بينهما مهملة
ساكنة مدينة معروفة الصالح المشهور الذي لم يسمح الدهر بمثله علما
وورعا وله كرامات مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل غير ذلك
مثل نوره نبوة محمد اذ كان مستودعا بفتح الدال في الاصلاب
اي اصلاب ابائه وضميره كان راجع للنور او لمحمد نفسه ورجح بانه كان
في صلب ابائه لا نوره ورد بان نوره كان ظاهرا في جباههم من
ادم لابيه عبد الله كالقمر ليلة البدر والمستودع في الاصلاب مادة
جسمه والنور تابع لتلك المادة لمشكاة صفتها كذا وكذا كناية
عن قوله فيها مصباح الخ لانها استعملت كذلك اي صفة نوره كصفة
نور مشكاة فيها مصباح واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره
والمشكاة جسده الشريف اي كانه اي صدره الشريف كوكب
دري اي مضيء بضم الدال وكسرها وفتحها مع الهمزة وبدونها
مشددا اليا قيل انه منسوب الى الدر لحسنه وصفائه لما فيه اي
الصدر من الايمان والحكمة وجعل ذلك في الصدر بواسطة القلب
ولا يبعد عود الضمير للقلب والحكمة العلم النافع وقيل المراد بها
هنا النبوة كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة توقد المصباح بالماضي
وفي قراءة بمضارع وقد مبنيا للمفعول بالتحتانية وفي اخرى
بالفوقانية اي الزجاجة من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم
لان النسب شبيه بالشجرة وابراهيم جده صلى الله عليه وسلم وهو دعوته
وضرب المثل وهو كلام شبه مضربه بمورده وضربه ذكره كذلك يعني
تبيانه بالشجرة المباركة على الاستعارة التمثيلية لانه شبه ظهور نبوته
المتصلة بابيه ابراهيم وشبه المتصل به بمصباح اضاء بزيت من شجرة
مباركة واقتصر على بعض اجزاء التمثيل لظهور ما فيه وفائدة التمثيل
كما قاله الكشاف ابراز المعقول في هيئة المحسوس ليتضح ويترشح في الاذهان
ولذا اكثر في الاحاديث والكتب الالهية وقوله تعالى يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

تبين مضارع بانا اي اتضح للناس قبل كلامه اي تكلمه ودعواه
النبوة وتحديه كهذا الزيت والكلام بالفتح مصدر بمعنى التكليم كقوله
فان كلاميها شفا لما بيا او المراد ما يتكلم به فيقدر مضاف اي قبل
ايراد كلامه الذي يتكلم به وقبل ان يوحي اليه حكى هذا الاخير
من قوله وعن سهل القاضي ابو الفضل عياض اليحصبي بفتح التحتية
وسكون المهملة وتثليث الصاد المهملة نسبة الى يحصب بن مالك اي
قبيلة باليمن والفخر الرازي لكنه اي الرازي انما حكاه عن كعب
الاحبار لا عن سهل بن عبد الله فان صح النقلان فيكون مقالاه
وفي شرح الشفا للتجاني انه تاويل بعيد عن ظاهر القران
والصحيح ما عليه جمهور المفسرين انه تعالى ضرب هذا مثلا لنوره
وتمثيلا لقصور افهام الخلق اذ لولاه ما عرف الله قال وما اشبه
هذا بتاويل الفضل قول الفرزدق

اخذنا باطراف السماء عليكم ، لنا قمراها والنجوم الطوالع

لما ساله الرشيد عنه فقال اراد بالقمرين ابراهيم ومحمد صلى الله
عليه وسلم عليهما وبالنجم الطوالع انت واباؤك فقال له الرشيد
احسنت انتهى وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة العلم النافع
قبل الوحي به اليه قال عبد الله بن رواحة الخزرجي الامير الشهيد بموتة

لو لم تكن فيه ايات مبينة ، كانت بديهته تنبيك بالخبر

وقال تعطو به يكاد زيتها يضيء هذا مثل ضربه الله لنبيه يقول
يكاد نظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة وذكر
هذا البيت لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه
تعالى ذكر قبل هذه الاية ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات
بفتح اليا وكسرها في هذه السورة بين فيها ما ذكر او بينته فاذا
كان المراد بقوله مثل نوره اي مثل هداه كان مطابقا لما قبله
بخلافه على ما بعده من التفاسير فلا يطابق ما قبله ونحن
في غنية عن ذلك فقد سماه الله نورا في قوله قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين وسماه سراجا منيرا في اية الاحزاب كما اشار
الى ذلك عياض بذكره هذين الايتين بعد اية النور وبعض تلك
التفاسير والله اعلم **النوع السابع** في
ذكر ايات تتضمن اي تدل لا التضمن المنطقي وجوب طاعته اي
الانقياد له بامتثال اوامره واجتناب نواهيه فطاعة اسم
مصدر طاعه اذا انقاد له فيما امره قولا وفعلا اذ كان الامر
بصيغة افعل واما مادة امر فتحتمل الوجوب والندب فتكون
طاعته في المندوب مندوبة فوجوبه على هذا الانقياد
الى امره ولو مندوبا والعمل به فقوله واتباع سنته بالجر عطفا

علي طاعته والنصب على وجوب من عطف الخاص على العام
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله
قال عطا باتباع الكتاب والسنة رواه ابن ابي حاتم وقدم طاعة
الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى
بطاعة رسوله وهما شي واحد ولذا افرده المهم في قوله ولا تولوا
عنه وقال واطيعوا الله والرسول اتبع الوعيد بقوله واتقوا
النار التي اعدت للكافرين بالوعد بقوله لعلكم ترحمون ترهيبا
عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك
دليلا على عزة المطلوب وان العبد داير بين الرجا والخوف
وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول فيما يامركم به من التوحيد
فان تولوا اعرضوا عن الطاعة فان الله لا يحب الكافرين من اقامة
الظاهر مقام المضمر اي لا يحبهم بمعنى انه لا يعاقبهم قال القاضي
عياض جعل طاعته طاعة رسوله تشبيه بليغ وجعل عينا ادعا فلا
ينافي الاية لان الشرط والجزا متغايران لما في تفسير الامر ولكل مقام
مقال والاولى تاخيرها عن الاية الاتية لانها التي صرح فيها
بان طاعته طاعته ولفظ عياض وجعل طاعته طاعته وموافقته
موافقته فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرن
طاعته بطاعته في قوله اطيعوا الله ورسوله ونحوه مما امر فيه بطاعة
الله ورسوله معا ووعد على ذلك بجزيل اي عظيم اي كثير الثواب
بنحو قوله لعلكم ترحمون واوعد على مخالفته بسوء العقاب
اي اشده وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
روي انه عليه الصلاة والسلام قال من احبني فقد احب الله
ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف
الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان يتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى بن مريم فنزلت كذا في الكشاف قال الحافظ ولي
الدين العراقي في حواشيه لم اقف عليه هكذا ونقله السيوطي
على البيضاوي ولم يرد عليه يعني من اطاع الرسول لكونه
رسولا مبلغا علة غائية اي وغاية امر الرسول كونه مبلغا
الى الخلق احكام الله لانه لا ينطق عن الهوى فلا مفهوم
لهذه العبارة فهو في الحقيقة ما اطاع الا الله اي هو مبلغ
حقيقة والامر هو الله كما في الكشاف قال الطيبي هذا
التعليل يفيده لفظ الرسول لانه من وضع المظهر موضع
المضمر للاشعار بعلية ايجاب الطاعة له ويدل عليه السياق
وهو قوله ومن تولى الاية وكان مقتضى الظاهر ومن تولى
فقد عصى الله في مقابلة قوله فقد اطاع الله فوضع ذلك

موضع ليدل على المبالغة وذلك المذكور من الطاعة في الحقيقة
لا يكون الا بتوفيق الله اذ لو خذله ما اطاع رسوله ومن تولى
اعرض عن طاعته فلا يهمنك فما ارسلناك عليهم حفيظا حافظا
لاعمالهم بل نذيرا وامرهم فيجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال
كما في الجلالين فاشار الى ان جواب الشرط محذوف والمذكور دليل
عليه وهو احد وجهين الثاني انه المذكور باعتبار ما دل عليه فان
من اعماه الله عن الرشد واضله عن الطريق المستقيم فان
احدا من خلق الله لا يقدر على ارشاده جواب الشرط وجملة
الشرط وجوابه عليه لكونه ما جعل عليهم حفيظا في اعمالهم
بحيث يلجيهم للطاعة ويمنعهم عن العصيان واشار الى تحقق
ذلك وعدم احتمال خلافه بالتاكيد بان وهذه الاية من اقوى
الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي
وفي كل ما يبلغه عن الله لانه لو اخطا في شي منها واقر عليه
فامر به او نهى عنه ولم يكن كذلك في نفس الامر لم تكن طاعته
طاعة لله بل مخالفة لامره ونهيه وايضا وجب ان يكون معصوما
في جميع احواله لانه تعالى امرنا بتبعته الا نسبه ان يقول باتباعه
ليطابق دليله في قوله واتبعوه لكنه اشار الى ان المفاعلة قد ترد
لاصل الفعل فقال والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل
الغير ومنه المتابعة في علوم الحديث فثبت ان الانقياد له في
جميع اقواله وافعاله وجودا وعدما الا ما خصه الدليل به
طاعة له بالاية منطوقا ومفهوما لان مفهوم من يطع الرسول من
عصاه فقد عصى الله وانقياد لحكم الله تعالى عطف تفسير
وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فيما امرا به فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين افاضل اصحاب
الانبيا لمبالغتهم في الصدق والتصديق والشهدا القتلى في سبيل
الله والصالحين غير من الانبيا ذكر الاية اي وحسن اولئك رفيقا
اي رفقا في الجنة بان يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور
معهم وان كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة الى غيرهم
قال البيضاوي قسمهم اربعة اقسام باعتبار منازلهم في العلم
والعمل وهم الانبيا الفايزون بكمال العلم والعمل المجاوزون حد
الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى
مراقي النظر في الحجج والايات واخرى الى معارج القدس بالرياضة
والتصفية حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهدا بذلوا
انفسهم في اعلا كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا اعمارهم

في طاعته واموالهم في مرضاته انتهى وهذا عام في المطيعين لله تعالى من اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام في المعية في هذه الدار الدنيا لعموم اللفظ وان فاتتهم فيها معية الابدان وذلك فيمن امن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يره ومن امن بعده الى يوم القيامة بقيد الطاعة وقد ذكروا في سبب نزول هذه الاية ان ثوبان بفتح المثلثة والموحدة ابن بجدد بضم الموحدة وسكون الجيم وضم الدال المهملة الاولى وقيل ابن جحدر بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الاصابة يقال انه من العرب من حكم ابن سعد بن حمير وقيل من السراة اشتراه ثم اعتقه فخدمه الى ان مات ثم تحول الى الرملة ثم حمص ومات بها سنة اربع وخمسين قاله ابن سعد وغيره وروى ابن السكن عن يوسف بن عبد الحميد حدثني ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لاهله فقلت انا من اهل البيت فقال في الثالثة نعم ما لم تقم على باب سدة او تاتي اميرا فتسأله وروى ابو داود عن ابي العالية عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي ان لا يسال الناس واتكفل له بالجنة فقال ثوبان انا وكان لا يسال احدا شيئا كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه ولذا لازمه حضرا وسفرا فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه بفتح الحاء وفي لغة بكسرها واخرى بضمها مبنيا للفاعل فهو لازم اي قام بجسمه المرض ويعدى بالهمزة فيقال انحله المرض وفي القاموس نحل كمنع وعلم ونصر وكرم نحولا ذهب من مرض او سفر فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع حصل به نحولي وتغير وجهي غير اني لم ارك اشتقتك ضمنه معنى طلب فعداه بنفسه والا فاشتاق انما يتعدى بحرف الجر وبالتضعيف على ان المنقول في غيره عن ثوبان اشتقت اليك واستوحشت وحشة عظيمة حتى القاك فذكرت الاخرة اي فكرت في امرها بحيث الذي في غيره فخفت لا اراك هناك لانه ظهر لي بالفكر اما عدم رؤياك او قلتها لاني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية قال الشيخ ولي الدين هذا ذكره الثعلبي في تفسيره بلا اسانيد ولا راو وحكاه الواحدي في اسباب النزول عن الكلبي وروى الطبراني في معجمه الصغير عن عايشة وابن مردويه عن ابن عباس والبيهقي عن الشعبي وابن جرير عن سعيد بن جبير كل منهم يحكي عن رجل فذكر مثل قصة

عليه

بالمرة

ثوبان ونزول الاية فيه انتهى فان ثبت فالرجل المبهم ثوبان وذكر ابن ظفر عن مقاتل بن سليمان ان المبهم عبد الله بن زيد ابن عبد ربه الانصاري فان ثبتا فلعلهما معا ذكر ذلك والعلم لله وقد ذكر اي روى ابن ابي حاتم الحافظ ابن الحافظ عبد الرحمن ابن محمد بن ادريس الرازي عن ابي الضحى مسلم بن صبيح بالتصغير الهمداني الكوفي العطار مشهور بكنيته تابعي ثقة فاضل من رجال الجميع مات سنة مائة عن مسروق بن الاجدع بن مالك الهمداني الوادعي ابي عايشة الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة اثنتين ويقال سنة ثلاث وستين من رجال الجميع قال قال اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك اعتذارا عن كثرة ملازمتهم له المقتضية للملال عادة فانك لو قد بفتح فسكون مت بضم الميم كما ضبطه بعض العلماء الموثوق بهم ونحو بتر بضم القاف وشد الدال مكسورة وسكون الميم اي قدمت علينا اي سبقتنا نحا شيا عن خطا به يلفظ منه ادبا وان اولي خلاف المتبادر لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله ومن يطع الله والرسول الاية وفي هذا ان قائل ذلك جمع كثير لقوله اصحاب محمد وذكر بالبناء للفاعل اي ابن ابي حاتم ايضا بسنده عن عكرمة مولى ابن عباس مرسلا قال اتى فتى اي صغير السن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لنا منك نظرة في الدنيا اي انا نراك ونتمتع برؤيتك فيها وعبر بالموحدة لقصر المدة ويوم القيامة لا نراك لانك في الجنة في الدرجات العلى فانزل الله هذه الاية وللطبراني وابن مردويه بسند لا باس به عن عايشة قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من ولدي واني لاكون في البيت فاذكرك فما اصبر حتى اتي فانظر اليك واذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين واني اذا دخلت الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزل جبريل بهذه الاية ومن يطع الله والرسول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت معي في الجنة ان شاء الله كما هو بقية رواية عكرمة واخرج ابن جرير نحوه من مرسل سعيد بن المسيب ومسروق والربيع وقتادة والسدي وفيها روايات اخر بنحوها سياتي ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام وهو السابع التالي لهذا لكن قال المحققون لا تنكر صحة هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه الاية يجب ان يكون شيئا اعظم من ذلك

اي انه لا ينحصر في تسلية المحبين له والتخفيف عنهم بل يشمل ذلك
وغيره وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم ان
خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ اي لا يكون قاصرا
عليه خلافا لزاعمه فهذه الاية عامة في حق جميع المكلفين
خصهم لوقوع الثواب بعد الامر المستفاد من قوله من يطع اذ الاطاعة
فرع الامر والنهي وكلاهما خاص بالمكلف اذ لا خطاب يتعلق
بفعل غيره وصحة عبادة الصبي واثابته عليها لا لامره بها بل
ليعتادها فلا يتركها ان شاء الله ذلك وهو اي الامر الاعظم
ان كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز ظفر بالدرجات
العالية والمراتب المنازل الشريفة عنده تعالى ثم ان ظاهر
قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكتفي بالطاعة الواحدة
لان اللفظ الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت حصول
ذلك المسمى مرة واحدة فاذا قيل صل مثلا بري من عهدة الطلب
بصلاة واحدة لان الامر بالشي لا يقتضي فورا ولا تكرارا وخرج
بالثبوت النهي فامتثاله انما يحصل بترك جميع المنهيات لكن لابد
ان يحمل على غير ظاهره وان يحمل الطاعات على فعل جميع
المامورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة
لدخل فيه الكفار والفساق لانهم قد ياتون بالطاعة الواحدة
وذلك غير مراد فوجب حمله على غير ظاهره قال الرازي الامام فخر الدين
وقد ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقب الصفة كقوله
هنا فاولئك مع الذين الخ بعد قوله ومن يطع مشعر بكون ذلك
الحكم معللا بذلك الوصف واذا اي حيث ثبت هذا وتقرر
في الاصول فنقول قوله من يطع الله اي في كونه الها وطاعة
الله في كونه الها هي معرفته بالايات الدالة عليه والاقرار
الاعتراف بجلاله عظمته وعزته غلبته وكبريائه عظمته
قال تعالى وله الكبريا في السموات والارض وصمديته احتياج
الخلق اليه على الدوام فصارت هذه الاية تنبيها اي منبهة
على امرين عظيمين من احوال المعاد فالاول ان منشا جميع
السعادات يوم القيمة اشراق الروح بانوار معرفة الله
المودية الى الايمان به وطاعة امره فكل من كانت هذه الانوار
في قلبه اكثر وصفا وها اقوى كان الى السعادة اقرب
والى الفوز بالنجاة او صل اكثر وصولا والثاني ان الله تعالى ذكر
في الاية السابقة على هذه الاية وعد مقصد اهل الطاعة
بالاجر العظيم والثواب الجسيم وفي نسخة الجزيل بقوله ولو
انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم

الاية

الاية ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع
الرسول مع النبيين والصد يقين كون الكل في درجة واحدة
لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول
وذلك لا يجوز بدلالة النصوص الكثيرة فالمراد بكونهم في الجنة
بحيث يتمكن كل واحد منهم من روية الاخر وان بعد المكان
لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الروية
والتلاقي قدروا على ذلك اذ لو حجروا عنه لتحسروا ولا حسرة
في الجنة فهذا هو المراد من هذه المعية لا المساواة في المنزلة
وقد ثبت وصح الى به ليبين ان مراده بالثبوت الصحة للخلاف
في علوم الحديث هل لفظ ثبت يختص بالصحيح او يشمل الحسن
قال السيوطي
وهل يخص بالصحيح الثابت او يشمل الحسن نزاع ثابت
وزعم ان الثبوت لا يستلزم الصحة لجوازه مع ثبوته ضعيف
او حسن عقلي لم ينقله احد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
كما اخرجه الشيخان من حديث انس وابن مسعود وابي موسى
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كيف تقول في رجل
احب قوما ولما يلحق بهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من
احب زاد الترمذي من حديث انس وله ما اكتسب وفي لفظه
قال رجل يا رسول الله متى قيام الساعة قال انها قائمة فما اعددت
لها قال ما اعددت لها من كثير الا اني احب الله ورسوله قال فانت
مع من احببت ولك ما اكتسبت قال فما فرح المسلمون بشي بعد
الاسلام ما فرحوا به فقيل المراد من احب قوما باخلاص فهو
في زمرتهم وان لم يعمل عملهم لثبوت التقارب مع قلوبهم وقيل
بشرط عمله بمثل اعمالهم لحديث من احب قوما على اعمالهم حشر
معهم يوم القيامة وروى العسكري عن الحسن لا تغتر يا ابن
ادم بقوله انت مع من احببت فمن احب قوما اتبع اثارهم
واعلم انك لن تلحق بالاخيار حتى تتبع اثارهم وحتى تاخذ بهديهم
وتقتدي بسنتهم وتصبح وتمسي على مناهجهم حرصا على ان تكون
منهم وقال ابن العربي يريد صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب
في الدنيا والاخرة في الدنيا بالطاعة والادب الشرعي وفي الاخرة
بالمعاينة والقرب الشهودي فمن لم يتحقق بهذا وادعى المحبة فهو
كاذب وثبت ايضا في البخاري عن انس انه صلى الله عليه وسلم
قال حين رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة ان بالمدينة
اقواما ما سرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا وفي رواية ولا قطعتم واديا

الا وهم معكم بالقلوب والنيات قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة
قال وهم بالمدينة حبسهم العذر عن الغزو معكم فالمعية والصحبة
الحقيقية انما هي بالسر والروح وفي شرح للبخاري بالسير بالروح
لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ونية المومن خير من
عمله فتأمل هولا كيف بلغت بهم نيتهم مبلغ اوليك العاملين
بابدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم فالمسابقة الي الله تعالي والى
الدرجات العوالي بالنيات والهمم لا بمجرد الاعمال ولهذا كان
النجاشي بفتح النون والجيم اصحمة ملك الحبشة معه صلى الله
عليه وسلم وهو من اقرب الناس اليه وهو اي النجاشي بين
النصارى بارض الحبشة وعبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين
من ابعد الخلق عنه وهو بالمسجد النبوي لكونه معه قالبا لا قلباً
وذلك ان العبد اذا اراد بقلبه امرا من طاعة او معصية او
اراد امرا من شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه
لا يفارقه اذ كل مهتم بشي منجذب اليه بطبعه شا او ابي وكل امري
يصبو الي مناسبه رضي ام سخط فالنفوس العلية تنجذب بذاتها
وهمها وعملها الى اعلا والنفوس الدنية تنجذب بذاتها الي اسفل
ومن اراد ان يعلم هل هو مع الرفيق الاعلي او الاسفل فلينظر
اين هو ومع من هو في هذا العالم فان الروح اذا فارقت البدن تكون
مع الرفيق الذي كانت تنجذب اليه فالارواح العلية كلها تكون
يوم القيمة وفي الدنيا مع الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي
الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية بتاخر وجودها
عن وجودهم والمكانية بطول المسافة بعد عظيم في الزمان والمكان
ولا يكون ذلك مانعا من المعية في الدارين والله اعلم وقال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله اي يثبكم
ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وهذه الاية الشريفة
تسمى اية المحبة بدليل انه قال بعض السلف زعم انه الحسن
البصري لقوله قال اقوام على عهد نبينا والله يا محمد انا لنحب
ربنا فانزل الله الاية رواه ابن المنذر وليس فيه فانزل اية
المحبة فلا يصح انه المراد ادعى قوم محبة الله قيل هم وفد نجران
لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله رواه ابن اسحاق وابن جرير
عن محمد بن جعفر بن الزبير وقيل هم اليهود لما قالوا نحن ابنا الله
واحباوه وقيل قريش لما قالوا انما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى وبه جزم الجلال وروى ابن جرير وابن المنذر عن
الحسن مرسلا انهم اقوام زعموا على نبينا حب الله فامروا ان
يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل فانزل الله اية المحبة قل ان

كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال يحببكم الله بالجزم في جواب
الطلب والراجح فيه انه في جواب شرط مقدر تقديره هنا ان تتبعوني
يحببكم الله اشارة الي دليل المحبة وثمرتها وفايدتها اي باتباع
الرسول فان اتباعه علامة على حبه لله تعالي وثمرة محبة الله العبد
مغفرته له كما افاده قوله فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفايدتها
وثمرتها محبة المرسل بكسر السين اي الله تعالى نبيه ليبلغ الخلق لكم
متعلق بمحبة فما صدر بة ظرفية لم تحصل المتابعة اي مدة انتفا
حصولها فلا محبة لكم حاصلة منكم لله ومحبته لكم منتفية اي
لا يحبكم بمعنى لا يثيبكم فجعل سبحانه اتباع الرسول عليه الصلاة
والسلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط
ممتنع بدون وجود تحقق شرطه وهو اتباع الرسول فعلم انتفا المحبة
عند انتفا المتابعة لانها مشروطة بمتابعة رسوله فانتفا محبتهم
لله لازم لانتفا المتابعة لرسوله وانتفا المتابعة ملزوم لانتفا
محبة الله لهم فيستحيل حينيذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة
الله لهم بدون المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحالة
وجود المشروط بدون شرطه ودل جعله اتباع الرسول مشروطا بمحبتهم
على ان متابعة الرسول حب الله ورسوله وطاعة امره اي علامة
عليه او جعلها نفس المحبة مبالغة ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما كما في الحديث فلا يكون شي احب
اليه من الله ورسوله قال الطيبي فسر المتكلمون محبة العبد لله بانها
محبة طاعته او ثوابه واحسانه واما العارفون فقالوا العبد يحب
الله لذاته واما حب طاعته وثوابه فدرجة نازلة والقول الاول
ضعيف وذلك لا يمكن ان يقال في كل شي انما كان محبوبا لاجل
معنى اخر فلا بد من الانتها الي شي يكون محبوبا لذاته فكما يعلم
ان اللذة محبوبة لذاتها كذلك يعلم ان الكمال محبوب لذاته واكمل
الكمالات لله تعالي فيقتضي كونه محبوبا لذاته من ذاته قال
صاحب الفرايد وهذا ابلغ انواع الحب فعلى هذا حب العبد لله
حقيقة بل المحبة الحقيقية مستحقة لله اذ كل ما يجب من المخلوقات
فانما يجب لخصوص اثر من اثار وجوده وفي الاحيا الحب ميل
الطبع الى الشي المستلذ فان قوي سمي عشقا ولا يظن قصره على
مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بها ولا
يتمثل في الخيال فلا يحب لانه صلى الله عليه وسلم سمى الصلاة قرة عين
وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه للحواس الخمس فيها حظ والبصيرة
الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال
المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فيكون

لا محالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي
تجل عن ان يدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم
والعقل الصحيح اليه اقوي ولا معني للحب الا الميل الي ما في
ادراكه لذة فلا ينكر اذا حب الله الا من قعد به القصور في درجة
البهايم انتهي واما محبة الله للمتبعين فهي رضاه عنهم واثابتهم
وكشف الحجب عن قلوبهم والتجاوز عما فرط منهم كما اشار اليه بقوله
والله غفور رحيم وعبر عن ذلك بالمحبة استعارة او مشاكلة لاستحالة
المعنى الحقيقي عليه ومن كان عنده شيء احب اليه منهما فهذا
هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله واستدل
على هذا بقوله قال تعالى قل إن كان اباؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم اقرباؤكم وفي قراءة وعشيراتكم واموال اقترفتموها
اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها اكتسبتموها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فقعدتم
لاجله عن الهجرة والجهاد فتربصوا انتظروا حتى يأتي الله بامره
تهديد لهم والله لا يهدي القوم الفاسقين

وابناؤكم

بيانه

فكل من قدم طاعة احد من هؤلاء على
العقلاء على غيرهم وسمي من اقترن بالعاقل باسمه تجوزا لان احد
انما يستعمل في العقلاء العاقل على طاعة الله ورسوله او قول احد
منهم على قول الله ورسوله او مرضاة احد منهم على مرضاة الله
ورسوله او خوف احد منهم او رضاه والتوكل الاعتماد عليه على
خوف الله ورجايه والتوكل عليه او معاملة احد منهم على
معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما
سواهما وان قال بلسانه انهما احب فهو كذب منه واخبار بما
هو ليس هو عليه عطف تفسير وفيه اشارة الي ان محبة غيرهما
المنهي عنها هي المحبة الاختيارية دون الطبيعية فانها لا تدخل تحت
التكليف انتهى ملخصا من كتاب المدارج اي مدارج السالكين لابن
القيم الي منازل السايرين لشيخ الاسلام الانصاري الهروي وساق
مزيدا لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة
والسلام فذكر الحديث وتكلم عليه مبسوطا هناك وقال تعالى
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
القران واتبعوه لعلكم تهتدون ترشدون اي الى الصراط
المستقيم صراط الله اي تجعل رجاء الاهتداء من العباد لان
صيغ الرجاء الواقعة في القران مصروفة الى العباد يعني ان
المومن يرجو انه من المهتدين اثر عقب الامر بتتبع الايمان بالرسول
واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه

فهو

فهو في الضلالة فكل ما اتى به الرسول عليه الصلاة والسلام
من قول او فعل او غيرها يجب علينا اتباعه الا ما خصه الدليل
به فلا يجب بل يحرم تارة كالزيادة على اربع وتارة يكره كالوصال
وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا يعني القران
سماه نورا لانه بالمجازة ظاهر بنفسه مظهر لغيره بما فيه شرحه وبيانه
فيستضاء به من ظلمات الجهل ويقتبس منه انوار الهداية والفضل
فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين على كل احد لا يتم
ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه لاستحالة وجود ايمان او اسلام
بدون ذلك شرعا قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا اعددنا وهيانا للكافرين سعيرا نارا شديدة اي
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا اعتدنا للكافرين
سعيرا اشارة الى ان جواب الشرط محذوف والمذكور علة له لان
الاعتاد لا يترتب على عدم الايمان بهما بل الكفر وجزاؤه السعير
وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية
روي الشيخان واصحاب السنن عن عبد الله بن الزبير قال خاصم
الزبير رجلا في شراج الحرة فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير
ثم ارسل الماء الى جارك فقال الانصاري يا رسول الله ان كان ابن عمتك
فتلون وجهه ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر
ثم ارسل الماء الى جارك واستوعى للزبير حقه وكان اشار اليهما بامر
لهما فيه سعة قال الزبير فما احسب هذه الاية الا نزلت في
ذلك فلا وربك الخ معناه فوربك كقوله تعالى فوربك لنسألنهم
اجمعين ولا مزيدة للتاكيد في معنى القسم كما في لئلا يعلم اهل
الكتاب اي ليعلم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا
في الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد قاله الكشاف وقال التفتازاني
انه قيل لم لا يجوز ان تكون مزيدة لمظاهرة لا في لا يؤمنون معه
ومعاونتها والتنبيه من اول الامر على ان المقسم به نفي فالجواب
ان مجيئها قبل القسم سواء كان الجواب نفيا او اثباتا يدل على انها
لتاكيد القسم لا لمظاهرة النفي في الجواب وذلك لان الاصل اجراء
المحتمل على المحقق والمشكوك على المقطوع واتحاد منهج اللفظ
على اتحاد منهج المعنى وترك التصرف في الحرف ولهذا يندفع
اعتراض صاحب التقريب بجواز ان يكون في النفي لمظاهرة
النفي وفي المثبت لتاكيد معنى القسم وتجويزا نه في النفي لتاكيد
وفي الاثبات لتاكيده ليس على ما ينبغي اهـ ولا يؤمنون جواب
للقسم اقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن
احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع اموره لانه عبر

بما شجر وما من صيغ العموم ويرضى بجميع ما حكم به بقوله ثم لا يجدوا
في أنفسهم حرجا مما قضيت وينقادوا له ظاهرا وباطنا سواء كان
الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفه هذا المقصود وذكر الموافق
للتعميم كما ورد في الحديث
والذي نفسي بيده قسم كان صلى الله عليه وسلم يقسم به كثيرا لا يؤمن
أحدكم إيمانا كاملا ونفي اسم الشيء بمعنى الكمال مستفيض في كلامهم
فالمراد نفي بلوغ حقيقته ونهايته وخصوا بالخطاب لأنهم الموجودون
حينئذ والحكم عام حتى يكون تبعا لما جئت به الهوى بالقصر
ما يهواه العبد ويحبه ويميل إليه فحقيقته شهوة النفس وهو
ميلها لملائمها ويستعمل في عرف الشرع في الميل إلى خلاف الحق
كقوله ولا تتبع الهوى فيضلك وهذا الحديث يدل على أن من لم
يرض بحكم الرسول لا يكون مؤمنا أصلا بل كافرا إن اعتقد بطلانه
وأنه ليس من الله أما إن اعتقد حقيقته وتألم منه في نفسه لمشقته
فمؤمن ناقص وعلى أنه لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب
وذلك بأن يحصل الجزم واليقين في القلب بأن الذي يحكم به
عليه الصلاة والسلام هو الحق والصدق فلا بد من الانقياد
باطنا وظاهرا ذكر هذا وإن تقدم معناه قريبا لأنه شرح للحديث
فمراده أنه دل على ما دلت عليه الآية وسيأتي مزيد بيان لذلك
إن شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام وهو
السابع ثم إن ظاهر هذه الآية يدل على أنه يجب متابعة قوله
وحكمه بالحقيقة وأنه لا يجوز العدول عنه إلى غيره وقوله
ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا ضيقا أو شكا مما قضيت به مشعر
بذلك لأنه متى خطر بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول النص
فهناك يحصل الحرج في النفس فتبين تعالى أنه لا يكمل إيمانه
إلا بعد أن لا يلتفت إلى ذلك الحرج ويسلم إلى النص ينقاد للحكم
تسليما كليا من غير معارضة قاله الإمام فخر الدين الرازي بعد
ما كان يقول بالجواز وجوز غيره تخصيص الكتاب والسنة بالقياس
المستند إلى نص خاص ولو خبر واحد سواء كان القياس جليا وخفيا
على المختار وبه صرح العلامة التاج عبد الوهاب بن علي السبكي
في جمع الجوامع في مبحث التخصيص وأجاب شيخنا في التقرير عن
استدلال الرازي بهذه الآية بأنا لا نسلم أن معارضته بالقياس
حرج كما ادعى وإنما هو تردد في فهمه هل هو موافق أم لا •

النوع الثامن

فيما موصول أو نكرة موصوفة أي الآيات التي تتضمن أو في آيات

تتضمن

تتضمن أي تدل أو تستلزم لا خصوص دلالة التضمن الاصطلاحية
الأدب بحذف مضاف أي طلب الأدب معه صلى الله عليه وسلم في جميع
الأقوال والأفعال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله وجه تضمنها الأدب أن النهي عن الشيء أمر
بضده وهو طلب التأخر وهو أدب روى البخاري عن ابن الزبير
قدم ركب من تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر
القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر
ما أردت إلا خلافي فقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت
أصواتهما فنزل في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
حتى انقضت الآية وروى ابن المنذر عن الحسن أن ناسا ذبحوا قبله
صلى الله عليه وسلم يوم النحر فأمرهم أن يعيدوا ونزلت الآية وأخرج
الطبراني عن عائشة أن ناسا كانوا يتقدمون الشهر فيصومون
فنزلت وأخرج ابن جرير عن قتادة قال ذكر لنا أن ناسا كانوا
يقولون لو أنزل في كذا فنزلت ولا شك أن الأصح الأول لأنه
مروي البخاري ويحتمل تعدد الأسباب وقد قال الرازي الأصح
أنه إرشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات
وتقدم واستبداد بالأمر وإقدام على فعل غير ضروري بلا مشاورة
فمن الأدب أن لا يتقدم بين يديه أي عنده سواء كان تجاهه
أو عن يمينه أو يساره أو خلفه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا
تصرف ويداوم على ذلك حتى على بأمر هو وينهى ويأذن كما أمر
الله بذلك في هذه الآية وظاهر هذا أنه من قدم لازما بمعنى
تقدم وفي الأنوار أي لا تقدموا أمرا بحذف المفعول ليذهب الوهم
إلى كل ما يمكن أو تركه لأن المقصود نفي التقدم رأسا ولا تتقدموا
ومنه مقدمة الجيش لمتقدمهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا
وفي ابن عطية قال ابن زيد معنى لا تقدموا لا تمشوا بين يدي
رسول الله وكذلك بين يدي العلماء فإنهم ورثة الأنبياء وهذا ظاهر
في أن معناه التقدم الحسي وهذا النهي عن التقدم باق إلى يوم القيمة
لم ينسخ سواء كان التقدم حقيقة فالتقدم بين يدي سننه الواردة
الواردة عنه بإسناد صحيح أو حسن ولا معارض راجح بعد وفاته
كالتقدم بين يديه في حياته لقوله تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا لا فرق بينهما عند ذي عقل
سليم وقد علم أن التقدم أعم من كونه حقيقة أو حكما فلا يرد
أنه ينتهي بوفاته صلى الله عليه وسلم فيبعد دعوى النسخ بوفاته
لانقطاع الوحي فلا يصح بحسن بل يصح تفريعه على ما قبله قال
مجاهد عند البخاري في تفسير لا تقدموا لا تفتاتوا أي لا تسبقوا

بيان

هواه

أو حكما

بني على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل امهلوا وامتنعوا عن العمل
فيه بشي حتى يقضيه الله على لسانه فاعملوا به فالغاية لمقدر قال
الزركشي الظاهر ان هذا التفسير على قراءة ابن عباس ويعقوب
بفتح التاء والدال الدماميني بل هو متات على القراءة المشهورة ايضا فان
قدم بمعنى تقدم قال الجوهري وقدم بين يديه اي تقدم وقال
الضحاك اي لا تقضوا امرا دون رسول الله اي دون امره صلى الله
عليه وسلم بل انتظروا امره وقال غيره لا تامروا حتى يامر ولا تنهوا
حتى ينهى فامروا حينئذ بامره ونهيه وانظر ادب الصديق
رضي الله عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة اي فيما فعله
فيها ان تقدم بين يديه ان مصدرية بفتح الهمزة وتقدير اللام
اي لان تقدم علة لقوله كيف تاخر مقدم عليه اي انظر كيف
تاخر لتقدمه الحاصل بين يديه اي في غيبته صلى الله عليه وسلم
فتقدم بعد احرام ابي بكر وفي نسخة اذ لكن اصلاحا ولا حاجة اليه
فان بهذا التقدير كما روى مالك والشيخان من طريقه عن ابي
حازم عن سهل بن سعد انه صلى الله عليه وسلم ذهب الى بني عمرو
ابن عوف وحانت الصلاة فجا المؤذن الى ابي بكر فقال اتصلي
للناس فاقيم قال نعم فصلى ابو بكر فجا رسول الله والناس في الصلاة
فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس وكان ابو بكر لا يلتفت
في صلاته فلما اكثر الناس من التصفيق التفت ابو بكر فراى رسول
الله فاشار اليه ان امكث مكانك فرفع ابو بكر يديه فحمد الله على ما
امره به صلى الله عليه وسلم من ذلك ثم استاخر حتى استوى في الصف
وتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس ثم انصرف فقال يا ابا بكر
ما منعك ان تثبت اذ امرتك فقال ابو بكر ما كان لابن ابي قحافة
بضم القاف وخفة الحا المهملة عثمان بن عامر اسلم في الفتح ومات
سنة اربع عشرة في خلافة عمر وعبر بذلك دون ان يقول ما كان
لي او لابي بكر تحقيرا لنفسه ان يتقدم وفي رواية ان يصلي بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان يوم النبي صلى
الله عليه وسلم ففعله ان من اكرم بكرامة تخير بين القبول والترك
اذا فهم ان الامر ليس على اللزوم وكان القرينة التي بينت ذلك
لابي بكر انه صلى الله عليه وسلم شق الصفوف حتى انتهى اليه
ففهم ان مراده ان يوم الناس وان امره اياه بالاستمرار في
الامامة من باب الاكرام والتنويه بقدره فسلك هو طريق
الادب ولذا لم يرد صلى الله عليه وسلم اعتذاره كيف اورثه
مقامه والامامة الخلافة بعده فكان بمعنى صار ذلك التاخر
الى خلفه والحال انه قد اوما اشار اليه ان اثبت مكانك وفي

رواية فاشار اليه بامره ان يصلي واحدى فدفع في صدره ليتقدم
قال ابي سعيا خبر كان الى قدام اي كان في المعنى شروعا وعملا في طلب
التقدم عند الله بسبب ادبه مع نبيه فقال بكل خطوة الى ورا فهو
متعلق بمقدر مراحل مفعول المقدر الى قدام تنقطع فيها اعناق
المطي ولا يوصل اليها ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع
الاصوات فوق صوته لانه يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام
ومن خشي قلبه ارتجف وضعفت حركته الدافعة فلا يخرج منه
الصوت بقوة ومن لم يخف بالعكس كما قال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم اذا نطقتم فوق صوت النبي اذا نطق
ولا تجهروا له بالقول اذا ناجيتموه كجهر بعضكم لبعض بل دونه
ذلك اجلالا له قال المهم وليس المراد بنهي الصحابة عن ذلك انهم
كانوا مباشرين ما يلزم منه الاستخفاف والاستهانة فكيف وهم خير
الناس بل المراد ان التصويت بحضرته مباين لتوقيره وتعزيره
قال الرازي افاد انه ينبغي ان لا يتكلم المؤمن عنده صلى الله
عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده بل يكون صوته دون صوته
مع سيده لان العبد داخل في قوله كجهر بعضكم لبعض لانه
للعموم فيشمل ذلك فلا ينبغي ان يجهر المؤمن للنبي صلى الله
عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد والا كان قد جهر له كما يجهر
بعضكم لبعض فيدخل في النهي قال ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم والسيد ليس اولى عند عبده
من نفسه حتى لو كانا في مخمصة مجاعة ووجد العبد ما لو لم
ياكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي صلى الله
عليه وسلم ولو علم العبد ان بموته ينجو سيده لا يلزمه ان يلقي نفسه
في التهلكة اي الهلاك لانجا سيده ويجب لانجا النبي صلى الله عليه
وسلم على كل احد فكما ان العضو الرئيس اولى بالرعاية من غيره بقي
الاستئناف وعلل الاولوية بقوله لان عند خلل القلب مثلا
لا يبقى لليدين والرجلين استقامة حذف المشبه اي كذلك يجب
رعايته صلى الله عليه وسلم وفداه على المؤمنين بانفسهم اذ لو لم
يدفع الهلاك عنه وقدم غيره لهلك ذلك الغير واشار الى هذا
المعنى بفا التعليل فقال فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي
صلى الله عليه وسلم لهلك هو ايضا ويحتمل ان الفا زائدة والمعنى
ان رعايته وتقديمه على النفس مشبهة بالعضو الرئيس في رعايته
وتقديمه على بقية الاعضا بخلاف العبد والسيد انتهى كلام الرازي
واذا كان رفع الاصوات فوق صوته موجبا لحبوط الاعمال اي
فسادها وصدرها مصدر حبط من باب فرح وفي لغة من باب

ضرب وبها فري شاذا كما قال تعالى ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون
اي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين فما الظن برفع الاراء جمع
راي ونتايج الافكار ما يظهر لها بنتايج الحيوان وهو ما يلذه
على سننه وماجابه
واعلم ان في الجهر استخفافا بحسب الصورة قد يودي الى الكفر
المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة والا
فالرفع والجهر لا يلزمهما الاستخفاف وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية
قال والله يا رسول الله لا اكلمك الا كاخي اي صاحب السرار بكسر السين
مصدر ساره اي الكلام الخفي الذي يراد كتمه وفي البخاري عن ابن
ابي مليكة كاد الخيران ان يهلكا ابا بكر وعمر رفعا اصواتهما عند
النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فانزل الله
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الاية قال ابن الزبير فكان عمر
لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه
ولم يذكر ذلك عن ابيه يعني ابا بكر وروي انه عمر كان اذا حدثه حدثه
كاخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بعد
نزول هذه الاية حتى يستفهمه وفي الاعتصام من البخاري وكان
عمر بعد ذلك اذا حدثه يحدثه كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه
ففي تعبيره بروي في هذا شي وفيهما وفي غيرهما نزل ان الذين
يغضون الاية وقد روي فيما اسنده القاضي عياض من طريق
ابي الحسن علي بن فهر اي مولف فضايل مالك بسنده اذا ابا جعفر
المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس امير المومنين
ثاني الخلفاء من بني العباس ولي الخلافة اثنين وعشرين سنة وكان
محدثا فقيها بليغا حافظا للقران والسنة جماعا للاموال فلذا
لقب ابا الدوانيق مات سنة ثمان وخمسين ومائة بقرب مكة محرما
بالحج وله ثلاث وستون سنة ناظر مفاعلة من النظر بمعنى الفكر
لان كلا منهما ينظر في كلام من يجادله مالكا الامام في مسالة
فرفع صوته في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكروا ما
ناظره فيه لانه لا يترتب عليه فايدة هنا فقال له مالك يا امير
المومنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل
ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية
روى ابن جرير عن قتادة قال كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون اصواتهم
فنزلت ومدح قوما كالعمرين وثابت بن قيس وغيرهم فقال
ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قوما اي بني تميم فقال
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي حجراته نساية بان اتوها
حجرة حجرة فنادوها وتفرقوا عليها متطلبين له لانهم لم يعلموه

بانها

الدفع وم

بانها منادات الاعراب بغلظة وجفا اكثرهم لا يعقلون محلك الرفيع
وما يناسبه من التعظيم اذ العقل يقتضي حسن الادب وفيه
تسليته وتمليح بالصفح عنهم الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا
اذ هو حي في قبره فيجب ان يراعى بعد مماته ما كان له في حياته
فاستكان خضع وذل لها لهذه المقالة والموعظة وفي نسخة له
اي لمالك اي لقوله ابو جعفر المنصور لوضوح استدلاله ومن
الادب معه ان لا يجعل دعاه كدعاء بعضنا بعضا قال تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بان تنادوه باسمه
بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله بلين وتواضع وخفض صوت
روى ابو نعيم في الدلايل عن ابن عباس قال كانوا يقولون
يا محمد يا ابا القاسم فانزل الله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا فقالوا يا نبي الله يا رسول الله وفيه قولان للمفسرين
احدهما لا تدعوه وفي نسخة تدعونه على انه خبر بمعنى النهي
باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا يا نبي الله يا رسول
الله وهذا ما دل عليه سبب النزول مع التوقير والاجلال والتواضع
وخفض الصوت لاية الحجرات فعلى هذا القول المصدر مضاف الى
المفعول اي دعاكم الرسول اي نداكم له والثاني ان المعنى لا تجعلوا
دعاه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء اجابه وان شاء تركه
بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد فراق ومحالة من اجابته ولم يسعكم
التخلف عنها البتة بقطع الهمزة فان المبادرة الى اجابته واجبة
والمراجعة بغير اذنه محرمة اي الرجوع عن تمام ما ندب اليه لقوله
تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فعلى هذا المصدر
في دعاء الرسول مضاف الى الفاعل اي دعاوه اياكم ولو في الصلوة
وقد تقدم في الخصايص من المقصد الرابع عن مذهب
الشافعي وهو المعتمد في مذهب مالك ان الصلاة لا تبطل
باجابته صلى الله عليه وسلم وقال جماعة تجب الاجابة وتبطل الصلاة
ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على امر
جامع من خطبة او جهاد او رباط وفي الاكليل قال ابن ابي مليكة
الاية في الجهاد والجمعة والعيدين وقال عطا امر عام وقال
مقاتل يجتمعون عليها اخرجها ابن ابي حاتم لم يذهب احد
مذهبا في حاجة عرضت له حتى يستاذنه كما قال الله تعالى
انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على
امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ففيه وجوب استيذانه
قبل الانصراف عنه في كل امر يجتمعون عليه قال الحسن وغيره
صلى الله عليه وسلم من الايمة مثله في ذلك لما فيه من ادب الدين

المذكور م

وادبه للنفس قال ابن الفرس ولا خلاف في الغزو انه يستأذن امام
اذا كان له عذر يدعوه الى الانصراف واختلف في صلاة الجمعة
اذا كان له عذر كالرعاف وغيره فقيل يلزمه الاستئذان سواء كان
امامه الامير ام غيره اخذا من الآية فاذا كان هذا مذهبا وسلوكا مقيدا
بالحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف بمذهب
مطلق في تفاصيل الدين اصوله وفروعه دقيقه قليله وجليله
كثيره هل يشرع الذهاب اليه بدون استئذانه فاسألوا اهل
الذكر للعلماء ان كنتم لا تعلمون ذلك فانهم يعلمونه ومن الادب
معه صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل قوله الثابت عنه بلا معارض
راجح بقوله ايضا ونحوه بل يستشكل الاراء بقوله ولا يعارض نصه بقياس
لانه فاسد الاعتبار مع وجود النص بل تهدر وتطرح الاقيسة وتلقى
عطف تفسير ليهدر لنصوصه ولا يحرف كلامه عن حقيقته
لخيال اي ظن يخالف يسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول
وعن الصواب معزول اي مصروف الى غيره ولا يوقف قبول ما جاء
به على موافقة احد بل يقبل تارة يعمل به وتارة لا لقيام دليل
على عدم العمل به فكل هذا من قلة الادب معه صلى الله
عليه وسلم وهو عين الجراءة بزنة غرفة وضخامة اي الهجوم بلا توقف
وذلك مذموم وراس الادب معه صلى الله عليه وسلم كمال
التسليم له والانقياد الاذعان لامره وتلقي خبره بالقبول
والتصديق دون ان تحمله خيال ظني باطل يسميه اصحابه
معقولا او تسميه شبهة او شكا او يقدم عليه اراء الرجال
وزبالات اوساخ اذهانهم جمع ذهن وهو الذكاء والفطنة
كما في المصباح فيوحد التحكيم اي يجب على كل احد ان يجعل الحاكم
هو النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم والانقياد والاذعان
من اذعن انقاد فهو عطف مساو كما وحد المرسل بكسر السين وهو
الله سبحانه بالعبادة فجعله مستحقا لها دون غيره والخضوع
والذل عطف تفسير والانابة الرجوع والتوكل عليه في جميع
الامور فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب اليم الا بهما
توحيد الله عز وجل وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم الى
غيره بالعدول عنه وطلب الحكم من غيره ولا يرضى بحكم غيره انتهى
ملخصا من المدارج للعلامة ابن القيم والقرآن مملوء بالآيات
المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فليراجع وفيما ذكرته
كفاية

النوع التاسع في آيات تتضمن

رده تعالى بنفسه المقدسة اطلق النفس عليه تبعا لقول
امام الحرمين انه الصحيح وقيل انما يجوز للمشاكلة نحو تعلم ما في

نفس

نفسي ولا اعلم ما في نفسك ورد بقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة
وخبر انت كما اثنيت على نفسك وتقدير كتب رب نفوسكم ولا
نحصي يعني بعبده على عدوه يحتمل ان يريد المفرد وعمومه من
الاضافة اذ استغراق المفرد اشمل عند اهل البيان ويحتمل
ان يريد الجمع فان لفظ عدو يقع لغة على الواحد المذكر والمؤنث
والمجموع صلى الله عليه وسلم ترفيعا مفعول لاجله وتضعيفه
للمبالغة اذ هو مستغن بدونه لشأنه امره وخطبه قال تعالى ن
والقلم وما يسطرون اي الملائكة ومر الكلام فيه مبسوطا ما انت
بنعمة ربك بمجنون اي انتفى عنك الجنون بسبب انعامه عليك بالنبوة
وغيرها لما حين قال المشركون يا ايها الذي نزل عليه الذكر القرآن
في زعمه انك لمجنون اي لتقول قولكم بدعواك انه نزل عليك لا الجنون
الحقيقي للقطع بعدمه فلا يريدونه لئلا يكذب من قاله اجاب
تعالى الاولى فاجاب بالنفا اذ الجملة الاولى كافية وكانه تركها لانه
بيان لتعظيمه بانه اجاب عنه عدوه بنفسه من غير واسطة
وتوطية لقوله وهكذا سنة الاحباب اي عادتهم فان الحبيب
اذا سمع من سب حبيبه تولى بنفسه جوابه وفرع على هذا قوله
فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم بنفسه منتصرا له لان
نصرته تعالى الذي تولاها بنفسه اتم من نصرته عليه الصلاة
والسلام لنفسه كقتال العدو وان كان لله والمعنى لو فعل
وروى ابن ابي حاتم عن وهيب بن الورد قال يقول الله تعالى
ابن آدم اذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتي فان نصرتي خير لك
من نصرتك لنفسك ورواه عبد الله بن احمد في زوائد الزهد
عن وهيب قال بلغني انه مكتوب في التوراة فذكره وارفع
لمنزلته مقداره العلي ورده تعالى على عدوه بتكذيبهم ابلغ
من رده لنفسه صلى الله عليه وسلم باقامة الحجة وان كانت ليست
لنفسه بل لله والمراد لو كان له رد ونصره كما مر واثبت اعظم
واقوى ثباتا في ديوان مجده شرفه من ان يثبته هو بنفسه
فما امضاه الله لا نقض له فاستعار لمجده ديوانا يثبت فيه فاذا
اثبته الله كان نامٍ واكثر ثباتا وهذا هو باق الى الابد فاقسم
الله تعالى بما اقسم به من عظيم آياته اجملها بان على الخلاف
السابق في تفسيره على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما غمصته
بفتح الغين المعجمة والميم وبكسر الميم ايضا وصاد مهملة اي احتقرته
وعابته اعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله ما انت بنعمة ربك
بمجنون بدل من قوله من عظيم آياته بدل بعض من كل ومتعلق
بتنزيه وسيعلم اعداؤه المكذبون له ايهم المفتون فيه اشارة الى

انه المبارزة وهو احد وجوه سبقت واذهم واقتصر على
الاعداء مع ان الاية فستبصر ويبصرون لان القصد اخباره
بانهم سيعلمون ذلك واما ذكره عليه السلام فيها فلانه ادعى للقبول
في مقام المحاجة نحو انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
وقول حسان

اتهجوه ولست له بكفوء ... فشركما لخيركما فداء

وقد علموا اي هم والعقلاء من غيرهم ذلك اي انهم المفتونون لا هو
في الدنيا متعلق بعلموا ويزداد علمهم به في البرزخ القبر
وينكشف ويظهر كل الظهور في الاخرة بحيث يتساوى
الخلق كلهم في العلم به وقال تعالى عطف على بقوله ما انت من
عطف الفعل على اسم يشبه الفعل وهو المصدر والمعنى اقسم بقوله
ما انت بنعمة ربك بمجنون وبقوله وما صاحبكم بمجنون فقال
فلا اقسم بالخنس ولما راى العاصي بن وايل السهمي احد
المستهزئين المبيت على كفره النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من
المسجد وهو العاصي يدخل فالتقيا عند باب بني سهم بطن من
قريش وتحدثا وناس من صناديد جمع صنديد وهو السيد
الشجاع والحليم والجواد والشريف كما في القاموس قريش
جلوس في المسجد فلما دخل العاصي قالوا له من ذا الذي كنت
تحدث حذف احدى التائين معه قال ذلك الابتر يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وقد كان توفي ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خديجة وهو القاسم اول من مات من ولده او عبد الله روايتان
فرد الله تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر اي
عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير والذي لا عقب له ولا حسن (?)
ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم
القيامة ولك فيها ما لا يدخل تحت الوصف ولا يرد ان العاصي
اعقب عمرا وهشاما لانهما لما اسلما انقطع عقبه منهما فصارا
من اتباع المصطفى وازواجه امهاتهم ولما قالوا اي الذين كفروا
على جهة التعجب لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم
كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى بفتح الهمزة للاستفهام
واستغنى بها عن همزة الوصل على الله كذبا في ذلك ام به جنة
جنون تخيل ذلك به قال الله تعالى ردا عليهم بل الذين
لا يؤمنون بالاخرة المشتملة على البعث والعذاب في العذاب
والضلال البعيد من الحق في الدنيا قال البيضاوي رد الله
عليهم ترديدهم واثبت لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال
البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه

اي ج

من

من العذاب ولما قالوا لست مرسلا اجاب الله تعالى عنه
بالاقسام فقال يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين ومرت
مباحث ذلك ولم يجعل الجواب من بقية الاية وهي قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب اي على صدقي لعدم
صراحتها في الرد ولما قالوا اينا بتحقيق الهمزتين وتسهيل
الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين لتاركوا الهتنا لشاعر
مجنون اي لاجل قول محمد رد الله عليهم فقال بل جاء بالحق وصدق
المرسلين الجائين به وهو لا اله الا الله فصدقهم ثم ذكر وعيدهم (?)
خصمائه فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا
ما كنتم تعملون ولما قالوا ما حكى الله عنهم بقوله ام يقولون
هو شاعر نتربص به ريب المنون حوادث الدهر فيهلك
كغيره من الشعراء وقيل المنون الموت رد الله عليهم بقوله وما
علمناه الشعر وما ينبغي يسهل له الشعر ان هو ليس الذي اتى به
الا ذكر عظة وقران مبين مظهر للاحكام وغيرها ذكر وعيدهم
بقوله لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين
ولما حكى الله عنهم قولهم ان هذا الا افك كذب افتراه محمد
واعانه عليه قوم اخرون من اهل الكتاب سماهم الله تعالى
كاذبين بقوله فقد جاءوا ظلما وزورا كفرا وكذبا اي بهما وقال
رادا لقولهم اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا
قل انزله الذي يعلم السر الغيب في السموات والارض انه كان
حليما غفورا ولما قالوا يلقيه اليه شيطان قال الله تعالى
وما تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل ما تلقي
الشياطين على الكهنة وما ينبغي يصلح لهم ان ينزلوا به وما
يستطيعون ذلك انهم عن السمع لمعزولون لكلام الملائكة اي
محجوبون بالشهب ولما تلي عليهم نبأ خبر الاولين قال النضر
ابن الحارث الكافر المقتول بعد بدر المشتري لهو الحديث لو
نشاء لقلنا مثل هذا لانه كان ياتي الحيرة يتجر فيشتري كتب
اخبار الاعاجم ويحدث بها اهل مكة ويقول انا محمد يحدثكم
احاديث عاد وثمود وانا احدثكم حديث فارس والروم فيستملحون
حديثه ويتركون استماع القران ان ما هذا القران الا اساطير
اكاذيب الاولين قال الله تعالى تكذيبا لهم قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران في الفصاحة
والبلاغة لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا
ولما قال الوليد بن المغيرة المخزومي المبتلى كفره انه ما هذا
القران الا سحر يؤثر ينقل عن السحرة ان هذا الا قول البشر كما

قالوا انما يعلمه بشر قال الله تعالى كذلك ما اتى الذين من
قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون تسلية له عليه
الصلاة والسلام لان المعنى مثل تكذيبهم لك بقولهم انك ساحر
او مجنون تكذيب الامم لرسلهم بقولهم ذلك ولما قالوا انه قلاه ربه
ابغضه فرد بالفا في جواب لما لغة قليلة الله عليهم بقوله
ما ودعك ربك وما قلى ما ابغضك ولما قالوا مال هذا
الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز اي من السما تنفقه ولا تحتاج
الى المشي في الاسواق لطلب المعاش او تكون له جنة ياكل منها
اي من ثمارها فتكتفي بها قال الله تعالى وما ارسلنا قبلك
من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
فانت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم كما قيل لك وكسرت ان لان
المستثنى محذوف اي الا رسلا انهم او وجملة انهم حالية اكتفى فيها
بالضمير ولما حسدته اعدا الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات
لانه صفة كمال لا يقدرون عليها وعبروا عن هذا وقالوا ما همه
الا النكاح لايهام الاعتراض والتوبيخ خلاف ما ابطنوه من
الحسد الذي هو تمني زوال نعمة المحسود رد الله عليهم عن
رسوله ونافح بالفا والحا المهملة اي منع ودافع عنه فقال
ام يحسدون الناس اي محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاهم
من فضله من النبوة وكثرة النسا اي يتمنون زوالها عنه ويقولون
لو كان نبيا لاشتغل عن النسا فقد اتينا ال ابراهيم جد محمد صلى
الله عليه وسلم كموسى وداود وسليمان الكتاب والحكمة النبوة
واتيناهم ملكا عظيما فكان لداود تسع وتسعون امراة ولسليمان
الف ما بين حرة الى سرية ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا
من البشر بقولهم الذي حكاه عنهم وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا اي قولهم منكرين ابعث الله بشرا
رسولا وجهلوا ان التجانس يورث التوانس فيمكن مخاطبته
والفهم عنه وان التخالف في الجنس يورث التباين فلا يمكن
ذلك فمن حكمة الله جعل الرسول بشرا لا ملكا قال الله تعالى
قل لو كان في الارض يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من
السما ملكا رسولا يحتمل انه حال من رسولا وانه موصوف وكذلك
بشرا والاول اوفق اي لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون
رسولهم من الملائكة لكن لما كان اهل الارض من البشر
وجب ان يكون رسولهم من البشر لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي
معه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه

كان ذلك مشروطا بنوع من التناسب والتجانس قال البيضاوي
وفي الشفا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من
جنسه او من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبيا
والرسل وفي الاية الاخرى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون اي جعلناه على صورة رجل ليتمكنوا
من رؤيته اذ لا قدرة للبشر على رؤية الملك فما اجل هذه الكرامة
اي الاكرام من الله لنبيه حيث كان هو الرادع له لا الامر
الخارق للعادة ۞ وقد كان الانبيا انما يدافعون عن انفسهم
ويردون على اعدائهم كقول نوح عليه السلام رادا لقولهم
له انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شي من
الضلال فنفيها ابلغ من نفيه وقول هود دافعا لقولهم
انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس
بي سفاهة جهالة واشباه ذلك من دفعهم عن انفسهم

النوع العاشر في ازالة المشبهات

جمع شبهة وهي ما يرى دليلا وليست بدليل لفساد القياس
او لغير ذلك عنه اي عن آياته وردت في حقه عليه الصلاة والسلام
متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر
الا بالفحص والنظر او دل القاطع على ان ظاهرها غير مراد ولم يدل
على المراد وتطلق المتشابهات ايضا على ما استاثر الله بعلمه
وليس مرادها هنا قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي
منها هذه الاية لان القواطع دلت على ان ظاهرها ليس بمراد
وافادها بنقله الاجماع بقوله اعلم انه قد اتفق العلما على
انه صلى الله عليه وسلم ما ضل لحظة واحدة قط بان ظن بالله
ما هو محال عليه وهل هو اي الضلال المفهوم من قوله ما ضل
جائز عقلا على ان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جائز عقلا
لما فيه اي تجويزه تلبسهم به وظهوره عليهم من التنفير عن
اتباعهم بعد الوحي واجابتهم للايمان والطاعة ولا يخفى ان هذه
علة باردة فالتنفير فعل المنفر واي فعل في تجويز العقل فالتجويزات
العقلية لا يلزم منها شي البتة فالعقل يجوز انقلاب البحر دما
والحجر ذهبا ونحو ذلك قرره شيخنا وعندنا معاشر اهل السنة انه
جائز في العقول وهو ابلغ في اتباعهم حيث جاز عقلا ولم يقع
علم انهم مصطفون عند الله تعالى صادقون فيما اخبروا به
ثم يكرم الله من اراده بالنبوة بالعصمة من ابتدائه الى منتهاه

فحذف صلة تكرم ولذا عدل عن ان يقول ثم تكرمهم الا ان الدليل
السمعي قام على ان هذا الجايز لم يقع لنبي من الانبيا اصلا قال
الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قال الامام فخر الدين
الرازي ويقال عليه الاية في حق نبينا فكيف صح جعلها دليلا
على جميع الانبيا اذ لا يلزم من نفي ذلك عنه نفيه عنهم ثم هي انما
سيقت في مقام نفي ما نسبه المشركون اليه وكان بعد النبوة
والجواب اما الاول فالعلة في نفي الضلال العصمة لا اكرام
الله تعالى له بالنبوة وهذه العلة يشاركه فيها جميع الانبيا فالاية
نص فيه وقياس في باقيهم واما الثاني فالافعال بمنزلة النكرات
والنكرة تعم فكانه قال ما صدر منه ضلال لا قبل النبوة ولا بعدها
وقال الامام ابو الفضل عياض اليحصبي العلم الشهير في الشفا
واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
اي القول الموافق للواقع وللادلة الدالة على ان خلافه خطا من
قايله انهم معصومون محفوظون مصونون قبل النبوة من
الجهل بالله تعالى اي بوجود ذاته وصفاته فلا يجهلون شيا منها
ومعصومون ايضا التشكيك لانفسهم في شي من ذلك وفي نسخة
او التشكيك بالعطف باو الفاصلة اي لا يقع في نفسهم شك في
الذات ولا في صفة من صفاتها لان فطرتهم جبلت على التوحيد
والايمان واما قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
فالمراد به ما لا يعلم الا بالوحي كوجوب الصلاة ونحوه من
فروع الشريعة وقد تعاضدت اي تقوت ماخوذ من العضد
وهو ما بين المرفق الى الكتف ويكون عمل الانسان واعتماده
بذلك قيل عضدته بمعنى قويته قاله الراغب وقال التلمساني
اي قوي بعضها بعضا تفاعل من اثنين لقيام كل واحد من
الاخبار مع صاحبه حتى حصلت القوة التامة بذلك الاخبار
والاثار بمعنى وقيل الخبر المرفوع والاثر قول الصحابي ومن
دونه والمراد بهما ما اشتهر من احوالهم وصفاتهم الماثورة المعروفة
عند كل احد عن الانبيا كلهم والمرسلين باسرهم وليس المراد انه
نقل عنهم بل عرف عنهم وفي حقهم فلم يصب من قدره وعبرهم
بتنزيههم اي بتبريتهم عن هذه النقيصة بصاد مهملة اي الصفة
المنقصة لمن اتصف بها منذ ولدوا الى اخر عمرهم ونشاتهم بالجر
عطف على تنزيههم اي بنشاتهم اي ابتدا خلقهم لا زمن شبابهم
كما توهم على التوحيد وهو عدم الشرك والايمان بالله وبكل
ما يجب الايمان بالله بل للانتقال على سبيل الترقي على اشراق
اي شدة ظهور انوار المعارف في احوالهم واقوالهم اي معرفة

ذات

ذات الله وصفاته وكل ما يتعلق به ونفحات جمع نفحة وهي
الروايح الطيبة التي تفوح الطاف السعادة اي كونهم سعدا
الدارين فشبهها بما يلوح منهم من اماراتها برايحة طيب يعبق
فيملا الكون ولم ينقل احد من اهل الاخبار عن احد غيره
ان احدا نبي بهذا خبره اي صيره الله نبيا واصطفى اي اصطفاه
الله تعالى واختاره ممن عرف بكفر واشراك عطف خاص على
عام قبل ذلك اي اصطفائه ومستند اسم مفعول اي ما يستند
اليه ويعلم هذا الباب اي باب معرفة احوال الانبيا النقل عنه
الاخبار والاثار ويؤيده العقل الدال على انه تعالى لا يختار
من خلقه لنبوته الا من كان كذلك فليس المراد الحصر وقد
عقبه عياض ما يدل على موافقة العقل للنقل ثم قال بعد
كلام طويل في الاجوبة عن ايات واحاديث ليس المراد ظاهرها
وقد استبان اي تبين والسين للتاكيد لا الطلب لان ما يثبت
من شانه ان يتنافس فيه بما قررناه انفا للسببية فاذا تاملته
بان لك ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل
بالله وصفاته بان ينفي وجود ذاته او يتردد او ينفي شيا من
صفاته او يعتقد شيا منها على خلاف حقيقته وكذا ساير الانبيا
او استبان لك عصمته من كونه اي وجوده وخلقه كساير الانبيا
على حالة تنافي العلم بشي من ذلك اي ذاته وصفاته كله جملة
فلا يجهل شيا من ذلك اصلا لا سيما بعد النبوة عقلا لقضايه
بحيازته جميع الشرف والكمال لانه تعالى لا يصطفي الا من هو
كذلك وشرعا واجماعا من كل المسلمين وقبلها سمعا ونقلا في الاحاد
الصحيحة والجمع بينهما للتوكيد والمنصوبات تمييز ولا بشي عطف
على قوله بشي قبله اي ولا كونه على حالة تنافي العلم بشي مما قرره
من امور الشرع الذي امر بتبليغه واداه او وصله وبلغه عن ربه
من الوحي قطعا مقطوعا به متيقنا بلا اختلاف عقلا وشرعا
لانه مناف لارساله به وامره بتبليغه فكيف يجوز عليه جهل شي
منه فالانبيا معصومون من ذلك لدلالة المعجزات على علمهم
وصدقهم فيما بلغوه عن الله والا كان افترا على الله وهو باطل
عقلا وشرعا وعصمته بالجر عطف على عصمته الاولى من الكذب
لمنافاته المعجزة وخلف القول ليلا يتهم في تبليغه منذ نباه الله
وارسله فلم يصدر عنه شي منه وهو مستحيل قصدا بان يقول
ما يخالف ما ارسل به اختيارا او غير قصده فلا يقع منه ذلك منه
سهوا ونسيانا واليه ذهب ابو اسحاق الاسفرايني وجوزه الباقلاني
لعدم منافاته للمعجزة لانه لا يقر عليه واستحالة ذلك الكذب والخلف

عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وفي نسخة قبل او واو قبل
قوله نظرا وهي احسن لان المعنى انه استحالة ذلك شرعا واجماعا
مما دل عليه النظر والدليل العقلي وتنزيهه اي تبريته عنه قبل
النبوة قطعا للتواتره فكان يسمى الامين لانه مامون قولا وفعلا
وتنزيهه عن الكبائر اجماعا لرفعة قدره عنها وعن الصغاير
تحقيقا اثباتا بالدلايل المفيده لذلك في التحقيق اثبات المسالة
بدليلها او امرا محققا وللتجويز بعضهم لها لم ينقل اجماعا او قصدا
بقرينة قوله وعن استدامة السهو والغفلة عطف تفسير لبعد
ساحة التبليغ عنها فان وقع نبه عليه بشرعه
ولله در القايل
يا سايلي عن رسول الله كيف سهى ٭ والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شي سره فسهى ٭ عما سوى الله في التعظيم لله
وعن استمرار الغلط والنسيان عليه حفظا له بايقاظ قلبه
وتنبهه فيما شرعه للامة لان استمراره مناف لتشريفه له وعصمته
بالجر ويجوز رفعه خبره كاينة في كل حالاته من رضى وغضب
وجد بكسر الجيم ضد الهزل ومزح فانه مزح لا يقول الا حقا ما يجب
لك بدل من قوله ما هو الحق ويجوز ان ما لتاكيد القلة في الحالات
الاربع ويجب مستانف ولفظ الشفا فيجب عليك ان تتلقاه اي
تاخذه وتعلمه باليمين اي بالقبول واليمن والبركة لانه يوخذ
بها ما ينتفع به لسهولة العمل بها عادة والعرب تقول لما يتحقق
به اخذه باليمين قال الشماخ
اذا ما راية رفعت لمجد ٭ تلقاها عرابة باليمين
وتشد عليه يد الضنين البخيل وزنا ومعنى من الضنة وهي
شدة البخل اي يحرص على حفظ ما ذكر من تنزيه قدره عما ذكر لحرص
البخيل على ما بيده لشدة بخله وخوفه من ذهابه وفيه مع اليمين
مراعاة النظير وفسر بالقوة ولا يناسب هنا فان من يجهل ما يجب
للنبي صلى الله عليه وسلم اعتقاده او يجوز او يستحيل عليه
اي يمتنع في حقه شرعا وعقلا وعادة ولا يعرف صور احكامه
اي الحكم المتصور في حقه من وجوب وجواز وحرمة لا يامن
ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه فيقع فيما لا يجوز
اعتقاده ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف اي ينسب اليه
ويوصف به فيهلك اي يقع في امر هو سبب هلاكه في الدارين
من حيث لا يدري لجهله ويسقط في هوة بضم الها وشد
الواو وهو العميق كالبير الدركات بفتحتين وقد تسكن الرا ما ينزل
به الى الاسفل منه دركات المنازل من النار اي نار جهنم فالتعريف
للعهد

للعهد وهي هنا مجاز عن محلها وتستعمل كثيرا بهذا المعنى وهو
عبارة عن عقاب اشد العقاب في الاخرة بسبب ما ذكر ولذا علله
بقوله اذ ظن الباطل اي ما لا يصح في حقه واعتقاده على
طريق الجزم ما لا يجوز عليه شرعا وعقلا يحل بضم اليا وكسر الحا
وشد اللام وفاعله ضمير ما ذكر من الظن والاعتقاد اي يحل
صاحبه اي ذلك الاعتقاد دار البوار بفتح الموحده الهلاك
يعني جهنم وهو من اسمايها اي يجعله حالا فيها وضبط البرهان
يحل بفتح اوله وضم ثانيه وصاحبه فاعل وهو جايز ايضا وطلب
الرواية في مثل هذا عنا بلا طايل فنطق عياض باحد الضبطين
لا يمنع الثاني فهو كلام لا حديث يمنع بغير ما روي قال في الشفا
ولهذا احتاط على الرجلين اللذين راياه ليلا في المسجد مع
صفية فقال لهما انها صفية ثم قال ان الشيطان يجري من
ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيا
فتهلكا ثم قال بعد طول جوز جماعة من السلف وغيرهم من
الفقها والمحدثين والمتكلمين الصغاير على الانبيا وذهب
طايفة الى الوقف وذهب المحققون من الفقها والمتكلمين الى
عصمتهم منها كالكباير ثم قال بعد قليل ما حكاه المص بقوله وقد
استدل بعض الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير
الى امتثال افعالهم اي فعل مثلها اقتدا بهم فلو وقع ذلك منهم
او جاز فعله الناس وظنوه شرعا فلذا عصموا منها لان ذنب
العظيم عظيم وان قل واتباع اثارهم وسيرتهم مطلقا سوا كانت
ضرورية او جبلية كالقيام والقعود والاكل والشرب فانا نتاسى
بهم فيه وان كان مباحا لان الاصل في افعالهم انها حسنة شرعية
فيتبعون في كل ما صدر منهم لان الاصل في افعالهم ارجح من
الظاهر وجمهور الفقها على ذلك اي اتباع اثارهم مطلقا الا لم
يعلم انه خصوصية لهم من اصحاب اي كبار مذهبهما لك والشافعي
[illegible] التزام تبا مر قرينة تدل على انه فعله
للتشريع والاقتدا به فيه بل يقتدي بفعله مطلقا من غير
التزام قرينة المشروعة عند بعضهم وان اختلفوا بعد
القول باتباعهم في حكم ذلك فذهب كثير من الفقها والمحدثين واكثر
الشافعية الى استحباب اتباعه في الامور الجبلية كغيرها وذهب
جماعة الى انه مباح احسن من غيره وحكى ابو الفرج وابن
خويز منداد عن مالك الوجوب وبه قال اكثر اصحابنا واكثر
اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية
هذا ملخص ما حذفه المص من الشفا قبل قوله فلو جوزنا عليهم

فعل الصنعا بولم يمكن الاقتدا بهم فى افعالهم مطلقا كما امر به
اذ ليس كل من افعاله كغيرهم منهم يتميز مقصده اى ما قصده
به من القربة بان يكون واجبا او مندوبا والاباحة بان لا يترتب
عليه ثواب ولا عقاب اومدح اوذم والحظر بالمثنا له اي المنع
شرعا لكونه محرما اومكروها وخلاف الاولى فقوله والمعصية
تفسيرا ويخص المعصية بالحرام والحظر بخلاف الاولى والمكروه
انتهى ما نقله عن عياض وقال عقبه ولا يصح ان يومر المرء بامتثال
لعله معصية لا سيما على من يري تقديم الفعل على القول اذا تعارضا
وما كان ينبغي للمص حذف هذا لانه من جملة الدليل وما يزيد
به الكتاب واختلف فى تفسير هذه الاية على وجوه كثيرة
احدها اي وجدك ضالا عن معالم النبوة اى مظانها وهي
ما انزل عليه من القران وغيره وما ظهر عليه من الايات
فالمعالم جمع معلم مظنة الشى وما يستدل به عليه كما فى القاموس
وزاد المص معالم على الشفا لعله اشارة الى ان النبوة نفسها الاخبار
بها كانه قيل له انت نبي او وجد ما يدل على اتصافه بالنبوة من غير
وحي بشرع لا يفيد هداية وانما يفيدها الاثار الاتية من الشرع
التي يعمل بها وان لم يومر بتبليغها قرره شيخنا وهو مروي
عن العباس والحسن البصري والضحاك وشهر بن حوشب
وقال به ابن جرير لان الضلال لغة العدول عن الاستقامة
وضده الهداية فكل عدول ضلال سواكان عمدا ام لا فمعناه غير
مهتد لما سبق لك من النبوة فهداك اليها كقوله فعلتها
اذا وانا من الضالين ويويده قوله تعالى ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان اي ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا
القران اي لا تعرف قراته ولا دراسته ولا كيف يدعوا الخلق الى
الايمان قيل وهذا في غاية البعد لانه تقدير بلا قرينة تدل
عليه ووجه بان تعريف الايمان عهدي والمراد ايمان امته اي
لا تدري كيف يومن قومك وباي طريق يدخلون فى الايمان
وبعده لا يخفى قاله السمرقندي الامام ابو الليث الحنفي وقاله
بكر بن العلا القاضي القشيري المالكي ولا الايمان الذي هو
الفرايض والاحكام الشرعية الذي كلف بها علما وعملا فقد
كان عليه الصلوة والسلام قبل اي قبل النبوة مومنا بتوحيده
اي بانه منفرد بالالوهية لا شريك له ثم نزلت الفرايض التي لم يكن
يدريها قبل فازداد بالتكليف اي بسبب ما كلف به من الفرايض
ايمانا وسياتي اخر هذا النوع مزيد لذلك ان شا الله تعالى
فانه ذكرهنا للتاييد الثاني من معنى قوله تعالى ضالا

ماروي مرفوعا مما ذكره الامام فخر الدين الرازي مما يفيد انه
على حقيقته فانه يقال ضل الرجل الطريق وضل عنه زال عنه فلم
يهتد اليه فهو ضال وذلك انه عليه الصلوة والسلام قال ضللت
بفتح اللام من باب ضرب لغة نجد وهي الفصحى وبها جا القران فى
قوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وفي لغة لاهل العالية
من باب تعب اي تهت وغبت عن جدي عبد المطلب واصل
الضلال الغيبة ومنه قيل للحيوان الضايع ضالة وانا صبي حتى
كاد قارب الجوع يقتلني فهداني الله ورد بي اليه وفى سيرة ابن
اسحاق زعموا ان امه السعدية لما قدمت به مكة ضل منها فى الناس
فالتمست جده فاخبرته فقام عند الكعبة فدعى الله ان يرده فوجده
ورقة بن نوفل ورجل اخر من قريش فاتيا به الى عبد المطلب
واخذه على عنقه وطاف وعوذه ودعا له ثم ارسله الى امه ويروي
ان عبد المطلب تصدق بالف ناقة كوما وخمسين رطلا من ذهب
وجهز حليمة افضل الجهاز الثالث يقال ضل الما في اللبن
اذا صار مغمورا من تقدم الدليل على المدلول واذا كان كذلك
فمعنى الاية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى
اظهرت دينه الرابع ان العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة
الارض لا ما فيها والجمع فلى مثل حصي وحصاه وجمع الجمع افلا مثل
سبب واسباب ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد مكة وما حولها
كالمفازة الموضع المهلك ماخوذ من فوز بالتشديد اذا مات لانها مظنة
الموت وقيل من فاز اذا نجا وسلم سميت به تفاولا بالسلامة ليس فيها
شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة
فريدة فى مفازة الجهل ولم يذكر الجوهري واتباعه هذا وما قبله من
معاني ضل لكن اللغة واسعة الخامس قد يخاطب السيد والمراد
قومه لاستحالة وصف السيد بذلك الوصف اولاستعمال اسمه في اسم
قومه مجازا اي وجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك عطف
تفسير لقوله بك المعبر به عن ذاته نور يهتدى به بمجرد روييته صلى
الله عليه وسلم وجعله شرعه لظهوره على يديه ويحييه به السادس
ضالا اي محبا لمعرفتي فهداك بانوار الهداية والعناية وهو
مروي عن ابي العباس احمد بن عطا الادمي بفتحتين الصوفي لسانه
فى فهم القران يختص به ولما كان هذا خلاف المشهور لغة استشهد
عطا لنفسه بقوله والضلال المحب كما قال تعالى عن اخوة يوسف
خطابا لابيهم انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ليوسف
لا تنساه وهذا منقول عن قتادة وسفيان فلا يضر عدم وجوده
فى الصحاح واتباعه فاللغة واسعة ولم يرد واههنا فى هذه الاية

ضلالة في الدين بان يعتقد واخطاه في دينه باعتقاده خلافه
او اصراره على ما ينافيه اذ لو قالوا ذلك في نبي الله يعقوب
لكفروا بنسبته الى ما لا يجوز عليه وتحقيره لكن عدم ارادة ذلك
لا تستلزم حمله على المحبة لجواز ان يريدوا انك في تحيرك عما هو صلاح
الى العلم بحال يوسف او نحو ذلك وفي الانوار لفي ذهابك عن
الصواب قديما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع
للقائه السابع اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج
نسي ما يجب ان يقال بسبب الهيبة من الله تعالى فهداه الله
تعالى الى كيفية اي صفة الثنا الذي فضل به الانبيا حتى قال
لا احصي ثنا اي لا استوعب ولا ابلغ الواجب في الثنا عليك انت كما اثنيت
على نفسك الثامن اي وجدك بين اهل الضلال فعصمك عن
الانتظام في سلكهم والتلبس بشي من ضلالهم كعبادة الاصنام
من ذلك اي الضلال وموافقة اهله فيه وهداك للايمان به
ومعرفته انه جعله فطرة لك واودع فيك ما يرشدك له بعقلك
السليم ثم ارشدك بالوحي والى ارشادهم افعال من الرشد
ضد الغي وهو قريب من الهداية كما قاله الراغب وافاد بقوله
فعصمك انه من قبل الشرع ولم يستفد هذا من الخامس فهذا
غايره ولا يرد ان قوله فيه فهداهم بشرعك يفيد عصمته لاستحالة
ان يهديهم مع موافقتهم لان شرعه متاخر فقد كان بينهم قبله
اربعين سنة ثم هذا التاويل [illegible] مروي عن السدي وغيره
واحد كما قال عياض فالضلال بمعنى المشهور وليس متصفا به
ولكونه بين اهله اطلق عليه بمجاز العلاقة المجاورة التاسع
اي وجدك متحيرا واقعا في الحيرة في بيان ما انزل اليك من
القران فهداك لبيانه ما ظاهره وبيان ما خص من معانيه
في حال تبليغه لامته كقوله وانزلنا اليك الذكر القران لما فيه
من التذكير والمواعظ لتبين للناس ما نزل اليهم مما خفي
عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه في ابتدا امره وهذا
مروي عن الجنيد ابي القاسم بن محمد النهاوندي شيخ المشايخ
العلم المشهور رحمه الله تعالى العاشر عن علي امير المومنين انه
صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بفتح الميم الاولى بانه بصر وهو
اول العزم بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون ضمنه معنى يتمسكون
فتعداه بما والبا زايدة في المفعول غير مرتين كل ذلك يحول
يحجز ويمنع الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت
بعدها بشي حتى اكرمني الله برسالته وبين المرتين فقال
قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى غنما على مكة لبعض

قريش

قريش اود لو حفظت لي غنمي فلولا للتمني ما لها جواب او محذوف
اي لكان ذلك جميلا منك حتى ادخل مكة وصرح انه رعاها قبل
البعثة ويؤيده حديث ابي هريرة عند البخاري مرفوعا ما بعث
الله نبيا الا رعى الغنم فقال اصحابه وانت قال كنت ارعاها على
قراريط لاهل مكة وفي رواية ابن ماجة كنت ارعاها لاهل مكة
بالقراريط قال العلما كغيره والحكمة في الهامهم ذلك قبل النبوة
ليحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بامر امتهم
فزعم ان رعيهم لها انما كان بعد البعثة تهور وتمسكه لذلك
بالحديث المذكور اعجب منشاؤه عدم الوقوف على شي فاسمر
بها بضم الميم اي اتحدث قال المجد وسمر سمرا وسمورا لم ينم والسمر
محركة الليل وحديثه وفي خطبته اذ ذكر المصدر فالفعل بزنة
كتب كما يسمر بفتح اوله وضم الميم يتحدث الشاب فخرجت حتى اتيت
اول دار من دور مكة سمعت عزفا بمهملة وزاي وفا بزنة فلس
اي لعبا من باب التجريد استعمل العزف من مطلق اللعب من
استعماله المطلق في مقيده فعلق به قوله بالدفوف جمع دف
الات يضرب بها والا فالعزف اللعب بالدف بضم الدال وفتحها
والمزامير جمع مزمار بكسر الميم فجلست انظر اليهم فضرب الله على اذني
اي بعث عليهما النوم فنمت فلم اسمع شيئا فما ايقظني الا مس
الشمس اي حرها ثم قلت ليلة اخرى مثل ذلك فضرب الله على
اذني فما ايقظني الشمس ولم اسمع شيئا ثم ما هممت بعدها بسوء
حتى اكرمني الله برسالته فكانه عبر بضالا عن هذا الهم مرتين
وانه هداه بصرفه عن ذلك بالقا النوم عليه اشارة الى عنايته
به من صغره ومنعه من سماع لغط الجاهلية ولعبهم وعناهم
وان لم يكن ذلك حينئذ ضلالا لانه صانه من قبل البعثة عما يخالف
الشرع وقيل معناه وجدك ضالا لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك
الله فهدى بك السعدا وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة ثم
هداك الى المدينة وقيل وجدك قائما باعبا الرسالة وتبليغها
فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد وجدك ضالا عن محبتي لك
في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقيل ناسيا فهداك
كقول موسى وانا من الضالين وقوله تعالى ان تضل احداهما اي
تنسى وقرا الحسن بن علي ووجدك ضال فهدي اي اهتدى بك
حكاها في الشفا ثم قال لا اعلم احدا من المفسرين قال فيها ضالا
عن الايمان وقد قال ابن عباس لم يكن له ضلالة معصية انتهى وفي
الكشاف قال انه كان على امر قومه اربعين سنة ان اراد خلوه عن
الامور السمعية فنعم وان اراد على كفرهم ودينهم فمعاذ الله فانه صلى

الله عليه وسلم وسائر الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن
الكبائر والصغائر الشائنة مما بالك بالكفر والجهل بالله ما كان لنا
ان نشرك بالله من شيء وكفى بعصمته عند الكفار ان يسبق منه
كفر انتهى واما قوله تعالى قسيم لمقدر اول النوع اي منها ما ذكره
بقوله قال الله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك فقد احتج به جماعة من الفقها والمحدثين والمتكلمين
اي علما الكلام الباحثين عن العقائد سموا بذلك لان مسئلة كلام
الله تعالى من اجل مباحثه او لكثرة دور الكلام فيه بين السلف
المجوزين بلا واو في نسخ وهي ظاهرة وفي نسخة بالواو اي كاكثر
الاصوليين [illegible] على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
حيث ابقوها على ظاهرها ان الوزر هو الاثم بظواهر كثيرة
[illegible] اي بظواهر اشارة الى انها ليست بحجة
في الباطن انه التزموا ظواهرها بان قالوا بلزوم اعتقاد
الظاهر منها افضت بهم اوصلتهم [illegible]
تجويزا الكبائر عليهم عمدا وخرق الاجماع اي مخالفة ما اجمع
عليه الناس من قولهم خرق المفازة اذا قطعها فاريد به لازمه
وهو المجاوزة وما لا [illegible] اي افضت بهم الى راي لم يقله
احد من المسلمين لان الايات والاحاديث التي احتجوا بها كما
يشمل الصغيرة يشمل الكبيرة من حيث انها اثم وذنب ويشمل
كل ما اجمع على انه لا يقع منهم مع انهم لا يقولون بجواز وقوع
الكبيرة منهم عمدا اذ لم يقله الا الحشوية ولا عبرة بهم ولا بجواز
خرق الاجماع واما سهوا فجائز عند بعضهم واختلف في ان امتناعه
سمعي او عقلي كما مر فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بتلك الظواهر
وكل ما احتجوا به منها مما اختلف المفسرون في معناه وطرقته
الاحتمالات فسقطت به الدلالات وتقابلت تخالفت وتعارضت
الاحتمالات في مقتضاه من تجويز وقوع ما خرج به عن
صلاحيته للحجة وجاءت الاقوال جمع اقوال جمع قول فهو جمع الجمع
فيها للسلف بخلاف ما التزموه في ذلك الذي استدلوا به
فاذا لم يكن مذهبهم في تجويزها عليهم اجماعا اي مجمعا عليه
لكثرة من خالفهم وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما لا حادثا
بعد انعقاد الاجماع حتى يكون خلافا لا يعتد به وقامت الدلائل
على خطا قولهم بتجويزها عليهم وصحة غيره في عدم الجواز وجب
تركه والمصير الى ما صح من عدم التجويز اذ العبرة بالادلة لا بكثرة
القائلين انتهى كلام عياض متعه الله برؤيته في الرياض وقد
اختلف في هذه الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر

اذا

اذا اثقله الحمل سمع له نقيض اي صوت كصوت المحامل والرجال
وكل ما حملته ثقيلا فانه ينتقض تحته قال عباس بن مرداس
وانقض ظهري ما تطوقت منهم وكنت عليهم مشفقا متحننا
قاله ابن عطية وصدر بقوله اي هزيلا من الثقل وجعله مثل
لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقداره اي من
مقاديرما كلفه وقيل المراد منه تخفيف اعبا بالفتح اثقال النبوة
جمع عبء بالكسر وبفتح الحمل من كل شيء تنزيلا للمعقول منزلة
المحسوسات التي يثقل الظهر القيام بامرها فهو مجاز عن اتعاب
صاحبه بحيث يصير كالحامل على ظهره ما يثقل عليه بحيث تناله
مشقة عظيمة من ذلك وفسر القيام بقوله وحفظ موجباتها
والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط تفسير
لوضع عنه ثقلها بفتح القاف بان يسرها عليه حتى تيسر له
وهذا عزاه عياض للماوردي والسلمي وقيل الوزر ما كان
يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل لطريقة ابراهيم وكان لا يقدر
على منعهم الى ان قواه الله وقال له اتبع ملة ابراهيم في التوحيد
والدعوة برفق ونحو ذلك فالوزر على هذه الاقوال الثلاثة
مجاز بمعنى الثقل وقيل معناه عصمناك اي منعناك وحفظناك
عن ملابسة الوزر الذي انقض ظهرك لولا ان ذلك الذنب
حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا
ومن ذلك ما في الحديث انه عليه الصلاة والسلام حضر وليمة
فيها دف ومزامير قبل البعثة ليلة احدى المرتين السابقتين لقوله
هناك غير مرتين فضرب الله على اذنه بالافراد على ارادة الجنس
فما ايقظه ينبهه الا حر الشمس من الغد وقيل معناه ثقل شغل
سرك اي قلبك او خواطر قلبك وحيرتك تحيرك في ابتدا امرك
وطلب شريعتك بالرفع اي طلبك من الله ما يسن بالوحي لتعمل
به حتى شرعنا لك ذلك بالوحي فاطمان قلبك وذهبت حيرتك
حكى معناه القشيري كما في الكشاف وقيل معناه خففنا عنك
ما حملت اي كلفت حمل اثقاله من دعوة الخلق وتبليغ امانة
الرسالة التي لم يطق حملها الجبال بحفظنا لما استحفظت اي بحفظ
حفظنا ما امرناك بحفظه عليك مما عسر عليك القيام به وجعلنا
لك قوة وصبرا صير اثقاله خفيفة وحفظ عليك اي منع عنك الضياع
منك فادينه على اتم وجه يمكن اداؤه ودفع ما ورد عليه اثر اذا خففه
لم تنقض ظهره بقوله تعالى عياض ومعنى انقض ظهرك على هذا
اي كاد اي قرب ينقضه اي يعيبه ويثقله ولم ينقضه بالفعل وتجوز
ابقاؤه على ظاهره وانه انقضه بالفعل لكنه خففه عنه فكانه لم

بنقصه قال القاضي عياض مبينا وجه دفع ما ذكره لما تمسكوا
به فيكون المعنى لوضعنا عنك الخ على قول من جعل ذلك
الوضع مصروفا لما قبل النبوة اهتمامه صلى الله عليه وسلم
[illegible] يكون بامور فعلها قبل نبوته اي اعتناؤه ببيان الله لحكمها
حتى لا يكون عنده هم وهم وحرمت عليه بعد النبوة ولم يكن
مكلفا بها قبلها فعدها اوزارا بعد ما حرمت باعتبار ما بعد
النبوة وثقلت عليه واشفق خاف منها من المواخذة بها
لشدة مراقبته وخشيته لله تعالى فعفى وضعها على هذا اعلام
بعدم المواخذة بها وانها ليست وزرا عليه بحافيه لانه لم يكن مكلفا
بتركها وقيل انها ذنوب امته صارت عليه كالوزر بجعل المعقول
كالمحسوس فامنه الله من عذابهم في العاجل بقوله وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم ووعده الشفاعة في الآجل بنحو
قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل حططنا عنك ثقل
ايام الجاهلية حكاه مكي واما قوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ابن عباس في ازالة
الشبهة عن ظاهره المقتضي وقوع ذنوب من عليه يغفر
انها لا ذنب اي انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو
كان اي وجد فعلى تامة فهو على طريق الفرض تطمينا له فلم يرد
انه وقع ذنب فعفو بل لو فرض وقوعه وقع مغفورا واخرج
ابن المنذر عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر
ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم الاية سر بذلك الكفار
فانزل الله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقال
بعضهم اراد غفران ما وقع قبل النبوة مما لا يواخذ به لانه
لا شرع يلتزم احكامه ولا يصح ان المراد من الصغاير عند مجوزها
لان السياق في دفع شبهة من جعل هذه الاية دليلا على وقوع
الصغاير وما لم يقع بفرض وقوعه اي انك مغفور لك
في الحالين فغاير كلام ابن عباس لانه فرض وتقدير لا غير
وهذا على تجويز الوقوع لكن ان وقع كان مغفورا فهو كغيره
من الانبيا ان وقع منهم لم يواخذوا به قطعا بخلاف الامة
فتحت المشية وقيل المراد بما تقدم ما كان وقع منه عن سهو
وغفلة والمراد بما تاخر ما صدر عنه تاويلا اي بيان لمعنى يحتمله
النص فيحمله عليه باجتهاده ثم تبين له ان الصواب او الاولى
خلافه لان التاويل بيان ما يوول اليه فيناسب ما تاخر كما
في شرح الشفا فلا حاجة لجعل الواو بمعنى او وحكاه الطبري
محمد بن جرير واختاره القشيري عبد الكريم بن هوازن

ولعل

النبي

مع المنذر

ولعل المراد بغفران الثلاثة مع ان احاد الامة لا يواخذ بها
عدم المواخذة باللوم على سبب الغفلة والسهو والنسبة الى
التقصير بسبب التاويل المبني على شبهة لو فرض وقوعها
لخلاف غيره فيواخذ بذلك وقيل ما تقدم لابيك ادم عليه
السلام وما تاخر من ذنوب امتك فاللام للتعليل اي يغفر
لادم لاجلك لما توسل بك ولكونك في صلبه ولامتك لدعائك
ولانك رحمة لهم حكاه السمرقندي والسلمي بضم ففتح عن احمد
ابن عطا الادمي وحكاه الثعلبي عن عطا الخراساني قال
السيوطي وهو ضعيف اما اولا فلان ادم نبي معصوم لا ينسب
اليه ذنب البتة فهو تاويل يحتاج الى تاويل انتهى وتاويله بان
المراد بتقدير انه ذنب او سماه ذنبا مجازا وان كان في الحقيقة
ليس بذنب من باب حسنات الابرار سيات المقربين قال واما
ثانيا فلان نسبة ذنب الغير الى غير من صدر منه بخلاف الخطاب
لا يليق واما ثالثا فلان ذنوب الامة كلها لم تغفر بل منهم
من تغفر له ومنهم من لا يغفر له انتهى والجواب عن الثاني
ان الكلام في الاية للتعليل كما قلنا لا المعدية وعن الثالث بان
من لا يغفر له يخفف عنه بالنسبة لما يواخذ به غيره على ذلك
الذنب من بقية الامم فكانه غفر له وقيل المراد امته اي يغفر
الله لامتك ما صدر ويصدر فالمراد بخطابه خطاب امته
واضافة الذنب له لادنى ملابسة لانه يسوءه ما يسوءهم وهو الشفيع
لهم قال شيخنا والمراد بالمغفرة على هذا اما رفع العذاب عنهم
مطلقا بالعفو فلا يعاقبهم على شي او بتخفيفه عنهم وذلك
في حق من عذب للتطهير بما اقترفه وقال غيره المراد ان رحمة
الله لهذه الامة اكثر من غيرها وقيل المراد بالذنب ترك
الاولى وعد ذنبا لرفعة مقامه ونزاهته فلا تفعله كما لا
يفعل الذنب الحقيقي نعم ان كان القصد من فعل خلاف
الاولى او المكروه بيان انه جائز لا اثم فيه فعله وجوبا ان تعين
طريقا للتعليم فيثاب عليه ثواب الواجب كما قيل قائله
ابو سعيد الخراز رواه عنه ابن عساكر في ترجمته حسنات الابرار
سيات المقربين لانه كلما ارتقى درجة عد ما قبلها وترك الاولى
ليس بذنب لان الاولى وما يقابله مشتركان في اباحة الفعل
وما ابيح ليس بذنب فاطلق عليه اسمه مجازا وفي التحفه
استغفرك اطلب منك المغفرة اي ستر ما صدر مني من
نقص ذنبا كان او غير ذنب فهي لا تستدعي سبق ذنب
خلافا لمن زعمه قال شيخنا فلا حاجة للاعتذار عن تسميته

خلافا لا ولي ذنبا تعلقت به المغفرة وفيه نظر لتصريح الاية بلفظ
ذنب فحمله علي خلاف الاولى يحتاج للاعتذار ولفظ استغفرك ليس
فيه من ذنبي فانما تنافي ما قال لو قيل ليغفر لك فقط وقال
السبكي في تفسيره قد تاملتها يعني الاية بذهني مع ما قبلها
وهو انا فتحنا لك فتحا مبينا وما بعدها وهو وينصرك الله نصرا عزيزا
فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريفه النبي صلى الله
عليه وسلم من غير ان يكون هناك ذنب حاشا لله ولكنه اريد ان
يستوعب في الاية جميع انواع النعم من الله على عباده الاخروية
صفة النعم وجميع النعم الاخروية اظهار في مقام الاضمار
ليتبين غاية البيان شيئان سلبية وهي غفران الذنوب اي من
حيث هي وان لم يكن للمخاطب ذنب لانه لو لم يذكر غفرانها لكان فيه
ترك استيعاب جميع انواع النعم وثبوتية وهي لا تتناهى اشار اليها
الي الثبوتية بقوله ويتم نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيئان
دينية اشار اليها بقوله ويهديك صراطا مستقيما يثيبك
عليه وهو دين الاسلام ودنيوية وان كانت هنا كذلك المقصود بها
الدين هذا اسقطه من السبكي قبل قوله وهي وينصرك الله نصرا
عزيزا لا ذل معه وقدم الاخروية على الدنيوية وقدم في الدنيوية
الدينية على غيرها تقديما للاهم فالاهم هكذا في تفسير السبكي قبل
قوله فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم باتمام
انواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة في غيره ثم يحتمل رجوع جوابه
باخره الامر الي قول ابن عباس ان لو كان ضرورة الخطاب والاضافة
في الاية والاظهر ان مراد السبكي ان المعنى منعك من الذنب فلا يوافق
اذ الغفر الستر والغطا وعلي هذا فلا حاجة الي تقدير ان لو كان وقد
قال العلامة الكرماني في شرح البخاري المعنى والله اعلم اي حال بينك
وبين الذنوب فلا تاتيها لان الغفر الستر وهو اما بين العبد والذنب
واما بين الذنب وبين عقوبته فاللائق بالانبياء الاول وباممهم
الثاني انتهى ونحوه قول بعض المحققين المغفرة هنا كناية عن
العصمة فمعنى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ليعصمك
فيما تقدم من عمرك وفيما تاخر منه قال السيوطي وهذا في غاية
الحسن وقد عد البلغا من اساليب البلاغة في القران انه يكنى عن
التخفيفات بلفظ المغفرة والعفو والتوبة كقوله تعالى عند
نسخ قيام الليل علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقروا ما تيسر منه
وعند نسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى فاذ لم تفعلوا وتاب
عليكم وعند نسخ تحريم الجماع ليلة الصيام فتاب عليكم وعفى عنكم
ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين وهو صلح الحديبية ومكة

نزلت

نزلت مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر عنه بالماضي لتحقق
وقوعه او فتح خيبر او غير ذلك اقوال ارجحها عندي قول الاول وتقدم
بسطه في غزوة الحديبية الذي عظمه وفخمه باسناده اليه تعالى بنون
العظمة بقوله انا فتحنا وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله
لك كانه قيل لا لغيرك واشار بهذا الي جواب ان المغفرة ليست سببا
للفتح اذ السبب ما يلزم من وجوده وجود غيره والمغفرة التي هي
عدم المواخذة بالذنب لا يستدعي الفتح وحاصل الجواب ان اللام
علة غائية اي ان الفتح لما فيه من مقاساة الاهوال مع الكفار جعل
سببا للمغفرة واتمام النعمة والنصر العزيز وفي البيضاوي علة للفتح
من حيث انه مسبب عن الجهاد والسعي في اعلاء الدين وازاحة الشرك
وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص
الضعفة من ايدي الظلمة وقد سبق الي نحو هذا ابن عطية لفظ السبكي
وبعد ان وقفت على هذا وجدت ابن عطية قد وقع عليه فقال
بعد ان حكى قول سفيان الثوري ما تقدم قبل النبوة وما تاخر
يريد كل شي لم يعلمه وهذا ضعيف وانما المعنى التشريف بهذا
الحكم وهو استيعاب جميع انواع النعم ولم يكن له ذنوب البتة
واجمع العلما على عصمة الانبيا من الكبائر والصغائر التي هي
رذائل وجوز بعضهم الصغائر التي ليست برذائل واختلفوا هل
وقعت من محمد صلى الله عليه وسلم او لم تقع وحكى البلقيني عن
عطا الخراساني ما تقدم من ذنب ادم وحوا اي ببركتك وما تاخر
من ذنوب امتك بدعائك وقال بعضهم ما تقدم قوله يوم بدر اللهم
ان تهلك هذه العصابة لم تعبد وما تاخر قوله يوم حنين لن نغلب
اليوم من قلة وهذا كله معترض هذا كلام ابن عطية برمته قال السبكي
وقد وقف فيما قال فقول المتن ثم قال اي السبكي لا ابن عطية كما
توهم فانه خلاف الواقع اذ ابن عطية ليس فيه كما رايت قوله وعلى
تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب انه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم
والذي اوقعه في هذا الوهم ان السبكي لما نقل قول ابن عطية اختلفوا
هل وقع من محمد الخ عقبه بقوله قلت لا شك فظن ان قلت من جملة
نقله وليس كذلك بل زيادة فصلها بلفظ قلت وكيف يتخيل خلاف
ذلك اسقط من قول السبكي واحواله عليه السلام منقسمة الى قول
وفعل اما القول فقال تعالى وما ينطق عن الهوى اي هوى
نفسه ان هو الا وحي يوحى واما الفعل فتمم قول السبكي اما
الفعل وكانه سقط من القلم سهوا ومن نساخه فاجماع الصحابة
على اتباعه والتاسي به في كل ما اي شي يفعله من قليل
او كثير او صغير او كبير لم يكن عندهم في ذلك توقف ولا بحث عماله

المعجمة

بحرو ربحى في [illegible] على العلم بها وعلى اتباعها
[illegible] كابن جميل [illegible] لاهل صلى المصطفى لما دخل
الكعبة ولما رواه بقضى الحاجة مستقبلا فافتى بذلك وغير ذلك
مما وقع له ولغيره ومن [illegible] صلى الله عليه وسلم
وما عرفوه وشاهدوه منه في جميع احواله من اوله الى اخره استحيى من
الله ان يخطر بضم التحتية من اخطر ليكون من فعله بباله خلاف
ذلك لا بفتحها من خطر لصدقه بخطوره دون فعله ومثله لا يواخذ
به انتهى كلام السبكي زاد به قول الزمخشري معنى الاية جميع ما فرط
منك وقال مقاتل ما كان في الجاهلية وقال سفين الثوري
ما عملت في الجاهلية وما لم تعمل وردها السبكي بانه صلى الله
عليه وسلم ليست له جاهلية وقيل ما كان قبل النبوة ورده بانه
معصوم قبلها وبعدها وقيل ما تقدم حديث مارية وما تاخر
امراة زيد قال وهذا باطل ممن اعتقد ان في قصتهما ذنب فقد
اخطا وقيل غير ذلك مما زيف كله وللسيوطي في ذلك وريقات
سماها القول المحرر واما قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا
تطع الكافرين والمنافقين روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
قال ان اهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي
صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن قوله على ان يعطوه شطر اموالهم
وخوفه المنافقون واليهود وان لم يرجع قتلوه فانزل الله يا ايها
النبي اتق الله الاية فلا مرية لا شك في صرفها عن ظاهرها وذلك
انه صلى الله عليه وسلم اتقى الخلق بالنصوص القطعية والاجماع والامر
بالشي لا يكون الا عند عدم اشتغال المامور بالمامور به اذ لا
يصلح ان يقال للجالس اجلس ولا للساكت اسكت فامره بالتقوى
امر بتحصيل الحاصل وهو محال ولا يجوز عليه ان لا
يبلغ ما اوحي اليه ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان
يطيع الكافرين والمنافقين لا عقلا ولا نقلا حاشاه
الله من ذلك وهذا كله تصوير للاشكال والجواب انه انما
امره الله بتقوى توجب استدامة الحضور في مقام المشاهدة
والقرب اللايق بكماله فامره باستدامة ذلك امر بما لم يكن
حاصلا واجابه عياض بانه ليس في الاية انه اطاعهم والله
سبحانه ينهاه عما شا ويامره بما شا كما قال تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم وما كان طردهم وما كان من الظالمين
انتهى وهو منع للاشكال من اصله وان ابتناه انما هو على عرف
امر الخلق وخطابهم والله تعالى ليس كذلك فله ان ينهى من لم
يقع منه خلافه ويامر بما لم يتصور من المامور خلافه وهذا جواب

حسن

حسن ويايت في المتن بمعناه [illegible] هذا الاشكال
ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان يزداد على [illegible] مرتبته
منزلة العلية حتى كان بالتشديد حاله عليه الصلاة والسلام
[illegible] الى ما هو فيه الان مما تجدد تركه للافضل
خير كان فكان له في كل ساعة تقوى تجدد فتورثه زيادة
العلم وغيره من الكمالات فكان معنى اتق الله دم على الطلب
الازدياد من العلوم والكمالات وقيل المراد دم واظب على
التقوى فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى ان اتيك
والساكت قد اصبت فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه قال
ابن عطية معناه دم على التقوى ومتى امر احد بشي وهو
متلبس به فانما معناه الدوام في المستقبل على مثل هذه الحالة
الماضية وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته
ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون بالتا واليا خبيرا
ولم يقل بما تعمل وعلى الاول فقال ابن عطية هو تسلية للرسول صلى
الله عليه وسلم اي لا عليك منهم ولا من ايمانهم فالله عليم بمن
يتبعك حكيم في هدي من شا واضلال من شا ثم امره باتباع ما يوحى
اليه وهو القران الحكيم والاقتصار على ذلك وفي قوله ان الله
كان بما تعملون خبيرا توعد ما وقرا ابو عمرو وحده يعملون بالتحتية
والتوعد على هذه القراة للكافرين والمنافقين اهـ واما
قوله فلا تطع المكذبين قال ابن عطية يريد قريشا لانهم قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم لو عبدت الهتنا وعظمتها لعبدنا الهك
وعظمناه وودوا ان يداهنهم ويميل الى قولهم فيميلوا هم ايضا
الى قوله ودينه والمداهنة الملاينة فيما لا يحل والمداراة الملاينة
فيما يحل واعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في امره صلى
الله عليه وسلم ونسبته الى ما نسبوه اليه من الجنون نافيا ذلك
عنه بالقسم بقوله ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك
بمجنون مع ما انعم الله به عليه من الكمال الظاهر لكل احد
في امر الدين وللخلق العظيم بقوله وان لك لاجرا غير ممنون
وانك لعلى خلق عظيم اتبعه بما يقوي قلبه ويدعوه
الى التشدد مع قومه المكذبين بالدين وقوي قلبه ويدعوه
بذلك مع قلة العدد الذين معه من المسلمين وكثرة الكفار فان هذه
السورة من اوايل ما نزل فقال فلا تطع المكذبين فنهاه وان كان
لم يقع منه طاعة لهم تقوية لقلبه ليذهب عنه خوفهم المضعف
للقلب فيظهر دين الله بلا خوف والمراد روسا الكفار من اهل
مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم على ان يميلوا الى دينه فلم يفعل

فيها الا الله ان يطيعهم وهذا من الله تهييج للتشديد في
مخالفتهم لان النهي عما لم يقع يقوي تصويبه والمداومة على
عدمه واما قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
من القصص فرضا فاسال الذين يقرؤن الكتاب التوراة من
قبلك فانه ثابت عندهم يخبروك بصدقه الاية اشارة الى ان
الشبهة في تمامها ايضا وهو لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون
من الخاسرين فاعلم ان الناس ... اختلفوا فيمن المخاطب
بهذا فقال قوم المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم ولا ضير
فيه لانه شرط لم يقع نحو لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
او على سبيل الفرض وهذا احسن وقال اخرون المخاطب
به غيره فاما من قال بالاول فاختلفوا على وجوه الاول
ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به
غيره قال بكر بن العلا الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا
بايات الله وهو كان المكذب بسم بلفظ اسم المفعول كقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن
فان المخاطب بذلك هو والمراد غيره لانه اذا طلق انما يطلقهن
لعدتهن وقول البيضاوي خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه
امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى
اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه
لا يخالفه لانه وان كان الحكم يعم لكنه لم يقصد بالخطاب لانه
لا يفعله كما علم كيف وفيه واتقوا الله ربكم فيكون في حقه تحصيل
الحاصل ورد شيخنا كلام المص لظاهر البيضاوي لان المراد غيره
بخصوصه فيصدق بما اذا كان المراد هو وغيره لانه مع غيره بخصوصه
لا يليق لما علم وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك اي يفسد ويسقط
عن الاعتبار ويبطل من حبطت الدابة اذا افرطت في الرعي
حتى ماتت وانتفخت وجعل هذه الاية مشابهة لانها اظهر
في التطبيق بالمحال لان المخاطب الخطاب فيها للرسل كلهم اذ
ولها ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك وافرد لان المراد كل
واحد منهم وهم مبرؤن عن الشرك فالمراد امهم ممن يجوز عليه
الشرك تعريضا وتهييجا لحميتهم حتى ينتهوا عنه وكقوله لعيسى
ابن مريم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
صفة لالهين وصلة لاتخذوني ومعنى دون المغايرة تنبيها على
على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتها
كانما عبدها ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا استحقاقهما

للاستقلال بالعبادة وانما زعموا انها توصل الى عبادة الله وكانه
قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى عبادة الله قاله
البيضاوي ففي التنظير بهذه الاية شي فانه لم يخاطب عيسى مريدا
غيره بل توبيخ الكفرة وخطابهم خصوصا وذلك يوم القيمة وقيل
هذا معتاد واقع كثيرا في القران وكلام العرب وهو باب واسع يسمونه
التعريض والتلويح وله نكات ومقاصد جليلة كحمله على الاذعان
والقبول واطفاء نار الغضب والحمية فان السلطان اذا كانت
له امير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فاراد ان يامر الرعية
بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم بل
يوجهه الى ذلك الامير ليكون ذلك اقوى تاثيرا في قلوبهم
فيبادروا لفعل الامر الثاني قال الفرا لقب ليحيى بن زياد
الكوفي نزيل بغداد النحوي المشهور المتوفى سنة سبع ومائتين
لانه كان يفري الكلام فريا علم الله تعالى ان رسوله صلى الله
عليه وسلم غير شاك قال عياض احذر ثبت الله قلبك ان يخطر
ببالك ما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات
شك له فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز حمله عليه
بل قد قال ابن عباس وغيره لم يشك صلى الله عليه وسلم ولم يسال
ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على هذا ولكن
هذا كما يقول الرجل لولده ان كنت ابني فبرني ولعبده
ان كنت عبدي فاطعني في التنظير بهذا نظر فانما يقول
الرجل ذلك لولده وعبده اذا استشعر منهما نوع تقصير
في حقه والنبي صلى الله عليه وسلم لا تقصير عنده في حق الله
حتى يخاطبه بما يوهم لو ما حاشاه من ذلك وقد يجاب بان
التنظير به من حيث انه يخاطب به مع علمه انه لا شك عنده
من غير ملاحظة لوم على تقصير وان كان هو عليه السلام
ينسب التقصير لنفسه بنحو قوله لا احصي ثنا عليك انت كما
اثنيت على نفسك الثالث ان يقال لضيق الصدر شاك
فالمعنى انه ان ضقت ذرعا صدرا بما تعانى في تقاسي
من تعنتهم واذاهم فاصبروا سال الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك كيف صبر الانبيا على اذى قومهم وقد قال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وكيف كان عاقبة امرهم من النصر
على الكفا فريب فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب
المتقدمة وان القران مصدق لما اي المعاني التي اشتمل عليها
ما جاء في الكتب نضمير فيه راجع لما وصح ذلك رعاية للفظ ما وان

كانهم لولها متعود دا اوتهييج الرسول عليه الصلاة والسلام
اشارته وزيادة تثبيته قال البيضاوي وفيه تنبيه على ان من
خالطته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع
الى اهل العلم او يكون على سبيل الفرض والتقدير اي لان
فرض وقدر وقوع ذلك منك لا امكان وقوع الشك لم لان
هذه الشرطية ممكنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت
هذه الاية والله لا اشك ولا اسال رواه بن جرير عن قتادة
مرسلا لكن بدون قسم وقيل المراد قل للشاك ان كنت في شك من
ديني وفي السورة نفسها ما تدل على هذا التاويل قوله تعالى
قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقيل هو بتقدير
كقوله اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
وقد علم سبحانه انه لم يقل ذلك وقيل معناه ما كنت في شك
فاسال تزداد طمانينة وعلما الى علمك وتيقنا الى تيقنك وقيل
معناه ان كنت تشك فيما شرفناك واعطيناك وفضلناك به
فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضايلك وقيل المراد ان كنت في شك
من اعتقاد غيرك فيما انزلناه حكاه في الشفا واما الوجه الثاني
وهو ان المخاطب غيره صلى الله عليه وسلم فتقديره ان الناس
كانوا في زمانه فرقا ثلاثة فريق منهم المصدقون به وفريق منهم
المكذبون له وفريق المتوقفون في امره الشاكون فيه صفة
كاشفة لمعنى المتوقفون فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال
فان كنت في شك يا ايها الانسان مما انزلنا اليك من الهدى
على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاسال اهل الكتاب
ليدلوك على صحة نبوته فليس هو مخاطب اصلا وهذا مثل قوله
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حتى عصيته ويا ايها الانسان
انك كادح جاهد في عملك الى لقاء ربك وهو الموت ومثل قوله فاذا
مس الانسان ضر دعانا وفي نسخة واذا مس الانسان ضر دعا
بالواو وهي اية قبل هذه في سورة الزمر جواب شرطها دعا ربه
منيبا اليه فان المراد بالانسان هنا في الايات الثلاثة الجنس
لا انسان بعينه وكذا هنا في لئن اشركت ليحبطن عملك خطاب
لكل من يصح ان يحبط عمله وان يشرك لا المخاطب بعينه ولما ذكر
الله تعالى في هذه ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من ان
يلحقوا بالقسم الثالث وهم المكذبون فقال ولا تكونن
من الذين كذبوا بايات الله فتكونوا من الخاسرين
واما قوله تعالى الذين اتيناهم
الكتاب يعلمونه انه اي القران منزل من ربك ملتبسا بالحق

بياض

ونسب

ونسب العلم لجميعهم لعلم احبارهم به وتمكن باقيهم من ذلك بادنى
تامل فلا تكونن من الممترين الشاكين فيه اي من هذا النوع فهو
ابلغ من لا تمتر وحذف جواب اما للعلم به من السوابق واللواحق
وهو فليس المراد انه صلى الله عليه وسلم شك فيما ذكر اول
الاية وهي افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب
مفصلا بل المعنى اي فانهم لا يعلمون ذلك وصوابه باسقاط
لا فالمعنى لا يستقيم على وجودها ولفظ الشفا اي في علمهم
بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه صلى الله
عليه وسلم فيما ذكر في اول الاية وفي الانوار فلا تكونن من الممترين
في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل بجحود اكثرهم وكفرهم به
فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او
يكون المراد قل لمن امترى يا محمد متعلق بقل قدم عليه متعلقه
لا تكونن من الممترين في ان القران نزل عليك من الله وابدى
بحجاته فليس الخطاب له وانما المراد انه صلى الله عليه وسلم يخاطب
به غيره من الكفار قال عياض ويدل عليه قوله اول الاية افغير
الله ابتغي حكما الاية وقيل غير ذلك فقيل الخطاب له والمراد
غيره والقصد تقريرا الكفار بانه حق وقيل الخطاب لكل احد على
ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه
واما قوله ولو شاء الله لجمعهم اي جعل الناس كلهم مجتمعين
متفقين على الهدى كهدايتهم للعقايد الحقة واتباع الشريعة
اللازمة فلا يضل احد منهم عن الطريق المستقيم فلا تكونن من
الجاهلين فنهيه عن ذلك يوهم انه لم يحط به وهو منزه عنه فقال
القاضي عياض لا يلتفت بالبنا للمفعول اي لا يتوجه التفات نظر
الى قوله من قال من المفسرين لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء
لجمعهم على الهدى باسناد الجهل عنه تعالى اليه اذ فيه اثبات
الجهل بصفة من صفات الله تعالى وهي قدرته وعلمه وذلك لا يجوز
على الانبيا لعلمهم بالله وصفاته والمقصود اي
المعنى المراد وعظهم الى الامة اي ارشادهم وتنبيههم على انه لا
يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين اي لا يتصفوا بصفاتهم
من عدم الصبر والحرص على سرعة المراد دينا هو شان الجهلة
وليس في الاية دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه الله
عن الكون عليها [illegible] فالخطاب له والمراد غيره وامره
الله تعالى بالتزام الصبر على اعراضهم بقوله وان كان
كبر عليك اعراضهم الاية المحتوية بالنهي فالمراد بالنهي بالامر
ما يلزم النهي وقد امر بالصبر صريحا في ايات كقوله فاصبر كما

صبرا ولوا العزم ولا يحرج من الحرج وهو ضيق الصدر عند ذلك
اي عند اعراضهم عنه هكذا اضبطه شراح الشفا ويقع بحرفا
في نسخ المصم ولا يخرج عن ذلك من الخروج فمشى عليه الشارح
فقال اي والتزام عدم خروجه عن ذلك فيقارب حاله حال
الجاهل بشدة التحسر التاسف والندم بسبب اعراضهم حكاه
ابو بكر بن فورك بضم الفا العلامة الشهير تقدم غير مرة
وقيل معنى الخطاب لامته صلى الله عليه وسلم لا له
فهو تعريض اي فلا تكونوا من الجاهلين اي ممن اتصف بصفاتهم
حكاه ابو محمد وفي نسخة ابو بكر وهي خطا فكنيته ابو محمد مكي
بالميم بن ابي طالب تقدم ايضا قال مكي ومثله في القران كثير
يخاطب المصطفى والمراد امته وكذلك قوله وان تطع اكثر من
في الارض وهم الكفار بموافقة ما هم عليه يضلوك عن سبيل الله مع
انه علم انه لا يطيعهم فالمراد غيره وان كان الخطاب له فهو تعريض
كما قال تعالى خطابا لغيره يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يردوكم على اعقابكم فهو يبدا ان المراد بالخطاب في تلك
الاية غيره لان القران يفسر بعضه بعضا وقوله تعالى اذ يغشاكم النعاس
يربط على قلبك وقد علم انه لا يشا ذلك فالمراد غيره والتنظير
بهذه بناء على ان المراد الربط المذموم اما على ان المعنى يربط
بالصبر على اذاهم بالصبر على قولهم افتراه وغيره وقد فعل به
فليست مما الكلام فيه ولئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم
سبحانه انه لا يشرك فالمراد غيره وما اشبه ذلك كقوله ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا
من الظالمين وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وقوله لاخذنا
منه باليمين فالمراد غيره تعريضا وايقاظا وان هذه حال
من اشرك بالله لا حاله والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز هذا
عليه هذا فلا بد من تاويله هذا والله سبحانه نهاه عما شاء وان
يمكن وقوعه منه ويامره بما شاء وان استحال عليه تركه نحو اتق
الله فله ان يعامل نبيه بما يمتنع ان يعامله به غيره كما قال
تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم اي يعبدونه بالغداة
والعشي وما كان طردهم عليه السلام عن مجلسه وما كان
من الظالمين اي ممن ظلمهم بطردهم لانه لم يقع منه ذلك
روى ابن حبان والحاكم عن سعد بن ابي وقاص قال لقد
نزلت هذه الاية في ستة انا وعبد الله بن مسعود واربعة
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اطردهم فانا نستحيي
ان نكون تباعك كهولا فوقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم

فانزل الله ولا تطرد الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين وفي
حديث ابن مسعود عند احمد وغيره ان الاربعة خباب
وصهيب وبلال وعمار وانما هم بذلك رجاء اسلام قومه مع ان
ذلك لا يضر اصحابه لعلمه باحوالهم ورضاهم بما يرضاه واما قوله
تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا
القران وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله
والذين هم عن اياتنا اي دلائل وحدانيتنا غافلون تاركون
النظر فيها لانه صلى الله عليه وسلم معصوم من هذه الغفلة
وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام
اذ لم تخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط فلا تعلمها الا بوحينا
والغفلة عن مثل ذلك مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وفي
التعبير بالغفلة اشارة الى شدة استعداده للعلم بما لم يعلم
حتى كانه كان عالما به ونسيه روى ابن جرير عن ابن عباس
قال قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله نحن نقص
عليك احسن القصص وروى ابن مردويه عن ابن مسعود
مثله واما قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله الاية من الشيطان الرجيم مع عصمته من تسليطه عليه باذاية
او وسوسة وان كانت ان الشرطية لا تقتضي لوقوع فمعناه يستخفنك
بغضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فهي راجعة لقوله قبلها
واعرض عن الجاهلين اي لا تكافئ السفها الذين اغضبوك
بمثل افعالهم واعرض عنهم فهذه الاية كما قيل جامعة
لمكارم الاخلاق ولذا قال له جبريل لما سال عنها ان
الله تعالى امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك فهذا من مكارم الاخلاق ويحمل
الاعمال لا من شيء بسبب الغضب على الجاهل وجزاؤه بمثل
فعله تاديبا له لا يعد من نزغ الشيطان والاستعاذة مشروعة
عند الغضب فليست الاية منسوخة باية القتال كما قيل
والنزغ ادنى اقل حركة تكون توجد كما قاله الزجاج وفي
الانوار النزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس
اغراءهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه وقيل
النزغ في الاية الفساد فاصل معناه الطعن ثم شاع استعماله
في كل مفسد كقوله من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي اي افسد ما بيني وبينهم وقيل معناه يغرينك
ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله انه متى تحرك
عليه غضب على عدوه لسوء ما وقع منه او رام الشيطان

من اغوائه بغين معجمة وراي ابقاعه بو كحثه على قتله وقرانه بغين وزاي معجمتين تصحيف وخواطر ادنى اقل وساوسه جمع وسواس مالم يجعل له سبيل اليه لعصمته مفعول رام ان يستعيذ به تعالى منه فيقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا يطيعه ويفعل نزغه فيكفى امره بصرفه عنه ويكون ذلك سبب تمام عصمته لانها من مجرد الخاطر نهاية الحفظ والمنع اذ الخطور بالبال لا يصرفها اذا لم يسلط الشيطان عليه باكثر من المتعرض له فضلا عن التمكن منه وايصال اذيته له ولم يجعل له قدرة عليه فيرجع خايبا خاسرا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك بان يتمثل بمثاله ويقول انا ملك ارسلني الله اليك لحفظ الله تعالى له عنه ويلبس بزنة تخليط ومعناه عليه امره لا يقع ذلك لا في اول الرسالة اي اول دعوة الخلق الى الله ولا بعدها الظاهر بعده اي بعد الاول واسقط من عياض قوله والاعتماد في ذلك دليل المعجزة اي اعتماده في ان ذلك وحي دليل على انه معجزة له اي وهو يعتمد على ما ظهر له من المعجزة كتسليم الحجر والشجر بل لا يشك النبي اي نبي كان نبينا وساير الانبيا ان ما ياتيه من الله هو الملك ورسوله اليه حقيقة بلا شك اما بعلم ضروري يخلقه الله له بديهي لا يحتاج لدليل لعدم تردده فيه او ببرهان دليل قطعي يظهره لديه بما يشاهده من الايات كنطق الحجر وتسليم الشجر كما قدمنه في المقصد الاول عند ذكر البعثة وكل ذلك لتتم كلمة ربك بتبليغ احكامه ومواعيده صدقا في خبره له ومواعيده وعدلا في ما حكم به من الاحكام التي بلغها وهما تمييزان محولان عن الفاعل وحالان لا مبدل لكلماته اي لا يمكن تغييرها ولا تنسخ بعد ما بلغت غاية لا تقبل الزيادة عليها ولذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم اخر الشرايع وهذا تعليل لحفظه من تصور الشيطان بصورة ملك فيكون ما يلقيه تخليط قابل للتبديل ولذا عقبه بقوله واما قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي عطف عام على خاص فيفيد ان المراد بالارسال الايحا وفايدة ذكره النبي غير الرسول لاسيما من لا اتباع له ان كل نبي يجب عليه اعلام غيره بانه نبي لئلا يحتقر وحينئذ فيتطرق لسماع تلاوته ووعظه فيلقي الشيطان ذلك للتلبيس الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فظاهره ان الشيطان يخلط عليهم الوحي عند التلاوة فيخالف ما قبله واجيب عن ذلك باجوبة فاحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين اي اكثرهم ان التمني المراد به هنا التلاوة كقول حسان.

تمنى

تمنى كتاب الله اول ليلة ❊ تمنى داود الزبور على رسل ❊

ومنه قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وليس تمنى هنا تفعل من منى بمعنى قدر كقوله

لا تامنن وان امسيت في حرم ❊ حتى تلاقي ما تمنى لك الماني ❊

اي ما قدره لك المقدر والتمني امر يقدره المرء في نفسه والظاهر تفسير التلاوة هنا بالقراة ليشمل المواعظ والحكم والاذكار والدعا فان الشيطان كما يتسلط على قاري القران يتسلط على الذاكر ونحوه وان كانت القصة انما كانت عند قراته لسورة النجم التي هي سبب نزول وما ارسلنا الاية كذا قال الشم ولا دخل في ذلك للاستنباط ومع كون النص التمني والامنية المفسر بالتلاوة فلا يقاس عليه غيره وتعليله بتسلط الشيطان على الذاكر ونحوه من حيث هو لا ينهض هنا كما لا يخفى وان القا فنصبه عطفا على التمني وخفضه على ضمير به اي والمراد بالقا الشيطان فيها اي امنيته اي متلوه اشغاله الذي في الشفا شغله يريد ضربه وهي الفصحى قال تعالى شغلتنا لكن في القاموس شغله كمنعه شغلا ويضم واشغله لغة جيدة او قليلة او ردية والمصدر مضاف للفاعل اي اشغال الشيطان التالي بخواطر امور دنيوية تخطر على قلبه فتشغله عما تلاه واذكار بذال معجمة جمع ذكر بالكسر والضم احاديث قلبية فيساوي تحدث وافكار بالفا من امور الدنيا بيان لهما للتالي صفة لخواطر واذكار اي كاينة وعارضة ومتعلق باشغال حتى يدخل الشيطان عليه الوهم بفهم غير المراد من المتلو والنسيان الواو بمعنى او فيما تلاه بنا على جواز ذلك على الانبيا اما على الاصح من منعه فيقال حتى يدخل على افهام السامعين او يدخل عطف على اشغال من عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح فكانه قيل القاوه اشغاله او ادخاله غير ذلك التوهم والنسيان على افهام السامعين وبين الغير بقوله من التحريف لما تلاه عليهم وسوء التاويل الناشي عن تحريف ما سمعوه ما يزيله الله مفعول القا وينسخه يحوله من الباطل الى الحق ويكشف لبسه يزيله ويبينه ويحكم اياته يحققها ويظهرها قاله القاضي عياض في الشفا وقد تقدم في المقصد الاول مزيد لذلك بفوايد نفيسة قال في الشفا بعد هذا تعليل واما قوله عليه الصلاة والسلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي لما عاد من خيبر او من الحديبية او بطريق تبوك روايات وقد اختلف هل كان النوم مرة او مرتين ورجحه عياض وتبعه النووي ومر هذا مبسوطا في خيبر

وغيرها ان هذا واد به شيطان لفظ الموطا ولمسلم ان هذا
منزل حضرنا فيه الشيطان فليس فيه صريحا ذكر تسلطه
عليه اذ على قرب سرادق حمايته وعصمته ولا وسوسته
له لعصمته ونزاهته عن مثله بل ان كان ذكر في الحديث
ما يوهم تسلطه عليه بمقتضى ظاهره قبل التامل فيه
فهو انتقال عن لفظ صريحا المقدر فكانه قيل سلمنا انه
ليس صريحا فهو ظاهر في ذلك والشبهة يكتفى في ايرادها
بمقتضى الظاهر فدفع ذلك بانه لا يصح الحمل هنا على مقتضى
الظاهر لانه صلى الله عليه وسلم بين ان ذلك الظاهر ليس
بمراد كما افاده بقوله فقد بين كشف عليه السلام امر ذلك
الشيطان بقوله فيما رواه مالك عن زيد بن اسلم مرسلا ان
الشيطان اتى بلالا وهو قايم يصلي فلم يزل يهديه حتى
وفي حديث ابي قتادة في الصحيحين سرنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة فقال بعض القوم يا رسول الله لو عرست
بنا فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال انا
اوقظكم ونام رسول الله واصحابه وفي مسلم فصلى بلال ما قدر
له ثم استند الى راحلته وهو مقابل الفجر فغلبته عيناه
وفي حديث زيد ابن اسلم ووكل بلالا ان يوقظهم للصلاة
فرقد بلال ورقدوا فلم يزل يهديه بضم التحتية وسكون
الهاء وكسر الدال مخففة وياء ساكنة قال ابن عبد البر المحدث
اهل الحديث يروون هذه اللفظة بلا همز واصلها عند
اهل اللغة الهمز وقال في المطالع هو بالهمز اي يسكنه
وينومه من هدات الصبي اذا وضعت يدك عليه لينام
ورواه المهلب بلا همز على التسهيل ويقال ايضا يهدهد به
بنونين وروي يهدهده من هدهدت الام ولدها لينام
اي حركته كما يهدي الصبي الصغير في مهده حتى نام
بلال وفي هذا تانيس لبلال واعتذار عنه وانه ليس
باختياره فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم الناس بهذا
القول ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على
بلال الموكل بكلاءه بكسر الكاف وفتح اللام والمد والهمز اي
بحراسة الفجر وقد تبدل همزته كما في النهاية وغيرها وفي لغة
بفتح الكاف واللام والقصر وضمن معنى المراقبة اي مراقبة
طلوع الفجر ليوقظهم وقيل المراد كلاءة صلاة الفجر بتقدير
مضاف وله وجه وجيه هذا المذكور ان ظاهره
تسليط الشيطان وصرفه الى بلال ان جعلنا قوله

هذا واد به شيطان تنبيها مفعول له على سبب النوم على
الصلاة وهو تنويم الموكل بحراسة الوقت واما ان جعلناه
تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة
به مع ان الاصل في قضا الفايتة بعذر المبادرة بفعلها وقد
امرهم بالارتحال وهو دليل اي مدلول اي ما يستفاد من
مساق بفتح الميم مصدر بمعنى ساق كما في التسهيل او بمعنى سوق
كما في الانوار حديث زيد بن اسلم في الموطا قال عرس صلى الله
عليه وسلم ليلة بطريق مكة ووكل بلالا ان يوقظهم للصلاة فرقد
بلال ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس فاستيقظ
القوم وقد فزعوا فامرهم صلى الله عليه وسلم ان يركبوا حتى
يخرجوا من ذلك الوادي وقال ان هذا واد به شيطان فركبوا
حتى خرجوا من ذلك الوادي ثم امرهم ان ينزلوا وان يتوضوا
وامر بلالا ان يوذن بالصلاة او يقيم فصلى بالناس الحديث
وعلى ما يفيده سياقه هذا فلا اعتراض به في هذا الباب
المعقود في ان الشيطان لا تسلط له على الانبيا لبيانه اي حديث
زيد ووضوح دلالته على ما ذكر وارتفاع اشكاله اي زواله اصلا
حتى استغني عن الجواب لعدم احتماله ما يخالفه قال
القاضي عياض بعد هذا بكثير واما قوله تعالى عبس كلح وجهه
وتولى اعرض عنه ان جاءه الاعمى الايات التي اخرها فانت عنه
تلهى التي استدل بها مجوزوا الصغاير على الانبيا لما يشعر به
ظاهرها من وقوع شي عوتب عليه فليس فيها اثبات ذنب
له عليه الصلاة والسلام ولا يجوز عليه بل اعلام الله تعالى
له صلى الله عليه وسلم بان ذلك المتصدي اسم مفعول نايب له
اي اقبل عليه وتوجه له واصله مقابلة الشي كما يقابله الصدى
الصدى وهو الصوت الراجع اليه من جبل ونحوه كما قاله
الراغب وفي التعبير به نكتة وهي ان كلامه فضول لا عبرة به كما
قال المتنبي
انا الطاير المحكي وغيري هو الصدا ممن لا يتزكى اي لا يسلم فيتطهر
من دنس الشرك اي باعتبار ما في نفس الامر وقراين الاحوال
الدالة على فرط عناده وبعده عن الحق ويدل للاول قوله
اعلام الله وقوله وان الصواب والاولى كان لو كشف له
حال الرجلين ابن ام مكتوم ومن كان عنده من المشركين
واقتصر على الاقل والا فانكفره كانوا جماعة والمتكلم معه
منهم واحد وحالهما عدم تزكي الكافر وانتفاع الاعمى لاختار
الاقبال على الاعمى دون غيره روي ابن ابي حاتم عن ابن عباس

ان ابن ام ابى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم
الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك
ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه
وعبس واعرض عنه فنزلت واخرج الترمذي والحاكم عن
عائشة قالت انزل عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند
رسول الله رجل من عظما المشركين فجعل يعرض عنه ويقبل
على الاخر فيقول اترى بما اقول باسا فيقول لا فنزلت عبس
وتولى ان جاءه الاعمى وروى ابو يعلى مثله عن انس وابن ابي
عطية قيل الرجل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وقيل شيبة وقيل
العباس وقيل امية وقيل ابي ابن خلف وقال ابن عباس كان
في جمع منهم عتبة والعباس وابو جهل انتهى وعلى ان العباس
منهم لا ينافي انه تزكى لان المعنى لا يتزكى في وقت الاعراض عن
الاعمى وانما تزكى العباس بعد بكثير وفعل النبي صلى الله عليه
وسلم بكسر اللام والتخفيف او بفتحها والتشديد ...
العبوس والاعراض ونصد به لذلك الكافر ... طمعا
... بلاغه فهو فعل حسن وامر لازم له واستئلافا
استمالة له لذلك فرجا اسلامه كما شرع الله له وفرضه بالتبليغ
ولين الجانب لمن يدعوه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة لا معصية ولا مخالفة له اي لما شرعه وذكر هذا
بعد قوله فليس فيه اثبات ذنب تنبيها على انه ليس مباحا
فقط بل طاعة واجبة وما قصه الله تعالى عليه من ذلك
اعلام بحال الرجلين وتوهين بالرفع عطف على اعلام
اي تضعيف امر الكافر عنده وانه لا قدر له يعتد به والاشارة
الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وفي القا الكلام
له بدون الخطاب اكرام له صلى الله عليه وسلم عن ان يواجه بالعتب
لا مبالغة في العتب لان فيه بعض اعراض كما زعم ابن عطية
اي ليس عليك باس في انه لا يتزكى بالاسلام اي لا يبلغن
بك الحرص على اسلامهم لانه كان شديد الحرص على اسلام قريش
واسماعهم لما جبله الله عليه من الرافة والرحمة ان تعرض
عمن اسلم للاشتغال بدعوتهم الى الاسلام ان ما عليك
الا البلاغ وقد فعلت واما قوله وما يدريك لعله يزكى
فضميره لابن ام مكتوم وقيل للكافر اي اذ طمعت في ان يزكى
بالاسلام او يذكر فتنفعه اي تقربه الذكرى الى قبول الحق
وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن ورجح الاول بان ما في القران

من

من يدريك فهو مما اعلمه الله به وما فيه من ادراك مما لم يعلمه
به وايضا فالكافر لم يسبق له ذكر صريح زاد عياض وقيل المراد
عبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ابو تمام انتهى وتعقب بانه قول في غاية الضعف بعيد
من السياق مخالف لقول المفسرين انه النبي صلى الله عليه وسلم
وزاد المصنف على الشفا قوله وقد كان ابن ام مكتوم يستحق التاديب
والزجر بحسب ظاهر الحال اذ في قطع كلامه ايذاء له لانه وان فقد
بصره كان يسمع مخاطبة النبي الرسول صلى الله عليه وسلم
لاولئك الكفار الذي كان يدعوهم الى الله وكان يعرفه
بواسطة السماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه السلام
بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه السلام بعد
سماعه ايذاء له عليه السلام وذلك معصية عظيمة واعتذر
عنه بان شدة حرصه على طلب ما ينفعه من النبي صلى الله عليه
وسلم واشتغاله به صرفه عن معرفة انه كان مشغولا بتاليف الكفار
فثبت ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذي
فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين
اذ هو مامور بالابلاغ والدعوة برفق وقد كان عليه الصلاة
والسلام ماذونا له في تاديب اصحابه لكن ابن ام مكتوم
بسبب عماه استحق مزيد الرفق به فذكره الله في كتابه بلفظ
الاعمى وانه جاء يسعى اي يمشي مع عجزه اشارة لذلك وللصفح عنه
وذكر من فضله انه يخشى اي الله تعالى وانه يزكى او يذكر فتنفعه
الذكرى وروى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا راه بعد ذلك قال
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه واستخلفه على المدينة
مرارا فقال انس رايته يوم القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع
قيل استشهد بها وقيل بل شهدها ورجع فمات بالمدينة ولم يسمع
له بذكر بعد عمر ومر بعض شي من مناقبه في غير موضع رضي
الله عنه واما قوله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم في التخلف
عن الغزو الاية فروى ابن ابي حاتم عن مسعر بكسر الميم وسكون
السين وفتح العين المهملتين عن عون بالنون ابن عبد الله ابن
عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه ثقة المتوفي
في حدود السبعين بعد المائة قال هل سمعتم ... احسن من
هذا بدا بالعفو قبل المعاتبة اتصورته لما ياتي ان ... به بداء
على التعظيم لا ينافيه قوله الاتي لم يعد هذا اهل العلم معاتبة
لانهم لما راوه في غاية الملاطفة ولم يظهر منه لوم لم يعدوه
معاتبة لان شانها ان تكون على جهة لوم من المعاتب ولهذا

قال لم بعدوه ولم يبين لهم نفي المعاتبة من اصلها وكذا قال مورق
بضم الميم وفتح الواو وكسر الرا الثقيلة وقال العجلي ابو المعتمر
البصري تابعي ثقة عابد مات سنة اثنين ومائة نسبة الى عجل بن
بكر بن وايل وغيره وقال قتادة عاتبه الله كما تسمعون
في براءة ثم انزل في سورة النور فرخص له في ان ياذن لهم
ان شا فقال تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم امرهم
فاذن لمن شيت منهم بالانصراف ففوض الامر اليه عليه
الصلاة والسلام لكن انما يتم هذا ان كان التفويض سابقا
على الاذن اما ان كان بعده كما يشعر به تعبيره بثم فلا يظهر
ذلك وقال عمرو بفتح العين بن ميمون بن مهران الجزري
ثقة فاضل من رواة الجماعة مات سنة سبع واربعين ومائة
اثنتان فعلهما النبي صلى الله عليه وسلم لم يومر فيهما بشي اي لم
يبين له فيهما شي لا بطلب فعل ولا ترك اذنه للمنافقين في التخلف
عن الغزو واخذه الفدا من الاسرا ببدر فعاتبه الله تعالى كما
تسمعون في القران واما قول بعضهم ان هذه الاية تدل على
انه وقع من الرسول ذنب لانه قال تعالى عفا الله عنك لم اذنت
لهم والعفو يستدعي سابقة بلام وقاف اي مسابقة ذنب هذا قول
من يجهل لغة العرب كما ياتي وقول الاخر ممن يجوز الصغاير
عليهم قوله تعالى لم اذنت لهم استفهام بمعنى الانكار والانكار
يقتضي ذلك فاعلم انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب
ذنبا اذ لا يتقدم فيه نهي من الله حتى يكون ذنبا ولا عده الله
عليه معصية ولفظ عفي لا يقتضي ذلك ولا يستلزمه وقيل لا يقال
ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه
تفسير كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا
الله عنك ما صنعت في امري اتيا بالعفو قبل الاستفهام
حتى لا يبدا به خطابه تعظيما ورضي الله عنك ما جوابك
عن كلامي وعافاك الله الا بفتح الهمزة اداة استفتاح عرفت
حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا زيادة التعظيم
والتبجيل تحاشيا عن جعل الاستفهام اول كلامه للمعظم عنده
وليس عفا هنا في الاية بمعنى غفر اي ستر وترك المواخذة
بمعنى لم يلزمك [illegible] في الاذن كما [illegible] صلى الله عليه وسلم
[illegible] ولم يجب عليهم
زكاة في خيل ورقيق قط اي لم يلزمكم ذلك فليس معناه
اسقاط ما كان واجبا ولا تركه غفرته هنا وهذا الحديث
رواه ابو داود والترمذي والنسائي عن علي مرفوعا بلفظ قد

عفوت

عفوت لكم عن زكاة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة الحديث
بطوله فما زعم بعضهم عياضا متبوع المهم بانه لم يقف عليه بلفظ
عفي الله لكم وتعقب بان عياضا من الحفاظ وقف عليه ومثله
لا يقدح له العصبي ونحوه اي ما ذكر القشيري بلفظه من قوله
وليس عفا بمعناه من اول قوله واعلم ولفظه عنه عياض
ومعنى عفا الله عنك لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها
تكرمة وقال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك
وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله قال القشيري
وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام
العرب فيقف على معانيه الواردة في لغتهم كعدم اللزوم
الوارد في كلام افصح العرب واصل معنى العفو الترك وعليه
معانيه واما الجواب عن الثاني فيقال على طريق التنزل
مع الخصم اما ان يكون صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم
ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير ان يكون
قوله لم اذنت لهم انكارا عليه اذ من لم يذنب لا ينكر عليه فعله
وان قلنا انه صدر عنه ذنب وحاشاه الله من ذلك اي نزهه
فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصوله
يستحيل ان يتوجه الانكار عليه اذ بعد العفو كانه لم يقع منه
فثبت انه على جميع التقادير اي التقديرين المذكورين بنا
على ان الجمع ما زاد على واحد يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت
لهم يدل على كون الرسول مذنبا كما ادعى ذلك البعض وهذا
جواب شاف من هذا الدا العضال وهو نسبة ذنب الى افضل
الخلق كاف في دفع شبهة الخصم قاطع لها اصلا لما فيه من التنزل
معه وعند هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل
فقط لا على الانكار بل لم يعد هذا اهل العلم اي احد منهم معاتبة
بفعل خلاف الاولى وغلطوا من ذهب الى ذلك من المفسرين
قال نفطويه بنون ففا فقاف مضمومة فواو ساكنة فتحتية
مفتوحة عند اصحاب الحديث لانهم لا يحبون ويه وعند الادبا
بفتح الطا والواو وسكون اليا وهو لقب لابراهيم بن محمد
الازدي النحوي لدمامة منظره مات سنة ثلاث وعشرين
وقيل اربع وعشرين وثلاث مائة ذهب ناس الى ان النبي
صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه الله
ذلك اي براه ونزهه واصل معناه جعله في حشا اي جانب
بل كان مخيرا في الاذن وتركه وقد كان له ان يفعل ما شا
فيما لم ينزل فيه شي فكيف وقد قال الله تعالى فاذن لمن شيت

منهم هكذا في كلام تفطو به اي فتعليق الامر بالمشيئة صريح في انه
مخير فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا ولو امروا بالخلاف لانهم قعود لنفاقهم وهم يدعون
بالاستيذان انه لو لم ياذن ما تخلفوا فان اظهر كذبهم وانكشف
غطاهم لزم شق العصى وما يترتب عليه فكان ما فعله اولى
واصوب واعلمه انه لا حرج لا وزر ولا اثم عليه في الاذن لهم
بقوله عفى الله عنك حيث لم يلزمك ان لا تاذن حتى يتبين
لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اي لو صبرت لتبين لك
امرهم وهو اشارة الى كمال الرفق به صلى الله عليه وسلم وانه لم يقع
منه تقصير يقتضي العتاب ولا خطا في الاجتهاد ولا ارتكاب
خلاف الاولى وما احلى قول ابن المنير في تفسيره عفى الله عنك
دعامة في الكلام يقصد بها ملاطفة المخاطب وهو عادة العرب
في التلطف بتقديم الدعا لاستدعا الاصغا وخبر معناه لا عهدة
عليك فهو تخصيص وتمييز لان الاذن ذنب يتعلق به العفو
لان تحمله ومسامحته لهم مع اذاهم حملا للمشقة على نفسه واسقاطا
للحظوظ فهو عتب عليه بلطف لا ملامة فيه اي قد بلغت
في الامتثال والاحتمال الغاية وزدت ما اجحف بك في محبة
الله وطاعته والرفق بالبر والفاجر واين هذا من التخطئة
التي نزع بها الزمخشري عرق العجم لاساءة الادب على المصطفى
واراد بعضهم ان يصلح فافسد فقال بدا بالعفو قبل العتب
ولو عكس انقطع نياط قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب في
حيفه على نفسه وهو تخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح وهذا
كما قيل له اوجهد وجد في العبادة ما انزلنا عليك القران
لتشقى فلعلك باخع نفسك [illegible]
[illegible] لنبي ان تكون [illegible] بالنار اليا [illegible]
الارض تريدون عرض [illegible] حطامها باخذ الفدا
يريد الاخرة اي ثوابها بالقتل [illegible] ولم عظيم [illegible]
[illegible] افراده عن البخاري وهو [illegible] ثالثة من مراتب الصحيح
[illegible] المركين
[illegible] وسبعون مثله في حديث
[illegible] عند البخاري وابن عباس عند مسلم ووافقهم اخرون
وبه جزم ابن هشام محتجا له بقوله اصبتم مثليها لاتفاق
اهل التفسير على ان الخطاب لاهل احد واصابتهم مثليها
يوم بدر وان اتفق اهل السير على ان القتلى خمسون يزيدون
قليلا او ينقصون وعدهم ابن اسحاق خمسين وزاد الواقدي

ثلاثة

ثلاثة او اربعة وابن هشام زيادة على ستين لانه لا يلزم من
عدم معرفة اسما من قتل على التعيين ان يكونوا جميع القتلى
استشار النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا وفي رواية
احمد عن انس فقال ان الله قد مكنكم منهم وانما هم اخوانكم
بالامس فقال ابو بكر يا نبي الله هولا بنو العم والعشيرة
والاخوان واني ارى ان تاخذ منهم الفدية فيكون ما
اخذناه منهم قوة اي مقويا لنا على الكفار وعسى ان
يهديهم الله للاسلام فيكونوا لنا عضدا ناصرين فحاصله
انه راي عدم القتل استبقا للقرابة ولرجا اسلامهم مع اخذ
الفدية مراعاة للجيش ليقووا على الكفار فقال صلى الله عليه
وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى ما راى
ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر
فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل
اخيه شقيقه فيضرب عنقه وتمكن من حمزة من فلان اخيه
يعني العباس فيضرب عنقه اي يقتله حتى يعلم الله انه ليس
في قلوبنا هوادة بفتح الها والواو فالف فدال مهملة فها ميل
ورجوع للمشركين زاد في رواية هولا ايمة الكفر وصناديد
قريش وايمتهم وقادتهم فاضرب اعناقهم ما ارى ان تكون لك
اسرى فانما نحن راعون مولفون فهوي بكسر الواو احب
ما هوي ابو بكر ولم يهو ما قلت لما جبل عليه من الرافة والرحمة
في حالة ابدائهم له فكيف في حال قدرته عليهم ولم يذكر ما عني
على لانه لم يظهر له مصلحة حتى يذكرها ولانه لما راي ان المصطفى
هوي قول ابي بكر ان الصواب فسكت عليه فاخذ منهم الفدا
فلما كان من الغد [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا
هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله
اخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك لان عمر ما تغير رايه
فان وجدت بكا اي سببا له [illegible] بكيت نطا وعني عيني في نزول
الدمع بكيت وان لم اجد [illegible] تباكيت اي تشبهت بالباكين [illegible]
تكبا وان لم تسل دمع فقال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] اخذهم الفدا
ضمنه معنى نزل فعداه بعلى في قوله [illegible]
عرض علي عذابكم اي اظهر لي فقال عرض له امر اذا ظهر [illegible]
اقرب من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه فانزل الله تعالى
وفي حديث ابن مسعود عند احمد والترمذي فنزل القران بقول عمر
ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله عظيم
وفي حديث انس عند احمد فانزل الله لولا كتاب من الله سبق

لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا
الله ان الله غفور رحيم فقال صلى الله عليه وسلم انه كاد ليمسنا
في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما افلت
منه الا ابن الخطاب وقوله حتى يثخن اي يكثر القتل ويبالغ
فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي
اهله على البلاد وقيل معنى يثخن يتمكن في الارض وما كان
نفي للكون وجا بمعنى لا يليق ولا ينبغي ان يأتي به وبه فسره المستدل
بالاية على الصغاير وقدر ده بقوله ليس في هذا الزام ذنب
للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما نص به واكرامه وفضل
به من بين ساير باقي الانبيا عليهم الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فكانه عز وجل قال ما كان هذا اي لم يقع لنبي غيرك
كما قال عليه الصلاة والسلام احلت لي الغنايم وفي رواية
المغانم ولم تحل لنبي قبلي قيل ليس في الاية دليل على ما قال
المهم بخلاف الحديث ورد بان الفدا في معنى الغنايم لانه مال
ماخوذ من الكفرة فذكر الحديث اشارة الي انه مويد هذا التاويل
وفي المسايل الاربعين للرازي العتاب وقع هنا على ترك
الاولي لان الافضل في ذلك الوقت الاثخان وترك الفدا قطعا
للاطماع ولولا انه خلاف الاولي ما فوضه صلى الله عليه وسلم
لاصحابه وفي حواشيه للقرافي الصواب انه فوض الاجتهاد في امر
الاسري له ففوضه لاصحابه فراي عمر القتل وكان هو المصلحة
وهو من احدي موافقاته واجتهاد الصحابة لم يرد للمصلحة
تخلص عمر ولم يواخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبذل جهده في اجتهاده
فله الاجر ولذا قال عرض على عذابكم دون عذابه لخروجه
من موجبه ببذل جهده والي هذا ذهب فحول العلما جمعا بين
ظاهر الاية وما يجب لمقامه صلى الله عليه وسلم من العصمة
واما قوله تعالي تريدون عرض الدنيا الوارد بحسب الظاهر
على اخباره ان الغنايم خصوصية له اذ لو كان كذلك ما عوتبوا
باخذ الفدا بقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
فقيل في الجواب المراد بالخطاب من اراد ذلك منهم اي
الصحابة [illegible] خلا [illegible] عرضا بفتحتين اي قصده
[illegible] [illegible] اغني قصد ثواب
[illegible] [illegible] لما قبله [illegible] باخذ ما ينالهم
[illegible] هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لشرف
نفسه [illegible] البطولها ولا علية بكسر العين واسكان اللام وخفة اليا
اي [illegible] صحابه كابي بكر وان اشار بالفدا فلرجا الاسلام والتقوى

على الكفار ومراعاة القرابة كما مر بل اضراب انتقالي فقد روي
عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل
الناس بالسلب بفتحتين ما يسلب اي يوخذ من القتلي من لباس
ونحوه وجمع الغنايم عن القتال متعلق باشتغل حتى خشي عمر
ان يعطف يرجع عليهم العدو وكرابهم قال تعالى لولا كتاب من
الله سبق تقدم على هذه القصة باحلال الغنايم والاسري لكم
لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فاختلف المفسرون في معنى
هذه الاية فاذا اردت بيان لمعناه فقيل معناه كما نقله الطبري
عن محمد بن علي بن الحسين لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا
بعد النهي لعذبتكم على ما اخذتم من الفدا اذ لو كان منهيا
عنه محرما لاستحق بمخالفته العذاب فالمراد بالكتاب حكم الله
الذي كتبه وقدره فهذا التفسير ينفي يمنع ان يكون امر الاسري
اي فداؤهم معصية لعدم النهي عنه وقيل المعنى لولا ايمانكم
بالقران وهو الكتاب السابق المراد في قوله لولا كتاب من الله
سبق فاستوجبتم به الصفح عدم المواخذة لعوقبتم على اخذ
الغنايم وما في حكمها من الفدا قال عياض ويزاد هذا القول
تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مومنين بالقران وكنتم
ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدي اي تجاوز
ما نهي عنه فالكتاب على هذا القران وسبقه تقدمه ازلا ولتقدم
ما نزل وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع
ما هو كاين انها اي الغنايم حلال لكم الانتفاع بها والتصرف
فيها لعوقبتم على اخذها وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان
من فعل ما احل له لم يعص فلا دليل فيها على تجويز الصغاير
على الانبيا واصرح من ذلك ما قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا اي انتفعوا به لا خصوص الاكل وذكره لكثرته
وغلبته واستدل به الاكثر على ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة
وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير في ذلك اخذ الفدا
والقتل فلما اخذ قيل كان الاولي خلافه ويدل على انه خير انه
قد روي بسند الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم باسناد
صحيح مما كان ينبغي تعبيره بروي عن علي [illegible] [illegible]
السلام [illegible] [illegible] [illegible]
فقال [illegible] [illegible] تقتلوا وان
شاوا الفدا فليفدوا وعلى ان يقتل منهم في العام
التالي لهذا العام اي ان الله قدر عليهم ان اخذوا الفدا
يقتل من الصحابة مثلهم سبعين فقالوا لنختار الفدا ويقتل

منا مثلهم رغبة في الشهادة وعند ابن سعد من مرسل قتادة
فقالوا بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل قابل منا الجنة
سبعون ففادوهم وهذا [illegible] على انهم لم يفعلوا الا ما اذن
لهم فيه فلا ذنب ولا معه [illegible] بعضهم مال الى اضعف الوجهين
وهو الفدا باجتهاده وهو جايز بحضرته عليه السلام مما كان
الاصلح للاسلام غيره من الاثخان والقتل الذي هو اعز الوجهين
بيان لغيره فعوتبوا على ذلك اي اختيارهم غير الاصلح وبين لهم
ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وهو عمر فكلهم
غير عصاة ولا مذنبين لان كلا منهم اختار ما ادى اليه اجتهاده
ظانا ان الخير فيه قال عياض والى نحو هذا اشار الطبري
وقوله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السما ما نجا منه
الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه
في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية
لو استوجبت عذابا لنجا عمر وغيره لانه اول من اشار بقتلهم
ولكن الله لم يقدر عليهم ذلك لحله لهم فيما سبق وقال الداودي
الخبر بهذا لم يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن انه صلى الله عليه
وسلم يحكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر فيه
اليه وقد نزهه الله عن ذلك هكذا في الشفا قبل قوله وقال
القاضي بكر بن محمد بن العلا بن محمد البصري ثم المصري احد
كبار المالكية والمحدثين له تصانيف جليلة قد تقدمت
ترجمته اخبر الله تعالى نبيه في هذه الاية ان تاويله ع
وافق ما كتبه له من احلال الغنايم والفدا وكيف لا يكون
الفدا حل لهم قبل ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم قبل هذا
اي غزوة بدر فادى في سرية عبد الله بن جحش الاسدي
ابن عمته عليه السلام اميمة احد السابقين الاولين استشهد
باحد التي قتل فيها عمرو بن الحضرمي بسهم رماه به واقد
ابن عبد الله وذلك انه عليه السلام بعث عبد الله في سرية يعترض
عير قريش فنزلوا ببطن نخلة وقاتلوا فقتل ابن الحضرمي واسر الحكم
وعثمان بن عبد الله بالحكم بن كيسان متعلق بفادى لا بقتل
وكان الاولى حذف الباء [illegible] انه المقداد بن الاسود فاراد ابن
جحش قتله فقال المقداد دعه تقدم به على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاسلم وحسن اسلامه واستشهد ببير معونة وصاحبه عثمن
ابن عبد الله ذهب حين فدي الى مكة فمات بها كافرا فما
عتب الله ذلك عليهم فلو كان ممنوعا لعتبه وذلك قبل
بدر بازيد من عام بعد اشهر لان السرية كانت في رجب

وقيل

وقيل في جمادى الاخرة وبدر في رمضان كلاهما في ثانية
الهجرة فبينهما اقل من ثلاثة اشهر وقد تعقبوا الشفا منوح
المهم بهذا ومثله لا يخفى عليهما ولكن الكمال فهذا كله يدل
على ان فعل النبي صلى الله [illegible] في شان الاسرى كان
على تاويل باجتهاد منه ومن [illegible] وبصيرة جريا على
ما تقدم قبل اي قبل ذلك الفعل مثله فلم ينكره الله عليه
لكن الله تعالى اراد بقوله ما كان لنبي الخ لعظم امر بدر بكسر
المشركين وارعاب قلوبهم لو ازدادوا ذلك بقتل الاسرى
كان اقوى وكثرة اسراها جمع اسير والله اعلم بما اراد جملة
معترضة اظهار نعمته مفعول اراد اي ظهورها على
المسلمين وتاكيد منته عليهم بتعريفهم ما كتب في اللوح
المحفوظ على احد الوجوه السابقة قريبا في المراد بالكتاب
من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب اي لوم بل لبيان النعمة
وانكار عليهما وتذنيب اي نسبتهم لذنب في فعلهم قاله
القاضي عياض رحمه الله تعالى في الشفا من اول قوله
وليس في هذا الزام ذنب الى هنا وهو وجيه خلافا لقول
بعض شراحه انه تكلف لا ينبغي ارتكابه والحق انه عتاب
من الله وفي فتح البادي اختلف السلف في اي الرايين
كان اصوب فقال بعضهم كان راي ابي بكر لانه وافق ما قدر
الله في نفس الامر ولما استقر عليه الامر ولدخول كثير
منهم في الاسلام اما بنفسه واما بذريته التي ولدت
له بعد الواقعة ولانه وافق غلبة الرحمة على الغضب
كما ثبت ذلك عن الله تعالى في حق من كتب له الرحمة
واما من رجح الراي الاخر فتمسك بما وقع من العتاب
على اخذ الفدا وهو ظاهر لكن الجواب عنه انه لا يدفع
حجة الرجحان عن الاول بل ورد للاشارة الى ذم من اثر
شيا من الدنيا على الاخرة ولو قل واما قوله تعالى ولولا
ان ثبتناك على الحق بالعصمة لقد كدت قاربت تركن
تميل اليهم شيا ركونا قليلا لشدة احتيالهم والحاحهم
وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما ركن ولا قارب اذا
لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات
الاية ثم اي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والاخرة
لا تجد لك علينا نصيرا مانعا منه اخرج ابن مردويه
وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال خرج امية بن خلف
وابو جهل ورجال من قريش فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال يا محمد تعال فتمسح بآلهتنا وندخل معك في دينك وكان
يحب اسلام قومه فرق لهم فانزل الله وان كادوا ليفتنونك
الى قوله نصيرا قال السيوطي هذا اصح ما ورد في سبب نزولها
وهو اسناد جيد وله شاهد اخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن
جبير قال كان صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر فقالوا لا ندعك
تستلم حتى تلم بآلهتنا فقال صلى الله عليه وسلم وما علي لو
فعلت والله يعلم مني خلافه فنزلت **ولولا ان**
ثبتناك لقد تفسير لكدت **كدت تركن اليهم شيئا**
تفسير لتركن من الركون الذي هو ادنى ميل على ما قال
المغني وعليه فقوله شيئا قليلا كالصفة الكاشفة لمعنى تركن
لكن اذ ركنك عصمتنا فمنعت ان تقرب فضلا من ان
تركن وببيان المعنى حصل الجواب عن الاية وانها من
الايات المادحة للمصطفى لا انها من المتشابهات **وهو صريح**
في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم اي قريش لما طلبوه
منه من التمسح بآلهتهم والالمام بها على الاصح في سبب نزولها وبه
استدل من قال هذه الاية مكية ومن قال انها مدنية استدل
بما رواه ابن مردويه عن ابن عباس ان ثقيفا قالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم اجلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا فاذا قبضنا
ما يهدى لها احرزناه ثم اسلمنا فهم ان يؤجلهم فنزلت واسناده
ضعيف وذكر الثعلبي بلا اسناد عن ابن عباس انها نزلت في ثقيف
قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نحني في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل
ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وتحرم
وادينا كمكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله
امرني قال الولي العراقي لم اقف له على اسناد **مع قوة الداعي**
اليه لشدة احتيالهم وقوة خدعهم وكونه في مقام التلطف
بهم والحرص على ايمانهم **فالعصمة بتوفيق الله وحفظه** عن
مقاربة ذلك **وقوله ربنا اذا لاذقناك ضعف** عذاب **الحياة**
وضعف عذاب **الممات** تفسير لقوله اذا لاذقناك **اي ضعف**
ما يعذب به في الدارين الدنيا والاخرة **بمثل هذا الفعل**
غيرك لان خطأ اي ذنب **الخطير** الشريف **اخطر** اعظم من
غيره لانه لشرفه حقه ان لا يقرب مما يلام عليه بل يصون نفسه
من الهفوات وان صغرت **وقد اعاذه الله تعالى** اي عصمه
من الركون الى اعدائه اي اعداء الله **بذرة من قلبه** اي بشيء
قليل صغير جدا كالذرة فضلا عما فوقها **ومما يعزى للجزري**

مما

مما يؤيد ذلك اي ان كاد هنا بمعنى قرب قوله **ملغزا**
النحوي هذا العصر ما هي لفظة جرت في لساني جرهم وثمود
جرهم بضم الجيم حي من اليمن وثمود قوم صالح وخصهما زيادة
في التعمية
اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت وان اثبتت قامت مقام جحود
وفسر الاول وهو النفي المثبت بقوله وجوها وما كادوا يفعلون
لغلا ثمن البقرة **فانه فعلوا** بعد ان لم يكادوا يفعلوا **والثاني وهو الثبوت**
الذي يعني النفي بقوله لقد كدت تركن اليهم قالوا اي العلماء كلهم
وهو صلى الله عليه وسلم ثبت قلبه ولم يركن بنص قوله ثبتناك
وايده بذلك وان كان ضعيفا لاشتهاره كما في شرح الكافية
والمغني وقالا ان من زعمه لم يصب بل حكم كاد حكم سائر الافعال
فمعناها منفي اذا صحبها حرف نفي وثابت اذا لم يصحبها فاذا
قيل كاد زيد يبكي معناه قارب البكا فمقاربة البكا ثابتة
واذا قيل لم يكد يبكي فمعناه لم يقارب البكا فمقاربته منفية
ونفسه منتف انتفاء ابعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة
واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل اي
افترى سمى تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل
تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك **لاخذنا منه**
باليمين بالقوة والقدرة **ثم لقطعنا منه الوتين** نياط
القلب وهو عرق متصل به اذا انقطع مات صاحبه **فالمعنى**
لو افترى علينا شيئا من عند نفسه كما زعم الكفار بنحو
ان هذا الا افك افتراه **لاخذناه** لنلنا منه عقابا **باليمين**
وقطعنا نياط قلبه واهلكناه وقد اعاذه الله
تعالى من التقول عليه افلا تعقلون انه تنزيل من رب
العالمين فالاية من جملة مدحه اذ فيها القسم على تصديقه
بجميع الموجودات وانه لا يمكنه الافترا عليه **فان قلت**
لا ريب لا شك **انه يحبه** اسم مفعول بمعنى المحبوب
او اسم فاعل اي لمن احب غيره ولا شك عليه السلام انه
محب لله ومحبوب له ولصاحب المحاسن والاحسان العظيم
ما لا يعفى لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر
واذا الحبيب اتى بذنب واحد جاءت محاسنه بالف شفيع
وفي القران اشارة اليه وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ولا شك
ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم من كل حبيب
ذو المحاسن والاحسان الاكبر الفائق على كل محسن مما هذه

[illegible] عقوبة [illegible] بقوله اذا لأذقناك ضعف الحياة الخ
[illegible] في قوله لاخذنا منه الخ اوا [illegible] نمل منهما
[illegible] وقع منه [illegible] بكسر الهمزة وسكون النون [illegible] ويمكن
[illegible] الى احد [illegible] ثم تعالى حقيقة نصلا عن [illegible] ما دينه
ومنقود بكسر الواو واسم فاعل [illegible] كاذب [illegible]
جهة نفسه ثم [illegible] بما لم يبال به [illegible] نوازع
وغيرهم فالجواب انه لا تنافي بين الامرين [illegible]
نعمة الله واختصه منها بما لا يختص به [illegible]
ما لم يعط غيره مما [illegible] بوحده بالانعام [illegible]
القرب المعنوي والاكرام وهذا بمعنى ما قبله فهو اطناب
اقتضت حاله من حفظ مرتبة القرب [illegible] والاختصاص
ان يراعي مرتبته فيباعد نفسه من ادنى اقل تسويش [illegible] قاطع
عن الله فلشدة الاعتناء به ومزية تقريبه وايجاده
[illegible] اصطفائه اختياره على غيره تكون [illegible]
عليه [illegible] عليه اكمل واتم من غيره فالمطلوب [illegible]
فوق المطلوب من غيره فلو اغفل بفتح الفاء كنصر وفي
لغة بكسرها او اخل بمقتضى مرتبته منزلته السنية
ثم بما لم ينبه عليه البعيد مع [illegible] بما لم يسامح به ذلك
البعيد ايضا فيجتمع في حقه [illegible] عظم ما يصدر منه
لمنافاته لمرتبته والمسامحة لمحبته وشدة نعمه لمحبوبه
واذا اردت [illegible] اجتماعها وعدم تناقضهما [illegible] الواقع
في عرف الآدميين شاهد [illegible] ان الملك السلطان يسامح
[illegible] الموالين له والمعاضدين بما لم يسامح به من
ليس في منزلتهم [illegible] واخذهم بما لم يؤاخذ به غيرهم ممن
دونهم وانت اذا كان لك عبدان او ولدان احدهما احب
اليك من الاخر واقرب الى قلبك واعز عليك عاملته
[illegible] الامرين المسامحة والمواخذة واستقم [illegible] المعاملة
[illegible] منك وحبك له [illegible] عليك [illegible] الى
[illegible] يعني حسبه [illegible]
العفو اقتضت تلك الحالة التي هي المنظر لكمال الاعتراف
[illegible] بما لا تعامل به من دونه من [illegible]
[illegible] بيان لما واذا نظرت الى محبته لك وطاعته
[illegible] وكمال عبوديته ونصحه لك في امورك وهيبته
[illegible] وعفوت عنه بما تفعله مع غيره فالمعاملتان
[illegible] بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى العرفي

والشرع

في الشرع حيث جعل حد من انعم عليهم بالتزويج اذا تعدوا
الى الزنا الرجم لان الذي مع المزني به [illegible] وجنه [illegible]
[illegible] هذه النعمة الجلد لانه معذور [illegible] بالنسبة للمتزوج [illegible]
حده في عقوبته وكذلك ضاعف [illegible] على الحر [illegible]
نفسه واتم نعمته عليه ولم يجعله مملوكا لغيره [illegible] جعل
حد [illegible] المنقوص [illegible] الذي لم يجعل له هذه النعمة
نصف [illegible] فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
[illegible] بفتح الموحدة والهاء غلبت وظهرت [illegible]
[illegible] وما احسن قول القائل فلله سر تحت
كل لطيفة اي رفق بعبده لا يعلمه الا هو فاخوا البصائر الناظر
بعين البصيرة [illegible] اي عارف في المعاني والافكار التي
يتوصل بها اي [illegible] معرفة تعالى عز وجل متعقل اي يستعمل عقله
فيما يوصل اليه انتهى هذا الجواب ملخصا حال
[illegible] تدري ما الكتاب القران ولا
الايمان [illegible] مع ما هو انه صلى الله عليه وسلم كان عا[illegible]
وصفاته قبل النبوة فقيل معناه ما كنت [illegible] الايمان
على التفصيل الذي شرع في القران [illegible] انه كان
يدري به اجمالا وقاله [illegible] رفيع بن [illegible] التابعي الكبير
هو بمعنى الدعوة [illegible] الايمان فيكون على حذف مضاف
لانه كان قبل الوحي لا يقدر ان يدعو الناس الى الايمان
[illegible] فلا ينافي علمه بانه الواحد وقيل معناه انه
ما كان يعرف الايمان [illegible] كان في المهد وقبل البلوغ
فلا ينافي عرفانه بعد ذلك ببصيرته [illegible]
على بن حبيب القاضي ابو الحسن [illegible] البغدادي البصري
نسبة ابوه لعمل ماء الورد وبيعه والقياس الوردي صاحب
التصانيف الجليلة مات سنة خمسين واربعمائة عن ست
وثمانين سنة [illegible] الواحدي الي الحسن على المؤمن [illegible]
[illegible] الامام المشهور صاحب [illegible]
[illegible]
انه من باب حذف [illegible]
الايمان من الذي يؤمن [illegible] عبد مناف [illegible]
اوغيره فلا ينافي [illegible] مؤمنا بالله وصفاته وقد يدل
له بقية الاية ولكن جعلناه نورا نهدي [illegible]
من عبادنا وقيل المراد به اي الايمان شرائع [illegible]
ومعالمه اي ما يدل عليه فهو على حذف [illegible]
وكلها ايمان وقد سمى الله الصلاة ايمانا [illegible]

الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس مدة
فيكون اللفظ عاما وهو مطلق التصديق والمراد
الخصوص وهو الشرايع والمعالم كما قاله بن قتيبة
عبد الله بن مسلم وابن خزيمة محمد امام الايمة قال بكر
القاضي فكان صلى الله عليه وسلم مومنا بتوحيده
ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدرسها قبل فزاد بالتكليف
ايمانا قال عياض وهذا احسن وجوهه وقد اشتهر في كتب
الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض
الاوثان كما في قصة بحيرا الراهب لما استحلفه باللات
والعزي وهو صبي فقال صلى الله عليه وسلم لا تسالني
بها فوالله ما ابغضت شيا قط فقال بحيرا فبالله الا ما
اخبرتني عما اسالك فقال سل عما بدا لك وحج وهو متعمم مخالفا
للمشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج وكان من توفيق الله
له يقف بعرفة لانه موقف ابراهيم وروي ابو نعيم وابن
عساكر عن علي انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل
عبدت وثنا صنما متخذا من حجارة او خشب او غيرها
وقيل الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية التي تذوب
والوثن المتخذ من حجر او خشب قال لا لم اعبده قط قيل
فهل شربت خمرا قط قال لا ما شربته وما زلت اعرف
ان الذي هم عليه من عبادة الاوثان كفر وما كنت
ادري ما الكتاب ولا الايمان وقد ورد ان العرب
على بقايا من دين اسماعيل حج البيت والختان والغسل
من الجنابة وقد حلف ابو سفيان بعد وقعة بدر لا يغسل
راسه من جنابة حتى يغزو محمدا وكان عليه الصلاة
والسلام لا يقرب بفتح الراء وضمها الاوثان لا اي لا يدنو
منها ويعيبها بفتح الياء والحال انه حبيبه لا يعرف
شرايع الله التي شرعها لعباده على لسانه فهذا كقوله
تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
هو بمعنى ما قدمه اعاده لزيادة قوله ولم يرد الايمان
الذي هو الاقرار بالله لان اباه الذين ماتوا على
الشرك كانوا يومنون بالله ويحجون مع شركهم وقد
كانوا في الفترة فهم لا يعذبون اذ لا يجب ايمان ولا يمنع
كفر على الصحيح قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا ومفهوم ان منهم من مات على الايمان ورجح

الرازي

الرازي وغيره انه لم يكن في اباءه [illegible] ومن بسط
ذلك اول الكتاب انتهى هذا المقصد والله اعلم
ولله الحمد على ما انعم ونساله اتمام الاحسان
بالاتمام وان يجعله خالصا له بجاه
المصطفى عليه افضل الصلاة
والسلام وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تم الجزء
الثالث ويليه
الجزء الرابع
من شرح
المواهب
والله
اعلم
م